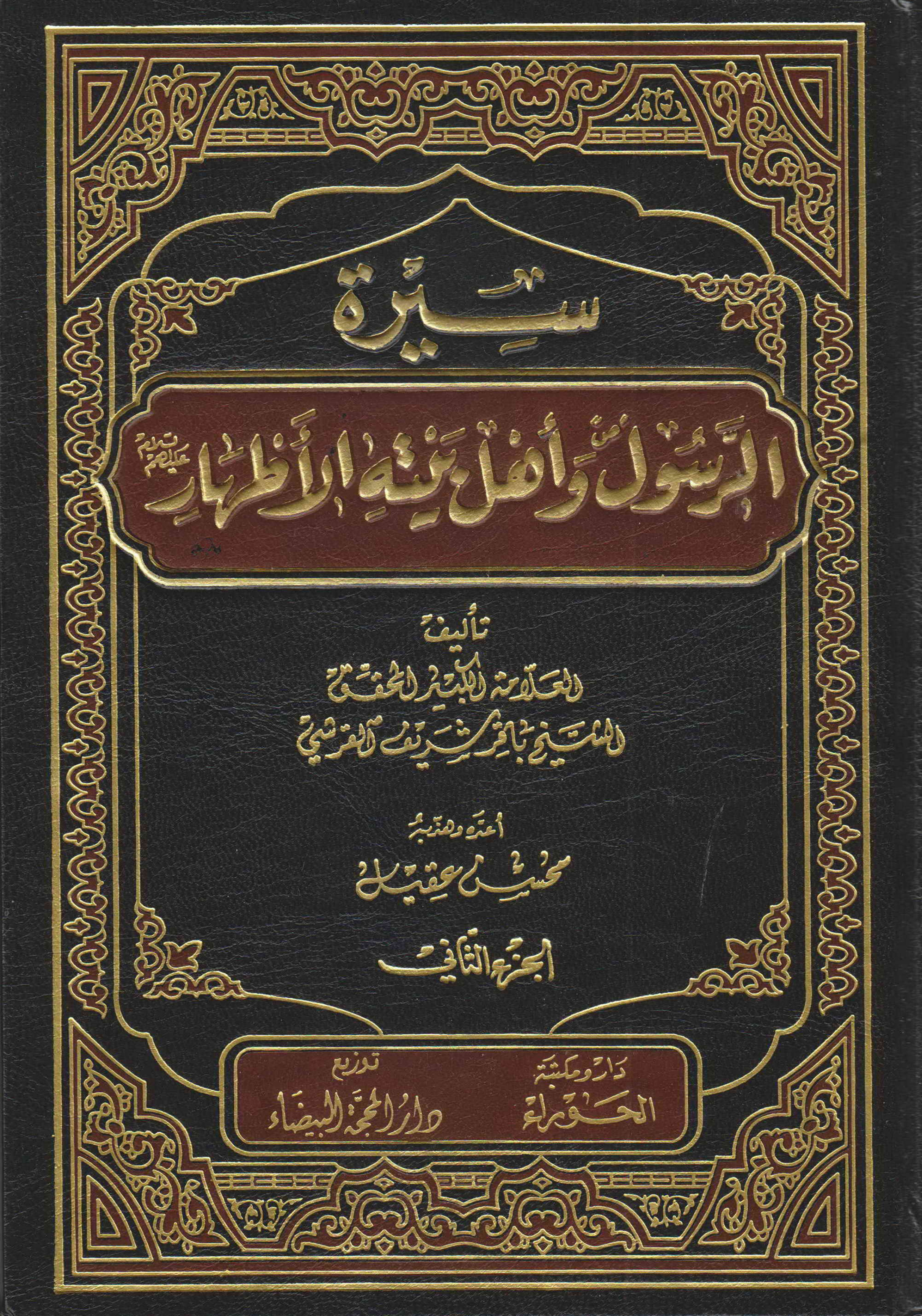

سيرة
الرسول وأهل بيته الأطهار عليهم السلام
تأليف
العلامة الكبير المحقق
الشيخ باقر شريف القرشي
أعده وحققه
محسن عقيل
الجزء الثاني
دار ومكتبة
الحوراء
توزيع
دار المحجة البيضاء

سيرة
الرسول ﷺ وأهل بيته الأطهار عليهم السلام


بسم الله الرحمن الرحيم

سيرة الرسول وأهل بيته الأطهار عليهم السلام

تأليف

العلامة الكبير المحقق
الشيخ باقر شريف القرشي

أعده وهذبه

محسن عقيل

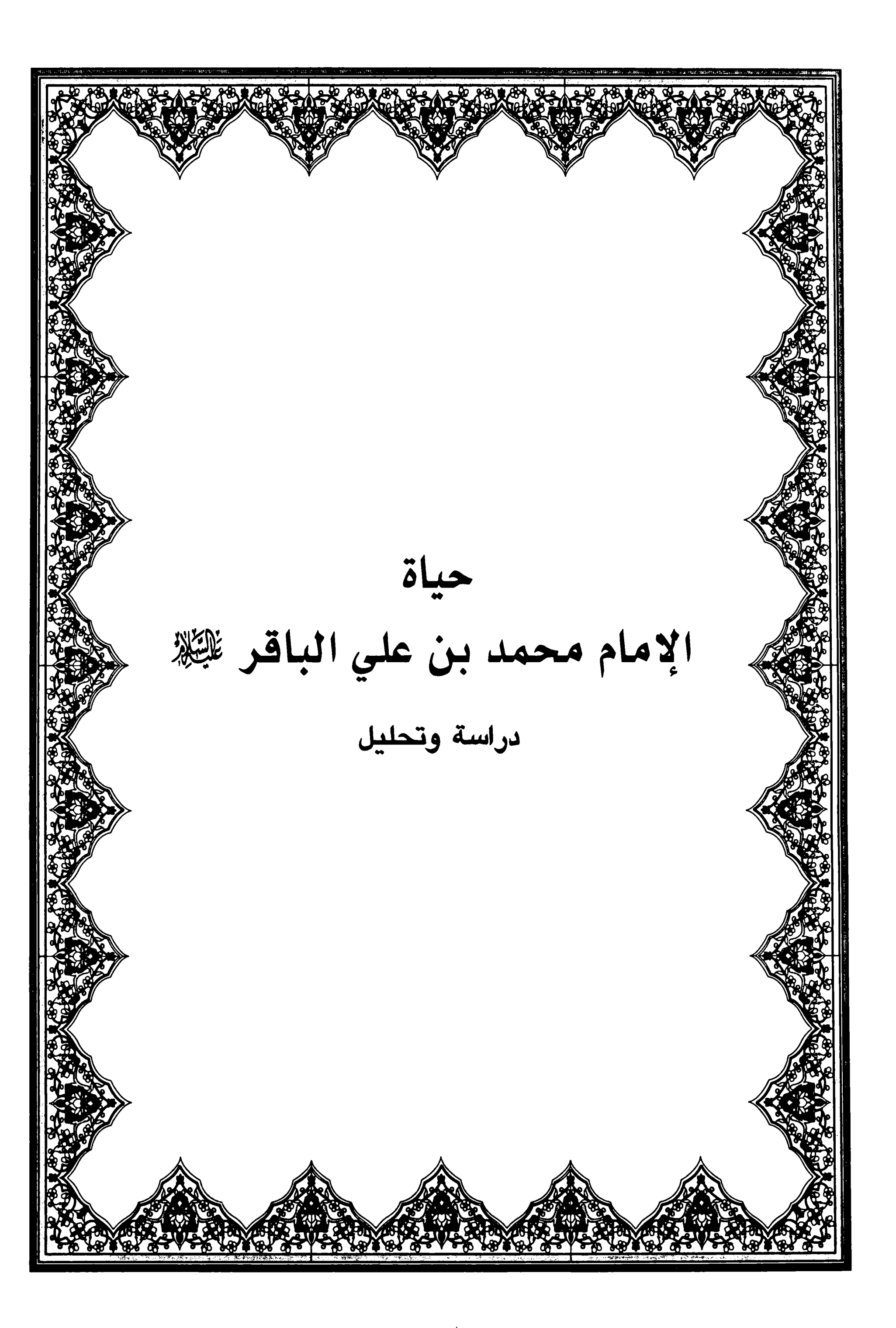
الجزء الثاني

دار
ومكتبة الحوراء

توزيع
دار المحجة البيضاء

الطبعة الأولى

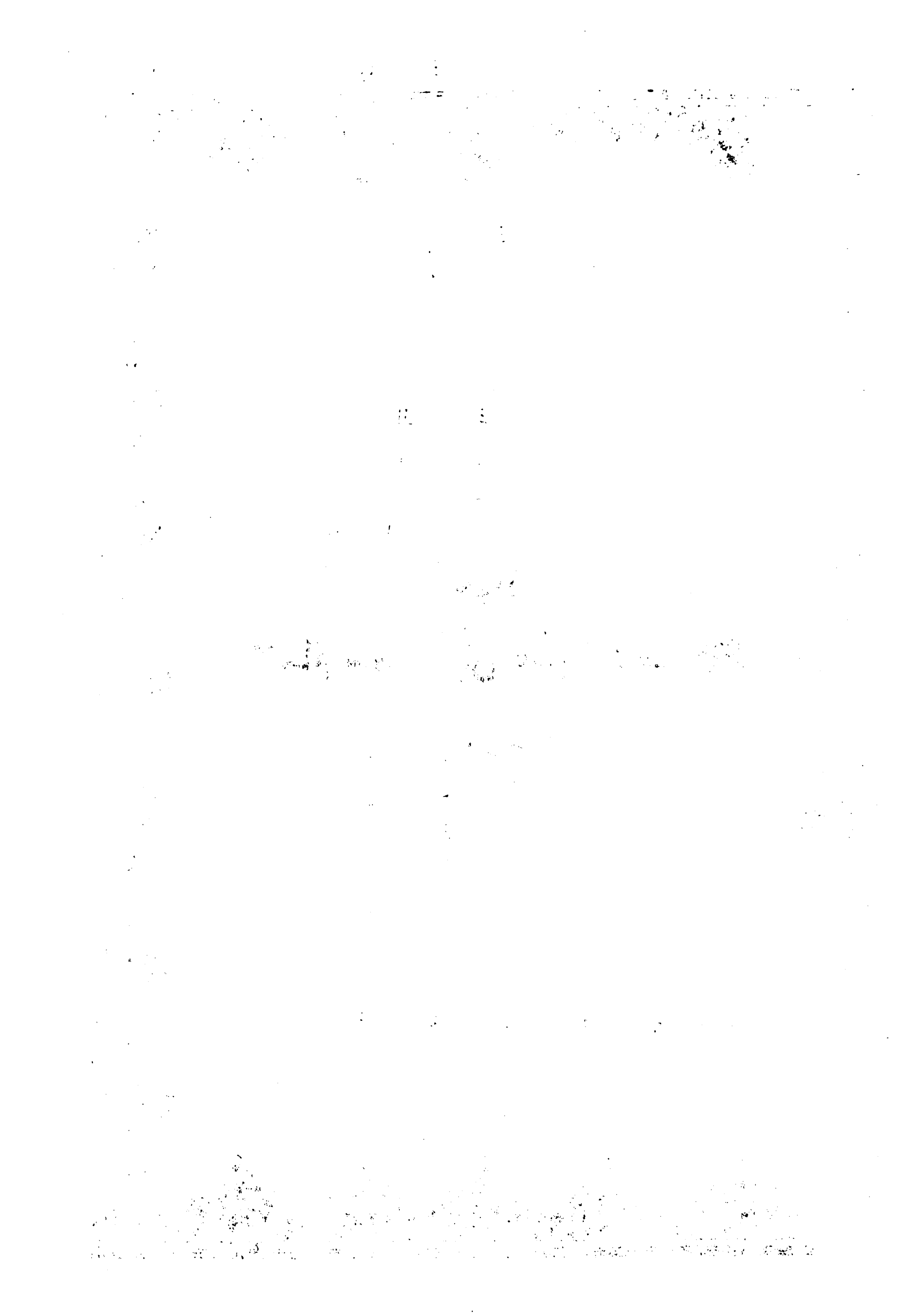
١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م



حياة

الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام

دراسة وتحليل



الوليد العظيم

الأُمّ:

أما أُمّه فهي السيِّدة الزكية الطاهرة فاطمة بنت الإمام الحسن سيِّد شباب أهل الجنَّة، وتُكنى أُمّ عبد الله[1] وكانت من سيِّدات نساء بني هاشم، وكان الإمام زين العابدين عليه السلام يسميها الصدِّيقة ويقول فيها الإمام أبو عبد الله الصادق عليه السلام: «كانت صدِّيقة لم تدرك في آل الحسن مثلها»[2].

الأب:

أما الأب فهو سيِّد الساجدين وزين العابدين الإمام علي بن الحسين عليه السلام.

ولادته:

وأشرقت الدُّنيا بمولد الإمام الزكي محمد الباقر الذي بشر به النبي صلى الله عليه وآله قبل ولادته وكانت ولادته في يثرب في اليوم الثالث من شهر صفر سنة (٥٦هـ)[3] وقيل سنة (٥٧هـ) في غرة رجب يوم الجمعة[4] وقد ولد قبل قتل جده الإمام الحسين عليه السلام بثلاث سنين[5] وقيل بأربع سنين كما أدلى عليه السلام بذلك[6].

وكانت ولادته في عهد معاوية.

تسميته:

وسمَّاه جده رسول الله صلى الله عليه وآله بمحمد، وكنَّاه بالباقر قبل أن يخلق بعشرات السنين.

(١) تهذيب اللغات والأسماء: ١/ ٨٧.
(٢) أُصول الكافي: ١/ ٤٦٩.
(٣) وفيات الأعيان: ٣/ ٣١٤.
(٤) دلائل الإمامة: ص٩٤.
(٥) تأريخ ابن الوردي: ١/ ١٨٤.
(٦) تأريخ اليعقوبي: ٢/ ٦٠.

كنيته:

أما كنيته فهي: «أبو جعفر»[١].

ألقابه:

١ ـ الأمين.

ـ الشبيه: لأنَّه كان يشبه جده رسول الله ﷺ[٢].

٣ ـ الشاكر.

٤ ـ الهادي.

٥ ـ الصابر.

٦ ـ الشاهد.

٧ ـ الباقر: وهذا من أكثر ألقابه ذيوعاً وانتشاراً[٣].

ويكاد يجمع المؤرخون والمترجمون للإمام على أنَّه إنَّما لقب بالباقر لأنَّه بقر العلم أي شقه.

وقيل إنَّما لقب به لكثرة سجوده فقد بقر جبهته أي فتحها ووسعها[٤].

تحيات النبي إلى الباقر:

ويجمع المؤرخون والرواة على أنَّ النبي ﷺ حمَّل الصحابي العظيم جابر بن عبد الله الأنصاري تحياته إلى سبطه الإمام الباقر، وكان جابر ينتظر ولادته بفارغ الصبر ليؤدِّي إليه رسالة جده، فلما ولد الإمام وصار صبياً يافعاً التقى به جابر فأدَّى إليه تحيات النبي ﷺ وقد روى المؤرخون ذلك بصور متعددة وهذه بعضها:

ـ ما رواه أبان بن تغلب عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنَّ جابر بن عبد الله الأنصاري كان آخر من بقي من أصحاب رسول الله ﷺ وكان رجلاً منقطعاً إلينا أهل البيت، وكان يقعد في مجلس رسول الله ﷺ وهو معتجر بعمامة سوداء، وكان ينادي: يا باقر العلم، يا باقر العلم، فكان أهل المدينة يقولون: جابر يهجر، فكان يقول: والله ما أهجر،

---

(١) دلائل الإمامة: ص٩٤.

(٢) أعيان الشيعة: ق١/ ٤/ ٤٦٤.

(٣) تذكرة الحفاظ: ١/ ١٢٤.

(٤) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان: ٥/ ٧٨.

ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنَّك ستدرك رجلاً منِّي اسمه اسمي، وشمائله شمائلي يبقر العلم بقراً، فذاك الذي دعاني إلى ما أقول: قال: فبينما جابر يتردَّد ذات يوم في بعض طرق المدينة إذ مرَّ بطريق في ذاك الطريق كتاب فيه محمد بن علي فلما نظر إليه قال: يا غلام اقبل فأقبل، ثم قال له: ادبر فأدبر، ثم قال: شمائل رسول الله ﷺ والذي نفسي بيده، يا غلام ما اسمك؟ قال: اسمي محمد بن علي بن الحسين فجعل يقبِّل رأسه، ويقول: بأبي أنت وأُمِّي أبوك رسول الله ﷺ يقرؤك السلام... قال: فرجع محمد بن علي إلى أبيه وهو ذعر فأخبره الخبر، فقال له: يا بني قد فعلها جابر قال: نعم قال: الزم بيتك يا بني..»[1].

ـ ما رواه تاج الدِّين بن محمد نقيب حلب بسنده عن الإمام الباقر عليه السلام قال: دخلت على جابر بن عبد الله فسلَّمت عليه. فقال لي: من أنت؟ وذلك بعد ما كف بصره، فقلت له: محمد بن علي بن الحسين، فقال: بأبي أنت وأُمِّي ادن منِّي فدنوت منه فقبَّل يدي ثم أهوى إلى رجلي فاجتذبتها منه، ثم قال: إنَّ رسول الله ﷺ يقرؤك السلام، فقلت: وعلى رسول الله ﷺ السلام ورحمة الله وبركاته، وكيف ذلك يا جابر؟ قال: كنت معه ذات يوم فقال لي: يا جابر لعلَّك تبقى حتى تلقى رجلاً من ولدي يُقال له محمد بن علي بن الحسين يهب له الله النُّور والحكمة فاقرأه منِّي السلام..»[2].

ـ ما ذكره صلاح الدِّين الصفدي قال: «كان جابر يمشي بالمدينة ويقول: يا باقر متى ألقاك؟ فمر يوماً في بعض سكك المدينة فناولته جارية صبياً في حجرها فقال لها: من هذا؟ فقالت: محمد بن علي بن الحسين فضمه إلى صدره، وقبَّل رأسه ويديه، وقال: يا بني جدك رسول الله ﷺ يقرؤك السلام ثم قال: يا باقر نعيت إليَّ نفسي فمات في تلك اللَّيلة..»[3].

ملامحه:

أما ملامحه الشريفة فهي حسب ما يقول جابر بن عبد الله الأنصاري كانت كملامح رسول الله ﷺ وشمائله[4].

---

(١) أُصول الكافي: ١/٤٦٩ ـ ٤٧٠.
(٢) غاية الاختصار: ص٦٤.
(٣) الوافي بالوفيات: ٤/١٠٢.
(٤) أُصول الكافي: ١/٤٦٩.

ووصفه بعض المعاصرين له فقال: إنَّه كان معتدل القامة أسمر اللون[١] رقيق البشرة له خال، ضامر الكشح، حسن الصوت مطرق الرأس[٢].

ذكاؤه المبكر:

وكان عليه السلام في طفولته آية من آيات النبوغ والذكاء، ويقول الرواة إنَّ جابر بن عبد الله الأنصاري على شيخوخته كان يأتيه فيجلس بين يديه فيعلمه... وقد بهر جابر من سعة علوم الإمام ومعارفه وطفق يقول: «يا باقر لقد أوتيت الحكم صبياً..»[٣].

هيبته ووقاره:

قد تشرَّف قتادة وهو فقيه أهل البصرة بمقابلته فاضطرب قلبه من هيبته وأخذ يقول له:

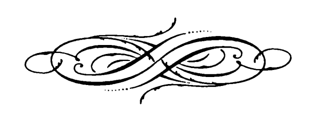
«لقد جلست بين يدي الفقهاء وأمام ابن عباس فما اضطرب قلبي من أي أحد منهم مثل ما اضطرب قلبي منك..»[٤].

نقش خاتمه:

أما نقش خاتمه فهو: «العزَّة لله جميعاً»[٥] وكان يتختم بخاتم جده الإمام الحسين عليه السلام وكان نقشه: «إنَّ الله بالغ أمره»[٦].

إقامته:

وأقام الإمام عليه السلام طيلة حياته في يثرب دار الهجرة، فلم يبرحها إلى بلد آخر.



---

(١) أخبار الدول: ص١١١.

(٢) أعيان الشيعة: ق١/ ٤/ ٤٧١.

(٣) علل الشرائع: ص٢٣٤.

(٤) إثبات الهداة: ٥/ ١٧٦.

(٥) حلية الأولياء: ٣/ ١٨٩.

(٦) أعيان الشيعة: ق١/ ٤/ ١٦٩.

في ظلال جدّه الحسين وأبيه علي عليه السلام

في ظلال جده:

وعنى الإمام الحسين عليه السلام بتربية حفيده فأفرغ عليه أشعة من روحه المقدّسة التي أضاءت آفاق هذا الكون، وكان فيما يرويه المؤرخون ـ يجلسه في حجره، ويوسعه تقبيلاً، ويقول له:

«إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقرؤك السلام..»[١].

وقد جرت فصول تلك المأساة الخالدة أمام الباقر وهو في غضون الصبا يقول عليه السلام: «قتل جدي الحسين ولي أربع سنين، وإنِّي لأذكر مقتله، وما نالنا في ذلك الوقت»[٢].

في ظلال أبيه:

عاش الإمام أبو جعفر عليه السلام في كنف أبيه الإمام زين العابدين عليه السلام ما يزيد على (٣٤ عاماً) وقد لازمه وصاحبه طيلة هذه المدة فلم يفارقه، وقد تأثر بهديه المشرق الذي يمثل هدي الأنبياء والمرسين.

وصاياه لولده الباقر:

١ ـ قال عليه السلام لولده الباقر: «يا بني لا تصحبن خمسة، ولا تحادثهم، لا تصحبن الفاسق فإنَّه يبيعك بأكلة فما دونها، قلت: يا أبت وما دونها؟ قال: يطمع فيها ثم لا ينالها، ولا تصحب البخيل فإنَّه يقطع بك أحوج ما تكون إليه، ولا تصحب الكذاب فإنَّه بمنزلة السراب يبعد عنك القريب، ويقرب منك البعيد، ولا تصحب الأحمق فإنَّه يريد أن ينفعك فيضرك، وقد قيل: عدو عاقل خير من صديق أحمق، ولا تصحب قاطع رحم فإنَّه ملعون في كتاب الله في ثلاثة مواضع: في سورة محمد قال تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن

---

(١) تأريخ دمشق: ٥١/٣٨.

(٢) تأريخ اليعقوبي: ٢/٦١.

تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾[١] وفي سورة الرعد حيث يقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾[٢]. وفي سورة الأحزاب حيث يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾[٣]..»[٤].

٢ ـ وأوصى عليه السلام ولده الإمام الباقر بهذه الوصية القيمة قال له: «افعل الخير إلى كل من طلبه منك فإن كان أهلاً فقد أصبت موضعه، وإن لم يكن بأهل كنت أنت أهله، وإن شتمك رجل عن يمينك ثم تحول إلى يسارك وأعتذر إليك فاقبل عذره..»[٥].

٣ ـ قال الإمام الباقر عليه السلام: كان أبي علي بن الحسين يقول لولده: «اتقوا الكذب الصغير منه، والكبير في كل جد وهزل لأنَّ الرجل إذا كذب في الصغير اجترأ على الكبير..»[٦].

٤ ـ وأوصى عليه السلام ولده الإمام الباقر بهذه الوصية الرفيعة قال عليه السلام: «يا بني العقل رائد الرُّوح، والعلم رائد العقل، والعقل ترجمان العلم، واعلم أنَّ العلم أبقى، اللِّسان أكثر هذراً، وإنَّ إصلاح الدُّنيا بحذافيرها في كلمتين بهما إصلاح شأن المعائش ملء مكتال ثلثاه فطنة وثلثه تغافل لأنَّ الإنسان لا يتغافل عن شيء قد عرفه ففطن له، واعلم أنَّ الساعات تذهب عمرك، وأنت لا تنال نعمة إلاَّ بفراق أخرى وإيَّاك والأمل الطويل فكم من مؤمل لا يبلغه، وجامع مال لا يأكله، ومانع مال سوف يتركه، ولعلَّه من باطل جمعه، ومن حق منعه أصابه حراماً وورثه واحتمل إصره، وباء بوزره وذلك هو الخسران المبين»[٧].

أدعيته لولده:

وكان من بين أدعيته الشريفة هذا الدُّعاء الذي خصَّ به ولده يقول عليه السلام: **«اللَّهُمَّ وَمُنَّ عَلَيَّ بِبَقَاءِ وُلْدِي، وَبِإِصْلَاحِهِمْ لِي، وبِإِمْتَاعِي بِهِمْ، إِلَهِي امْدُدْ لِي فِي أَعْمَارِهِمْ، وَزِدْ لِي فِي آجَالِهِمْ، وَرَبِّ لِي صَغِيرَهُمْ، وَقَوِّ لِي ضَعِيفَهُمْ، وَأَصِحَّ لِي أَبْدَانَهُمْ وَأَدْيَانَهُمْ،**

---

(١) سورة محمد: آية ٢٢ و٢٣.
(٢) سورة الرعد: آية ٢٥.
(٣) سورة الأحزاب: آية ٥٧.
(٤) الاتحاف بحب الأشراف: ص٥٠.
(٥) تحف العقول: ص٢٨٢.
(٦) وسائل الشيعة: ٣/ ٢٣٢.
(٧) كفاية الأثر: ص٣١٩ للخزاز.

وَأَخْلَاقَهُمْ، وَعَافِهِمْ فِي أَنْفُسِهِمْ وَفِي جَوَارِحِهِمْ وَفِي كُلِّ مَا عُنِيتُ بِهِ مِنْ أَمْرِهِمْ، وَأَدْرِرْ لِي وَعَلَى يَدِي أَرْزَاقَهُمْ، وَاجْعَلْهُمْ أَبْرَاراً أَتْقِيَاءَ بُصَرَاءَ سَامِعِينَ مُطِيعِينَ لَكَ وَلِأَوْلِيَائِكَ مُحِبِّينَ مُنَاصِحِينَ وَلِجَمِيعِ أَعْدَائِكَ مُعَانِدِينَ وَمُبْغِضِينَ آمِينَ.

اللَّهُمَّ اشْدُدْ بِهِمْ عَضُدِي، وَأَقِمْ بِهِمْ أَوَدِي، وَكَثِّرْ بِهِمْ عَدَدِي، وَزَيِّنْ بِهِمْ مَحْضَرِي، وَأَحْيِ بِهِمْ ذِكْرِي، وَاكْفِنِي بِهِمْ فِي غَيْبَتِي، وَأَعِنِّي بِهِمْ عَلَى حَاجَتِي، وَاجْعَلْهُمْ لِي مُحِبِّينَ، وَعَلَيَّ حَدِبِينَ مُقْبِلِينَ مُسْتَقِيمِينَ لِي، مُطِيعِينَ، غَيْرَ عَاصِينَ وَلَا عَاقِّينَ وَلَا مُخَالِفِينَ، وَلَا خَاطِئِينَ، وَأَعِنِّي عَلَى تَرْبِيَتِهِمْ وَتَأْدِيبِهِمْ، وَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ مَعَهُمْ أَوْلَاداً ذُكُوراً، وَاجْعَلْ ذَلِكَ خَيْراً لِي، وَاجْعَلْهُمْ لِي عَوْناً عَلَى مَا سَأَلْتُكَ، وَأَعِذْنِي وَذُرِّيَّتِي مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، فَإِنَّكَ خَلَقْتَنَا وَأَمَرْتَنَا وَنَهَيْتَنَا، وَرَغَّبْتَنَا فِي ثَوَابِ مَا أَمَرْتَنَا وَرَهَّبْتَنَا عِقَابَهُ، وَجَعَلْتَ لَنَا عَدُوّاً يَكِيدُنَا سَلَّطْتَهُ مِنَّا عَلَى مَا لَمْ تُسَلِّطْنَا عَلَيْهِ مِنْهُ أَسْكَنْتَهُ صُدُورَنَا، وَأَجْرَيْتَهُ مَجَارِيَ دِمَائِنَا، لَا يَغْفُلُ إِنْ غَفَلْنَا، وَلَا يَنْسَى إِنْ نَسِينَا، يُؤْمِنُنَا عِقَابَكَ، وَيُخَوِّفُنَا بِغَيْرِكَ، إِنْ هَمَمْنَا بِفَاحِشَةٍ شَجَّعَنَا عَلَيْهَا، وَإِنْ هَمَمْنَا بِعَمَلٍ صَالِحٍ ثَبَّطَنَا عَنْهُ، يَتَعَرَّضُ لَنَا بِالشَّهَوَاتِ، وَيَنْصِبُ لَنَا بِالشُّبُهَاتِ... إِنْ وَعَدَنَا كَذَبَنَا، وَإِنْ مَنَّانَا أَخْلَفَنَا، وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنَّا كَيْدَهُ يُضِلَّنَا وَإِلَّا تَقِنَا خَبَالَهُ يَسْتَزِلَّنَا.

اللَّهُمَّ فَاقْهَرْ سُلْطَانَهُ عَنَّا بِسُلْطَانِكَ حَتَّى تَحْبِسَهُ عَنَّا بِكَثْرَةِ الدُّعَاءِ لَكَ فَنُصْبِحَ مِنْ كَيْدِهِ فِي الْمَعْصُومِينَ بِكَ... اللَّهُمَّ أَعْطِنِي كُلَّ سُؤْلِي، وَاقْضِ لِي حَوَائِجِي، وَلَا تَمْنَعْنِي الْإِجَابَةَ، وَقَدْ ضَمِنْتَهَا لِي، وَلَا تَحْجُبْ دُعَائِي عَنْكَ وَقَدْ أَمَرْتَنِي بِهِ... وَامْنُنْ عَلَيَّ بِكُلِّ مَا يُصْلِحُنِي فِي دُنْيَايَ وَآخِرَتِي مَا ذَكَرْتُ مِنْهُ وَمَا نَسِيتُ، أَوْ أَظْهَرْتُ أَوْ أَخْفَيْتُ، أَوْ أَعْلَنْتُ أَوْ أَسْرَرْتُ، وَاجْعَلْنِي فِي جَمِيعِ ذَلِكَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ بِسُؤَالِي إِيَّاكَ، الْمُنْجِحِينَ بِالطَّلَبِ إِلَيْكَ غَيْرِ الْمَمْنُوعِينَ بِالتَّوَكُّلِ عَلَيْكَ، الْمُعَوَّدِينَ بِالتَّعَوُّذِ بِكَ، الرَّابِحِينَ فِي التِّجَارَةِ عَلَيْكَ، الْمُجَارِينَ بِعِزِّكَ، الْمُوَسَّعِ عَلَيْهِمُ الرِّزْقُ الْحَلَالُ مِنْ فَضْلِكَ، الْوَاسِعِ بِجُودِكَ وَكَرَمِكَ، الْمُعَزِّينَ مِنَ الذُّلِّ بِكَ، وَالْمُجَارِينَ مِنَ الظُّلْمِ بِعَدْلِكَ، وَالْمُعَافَيْنَ مِنَ الْبَلَاءِ بِرَحْمَتِكَ، وَالْمُغْنَيْنَ مِنَ الْفَقْرِ بِغِنَاكَ، وَالْمَعْصُومِينَ مِنَ الذُّنُوبِ وَالزَّلَلِ وَالْخَطَاءِ بِتَقْوَاكَ، وَالْمُوَفَّقِينَ لِلْخَيْرِ وَالرُّشْدِ وَالصَّوَابِ بِطَاعَتِكَ، وَالْمُحَالِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الذُّنُوبِ بِقُدْرَتِكَ، التَّارِكِينَ لِكُلِّ مَعْصِيَتِكَ، السَّاكِنِينَ فِي جِوَارِكَ.

اللَّهُمَّ أَعْطِنَا جَمِيعَ ذَلِكَ بِتَوْفِيقِكَ وَرَحْمَتِكَ وَأَعِذْنَا مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ وَأَعْطِ جَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ مِثْلَ الَّذِي سَأَلْتُكَ لِنَفْسِي وَلِوُلْدِي فِي عَاجِلِ

الدُّنْيَا وَآجِلِ الْآخِرَةِ إِنَّكَ قَرِيبٌ مُجِيبٌ، سَمِيعٌ عَلِيمٌ، عَفُوٌّ، غَفُورٌ، رَؤُوفٌ رَحِيمٌ، وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ»[١].

نصّه على إمامة الباقر:

وعهد عليه السلام بالإمامة إلى ولده الباقر ونصَّ عليه يقول الزهري دخلت إليه عائداً فقلت له: «إن وقع من أمر الله ما لا بدَّ منه، فإلى من تختلف بعدك؟».

فنظر الإمام إليه برفق وقال له: «إلى ابني هذا ـ وأشار إلى ولده الباقر ـ فإنَّه وصيِّي ووارثي وعيبة علمي، هو معدن العلم وباقره...

ـ «هلا أوصيت إلى أكبر ولدك؟..».

ـ «يا أبا عبد الله ليست الإمامة بالكبر والصغر، هكذا عهد إلينا رسول الله ﷺ وهكذا وجدنا مكتوباً في اللوح والصحيفة..».

ـ «يا ابن رسول الله عهد إليكم نبيكم أن تكونوا الأوصياء بعده؟..».

«وجدنا في الصحيفة واللوح اثني عشر اسماً مكتوبة في اللوح إمامتهم وأسماء آبائهم وأُمّهاتهم، ثم قال: ويخرج من صلب محمد ابني سبعة من الأوصياء منهم المهدي..»[٢].

ودخل عليه جماعة من أعلام شيعته فدلهم على إمامة ولده الباقر، ونصَّبه مرجعاً وعلماً لأُمَّة جده، ثم دفع إليه سفطاً وصندوقاً فيه مواريث الأنبياء، وكان فيه سلاح رسول الله ﷺ وكتبه[٣].

وصيته لولده الباقر:

١ ـ إنَّه قال له: إنِّي حججت على ناقتي هذه عشرين حجَّة لم أقرعها بسوط، فإذا نفقت فادفنها، لا تأكل لحمها السباع، فإنَّ رسول الله ﷺ قال: ما من بعير يوقف عليه موقف عرفة سبع حجج إلاَّ جعله الله من نعم الجنَّة، وبارك في نسله، ونفذ الإمام الباقر ذلك[٤].

٢ ـ إنَّه أوصاه بهذه الوصية القيمة التي تكشف عن الجوانب المشرقة من نزعات

---

(١) الصحيفة السجَّاديَّة: دعاء (٢٥).

(٢) كفاية الأثر للخزاز، إثبات الهداة: ٥/ ٢٦٤.

(٣) بصائر الدرجات: ص١٤٦؛ إثبات الهداة: ٥/ ٢٦٨.

(٤) محاسن البرقي: ٢/ ٦٣٥.

أهل البيت عليهم السلام فقد قال له: «يا بني أوصيك بما أوصاني به أبي حين حضرته الوفاة، فقد قال لي: يا بني إيَّاك وظلم من لا يجد عليك ناصراً إلاَّ الله»[١].

٣ ـ إنَّه عهد إليه أن يتولى غسله وتكفيه[٢] وسائر شؤونه حتى يواريه في مقره الأخير.

إلى الرفيق الأعلى:

وثقل حال الإمام، واشتد به النزع، وقد أخبر أهل بيته أنَّه في غلس اللَّيل سوف ينتقل إلى جنَّة المأوى، وقد أُغمي عليه ثلاث مرَّات فلما أفاق قرأ سورة (الواقعة) وسورة (إنَّا فتحنا) ثم قال عليه السلام: «الحمد لله الذي صدقنا وعده، وأورثنا الجنَّة نتبوأ منها حيث نشاء فنعم أجر العاملين..»[٣].

تجهيزه:

وقام الإمام أبو جعفر بتجهيز جثمان أبيه فغسل جسده الطاهر.

وبعد الفراغ من غسله أدرجه في أكفانه، وصلَّى عليه الصلاة المكتوبة.

وبعد الفراغ من دفنه هرع الناس نحو الإمام الباقر عليه السلام وهم يرفعون له تعازيهم الحارة ويشاركونه في لوعته واساه، والإمام مع أخوته وسائر بني هاشم يشكرونهم على ذلك.

وانصرف الإمام أبو جعفر عليه السلام إلى بيته بعد أن وارى أباه في بقيع الغرقد وهو غارق في البكاء.

وقد تسلَّم الإمام الباقر عليه السلام بعد وفاة أبيه القيادة الرُّوحية والمرجعية العامة للعالم الإسلامي، فقد انتقلت إليه الإمامة، والزعامة الدينية عند الشيعة[٤].

وقد عاش الإمام الباقر عليه السلام في كنف أبيه (٣٩ سنة) حسبما ذكره أكثر المؤرخين[٥].

---

(١) الخصال: ص١٨٥.
(٢) الخرائج: ص٢٠.
(٣) روضة الكافي.
(٤) العقد الفريد: ٥/ ٢٠٤.
(٥) جاء في تأريخ الأئمة: ص٥ لابن أبي الثلج البغدادي أنَّه أقام مع أبيه (٣٥ سنة) إلاَّ شهرين.

إخوته وأبناؤه

إخوته:

١ ـ زيد الشهيد:

أما زيد الشهيد فهو ملىء فم الدُّنيا في فضله وعلمه وشممه وإبائه، وهو أحد أعلام الأسرة النبوية الذين رفعوا كلمة الله عالية في الأرض.

وقد سأل جابر الإمام الباقر عليه السلام عن زيد فأجابه عليه السلام: «سألتني عن رجل مليء إيماناً وعلماً من أطراف شعره إلى قدمه»[1].

وقال عليه السلام فيه: «إنَّ زيداً أعطي من العلم بسطة»[2].

وكان الإمام الباقر عليه السلام يجلّ أخاه زيداً ويكبره، وقد روى المؤرخون صوراً من ألوان ذلك الود والإكبار، منها: أنَّه قال له: «لقد أنجبت أُمّ ولدتك يا زيد، اللَّهمَّ اشدد أزري بزيد»[3].

روى سدير الصيرفي قال: كنت عند أبي جعفر الباقر عليه السلام فدخل زيد بن علي فضرب أبو جعفر على كتفه وقال له: «هذا سيِّد بني هاشم إذا دعاكم فأجيبوه وإذا استنصركم فانصروه»[4].

٢ ـ الحسين الأصغر:

الحسين الأصغر ابن الإمام زين العابدين، أُمّه أم ولد[5].

---

(١) مقدمة مسند الإمام زيد: ص٨.
(٢) مقدمة مسند الإمام زيد: ص٧.
(٣) عمدة الطالب: ٢/١٢٧.
(٤) عمدة الطالب: ٢/١٢٧.
(٥) عمدة الطالب: ٢/٢٩.

٣ ـ عبد الله الباهر:

ابن الإمام زين العابدين عليه السلام وهو أخو الإمام الباقر لأُمِّه وأبيه، وهو من مفاخر أبناء الأئمة الطاهرين في علمه وورعه وتقواه، لقب بالباهر لجماله وحسنه[١].

٤ ـ عمر الأشرف:

ابن الإمام زين العابدين عليه السلام وأُمّه أمة اشتراها المختار بمائة ألف درهم، وبعث بها إلى الإمام زين العابدين فأولدت له عمراً وزيداً وعلياً[٢] وكان عمر الأشرف من أفاضل الناس وخيارهم.

٥ ـ علي:

ابن الإمام زين العابدين، توفي بينبع ودفن بها، وعمره ثلاثون سنة[٣].

أبناء الإمام الباقر:

١ ـ إبراهيم:

ابن الإمام الباقر عليه السلام وأُمّه أم حكيم بنت أسيد بن المغيرة بن الأخنس الثقفي[٤].

٢ ـ الإمام جعفر:

هو سيِّد ولد أبيه، ووصيه، والإمام القائم من بعده وسيأتي الحديث عنه عليه السلام.

٣ ـ عبد الله:

ابن الإمام الباقر عليه السلام وأُمّه فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر[٥]، وقد توفى شهيداً سقاه السم رجس من أرجاس بني أمية.

٤ ـ علي:

ابن الإمام الباقر عليه السلام عاش في كنف أبيه، وتربى على هديه وسلوكه فنشأ مثالاً للفضل والكمال، لقب بالطاهر لطهارة نفسه وعظيم شأنه.

---

(١) عمدة الطالب: ٢/ورقة ١٢٧.

(٢) عمدة الطالب: ٢/ورقة ١٢٧.

(٣) عمدة الطالب: ٢/ورقة ١٢٩.

(٤) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان: ٥/٨٧.

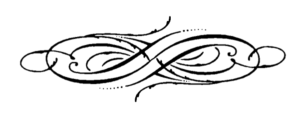
(٥) الإرشاد: ص٣٠٣.

٥ ـ عبد الله:

وأُمّه أم حكيم بنت أسيد بن المغيرة الثقفية[١] توفي في حياة أبيه[٢].

السيِّدات من بناته:

أمّا السيِّدات من بناته فهنَّ: السيِّدة زينب، وأُمّها أم ولد، والسيِّدة أُم سلمة[٣] وأُمّها أُمّ ولد، وهي أُمّ إسماعيل بن الأرقط.



---

(١) الإرشاد: ص٣٠٣.
(٢) الصراط السوي: ص١٩٤.
(٣) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان: ٥/٧٨.

إكبارٌ وتعظيم

قال الإمام أبو عبد الله الصادق عليه السلام: «كان أبي خير محمدي يومئذٍ على وجه الأرض..»[١].

ومعنى ذلك أنَّ الإمام الباقر عليه السلام كان أفضل مسلم - في عصره - في علمه وتقواه، وتحرجه في الدِّين.

وقد أجمع رجال الفكر والعلم من المعاصرين للإمام وغيرهم على تعظيم الإمام الباقر عليه السلام والاعتراف له بالفضل والتفوّق وأنه أسمى شخصية علمية عرفها العالم العربي والإسلامي، وكشف كلماتهم عن بعض الجوانب من حياته المشرقة، والتي كان منها:

أولاً: تقدَّم الإمام في الفضل والعلم على جميع علماء عصره، وإنَّه لم يكن هناك أحد يدانيه في مواهبه وملكاته العلمية، وأنَّه يفوق في فضله وعلمه إخوانه، وأبناء عمومته وسائر أبناء الأسرة النبوية التي هي مصدر النُّور والوعي في الأرض.

ثانياً: تصاغر علماء عصره أمامه اعترافاً منهم بسمو مقامه العلمي والرُّوحي وأنَّه المرجع الأعلى للعالم الإسلامي.

ثالثاً: سعة علوم الإمام ومعارفه لا في الفقه الإسلام فحسب، وإنَّما كان ملماً بجميع العلوم من علم الكلام والفلسفة، والتفسير والتأريخ والحكم والآداب وغير ذلك ممَّا أصبح به المنار المشرق للعلوم الإسلامية.

رابعاً: إنَّه أظهر مخبآت بعض العلوم، وكشف النقاب عن كنوز المعارف التي كانت خافية على الناس.

خامساً: إنَّه كان الرائد الأول للحركة العلمية في عصره، فمن نمير علمه اقتبس العلماء، ومن إفاضاته استمد البحَّاث والمؤلِّفون والكتَّاب.

سادساً: تحرج الإمام في الدِّين كأشد ما يكون التحرج، وشدَّة ورعه وخوفه من الله ممَّا جعله من أئمة المتقين والمنيبين.

---

(١) البداية والنهاية: ٩/ ٣٠٩.

مظاهر شخصيته

لقد كان الإمام العظيم بمواهبه وعبقرياته صورة متميِّزة من بين صور العظماء والمصلحين، فقد تميَّز بفضائله النفسية ومآثره الخالدة، وتميَّز بحسبه الوضَّاح، وتميَّز بكل ما يسمو به هذا الإنسان، ومن بين ما تميَّز به.

إمامته:

وحباه الله بالإمامة، وخصَّه بالنيابة العامة عن جده الرسول صلى الله عليه وآله.

العصمة:

ومن أسمى مظاهر ذاتيات الإمام أبي جعفر عليه السلام العصمة من الذُّنوب والآثام، وطهارته من الزيغ والرجس.

حلمه:

قد روى المؤرخون صوراً كثيرة من عظيم حلمه، كان منها:

أنَّ رجلاً كتابياً هاجم الإمام، واعتدى عليه، وخاطبه بمر القول: «أنت بقر».

فلطف به الإمام، وقابله ببسمات فيَّاضة بالبشر قائلاً:

«..أنا باقر..».

وراح الكتابي يهاجم الإمام قائلاً:

«أنت ابن الطباخة؟».

فتبسم الإمام، ولم يثره هذا الاعتداء وقال له:

«ذاك حرفتها..».

ولم ينته الكتابي عن غيّه، وإنَّما راح يهاجم الإمام قائلاً:

«أنت ابن السوداء الزنجية البذية؟».

ولم يغضب الإمام، وإنَّما قابله باللطف قائلاً:

«إن كنت صدقت غفر الله لها، وإن كنت كذبت غفر الله لك..».

وبهت الكتابي، وبهر من معالي أخلاق الإمام التي تضارع أخلاق الأنبياء، فأعلن إسلامه[١] ورجع إلى حظيرة الحق.

الصبر:

صبر الإمام الباقر عليه السلام كآبائه على تحمُّل المحن والخطوب.

ومن بين المحن الشاقة التي صبر عليها التنكيل الهائل بشيعة أهل البيت عليهم السلام وقتلهم تحت كل حجر ومدر بأيدي الجلادين من عملاء السلطة الأموية.

وروى المؤرخون عن عظيم صبره أنَّه كان جالساً مع أصحابه إذ سمع صيحة عالية في داره، فأسرع إليه بعض مواليه فأسره فقال عليه السلام: «الحمد لله على ما أعطى، وله ما أخذ أنههم عن البكاء، وخذوا في جهازه، واطلبوا السكينة، وقولوا لها: لا ضير عليك أنت حرة لوجه الله لما تداخلك من الروع..».

ورجع إلى حديثه، فتهيب القوم سؤاله، ثم أقبل غلامه فقال له: قد جهزناه، فأمر أصحابه بالقيام معه للصلاة على ولده ودفنه، وأخبر أصحابه بشأنه فقال لهم: إنَّه قد سقط من جارية كانت تحمله فمات[٢].

تكريمه للفقراء:

يقول المؤرخون: إنَّه عهد لأهله إذا قصدهم سائل أن لا يقولوا له: يا سائل خذ هذا، وإنَّما يقولون له: يا عبد الله بورك فيك[٣] وقال: سموهم بأحسن أسمائهم[٤].

عتقه للعبيد:

فقد أعتق أهل بيت بلغوا أحد عشر مملوكاً[٥] وكان عنده ستون مملوكاً فأعتق ثلثهم عند موته[٦].

(١) أعيان الشيعة: ٤/ق١/ ٥٠٤.
(٢) عيون أخبار وفنون الآثار: ص٢١٨.
(٣) عيون الأخبار: ٣/ ٢٠٨.
(٤) البيان والتبيين: ص١٥٨.
(٥) شرح شافية أبي فراس: ٢/ ١٧٦.
(٦) شرح شافية أبي فراس: ٢/ ١٧٦.

صدقاته على فقراء المدينة:

وكان يتصدَّق عليهم في كل يوم جمعة بدينار ويقول: «الصدقة يوم الجمعة تضاعف الفضل على غيره من الأيام»[1].

كرمه وسخاؤه:

ويقول المؤرخون: إنَّه كان أقل أهل بيته مالاً وأعظمهم مؤنة[2].

حدث كل من عبد الله بن عبيد وعمرو بن دينار قالا: ما لقينا أبا جعفر محمد بن عليّ إلاَّ وحمل إلينا النفقة والكسوة، ويقول: هذه معدة لكم قبل أن تلقوني[3].

روى سليمان بن قرم قال: كان أبو جعفر يجيزنا الخمسمائة درهم إلى الستمائة درهم إلى الألف، وكان لا يمل من صلة الإخوان وقاصديه وراجيه[4].

قال الحسن بن كثير: شكوت إلى أبي جعفر محمد بن علي الحاجة وجفاء الإخوان فتأثر عليه السلام وقال: بئس الأخ يرعاك غنياً، ويقطعك فقيراً، ثم أمر غلامه فأخرج كيساً فيه سبعمائة درهم، وقال: استنفق هذه فإذا نفذت فاعلمني..[5].

عبادته:

أ ـ خشوعه في صلاته:

وروى المؤرخون أنَّه إذا أقبل على الصلاة اصفر لونه[6].

ب ـ كثرة صلاته:

وكان كثير الصلاة فكان ـ فيما يقول الرواة ـ يصلي في اليوم والليلة مائة وخمسين ركعة[7].

---

١) أعيان الشيعة: ٤/ق١/ ٤٧١.
٢) أعيان الشيعة: ٤/ق١/ ١٧٦.
٣) الإرشاد: ص٢٩٩.
٤) الإرشاد: ص٢٩٩.
٥) صفة الصفوة: ٢/ ٦٣.
٦) تأريخ ابن عساكر: ٥١/ ٤٤.
٧) تذكرة الحفاظ: ١/ ١٢٥.

ج ـ دعاؤه في سجوده:

١ ـ ما رواه إسحاق بن عمار عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: كنت أمهد لأبي فراشه فانتظره حتى يأتي، فإذا آوى إلى فراشه ونام قمت إلى فراشي، وقد أبطأ عليَّ ذات ليلة فأتيت المسجد في طلبه وذلك بعدما هدأ الناس، فإذا هو في المسجد ساجد، وليس في المسجد غيره فسمعت حنينه وهو يقول:

«سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ، أَنْتَ رَبِّي حَقّاً حَقّاً، سَجَدْتُ لَكَ يَا رَبِّ تَعَبُّداً وَرِقّاً، اللَّهُمَّ إِنَّ عَمَلِي ضَعِيفٌ فَضَاعِفْهُ لِي.. اللَّهُمَّ قِنِي عَذَابَكَ يَوْمَ تَبْعَثُ عِبَادَكَ، وَتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ..»[1].

٢ ـ ما رواه أبو عبيدة الحذاء قال: سمعت أبا جعفر يقول: وهو ساجد:

«أَسْأَلُكَ بِحَقِّ حَبِيبِكَ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله إِلَّا بَدَّلْتَ سَيِّئَاتِي حَسَنَاتٍ، وَحَاسَبْتَنِي حِسَاباً يَسِيراً».

ثم قال في السجدة الثانية:

«أَسْأَلُكَ بِحَقِّ حَبِيبِكَ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله إِلَّا كَفَيْتَنِي مَؤونَةَ الدُّنْيَا، وَكُلَّ هَوْلٍ دُونَ الْجَنَّةِ».

ثم قال في الثالثة:

«أَسْأَلُكَ بِحَقِّ حَبِيبِكَ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله لَمَّا غَفَرْتَ لِيَ الْكَثِيرَ مِنْ ذُنُوبِي وَالْقَلِيلَ وَقَبِلْتَ مِنِّي عَمَلِيَ الْيَسِيرَ».

ثم قال في الرابعة:

«أَسْأَلُكَ بِحَقِّ حَبِيبِكَ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله لَمَّا أَدْخَلْتَنِي الْجَنَّةَ، وَجَعَلْتَنِي مِنْ سُكَّانِهَا، وَلَمَّا نَجَّيْتَنِي مِنْ سَفَعَاتِ النَّارِ بِرَحْمَتِكَ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ..»[2].

دعاؤه في قنوته:

وأثرت عنه بعض الأدعية التي كان يدعو بها في قنوته وهي:

١ ـ «اللَّهُمَّ إِنَّ عَدُوِّي قَدِ اسْتَسَنَّ فِي غُلَوَائِهِ، وَاسْتَمَرَّ فِي عُدْوَانِهِ، وَأَمِنَ بِمَا شَمِلَهُ مِنَ الْحِلْمِ عَاقِبَةَ جُرْأَتِهِ عَلَيْكَ، وَتَمَرَّدَ فِي مُبَايَنَتِكَ، وَلَكَ اللَّهُمَّ لَحَظَاتُ سَخَطٍ بَيَاتاً وَهُمْ نَائِمُونَ، وَنَهَاراً وَهُمْ غَافِلُونَ، وَجَهْرَةً وَهُمْ يَلْعَبُونَ، وَبَغْتَةً وَهُمْ سَاهُونَ، وَإِنَّ الْخِنَاقَ قَدِ

---

(١) فروع الكافي: ٣/ ٣٢٣.

(٢) فروع الكافي: ٣/ ٣٢٢.

اشْتَدَّ، وَالْوَثَاقَ قَدِ احْتَدَّ، وَالْقُلُوبَ قَدْ شُجِيَتْ، وَالْعُقُولَ قَدْ تَنَكَّرَتْ، وَالصَّبْرَ قَدْ أَوْدَى، وَكَادَ تَنْقَطِعُ حَبَائِلُهُ، فَإِنَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ مِنَ الظَّالِمِ، وَمُشَاهَدَةٍ مِنَ الْكَاظِمِ، لَا يَعْجَلُكَ فَوْتُ دَرْكٍ، وَلَا يُعْجِزُكَ احْتِجَازُ مُحْتَجِزٍ، وَإِنَّمَا مَهَّلْتَهُ اسْتِثْبَاتاً، وَحُجَّتُكَ عَلَى الْأَحْوَالِ الْبَالِغَةِ الدَّامِغَةِ، وَلِعَبْدِكَ ضَعْفُ الْبَشَرِيَّةِ وَعَجْزُ الْإِنْسَانِيَّةِ، وَلَكَ سُلْطَانُ الْإِلَهِيَّةِ وَمَلَكَةُ الرُّبُوبِيَّةِ، وَبَطْشَةُ الْأَنَاةِ، وَعُقُوبَةُ التَّأْبِيدِ.

اللَّهُمَّ فَإِنْ كَانَ فِي الْمُصَابَرَةِ لِحَرَارَةِ الْمُعَانِ مِنَ الظَّالِمِينَ، وَكَيْدِ مَنْ نُشَاهِدُ مِنَالْمُبَدِّلِينَ رِضًى لَكَ، وَمَثُوبَةً مِنْكَ فَهَبْ لَنَا مَزِيداً مِنَ التَّأْيِيدِ، وَعَوْناً مِنَ التَّسْدِيدِ إِلَى حِينِ نُفُوذِ مَشِيَّتِكَ فِيمَنْ أَسْعَدْتَهُ وَأَشْقَيْتَهُ مِنْ بَرِيَّتِكَ، وَامْنُنْ عَلَيْنَا بِالتَّسْلِيمِ لِمَحْتُومَاتِ أَقْضِيَتِكَ، وَالتَّجَرُّعِ لِوَارِدَاتِ أَقْدَارِكَ، وَهَبْ لَنَا مَحَبَّةً لِمَا أَحْبَبْتَ فِي مُتَقَدِّمٍ وَمُتَأَخِّرٍ، وَمُتَعَجِّلٍ وَمُتَأَجِّلٍ، وَالْإِيثَارُ لِمَا اخْتَرْتَ فِي مُسْتَقْرَبٍ وَمُسْتَبْعَدٍ، وَلَا تُخْلِنَا مَعَ ذَلِكَ مِنْ عَوَاطِفِ رَأْفَتِكَ وَرَحْمَتِكَ... وَحُسْنِ كِلَاءَتِكَ...»[1]

٢ ـ كان عليه السلام يدعو بهذا الدُّعاء في قنوته: «بِمَنِّكَ وَكَرَمِكَ يَا مَنْ يَعْلَمُ هَوَاجِسَ السَّرَائِرِ وَمَكَامِنَ الضَّمَائِرِ، وَحَقَائِقَ الْخَوَاطِرِ، يَا مَنْ هُوَ لِكُلِّ غَيْبٍ حَاضِرٌ، وَلِكُلِّ مَنْسِيٍّ ذَاكِرٌ، وَعَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَادِرٌ، وَإِلَى الْكُلِّ نَاظِرٌ بَعُدَ الْمَهَلُ وَقَرُبَ الْأَجَلُ، وَضَعُفَ الْعَمَلُ، وَأَرَابَ الْأَمَلُ.

وَأَنْتَ يَا اللَّهُ الْآخِرُ كَمَا أَنْتَ الْأَوَّلُ مُبْدِئُ مَا أَنْشَأْتَ، وَمُصَيِّرُهُمْ إِلَى الْبِلَى، وَمُقَلِّدُهُمْ أَعْمَالَهُمْ، وَمُحَمِّلُهَا ظُهُورَهُمْ إِلَى وَقْتِ نُشُورِهِمْ مِنْ بَعْثَةِ قُبُورِهِمْ عِنْدَ نَفْخَةِ الصُّورِ، وَانْشِقَاقِ السَّمَاءِ بِالنُّورِ، وَالْخُرُوجِ بِالْمَنْشَرِ إِلَى سَاحَةِ الْمَحْشَرِ، لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ، مُتَرَاطِمِينَ فِي غُمَّةٍ مِمَّا أَسْلَفُوا، وَمُطَالِبِينَ بِمَا احْتَقَبُوا، وَمُحَاسَبِينَ هُنَاكَ عَلَى مَا ارْتَكَبُوا، الصَّحَائِفُ فِي الْأَعْنَاقِ مَنْشُورَةٌ، وَالْأَوْزَارُ عَلَى الظُّهُورِ مَأْزُورَةٌ، لَا انْفِكَاكَ وَلَا مَنَاصَ وَلَا مَحِيصَ عَنِ الْقِصَاصِ قَدْ أَفْحَمَتْهُمُ الْحُجَّةُ وَحَلُّوا فِي حَيْرَةِ الْمَحَجَّةِ هَمَسُوا الضَّجَّةَ، مَعْدُولٌ بِهِمْ عَنِ الْمَحَجَّةِ إِلَّا مَنْ سَبَقَتْ لَهُ مِنَ اللَّهِ الْحُسْنَى فَنُجِّيَ مِنْ هَوْلِ الْمَشْهَدِ وَعَظِيمِ الْمَوْرِدِ، وَلَمْ يَكُنْ مِمَّنْ فِي الدُّنْيَا تَمَرَّدَ وَلَا عَلَى أَوْلِيَاءِ اللَّهِ تَعَنَّدَ، وَلَهُمْ اسْتَعْبَدَ، وَعَنْهُمْ بِحُقُوقِهِمْ تَفَرَّدَ.

اللَّهُمَّ فَإِنَّ الْقُلُوبَ قَدْ بَلَغَتِ الْحَنَاجِرَ، وَالنُّفُوسَ قَدْ عَلَتِ التَّرَاقِيَ وَالْأَعْمَارَ قَدْ نَفِدَتْ

---

(١) مهج الدعوات: ص٥١.

بِالِانْتِظَارِ لَا عَنْ نَقْصِ اسْتِبْصَارٍ، وَلَا عَنِ اتِّهَامِ مِقْدَارٍ، وَلَكِنْ لِمَا تَعَانَى مِنْ رُكُوبِ مَعَاصِيكَ، وَالْخِلَافِ عَلَيْكَ فِي أَوَامِرِكَ وَنَوَاهِيكَ، وَالتَّلَعُّبِ بِأَوْلِيَائِكَ، وَمُظَاهَرَةِ أَعْدَائِكَ.

اللَّهُمَّ فَقَرِّبْ مَا قَدْ قَرُبَ، وَأَوْرِدْ مَا قَدْ دَنَا، وَحَقِّقْ ظُنُونَ الْمُوقِنِينَ وَبَلِّغِ الْمُؤْمِنِينَ تَأْمِيلَهُمْ مِنْ إِقَامَةِ حَقِّكَ وَنَصْرِ دِينِكَ وَإِظْهَارِ حُجَّتِكَ..»[1].

حجُّه:

قد روى مولاه أفلح قال: حججت مع أبي جعفر محمد الباقر فلما دخل إلى المسجد رفع صوته بالبكاء فقلت له: «بأبي أنت وأُمِّي إنَّ الناس ينتظرونك فلو خفضت صوتك قليلاً».

فلم يعن به الإمام وراح يقول له: «ويحك يا أفلح إنِّي أرفع صوتي بالبكاء لعلَّ الله ينظر إليَّ برحمة فأفوز بها غداً..».

ثم إنَّه طاف بالبيت، وجاء حتى ركع خلف المقام، فلما فرغ وإذا بموضع سجوده قد ابتل من دموع عينيه[2].

وحجَّ عليه السلام مرة وقد احتف به الحجاج، وازدحموا عليه وهم يستفتونه عن مناسكهم ويسألونه عن أمور دينهم، والإمام يجيبهم، وبهر الناس من سعة علومه، وأخذ بعضهم يسأل بعضاً عنه فانبرى إليهم شخص من أصحابه فعرفه لهم قائلاً:

«ألا إنَّ هذا باقر علم الرُّسل، وهذا مبين السبل، وهذا خير من رسخ في أصلاب أصحاب السفينة، هذا ابن فاطمة الغراء العذراء الزهراء، هذا بقية الله في أرضه، هذا ناموس الدهر، هذا ابن محمد وخديجة وعلي وفاطمة، هذا منار الدِّين القائمة..»[3].

مناجاته مع الله:

ممَّا قاله في مناجاته:

«أمرتني فلم أئتمر، وزجرتني فلم انزجر، ها أنذا عبدك بين يديك.»[4].

---

(١) مهج الدعوات: ص٥٢.
(٢) صفة الصفوة: ٢/٦٣.
(٣) مناقب ابن شهرآشوب: ٤/١٨٣.
(٤) حلية الأولياء: ٣/١٨٢.

زهده في الدُّنيا:

كان يفرش في مجلسه حصيراً[١].

ويقول جابر بن يزيد الجعفي: قال لي محمد بن علي:

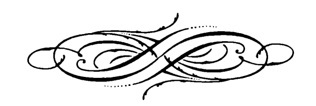
«يا جابر إنِّي لمحزون، وإنِّي لمشتغل القلب..».

فانبرى إليه جابر قائلاً:

«ما حزنك، وما شغل قلبك؟».

فأجابه عليه السلام بما أحزنه وزهده في هذه الحياة قائلاً:

«يا جابر إنَّه من دخل قلبه صافي دين الله عزَّ وجلَّ شغله عمَّا سواه، يا جابر ما الدُّنيا؟ وما عسى أن تكون، هل هي إلاَّ مركب ركبته أو ثوب لبسته أو امرأة أصبتها..»[٢].



(١) دعائم الإسلام: ٢/١٥٨.
(٢) البداية والنهاية: ٩/٣١٠.

مواهبه وعبقرياته

الذي يدلل على مدى سعة علومه أنَّه مع كثرة ما انتهل العلماء من نمير علومه فإنَّه كان يجد في نفسه ضيقاً وحرجاً لكثرة ما عنده من العلوم التي لم يجد لبثها ونشرها سبيلاً فكان ـ فيما يقول الرواة ـ يصعد آهاته، ويقول بحسرات:

«لو وجدت لعلمي الذي آتاني الله عزَّ وجلَّ، لنشرت التوحيد والإسلام والدِّين والشرائع... وكيف لي بذلك، ولم يجد جدي أمير المؤمنين عليه السلام حملة لعلمه حتى كان يتنفس الصعداء، ويقول على المنبر: سلوني قبل أن تفقدوني فإنَّ بين الجوانح علماً جماً..»[١].

الدور المشرق للإمام:

وقد خف إليه زمرة من أعيان الأُمَّة لتلقِّي العلوم منه، وكان ممَّن وفد عليه العالم الكبير جابر بن يزيد الجعفي فقد قال له الإمام أول التقائه به:

ـ من أين أنت؟

ـ من أهل الكوفة.

ـ ممَّن؟

ـ من جعف.

ـ ما أقدمك هنا؟

ـ طلب العلم.

ـ ممَّن؟

ـ منك[٢].

---

(١) سفينة البحار: ٢/ .

(٢) المناقب: ٣/ ٣٣١.

يقول الشيخ أبو زهرة: «وما قصد أحد من العلماء مدينة النبي صلى الله عليه وآله إلاَّ عرج عليه ليأخذ عنه معالم الدِّين»[١].

العلوم التي بحثها:

الحديث:

وأولى الإمام أبو جعفر عليه السلام المزيد من اهتمامه في الحديث الوارد عن جده رسول الله صلى الله عليه وآله وعن آبائه الأئمة الطيبين عليهم السلام.

قد روى يزيد الرزاز عن أبيه عن أبي عبد الله عن أبيه أنَّه قال له:

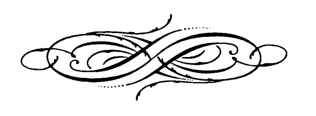
«اعرف منازل الشيعة على قد رواياتهم، ومعرفتهم، فإنَّ المعرفة هي الدراية للرواية، وبالدراية للرواية يعلو المؤمن إلى أقصى درجات الإيمان.. إنِّي نظرت في كتاب لعلي فوجدت في الكتاب أنَّ قيمة كل امرىء وقدره معرفته أنَّ الله تعالى يحاسب الناس على قدر ما أتاهم من العقول في دار الدُّنيا..»[٢].

روايات الأئمة:

وقد ألمح إلى ذلك الإمام أبو جعفر عليه السلام في حديثين له مع جابر بن يزيد الجعفي.

١ ـ قال عليه السلام لجابر: «إنَّا لو كنَّا نحدِّثكم برأينا لكنَّا من الهالكين، ولكنَّا نحدِّثكم بأحاديث نكنزها عن رسول الله صلى الله عليه وآله كما يكنز هؤلاء ذهبهم وفضتهم..»[٣].

٢ ـ قال عليه السلام لجابر: «والله يا جابر لو كنَّا نحدِّث الناس أو حدَّثناهم برأينا لكنَّا من الهالكين، ولكنَّا نحدِّثهم بآثار عندنا من رسول الله صلى الله عليه وآله يتوراثها كابر عن كابر نكنزها كما يكنز هؤلاء ذهبهم وفضتهم..»[٤].



(١) الإمام زيد: ص٢٢.
(٢) ناسخ التواريخ: ٢/٢١٩.
(٣) ناسخ التواريخ: ٢/٢١٧.
(٤) ناسخ التواريخ: ٢/٢١٧.

الإمام الباقر عليه السلام والقرآن

تفسير القرآن الكريم:

من العلوم التي خاضها الإمام أبو جعفر عليه السلام في محاضراته تفسير القرآن الكريم، فقد خصَّص له وقتاً من أوقاته، تناول فيه جميع شؤونه.

ذم المحرفين للقرآن:

فقد كتب عليه السلام في رسالته إلى سعد الخير: «وكان من نبذهم الكتاب أن أقاموا حروفه، وحرَّفوا حدوده، فهم يرونه ولا يرعونه، والجهال يعجبهم حفظهم للرواية، والعلماء يحزنهم تركهم للرعاية»[١].

البسملة جزء من سور القرآن:

وقد كتب يحيى بن أبي عمران الهمداني رسالة إلى الإمام أبي جعفر عليه السلام جاء فيها: «جعلت فداك ما تقول في رجل ابتدأ ببسم الله الرحمن الرحيم في صلاته وحده في أُمّ الكتاب، فلما صار إلى غير أُمّ الكتاب من السورة تركها؟ فقال العباسي: ليس بذلك بأس» فأجابه عليه السلام برسالة جاء فيها: «يعيدها مرتين على رغم أنفه ـ يعني العباسي ـ»[٢].

التفسير بالمأثور:

وقد أشار إلى ذلك الإمام أبو جعفر عليه السلام بقوله: «ما يستطيع أحد أن يدَّعي أنَّ عنده جميع القرآن كله ظاهره وباطنه غير الأوصياء»[٣].

---

(١) الوافي: ص٢٧٤ آخر كتاب الصلاة.
(٢) فروع الكافي: ٣/ ٣١٢.
(٣) الوافي: ٢/ ١٣٠.

التفسير بالرأي:

قد نهى عن ذلك الإمام أبو جعفر عليه السلام فقد دخل عليه قتادة الفقيه المشهور فقال له الإمام:

«أنت فقيه أهل البصرة؟».

- «نعم هكذا يزعمون..».

- «بلغني أنَّك تفسِّر القرآن..».

- «نعم..».

فأنكر عليه الإمام ذلك قائلاً:

«يا قتادة إن كنت قد فسَّرت القرآن من تلقاء نفسك فقد هلكت وأهلكت، وإن كنت قد فسَّرته من الرجال فقد هلكت وأهلكت، يا قتادة ويحك إنَّما يعرف القرآن من خوطب به..»[(١)].

تفسير الإمام الباقر:

نماذج من تفسيره:

١ ـ قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ﴾[(٢)] قال عليه السلام: «الغرفة: هي الجنَّة وهي جزاء لهم بما صبروا على الفقر في الدُّنيا»[(٣)].

٢ ـ قوله تعالى: ﴿وَمَن يَحۡلِلۡ عَلَيۡهِ غَضَبِي فَقَدۡ هَوَىٰ﴾[(٤)] سئل أبو جعفر عليه السلام عن غضب الله؟ فقال عليه السلام: «طرده وعقابه»[(٥)].

٣ ـ قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ﴾[(٦)] فسر عليه السلام الهداية بالولاية لأئمة أهل البيت وقال: «فوالله لو أنَّ رجلاً عبد الله عمره ما بين الركن والمقام، ولم يجيء بولايتنا إلاَّ أكبَّه الله في النار على وجهه»[(٧)].

---

(١) البيان في تفسير القرآن: ص٢٦٧.

(٢) سورة الفرقان: آية ٧٥.

(٣) البداية والنهاية: ٩/ ٣٠١.

(٤) سورة طه: آية ٨١.

(٥) الفصول المهمة: ص٢٢٧.

(٦) سورة طه: آية ٨٣.

(٧) مجمع البيان: ٧/ ٢٣ طبع بيروت.

٤ ـ قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾[(١)] قال عليه السلام: «يعني بذلك تبليغ ما أنزل إلى الرسول صلى الله عليه وآله في فضل علي[(٢)] وقد روى عليه السلام أنَّ الله أوحى إلى نبيه أن يستخلف علياً فكان يخاف أن يشق ذلك على جماعة من أصحابه فأنزل الله تعالى هذه الآية تشجيعاً له على القيام بما أمره الله بأدائه»[(٣)].

٥ ـ قوله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا﴾[(٤)] قال عليه السلام: «تنزل الملائكة والكتبة إلى سماء الدُّنيا فيكتبون ما يكون في السنة من أمور ما يصيب العباد، والأمر عنده موقوف له فيه على المشيئة فيقدم ما يشاء، ويؤخر ما يشاء ويثبت وعنده أُمّ الكتاب»[(٥)].

٦ ـ قوله تعالى: ﴿فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ﴾[(٦)] قال الإمام أبو جعفر عليه السلام: «إنَّها نزلت في قوم وصفوا عدلاً بألسنتهم ثم خالفوه إلى غيره»[(٧)].

٧ ـ قوله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[(٨)]. روى محمد بن مسلم قال: قلت للإمام أبي جعفر إنَّ من عندنا يزعمون أنَّ المعنيين بالآية هم اليهود والنصارى؟ قال: إذاً يدعونكم إلى دينهم، ثم أشار عليه السلام إلى صدره فقال: نحن أهل الذكر ونحن المسؤولون[(٩)].

٨ ـ قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[(١٠)].. قال عليه السلام: «نحن الذين يعلمون وعدونا الذين لا يعلمون، وشيعتنا أولو الألباب»[(١١)].

٩ ـ قوله تعالى: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾[(١٢)] سأل

---

(١) سورة المائدة: آية ٦٧.
(٢) خصائص الوحي المبين: ص٣٠.
(٣) مجمع البيان: ٤/ ٢٢٣.
(٤) سورة القدر: آية ٤.
(٥) دعائم الإسلام: ١/ ٣٣٤.
(٦) سورة الشعراء: آية ٩٤.
(٧) أُصول الكافي: ١/ ٤٧.
(٨) سورة الأنبياء: آية ٧.
(٩) أُصول الكافي: ١/ ٢١١.
(١٠) سورة الزمر: آية ٩.
(١١) أُصول الكافي: ١/ ٢١٢.
(١٢) سورة الرعد: آية ٤٣.

بريد بن معاوية الإمام أبا جعفر عليه السلام عن المعنيين بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾؟ فقال عليه السلام: «إيّانا عنى، وعليّ أولنا، وأفضلنا وخيرنا بعد النبي صلى الله عليه وآله»[1].

١٠ ـ قوله تعالى: ﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾[2] سأل بريد العجلي الإمام أبا جعفر عليه السلام عن هذه الآية؟ فقال عليه السلام: «جعل في آل إبراهيم الرسل والأنبياء والأئمة فكيف يقرونه في آل إبراهيم، وينكرونه في آل محمَّد صلى الله عليه وآله؟ قال بريد: وما المراد ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ قال: «الملك العظيم أن جعل فيهم أئمة من أطاعهم أطاع الله ومن عصاهم عصى الله فهو الملك العظيم»[3].

١١ ـ قوله تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾[4] سئل عليه السلام عن الرُّوح فقال: «هي القدرة»[5].

علم الكلام

التوحيد:

١ ـ عجز العقول عن إدراك حقيقة الله:

وقد أدلى بذلك الإمام أبو جعفر عليه السلام حيث سئل عن قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾[6] فقال عليه السلام: «أوهام القلوب أدق من أبصار العيون، أنت قد تدرك بوهمك السند والهند والبلدان التي لم تدخلها، ولا تدركها ببصرك، وأوهام القلوب لا تدركه فكيف أبصار العيون؟..»[7].

قد سأل عبد الرحمن بن أبي النجران الإمام أبا جعفر عن الله تعالى فقال: إنّي أتوهم شيئاً، فقال عليه السلام له: «نعم غير معقول ولا محدود، فما وقع وهمك عليه من شيء فهو خلافه، ولا يشبهه شيء، ولا تدركه الأوهام، وهو خلاف ما يعقل، وخلاف ما يتصور، إنّما يتوهم شيء، غير معقول ولا محدود..»[8].

---

(١) أُصول الكافي: ١/٢٢٩.
(٢) سورة النساء: آية ٥٤.
(٣) أُصول الكافي: ١/٢٠٦.
(٤) سورة الحجر: آية ٢٩.
(٥) تفسير البرهان: ص٥٥٨.
(٦) سورة الأنعام: آية ١٠٣.
(٧) نسب هذا الحديث إلى الإمام الجواد.
(٨) أُصول الكافي: ١/٨٢.

٢ ـ أزلية واجب الوجود:

أما أزلية واجب الوجود فهي من أدق البحوث الكلامية، والفلسفية، وقد عرضت على أبي جعفر عليه السلام فقد سأله رجل فقال له: أخبرني عن ربّك متى كان؟

فأجابه الإمام: «ويلك إنَّما يُقال لشيء لم يكن، متى كان؟!! إنَّ ربِّي تبارك وتعالى كان ولم يزل حياً بلا كيف، ولم يكن له كان، ولا كان لكونه كون كيف، ولا كان له أين، ولا كان في شيء، ولا كان على شيء، ولا ابتدع لمكانه مكاناً، ولا قوي بعدما كوَّن الأشياء، ولا كان ضعيفاً قبل أن يكون شيئاً، ولا كان مستوحشاً قبل أن يبتدع شيئاً، ولا يشبه شيئاً مذكوراً، ولا كان خلواً من الملك قبل إنشائه، ولا يكون منه خلواً بعد ذهابه، لم يزل حياً بلا حياة، وملكاً قادراً قبل أن ينشيء شيئاً، وملكاً جبَّاراً بعد إنشائه للكون، فليس لكونه كيف ولا له أين، ولا له حد، ولا يعرف بشيء يشبهه، ولا يهرم لطول البقاء، ولا يصعق[1] لشيء، بل لخوفه تصعق الأشياء كلها، كان حياً بلا حياة حادثة، ولا كون موصوف ولا كيف محدود، ولا أين موقوف عليه، ولا مكان، جاور شيئاً، بل حي يعرف، وملك لم يزل له القدرة والملك، إنشاء ما شاء حين شاء بمشيئته، لا يحد ولا يبعض، ولا يفنى، كان أولاً بلا كيف، ويكون آخراً بلا أين، وكل شيء هالك إلاَّ وجهه، له الخلق والأمر تبارك الله ربّ العالمين. ويلك أيُّها السائل!! إنَّ ربِّي لا تغشاه الأوهام، ولا تنزل به الشُّبهات، ولا يُحار، ولا يجاوزه شيء، ولا تنزل به الأحدث، ولا يسأل عن شيء، ولا يندم على شيء، ولا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما، وما تحت الثرى..»[2].

٣ ـ النهي عن الكلام في ذات الله:

يقول عليه السلام: «تكلَّموا في كل شيء، ولا تتكلَّموا في ذات الله..»[3].

وقال عليه السلام: «تكلَّموا في خلق الله، ولا تتكلَّموا في الله فإنَّه لا يزداد صاحبه إلاَّ تحيُّراً..»[4].

---

(١) يصعق: أي يهلك، ويضعف.
(٢) أُصول الكافي: ١/ ٨٨ ـ ٨٩.
(٣) أُصول الكافي: ١/ ٩٢.
(٤) أُصول الكافي: ١/ ٩٢.

٤ ـ علم الله:

روى محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام أنَّه قال: «كان الله عزَّ وجلَّ ولا شيء غيره، ولم يزل عالماً بما يكون، فعلمه به قبل كونه كعلمه به بعد كونه»[١].

٥ ـ واقع التوحيد:

وطلب جابر بن يزيد الجعفي من الإمام أبي جعفر عليه السلام أن يعلِّمه شيئاً من التوحيد فقال عليه السلام: «إنَّ الله تباركت أسماؤه التي يدعا بها، وتعالى في علو كنهه.. واحد توحد بالتوحيد في توحده، ثم أجراه على خلقه، فهو واحد صمد، قدوس يعبده كل شيء ويصمد إليه كل شيء، ووسع كل شيء علماً..»[٢].

٦ ـ صفات الله:

عرض ذلك محمد بن مسلم على الإمام أبي جعفر فقال عليه السلام: «كذبوا وألحدوا، وشبهوا، تعالى الله عن ذلك إنَّه سميع بصير، يسمع بما يبصر، ويبصر بما يسمع..».

فقال محمد بن مسلم: يزعمون أنَّه بصير على ما يعقلونه، فردَّ عليه السلام مزاعمهم وقال: «تعالى الله، إنَّما يعقل ما كان بصفة المخلوق، وليس الله كذلك»[٣].

الشك والجحود:

يقول عليه السلام: «لا ينفع مع الشك والجحود عمل..»[٤].

وجوب معرفة الإمام:

روى جابر بن يزيد الجعفي قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «إنَّما يعرف الله عزَّ وجلَّ ويعبده من عرف إمامه منَّا أهل البيت، ومن لا يعرف الله عزَّ وجلَّ، ولا يعرف الإمام منَّا أهل البيت فإنَّما يعرف ويعبد غير الله..»[٥].

وجوب طاعة الإمام:

عن أبي جعفر عليه السلام أنَّه قال: «ذروة الأمر وسنامه، ومفتاحه، وباب الأشياء، ورضا

---

(١) أُصول الكافي: ١/١٠٧.
(٢) أُصول الكافي: ١/١٢٣.
(٣) أُصول الكافي: ١/١٠٨.
(٤) جامع السعادات: ١/١١٧.
(٥) أُصول الكافي: ١/١٨١.

الرَّحمٰن تبارك وتعالى، الطاعة للإمام بعد معرفته، إنَّ الله تبارك وتعالى يقول: ﴿مَن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا﴾[(١)][(٢)].

حق الإمام على الناس:

وقد تحدَّث الإمام أبو جعفر عليه السلام عن ذلك، فقد سأله أبو حمزة قائلاً:

ـ ما حق الإمام على الناس؟

ـ حقه عليهم أن يسمعوا ويطيعوا.

ـ ما حقهم عليه؟

يقسم بينهم بالسوية، ويعدل في الرعية[(٣)].

الإشادة بالأئمة:

قال عليه السلام: «نحن ولاة أمر الله، وخزان علم الله، وورثة وحي الله، وحملة كتاب الله، طاعتنا فريضة، وحبنا إيمان، وبغضنا كفر، محبنا في الجنَّة، ومبغضنا في النار..»[(٤)].

محن الأئمة:

يقول عليه السلام: «ولو أنَّهم ـ أي الأئمة ـ يا حمران حيث نزل بهم ما نزل من أمر الله عزَّ وجلَّ، وإظهار الطواغيت عليهم سألوا الله عزَّ وجلَّ أن يدفع ذلك عنهم وألحوا في إزالة تلك الطواغيت، وذهاب ملكهم إذن لأجابهم، ورفع ذلك عنهم، ثم كان انقضاء مدة الطواغيت وذهاب ملكهم أسرع من رفع سلك منظوم انقطع فتبدَّد، ما كان ذلك الذي أصابهم ـ يا حمران ـ لذنب اقترفوه، ولا لعقوبة معصية خالفوا الله فيها، ولكن لمنازل وكرامة من الله أن يبلغوها، فلا تذهب فيك المذاهب فيهم..»[(٥)].

---

(١) سورة النِّساء: آية ٨٠.
(٢) أُصول الكافي: ١/ ١٨٥.
(٣) أُصول الكافي: ١/ ٤٠٥.
(٤) مناقب آل أبي طالب: ٢/ ٣٣٦.
(٥) ناسخ التواريخ: ٢/ ٢٠٢.

الملاحم التي أخبر عنها:

أخبر عليه السلام عن حكومة مروان بن الحكم القصيرة الأمد فقال عليه السلام: «ليحملن راية ضلالة بعدما يشيب صدغاه، وله إمرة كلعقة الكلب أنفه»[١].

وتنبأ بدولة بني العباس، يقول أبو بصير: كنت مع محمد بن علي إذ دخل المنصور وداود بن سليمان قبل أن يفضي الملك لبني العباس فجاء داود إلى الإمام محمد الباقر فسلَّم عليه، فقال عليه السلام له:

«ما منع الدوانيقي أن يأتي؟..».

فاعتذر داود بن سليمان، وقال: إنَّ فيه جفاءاً، وأحاطه الإمام عليه السلام علماً بما يصير إليه المنصور قائلاً:

«لا تذهب الأيام حتى يلي هذا الرجل أمر الخلق، فيطأ أعناق الرجال، ويملك شرقها وغربها، ويطول عمره حتى يجمع من كنوز المال ما لا يجمع غيره..».

وبادر داود نحو المنصور، وهو يحمل إليه البشرى، بما قاله الإمام، وخف المنصور مسرعاً نحو الإمام ليتبين مقالته فيه، وأبدى للإمام معاذيره في عدم السلام عليه قائلاً: ما منعني من الجلوس إليك إلاَّ إجلالاً لك، ثم سأله عمَّا أخبر به داود، فقال عليه السلام:

«هو كائن..».

وراح المنصور يطلب المزيد من الإيضاح قائلاً:

«ملكنا قبل ملككم؟».

- «نعم».

- «ويملك أحد بعدي من ولدي؟».

- «نعم».

- «فمدة بني أمية أطول أم مدتنا؟».

«مدتكم أطول ليلعبن بهذا الملك صبيانكم كما يلعبون بالكرة، بهذا عهد إليَّ أبي..».

وانصرف المنصور وهو جذلان مسرور قد صار على يقين بأنَّ الملك سيؤول إليه، وظلت مقالة الإمام تراوده في جميع أوقاته فلما صارت إليه الخلافة تعجب من تنبؤ الإمام[٢].

---

(١) طبقات ابن سعد: ٥/ ٣٠.

(٢) جامع كرامات الأولياء: ١/ ٩٧.

وأخبر عليه السلام عن شهادة أخيه زيد الشهيد العظيم فقد روى زيد بن حازم قال: كنت مع أبي جعفر عليه السلام فمرَّ بنا زيد بن علي فقال لي أبو جعفر: أما رأيت هذا؟ ليخرجن بالكوفة، وليقتلن، وليطافن برأسه[1].

ومن الملاحم التي أنبأ عنها ما رواه الفضيل قال: سألت أبا جعفر فقلت له: بلغنا أنَّ لآل جعفر راية، ولآل العباس رايتين فهل انتهى إليك من علم ذلك شيء؟

فقال عليه السلام: أما آل جعفر فليس لهم شيء، ولا لأهل بيتي شيء، وأما آل العباس فإنَّ لهم ملكاً عظيماً، يقربون فيه البعيد، ويبعدون فيه القريب، وسلطانهم عسر ليس فيه يسر حتى إذا آمنوا مكر الله، وآمنوا عقابه صيح فيهم صيحة واحدة لا يبقى لهم منزل يجمعهم، ولا أذن تسمعهم، وهو قول الله عزَّ وجل: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا﴾[2][3].

علم الفقه

مسائل فقهية

حكم القتال في الإسلام:

تحدَّث الإمام أبو جعفر عليه السلام عن حكم القتال والحرب في الإسلام حينما سأله رجل من شيعته عن حروب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فقال له:

«بعث الله محمَّداً صلى الله عليه وآله بخمسة أسياف: ثلاثة منها شاهرة لا تغمد حتى تضع الحرب أوزارها، ولن تضع الحرب أوزارها حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت الشمس من مغربها أمن الناس كلهم في ذلك اليوم فيومئذٍ لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً، وسيف مكفوف، وسيف منها مغمود، سله إلى غيرنا، وحكمه إلينا.

فأما السيوف الثلاثة الشاهرة:

فسيف على مشركي العرب، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖ﴾[4] ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ

(١) نور الأبصار: ص١٣١.
(٢) سورة يونس: آية ٢٤.
(٣) إثبات الهداة: ٥/ ٣١٠.
(٤) سورة التوبة: آية ٥.

﴿فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾[(١)] هؤلاء لا يقبل منهم إلاَّ القتل أو الدخول في الإسلام، وأموالهم فيء وذراريهم سبي على ما سنَّ رسول الله ﷺ فإنَّه سبى وعفا، وقبل الفداء.

والسيف الثاني: على أهل الذمة قال الله سبحانه: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾[(٢)] نزلت هذه الآية في أهل الذمة، ونسخها قوله: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾[(٣)] فمن كان منهم في دار الإسلام فلن يقبل منهم إلاَّ الجزية أو القتل، وما لهم فيء، وذراريهم سبي، فإذا قبلوا الجزية على أنفسهم حرم علينا سبيهم وحرمت أموالهم، وحلت لنا مناكحهم ومن كان منهم في دار الحرب حل لنا سبيهم وأموالهم، ولم تحل لنا مناكحتهم، ولم يقبل منهم إلاَّ دخول دار الإسلام والجزية أو القتل.

والسيف الثالث: على مشركي العجم كالترك والديلم والخزر، قال الله عزَّ وجلَّ: في أول السورة التي يذكر فيها الذين كفروا فقص قصتهم، ثم قال: ﴿فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾[(٤)].

فأما قوله: ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ﴾ يعني بعد السبي منهم ﴿وَإِمَّا فِدَاءً﴾ يعني المفاداة بينهم، وبين أهل الإسلام، فهؤلاء لن يقبل منهم إلاَّ القتل أو الدخول في الإسلام، ولا يحل لنا نكاحهم ما داموا في الحرب.

وأما السيف المكفوف: فسيف على أهل البغي والتأويل قال الله: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾[(٥)] فلما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ إنَّ منكم من يقاتل بعدي على التأويل كما قاتلت على التنزيل، فسئل النبي ﷺ من هو؟ فقال: خاصف النعل ـ يعني أمير المؤمنين ـ وقال عمار بن ياسر: قاتلت بهذه الراية مع رسول الله ﷺ ثلاثاً[(٦)] وهذه الرابعة والله لو ضربونا حتى يبلغوا بنا السعفات من هجر[(٧)] لعلمنا أنَّا على الحق، وأنَّهم

---

(١) سورة التوبة: آية ١١.
(٢) سورة البقرة: آية ٨٣.
(٣) سورة التوبة: آية ٣٠.
(٤) سورة محمد: آية ٤.
(٥) سورة الحجرات: آية ٩.
(٦) الثلاث التي قاتل مع تلك الراية الصحابي العظيم عمار بن ياسر هي: يوم بدر ويوم أُحد ويوم حنين، وكان يتزعم تلك الحروب أبو سفيان عميد الأمويين.
(٧) هجر: ـ بالتحريك ـ بلدة باليمن، كما أنَّها اسم لجميع أرض البحرين.

على الباطل، وكانت السيرة فيهم من أمير المؤمنين عليه السلام مثل ما كان من رسول الله صلى الله عليه وآله في أهل مكة يوم فتحها فإنَّه لم يسب لهم ذرية، وقال: من أغلق بابه فهو آمن، ومن ألقى سلاحه فهو آمن، وكذلك قال أمير المؤمنين عليه السلام: يوم البصرة نادى فيهم لا تسبوا لهم ذرية، ولا تدففوا على جريح[1] ولا تتبعوا مدبراً، ومن أغلق بابه وألقى سلاحه فهو آمن.

والسيف المغمود: فالسيف الذي يُقام به القصاص قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ﴾[2] فسله إلى أولياء المقتول وحكمه إلينا.

فهذه السيوف التي بعث الله بها محمَّداً صلى الله عليه وآله فمن جحدها أو جحد واحداً منها أو شيئاً من سيرها فقد كفر بما أنزل الله تبارك وتعالى على محمد نبيه..»[3].

علم الأُصول

يقول السيِّد حسن الصدر: «إنَّ أول من فتح بابه ـ أي باب علم الأُصول ـ وفتق مسائله هو باقر العلوم الإمام أبو جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام وبعده ابنه أبو عبد الله الصادق عليه السلام».

مع العلم والعلماء:

١ ـ فضل العلم:

يقول عليه السلام: «تعلَّموا العلم فإنَّ تعلُّمه جنَّة، وطلبه عبادة، ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه صدقة، وبذله لأهله قربة، والعلم منار الجنَّة، وأنس الوحشة، وصاحب في الغربة، ورفيق في الخلوة، ودليل على السرَّاء، وعون على الضرَّاء، وزين عند الاخلاء، وسلاح على الأعداء، يرفع الله به قوماً ليجعلهم في الخير أئمة، يقتدى بفعالهم، وتقتص آثارهم، ويصلِّي عليهم كل رطبٍ ويابس، وحيتان البحر وهوامه، وسباع البر وأنعامه..»[4].

---

(١) لا تدففوا على جريح: أي لا تجهزوا عليه.

(٢) سورة المائدة: آية ٤٧.

(٣) تحف العقول: ص٢٨٨ ـ ٢٩٠.

(٤) تذكرة ابن حمدون: ص٢٦.

٢ ـ فضل العالم:

قال ﷺ: «من علم باب هدى فله مثل أجر من عمل به، ولا ينقص أولئك من أجورهم شيئاً، ومن علم باب ضلالة كان عليه مثل وزر من عمل به ولا ينقص أولئك من أوزارهم شيئاً..»[1].

٣ ـ بذل العلم:

وقال ﷺ: «إنَّ الذي تعلَّم العلم منكم له أجر مثل الذي يعلِّمه، وله الفضل عليه، تعلَّموا العلم من حملة العلم، وعلِّموه إخوانكم كما علَّمكم العلماء»[2].

٤ ـ التفقه في الدِّين:

قال ﷺ: «الكمال كل الكمال التفقه في الدِّين، والصبر على النائبة، وتقدير المعيشة»[3].

٥ ـ قبول العمل بالمعرفة:

قال ﷺ: «لا يقبل عمل إلاَّ بمعرفة، ولا معرفة إلاَّ بعمل، ومن عرف دلته معرفته على العمل، ومن لا يعرف فلا عمل له..»[4].

٦ ـ ذم المباهاة بطلب العلم:

قال ﷺ: «من طلب العلم ليُباهي به العلماء أو يُماري به السفهاء، أو يعرف به وجوه الناس فليتبؤ مقعده من النار، إنَّ الرياسة لا تصلح إلاَّ لأهلها..»[5].

٧ ـ الفتوى بغير علم:

قال ﷺ: «من أفتى الناس بغير علم، ولا هدى لعنته ملائكة الرَّحمٰن وملائكة العذاب، ولحقه وزر من عمل بفتياه..»[6].

(١) أُصول الكافي: ١/ ٣٤.
(٢) ناسخ التواريخ: ٢/ ٢٠٥.
(٣) أُصول الكافي: ١/ ٣٢.
(٤) تحف العقول: ص٢٩٤.
(٥) أُصول الكافي: ١/ ٤٧.
(٦) أُصول الكافي: ١/ ٤٢.

٨ ـ صفات العالم:

قال عليه السلام: «لا يكون العبد عالماً حتى لا يكون حاسداً لمن فوقه، ولا محقراً لمن دونه..»[١].

في رحاب الإيمان:

١ ـ حقيقة الإيمان:

وحدَّد الإمام عليه السلام حقيقة الإيمان بقوله: «الإيمان ثابت في القلوب، واليقين خطرات، فيمرُّ اليقين بالقلب فيصير كأنَّه زبر الحديد، ويخرج منه فيصير كأنَّه خرقة بالية..»[٢].

٢ ـ صفات المتقين:

قال عليه السلام: «أهل التقوى أيسر أهل الدُّنيا مؤونة، وأكثرهم معونة، إن نسيت ذكروك، وإن ذكرت أعانوك، قوالين بحق الله، قوامين بأمر الله..»[٣].

قال عليه السلام: «الغنى والعز يجولان في قلب المؤمن فإذا وصلا إلى مكان فيه التوكل استوطناه..»[٤].

وصيته لشيعته:

إنَّ من الواجب على من انتحل مبدأ أهل البيت عليهم السلام أن يأخذ بهذه الوصية الخالدة ويعمل بما تضمنته من بنود مشرقة ليكون مثالاً للإنسانية، وأُنموذجاً يُقتدى به، وهذا نص وصيته:

«يامعشر شيعتنا، اسمعوا وافهموا وصايانا، وعهدنا إلى أوليائنا، اصدقوا في حديثكم، وبروا في إيمانكم لأوليائكم وأعدائكم، وتواسوا بأموالكم، وتحابوا بقلوبكم، وتصدَّقوا على فقرائكم، واجتمعوا على أمركم، ولا تدخلوا غشاً ولا خيانة على أحد، ولا تشكوا بعد اليقين، ولا تولوا بعد الإقدام جبناً، ولا يول أحدكم أهل مودته قفاه، ولا تكونن شهوتكم في مودة غيركم، ولا مودتكم في سواكم، ولا عملكم لغير ربّكم،

---

(١) تحف العقول: ص٢٩٤.
(٢) حلية الأولياء: ٣/ ١٨٠.
(٣) شذرات الذهب: ١/ ١٤٩.
(٤) صفة الصفوة: ٢/ ٦١.

ولا إيمانكم وقصدكم لغير نبيّكم، واستعينوا بالله، واصبروا فإنَّ الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين».

وأضاف عليه السلام قائلاً:

«إنَّ أولياء الله وأولياء رسوله من شيعتنا من إذا قال صدق، وإذا وعد وفى، وإذا أوتمن أدَّى، وإذا حمل احتمل في الحق، وإذا سئل الواجب أعطى، وإذا أمر بالحق فعل، شيعتنا من لا يعدو علمه سمعه، شيعتنا من لا يمدح لنا معيباً، ولا يواصل لنا مبغضاً، ولا يجالس لنا خائناً، إن لقي مؤمناً أكرمه، وإن لقي جاهلاً هجره، شيعتنا من لا يهر هرير الكلب، ولا يطمع طمع الغراب، ولا يسأل أحد إلاَّ من إخوانه وإن مات جوعاً، شيعتنا من قال بقولنا، وفارق أحبته فينا، وأدنى البعداء في حبنا، وأبعد الغرباء في بغضنا».

وبهر بعض الجالسين من وصف الإمام لشيعته وراح يقول له:

«أين يوجد مثل هؤلاء؟».

فأجابه الإمام:

«في أطراف الأرضين، أولئك الخفيض عيشهم، القريرة أعينهم، إن شهدوا لم يعرفوا، وإن غابوا لم يفتقدوا، وإن مرضوا لم يعادوا، وإن خطبوا لم يزوجوا، وإن وردوا طريقاً تنكبوا، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا: سلاماً، ويبيتون لربهم سجداً وقياماً».

وراح بعض الجالسين يندِّد بالشيعة ممَّن عاصروا الإمام قائلاً:

«يابن رسول الله: وكيف بالمتشيعين بألسنتهم وقلوبهم على خلاف ذلك؟».

وانبرى الإمام فأجابه:

«التمحيص يأتي عليهم بسنين تفنيهم، وضغائن تبيدهم واختلاف يقتلهم، أما والذي نصرنا بأيدي ملائكته، لا يقتلهم الله إلاَّ بأيديهم، فعليكم بالإقرار إذا حدثتم، وترك الخصومة فإنَّها تقصيكم، وإيَّاكم أن يبعثكم قبل وقت الأجل فتطل دماؤكم وتذهب أنفسكم ويذمكم من يأتي بعدكم وتصيروا عبرة للناظرين، وإنَّ أحسن الناس فعلاً من فارق أهل الدُّنيا من والد وولي وناصح، وكافى إخوانه في الله وإن كان حبشياً أو زنجياً، وإن كان لا يبعث من المؤمنين أسود، بل يرجعون كالبرد قد غسلوا بماء الجنان، وأصابوا النعيم المقيم، وجالسوا الملائكة المقربين، ورافقوا الأنبياء المرسلين، وليس من عبد أكرم على الله من عبد شرد وطرد في الله حتى يلقى الله، على ذلك شيعتنا

المنذرون في الأرض سرج وعلامات، ونور لمن طلب ما طلبوا وقادة لأهل طاعة الله، شهداء على من خالفهم ممَّن ادعى دعواهم، سكن لمن أتاهم، لطفاء بمن والاهم، سمحاء، أعفاء، رحماء، فذلك صفتهم في التوراة والإنجيل والقرآن العظيم.

إنَّ الرجل العالم من شيعتنا إذا حفظ لسانه، وطاب نفساً بطاعة أوليائه وأظهر المكائدة لعدوه بقلبه، ويغدو حين يغدو وهو عارف بعيوبهم، ولا يبدي ما في نفسه لهم، ينظر بعينه إلى أعمالهم الردية، ويسمع بأذنه مساوءهم، ويدعو بلسانه عليهم، مبغضوهم أولياءه، ومحبوهم أعداءه..».

وانطلق رجل من الحاضرين فقال للإمام:

«بأبي أنت وأُمِّي ما ثواب من وصفت إذا كان يمشي آمناً، ويصبح آمناً ويبيت محفوظاً، فما منزلته وثوابه؟».

فقال عليه السلام: «تؤمر السماء بإظلاله، والأرض بإكرامه، والنُّور ببرهانه..».

فقيل للإمام:

«فما صفته في الدُّنيا؟».

قال عليه السلام: «إن سئل أعطى، وإن دعي أجاب، وإن طلب أدرك، وإن نصر مظلوماً أعز..»[1].

صفات الشيعة:

قال عليه السلام: «ما شيعتنا إلاَّ من اتقى الله وأطاعه، وما كانوا يعرفون إلاَّ بالتواضع، والتخشع، وأداء الأمانة، وكثرة ذكر الله، والصوم والصلاة والبر بالوالدين، وتعهد الجيران من الفقراء، وذوي المسكنة، والغارمين والأيتام، وصدق الحديث، وتلاوة القرآن، وكف الألسن عن الناس إلاَّ من خير، وكانوا أُمناء عشائرهم في الأشياء..»[2].

نصائحه للشيعة:

قال عليه السلام: «عليكم بالورع والاجتهاد، وصدق الحديث، وأداء الأمانة إلى من ائتمنكم براً كان أو فاجراً، فلو أنَّ قاتل علي بن أبي طالب ائتمنني على أمانة لأديتها إليه..»[3].

---

(١) عيون الأخبار وفنون الآثار: ص٢٢٣ ـ ٢٢٥.

(٢) تحف العقول: ص٢٩٥.

(٣) تحف العقول: ص٢٩٩.

حب أهل البيت:

وفد عليه جماعة من شيعته من خراسان، فنظر عليه السلام إلى رجل منهم، وقد تشققت رجلاه فقال عليه السلام: ما هذا؟ فقال: بعد المسافة يابن رسول الله، والله ما جاءني من حيث جئت إلاَّ محبتكم أهل البيت، فقال عليه السلام: «ابشر فأنت والله معنا تحشر».

وطار الخراساني فرحاً وراح يقول:

«معكم يابن رسول الله؟..».

قال عليه السلام: «نعم ما أحبنا عبد إلاَّ حشره الله معنا، وهل الدِّين إلاَّ الحب، إنَّ الله تبارك وتعالى يقول في كتابه: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾[1][2].

وصيته لجابر الجعفي:

وزود الإمام أبو جعفر عليه السلام تلميذه العالم جابر بن يزيد الجعفي بهذه الوصية الخالدة الحافلة بجميع القيم الكريمة والمثل العليا التي يسمو بها الإنسان فيما لو طبقها على واقع حياته، وهذا بعض ما جاء فيها:

«أوصيك بخمس: إن ظلمت فلا تظلم، وإن خانوك فلا تخن، وإن كذبت فلا تغضب، وإن مدحت فلا تفرح، وإن ذممت فلا تجزع، وفكِّر فيما قيل فيك، فإن عرفت من نفسك ما قيل فيك فسقوطك من عين الله عزَّ وجلَّ عند غضبك من الحق أعظم عليك مصيبة ممَّا خفت من سقوطك من أعين الناس، وإن كنت على خلاف ما قيل فيك فثواب اكتسبته من غير أن يتعب بدنك.

واعلم بأنَّك لن تكون لنا ولياً حتى لو اجتمع عليك أهل مصرك، وقالوا إنَّك رجل سوء لم يحزنك ذلك، ولو قالوا: إنَّك رجل صالح لم يسرك ذلك، ولكن اعرض نفسك على كتاب الله فإن كنت سالكاً سبيله، زاهداً في تزهيده راغباً في ترغيبه، خائفاً من تخويفه فأثبت وابشر، فإنَّه لا يضرك ما قيل فيك، وإن كنت مبائناً للقرآن، فماذا الذي يغرك من نفسك، إنَّ المؤمن معني بمجاهدة نفسه ليغلبها على هواها، فمرة يقيم أودها ويخالف هواها في محبة الله ومرة تصرعه نفسه فيتبع هواها فينعشه الله، فينتعش، ويقيل الله عثرته فيتذكر، ويفزع إلى

(١) سورة آل عمران: آية ٣١.
(٢) عيون الأخبار وفنون الآثار: ص٢٢٦.

التوبة والمخافة فيزداد بصيرة ومعرفة لما زيد فيه من الخوف وذلك بأنَّ الله يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾[١].

يا جابر استكثر لنفسك من الله قليل الرزق تخلصاً إلى الشكر، واستقلل من نفسك كثير الطاعة لله ازراءاً على النفس[٢] وتعرضاً للعفو، وادفع عن نفسك حاضر الشر بحاضر العلم، واستعمل حاضر العلم بخالص العمل، وتحرز في خالص العمل من عظيم الغفلة بشدة التيقظ، واستجلب شدة التيقظ بصدق الخوف، واحذر خفي التزين بحاضر الحياة، وتوق مجازفة الهوى بدلالة العقل، وقف عند غلبة الهوى باسترشاد العلم، واستبق خالص الأعمال ليوم الجزاء، وانزل ساحة القناعة باتقاء الحرص، وادفع عظيم الحرص بإيثار القناعة، واستجلب حلاوة الزهادة بقصر الأمل، واقطع أسباب الطمع ببرد اليأس، وسد سبيل العجب بمعرفة النفس، وتخلص إلى راحة النفس بصحة التفويض، واطلب راحة البدن بآجمام[٣] القلب، وتخلص إلى آجمام القلب بقلّة الخطأ، وتعرض لرقة القلب بكثرة الذِّكر في الخلوات، واستجلب نور القلب بدوام الحزن، وتحرز من إبليس بالخوف الصادق، وإيَّاك والرجاء الكاذب فإنَّه يوقعك في الخوف الصادق، وتزين لله عزَّ وجلَّ بالصدق في الأعمال، وتحبَّب إليه بتعجيل الانتقال وإيَّاك والتسويف فإنَّه بحر يغرق فيه الهلكى، وإيَّاك والغفلة ففيها تكون قساوة القلب، وإيَّاك والتواني فيما لا عذر لك فيه فإليه يلجأ النادمون واسترجع سالف الذُّنوب بشدَّة الندم، وكثرة الاستغفار، وتعرض للرحمة وعفو الله بحسن المراجعة، واستعن على حسن المراجعة بخالص الدُّعاء، والمناجاة في الظلم، وتخلص إلى عظيم الشكر باستكثار قليل الرزق، واستقلال كثير الطاعة، واستجلب زيادة النعم بعظيم الشكر، والتوسل إلى عظيم الشكر بخوف زوال النعم، واطلب بقاء العز بإماتة الطمع، وادفع ذل الطمع بعز اليأس، واستجلب عز اليأس ببعد الهمة، وتزود من الدُّنيا بقصر الأمل، وبادر بانتهاز البغية عند إمكان الفرصة، ولا إمكان كالأيام الخالية مع صحة الأبدان، وإيَّاك والثقة بغير المأمون فإنَّ للشر ضراوة كضراوة الغذاء.

واعلم أنَّه لا علم كطلب السلامة، ولا سلامة كسلامة القلب، ولا عقل كمخالفة الهوى، ولا خوف كخوف حاجز، ولا رجاء كرجاء معين، ولا فقر كفقر القلب، ولا

---

(١) سورة الأعراف: آية ٢٠٠.

(٢) ازراءاً على النفس: أي احتقاراً واستخفافاً بها.

(٣) الجمام: ـ بالفتح ـ الراحة.

غنى كغنى النفس، ولا قوّة كغلبة الهوى، ولا نور كنور اليقين، ولا يقين كاستصغارك للدُّنيا، ولا معرفة كمعرفتك بنفسك، ولا نعمة كالعافية، ولا عافية كمساعدة التوفيق، ولا شرف كبعد الهمة، ولا زهد كقصر الأمل، ولا حرص كالمنافسة في الدرجات، ولا عدل كالإنصاف، ولا تعدي كالجور، ولا جور كموافقة الهوى، ولا طاعة كأداء الفرائض، ولا خوف كالحزن، ولا مصيبة كعدم العقل، ولا عدم عقل كقلة اليقين، ولا قلة يقين كفقد الخوف، ولا فقد خوف كقلة الحزن على فقد الخوف، ولا مصيبة كاستهانتك بالذنب، ورضاك بالحالة التي أنت عليها، ولا فضيلة كالجهاد، ولا جهاد كمجاهدة الهوى، ولا قوة كرد الغضب، ولا معصية كحب البقاء، ولا ذل كذل الطمع، وإيَّاك والتفريط عند إمكان الفرصة فإنَّه ميدان يجر لأهله بالخسران..»[١].

مواعظه:

قال عليه السلام: «أيُّها الناس إنَّكم في هذه الدار أغراض تنتقل فيكم المنايا، لن يستقبل أحد منكم يوماً جديداً من عمره إلاَّ بانقضاء آخر من أجله، فأية أكلة ليس فيها غصص؟ أم أي شربة ليس فيها شرق؟ استصلحوا ما تقدمون عليه بما تظعنون عنه، فإنَّ اليوم غنيمة، وغداً لا تدري لمن هو، أهل الدُّنيا في سفر يحلون عقد رحالهم في غيرها، قد خلت منَّا أُصول نحن فروعها فما بقاء الفرع بعد أصله.

أين الذين كانوا أطول أعماراً منكم وأبعد آمالاً؟! أتاك يا ابن آدم ما لا ترده، وذهب عنك ما لا يعود، فلا تعدن عيشاً منصرفاً عيشاً، ما لك منه إلاَّ لذَّة تزدلف بك إلى حمامك، وتقربك من أجلك؟ فكأنَّك قد صرت الحبيب المفقود، والسواد المخترم، فعليك بذات نفسك، ودع ما سواها، واستعن بالله يعنك..»[٢].

ومن مواعظه عليه السلام أنَّه قال: «ما اغرورقت عين بمائها من خشية الله إلاَّ وحرَّم الله وجه صاحبها على النار، فإن سالت على الخدين دموعه لم يرهق وجهه قتر ولا ذلة، وما من شيء إلاَّ له جزاء إلاَّ الدمعة فإنَّ الله تعالى يكفِّر بها بحور الخطايا..»[٣].

فضل العقل:

قال عليه السلام: «لما خلق الله العقل استنطقه، ثم قال له: اقبل فأقبل، ثم قال له: ادبر

---

(١) تحف العقول: ص٢٨٤ ـ ٢٨٦.

(٢) تحف العقول: ص٢٩٩.

(٣) أخبار الدول: ص١١.

فأدبر، ثم قال: وعزَّتي وجلالي ما خلقت خلقاً هو أحبّ إليَّ منك، ولا أكملتك إلاَّ فيمن أحب أما إنِّي إيَّاك آمر، وإيَّاك أنهي، وإيَّاك أعاقب، وإيَّاك أثيب..»[١].

مكارم الأخلاق:

الإحسان:

قال الإمام أبو جعفر عليه السلام: «ما تذرع إليَّ بذريعة، ولا توسل بوسيلة هي أقرب إليَّ من يد سالفة منِّي إليه أتبعتها أختها ليحسن حفظها وربّها لأن منع الأواخر يقطع لسان شكر الأوائل، وما سمحت لي نفسي برد بكر الحوائج..»[٢].

معاملة الناس بالحسنى:

قال عليه السلام: «قولوا للناس أحسن ما تحبون أن يُقال لكم فإنَّ الله يبغض اللعان السباب الطعان على المؤمنين، الفاحش المتفحش، السائل الملحف، ويحب الحيَّ الحليم العفيف المتعفف..»[٣].

صلة الأرحام:

قال عليه السلام: «صلة الأرحام تزكي الأعمال، وتنمي الأموال، وتدفع البلوى، وتيسر الحساب، وتنسىء في الأجل..»[٤].

العطف على اليتيم:

قال عليه السلام: «أربع من كن فيه بنى له الله بيتاً في الجنَّة من آوى اليتيم، ورحم الضعيف وأشفق على والديه، ورفق بمملوكه..»[٥].

مساوىء الصفات والأعمال:

قال عليه السلام: «ما دخل قلب امرىء شيء من الكبر إلاَّ نقص من عقله مثل ما دخله من ذلك قل ذلك أو كثر..»[٦].

---

(١) أُصول الكافي: ١/١٠.
(٢) تحف العقول: ص٢٩٦.
(٣) تحف العقول: ص٣٠٠.
(٤) تحف العقول: ص٢٩٨.
(٥) الخصال: ص٢٠٤.
(٦) صفة الصفوة: ٢/٦١.

وقال ﷺ: «المتكبر ينازع الله رداءه»[١].

قال ﷺ: «ثلاث خصال: لا يموت صاحبهن أبداً حتى يرى وبالهن، البغي وقطيعة الرحم، واليمين الكاذبة يبارز الله بها، وإن أعجل الطاعة ثواباً لصلة الرحم، وإنَّ القوم ليكونون فجاراً فيتواصلون فتنمى أموالهم، ويثرون، وإنَّ اليمين الكاذبة وقطيعة الرحم ليذران الديار بلاقع من أهلها..»[٢].

الغضب وعلاجه:

قال الإمام أبو جعفر ﷺ: «إنَّ الرجل ليغضب فما يرضى أبداً حتى يدخل النار..»[٣].

أدعيته:

روى هذا الدُّعاء أبو حمزة الثمالي عن الإمام أبي جعفر، وكان يسميه (بالجامع) وقد جاء فيه بعد البسملة: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم **«أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، آمَنْتُ بِاللَّهِ وَبِجَمِيعِ رُسُلِ اللَّهِ وَبِجَمِيعِ مَا أُنْزِلَتْ بِهِ جَمِيعُ رُسُلِ اللَّهِ، وَأَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ، وَلِقَاءَهُ حَقٌّ، وَصَدَقَ اللَّهُ، وَبَلَّغَ الْمُرْسَلُونَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ كُلَّمَا سَبَّحَ اللَّهَ شَيْءٌ، وَكَمَا يُحِبُّ اللَّهُ أَنْ يُسَبَّحَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كُلَّمَا حَمِدَ اللَّهَ شَيْءٌ، وَكَمَا يُحِبُّ اللَّهُ أَنْ يُحْمَدَ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كُلَّمَا هَلَّلَ اللَّهَ شَيْءٌ، وَكَمَا يُحِبُّ اللَّهُ أَنْ يُهَلَّلَ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ كُلَّمَا كَبَّرَ اللَّهَ شَيْءٌ، وَكَمَا يُحِبُّ اللَّهُ أَنْ يُكَبَّرَ.**

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مَفَاتِيحَ الْخَيْرِ، وَخَوَاتِيمَهُ، وَسَوَابِغَهُ وَفَوَائِدَهُ، وَشَرَائِعَهُ وَبَرَكَاتِهِ، مَا بَلَغَ عِلْمُهُ عِلْمِيَ، وَمَا قَصَرَ عَنْ إِحْصَائِهِ حِفْظِي، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَانْهَجْ لِي أَسْبَابَ مَعْرِفَتِهِ، وَافْتَحْ لِي أَبْوَابَهُ، وَغَشِّنِي بَرَكَاتِ رَحْمَتِكَ، وَمُنَّ عَلَيَّ بِعِصْمَةٍ عَنِ الْإِزَالَةِ عَنْ دِينِكَ، وَطَهِّرْ قَلْبِي مِنَ الشَّكِّ، وَلَا تَشْغَلْ قَلْبِي بِدُنْيَايَ، وَعَاجِلِ مَعَاشِي عَنْ آجِلِ ثَوَابِ آخِرَتِي وَاشْغَلْ قَلْبِي بِحِفْظِ مَا لَا تَقْبَلُ مِنِّي جَهْلَهُ، وَذَلِّلْ لِكُلِّ خَيْرٍ لِسَانِي وَطَهِّرْ قَلْبِي مِنَ الرِّيَاءِ، وَلَا تُجْرِهِ فِي مَفَاصِلِي، وَاجْعَلْ عَمَلِي خَالِصاً لَكَ.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ وَأَنْوَاعِ الْفَوَاحِشِ كُلِّهَا ظَاهِرِهَا وَبَاطِنِهَا وَغَفَلَاتِهَا

---

(١) تحف العقول: ج٢، ص٦١.

(٢) تحف العقول: ص٢٩٤.

(٣) جامع السعادات: ١/٢٨٩.

وَجَمِيعِ مَا يُرِيدُنِي بِهِ الشَّيْطَانُ الرَّجِيمُ وَمَا يُرِيدُنِي بِهِ السُّلْطَانُ الْعَنِيدُ مِمَّا أَحَطْتَ بِعِلْمِهِ وَأَنْتَ الْقَادِرُ عَلَى صَرْفِهِ عَنِّي. . . اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ طَوَارِقِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَزَوَابِعِهِمْ، وَبَوَائِقِهِمْ، وَمَكَايِدِهِمْ، وَمَشَاهِدِ الْفَسَقَةِ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَأَنْ أُسْتَزَلَّ عَنْ دِينِي فَتَفْسُدَ عَلَيَّ آخِرَتِي، وَأَنْ يَكُونَ ذَلِكَ ضَرَراً مِنْهُمْ عَلَيَّ فِي مَعَاشِي، أَوْ بِعُرِضَ بَلَاءٌ يُصِيبُنِي مِنْهُمْ وَلَا قُوَّةَ لِي بِهِ، وَلَا صَبْرَ لِي عَلَى احْتِمَالِهِ، فَلَا تَبْتَلِيَنِّي يَا إِلَهِي بِمُقَاسَاتِهِ فَيَمْنَعَنِي ذَلِكَ مِنْ ذِكْرِكَ، وَيَشْغَلَنِي عَنْ عِبَادَتِكَ، أَنْتَ الْعَاصِمُالْمَانِعُ، وَالدَّافِعُ الْوَاقِي مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ، أَسْأَلُكَ اللَّهُمَّ الرَّفَاهِيَةَ فِي مَعِيشَتِي مَا أَبْقَيْتَنِي مَعِيشَةً أَقْوَى بِهَا عَلَى طَاعَتِكَ، وَأَبْلُغُ بِهَا رِضْوَانَكَ، وَأَصِيرُ بِهَا مِنْكَ إِلَى دَارِ الْحَيَوَانِ غَداً، اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي رِزْقاً حَلَالاً يَكْفِينِي، وَلَا تَرْزُقْنِي رِزْقاً يُطْغِينِي، وَ لَا تَبْتَلِيَنِّي بِفَقْرٍ أَشْقَى بِهِ مُضَيَّقاً عَلَيَّ أَعْطِنِي حَظّاً وَافِراً فِي آخِرَتِي، وَمَعَاشاً وَاسِعاً هَنِيئاً مَرِيئاً فِي دُنْيَايَ، وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا عَلَيَّ سِجْناً، وَلَا تَجْعَلْ فِرَاقَهَا عَلَيَّ حُزْناً، أَجِرْنِي مِنْ فِتْنَتِهَا وَاجْعَلْ عَمَلِي فِيهَا مَقْبُولاً، وَسَعْيِي فِيهَا مَشْكُوراً.

اللَّهُمَّ وَمَنْ أَرَادَنِي فِيهَا بِسُوءٍ فَأَرِدْهُ وَمَنْ كَادَنِي فِيهَا فَكِدْهُ، وَاصْرِفْ عَنِّي هَمَّ مَنْ أَدْخَلَ عَلَيَّ هَمَّهُ، وَامْكُرْ بِمَنْ يَمْكُرُنِي فَإِنَّكَ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ، وَافْقَأْ عَنِّي عُيُونَ الْكَفَرَةِ الظَّلَمَةِ، الطُّغَاةِ الْحَسَدَةِ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَأَنْزِلْ عَلَيَّ مِنْكَ السَّكِينَةَ وَالْوَقَارِ، وَأَلْبِسْنِي دِرْعَكَ الْحَصِينَةَ، وَاحْفَظْنِي بِسِتْرِكَ الْوَاقِي، وَجَلِّلْنِي عَافِيَتَكَ النَّافِعَةَ، وَصَدِّقْ قَوْلِي وَفَعَالِي، وَبَارِكْ لِي فِي أَهْلِي وَوُلْدِي وَمَالِي، وَمَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَغْفَلْتُ وَمَا تَعَمَّدْتُ، وَمَا تَوَانَيْتُ، وَمَا أَعْلَنْتُ وَمَا أَسْرَرْتُ، فَاغْفِرْهُ لِي وَارْحَمْنِي يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ. .»[١].

روائع الحكم:

قال عليه السلام: «إن استطعت أن لا تعامل أحداً إلاّ ولك الفضل عليه فافعل. .».

قال عليه السلام: «صانع المنافق بلسانك، واخلص مودتك للمؤمن، وإن جالسك يهودي فاحسن مجالسته. .».

قال عليه السلام: «ما شيب شيء بشيء أحسن من حلم بعلم. .».

قال عليه السلام: «من لم يجعل الله له من نفسه واعظاً فإنّ مواعظ الناس لن تغني عنه شيئاً. .».

---

(١) مهج الدعوات: ص٢١٣ ـ ٢١٥.

قال عليه السلام: «كم من رجل لقي رجلاً فقال له: أكبَّ الله عدوّك، وما له من عدو إلاّ الله..».

قال عليه السلام: «اعرف المودة في قلب أخيك بما له في قلبك..».

قال عليه السلام: «من صدق لسانه زكي عمله، ومن حسنت نيته زيد في رزقه، ومن حسن بره في أهله زيد في عمره..».

قال عليه السلام: «التواضع: الرضا بالمجلس دون شرفه، وأن تسلِّم على من لقيته، وأن تترك المراء، وإن كنت محقاً..».

قال عليه السلام: «إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ: أين الصابرون؟ فيقوم فئام[1] من الناس، ثم ينادي منادٍ أين المتصبرون؟ فيقوم فئام من الناس، فقيل له: ما الصابرون والمتصبرون؟.

قال عليه السلام: الصابرون على أداء الفرائض، والمتصبرون على ترك المحارم..».

قال عليه السلام: «يقول الله: يابن ردم اجتنب ما حرمت عليك تكن من أورع الناس..».

قال عليه السلام: «إنَّ الله يعطي الدُّنيا من يحب ويبغض، ولا يعطي دينه إلاَّ من يحب..».

قال عليه السلام: «لو يعلم السائل ما في المسألة ما سأل أحد أحداً، ولو يعلم المسؤول ما في المنع ما منع أحد أحداً..».

قال عليه السلام: «لا يزال الرجل يزداد في رأيه ما نصح لمن استشاره..»[2].

قال عليه السلام: «لا يكون المعروف معروفاً إلاَّ باستصغاره وتعجيله وكتمانه»[3].

قال عليه السلام: «ما أحسن الحسنات بعد السيئات، وما أقبح السيئات بعد الحسنات..»[4].

قال عليه السلام: «من أصاب مالاً من أربع لم يقبل منه في أربع، من أصاب مالاً من غلول أو ربا أو خيانة أو سرقة، لم يقبل منه في زكاة، ولا في صدقة ولا في حج، ولا في عمرة..»[5].

قال عليه السلام: «من كان ظاهره أرجح من باطنه خف ميزانه..»[6].

---

(١) الفئام: الجماعة من الناس.
(٢) عيون الأخبار لابن قتيبة: ١/ ٣٠٠.
(٣) الأخبار الموفقيات: ص٤٠٠.
(٤) أمالي الصدوق: ص٢٢٤.
(٥) أمالي الصدوق: ص٢٩٦.
(٦) أمالي الصدوق: ص٢٩٦.

قال عليه السلام: «شر الآباء من دعاه البر إلى الإفراط، وشر الأبناء من دعاه التقصير إلى العقوق..»[١].

قال عليه السلام: «اصبر للنوائب، ولا تتعرض للحقوق، ولا تعط أحداً من نفسك ما ضره عليك أكثر من نفعه..»[٢].

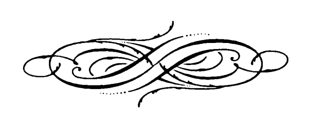
قال عليه السلام: «ما يضر من عرفه الله الحق أن يكون على قلة جبل يأكل من نبات الأرض حتى يأتيه الموت..»[٣].

قال عليه السلام: «إذا أردت أن تعلم أنَّ فيك خيراً فانظر إلى قلبك، فإن كان يحب أهل طاعة الله عزَّ وجلَّ، ويبغض أهل معصيته ففيك خير، والله يحبك، وإن كان يبغض أهل طاعة الله، ويحب أهل معصيته فليس فيك خير، والله يبغضك، والمرء مع من أحب..»[٤].

نظمه للشعر:

لم تنصّ المصادر المترجمة للإمام أبي جعفر عليه السلام على أنَّه كان ينظم الشعر، وإنَّما نصَّت على أنَّه فتق أبواباً كثيرة من العلوم، وأسس معظم قواعدها، وأنَّه ممَّن أوتي الحكمة وفصل الخطاب، غير أنَّ السيِّد علي صدر المدني نسب له هذه الأبيات:

عجبت من معجب بصورته ... وكان من قبل نطفة مذرة
وفي غد بعد حسن صورته ... يصير في القبر جيفة قذرة
وهو على عجبه ونخوته ... ما بين جنبيه يحمل العذرة[٥]



(١) تأريخ اليعقوبي: ٢/ ٥٣.
(٢) تأريخ اليعقوبي: ٣/ ٦١.
(٣) التحصين: ص٢٢٥ لأحمد بن فهد الحلي.
(٤) علل الشرائع: ص١١٧.
(٥) أنوار الربيع: ٦/ ٣٠٠.

مع كثير عزة والكميت

كان كثير شديد الولاء لأهل البيت عليهم السلام متعصباً لهم، ولم يخف تشيعه على الأمويين.

الشاعر كثير عزة مع الإمام الباقر:

ويقول المؤرخون: إنَّ رجلاً نظر إليه وهو راكب، والإمام أبو جعفر عليه السلام يمشي فأنكر عليه ذلك وقال له: أتركب وأبو جعفر يمشي؟!!.

فأجابه كثير جواب المؤمن بدينه، المتبصر في عقيدته قائلاً: هو أمرني بذلك، وأنا بطاعته في الركوب أفضل من عصياني إيَّاه بالمشي..[1].

الشاعر الكميت مع الإمام الباقر:

واختص الكميت بالإمام أبي جعفر عليه السلام فكان شاعره الخاص، وقد تلا عليه بعض هاشمياته وقصائده التي نظمها في حق أهل البيت عليهم السلام فأخذت موقعها من نفس الإمام عليه السلام فشكره ودعا له بالمغفرة والرضوان.

وكان الكميت لا يرى أحداً في هذه الدُّنيا يستحق الولاء والتقدير غير سيِّده الإمام أبي جعفر عليه السلام فقد دخل عليه وهو يقول:

ذهب الذين يُعاش في أكنافهم لم يبق إلاَّ شامت أو حاسد
وبقي على ظهر البسيطة واحد فهو المراد وأنت ذاك الواحد[2]

صلابته في عقيدته:

كان الكميت صب العقيدة، راسخ الإيمان، قد أقام عقيدته على الواقع العلمي الذي لا يقبل الجدل والنقاش، فهو شاعر العقيدة الشيعية، والمعبر عن آرائها، ومبادئها

---

(١) أمالي المرتضى: ١/ ٢٨٣.
(٢) روضات الجنات: ٦/ ٥٦.

ويجمع الرواة على أنَّه أول من فتق باب الاحتجاج للشيعة في هاشمياته، وأنَّه كان لسانهم، والمدافع عنهم، والمحتج لهم، وقد صورت هاشمياته الجانب الفكري، والعقائدي للشيعة، وأحاطت ـ بوضوح ـ بشؤون الإمامة التي تعتبر من العناصر الأساسية في مبادئهم.

عتاب واعتذار:

ووفد الكميت على الإمام أبي جعفر عليه السلام فرحب به، وقرب مجلسه، وتبسم في وجهه وعاتبه عتاباً رقيقاً قال له:

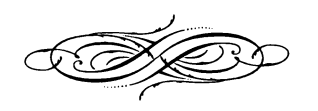
يا كميت أنت القائل:

فالآن صرت إلى أمية والأمور إلى المصائر

واعتذر الكميت، وأجاب جواب العالم الفقيه قائلاً:

نعم قد قلت: ذلك، ولا والله ما أردت به إلاَّ الدُّنيا، لقد عرفت فضلكم...

ومنحه الإمام الباقر الرضا والقبول، وقال له: أما إن قلت ذلك تقية إنَّ التقية لتحل[1].



(١) الأغاني: ١٥/١١٥ ـ ١١٩.

ملوك تافهون

أما البحث عن ملوك الأمويين الذين عاصرهم الإمام فيُعدّ من ضروريات البحث المنهجي حسب الدراسات الحديثة لأنَّه يصوِّر الحياة الفكرية والاجتماعية والسياسية في ذلك العصر الذي هو من أشد العصور الإسلامية حساسية، فقد ابتلي فيه المؤمنون وأرهقوا إرهاقاً شديداً.

لقد كان الإمام أبو جعفر عليه السلام في غضون الصبا، فانقرضت دولة بني سفيان التي أسسها معاوية، وانتهت بهلاك ولده يزيد الذي جهد على إذلال المسلمين وإرغامهم على ما يكرهون، وقد كانت أيامه من أحلك الليالي التي مرَّت على العالم الإسلامي فقد عانوا ألواناً مرهقة من الأحداث والخطوب أغرقتهم في المآسي والآلام.

وقد تشكَّلت بعد سقوط دولة بني سفيان دولة بني مروان ونحن نلمح إلى ذكر سيرة ملوكهم الذين عاصرهم الإمام وما أثر عنهم من صنوف السياسة من دون أن نتحيَّز أو نشذّ عن الحق الذي أخلصنا له، وكان أول ملوك بني مروان هو:

❖ مروان بن الحكم:

وآلت الخلافة الإسلامية التي هي مركز العدل في الإسلام إلى الوزغ ابن الوزغ مروان بن الحكم صاحب الأحداث والموبقات في الإسلام، ويجمع الرواة على أنَّه لم تكن فيه أية نزعة كريمة، أو صفة فاضلة حتى يستحق هذا المنصب العظيم، وإنَّما كان عدواً لله، وعدواً لرسوله، وعدواً للمسلمين ونلمح - بإيجاز - إلى بعض شؤونه وأحواله.

وفاته:

ولم تطل خلافة مروان، فقد كانت كلعقة الكلب أنفه - على حدّ تعبير الإمام أمير المؤمنين عليه السلام -[1].

(١) شرح ابن أبي الحديد: ٢/٥٣.

❖ عبد الملك بن مروان:

ولم تتوفر في عبد الملك أية نزعة شريفة أو صفة كريمة كأبيه مروان فقد كان ـ فيما أجمع عليه المؤرخون ـ قد اتصف بأخس الصفات وأحطها ومن بينها:

١ ـ الجبروت:

كان عبد الملك طاغية جبَّاراً، ويقول فيه المنصور: كان عبد الملك جبَّاراً لا يبالي ما صنع[١].

٢ ـ الغدر:

وظاهرة أخرى من صفاته التي عرف بها وهي الغدر، ونكث العهد.

٣ ـ القسوة والجفاء:

من الصفات البارزة في عبد الملك القسوة والجفاء فقد انعدمت من نفسه الرحمة والرأفة.

٤ ـ البخل:

ومن ذاتيات عبد الملك البخل فكان يُسمَّى (رشح الحجارة) لشدَّة شحه وبخله[٢].

نقله الحج إلى بيت المقدس:

وخاف عبد الملك أن يتصل ابن الزبير بأهل الشام فيفسدهم عليه فمنعهم من الحج، فقالوا له: أتمنعنا من الحج وهو فريضة فرضها الله، فقال: قال ابن شهاب الزهري يروى عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: لا تشد الرحال إلاَّ إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي، ومسجد بيت المقدس.

وصرفهم بذلك عن الحج إلى بيت الله الحرام، وصيَّره إلى بيت المقدس وقد استغل الصخرة التي فيه، وقد روى فيها أنَّ رسول الله ﷺ وقد وضع قدمه عليها حين صعوده إلى السَّماء فأقامها لهم مقام الكعبة فبنى عليها قبة وعلى فوقها ستور الديباج، وأقام لها سدنة، وأمر الناس أن يطوفوا حولها كما يطوفون حول الكعبة[٣].

---

(١) النزاع والتخاصم للمقريزي: ص٨.
(٢) تأريخ القضاعي: ص٧٢. الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج٤، ص٥٢٢.
(٣) اليعقوبي: ٢/٣١١.

انتقاصه لسلفه:

وانتقص عبد الملك سلفه من حكّام بني أمية، وقد أدلى بذلك في خطابه الذي ألقاه في يثرب، فقد جاء فيه: «إنِّي والله ما أنا بالخليفة المستضعف ـ يعني عثمان ـ، ولا بالخليفة المداهن ـ يعني معاوية ـ، ولا بالخليفة المأفون[1] ـ يعني يزيد».

ولايته للحجاج:

وأخطر عمل قام به عبد الملك ولايته للحجاج بن يوسف الثقفي، فقد عهد بأمور المسلمين إلى هذا الإنسان الممسوخ الذي هو من أقذر من عرفته البشرية في جميع مراحل التأريخ... لقد منحه عبد الملك صلاحيات واسعة النطاق، فجعله يتصرف في أمور الدولة حسب رغباته وميوله التي لم تكن تخضع إلاَّ إلى منطق البطش والاستبداد، وقد أمعن هذا المجرم الأثيم في النكاية بالناس، وقهرهم وإذلالهم، وإخضاعهم للظلم والجور.

من صفاته:

واتصف الحجاج بجميع الصفات الكريهة والنزعات الشريرة فقد انطوت نفسه على الخبث والشر، والحقد على الناس.

ومن أبرز صفات هذا الطاغية سفكه للدماء.

ومن جملة من قتلهم سعيد بن جبير من علماء الكوفة وزهادها، وأحد أعلام الشيعة في ذلك العصر، ولما بلغ الحسن البصري قتله قال: والله لقد مات سعيد بن جبير يوم مات وأهل الأرض من مشرقها إلى مغربها محتاجون لعلمه[2].

كفره وإلحاده:

أما ما يدلل على كفره فإراقته لدماء المسلمين بغير حق، وإشاعته للخوف والإرهاب بين الناس، ولو كان مسلماً لما فعل ذلك.

---

(١) المأفون: الضعيف الرأي.
(٢) حياة الحيوان: ١/ ١٧١.

التنكيل بالشيعة:

ونكل الطاغية الفاجر بشيعة آل البيت عليهم السلام فأذاع فيهم القتل، وأشاع في بيوتهم الثكل والحزن والحداد.

ويقول المؤرخون إنَّ خير وسيلة للتقرب إلى الحجاج هي انتقاص الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فقد أقبل إليه بعض المرتزقة من أوغاد الناس وأجلافهم وهو رافع عقيرته قائلاً:

«أيُّها الأمير، إنَّ أهلي عقوني فسموني علياً، وإنِّي فقير بائس، وأنا إلى صلة الأمير محتاج...».

فسر الحجاج بذلك وقال: «للطف ما توسلت به، فقد وليتك موضع كذا»[1].

محنة الكوفة:

وامتحنت الكوفة في أيام هذا الجبَّار كأشد ما تكون المحنة، فقد أخذ يقتل على الظنة والتهمة، ويأخذ البريء بالسقيم، والمقبل بالمدبر.

لقد امتحن العراقيون امتحاناً عسيراً في زمن الحجاج، فقد صبَّ عليهم وابلاً من العذاب الأليم.

رمي الكعبة بالمنجنيق:

ومن جرائم هذا الطاغية أنَّه قاد جيشاً مكثفاً إلى مكة لمحاربة ابن الزبير، وقد حاصر البيت الحرام ستة أشهر وسبع عشرة ليلة، وقد أمر برمي الكعبة المشرفة فرميت من جبل أبي قبيس بالمنجنيق، ودام الحصار حتى قتل عبد الله بن الزبير، وصلب منكوساً وبعث برأسه إلى عبد الملك فأمر أن يطاف به في البلاد.

سجونه:

واتخذ الطاغية سجوناً لا تقي من حر ولا برد وكان يعذب المساجين بأقسى ألوان العذاب، فكان يشد على بدن السجين القصب الفارسي المشقوق ويجر عليه حتى يسيل دمه، ويقول المؤرخون إنَّه مات في حبسه خمسون ألف رجل، وثلاثون ألف امرأة منهن ستة عشر ألفاً مجردات كان يحبس الرجال والنساء في موضع واحد[2].

---

(١) حياة الإمام الحسن بن علي: ٢/٣٣٦.

(٢) تأريخ الخلفاء للسيوطي: ص٨٤؛ حياة الحيوان للدميري: ١/ ١٧٠.

الإمام مع عبد الملك:

وابتلي المسلمون في ذلك العصر برجل من القدرية أفسد عليهم دينهم ولم يهتدوا إلى رد شبهة وإبطال مزاعمه، ورأى عبد الملك أنَّه لا طريق لإفحامه إلاَّ الإمام محمد الباقر عليه السلام فكتب إلى عامله على يثرب رسالة يطلب فيها إحضار الإمام إلى دمشق، والتلطف معه، وعرض حاكم يثرب على الإمام رسالة عبد الملك، فاعتذر الإمام عليه السلام عن السفر لأنَّه شيخ لا طاقة له على عناء السفر ولكنَّه أناب عنه ولده جعفر الصادق للقيام بهذه المهمة، وسافر الإمام الصادق إلى دمشق فلما حضر عند عبد الملك قال له: قد أعيانا هذا القدري، وإنِّي أحب أن أجمع بينك وبينه، فإنَّه لم يدع أحداً إلاَّ خصمه، وأمر بإحضاره فلما حضر عنده أمره الإمام بقراءة الفاتحة، فبهر القدري، وأخذ بقراءتها، فلما بلغ قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قال له الإمام: «من نستعين؟ وما حاجتك إلى المعرفة إن كان الأمر إليك.. وبان العجز على القدري، ولم يطق جواباً[١].

وفاته:

ومرض عبد الملك مرضه الذي هلك فيه، وكان غير آمن ولا مطمئن فقد أخذت تراوده أعماله المنكرة وما اقترفه من الظلم والجور وسفك الدماء بغير حق في سبيل الملك والسلطان، وأخذ يضرب بيده على رأسه ويقول: «وددت أنِّي اكتسبت قوتي يوماً بيوم، واشتغلت بعبادة ربِّي عزَّ وجلَّ، وطاعته»[٢].

وتلقى المسلمون نبأ وفاته بمزيد من السرور والأفراح، وكانت الشتائم تلاحقه من يوم وفاته حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

❖ الوليد بن عبد الملك:

وولي الوليد الخلافة بعد هلاك أبيه، ويقول المؤرخون: إنَّه لم تكن فيه أية صفة من صفات النبل تؤهله إلى الخلافة، وإنَّما كان جبَّاراً ظالماً[٣].

---

(١) تفسير العياشي: ١/ ٢٣.

(٢) البداية والنهاية: ٩/ ٦٨.

(٣) تأريخ الخلفاء: ص٢٢٣.

وكانت مدة خلافته تسع سنين وسبعة أشهر، توفي بدير مروان سنة (٩٦هـ) وكان عمره خمساً وأربعين سنة[1].

❖ سليمان بن عبد الملك:

بويع له بعهد من أبيه بعد هلاك أخيه في جمادى الآخرة سنة (٩٦هـ) وقد نكل بآل الحجاج تنكيلاً فظيعاً، وكانت هذه من مآثره وألطافه على الناس.

وفاته:

ويقول المؤرخون: إنَّه كان شديد الإعجاب بنفسه، وقد لبس أفخر ثيابه وراح يقول: أنا الملك الشاب المهاب، الكريم، الوهاب، وتمثلت أمامه إحدى جواريه فقال لها:

كيف ترين أمير المؤمنين؟!.

أراه منى النفس، وقرة العين، لولا ما قال الشاعر..

ما قال:؟

إنَّه قال:

أنت نعم المتاع لو كنت تبقى ... غير أنَّ لا بقاء للإنسان

أنت من لا يريبنا منك شيء ... علم اللَّه غير أنَّك فان

ليس فيما بدا لنا منك عيب ... يا سليمان غير أنَّك فان

فكانت هذه الأبيات كالصاعقة على رأسه، فقد تبدد جبروته وإعجابه بنفسه، ويقول المؤرخون: إنَّه لم يمكث إلاَّ زمناً يسيراً حتى هلك[2].

❖ عمر بن عبد العزيز:

هو مفخرة البيت الأموي، وسيد ملوكهم، ونجيب بني أمية ـ كما يقول الإمام أبو جعفر ـ[3] تقلد الخلافة بعهد من سليمان بن عبد الملك وذلك في يوم الجمعة لعشر خلون من صفر سنة (٩٩هـ) ولمس الناس في عهده القصير الأمن، والرفاه، فقد أزال عنهم جور بني مروان وطغيانهم، وكان محنكاً، وقد هذبته التجارب، وقام على تكوينه

(١) تأريخ ابن الأثير: ١٣٨/٤.
(٢) مروج الذهب: ١١٣/٣.
(٣) تأريخ الخلفاء للسيوطي: ص٢٣٠.

عقل متزن، وقد ساس المسلمين سياسة رشيدة لم يألفوها من قبله، وكانت له ألطاف، وأياد بيضاء على العلويين تذكر له بالخير على امتداد التأريخ ومن بينها: رفع السب عن الإمام علي، صلته للعلويين، رد فدك.

مع الإمام الباقر:

وكانت بين الإمام أبي جعفر عليه السلام وعمر بن عبد العزيز عدة التقاءات واتصالات كان من بينها:

١ ـ تنبؤ الإمام بخلافة عمر:

وأخبر الإمام عليه السلام بخلافة عمر بن عبد العزيز وذلك قبل أن تصير إليه الخلافة، يقول أبو بصير: كنت مع الإمام أبي جعفر عليه السلام في المسجد إذ دخل عمر بن عبد العزيز، وعليه ثوبان ممصران، فقال عليه السلام: ليلين هذا الغلام، فيظهر العدل، إلاَّ أنَّه قدح في ولايته من جهة وجود من هو أولى منه بالحكم[1].

٢ ـ تكريم عمر للإمام:

ولما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة كرَّم الإمام أبا جعفر عليه السلام وعظَّمه وقد أرسل خلفه فنون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، وكان من عباد أهل الكوفة، فاستجاب له الإمام عليه السلام وسافر إلى دمشق، فاستقبله عمر استقبالاً رائعاً، واحتفى به، وجرت بينهما أحاديث، وبقي الإمام أياماً في ضيافته ولما أراد الإمام الانصراف إلى يثرب خف إلى توديعه فجاء إلى البلاط الأموي وعرف الحاجب بأمره فأخبر عمر بذلك، فخرج رسوله فنادى أين أبو جعفر ليدخل فأشفق الإمام أن يدخل خشية أن لا يكون هو، فقفل الحاجب إلى عمر وأخبره بعدم حضور الإمام، فقال له: كيف قلت؟ قال: قلت: أين أبو جعفر؟ فقال له: اخرج وقل أين محمد بن علي؟ ففعل ذلك، فقام الإمام، ودخل عليه وحدَّثه ثم قال له: إنِّي أريد الوداع، فقال له عمر: أوصني.

قال عليه السلام: «أوصيك بتقوى الله، وأن نتخذ الكبير أباً، والصغير ولداً، والرجل أخاً. .».

وبهر عمر من وصية الإمام وراح يقول بإعجاب:

---

(١) سفينة البحار: ١٢٧/٢، الخرايج والجرايح مخطوط.

«جمعت والله لنا، ما أن أخذنا به، وأعاننا الله عليه استقام لنا الخير إن شاء الله..».

وخرج الإمام من عنده، ولما أراد الرحيل بادره رسول عمر فقال له: إنَّ عمر يريد أن يأتيك، فانتظره الإمام حتى أقبل فجلس بين يدي الإمام مبالغة في تكريمه وتعظيمه، ثم انصرف عنه[١].

وفاته:

وألمت الأمراض بعمر بن عبد العزيز، ويقول المؤرخون: إنَّه امتنع من التداوي فقيل له: لو تداويت؟ قال: لو كان دوائي في مسح أذني ما مسحتها، نعم المذهوب إليه ربِّي[٢].

وتنص بعض المصادر أنَّه سقي السم من قبل الأمويين لأنَّهم علموا أنَّه إن امتدت أيامه فسوف يخرج الأمر منهم، ولا يعهد بالخلافة إلاَّ لمن يصلح لها فعاجلوه[٣].

❖ يزيد بن عبد الملك:

ولي الخلافة يزيد بن عبد الملك بعهد من أخيه سليمان، وأقام أربعين يوماً يسير بين الناس بسياسة عمر بن عبد العزيز، فشق ذلك على بني أمية، فأتوه بأربعين شيخاً فشهدوا عنده بأنَّه ليس على الخلفاء حساب، ولا عقاب[٤] فعدل عن سياسة عمر، وساس الناس سياسة عنف وجبروت وعمد إلى عزل جميع ولاة عمر.

❖ هشام بن عبد الملك:

بويع هشام بن عبد الملك في اليوم الذي هلك فيه أخوه يزيد وهو يوم الجمعة لخمس بقين من شوال سنة (١٠٥هـ) وهو أحول بني أمية وكان حقوداً على ذوي الأحساب العريقة، ومبغضاً لكل شريف، وكان شديد البغض للعلويين، وهو الذي قتل زيد بن علي، وتعرض الإمام أبو جعفر عليه السلام في عهده إلى ضروب من المحن والآلام كان من بينها ما يلي:

---

(١) تأريخ دمشق: ٣٨/٥١.
(٢) تأريخ ابن الأثير: ٤/ ١٦١.
(٣) الأنافة في مآثر الخلافة: ١/ ١٤٢.
(٤) تأريخ ابن كثير: ٩/ ٢٣٢.

الإمام في دمشق:

أمر الطاغية هشام عامله على يثرب بحمل الإمام إلى دمشق وقد روى المؤرخون في ذلك بروايتين:

الرواية الأولى: أنَّ الإمام عليه السلام لما انتهى إلى دمشق، وعلم هشام بقدومه أوعز إلى حاشيته أنَّه إن دخل عليه الإمام قابلوه بمزيد من التوهين والتوبيخ عندما ينتهي حديثه معه، ودخل الإمام عليه السلام على هشام فسلم على القوم ولم يسلم عليه بالخلافة، فاستشاط غضباً، وأقبل على الإمام عليه السلام فقال له:

«يا محمد بن علي لا يزال الرجل منكم قد شق عصا المسلمين، ودعا إلى نفسه، وزعم أنَّه الإمام سفهاً وقلة علم..».

وسكت هشام فانبرى عملائه فجعلوا ينالون من الإمام ويسخرون منه ووثب عليه السلام فقال:

«أيُّها الناس أين تذهبون؟ وأين يُراد بكم؟ بنا هدى الله أولكم وبنا يختم آخركم، فإن يكن لكم ملك معجل، فإنَّ لنا ملكاً مؤجلاً، وليس بعد ملكنا ملك، لأنَّا أهل العاقبة، والعاقبة للمتقين..»[1].

وخرج عليه السلام وقد ملأ نفوسهم حزناً وأسى، ولم يستطيعوا الرد على منطقه الفيَّاض.

خطاب الإمام في دمشق:

وازدحم أهل الشام على الإمام وهم يقولون: هذا ابن أبي تراب! وكانوا ينظرون إليه نظرة حقد وعداء، فرأى عليه السلام أن يهديهم إلى سواء السبيل، ويعرِّفهم بحقيقة أهل البيت، فقام فيهم خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه، وصلَّى على رسول الله ﷺ ثم قال:

اجتنبوا أهل الشقاق، وذرية النفاق، وحشو النار، وحصب جهنم عن البدر الزاهر، والبحر الزاخر، والشهاب الثاقب، وشهاب المؤمنين، والصراط المستقيم، من قبل أن نطمس وجودها فنردها على أدبارها أو يلعنوا كما لعن أصحاب السبت، وكان أمر الله مفعولاً... ثم قال بعد كلام له:

أبصنو رسول الله ﷺ ـ يعني الإمام أمير المؤمنين ـ تستهزؤون أم بيعسوب الدِّين تلمزون؟ وأي سبل بعده تسلكون؟ وأي حزن بعده تدفعون، هيهات برز ـ والله ـ بالسبق

(١) بحار الأنوار: ١١/ ٧٥.

وفاز بالخصل واستولى على الغاية، وأحرز على الختار[1] فانحسرت عنه الأبصار، وخضعت دونه الرقاب، وفرع الذروة العليا، فكذب من رام من نفسه السعي، وأعياه الطلب، فأنَّى لهم التناوش[2] من مكان بعيد، وأنشد:

أقلوا عليهم لا أبا لأبيكم من اللوم أو سدوا المكان الذي سدوا

أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البنا وإن عاهدوا أوفوا وإن عقدوا شدوا

فأنَّى يسد ثلمة أخي رسول الله صلى الله عليه وآله إذ شفعوا، وشقيقه إذ نسبوا، وند يده إذ قتلوا، وذي قرني كنزها إذ فتحوا، ومصلي القبلتين إذ تحرفوا، والمشهود له بالإيمان إذ كفروا، والمدعي لنبذ عهد المشركين إذ نكلوا والخليفة على المهاد ليلة الحصار إذ جزعوا، والمستودع الأسرار ساعة الوداع..»[3].

ولما ذاع فضل الإمام بين أهل الشام، أمر الطاغية باعتقاله في السجن وقد احتف به السجناء وهم يتلقون من علومه وآدابه، وخشي مدير السجن من الفتنة فبادر إلى هشام فأخبره بذلك فأمره بإخراجه من السجن، وإرجاعه إلى بلده[4].

هذا ما ورد في الرواية الأولى في مجيء الإمام عليه السلام إلى دمشق وما جرى له مع هشام.

الرواية الثانية: رواها لوط بن يحيى الأسدي عن عمارة بن زيد الواقدي قال: حجَّ هشام بن عبد الملك بن مروان سنة من السنين، وكان قد حجَّ فيها الإمام محمد بن علي الباقر وابنه الإمام جعفر الصادق عليهما السلام فقال جعفر أمام حشد من الناس فيهم مسلمة بن عبد الملك:

«الحمد لله الذي بعث محمَّداً بالحقِّ نبياً، وأكرمنا به، فنحن صفوة الله على خلقه، وخيرته من عباده، فالسعيد من تبعنا، والشقي من عادانا وخالفنا..».

وبادر مسلمة بن عبد الملك إلى أخيه هشام فأخبره بمقالة الإمام الصادق فأسرها هشام في نفسه، ولم يتعرض للإمامين بسوء في الحجاز إلاَّ أنَّه لما قفل راجعاً إلى دمشق أمر عامله على يثرب بإشخاصهما إليه ولما انتهيا إلى دمشق حجبهما ثلاثة أيام، ولم

(١) الختار: الغدر.
(٢) التناوش: التناول.
(٣) المناقب: ٤/٢٠٣ ـ ٢٠٤.
(٤) بحار الأنوار: ١١/٧٥.

يسمح لهما بمقابلته استهانة بهما، وفي اليوم الرابع أذن لهما في مقابلته، وكان مجلسه مكتظاً بالأمويين وسائر حاشيته، وقد نصب ندماؤه برحاصا وأشياخ بني أمية يرمونه، يقول الإمام الصادق عليه السلام: فلما دخلنا، كان أبي أمامي وأنا خلفه فنادى هشام:

«يا محمد ارم مع أشياخ قومك..».

فقال أبي: «قد كبرت عن الرمي، فإن رأيت أن تعفيني..».

فصاح هشام: «وحق من أعزنا بدينه، ونبيه محمد ﷺ لا أعفيك..».

وظنَّ الطاغية أنَّ الإمام سوف يخفق في رمايته فيتخذ ذلك وسيلة للحط من شأنه أمام الغوغاء من أهل الشام، وأومأ إلى شيخ من بني أمية أن يناول الإمام عليه السلام قوسه، فناوله، وتناول معه سهماً فوضعه في كبد القوس، ورمى به الغرض فأصاب وسطه، ثم تناول سهماً فرمى به فشق السهم الأول إلى نصله، وتابع الإمام الرمي حتى شق تسعة أسهم بعضها في جوف بعض، ولم يحصل بعض ذلك إلى أعظم رام في العالم، وجعل هشام، يضطرب من الغيظ وورم أنفه، فلم يتمالك أن صاح:

«يا أبا جعفر أنت أرمى العرب والعجم!! وزعمت أنَّك قد كبرت!!» ثم أدركته الندامة على تقريظه للإمام، فأطرق برأسه إلى الأرض والإمام واقف، ولما طال وقوفه غضب عليه السلام وبان ذلك على سحنات وجهه الشريف وكان إذا غضب نظر إلى السماء، ولما بصر هشام غضب الإمام قام إليه واعتنقه، وأجلسه عن يمينه، وأقبل عليه بوجهه قائلاً:

«يا محمد لا تزال العرب والعجم تسودها قريش، ما دام فيها مثلك لله درك!! من علمك هذا الرمي؟ وفي كم تعلمته؟ أيرمي جعفر مثل رميك؟..».

فقال أبو جعفر عليه السلام: «إنَّا نحن نتوارث الكمال».

وثار الطاغية، واحمر وجهه، وهو يتميز من الغيظ، وأطرق برأسه إلى الأرض، ثم رفع رأسه، وراح يقول:

«ألسنا بنو عبد مناف نسبنا ونسبكم واحد؟..».

ورد عليه الإمام مزاعمه قائلاً:

«نحن كذلك، ولكن الله اختصنا من مكنون سرِّه، وخالص علمه بما لم يخصّ به أحداً غيرنا..».

وطفق هشام قائلاً:

«أليس الله بعث محمَّداً ﷺ من شجرة عبد مناف إلى الناس كافة أبيضها وأسودها

وأحمرها، فمن أين ورثتم ما ليس لغيركم؟ ورسول الله مبعوث إلى الناس كافة، وذلك قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فمن أين ورثتم هذا العلم؟ وليس بعد محمد نبي، ولا أنتم أنبياء..».

ورد عليه الإمام ببالغ الحجَّة قائلاً:

«من قوله تعالى لنبيه: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ فالذي لم يحرِّك به لسانه لغيرنا أمره الله تعالى أن يخصنا به من دون غيرنا، فلذلك كان يناجي أخاه علياً من دون أصحابه، وأنزل الله به قرآناً في قوله: ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: سألت الله أن يجعلها أذنك يا علي، فلذلك قال علي: علَّمني رسول الله صلى الله عليه وآله ألف باب من العلم يفتح من كل باب ألف باب، خصَّه به النبي صلى الله عليه وآله من مكنون سرِّه، كما خصَّ الله نبيه، وعلَّمه ما لم يخص به أحداً من قومه، حتى صار إلينا فتوارثناه من دون أهلنا..».

والتاع هشام، فالتفت إلى الإمام وهو غضبان قائلاً: «إنَّ علياً كان يدري علم الغيب؟ والله لم يطلع على غيبه أحداً، فمن أين ادعى ذلك؟..».

وأجابه الإمام عليه السلام بالواقع المشرق من جوانب حياة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قائلاً:

«إنَّ الله أنزل على نبيه كتاباً بين ذاتيه فيه ما كان، وما يكون إلى يوم القيامة في قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ وفي قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ وفي قوله تعالى: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ وفي قوله: ﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ وأوحى الله إلى نبيه أن لا يبقي في عيبة سرّه، ومكنون علمه شيئاً إلاَّ يناجي به علياً، فأمره أن يؤلف القرآن من بعده، ويتولى غسله وتحنيطه من دون قومه، وقال لأصحابه: حرام على أصحابي وقومي أن ينظروا إلى عورتي غير أخي علي، فإنَّه منِّي، وأنا منه، له ما لي، وعليه ما عليَّ، وهو قاضي ديني، ومنجز موعدي، ثم قال لأصحابه: علي بن أبي طالب يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله، ولم يكن عند أحد تأويل القرآن بكماله وعلمه إلاَّ عند علي، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أقضاكم علي» أي هو قاضيكم، وقال عمر بن الخطاب: لولا علي لهلك عمر، يشهد له عمر ويجحده غيره..».

وأطرق هشام برأسه إلى الأرض، ولم يجد منفذاً يسلك فيه للرد على الإمام، فقال له:

«سل حاجتك..».

قال الإمام عليه السلام: «خلفت أهلي وعيالي مستوحشين لخروجي..».

قال هشام: «آنس الله وحشتهم برجوعك إليهم، فلا تقم وسر من يومك..»[1].

وهذه الرواية لم تشر إلى ما جرى على الإمام من الاعتقال في دمشق، كما أنَّ الرواية الأولى قد أهملت جميع ما جاء في الرواية الثانية.

الإمام مع قسيس:

ولما كان الإمام أبو جعفر عليه السلام في الشام التقى مع قسيس من كبار علماء النصارى وجرت بينهما مناظرة اعترف القسيس بعجزه، وعدم استطاعته على محاججة الإمام ومناظرته، وهذا نصها: قال أبو بصير: قال أبو جعفر عليه السلام: مررت بالشام، وأنا متوجه إلى بعض خلفاء بني أمية فإذا قوم يمرون، فقلت: أين تريدون؟ قالوا: إلى عالم لم نر مثله، يخبرنا بمصلحة شأننا، قال عليه السلام: فتبعتهم حتى دخلوا بهواً عظيماً فيه خلق كثير، فلم ألبث أن خرج شيخ كبير متوكىء على رجلين، قد سقطت حاجباه على عينيه، وقد شدهما فلما استقر به المجلس نظر إليَّ وقال:

ـ منَّا أنت أم من الأُمَّة المرحومة؟

ـ من الأُمَّة المرحومة.

ـ أمن علمائها أمن جهالها؟

ـ لست من جهالها.

ـ أنتم الذين تزعمون أنَّكم تذهبون إلى الجنَّة فتأكلون وتشربون، ولا تحدثون؟!!

ـ نعم.

ـ هات على هذا برهاناً.

ـ نعم الجنين يأكل في بطن أُمّه من طعامها، ويشرب من شرابها، ولا يحدث.

ـ ألست زعمت أنَّك لست من علمائها؟

ـ قلت: لست من جهالها.

ـ أخبرني عن ساعة ليست من النهار، ولا من اللَّيل؟

ـ هذه ساعة من طلوع الشمس، لا نعدها من ليلنا، ولا من نهارنا وفيها تفيق المرضى.

---

(١) دلائل الإمامة: ص١٠٤ ـ ١٠٦.

وبهر القسيس، وراح يقول للإمام:

ـ ألست زعمت أنَّك لست من علمائها.

ـ إنَّما قلت: لست من جهالها.

ـ والله لأسألنك عن مسألة ترتطم فيها.

ـ هات ما عندك.

ـ أخبرني عن رجلين ولدا في ساعة واحدة، وماتا في ساعة واحدة؟ عاش أحدهما مائة وخمسين سنة، وعاش الآخر خمسين سنة؟

ـ ذاك عزير وعزيرة، عاش أحدهما خمسين عاماً، ثم أماته الله مائة عام، فقيل له كم لبثت؟ قال: يوماً أو بعض يوم، وعاش الآخر مائة وخمسين عاماً، ثم ماتا جميعاً.

وصاح القسيس بأصحابه، والله لا أكلمكم، ولا ترون لي وجهاً اثني عشر شهراً[١].

إغلاق الحوانيت بوجه الإمام:

وأمر الطاغية بمغادرة الإمام أبي جعفر عليه السلام دمشق خوفاً أن يفتتن الناس به، ويتبلور الرأي العام ضد بني أمية، وقد أوعز إلى أسواق المدن والمحلات التجارية الواقعة في الطريق أن تغلق محلاتها بوجهه، ولا تبيع عليه أية بضاعة، وقد أراد بذلك هلاك الإمام عليه السلام والقضاء عليه، وسارت قافلة الإمام عليه السلام وقد أضناها الجوع والعطش فاجتازت على بعض المدن فبادر أهلها إلى إغلاق محلاتهم بوجه الإمام، ولما رأى الإمام ذلك صعد على جبل هناك، ورفع صوته قائلاً: «يا أهل المدينة الظالم أهلها أنا بقية الله، يقول الله تعالى: ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾، ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾».

وما أنهى الإمام هذه الكلمات حتى بادر شيخ من شيوخ المدينة فنادى أهل قريته قائلاً: «يا قوم هذه والله دعوة شعيب، والله لئن لم تخرجوا إلى هذا الرجل بالأسواق لتؤخذن من فوقكم، ومن تحت أرجلكم فصدقوني هذه المرة، وأطيعوني، وكذبوني فيما تستأنفون فإنِّي ناصح لكم..».

وفزع أهل القرية فاستجابوا لدعوة الشيخ الذي نصحهم، ففتحوا حوانيتهم واشترى الإمام ما يريده من المتاع[٢].

---

(١) الدر النظيم: ص١٩٠؛ دلائل الإمامة: ص١٠٦.

(٢) المناقب: ٤/ ٦٩٠، البحار: ١١/ ٧٥.

عصر الإمام

لقد كان عصر الإمام عليه السلام من أدق العصور الإسلامية، وأكثرها حساسية فقد نشأت فيه الكثير من الفرق الإسلامية التي كانت من أخطر الظواهر الفكرية والاجتماعية في ذلك العصر، كما تصارعت فيه الأحزاب السياسية كأشد ما يكون التصارع ممَّا أدَّى إلى وقف المد الإسلامي، والانحراف عن مجراه إلى مجرى آخر ليس فيه أي بصيص من النُّور والوعي.

وعلى أيٍّ حال فإنَّا نبحث عن جميع مظاهر الحياة في ذلك العصر، ولا نترك أي جانب منها، وفيما يلي ذلك:

❖ المعتزلة:

ولعبت المعتزلة دوراً خطيراً في تاريخ الحياة الفكرية والاجتماعية في ذلك العصر.

الإمام الباقر مع قادة الاعتزال:

والتقى كبار قادة الاعتزال بالإمام أبي جعفر، وجرت بينهما مناظرات وفيما يلي بعضها:

١ ـ مع الحسن البصري:

ووفد الحسن البصري إلى يثرب فتشرَّف بمقابلة الإمام أبي جعفر عليه السلام فقال للإمام:

ـ جئت لأسألك عن أشياء من كتاب الله؟

ـ ألست فقيه أهل البصرة؟

ـ قد يُقال ذلك.

ـ هل بالبصرة أحد تأخذ عنه؟

ـ لا.

ـ فجميع أهل البصرة يأخذون عنك؟

ـ نعم.

ـ لقد تقلدت عظيماً من الأمر، بلغني عنك أمر فما أدري أكذاك أنت أم يُكذب عليك؟

ـ ما هو؟

ـ زعموا أنَّك تقول: إنَّ الله خلق العباد ففوض إليهم أمورهم. وأطرق الحسن البصري برأسه إلى الأرض وحار في الجواب، فبادره الإمام قائلاً:

ـ أرأيت من قال له الله في كتابه: إنَّك آمن هل عليه خوف بعد القول منه؟

ـ لا.

ـ إنِّي أعرض عليك أية، وأنهي إليك خطاباً، ولا أحسبك إلاَّ وقد فسرته على غير وجهه، فإن كنت فعلت ذلك فقد هلكت، وأهلكت.

ـ ما هو؟

ـ أرأيت حيث يقول الله: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِي بَـٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَـٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ﴾ ﴿سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ﴾[1] بلغني أنَّك أفتيت الناس فقلت: هي مكة.

قال الحسن البصري: بلى.

وأخذ الإمام يستدل على ما ذهب إليه في تفسير الآية حتى بهت الحسن البصري وحار في الجواب، ثم نهاه عن القول بالتفويض وبين فساده[2].

❖ المرجئة:

وظهرت المرجئة على الصعيد الإسلامي في العصر الأموي، وقد لعبت دوراً خطيراً في مسرح الأحداث السياسية في تلك العصور، وساهمت مساهمة إيجابية في تدعيم الحكم الأموي والدفاع عنه.

الإمام مع عمرو الماصر:

وكان عمرو بن قيس الماصر ممَّن يذهب إلى الأرجاء، وقد قصد مع زميل له الإمام أبا جعفر عليه السلام فانبرى عمرو إلى الإمام قائلاً: «إنَّا لا نخرج أهل دعوتنا، وأهل ملتنا من الإيمان في المعاصي والذّنوب».

فردَّ عليه الإمام مزاعمه الفاسدة قائلاً: «يابن قيس أما رسول الله صلى الله عليه وآله فقد قال: «لا

(١) سورة سبأ: آية ١٨.
(٢) الاحتجاج: ٢/٦٢ ـ ٦٣.

يزني الزاني وهو مؤمن ولا يسرق السارق وهو مؤمن» فاذهب أنت وأصحابك حيث شئت»[١].

❖ الخوارج:

الخوارج من أقدم الفرق الثورية التي ظهرت على مسرح الحياة السياسية في الإسلام.

الإمام الباقر مع نافع:

وفد نافع الأزرق وهو من أعلام الخوارج على الإمام أبي جعفر عليه السلام فأخذ يسأله عن بعض المسائل الدينية، والإمام عليه السلام يجيبه عنها، وبعد ما فرغ من أسئلته قال له الإمام:

قل لهذه المارقة بم استحللتم فراق أمير المؤمنين عليه السلام وقد سفكتم دماءكم بين يديه في طاعته، والقربة إلى الله في نصرته؟ وسيقولون لك: إنَّه قد حكم في دين الله، فقل لهم: قد حكم الله في شريعة نبيه رجلين من خلقه فقال: ﴿فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ﴾[٢] وحكم رسول الله ﷺ سعد بن معاذ في بني قريضة فحكم فيهم بما أمضاه الله عزَّ وجلَّ، أو ما علمتم أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام إنَّما أمر الحكمين أن يحكما بالقرآن، ولا يتعديا، واشترط رد ما خالف القرآن من أحكام الرجال، وقال حين قالوا له: قد حكمت على نفسك، من حكم عليك فقال: ما حكمت مخلوقاً، وإنَّما حكمت كتاب الله، فأين تجد المارقة تضليل من أمر الحكمين بالقرآن واشترط رد ما خالفه لولا ارتكابهم في بدعتهم البهتان».

وبهر نافع بهذا الكلام المشرق، وطفق يقول:

«هذا والله كلام ما مر بسمعي قط، ولا خطر ببالي، وهو الحق إن شاء الله»[٣].

الكفر والإلحاد:

وظهرت موجات من الكفر والإلحاد والزندقة في العصر الأموي حملها إلى البلاد الإسلامية بعض العناصر الحاقدة على الإسلام والباغية عليه وقد أعرضت الحكومات

---

(١) تفسير فاتحة الكتاب للأميني: ص١٦٤.

(٢) سورة النساء: آية ٣٥.

(٣) روضة الواعظين: ١/ ٢٤٥.

الأموية عن ملاحقة دعاتها ممَّا أوجب انتشارها بين المسلمين، وقد تصدى الإمام أبو جعفر عليه السلام وولده الإمام الصادق عليه السلام إلى تزيفها ونقدها، وكان من بين ما عرض له الإمام الباقر عليه السلام إلى الرد عليه ما يلي:

إنَّ الإمام أبا جعفر عليه السلام كان جالساً في فناء الكعبة، فقصده رجل فقال له:

ـ هل رأيت الله حيث عبدته؟

ـ ما كنت لأعبد شيئاً لم أره.

ـ كيف رأيته؟

ـ لم تره الأبصار بمشاهدة العيان، ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان، لا يدرك بالحواس، ولا يُقاس بالناس، معروف بالآيات منعوت بالعلامات، لا يجور في قضيته، بان من الأشياء، وبانت الأشياء منه، ليس كمثله شيء ذلك الله لا إلّه إلاَّ هو.

وأبطل الإمام عليه السلام شبهات الرجل وفند أوهامه، وقد بنى كلامه عليه السلام على الواقع المشرق من جوانب التوحيد، وبهر الرجل من كلام الإمام وراح يقول: «الله أعلم حيث يجعل رسالته فيمن يشاء»[1].

الإمام مع عالم شامي:

روى محمد بن عطية أنَّ رجلاً من أهل الشام وفد على الإمام أبي جعفر عليه السلام فقال له: إنَّ عندي مسألة كلَّما سألت عنها العلماء عجزوا عن الإجابة عنها، فقال له الإمام:

«ما هي؟».

الشامي: سؤالي عن أول ما خلق الله؟ فأجابني بعض بالقدر، وبعض بالقلم، وآخر بالرُّوح.

فقال الإمام عليه السلام: لم يصل القوم إلى الصواب، أخبرك أنَّ الله تبارك وتعالى كان ولا شيء غيره، وكان عزيزاً ولا أحد كان قبل عزه، وذلك قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾.

وكان الخالق قبل المخلوق، ولو كان أول ما خلق من خلقه الشيء من الشيء إذاً لم يكن له انقطاع أبداً، ولم يزل الله إذاً ومعه شيء ليس هو يتقدمه، ولكنَّه كان إذاً لا شيء غيره، وخلق الشيء الذي جميع الأشياء منه وهو الماء الذي خلق الأشياء منه

---

(١) تأريخ دمشق: ٤٥/٥١، زهر الآداب: ١١٦/١.

فجعل نسب كل شيء إلى الماء، ولم يجعل للماء نسباً يُضاف إليه وخلق الريح من الماء، ثم سلَّط الريح على الماء فشققت الريح متن الماء حتى صار من الماء زبداً على قدر ما شاء أن يثور فخلق من ذلك الزبد أرضاً بيضاء نقية ليس فيها صدع، ولا ثقب ولا صعود ولا هبوط، ولا شجرة ثئم، فوضعها فوق الماء، ثم خلق الله النار فشققت النار متن الماء حتى صار من الماء دخان على قدر ما شاء أن يثور فخلق من ذلك الدخان سماءً صافية نقية ليس فيها صدع ولا نقب، وذلك قوله: ﴿...أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمۡكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغۡطَشَ لَيۡلَهَا وَأَخۡرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾﴾.

وأضاف عليه السلام قائلاً: ولا شمس ولا قمر ولا نجوم ولا سحاب ثم طواها فوضعها فوق الأرض، ثم نسب الخليقين... فوضع السماء قبل الأرض فذلك قوله عزَّ ذكره: ﴿وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ أي بسطها.

قال الشامي: يا أبا جعفر قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ﴾.

قال أبو جعفر: لعلَّك تزعم أنَّهما كانتا رتقاً ملتزقتان ففتقت إحداهما من الأخرى.

قال الشامي: نعم.

قال أبو جعفر: استغفر ربك، فإنَّ قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿كَانَتَا رَتۡقٗا﴾ يقول: كانت السماء رتقاً لا تنزل المطر، وكانت الأرض رتقاً لا تنبت الحب، فلما خلق الله تبارك وتعالى الخلق وبث فيها - أي في الأرض - من كل دابة ففتق السماء بالمطر والأرض بنبات الحب...».

وبهر الشامي من سعة علوم الإمام وإحاطته بكل فن من الفنون، فراح يقول: «أشهد أنَّك من أولاد الأنبياء، وأنَّ علمك علمهم»[1].

صفات الله:

لقد عمَّ النزاع بين المسلمين وغيرهم في المسائل الكلامية وكان من أهمها النزاع في صفات الله، ويقول المؤرخون: إنَّه تجادل جهم بن صفوان مع بعض السمنية[2] فقالوا له:

«نكلِّمك فإن غلبناك دخلت في ديننا، وإن غلبتنا دخلنا في دينك».

---

(١) بحار الأنوار، ورويت هذه الرواية بصورة موجزة في توحيد الصدوق.

(٢) السمنية: طائفة من الهند تقول بتناسخ الأرواح.

«ألست تزعم أنَّ لك إلّهاً».

ـ «بلى».

ـ «هل رأيت إلّهك؟».

ـ «لا».

ـ «هل سمعت كلامه؟».

ـ «لا».

ـ «أشممت له رائحة؟».

ـ «لا».

ـ «ما يدريك أنّه إلّه؟».

ـ فأجابهم جهم برائع الحجَّة قائلاً:

ـ «ألستم تزعمون أنَّ فيكم روحاً؟».

ـ «بلى».

ـ «هل رأيتم روحكم؟».

ـ «لا».

ـ «هل سمعتم كلامها؟».

ـ «لا».

ـ «فكذلك الله لا يرى له وجه، ولا يسمع له صوت، ولا تشم له رائحة، وهو غائب عن الأبصار، ولا يكون في مكان دون مكان»[1].

الثورات العارمة

وتفجرت السياسة الأموية ببركان مدمِّر من الظلم والجور عصف باقتصاد الأُمَّة، وأمنها ورخائها، ولم يعد على الصعيد الاجتماعي أي ظل لكرامتها وعزتها وحريتها، فقد أخذت ترزح مثقلة بالقيود تحت وطأة ذلك الحكم الذي كفر بحقوق الإنسان، وانحرف عن كل قصد سليم.

وكان من أهم الثورات التي حدثت في عصر الإمام أبي جعفر عليه السلام ما يلي:

(١) الرد على الجهمية والزندقة: ص١١ لابن حنبل.

ثورة المدينة:

وسمَّاها المؤرخون بواقعة «الحرة» وهي أفجع حادثة في الإسلام بعد كارثة كربلاء، فقد انتهكت فيها جميع الحرمات، واستباح الجيش الآثم نفوس المسلمين وأموالهم وأعراضهم.

ثورة التوابين:

وكان مركزها الكوفة، فقد ندم الشيعة هناك على ما اقترفوه من عظيم الإثم في خذلانهم لسيِّد الشُّهداء الإمام الحسين عليه السلام في حين أنَّهم هم الذين كاتبوه بالقدوم إلى مصرهم وألحوا عليه برسائلهم ووفودهم.

ثورة المختار:

المختار ألمع شخصية عرفها التأريخ العربي والإسلامي، فقد كان من أبرز السياسيين في رسم المخططات، ووضع المناهج للتغلب على الأحداث، وقد كان على جانب كبير من الدراية بعلم النفس، والإلمام بوسائل الدعاية والإعلام، وكان يخاطب عواطف الناس، كما كان يخاطب عقولهم، وكان لا يكتفي بوسائل الدعاية المعروفة حينئذٍ كالخطابة والشعر بل لجأ إلى وسائل كثيرة للدعاية منها التمثيل والمظاهرات والإشاعات[(١)].

الإبادة الشاملة:

وأسرع المختار إلى تنفيذ حكم الإعدام بلا هوادة بكل من اشترك في قتل سيِّد شباب أهل الجنَّة الإمام الحسين عليه السلام.

ثورة ابن الزبير:

أما ثورة ابن الزبير فلم تهدف إلى صالح الأُمَّة وإسعادها وإنَّما جاءت لنقل الخلافة والملك إلى آل الزبير.

---

(١) المختار: ص٤٣.

عداؤه للعلويين:

وأترعت نفس ابن الزبير بالكراهية والبغض لآل النبي ﷺ فقد كان حاقداً عليهم كأشد ما يكون الحقد.

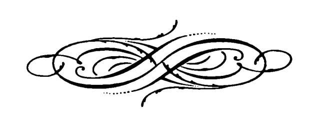
الحياة الاقتصادية

أما الحياة الاقتصادية في عصر الإمام فقد كانت مشلولة ومضطربة فقد انحصرت ثروة البلاد عند الفئة الحاكمة آنذاك، وعند عملائها وهم ينفقونها بسخاء على شهواتهم وملاذهم، ويتفنون في أنواع الملذَّات في حين أنَّ عامة الشعب كانت في حالة شديدة من البؤس والفقر، فالأسعار قد أرهقت كواهل الناس، وكلفتهم من أمرهم شططاً، قد خلت أكثر البيوت من حاجات الحياة، وأصبحت الناس طاوية بطونهم عارية أجسامهم.

ومن الطبيعي أنَّ تلك الأوضاع المؤلمة والصور الحزينة قد تركت التياعاً مستوعباً لنفس الإمام عليه السلام لأنَّه بحكم قيادته الرُّوحيَّة وأبوته العامة للمسلمين يعز عليه عنتهم وشقاءهم، ويسوءه أن يراهم بتلك الحالة الراهنة من البؤس والشقاء.

أصحابه

وكان من أهم ما عنى به الإمام أبو جعفر عليه السلام نشر العلم وإذاعته بين الناس، وقد جهد على تربية جماعة فغذاهم بفقهه وعلومه، فكانوا من مراجع الفتيا في العالم الإسلامي، ومن مفاخر هذه الأُمَّة، وقد عهد إلى ولده الإمام الصادق عليه السلام القيام بنفقاتهم ليتفرغوا إلى تدوين الحديث الذي سمعوه منه، وتعد الكوكبة من العلماء التي تخرجت على يده من خيار أصحاب الأئمة عليهم السلام ومن عيون الفقهاء والعلماء وقد أشاد بهم الإمام الصادق عليه السلام وفضلهم على أصحابه، فقد خاطب أصحابه قائلاً: «كان أصحاب أبي والله خيراً منكم، كان أصحاب أبي ورقاً لا شكوك فيه، وأنتم اليوم شوك، لا ورق فيه».



إلى جنَّة المأوى

الإمام ينعى نفسه:

وشعر الإمام العظيم بدنو أجله المحتوم، وأخذت تراوده هواجس مريرة بين لحظة وأخرى وهي تنذره بمفارقة الحياة، فخف مسرعاً، وهو مثقل بالهموم نحو عمته السيِّدة فاطمة بنت الإمام الحسين عليه السلام وهو ينعى إليها نفسه قائلاً:

«لقد أتت عليَّ ثمان وخمسون سنة...»[١].

وعلمت السيِّدة ما أراد فذاب قلبها أسىً وحسرات على ابن أخيها الذي هو بقية أهلها الذين حصدتهم سيوف البغي والضلال... لقد أتت على الإمام ثمان وخمسون سنة وهي مليئة بالخطوب والأحداث، وقد أشاعت في نفسه الأسى والحزن.

اغتيال الإمام:

ولم يمت الإمام أبو جعفر عليه السلام حتف أنفه، وإنَّما اغتالته بالسم أيد أثيمة لا عهد لها بالله، ولا باليوم الآخر، وقد اختلف المؤرّخون في الأثيم الذي قدم على اقتراف هذه الجريمة، وفيما يلي بعض الأقوال:

١ ـ إنَّ هشام بن الحكم هو الذي قدم على اغتيال الإمام فدسَّ إليه السم[٢] والأرجح هو هذا القول لأنَّ هشاماً كان حقوداً على آل النبي ﷺ وكانت نفسه مترعة بالبغض والكراهية لهم وهو الذي ألجأ الشهيد العظيم زيد بن علي عليه السلام إلى إعلان الثورة عليه حينما استهان به، وقابله بمزيد من الجفاء، والتحقير، ومن المؤكد أنَّ الإمام العظيم أبا جعفر قد اقض مضجع هذا الطاغية، وذلك لذيوع فضله وانتشار علمه، وتحدث المسلمين عن مواهبه، فقدم على اغتياله ليتخلص منه.

---

(١) تذكرة الخواص: ص٣٥٠.

(٢) بحار الأنوار وغيره.

٢ ـ إنَّ الذي قدم على سم الإمام هو إبراهيم بن الوليد[١] ويرى السيِّد ابن طاووس أنَّ إبراهيم بن الوليد قد شرك في دم الإمام عليه السلام[٢] ومعنى ذلك أنَّ إبراهيم لم ينفرد وحده باغتيال الإمام عليه السلام وإنَّما كان مع غيره.

وأهملت بعض المصادر اسم الشخص الذي اغتال الإمام عليه السلام واكتفت بالقول إنَّه مات مسموماً[٣].

دوافع اغتيال الإمام:

أما الأسباب التي أدَّت الأمويين إلى اغتيالهم للإمام عليه السلام فهي ـ فيما نحسب ـ كما يلي:

١ ـ سمو شخصية الإمام:

لقد كان الإمام أبو جعفر عليه السلام أسمى شخصية في العالم الإسلامي فقد أجمع المسلمون على تعظيمه، والاعتراف له بالفضل، وكان مقصد العلماء من جميع البلاد الإسلامية للانتهال من نمير علومه وفضله التي هي امتداد ذاتي لعلوم جده رسول الله صلى الله عليه وآله.

لقد ملك الإمام عليه السلام عواطف الناس واستأثر بإكبارهم، وتقديرهم لأنَّه العلم البارز في الأسرة النبوية، وقد أثارت منزلته الاجتماعية غيظ الأمويين وحقدهم فأجمعوا على اغتياله للتخلص منه.

٢ ـ أحداث دمشق:

من الأسباب التي أدَّت الأمويين إلى اغتياله عليه السلام هي الأحداث التي جرت للإمام حينما كان في دمشق وهي:

أ ـ تفوق الإمام في الرمي على بني أمية وغيرهم حينما دعاه هشام إلى الرمي ظاناً أنَّه سوف يفشل في رميه فلا يصيب الهدف فيتخذ ذلك وسيلة للحط من شأنه والسخرية به أمام أهل الشام، ولما رمى الإمام، وأصاب الهدف عدة مرَّات بصورة مذهلة لم يعهد لها نظير في عمليات الرمي في العالم، فذهل الطاغية هشام، وأخذ يتميز غيظاً، وضاقت عليه الأرض بما رحبت، وصمم منذ ذلك الوقت على اغتياله.

---

(١) أخبار الدول: ص١١١.
(٢) بحار الأنوار.
(٣) نور الأبصار: ص١٣١.

ب ـ مناظرته مع هشام في شؤون الإمامة، وتفوق الإمام عليه حتى بان عليه العجز وقد أدَّت إلى حقده عليه.

ج ـ مناظرته مع عالم النصارى، وتغلبه عليه حتى اعترف بالعجز عن مجاراته، وقد أصبحت الحديث الشاغل لجماهير أهل الشام، وقد ذكرنا هذه الأمور بمزيد من التفصيل في البحوث السابقة.

نصه على الإمام الصادق:

ونصَّ الإمام أبو جعفر عليه السلام على إمامة الإمام الصادق عليه السلام مفخرة هذه الدُّنيا، ورائد الفكر والعلم في الإسلام، فعينه خليفة وإماماً، ومرجعاً عاماً للأُمَّة من بعده، وأوصى شيعته بلزوم اتباعه وطاعته.

وصاياه:

وعهد الإمام محمد الباقر عليه السلام إلى ولده الإمام جعفر الصادق عليه السلام بعدة وصايا كان من بينها ما يلي:

١ ـ أنَّه قال له: يا جعفر أوصيك بأصحابي خيراً، فقال له الإمام الصادق: جُعلت فداك والله لأدعنهم، والرجل منهم يكون في المصر فلا يسأل أحداً[(١)] لقد أوصى عليه السلام ولده بأصحابه ليقوم بالإنفاق عليهم، والتعهد بشؤونهم ليتفرغوا للعلم، وتدوين حديثه وإذاعته معارفه، وآدابه بين الناس.

٢ ـ أوصى عليه السلام ولده الصادق عليه السلام أن يكفنه في قميصه الذي كان يصلِّي فيه[(٢)] ليكون شاهد صدق عند الله على عظيم عبادته.

٣ ـ إنَّه أوقف بعض أمواله على نوادب تندبه عشر سنين في منى[(٣)].

أما نص وصيته فقد رواها الإمام أبو عبد الله الصادق عليه السلام قال عليه السلام: لما حضرت أبي الوفاة قال: ادع لي شهوداً فدعوت له أربعة من قريش فيهم نافع مولى عبد الله بن عمر، فقال: أكتب: «هذا ما أوصى به يعقوب بنيه ﴿يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ وأوصى محمد بن علي إلى جعفر بن محمد، وأمره أن يكفنه في برده

(١) أُصول الكافي: ١/٣٠٦.
(٢) صفة الصفوة: ٢/٦٣.
(٣) بحار الأنوار: ١١/٦٢.

الذي كان يصلِّي فيه الجمعة، وأن يعممه بعمامته، وأن يربع قبره، ويرفعه أربع أصابع، وأن يحل عنه أطماره عند دفنه.

والتفت عليه السلام إلى الشهود فأمرهم بالانصراف، وقال الإمام الصادق عليه السلام: يا أبة ما كان في هذا بأن تشهد عليه؟ فقال عليه السلام: كرهت أن تغلب، وأن يُقال إنَّه لم يوص إليه فأردت أن تكون لك الحجَّة[١].

إلى الفردوس الأعلى:

وتفاعل السم في بدن الإمام أبي جعفر عليه السلام، وأثر به تأثيراً بالغاً، وأخذ يدنو إليه الموت سريعاً، وقد اتجه في ساعاته الأخيرة بمشاعره وعواطفه نحو الله تعالى، وأخذ يقرأ القرآن الكريم، ويستغفر الله، وبينما لسانه مشغول بذكر الله إذ وافاه الأجل المحتوم فارتفعت روحه العظيمة إلى خالقها، تلك الرُّوح التي أضاءت الحياة الفكرية والعلمية في الإسلام والتي لم يخلق لها نظير في عصره.

وقد انطوت بموته أروع صفحة من صفحات الرسالة الإسلامية أمدت المجتمع الإسلامي بعناصر الوعي والتطور والازدهار.

تجهيزه:

وقام الإمام الصادق عليه السلام بتجهيز الجثمان المقدَّس فغسله وكفنه، وهو يذرف أحر الدموع على فقد أبيه الذي ما أظلت مثله سماء الدُّنيا في عصره علماً وفضلاً وحريجة في الدِّين.

عمره الشريف:

أما عمره الشريف حين وفاته فقد اختلف فيه المؤرخون والرواة وهذه بعض الأقوال:

١ ـ إنَّه توفي وله من العمر (٧٣ سنة)[٢].

٢ ـ كان عمره حين وفاته (٦٣ سنة)[٣].

٣ ـ توفي وعمره ٦١ سنة[٤].

---

(١) أُصول الكافي: ١/٣٠٧.

(٢) صفة الصفوة: ٢/٦٣.

(٣) طبقات الفقهاء لأبي إسحاق الشيرازي: ص٣٦.

(٤) بحار الأنوار: ١١/٦٣.

٤ ـ توفي وعمره ٦٠ سنة[١].

٥ ـ توفي وعمره ٥٨ سنة[٢].

٦ ـ توفي وعمره ٥٦ سنة[٣].

٧ ـ توفي وعمره ٥٥ سنة[٤].

والمشهور بين الرواة أنَّه توفي وعمره الشريف ٥٨ سنة وقد دلَّت على ذلك بعض الروايات التي تقدَّمت.

سنة وفاته:

واختلف المؤرخون في السنة التي توفي فيها الإمام، وفيما يلي بعض ما ذكروه:

١ ـ إنَّه توفي سنة [١٢٧هـ][٥].

٢ ـ توفي سنة [١١٨هـ][٦].

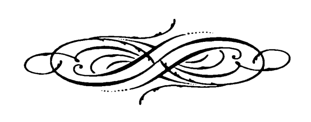
٣ ـ توفي سنة [١١٧هـ][٧].

٤ ـ توفي سنة [١١٦هـ][٨].

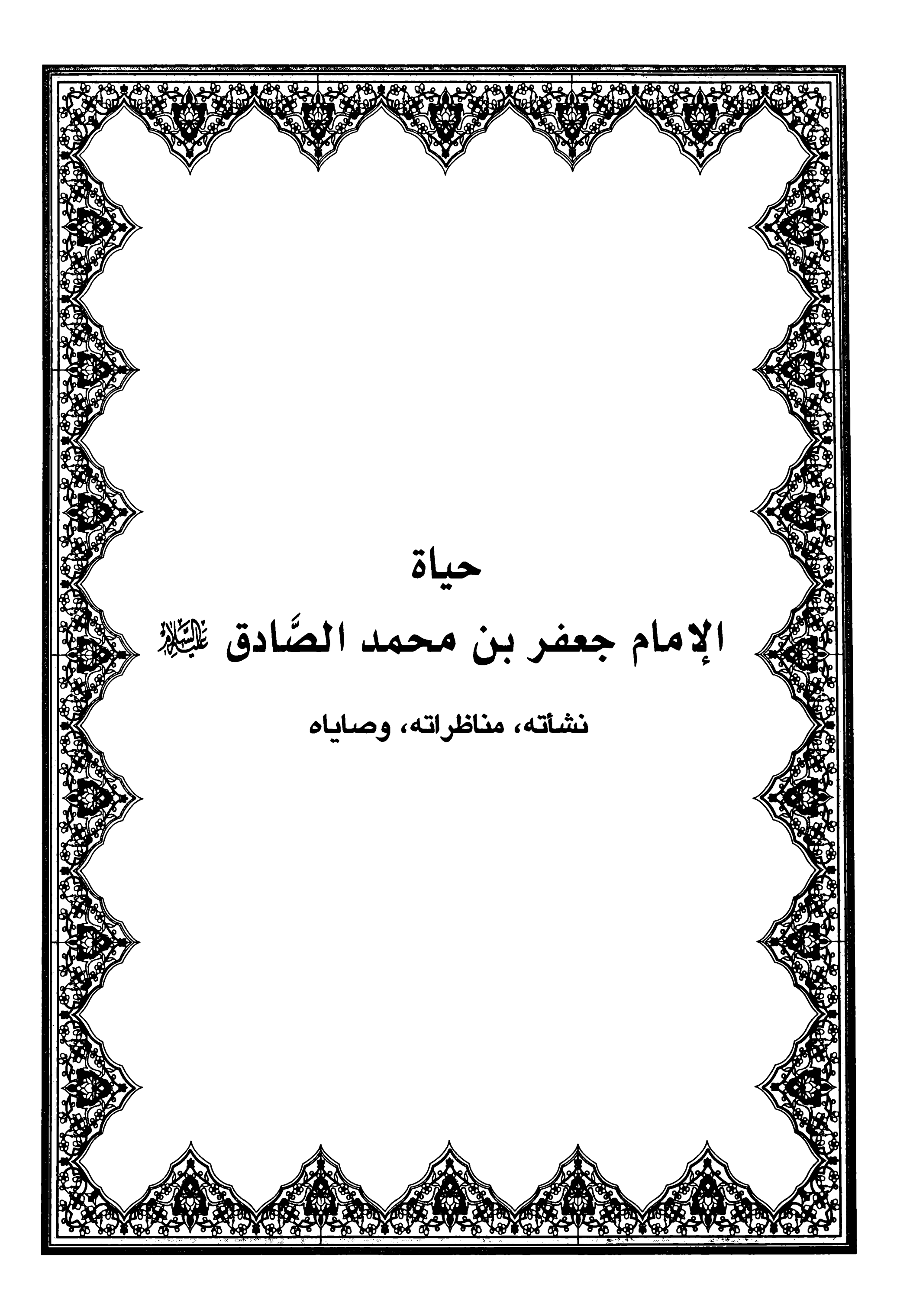
٥ ـ توفي سنة [١١٤هـ][٩].

٦ ـ توفي سنة [١١٣هـ][١٠].

هذه بعض الأقوال التي ذكرها المؤرخون، والمشهور أنَّه توفى سنة [١١٤هـ].

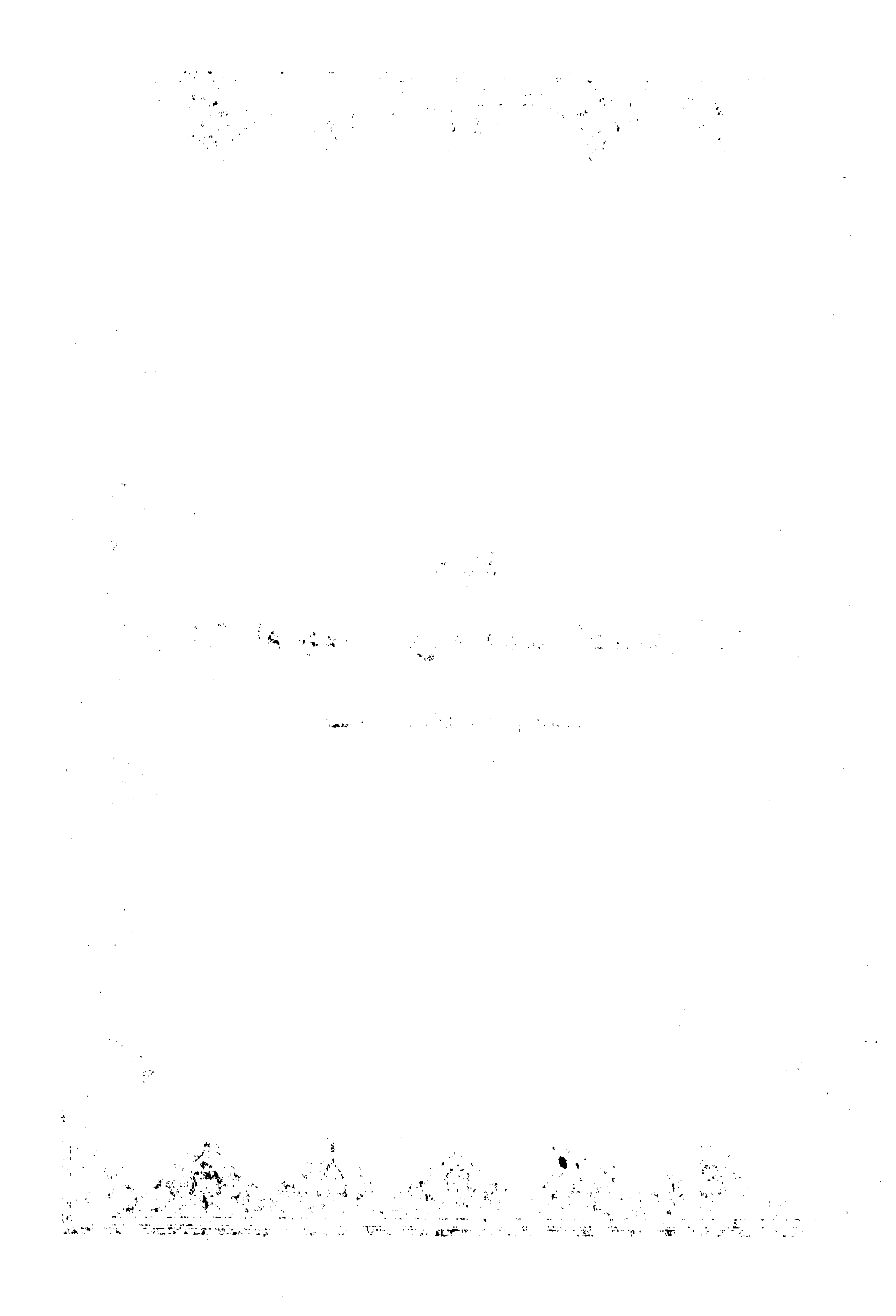


(١) مختصر تأريخ الإسلام للفاخوري: ص٨٥.
(٢) تأريخ الخميس: ٢/ ٣١٩.
(٣) تأريخ الأئمة: ص٥.
(٤) النفحة العنبرية.
(٥) مختصر تأريخ الإسلام: ص٨٥.
(٦) تأريخ خليفة خياط: ٢/ ٢٦٣.
(٧) صفة الصفوة: ٢/ ٦٣.
(٨) تأريخ ابن الوردي: ١/ ١٨٤.
(٩) شذرات الذهب: ١٤٩/١.
(١٠) دائرة المعارف لوجدي: ٣/ ٥٦٣.



حياة
الإمام جعفر بن محمد الصَّادق عليه السلام

نشأته، مناظراته، وصاياه



مشرق النُّور

الأُسرة الكريمة:

الإمام الصَّادق عليه السلام من أسرة كريمة، هي أجلّ وأسمىٰ أُسرة في دُنيا العرب والإسلام، تلك الأُسرة التي أنجبت خاتم النَّبيِّين، وسيِّد المرسلين، محمَّد صلى الله عليه وآله، وأنجبت عظماء الأئمَّة، وأعلام العلماء.

الأب:

أمَّا أبو الإمام الصَّادق عليه السلام فهو الإمام محمَّد الباقر عليه السلام سيِّد الناس لا في عصره، وإنَّما في جميع العصور على امتداد التاريخ علماً وفضلاً وتقوى[1].

الأُمّ:

أمَّا أُمّ الإمام الصَّادق عليه السلام فهي السيِّدة المهذَّبة الزكيَّة (أُمّ فروة) بنت الفقيه القاسم بن محمَّد بن أبي بكر، وكانت من سيِّدات النِّساء عفَّة وشرفاً وفضلاً.

مشرق النُّور:

ولم تمضِ فترة طويلة من زواج السيِّدة (أُمّ فروة) بالإمام محمَّد الباقر عليه السلام حتَّى حملت، وعمَّت البشرى أفراد الأُسرة العلويَّة، وتطلَّعوا إلى المولود العظيم تطّلعهم لمشرق الشمس.

تسميته:

أمَّا اسمه الشريف فهو(جعفر)، ونصَّ كثير من المؤرّخين أنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله هو الذي سمَّاه بهذا الاسم، ولقَّبه بالصَّادق.

ألقابه:

أمَّا ألقابه فهي تلقي الأضواء على سموِّ شخصيَّته العظيمة، وما يتمتَّع به من محاسن الصفات، وهي:

---

(١) الفصول المهمَّة: ص١٩٢.

١ ـ **الصَّادق**: لقَّبه بذلك جدّه الرسول ﷺ لأنَّه أصدق إنسان في حديثه وكلامه.

وقيل: إنَّ المنصور الدوانيقي الذي هو من ألدّ أعدائه، هو الذي أضفى عليه هذا اللقب، والسبب في ذلك ـ حسبما يقول الرواة ـ أنَّ أبا مسلم الخراساني طلب من الإمام الصَّادق عليه السلام أن يدلّه على قبر جدِّه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، فامتنع، وأخبره أنَّه إنَّما يظهر القبر الشريف في أيَّام رجل هاشمي يُقال له أبو جعفر المنصور، وأخبر أبو مسلم المنصور بذلك في أيَّام حكومته، وهو في الرصافة ببغداد، ففرح بذلك وقال: «هذا هو الصَّادق»[١].

٢ ـ **الصابر**[٢]: ولقِّب بذلك لأنَّه صبر على المحن الشاقَّة والخطوب المريرة التي تجرَّعها من خصومه الأُمويِّين والعبَّاسيِّين.

٣ ـ **الفاضل**[٣]: لقِّب بذلك لأنَّه كان أفضل أهل زمانه وأعلمهم، لا في شؤون الشريعة وإنَّما في جميع العلوم.

٤ ـ **الطاهر**[٤]: لأنَّه أطهر إنسان في عمله وسلوكه واتّجاهاته.

٥ ـ **عمود الشرف**[٥]: لقد كان الإمام عليه السلام عمود الشرف، وعنوان الفخر والمجد لجميع المسلمين.

٦ ـ **القائم**[٦]: من ألقابه الشريفة، وفيما أحسب أنَّه إنَّما لقِّب بذلك لأنَّه كان قائماً بإحياء دين الله، والذبّ عن شريعة سيِّد المرسلين ﷺ.

٧ ـ **الكافل**[٧]: إنَّما لقِّب بذلك لأنَّه كان كافلاً للفقراء والأيتام والمحرومين، فقد قام بالإنفاق عليهم وإعالتهم.

٨ ـ **المنجي**[٨]: من ألقابه الكريمة المنجي من الضلالة، فقد هدى من التجأ إليه، وأنقذ من اتَّصل به.

---

(١) أعيان الشيعة، القسم الثاني: ٤/ ٩١.
(٢) مرآة الزمان: ٥، الورقة ١٦٦.
(٣) مرآة الزمان: ٥، الروقة ١٦٦.
(٤) مرآة الزمان: ٥، الورقة ١٦٦.
(٥) سرّ السلسلة العلويَّة: ص٣٤.
(٦) مناقب آل أبي طالب: ٤/ ٢٨١.
(٧) مناقب آل أبي طالب: ٤/ ٢٨١.
(٨) مناقب آل أبي طالب: ٤/ ٢٨١.

كناه:

وكنِّي الإمام الصَّادق عليه السلام بما يلي:

١ ـ أبو عبد الله.

٢ ـ أبو إسماعيل.

٣ ـ أبو موسىٰ[١].

أوصافه وملامحه:

أمَّا أوصافه وملامحه فقد ذكر الرواة أنَّه كان ربع القامة، أزهر الوجه، حالك الشعر[٢]، جعد[٣]، أشمّ الأنف، أنزع[٤]، رقيق البشرة، على خدِّه خال[٥] أسود، وعلى جسده خيلان[٦] حمرة[٧].

وقيل: إنَّه كان معتدل القامة، أدم اللون[٨]. هذه ملامحه.

سنة الولادة:

واختلف المؤرّخون في السنة التي وُلد فيها الإمام الصَّادق عليه السلام، وهذه بعض الأقوال:

١ ـ إنَّه وُلد بالمدينة المنوَّرة سنة٨٠هـ[٩].

٢ ـ وُلد سنة ٨٣هـ، يوم الجمعة، ويُقال: يوم الاثنين لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأوَّل[١٠].

٣ ـ وُلد سنة ٨٦هـ[١١].

---

(١) مناقب آل أبي طالب: ٤/ ٢٨١.

(٢) حالك الشعر: أي شديد السواد.

(٣) جعد: من صفات الشعر إذا كان فيه التواء وقبض.

(٤) الأنزع: هو الذي انحسر الشعر عن جانبي جبهته.

(٥) الخال: شامة في البدن، ويغلب على شامة الخدّ.

(٦) خيلان ـ مفرده خال ـ: وهي الشامة.

(٧) مناقب آل أبي طالب: ٤/ ٢٨١.

(٨) تذكرة الحفَّاظ: ١/ ١٥٨.

(٩) تاريخ ابن الوردي: ١/ ٢٦٦.

(١٠) أُصول الكافي: ١/ ٤٧٢.

(١١) مناقب آل أبي طالب: ٤/ ٢٨٠.

نبوغه وذكاؤه:

كان الإمام الصَّادق عليه السلام في سنِّه المبكِّر آية من آيات النبوغ والذكاء، فلم يجاريه أحد بمثل سنِّه على امتداد التاريخ بهذه الظاهرة التي تدعو إلى الإعجاب والإكبار، والتي كان منها أنَّه كان يحضر دروس أبيه وهو صبيّ يافع لم يتجاوز عمره الثلاث سنين، وقد فاق بتلقِّيه لدروس أبيه جميع تلاميذه من كبار العلماء والرواة.

وممَّا يدلُّ على ذلك ما نقله الرواة أنَّ الوليد بن عبد الملك أمر عامله على يثرب عمر بن عبد العزيز بتوسعة المسجد النبويّ، فأنجز عمر قسماً كبيراً منه وأعلمه بذلك، وسافر الوليد إلى يثرب ليطَّلع بنفسه على ما أنجزه عمر من أعمال التعمير والتوسيع، وقد استقبله عمر من مسافة خمسين فرسخاً، وأعدَّ له استقبالاً رسميَّاً، وخرجت أهالي يثرب بجميع طبقاتها لاستقباله والترحيب به.

وبعدما انتهى إلى يثرب دخل إلى الجامع النبوي ليشاهد ما أُنجز من أعمال التعمير، وقد رأى الإمام الباقر عليه السلام على المنبر وهو يلقي محاضرة على تلاميذه، فسلَّم عليه، فردَّ الإمام السلام عليه، وتوقَّف عن التدريس تكريماً له، فأصرَّ عليه الوليد أن يستمرّ في تدريسه، فأجابه إلى ذلك، وكان موضوع الدرس (الجغرافيا)، فاستمع الوليد وبهر من ذلك، فسأل الإمام: «ما هذا العلم؟».

فأجابه الإمام: **«إِنَّهُ عِلْمٌ يَتَحَدَّثُ عَنِ الأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، وَالشَّمْسِ وَالنُّجُومِ»**.

ووقع نظر الوليد على الإمام الصَّادق عليه السلام، فسأل عمر بن عبد العزيز:

«من يكون هذا الصبي بين الرجال؟».

فبادر عمر قائلاً: «إنَّه جعفر بن محمَّد الباقر...».

وأسرع الوليد قائلاً: «هل هو قادر على فهم الدرس واستيعابه؟».

وبادر عمر فعرَّفه بما يملكه الصبي من قدرات علميَّة قائلاً: «إنَّه أذكى من يحضر درس الإمام، وأكثرهم سؤالاً ونقاشاً».

وبهر الوليد واستدعاه بالوقت، فلمَّا مثل أمامه بادر قائلاً:

«ما اسمك؟».

وأجابه الصبي بطلاقة قائلاً: **«اسْمِي جَعْفَر»**.

وأراد الوليد امتحانه فقال له: «أتعلم من كان صاحب المنطق؟» (أي مؤسّسه).

فأجابه الصبيّ: «كَانَ أَرْسطو مُلَقَّباً بِصَاحِبِ الْمَنْطِقِ، لَقَّبَهُ إِيَّاهُ تَلَامِذَتُهُ وَأَتْباعُه».

ووجَّه الوليد إليه سؤالاً ثانياً قائلاً: «من صاحب المعز؟».

فأنكر عليه الإمام ذلك وقال: «لَيْسَ هَذا اسْماً لأَحَدٍ، وَلَكِنَّهُ اسْمٌ لِمَجْموعَةٍ مِنَ النُّجُومِ، وَتُسَمَّىٰ ذو الأَعِنَّة»[1].

واستولت الحيرة والذهول على الوليد، فلم يدرِ ما يقول، وتأمَّل كثيراً ليستحضر مسألة أُخرى يسأل بها سليل النُّبوَّة، وحضر في ذهنه السؤال الآتي فقال له: «هل تعلم من صاحب السواك؟»

فأجابه الإمام فوراً: «هُوَ لَقَبُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعودٍ صَاحِبِ جَدِّي رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله».

ولم يستحضر الوليد مسألة يسأل بها الإمام، ووجد نفسه عاجزاً أمام هذا العملاق العظيم، فراح يبدي إكباره وإعجابه بالإمام، ويرحِّب به، وأمسك بيده ودنا من الإمام الباقر عليه السلام يهنِّئه بولده قائلاً: «إنَّ ولدك هذا سيكون علَّامة عصره...»[2].

معرفته بجميع اللغات:

وكان من السمات البارزة لنبوغه وذكائه تعلُّمه في سنِّه المبكِّر لجميع لغات العالم، فلم تبق لغة إلاَّ كان عالماً بها، وكان يتكلَّم مع كلّ أهل لغة كأنَّه واحد منهم.

لقد كان الإمام عليه السلام عالماً بكلّ لغة من لغات أهل الأرض، فقد روى أبان بن تغلب، قال: «غدوت من منزلي بالمدينة وأنا أُريد أبا عبد الله، فلمَّا صرت بالباب وجدت قوماً عنده لم أعرفهم، ولم أرَ قوماً أحسن زيّاً منهم، ولا أحسن سيماءُ منهم، كأنَّ الطير على رؤوسهم، فجعل أبو عبد الله عليه السلام يحدِّثنا بحديث، فخرجنا من عنده وقد فهَّم خمسة عشر نفراً متفرِّقو الألسن، منهم العربي والفارسي والنبطي والحبشي والصقلبي، فقال العربي: حدَّثنا بالعربيَّة، وقال الفارسي: حدَّثنا بالفارسيَّة، وقال الحبشي: حدَّثنا بالحبشيَّة، وقال الصقلبي: حدَّثنا بالصقلبيَّة، وأخبر عليه السلام بعض أصحابه بأنَّ الحديث واحد، وقد فسَّره لكلّ قوم بلغتهم»[3].

ودار حديث بين الإمام عليه السلام وبين عمَّار الساباطي باللغة النبطيَّة، فبهر عمَّار وراح يقول: «ما رأيت نبطيّاً أفصح منك بالنبطيَّة...».

---

(١) هذه المجموعة من النُّجوم تسمَّىٰ في اصطلاح العلم الحديث «أوريكا» أو «أريجا».

(٢) الإمام الصَّادق كما عرفه علماء الغرب: ص١٠٨ ـ ١١٢.

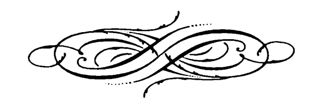
(٣) الإمام الصَّادق كما عرفه علماء الغرب: ص٤٦ و٤٧.

فقال عليه السلام له: «يا عَمَّارُ، وَبِكُلِّ لِسان»[١].

لقد ملك الإمام الصَّادق عليه السلام في طفولته وشبابه وشيخوخته من النبوغ وقوَّة الذكاء ما لا يوصف، فقد فاق بهذه الظاهرة جميع العباقرة في الأرض.

هيبته ووقاره:

وكانت تعنو الوجوه لهيبة الإمام الصَّادق عليه السلام ووقاره، فقد حاكى هيبة الأنبياء، وجلالة الأوصياء، وما رآه أحد إلاَّ هابه؛ لأنَّه كانت تعلوه روحانيَّة الإمامة، وقداسة الأولياء، وكان ابن مسكان ـ وهو من خيار الشيعة وثقاتها ـ لا يدخل عليه شفقة أن لا يوفِّيه حقّ إجلاله وتعظيمه، فكان يسمع ما يحتاج إليه من أُمور دينه من أصحابه، ويأبى أن يدخل عليه[٢]، فقد غمرته هيبته.



(١) الاختصاص: ص٢٨٣.

(٢) الاختصاص: ص٢٠٣.

في ظلال جدِّه وأبيه عليهما السلام

نشأ الإمام أبو عبد الله الصَّادق عليه السلام في بيت من أعزّ بيوت الله.

كان جدّه الإمام زين العابدين، وسيِّد الساجدين عليه السلام، يغذِّيه بروحانيَّته وقداسته، ويفيض عليه مقوّماته الفكريَّة، كما كان أبوه الإمام محمَّد الباقر عليه السلام يغرس في أعماق نفسه جميع ما توفّر عنده من الزخم الرُّوحي والمثل العليا.

لقد عنى هذا الإمام العظيم بتربية حفيده الإمام الصَّادق عليه السلام، فغرس في دخائل ذاته جميع النزعات الخيِّرة، والسلوك النيِّر ليكون امتداداً ذاتيَّاً لآبائه العظام الذين غيَّروا مجرى تاريخ البشريَّة من الجهل والعبوديَّة إلى العلم والحريَّة.

لقد قطع الإمام الصَّادق عليه السلام المرحلة الأُولى من حياته قدّرت باثني عشر عاماً[1]، وهو في كنف جدّه إمام المتَّقين وسيِّد العابدين عليه السلام.

لقد رافق الإمام الصَّادق عليه السلام جدّه الإمام زين العابدين، وسيِّد المتَّقين، وهو صائم في النهار، قائم في الليل، لا يهدأ ولا يستقرّ، قد هام بعبادة الله تعالى، فلم يرَ الناس مثله في طاعته وإخلاصه في عبادته، ومن كثرة صلاته وسجوده كانت له ثفنات مثل ثفنات البعير في مواضع سجوده.

وعلى أيِّ حال، فإنَّ الإمام زين العابدين عليه السلام قام بتربية حفيده الإمام الصَّادق عليه السلام فأفاض عليه مكوِّناته النفسيَّة، وأعدَّه لقيادة الأُمَّة في مسيرتها الثقافيَّة والرُّوحيَّة.

في ظلال أبيه عليه السلام:

وأقام الإمام الصَّادق عليه السلام تسع عشرة سنة مع أبيه[2]، الذي هو من كواكب العترة الطاهرة، ومن أعلام هذه الدُّنيا.

---

(١) مناقب آل أبي طالب: ٤/ ٢٨٠.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ٤/ ٢٨٠.

في جامعة أبيه عليه السلام:

وحضر الإمام الصَّادق عليه السلام وهو صبيّ يافع دروس أبيه التي كان يلقيها في الجامع النبوي، وفي بهو بيته، ولم تقتصر دروسه على علوم الشريعة الإسلاميَّة، وإنَّما شملت فلسفة الكون، ومظاهر الحياة[١].

برّ الإمام الصَّادق بأبيه عليه السلام:

كان الإمام الصَّادق عليه السلام من أبرّ الناس بأبيه، ومن أكثرهم إجلالاً واحتراماً له، وكان يقول: «**إِنَّ سَكَراتِ الْمَوْتِ يُخَفِّفُها اللَّهُ عَلىٰ مَنْ كَانَ بَارَّاً بِوَالِدَيْهِ، وَإِنَّ أَفْضَلَ الأَعْمَالِ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ**»[٢].

وكان يرى أنَّ حدَّة النظر إلى الأبوين عقوق لهما[٣].

نصّ الإمام الباقر عليه السلام على الإمام الصَّادق عليه السلام:

ونصَّ الإمام أبو جعفر عليه السلام على إمامة ولده الإمام أبي عبد الله الصَّادق عليه السلام، فعيَّنه خليفة ومرجعاً للأُمَّة من بعده، وأوصى شيعته بلزوم طاعته، واتّباع أوامره، وقد تظافرت الأخبار التي أُثرت عنه في النصّ على إمامة الصَّادق عليه السلام، وكان من بينها:

١ ـ روى هشام بن سالم، عن الفقيه العالم جابر بن يزيد الجعفي، قال: «سئل أبو جعفر عن القائم بعده، فضرب بيده على أبي عبد الله، وقال: **هَذَا وَاللَّهِ قَائِمُ آلِ مُحَمَّدٍ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ**»[٤].

٢ ـ روى أبان بن عثمان، عن أبي الصباح الكناني، قال: «نظر أبو جعفر إلى ابنه أبي عبد الله عليه السلام فقال: «**تَرَىٰ هَذَا، هَذَا مِنَ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ**: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾[٥]»[٦].

---

(١) الإمام الصَّادق كما عرفه علماء الغرب: ص١١٢.
(٢) الفصول المهمَّة: ص٢٩.
(٣) جعفر بن محمَّد: ص٢٣ و٢٤.
(٤) الإرشاد: ص٣٠٤.
(٥) سورة القصص: الآية ٥.
(٦) أُصول الكافي: ١/٣٠٦.

وصاياه عليه السلام للإمام الصَّادق عليه السلام:

وعهد الإمام أبو جعفر عليه السلام إلى ولده الصادق عليه السلام بكوكبة من الوصايا، كان من بينها ما يلي:

١ ـ قال عليه السلام لولده الصادق عليه السلام: **«يا جَعْفَرُ، أُوصيكَ بِأَصْحَابِي خَيْراً»**، فقال له الإمام الصَّادق عليه السلام: **«جُعِلْتُ فِدَاكَ، وَاللَّهِ لَا أَدَعَنَّهُمْ وَالرَّجُلُ مِنْهُمْ يَكُونُ فِي الْمِصْرِ فَلَا يَسْأَلُ أَحداً»**[١].

٢ ـ أوصى عليه السلام ولده أن يكفِّنه في قميصه الذي كان يصلِّي فيه[٢].

٣ ـ إنَّه أوقف بعض أمواله على نوادب تندبه عشر سنين في منى[٣].

وصية الإمام الباقر عليه السلام الأخيرة:

أمَّا نصّ وصيَّته فقد رواها الإمام الصَّادق عليه السلام، قال:

«لَمَّا حَضَرَتِ الْوَفاةُ قَالَ: ادْعُ لِي شُهوداً، فَدَعَوْتُ لَهُ أَرْبَعَةً مِنْ قُرَيْشٍ، فِيهِمْ نَافِعٌ مَوْلَىٰ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، فَقَالَ: اكْتُبْ: هَذَا مَا أَوْصىٰ بِهِ يَعْقُوبُ بَنِيهِ: ﴿يَـٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[٤]، وَأَوْصىٰ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ إِلَىٰ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُكَفِّنَهُ فِي بُرْدِهِ الَّذِي كَانَ يُصَلِّي فِيهِ الْجُمُعَةَ، وَأَنْ يُعَمِّمَهُ بِعَمامَتِهِ، وَأَنْ يُرَبِّعَ قَبْرَهُ، وَيَرْفَعَهُ أَرْبَعَةَ أَصَابِعٍ، وَأَنْ يَحِلَّ عَنْهُ أَطْمارَهُ عِنْدَ دَفْنِهِ».

وبعدما أدلى بهذه الوصيَّة أمر الشهود بالانصراف، وقال له الإمام الصَّادق عليه السلام: **«مَا كَانَ فِي هَذَا بِأَنْ تَشْهَدَ عَلَيْهِ»**. فقال عليه السلام: **«كَرِهْتُ أَنْ تُغْلَبَ، وَأَنْ يُقَالَ: إِنَّهُ لَمْ يُوصِ، فَأَرَدْتُ أَنْ تَكُونَ لَكَ الْحُجَّةَ»**[٥].

وعلى أيِّ حال، فقد تسلَّم الإمام الصَّادق عليه السلام قيادة الأُمَّة بعد أبيه، وصار المرجع الأعلى للعالم الإسلامي، وقد احتفَّ به الفقهاء ورواة الحديث يتلقَّون منه أنواع المعارف والعلوم، وقام عليه السلام بدور إيجابي وفعَّال في نشر العلوم، وبلورة الفكر العربي والإسلامي بشتَّىٰ ألوان الثقافة والتطوُّر في مختلف ميادين العلم.

---

(١) الإرشاد: ص٣٠٤.

(٢) صفة الصفوة: ٢/ ٦٣.

(٣) بحار الأنوار: ١١/ ٦٢.

(٤) سورة البقرة: الآية ١٣٢.

(٥) حياة الإمام الباقر عليه السلام: ٢/ ٣٩٠.

عناصره النفسيَّة

أمَّا العناصر النفسيَّة للإمام أبي عبد الله الصَّادق عليه السلام، فإنَّها تمثِّل كلّ ما يشرف به الإنسان ويسمو به من الصفات الكريمة والنزعات الشريفة.

لقد التقت بالإمام جميع العناصر الرفيعة التي جعلته عنواناً رائعاً للإنسانيَّة الكاملة، ومثالاً حيّاً للإسلام العظيم، الذي غمرت أشعَّته جميع أنحاء الدُّنيا.

كرمه وجوده:

من ذاتيَّات الإمام الصَّادق عليه السلام: الجود، فقد كان من أندى الناس كفّاً، وكان يجود بما عنده لإنعاش الفقراء والمحرومين، وقد نقل الرواة بوادر كثيرة من كرمه كان من بينها ما يلي:

١ ـ دخل عليه أشجع السلمي فوجده عليلاً، وبادر أشجع فسأل عن سبب علّته، فقال عليه السلام: **«تَعَدَّ عَنِ الْعِلَّةَ، وَاذْكُرْ مَا جِئْتَ لَهُ»**، فقال:

أَلْبَسَكَ اللَّهُ مِنْهُ عَافِيَةً فِي نَوْمِكَ الْمُعْتَرِي وَفِي أَرَقِكْ

يُخْرِجُ مِنْ جِسْمِكَ السَّقَامَ كَمَا أَخْرَجَ ذُلَّ السُّؤالِ مِنْ عُنُقِكْ

وعرف الإمام حاجته فقال لغلامه: **«أَيُّ شَيْءٍ مَعَكَ؟»**.

فقال: أربعمائة، فأمره بإعطائها له[1].

٢ ـ دخل عليه المفضّل بن رمانة، وكان من ثقاة أصحابه ورواته، فشكا إليه ضعف حاله، وسأله الدُّعاء.

فقال عليه السلام لجاريته: **«هَاتِ الْكيسَ الَّذِي وَصَلنا بِهِ أَبو جَعْفَر»**.

فجاءته به، فقال له: **«هَذا كِيسٌ فِيهِ أَرْبَعْمَائَةِ دِينارٍ، فَاسْتَعِنْ بِهِ»**.

فقال المفضّل: لا والله جُعلت فداك، ما أردت هذا، ولكن أردت الدُّعاء، فقال عليه السلام: **«لَا أَدَعُ الدُّعاءَ لَكَ»**[2].

---

(١) تاريخ الإسلام: ٦/ ٤٥.

(٢) الكشّي: ص١٢١.

٣ ـ سأله فقير فأعطاه أربعمائة درهم، فأخذها الفقير وذهب شاكراً، فقال عليه السلام لخادمه: «**أَرْجِعْه**».

فقال الخادم: سئلت فأعطيت، فماذا بعد العطاء؟

فقال عليه السلام: «**قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: خَيْرُ الصَّدَقَةِ مَا أَبْقَتْ غِنى، وَإِنَّا لَمْ نُغْنِهِ، فَخُذْ هَذا الْخَاتَمَ فَأَعْطِهِ فَقَدْ أُعْطِيتُ فِيهِ عَشَرَةَ آلافِ دِرْهَمٍ، فَإِذَا احْتَاجَ فَلْيَبِعْهُ بِهَذِهِ الْقِيمَةِ**»[١].

صدقاته في السِّرّ:

كان الإمام الصَّادق عليه السلام يقوم في غلس اللَّيل إليهم فيأخذ جراباً فيه الخبز واللحم والدراهم فيحمله على عاتقه ويذهب به إلى أهل الحاجة من فقراء المدينة، فيقسِّمه فيهم وهم لا يعرفونه، وما عرفوه حتَّى مضى إلى الله تعالى، فافتقدوا تلك الصلاة فعلموا أنَّها منه[٢]، ومن صلاته السِّرِّيَّة ما رواه إسماعيل بن جابر، قال: «أعطاني أبو عبد الله عليه السلام خمسين ديناراً في صرَّة، وقال لي: **اِدْفَعْها إِلَىٰ شَخْصٍ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ، وَلَا تُعْلِمْهُ أَنِّي أَعْطَيْتُكَ شَيْئاً**.

فأتيته ودفعتها إليه، فقال لي: من أين هذه؟ فأخبرته أنَّها من شخص لا يقبل أن تعرفه، فقال العلوي: ما يزال هذا الرجل كلّ حين يبعث بمثل هذا المال، فنعيش بها إلى قابل، ولكن لا يصلني جعفر بدرهم مع كثرة ماله[٣].

تكريمه للضيوف:

ومن بوادر كرمه وسخائه حبّه للضيوف وتكريمه لهم، فكان ـ فيما يقول الرواة ـ يشرف على خدمة ضيوفه بنفسه، وكان يأتيهم بأشهى الطعام وألذّه وأوفره، ويكرِّر عليهم القول وقت الأكل: «**أَشَدُّكُمْ حُبّاً أَكْثَرُكُمْ أَكْلاً عِنْدَنا**».

وكان يأمر في كلّ يوم بوضع عشر ثبنات من الطعام يتغدَّىٰ على كلّ ثبنة عشرة[٤].

التواضع:

ومن ذاتيَّات الإمام الصَّادق عليه السلام نكرانه للذات، وحبّه للتواضع وهو سيِّد

---

(١) الإمام جعفر الصَّادق عليه السلام/أحمد مغنية: ص٤٧.

(٢) الإمام جعفر الصادق عليه السلام: ص٤٧.

(٣) مجموعة ورَّام: ٢/ ٨٢.

(٤) الإمام جعفر الصَّادق عليه السلام: ص٤٦.

المسلمين، وإمام الملايين، وكان من تواضعه أنَّه يجلس على الحصير[(١)]، ويرفض الجلوس على الفرش الفاخرة، وكان ينكر ويشجب المتكبِّرين، وقد قال ذات مرَّة لرجل من إحدى القبائل: **مَنْ سَيِّدُ هَذِهِ الْقَبِيلَةِ؟**

فبادر الرجل قائلاً: أنا.

فأنكر الإمام عليه السلام ذلك وقال له: **لَوْ كُنْتَ سَيِّدَهُمْ مَا قُلْتَ: أَنَا**[(٢)].

سموُّ أخلاقه:

وكان من مكارم أخلاق الإمام وسموِّ ذاته أنَّه كان يحسن إلى كلّ من أساء إليه، وقد روى المؤرّخون أنَّ رجلاً من الحجَّاج توهَّم أنَّ هميانه قد ضاع منه، فخرج يفتِّش عنه، فرأى الإمام الصَّادق عليه السلام يصلِّي في الجامع النبويّ فتعلَّق به، ولم يعرفه، وقال: «أنت أخذت همياني؟».

فقال له الإمام بعطف ورفق: **مَا كَانَ فِيهِ؟**

ـ ألف دينار.

فأعطاه الإمام ألف دينار، ومضى الرجل إلى مكانه، فوجد هميانه، فعاد إلى الإمام معتذراً منه، ومعه المال، فأبى الإمام عليه السلام قبوله وقال له: **شَيْءٌ خَرَجَ مَنْ يَدِي فَلَا يَعُودُ إِلَيَّ**، فبهر الرجل وسأل عنه، فقيل له: هذا جعفر الصادق، وراح الرجل يقول بإعجاب: «لا جرم هذا فعال أمثاله»[(٣)].

الصبر:

من صبره أنَّه لمَّا توفِّي ولده إسماعيل، وكان ملء العين في أدبه وعلمه وفضله، دعا عليه السلام جمعاً من أصحابه فقدَّم لهم مائدة جعل فيها أفخر الأطعمة، وأطيب الألوان، ولمَّا فرغوا من تناول الطعام سأله بعض أصحابه، فقال له:

يا سيِّدي لا أرى عليك أثراً من آثار الحزن على ولدك؟

فأجابه عليه السلام: **«وَمَا لِي لَا أَكُونُ كَمَا تَرَوْنَ وَقَدْ جَاءَ فِي خَبَرِ أَصْدَقِ الصَّادِقِينَ** ـ يعني جدّه رسول الله ﷺ ـ **إِلَىٰ أَصْحَابِهِ: إِنِّي مَيِّتٌ وَإِيَّاكُمْ»**[(٤)].

---

(١) النُّجوم الزاهرة: ٥/ ١٧٦.
(٢) الطبقات الكبرى: ١/ ٣٢.
(٣) الإمام جعفر الصَّادق عليه السلام: ص٤٨.
(٤) الإمم جعفر الصَّادق عليه السلام: ص٤٩.

صلاته:

روى أبو بصير، قال: «دخلت على أُمّ حميدة ـ زوجة الإمام الصَّادق عليه السلام ـ أُعزِّيها بأبي عبد الله عليه السلام فبكت وبكيت لبكائها، ثمَّ قالت: يا أبا محمَّد، لو رأيت أبا عبد الله عند الموت لرأيت عجباً، فتح عينيه ثمَّ قال: **اجْمَعوا كُلَّ مَنْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ قَرابَةٌ**.

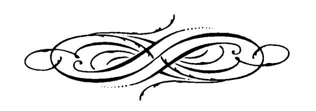
قالت: فما تركنا أحداً إلاَّ جمعناه، فنظر إليهم ثمَّ قال: **إنَّ شَفاعَتَنا لَا تَنالُ مُسْتَخِفّاً بِالصَّلَاةِ**»[1].

صومه:

وكان عليه السلام صائماً في أغلب أيَّامه تقرُّباً إلى الله تعالى.

حجُّه:

وكان من أعظم الخاشعين والداعين في مواقع الحجّ، فقد روى سفيان الثوري، قال: «والله رأيت جعفر بن محمَّد عليه السلام ولم أرَ حاجَّاً وقف بالمشاعر، واجتهد في التضرُّع والابتهال أشدّ منه، فلمَّا وصل عرفات أخذ من الناس جانباً، واجتهد في الدُّعاء في الموقف».



(١) وسائل الشيعة: ٣/١٧.

انطباعات عن شخصيته عليه السلام

أوّلاً: إنَّه خير البريَّة ـ كما يقول أبوه الإمام الباقر عليه السلام ـ.

ثانياً: إنَّ الإمام عليه السلام قد تفرَّد في مواهبه وعبقريَّاته، فلم ترَ عين، ولا سمعت أُذن، ولا خطر على قلب بشر أفضل منه ـ كما يقول مالك ـ ولم يدلِ مالك بذلك إلاَّ بعد أن خبر الإمام وتتلمذ عليه، وعرف واقعه المشرق.

ثالثاً: إنَّ الإمام ممَّن أورثه الله الكتاب، واصطفاه على عباده، ومن السابقين بالخيرات، كما قال بذلك ألدّ أعدائه وخصومه المنصور الدوانيقي.

رابعاً: إنَّ الإمام عليه السلام قد ملأ الدُّنيا بعلمه وفقهه.

خامساً: إنَّ الإمام عليه السلام من سادات أهل البيت في علمه وورعه وتقواه، وأهل البيت هم سادة الدُّنيا في تقواهم وشدَّة تحرّجهم في الدِّين.

سادساً: إنَّه في أعلى درجات الثقة والصدق، وإنَّه لا يسأل عن مثله في رواياته.

سابعاً: إنَّ الإمام عليه السلام هو الذي تزعَّم الحركة العلميَّة في عصره، والتي امتدَّت إلى سائر العصور.

ثامناً: إنَّ الإمام عليه السلام إنَّما لُقِّب بالصَّادق لوثاقته وصدقه في مقالته.

تاسعاً: إنَّ الإمام عليه السلام أنبه وأسمى شخصيَّة في العالم الإسلامي، ومن الحقّ أن يكون مصدر عزّ وفخر لجميع المسلمين.

عاشراً: إنَّ شخصيَّة الإمام عليه السلام مجموعة فلسفيَّة تزخر بالحيويَّة النابضة، والرُّوحيَّة المتجسّدة، والعقليَّة المبدعة، التي أسَّست العلوم، وأبدعت الأفكار، وابتكرت السُّنن، وأوجدت الأحكام والنظم.

حادي عشر: إنَّ الإمام عليه السلام من أكثر أئمَّة المذاهب آراءً في كلّ لون من ألوان المعرفة، ولا تقف معرفته عند علوم الدِّين فحسب، بل تجاوزت إلى الكيمياء والطبّ وغير ذلك.

ثاني عشر: إنَّ الإمام عليه السلام كان قوَّة فكريَّة مبدعة في عصره، فلم يكتف بالدراسات

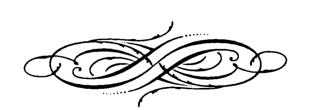
الإسلاميَّة، وعلوم القرآن والسُّنَّة، وإنَّما اتَّجه إلى دراسة الكون وأسراره، ثمَّ حلَّق بعقله الجبَّار إلى سماء الأفلاك، ومدار الشمس والنُّجوم.

ثالث عشر: إنَّ الإمام عليه السلام هو العقل المتفتِّح الذي بنى للإنسانيَّة وللإنسان أروع ما يمكن أن يبنيه من أُصول حضارة الدُّنيا ورفاهيَّتها.

رابع عشر: إنَّ الحديث عن الإمام الصَّادق عليه السلام إنَّما هو حديث عن الإسلام في أروع معطياته ومثله، وحديث يمتدّ عبر حدود الإنسان فيما يملك من طاقات ومواهب.

خامس عشر: إنَّ الواجب على المؤرّخين إبراز شخصيَّة الإمام وإظهارها إلى العالم لما في ذلك من خدمة للفكر والعلم والحياة.

إنَّ الإمام أبرز شخصيَّة في عصره، وأعلم الأُمَّة على الإطلاق.



احتجاجاته ومُناظراته عليه السلام

وتصدَّىٰ الإمام الصَّادق عليه السلام مع المتكلِّمين من تلاميذه إلى تفنيد الشبه والشكوك التي أثارها الحاقدون على الإسلام لتشكيك المسلمين في واقع دينهم العظيم الذي جعلهم سادة الأُمم والشعوب.

إبطاله عليه السلام لشبه الزنادقة

وكان من بين من تصدَّىٰ الإمام الصَّادق عليه السلام للردِّ على أضاليلهم، وإبطال شبههم، ما يلي:

الجعد بن درهم:

وكان الجعد بن درهم ممعناً في الكفر، ومبتدعاً ومتفانياً في الزندقة، وكان يعلن الإلحاد، وقد زعم أنَّ الله لم يتَّخذ إبراهيم خليلاً، ولم يكلِّم موسى[١]. وقد تتلمذ عنده مروان بن محمَّد الأُموي، وتغذَّىٰ بإلحاده، فكان يلقَّب بمروان الجعدي[٢].

ومن بدعه أنَّه جعل في قارورة تراباً وماءً فاستحال دوداً وهواماً، فقال لأصحابه: إنِّي خلقت ذلك لأنِّي كنت سبب كونه.

وبلغ ذلك الإمام الصَّادق عليه السلام، فردَّه بأبلغ البرهان والحجَّة قائلاً:

إِنْ كَانَ خَلَقَهُ فَلْيَقُلْ: كَمْ هُوَ؟ وَكَم الذُّكْرانُ مِنْهُ وَالإِنَاثُ؟ وَكَمْ وَزْنُ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ؟ وَلْيَأْمُرِ الَّذِي يَسْعىٰ إِلَىٰ هَذَا الْوَجْهِ أَنْ يَرْجِعَ إِلَىٰ غَيْرِهِ.

وما أروع هذه الحجَّة التي أدلى بها سليل النُّبوَّة، فقد نسف جميع خرافاته، ويقول الرواة: «إنَّ الجعد لمَّا سمع بهذه الحجَّة انقطع عن الكلام وبان عليه الضعف والعجز وهرب»[٣].

---

(١) ميزان الاعتدال: ١/ ٣٩٩. لسان الميزان: ٢/ ١٠٥.
(٢) الكامل في التاريخ/ ابن الأثير: ٥/ ١٦٠.
(٣) أمالي المرتضى: ١/ ٢٨٤.

عبد الملك المصري:

وهو من زنادقة مصر، وقد بلغه أنَّ الإمام الصَّادق عليه السلام يملك ثروة علميَّة هائلة، فخرج لمحاججته، وقصد يثرب فأخبر أنَّ الإمام عليه السلام في مكَّة المكرَّمة، فانتهى إليها، وقصد الإمام عليه السلام فعرف قصده، فقدَّم عليه السلام له السؤال التالي: **ما اسْمُكَ؟**

ـ عبد الملك.

ـ فَمَا كُنْيَتُكَ

ـ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ

ووجَّه الإمام عليه السلام سؤالاً محيِّراً لم يهتدِ إلى جوابه قائلاً:

فَمَنْ هَذَا الْمَلِكُ الَّذِي أَنْتَ عَبْدٌ لَهُ؟ أَمِنْ مُلُوكِ الْأَرْضِ، أَمْ مِنْ مُلُوكِ السَّمَاءِ؟ أَخْبِرْنِي عَنِ ابْنِكَ ـ واسمه عَبْدُ اللَّهِ ـ **عَبْدُ إِلَهِ السَّمَاءِ أَمْ عَبْدُ إِلَهِ الْأَرْضِ؟**

ووجم الزنديق ولم يطق جواباً، وأمهله الإمام عليه السلام حتَّى يفرغ من الطواف لعلَّه يجد الجواب، ولمَّا فرغ من الطواف جلس الزنديق بين يدي الإمام تعظيماً واحتراماً له، فقال عليه السلام له: **أَتَعْلَمُ أَنَّ لِلْأَرْضِ تَحْتاً وَفَوْقاً؟**

ـ نَعَمْ.

ـ فَدَخَلْتَ تَحْتَهَا؟

ـ لَا.

ـ فَمَا يُدْرِيكَ مَا تَحْتَهَا؟

ـ لَا أَدْرِي، إِلَّا أَنِّي أَظُنُّ أَنْ لَيْسَ تَحْتَهَا شَيْءٌ.

ـ فَالظَّنُّ عَجْزٌ لِمَا لَا تَسْتَيْقِنُ.

ـ أَفَصَعِدْتَ إِلَىٰ السَّمَاءَ؟

ـ لَا.

ـ أَفَتَدْرِي مَا فِيهَا؟

ـ لَا.

ـ أَتَيْتَ الْمَشْرِقَ وَالْمَغْرِبَ فَنَظَرْتَ مَا خَلْفَهُما؟

ـ لا.

ـ عَجَباً لَكَ لَمْ تَبْلُغِ الْمَشْرِقَ، وَلَمْ تَبْلُغِ الْمَغْرِبَ، وَلَمْ تَنْزِلِ تَحْتَ الْأَرْضَ، وَلَمْ تَصْعَدِ إِلَىٰ السَّمَاءَ وَلَمْ تُخْبَرْ مَا هُنَالِكَ فَتَعْرِفَ مَا خَلْفَهُنَّ، وَأَنْتَ جَاحِدٌ بِمَا فِيهِنَّ، وَهَلْ يَجْحَدُ الْعَاقِلُ مَا لَا يَعْرِفُ؟

واستولت الحيرة والذهول عليه، فقد أخذه الإمام عليه السلام من جميع جهاته، ولم يدرِ ما يقول، والتفت بكلّ خضوع وإكبار للإمام قائلاً: ما كلّمني بهذا غيرك.

والتفت إليه الإمام ليقيم عليه الحجَّة قائلاً:

فَأَنْتَ مِنْ ذَلِكَ فِي شَكٍّ؟ فَلَعَلَّهُ هُوَ، وَلَعَلَّهُ لَيْسَ هُوَ.

ـ وَلَعَلَّ ذَلِكَ.

وانبرى الإمام عليه السلام فأقام كوكبة من الأدلَّة الوثيقة على وجود الخالق العظيم قائلاً:

أَيُّهَا الرَّجُلُ، لَيْسَ لِمَنْ لَا يَعْلَمُ حُجَّةٌ عَلَى مَنْ يَعْلَمُ، وَلَا حُجَّةَ لِلْجَاهِلِ عَلَىٰ الْعَالِمِ بَعْدَ هَذَا.

يَا أَخَا أَهْلِ مِصْرَ، تَفْهَّمْ عَنِّي، فَإِنَّا لَا نَشُكُّ فِي اللَّهِ أَبَداً، أَمَا تَرَى الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ، وَاللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، يَلِجَانِ وَلَا يَسْتَبِقَانِ، يَذْهَبَانِ وَيَرْجِعَانِ، قَدِ اضْطُرَّا لَيْسَ لَهُمَا مَكَانٌ إِلَّا مَكَانُهُمَا، فَإِنْ كَانَا يَقْدِرَانِ عَلَى أَنْ يَذْهَبَا فَلَا يَرْجِعَانِ؟ وَإِنْ كَانَا غَيْرَ مُضْطَرَّيْنِ فَلِمَ لَا يَصِيرُ اللَّيْلُ نَهاراً، وَالنَّهَارُ لَيْلاً؟! اضْطُرَّا وَاللَّهِ يَا أَخَا أَهْلِ مِصْرَ....

إِنَّ الَّذِي تَذْهَبونَ إِلَيْهِ، وَتَظُنُّونَ مِنَ الدَّهْرِ، فَإِنْ كَانَ هُوَ يُذْهِبُهُمْ فَلِمَ يَرُدُّهُمْ؟ وَإِنْ كَانَ يَرُدُّهُمْ فَلِمَ يَذْهَبُ بِهِمْ؟!

يَا أَخَا أَهْلِ مِصْرَ، أَمَا تَرَىٰ السَّمَاءُ مَرْفُوعَةٌ، وَالْأَرْضُ مَوْضُوعَةٌ، لَا تَسْقُطُ السَّمَاءُ عَلَى الْأَرْضِ، وَلَا تَنْحَدِرُ الْأَرْضُ فَوْقَ مَا تَحْتِهَا؟ أَمْسَكَهَا وَاللَّهِ خَالِقُها وَمُدَبِّرُهَا.

وذهب الشكّ والوهم من المصري، وآمن بالله العظيم بعدما أقام عليه الإمام الأدلَّة العلميَّة الوجدانيَّة على وجود الخالق الحكيم، والتفت الإمام إلى هشام فقال له: **خُذْهُ إِلَيْكَ وَعَلِّمْهُ**[١].

بعض الملحدين:

والتقى الإمام عليه السلام مع بعض الملحدين، وجرى نزاع بينهما، فقال عليه السلام للملحد: **إِنْ كَانَ الأَمْرُ عَلَىٰ تَقُولونَ** ـ من إنكار الله ـ **وَهُوَ لَيْسَ عَلَىٰ مَا تَقولونَ، فَقَدْ نَجَوْنا وَنَجَوْتُمْ، وَإِنْ كَانَ الأَمْرُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ: فَقَدْ نَجَوْنا وَهَلَكْتُمْ**[٢].

---

(١) الاحتجاج: ٢/ ٧٢ ـ ٧٤.

(٢) المجالس المؤيّديَّة/ المؤيّد في الدِّين الشيرازي: ص٣٧٧.

الديصاني:

وقد جرت بينه وبين الإمام الصَّادق عليه السلام عدَّة مناظرات أفحمه فيها الإمام، وأبطل مزاعمه، وكان من بينها ما يلي:

١ ـ وجَّه أبو شاكر السؤال التالي للإمام الصَّادق عليه السلام، قائلاً: مَا الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ لَكَ صَانِعاً؟

فأجابه الإمام بأروع الأدلَّة التي لا تخطىء قائلاً:

وَجَدْتُ نَفْسِي لَا تَخْلُو مِنْ إِحْدَى جِهَتَيْنِ: إِمَّا أَنْ أَكُونَ صَنَعْتُهَا أَنَا أَوْ صَنَعَها غَيْرِي، فَإِنْ كُنْتُ صَنَعْتُها فَلَا أَخْلُو مِنْ أَحَدِ مَعْنَيَيْنِ: إِمَّا أَنْ أَكُونَ صَنَعْتُهَا وَكَانَتْ مَوْجُودَةً، أَوْ صَنَعْتُهَا وَكَانَتْ مَعْدُومَةً فَإِنْ كُنْتُ صَنَعْتُهَا وَكَانَتْ مَوْجُودَةً فَقَدِ اسْتَغْنَيْتُ بِوجُودِها عَنْ صَنْعَتِها، وَإِنْ كَانَتْ مَعْدُومَةً فَإِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّ الْمَعْدومَ لَا يُحْدِثُ شَيْئاً، فَقَدْ ثَبَتَ الْمَعْنَى الثَّالِثُ أَنَّ لِي صَانِعاً وَهُوَ رَبُّ الْعَالَمِينَ[١].

٢ ـ دخل الديصاني على الإمام الصَّادق عليه السلام فقال له:

يا جعفر بن محمَّد، دلّني على معبودي؟

وكان إلى جانب الإمام غلام بيده بيضة، فأخذها منه وقال له:

يَا دَيَصَانِيُّ، هَذَا حِصْنٌ مَكْنُونٌ لَهُ جِلْدٌ غَلِيظٌ، وَتَحْتَ الْجِلْدِ الْغَلِيظِ جِلْدٌ رَقِيقٌ، وَتَحْتَ الْجِلْدِ الرَّقِيقِ ذَهَبَةٌ مَائِعَةٌ، وَفِضَّةٌ ذَائِبَةٌ، فَلَا الذَّهَبَةُ الْمَائِعَةُ تَخْتَلِطُ بِالْفِضَّةِ الذَّائِبَةِ، وَلَا الْفِضَّةُ الذَّائِبَةُ تَخْتَلِطُ بِالذَّهَبَةِ الْمَائِعَةِ، فَهِيَ عَلَى حَالِهَا لَمْ يَخْرُجْ مِنْهَا خَارِجٌ مُصْلِحٌ فَيُخْبِرَ عَنْ صَلَاحِهَا، وَلَا يَدْخُلُ فِيهَا مُفْسِدٌ فَيُخْبِرَ عَنْ فَسَادِهَا، لَا يُدْرَى لِلذَّكَرِ خُلِقَتْ أَمْ لِلأُنْثَى، تَنْفَلِقُ عَنْ مِثْلِ أَلْوَانِ الطَّوَاوِيسِ، أَتَرَى لَهَا مُدَبِّراً؟.

وأطرق الديصاني مليّاً إلى الأرض، وأعلن التوبة والإسلام والبراءة ممَّا قاله[٢].

مع القدريَّة:

روى عليّ بن سالم، قال: «سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الرقي[٣]، أتدفع من القدر شيئاً؟

---

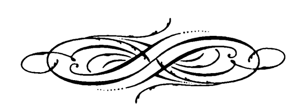
(١) بحار الأنوار: ٣/ ٥٠.

(٢) الاحتجاج: ٢/ ٢٠١ و٢٠٢.

(٣) الرقي: جمع رقية، وهي ما يعوّذ به الصبيان من الحمّىٰ والصرع وغيرهما.

قال عليه السلام: «هِيَ مِنَ الْقَدَر».

وأضاف يقول: «إِنَّ الْقَدَرِيَّةَ مَجوسُ هَذِهِ الأُمَّةِ، وَهُمُ الَّذِين أرادوا أَنْ يَصِفوا اللَّهَ بِعَدْلِهِ فَأَخْرَجوهُ مِنْ سُلْطانِهِ، وَفِيهِمْ نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾[1]»[2].



(١) سورة القمر: الآيتان ٤٨ و٤٩.

(٢) التوحيد: ص٣٨٢.

مناظراته عليه السلام

وجرت للإمام الصَّادق عليه السلام عدَّة مناظرات، كانت في منتهى الروعة، مع بعض أعلام عصره الذين يخالفونه في الرأي، كان من بينهم ما يلي:

مع أبي حنيفة:

١ ـ وفد ابن شبرمة[1] مع أبي حنيفة على الإمام الصَّادق عليه السلام، فقال لابن شبرمة: **مَنْ هَذَا الَّذِي مَعَكَ؟**

ـ رَجُلٌ له بصر وَنفاذ في أمر الدِّين.

ـ لَعَلَّهُ الَّذِي يَقِيسُ أَمْرَ الدِّينِ بِرَأْيِهِ؟

ـ نعم.

والتفت الإمام عليه السلام لأبي حنيفة قائلاً: **مَا اسْمُكَ؟**

ـ النعمان.

ـ يَا نُعْمَانُ، هَلْ قِسْتَ رَأْسَكَ؟

ـ كيف أقيس رأسي؟

ـ مَا أَرَاكَ تُحْسِنُ شَيْئاً، هَلْ عَلِمْتَ مَا الْمُلُوحَةَ فِي الْعَيْنَيْنِ، وَالْمَرَارَةَ فِي الْأُذُنَيْنِ، وَالْحَرَارَةَ فِي الْمَنْخِرَيْنِ، وَالْعُذُوبَةَ فِي الشَّفَتَيْنِ؟

وبهر أبو حنيفة، وأنكر معرفة ذلك، ووجَّه الإمام إليه السؤال التالي:

ـ هَلْ عَلِمْتَ كَلِمَةً أَوَّلُهَا كُفْرٌ، وَآخِرُهَا إِيمَانٌ؟

ـ لَا.

والتمس أبو حنيفة من الإمام عليه السلام أن يوضِّح له هذه الأُمور، فقَالَ عليه السلام: **أَخْبَرَنِي أَبِي عَنْ جَدِّي رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ بِفَضْلِهِ وَمَنِّهِ جَعَلَ**

---

(١) وفي رواية الطبرسي: «ابن أبي ليلى».

لابْنِ آدَمَ الْمُلُوحَةُ فِي الْعَيْنَيْنِ مَا يَقَعُ فِيهما مِنَ الْقَذَى، وَجَعَلَ الْمَرَارَةَ فِي الأُذُنَيْنِ حِجَاباً مِنَ الدَّوابِّ، فَإِنْ دَخَلَتِ الرَّأْسِ دَابَّةٌ وَالْتَمَسَتِ إِلَى الدِّمَاغِ، فَإِنْ ذَاقَتِ الْمَرارَةَ الْتَمَسَتِ الْخُروجَ، وَجَعَلَ اللَّهُ الْبُرُودَةَ فِي الْمَنْخِرَيْنِ يَسْتَنْشِقُ بِهِما الرِّيحَ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لأَنْتَنَ الدِّمَاغُ، وَجَعَلَ الْعُذُوبَةَ فِي الشَّفَتَيْنِ لِيَجِدَ لَذَّةَ اسْتِطْعَامِ كُلِّ شَيْءٍ.

والتفت أبو حنيفة إلى الإمام قائلاً: أخبرني عن الكلمة التي أوّلها كفر، وآخرها إيمان؟

- **إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا قَالَ: لَا إِلَهَ، فَقَدْ كَفَرَ، فَإِذَا قَالَ: إِلَّا اللَّهُ، فَهُوَ الإِيمَانُ.**

وأقبل الإمام على أبي حنيفة ينهاه عن العمل بالقياس، قال له: **يَا نُعْمَانُ، حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ جَدِّي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: أَوَّلُ مَنْ قَاسَ أَمْرَ الدِّينِ بِرَأْيِهِ إِبْلِيسَ، قَالَ لَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ: اسْجُدْ لآدَمَ، فَقَالَ: ﴿أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾[1]، فَمَنْ قَاسَ الدِّينَ بِرَأْيِهِ قَرَنَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِإِبْلِيسَ لأَنَّهُ تَبِعَهُ بِالْقِيَاسِ.**

٢ - التقى أبو حنيفة بالإمام الصَّادق عليه السلام، فقا له الإمام: **مَا تَقُولُ فِي مُحْرِمٍ كَسَرَ رُبَاعِيَّةَ ظَبْيٍ؟**

- يابن رسول الله، ما أعلم ما فيه.

لَا تَعْلَمُ أَنَّ الظَّبْيَ لَا تَكُونُ لَهُ رُبَاعِيَّةٌ، وَهُوَ ثِنْيٌ أَبَداً[2].

٣ - والتقى أبو حنيفة بالإمام الصَّادق عليه السلام وسأله الإمام عن بعض المسائل، فلم يجبه عنها، ومن بينما سأله الإمام: **أَيُّهُمَا أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ: الْقَتْلُ أَوِ الزِّنَا؟**

- بَلِ الْقَتْلُ.

- **فَكَيْفَ رَضِيَ فِي الْقَتْلِ بِشَاهِدَيْنِ، وَلَمْ يَرْضَ فِي الزِّنَا إِلَّا بِأَرْبَعَةٍ؟.**

ووجم أبو حنيفة ولم يطق جواباً، وانهار قياسه أمام سليل النُّبوَّة، ثمَّ وجَّه الإمام عليه السلام السؤال التالي: **الصَّلَاةُ أَفْضَلُ أَمِ الصِّيَامُ؟**

- بَلِ الصَّلَاةُ أَفْضَلُ.

- **فَيَجِبُ عَلَى قِيَاسِ قَوْلِكَ عَلَى الْحَائِضِ قَضَاءُ مَا فَاتَهَا مِنَ الصَّلَاةِ فِي حَالِ حَيْضِهَا دُونَ الصِّيَامِ، وَقَدْ أَوْجَبَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهَا قَضَاءَ الصَّوْمِ دُونَ الصَّلَاةِ.**

ولم يستطع أبو حنيفة الجواب، فقد مزّق الإمام قياسه، وأعلمه أنَّ دين الله لا

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٢. سورة ص: الآية ٧٦.

(٢) جمهرة الأولياء: ٢/ ٧٧. الاحتجاج/ الطبرسي: ٢/ ١١٣ و١١٤.

يُصاب ولا يدرك بالقياس والاستحسان، ثمَّ وجَّه الإمام له السؤال التالي: **الْبَوْلُ أَقْذَرُ أَمِ الْمَنِيُّ؟**

ـ الْبَوْلُ أَقْذَرُ.

ـ يَجِبُ عَلَى قِيَاسِكَ أَنْ يَجِبَ الْغُسْلُ مِنَ الْبَوْلِ ـ لأَنَّهُ أَقْذَرُ ـ دُونَ الْمَنِيِّ، وَقَدْ أَوْجَبَ اللَّهُ تَعَالَى الْغُسْلَ مِنَ الْمَنِيِّ دُونَ الْبَوْلِ.

ووجم أبو حنيفة أمام هذه اللوازم الفاسدة التي تترتَّب على القياس، ولم يستطع الدفاع عن فكرته، واستأنف الإمام عليه السلام حديثه في الردِّ عليه.

مَا تَرَى فِي رَجُلٍ كَانَ لَهُ عَبْدٌ فَتَزَوَّجَ، وَزَوَّجَ عَبْدَهُ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ فَدَخَلا بِامْرَأَتَيْهِمَا فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ، ثُمَّ سَافَرَا وَجَعَلَا امْرَأَتَيْهِمَا فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ فَوَلَدَتَا غُلامَيْنِ، فَسَقَطَ الْبَيْتُ عَلَيْهِمْ فَقَتَلَتِ الْمَرْأَتَا، وَبَقِيَ الْغُلَامَانِ، أَيُّهُمَا فِي رَأْيِكَ الْمَالِكُ، وَأَيُّهُمَا الْمَمْلُوكُ، وَأَيُّهُمَا الْوَارِثُ، وَأَيُّهُمَا الْمَوْرُوثُ؟

وأعرب أبو حنيفة عن عجزه قائلاً: إنَّما أَنَا صَاحِبُ حُدُودٍ.

ووجَّه الإمام إليه السؤال التالي: **مَا تَرَى فِي رَجُلٍ أَعْمَىٰ فَقَأَ عَيْنَ صَحِيحٍ، وَأَقْطَعَ قَطَعَ يَدَ رَجُلٍ، كَيْفَ يُقَامُ عَلَيْهِمَا الْحَدُّ؟**

واعترف أبو حنيفة بعجزه وعدم قدرته، فقال: أنا رجل عالم بمباعث الأنبياء.

فوجَّه الإمام له السؤال التالي عن حال بعض الأنبياء قائلاً: **أَخْبِرْنِي عَنْ قَوْلِ اللَّهِ لِمُوسىٰ وهارونَ حينَ بَعَثَهُما إِلَىٰ فِرْعَونَ: ﴿لَعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾[1]، وَلَعَلَّ مِنْكَ شَكٌّ؟**

ـ نعم.

ـ وَكَذٰلِكَ مِنَ اللَّهِ شَكٌّ إِذْ قَالَ: ﴿لَعَلَّهُۥ﴾.

ـ لا علم لي.

وأخذ الإمام عليه السلام يوبِّخه على عمله بالقياس قائلاً:

تَزْعَمُ أَنَّكَ تُفْتِي بِكِتَابِ اللَّهِ، وَلَسْتَ مِمَّنْ وَرِثَهُ، وَتَزْعَمُ أَنَّكَ صَاحِبُ قِيَاسٍ، وَأَوَّلُ مَنْ قَاسَ إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللَّهُ، وَلَمْ يُبْنَ دِينُ الإِسْلَامِ عَلَىٰ الْقِيَاسِ، وَتَزْعَمُ أَنَّكَ صَاحِبُ رَأْيٍ، وَكَانَ الرَّأْيُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله صَواباً، وَمِنْ دُونِهِ خَطَأً؛ لأَنَّ اللَّهَ تَعَالىٰ قَالَ: ﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾[2]، وَلَمْ يَقُلْ ذٰلِكَ لِغَيْرِهِ، وَتَزْعَمُ أَنَّكَ صَاحِبُ حُدودٍ، وَمَنْ

---

(١) سورة طٰه: الآية ٤٤.

(٢) سورة النساء: الآية ١٠٥.

أُنزلَتْ عَلَيْهِ أَوْلىٰ بِعِلْمِهَا مِنْكَ، وَتَزْعَمُ أَنَّكَ عَالِمٌ بِمَبَاعِثِ الْأَنْبِيَاءِ، وخَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ أَعْلَمُ بِمَبَاعِثِهِمْ مِنْكَ، لَوْلَا أَنْ يُقَالَ دَخَلَ عَلَى ابْنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَمْ يَسْأَلْهُ عَنْ شَيْءٍ مَا سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ فَقِسْ إِنْ كُنْتَ مُقِيساً.

والتفت أبو حنيفة إلى الإمام معرباً له عن تركه العمل بالقياس قائلاً: لا أتكلَّم بالرأي والقياس في دين الله بعد هذا المجلس.

وأجابه الإمام: **كَلَّا إِنَّ حُبَّ الرِّئَاسَةِ غَيْرُ تَارِكِكَ كَمَا لَمْ يَتْرُكْ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ**[١].

٤ ـ التقى أبو حنيفة بالإمام الصَّادق عليه السلام، وتقدَّم أبو حنيفة فسأل الإمام: كم بين المشرق والمغرب؟

ـ **مَسِيرَةُ يَوْمٍ لِلشَّمْسِ، بَلْ أَقَلُّ مِنْ ذَلِكَ.**

واستعظم ذلك أبو حنيفة وأنكره، فردَّ عليه الإمام: **لِمَ تُنْكِرُ هَذا؟! إِنَّ الشَّمْسَ تَطْلُعُ مِنَ الْمَشْرِقِ وَتَغْرُبُ فِي الْمَغْرِبِ فِي أَقَلِّ مِنْ يَوْمٍ**[٢].

مع ابن أبي ليلى:

كان ابن أبي ليلى قاضياً من قِبل الحكومة الأُمويَّة والعبَّاسيَّة، وكان يفتي بالرأي قبل أبي حنيفة، وقد تشرَّف بمقابلة الإمام الصَّادق عليه السلام، وقد كان معه سعيد بن أبي الخضيب، فقال عليه السلام له: **مَنْ هَذَا الَّذِي مَعَكَ؟**

ـ ابن أبي ليلى قاضي المسلمين.

ووجَّه الإمام له السؤال التالي: **أَتَأْخُذُ مَالَ هَذا فَتُعْطِيهِ هَذا، وَتُفَرِّقُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ، وَلَا تَخَافُ فِي هَذا أَحَداً؟**

ـ نعم.

ـ **بِأَيِّ شَيْءٍ تَقْضِي؟**

ـ بما بلغني عن رسول الله ﷺ، وعن أبي بكر وعمر.

ـ **بَلَغَكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَقْضَاكُمْ عَلِيٌّ بَعْدِي؟».**

ـ نعم.

ـ **كَيْفَ تَقْضِي بِغَيْرِ قَضاءِ عَلِيٍّ، وَقَدْ بَلَغَكَ هَذا؟**

---

(١) الاحتجاج/الطبرسي: ٢/١١٦ و١١٧.

(٢) الاحتجاج: ٢/٢٧٢.

واصفرَّ وجه ابن أبي ليلى، وعرف أنّه قد جانب الحقّ فيما حكم وأفتى به، والتفت الإمام عليه السلام له قائلاً: **الْتَمِسْ مَثَلاً لِنَفْسِكَ، فَوَاللَّهِ لَا أُكَلِّمُكَ مِنْ رَأْسِي كَلِمَةً أَبَداً**[1].

مع النصارى:

ولم تقتصر مناظرات الإمام الصّادق عليه السلام على صنف خاصّ من المذاهب والأديان، وإنّما شملت جميع المذاهب، وكان من بينها النصارى، فقد تشرّف بمقابلته وفد من النصارى، وقدّموا له السؤال التالي: إنّ موسى وعيسى ومحمّد سواء لأنّهم جميعاً أصحاب شرائع وكتب.

فأنكر عليه السلام ذلك وقال: **مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله أَفْضَلُ مِنْهُما وَأَعْلَمُ، وَقَدْ أَعْطَاهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يُعْطِ غَيْرَهُ.**

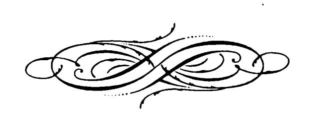
فانبروا جميعاً قائلين: هل آية من كتاب الله نزلت في هذا؟

نَعَم، قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾[2].

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾[3].

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ لِلنَّبِيِّ الْمُصْطَفَىٰ: ﴿وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾[4].

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا﴾[5]، **فَهُوَ وَاللَّهِ أَعْلَمُ مِنْهُما، وَلَوْ حَضَرَ مُوسىٰ وَعِيسىٰ مَحْضَرِي وَسَأَلَانِي لَأَجَبْتُهُما، وَلَوْ سَأَلْتُهُمَا مَا أَجَابَا**»[6].



(١) الاحتجاج: ٢/ ١٠٢.
(٢) سورة الأعراف: الآية ١٤٥.
(٣) سورة الزخرف: الآية ٦٣.
(٤) سورة النحل: الآية ٨٩.
(٥) سورة الجنّ: الآية ٢٨.
(٦) بحار الأنوار: ٤/ ١٤٠.

رسائله ووصاياه عليه السلام

رسائله عليه السلام

من أنماط الثقافة الإسلاميَّة العالية رسائل الإمام الصَّادق عليه السلام ووصاياه التي زوَّد بها نخبة من أعلام شيعته، وهي تمثِّل جانباً كبيراً من الفكر الإسلامي المتطوِّر الهادف إلى رفع مستوى الحياة، وتنظيم سلوك النَّاس، وتهذيب غرائزهم، وإقامة الروابط الاجتماعيَّة المتكاملة بينهم، كما عرضت للقضايا السياسيَّة في الإسلام، فوضعت أهمّ البنود المشرقة في عالم السياسة والحكم.

إلى أهل الرأي:

وأنكر الإمام الصَّادق عليه السلام أشدّ ما يكون الإنكار أن يكون الرأي والقياس من مصادر التشريع الإسلامي اللذان تستنبط منهما الأحكام الشرعيَّة، وإنَّما تستنبط من منابعها الأصليَّة: الكتاب العزيز، والسُّنَّة المقدَّسة، وقد بعث بهذه الرسالة إلى القائلين بالرأي والقياس، وشجب فيها ما ذهبوا إليه، وهذا نصّها:

«أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ مَنْ دَعَا غَيْرَهُ إِلَى دِينِهِ بِالِارْتِيَاءِ وَالْمَقَايِيسِ لَمْ يُنْصِفْ وَلَمْ يُصِبْ حَظَّهُ، لِأَنَّ الْمَدْعُوَّ إِلَى ذَلِكَ أَيْضاً لا يَخْلُو مِنَ الِارْتِيَاءِ وَالْمَقَايِيسِ، وَمَتَى لَمْ يَكُنْ بِالدَّاعِي قُوَّةٌ فِي دُعَائِهِ عَلَى الْمَدْعُوِّ لَمْ يُؤْمَنْ عَلَى الدَّاعِي أَنْ يَحْتَاجَ إِلَى الْمَدْعُوِّ بَعْدَ قَلِيلٍ؛ لِأَنَّا قَدْ رَأَيْنَا الْمُتَعَلِّمَ الطَّالِبَ رُبَّمَا كَانَ فَائِقاً لِمُعَلِّمِهِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ.

وَرَأَيْنَا الْمُعَلِّمَ الدَّاعِيَ رُبَّمَا احْتَاجَ فِي رَأْيِهِ إِلَى رَأْيِ مَنْ يَدْعُو، وَفِي ذَلِكَ تَحَيَّرَ الْجَاهِلُونَ، وَشَكَّ الْمُرْتَابُونَ، وَظَنَّ الظَّانُّونَ، وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ جَائِزاً لَمْ يَبْعَثِ اللَّهُ الرُّسُلَ بِمَا فِيهِ الْفَصْلُ، وَلَمْ يَنْهَ عَنِ الْهَزْلِ، وَلَمْ يَعِبِ الْجَهْلَ، وَلَكِنَّ النَّاسَ لَمَّا سَفِهُوا الْحَقَّ، وَغَمَطُوا النِّعْمَةَ، وَاسْتَغْنَوْا بِجَهْلِهِمْ وَتَدَابِيرِهِمْ عَنْ عِلْمِ اللَّهِ، وَاكْتَفَوْا بِذَلِكَ عَنْ رُسُلِهِ، وَالْقُوَّامِ بِأَمْرِهِ، وَقَالُوا: لا شَيْءَ إِلَّا مَا أَدْرَكَتْهُ عُقُولُنَا، وَعَرَفَتْهُ أَلْبَابُنَا، فَوَلَّاهُمُ اللَّهُ مَا تَوَلَّوْا، وَأَهْمَلَهُمْ وَخَذَلَهُمْ حَتَّى صَارُوا عَبَدَةَ أَنْفُسِهِمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ، وَلَوْ كَانَ

اللَّهُ رَضِيَ مِنْهُمُ اجْتِهَادَهُمْ وَارْتِيَاءَهُمْ فِيمَا ادَّعَوْا مِنْ ذَلِكَ لَمْ يَبْعَثْ إِلَيْهِمْ فَاصِلًا لِمَا بَيْنَهُمْ وَلَا زَاجِراً عَنْ وَصْفِهِمْ، وَإِنَّمَا اسْتَدْلَلْنَا أَنَّ رِضَا اللَّهِ غَيْرَ ذَلِكَ بِبَعْثِهِ الرُّسُلَ بِالأُمُورِ الْقَيِّمَةِ الصَّحِيحَةِ، وَالتَّحْذِيرِ مِنَ الأُمُورِ الْمُشْكِلَةِ الْمُفْسِدَةِ، ثُمَّ جَعَلَهُمْ أَبْوَابَهُ وَصِرَاطَهُ، وَالأَدِلَّاءَ عَلَيْهِ بِأُمُورٍ مَحْجُوبَةٍ عَنِ الرَّأْيِ وَالْقِيَاسِ، فَمَنْ طَلَبَ مَا عِنْدَ اللَّهِ بِقِيَاسٍ وَرَأْيٍ لَمْ يَزْدَدْ مِنَ اللَّهِ إِلَّا بُعْداً، وَلَمْ يَبْعَثْ رَسُولًا قَطُّ، وَإِنْ طَالَ عُمُرُهُ قَابِلًا مِنَ النَّاسِ خِلَافَ مَا جَاءَ بِهِ حَتَّى يَكُونَ مَتْبُوعاً مَرَّةً، وَتَابِعاً أُخْرَى، وَلَمْ يُرَ أَيْضاً فِيمَا جَاءَ بِهِ اسْتَعْمَلَ رَأْياً وَلَا قِيَاساً، حَتَّى يَكُونَ ذَلِكَ وَاضِحاً عِنْدَهُ كَالْوَحْيِ مِنَ اللَّهِ، وَفِي ذَلِكَ دَلِيلٌ لِكُلِّ ذِي لُبٍّ وَحِجْدٍ، حَتَّىٰ إِنَّ أَصْحَابَ الرَّأْيِ وَالْقِيَاسِ مُخْطِئُونَ مُدْحَضُونَ»[1].

إِلَى بعض شِيعَتِهِ:

١ ـ أرسل الإمام عليه السلام إلى كوكبة من شيعته رسالة جاء فيها ما يلي:

«لِيَعْطِفَنَّ ذو السِّنِّ مِنْكُمْ وَالنَّهْيِ وَالرَّأْيِ عَلَىٰ ذي الْجَهْلِ وَطُلَّابِ الرِّئَاسَةِ أَوْ لِيَصِيبَنَّكُمْ لَعْنَتِي أَجْمَعِينَ»[2].

٢ ـ وزوَّد الإمام الصَّادق عليه السلام كوكبة من شيعته بهذه الرسالة القيِّمة المليئة بالنصائح الرفيعة التي ترفع مستواهم، وتشيع بينهم المودَّة والأُلفة، ويقول الرواة: إنَّه أمرهم بدراستها، والعمل بها، وكانوا يضعونها في مساجد بيوتهم فإذا فرغوا من الصلاة نظروا فيها[3]، وهذا نصّها:

«أَمَّا بَعْدُ: فَسَلُوا رَبَّكُمُ الْعَافِيَةَ، وَعَلَيْكُمْ بِالدَّعَةِ وَالْوَقَارِ، وَالسَّكِينَةِ وَالْحَيَاءِ، وَالتَّنَزُّهِ عَمَّا تَنَزَّهَ عَنْهُ الصَّالِحُونَ مِنْكُمْ. وَعَلَيْكُمْ بِمُجَامَلَةِ أَهْلِ الْبَاطِلِ، تَحَمَّلُوا الضَّيْمَ مِنْهُمْ، وَإِيَّاكُمْ وَمُمَاظَّتَهُمْ[4]. دِينُوا فِيمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ، إِذَا أَنْتُمْ جَالَسْتُمُوهُمْ وَخَالَطْتُمُوهُمْ وَنَازَعْتُمُوهُمُ الْكَلَامَ، فَإِنَّهُ لَا بُدَّ لَكُمْ مِنْ مُجَالَسَتِهِمْ وَمُخَالَطَتِهِمْ وَمُنَازَعَتِهِمْ بِالتَّقِيَّةِ الَّتِي أَمَرَكُمُ اللَّهُ بِهَا، فَإِذَا ابْتُلِيتُمْ بِذَلِكَ مِنْهُمْ فَإِنَّهُمْ سَيُؤْذُونَكُمْ، وَيَعْرِفُونَ فِي وُجُوهِكُمُ الْمُنْكَرَ، وَلَوْلَا أَنَّ اللَّهَ يَدْفَعُهُمْ عَنْكُمْ لَسَطَوْا[5] بِكُمْ، وَمَا فِي صُدُورِهِمْ مِنَ الْعَدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ أَكْثَرُ مِمَّا يُبْدُونَ لَكُمْ، مَجَالِسُكُمْ وَمَجَالِسُهُمْ وَاحِدَةٌ.

---

(١) وسائل الشيعة: ١٨/ ٣٢.

(٢) مجموعة ورَّام: ٢/ ١٤٧.

(٣) روضة الكافي/ الكليني: ٨/ ٢.

(٤) المماظة: شدَّة المنازعة والخصومة.

(٥) السطو: القهر.

إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا كَانَ اللَّهُ خَلَقَهُ فِي الْأَصْلِ مُؤْمِناً لَمْ يَمُتْ حَتَّى يُكَرِّهَ إِلَيْهِ الشَّرَّ، وَيُبَاعِدَهُ مِنْهُ، وَمَنْ كَرَّهَ اللَّهُ إِلَيْهِ الشَّرَّ، وَبَاعَدَهُ مِنْهُ عَافَاهُ اللَّهُ مِنَ الْكِبْرِ أَنْ يَدْخُلَهُ وَالْجَبْرِيَّةِ[1]، فَلَانَتْ عَرِيكَتُهُ[2] وَحَسُنَ خُلُقُهُ، وَطَلُقَ وَجْهُهُ، وَصَارَ عَلَيْهِ وَقَارُ الْإِسْلَامِ وَسَكِينَتُهُ وَتَخَشُّعُهُ، وَوَرِعَ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ، وَاجْتَنَبَ مَسَاخِطَهُ، وَرَزَقَهُ اللَّهُ مَوَدَّةَ النَّاسِ وَمُجَامَلَتَهُمْ، وَتَرْكَ مُقَاطَعَةِ النَّاسِ وَالْخُصُومَاتِ وَلَمْ يَكُنْ مِنْهَا، وَ لَا مِنْ أَهْلِهَا فِي شَيْءٍ.

وَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا كَانَ اللَّهُ خَلَقَهُ فِي الْأَصْلِ كَافِراً لَمْ يَمُتْ حَتَّى يُحَبِّبَ إِلَيْهِ الشَّرَّ وَيُقَرِّبَهُ مِنْهُ، فَإِذَا حَبَّبَ إِلَيْهِ الشَّرَّ وَقَرَّبَهُ مِنْهُ ابْتُلِيَ بِالْكِبْرِ وَالْجَبْرِيَّةِ فَقَسَا قَلْبُهُ، وَسَاءَ خُلُقُهُ، وَغَلُظَ وَجْهُهُ، وَظَهَرَ فُحْشُهُ، وَقَلَّ حَيَاؤُهُ، وَكَشَفَ اللَّهُ سِتْرَهُ، وَرَكِبَ الْمَحَارِمَ فَلَمْ يُنْزِعْ عَنْهَا، وَرَكِبَ مَعَاصِيَ اللَّهِ، وَأَبْغَضَ طَاعَتَهُ وَأَهْلَهَا، فَبُعْدَ مَا بَيْنَ حَالِ الْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ، فَسَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ، وَاطْلُبُوهَا إِلَيْهِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

أَكْثِرُوا مِنَ الدُّعَاءِ، فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ مِنْ عِبَادِهِ الَّذِينَ يَدْعُونَهُ، وَقَدْ وَعَدَ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ الِاسْتِجَابَةَ، وَاللَّهُ مُصَيِّرٌ دُعَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَهُمْ عَمَلًا، يَزِيدُهُمْ بِهِ فِي الْجَنَّةِ.

وَأَكْثِرُوا ذِكْرَ اللَّهِ مَا اسْتَطَعْتُمْ فِي كُلِّ سَاعَةٍ مِنْ سَاعَاتِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، فَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ بِكَثْرَةِ الذِّكْرِ لَهُ، وَاللَّهُ ذَاكِرٌ مَنْ ذَكَرَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَذْكُرْهُ أَحَدٌ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا ذَكَرَهُ بِخَيْرٍ.

وَعَلَيْكُمْ بِالْمُحَافَظَةِ عَلَى الصَّلَوَاتِ، وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ، وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ، كَمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ الْمُؤْمِنِينَ فِي كِتَابِهِ[3] مِنْ قَبْلِكُمْ، وَعَلَيْكُمْ بِحُبِّ الْمَسَاكِينِ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنَّ مَنْ حَقَّرَهُمْ وَتَكَبَّرَ عَلَيْهِمْ فَقَدْ زَلَّ عَنْ دِينِ اللَّهِ، وَاللَّهُ لَهُ حَاقِرٌ مَاقِتٌ، وَقَدْ قَالَ أَبُونَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَمَرَنِي رَبِّي بِحُبِّ الْمَسَاكِينِ الْمُسْلِمِينَ مِنْهُمْ.

وَاعْلَمُوا أَنَّ مَنْ حَقَّرَ أَحَداً مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَلْقَى اللَّهُ عَلَيْهِ الْمَقْتَ مِنْهُ وَالْمَحْقَرَةَ حَتَّى يَمْقُتَهُ النَّاسُ أَشَدَّ مَقْتاً، فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي إِخْوَانِكُمُ الْمُسْلِمِينَ الْمَسَاكِينِ، فَإِنَّ لَهُمْ عَلَيْكُمْ حَقّاً أَنْ تُحِبُّوهُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ نَبِيَّهُ ﷺ بِحُبِّهِمْ، فَمَنْ لَمْ يُحِبَّ مَنْ أَمَرَ اللَّهُ بِحُبِّهِ، فَقَدْ عَصَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَمَنْ عَصَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَاتَ عَلَى ذَلِكَ، مَاتَ مِنَ الْغَاوِينَ. إِيَّاكُمْ وَالْعَظَمَةَ وَالْكِبْرَ، فَإِنَّ الْكِبْرَ رِدَاءُ اللَّهِ، فَمَنْ نَازَعَ اللَّهَ رِدَاءَهُ قَصَمَهُ اللَّهُ وَأَذَلَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

---

(١) الجبريَّة معطوف على الكبر.

(٢) العريكة: الطبيعة.

(٣) اقتباس من قوله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ سورة البقرة: الآية ٢٣٨.

إِيَّاكُمْ أَنْ يَبْغِيَ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ، فَإِنَّهَا لَيْسَتْ مِنْ خِصَالِ الصَّالِحِينَ، فَإِنَّهُ مَنْ بَغَى صَيَّرَ اللَّهُ بَغْيَهُ عَلَى نَفْسِهِ، وَصَارَتْ نُصْرَةُ اللَّهِ لِمَنْ بُغِيَ عَلَيْهِ، وَمَنْ نَصَرَهُ اللَّهُ غَلَبَ، وَأَصَابَ الظَّفَرَ مِنَ اللَّهِ.

إِيَّاكُمْ أَنْ يَحْسُدَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً، فَإِنَّ الْكُفْرَ أَصْلُهُ الْحَسَدُ.

إِيَّاكُمْ أَنْ تُعِينُوا عَلَى مُسْلِمٍ مَظْلُومٍ يَدْعُوَ اللَّهَ عَلَيْكُمْ، وَيُسْتَجَابَ لَهُ فِيكُمْ، فَإِنَّ أَبَانَا رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله يَقُولُ: إِنَّ دَعْوَةَ الْمُسْلِمِ الْمَظْلُومِ مُسْتَجَابَةٌ.

إِيَّاكُمْ أَنْ تَشْرَهَ نُفُوسُكُمْ إِلَى شَيْءٍ مِمَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ، فَإِنَّهُ مَنِ انْتَهَكَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ هَاهُنَا فِي الدُّنْيَا حَالَ اللَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ وَنَعِيمِهَا وَلَذَّتِهَا وَكَرَامَتِهَا الْقَائِمَةِ الدَّائِمَةِ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ أَبَدَ الآبِدِينَ»(١).

إلى أصحابه:

١ ـ وكتب الإمام الصَّادق عليه السلام رسالة إلى كوكبة من أصحابه، وقد حفلت بالنصائح الرفيعة، وفيما يلي بعض فصولها:

«اتَّقُوا اللَّهَ، وَكُفُّوا أَلْسِنَتَكُمْ إِلَّا مِنْ خَيْرٍ.. عَلَيْكُمْ بِالصَّمْتِ إِلَّا مَا يَنْفَعُكُمُ اللَّهُ بِهِ فِي آخِرَتِكُمْ، وَيَأْجُرُكُمْ عَلَيْهِ، وَأَكْثِرُوا مِنَ التَّهْلِيلِ وَالتَّقْدِيسِ، وَالتَّسْبِيحِ وَالثَّنَاءِ عَلَى اللَّهِ، وَالتَّضَرُّعِ إِلَيْهِ، وَالرَّغْبَةِ فِيمَا عِنْدَهُ مِنَ الْخَيْرِ، الَّذِي لَا يُقَدَّرُ قَدْرُهُ، وَلَا يَبْلُغُ كُنْهَهُ أَحَدٌ، فَاشْغَلُوا أَلْسِنَتَكُمْ بِذَلِكَ عَمَّا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ مِنْ أَقَاوِيلِ الْبَاطِلِ، الَّتِي تُعْقِبُ أَهْلَهَا خُلُوداً فِي النَّارِ مَنْ مَاتَ عَلَيْهَا، وَلَمْ يَتُبْ إِلَى اللَّهِ، وَلَمْ يَنْزِعْ عَنْهَا»(٢).

٢ ـ وزوَّد الإمام عليه السلام أصحابه بهذه الرسالة القيِّمة، قال عليه السلام: «إِيَّاكُمْ أَنْ تَشْرَهَ أَنْفُسُكُمْ إِلَى شَيْءٍ مِمَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ، فَإِنَّهُ مَنِ انْتَهَكَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ هَاهُنَا فِي الدُّنْيَا حَالَ اللَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ وَنَعِيمِهَا وَلَذَّتِهَا وَكَرَامَتِهَا الْقَائِمَةِ الدَّائِمَةِ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ أَبَدَ الآبِدِينَ».

إلى أن قال: «وَإِيَّاكُمْ وَالإِصْرَارَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا حَرَّمَ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ ظَهْرِهِ وَبَطْنِهِ، وَقَدْ قَالَ: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾»(٣).

---

(١) تحف العقول: ص٣١٣ ـ ٣١٥، رواها الشيخ الكليني بصورة أوسع في الروضة: ٢/ ١٤.

(٢) روضة الكافي: ٨/ ٣٩٧.

(٣) وسائل الشيعة: ١١/ ٢٠١. سورة آل عمران: الآية ١٣٥.

وصاياه عليه السلام

زوَّد الإمام الصَّادق عليه السلام أصحابه بوصايا قيِّمة حوت خلاصة التجارب، وجواهر الحكمة، وهي ـ من دون شكّ ـ تضمن لمن سار على نهجها حياة كريمة حافلة بجميع مقوِّمات الارتقاء والنهوض، وفيما يلي بعض وصاياه:

وصيَّة عامَّة:

وأوصى الإمام عليه السلام المسلمين بهذه الوصيَّة القيِّمة. قال عليه السلام:

«أَفْضَلُ الْوَصَايَا وَأَلْزَمُهَا أَنْ لَا تَنْسَى رَبَّكَ، وَأَنْ تَذْكُرَهُ دَائِماً، وَلَا تَعْصِيَهُ، وَتَعْبُدَهُ قَاعِداً وَقَائِماً، وَلَا تَغْتَرَّ بِنِعْمَتِهِ، وَاشْكُرْهُ أَبَداً، وَلَا تَخْرُجْ مِنْ تَحْتِ أَسْتَارِ عَظَمَتِهِ وَجَلَالِهِ فَتَضِلَّ، وَتَقَعَ فِي مَيْدَانِ الْهَلَاكِ، وَإِنْ مَسَّكَ الْبَلَاءُ وَالضُّرُّ وَأَحْرَقَتْكَ نِيرَانُ الْمِحَنِ.

وَاعْلَمْ أَنَّ بَلَايَاهُ مَحْشُوَّةٌ بِكَرَامَاتِهِ الْأَبَدِيَّةِ، وَمِحَنَهُ مُورِثَةٌ رِضَاهُ وَقُرْبَهُ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ»[1].

وصاياه عليه السلام لشيعته:

١ ـ وخاطب الإمام عليه السلام شيعته وأصحابه قائلاً:

«إِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ إِذَا وَرَعَ فِي دِينِهِ، وَصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَّىٰ الأَمَانَةَ، وَحَسَّنَ خُلُقَهُ مَعَ النَّاسِ، قِيلَ هَذَا جَعْفَرِيٌّ، وَيَسُرَّنِي ذَلِكَ، وَيَدْخُلُ عَلَيَّ مِنْهُ السُّرورَ، وَإِنْ كَانَ عَلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ دَخَلَ عَلَيَّ بَلَاؤُهُ وَعَارُهُ، وَقِيلَ: هَذَا أَدَبُ جَعْفَرٍ»[2].

٢ ـ وطلب الإمام من شيعته أن يتحلّوا بالمثل الكريمة، والصفات الرفيعة، فقد قال لهم:

«اتَّقوا اللَّهَ، وَكُونُوا إِخْوَةً بَرَرَةً، مُتَحابّينَ فِي اللَّهِ، مُتَواصِلِينَ، مُتَواضِعِينَ، مُتَراحِمِينَ، تَزَاوَروا، وَتَلَاقَوا وَتَذاكَروا وَأَحْيوا أَمْرَنا»[3].

٣ ـ ومن وصاياه القيِّمة لشيعته وأصحابه، هذه الوصيَّة:

«أَما وَاللَّهِ مَا أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْكُمْ.

إِنَّ النَّاسَ قَدْ سَلَكوا سُبُلاً شَتَّىٰ، فَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَ بِرَأْيِهِ، وَمِنْهُمْ مَنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ، وَمِنْهُمْ

---

(١) مصباح الشريعة: ص١٦٢.

(٢) أُصول الكافي، كتاب العِشرة: ٢/٦٣٦.

(٣) مجموعة ورَّام: ٢/١٧٩.

مَنِ اتَّبَعَ الرِّوايَةَ، وَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمْ بِأَمْرٍ لَهُ أَصْلٌ، فَعَلَيْكُمْ بِالْوَرَعِ وَالإِجْتِهَادِ، اشْهَدوا الْجَنائِزَ، وَعودوا الْمَرْضىٰ، وَاحْضَروا مَعَ الْقَوْمِ فِي مَسَاجِدِهِمْ لِلصَّلاةِ، أَمَا يَسْتَحِيي الرَّجُلُ أَنْ يُعَارِفَ جَارَهُ حَقَّهُ، وَلَا يَعْرِفُ حَقَّ جَارِهِ»[١].

٤ ـ وأوصى الإمام عليه السلام شيعته وأصحابه بهذه الوصيَّة، قال عليه السلام:

«اتَّقوا اللَّهَ، وَأَحْسِنوا الرُّكوعَ وَالسُّجودَ، وَكُونوا أَطْوَعَ عِبَادِ اللَّهِ، فَإِنَّكُمْ لَنْ تنالوا وَلَايَتَنا إِلَّا بِالْوَرَعِ، وَلَنْ تَنالوا مَا عِنْدَ اللَّهِ إِلَّا بِالْعَمَلِ، وَإِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ حَسْرَةً يَوْمَ الْقِيامَةِ مَنْ وَصَفَ عَدْلاً وَخالَفَهُ إِلَىٰ غَيْرِهِ»[٢].

٥ ـ وأوصى الإمام عليه السلام شباب الشيعة بهذه الوصيَّة القيِّمة التي ترفع شأنهم، قال عليه السلام:

«لَسْتُ أُحِبُّ أَنْ أَرَىٰ الشَّابَّ مِنْكُمْ إِلَّا غَادِياً فِي حَالَيْنِ: إِمَّا عَالِماً، أَوْ مُتَعَلِّماً، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ فَرَّطَ، وَإِنْ فَرَّطَ ضَيَّعَ، وَإِنْ ضَيَّعَ أَثِمَ»[٣].

٦ ـ ومن وصاياه الرفيعة لأصحابه وشيعته أنَّه قال لهم:

«لَا تَطْعَنوا فِي عِيوبِ مَنْ أَقْبَلَ إِلَيْكُمْ بِمَوَدَّتِهِ، وَلَا تقِفوهُ عَلَىٰ سَيِّئَةٍ يَخْضَعُ لَهَا، فَإِنَّهَا لَيْسَتْ مِنْ أَخْلَاقِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَلَا مِنْ أَخْلَاقِ أَوْلِيَائِهِ»[٤].

٧ ـ ومن وصاياه عليه السلام القيِّمة لشيعته هذه الوصيَّة:

«رَحِمَ اللَّهُ عَبْداً حَبَّبَنا إِلَىٰ النَّاسِ، وَلَمْ يُبَغِّضْنا إِلَيْهِمْ، أَمَا وَاللَّهِ لَوْ يَرَوْنَ مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَكَانُوا بِهِ أَعَزَّ، وَمَا اسْتَطاعَ أَحَدٌ أَنْ يَتَعَلَّقَ عَلَيْهِمْ بِشَيْءٍ، وَلَكِنَّ أَحَدَهُمْ يَسْمَعُ الْكَلِمَةَ فَيَمِيطُ إِلَيْهَا عَشْراً»[٥].

٨ ـ ومن وصاياه الحكميَّة هذه الوصيَّة الثمينة التي أتحف بها بعض أصحابه وشيعته، قال عليه السلام:

«اسْتَمِعُوا مِنِّي كَلَاماً هُوَ خَيْرٌ مِنَ الدَّرَاهِمِ الْمَدْقُوقَةِ، لَا تَتَكَلَّمَنَّ بِمَا لَا يُعْنِيكَ، وَدَعْ عَنْكَ كَثِيراً مِنَ الْكَلَامِ فِيمَا يَعْنِيكَ حَتَّى تَجِدَ لَهُ مَوْضِعاً، فَرُبَّ مُتَكَلِّمٍ بِحَقٍّ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ فَعَنَتَ، وَلَا تُمَارِيَنَّ سَفِيهاً وَلَا حَلِيماً، فَإِنَّ الْحَلِيمَ يَغْلِبُكَ، وَالسَّفِيهَ يُرْدِيكَ، وَاذْكُرْ أَخَاكَ

(١) مجموعة ورَّام: ٢/ ١٣٨.
(٢) مجموعة ورَّام: ٢/ ٨٣.
(٣) أمالي الطوسي: ص٣٠٣، الحديث ٦٠٤.
(٤) مجموعة ورَّام: ٢/ ١٣٨.
(٥) مجموعة ورَّام: ٢/ ١٥٢.

إِذَا تَغَيَّبَ عَنْكَ بِأَحْسَنَ مِمَّا تُحِبُّ أَنْ يَذْكُرَكَ بِهِ إِذَا تَغَيَّبْتَ عَنْهُ، وَاعْلَمْ أَنَّ هَذَا هُوَ الْعَمَلُ، وَاعْمَلْ عَمَلَ مَنْ يَعْلَمُ أَنَّهُ مَجْزِيٌّ بِالْإِحْسَانِ، مَأْخُوذٌ بِالْإِجْرَامِ»[١].

٩ ـ ومن وصاياه الرفيعة التي زوَّد بها بعض شيعته هذه الوصيَّة، قال عليه السلام:

«لَا يَغُرَّنَّكَ النَّاسُ مِنْ نَفْسِكَ، فَإِنَّ الْأَمْرَ يَصِلُ إِلَيْكَ دُونَهُمْ، وَلَا تَقْطَعْ نَهَارَكَ بِكَذَا وَكَذَا، فَإِنَّ مَعَكَ مَنْ يَحْفَظُ عَلَيْكَ، وَلَا تَسْتَقِلَّ قَلِيلَ عَمَلٍ صَالِحٍ فَإِنَّكَ تَرَاهُ غَداً بِحَيْثُ يَسُرُّكَ، وَلَا تَسْتَقِلَّ قَلِيلَ الشَّرِّ فَإِنَّكَ تَراهُ غَداً بِحَيْثُ يَسوؤُكَ، وَأَحْسِنْ فَإِنِّي لَمْ أَرَ شَيْئاً أَشَدَّ طَلَباً، وَلَا أَسْرَعَ دَرَكاً مِنْ حَسَنَةٍ لِذَنْبٍ قَدِيمٍ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾[٢]»[٣].

١٠ ـ روى أبو الربيع الشامي، قال: «دخلت على أبي عبد الله عليه السلام والبيت غاصّ بأهله، فيه الخراساني والشامي، ومن أهل الآفاق، فلم أجد موضعاً أقعد فيه، فجلس أبو عبد الله عليه السلام وكان متَّكئاً.

ثم قال: **يَا شِيعَةَ آلِ مُحَمَّدٍ، اعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَمْلِكْ نَفْسَهُ عِنْدَ غَضَبِهِ، وَمَنْ لَمْ يُحْسِنْ صُحْبَةَ مَنْ صَحِبَهُ، وَمُخَالَقَةَ[٤] مَنْ خَالَقَهُ، وَمُرَافَقَةَ مَنْ رَافَقَهُ، وَمُجَاوَرَةَ مَنْ جَاوَرَهُ، وَمُمَالَحَةَ مَنْ مَالَحَهُ.**

يَا شِيعَةَ آلِ مُحَمَّدٍ، اتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»[٥].

وصيَّته لولده الكاظم عليه السلام:

وزوَّد الإمام الصَّادق عليه السلام ولده الإمام الكاظم عليه السلام بهذه الوصيَّة القيِّمة الحافلة بجوهر الحكم والآداب، وكان منها ما يلي: **«يَا بُنَيَّ، إِقْبَلْ وَصِيَّتِي، وَاحْفَظْ مَقَالَتِي، فَإِنَّكَ إِنْ حَفِظْتَهَا تَعِيشْ سَعِيداً، وَتَمُوتُ حَمِيداً.**

يَا بُنَيَّ، مَنْ رَضِيَ بِمَا قَسَمَ لَهُ اسْتَغْنَى، وَمَنْ مَدَّ عَيْنَيْهِ إِلَى مَا فِي يَدِ غَيْرِهِ مَاتَ فَقِيراً، وَمَنْ لَمْ يَرْضَ بِمَا قَسَمَهُ اللَّهُ لَهُ اتَّهَمَ اللَّهَ فِي قَضَائِهِ، وَمَنِ اسْتَصْغَرَ زَلَّةَ نَفْسِهِ اسْتَعْظَمَ زَلَّةَ غَيْرِهِ.

---

(١) الاختصاص: ص٢٢٥.
(٢) سورة هود: الآية ١٩.
(٣) الاختصاص: ص٢٢٥.
(٤) المخالقة: المجاملة.
(٥) أُصول الكافي: ٢/٦٣٧.

يَا بُنَيَّ، مَنْ كَشَفَ حِجَابَ غَيْرِهِ انْكَشَفَتْ عَوْرَاتُ بَيْتِهِ، وَمَنْ سَلَّ سَيْفَ الْبَغْيِ قُتِلَ بِهِ، وَمَنِ احْتَفَرَ لِأَخِيهِ بِئْراً سَقَطَ فِيهَا، وَمَنْ دَاخَلَ السُّفَهَاءِ حُقِّرَ، وَمَنْ خَالَطَ الْعُلَمَاءَ وُقِّرَ، وَمَنْ دَخَلَ مَدَاخِلَ السُّوءِ اتُّهِمَ.

يَا بُنَيَّ، إِيَّاكَ أَنْ تُزْرِيَ بِالرِّجَالِ فَيُزْرَىٰ بِكَ، وَإِيَّاكَ وَالدُّخُولَ فِيمَا يُعْنِيكَ فَتَذِلَّ لِذَلِكَ.

يَا بُنَيَّ، قُلِ الْحَقَّ لَكَ وَعَلَيْكَ تُسْتَشَانُ مِنْ بَيْنِ أَقْرَانِكَ.

يَا بُنَيَّ، كُنْ لِكِتَابِ اللَّهِ تَالِياً، وَلِلسَّلَامِ فَاشِياً، وَالْمَعْرُوفِ آمِراً، وَعَنِ الْمُنْكَرِ نَاهِياً، وَلِمَنْ قَطَعَكَ وَاصِلاً، وَلِمَنْ سَكَتَ عَنْكَ مُبْتَدِئاً، وَلِمَنْ سَأَلَكَ مُعْطِياً، وَإِيَّاكَ وَالنَّمِيمَةَ، فَإِنَّهَا تَزْرَعُ الشَّحْنَاءَ فِي قُلُوبِ الرِّجَالِ. وَإِيَّاكَ وَالتَّعَرُّضَ لِعُيُوبِ النَّاسِ، فَمَنْزِلَةُ الْمُتَعَرِّضِ لِعُيُوبِ النَّاسِ بِمَنْزِلَةِ الْهَدَفِ.

يَا بُنَيَّ، إِذَا طَلَبْتَ الْجُودَ فَعَلَيْكَ بِمَعَادِنِهِ، فَإِنَّ لِلْجُودِ مَعَادِنَ، وَلِلْمَعَادِنِ أُصُولاً، وَلِلْأُصُولِ فُرُوعاً، وَلِلْفُرُوعِ ثَمَراً، وَلَا يَطِيبُ ثَمَرٌ إِلَّا بِأُصُولٍ، وَلَا أَصْلٌ ثَابِتٍ إِلَّا بِمَعْدِنٍ طَيِّبٍ.

يَا بُنَيَّ، إِذَا زُرْتَ فَزُرِ الْأَخْيَارَ، وَلَا تَزُرِ الْفُجَّارَ، فَإِنَّهُمْ صَخْرَةٌ لَا يَفْجُرُ مَاؤُهَا، وَشَجَرَةٌ لَا يَخْضَرُّ وَرَقُهَا، وَأَرْضٌ لَا يَظْهَرُ عُشْبُهَا».

وسار الإمام الكاظم عليه السلام على ضوء هذه الوصيّة، وطبّق جميع بنودها إلى أن توفّي[1].

وصيّته عليه السلام لجابر بن حيّان:

وزوّد الإمام الصّادق عليه السلام تلميذه جابر بن حيّان العالم الكيمياوي بهذه الوصيّة القيّمة، قال عليه السلام:

«يَا جَابِرُ، الْمُؤْمِنُ بِاللَّهِ لَيْسَ لَهُ أَنْ يَصْرِفَ مَالَ اللَّهِ إِلَّا فِي اللَّهِ.

يَا جَابِرُ، أَتُفَضِّلُ الظُّلْمَةَ عَلَىٰ النُّورِ؟ أَتَجْعَلُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ سَوَاءً؟ أَتُسَاوِي أَصْحَابَ النَّارِ بِأَصْحَابِ الْجَنَّةِ؟

اعْلَمْ أَنَّ هاهنا ـ وأشار إلى صدره الشريف ـ عِلْماً لَوْ أَظْهَرْتُهُ لَتَزَوَّدْتَ مِنْهُ إِلَىٰ آخِرَتِكَ، وَعَمِلْتَ مَعَ إِخْوَانِكَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ بِهِمْ نَجَاتُكَ وَصَفْوَتُكَ.

(١) حلية الأولياء: ٣/ ١٩٥ ـ ١٩٦.

يَا جَابِرُ، إِيَّاكَ أَنْ تُفَضِّلَ عَلَىٰ أَخِيكَ الْمُؤْمِنِ أَحَداً فَتَكُونَ مِنَ الضَّالِّينَ»[١].

وصيَّته عليه السلام لحمَّاد:

وأوصى الإمام الصَّادق عليه السلام تلميذه حمَّاد بهذه الوصيَّة القيِّمة، قال عليه السلام له: «كُنْ ـ يَا حَمَّادُ ـ طَالِباً لِلْعِلْمِ فِي آنَاءِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، فَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَقَرَّ عَيْنُكَ، وَتَنَالَ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، فَاقْطَعِ الطَّمَعَ مِمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ، وَعِدَّ نَفْسَكَ فِي الْمَوْتَىٰ، وَلَا تُحَدِّثْ نَفْسَكَ أَنَّكَ فَوْقَ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ، وَاخْزِنْ لِسَانَكَ كَمَا تَخْزِنُ مَالَكَ»[٢].

وصاياه عليه السلام لسفيان:

١ ـ التقى سفيان الثوري بالإمام الصَّادق عليه السلام وطلب من الإمام أن يتفضَّل عليه بوصيَّة، فقال عليه السلام له: «ما كَثْرَةُ الْحَدِيثِ لَكَ بِخَيْرٍ يَا سُفْيَانُ، إِذَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْكَ بِنِعْمَةٍ فَأَحْبَبْتَ بَقَاءَهَا فَأَكْثِرْ مِنَ الْحَمْدِ وَالشُّكْرِ عَلَيْهَا، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[٣].

وَإِذَا اسْتَبْطَأْتَ الرِّزْقَ فَأَكْثِرْ مِنَ الاِسْتِغْفَارِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ قَالَ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ: ﴿... اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ ـ يعني في الدنيا ـ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾[٤].

يَا سُفْيَانُ، إِذَا أَحْزَنَكَ أَمْرٌ مِنْ سُلْطَانٍ أَوْ غَيْرِهِ فَأَكْثِرْ مِنْ قَوْلِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، فَإِنَّهَا مِفْتَاحُ الْفَرَجِ، وَكَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ».

وبهر سفيان وراح يقول: ثلاث، وأيّ ثلاث.

والتفت إليه الإمام عليه السلام وقال: «عَقَلَهَا وَاللَّهِ أبو عَبْدِ اللَّهِ، وَلَيَنْفَعَهُ اللَّهُ بِهَا»[٥].

٢ ـ قال الإمام الصَّادق عليه السلام لسفيان الثوري: «يَا سُفْيَانُ، خِصْلَتَانِ مَنْ لَزِمَهُما دَخَلَ الْجَنَّةَ.

وسارع سفيان قائلاً: وما هما يابن رسول الله؟

---

(١) الحكم الجعفريَّة: ص٢٧ و٢٨.

(٢) الاثني عشريَّة: ص٧٠.

(٣) سورة إبراهيم: الآية ٧.

(٤) سورة نوح: الآيات ١٠ ـ ١٢.

(٥) جمهرة الأولياء: ٢/ ٧٥.

ـ احْتِمَالُ مَا تَكْرَهُهُ إِذَا أَحَبَّهُ اللَّهُ، وَتَرْكُ مَا تُحِبُّ إِذَا أَبْغَضَهُ اللَّهُ، فَاعْمَلْ بِهِمَا وَأَنَا شَرِيكُكَ»(١).

٣ ـ التقى سفيان بالإمام الصَّادق عليه السلام فقال له: يابن رسول الله، أوصني.

فقال عليه السلام: يا سُفْيانُ، لَا مُروءَةَ لِكَذُوبٍ، وَلَا أَخَ لِمَلولٍ، وَلَا رَاحَةَ لِحَسودٍ، وَلَا سُؤْدَدَ لِسَيِّىءِ الْخُلُقِ.

وطلب سفيان المزيد من هذه الدرر التي أدلى بها الإمام قائلاً: يابن رسول الله، زدني.

فقال عليه السلام: اتَّقِ اللَّهَ تَكُنْ مُؤْمِناً، وَأَرْضَ بِما قَسَمَ اللَّهُ تَكُنْ غَنِيّاً، وَأَحْسِنْ مُجَاوَرَةَ مَنْ جَاوَرَكَ تَكُنْ مُسَلِّماً، وَلَا تَصْحَبِ الْفَاجِرَ يُعَلِّمُكَ مِنْ فُجورِهِ، وَشَاوِرْ فِي أَمْرِكَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ.

وراح سفيان يتضرَّع للإمام طالباً منه المزيد من هذه الجواهر، فقال عليه السلام: «يَا سُفْيانُ، مَنْ أَرَادَ عِزّاً بِلَا عَشِيرَةٍ، وَغِنىً بِلَا مَالٍ، وَهَيْبَةً بِلَا سُلْطَانٍ فَلْيَنْتَقِلْ مِنْ ذُلِّ مَعْصِيَةِ اللَّهِ إِلَىٰ عِزِّ طَاعَتِهِ»(٢).

وصيَّته عليه السلام لسماعة:

ووقعت مشادَّة بين سماعة وجمَّاله، وبلغ ذلك الإمام الصادق عليه السلام وتشرَّف سماعة بمقابلة الإمام، فقال عليه السلام له: «يَا سُماعَةُ، مَا هَذا الَّذِي كَانَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ جَمَّالِكَ؟ إِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ فَحَّاشاً أَوْ سَخَّاباً(٣) أَوْ لَعَّاناً.

فقال سماعة بصوت خافت: والله لقد كان ذلك، إنَّه ظلمني.

وراح الإمام عليه السلام يوصيه بمكارم الأخلاق قائلاً: إِنْ كَانَ ظَلَمَكَ لَقَدْ أَرْبَيْتَ عَلَيْهِ، إِنَّ هَذَا لَيْسَ مِنْ فِعَالِي، وَلَا آمُرُ بِهِ شِيعَتِي، اسْتَغْفِرْ رَبَّكَ، وَلَا تَعُدْ.

وبادر سماعة فاستغفر الله، وأعلن الندم والتوبة»(٤).

وصيَّته عليه السلام للمعلَّىٰ بن خنيس:

١ ـ من وصايا الإمام عليه السلام هذه الوصيَّة، وقد أوصى بها مولاه المعلَّى بن خنيس، وقد ألزمه بالتقيَّة. قال عليه السلام:

---

(١) الاثني عشريَّة في المواعظ العدديَّة: ص٣٢.

(٢) بحار الأنوار: ج٧١، ص١٧٨ح٢٦ وج٧٨، ص١٩٢، ح٦.

(٣) السخب: شدَّة الصوت من تصاحب القوم إذا تصايحوا (وتضاربوا)، مجمع البحرين.

(٤) مجموعة ورَّام: ٢/ ٢٠٧.

«يا مُعَلَّىٰ، اكْتُمْ أَمْرَنا وَلَا تُذِعْهُ، فَإِنَّهُ مَنْ كَتَمَ أَمْرَنا وَلَمْ يُذِعْهُ أَعَزَّهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيا وَجَعَلَ لَهُ نُوراً بَيْنَ عَيْنَيْهِ فِي الآخِرَةِ يَقُودُهُ إِلَىٰ الْجَنَّةِ.

يا مُعَلَّىٰ، مَنْ أَذَاعَ حَدِيثَنَا وَأَمْرَنا وَلَمْ يَكْتُمْهُمَا أَذَلَّهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيا، وَنَزَعَ النُّورَ مِنْ بَيْنِ عَيْنَيْهِ فِي الآخِرَةِ، وَجعلَ لَهُ ظُلْمَةً تَقُودُهُ إِلَىٰ النَّارِ.

يَا مُعَلَّىٰ، إِنَّ التَّقِيَّةَ دِينِي، وَدِينُ آبَائِي، وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا تَقِيَّةَ لَهُ.

يَا مُعَلَّىٰ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ يُعْبَدَ فِي السِّرِّ كَمَا يُحِبُّ أَنْ يُعْبَدَ فِي الْعَلَانِيَةِ.

يَا مُعَلَّىٰ، إِنَّ الْمُذِيعَ لأَمْرِنَا كَالْجَاحِدِ بِهِ»(١).

وصيَّته عليه السلام للمفضّل بن عمر:

١ ـ أوصى الإمام عليه السلام تلميذه الفقيه العالم الجليل المفضّل بن عمر الجعفي بهذه الوصيَّة القيِّمة.

قال عليه السلام: «أُوْصِيكَ بِستِّ خِصَالٍ تُبَلِّغُهُنَّ شِيعَتِي.

فقال له المفضّل: وما هنَّ؟

قال عليه السلام: أَدَاءُ الأَمَانَةِ إِلَىٰ مَنِ ائْتَمَنَكَ، وَأَنْ تَرْضىٰ لأَخِيكَ مَا تَرْضَىٰ لِنَفْسِكَ.

وَاعْلَمْ أَنَّ لِلأُمُورِ أَواخِراً فَاحْذَرِ الْعَوَاقِبَ، وَأَنَّ لِلأُمُورِ بَغْتَاتٍ، فَكُنْ عَلَىٰ حَذَرٍ، وَإِيَّاكَ وَمُرْتَقىٰ جَهْلٍ سَهْلٍ، إِذَا كَانَ الْمُنْحَدَرُ وَعْراً، وَلَا تَعِدَنَّ أَخَاكَ وَعْداً لَيْسَ فِي يَدِكَ وَفَاؤُهُ»(٢).

وصيَّته عليه السلام للمنصور الدوانيقي:

وطلب المنصور الدوانيقي، وهو من ألدّ أعداء الإمام عليه السلام، ومن أخبثهم أن يزوِّده بحديث ينتفع به، ويكون له زاجراً عن الموبقات.

فقال عليه السلام: «عَلَيْكَ بِالْحِلْمِ فَإِنَّهُ رُكْنُ الْعِلْمِ، وَامْلِكْ نَفْسَكَ عِنْدَ أَسْبَابِ الْقُدْرَةِ، فَإِنَّكَ إِنْ تَفْعَلْ مَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ كُنْتَ كَمَنْ شَفِيَ غَيْظاً، وَتَدَاوىٰ حِقْداً، وَيُحِبُّ أَنْ يُذْكَرَ بِالصَّوْلَةِ.

وَاعْلَمْ أَنَّكَ إِنْ عَاقَبْتَ مُسْتَحِقّاً لَمْ تَكُنْ غَايَةُ مَا توصَفُ بِهِ إِلَّا الْعَدْلَ، وَالْحَالَ الَّتِي تُوجِبُ الشُّكْرَ أَفْضَلُ مِنَ الْحَالِ الَّتِي تُوجِبُ الصَّبْرَ»(٣).

---

(١) المحاسن: ص٢٠١.

(٢) تحف العقول: ص٣٦٧.

(٣) أمالي الصدوق: ص٧١١.

جامعة الإمام الصَّادق عليه السلام العلميَّة

من الخدمات الجليلة التي أسداها الإمام الصَّادق عليه السلام إلى العالم الإسلامي هو تجديده وبعثه لجامعة أهل البيت عليهم السلام على نطاق واسع لم يعهد له نظير في تلك العصور، فقد فتحت هذه المؤسَّسة العلميَّة آفاق الفكر والوعي، ونشرت ألواناً من العلوم والمعارف لم يعرفها المسلمون ولا غيرهم من قبل.

لقد عملت جامعة الإمام الصَّادق عليه السلام على تنوير الفكر البشري، وتطوير المجتمع الإنساني، وإبراز القيم الإسلاميَّة، وقد أنتجت صفوة العلماء، وقادة المفكِّرين والمبدعين والمخترعين، وقد جهدوا ـ بإخلاص ـ على نشر العلم بجميع أنواعه، وببركتهم نضجت الحياة الفكريَّة في ذلك العصر، واستحقَّ أن يمنح وسام العصر الذهبي في الإسلام.

لقد ساهم الإمام الصَّادق عليه السلام مساهمة إيجابيَّة وفعَّالة في التقدُّم التكنولوجي، والتطوُّر العلمي في جميع أنحاء العالم، وذلك بما قدَّمته جامعته من نظريات خلَّاقة، وأُسس رائعة لعلم الفيزياء والكيمياء والطبّ وغيرها من العلوم التي يحتاج إليها الناس في أُمور حياتهم، وقبل أن نخوض في الحديث عن شؤون جامعة الإمام عليه السلام نعرض إلى بعض الجهات التي ترتبط بالموضوع وتتَّصل به.

تشجيعه عليه السلام للتعليم:

وكان الإمام عليه السلام يشجِّع على التعليم ويدعو له؛ لأنَّه من أهمّ الوسائل الناجحة في نموِّ الفكر، وقد نظر إلى فتى على ثيابه أثر المداد وهو يستره خجلاً من الإمام، فأنكر عليه السلام ذلك وقال له:

«لَا تَجْزَعَنَّ مِنَ الْمِدَادِ فَإِنَّهُ عِطْرُ الرِّجَالِ وَحِلْيَةُ الْكُتَّابِ»[1].

(١) العقد الفريد: ٤/ ٢٥٠.

ونظر عليه السلام إلى فتى على ثيابه أثر المداد وهو يستره لئلّا يراه الإمام، فقال عليه السلام له: **«يا هَذا، إنَّ المِدادَ عَلَىٰ الثِّيابِ مِنَ الْمُروءَةِ»**[١].

حثّه عليه السلام على كتابة العلم:

وكان الإمام عليه السلام يحثّ على كتابة العلم؛ لأنَّه مفتاح للتأليف، وسبب لتطوّر الفكر، وتقدُّم للطالب في ميادين العلم، وقد قال عليه السلام لأصحابه: **«اكتبُوا فَإِنَّكُمْ لَا تَحْفَظونَ حَتَّىٰ تَكْتُبوا»**[٢].

وأوصى عليه السلام تلميذه الفقيه عبيد بن زرارة بكتابة العلم، فقال له: **«إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله قَالَ: قَيِّدوا الْعِلْمَ**، وفسَّر عليه السلام تقييد العلم بكتابته»[٣].

وصيَّته عليه السلام بالمحافظة على الكتب:

وأوصى الإمام عليه السلام أصحابه بالمحافظة على الكتب من التلف والضياع، قال عليه السلام: **«احْتَفِظوا بِكُتُبِكُمْ، فَإِنَّكُمْ سَوْفَ تَحْتاجونَ إِلَيْهَا»**[٤].

عوامل النموّ والازدهار:

أمَّا العوامل التي أدَّت إلى نموّ مدرسة الإمام الصادق عليه السلام وانطلاقها واتّساعها ـ ففيما أحسب ـ هي ما يلي:

١ ـ إنَّ العالم الإسلامي في عهد الإمام عليه السلام كان يرزح بالفتن والاضطراب، ويموج بالفتن والأحزاب السياسيَّة التي أدَّت إلى تفكُّك المجتمع، وتفلُّل وحدته.

٢ ـ إنَّ الإمام الصَّادق عليه السلام كان بمعزل عن التدخُّل في أيّ شأن من شؤون الدولة الأُمويَّة والعبَّاسيَّة لعلمه بفشل المعارضة.

٣ ـ ومن عوامل النموّ لهذه الجامعة الكبرى واتّساعها بهذا الشكل الذي لم يعهد له نظير، أنَّ الإمام الصَّادق عليه السلام هو العميد لهذه المؤسَّسة، وقد أجمع المسلمون على اختلاف طوائفهم ونزعاتهم أنَّه من ألمع أئمَّة المسلمين في علمه وفقهه ومواهبه وتقواه وورعه وتحرّجه في الدِّين.

---

(١) نوادر المخطوطات، المجموعة الخامسة: ص٧٦. صبح الأعشى: ٢/ ٤٧٢.

(٢) أُصول الكافي: ١/ ٥٢.

(٣) أمالي الطوسي: ص٩٥.

(٤) أمالي الطوسي: ص٩٥.

المركز العامّ:

واختار الإمام عليه السلام يثرب دار الهجرة، ومهبط الوحي، ومركز الصحابة والتابعين لهم بإحسان، فجعل فيها معهده الكبير، ومدرسته العظمى.

البعثات العلميَّة:

ولمَّا فتح الإمام عليه السلام أبواب جامعته أسرع إلى الانتماء إليها جميع روَّاد الفضيلة والعلم من شتَّى أقطار العالم الإسلامي، وذلك للانتهال من علوم الإمام عليه السلام، وتثقيفهم بالثقافة الإسلاميَّة، ومضافاً لذلك فإنَّ الانتماء لمدرسة أهل البيت عليهم السلام من موجبات الاعتزاز والفخر عند المسلمين.

عدد طلَّابها:

ولمَّا فتحت مدرسة الإمام عليه السلام أبوابها لجميع أبناء المسلمين بادر جمهور غفير من روَّاد العلم للالتحاق بها، فكان عددهم فيما يذكر الرواة أربعة آلاف طالب[١].

تدوين العلوم:

وحثَّ الإمام الصَّادق عليه السلام تلاميذه على تدوين دروسه ومحاضراته التي تناولت جميع العلوم والفنون، وذلك خوفاً عليها من الضياع والاضطراب، وقد أكَّد دعوته الملحَّة على هذه الجهة في غير موطن، فقد روى أبو بصير قال: دخلت على أبي عبد الله، فقال: **«ما يَمْنَعُكُمْ مِنَ الْكِتَابَةِ؟ إِنَّكُمْ لَنْ تَحْفَظوا حَتَّى تَكْتُبوا، إِنَّهُ خَرَجَ مِنْ عِنْدِي رَهْطٌ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ سَأَلونِي عَنْ أَشْيَاءَ فَكَتَبوها»**[٢].

كتب نُسبت للصَّادق عليه السلام:

من الجدير بالذكر أنَّ هناك بعض الكتب نُسبت للإمام الصَّادق عليه السلام، وهي:

ـ الجفر الأحمر[٣]:

ولم نطَّلع على هذا الكتاب، وإليه يشير المعرّي بقوله:

---

(١) الإرشاد: ٢/ ١٧٩.

(٢) مستدرك وسائل الشيعة: ١٧/ ٢٩.

(٣) الجفر ـ بفتح الجيم وسكون الفاء المهملة ـ: هو الجلد، وكانت السائد في تلك العصور يكتبون على الجلود والعظام والخزف، وما شاكل ذلك، وذلك لقلَّة القرطاس، جاء ذلك في وفيات الأعيان: ١/ ٣٣٧.

لَقَدْ عَجِبوا لآلِ الْبَيْتِ لَمَّا أَتَاهُمْ عِلْمُهُمْ فِي جِلْدِ جَفْرِ
فَمِرآةُ الْمُنَجِّمِ وَهِيَ صُغْرىٰ تُريهِ كُلَّ عامِرَةٍ وَقَفْرِ[١]

ـ مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة:

وهذا الكتاب مطبوع، ويعرض إلى كلمات الإمام الصَّادق عليه السلام.

ـ بحار الأنوار[٢]:

ولم نطَّلع على هذا الكتاب حتَّى نعرف صحَّة نسبته له.

ـ الهفت الشريف:

وهذا الكتاب مطبوع في بيروت ـ دار الأندلس، وقد حقَّقه وقدَّم له الدكتور مصطفى غالب، ولا يصحّ ـ بأيِّ حال ـ نسبته للإمام الصَّادق عليه السلام.

ـ الجعفريَّات:

ويحوي على ألف حديث مسند للإمام الصَّادق عليه السلام[٣]. وقد أعرض معظم فقهاء الإماميَّة عن الاستدلال له، لكن بعضهم إذا أعوزته النصوص يجعله مؤيّداً له في فتواه.

اعتزاز وافتخار:

واعتزَّ تلاميذ الإمام عليه السلام بالحضور والتشرُّف في مجلس درسه، وفخروا بذلك كثيراً، وجعلوا الانتماء لمدرسته من المآثر التي تؤهِّلهم إلى المراكز العليا في المجتمع الإسلامي، وممَّن فخر من تلاميذه بذلك أبو حنيفة، فقد قال: «لولا السنتان لهلك النعمان»[٤].

طابعها الخاصّ:

أمَّا جامعة الإمام الصَّادق عليه السلام فكان لها طابعها الخاصّ الذي انفردت به عن بقيَّة المؤسَّسات والجامعات العلميَّة، وهو الاستقلال الذاتي المتميِّز بعدم الارتباط بأيّ جهاز رسمي.

وحاول المنصور جاهداً أن يجلب الإمام الصَّادق عليه السلام، ويكسب ودّه، وثقة تلاميذه وشيعته، فكتب إليه:

(١) نور الأبصار/الشبلنجي: ص١٤١.
(٢) المرشد إلى الأدب/الإسماعيلي: ص٢٩.
(٣) في التراث العربي: ٢/ ٨٩، نقلاً عن بحار الأنوار: ٢٥/ ٢٧ و٢٨.
(٤) الأعلام: ١/ ١٨٦. التحفة الاثني عشريَّة: ص٨.

«لِمَ لا تغشانا كما يغشانا سائر النَّاس؟».

فأجابه الإمام ـ بوضوح ـ عن خطّته وسلوكه: **«لَيْسَ عِنْدَنا مِنَ الدُّنْيا مَا نَخَافُكَ عَلَيْهِ، وَلَيْسَ عِنْدَكَ مِنَ الآخِرَةِ مَا نَرْجوكَ لَهُ، فَعَلَامَ نَأْتِيكَ؟»**.

إنَّه ليس عند الإمام أي شيء من حطام الدُّنيا حتَّى يخاف على مصادرته من المنصور، كما أنَّه ليس عند المنصور من متع الآخرة حتَّى يرجوه، فقد أفلس الطاغية من كلّ ما يقرِّبه إلى الله زلفى، واقترف جميع الآثام، وقد سلك المنصور طريقاً آخر لعلَّه يجيبه الإمام، فكتب له: «وإنَّك تصحبنا لتنصحنا».

فأجابه الإمام بصراحة: **«مَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ فَلَا يَصْحَبُكَ، وَمَنْ أَرَادَ الدُّنْيا فَلَا يَنْصَحُكَ»**[1].

المناهج التعليميَّة:

وتناولت محاضرات الإمام الصَّادق عليه السلام وبحوثه القيِّمة في جامعته جميع أنواع العلوم العقليَّة والنقليَّة، ومذهب الكلام، وألوان الآداب، وضروب الثقافة العالية، وقد حظيت العلوم التالية بتدريسه:

١ ـ علم الفقه.

٢ ـ الحديث.

٣ ـ علوم القرآن.

٤ ـ الطبّ.

٥ ـ الكيمياء.

٦ ـ الفيزياء.

٧ ـ علم النبات.

الإمام عليه السلام مع تلاميذه:

كان الإمام الصَّادق عليه السلام يخلص كأعظم ما يكون الإخلاص لأعلام تلاميذه الذين غذَّاهم بعلومه، وأفاض عليهم قبساً من روحه، فكانوا دعاة الإسلام، والأدلَّاء على مرضاة الله، وقد قاموا بدور إيجابي وبنَّاء في نشر فضائل أهل البيت عليهم السلام، وإذاعة مآثرهم، وتفنيد أوهام وشبهات خصومهم.

---

(١) كشف الغمَّة: ٢٠٨/٢، نقلاً عن تذكرة ابن حمدون.

علوم الإمام عليه السلام

وليس أحد من عباقرة العالم وعظمائه أعظم عائدة على الإنسانيَّة، ولا أكثر عطاءً لها من الإمام جعفر الصَّادق عليه السلام، عدا آبائه عليهم السلام، فقد فتح الإمام الملهم آفاقاً مشرقة من المعارف والعلوم ساهمت مساهمة إيجابيَّة في صنع الحضارة الإنسانيَّة، وتطوير وسائلها في جميع المجالات.

لقد اتّسعت علوم الإمام ومعارفه فشملت أسرار الكون، ومظاهر الوجود، وتعدَّت إلى الفضاء الخارجي، وسكَّان الكواكب، وغير ذلك ممَّا يثير الدهشة، ويدعو إلى الإيمان بأنَّ الله تعالى قد خصَّه بفضله، ومنحه المزيد من العبقريَّات والمواهب، ونعرض لبعض علومه التي ملأت الدُّنيا ـ على حدِّ تعبير الجاحظ ـ كما نعرض لبعض العلوم التي نسبت إليه:

علم الكيمياء

والشيءالمحقَّق أنَّ الإمام الصَّادق عليه السلام هو الذي أسَّس واخترع علم الكيمياء، فلم يكن هذا العلم معروفاً في ذلك العصر، فقد فتق الإمام عليه السلام أبواب هذا العلم الخطر الذي يعتبر المنطلق الأوَّل للحضارة الإنسانيَّة، والتقدُّم التكنولوجي في هذا العصر.

وقد تلقَّى جابر بن حيَّان مفخرة الشرق هذا العلم الخطير من الإمام الصَّادق عليه السلام، وألَّف فيه كتبه التي كانت الأساس لهذا العلم.

علم الطبّ

وعنى الإمام الصَّادق عليه السلام عناية بالغة في علم الطبّ، وأقام له مدرسة خاصَّة، وهي أوَّل مدرسة تؤسّس في الإسلام في شبه الجزيرة العربيَّة، ولم تكن للعرب يوم ذاك عناية بالعلاج أو الوقاية[١]، وكان عليه السلام يلقي دروساً في هذا العلم استفاد منها كثير من الأطبَّاء والباحثين والمرضى في القرنين الثالث والرابع.

---

(١) الإمام الصادق عليه السلام كما عرفه علماء الغرب: ص١١٧.

الإمام عليه السلام مع طبيب هندي:

كان طبيب هندي من كبار الأطبَّاء يقرأ على المنصور الدوانيقي كتب الطبّ، واتَّفق أنَّ الإمام الصَّادق عليه السلام كان حاضراً فجعل ينصت لقراءته، فلمَّا فرغ التفت إلى الإمام قائلاً:

يا أبا عبد الله أتريد ممَّا معي شيئاً؟

- **لَا، لأَنَّ مَا مَعِي هُوَ خَيْرٌ مِمَّا مَعَكَ.**

وأسرع الطبيب قائلاً: ما هو؟

- **أُدَاوِي الْحَارَّ بِالْبَارِدِ وَالْبَارِدَ بِالْحَارِّ، وَ الرَّطْبَ بِالْيَابِسِ وَالْيَابِسَ بِالرَّطْبِ، وَأَرُدُّ الْأَمْرَ كُلَّهُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَسْتَعْمِلُ مَا قَالَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: وَاعْلَمْ أَنَّ الْمَعِدَةَ بَيْتُ الدَّاءِ، وَأَنَّ الْحِمْيَةَ رَأْسُ كُلِّ دَوَاءٍ، وَأُعَوِّدُ الْبَدَنَ مَا اعْتَادَهُ.**

وبهر الطبيب، وراح يقول: وهل الطبّ إلاَّ هذا؟

وانبرى الإمام عليه السلام قائلاً: **أَتَرَانِي مِنْ كُتُبِ الطِّبِّ أَخَذْتُ؟**

- نعم.

- **لَا وَاللَّهِ مَا أَخَذْتُ إِلَّا عَنِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، فَأَخْبِرْنِي أَنَا أَعْلَمُ بِالطِّبِّ أَمْ أَنْتَ؟**

- بل أنا.

ووجَّه الإمام إليه أسئلة حسَّاسة تتعلَّق في بدن الإنسان الذي هو موضوع علم الطبّ، قائلاً: **لِمَ كَانَ فِي الرَّأْسِ شُئُونٌ؟**

وتحيَّر الطبيب، ولم يهتدِ إلى الجواب، واعترف بالعجز قائلاً: لا أعلم.

- **لِمَ جُعِلَ الشَّعْرُ** - أي على الرأس - **مِنْ فَوْقٍ؟**

- لا أعلم.

- **لِمَ خَلَتِ الْجَبْهَةُ مِنَ الشَّعْرِ؟**

- لا أعلم.

- **لِمَ كَانَ لَهَا** - أي الجبهة - **تَخْطِيطٌ وَأَسَارِيرٌ؟**

- لا أعلم.

- **لِمَ كَانَ الْحَاجِبَانِ فَوْقَ الْعَيْنَيْنِ؟**

- لا أعلم.

- لِمَ جُعِلَتِ الْعَيْنَانِ كَاللَّوْزَتَيْنِ؟
- لا أعلم.
- لِمَ جُعِلَ الْأَنْفُ فِيمَا بَيْنَهُمَا - أي بين العينين -؟
- لا أعلم.
- لِمَ كَانَ ثَقْبُ الْأَنْفِ فِي أَسْفَلِهِ؟
- لا أعلم.
- لِمَ جُعِلَتِ الشَّفَةُ وَ الشَّارِبُ فَوْقَ الْفَمِ؟
- لا أعلم.
- لِمَ أُحِدَّ السِّنُّ، وَعَرُضَ الضِّرْسُ، وَطَالَ النَّابُ؟
- لا أعلم.
- لِمَ جُعِلَتِ اللِّحْيَةُ لِلرِّجَالِ؟
- لا أعلم.
- لِمَ خَلَتِ الْكَفَّانِ مِنَ الشَّعْرِ؟
- لا أعلم.
- لِمَ خَلَا الظُّفُرُ وَالشَّعْرُ مِنَ الْحَيَاةِ؟
- لا أعلم.
- لِمَ كَانَ الْقَلْبُ كَحَبِّ الصَّنَوْبَرِ؟
- لا أعلم.
- لِمَ كَانَتِ الرِّئَةُ قِطْعَتَيْنِ، وَجُعِلَتْ حَرَكَتُهَما فِي مَوْضِعِهَما؟
- لا أعلم.
- لِمَ كَانَتِ الْكَبِدُ حَدْبَاءَ؟
- لا أعلم.
- لِمَ كَانَتِ الْكُلْيَةُ كَحَبِّ اللُّوبِيَا؟
- لا أعلم.
- لِمَ جُعِلَ طَيُّ الرُّكْبَتَيْنِ إِلَى خَلْفٍ؟
- لا أعلم.

- لِمَ انْخَصَرَتِ الْقَدَمُ؟

- لا أعلم.

وطلب الطبيب الهندي من الإمام عليه السلام الجواب عن هذه الأُمور فأجاب عليه السلام:

١ - كَانَ فِي الرَّأْسِ شُؤُونٌ لِأَنَّ الْمُجَوَّفَ إِذَا كَانَ بِلَا فَصْلٍ أَسْرَعَ إِلَيْهِ الصُّدَاعُ، فَإِذَا جُعِلَ ذَا فُصُولٍ كَانَ الصُّدَاعُ مِنْهُ أَبْعَدَ.

٢ - وَجُعِلَ الشَّعْرُ مِنْ فَوْقِهِ لِيُوصَلَ بِوَصْلِهِ الْأَدْهَانُ إِلَى الدِّمَاغِ، وَيَخْرُجَ بِأَطْرَافِهِ الْبُخَارُ مِنْهُ، وَيُرَدَّ الْحَرُّ وَالْبَرْدُ عَنْهُ.

٣ - خَلَتِ الْجَبْهَةُ مِنَ الشَّعْرِ لِأَنَّهَا مَصَبُّ النُّورِ إِلَى الْعَيْنَيْنِ.

٤ - وَجُعِلَ فِيهِمَا التَّخْطِيطُ وَالْأَسَارِيرُ لِيَحْتَبِسَ الْعَرَقُ الْوَارِدُ مِنَ الرَّأْسِ عَنِ الْعَيْنِ قَدرَ مَا يُمِيطُهُ الْإِنْسَانُ عَنْ نَفْسِهِ كَالْأَنْهَارِ فِي الْأَرْضِ الَّتِي تَحْبِسُ الْمِيَاهَ.

٥ - وَجُعِلَ الْحَاجِبَيْنِ مِنْ فَوْقِ الْعَيْنَانِ لِيَرُدَّا عَلَيْهِمَا مِنَ النُّورِ قَدرَ الْكِفَايَةِ. أَلَا تَرَى - يَا هِنْدِيُّ - أَنَّ مَنْ غَلَبَهُ النُّورُ جَعَلَ يَدَهُ عَلَى عَيْنَيْهِ لِيَرِدَ عَلَيْهِمَا قَدْرَ كِفَايَتِهِمَا مِنْهُ.

٦ - وَكَانَتِ الْعَيْنُ كَاللَّوْزَةِ لِيَجْرِيَ فِيهَا الْمِيلُ بِالدَّوَاءِ وَيَخْرُجَ مِنْهَا الدَّاءَ، وَلَوْ كَانَتْ مُرَبَّعَةً أَوْ مُدَوَّرَةً مَا جَرَى فِيهَا الْمِيلُ وَلَا وَصَلَ إِلَيْهَا دَوَاءٌ، وَلَا خَرَجَ مِنْهَا دَاءٌ.

٧ - وَجُعِلَ الْأَنْفُ بَيْنَهُمَا لِيَقْسِمَ النُّورَ قِسْمَيْنِ إِلَى كُلِّ عَيْنٍ سَوَاءٍ.

٨ - وَجُعِلَ ثَقْبُ الْأَنْفِ فِي أَسْفَلِهِ لِتَنْزِلَ مِنْهَا الْأَدْوَاءُ الْمُنْحَدِرَةُ مِنَ الدِّمَاغِ، وَتَصْعَدَ فِيهِ الرَّوَايِحُ إِلَى الْمَشَامِّ، وَلَوْ كَانَ فِي أَعْلَاهُ لَمَا أُنْزِلَ دَاءٌ، وَلَا وُجِدَ رَائِحَةٌ.

٩ - وَجُعِلَ الشَّارِبُ وَالشَّفَةُ فَوْقَ الْفَمِ، لِحَبْسِ مَا يَنْزِلُ مِنَ الدِّمَاغِ مِنَ الْفَمِ، لِئَلَّا يَتَنَغَّصَ عَلَى الْإِنْسَانِ طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ فَيُمِيطَهُ عَنْ نَفْسِهِ.

١٠ - وَجُعِلَ السِّنُّ حادّاً لأَنَّ بِهِ يَقَعُ الْعَضُّ، وَجُعِلَ الضِّرْسُ عَرِيضاً لأَنَّهُ بِهِ يَقَعُ الطَّحْنُ وَالْمَضْغُ، وَكَانَ النَّابُ طَوِيلاً لِيُسْنِدَ الأَضْرَاسَ وَالأَسْنَانَ كَالأُسْطوانَةِ فِي الْبِنَاءِ.

١١ - وَجُعِلَتِ اللِّحْيَةُ لِلرِّجَالِ لِيَسْتَغْنِيَ بِهَا عَنِ الْكَشْفِ فِي الْمَنْظَرِ، وَيُعْلَمَ بِهَا الذَّكَرُ مِنَ الأُنْثَى.

١٢ - وَخَلَا الْكَفَّانِ مِنَ الشَّعْرِ لِأَنَّ بِهِمَا يَقَعُ اللَّمْسُ، فَلَوْ كَانَ فِيهِمَا شَعْرٌ مَا دَرَى الْإِنْسَانُ مَا يُقَابِلُهُ وَيَلْمَسُهُ.

١٣ ـ وَخَلَا الشَّعْرُ وَالظُّفُرُ مِنَ الْحَيَاةِ لِأَنَّ طُولَهُمَا سَمْجٌ يَقْبُحُ، وَقَصُّهما حَسَنٌ، فَلَوْ كَانَ فِيهِمَا حَيَاةٌ لَأَلِمَ الْإِنْسَانُ قَصِّهِمَا.

١٤ ـ وَكَانَ الْقَلْبُ كَحَبِّ الصَّنَوْبَرِ لِأَنَّهُ مُنَكَّسٌ، فَجَعَلَ رَأْسَهُ دَقِيقاً لِيَدْخُلَ فِي الرِّئَةِ فَتَرَوَّحَ عَنْهُ بِبَرْدِهَا، لِئَلَّا يَشِيطَ الدِّمَاغُ بِحَرِّهِ.

١٥ ـ وَجُعِلَتِ الرِّئَةُ قِطْعَتَيْنِ لِيَدْخُلَ الْقَلْبَ بَيْنَ مَضَاغِطِهَا فَيَتَرَوَّحَ بِحَرَكَتِهَا.

١٦ ـ وَكَانَتِ الْكَبِدُ حَدْبَاءَ لِتُثَقِّلَ الْمَعِدَةَ وَتَقَعَ جَمِيعُهَا عَلَيْهَا، فَتَعْصِرَهَا لِيَخْرُجَ مَا فِيهَا مِنَ الْبُخَارِ.

١٧ ـ وَجُعِلَتِ الْكُلْيَةُ كَحَبِّ اللُّوبِيَا لِأَنَّ عَلَيْهَا مَصَبَّ الْمَنِيِّ نُقْطَةً بَعْدَ نُقْطَةٍ، فَلَوْ كَانَتْ مُرَبَّعَةً أَوْ مُدَوَّرَةً لاحْتَبَسَتِ النُّقْطَةُ الْأُولَى إِلَى الثَّانِيَةِ، فَلَا يَلْتَذُّ بِخُرُوجِهَا، إِذِ الْمَنِيُّ يَنْزِلُ مِنْ فِقَارِ الظَّهْرِ إِلَى الْكُلْيَةِ، فَهِيَ كَالدُّودَةِ تَنْقَبِضُ وَتَنْبَسِطُ تَرْمِيهِ أَوَّلاً فَأَوَّلاً إِلَى الْمَثَانَةِ كَالْبُنْدُقَةِ مِنَ الْقَوْسِ.

١٨ ـ وَجُعِلَ طَيُّ الرُّكْبَةِ إِلَى خَلْفٍ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ يَمْشِي إِلَى مَا بَيْنَ يَدَيْهِ فَيَعْتَدِلُ الْحَرَكَاتُ وَلَوْلَا ذَلِكَ لَسَقَطَ فِي الْمَشْيِ.

١٩ ـ وَجُعِلَتِ الْقَدَمُ مُتَخَصِّرَةً لِأَنَّ الْمَشْيَ إِذَا وَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ جَمِيعَهُ ثَقُلَ ثِقْلَ حَجَرِ الرَّحَى.

وبهر الطبيب بهذه المعلومات التي لا معرفة له بها، وهي من بحوث علم الطبّ، وراح يقول بإعجاب للإمام: من أين لك هذا العلم؟

فَقَالَ الإمام عليه السلام أَخَذْتُهُ عَنْ آبَائِي عليهم السلام عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَنْ جَبْرَئِيلَ، عَنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ جَلَّ جَلَالُهُ الَّذِي خَلَقَ الْأَجْسَادَ وَالْأَرْوَاحَ.

وطفق الطبيب يقول: صدقت وأنا أشهد أن لا إله إلاَّ الله، وأنَّ محمَّد رسول الله وعبده، وأنَّك أعلم أهل زمانك»[١].

وصايا صحيَّة:

وأدلى الإمام الصَّادق عليه السلام بوصايا صحيَّة كان منها ما يلي:

١ ـ قال عليه السلام: «لَوِ اقْتَصَدَ النَّاسُ فِي الْمَطْعَمِ لاسْتَقَامَتْ أَبْدانُهُمْ»[٢].

(١) بحار الأنوار: ١٤/٤٧٨. المناقب: ٤/٢٥٩ ـ ٢٦١.

(٢) طبّ الأئمّة: ص٤.

٢ ـ قال عليه السلام: «مَنْ ظَهرَتْ صِحَّتُهُ عَلَىٰ سُقْمِهِ فَيُعَالَجُ بِشَيْءٍ فَماتَ، فَأَنَا إِلَىٰ اللَّهِ مِنْهُ بَرِيءٌ»[1].

٣ ـ قال عليه السلام: «لَيْسَ فِيمَا أَصْلَحَ الْبَدَنَ إِسْرافٌ، إِنَّمَا الإِسْرَافُ فِيمَا أَتْلَفَ الْمَالَ، وَأَضَرَّ الْبَدَنَ»[2].

٤ ـ قال عليه السلام: «اجْتَنِبِ الدَّواءَ مَا احْتَمَلَ بَدَنُكَ الدَّاءَ»[3].

٥ ـ قال عليه السلام: «غَسْلُ الإِنَاءِ، وَكَسْحُ الْفِنَاءِ مَجْلَبَةٌ لِلرِّزْقِ»[4].

٦ ـ قال عليه السلام: «أَقْلِلْ مِنْ شُرْبِ الْمَاءِ فَإِنَّهُ يَمُدُّ كُلَّ دَاءٍ»[5].

٧ ـ قال عليه السلام: «إِنَّ الْمَشْيَ لِلْمَرِيضِ نَكْسٌ»[6].

٨ ـ قال عليه السلام لعنوان البصري: «إِيَّاكَ أَنْ تَأْكُلَ مَا لَا تَشْتَهِيهِ، فَإِنَّهُ يُورِثُ الْحَمَاقَةَ وَالْبَلَهَ، وَلَا تَأْكُلْ إِلَّا عِنْدَ الْجُوعِ، وَإِذَا أَكَلْتَ فَكُلْ حَلالاً، وَسَمِّ بِاللَّهِ، وَاذْكُرْ حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: مَا مَلأَ ابْنُ آدَمَ وِعَاءً شَرّاً مِنْ بَطْنِهِ، فَإِذَا كَانَ وَلَا بُدَّ فَثُلُثٌ لِطَعامِهِ، وَثُلُثٌ لِشَرابِهِ، وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ»[7].

٩ ـ قال عليه السلام: «كُلُّ دَاءٍ مِنَ التُّخْمَةِ إِلَّا الْحُمَّىٰ فَإِنَّها تَرِدُ وُروداً»[8].

١٠ ـ قال عليه السلام: «لَا تَدْخُلِ الْحَمَّامَ إِلَّا وَفِي جَوْفِكَ شَيْءٌ يُطْفِىءُ عَنْكَ وَهَجَ الْمَعِدَةِ، وَهُوَ أَقْوىٰ لِلْبَدَنِ، وَلَا تَدْخُلْ وَأَنْتَ مُمْتَلِىءٌ مِنَ الطَّعَامِ»[9].

١١ ـ قال عليه السلام: «النَّوْمُ رَاحةُ الْجَسَدِ، وَالنُّطْقُ رَاحَةُ الرُّوحِ، وَالسُّكوتُ رَاحَةُ الْعَقْلِ»[10].

---

(١) وسائل الشيعة: ٢/ ٢٦٠. الخصال: ٢٦/ ٩٢.
(٢) الفصول المهمَّة: ٣/ ٢٨٥/ ٢٩٥٢.
(٣) الفصول المهمَّة: ٣/ ٢٥/ ٢٤٩٩.
(٤) الاثني عشريَّة: ص٢٩.
(٥) المحاسن: ٢/ ٥٧١/ ١١.
(٦) أُصول الكافي: ٨/ ٢٩١/ ٤٤٤.
(٧) بحار الأنوار: ١/ ١٦٩.
(٨) المحاسن: ٢/ ٤٤٧/ ٣٤١.
(٩) فروع الكافي: ٦/ ٤٩٧/ ٥.
(١٠) أمالي الصدوق: ص٣٥٨، الحديث ١.

١٢ ـ قال عليه السلام: «**يَنْبَغِي لِلشَّيْخِ الْكَبِيرِ أَن لَا يَنامَ إِلَّا وَجَوْفُهُ مُمْتَلِئٌ مِنَ الطَّعَامِ، فَإِنَّهُ أَهْدَأُ لِنَوْمِهِ، وَأَطْيَبُ لِنَكْهَتِهِ**»[1].

علم الكلام

وتناول الإمام الصادق عليه السلام في محاضراته وبحوثه الكثير من المسائل الكلاميَّة المعقَّدة، خصوصاً في قضايا التوحيد، فقد احتدم فيها النزاع والجدال في ذلك العصر، الذي شاعت فيه الشبه التي أثارها الحاقدون على الإسلام، أمثال: عبد الكريم بن أبي العوجاء، وغيره من دعاة الإلحاد في العالم العربي والإسلامي.

وقد تصدَّىٰ الإمام عليه السلام وتلاميذه المتخصّصون بهذه البحوث إلى إبطال شبههم، وتفنيد أوهامهم بالحجج الدامغة، والبراهين الساطعة التي لا مجال للريب والشكّ فيها، أمَّا الأدلَّة التي أقامها الإمام عليه السلام في مسائل التوحيد فهي على قسمين، وهما:

الأدلَّة الوجدانيَّة:

وهي التي تستند إلى المحسوسات في إثبات خالق الكون، وواهب الحياة، وقد سلك الإمام بذلك مسلك القرآن الكريم الذي أقام كوكبة من الأدلَّة الوجدانيَّة على توحيد الله، كان منها:

١ ـ قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ﴾[2].

٢ ـ قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[3].

٣ ـ قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾[4].

٤ ـ قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ﴾[5].

إلى غير ذلك من الآيات الكريمة التي قدَّمت الأدلَّة الحسِّيَّة على وجود الله تعالى

---

(١) الإمام جعفر الصَّادق عليه السلام: ص١٨٨.

(٢) سورة الإسراء: الآية ١٢.

(٣) سورة الرعد: الآية ٣.

(٤) سورة التغابن: الآية ٣.

(٥) سورة الملك: الآية ١٩.

مدبِّر الكون ومبدع الخلق، وقد اتَّبع الإمام عليه السلام هذه الطريقة في أدلَّته التي أقامها على بطلان شُبه ابن أبي العوجاء.

مع توحيد المفضّل:

أمَّا توحيد المفضّل فقد أملاه الإمام الصَّادق عليه السلام على تلميذه المفضّل بن عمر الجعفي الكوفي، حينما عرض عليه عبد الكريم بن أبي العوجاء وجوقة من الملاحدة بالحرم النبويّ المقدَّس، فنال ابن أبي العوجاء من شخصيَّة النبيّ العظيم صلى الله عليه وآله، وتكلَّم زوراً وبهتاناً، وزعم أنَّه لا خالق ولا مدبِّر لهذا الكون، فضاق المفضّل ذرعاً، وضاقت عليه الأرض إذ لم يكن هناك ركن شديد يأوي إليه، فيما إذا انتقم منه، كما أنَّه لم تكن عنده بضاعة علميَّة يستطيع أن يحاجج بها ابن أبي العوجاء، وخفَّ مسرعاً إلى الإمام الصَّادق عليه السلام، وطلب منه أن يزوِّده بأدلَّة علميَّة يستطيع أن يخاصم بها الملاحدة ويثبت بها عقيدته، فأجابه الإمام إلى ذلك، فأملى عليه هذا الكتاب في أيَّام متعدّدة، وهو من أهمّ الكتب التي أُلِّفت في هذا الموضوع[1].

بحوث كلاميَّة

عرض الإمام الصَّادق عليه السلام في محاضراته إلى كثير من البحوث الكلاميَّة التي تتعلَّق بقضايا التوحيد وغيره، كان منها ما يلي:

وحدة واجب الوجود:

وفنَّد الإمام الصَّادق عليه السلام شبهة الزنديق القائل بتعدُّد الآلهة، فقال عليه السلام له:

لَا يَخْلُو قَوْلُكَ: إِنَّهُمَا اثْنَانِ مِنْ أَنْ يَكُونَا قَدِيمَيْنِ قَوِيَّيْنِ، أَوْ يَكُونَا ضَعِيفَيْنِ، أَوْ يَكُونَ أَحَدُهُمَا قَوِيّاً وَالآخَرُ ضَعِيفاً، فَإِنْ كَانَا قَوِيَّيْنِ فَلِمَ لَا يَدْفَعُ كُلٌّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ وَيَتَفَرَّدُ بِالتَّدْبِيرِ؟ وَإِنْ زَعَمْتَ أَنَّ أَحَدَهُمَا قَوِيٌّ وَالآخَرَ ضَعِيفٌ ثَبَتَ أَنَّهُ وَاحِدٌ، كَمَا نَقُولُ: لِلعَجْزِ الظَّاهِرِ فِي الثَّانِي.

فَإِنْ قُلْتَ: إِنَّهُمَا اثْنَانِ لَمْ يَخْلُ مِنْ أَنْ يَكُونَا مُتَّفِقَيْنِ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ، أَوْ مُفْتَرِقَيْنِ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ، فَلَمَّا رَأَيْنَا الْخَلْقَ مُنْتَظِماً، وَالْفَلَكَ جَارِياً، وَالتَّدْبِيرَ وَاحِداً، وَاللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ، دَلَّ صِحَّةُ الْأَمْرِ وَالتَّدْبِيرِ، وَ ائْتِلَافُ الْأَمْرِ عَلَى أَنَّ الْمُدَبِّرَ وَاحِدٌ، ثُمَّ

---

(١) الكتاب مطبوع في مؤسسة الأعلمي تحت عنوان «توحيد المفضّل».

يَلْزَمُكَ إِنِ ادَّعَيْتَ اثْنَيْنِ فُرْجَةٌ مَا بَيْنَهُمَا حَتَّى يَكُونَا اثْنَيْنِ، فَصَارَتِ الْفُرْجَةُ ثَالِثاً بَيْنَهُمَا قَدِيماً مَعَهُمَا، فَيَلْزَمُكَ ثَلاثَةٌ.

فَإِنِ ادَّعَيْتَ ثَلاثَةً لَزِمَكَ مَا قُلْتَ فِي الِاثْنَيْنِ، حَتَّى تَكُونَ بَيْنَهُمْ فُرْجَةٌ فَيَكُونُوا خَمْسَةً، ثُمَّ يَتَنَاهَى فِي الْعَدَدِ إِلَى مَا لَا نِهَايَةَ لَهُ فِي الْكَثْرَةِ.

وانبرى الزنديق طالباً من الإمام الدليل على وجود الخالق العظيم، فأجابه عليه السلام: وُجُودُ الْأَفَاعِيلِ دَلَّتْ عَلَى أَنَّ صَانِعاً صَنَعَهَا، أَلَا تَرَى أَنَّكَ إِذَا نَظَرْتَ إِلَى بِنَاءٍ مُشَيَّدٍ مَبْنِيٍّ عَلِمْتَ أَنَّ لَهُ بَانِياً، وَإِنْ كُنْتَ لَمْ تَرَ الْبَانِيَ وَلَمْ تُشَاهِدْهُ.

وطلب الزنديق من الإمام عليه السلام أن يعرِّفه الخالق الحكيم، فقال عليه السلام: شَيْءٌ بِخِلَافِ الْأَشْيَاءِ... وَأَنَّهُ شَيْءٌ بِحَقِيقَةِ الشَّيْئِيَّةِ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا جِسْمٌ وَلَا صُورَةٌ، وَلَا يُحَسُّ وَلَا يُجَسُّ، وَلَا يُدْرَكُ بِالْحَوَاسِّ الْخَمْسِ، لَا تُدْرِكُهُ الْأَوْهَامُ وَلَا تَنْقُصُهُ الدُّهُورُ وَلَا تُغَيِّرُهُ الْأَزْمَانُ[١].

استحالة معرفة الله:

ويستحيل على الإنسان أن يحيط علماً بمعرفة حقيقة الله تعالى، بعدما كان الإنسان محدوداً في حواسّه وملكاته وقدراته.

يقول الإمام عليه السلام: «يَابْنَ آدَمَ، لَوْ أَكَلَ قَلْبَكَ طَائِرٌ لَمْ يُشْبِعْهُ، وَبَصَرُكَ لَوْ وُضِعَ عَلَيْهِ خَرْقُ إِبْرَةٍ لَغَطَّاهُ، تُرِيدُ أَنْ تَعْرِفَ بِهِمَا مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، إِنْ كُنْتَ صَادِقاً فَهَذِهِ الشَّمْسُ خَلْقٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ، فَإِنْ قَدَرْتَ أَنْ تَمْلَأَ عَيْنَيْكَ مِنْهَا فَهُوَ كَمَا تَقُول»[٢].

عدم وصفه بالكيف والأين:

ويستحيل أن يقدر العباد على الإحاطة بصفات الله، ومعرفة كنه حقيقته، كما يستحيل أن يوصف بالكيف والأين اللذين هما من صفات الممكن.

قال الإمام عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ عَظِيمٌ رَفِيعٌ، لَا يَقْدِرُ الْعِبَادُ عَلَى صِفَتِهِ، وَلَا يَبْلُغُونَ كُنْهَ عَظَمَتِهِ، لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ، وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ، وَلَا يُوصَفُ بِكَيْفٍ وَلَا أَيْنٍ وَلَا حَيْثٍ، وَكَيْفَ أَصِفُهُ بِالْكَيْفِ؟ وَهُوَ الَّذِي كَيَّفَ الْكَيْفَ حَتَّى صَارَ كَيْفاً، فَعُرِفَتِ الْكَيْفُ بِمَا كَيَّفَ، لَنَا مِنَ الْكَيْفِ، أَمْ كَيْفَ أَصِفُهُ بِأَيْنٍ؟ وَهُوَ الَّذِي أَيَّنَ الْأَيْنَ حَتَّى

---

(١) أصول الكافي: ١/ ٨٠ ـ ٨١.

(٢) أصول الكافي: ١/ ٩٣.

صَارَ أَيْناً، فَعُرِفَتِ الْأَيْنُ بِمَا أَيَّنَ لَنَا مِنَ الْأَيْنِ، أَمْ كَيْفَ أَصِفُهُ بِحَيْثٍ؟ وَهُوَ الَّذِي حَيَّثَ الْحَيْثَ حَتَّى صَارَ حَيْثاً، فَعُرِفَتِ الْحَيْثُ بِمَا حَيَّثَ لَنَا مِنَ الْحَيْثِ، فَاللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى دَاخِلٌ فِي كُلِّ مَكَانٍ وَخَارِجٌ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ، وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ، وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ»[1].

حقيقة التوحيد:

روى حمَّاد بن عمرو النصيبي، قال: «سألت جعفر بن محمَّد عليه السلام عن التوحيد، فقال: وَاحِدٌ، صَمَدٌ، أَزَلِيٌّ، صَمَدِيٌّ، لَا ظِلَّ لَهُ يُمْسِكُهُ، وَهُوَ يُمْسِكُ الْأَشْيَاءَ بِأَظِلَّتِهَا، عَارِفٌ بِالْمَجْهُولِ، مَعْرُوفٌ عِنْدَ كُلِّ جَاهِلٍ، فَرْدَانِيٌّ لَا خَلْقُهُ فِيهِ، وَلَا هُوَ فِي خَلْقِهِ، غَيْرُ مَحْسُوسٍ، وَلَا مَجْسُوسٍ، لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ، عَلَا فَقَرُبَ، وَدَنَا فَبَعُدَ، وَعُصِيَ فَغَفَرَ، وَأُطِيعَ فَشَكَرَ، لَا تَحْوِيهِ أَرْضُهُ، وَلَا تُقِلُّهُ سَمَاوَاتُهُ، وَإِنَّهُ حَامِلُ الْأَشْيَاءِ بِقُدْرَتِهِ، دَيْمُومِيٌّ، أَزَلِيٌّ، لَا يَنْسَى، وَلَا يَلْهُو، وَلَا يَغْلَطُ، وَلَا يَلْعَبُ، وَلَا لِإِرَادَتِهِ فَصْلٌ، وَفَصْلُهُ جَزَاءٌ، وَأَمْرُهُ وَاقِعٌ، لَمْ يَلِدْ فَيُورَثَ، وَلَمْ يُولَدْ فَيُشَارَكَ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ»[2].

لا جبر ولا تفويض:

قال عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ لَا يُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا، وَلَا يُكَلِّفُهَا فَوْقَ طَاقَتِهَا، وَأَفْعَالُ الْعِبَادِ مَخْلُوقَةٌ خَلْقَ تَقْدِيرٍ، لَا خَلْقَ تَكْوِينٍ، وَاللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، وَلَا تَقُولُ بِالْجَبْرِ وَلَا بِالتَّفْوِيضِ، وَلَا يَأْخُذُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْبَرِيءَ بِالسَّقِيمِ، وَلَا يُعَذِّبُ اللَّهُ الْأَطْفَالَ بِذُنُوبِ الْآبَاءِ، فَإِنَّهُ قَالَ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[3].

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾[4].

وَلِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَعْفُوَ وَيَتَفَضَّلَ، وَلَيْسَ لَهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَظْلِمَ وَلَا يَفْرِضُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى عِبَادِهِ طَاعَةَ مَنْ يَعْلَمُ أَنَّهُ يُغْوِيهِمْ وَيُضِلُّهُمْ، وَلَا يَخْتَارُ لِرِسَالَتِهِ وَلَا يَصْطَفِي مِنْ عِبَادِهِ مَنْ يَعْلَمُ أَنَّهُ يَكْفُرُ بِهِ، وَيَعْبُدُ الشَّيْطَانَ دُونَهُ، وَلَا يَتَّخِذُ عَلَى خَلْقِهِ حُجَّةً إِلَّا مَعْصُوماً»[5].

---

(١) أُصول الكافي: ١/١٠٣ و١٠٤.

(٢) التوحيد: ص٥٧ و٥٨.

(٣) سورة الأنعام: الآية ١٦٤. سورة الإسراء: الآية ١٥. سورة فاطر: الآية ١٨. سورة الزمر: الآية ٧.

(٤) سورة النجم: الآية ٣٩.

(٥) التوحيد: ص٤٠٧.

الله هو الأوّل والآخر:

سأل ابن أبي يعفور الإمام الصَّادق عليه السلام عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ﴾[1] أمّا الأوّل فقد عرفناه، وأمّا الآخر فبيِّن لنا تفسيره.

فقال عليه السلام: «إِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ إِلَّا يَبِيدُ أَوْ يَتَغَيَّرُ، أَوْ يَدْخُلُهُ التَّغَيُّرُ وَالزَّوَالُ، أَوْ يَنْتَقِلُ مِنْ لَوْنٍ إِلَى لَوْنٍ، وَمِنْ صِفَةٍ إِلَى صِفَةٍ، وَمِنْ زِيَادَةٍ إِلَى نُقْصَانٍ، وَمِنْ نُقْصَانٍ إِلَى زِيَادَةٍ، أَمَّا رَبُّ الْعَالَمِينَ فَإِنَّهُ لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ بِحَالَةٍ وَاحِدَةٍ، هُوَ الْأَوَّلُ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، وَهُوَ الْآخِرُ عَلَى مَا لَمْ يَزَلْ، وَلَا تَخْتَلِفُ عَلَيْهِ الصِّفَاتُ وَالْأَسْمَاءُ كَمَا تَخْتَلِفُ عَلَى غَيْرِهِ، مِثْلُ الْإِنْسَانِ الَّذِي يَكُونُ تُرَاباً مَرَّةً، وَمَرَّةً لَحْماً وَدَماً، وَمَرَّةً رُفَاتاً وَرَمِيماً، وَكَالْبُسْرِ الَّذِي يَكُونُ مَرَّةً بَلَحاً وَمَرَّةً بُسْراً، وَمَرَّةً رُطَباً، وَمَرَّةً تَمْراً، فَتَتَبَدَّلُ عَلَيْهِ الْأَسْمَاءُ وَالصِّفَاتُ، وَاللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ بِخِلَافِ ذَلِكَ»[2].

وأكّد الإمام عليه السلام هذا المعنى في حديث آخر له، قال عليه السلام: «الْأَوَّلُ لَا عَنْ أَوَّلٍ قَبْلَهُ، وَلَا عَنْ بَدْءٍ سَبَقَهُ، وَالْآخِرُ لَا عَنْ نِهَايَةٍ كَمَا يُعْقَلُ مِنْ صِفَةِ الْمَخْلُوقِينَ، وَلَكِنْ قَدِيمٌ، أَوَّلٌ، آخِرٌ، لَمْ يَزَلْ، وَلَا يَزُولُ بِلَا بَدْءٍ وَلَا نِهَايَةٍ، لَا يَقَعُ عَلَيْهِ الْحُدُوثُ، وَلَا يَحُولُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ، خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ»[3]

وقال عليه السلام في حديث آخر له مؤكِّداً هذا المعنى، قال: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى اسْمُهُ، وَتَعالىٰ ذِكْرُهُ، وَجَلَّ ثَنَاؤُهُ، سُبْحانَهُ وَتَقَدَّسَ وَتَفَرَّدَ وَتَوَحَّدَ وَلَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ، وَهُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ، وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ، فَلَا أَوَّلَ لأَوَّلِيَّتِهِ، رَفِيعاً فِي أَعْلىٰ عُلُوِّهِ، شَامِخُ الأَرْكَانِ، رَفِيعُ الْبنيانِ، عَظِيمُ السُّلْطانِ، مُنِيفُ الآلاءِ، سَنِيُّ الْعَلْياءِ، الَّذِي عَجِزَ الْوَاصِفونَ عَنْ كُنْهِ صِفَتِهِ، وَلَا يُطيقونَ حَمْلَ مَعْرِفَةِ إِلٰهِيَّتِهِ، وَلَا يَحُدُّونَ حُدودَهُ، لأَنَّهُ بِالْكَيْفِيَّةِ لَا يُتَنَاهىٰ إِلَيْهِ»[4].

أحاديث الإمام عليه السلام في البداء:

وأثرت عن الإمام الصَّادق عليه السلام كوكبة من الأحاديث في البداء، وهذه بعضها:

---

(١) سورة الحديد: الآية ٣.
(٢) أُصول الكافي: ١/ ١١٥.
(٣) أُصول الكافي: ١/ ١١٦.
(٤) أُصول الكافي: ١/ ١٣٧.

١ ـ «ما عُظِّمِ اللَّهُ بِمِثْلِ الْبَداءِ»[١].

٢ ـ قال عليه السلام في تفسير هذه الآية: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾[٢]: «هَلْ يُمْحىٰ إِلَّا مَا كَانَ ثَابِتاً، وَهَلْ يُثْبَتُ إِلَّا مَا لَمْ يَكُنْ؟»[٣].

٣ ـ «مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيّاً حَتَّىٰ يَأْخُذَ عَلَيْهِ ثَلَاثَ خِصَالٍ: الإِقْرَارَ لَهُ بِالْعُبودِيَّةِ، وَخَلْعَ الأَنْدَادِ، وَأَنَّ اللَّهُ يُقَدِّمُ مَنْ يَشَاءُ، وَيُؤَخِّرُ مَنْ يَشَاءُ»[٤].

٤ ـ «إِنَّ لِلَّهِ عِلْمَيْنِ: عِلْمٌ مَكْنونٌ مَخْزونٌ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا هُوَ مِنْ ذَلِكَ يَكُونُ الْبَداءُ، وَعِلْمٌ عَلَّمَهُ مَلَائِكَتَهُ وَأَنْبِياءَهُ، فَنَحْنُ نَعْلَمُهُ»[٥].

٥ ـ «مَا بَدا لِلَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا كَانَ فِي عِلْمِهِ قَبْلَ أَنْ يَبْدو لَهُ»[٦].

٦ ـ «إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْدُ لَهُ مِنْ جَهْلٍ»[٧].

٧ ـ «لَوْ عَلِمَ النَّاسُ مَا فِي الْقَوْلِ بِالْبَدَاءِ مِنَ الأَجْرِ مَا فَتَروا عَنِ الْكَلَامِ فِيهِ»[٨].

٨ ـ روى منصور بن حازم، قال: «سألت أبا عبد الله عليه السلام: هل يكون اليوم شيء لم يكن في علم الله بالأمس؟ قال عليه السلام: لَا، مَنْ قَالَ هَذَا فَأَخْزَاهُ اللَّهُ.

قلت: أرأيت ما كان، وما هو كائن إلى يوم القيامة أليس في علم؟

قال عليه السلام: بَلىٰ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الْخَلْقَ»[٩].

٩ ـ «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَخْبر مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله بِمَا كَانَ مُنْذُ كَانَتِ الدُّنْيا، وَبِمَا يَكُونُ إِلَىٰ انْقِضاءِ الدُّنْيا، وَأَخْبَرَهُ بِالْمَحْتومِ مِنْ ذَلِكَ، وَاسْتَثْنىٰ عَلَيْهِ فِيمَا سَواهُ»[١٠].

---

(١) أُصول الكافي: ١/١٤٦.
(٢) سورة الرعد: الآية ٣٩.
(٣) أُصول الكافي: ١/١٤٦.
(٤) أُصول الكافي: ١/١٤٧.
(٥) أُصول الكافي: ١/١٤٧.
(٦) أُصول الكافي: ١/١٤٨.
(٧) أُصول الكافي: ١/١٤٨.
(٨) أُصول الكافي: ١/١٤٨.
(٩) أُصول الكافي: ١/١٤٨.
(١٠) الكافي: ١/١٤٨/ ١٤. الفصول المهمّة: ١/ ٢٢٥/ ١٩٩.

الابتلاء والاختبار:

قال عليه السلام: «إِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ فِيهِ قَبْضٌ أَوْ بَسْطٌ مِمَّا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَوْ نَهىٰ عَنْهُ إِلَّا وَفِيهِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ابْتِلاءٌ وَقَضَاءٌ»(١).

المشيئة والإرادة:

ـ روى أبو بصير، قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: شاء، وأراد، وقدّر، وقضى ـ أي الله ـ؟

قال: نَعَمْ.

قلت: وأحبّ؟

قال: لَا.

قلت: وكيف شاء، وأراد، وقضى، ولم يحبّ؟

قال: هَكَذا خَرَجَ إِلَيْنا»(٢).

ـ روى عبد الله بن سنان، قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: أَمَرَ اللَّهُ وَلَمْ يَشَأْ، وَشَاءَ وَلَمْ يَأْمُرْ. أَمَرَ إِبْلِيسَ أَنْ يَسْجُدَ لآدَمَ، وَشَاءَ أَنْ لَا يَسْجُدَ وَلَوْ شَاءَ لَسَجَدَ، وَنَهىٰ آدَمَ عَنْ أَكْلِ الشَّجَرَةِ، وَشَاءَ أَنْ يَأْكُلَ مِنْهَا، وَلَوْ لَمْ يَشَأْ لَمْ يَأْكُلْ»(٣).

قال عليه السلام: «شَاءَ، وَأَرَادَ، وَلَمْ يُحِبَّ وَلَمْ يَرْضَ، شَاءَ أَنْ لَا يَكُونَ شَيْءٌ إِلَّا بِعِلْمِهِ، وَأَرَادَ مِثْلَ ذَلِكَ، وَلَمْ يُحِبَّ أَنْ يُقَالَ: ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ، وَلَمْ يَرْضَ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ»(٤).

السعادة والشقاء:

روى أبو بصير، قال: «كنت بين يدي أبي عبد الله عليه السلام جالساً وقد سأله سائل فقال له: جعلت فداك يابن رسول الله، من أين لحق الشقاء أهل المعصية حتّى حكم الله لهم في العذاب على عملهم؟

فقال أبو عبد الله عليه السلام: أَيُّهَا السَّائِلُ، حُكْمُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَقُومُ لَهُ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ بِحَقِّهِ، فَلَمَّا حَكَمَ بِذَلِكَ وَهَبَ لِأَهْلِ مَحَبَّتِهِ الْقُوَّةَ عَلَى مَعْرِفَتِهِ، وَوَضَعَ عَنْهُمْ ثِقْلَ الْعَمَلِ

---

(١) أُصول الكافي: ١/ ١٥٢.
(٢) أُصول الكافي: ١/ ١٥٠.
(٣) أُصول الكافي: ١/ ١٥١.
(٤) أُصول الكافي: ١/ ١٥١.

بِحَقِيقَةِ مَا هُمْ أَهْلُهُ، وَوَهَبَ لِأَهْلِ الْمَعْصِيَةِ الْقُوَّةَ عَلَى مَعْصِيَتِهِمْ لِسَبْقِ عِلْمِهِ فِيهِمْ وَمَنَعَهُمْ إِطَاقَةَ الْقَبُولِ فَوَافَقُوا مَا سَبَقَ لَهُمْ فِي عِلْمِهِ وَلَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يَأْتُوا حَالًا تُنْجِيهِمْ مِنْ عَذَابِهِ لِأَنَّ عِلْمَهُ أَوْلَى بِحَقِيقَةِ التَّصْدِيقِ وَهُوَ مَعْنَى شَاءَ مَا شَاءَ»[١].

الجفر:

قال الإمام الصَّادق عليه السلام لأصحابه: «نَظَرْتُ فِي صَبِيحَةِ هَذَا الْيَوْمِ فِي كِتَابِ الْجَفْرِ الَّذِي خَصَّ اللَّهُ بِهِ مُحَمَّداً وَالأَئِمَّةَ مِنْ بَعْدِهِ، وَتَأَمَّلْتُ فِيهِ مَوْلِدَ غَائِبِنَا وَغَيْبَتَهُ ـ وَهُوَ الْمُصْلِحُ الأَعْظَمُ الإِمَامُ الْمُنْتَظَرُ عليه السلام ـ وَإِبْطَاءَهُ، وَطولَ عُمْرِهِ، وَبَلْوَىٰ الْمُؤْمِنِينَ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ، وَتَوَلُّدَ الشُّكوكِ فِي قُلُوبِهِمْ، وَارْتِدَادَ أَكْثَرِهِمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَخَلْعِهِمْ رِبْقَةَ الإِسْلَامِ مِنْ أَعْنَاقِهِمْ، الَّتِي قَالَ تَقَدَّسَ ذِكْرُهُ: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾[٢] يعني الولاية.

فقال له أصحابه: كرَّمنا وشرَّفنا ببعض ما أنت تعرفه من علم ذلك.

فقال عليه السلام: إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ فِي الْقَائِمِ مِنَّا سُنَناً مِنْ سُنَنِ أَنْبِيائِهِ: سُنَّةً مِنْ نُوحٍ طُولَ الْعُمُرِ، وَسُنَّةً مِنْ إِبْرَاهِيمَ خَفاءَ الأَوْلَادِ وَاعْتِزَالَ النَّاسِ، وَسُنَّةً مِنْ مُوسَىٰ الْخَوْفَ وَالْغَيْبَةَ، وَسُنَّةً مِنْ عِيسَىٰ اخْتِلَافَ النَّاسِ فِيهِ، وَسُنَّةً مِنْ أَيُّوبَ الْفَرَجَ بَعْدَ الشِّدَّةِ، وَسُنَّةً مِنْ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله الْخُرُوجَ بِالسَّيْفِ يَهْتَدِي بِهُدَاهُ وَيَسِيرُ بِسِيرَتِهِ»[٣].

علم الفقه

لقد قام الإمام أبو جعفر وولده الإمام الصَّادق عليهما السلام بدور مشرق في نشر الفقه الإسلامي، ويقول المؤرّخون: إنَّ أحكام الحجّ لم يكن يعرفها المسلمون حتَّى عرَّفهم بها الإمام الباقر وولده عليهما السلام.

النهي عن القياس:

١ ـ قال عليه السلام: «قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: لَا رَأْيَ فِي الدِّينِ»[٤].

---

(١) أُصول الكافي: ١/١٥٣.
(٢) سورة الإسراء: الآية ١٣.
(٣) الإمام الصادق عليه السلام: ١/١٠٦.
(٤) المحاسن: ص١٦٣.

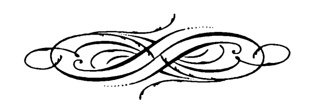
٢ ـ قال عليه السلام: «إِنَّ أَصْحَابَ الْمَقَايِيسِ طَلَبُوا الْعِلْمَ بِالْمَقَايِيسِ فَلَمْ تَزِدْهُمُ الْمَقَايِيسُ مِنَ الْحَقِّ إِلَّا بُعْداً، وَإِنَّ دِينَ اللَّهِ لَا يُصَابُ بِالْمَقَايِيسِ»[١].

٣ ـ قال عليه السلام «إِنَّ إِبْلِيسَ قَاسَ نَفْسَهُ بِآدَمَ، فَقَالَ: خلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ، فَلَوْ قَاسَ مِنَ الْجَوْهَرِ الَّذِي خَلَقَ اللَّهُ مِنْهُ آدَمَ بِالنَّارِ كَانَ ذَلِكَ أَكْثَرَ نُوراً وَضِيَاءً مِنَ النَّارِ»[٢].

٤ ـ قال محمَّد بن حكيم: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنَّ قوماً من أصحابنا قد تفقَّهوا، وأصابوا علماً، ورووا أحاديث، فيردّ عليهم الشيء فيقولون فيه برأيهم، فقال عليه السلام: لَا، وَهَلْ هَلَكَ مَنْ مَضىٰ إِلَّا بِهَذا وَأَشْباهِهِ»[٣].

٥ ـ روى أبو الربيع الشامي، قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما أدنى ما يخرج العبد من الإيمان؟ فقال: الرَّأْيُ يَراهُ مُخالِفاً لِلْحَقِّ فَيُقِيمُ عَلَيْهِ»[٤].

٦ ـ قال عليه السلام لأبي حنيفة: «وَيْحَكَ إِنَّ أَوَّلَ مَنْ قَاسَ إِبْلِيسُ لَمَّا أَمَرَهُ بِالسُّجُودِ لآدَمَ قَالَ: ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾[٥]»[٦].



(١) المحاسن: ص١٦٣.
(٢) المصدر المتقدِّم: ص١٦٤.
(٣) المصدر المتقدِّم: ص١٦٤.
(٤) المحاسن: ص١٦٤.
(٥) سورة الأعراف: الآية ١٢. سورة ص: الآية ٧٦.
(٦) المحاسن: ص١٦٣.

العقل والعلم

فجَّر الإمام الصَّادق عليه السلام ـ فيما أُثر عنه من جوامع الكلم ـ ينابيع الحكمة، وقواعد الأخلاق والآداب، كما خاض فيها في أسرار الكون، وطبائع الناس وخصائصهم وغرائزهم، ووضع المناهج السليمة لإصلاحها وتهذيبها.

لقد عُني الإمام في جوامع كلماته بجميع قضايا الإنسان، ووضع الحلول الحاسمة لعلاجها، وقد حكت ذلك آرؤه المشرقة في فضل العقل والعلم، ومدى أهمّيتها في بناء الحضارة الإنسانيَّة، وبيانه لواقع السياسة المستقيمة التي ينعم في ظلالها الإنسان، وحثّه على التحلِّي بالصفات الكريمة التي يتميَّز بها الإنسان عن الحيوان السائم، وتحذيره من الصفات الذميمة التي تهبط بالإنسان إلى مستوى سحيق ما له من قرار.

العقل

أهميَّة العقل:

وأدلى الإمام الصَّادق عليه السلام بحديث ممتع عن أهميَّة العقل وتدبيره في شؤون الإنسان، وإيصاله إلى المراتب العالية التي من أهمِّها معرفة الإنسان بخالقه العظيم، وكان من جملة حديثه ما يلي:

«إِنَّ أَوَّلَ الْأُمُورِ وَمَبْدَأَهَا، وَقُوَّتَهَا وَعِمَارَتَهَا، الَّتِي لَا يُنْتَفَعُ بِشَيْءٍ إِلَّا بِهِ: الْعَقْلُ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ زِينَةً لِخَلْقِهِ، وَنُوراً لَهُمْ.

فَبِالْعَقْلِ عَرَفَ الْعِبَادُ خَالِقَهُمْ وَأَنَّهُمْ مَخْلُوقُونَ، وَأَنَّهُ الْمُدَبِّرُ لَهُمْ وَأَنَّهُمُ الْمُدَبَّرُونَ، وَأَنَّهُ الْبَاقِي وَهُمُ الْفَانُونَ، وَاسْتَدَلُّوا بِعُقُولِهِمْ عَلَى مَا رَأَوْا مِنْ خَلْقِهِ، مِنْ سَمَائِهِ وَأَرْضِهِ، وَشَمْسِهِ وَقَمَرِهِ، وَلَيْلِهِ وَنَهَارِهِ، أَنَّ وَلَهُمْ خَالِقاً وَمُدَبِّراً لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزُولُ، وَعَرَفُوا بِهِ الْحَسَنَ مِنَ الْقَبِيحِ، وَأَنَّ الظُّلْمَةَ فِي الْجَهْلِ، وَأَنَّ النُّورَ فِي الْعِلْمِ، فَهَذَا مَا دَلَّهُمْ عَلَيْهِ الْعَقْلُ».

فانبرى إليه شخص فسأله: هل يكتفي العباد بالعقل دون غيره؟

فأجابه عليه السلام: «إِنَّ الْعَاقِلَ لِدَلَالَةِ عَقْلِهِ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ قِوَامَهُ، وَزِينَتَهُ وَهِدَايَتَهُ، عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ، وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّهُ.

وَعَلِمَ أَنَّ لِخَالِقِهِ مَحَبَّةً، وَأَنَّ لَهُ كَرَاهِةً، وَأَنَّ لَهُ طَاعَةً، وَأَنَّ لَهُ مَعْصِيَةً، فَلَمْ يَجِدْ عَقْلَهُ يَدُلُّهُ عَلَى ذَلِكَ.

وَعَلِمَ أَنَّهُ لَا يُوصَلُ إِلَيْهِ إِلَّا بِالْعِلْمِ وَطَلَبِهِ، وَأَنَّهُ لَا يَنْتَفِعُ بِعَقْلِهِ إِنْ لَمْ يُصِبْ ذَلِكَ بِعِلْمِهِ، فَوَجَبَ عَلَى الْعَاقِلِ طَلَبُ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ الَّذِي لَا قِوَامَ لَهُ إِلَّا بِهِ»[(١)].

فلاح الإنسان بعقله:

وأكّد الإمام الصّادق عليه السلام في حديثه التالي على أنّه لا فلاح للإنسان، ولا سعادة له، إلاّ بالعقل، قال عليه السلام للمفضّل:

«يَا مُفَضَّلُ، لَا يُفْلِحُ مَنْ لَا يَعْقِلُ، وَلَا يَعْقِلُ مَنْ لَا يَعْلَمُ، وَسَوْفَ يَنْجُبُ مَنْ يَفْهَمُ، وَيَظْفَرُ مَنْ يَحْلُمُ، وَالْعِلْمُ جُنَّةٌ، وَالصِّدْقُ عِزٌّ، وَالْجَهْلُ ذُلٌّ، وَالْفَهْمُ مَجْدٌ، وَالْجُودُ نُجْحٌ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ مَجْلَبَةٌ لِلْمَوَدَّةِ.

وَالْعَالِمُ بِزَمَانِهِ لَا تَهْجُمُ عَلَيْهِ اللَّوَابِسُ، وَالْحَزْمُ مَسَاءَةُ الظَّنِّ، وَبَيْنَ الْمَرْءِ وَالْحِكْمَةِ نِعْمَةُ الْعَالِمِ، وَالْجَاهِلُ شَقِيٌّ بَيْنَهُمَا، وَاللَّهُ وَلِيُّ مَنْ عَرَفَهُ، وَعَدُوُّ مَنْ تَكَلَّفَهُ، وَالْعَاقِلُ غَفُورٌ، وَالْجَاهِلُ خَتُورٌ[(٢)].

وَإِنْ شِئْتَ أَنْ تُكْرَمَ فَلِنْ، وَإِنْ شِئْتَ أَنْ تُهَانَ فَاخْشُنْ، وَمَنْ كَرُمَ أَصْلُهُ لَانَ قَلْبُهُ، وَمَنْ خَشُنَ عُنْصُرُهُ غَلُظَ كَبِدُهُ، وَمَنْ فَرَّطَ تَوَرَّطَ، وَمَنْ خَافَ الْعَاقِبَةَ تَثَبَّتَ عَنِ التَّوَغُّلِ فِيمَا لَا يَعْلَمُ، وَمَنْ هَجَمَ عَلَى أَمْرٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ جَدَعَ أَنْفَ نَفْسِهِ، وَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ لَمْ يَفْهَمْ، وَمَنْ لَمْ يَفْهَمْ لَمْ يَسْلَمْ، وَمَنْ لَمْ يَسْلَمْ لَمْ يُكْرَمْ، وَمَنْ لَمْ يُكْرَمْ يُهْضَمْ، وَمَنْ يُهْضَمْ كَانَ أَلْوَمَ، وَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ كَانَ أَحْرَى أَنْ يَنْدَمَ»[(٣)].

من هو العاقل؟:

وتحدّث الإمام الصّادق عليه السلام فقال: «الْعَاقِلُ مَهنْ عَقَلَ الأمورَ، وَالْجَاهِلُ مَنْ جَهِلَ الأَشْيَاءَ»[(٤)].

---

(١) أُصول الكافي: ١/٣٩.
(٢) ختور: من الختر، وهو المكر والخديعة.
(٣) أُصول الكافي: ١/٢٦ و٢٧.
(٤) الحكم الجعفريّة: ص٣٤.

العقل حجَّة:

العقل حجَّة من حجج الله تعالى على خلقه، يهدي من اتّبعه إلى طريق الحقّ، وينجيه من عذاب أليم. وأدلى الإمام عليه السلام بذلك في بعض الأحاديث، والتي منها:

قال عليه السلام لهشام: **«يَا هِشَامُ، إنَّ لِلَّهِ عَلَىٰ النَّاسِ حُجَّتَيْنِ: حُجَّة ظَاهِرَةً وَحُجَّةً باطِنَةً، فَأَمَّا الظَّاهِرَةُ فَالرُّسُلُ وَالأَنْبِياءُ وَالأَئِمَّةُ، وَأَمَّا الْبَاطِنَةُ فالْعُقُولُ»**[١].

وقال عليه السلام أيضاً: **«حُجَّةُ اللَّهِ عَلَىٰ الْعِبَادِ النَّبِيُّ، والْحُجَّةُ فِيمَا بَيْنَ الْعِبَادِ وَبَيْنَ اللَّهِ الْعَقْلُ»**[٢].

العلم

من أهمّ الوسائل في تطوُّر الأُمم وتقدُّم الشعوب هو نشر العلم، وإشاعته بين أبنائها، وأنَّ من المستحيل أن ينهض شعب جاهل ويحتلّ مركزاً مميَّزاً بين الشعوب، بل يكون مطيَّة وبقرة حلوباً للأُمم المتطوِّرة التي تتسلَّح بالعلم.

وقد عُني الإمام الصَّادق عليه السلام بالعلم بصورة إيجابيَّة وشاملة، فأشاد بفضله، وأثنى على روَّاده، وحثَّ على طلبه، ووضع المناهج لآداب المتعلِّمين.

كما عُني بصورة خاصَّة بالتفقُّه في الدِّين، ومعرفة أحكام الشريعة الإسلاميَّة، التي يسمو بمعرفتها الإنسان، وتزدهر بها شخصيَّته...

الحثّ على طلبه:

١ - قال عليه السلام: **«طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَىٰ كُلِّ مُؤْمِنٍ، فَاطْلُبوهُ وَلَوْ فِي الصِّينِ، فَإِنَّ قَلِيلاً مِنَ الْعِلْمِ أَفْضَلُ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الْعِبَادَةِ»**[٣].

٢ - قال عليه السلام: **«اطْلُبوا الْعِلْمَ فَإِنَّهُ رَأْسُ الْفَضْلِ، وَإِيَّاكُمْ أَنْ تَتَعَلَّموهُ لِتَهاذَونَ بِهِ، أَوْ تُمارونَ بِهِ الْعُلَمَاءَ، فَيَكُونَ رِيحُكُمْ مِنَ النَّارِ»**[٤].

---

(١) أصول الكافي: ١/٥٦.
(٢) أصول الكافي: ١/٦٩.
(٣) الحكم الجعفريَّة: ص٦٣.
(٤) الحكم الجعفريَّة: ص٦٣.

٣ ـ قال عليه السلام: «الْعِلْم حَياةُ الْقُلُوبِ، وَمَصَابِيحُ الأَبْصَارِ، تُوصَلُ بِهِ الأَرْحَامُ، وَيُعْرَفُ بِهِ الْحَلالُ وَالْحَرَامُ، يُعْطِيهِ اللَّهِ السُّعَدَاءَ، وَيَحْرِمُهُ الأَشْقِياءَ»(١).

٤ ـ قال عليه السلام: «يَجِبُ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِ أَنْ يَتَعَلَّمَ، وَأَنْ يُعَلِّمَ، وَالْبُشْرىٰ لِمَنْ يَتَعَلَّمُ وَيُعَلِّمُ، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ دَلَالَةً وَاضِحَةً عَلَىٰ مَعْرِفَةِ الْحَقِّ مِنَ الْبَاطِلِ، وَمَعْرِفَةِ الْفَصْلِ مِنَ الْوَصْلِ»(٢).

الإخلاص في طلبه:

وقد أعلن ذلك الإمام الصَّادق عليه السلام بقوله: «مَنْ أَرَادَ الْحَدِيثَ لِمَنْفَعَةِ الدُّنْيا لَمْ يَكُنْ لَهُ فِي الآخِرَةِ نَصِيبٌ، وَمَنْ أَرَادَ بِهِ خَيْرَ الآخِرَةِ أَعْطَاهُ اللَّهُ خَيْرَ الدُّنْيا وَالآخِرَةِ»(٣).

قال عليه السلام: «اطْلُبوا الْعِلْمَ مِنْ وُجوهِهِ.

فانبرى إليه بعض أصحابه فقال: ما وجوهه؟

فأجابه عليه السلام: بِمَناهِجِهِ وَوُجوهِهِ قائلاً: التَّواضُعُ لِلْعَالِمِ، وَالْقَبولُ مِنْهُ، وَالصَّمْتُ أَمَامَهُ، وَالإِسْتِمَاعُ إِلَيْهِ، وَحِفْظُ الْعِلْمِ، وَالْعَمَلُ بِهِ»(٤).

قال عليه السلام: «مَنْ عَلَّمَ عِلْماً يُبَاهِي بِهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَيَفْتَخِرُ بِهِ عَلَيْهِمْ، أَحْبَطَ اللَّهُ عَمَلَهُ وَأَعْمَىٰ عَنْ ذَلِكَ الْعَالِمِ قَلْبَهُ»(٥).

أصناف طلّاب العلوم:

وأدلى الإمام الصَّادق عليه السلام بحديثه التالي عن أصناف طلَّاب العلوم، وقد عرض فيه لدوافعهم النفسيَّة.

«طَلَبَةُ الْعِلْمِ ثَلاثَةٌ: فَاعْرِفْهُمْ بِأَعْيَانِهِمْ وَصِفَاتِهِمْ:

صِنْفٌ يَطْلُبُهُ لِلْجَهْلِ وَالْمِرَاءِ، وَصِنْفٌ يَطْلُبُهُ لِلاسْتِطَالَةِ وَالْخَتْلِ، وَصِنْفٌ يَطْلُبُهُ لِلْفِقْهِ وَالْعَقْلِ.

فَصَاحِبُ الْجَهْلِ وَالْمِرَاءِ مُؤْذٍ مُمَارٍ، مُتَعَرِّضٌ لِلْمَقَالِ فِي أَنْدِيَةِ الرِّجَالِ، بِتَذَاكُرِ

---

(١) مجموعة ورَّام: ٢/ ٢٤٥.
(٢) الحكم الجعفريَّة: ص٦٥.
(٣) أُصول الكافي: ١/ ٤٦.
(٤) الحكم الجعفريَّة: ص٦٣.
(٥) الحكم الجعفريَّة: ص٣٧.

الْعِلْم، وَصِفَةِ الْحِلْم، قَدْ تَسَرْبَلَ بِالْخُشُوعِ، وَتَخَلَّى مِنَ الْوَرَعِ، فَدَقَّ اللَّهُ مِنْ هَذَا خَيْشُومَهُ، وَقَطَعَ مِنْهُ حَيْزُومَهُ[١].

وَصَاحِبُ الِاسْتِطَالَةِ وَالْخَتْلِ ذُو خِبٍّ[٢] وَمَلَقٍ يَسْتَطِيلُ عَلَى مِثْلِهِ مِنْ أَشْبَاهِهِ، وَيَتَوَاضَعُ لِلْأَغْنِيَاءِ مِنْ دُونِهِ، فَهُوَ لِحَلْوَائِهِمْ هَاضِمٌ، وَلِدِينِهِ حَاطِمٌ، فَأَعْمَى اللَّهُ عَلَى هَذَا خُبْرَهُ، وَقَطَعَ مِنْ آثَارِ الْعُلَمَاءِ أَثَرَهُ.

وَصَاحِبُ الْفِقْهِ وَالْعَقْلِ: ذُو كَآبَةٍ، وَحَزَنٍ وَسَهَرٍ، قَدْ تَحَنَّكَ فِي بُرْنُسِهِ، وَقَامَ اللَّيْلَ فِي حِنْدِسِهِ[٣] يَعْمَلُ وَيَخْشَى، وَجِلًا دَاعِياً، مُشْفِقاً مُقْبِلًا عَلَى شَأْنِهِ، عَارِفاً بِأَهْلِ زَمَانِهِ، مُسْتَوْحِشاً مِنْ أَوْثَقِ إِخْوَانِهِ، فَشَدَّ اللَّهُ مِنْ هَذَا أَرْكَانَهُ، وَأَعْطَاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمَانَهُ»[٤].

التفقُّه في الدِّين:

قال عليه السلام: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْراً فَقَّهَهُ فِي الدِّينِ»[٥].

قال عليه السلام: «عَلَيْكُمْ بِالتَّفَقُّهِ فِي دِينِ اللَّهِ، وَلَا تَكُونُوا أَعْرَاباً، فَإِنَّهُ مَنْ لَمْ يَتَفَقَّهْ فِي دِينِ اللَّهِ لَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَمْ يُزَكِّ لَهُ عَمَلًا»[٦].

قال عليه السلام: «تَفَقَّهوا فِي الدِّينِ، فَإِنَّهُ مَنْ لَمْ يَتَفَقَّهْ مِنْكُمْ فِي الدِّينِ فَهُوَ أَعْرَابِيٌّ، إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ فِي كِتَابِهِ: ﴿لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[٧]»[٨].

قال عليه السلام: «حَدِيثٌ فِي حَلَالٍ وَحَرَامٍ تَأْخُذُهُ عَنْ صَادِقٍ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ»[٩].

قال عليه السلام: «لَيْتَ السِّيَاطَ عَلَى رُؤُوسِ أَصْحَابِي حَتَّى يَتَفَقَّهوا فِي الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ»[١٠].

---

(١) الحيزوم: وسط الصدر.
(٢) الخب: الخديعة.
(٣) الحندس: الظلمة.
(٤) الكافي: ١/٦٨.
(٥) أُصول الكافي: ١/٣٢.
(٦) المحاسن: ص١٧٧.
(٧) سورة التوبة: الآية ١٢٢.
(٨) أُصول الكافي: ١/٣١. المحاسن: ص١٧٧.
(٩) المحاسن: ص١٧٨.
(١٠) المحاسن: ص١٧٨.

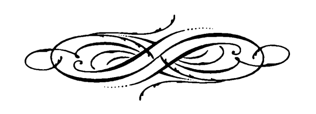
العمل بغير علم:

وقال عليه السلام: «لَا يَقْبَلُ اللَّهُ عَمَلًا إِلَّا بِمَعْرِفَةٍ، وَلَا مَعْرِفَةَ إِلَّا بِعَمَلٍ، فَمَنْ عَرَفَ دَلَّتْهُ الْمَعْرِفَةُ عَلَىٰ الْعَمَلِ، وَمَنْ لَمْ يَعْمَلْ فَلَا مَعْرِفَةَ لَهُ، أَلَا إِنَّ الإِيْمَانَ بَعْضُهُ مِنْ بَعْضٍ»[١].

السؤال من أهل العلم:

١ ـ قال عليه السلام لحمران بن أعين في شيء سأله: «إِنَّمَا يَهْلِكُ النَّاسُ لأَنَّهُمْ لَا يَسْأَلُونَ»[٢].

٢ ـ قال عليه السلام لأبي جعفر الأحول: «لَا يَسَعُ النَّاسُ حَتَّىٰ يَسْأَلُوا، وَيَتَفَقَّهُوا، وَيَعْرِفُوا إِمَامَهُمْ، وَيَسَعُهُمْ أَنْ يَأْخُذُوا بِمَا يَقُولُ، وَإِنْ كَانَ تَقِيَّةً»[٣].



(١) أُصول الكافي: ١/ ٤٤.
(٢) أُصول الكافي: ١/ ٤٠.
(٣) أُصول الكافي: ١/ ٤٠.

الصفات المحمودة والمذمومة

الصفات الكريمة

وحثَّ الإمام الصَّادق عليه السلام المسلمين على التحلِّي بالصفات الكريمة التي يسمو بها الإنسان، والتي تبنَّاها الإسلام منذ فجر تاريخه، ودعا إليها المسلمين ليكونوا قدوة لغيرهم من سائر الأُمم والشعوب، وفيما يلي بعض ما أُثر عنه:

الورع:

قال عليه السلام: **«أَوْرَعُ النَّاسِ مَنْ وَقَفَ عِنْدَ الشُّبْهَةِ، أَعْبَدُ النَّاسِ مِنْ أَقَامَ الْفَرَائِضَ، أَزْهَدُ النَّاسِ مَنْ تَرَكَ الْحَرَامَ، أَشَدُّ النَّاسِ اجْتِهاداً مَنْ تَرَكَ الذُّنُوبَ»**[١].

الحلم:

قال عليه السلام **«الْحِلْمُ زِينَةُ أَهْلِ الْفَضْلِ، وَصِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ أَهْلِ الْحَقِّ»**[٢].

قال عليه السلام: **«فِي الْحِلْم ثَلَاثُ خِصالٍ: مَخَافَةُ الْعَدُوِّ، وَمُوافَاةُ الصَّدِيقِ، وَحَمْدُ مَنْ سَمِعَ الثَّوابَ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»**[٣].

الإحسان:

من الصفات الكريمة التي دعا الإمام الصَّادق عليه السلام إلى التحلِّي بها الإحسان إلى الناس. اسمعوا ما يقوله: **«الإِحْسَانُ قَائِدٌ وَدَلِيلٌ إِلَىٰ الْجَنَّةِ، وَمَنْ أَحْسَنَ أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْهِ»**[٤].

---

(١) الخصال: ص٩، الحديث ٢٩. الوسائل: ٢٠/٣٥٨.
(٢) الحكم الجعفريَّة: ص٥٣.
(٣) الحكم الجعفريَّة: ص٥٣.
(٤) الحكم الجعفريَّة: ص٥٥.

القناعة:

قال عليه السلام: «الْمُؤْمِنُ قَنوعٌ شَكُورٌ، وَالْكَافِرُ ذو شَرٍّ كَفُورٌ»[1].

الصبر:

قال عليه السلام: «كُونوا مَعَ مَنْ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ: ﴿وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾[2]»[3].

العفَّة والحياء:

من عناصر الفضيلة والشرف التي يتحلّىٰ بها الإنسان العفَّة والحياء، وقد أعلن الإمام عليه السلام أنَّهما من الإيمان، قال: «الْحَيَاءُ وَالْعَفافُ وَالْعِيُّ ـ أَعْنِي عِيَّ اللِّسانِ لَا عِيَّ الْقَلْبِ ـ مِنَ الإِيْمَانِ»[4].

الرِّضا بقضاء الله تعالىٰ:

قال عليه السلام: «مَنْ رَضِيَ الْقَضَاءَ أَتَىٰ عَلَيْهِ الْقَضاءُ وَهُوَ مَأْجُورٌ، وَمَنْ سَخِطَ الْقَضاءَ أَتَىٰ عَلَيْهِ، وَأَحْبَطَ اللَّهُ أَجْرَهُ»[5].

التواضع:

١ ـ قال عليه السلام: «التَّواضُعُ أَحَدُ مَصَائِدِ الشَّرَفِ»[6].

٢ ـ قال عليه السلام: «مِنَ التَّواضُعِ أَنْ تَرْضىٰ بِالْمَجْلِسِ دُونَ الْمَجْلِسِ، وَأَنْ تُسَلِّمَ عَلَىٰ مَنْ تَلْقىٰ، وَأَنْ تَتْرُكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كُنْتَ مُحِقّاً، وَلَا تُحِبُّ أَنْ تُحْمَدَ عَلَىٰ التَّقْوىٰ»[7].

حسن الخلق:

١ ـ قال عليه السلام: «حُسْنُ الْخُلُقِ أَحَدُ مَراكِبِ النَّجاةِ»[8].

٢ ـ قال عليه السلام: «مَنْ تَعَلَّمَ حُسْنَ الأَخْلَاقِ فَقَدِ اقْتَدىٰ بِمَوْلَاهُ»[9].

---

(١) الحكم الجعفريَّة: ص٣٣.
(٢) سورة البقرة: الآية ١٧٧.
(٣) الحكم الجعفريَّة: ص٧٢.
(٤) مجموعة ورَّام: ٢/ ١٨٨.
(٥) الخصال: ص٢٤.
(٦) الحكم الجعفريَّة: ص٥٣.
(٧) مجموعة ورَّام: ٢/ ١٩١.
(٨) الحكم الجعفريَّة: ص٥٤.
(٩) الحكم الجعفريَّة: ص٦٦.

السخاء:

١ ـ قال عليه السلام: «السَّخَاءُ فِي اللَّهِ يَنْفِي مَصارِعَ السُّوءِ وَالْبَلَاءِ، وَيَزِيدُ فِي الْعُمُرِ»[١].

٢ ـ قال عليه السلام: «السَّخَاءُ فِي اللَّهِ أَوَّلُ مَرْتَبَةٍ مِنَ الإِيْمَانِ، وَالْمَعْرِفَةِ بِاللَّهِ حِرْزٌ مِنَ الشَّيْطانِ»[٢].

٣ ـ قال عليه السلام: «أَقْرَبُكُمْ إِلَىٰ اللَّهِ تَعَالَىٰ أَسْخَاكُمْ»[٣].

الرأفة:

قال عليه السلام: «الْمُؤْمِنُ رَؤُوفٌ رَحُومٌ لَا يَقْسو قَلْبُهُ عَلَىٰ أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ»[٤].

الرحمة:

قال عليه السلام: «الرَّحْمَةُ فِي اللَّهِ حَياةٌ»[٥].

قال عليه السلام: «مَنْ تَحَنَّنَ عَلَىٰ أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ، وَتَعَطَّفَ عَلَيْهِ يَجِدِ اللَّهَ لَهُ مُعِيناً وَنَاصِراً»[٦].

خصال كريمة:

قال عليه السلام: «ثَلَاثُ خِصَالٍ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ فِي ظِلِّ عَرْشِ اللَّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: مَنْ أَعْطَىٰ النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ مَا هُوَ سَائِلُهُمْ لَهَا، وَمَنْ لَمْ يَنَلْ مِنْ رَجُلٍ حَتَّىٰ يَعْلَمَ أَنَّ فِي ذَلِكَ لِلَّهِ رِضا، وَمَنْ لَا يَعِيبُ أَخَاهُ بِعَيْبٍ حَتَّىٰ يَنْفِيَ ذَلِكَ الْعَيْبَ عَنْ نَفْسِهِ، فَإِنَّهُ لَا يَنْفِي عَيْباً إِلَّا بَدا لَهُ عَيْبٌ، وَكَفَىٰ بِالْمَرْءِ شُغْلاً بِنَفْسِهِ عَنِ النَّاسِ»[٧].

التجمُّل:

قال عليه السلام: «عَلَيْكُم بِالتَّجَمُّلِ، وَلَا تَبْخَلوا، وَادْخُلوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ آمِنِينَ»[٨].

---

(١) الحكم الجعفريّة: ص٧٤.
(٢) الحكم الجعفريّة: ص٧٤.
(٣) الحكم الجعفريّة: ص٧٤.
(٤) الحكم الجعفريّة: ص٥٦.
(٥) الحكم الجعفريّة: ص٥٦.
(٦) الحكم الجعفريّة: ص٥٦.
(٧) مجموعة ورّام: ٢/١١٨.
(٨) مجموعة ورّام: ٢/٢٠٣.

التثبُّت في الأُمور:

أمَّا التثبُّت في الأُمور فهو دليل على نضوج العقل، وسلامة التفكير، وهو من أسمى صفات الإنسان. اسمعوا ما بقوله الإمام عليه السلام: «مَعَ التَّثَبُّتِ تَكُونُ السَّلامَةُ، وَمَعَ الْعَجَلَةِ تَكُونُ النَّدَامَةُ، وَمَنِ ابْتَدَأَ بِعَمَلٍ فِي غَيْرِ وَقْتِهِ كَانَ بُلُوغُهُ فِي غَيْرِ حِيْنِهِ»[١].

خصال كريمة:

وتحدَّث الإمام عليه السلام عن بعض الخصال الكريمة التي ينبغي للإنسان أن يتَّصف بها، قال: «خَمْسُ خِصَالٍ مَنْ لَمْ تَكُنْ فِيهِ خِصْلَةٌ مِنْهَا فَلَيْسَ فِيهِ كَثِيرُ مُسْتَمْتَعٍ:

أَوَّلُهَا: الْوَفاءُ.

وَالثَّانِيَةُ: التَّدْبِيرُ.

وَالثَّالِثَةُ: الْحَياءُ.

وَالرَّابِعَةُ: حُسْنُ الْخُلْقِ.

وَالْخَامِسَةُ - وَهِي تَجْمَعُ هَذِهِ الْخِصَالُ -: الْحُرِّيَّةُ»[٢].

صلة الأرحام:

قال عليه السلام: «صِلَةُ الرَّحِمِ هِيَ الْحَبْلُ الْمَمْدُودِ إِلَىٰ اللَّهِ تَعَالَىٰ»[٣].

قال عليه السلام: «إِنَّ صِلَةَ الرَّحِمِ وَالْبِرَّ لَيُهَوِّنَانِ الْحِسَابَ، وَيَعْصِمَانِ مِنَ الذُّنُوبِ، فَصِلُوا أَرْحَامَكُمْ، وَبِرُّوا بِإِخْوَانِكُمْ، وَلَوْ بِحُسْنِ السَّلَامِ وَرَدِّ الْجَوَابِ»[٤].

قال عليه السلام: «إِنَّ صِلَةَ الرَّحِمِ تُزَكِّي الأَعْمَالَ، وَتُنَمِّي الأَمْوَالَ، وَتُيَسِّرُ الْحِسَابَ، وَتَدْفَعُ الْبَلْوىٰ، وَتَزِيدُ فِي الرِّزْقِ»[٥].

روى جميل بن درَّاج، قال: «سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله جلَّ ذكره: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾، فقال: هِيَ أَرْحَامُ النَّاسِ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَمَرَ بِصِلَتِهَا وَعَظَّمَهَا، أَلَا تَرَىٰ أَنَّهُ جَعَلَهَا مِنْهُ»[٦].

---

(١) الخصال: ص٩٦.
(٢) الخصال: ص٢٥٩.
(٣) الحكم الجعفريَّة: ص٥٨.
(٤) أُصول الكافي: ٢/ ١٥٧.
(٥) أُصول الكافي: ٢/ ١٥٧.
(٦) أُصول الكافي: ٢/ ١٥٠.

الصفات الذميمة

وحذَّر الإمام الصَّادق عليه السلام من الصفات الذميمة، والنزعات الشريرة التي توجب انزلاق الإنسان إلى مستوى سحيق ما له من قرار، وفيما يلي بعضها:

الحقد:

قال عليه السلام: «احْذَروا الْحِقْدَ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ يَخْذُلُ الظَّالِمَ، وَيَنْصُرُ الْمَظْلُومَ»(١).

قال عليه السلام: «مَنْ فَرِحَ وَفِي قَلْبِهِ عَلَىٰ أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ حِقْدٌ غَيَّرَ اللَّهُ مَا بِهِ مِنْ خَيْرٍ إِلَىٰ شَرٍّ، إِلَّا أَنْ يَصْفَحَ عِنْ ذَنْبِ أَخِيهِ، وَإِلَّا طَالَبَهُ اللَّهُ بِمَا سَلَفَ مِنْ ذُنوبِهِ، وَأَوْقَفَهُ عَلَىٰ كَشْفِ مَا سَلَفَ مِنْ عُيُوبِهِ، وَفَضَحَهُ بَيْنَ عِبَادِهِ»(٢).

الحسد:

قال عليه السلام: «الْحَاسِدُ مُضِرٌّ بِنَفْسِهِ قَبْلَ أَنْ يُضِرَّ بِالْمَحْسُودِ، كَإِبْلِيسَ أُوْرِثَ بِحَسَدِهِ اللَّعْنَةَ، وَلِآدَمَ الِاجْتِبَاءَ وَالْهُدَى وَالرَّفْعَ إِلَى مَحَلِّ حَقَائِقِ الْعَهْدِ وَالِاصْطِفَاءِ، فَكُنْ مَحْسُوداً وَلَا تَكُنْ حَاسِداً، فَإِنَّ مِيزَانَ الْحَاسِدِ أَبداً خَفِيفٌ بِثِقَلِ مِيزَانِ الْمَحْسُودِ، وَالرِّزْقُ مَقْسُومٌ، فَمَاذَا يَنْفَعُ حَسَدُ الْحَاسِدِ؟ فَمَا يَضُرُّ الْمَحْسُودَ؟

وَالْحَسَدُ أَصْلُهُ مِنْ عَمَى الْقَلْبِ، وَالْجُحُودَ بِفَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى، وَهُمَا جَنَاحَانِ لِلْكُفْرِ، وَبِالْحَسَدِ وَقَعَ ابْنُ آدَمَ فِي حَسْرَةِ الْأَبَدِ، وَهَلَكَ مَهْلَكاً لَا يَنْجُو مِنْهُ أَبداً، وَلَا تَوْبَةَ لِلْحَاسِدِ، لِأَنَّهُ مُسْتَمِرٌّ عَلَيْهِ، مُعْتَقِدٌ بِهِ، مَطْبُوعٌ فِيهِ، يَبْدُو بِلَا مُعَارِضٍ مُضِرٌّ لَهُ وَلَا سَبَبٍ، وَالطَّبْعُ لَا يَتَغَيَّرُ عَنِ الْأَصْلِ وَإِنْ عُولِجَ»(٣).

العجب:

قال عليه السلام: «الْعَجَبُ كُلُّ الْعَجَبِ مِمَّنْ يُعْجَبُ بِعَمَلِهِ وَلَا يَدْرِي بِمَ يُخْتَمُ لَهُ، فَمَنْ أُعْجِبَ بِنَفْسِهِ وَعَمَلِهِ فَقَدْ ضَلَّ عَنْ مَنْهَجِ الرَّشَادِ، وَادَّعَى مَا لَيْسَ لَهُ، وَالْمُدَّعِي مِنْ غَيْرِ حَقٍّ كَاذِبٌ وَإِنْ خَفِيَ دَعْوَاهُ، وَطَالَ دَهْرُهُ، وَإِنَّ أَوَّلَ مَا يُفْعَلُ بِالْمُعْجَبِ نَزْعُ مَا أُعْجِبَ بِهِ لِيَعْلَمَ أَنَّهُ عَاجِزٌ حَقِيرٌ، وَيَشْهَدَ عَلَى نَفْسِهِ لِيَكُونَ الْحُجَّةُ عَلَيْهِ أَوْكَدَ كَمَا فُعِلَ بِإِبْلِيسَ، وَالْعُجْبُ نَبَاتٌ حَبُّهَا الْكُفْرُ، وَأَرْضُهَا النِّفَاقُ، وَمَاؤُهَا الْبَغْيُ، وَأَغْصَانُهَا الْجَهْلُ، وَأَوْرَاقُهَا

---

(١) الحكم الجعفريَّة: ص٣٢.
(٢) الحكم الجعفريَّة: ص٣٢.
(٣) مصباح الشريعة: ص١٠٤، الباب ٤٨.

الضَّلالَةُ، وَثَمَرُهَا اللَّعْنَةُ وَالْخُلُودُ فِي النَّارِ، فَمَنِ اخْتَارَ الْعُجْبَ فَقَدْ بَذَرَ الْكُفْرَ، وَزَرَعَ النِّفَاقَ، وَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ أَنْ يُثْمِرَ»[١].

الحرص:

قال عليه السلام: «الْحَرِيصُ كَأَحْلَامِ النَّائِمِ، يَفْرَحُ بِهَا فِي مَنَامِهِ، وَيَكْثُرُ تَأَسُّفُهُ فِي يَقْظَتِهِ، أَوْ كَدودَةِ الإِبْرِيسَمِ الَّتِي تَنْسِجُهُ عَلَىٰ نَفْسِها لِقُوَّةِ حِرْصِهَا، فَلَا تَزْدَادُ إِلَّا سِجْناً، وَمِنَ النَّجَاةِ إِلَّا بُعْداً»[٢].

البخل:

قال عليه السلام: «إِيَّاكُمْ وَالْبُخْلَ، فَإِنَّهُ عَاهَةٌ، وَالْعَاهَةُ لَا تَكُونُ فِي مُؤْمِنٍ»[٣].

قال عليه السلام: «مَا لِلْبَخِيلِ دِينٌ وَلَا مَوَدَّةٌ، وَلَا يَقِينٌ، وَلَيْسَ هُوَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ»[٤].

التكبُّر:

قال عليه السلام: «مَنْ تَكَبَّرَ عَلَىٰ الْحَقِّ وَأَهْلِهِ حُجِبَ عَنِ الاتِّصَالِ، وَحُرِمَ مِنَ النَّظَرِ إِلَىٰ بَارِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[٥].

قال عليه السلام: «إِنَّ فِي السَّمَاءِ مَلَكَيْنِ مُوَكَّلَيْنِ بِالْعِبَادِ، فَمَنْ تَوَاضَعَ رَفَعَاهُ، وَمَنْ تَكَبَّرَ وَضَعَاهُ»[٦].

الطمع:

سئل الإمام عليه السلام: ما الذي يثبّت الإيمان في العبد؟

قال عليه السلام: «الْوَرَعُ، وَالَّذِي يُخْرِجُهُ مِنْهُ الطَّمَعُ»[٧].

الغرور:

وقد حذَّر الإمام الصَّادق عليه السلام منه بقوله: «الْمَغْرُورُ فِي الدُّنْيَا مِسْكِينٌ، وَفِي الْآخِرَةِ مَغْبُونٌ؛ لِأَنَّهُ بَاعَ الْأَفْضَلَ بِالْأَدْنَى، أَوَلَا تَعْجَبْ مِنْ نَفْسِكَ.

---

(١) جامع السعادات: ١/٣٢٦.
(٢) الحكم الجعفريَّة: ص٣٣.
(٣) الحكم الجعفريَّة: ص٢٧.
(٤) الحكم الجعفريَّة: ص٢٨.
(٥) الحكم الجعفريَّة: ص٢٦.
(٦) جامع السعادات: ١/٣٥١.
(٧) جامع السعادات: ٢/١٠٦.

فَرُبَّمَا اغْتَرَرْتَ بِمَالِكَ وَصِحَّةِ جَسَدِكَ لَعَلَّكَ تَبْقَىٰ.

وَرُبَّمَا اغْتَرَرْتَ بِطُولِ عُمُرِكَ، وَأَوْلَادِكَ، وَأَصْحَابِكَ لَعَلَّكَ تَنْجُو بِهِمْ.

وَرُبَّمَا اغْتَرَرْتَ بِجَمَالِكَ، وَإِصَابَتِكَ مَأْمُولَكَ وَهَوَاكَ، فَظَنَنْتَ أَنَّكَ صَادِقٌ وَمُصِيبٌ.

وَرُبَّمَا اغْتَرَرْتَ بِمَا تَرَىٰ مِنَ النَّدَمِ عَلَىٰ تَقْصِيرِكَ فِي الْعِبَادَةِ، وَلَعَلَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مِنْ قَلْبِكَ بِخِلَافِ ذَلِكَ.

وَرُبَّمَا أَقَمْتَ نَفْسَكَ عَلَى الْعِبَادَةِ مُتَكَلِّفاً، وَاللَّهُ يُرِيدُ الْإِخْلَاصَ.

وَرُبَّمَا افْتَخَرْتَ بِعِلْمِكَ وَنَسَبِكَ وَأَنْتَ غَافِلٌ عَنْ مُضْمَرَاتِ مَا فِي غَيْبِ اللَّهِ تَعَالَىٰ.

وَرُبَّمَا تَوَهَّمْتَ أَنَّكَ تَدْعُو اللَّهَ وَأَنْتَ تَدْعُو سِوَاهُ.

وَرُبَّمَا حَسِبْتَ أَنَّكَ نَاصِحٌ لِلْخَلْقِ، وَأَنْتَ تُرِيدُهُمْ لِنَفْسِكَ أَنْ يَمِيلُوا إِلَيْكَ.

وَرُبَّمَا ذَمَمْتَ نَفْسَكَ، وَأَنْتَ تَمْدَحُهَا عَلَى الْحَقِيقَةِ»[١].

الغضب:

قال عليه السلام: «مَنْ لَمْ يَمْلِكْ غَضَبَهُ لَمْ يَمْلِكْ عَقْلَهُ»[٢].

قال عليه السلام: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ إِذَا غَضِبَ أَخْرَجَهُ غَضَبُهُ عَنِ الْحَقِّ»[٣].

النفاق:

قال عليه السلام: «مَنْ كَثُرَ نِفَاقُهُ عَمِيَ قَلْبُهُ عَنْ رُشْدِهِ، وَهَانَ عَلَىٰ الْخَلْقِ شَخْصُهُ»[٤].

قال عليه السلام: «مَنْ لَقِيَ الْمُؤْمِنِينَ بِوَجْهٍ، وَغَابَهُمْ بِوَجْهٍ أَتَىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَهُ لِسَانَانِ مِنْ نَارٍ»[٥].

السفه:

قال عليه السلام: «الْمُؤْمِنُ بَرِيءٌ مِنَ السَّفَهِ كَمَا أَنَّ التَّقِيَّةَ وَالْفَضْلَ لَا يَعْرِفُهُمَا الْكَافِرُ»[٦].

---

(١) جامع السعادات: ٣/ ٥.

(٢) جامع السعادات: ١/ ٢٩٠.

(٣) الحكم الجعفريَّة: ص٥٤.

(٤) الحكم الجعفريَّة: ص٤٥.

(٥) الاختصاص: ص٢٥.

(٦) الحكم الجعفريَّة: ص٣٤.

الغيبة:

قال عليه السلام: «مَنْ قَالَ فِي مُؤْمِنٍ مَا رَأَتْهُ عَيْنَاهُ وَسَمِعَتْهُ أُذُنَاهُ فَهُوَ مِنَ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1]»[2].

المراء والجدال:

قال عليه السلام: «لَا تُمَارِيَنَّ حَلِيماً، وَلَا سَفِيهاً، فَإِنَّ الْحَلِيمَ يَغْلِبُكَ، وَالسَّفِيهَ يُؤْذِيكَ»[3].

قال عليه السلام: «إِيَّاكُمْ وَالْمُشَادَّةَ، فَإِنَّهَا تُورِثُ الْمَعَرَّةَ، وَتُظْهِرُ الْعَوْرَةَ»[4].

الشماتة:

قال عليه السلام: «مَنْ شَمِتَ بِمُصِيبَةٍ نَزَلَتْ بِأَخِيهِ لَمْ يَخْرُجْ مِنَ الدُّنْيَا حَتَّىٰ يُفْتَتَنَ»[5].

النميمة:

قال عليه السلام: «إِيَّاكُمْ وَعِشْرَةَ النَّمَّامِ، فَإِنَّهُ يَقُولُ الزُّورَ، وَيَحْمِلُ الإِفْكَ، وَيُفَرِّقُ الشَّمْلَ، فَهُوَ طولَ عُمُرِهِ بِغَيْرِ رُشْدٍ»[6].

البهتان:

قال عليه السلام: «مَنْ بَهَتَ مُؤْمِناً أَوْ مُؤْمِنَةً بِمَا لَيْسَ فِيهِ، بَعَثَهُ ـ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ـ فِي طِينَةِ خَبالٍ حَتَّىٰ يَخْرُجَ مِمَّا قَالَ».

وسئل: ما طينة الخبال؟

فقال: «صَدِيدٌ يَخْرُجُ مِنْ فُروجِ الْمُومِساتِ»[7].

البغي:

قال عليه السلام: «بِئْسَ الزَّادُ إِلَىٰ الْمَعَادِ الْعُدوانُ عَلَىٰ الْعِبَادِ»[8].

---

(١) سورة النُّور: الآية ١٩.
(٢) أُصول الكافي: ٢/ ٣٤١.
(٣) جامع السعادات: ٢/ ٢٨٠.
(٤) جامع السعادات: ٢/ ٢٨٠.
(٥) أُصول الكافي: ٢/ ٣٤٤.
(٦) الحكم الجعفريَّة: ص٤٠.
(٧) جامع السعادات: ٢/ ٣١٠.
(٨) الحكم الجعفريَّة: ص٢٦.

الظلم:

قال عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ أَوْحَىٰ إِلَىٰ نَبِيٍّ مِنْ أَنْبِيائِهِ فِي مَمْلَكَةِ جَبَّارٍ مِنَ الْجَبَّارِينَ أَنِ ائْتِ هَذَا الْجَبَّارَ فَقُلْ لَهُ: إِنِّي لَمْ أَسْتَعْمِلْكَ عَلَىٰ سَفْكِ الدِّمَاءِ، وَاتِّخاذِ الأَمْوَالِ، وَإِنَّمَا اسْتَعْمَلْتُكَ لِتَكُفَّ عَنِّي أَصْوَاتَ الْمَظْلومِينَ، فَإِنِّي لَمْ أَدَعْ ظُلَامَتَهُمْ وَإِنْ كَانُوا كُفَّاراً»[1].

قال عليه السلام: «مَنْ عَذَرَ ظَالِماً بِظُلْمِهِ سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِ مَنْ يَظْلِمُهُ، فَإِنْ دَعا لَهُ لَمْ يُسْتَجَبْ لَهُ، وَلَمْ يَأْجُرْهُ اللَّهُ عَلَىٰ ظُلَامَتِهِ»[2].

الرياء:

قال عليه السلام: «كُلُّ رِياءٍ شِرْكٌ، إِنَّهُ مَنْ عَمِلَ لِلنَّاسِ كَانَ ثَوَابُهُ عَلَىٰ النَّاسِ، وَمَنْ عَمِلَ لِلَّهِ تَعَالَىٰ كَانَ ثَوَابُهُ عَلَىٰ اللَّهِ تَعَالَىٰ»[3].

قال عليه السلام: «مَا يَصْنَعُ أَحَدُكُمْ أَنْ يُظْهِرَ حَسَناً، وَيُسِرَّ سَيِّئاً أَلَيْسَ يَرْجِعُ إِلَىٰ نَفْسِهِ فَيَعْلَمَ أَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ كَذَلِكَ، وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ﴾[4]، إِنَّ السَّرِيرَةَ إِذَا صَحَّتْ قَوِيَتِ الْعَلَانِيَةُ»[5].

الخيانة:

قال عليه السلام: «الْخَائِنُ بَطِيءٌ اتِّصَالُهُ، سَرِيعٌ انْفِصَالُهُ، كَالْفَخَّارِ بَطِيءٌ جَبْرُهُ، سَرِيعٌ كَسْرُهُ»[6].

الغشّ والخداع:

قال عليه السلام: «مَنْ غَشَّ أَخَاهُ وَأَخْفاهُ النَّصِيحَةَ بُدِّلَ مَا فِيهِ مِنْ خَيْرٍ إِلَىٰ شَرٍّ»[7].

العصبيَّة:

وقد ذمَّ الإمام الصَّادق عليه السلام هذه الظاهرة بقوله: «إِنَّ الْمَلَائِكَةَ كَانُوا يَحْسَبونَ أَنَّ

---

(١) أُصول الكافي: ٢/ ٣٢٠.
(٢) جامع السعادات: ٢/ ٢١٧.
(٣) بحار الأنوار: ١٥/ ٤٣.
(٤) سورة القيامة: الآية ١٤.
(٥) جامع السعادات: ٢/ ٣٧٣.
(٦) الحكم الجعفريَّة: ص٢٩.
(٧) الحكم الجعفريَّة: ص٣١.

إِبْلِيسَ مِنْهُمْ، وَكَانَ فِي عِلْمِ اللَّهِ أَنَّهُ لَيْسَ مِنْهُمْ، فَاسْتَخْرَجَ مَا فِي نَفْسِهِ بِالْحَمِيَّةِ وَالْغَضَبِ، فَقَالَ: ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾[١]»[٢].

الشؤم:

قال عليه السلام: «الشُّؤْمُ فِي ثَلَاثَةٍ: فِي الْمَرْأَةِ وَالدَّابَّةِ وَالدَّارِ، فَأَمَّا شُؤْمُ الْمَرْأَةِ فَكَثْرَةُ مَهْرِها وَعُقوقُ زَوْجِها، وَأَمَّا الدَّابَّةُ فَسُوءُ خُلُقِهَا وَمَنْعُها ظَهْرَها، وَأَمَّا الدَّارُ فَضِيقُ ساحَتِها وَسُوءُ جِيرانِها وَكَثْرَةُ عُيوبِهَا»[٣].

الذلّ:

يقول عليه السلام: «احْذَروا الذُّلَّ، فَإِنَّهُ فِعْلُ الشَّيْطانِ»[٤].

الكسل:

وحذَّر الإمام عليه السلام من الكسل، واعتبره مفتاحاً لكلّ شرّ.

يقول عليه السلام: «أَوْصَانِي أَبِي بِقَوْلِهِ: يَا بُنَيَّ، إِيَّاكَ وَالْكَسَلَ وَالضَّجَرَ، فَإِنَّهُمَا مِفْتاحُ كُلِّ شَرٍّ. إِنَّكَ إِنْ كَسَلْتَ لَمْ تُؤَدِّ حَقّاً، وَإِنْ ضَجَرْتَ لَمْ تَصْبِرْ عَلَىٰ حَقٍّ»[٥].

عقوق الوالدين:

وقد حثَّ الإمام الصَّادق عليه السلام على لزوم احترام الوالدين، وقد روى عليه السلام: «أَنَّ أُخْتاً لَهُ - لِلنَّبيّ صلى الله عليه وآله - مِنَ الرَّضاعَةِ أَتَتْهُ فَسُرَّ بِهَا، وَبَسَطَ مِلْحَفَتَهُ لَهَا، وَأَجْلَسَها عَلَيْها، وَأَقْبَلَ يُحَدِّثُها بِحَفاوَةٍ وَتَكْرِيمٍ.

ثمَّ انصرفت وأقبل أخوها، فلم يعن النَّبيّ صلى الله عليه وآله به كما عُني بأُخته، فقيل له: يا رسول الله، صنعت بأُخته ما لم تصنع به وهو رجل؟

فقال صلى الله عليه وآله: إِنَّهَا كَانَتْ أَبَرَّ بِوَالِدَيْهَا مِنْهُ»[٦].

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٢. سورة ص: الآية ٧٦.

(٢) جامع السعادات: ١/ ٣٧١.

(٣) الاثني عشريَّة: ص٦٩.

(٤) الحكم الجعفريَّة: ص٢٩.

(٥) أدب النفس: ١/ ٢٢٠.

(٦) جامع السعادات: ٢/ ٢٦٠.

الكذب:

قال الإمام الصَّادق عليه السلام: «إنَّ الكذبة لتُفطِّر الصَّائِم»، فقال الراوي له: وأيُّنا لا يكون ذلك منه.

فقال عليه السلام: «لَيسَ حَيثُ ذَهَبتَ، إِنَّمَا الْكَذِبُ عَلَىٰ اللَّهِ، وَعَلَىٰ رَسُولِهِ، وَعَلَىٰ الأَئِمَّةِ عليهم السلام»[1].

كبائر الذُّنوب:

قال عليه السلام: «أَكْبَرُ الْكَبَائِرِ سَبْعَةٌ: الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَعُقوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ ظُلْماً، وَأَكْلُ الرِّبا بَعْدَ الْبَيِّنَةِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَةِ، وَالْفِرَارُ مِنَ الزَّحْفِ»[2].

إفشاء السِّرّ:

قال عليه السلام: «احْذَروا إِفْشَاءَ السِّرِّ، فَإِنَّهُ يُنْقِصُ الْعُمُرَ، وَيَعْمِي الْقَلْبَ، وَيَقْطَعُ الرِّزْقَ»[3].

حبّ الدُّنيا:

قال عليه السلام: «مَنْ تَعَلَّقَ قَلْبُهُ بِالدُّنْيا تَعَلَّقَ مِنْ ضَرَرِها بِثَلاثِ خِصَالٍ: هَمٌّ لَا يَفْنىٰ، وَأَمَلٍ لَا يُدْرَكُ، وَرَجَاءٍ لَا يُنَالُ»[4].

قال عليه السلام: «إِنَّ الدُّنْيا يُعْطِيها اللَّهُ مَنْ أَحَبَّ وَأَبْغَضَ، وَإِنَّ الإِيْمَانَ لَا يُعْطِيهِ إِلَّا مَنْ أَحَبَّ»[5].

قال عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ يُعْطِي الدُّنْيا مَنْ يُحِبُّ وَيَبْغَضُ، وَلَا يُعْطِي الإِيْمَانَ إِلَّا أَهْلَ صَفْوَتِهِ مِنْ خَلْقِهِ»[6].

---

(١) جامع السعادات: ٢/ ٣١٩.
(٢) الغايات: ص٢٠٨.
(٣) الحكم الجعفريَّة: ص٦٠.
(٤) الخصال: ص٨٥.
(٥) المحاسن: ص١٦٨.
(٦) المحاسن: ص١٦٨.

الصداقة والإيمان

أهميَّة الصداقة:

قال عليه السلام: «مَوَدَّةُ يَوْمٍ صِلَةٌ، وَمَوَدَّةُ شَهْرٍ قَرَابَةٌ، وَمَوَدَّةُ سَنَةٍ رَحِمٌ مَاسَّةٌ، مَنْ قَطَعَها قَطَعَهُ اللَّهُ»(١).

منزلة الصديق:

قال الإمام الصَّادق عليه السلام: «لَقَدْ عَظُمَتْ مَنْزِلَةُ الصَّدِيقِ حَتَّىٰ إِنَّ أَهْلَ النَّارِ لَيَسْتَغِيثُونَ بِهِ، وَيَدْعُونَهُ فِي النَّارِ قَبْلَ الْقَرِيبِ وَالْحَمِيمِ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مُخْبِراً عَنْهُمْ: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ ۝١٠٠ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ۝١٠١﴾(٢)»(٣).

حدود الصداقة:

وأدلى الإمام الصَّادق عليه السلام بحديث عن حدود الصداقة. قال عليه السلام:

لَا تَكُونُ الصَّدَاقَةُ إِلَّا بِحُدُودِهَا، فَمَنْ كَانَتْ فِيهِ هَذِهِ الْحُدودُ أَوْ شَيْءٌ مِنْهَا فَانْسِبْهُ إِلَىٰ الصَّدَاقَةِ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ شَيْءٌ مِنْهَا فَلَا تَنْسِبْهُ إِلَىٰ شَيْءٍ مِنَ الصَّدَاقَةِ:

فَأَوَّلُهَا: أَنْ تَكُونَ سَرِيرَتُهُ وَعَلَانِيَتُهُ لَكَ وَاحِدَةً.

وَالثَّانِيَةُ: أَنْ يَرَىٰ زَيْنَكَ زَيْنَهُ وَشَيْنَكَ شَيْنَهُ.

وَالثَّالِثَةُ: أَنْ لَا تُغَيِّرَهُ عَلَيْكَ وِلَايَةٌ وَلَا مَالٌ.

وَالرَّابِعَةُ: أَنْ لَا يَمْنَعَكَ شَيْئاً تَنَالُهُ مَقْدِرَتُهُ.

وَالْخَامِسَةُ: وَهِيَ تَجْمَعُ هَذِهِ الْخِصَالَ أَلَّا يُسْلِمَنَّكَ عِنْدَ النَّكَبَاتِ»(٤).

---

(١) اثنا عشر رسالة: ٨/ ١١٠.

(٢) سورة الشعراء: الآيتان ١٠٠ و١٠١.

(٣) أمالي الطوسي: ص٥١٧، ح١٣٣.

(٤) الاختصاص: ص٢٥٢.

الإيمان والمؤمنون

الإسلام والإيمان:

روى سماعة قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أخبرني عن الإسلام والإيمان أهما مختلفان؟

فقال: إِنَّ الإِيمَانَ يُشارِكُ الإِسْلَامَ، وَالإِسْلَامُ لَا يُشَارِكُ الإِيْمَانُ.

فقلت: صفهما لي.

فقال: الإِسْلَامُ شَهادَةُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللَّهُ، وَالتَّصدِيقُ بِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله، وَبِهِ حُقِنَتِ الدِّمَاءُ، وَعَلَيْهِ جَرَتِ الْمَنَاكِحُ وَالْمَوارِيثُ، وَعَلَىٰ ظَاهِرِهِ جماعَةُ النَّاسِ.

وَالإِيْمَانُ الْهُدَىٰ، وَمَا يَثْبُتُ فِي الْقُلُوبِ، مِنْ صِفَةِ الإِسْلَامِ، وَمَا ظَهَرَ مِنَ الْعَمَلِ بِهِ. وَالإِيْمَانُ أَرْفَعُ مِنَ الإِسْلَامِ بِدَرَجَةٍ. إِنَّ الإِيْمَانَ يُشارِكُ الإِسْلَامَ فِي الظَّاهِرِ، وَالإِسْلَامُ لَا يُشَارِكُ الإِيْمَانَ فِي الْبَاطِنِ، وَإِنِ اجْتَمَعَا فِي الْقَوْلِ وَالصِّفَةِ»[1].

المؤمنون

صفات المؤمن:

وأدلى الإمام عليه السلام بحديث عن الصفات الماثلة في المؤمن، قال عليه السلام: «يَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَكُونَ فِيهِ ثَمَانُ خِصَالٍ: وَقورٌ عِنْدَ الْهَزاهِزِ، صَبُورٌ عِنْدَ الْبَلَاءِ، شَكُورٌ عِنْدَ الرَّخاءِ، قَانِعٌ بِمَا رَزَقَهُ اللَّهُ، لَا يَظْلِمُ الأَعْدَاءَ، وَلَا يَتَحَامَلُ لِلأَصْدِقَاءِ، بَدَنُهُ مِنْهُ فِي تَعَبٍ، وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ، وَإِنَّ الْعِلْمَ خَلِيلُ الْمُؤْمِنِ، وَالْحِلْمَ وَزِيرُهُ، وَالصَّبْرَ أَمِيرُ جُنُودِهِ، وَالرِّفْقَ أَخوهُ، وَاللِّينَ وَالِدُهُ»[2].

حقوق المؤمن:

قال عليه السلام: «لِلْمُؤْمِنِ عَلَى الْمُؤْمِنِ سَبْعَةُ حُقُوقٍ وَاجِبَةٍ لَيْسَ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَاللَّهُ سَائِلُهُ عَمَّا صَنَعَ فِيها: الإِجْلَالُ لَهُ فِي عَيْنِهِ، وَالْوِدُّ لَهُ فِي صَدْرِهِ، وَالْمُواسَاةُ لَهُ فِي مَالِهِ، وَأَنْ يُحِبَّ لَهُ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ، وَأَنْ يُحَرِّمَ غَيْبَتَهُ، وَأَنْ يَعُودَهُ فِي مَرَضِهِ، وَيُشَيِّعَ جَنَازَتَهُ، وَلَا يَقُولَ فِيهِ بَعْدَ مَوْتِهِ إِلَّا خَيْراً»[3].

---

(١) أصول الكافي: ٢/ ٢٥.

(٢) الخصال: ص٣٧٦.

(٣) الخصال: ص٣١٩.

روى المعلّى بن خنيس، قال: «قلت لأبي عبد الله: ما حقّ المؤمن على المؤمن؟

قال عليه السلام: سَبْعُ حُقوقٍ وَاجِباتٍ، مَا فِيهَا حَقٌّ إِلَّا وَهُوَ وَاجِبٌ عَلَيْهِ، وَإِنْ خَالَفَهُ خَرَجَ مِنْ وَلَايَةِ اللَّهِ، وَتَرَكَ طَاعَتَهُ، وَلَمْ يَكُنْ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ نَصِيبٌ.

قال: قلت: جُعلت فداك، حدِّثني ما هي؟

قال: يَا مُعَلَّىٰ، إِنِّي شَفِيقٌ عَلَيْكَ أَخْشَىٰ أَنْ تُضَيِّعَ وَلَا تَحْفَظَ، وَتَعْلَمَ وَلَا تَعْمَلَ.

قلت: لا حول ولا قوّة إلاّ بالله.

قال عليه السلام: أَيْسَرُ حَقٍّ مِنْهَا أَنْ تُحِبَّ لَهُ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ. وَأَنْ تَكْرَهَ لَهُ مَا تَكْرَهُ لِنَفْسِكَ، وَهَذَا هُوَ أَوَّلُ الْحُقُوقِ.

وَالْحَقُّ الثَّانِي: أَنْ تَمْشِيَ فِي حَاجَتِهِ، وَتَبْتَغِيَ رِضاهُ، وَلَا تُخَالِفَ قَوْلَهُ.

وَالْحَقُّ الثَّالِثُ: أَنْ تَصِلَهُ بِنَفْسِكَ وَمَالِكَ وَيَدَيْكَ وَرِجْلِكَ وَلِسَانِكَ.

وَالْحَقُّ الرَّابع: أَنْ تَكُونَ عَيْنَهُ وَدَلِيلَهُ وَمِرْآتَهُ وَقَمِيصَهُ.

وَالْحَقُّ الْخَامِسُ: أَنْ لَا تَشْبَعَ وَيَجُوعُ، وَلَا تَلْبَسَ وَيَعْرَىٰ، وَلَا تَرْوَىٰ وَيَظْمَأُ.

وَالْحَقُّ السَّادِسُ: أَنْ يَكُونَ لَكَ امرَأَةٌ وَخَادِمٌ، وَلَيْسَ لَهُ امْرَأَةٌ وَلَا خَادِمٌ، أَنْ تَبْعَثَ خَادِمَكَ فَيُغَسِّلَ ثِيَابَهُ، وَيَصْنَعُ طَعَامَهُ، وَيُمَهِّدَ فِرَاشَهُ، فَإِنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ إِنَّمَا جُعِلَ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ.

وَالْحَقُّ السَّابعُ: أَنْ تُبِرَّ قَسَمَهُ، وَتُجِيبَ دَعْوَتَهُ، وَتَشْهَدَ جَنَازَتَهُ، وَتَعُودَهُ فِي مَرَضِهِ، وَتَشْخَصَ بَدَنَكَ فِي قَضَاءِ حَاجَتِهِ، فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ بِهِ وَصَلْتَ وَلَايَتَكَ بِوَلَايَتِهِ، وَوَلَايَتَهُ بِوَلَايَتِكَ بِوَلَايَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»[1].

السعي في حاجة المؤمن:

قال عليه السلام: «لَقَضَاءُ حَاجَةِ امْرِىءٍ مُؤْمِنٍ أَحَبُّ إِلَىٰ اللَّهِ مِنْ عِشْرِينَ حَجَّةً، كُلُّ حَجَّةٍ يُنْفِقُ فِيهَا صَاحِبُهَا مِائَةَ أَلْفٍ»[2].

قضاء حاجة المؤمن:

قال عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ خَلْقاً مِنْ خَلْقِهِ انْتَجَبَهُمْ لِقَضَاءِ حَوَائِجِ فُقَرَاءِ شِيعَتِنَا لِيُثِيبَهُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ الْجَنَّةَ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ فَكُنْ»[3].

---

(١) أُصول الكافي: ٢/١٦٩. الخصال: ص٣١٩.
(٢) أُصول الكافي: ٢/١٩٣.
(٣) أُصول الكافي: ٢/١٩٣.

إدخال السرور على المؤمن:

قال عليه السلام لأصحابه: «لَا يَرَىٰ أَحَدُكُمْ إِذَا أَدْخَلَ عَلَىٰ مُؤْمِنٍ سُروراً أَنَّهُ عَلَيْهِ أَدْخَلَهُ فَقَطْ، بَلْ وَاللَّهِ عَلَيْنا، بَلْ وَاللَّهِ عَلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله»[١].

قال عليه السلام: «مَنْ أَحَبِّ الأَعْمَالِ إِلَىٰ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِدْخَالُ السُّرورِ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِ: إِشْبَاعُ جَوْعَتِهِ، أَوْ تَنْفِيسُ كُرْبَتِهِ، أَوْ قَضَاءُ دَيْنِهِ»[٢].

تفريج هموم المؤمن:

قال عليه السلام: «مَنْ أَغَاثَ الْمُؤْمِنَ اللَّهْفانَ اللَّهْثانَ عِنْدَ جُهْدِهِ، فَنَفَّسَ كُرْبَتَهُ، وَأَعَانَهُ عَلَىٰ نَجَاحِ حَاجَتِهِ كَتَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ بِذَلِكَ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ رَحْمَةً مِنَ اللَّهِ، يُعَجِّلُ لَهُ مِنْهَا وَاحِدَةً، يُصْلِحُ بِهَا أَمْرَ مَعِيشَتِهِ، وَيَدَّخِرُ لَهُ إِحْدىٰ وَسَبْعِينَ رَحْمَةً لأَفْزَاعِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَأَهْوَالِهِ»[٣].

إطعام المؤمن:

قال عليه السلام: «لأَنْ آخُذَ خَمْسَةَ دَرَاهِمَ وَأَدْخُلَ إِلَىٰ السُّوقِ فَأَبْتَاعَ بِهَا الطَّعَامَ، وَأَجْمَعُ نَفَراً مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُعْتِقَ نَسَمَةً»[٤].

إغاثة المؤمن:

قال عليه السلام: «تَنْفِيسُ كُرْبَةِ امْرِىءٍ مُسْلِمٍ أَعْظَمُ أَجْراً مِنْ صَلَاتِكَ وَصَوْمِكَ، وَهُوَ أَفْضَلُ مَا يُتَقَرَّبُ بِهِ إِلَىٰ اللَّهِ»[٥].

نصيحة المؤمن:

قال عليه السلام: «يَجِبُ لِلْمُؤْمِنِ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِ النَّصِيحَةُ لَهُ فِي الْمَشْهَدِ وَالْمَغِيبِ»[٦].

حرمة احتقار المؤمن:

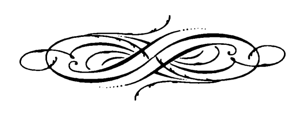
قال عليه السلام: «لَا تُحَقِّروا مُؤْمِناً فَقِيراً، فَإِنَّهُ مَنْ حَقَّرَ مُؤْمِناً فَقِيراً أَوِ اسْتَخَفَّ بِهِ حَقَّرَهُ

(١) أصول الكافي: ٢/ ١٨٩.
(٢) أصول الكافي: ٢/ ١٩٢.
(٣) أصول الكافي: ٢/ ١٩٩.
(٤) أصول الكافي: ٢/ ٢٠٣.
(٥) الحكم الجعفريَّة: ص٥٧.
(٦) أصول الكافي: ٢/ ٢٠٨.

اللَّهُ، وَلَمْ يَزَلِ اللَّهُ مَاقِتاً لَهُ حَتَّىٰ يَرْجِعَ مِنْ مَحْقَرَتِهِ أَوْ يَتُوبَ، وَمَنِ اسْتَذَلَّ مُؤْمِناً أَوِ احْتَقَرَهُ لِقِلَّةِ ذَاتِ يَدِهِ وَفَقْرِهِ، شَهَّرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ»[1].

حرمة تعيير المؤمن:

وقال عليه السلام: «مَنْ عَيَّرَ مُؤْمِناً بِذَنْبٍ لَمْ يَمُتْ حَتَّىٰ يَرْكَبَهُ»[2].



(١) المحاسن: ص٧٤.
(٢) أصول الكافي: ٢/٣٥٦.

آراؤه عليه السلام في السياسة

وأدلى الإمام الصَّادق عليه السلام بكلمات ألمح فيها إلى بعض الشؤون السياسيَّة، كان منها ما يلي:

كفَّارة عمل السلطان:

يقول سليل النُّبوَّة الإمام الصَّادق عليه السلام: **«كَفَّارَةُ عَمَلِ السُّلْطانِ الإِحْسَانُ إِلَىٰ الإِخْوَانِ»**

الفقهاء والسلاطين:

يقول عليه السلام: **«الْفُقَهَاءُ أُمَنَاءُ الرُّسُلِ، فَإِذَا رَأَيْتُمُ الْفُقَهَاءَ قَدْ رَكُبوا إِلَىٰ السَّلَاطِينِ فَاتَّهِموهُمْ»**[1].

ما يحتاج إليه الناس:

يقول عليه السلام: **«ثَلَاثَةُ أَشْياءَ يَحْتَاجُ إِلَيْهَا النَّاسُ: الأَمْنُ، وَالْعَدْلُ، وَالْخِصْبُ»**[2].

السلطان الجائر:

وروى الإمام الصَّادق عليه السلام حديثاً عن جدِّه صلى الله عليه وآله في السلطان الجائر، وأنَّه لا تناله شفاعة النَّبيّ صلى الله عليه وآله وآله. اسمعوا هذا الحديث:

قال عليه السلام: **«قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: صِنْفَانِ لَا تَنَالُهُمَا شَفَاعَتِي: سُلْطانٌ غَشُومٌ عَسُوفٌ، وَغَالٍ فِي الدِّينِ مَارِقٌ غَيْرُ تَائِبٍ وَلَا نَازِعٌ»**[3].

---

(١) جمهرة الأولياء: ٢/٧٩.

(٢) مفاهيم إنسانيَّة في كلمات الإمام جعفر الصَّادق عليه السلام: ص٥.

(٣) قرب الإسناد: ص٦٤، الحديث ٣٠٤.

التحذير من الرؤساء:

وحذَّر الإمام الصَّادق عليه السلام من الرؤساء الذين أُصيبوا بداء العظمة. يقول عليه السلام: **«إيَّاكُمْ وَهؤُلَاءِ الرُّؤَساءَ الَّذِينَ يَتَرأَسُونَ، فَوَاللَّهِ مَا خَفَقَتِ النِّعَالُ خَلفَ رَجُلٍ إلَّا هَلَكَ وَأَهْلَكَ»**(١).

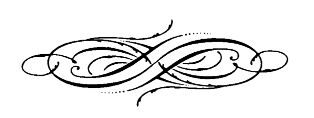
صفات الإمام:

قال عليه السلام: **«الإِمَامَةُ لَا تَصْلُحُ إلَّا لِرَجُلٍ فِيهِ ثَلَاثُ خِصَالٍ: وَرَعٌ يَحْجُزُهُ عَنِ الْمَحَارِمِ، وَحِلْمٌ يَمْلِكُ بِهِ الْغَضَبَ، وَحُسْنُ الْخِلَافَةِ عَلَىٰ مَنْ وُلِّيَ حَتَّىٰ يَكُونَ لَهُ كَالْوَالِدِ الرَّحِيمِ»**(٢).

الابتعاد عن السلطان:

وحذَّر الإمام عليه السلام من الاتّصال بالسلطان. اسمعوا قوله: **«أَقْرَبُ الْخَلْقِ إِلَىٰ اللَّهِ أَبْعَدُهُمْ مِنَ السُّلْطَانِ»**(٣) وأكَّد الإمام عليه السلام ذلك في كثير من أحاديثه.

قال عليه السلام: **«قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: إيَّاكُمْ وَأَبْوَابَ السُّلْطَانِ وَحَواشيها، فَإِنَّ أَقْرَبَكُمْ إِلَىٰ أَبْوَابِ السُّلْطَانِ وَحَواشيها أَبْعَدَكُمْ مِنَ اللَّهِ، وَمَنْ آثَرَ السُّلْطَانَ عَلَىٰ اللَّهِ أَذْهَبَ اللَّهُ عَنْهُ الْوَرَعَ، وَجَعَلَهُ حَيْراناً»**(٤).



---

(١) مجموعة ورَّام: ٢/ ٢٠٥.
(٢) الاثني عشريَّة: ص٦٩.
(٣) الغايات: ص١٩٩.
(٤) الغايات: ص٢٠٢.

آراؤه عليه السلام في الاقتصاد

حثّه على الزراعة:

قال عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ أَرْزَاقَ أَنْبِيائِهِ فِي الزَّرْعِ وَالضَّرْعِ كَيْلَا يَكْرَهوا شَيْئاً مِنْ قَطْرِ السَّمَاءِ»[١].

قال عليه السلام: «مَا فِي الأَعْمَالِ شَيْءٌ أَحَبُّ إِلَىٰ اللَّهِ تَعَالَىٰ مِنَ الزِّرَاعَةِ، وَمَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيّاً إِلَّا زَرَّاعاً إِلَّا إِدْرِيسَ فَإِنَّهُ كَانَ خَيَّاطاً»[٢].

حثّه على العمل:

روى أبو بصير، قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إِنِّي لأَعْمَلُ فِي بَعْضِ ضياعِي حَتَّىٰ أَعْرَقَ، وَإِنَّ لِي مَنْ يَكْفِينِي، لِيَعْلَمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنِّي أَطْلُبُ الرِّزْقَ الْحَلَالَ»[٣].

فقال عليه السلام: «اعْمَلْ فَاحْمِلْ عَلَىٰ رَأْسِكَ، وَاسْتَغْنِ عَنِ النَّاسِ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله حَمَلَ حَجَراً عَلَىٰ عُنُقِهِ فَوَضَعَهُ فِي حَائِطٍ مِنْ حِيطَانِهِ»[٤].

حثّه على التجارة:

قال فضيل بن يسار للإمام الصَّادق عليه السلام: إنِّي قد كففت عن التجارة وأمسكت عنها.

فأنكر الإمام عليه السلام ذلك وقال له: «وَلِمَ ذَلِكَ، أَعَجْزٌ بِكَ؟ كَذَلِكَ تَذْهَبُ أَمْوَالُكُمْ لَا تَكُفُّوا عَنِ التِّجَارَةِ وَالْتَمِسوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»[٥].

---

(١) وسائل الشيعة: ١٣/ ١٩٣.
(٢) الغايات: ص١٨٣. وسائل الشيعة: ١٢/ ٢٥.
(٣) وسائل الشيعة: ١٢/ ٢٣.
(٤) وسائل الشيعة: ١٢/ ٢٢ و٢٣.
(٥) وسائل الشيعة: ١٢/ ٧.

نهيه عن الإسراف:

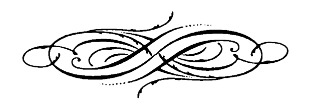
قال عليه السلام: «إِنَّ السَّرَفَ يُوْرِثُ الْفَقْرَ، وَإِنَّ الْقَصْدَ يُوْرِثُ الْغِنَىٰ»[١].

روى داود بن سرحان، قال: «رأيت أبا عبد الله عليه السلام يكيل تمراً بيده، فقلت: جعلت فداك، لو أمرت بعض ولدك أو بعض مواليك فيكفيك.

قال: يَا دَاوِدُ، إِنَّهُ لَا يَصْلُحُ لِلْمَرْءِ الْمُسْلِمِ إِلَّا ثَلَاثَةٌ: التَّفَقُّهُ فِي الدِّينِ، وَالصَّبْرُ عَلَىٰ النَّائِبَةِ، وَحُسْنُ التَّقْدِيرِ فِي الْمَعِيشَةِ»[٢].

النهي عن الكسل:

قال عليه السلام لبعض أصحابه: «إِيَّاكَ وَالضَّجَرَ وَالْكَسَلَ؛ إِنَّهُمَا مِفْتَاحُ كُلِّ سُوْءٍ، إِنَّهُ مَنْ كَسَلَ لَمْ يُؤَدِّ حَقّاً، وَمَنْ ضَجَرَ لَمْ يَصْبِرْ عَلَىٰ حَقٍّ»[٣].



(١) وسائل الشيعة: ١٢/ ٤١.
(٢) وسائل الشيعة: ١٢/ ٤١.
(٣) وسائل الشيعة: ١٢/ ٣٩.

مواعظه ونماذج من حكمه عليه السلام

من مواعظه عليه السلام

واهتمَّ الإمام الصَّادق عليه السلام اهتماماً بالغاً بالمواعظ، كشأن الأئمَّة الطَّيِّبين من آبائه وأبنائه، الذين وجَّهوا جميع جهودهم لوعظ الناس وتهذيبهم، وغرس النزعات الكريمة في نفوسهم، وكان أوَّل من عنى بذلك سيِّد العترة الطاهرة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عملاق الضمير الإنساني، فقد حفل نهج بلاغته بالكثير من المواعظ التي تذوب منها النُّفوس إجلالاً وعظمة، وهي تذكِّر الإنسان بالدار الآخرة، وتبعده عن الغرور والطيش، وترشده إلى الطريق المستقيم.

قال عليه السلام: «مِسْكِينُ ابْنُ آدَمَ لَوْ خَافَ مِنَ النَّارِ كَمَا يَخَافُ مِنَ الْفَقْرِ لأَمِنَهُمَا جَمِيعاً، وَلَوْ خَافَ اللَّهَ فِي الْبَاطِنِ كَمَا يَخَافُ خَلْقَهُ فِي الظَّاهِرِ لَسَعَدَ فِي الدَّارَيْنِ»[1].

قال عليه السلام: «لَا رَاحَةَ لِلْمُؤْمِنِ عَلَىٰ الْحَقِيقَةِ إِلَّا عِنْدَ لِقَاءِ اللَّهِ، وَمَا سِوَىٰ ذَٰلِكَ فَفِي أَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ: صَمْتٌ تَعْرِفُ بِهِ حَالَ قَلْبِكَ وَنَفْسِكَ فِيمَا يَكُونُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ بَارِئِكَ، وَخَلْوَةٌ تَنْجُو بِهَا مِنْ آفَاتِ الزَّمَانِ ظَاهِراً وَبَاطِناً، وَجُوعٌ تُمِيتُ بِهِ الشَّهَوَاتِ وَالْوَسَاوِسَ، وَسَهَرٌ تُنَوِّرُ بِهِ قَلْبَكَ، وَتُصَفِّي بِهِ طَبْعَكَ، وَتُزَكِّي بِهِ رُوْحَكَ»[2].

الحبّ في الله:

قال عليه السلام: «قَدْ يَكُونُ حُبٌّ فِي اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَحُبٌّ فِي الدُّنْيا، فَمَا كَانَ فِي اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَثَوابُهُ عَلَىٰ اللَّهِ، وَمَا كَانَ فِي الدُّنْيا فَلَيْسَ بِشَيْءٍ»[3].

---

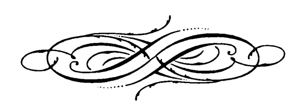
(١) مجموعة ورَّام: ٢/١١٢.

(٢) الاثني عشريَّة: ص١١٢.

(٣) المحاسن: ص٢١١.

المعروف:

قال ﷺ: «إِنِّي رَأَيْتُ الْمَعْرُوفَ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِثَلَاثٍ: تَعْجِيلِهِ وَسِتْرِهِ وَتَصْغِيرِهِ، فَإِنَّكَ إِذَا عَجَّلْتَهُ هَنَّأْتَهُ، وَإِذَا سَتَرْتَهُ أَتْمَمْتَهُ، وَإِذَا صَغَّرْتَهُ عَظَّمْتَهُ»[١].



(١) ربيع الأبرار: ٤/ ٣٢٠.

الكلمات القِصار

قال عليه السلام: «إِذَا سَمِعْتُمْ مِنْ مُسْلِمٍ كَلِمَةً فَاحْمِلوها عَلَىٰ أَحْسَنِ مَا تَجِدونَ، فَإِنْ لَمْ تَجِدوا لَهَا مَحْمِلاً فَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ»[١].

قال عليه السلام: «إِذَا أَقْبَلَتِ الدُّنْيا عَلَىٰ إِنْسَانٍ أَعْطَتْهُ مَحَاسِنَ غَيْرِهِ، وَإِذَا أَدْبَرَتْ عَنْهُ سَلَبَتْهُ مَحَاسِنَ نَفْسِهِ»[٢].

قال عليه السلام: «مَنْ تَخَلَّقَ بِالْخُلُقِ الْجَمِيلِ، وَلَهُ خُلُقٌ سُوءٍ أَصِيلٌ، فَتَخَلُّقُهُ لَا مَحَالَةَ زَائِلٌ، وَهُوَ إِلَىٰ خُلُقِهِ الأَوَّلِ آيلٌ كَطَلْيِ الذَّهَبِ عَلَىٰ النُّحَاسِ يَنْسَحِقُ، وَتَذْهَبُ صُفْرَتُهُ لِلنَّاسِ».

قال عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ أَوْسَعَ أَرْزَاقَ الْحَمْقَىٰ لِيَعْتَبِرَ الْعُقَلَاءُ وَيَعْلَموا أَنَّ الدُّنْيا لَا يُنَالُ مَا فِيهَا بِعَقْلٍ وَلَا حِيْلَةٍ، أَلَا أَنَّ كَسْبَ الْمَالِ بِالْحَظِّ، وَحِفْظَهُ بِالْعَقْلِ»[٣].

قال عليه السلام: «إِيَّاكُمْ وَالْمُزَاحَ، فَإِنَّهُ يُذْهِبُ بِمَاءِ الْوَجْهِ»[٤].

قال عليه السلام: «الأَدَبُ عِنْدَ الأَحْمَقِ كَالْمَاءِ الْعَذْبِ فِي أُصُولِ الْحَنْظَلِ، كُلَّمَا ازْدَادَ رَيّاً ازْدَادَ مَرَارَةً»[٥].

قال عليه السلام: «لَا زَادَ أَفْضَلُ مِنَ التَّقْوىٰ، وَلَا شَيْءَ أَحْسَنُ مِنَ الصَّمْتِ، وَلَا عَدُوَّ أَضَرُّ مِنْ الْجَهْلِ، وَلَا دَاءَ أَدْوىٰ مِنَ الْكَذِبِ»[٦].

قال عليه السلام: «أَكْبَرُ الْكَبَائِرِ: الْيَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ، وَالْقُنوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَالأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللَّهِ»[٧].

---

(١) جمهرة الأولياء: ٢/ ٧٩.
(٢) جمهرة الأولياء: ٢/ ٧٩.
(٣) زهرة الآداب وثمار الألباب: ١/ ٨٤.
(٤) بهجة المجالس: ١/ ٥٦٨.
(٥) الصناعتين الكتابة والشعر: ص٢٤٥.
(٦) تاريخ الإسلام: ٦/ ٤٨.
(٧) الغايات: ص٢٩٨.

قال عليه السلام: «إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ أَكْيَاسٌ، وَأَكْيَسُ الْمُؤْمِنِينَ أَكْثَرُهُمْ ذِكْراً لِلْمَوْتِ»[١].

قال عليه السلام: «حُسْنُ الْجِوارِ عِمارَةُ الدِّيارِ، وَمَثْراةُ الْمالِ»[٢].

قال عليه السلام: «غَرِيبَتَانِ: غَرِيْبَةٌ كَلِمَةُ حِكْمَةٍ مِنْ سَفِيهٍ فَاقْبَلوها، وَكَلِمَةُ سَفَهٍ مِنْ حَكِيمٍ فَاغْفِروها»[٣].

قال عليه السلام: «مَنْ حَسُنَ فِي الدُّنْيا أَدَبُهُ حَسُنَ فِي الآخِرَةِ مُنقَلَبُهُ»[٤].

قال عليه السلام: «إِذَا كَانَ الزَّمَانُ زَمانَ جَوْرٍ وَأَهْلُهُ أَهْلَ غَدْرٍ، فَالطَّمَأْنِينَةُ إِلَىٰ كُلِّ أَحَدٍ عَجْزٌ»[٥].

قال عليه السلام: «مَثَلُ طَالِبِ الدُّنْيا وَلَذَّاتِها وَشَهَواتِهَا كَشَارِبِ الْمَاءِ الْمَالِحِ الَّذِي كُلَّما رَغِبَ ازْدَادَ عَطَشاً»[٦].

قال عليه السلام: «أَحْسَنُ النَّاسِ مَنْ لَمْ يَفْرَحْ بِحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ»[٧].

قال عليه السلام: «لَا تَثِقَنَّ بِأَخِيكَ كُلَّ الثِّقَةِ، فَإِنَّ صَرْعَةَ الإِسْتِرْسَالِ لاتُسْتَقَالُ»[٨].

قال عليه السلام: «التَّواصُلُ بَيْنَ الإِخْوَانِ فِي الْحَضَرِ التَّزَاوُرُ، وَالتَّواصُلُ فِي السَّفَرِ الْمُكَاتَبَةُ»[٩].

قال عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ أَنْعَمَ عَلَىٰ قَوْمٍ بِالْمَوَاهِبِ فَلَمْ يَشْكُرُوهُ فَصَارَتْ عَلَيْهِمْ وَبالًا، وَابْتَلىٰ قَوْماً بِالْمَصَائِبِ فَصَبَرُوا فَكَانَتْ عَلَيْهِمْ نِعْمَةً»[١٠].

قال عليه السلام: «صَلاحُ حالِ التَّعايُشِ وَالتَّعاشُرِ مِلْءُ مِكْيالٍ ثُلُثَاهُ فِطْنَةٌ، وَثُلُثُهُ تَغافُلٌ»[١١].

قال عليه السلام: «إِنَّ كَلِمَةَ الْحِكْمَةِ لَتَكُونُ فِي قَلْبِ الْمُنَافِقِ فَتَجَلْجَلُ حَتَّىٰ يُخْرِجَها»[١٢].

---

(١) الغايات: ص٢٠٤.
(٢) الإمتاع والمؤانسة/التوحيدي: ٢/ ١٣٠.
(٣) جامع الأحاديث: ص١٠٣.
(٤) الحكم الجعفريَّة: ص٥.
(٥) تحف العقول: ص٣٥٧.
(٦) الحكم الجعفريَّة: ص٣٣.
(٧) الحكم الجعفريَّة: ص٣٥.
(٨) تحف العقول: ص٣٥٧.
(٩) تحف العقول: ص٣٥٨.
(١٠) تحف العقول: ص٣٥٩.
(١١) تحف العقول: ص٣٥٩.
(١٢) المحاسن: ص١٧٩.

قال عليه السلام: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يُدِيرُ ابْنَ آدَمَ فِي كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا أَعْيَاهُ جَثَمَ لَهُ عِنْدَ الْمَالِ، فَأَخَذَ بِرَقَبَتِهِ»(١).

قال عليه السلام: «الْحَيَاءُ عَلَىٰ وَجْهَيْنِ: فَمِنْهُ ضَعْفٌ، وَمِنْهُ قُوَّةٌ وَإِسْلَامٌ وَإِيمَانٌ»(٢).

قال عليه السلام: «اتَّقِ اللَّهَ بَعْضَ التُّقَىٰ وَإِنْ قَلَّ، وَدَعْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ سِتْراً وَإِنْ رَقَّ»(٣).

قال عليه السلام: «كَمْ مِنْ نِعْمَةٍ لِلَّهِ عَلَىٰ عَبْدِهِ فِي غَيْرِ أَمَلِهِ، وَكَمْ مِنْ مُؤَمِّلٍ أَمَلًا الْخِيارُ فِي غَيْرِهِ، وَكَمْ مِنْ سَاعٍ إِلَىٰ حَتْفِهِ وَهُوَ مُبْطِىءٌ عَنْ حَظِّهِ»(٤).

قال عليه السلام: «لَا يَكُونُ الْعَبْدُ مُؤْمِناً حَتَّى يَكُونَ خَائِفاً رَاجِياً، وَلَا يَكُونُ خَائِفاً رَاجِياً حَتَّى يَكُونَ عَامِلًا لِمَا يَخَافُ وَيَرْجو»(٥).

قال عليه السلام: «قَدْ عَجِزَ مَنْ لَمْ يُعِدَّ لِكُلِّ بَلَاءٍ صَبْراً، وَلِكُلِّ نِعْمَةٍ شُكْراً، وَلِكُلِّ عُسْرٍ يُسْراً، اصْبِرْ نَفْسَكَ عِنْدَ كُلِّ بَلِيَّةٍ وَرَزِيَّةٍ فِي وَلَدٍ، أَوْ فِي مَالٍ، فَإِنَّ اللَّهِ إِنَّمَا يَقْبِضُ عَارِيَتَهُ وَهِبَتَهُ لِيَبْلُوَ شُكْرَكَ وَصَبْرَكَ»(٦).

قال عليه السلام: «الدُّنيا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ، وَالصَّبْرُ حِصْنُهُ، وَالْجَنَّةُ مَأْوَاهُ، وَالدُّنْيا جَنَّةُ الْكَافِرِ، وَالْقَبْرُ سِجْنُهُ، وَالنَّارُ مَأْوَاهُ»(٧).

قال عليه السلام: «لَا يَنْبَغِي لِمَنْ لَمْ يَكُنْ عَالِماً أَنْ يُعَدَّ سَعِيداً، وَلَا لِمَنْ لَمْ يَكُنْ وَدوداً أَنْ يُعَدَّ حَمِيداً، وَلَا لِمَنْ لَمْ يَكُنْ صَبُوراً أَنْ يُعَدَّ كَامِلًا، وَلَا لِمَنْ لَا يَتَّقِي مَلَامَةَ الْعُلَمَاءِ وَذَمَّهُمْ أَنْ يُرْجَىٰ لَهُ خَيْرُ الدُّنيا وَالآخِرَةِ. وَيَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يَكُونَ صَدوقاً لِيُؤْمَنَ عَلَىٰ حَدِيثِهِ، وَشَكُوراً لِيَسْتَوْجِبَ الزِّيَادَةَ»(٨).

قال عليه السلام: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ ـ أَعْنِي الْكَلِمَةَ الطَّيِّبَةَ ـ فَيَكْتُبُ اللَّهُ بِهَا إِيمَاناً فِي قَلْبِ آخَرَ فَيَغْفِرُ لَهُمَا جَمِيعاً»(٩).

---

(١) مجموعة ورّام: ٢/٢٠٦.
(٢) تحف العقول: ص٣٦٠.
(٣) تحف العقول: ص٣٦١.
(٤) تحف العقول: ص٣٦١.
(٥) مجموعة ورَّام: ٢/١٨٥.
(٦) الاثني عشريَّة: ص٤٨. تحف العقول: ص٣٦٢.
(٧) تحف العقول: ص٣٦٣.
(٨) تحف العقول: ص٣٦٤.
(٩) المحاسن: ص٧٩.

قال عليه السلام: «النَّاسُ سَواءٌ كَأَسْنَانِ الْمُشْطِ، وَالْمَرْءُ كَثِيرٌ بِأَخِيهِ، وَلَا خَيْرَ فِي صُحْبَةِ مَنْ لَمْ يَرَ لَكَ مِثْلَ الَّذِي يَرىٰ لِنَفْسِهِ»[١].

قال عليه السلام: «مِنْ زَيْنِ الإِيمَانِ الْفِقْهُ، وَمِنْ زَيْنِ الْفِقْهِ الْحِلْمُ، وَمِنْ زَيْنِ الْحِلْمِ الرِّفْقُ، وَمِنْ زَيْنِ الرِّفْقِ اللِّينُ، وَمِنْ زَيْنِ اللِّينِ السُّهُولَةُ»[٢].

قال عليه السلام: «لَا يَبْلُغُ أَحَدُكُمْ حَقِيقَةَ الإِيمَانِ حَتَّىٰ يُحِبَّ أَبْعَدَ الْخَلْقِ مِنْهُ فِي اللَّهِ، وَيُبْغِضَ أَقْرَبَ الْخَلْقِ مِنْهُ فِي اللَّهِ»[٣].

قال عليه السلام: «عَلَيْكُمْ بِالأَدَبِ فَإِنَّ فِيهِ وضُوحَ الدَّلَالَةِ، وَانْتِهالَ الْغَرَضِ، وَحُسْنَ الْعِبَادَةِ»[٤].

قال عليه السلام: «الْغَضَبُ مَمْحَقَةٌ لِقَلْبِ الْحَكِيمِ، وَمَنْ لَمْ يَمْلِكْ غَضَبَهُ لَمْ يَمْلِكْ عَقْلَهُ»[٥].

قال عليه السلام: «إِيَّاكُمْ وَالْمُزَاحَ، فَإِنَّهُ يَجُرُّ السَّخِيمَةَ، وَيُورِثُ الضَّغِينَةَ، وَهُوَ السَّبُّ الأَصْغَرُ»[٦].

قال عليه السلام: «إِنَّ سُرْعَةَ ائْتِلَافِ قُلُوبِ الأَبْرَارِ إِذَا التَقَوا وَإِنْ لَمْ يُظْهِروا التَّوَدُّدَ بِأَلْسِنَتِهِمْ كَسُرْعَةِ اخْتِلَاطِ مَاءِ السَّمَاءِ بِمَاءِ الأَنْهَارِ، وَإِنَّ بُعْدَ ائْتِلَافِ قُلُوبِ الْفُجَّارِ إِذَا التَقَوا، وَإِنْ أَظْهَروا التَّوَدُّدَ بِأَلْسِنَتِهِمْ كَبُعْدِ الْبَهَائِمِ مِنَ التَّعَاطُفِ، وَإِنْ طَالَ اعْتِلَافُهَا عَلَىٰ مِذْوَدٍ[٧] وَاحِدٍ»[٨].

قال عليه السلام: «لَا تُحَدِّثْ مَنْ تَخَافُ أَنْ يُكَذِّبَكَ، وَلَا تَسْأَلْ مَنْ تَخَافُ أَنْ يَمْنَعَكَ، وَلَا تَأْمَنْ مَنْ تَخَافُ أَنْ يَغْدُرَ بِكَ»[٩].

قال عليه السلام: «فِعْلُ الْمَعْروفِ يَمْنَعُ مِيْتَةَ السُّوءِ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِىءُ غَضَبَ الرَّبِّ، وَصِلَةُ

---

(١) تحف العقول: ص٣٦٨.
(٢) تحف العقول: ص٣٦٨.
(٣) تحف العقول: ص٣٦٩.
(٤) الحكم الجعفريّة: ص٦٥.
(٥) تحف العقول: ص٣٧١.
(٦) تحف العقول: ص٣٧٩.
(٧) المذود: معتلف الدواب.
(٨) تحف العقول: ص٣٧٣.
(٩) تذكرة ابن حمدون: ص٨٥.

الرَّحِم تَزِيدُ فِي الْعُمُرِ، وَتَنْفِي الْفَقْرَ، وَقَوْلَ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ كَنْزٌ مِنْ كُنوزِ الْجَنَّةِ»[١].

قال عليه السلام: «تَأْخِيرُ التَّوْبَةِ اغْتِرَارٌ، وَطُولُ التَّسْوِيفِ حَيْرَةٌ، وَالإِعْتِلَالُ عَلَىٰ اللَّهِ هَلَكَةٌ، وَالإِصْرَارُ عَلَىٰ الذَّنْبِ مِنْ مَكْرِ اللَّهِ، وَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرونَ»[٢].

قال عليه السلام: «مَنْ كَظَمَ غَيْظاً وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَىٰ إِمْضَائِهِ حَشَا اللَّهُ قَلْبَهُ أَمْناً وَإِيْمَاناً يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[٣].

قال عليه السلام: «صَدَقَةٌ يُحِبُّها اللَّهُ: إِصْلَاحُ بَيْنَ النَّاسِ إِذَا تَفَاسَدوا، وَتَقارُبُ بَيْنَهُمْ إِذَا تَباعَدوا»[٤].

قال عليه السلام: «خَالِطوا الأَبْرَارَ سِرّاً، وَخَالِطوا الْفُجَّارَ جِهاراً، وَلَا تَمِيلُوا عَلَيْهِمْ فَيَظْلِمُوكُمْ، فَإِنَّهُ سَيَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ لَا يَنْجو فِيهِ مِنْ ذَوِي الدِّينِ إِلَّا مَنْ ظَنُّوا أَنَّهُ أَبْلَهُ، وَصَبَّرَ نَفْسَهُ عَلَىٰ أَنْ يُقَالَ إِنَّهُ لَا عَقْلَ لَهُ»[٥].

قال عليه السلام: «صِلْ رَحِمَكَ وَلَوْ بِشُرْبَةٍ مِنْ مَاءٍ، وَأَفْضَلُ مَا تُوصَلُ بِهِ الرَّحِمُ كَفُّ الأَذَىٰ عَنْهَا، وَصِلَةُ الرَّحِمِ مَنْسَأَةٌ فِي الأَجَلِ، مَحَبَّةٌ فِي الأَهْلِ»[٦].

قال عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ خَلْقاً مِنْ رَحْمَتِهِ لِرَحْمَتِهِ، وَهُمُ الَّذِينَ يَقْضونَ الْحَوائِجِ لِلنَّاسِ، فَمَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَكُونَ مِنْهُمْ فَلْيَكُنْ»[٧].

قال عليه السلام: «فِي الْجَيِّدِ دَعْوَتَانِ، وَفِي الرَّدِيءِ دَعْوَتَانِ، يُقَالُ لِصَاحِبِ الْجَيِّدِ: بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ وَفِيمَنْ بَاعَكَ، وَيُقَالُ لِصَاحِبِ الرَّدِيءِ: لَا بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ وَلَا فِيْمَنْ بَاعَكَ»[٨].

قال عليه السلام: «إِنَّ الْحَسْرَةَ وَالنَّدَامَةَ وَالْوَيْلَ كُلَّهُ لِمَنْ لَمْ يَنْتَفِعْ بِمَا أَبْصَرَهُ، وَلَمْ يَدْرِ مَا الأَمْرُ الَّذِي هُوَ عَلَيْهِ مُقِيمٌ أَنْفَعٌ لَهُ أَمْ ضَرٌّ.

قال له المفضّل: فبم يُعرف الناجي من هؤلاء جعلت فداك؟

---

(١) تاريخ اليعقوبي: ٣/١١٦.
(٢) نور الأبصار: ص١٣٤.
(٣) أُصول الكافي: ٢/١١٠.
(٤) أُصول الكافي: ٢/١٠١.
(٥) أُصول الكافي: ٢/١١٧.
(٦) أُصول الكافي: ٢/١٥٩.
(٧) العقد الفريد: ١/١٥٩.
(٨) الاثني عشريَّة: ص٢٩.

قال: مَنْ كَانَ فِعْلُهُ لِقَوْلِهِ مُوافِقاً، فَأُثْبِتَ لَهُ الشَّهَادَةُ بِالنَّجَاةِ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ فِعْلُهُ لِقَوْلِهِ مُوافِقاً فَإِنَّمَا ذَلِكَ مُسْتَوْدَعٌ»[١].

قال عليه السلام لأبي بصير: «إِنَّ الْقَلْبَ لَيَكُونُ السَّاعَةَ مِنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مَا فِيهِ كُفْرٌ، وَلَا إِيْمَانٌ كَالثَّوْبِ الْخَلِقِ.

ثمَّ قال لأبي بصير: أَما تَجِدُ ذَلِكَ مِنْ نَفْسِكَ؟

وأضاف عليه السلام قائلاً: ثُمَّ تَكُونُ النُّكْتَةُ مِنَ اللَّهِ فِي الْقَلْبِ بِمَا شَاءَ مِنْ كُفْرٍ وَإِيْمَانٍ»[٢].

قال عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ مُبْهَمَةً عَلَىٰ الإِيْمَانِ، فَإِذَا أَرَادَ اسْتِنَارَةَ مَا فِيهَا فَتَحَها بِالْحِكْمَةِ وَزَرَعَها بِالْعِلْمِ، وَزَارِعُها وَالْقَيِّمُ عَلَيْهَا رَبُّ الْعَالَمِينَ»[٣].

قال عليه السلام: «اجْعَلوا أَمْرَكُمْ هَذَا لِلَّهِ وَلَا تَجْعَلوهُ لِلنَّاسِ، فَإِنَّهُ مَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ لِلَّهِ، وَمَا كَانَ لِلنَّاسِ فَلَا يَصْعَدُ إِلَىٰ اللَّهِ»[٤].

قال عليه السلام: «مَا نَقَلَ اللَّهُ عَبْداً مِنْ ذُلِّ الْمَعَاصِي إِلَىٰ عِزِّ التَّقْوىٰ إِلَّا أَغْنَاهُ مِنْ غَيْرِ مَالٍ، وَأَعَزَّهُ مِنْ غَيْرِ عَشِيرَةٍ، وَآنَسَهُ مِنْ غَيْرِ بَشَرٍ»[٥].

قال عليه السلام: «مَا نَاصَحَ اللَّهُ عَبْدٌ فِي نَفْسِهِ فَأَخَذَ الْحَقَّ مِنْهَا، وَأَخَذَ الْحَقَّ لَهَا إِلَّا أُعْطِيَ خِصْلَتَيْنِ: رِزْقاً مِنَ اللَّهِ يَسَعُهُ، وَرِضاً عَنِ اللَّهِ يُغْنِيهِ»[٦].

قال عليه السلام: «مَا أَحَبَّ اللَّهَ مَنْ عَصَاهُ، ثمَّ تمثَّل:

تُعْصِي الإِلٰهَ وَأَنْتَ تُظْهِرُ حُبَّهُ ... هَذَا مَحَالٌ فِي الْفِعَالِ بَدِيعُ

لَوْ كَانَ حُبُّكَ صَادِقاً لأَطَعْتَهُ ... إِنَّ الْمُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعُ»[٧]

قال عليه السلام: «مَا مِنْ مَظْلِمَةٍ أَشَدُّ مِنْ مَظْلِمَةٍ لَا يَجِدُ صَاحِبُهَا عَلَيْهَا عَوْناً إِلَّا اللَّهَ تَعَالَىٰ»[٨].

---

(١) أصول الكافي: ٢/ ٤١٩.
(٢) أصول الكافي: ٢/ ٤٢٠.
(٣) أصول الكافي: ٢/ ٤٢٢.
(٤) أصول الكافي: ٢/ ٢٩٣.
(٥) وسائل الشيعة: ١١/ ١٩٠.
(٦) وسائل الشيعة: ١١/ ٢٢٧.
(٧) وسائل الشيعة: ١١/ ٢٤٠.
(٨) أصول الكافي: ٢/ ٣١٨.

قال عليه السلام: «لَا يَتَكَلَّمُ الرَّجُلُ بِكَلِمَةِ حَقٍّ يُؤْخَذُ بِهَا، إِلَّا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ أَخَذَ بِهَا، وَلَا يَتَكَلَّمُ بِكَلِمَةِ ضَلَالٍ يُؤْخَذُ بِهَا إِلَّا كَانَ عَلَيْهِ مِثْلُ وِزْرِ مَنْ أَخَذَ بِهَا»[1].

قال عليه السلام: «عَلَيْكُمْ بِمَكَارِمِ الأَخْلَاقِ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُحِبُّهَا، وَإِيَّاكُمْ وَمَذَامَّ الأَفْعَالِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبْغِضُهَا»[2].

قال عليه السلام: «عَجِبْتُ لِمَنْ يَبْخَلُ بِالدُّنْيا وَهِيَ مُقْبِلَةٌ عَلَيْهِ أَوْ يَبْخَلُ عَلَيْهَا وَهِيَ مُدْبِرَةٌ عَنْهُ، فَلَا الإِنْفَاقُ مَعَ الإِقْبَالِ يَضُرُّهُ، وَلَا الإِمْسَاكُ مَعَ الإِدْبَارِ يَنْفَعُهُ»[3].

قال عليه السلام: «أَدْنَىٰ مَا يَخْرُجُ بِهِ الرَّجُلُ مِنَ الإِسْلَامِ أَنْ يَرَىٰ الرَّأْيَ بِخِلَافِ الْحَقِّ فَيُقِيمَ عَلَيْهِ».

ثمَّ قال: «وَمَنْ يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ»[4].

قال عليه السلام: «أَحْسِنوا جِوَارَ نِعَمِ اللَّهِ، وَاحْذَروا أَنْ تَنْتَقِلَ عَنْكُمْ إِلَىٰ غَيْرِكُمْ، أَما إِنَّهَا لَمْ تَنْتَقِلْ عَنْ أَحَدٍ قَطُّ فَكَادَتْ أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْهِ، وَكَانَ عَلِيٌّ عليه السلام يَقُولُ: مَا أَدْبَرَ شَيْءٌ فَأَقْبَلَ»[5].

قال عليه السلام: «لَيْسَ الزُّهْدُ فِي الدُّنْيا بِإِضَاعَةِ الْمَالِ، وَلَا تَحْرِيمِ الْحَلَالِ، بَلِ الزُّهْدُ فِي الدُّنْيا أَنْ لَا تَكُونَ بِمَا فِي يَدِكَ أَوْثَقَ مِنْكَ بِمَا عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»[6].

قال عليه السلام: «أُحْكُمْ أَمْرَ دِينِكَ كَمَا أَحْكَمَ أَهْلُ الدُّنْيا أَمْرَ دُنْياهُمْ، فَإِنَّمَا جُعِلَتِ الدُّنْيا شَاهِداً يُعْرَفُ بِهَا مَا غَابَ عَنْهَا مِنَ الآخِرَةِ، فَاعْرِفِ الآخِرَةَ بِهَا، وَلَا تَنْظُرْ إِلَىٰ الدُّنْيا إِلَّا بِالإِعْتِبَارِ»[7].

قال عليه السلام لرجل من شيعته: «اقْنَعْ بِما قَسَمَ اللَّهُ لَكَ، وَلَا تَنْظُرْ إِلَىٰ مَا عِنْدَ غَيْرِكَ، وَلَا تَتَمَنَّ مَا لَسْتَ نَائِلَهُ، فَإِنَّهُ مَنْ قَنَعَ شَبِعَ، وَمَنْ لَمْ يَقْنَعْ لَمْ يَشْبَعْ، وَخُذْ حَظَّكَ مِنْ آخِرَتِكَ»[8].

---

(١) وسائل الشيعة: ١١/ ٥٣٧.
(٢) أمالي الصدوق: ص٤٤٠ و٤٤١، الحديث ٥٨٦.
(٣) أمالي الصدوق: ص١٥٠.
(٤) وسائل الشيعة: ١٨/ ٣٩.
(٥) فروع الكافي: ٤/ ٣٨.
(٦) فروع الكافي: ٥/ ٧٠.
(٧) روضة الكافي: ٨/ ٢٤٧.
(٨) روضة الكافي: ٨/ ٨٨.

قال عليه السلام: «إِنَّ الْقَلْبَ يَحْيا وَيَموتُ، فَإِذَا حَيِيَ فَأَدِّبْهُ بِالتَّطوُّعِ، وَإِذَا مَاتَ فَأَقْصِرْهُ عَلَىٰ الْفَرَائِضِ»(١).

قال عليه السلام: «إِنَّ الزُّهَّادَ فِي الدُّنْيَا نورُ الْجَلَالِ عَلَيْهِمْ، وَأَثَرُ الْخِدْمَةِ بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ، وَكَيْفَ لَا يَكُونونَ كَذَلِكَ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَنْقَطِعُ إِلَىٰ بَعْضِ مُلوكِ الدُّنْيا فَيَرىٰ عَلَيْهِ أَثَرَهُ، فَكَيْفَ بِمَنْ يَنْقَطِعُ إِلَىٰ اللَّهِ تَعَالَىٰ لَا يُرىٰ أَثَرُهُ عَلَيْهِ»(٢).

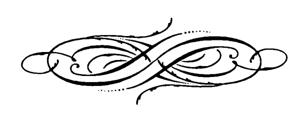
قال عليه السلام: «الْوقوفُ عِنْدَ الشُّبْهَةِ خَيْرٌ مِنَ الاقْتِحامِ فِي الْهَلَكَةِ، إِنَّ عَلَىٰ كُلِّ حَقٍّ حَقِيقَةً، وَعَلَىٰ كُلِّ صَوابٍ نُوراً، فَمَا وَافَقَ كِتَابَ اللَّهِ فَخُذُوهُ، وَمَا خَالَفَ كِتَابَ اللَّهِ فَدَعوهُ»(٣).

قال عليه السلام: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَغْبِطُ وَلَا يَحْسُدُ، وَالْمُنَافِقُ يَحْسُدُ وَلَا يَغْبِطُ»(٤).

قال عليه السلام: «ما كُلُّ مَنْ نَوىٰ شَيْئاً قَدَرَ عَلَيْهِ، وَلَا كُلُّ مَنْ قَدَرَ عَلَىٰ شَيْءٍ وُفِّقَ لَهُ، وَلَا كُلُّ مَنْ وُفِّقَ أَصَابَ لَهُ مَوْضِعاً، فَإِذَا اجْتَمَعَتِ النِّيَّةُ وَالْقُدْرَةُ وَالتَّوْفِيقُ وَالإِصَابَةُ فَهُنَالِكَ تَمَّتِ السَّعَادَةُ»(٥).

إنَّ حِكم الإمام عليه السلام تغذِّي الفكر، وتنمِّي العقل، وتهذِّب السلوك، وتنطق بما يدور في خلد الناس حول الكون والحياة، وقد رُصِّعت حكمه بأروع الألفاظ وأكثرها جاذبيَّة لطبائع الناس.

وعلى كلِّ حال، فإنَّ ما أُثر من حكم الإمام قد دلَّ علىٰ ثراء فكري عظيم لا يوصف ولا يحدّ، فقد تجلَّت فيه العبقريَّة بأجلى مظاهرها.



(١) بحار الأنوار: ٧٨/ ٢٢٧.
(٢) بحار الأنوار: ٧٨/ ٢٢٧.
(٣) وسائل الشيعة: ١٩/ ٧٩.
(٤) وسائل الشيعة: ١١/ ٢٩٣.
(٥) الإرشاد: ٢/ ٢٠٤.

من أدعية الإمام الصَّادق عليه السلام

أولى الإمام الصَّادق عليه السلام المزيد من الاهتمام في الدُّعاء والابتهال إلى الله؛ لأنَّه من أنجع الوسائل وأعمقها في تهذيب النُّفوس، واتّصالها بالله تعالى، وقد أُثرت عنه كوكبة من الأحاديث في فضل الدُّعاء وآدابه، وأوقات استجابته.

فضل الدُّعاء:

قال عليه السلام: **«عَلَيْكُمْ بِالدُّعَاءِ، فَإِنَّكُمْ لَا تُقَرَّبونَ بِمِثْلِهِ، وَلَا تَتْرُكوا صَغِيرَةً لِصِغَرِها أَنْ تَدْعوا بِهَا، إِنَّ صَاحِبَ الصِّغَارِ هُوَ صَاحِبُ الْكِبَارِ»**[1].

وأوصى الإمام عليه السلام صاحبه ميسر بن عبد العزيز بملازمة الدُّعاء في جميع الأحوال، قال له:

«يَا ميسرُ، ادْعُ وَلَا تَقُلْ إِنَّ الأَمْرَ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ، إِنَّ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجلَّ مَنْزِلَةً لا تُنَالُ إِلَّا بِمَسْأَلَةٍ، وَلَوْ أَنَّ عَبْداً سَدَّ فَاهُ وَلَمْ يَسْأَلْ لَمْ يُعْطَ شَيْئاً، فَسَلْ تُعْطَ.

يَا ميسرُ، إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ بَابٍ يُقْرَعُ إِلَّا يُوشِكُ أَنْ يُفْتَحَ لِصَاحِبِهِ»[2].

الدُّعاء عبادة:

واعتبر الإمام الصَّادق عليه السلام الدُّعاء ضرباً من ضروب العبادة، ونوعاً من أنواعها، فقال: **«الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ الَّتِي قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى﴾[3] أُدْعُ اللَّهَ عَزَّ وَجلَّ وَلَا تَقُلْ إِنَّ الأَمْرَ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ»**.

وعلّق الفقيه الكبير زرارة على الجملة الأخيرة من كلام الإمام، قال: «إنّما يعني لا يمنعك إيمانك بالقضاء والقدر أن تبالغ بالدُّعاء، وتجتهد فيه»[4].

---

(١) أُصول الكافي: ٢/ ٤٦٧.
(٢) أُصول الكافي: ٢/ ٤٦٦.
(٣) سورة غافر: الآية ٦٠.
(٤) أُصول الكافي: ٢/ ٤٦٧.

الدُّعاء يدفع القضاء:

قال ﷺ: «إِنَّ اللّٰهَ عَزَّ وَجَلَّ لَيَدْفَعُ بِالدُّعَاءِ الأَمْرَ الَّذِي عَلِمَهُ أَنْ يُدْعىٰ لَهُ فَيَسْتَجِيبُ، وَلَوْلَا مَا وُفِّقَ الْعَبْدُ مِنْ ذَلِكَ الدُّعَاءِ لأَصَابَهُ مِنْهُ مَا يَجُثُّهُ مِنْ جَدِيدِ الأَرْضِ»[١].

الإقبال على الله:

من أهمِّ الأسباب في استجابة الدُّعاء أن يُقبل الداعي على الله تعالى بقلبه، وأن لا يكون دعاؤه بلسانه وقلبه مشغول بشؤون الدُّنيا، وقد أعلن الإمام الصَّادق ﷺ ذلك بقوله:

«إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءً بِظَهْرِ قَلْبٍ سَاهٍ، فَإِذَا دَعَوْتَ فَأَقْبِلْ بِقَلْبِكَ، ثُمَّ اسْتَيْقِنِ الإِجَابَةَ»[٢].

وقال ﷺ لبعض أصحابه:

«إِذَا دَعَوْتَ فَأَقْبِلْ بِقَلْبِكَ، وَظُنَّ حَاجَتَكَ بِالْبَابِ»[٣].

التضرُّع إلى الله:

وقد سئل الإمام الصَّادق ﷺ عن كيفيَّة الابتهال إلى الله في أثناء الدُّعاء، فقال: «وَالإِبْتِهَالُ رَفْعُ الْيَدَيْنِ وَتَمُدُّهُمَا وَذَلِكَ عِنْدَ الدَّمْعَةِ، ثُمَّ ادْعُ»[٤].

الثناء على الله:

قال ﷺ: «إِذَا طَلَبَ أَحَدُكُمُ الْحَاجَةَ فَلْيُثْنِ عَلَى رَبِّهِ وَلْيَمْدَحْهُ، فَإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا طَلَبَ الْحَاجَةَ مِنَ السُّلْطَانِ هَيَّأَ لَهُ مِنَ الْكَلَامِ أَحْسَنَ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ، فَإِذَا طَلَبْتُمُ الْحَاجَةَ فَمَجِّدُوا اللَّهَ الْعَزِيزَ الْجَبَّارَ، وَامْدَحُوهُ، وَأَثْنُوا عَلَيْهِ.

يَا أَجْوَدَ مَنْ أَعْطَى، وَيَا خَيْرَ مَنْ سُئِلَ، يَا أَرْحَمَ مَنِ اسْتُرْحِمَ، يَا وَاحِدُ يَا أَحَدُ يَا صَمَدُ، يَا مَنْ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ، يَا مَنْ لَمْ يَتَّخِذْ صَاحِبَةً وَلَا وَلَداً،

---

(١) أصول الكافي: ٢/ ٤٧٠.
(٢) أصول الكافي: ٢/ ٤٧٣.
(٣) أصول الكافي: ٢/ ٤٧٣.
(٤) أصول الكافي: ٢/ ٤٧٩.

يَا مَنْ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَيَحْكُمُ مَا يُرِيدُ، وَيَقْضِي مَا أَحَبَّ، يَا مَنْ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ، يَا مَنْ هُوَ بِالْمَنْظَرِ الأَعْلَى، يَا مَنْ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، يَا حَكِيمُ يَا سَمِيعُ يَا بَصِيرُ».

ثمَّ أوصى الإمام بالإكثار من ذكر أسماء الله تعالى، والصلاة على النَّبيّ وآله، وبعد ذلك أمر بالقول:

صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، أَوْسِعْ عَلَيَّ مِنْ رِزْقِكَ الْحَلَالِ مَا أَكُفُّ بِهِ وَجْهِي، وَأُؤَدِّي بِهِ عَنْ أَمَانَتِي، وَأَصِلُ بِهِ رَحِمِي، وَيَكُونُ عَوْناً لِي فِي الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ»[1].

قَالَ عليه السلام: «إِيَّاكُمْ إِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمْ أَنْ يَسْأَلَ مِنْ رَبِّهِ شَيْئاً مِنْ حَوَائِجِ الدُّنْيا وَالآخِرَةِ حَتَّىٰ يَبْدَأَ بِالثَّنَاءِ عَلَىٰ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالْمَدْحِ لَهُ، وَالصَّلَاةِ عَلَىٰ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله، ثُمَّ يَسْأَلُ اللَّهَ حَوَائِجَهُ»[2].

أوقات الدُّعاء:

قال عليه السلام: «اطْلُبوا الدُّعَاءَ فِي أَرْبَعِ سَاعَاتٍ: عِنْدَ هُبوبِ الرِّياحِ، وَزَوالِ الأَفْياءِ، وَنُزولِ الْقَطْرِ، وَأَوَّل قَطْرَةٍ مِنْ دَمِ الْقَتِيلِ الْمُؤْمِنِ، فَإِنَّ أَبْوَابَ السَّمَاءِ تُفْتَحُ عِنْدَ هَذِهِ الأَشْياءِ»[3].

وقال عليه السلام: «إِنَّ فِي اللَّيْلِ لَسَاعَةً مَا يُوافِقُها عَبْدٌ مُسْلِمٌ ثُمَّ يُصَلِّي وَيَدْعُو اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فِيهَا إِلَّا اسْتَجَابَ لَهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ».

فقال عمر بن أُذينة: أصلحك الله، وأي ساعة هي من اللَّيل؟

قال عليه السلام: «إِذَا مَضَىٰ نِصْفُ اللَّيْلِ، وَهِيَ السُّدُسُ الأَوَّلُ مِنَ أَوَّلِ النِّصْفِ»[4].

دعوات مستجابة:

قال عليه السلام: «ثَلَاثَةٌ دَعْوَتُهُمْ مُسْتَجَابَةٌ: الْحَاجُّ فَانْظُروا كَيْفَ تَخْلُفُونَهُ، وَالْغَازِي فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَانْظُروا كَيْفَ تَخْلُفُونَهُ، وَالْمَرِيضُ فَلَا تُغيظُوهُ وَلَا تُضْجِروهُ»[5].

---

(١) أُصول الكافي: ٢/ ٤٨٥.

(٢) أُصول الكافي: ٢/ ٤٨٤.

(٣) أُصول الكافي: ٢/ ٤٧٦ ـ ٤٧٧.

(٤) أُصول الكافي: ٢/ ٤٧٨.

(٥) أُصول الكافي: ٢/ ٥٠٩.

دعوات لا تستجاب:

قال عليه السلام: «أَرْبَعَةٌ لَا تُسْتَجَابُ لَهُمْ دَعْوَةٌ: رَجُلٌ جَالِسٌ فِي بَيْتِهِ يَقُولُ: اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي، فَيُقَالُ لَهُ: أَلَمْ آمُرْكَ بِالطَّلَبِ؟

وَرَجُلٌ كَانَتْ لَهُ امْرَأَةٌ فَدعا عَلَيْها، فَيُقَالُ لَهُ: أَلَمْ أَجعَلْ أَمْرَها إِلَيْكَ؟

وَرَجُلٌ كَانَ لَهُ مَالٌ فَأَفْسَدَهُ فَيَقُولُ: اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي، فَيُقَالُ لَهُ: أَلَمْ آمُرْكَ بِالإِقْتِصَادِ؟ أَلَمْ آمُرْكَ بِالإِصْلَاحِ؟ ثُمَّ قَالَ: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾[1].

وَرَجُلٌ كَانَ لَهُ مَالٌ أَدَانَهُ بِغَيْرِ بَيِّنَةٍ، فَيُقَالُ لَهُ: أَلَمْ آمُرْكَ بِالشَّهَادَةِ؟»[2].

أمَّا أدعية الإمام الصَّادق عليه السلام فإنَّها تكشف جانباً مشرقاً من روحانيَّته المقدَّسة، وتدلِّل على إنابته وانقطاعه إلى الله في جميع شؤونه وأُموره.. وكان يجد في دعائه مع الله متعة روحيَّة لا تعادلها أية متعة من متع الحياة، ونعرض في هذا المقطع بعض أدعيته، وفي ما يلي ذلك:

أدعيته عليه السلام في الصباح والمساء:

أُثرت عن الإمام الصَّادق عليه السلام كوكبة من الأدعية الجليلة، كان يدعو بها في صباحه ومساءه، وهذه بعضها:

اللَّهُمَّ إِنِّي أَصْبَحْتُ أَسْتَغْفِرُكَ فِي هَذَا الصَّبَاحِ وَفِي هَذَا الْيَوْمِ لِأَهْلِ رَحْمَتِكَ وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِنْ أَهْلِ لَعْنَتِكَ.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَصْبَحْتُ أَبْرَأُ إِلَيْكَ فِي هَذَا الْيَوْمِ وَفِي هَذَا الصَّبَاحِ مِمَّنْ نَحْنُ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَمِمَّا كَانُوا يَعْبُدُونَ، إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ مَا أَنْزَلْتَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ فِي هَذَا الصَّبَاحِ وَفِي هَذَا الْيَوْمِ بَرَكَةً عَلَى أَوْلِيَائِكَ وَعِقَاباً عَلَى أَعْدَائِكَ.

اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاكَ وَعَادِ مَنْ عَادَاكَ.

اللَّهُمَّ اخْتِمْ لِي بِالْأَمْنِ وَالْإِيمَانِ كُلَّمَا طَلَعَتْ شَمْسٌ أَوْ غَرَبَتْ. اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً.

---

(١) سورة الفرقان: الآية ٦٧.

(٢) أصول الكافي: ٢/ ٥١١، وقريب منه في كنز الفرائض: ص٢٩١.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ.

اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ مُنْقَلَبَهُمْ وَمَثْوَاهُمْ، اللَّهُمَّ احْفَظْ إِمَامَ الْمُسْلِمِينَ بِحِفْظِ الْإِيمَانِ وَانْصُرْهُ نَصْراً عَزِيزاً وَافْتَحْ لَهُ فَتْحاً يَسِيراً وَاجْعَلْ لَهُ وَلَنَا مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَاناً نَصِيراً.

اللَّهُمَّ الْعَنْ فُلَاناً وَفُلَاناً وَالْفِرَقَ الْمُخْتَلِفَةَ عَلَى رَسُولِكَ وَوُلَاةِ الْأَمْرِ بَعْدَ رَسُولِكَ وَالْأَئِمَّةِ مِنْ بَعْدِهِ وَشِيعَتِهِمْ، وَأَسْأَلُكَ الزِّيَادَةَ مِنْ فَضْلِكَ، وَالْإِقْرَارَ بِمَا جَاءَ مِنْ عِنْدِكَ، وَالتَّسْلِيمَ لِأَمْرِكَ، وَالْمُحَافَظَةَ عَلَى مَا أَمَرْتَ بِهِ، لَا أَبْتَغِي بِهِ بَدَلًا، وَلَا أَشْتَرِي بِهِ ثَمَناً قَلِيلًا.

اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ، إِنَّكَ تَقْضِي وَلَا يُقْضَى عَلَيْكَ، وَلَا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ، سُبْحَانَكَ رَبَّ الْبَيْتِ، تَقَبَّلْ مِنِّي دُعَائِي، وَمَا تَقَرَّبْتُ بِهِ إِلَيْكَ مِنْ خَيْرٍ فَضَاعِفْهُ لِي أَضْعَافاً مُضَاعَفَةً كَثِيرَةً، وَآتِنَا مِنْ لَدُنْكَ أَجْراً عَظِيماً.

رَبِّ مَا أَحْسَنَ مَا ابْتَلَيْتَنِي، وَأَعْظَمَ مَا أَعْطَيْتَنِي، وَأَطْوَلَ مَا عَافَيْتَنِي، وَأَكْثَرَ مَا سَتَرْتَ عَلَيَّ، فَلَكَ الْحَمْدُ يَا إِلَهِي كَثِيراً طَيِّباً مُبَارَكاً عَلَيْهِ، مِلْءَ السَّمَاوَاتِ، وَمِلْءَ الْأَرْضِ، وَمِلْءَ مَا شَاءَ رَبِّي كَمَا يُحِبُّ وَيَرْضَى، وَكَمَا يَنْبَغِي لِوَجْهِ رَبِّي ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ[1].

دعاؤه عليه السلام في الحجب من الأعداء:

كان الإمام الصَّادق عليه السلام يدعو بهذا الدُّعاء الجليل، ويتسلَّح به ضدّ أعدائه، وهذا نصَّه:

«يَا مَنْ إِذَا اسْتَعَذْتُ بِهِ أَعَاذَنِي، وَإِذَا اسْتَجَرْتُ بِهِ عِنْدَ الشَّدَائِدِ أَجَارَنِي، وَإِذَا اسْتَغَثْتُ بِهِ عِنْدَ النَّوَائِبِ أَغَاثَنِي، وَإِذَا اسْتَنْصَرْتُ بِهِ عَلَى عَدُوِّي نَصَرَنِي وَأَعَانَنِي.

اللَّهُمَّ إِلَيْكَ الْمَفْزَعُ، وَأَنْتَ الثِّقَةُ، فَاقْمَعْ عَنِّي مَنْ أَرَادَنِي، وَاغْلِبْ لِي مَنْ كَادَنِي.

يَا مَنْ قَالَ: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾[2]. يَا مَنْ نَجَّىٰ نُوحاً مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ.

يَا مَنْ نَجَّىٰ لُوطاً مِنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ.

يَا مَنْ نَجَّىٰ هُوداً مِنَ الْقَوْمِ الْعَادِينَ.

يَا مَنْ نَجَّىٰ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ، نَجِّنِي مِنْ أَعْدَائِي وَأَعْدَائِكَ بِأَسْمَائِكَ يَا

---

(١) أُصول الكافي: ٢/٥٢٩ و٥٣٠، الحديث ٢٣.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٦٠.

رَحْمَانُ يَا رَحِيمُ لَا سَبِيلَ لَهُمْ عَلَى مَنْ تَعَوَّذَ بِالْقُرْآنِ وَاسْتَجَارَ بِالرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾[١]، ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾[٢]، ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾[٣]»[٤].

أدعيته عليه السلام في الوقاية من الخوف والهمّ:

روى سعيد بن يسار قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: يدخلني الغمّ.

فقال: أَكْثِرْ مِنْ قَوْلِ: اللَّهُ، اللَّهُ رَبِّي، لَا أُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً.

فَإِذَا خِفْتَ وَسْوَسَةً، أَوْ حَديثَ نَفْسٍ، فَقُلْ:

اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، وَابْنُ عَبْدِكَ، وَابْنُ أَمَتِكَ نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، عَدْلٌ فِيَّ حُكْمُكَ، مَاضٍ فِيَّ قَضَاؤُكَ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَداً مِنْ خَلْقِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تُصَلِّيَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَأَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ نُورَ بَصَرِي، وَرَبِيعَ قَلْبِي، وَجَلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي، اللَّهُ اللَّهُ رَبِّي لَا أُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً»[٥].

دعاؤه عليه السلام في الوقاية من السلطان:

كان الإمام الصَّادق عليه السلام إذا خاف أن يدهمه شرّ السلطان، أو يمسّه سوء من عدوّ، أو حاسدٍ صام ثلاثة أيَّام آخرها يوم الجمعة، ويدعو في عشيَّتها بهذا الدُّعاء:

أَيْ رَبَّاهُ، أَيْ سَيِّدَاهُ، أَيْ أَمَلَاهُ، أَيْ عِمَادَاهُ، أَيْ كَهْفَاهُ، أَيْ حِصْنَاهُ، أَيْ حِرْزَاهُ، أَيْ فَخْرَاهُ، بِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ وَبَابَكَ قَرَعْتُ، وَبِفِنَائِكَ نَزَلْتُ، وَبِحَبْلِكَ اعْتَصَمْتُ، وَبِكَ اسْتَغَثْتُ، وَبِكَ أَعُوذُ، وَبِكَ أَلُوذُ، وَعَلَيْكَ أَتَوَكَّلُ، وَإِلَيْكَ أَلْجَأُ وَأَعْتَصِمُ، وَبِكَ أَسْتَجِيرُ فِي جَمِيعِ أُمُورِي، وَأَنْتَ غِيَاثِي وَعِمَادِي، وَأَنْتَ عِصْمَتِي وَرَجَائِي، وَأَنْتَ اللَّهُ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ عَمِلْتُ سُوءاً، وَظَلَمْتُ نَفْسِي، فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَاغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي، وَخُذْ بِيَدِي، وَأَنْقِذْنِي،

---

(١) سورة طٰه: الآية ٥.

(٢) سورة البروج: الآيات ١٢ ـ ١٦.

(٣) سورة التوبة: الآية ١٢٩.

(٤) مهج الدعوات: ص٣٥٧ و٣٥٨. بحار الأنوار: ٩١/ ٣٧٥. المصباح/ الكفعمي: ص٢٩٢ و٢٩٣.

(٥) أصول الكافي: ٢/ ٥٦١.

وَقِنِي، وَاكْفِنِي، وَاكْلأْنِي، وَارْعَنِي فِي لَيْلِي وَنَهَارِي، وَإِمْسَائِي وَإِصْبَاحِي، وَمَقَامِي وَسَفَرِي، يَا أَجْوَدَ الأَجْوَدِينَ، وَيَا أَكْرَمَ الأَكْرَمِينَ، وَيَا أَعْدَلَ الْفَاضِلِينَ، وَيَا إِلَهَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ، وَيَا مَالِكَ يَوْمِ الدِّينِ، وَيَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، يَا حَيٌّ لَا يَمُوتُ، يَا حَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، بِمُحَمَّدٍ يَا اللَّهُ، بِعَلِيٍّ يَا اللَّهُ، بِفَاطِمَةَ يَا اللَّهُ، بِالْحَسَنِ يَا اللَّهُ، بِالْحُسَيْنِ يَا اللَّهُ، بِعَلِيٍّ يَا اللَّهُ، بِمُحَمَّدٍ يَا اللَّهُ، بِجَعْفَرٍ يَا اللَّهُ، بِمُوسَى يَا اللَّهُ، بِعَلِيٍّ يَا اللَّهُ، بِمُحَمَّدٍ يَا اللَّهُ، بِعَلِيٍّ يَا اللَّه، بِالْحَسَنِ يَا اللَّهُ، بِحُجَّتِكَ وَخَلِيفَتِكَ عَلَىٰ خَلِيقَتِكَ فِي بِلَادِكَ يَا اللَّهُ، صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَخُذْ بِنَاصِيَةِ مَنْ أَخَافُهُ (وتسمّيه باسمه) وَذَلِّلْ لِي صَعْبَهُ، وَسَهِّلْ لِي قِيَادَهُ، وَرُدَّ عَنِّي نَافِرَةَ قَلْبِهِ، وَارْزُقْنِي خَيْرَهُ، وَاصْرِفْ عَنِّي شَرَّهُ، فَإِنِّي بِكَ اللَّهُمَّ أَعوذُ وَأَلوذُ، وَبِكَ أَثِقُ، وَعَلَيْكَ أَعْتَمِدُ وَأَتَوَكَّلُ، فَصَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَاصْرِفْهُ عَنِّي، فَإِنَّكَ غِيَاثُ الْمُسْتَغِيثِينَ، وَجَارُ الْمُسْتَجِيرِينَ، وَلَجَأُ اللَّاجِئِينَ، وَأَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ»[١].

أدعيته عليه السلام في التحرُّز من المنصور:

سافر المنصور الدوانيقي إلى بيت الله الحرام، فلمّا انتهى إلى يثرب أمر حاجبه الربيع بإحضار الإمام الصّادق عليه السلام لاغتياله، ولمّا مثل عنده عرف قصده، وما بيّته له من الشرّ، فدعا الله تعالى بهذا الدُّعاء الجليل، فأنجاه منه، وهذا نصّه:

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ يَا مُدْرِكَ الْهَارِبِينَ، وَيَا مَلْجَأَ الْخَائِفِينَ، وَيَا صَرِيخَ الْمُسْتَصْرِخِينَ، وَيَا غِيَاثَ الْمُسْتَغِيثِينَ، وَيَا مُنْتَهَى غَايَةِ السَّائِلِينَ، وَيَا مُجِيبَ دَعْوَةِ الْمُضْطَرِّينَ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

يَا حَقُّ يَا مُبِينُ، يَا ذَا الْكَيْدِ الْمَتِينِ، يَا مُنْصِفَ الْمَظْلُومِينَ مِنَ الظَّالِمِينَ، يَا مُؤْمِنَ أَوْلِيَائِهِ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ، يَا مَنْ يَعْلَمُ خَافِيَاتِ الأَعْيُنِ، يَا رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرَضِينَ، وَالْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ، وَالأَنْبِيَاءِ الْمُرْسَلِينَ، وَرَبَّ الْجِنِّ وَالإِنْسِ أَجْمَعِينَ، يَا شَاهِداً لَا يَغِيبُ، يَا غَالِباً غَيْرَ مَغْلُوبٍ، يَا مَنْ هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبٌ، وَعَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبٌ، وَمِنْ كُلِّ عَبْدٍ رَقِيبٌ، وَلِكُلِّ دَعْوَةٍ مُسْتَجِيبٌ، يَا إِلَهَ الْمَاضِينَ، وَالْغَابِرِينَ، وَالْمُقِرِّينَ، وَالْجَاحِدِينَ، وَإِلَهَ الصَّامِتِينَ، وَالنَّاطِقِينَ، وَرَبَّ الأَحْيَاءِ وَالْمَيِّتِينَ.

يَا اللَّهُ، يَا رَبَّاه، يَا عَزِيزُ، يَا حَكِيمُ، يَا غَفُورُ، يَا رَحِيمُ، يَا أَوَّلُ، يَا قَدِيمُ، يَا شَكُورُ، يَا حَلِيمُ، يَا قَاهِرُ، يَا عَلِيمُ، يَا سَمِيعُ، يَا بَصِيرُ، يَا لَطِيفُ، يَا خَبِيرُ، يَا عَالِمُ،

(١) البلد الأمين: ص٢٢٣ و٢٢٤.

يَا قَدِيرُ، يَا قَهَّارُ، يَا غَفَّارُ، يَا جَبَّارُ، يَا خَالِقُ، يَا رَزَّاقُ، يَا رَاتِقُ، يَا فَاتِقُ، يَا وَاثِقُ، يَا صَادِقُ، يَا أَحَدُ، يَا مَاجِدُ، يَا صَمَدُ، يَا وَاحِدُ، يَا مَاجِدُ، يَا رَحْمَانُ، يَا فَرْدُ، يَا حَنَّانُ، يَا مَنَّانُ، يَا سُبُوحُ، يَا قُدُّوسُ، يَا رَؤُوفُ، يَا مُهَيْمِنُ، يَا حَمِيدُ، يَا مَجِيدُ، يَا مُبْدِىءُ، يَا مُعِيدُ، يَا وَلِيُّ، يَا عَلِيُّ، يَا قَوِيُّ، يَا غَنِيُّ، يَا بَارِىءُ، يَا مُصَوِّرُ، يَا مَلِكُ، يَا مُقْتَدِرُ، يَا بَاعِثُ، يَا وَارِثُ، يَا مُتَكَبِّرُ، يَا عَظِيمُ، يَا بَاسِطُ، يَا قَابِضُ، يَا سَلَامُ، يَا مُؤْمِنُ، يَا بَارُّ، يَا وَتْرُ، يَا مُعْطِي، يَا مَانِعُ، يَا ضَارُّ، يَا نَافِعُ، يَا مُفَرِّقُ، يَا جَامِعُ، يَا حَقُّ، يَا مُبِينُ، يَا حَيُّ، يَا قَيُّومُ، يَا وَدُودُ، يَا مُعِيدُ، يَا طَالِبُ، يَا غَالِبُ، يَا مُدْرِكُ، يَا جَلِيلُ، يَا مُفْضِلُ، يَا كَرِيمُ، يَا مُتَفَضِّلُ، يَا مُتَطَوِّلُ، يَا أَوَّابُ، يَا سَمِحُ، يَا فَارِجَ الْهَمِّ، وَيَا كَاشِفَ الْغَمِّ، يَا مُنْزِلَ الْحَقِّ، يَا قَابِلَ الصِّدْقِ، يَا فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَا عِمَادَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَا مُمْسِكَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَا ذَا الْبَلَاءِ الْجَمِيلِ، وَالطَّوْلِ الْعَظِيمِ، يَا ذَا السُّلْطَانِ الَّذِي لَا يَذِلُّ، وَالْعِزِّ الَّذِي لَا يُضَامُ، يَا مَعْرُوفاً بِالْإِحْسَانِ، يَا مَوْصُوفاً بِالِامْتِنَانِ، يَا ظَاهِراً بِلَا مُشَافَهَةٍ، يَا بَاطِناً بِلَا مُلَامَسَةٍ، يَا سَابِقَ الْأَشْيَاءِ بِنَفْسِهِ، يَا أَوَّلًا بِلَا غَايَةٍ، يَا آخِراً بِلَا نِهَايَةٍ، يَا قَائِماً بِلَا انْتِصَابٍ، يَا عَالِماً بِلَا اكْتِسَابٍ، يَا ذَا الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى، وَالصِّفَاتِ الْمُثْلَى، وَالْمَثَلِ الْأَعْلَى، يَا مَنْ قَصُرَتْ عَنْ وَصْفِهِ أَلْسُنُ الْوَاصِفِينَ، وَانْقَطَعَتْ عَنْهُ أَفْكَارُ الْمُتَفَكِّرِينَ، وَعَلَا وَتَكَبَّرَ عَنْ صِفَاتِ الْمُلْحِدِينَ، وَجَلَّ وَعَزَّ عَنْ عَيْبِ الْعَائِبِينَ، وَتَبَارَكَ وَتَعَالَى عَنْ كِذْبِ الْكَاذِبِينَ، وَأَبَاطِيلِ الْمُبْطِلِينَ، وَأَقَاوِيلِ الْعَادِلِينَ.

يَا مَنْ بَطَنَ فَخَبَرَ، وَظَهَرَ فَقَدَرَ، وَأَعْطَى فَشَكَرَ، وَعَلَا فَقَهَرَ، يَا رَبَّ الْعَيْنِ وَالْأَثَرِ، وَالْجِنِّ وَالْبَشَرِ، وَالْأُنْثَى وَالذَّكَرِ، وَالْبَحْثِ وَالنَّظَرِ، وَالْقَطْرِ وَالْمَطَرِ، وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ.

يَا شَاهِدَ النَّجْوَى، وَكَاشِفَ الْغُمِّ، وَدَافِعَ الْبَلْوَى، وَغَايَةَ كُلِّ شَكْوَى، يَا نِعْمَ النَّصِيرُ وَالْمَوْلَى، يَا مَنْ هُوَ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوىٰ لَهُ مٰا فِي السَّمٰاوٰاتِ وَمٰا فِي الْأَرْضِ، وَمٰا بَيْنَهُمٰا وَمٰا تَحْتَ الثَّرىٰ.

يَا مُنْعِمُ، يَا مُحْسِنُ، يَا مُجْمِلُ، يَا كَافِي، يَا شَافِي، يَا مُحْيِي يَا مُمِيتُ، يَا مَنْ يَرَى وَلَا يُرَى، وَلَا يَسْتَعِينُ بِسَنَاءِ الضِّيَاءِ، يَا مُحْصِيَ عَدَدِ الْأَشْيَاءِ، يَا عَالِيَ الْجَدِّ، يَا غَالِبَ الْجُنْدِ، يَا مَنْ لَهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ يَدٌ، وَفِي كُلِّ شَيْءٍ كَيْدٌ.

يَا مَنْ لَا يَشْغَلُهُ صَغِيرٌ عَنْ كَبِيرٍ، وَلَا حَقِيرٌ عَنْ خَطِيرٍ، وَلَا يَسِيرٌ عَنْ عَسِيرٍ، يَا فاعل بِغَيْرِ مُبَاشَرَةٍ، يَا عَالِمُ مِنْ غَيْرِ مُعَلِّمٍ، يَا مَنْ بَدَأَ بِالنِّعْمَةِ قَبْلَ اسْتِحْقَاقِهَا، وَالْفَضِيلَةِ قَبْلَ اسْتِيجَابِهَا.

يَا مَنْ أَنْعَمَ عَلَى الْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ، وَاسْتَصْلَحَ الْفَاسِدَ وَالصَّالِحَ عَلَيْهِ، وَرَدَّ الْمُعَانِدَ

وَالشَّارِدَ عَنْهُ، يَا مَنْ أَهْلَكَ بَعْدَ الْبَيِّنَةِ، وَأَخَذَ بَعْدَ قَطْعِ الْمَعْذِرَةِ، وَأَقَامَ الْحُجَّةَ، وَدَرَأَ عَنِ الْقُلُوبِ الشُّبْهَةَ، وَأَقَامَ الدَّلَالَةَ، وَقَادَ إِلَى مُعَايَنَةِ الآيَةِ، يَا بَارِىءَ الْجَسَدِ، وَمُوسِعَ الْبَلَدِ، وَمُجْرِيَ الْقُوتِ، وَمُنْشِرَ الْعِظَامِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَمُنْزِلَ الْغَيْثِ، يَا سَامِعَ الصَّوْتِ وَسَابِقَ الْفَوْتِ.

يَا رَبَّ الآيَاتِ وَالْمُعْجِزَاتِ، مِنْ مَطَرٍ وَنَبَاتٍ، وَآبَاءٍ وَأُمَّهَاتٍ، وَبَنِينَ وَبَنَاتٍ، وَذَاهِبٍ وَآتٍ، وَلَيْلٍ دَاجٍ، وَسَمَاءٍ ذَاتِ أَبْرَاجٍ، وَسِرَاجٍ وَهَّاجٍ، وَبَحْرٍ عَجَّاجٍ، وَنُجُومٍ تَمُورُ، وَأَرْوَاحٍ تَدُورُ، وَمِيَاهٍ تَفُورُ، وَمِهَادٍ مَوْضُوعٍ، وَسِتْرٍ مَرْفُوعٍ، وَرِيَاحٍ تَهُبُّ، وَبَلَاءٍ مَدْفُوعٍ، وَغَمَامٍ وَأَكْمَامٍ، وَأُمُورٍ ذَاتِ نِظَامٍ، مِنْ شِتَاءٍ وَصَيْفٍ، وَرَبِيعٍ وَخَرِيفٍ.

أَنْتَ يَا رَبِّ خَلَقْتَ هَذَا فَأَحْسَنْتَ، وَقَدَّرْتَ فَأَتْقَنْتَ، وَسَوَّيْتَ فَأَحْكَمْتَ، وَنَبَّهْتَ عَلَى الْفِكْرَةِ فَأَنْعَمْتَ، وَنَادَيْتَ الأَحْيَاءَ فَأَفْهَمْتَ، فَلَمْ يَبْقَ عَلَيَّ إِلَّا الشُّكْرُ لَكَ، وَالذِّكْرُ لِمَحَامِدِكَ، وَالانْقِيَادُ لِطَاعَتِكَ، وَالاسْتِمَاعُ لِلدَّاعِي إِلَيْكَ، فَإِنْ عَصَيْتُكَ فَلَكَ الْحُجَّةُ، وَإِنْ أَطَعْتُكَ فَلَكَ الْمِنَّةُ، يَا مَنْ يُمْهِلُ فَلَا يَعْجَلُ، وَيَعْلَمُ فَلَا يَجْهَلُ، وَيُعْطِي فَلَا يَبْخَلُ، يَا أَحَقَّ مَنْ عُبِدَ وَحُمِدَ وَسُئِلَ، وَرُجِيَ وَاعْتُمِدَ.

أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ مُقَدَّسٍ مُطَهَّرٍ مَكْنُونٍ اخْتَرْتَهُ لِنَفْسِكَ، وَكُلِّ ثَنَاءٍ عَالٍ رَفِيعٍ كَرِيمٍ رَضِيتَ بِهِ مِدْحَةً لَكَ، وَبِحَقِّ كُلِّ مَلَكٍ قَرِيبٍ مَنْزِلَتُهُ عِنْدَكَ، وَبِحَقِّ كُلِّ نَبِيٍّ أَرْسَلْتَهُ إِلَى عِبَادِكَ، وَبِكُلِّ شَيْءٍ جَعَلْتَهُ مُصَدِّقاً لِرُسُلِكَ، وَبِكُلِّ كِتَابٍ فَصَّلْتَهُ وَبَيَّنْتَهُ وَأَحْكَمْتَهُ وَشَرَعْتَهُ وَنَسَخْتَهُ، وَبِكُلِّ دُعَاءٍ سَمِعْتَهُ فَأَجَبْتَهُ، وَعَمَلٍ رَفَعْتَهُ، وَأَسْأَلُكَ بِكُلِّ مَنْ عَظَّمْتَ حَقَّهُ، وَأَعْلَيْتَ قَدْرَهُ، وَشَرَّفْتَ بُنْيَانَهُ، مِمَّنْ أَسْمَعْتَنَا ذِكْرَهُ، وَعَرَّفْتَنَا أَمْرَهُ، وَمِمَّنْ لَمْ تُعَرِّفْنَا مَقَامَهُ، وَلَمْ تُظْهِرْ لَنَا شَأْنَهُ مِمَّنْ خَلَقْتَهُ، مِنْ أَوَّلِ مَا ابْتَدَأْتَ بِهِ خَلْقَكَ، وَمِمَّنْ تَخْلُقُهُ إِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ.

وَأَسْأَلُكَ بِتَوْحِيدِكَ الَّذِي فَطَرْتَ عَلَيْهِ الْعُقُولَ، وَأَخَذْتَ بِهِ الْمَوَاثِيقَ، وَأَرْسَلْتَ بِهِ الرُّسُلَ، وَأَنْزَلْتَ عَلَيْهِ الْكُتُبَ، وَجَعَلْتَهُ أَوَّلَ فُرُوضِكَ، وَنِهَايَةَ طَاعَتِكَ، فَلَمْ تَقْبَلْ حَسَنَةً إِلَّا مَعَهَا، وَلَمْ تَغْفِرْ سَيِّئَةً إِلَّا بَعْدَهَا.

وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِجُودِكَ وَكَرَمِكَ، وَعِزِّكَ وَجَلَالِكَ، وَعَفْوِكَ وَامْتِنَانِكَ وَتَطَوُّلِكَ، وَبِحَقِّكَ وَمَجْدِكَ الَّذِي هُوَ أَعْظَمُ مِنْ حُقُوقِ خَلْقِكَ.

وَأَسْأَلُكَ يَا اللَّهُ، يَا اللَّهُ، يَا اللَّهُ، يَا رَبَّاهُ، يَا رَبَّاهُ، يَا رَبَّاهُ، يَا رَبَّاهُ، يَا رَبَّاهُ.. وَأَرْغَبُ إِلَيْكَ خَاصّاً وَعَامّاً وَأَوَّلاً وَآخِراً.

وَبِحَقِّ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله الأَمِينِ رَسُولِكَ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، وَنَبِيِّكَ إِمَامِ الْمُتَّقِينَ، وَبِالرِّسَالَةِ

الَّتِي أَدَّاهَا، وَالْعِبَادَةِ الَّتِي اجْتَهَدَ فِيهَا، وَالْمِحْنَةِ الَّتِي صَبَرَ عَلَيْهَا، وَالْمَغْفِرَةِ الَّتِي دَعَا إِلَيْهَا، وَالدِّيَانَةِ الَّتِي حَضَّ عَلَيْهَا، مُنْذُ وَقْتِ رِسَالَتِكَ إِيَّاهُ إِلَى أَنْ تَوَفَّيْتَهُ، بِمَا بَيَّنَ ذَلِكَ مِنْ أَقْوَالِهِ الْحَكِيمَةِ، وَأَفْعَالِهِ الْكَرِيمَةِ، وَمَقَامَاتِهِ الْمَشْهُودَةِ، وَسَاعَاتِهِ الْمَعْدُودَةِ، أَنْ تُصَلِّيَ عَلَيْهِ كَمَا وَعَدْتَهُ مِنْ نَفْسِكَ، وَتُعْطِيَهُ أَفْضَلَ مَا أَمَّلَ مِنْ ثَوَابِكَ، وَتُزْلِفَ لَدَيْكَ مَنْزِلَتَهُ، وَتُعْلِيَ عِنْدَكَ دَرَجَتَهُ، وَتَبْعَثَهُ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ، وَتُورِدَهُ حَوْضَ الْكَرَمِ وَالْجُودِ، وَتُبَارِكَ عَلَيْهِ بَرَكَةً عَامَّةً، خَاصَّةً نَامِيَةً، زَاكِيَةً عَالِيَةً دَائِمَةً، لَا انْقِطَاعَ لِدَوَامِهَا، وَلَا نَقِيصَةَ فِي كَمَالِهَا، وَلَا مَزِيدَ إِلَّا فِي قُدْرَتِكَ عَلَيْهَا، وَتَزِيدَهُ بَعْدَ ذَلِكَ مِمَّا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ، وَأَقْدَرُ عَلَيْهِ، وَأَوْسَعُ لَهُ، وَتُؤْتِيَهُ ذَلِكَ، حَتَّى يَزْدَادَ فِي الْإِيمَانِ بِهِ بَصِيرَةً، وَفِي مَحَبَّتِهِ ثَبَاتاً وَحُجَّةً، وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ الْأَخْيَارِ، الْمُنْتَجَبِينَ الْأَبْرَارِ، وَعَلَى جَبْرَئِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَالْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ، وَحَمَلَةِ عَرْشِكَ أَجْمَعِينَ، وَعَلَى جَمِيعِ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ، وَعَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَصْبَحْتُ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرّاً وَلَا نَفْعاً، وَلَا مَوْتاً وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُوراً، قَدْ زَلَّ مَصْرَعِي وَانْقَطَعَ عُذْرِي، وَذَهَبَتْ مَسْأَلَتِي، وَذَلَّ نَاصِرِي، وَأَسْلَمَنِي أَهْلِي وَوُلْدِي، بَعْدَ قِيَامِ حُجَّتِكَ عَلَيَّ، وَظُهُورِ بَرَاهِينِكَ عِنْدِي، وَوُضُوحِ دَلَائِلِكَ لَدَيَّ.

اللَّهُمَّ إِنَّهُ قَدْ أَكْدَى الطَّلَبُ، وَأَعْيَتِ الْحِيَلُ إِلَّا عِنْدَكَ، وَانْغَلَقَتِ الطُّرُقُ، وَضَاقَتِ الْمَذَاهِبُ إِلَّا إِلَيْكَ، وَدَرَسَتِ الْآمَالُ، وَانْقَطَعَ الرَّجَاءُ إِلَّا مِنْكَ، وَكُذِّبَ الظَّنُّ، وَأُخْلِفَتِ الْعِدَاةُ إِلَّا عِدَتُكَ.

اللَّهُمَّ إِنَّ مَنَاهِلَ الرَّجَاءِ لِفَضْلِكَ مُتْرَعَةٌ، وَأَبْوَابَ الدُّعَاءِ لِمَنْ دَعَاكَ مُفَتَّحَةٌ، وَالِاسْتِغَاثَةَ لِمَنِ اسْتَغَاثَ بِكَ مُبَاحَةٌ، وَأَنْتَ لِدَاعِيكَ مَوْضِعُ إِجَابَةٍ، وَلِلصَّارِخِ إِلَيْكَ وَلِيُّ الْإِغَاثَةِ، وَالْقَاصِدَ إِلَيْكَ يَا رَبِّ قَرِيبُ الْمَسَافَةِ مِنْكَ، وَإِنْتَ لَا تَحْتَجِبُ عَنْ خَلْقِكَ، إِلَّا أَنْ تَحْجُبَهُمُ الْأَعْمَالُ السَّيِّئَةُ دُونَكَ، وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي مِنْهَا، وَلَا أَرْفَعُ قَدْرِي عَنْهَا، إِنِّي لِنَفْسِي يَا سَيِّدِي لَظَلُومٌ، وَبِقَدْرِي لَجَهُولٌ، إِلَّا أَنْ تَرْحَمَنِي وَتَلْحَظَنِي، وَتَعُودَ بِفَضْلِكَ عَلَيَّ، وَتَدْرَأَ عِقَابَكَ عَنِّي، وَتَرْحَمَنِي وَتَلْحَظَنِي بِالْعَيْنِ الَّتِي أَنْقَذْتَنِي بِهَا مِنْ حَيْرَةِ الشَّكِّ، وَرَفَعْتَنِي مِنْ هُوَّةِ الْكُفْرِ، وَأَنْعَشْتَنِي مِنْ مِيتَةِ الْجَهَالَةِ، وَهَدَيْتَنِي بِهَا مِنَ الْأَنْهَاجِ الْجَائِرَةِ.

اللَّهُمَّ وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ أَفْضَلَ زَادِ الرَّاحِلِ إِلَيْكَ عَزْمُ إِرَادَةٍ، وَإِخْلَاصُ نِيَّةٍ، وَقَدْ دَعَوْتُكَ بِعَزْمِ إِرَادَتِي، وَإِخْلَاصِ طَوِيَّتِي، وَصَادِقِ نِيَّتِي، فَهَا أَنَا ذَا مِسْكِينُكَ، بَائِسُكَ، أَسِيرُكَ، فَقِيرُكَ، سَائِلُكَ، مُنِيخٌ بِفِنَائِكَ، قَارِعٌ بَابَ رَجَائِكَ، وَأَنْتَ آنَسُ الْآنِسِينَ لِأَوْلِيَائِكَ، وَأَحْرَى بِكِفَايَةِ الْمُتَوَكِّلِ عَلَيْكَ، وَأَوْلَى بِنَصْرِ الْوَاثِقِ بِكَ، وَأَحَقُّ بِرِعَايَةِ

الْمُنْقَطِعِ إِلَيْكَ، سِرِّي إِلَيْكَ مَكْشُوفٌ، وَأَنَا إِلَيْكَ مَلْهُوفٌ، وَأَنَا عَاجِزٌ وَأَنْتَ قَدِيرٌ، وَأَنَا صَغِيرٌ وَأَنْتَ كَبِيرٌ، وَأَنَا ضَعِيفٌ وَأَنْتَ قَوِيٌّ، وَأَنَا فَقِيرٌ وَأَنْتَ غَنِيٌّ، إِذَا أَوْحَشَتْنِي الْغُرْبَةُ، آنَسَنِي ذِكْرُكَ، وَإِذَا صُبَّتْ عَلَيَّ الْأُمُورُ اسْتَجَرْتُ بِكَ، وَإِذَا تَلَاحَقَتْ عَلَيَّ الشَّدَائِدُ أَمَّلْتُكَ، وَأَيْنَ يُذْهَبُ بِي عَنْكَ، وَأَنْتَ أَقْرَبُ مِنْ وَرِيدِي، وَأَحْصَنُ مِنْ عَدِيدِي، وَأَوْجَدُ مِنْ مَكَانِي، وَأَصَحُّ مِنْ مَعْقُولِي، وَأَزِمَّةُ الْأُمُورِ كُلِّهَا بِيَدِكَ، صَادِرَةٌ عَنْ قَضَائِكَ، مُذْعِنَةٌ بِالْخُضُوعِ لِقُدْرَتِكَ، فَقِيرَةٌ إِلَى عَفْوِكَ، ذَاتُ فَاقَةٍ إِلَى قَارِبٍ مِنْ رَحْمَتِكَ، وَقَدْ مَسَّنِي الْفَقْرُ، وَنَالَنِي الضُّرُّ، وَشَمِلَتْنِي الْخَصَاصَةُ، وَعَرَّتْنِي الْحَاجَةُ، وَتَوَسَّمْتُ بِالذِّلَّةِ، وَغَلَبَتْنِي الْمَسْكَنَةُ، وَحَقَّتْ عَلَيَّ الْكَلِمَةُ، وَأَحَاطَتْ بِيَ الْخَطِيئَةُ، وَهَذَا الْوَقْتُ الَّذِي وَعَدْتَ أَوْلِيَاءَكَ فِيهِ الْإِجَابَةَ، فَامْسَحْ مَا بِي بِيَمِينِكَ الشَّافِيَةِ، وَانْظُرْ إِلَيَّ بِعَيْنِكَ الرَّاحِمَةِ، وَأَدْخِلْنِي فِي رَحْمَتِكَ الْوَاسِعَةِ، وَأَقْبِلْ عَلَيَّ بِوَجْهِكَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، فَإِنَّكَ إِذَا أَقْبَلْتَ عَلَى أَسِيرٍ فَكَكْتَهُ، وَعَلَى ضَالٍّ هَدَيْتَهُ، وَعَلَى حَائِرٍ آوَيْتَهُ، وَعَلَى ضَعِيفٍ قَوَّيْتَهُ، وَعَلَى خَائِفٍ آمَنْتَهُ.

اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَمْ أَشْكُرْ، وَابْتَلَيْتَنِي فَلَمْ أَصْبِرْ، فَلَمْ يُوجِبْ عَجْزِي عَنْ شُكْرِكَ مَنْعَ الْمُؤَمَّلِ مِنْ فَضْلِكَ، وَأَوْجَبَ عَجْزِي عَنِ الصَّبْرِ عَلَى بَلَائِكَ كَشْفَ ضُرِّكَ، وَإِنْزَالَ رَحْمَتِكَ، فَيَا مَنْ قَلَّ عِنْدَ بَلَائِهِ صَبْرِي فَعَافَانِي، وَعِنْدَ نَعْمَائِهِ شُكْرِي فَأَعْطَانِي، أَسْأَلُكَ الْمَزِيدَ مِنْ فَضْلِكَ، وَالْإِيزَاعَ لِشُكْرِكَ، وَالِاعْتِدَادَ بِنَعْمَائِكَ فِي أَعْفَى الْعَافِيَةِ، وَأَسْبَغِ النِّعْمَةِ، إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

اللَّهُمَّ لَا تُخْلِنِي مِنْ يَدِكَ، وَلَا تَتْرُكْنِي لِقَاءً لِعَدُوِّكَ وَلَا لِعَدُوِّي، وَلَا تُوحِشْنِي مِنْ لَطَائِفِكَ الْخَفِيَّةِ، وَكِفَايَتِكَ الْجَمِيلَةِ، وَإِنْ شَرَدْتُ عَنْكَ فَارْدُدْنِي إِلَيْكَ، وَإِنْ فَسَدْتُ عَلَيْكَ فَأَصْلِحْنِي لَكَ، فَإِنَّكَ تَرُدُّ الشَّارِدَ، وَتُصْلِحُ الْفَاسِدَ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

اللَّهُمَّ هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ بِكَ، اللَّهُمَّ لُذْنِي بِعَفْوِكَ، الْمُسْتَجِيرِ بِعِزِّ جَلَالِكَ، قَدْ رَأَى أَعْلَامَ قُدْرَتِكَ، فَأَرِهِ آثَارَ رَحْمَتِكَ، فَإِنَّكَ تُبْدِىءُ الْخَلْقَ ثُمَّ تُعِيدُهُ، وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْكَ، وَلَكَ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ. اللَّهُمَّ فَتَوَلَّنِي وَلَايَةً تُغْنِينِي بِهَا عَنْ سِوَاهَا، وَأَعْطِنِي عَطِيَّةً لَا أَحْتَاجُ إِلَى غَيْرِكَ مَعَهَا، فَإِنَّهَا لَيْسَتْ بِبِدْعٍ مِنْ وَلَايَتِكَ، وَلَا بِنُكْرٍ مِنْ عَطِيَّتِكَ، وَلَا بِأَوْلَى مِنْ كِفَايَتِكَ، ادْفَعِ الصَّرْعَةَ، وَانْعَشِ السَّقْطَةَ، وَتَجَاوَزْ عَنِ الزَّلَّةِ، وَاقْبَلِ التَّوْبَةَ، وَارْحَمِ الْهَفْوَةَ، وَأَنْجِ مِنَ الْوَرْطَةِ، وَأَقِلِ الْعَثْرَةَ، يَا مُنْتَهَى الرَّغْبَةِ، وَغِيَاثَ الْكُرْبَةِ، وَوَلِيَّ النِّعْمَةِ، وَصَاحِبِي فِي الشِّدَّةِ، وَرَحْمَانَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

أَنْتَ الرَّحِيمُ فَإِلَى مَنْ تَكِلُنِي؟ إِلَى بَعِيدٍ يَتَجَهَّمُنِي، أَوْ عَدُوٍّ يَمْلِكُ أَمْرِي، وَإِنْ لَمْ تَكُ عَلَيَّ سَاخِطاً فَمَا أُبَالِي، غَيْرَ أَنَّ عَفْوَكَ لَا يَضِيقُ، وَرِضَاكَ يَنْفَعُنِي، وَكَنَفَكَ يَسَعُنِي، وَيَدَكَ

الْبَاسِطَةَ تَدْفَعُ عَنِّي، فَخُذْ بِيَدِي مِنْ دَحْضِ الْمَزَلَّةِ فَقَدْ كَبَوْتُ، وَثَبِّتْنِي عَلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَاهْدِنِي وَإِلَّا غَوَيْتُ، يَا هَادِيَ الطَّرِيقِ، يَا فَارِجَ الْمَضِيقِ، يَا إِلَهِي بِالتَّحْقِيقِ، يَا جَارِيَ اللَّصِيقَ، يَا رُكْنِيَ الْوَثِيقَ، يَا كَنْزِيَ الْعَتِيقَ، احْلُلْ عَنِّي الْمَضِيقَ، وَاكْفِنِي شَرَّ مَا أُطِيقُ، وَمَا لَا أُطِيقُ، إِنَّكَ حَقِيقٌ، وَبِكُلِّ خَيْرٍ خَلِيقٌ، يَا أَهْلَ التَّقْوَى وَأَهْلَ الْمَغْفِرَةِ، وَذَا الْعِزِّ وَالْقُدْرَةِ، وَالْآلَاءِ وَالْعَظَمَةِ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، وَخَيْرَ الْغَافِرِينَ، وَأَكْرَمَ الأَكْرَمِينَ، وَأَبْصَرَ النَّاظِرِينَ، وَرَبَّ الْعَالَمِينَ، لَا تَقْطَعْ مِنْكَ رَجَائِي، وَلَا تُخَيِّبْ دُعَائِي، وَلَا تُجْهِدْ بَلَائِي، وَلَا تَجْعَلِ النَّارَ مَأْوَايَ، وَاجْعَلِ الْجَنَّةَ مَثْوَايَ، وَأَعْطِنِي مِنَ الدُّنْيَا سُؤْلِي وَمُنَايَ، وَبَلِّغْنِي مِنَ الْآخِرَةِ أَمَلِي وَرِضَايَ، وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَبِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ، وَأَنْتَ حَسْبِي وَنِعْمَ الْوَكِيلُ وَالْمُعِينُ»[1].

من أدعيته عليه السلام في الأيام المباركة

دعاؤه عليه السلام في يوم الجمعة:

وعلى أيِّ حال، فإنَّ الإمام الصَّادق عليه السلام كان يستقبل يوم الجمعة بذكر الله تعالى وبالدُّعاء، وكان ممَّا يدعو به هذا الدُّعاء الجليل، وكان يستقبل القبلة قائماً في حال دعائه، وهذا نصَّه:

«يَا مَنْ يَرْحَمُ مَنْ لَا يَرْحَمُهُ الْعِبَادُ، وَيَا مَنْ يَقْبَلُ مَنْ لَا تَقْبَلُهُ الْبِلَادُ، وَيَا مَنْ لَا يَحْتَقِرُ أَهْلَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ، وَيَا مَنْ لَا يُخَيِّبُ الْمُلِحِّينَ عَلَيْهِ، وَيَا مَنْ لَا يَجْبَهُ بِالرَّدِّ أَهْلَ الدَّالَّةِ عَلَيْهِ، وَيَا مَنْ يَجْتَبِي صَغِيرَ مَا يُتْحَفُ بِهِ وَيَشْكُرُ يَسِيرَ مَا يُعْمَلُ لَهُ، وَيَا مَنْ يَشْكُرُ عَلَى الْقَلِيلِ وَيُجَازِي بِالْجَلِيلِ، وَيَا مَنْ يَدْنُو إِلَى مَنْ دَنَا مِنْهُ، وَيَا مَنْ يَدْعُو إِلَى نَفْسِهِ مَنْ أَدْبَرَ عَنْهُ، وَيَا مَنْ لَا يُغَيِّرُ النِّعْمَةَ، وَلَا يُبَادِرُ بِالنَّقِمَةِ، وَيَا مَنْ يُثْمِرُ الْحَسَنَةَ حَتَّى يُنَمِّيهَا، وَيَتَجَاوَزُ عَنِ السَّيِّئَةِ حَتَّى يُعفيهَا، انْصَرَفَتِ الْآمَالُ دُونَ مَدَى كَرَمِكَ بِالْحَاجَاتِ، وَامْتَلَأَتْ بِفَيْضِ جُودِكَ أَوْعِيَةُ الطَّلِبَاتِ، وَتَفَسَّخَتْ دُونَ بُلُوغِ نَعْتِكَ الصِّفَاتُ.

فَلَكَ الْعُلُوُّ الْأَعْلَى فَوْقَ كُلِّ عَالٍ، وَالْجَلَالُ الْأَمْجَدُ فَوْقَ كُلِّ جَلَالٍ، كُلُّ جَلِيلٍ عِنْدَكَ صَغِيرٌ، وَكُلُّ شَرِيفٍ فِي جَنْبِ شَرَفِكَ حَقِيرٌ.

خَابَ الْوَافِدُونَ عَلَى غَيْرِكَ، وَخَسِرَ الْمُتَعَرِّضُونَ إِلَّا لَكَ، وَضَاعَ الْمُلِمُّونَ إِلَّا بِكَ، وَأَجْدَبَ الْمُنْتَجِعُونَ إِلَّا مَنِ انْتَجَعَ فَضْلَكَ.

---

(١) مهج الدعوات: ص٢٢٣ ـ ٢٢٩. البلد الأمين: ص٥٢٠ ـ ٥٢٥.

بَابُكَ مَفْتُوحٌ لِلرَّاغِبِينَ، وَجُودُكَ مُبَاحٌ لِلسَّائِلِينَ، وَإِغَاثَتُكَ قَرِيبَةٌ مِنَ الْمُسْتَغِيثِينَ، لَا يَخِيبُ مِنْكَ الآمِلُونَ، وَلَا يَيْأَسُ مِنْ عَطَائِكَ الْمُتَعَرِّضُونَ، وَلا يَشْقَى بِنَقِمَتِكَ الْمُسْتَغْفِرُونَ، رِزْقُكَ مَبْسُوطٌ لِمَنْ عَصَاكَ، وَحِلْمُكَ مُعْتَرِضٌ لِمَنْ نَاوَاكَ.

عَادَتُكَ الْإِحْسَانُ إِلَى الْمُسِيئِينَ، وَسُنَّتُكَ الْإِبْقَاءُ عَلَى الْمُعْتَدِينَ حَتَّى لَقَدْ غَرَّتْهُمْ أَنَاتُكَ عَنِ الرُّجُوعِ، وَصَدَّهُمْ إِمْهَالُكَ عَنِ النُّزُوعِ، وَإِنَّمَا تَأَنَّيْتَ بِهِمْ لِيَفِيئُوا إِلَى أَمْرِكَ، وَأَمْهَلْتَهُمْ ثِقَةً بِدَوَامِ مُلْكِكَ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ خَتَمْتَ لَهُ بِهَا، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ خَذَلْتَهُ لَهَا، كُلُّهُمْ صَائِرُونَ إِلَى حُكْمِكَ، وَأُمُورُهُمْ آيِلَةٌ إِلَى أَمْرِكَ، لَمْ يَهِنْ عَلَى طُولِ مُدَّتِهِمْ سُلْطَانُكَ، وَلَمْ يَدْحَضْ لِتَرْكِ مُعَاجَلَتِهِمْ بُرْهَانُكَ.

حُجَّتُكَ قَائِمَةٌ لَا تُدْحَضُ، وَسُلْطَانُكَ ثَابِتٌ لَا يَزُولُ، فَالْوَيْلُ الدَّائِمُ لِمَنْ جَنَحَ عَنْكَ، وَالْخَيْبَةُ الْخَاذِلَةُ لِمَنْ خَابَ مِنْكَ، وَالشَّقَاءُ الْأَشْقَى لِمَنِ اغْتَرَّ بِكَ، مَا أَكْثَرَ تَصَرُّفَهُ فِي عَذَابِكَ، وَمَا أَطْوَلَ تَرَدُّدَهُ فِي عِقَابِكَ، وَمَا أَبْعَدَ غَايَتَهُ مِنَ الْفَرَجِ، وَمَا أَقْنَطَهُ مِنْ سُهُولَةِ الْمَخْرَجِ عَدْلًا مِنْ قَضَائِكَ لَا تَجُورُ فِيهِ، وَإِنْصَافاً مِنْ حُكْمِكَ لَا تَحِيفُ عَلَيْهِ.

فَقَدْ ظَاهَرْتَ الْحُجَجَ، وَأَبْلَيْتَ الْأَعْذَارَ، وَقَدْ تَقَدَّمْتَ بِالْوَعِيدِ، وَتَلَطَّفْتَ فِي التَّرْغِيبِ، وَضَرَبْتَ الْأَمْثَالَ، وَأَطَلْتَ الْإِمْهَالَ، وَأَخَّرْتَ وَأَنْتَ مُسْتَطِيعٌ لِلْمُعَاجَلَةِ، وَتَأَنَّيْتَ وَأَنْتَ مَلِيءٌ بِالْمُبَادَرَةِ، لَمْ تَكُنْ أَنَاتُكَ عَجْزاً، وَلَا إِمْهَالُكَ وَهْناً، وَلَا إِمْسَاكُكَ غَفْلَةً، وَلَا انْتِظَارُكَ مُدَارَاةً، بَلْ لِتَكُونَ حُجَّتُكَ أَبْلَغَ، وَكَرَمُكَ أَكْمَلَ، وَإِحْسَانُكَ أَوْفَى، وَنِعْمَتُكَ أَتَمَّ، كُلُّ ذَلِكَ كَانَ وَلَمْ تَزَلْ، وَهُوَ كَائِنٌ وَلَا تَزَالُ، حُجَّتُكَ أَجَلُّ مِنْ أَنْ تُوصَفَ بِكُلِّهَا، وَمَجْدُكَ أَرْفَعُ مِنْ أَنْ يُحَدَّ بِكُنْهِهِ، وَنِعْمَتُكَ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَى بِأَسْرِهَا، وَإِحْسَانُكَ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُشْكَرَ عَلَى أَقَلِّهِ، وَقَدْ قَصَّرَ بِيَ السُّكُوتُ عَنْ تَحْمِيدِكَ، وَفَهَّهَنِيَ الْإِمْسَاكُ عَنْ تَمْجِيدِكَ، وَقُصَارَايَ الْإِقْرَارُ بِالْحُسُورِ، لَا رَغْبَةً يَا إِلَهِي بَلْ عَجْزاً، فَهَا أَنَا ذَا أَؤُمُّكَ بِالْوِفَادَةِ، وَأَسْأَلُكَ حُسْنَ الرِّفَادَةِ.

فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاسْمَعْ نَجْوَايَ، وَاسْتَجِبْ دُعَائِي، وَلَا تَخْتِمْ يَوْمِي بِخَيْبَتِي، وَلَا تَجْبَهْنِي بِالرَّدِّ فِي مَسْأَلَتِي، وَأَكْرِمْ مِنْ عِنْدِكَ مُنْصَرَفِي، وَإِلَيْكَ مُنْقَلَبِي، إِنَّكَ غَيْرُ ضَائِقٍ بِمَا تُرِيدُ، وَلَا عَاجِزٍ عَمَّا تُسْأَلُ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ»[١].

---

(١) انظر الصحيفة السجَّادية: ص٣١٤، رقم ١٤٦. مصباح المتهجِّد: ص٣٢٨.

دعاؤه عليه السلام في شهر رجب:

من الأشهر المعظَّمة في الإسلام شهر رجب، وقد طلب محمَّد السجَّاد، وهو محمَّد بن ذكوان يُعرف بالسجَّاد، من الإمام الصَّادق عليه السلام أن يتفضَّل عليه بدعاء يقرأ في هذا الشهر المبارك، فعلَّمه هذا الدُّعاء، وأمره أن يقرأه عقيب كلّ صلاة وهذا نصَّه:

يَا مَنْ أَرْجُوهُ لِكُلِّ خَيْرٍ، وَآمَنُ سَخَطَهُ عِنْدَ كُلِّ شَرٍّ، يَا مَنْ يُعْطِي الْكَثِيرَ بِالْقَلِيلِ، يَا مَنْ يُعْطِي مَنْ سَأَلَهُ، يَا مَنْ يُعْطِي مَنْ لَمْ يَسْأَلْهُ وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْهُ تَحَنُّناً مِنْهُ وَرَحْمَةً، أَعْطِنِي بِمَسْأَلَتِي إِيَّاكَ جَمِيعَ خَيْرِ الدُّنْيا وَجَمِيعَ خَيْرِ الآخِرَةِ، وَاصْرِفْ عَنِّي بِمَسْأَلَتِي إِيَّاكَ جَمِيعَ شَرِّ الدُّنْيا وَشَرِّ الآخِرَةِ، فَإِنَّهُ غَيْرُ مَنْقُوصٍ مَا أَعْطَيْتَ، وَزِدْنِي مِنْ فَضْلِكَ يَا كَرِيمُ.

وأمره الإمام عليه السلام أن يضع يده على كريمته، ويلوِّح بسبَّابته ويقول:

«**يَا ذَا الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ، يَا ذَا النَّعْمَاءِ وَالْجودِ، يَا ذَا الْمَنِّ وَالطَّوْلِ، حَرِّمْ شَبَابِي وَشَيْبَتِي عَلَىٰ النَّارِ**»[١].

دعاؤه عليه السلام في ليلة النصف من شعبان:

من اللَّيالي المعظَّمة في الإسلام ليلة النصف من شهر شعبان، وهي أفضل ليلة بعد ليلة القدر، وقد روى الإمام الصَّادق عليه السلام أنَّه سأل أباه عن فضل ليلة النصف من شعبان، فقال عليه السلام: «**هِيَ أَفْضَلُ لَيْلَةٍ بَعْدَ لَيْلَةِ الْقَدْرِ، فِيهَا يَمْنَحُ اللَّهُ الْعِبَادَ فَضْلَهُ، وَيَغْفِرُ لَهُمْ بِمَنِّهِ، فَاجْتَهِدوا فِي الْقُرْبَةِ إِلَىٰ اللَّهِ تَعَالَىٰ فِيهَا، فَإِنَّهَا لَيْلَةٌ آلَىٰ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَىٰ نَفْسِهِ أَنْ لَا يَرُدَّ سَائِلًا فِيهَا مَا لَمْ يَسْأَلِ اللَّهَ الْمَعْصِيَةَ، وَإِنَّهَا اللَّيْلَةُ الَّتِي جَعَلَها اللَّهُ لَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ بِإِزَاءِ مَا جَعَلَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ لِنَبِيِّنَا صلى الله عليه وآله، فَاجْتَهِدوا فِي دُعَاءِ اللَّهِ تَعَالَىٰ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ**»[٢].

من أدعيته عليه السلام في شهر رمضان

دعاؤه عليه السلام في أوَّل ليلة من رمضان:

كان الإمام الصَّادق عليه السلام يستقبل شهر رمضان المبارك بسرور بالغ، ويدعو في أوَّل ليلة منه بهذا الدُّعاء المبارك:

اللَّهُمَّ إِنَّ هَذَا الشَّهْرَ الْمُبَارَكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ فِيهِ الْقُرْآنَ وَجَعَلْتَهُ هُدىً لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ

---

(١) إقبال الأعمال: ٣/ ٣١١. بحار الأنوار: ٩٥/ ٣٨٩.

(٢) إقبال الأعمال: ٣/ ٣١٥.

الْهُدَىٰ وَالفُرْقَانِ قَدْ حَضرَ فَسَلِّمْنا فِيهِ وَسَلِّمْهُ لَنا وَتَسَلَّمْهُ مِنَّا فِي يُسْرٍ مِنْكَ وَعَافِيَةٍ، يَا مَنْ أَخذَ الْقَلِيلَ وَشَكَرَهُ، وَسَتَرَ الْكَثِيرَ وَغَفَرَهُ، اغْفِرْ لِيَ الْكَثِيرَ مِنْ مَعْصِيَتِكَ، وَاقْبَلْ مِنِّي الْيَسِيرَ فِي طَاعَتِكَ. اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَ لِي إِلَىٰ كُلِّ خَيْرٍ سَبِيلاً، وَمِنْ كُلِّ مَا لَا تُحِبُّ مَانِعاً يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، يَا مَنْ عَفا عَنِّي وَعَمَّا خَلَوْتُ بِهِ مِنَ السَّيِّئاتِ، يَا مَنْ لَمْ يُؤَاخِذْنِي بِارْتِكَابِ الْمَعَاصِي، عَفْوَكَ عَفْوَكَ عَفْوَكَ، يَا كَرِيم. إِلٰهِي وَعَظْتَنِي فَلَمْ أَتَّعِظْ، وَزَجَرْتَنِي عَنِ الْمَعَاصِي فَلَمْ أَنْزَجِرْ، فَمَا عُذْرِي؟ فَاعْفُ عَنِّي يَا كَرِيمُ، عَفْوَكَ عَفْوَكَ. اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الرَّاحَةَ عِنْدَ الْمَوْتِ، وَالْعَفْوَ عِنْدَ الْحِسَابِ، عَظُمَ الذَّنْبُ مِنْ عَبْدِكَ فَلْيَحْسُنِ التَّجاوُزُ مِنْ عِنْدِكَ، يَا أَهْلَ التَّقْوىٰ وَيَا أَهْلَ الْمَغْفِرَةِ، عَفْوَكَ عَفْوَكَ.

اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ وَابْنُ أَمَتِكَ ضَعِيفٌ فَقِيرٌ إِلَىٰ رَحْمَتِكَ، وَأَنْتَ مُنْزِلُ الْغِنىٰ وَالبَرَكَةِ عَلَىٰ الْعِبَادِ قَاهِرٌ مُقْتَدِرٌ أَحْصَيْتَ أَعْمَالَهُمْ، وَقَسَمْتَ أَرْزَاقَهُمْ، وَجَعَلْتَهُمْ مُخْتَلِفَةً أَلْسِنَتُهُمْ وَأَلْوَانُهُمْ خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ.

اللَّهُمَّ لَا يَعْلَمُ الْعِبَادُ عِلْمَكَ وَلَا يَقْدِرُ الْعِبَادُ قَدْرَكَ، وَكُلُّنا فَقِيرٌ إِلَىٰ رَحْمَتِكَ فَلَا تَصْرِفْ عَنِّي وَجْهَكَ وَاجْعَلْنِي مِنْ صَالِحِي خَلْقِكَ فِي الْعَمَلِ وَالأَمَلِ وَالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ.

اللَّهُمَّ أَبْقِنِي خَيْرَ الْبَقَاءِ، وَأَفْنِنِي خَيْرَ الْفَنَاءِ عَلَىٰ مُوالَاةِ أَوْلِيائِكَ، وَمُعَادَاةِ أَعْدَائِكَ، وَالرَّغْبَةِ إِلَيْكَ، وَالرَّهْبَةِ مِنْكَ، وَالْخُشُوعِ وَالْوَقَارِ وَالتَّسْلِيمِ لَكَ، وَالتَّصْدِيقِ بِكِتَابِكَ، وَاتِّبَاعِ سُنَّةِ رَسُولِكَ صَلَوَاتُكَ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

اللَّهُمَّ مَا كَانَ فِي قَلْبِي مِنْ شَكٍّ أَوْ رِيبَةٍ أَوْ جُحُودٍ أَوْ قُنُوطٍ أَوْ فَرَحٍ أَوْ بَذَخٍ أَوْ بَطَرٍ أَوْ خُيَلَاءَ أَوْ رِيَاءٍ أَوْ سُمْعَةٍ أَوْ شِقَاقٍ أَوْ نِفَاقٍ أَوْ كِبْرٍ أَوْ فُسُوقٍ أَوْ عِصْيَانٍ أَوْ عَظَمَةٍ أَوْ شَيْءٍ لَا تُحِبُّ فَأَسْأَلُكَ يَا رَبِّ أَنْ تُبَدِّلَنِي مَكَانَهُ إِيْمَاناً بِوَعْدِكَ، وَوَفَاءً بِعَهْدِكَ، وَرِضاً بِقَضَائِكَ، وَزُهْداً فِي الدُّنْيا، وَرَغْبَةً فِيمَا عِنْدَكَ، وَأَثَرَةً وَطُمَأْنِينَةً وَتَوْبَةً نَصُوحاً، أَسْأَلُكَ ذَلِكَ يَا رَبِّ بِمَنِّكَ وَرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، وَيَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

إِلٰهِي أَنْتَ مِنْ حِلْمِكَ تُعْصىٰ فَكَأَنَّكَ لَمْ تَرَ، وَمِنْ كَرَمِكَ وَجُودِكَ تُطَاعُ فَكَأَنَّكَ لَمْ تُعْصَ، وَأَنَا وَمَنْ لَمْ يَعْصِكَ سُكَّانُ أَرْضِكَ فَكُنْ عَلَيْنا بِالْفَضْلِ جَواداً، وَبِالْخَيْرِ عَوَّاداً، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، وَصَلَّىٰ اللَّهُ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ صَلَاةً دَائِمَةً لَا تُحْصَىٰ وَلَا تُعَدُّ وَلَا يَقْدِرُ قَدْرَها غَيْرُكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ[1].

(١) البلد الأمين: ص٢٧٠ و٢٧١.

من أدعيته في صلاته عليه السلام

دعاؤه عليه السلام في السجود:

وكان الإمام عليه السلام يدعو في سجوده في الصلاة بهذا الدُّعاء الجليل:

سَجَدَ لَكَ وَجْهِي تَعَبُّداً وَرِقّاً، لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنْتَ حَقّاً حَقّاً، الأَوَّلُ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، وَالآخِرُ بَعْدَ كُلِّ شَيْءٍ، هَا أَنَا ذَا بَيْنَ يَدَيْكَ نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، فَاغْفِرْ لِي، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ الْعِظَامَ غَيْرُكَ، فَاغْفِرْ لِي، فَإِنِّي مُقِرٌّ بِذُنُوبِي عَلَىٰ نَفْسِي، وَلَا يَدْفَعُ الذَّنْبَ الْعَظِيمَ غَيْرُكَ[1].

دعاؤه عليه السلام في القنوت:

كان الإمام الصَّادق عليه السلام يدعو بهذا الدُّعاء الجليل في قنوت صلاته، وهو يمثِّل الجانب السياسي من أدعيته، فقد دعا به على عدوّه الماكر اللئيم، وأغلب الظنّ أنَّه المنصور الدوانيقي، وهو من الملوك الذين لا يعرفون الرحمة، ولا يؤمنون بالقيم الكريمة، وكان من ألدّ أعداء الأُسرة النبويَّة، ومن أبغض الناس لآل البيت عليهم السلام، وهذا نصّ دعاء الإمام:

يَا مَنْ سَبَقَ عِلْمُهُ، وَنَفَذَ حُكْمُهُ، وَشَمَلَ حِلْمُهُ، صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَأَزِلْ حِلْمَكَ عَنْ ظَالِمِيَّ، وَبَادِرْهُ بِالنَّقِمَةِ، وَعَاجِلْهُ بِالِاسْتِئْصَالِ، وَكُبَّهُ لِمَنْخِرِهِ، وَاغْصُصْهُ بِرِيقِهِ، وَارْدُدْ كَيْدَهُ فِي نَحْرِهِ، وَحُلْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ بِشُغلٍ شَاغِلٍ مُؤْلِمٍ، وَسُقْمٍ دَائِمٍ، وَامْنَعْهُ التَّوْبَةَ، وَحُلْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْإِنَابَةِ، وَاسْلُبْهُ رُوحَ الرَّاحَةِ، وَاشْدُدْ عَلَيْهِ الْوَطْأَةَ، وَخُذْ مِنْهُ بِالْمِخْنَقِ، وَحَشْرِجْهُ فِي صَدْرِهِ، وَلَا تُثْبِتْ لَهُ قَدَماً، وَأَثْكِلْهُ، وَاجْتَثَّهُ، وَاسْتَأْصِلْهُ، وَحُتَّهُ، وَحُتَّ نِعْمَتَكَ عَنْهُ، وَأَلْبِسْهُ الصَّغَارَ، وَاجْعَلْ عُقْبَاهُ النَّارَ بَعْدَ مَحْوِ آثَارِهِ، وَسَلْبِ قَرَارِهِ، وَإِجْهَارِ قَبِيحِ آصَارِهِ، وَأَسْكِنْهُ دَارَ بَوَارِهِ، وَلَا تُبْقِ لَهُ ذِكْراً، وَلَا تُعَقِّبْهُ مِنْ مُسْتَخْلَفٍ أَجْراً.

وكان يقول ما يلي ثلاثاً:

اللَّهُمَّ بَادِرْهُ.

اللَّهُمَّ عَاجِلْهُ.

اللَّهُمَّ لَا تُؤَجِّلْهُ.

---

(١) الإقبال: ١/ ٣٣٢ ـ ٣٣٣.

اللَّهُمَّ خُذْهُ.

اللَّهُمَّ اسْلُبْهُ التَّوْفِيقَ.

اللَّهُمَّ لَا تُمْهِلْهُ، اللَّهُمَّ لَا تُرِيِّثْهُ، اللَّهُمَّ لَا تُؤَخِّرْهُ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِهِ، اللَّهُمَّ اشْدُدْ قَبْضَتَكَ عَلَيْهِ، اللَّهُمَّ بِكَ اعْتَصَمْتُ عَلَيْهِ، وَبِكَ اسْتَجَرْتُ مِنْهُ، وَبِكَ تَوَارَيْتُ عَنْهُ، وَبِكَ اسْتَكْفَفْتُ دُونَهُ، وَبِكَ اسْتَتَرْتُ مِنْ ضَرَّائِهِ. اللَّهُمَّ احْرُسْنِي بِحَرَاسَتِكَ مِنْهُ وَمِنْ عَذَابِكَ، وَاكْفِنِي بِكِفَايَتِكَ، كُدَّهُ وَكُدَّ بُغَاتِكَ. اللَّهُمَّ احْفَظْنِي بِحِفْظِ الْإِيمَانِ، وَأَسْبِلْ عَلَيَّ سَتْرَكَ الَّذِي سَتَرْتَ بِهِ رُسُلَكَ عَنِ الطَّوَاغِيتِ، وَحَصِّنِّي بِحِصْنِكَ الَّذِي وَقَيْتَهُمْ بِهِ مِنَ الْجَوَابِيتِ. اللَّهُمَّ أَيِّدْنِي مِنْكَ بِنَصْرٍ لَا يَنْفَكُّ، وَعَزِيمَةِ صِدْقٍ لَا تَحِلُّ، وَجَلِّلْنِي بِنُورِكَ، وَاجْعَلْنِي مُتَدَرِّعاً بِدِرْعِكَ الْحَصِينَةِ الْوَاقِيَةِ، وَاكْلَأْنِي بِكِلَاَتِكَ الْكَافِيَةِ، إِنَّكَ وَاسِعٌ لِمَا تَشَاءُ، وَوَلِيُّ مَنْ لَكَ تَوَالَى، وَنَاصِرُ مَنْ إِلَيْكَ أَوَى، وَعَوْنُ مَنْ بِكَ اسْتَعْدَى، وَكَافِي مَنْ بِكَ اسْتَكْفَى، أَنْتَ الْعَزِيزُ الَّذِي لَا تُمَانِعُ عَمَّا تَشَاءُ، وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، وَهُوَ حَسْبِي وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ، وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ[١].

أدعيته عليه السلام في طلب الرِّزق

روى العالم الفقيه معاوية بن عمَّار، قال: «سألت أبا عبد الله عليه السلام أن يعلِّمني دعاء للرِّزق، فعلَّمني دعاءً ما رأيت أجلب للرِّزق منه، وهو:

اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي مِنْ فَضْلِكَ الْوَاسِعِ الْحَلَالِ الطَّيِّبِ، رِزْقاً وَاسِعاً حَلَالاً طَيِّباً، بَلَاغاً لِلدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، صَبّاً صَبّاً[٢] هَنِيئاً مَرِيئاً، مِنْ غَيْرِ كَدٍّ، وَلَا مَنٍّ مِنْ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ، إِلَّا سَعَةً مِنْ فَضْلِكَ الْوَاسِعِ، فَإِنَّكَ قُلْتَ: ﴿وَسْئَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ﴾[٣] مِنْ فَضْلِكَ أَسْأَلُ، وَمِنْ عَطِيَّتِكَ أَسْأَلُ، وَمِنْ يَدِكَ الْمَلْأَى أَسْأَلُ[٤].

ومن أدعيته عليه السلام إذا جاء الرِّزق بعد انقطاع، هذا الدُّعاء:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نِعْمَتُهُ تَغْدُو عَلَيْنَا وَتَرُوحُ، وَنَظَلُّ بِهَا نَهَارَنا، وَنَبِيتُ فِيهَا لَيْلَتَنَا، فَنُصْبِحُ فِيهَا بِرَحْمَتِهِ مُسْلِمِينَ، وَنُمْسِي فِيهَا بِمَنِّهِ مُؤْمِنِينَ مِنَ الْبَلْوَى مُعَافَيْنَ، الْحَمْدُ لِلَّهِ

---

(١) البلد الأمين: ص٦٥٢ و٦٥٣.

(٢) صبّاً صبّاً: أي كثيراً كثيراً.

(٣) سورة النِّساء: الآية ٣٢.

(٤) أصول الكافي: ٢/ ٥٥٠ ـ ٥٥١.

الْمُنْعِمِ الْمُفْضِلِ الْمُحْسِنِ الْمُجْمِلِ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، ذِي الْفَوَاضِلِ وَالنِّعَمِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَخْذُلْنَا عِنْدَ شِدَّةٍ، وَلَمْ يَفْضَحْنَا عِنْدَ سَرِيرَةٍ، وَلَمْ يُسْلِمْنَا بِجَرِيرَةٍ[١].

دعاؤه عليه السلام لقضاء الحوائج:

كان الإمام الصَّادق عليه السلام يأمر من كانت له حاجة يريد قضاءها بقراءة سورة الأنعام، وصلاة أربع ركعات، يقرأ فيها سورة الحمد والأنعام، وإذا فرغ من صلاته فليقرأ هذا الدُّعاء:

يَا كَرِيمُ، يَا كَرِيمُ، يَا كَرِيمُ، يَا عَظِيمُ، يَا عَظِيمُ، يَا عَظِيمُ، يَا أَعْظَمَ مِنْ كُلِّ عَظِيمٍ، يَا سَمِيعَ الدُّعَاءِ يَا مَنْ لَا تُغَيِّرُهُ الْأَيَّامُ وَاللَّيَالِي، صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَارْحَمْ ضَعْفِي وَفَقْرِي وَفَاقَتِي وَمَسْكَنَتِي، فَإِنَّكَ أَعْلَمُ بِحَاجَتِي، يَا مَنْ رَحِمَ الشَّيْخَ الْكَبِيرِ يَعْقُوبَ، حَتَّىٰ رَدَّ عَلَيْهِ يُوسُفَ، وَأَقَرَّ عَيْنَهُ، يَا مَنْ رَحِمَ أَيُّوبَ بَعْدَ طُولِ بَلَاءٍ، يَا مَنْ رَحِمَ مُحَمَّداً صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَفِي الْيُتْمِ آوَاهُ، وَنَصَرَهُ عَلَى جَبَابِرَةِ قُرَيْشٍ وَطَوَاغِيتِهَا، وَأَمْكَنَهُ مِنْهُمْ، يَا مُغِيثُ يَا مُغِيثُ يَا مُغِيثُ.

وأضاف الإمام عليه السلام قائلاً: **«فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ دَعَوْتَ بِهِ بَعْدَمَا تُصَلِّي هَذِهِ الصَّلَاةَ لَقُضِيَتْ جَمِيعَ حَوَائِجِكَ»**[٢].

أدعيته عليه السلام في دفع الأمراض

كان الإمام الصَّادق عليه السلام إذا ألمَّ به المرض دعا بهذا الدُّعاء الجليل:

اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَيَّرْتَ أَقْوَاماً فَقُلْتَ: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾[٣]، **فَيَا مَنْ لَا يَمْلِكُ كَشْفَ ضُرِّي وَلَا تَحْوِيلَهُ عَنِّي غَيْرُهُ، صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَاكْشِفْ ضُرِّي، وَحَوِّلْهُ إِلَى مَنْ يَدْعُو مَعَكَ إِلَهاً آخَرَ، لَا إِلَهَ غَيْرُكَ**[٤].

روى داود بن رزين، قال: «مرضت بالمدينة مرضاً شديداً، فبلغ ذلك أبا

---

(١) قرب الإسناد: ص٧. بحار الأنوار: ٢٠٩/٩٠.
(٢) البلد الأمين: ص٢٥٥.
(٣) سورة الإسراء: الآية ٥٦.
(٤) أصول الكافي: ٢/ ٥٦٤.

عبد الله عليه السلام، فكتب إليَّ: قَدْ بَلَغَنِي عِلَّتُكَ، فَاشْتَرِ صَاعاً مِنْ بُرٍّ، ثُمَّ اسْتَلْقِ عَلَى قَفَاكَ، وَانْثُرْهُ عَلَى صَدْرِكَ كَيْفَمَا انْتَثَرَ، وَقُلِ:

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي إِذَا سَأَلَكَ بِهِ الْمُضْطَرُّ كَشَفْتَ مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ، وَمَكَّنْتَ لَهُ فِي الْأَرْضِ، وَجَعَلْتَهُ خَلِيفَتَكَ عَلَى خَلْقِكَ، أَنْ تُصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَأَنْ تُعَافِيَنِي مِنْ عِلَّتِي.

ثُمَّ اسْتَوِ جَالِساً، وَاجْمَعِ الْبُرَّ مِنْ حَوْلِكَ، وَاقْسِمْهُ مُدّاً مُدّاً لِكُلِّ مِسْكِينٍ.

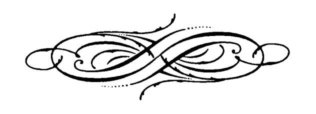
قال داود: فعلت ذلك، فكأنّما نشطت من عقالٍ، وقد فعله غير واحد فانتفع به»[١].

دعاؤه عليه السلام في مهام الأُمور

ومن أدعيته عليه السلام هذا الدُّعاء الجليل، وقد حفل بمهام أُمور الدُّنيا والآخرة.

اللَّهُمَّ احْرُسْنِي بِعَيْنِكَ الَّتِي لَا تَنَامُ، وَاكْنُفْنِي بِرُكْنِكَ الَّذِي لَا يُرَامُ، وَاغْفِرْ لِي بِقُدْرَتِكَ حَتَّىٰ لَا أَهْلَكَ، وَأَنْتَ رَجَائِي، رَبِّ كَمْ مِنْ نِعْمَةٍ أَنْعَمْتَ بِهَا عَلَيَّ قَلَّ لَكَ عِنْدَهَا شُكْرِي، وَكَمْ مِنْ بَلِيَّةٍ ابْتَلَيْتَنِي بِهَا قَلَّ لَكَ عِنْدَهَا صَبْرِي، فَيَا مَنْ قَلَّ عِنْدَ نِعْمَتِهِ شُكْرِي فَلَمْ يَحْرِمْنِي، وَيَا مَنْ رَآنِي عَلَى الْخَطَايَا فَلَمْ يَفْضَحْنِي، يَا ذَا الْمَعْرُوفِ الَّذِي لَا يَنْقَضِي أَبَداً، وَيَا ذَا النَّعْمَاءِ الَّتِي لَا تُحْصَى عَدَداً، صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، بِكَ أَدْرَأُ فِي نُحُورِ الْأَعْدَاءِ وَالْجَبَّارِينَ.

اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى دِينِي بِدُنْيَايَ، وَعَلَى آخِرَتِي بِالتَّقْوَىٰ، وَاحْفَظْنِي فِيمَا غِبْتُ عَنْهُ، وَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي فِيمَا حَظَرْتَهُ عَلَيَّ، يَا مَنْ لَا تَضُرُّهُ الذُّنُوبُ، وَلَا تَنْقُصُهُ الْمَغْفِرَةُ، اغْفِرْ لِي مَا لَا يَضُرُّكَ، وَأَعْطِنِي مَا لَا يَنْقُصُكَ، إِنَّكَ وَهَّابٌ، أَسْأَلُكَ فَرَجاً قَرِيباً وَعَاجِلاً وَصَبْراً جَمِيلاً، وَرِزْقاً وَاسِعاً، وَالعَافِيَةَ مِنْ جَمِيعِ الْبَلَايَا، وَالشُّكْرَ عَلَى الْعَافِيَةِ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ[٢].



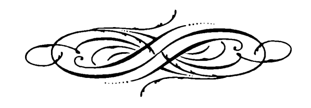
(١) أصول الكافي: ٢/ ٥٦٤.

(٢) مهج الدعوات: ص٣٣٨. المخلاة: ص١٨١ ـ ١٨٢.

عصر الإمام الصَّادق عليه السلام

أمَّا عصر الإمام الصَّادق عليه السلام فقد كان من أبشع العصور الإسلاميَّة، ومن أكثرها قلقاً واضطراباً، خصوصاً في أيَّام الحكم الأُموي، فقد امتحن المسلمون فيه امتحاناً عسيراً، وأرهقوا إرهاقاً شديداً، فلم يبق إقليم في الوطن العربي الكبير منعماً بالأمن والدعة والاستقرار، وإنَّما ساد فيها الخوف وعمَّ الذعر.

وكان من بين السمات البارزة في ذلك العصر انتشار الثورات الشعبيَّة في كلّ قطر وهي تعلن العصيان المسلَّح، وتنادي بسقوط الدولة الأُمويَّة التي استعبدت الناس، وأرغمتهم على ما يكرهون، ومن أهمِّ الثورات والانتفاضات الثورات التي قادها العلويّون وزعماء شيعتهم، وثورات الخوارج، وقد أدَّت إلى ضعف الدولة الأُمويَّة وانهيارها إلى حدٍّ بعيد.



ملوك الأمويِّين

❖ عبد الملك بن مروان:

من الكوارث التي مُني بها المسلمون حكومة عبد الملك بن مروان، فقد أجمع المؤرّخون أنَّه لم تكن فيه أيّة صفة كريمة، أو نزعة شريفة يستحقّ بها الخلافة، وإنَّما كان طاغية جبَّاراً سفَّاكاً للدماء بغير حقّ.

يقول فيه المنصور الدوانيقي: «كان عبد الملك جبَّاراً لا يبالي ما صنع»[١] ومن جبروته أنَّه قال في خطبته بعد قتله لابن الزبير: «لا يأمرني أحد بتقوى الله بعد مقامي هذا إلاَّ ضربت عنقه»[٢].

الإمام الصَّادق عليه السلام في دمشق:

وذكر العيَّاشي في تفسيره أنَّه ظهر في أيَّام عبد الملك مشعوذ من القدريَّة أفسد على المسلمين دينهم، وذلك بما أذاعه من البدع والأضاليل، ولم يهتدِ علماء العصر إلى ردّ شبهه، فرأى عبد الملك أنَّ خير وسيلة للردِّ عليه أن يحضر الإمام محمَّد الباقر عليه السلام إلى دمشق، ويجمع بينه وبين القدري لإفحام القدري، وعرض العامل على الإمام ذلك، واعتذر عن السفر لأنَّه لا طاقة له على تحمُّل مشقَّة السفر، وأناب عنه الإمام الصَّادق عليه السلام، وسافر عليه السلام إلى دمشق، فلمَّا انتهى إليها التقى بعبد الملك، وعرَّفه عبد الملك بالأمر، وأمر بإحضار القدري فحضر، واكتظَّ القصر بالناس ليسمعوا محاججته له، والتفت عليه السلام إليه فأمره أن يقرأ سورة الفاتحة، فشرع في قراءتها، فلمَّا انتهى إلى قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[٣] قال عليه السلام: **«مَنْ تَسْتَعِينُ؟ وَمَا حَاجَتُكَ إِلَىٰ الْمَعْرِفَةِ إِنْ كَانَ الأَمْرُ إِلَيْكَ؟»**[٤].

---

(١) النزاع والتخاصم/ المقريزي: ص٨.

(٢) تاريخ الخلفاء/ السيوطي: ص٢١٩.

(٣) سورة الفاتحة: الآية ٥.

(٤) تفسير العيَّاشي: ١/ ٢٣.

وبان العجز على القدري ولم يطق جواباً، وواصل الإمام حديثه في إبطال مزاعمه وردّ شبهه.

وفيهذه الرواية نظر لأنَّ الإمام الصَّادق عليه السلام لم يتجاوز عمره ثلاث سنين، فكيف سافر إلى دمشق وهو في هذا السنّ، وأكبر الظنّ أنَّ هذه الحادثة وقعت في أيَّام الوليد، فقد ظهر رجل من القدريَّة في عصره وأشاع البدع والأضاليل.

❖ الوليد بن عبد الملك:

وتسلَّم الوليد قيادة الأُمَّة بعد هلاك أبيه، ووصفه المؤرّخون بأنَّه كان جبَّاراً ظالماً[1]، وكان يغلب عليه اللحن، فقد خطب في المسجد فقال: «يا أهل المدينة ـ بالضمّ ـ» مع أنَّ القاعدة النحويَّة تقضي نصبه لأنَّه منادى مضاف، وخطب يوماً فقال: «يا ليتها كانت القاضية» وضمَّ التاء.

فقال عمر بن عبد العزيز: عليك وأراحتنا منك[2].

الإمام الصَّادق عليه السلام مع الوليد:

ورحل الوليد إلى يثرب للاطّلاع على ما أنجزه واليه من تعمير الجامع النبوي، وكانت زيارته رسميَّة، قد اقترنت بالأُبَّهة والمراسيم الملكيَّة، وخرج والي يثرب لاستقباله من مسافة خمسين فرسخاً، وقد أعدَّ أوسع بيت في المدينة لنزول الملك وحاشيته فيه.

ولمَّا انتهى الوليد إلى المدينة أذن للناس إذناً عامَّاً، وكان عمر بن عبد العزيز يحثّ الأشراف والتابعين من أبناء الصحابة ليكونوا في مقدِّمة الزائرين والمرحِّبين بقدومه، وقصد عمر الإمام الباقر عليه السلام وطلب منه زيارة الوليد، فامتنع الإمام من إجابته إلاَّ أنَّ عمر استطاع بلباقته أن يقنع الإمام على زيارته، فقد قال له: «إنَّ هذه المدينة مدينة جدّك، والزائر لها أينما نزل فإنَّما ينزل بدارك، وهو ضيف عليك، وهذا الوليد إن لم يكن خليفة فهو مسلم نزل بدارك»، فأجابه الإمام على كره.

وفي اليوم الثاني قصد الإمام عليه السلام محلّ إقامة الوليد، فلمَّا رآه رحَّب به، وقابله بمزيد من الحفاوة والتكريم، وسأل الوليد الإمام عمَّا يملكه، فأجابه أنَّ له مزرعة تكفيه

---

(١) تاريخ الخلفاء: ص٢٢٣.
(٢) تاريخ ابن الأثير: ١٣٨/٤.

وأهله، ولا يحتاج إلى شيء، وعرض عليه الوليد إعطاءه مزرعة كبيرة في أي بقعة من بقاع الدولة الإسلاميَّة ليعيش مع أهله وأبنائه في يسر وراحة، فامتنع الإمام من إجابته، وقال: **«إِنَّ هَذِهِ الْمَزْرَعَةَ تَكْفِينِي وَأَهْلِي، وَإِنَّ أَوْلَادِي سَوْفَ يَعْمَلونَ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ هُوَ الَّذِي يَرْزُقُهُمْ»**، ثمَّ قام من مجلسه وودَّع الوليد.

وفي اليوم الثاني من قدومه دخل الوليد الجامع النبويّ فشاهد ما أنجزه الوالي من أعمال التعمير والتوسيع، وكان الإمام الباقر عليه السلام على المنبر يلقي محاضرة على طلَّابه، وكان موضوعها الجغرافيا فاستمع الوليد إلى المحاضرة، وكان ذلك غريباً على مسمعه، وسأل الإمام عن هذا العلم، فقال له:

«إِنَّهُ عِلْمٌ يَتَحَدَّثُ عَنِ الأَرْضِ وَالسَّمَاءِ وَالشَّمْسِ وَالنُّجُومِ».

وكان الإمام الصَّادق عليه السلام صبيًّا يافعاً، وكان حاضراً درس أبيه، فسأل الوليد عمر بن عبد العزيز قائلاً: «من يكون هذا الصبي من بين الرجال؟

فقال عمر: هو جعفر بن محمَّد.

وبادر الوليد قائلاً: هل هو قادر على فهم الدرس واستيعابه؟

فأسرع عمر قائلاً: إنَّه أذكى من يحضر درس الإمام، وأكثرهم سؤالاً ونقاشاً. وطلب الوليد إحضاره، فمثل أمامه، فقال له: ما اسمك؟

- **جَعْفَر**.

وقدَّم له الوليد السؤال التالي: أتعلم من كان صاحب المنطق؟

- **كَانَ أَرَسْطوا مُلَقَّباً بِصَاحِبِ الْمَنْطِقِ، لَقَّبَهُ إِيَّاهُ تَلَامِذَتُهُ وَأَتْبَاعُهُ**.

وبهر الوليد فقدَّم له السؤال التالي: من صاحب المعز؟

- **لَيْسَ هَذَا اسْماً لأَحَدٍ، وَلَكِنَّهُ اسْمٌ لِمَجْموعَةٍ مِنَ النُّجومِ تُسَمَّىٰ ذُو الأَعِنَّةِ**[1].

واستولت الحيرة على الوليد، وعاد يسأله: وهل تعلم من صاحب السواك؟

فأجابه الإمام عليه السلام: **هُوَ لَقَبُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعودٍ، صَاحِبِ جَدِّي رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله**.

وأُعجب الوليد بمواهب الإمام وعبقريَّاته، والتفت إلى الإمام الباقر عليه السلام فقال له: إنَّ ولدك هذا سيكون علَّامة عصره».

---

(١) هذه المجموعة من النُّجوم تسمَّى في مصطلح علم النُّجوم الحديث «أوريكا» أو «أريجا».

وصدق تنبؤ الوليد، وتحقَّق ما توسَّم به، فقد أصبح الإمام الصَّادق عليه السلام أعلم العلماء لا في عصره وإنَّما في جميع الأعصار[١].

❖ هشام بن عبد الملك:

وهو من سيِّئات الدُّنيا، ودعائم الضلال، ولم يكن ـ فيما أجمع عليه المؤرّخون ـ يتمتَّع بصفة كريمة، أو نزعة شريفة تؤهِّله ليكون زعيماً للعالم الإسلامي، ونتحدَّث بإيجاز عن بعض خصائصه، وهي:

١ ـ البخل.

٢ ـ الحقد.

٣ ـ القسوة.

٤ ـ خبث المنطق.

إغلاق الحوانيت بوجه الإمام الباقر عليه السلام وابنه الإمام الصَّادق عليه السلام:

أمر هشام بمغادرة الإمام أبي جعفر وولده الإمام الصَّادق عليه السلام دمشق خوفاً من أن يفتتن الناس بهما، وأوعز إلى أسواق المدن والمحلَّات التجاريَّة الواقعة في الطريق أن تغلق محلَّاتها بوجه الإمام، ولا تبيع إليه أيّة بضاعة، وقد أراد بذلك القضاء على الإمام في الطريق، وسارت قافلة الإمام وقد أضناها الجوع والعطش، فاجتازت على بعض المدن فبادر أهلها إلى إغلاق محلَّاتهم بوجه الإمام، ولمَّا رأى عليه السلام ذلك صعد على جبل هناك ورفع صوته قائلاً: «**يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا، أَنَا بَقِيَّةُ اللَّهِ. يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَىٰ:** ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾[٢]».

ولمَّا أنهى الإمام عليه السلام كلامه بادر شيخ من شيوخ المدينة فرفع عقيرته قائلاً: «يا قوم، هذه والله دعوة شعيب، والله لئن لم تخرجوا إلى هذا الرجل بالأسواق لتؤخذن من فوقكم، ومن تحت أرجلكم، فصدَّقوني هذه المرَّة وأطيعوني، وكذِّبوني فيما تستأنفون، فإنِّي ناصح لكم..».

وخاف أهل المدينة وفزعوا، وبادروا إلى حوانيتهم ففتحوها، واشترى الإمام ما يحتاجه من المتاع[٣]، وفسدت مكيدة هشام وما دبَّره من مكيدة للإمام.

---

(١) الإمام الصَّادق عليه السلام كما عرفه علماء الغرب: ص١٠٨ ـ ١١٢.

(٢) سورة هود: الآية ٨٦.

(٣) المناقب: ٤/ ٦٩٠. بحار الأنوار: ١١/ ٧٥.

ثورة الشهيد زيد رضي الله عنه:

أمَّا ثورة زيد فهي من الثورات الخالدة في دُنيا الإسلام، فقد استهدفت القضاء على الظلم الاجتماعي، والغبن الاجتماعي، وإنقاذ المسلمين من ويلات الحكم الأُموي وكوارثه.

لقد ثار زيد بوحي من روح الإسلام، فقد رأى باطلاً يحيا، وصادقاً يكذّب، وأثرة بغير تقى، رأى جوراً شاملاً، واستبداداً فظيعاً في أُمور المسلمين، فلم يسعه السكوت.

وقد روى بعض شيعته، قال: «خرجت معه إلى مكَّة، فلمَّا كان نصف اللَّيل واستوت الثريا قال لي: **أَمَا تَرىٰ هَذِهِ الثُّرَيَّا، أَتَرىٰ أَحداً يَنالُها؟**

قلت: لا.

قال: **وَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنَّ يَدي مُلْصَقَةٌ بِهَا فَأَقَعُ إِلَىٰ الأَرْضِ، أَوْ حَيْثُ أَقَعُ، فَأَتَقَطَّعُ قِطْعَةً قِطْعَةً، وَإِنَّ اللَّهَ يُصْلِحُ بَيْنَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ**»[١].

الإمام الصَّادق عليه السلام وزيد رضي الله عنه:

كان الإمام الصَّادق عليه السلام يبجّل عمّه زيداً، ويحترمه كثيراً، وكان من مظاهر تكريمه له أنَّه يمسك الركاب إذا أراد أن يركب، ويسوِّي ثيابه على السرج[٢].

وقال عليه السلام لمحمَّد بن سالم: «**هَلْ شَهِدْتَ عَمِّي زَيْداً؟**

- نعم.

- **هَلْ رَأَيْتَ فِينا مِثْلَه؟**

- لا.

- **وَلَا أَظُنُّكَ وَاللَّهِ تَرَىٰ فِينَا مِثْلَهُ**»[٣].

إنَّ زيداً فذّ من أفذاذ الإسلام، وصفحة مشرقة من صفحات الرسالة الإسلاميَّة، ليس له ندّ في الأُسرة النبويَّة التي هي من أجلّ الأُسر في دُنيا الإسلام.

ومجَّد الإمام الصَّادق عليه السلام ثورة عمّه زيد، فقد قال لأصحابه: «**لَا تَقولوا خَرَجَ زَيْدٌ، فَإِنَّ زَيْداً كَانَ عَالِماً، وَكَانَ صَدوقاً، وَلَمْ يَدْعُكُمْ إِلَىٰ نَفْسِهِ، إِنَّمَا دَعَاكُمْ إِلَىٰ الرِّضَا**

---

(١) مقاتل الطالبيّين: ص١٢٩.

(٢) مقاتل الطالبيّين: ص١٢٩.

(٣) الحور العين: ص١٨٨.

مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَلَوْ ظَهَرَ لَوَفىٰ بِمَا دَعاكُمْ إِلَيْهِ، إِنَّما خَرَجَ إِلَىٰ سُلْطَانٍ مُجْتَمِعٍ لِيَقُضَّه»[(١)].

وكان من إقرار الإمام عليه السلام لثورة زيد، وأنَّها مشروعة أنَّه أعطى عبد الرحمن بن سيَّابة ألف دينار وأمره أن يقسِّمها في عيال من أُصيب مع زيد[(٢)].

وكان من جهل الأُمويِّين وسوء تدبيرهم أنَّهم كانوا يفخرون بإبقاء جثَّة زيد مصلوبة، وقد اعتزَّ بذلك وغد من عملائهم، وهو الحكيم بن عيَّاش، يقول:

صَلَبْنا لَكُم زَيداً على جِذعِ النَّخْلَةِ ... وَلَمْ نَرَ مَهْدِيّاً عَلَىٰ الْجِذْعِ يُصْلَبُ

وَقِسْتُم بِعُثْمانٍ عَلِيّاً سَفاهَةً ... وَعُثْمانُ خَيْرٌ مِنْ عَلِيٍّ وَأَطْيَبُ

إنَّ زيداً إنَّما صلب على جذع نخلة لدفاعه عن حقوق المظلومين والمضطهدين، فقد حوَّلت السلطة الأُمويَّة البلاد الإسلاميَّة إلى مزرعة لهم، كما استعبدت المسلمين وأرغمتهم على ما يكرهون.

ولمَّا بلغ هذا الشعر الإمام الصَّادق عليه السلام تألَّم كأشدّ ما يكون التألُّم، ورفع يديه بالدُّعاء قائلاً: **«اللَّهُمَّ إنْ كَانَ عَبْدُكَ كَاذِباً فَسَلِّطْ عَلَيْهِ كَلْبَكَ»**، واستجاب الله دعاء الإمام، فافترسه أسد وهو يدور في سكك الكوفة.

ولمَّا انتهى خبره إلى الإمام سجد لله شاكراً على استجابة دعائه، وهو يقول: **«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْجَزَنا وَعْدَهُ»**[(٣)].

لقد نكب الإمام الصَّادق عليه السلام وسائر أبناء الأُسرة النبويَّة بقتل زيد الذي كان علماً من أعلام الإسلام، ومن سادات أهل البيت، كما روَّع العالم الإسلامي بأسره، فقد كان قتله وحرق جثَّته من الأحداث الجسام التي تصدَّعت من هولها القلوب.

يقول اليعقوبي: «ولمَّا قتل زيد تحرَّكت الشيعة بخراسان، وظهر أمرهم، وكثر من يأتيهم، ويميل إليهم، وجعلوا يذكرون للناس أفعال بني أُميَّة، وما نالوا من آل رسول الله ﷺ حتَّى لم يبق بلد إلاَّ فشا فيه هذا الخبر، وظهرت الدعاة، ورئيت المنامات، وتدورست كتب الملاحم»[(٤)].

---

(١) روضة الكافي: ٨/ ٢٦٤، الحديث ٣٨١.

(٢) الأمالي/ المجلسي: ص٥٤. زهرة العقول: ص٧٥.

(٣) السيرة الحلبيَّة: ١/ ٣٢٧.

(٤) تاريخ اليعقوبي: ٣/ ٦٦ ـ ٦٧.

❖ يزيد بن الوليد:

تولَّى قيادة الحكم بعد قتل ابن عمّه الوليد، وهو أوَّل ملك من ملوك بني أُميَّة أُمّه أمَة، يُسمَّى بالناقص، وإنَّما سمِّي بهذا الاسم لأنَّه أنقص أُعطيات الناس، وردَّهم إلى ما كانوا عليه أيَّام هشام(١)، ولم يدم طويلاً، فقد كانت مدَّة حكمه خمسة أشهر ونصف، ثمَّ توفِّي، ولم يتعرَّض الإمام الصَّادق عليه السلام في عهده إلى أي ضغط، وكان يزاول إلقاء محاضراته على طلَّابه بكلّ حريَّة.

❖ إبراهيم بن الوليد:

بويع له بالملك بعهد من أخيه يزيد بن الوليد، ولم يثبت له الأمر، فكان في جمعة يسلّم عليه بالخلافة، وفي جمعة ثانية يسلّم عليه بالإمارة، وفي جمعة ثالثة لا يسلّم عليه بالخلافة ولا بالإمارة، وكانت أُمور الدولة في عهده مضطربة كأشدّ ما يكون الاضطراب، وكانت مدَّة حكمه شهرين وعشرة أيَّام، وقتله مروان بن محمَّد(٢).

❖ مروان بن محمَّد:

هو آخر ملوك بني أُميَّة، وكان من أحزمهم وأقواهم عزماً وشكيمة، تقلَّد الحكم في وقت عمَّت فيه الفتن، ونيران الاضطرابات قد اندلعت في أيَّامه في معظم أقاليم الدولة الإسلاميَّة، فلا تخمد نار الحرب في إقليم حتَّى تستعر في إقليم آخر، وقد جهدت الحكومة، وضعف كيانها العسكري والاقتصادي.

دعاة العلويّين:

وأخذ دعاة العلويّين يجوبون بحريَّة تامَّة مختلف البلاد الإسلاميَّة، وهم يدعون الناس إلى الرِّضا من آل محمَّد صلى الله عليه وآله، وكان من أساليب دعوتهم أنَّهم يقولون للناس:

ـ هل فيكم أحد يشكّ أنَّ الله تعالى بعث محمَّداً واصطفاه؟

ـ لا.

ـ أفتشكّون أنَّ الله أنزل عليه كتابه فيه حلاله وحرامه وشرائعه؟

ـ لا.

---

(١) الكامل في التاريخ: ٥/ ٢٩١.

(٢) الأخبار الطوال: ص٣٥٠.

ـ أفتظنّونه خلّفه عند غير أهله وعترته؟

ـ لا.

ـ أفتشكّون أنَّ أهل البيت معدن العلم، وأصحاب ميراث رسول الله ﷺ الذي علّمه الله؟

ـ لا[١].

وغزت هذه الدعوة القلوب، واستجابت الجماهير بكلّ شوق ورغبة لحكم أهل البيت ﷺ، وكان من جملة الدعاة المنصور الدوانيقي، فكان يجوب في الأرياف، وينشد مدائح أهل البيت ﷺ، لقد آمن المسلمون بهذه الدعوة، واعتبروها قاعدة أساسيَّة لتطوُّرهم وإنقاذهم من ظلم الأُمويّين وجورهم.

مؤتمر الأبواء:

وعقد الهاشميّون مؤتمراً لهم في الأبواء تداولوا فيه شؤون الدعوة، وتعيين المرشَّح للخلافة من بينهم، وقد حضره كل من إبراهيم الإمام، والسفَّاح، والمنصور، وصالح بن عليّ، وعبد الله بن الحسن، وإبناه محمَّد وإبراهيم، ومحمَّد بن عبد الله بن عمرو، وغيرهم، وقام فيهم صالح بن عليّ خطيباً، فقال: «إنَّكم القوم الذين تمتدّ أعين الناس إليهم، فقد جمعكم الله في هذا الموضع، فاجتمعوا على بيعة أحدكم، وتفرَّقوا في الآفاق، وادعوا الله لعلَّ الله أن يفتح عليكم وينصركم».

وانبرى أبو جعفر المنصور فأعلن تأييده لمقالة صالح قائلاً: «لأي شيء تخدعون أنفسكم، والله لقد علمتم ما الناس أميل أعناقاً، ولا أسرع إجابةً منهم إلى هذا الفتى ـ وأشار بيده إلى محمَّد بن عبد الله بن الحسن ـ.

وأسرعوا قائلين: «صدقت، إنَّا لنعلم هذا».

وقاموا جميعاً فبايعوا محمَّداً، وبايعه إبراهيم الإمام، والمنصور، والسفَّاح، وسائر من حضر المؤتمر[٢]، ولم يف العبَّاسيّون بهذه البيعة، فقد خاسوا بعهدهم، ونقضوا ميثاقهم، وأخذوا يعملون بالخفاء لأنفسهم، وأفهموا دعاتهم بذلك، وأوصوهم بالكتمان خوفاً من انتفاضة العلويّين عليهم، وعدم استجابة الناس لهم إذ لم تكن لهم أي ركيزة اجتماعيَّة، ولم يكن لهم تاريخ ناصع.

---

(١) الكامل في التاريخ: ٥/ ١٧.

(٢) مقاتل الطالبيّين: ص٢٥٦.

وعلى أيّة حال، فقد اتَّخذ العبَّاسيّون الدعوة إلى العلويّين شعاراً لهم لينالوا ثقة الأُمَّة، ويكسبوا ودّ العلويّين لهم[١].

انتخاب أبي مسلم:

وانتخب إبراهيم الإمام عميد الأُسرة العبَّاسيَّة غلامه أبا مسلم الخراساني قائداً عامًّا للحركة الانقلابيَّة، وألزم الدعاة والشيعة بطاعته، وكتب إلى الشيعة في الكوفة وخراسان: «إنِّي قد أمرت أبا مسلم بأمري، فاسمعوا له وأطيعوا، وقد أمَّرته على خراسان وما غلب عليه»[٢].

في خراسان:

وحينما تمَّ ترشيح أبي مسلم زعيماً عامًّاً للقيادة العسكريَّة من قِبل إبراهيم الإمام، توجَّه من فوره إلى خراسان ليقود الجماهير لحرب الأُمويّين، وحين وصوله التقى بالدعاة، فخطب فيهم قائلاً: «أشعروا قلوبكم الجرأة، فإنَّها من أسباب الظفر، وأكثروا من ذكر الضغائن، فإنَّها تبعث على الإقدام، والزموا الطاعة فإنَّها حصن المحارب...»[٣].

ومثَّلت هذه الوصيَّة خبرته العسكريَّة، فقد دعا إلى الإقدام، وذكر الضغائن، والالتزام بالطاعة، وهذه الأُمور من أهمّ الأسباب للظفر والتغلُّب على الأعداء. وأخذ أبو مسلم ينظِّم الحركة تنظيماً دقيقاً ورائعاً، وكان يصوِّر للناس فساد الحكم الأُموي وجوره وظلمه، وأنَّ الحكم الجديد سوف ينشر العدل والرخاء والرفاهية بين الناس، وقد استجابت له الجماهير، والتفّوا حوله، وبذلك فقد تكوَّنت النواة الأُولى لجيوش بني العبَّاس، وكان من مهارته العسكريَّة أنَّه استغل العصبيَّة القبليَّة بين اليمانيّين والمضريّين، فقد أخذ يغذِّي هذه الظاهرة العدائيَّة ويوقد نارها، فكلَّما أوشك جمعهم أن يلتئم على حربه أوغر صدور طائفة على أُخرى، وبذلك فقد شغلهم عن مناجزته ومقاومته.

وانبرت جيوش أبي مسلم تحتلّ المدن والحصون، وتلحق بالأُمويّين الخسائر

---

(١) حياة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام: ١/ ٣٢٤.

(٢) تاريخ الطبري: ٦/ ١٤، أحداث سنة ١٢٨هـ.

(٣) العقد الفريد: ١/ ١٥٨.

الفادحة في الأرواح والأموال، ولم يستطع نصر بن سيَّار الوقوف أمام تلك القوى الهائلة، فانهزم راكباً جواده وسلك المفازة بين الريّ وهمدان، فمات بها كمداً[1]، وبعدما احتلَّ أبو مسلم خراسان وما والاها من المدن والقوى اتّجه بعد ذلك إلى تحرير العراق، وسارت جيوشه كالموج تخفق عليها الرايات السود التي هي شعار بني العبَّاس، فقامت باحتلال العراق من دون أن تلاقي أي مقاومة تذكر، وقد برزت بذلك حكومة بني العبَّاس على يد أبي مسلم.

موقف الإمام الصَّادق عليه السلام:

وتميَّز موقف الإمام الصَّادق عليه السلام بالحياد، وعدم القيام بأيِّ نشاط سياسي، فإنَّه كان يعلم بإخفاقه، وعدم عائدته على الأُمَّة بأيّ مكسب سوى الضرر الشامل الذي يجرُّ للمجتمع كثيراً من النكبات والخطوب، وقد أصرَّ الإمام عليه السلام على هذه الخطَّة في موقفه مع العلويّين، ومع دعاة الدولة العبَّاسيَّة، وبيان ذلك.

الإمام عليه السلام مع العلويِّين:

واستشفَّ الإمام الصَّادق عليه السلام من وراء الغيب أنَّ الخلافة بعد سقوط الدولة الأُمويَّة لا بدَّ أن تؤول إلى العبَّاسيِّين، وليس للسادة العلويِّين فيها أي نصيب، وكان يمعن في نصحهم، وتحذيرهم من التصدِّي لطلب الحكم، وقد روى المؤرّخون بوادر كثيرة من تحذيره لأبناء عمِّه من مقاومة العبَّاسيِّين ومناهضتهم، وممَّا رواه المؤرّخون أنَّ العلويّين والعبَّاسيّين أيَّام الحكم الأُموي اجتمعوا واتّفقوا على مبايعة محمَّد ذي النفس الزكيَّة، فأرسلوا خلف الإمام الصَّادق عليه السلام وعرضوا عليه ذلك فنهاهم وقال لهم: «**لَا تَفْعَلوا فَإِنَّ الأَمْرَ لَمْ يَأْتِ بَعْدُ**».

وحسب عبد الله بن الحسن أنَّ ذلك حسداً من الإمام لابنه، فنظر إليه برحمة وشفقة، وكشف له الواقع الذي يجهله عبد الله قائلاً: «**لَا وَاللَّهِ مَا ذَاكَ** ـ يعني الحسد ـ **يَحْمِلُنِي، وَلَكِنَّ هَذَا** ـ وأشار إلى أبي العبَّاس السفَّاح ـ **وَإِخْوَتَهُ وَأَبْنَاءَهُمْ دُونَكُمْ**».

ونهض الإمام عليه السلام متأثِّراً، فتبعه عبد الصمد وأبو جعفر المنصور، فقالا له: يا أبا عبد الله، أتقول ذلك؟

لقد أرادا أن يطلعهم على الأمر، فقد كانا عالمَين بما خصَّ الله به الإمام من علم.

(١) مروج الذهب: ٢/ ٢٠٤.

فقال عليه السلام لهما: **«نَعَمْ وَاللَّهِ أَقولُهُ وَأَعْلَمُهُ»**(١).

لقد كان على يقين لا يخامره الشكّ أنَّ الملك يؤول إلى بني العبَّاس، وليس للعلويّين فيه أي نصيب، وقد بالغ عليه السلام في نصيحة عبد الله بن الحسن في أن يعزب عن الخلافة، ولا يورِّط نفسه وابنيه، وكان ممَّا قال له: **«إنَّها** ـ أي الخلافة ـ **وَاللَّهِ مَا هِيَ إِلَيْكَ، وَلَا إِلَىٰ ابْنَيْكَ، وَلَكِنَّها لِهَؤُلَاءِ** ـ وأشار إلى بني العبَّاس ـ **وَإِنَّ ابْنَيْكَ لَمَقْتولَان»**.

مع أبي سلمة:

ولمَّا أشرفت الدولة الأُمويَّة على السقوط تحت وطأة ضربات الجيوش العبَّاسيَّة، رأى أبو سلمة الذي كان يلقَّب بوزير آل محمَّد صلى الله عليه وآله أن يحوِّل الخلافة إلى العلويّين، وسواء أكان ذلك عن جدٍّ وإخلاص أم عن مكيدة وخديعة، فقد كتب إلى ثلاثة من العلويّين يعرض عليهم ما فكَّر به، وهم: الإمام جعفر الصَّادق عليه السلام، وعبد الله المحض، وعمر الأشرف ابن الإمام زين العابدين عليه السلام، وسلَّم رسائله إلى مولى من مواليهم الذين يقطنون بالكوفة، وأوصاه بما يلي: «اقصد أوَّلاً جعفر بن محمَّد الصَّادق عليه السلام، فإن أجاب فأبطل الكتابين الآخرين، فإن لم يجب فالق عبد الله المحض، فإن أجاب فأبطل كتاب عمر الأشرف، وإن لم يجب فالق عمر».

وانطلق الرسول حتَّى انتهى إلى يثرب، فبدأ بمقابلة الإمام الصَّادق عليه السلام فسلَّمه الكتاب، فتناول الكتاب وقرأه، والتفت إلى الرسول فقال له: **مَا أَنَا وَأَبو سَلَمَةَ وَهُوَ شيعَةٌ لِغَيْرِي**.

وانبرى الرسول للإمام قائلاً: اقرأ الكتاب، وأجب عليه بما ترى.

فقال الإمام لخادمه: اذْنِ السِّراجَ مِنِّي، فأدناه، فوضع الكتاب على النار حتَّى احترق.

فقال له الرسول: ألا تجيبه؟

قَدْ رَأَيْتَ الْجَوَابَ.

وتمثَّل الإمام عليه السلام ببيت للكميت:

فَيا مُوقِداً ناراً لِغَيْرِكَ ضَوْؤها ويا حاطِباً فِي غَيْرِ حَبْلِكَ تَحْطِبُ

---

(١) مقاتل الطالبيّين: ص٢٢٦. حياة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام: ١/ ٣٤٧.

ونظم أبو هريرة الأبَّار تلميذ الإمام الصَّادق عليه السلام حرق الإمام لكتاب أبي سلمة بقوله:

وَلَمَّا دَعا الدَّاعونَ مَوْلَايَ لَمْ يَكُنْ ... لِيُثْنِي عَلَيْهِ عَزْمَهُ بِصَوابِ
وَلَمَّا دَعَوهُ بِالْكِتَابِ أَجَابَهُمْ ... بِحَرْقِ الْكِتَابِ دُونَ رَدِّ جَوَابِ
وَمَا كَانَ مَوْلَايَ كَمُشْرِي ضَلَالَةٍ ... وَلَا مُلْبِساً مِنْهَا الرَّدىٰ بِثَوابِ
وَلَكِنَّهُ لِلَّهِ فِي الأَرْضِ حُجَّةٌ ... دَلِيلٌ إِلَىٰ خَيْرٍ وَحُسْنِ مَآبِ[1]

فخرج الرسول آيساً من عنده، وأتى عبد الله بن الحسن، ودفع إليه الكتاب فقرأه وابتهج، فلمَّا كان من الغد أتى منزل الإمام الصَّادق عليه السلام فقابله الإمام بمزيد من الحفاوة والتكريم، وقال له: **يَا أَبَا مُحَمَّدٍ ما أَتَىٰ بِكَ؟**

- هو أجلّ من أن يوصف.

- **مَا هُوَ؟**

- هذا كتاب أبي سلمة يدعوني إلى الخلافة، وقد قدمت عليه شيعتنا من أهل خراسان.

فنظر إليه الإمام بعطف ورفق، وقدَّم له النصيحة، وعرَّفه أنَّ هذا لا واقع له قائلاً:

يا أبا مُحَمَّدٍ، وَمَتىٰ كَانَ أَهْلُ خُراسانَ شِيعَةً لَكَ؟ أَنْتَ بَعَثْتَ أَبَا مُسْلِمٍ إِلَىٰ خُراسانَ، وَأَنْتَ أَمَرْتَهُمْ بِلِبْسِ السَّوادِ، هَلْ تَعْرِفُ أَحَداً مِنْهُمْ بِاسْمِهِ أَوْ بِصورَتِهِ؟ فَكَيْفَ يَكُونونَ شِيعَةً لَكَ، وَأَنْتَ لَا تَعْرِفُهُمْ وَهُمْ لَا يَعْرِفُونَكَ.

لقد وضع الإمام عليه السلام الحروف على النقاط، وكلَّمه بمنطق العقل، إلاَّ أنَّ عبد الله أخذ يحاججه بحجج هي أوهى من بيت العنكبوت، وقطع الإمام حديثه، وقال له:

قَدْ عَلِمَ اللَّهُ أَنِّي أَوْجِبُ النُّصْحَ عَلَىٰ نَفْسِي لِكُلِّ مُسْلِمٍ، فَكَيْفَ أُوَخِّرُهُ عَنْكَ، فَلَا تُمَنِّ نَفْسَكَ الأَبَاطِيلَ، فَإِنَّ هَذِهِ الدَّوْلَةَ سَتَتِمُّ لِهَؤُلَاءِ - يعني بنَي العبَّاس - **وَقَدْ جَاءَنِي مِثْلُ هَذَا الْكِتَابِ الَّذِي جَاءَكَ**[2].

ندم أبي مسلم:

واستبان لأبي مسلم واقع العبَّاسيِّين، وأنَّهم لا نصيب لهم من الوفاء، وأنَّهم كالأُمويِّين قد تنكَّروا لجميع الصفات الكريمة التي يعتزّ بها الإنسان. لقد كتب أبو مسلم

---

(١) المناقب: ٤/ ٢٣٠.

(٢) مروج الذهب: ٣/ ١٨٤. الآداب السلطانيَّة: ص١٣٧.

رسالة إلى الإمام الصَّادق عليه السلام جاء فيها: «إنِّي قد أظهرت الكلمة، ودعوت الناس عن موالاة بني أُميَّة إلى موالاة أهل البيت، فإن رغبت فلا مزيد عليك».

فأجابه الإمام عليه السلام برسالة تمثَّلت فيها الحكمة والإدراك لحقائق الأُمور، وجاء فيها: **«ما أَنْتَ مِنْ رِجَالِي، ولَا الزَّمانُ زَمَانِي»**[1].

موقف الإمام الصَّادق عليه السلام:

أمَّا موقف الإمام الصَّادق عليه السلام تجاه الأُمويِّين فكان يمثِّل الشرف وسموَّ الذات، فقد انتقد القتل الجماعي للأُمويِّين، وطلب من السفَّاح الكفّ عن قتلهم بعدما أخذ الملك من أيديهم، ودُهش السفَّاح وتعجَّب من موقف الإمام تجاه ألدّ أعدائه الذين صبّوا عليهم جميع ألوان الظلم، ولم يعلم السفَّاح أنَّ الإمام عليه السلام الذي هو من ثمرات الشجرة النبويَّة بعيد كلّ البعد عن التشفِّي والانقياد للعواطف والأهواء، فهو من معدن الرحمة والرأفة والبرّ والإحسان.

وقبل أن نطوي الحديث عن ملوك الأُمويِّين نودّ أن نبيِّن أنَّ الإمام الصَّادق عليه السلام قد أدرك ثلاث سنين من خلافة عبد الملك بن مروان، وتسع سنين وثمانية أشهر من خلافة الوليد بن عبد الملك، وثلاث سنين وثلاثة أشهر وخمسة أيَّام من حكم سليمان، وسنتين وخمسة أشهر من خلافة عمر بن عبد العزيز، وأربع سنوات وشهراً من خلافة الوليد بن يزيد، وستّة أشهر من حكم يزيد بن الوليد، وبقيَّة أيَّام مروان بن محمَّد حتَّى زال حكمهم في سنة ١٣٢هـ.

وقد شاهد الإمام الصَّادق عليه السلام في تلك الفترات الرهيبة صنوفاً من الظلم والجور صبَّها الأُمويّون على العلويِّين وشيعتهم، وكان يطرق سمعه سبّ جدّه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على المنابر والمآذن، وفي خطب الجمعة والأعياد، وفي كلّ مناسبة رسميَّة، وكان يرى بعض ولاة المدينة يجمع العلويِّين يوم الجمعة قريباً من المنبر ليسمعهم شتم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وانتقاصه.

وعلى أيّة حال، فإنَّ الفترة التي عاشها الإمام في أيَّام الحكم الأُموي كانت مضطربة كأشدّ ما يكون الاضطراب، فقد أُزهقت النُّفوس، وسفكت الدماء، واختلَّ نظام الأمن، واختلف الناس فيما بينهم كأشدّ ما يكون الاختلاف، وكان ذلك ناجماً عن سوء السياسة الأُمويَّة، فهي التي ساست الناس بسياسة بعيدة عن الوعي والفكر.

---

(١) الملل والنحل: ١/ ٢٤١.

الإمام الصادق عليه السلام في عهد السفَّاح

حكومة السفَّاح:

وتسلَّم السفَّاح قيادة الدولة الإسلاميَّة بعد أن اختلسها من السادة العلويِّين، فقد اتّجه مع حاشيته إلى الجامع الأعظم في الكوفة، فأدَّىٰ فريضة الصلاة، ثمَّ ارتقى أعواد المنبر، وكان موعوكاً فخطب الناس وكان من جملة خطابه: «يا أهل الكوفة، أنتم محلّ محبَّتنا، ومنزل مودَّتنا، أنتم الذين لم تتغيَّروا عن ذلك، ولم يثنكم عنه تحامل أهل الجور عليكم، حتَّى أدركتم زماننا، وأتاكم الله بدولتنا، فأنتم أسعد الناس بنا، وأكرمهم علينا، وقد زدتكم في عطياكم مائة درهم، فأنا السفَّاح، والثائر المنيح».

وقد استقبلت الكوفة بيعة السفَّاح بكثير من القلق والوجوم والاضطراب، فقد كانت تترقَّب بفارغ الصبر حكومة العلويِّين ليبسطوا فيهم العدل والأمن والرخاء، أمَّا الأوساط الواعية في الكوفة، بل في كافَّة أنحاء العالم الإسلامي فإنَّها قد شجبت البيعة للسفَّاح، وأفتى الفقهاء في يثرب بعدم شرعيّتها.

جهازه الإداري:

أمَّا الجهاز الإداري في حكومة السفَّاح فقد كان غير سليم، فقد استعمل على يثرب ومكَّة واليمن واليمامة عمّه داود بن عليّ، وكان فظّاً غليظ القلب، لم يعرف الرحمة والرأفة.

وداود هو الذي أعدم المعلّىٰ بن خنيس الذي كان من أعلام الشيعة، ومن أخلص الناس للإمام الصَّادق عليه السلام، فقد دعاه داود وسأله عن شيعة الإمام الصَّادق عليه السلام لينكّل بهم، فقال له المعلَّىٰ: «ما أعرف أحداً من أصحاب أبي عبد الله، وإنَّما أنا رجل اختلف في حوائجه، ولا أعرف له صاحباً».

فثار الطاغية وصاح به: «أتكتمني، أما إنَّك إن كتمتني قتلتك».

ولم يحفل المعلَّى بتهديده وقال له بشجاعة: «والله لو كانوا تحت قدمي ما رفعت قدمي عنهم، وإن أنت قتلتني لتسعدني وأشقيك».

وورم أنف الطاغية، وانتفخت أوداجه، وأمر بإعدامه، فطلب المعلّى أن يخرجه إلى السوق، فأخرج إليه، وقد اجتمع الناس حوله، فرفع صوته قائلاً: «أيُّها الناس، أنا معلّى بن خنيس، من عرفني فقد عرفني، اشهدوا أنَّ ما تركت من مال ومن عين أو دين أو عبد أو دار أو قليل أو كثير فهو لجعفر بن محمَّد».

وشدَّ عليه صاحب الشرطة فقتله، لقد قتل هذا المجاهد صابراً محتسباً في سبيل عقيدته ومبادئه، وصادر داود أموال المعلّى، وجزع الإمام الصَّادق عليه السلام جزعاً شديداً على المعلّى، فخرج وقد بدا عليه الغضب فدخل على الطاغية فقال له:

قَتَلْتَ مَوْلَايَ وَأَخَذْتَ مَالِي.

فقال داود: ما أنا قتلته، ولا أخذت مالك.

وثار الإمام عليه السلام فقال له: **لأَدْعُوَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ مَنْ قَتَلَ مَوْلَايَ، وَأَخَذَ مَالِي**.

وهزأ الخبيث من الإمام وقال: إنَّك لتهدّدني بدعائك.

وخرج الإمام من عنده وتوجَّه نحو الله، وأخذ يدعو على الباغي اللئيم، وكان ممَّا قاله في دعائه:

«يا ذا الْقُوَّةِ الْقَوِيَّةِ، وَيا ذَا الْمِحَالِ الشَّدِيدِ، وَيا ذَا الْعِزَّةِ الَّتِي كُلُّ خَلْقِكَ لَهَا ذَلِيلٌ اكْفِنِي هَذا الطَّاغِيَةَ».

ولم يزل الإمام عليه السلام يتضرَّع إلى الله في غلس اللَّيل البهيم في هلاك هذا الطاغية، واستجاب الله دعاء وليّه فانتقم من داود، فقد ارتفعت الأصوات بالصياح عليه في داره، وهلك غير مأسوف عليه، وما ربّك بغافل عمَّا يفعل الظالمون.

إنَّ الجهاز الإداري في حكومة السفَّاح والمنصور كان مثالاً للظلم والجور، ولا يقلّ في مآسيه عمَّا كان في أيَّام الحكم الأُموي.

موقف الإمام عليه السلام من السفَّاح:

أمَّا موقف الإمام الصَّادق عليه السلام في عهد السفَّاح، فقد كان متّسماً بالحكمة والسداد، فلم يتعرَّض للحكم القائم بأي لون من ألوان المعارضة، فقد اتّجه الإمام صوب العلم يذيعه وينشره بين المسلمين، وقد احتفَّ به طلَّاب العلوم، وهم ينتهلون من نمير علومه، وقد أوجد الإمام في تلك الفترة وعياً علميَّاً أصيلاً، عاد على الأُمَّة بخير عميم، كما أنَّ السلطة لم تتَّخذ معه أي إجراء قاسٍ إلاَّ أنَّها ظلَّت تراقبه، وتحصي عليه أنفاسه؛ لأنَّه

سيِّد العترة الطاهرة، وعملاق الفكر الإسلامي، فرأته مشغولاً بالعلم يذيعه وينشره بين الناس قد أعرض عن الشؤون السياسيَّة.

انتقاله إلى الحيرة:

وانتقل الإمام في عهد السفَّاح من يثرب إلى الكوفة، ثمَّ أقام في الحيرة التي عرفت بطيب هوائها وازدهارها، وأكبر الظنّ أنَّ ذلك لم يكن ناجماً عن ضغط سياسي وفرض إقامة جبريَّة عليه من قِبل السلطة العبَّاسيَّة، وإنَّما كان ذلك ناشئاً عن رغبة ملحَّة لسكنى الكوفة التي كانت المركز المهمّ لشيعة أهل البيت عليهم السلام، ومنها انتشر التشيُّع في أنحاء العالم الإسلامي، كما أنَّ أفواج الطلبة التي كانت تتهافت بشوق عارم للانتهال من علوم الإمام كان معظمهم من أهالي الكوفة.

وقد ازدهرت مدينة الكوفة بوجود الإمام الصَّادق عليه السلام، وأصبحت من المراكز العلميَّة المهمَّة في الإسلام، فقد كان جامعها الأعظم يضمّ تسعمائة عالم، وكلّ واحد منهم يرأس حلقة من طلَّاب العلوم يدرِّسها ويغذِّيها بعلوم الشريعة الإسلاميَّة التي أخذوها من الإمام الصَّادق عليه السلام.

ومن الجدير بالذكر أنَّ الإمام عليه السلام كان لا يميل إلى أهالي يثرب؛ لأنَّ معظمهم كانوا من المنحرفين عن أهل البيت، والمعلنين العداء والبغضاء لهم، ولم تضمّ جامعة الإمام التي كانت في يثرب إلاَّ عدداً يسيراً منهم.

وعلى أيِّ حال، فقد احتفَّت الجماهير الحاشدة من أهالي الكوفة بالإمام الصَّادق عليه السلام وهي ترى في شخصيَّته العظيمة امتداداً ذاتياً ومشرقاً لجدّه الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وآبائه الذين أضاؤوا الحياة الفكريَّة في دنيا العرب والإسلام.

ويحدِّثنا محمَّد بن معروف الهلالي عن مدى احتفاء الجماهير بالإمام عليه السلام، يقول: «مضيت إلى الحيرة إلى جعفر بن محمَّد عليه السلام أيام السفَّاح، قد تداك الناس عليه ثلاثة أيَّام متواليات، فما كان لي حيلة، ولا قدرت عليه من كثرة الناس، وتكاثفهم عليه»[1].

زياراته لمرقد جدِّه عليه السلام:

وبقي مرقد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام مستوراً لا يعرفه إلاَّ أبناؤه طيلة الحكم

---

(١) سفينة البحار: ٢/ ٢٠.

الأُموي، وذلك عملاً بوصيَّته عليه السلام، خوفاً عليه من النبش من قِبل الأُمويِّين والخوارج الذين كانوا من ألدّ أعدائه.

ولمَّا انهار الحكم الأُموي قام الإمام الصادق عليه السلام بزيارة المرقد المعظَّم عدَّة مرَّات، وذلك لقرب الحيرة من النجف الأشرف، وكان في كلّ زيارة يقوم بها يصحب معه بعض أعلام شيعته لإرشادهم إلى موضع المرقد المكرَّم، وفيما يلي بعض زياراته:

١ ـ روى أبان بن تغلب، قال: «كنت مع أبي عبد الله عليه السلام، فمرَّ بظهر الكوفة، فنزل فصلَّى ركعتين، ثمَّ قال: **هَذا مَوْضِعُ قَبْرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام**.

فقلت: جُعلت فداك، والموضعين اللذين صلَّيت فيهما؟

فقال: «**مَوْضِعُ رَأْسِ الْحُسَيْنِ عليه السلام، ومَوْضِعَ مِنْبَرِ الْقَائِمِ عليه السلام**»[1].

٢ ـ روى مبارك الخبَّاز، قال: «قال لي أبو عبد الله عليه السلام: **اسْرِجوا الْبَغْلَ والْحِمارَ** فِي وقت ما قدم وهو في الحيرة.

فركب وركبت حتَّى دخل الجرف، ثمَّ نزل فصلَّى ركعتين، ثمَّ تقدَّم قليلاً خطوات أُخر فنزل فصلَّىٰ ركعتين، ثمَّ تقدَّم قليلاً خطوات أُخر فنزل فصلَّىٰ ركعتين، ثمَّ ركب ورجع فقلت له: جُعلت فداك، ما الأولين والثانيتين والثالثتين؟

قال: «**الرَّكْعَتَيْنِ الأُولَيَيْنِ مَوْضِعُ قَبْرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام، والرَّكْعَتَيْنِ الثَّانِيَتَيْنِ مَوْضِعُ رَأْسِ الْحُسَيْنِ عليه السلام، وَالرَّكْعَتَيْنِ الثَّالِثَتَيْنِ مَوْضِعُ مِنْبَرِ الْقَائِمِ عليه السلام**»[2].

٣ ـ روى يونس بن ظبيان، قال: «أتيت أبا عبد الله عليه السلام حين قدم الحيرة، وجرى حديث معه، ثمَّ إنَّه سار معه إلى زيارة مرقد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

قال يونس: لمَّا انتهى الإمام إلى المكان الذي أراد، قال: **يَا يُونُسُ، اقْرِنْ دَابَّتَكَ**، فقرنتها، ثمَّ رفع يديه، ثمَّ دعا ففهمته وعلمته، فقال لي: **يا يُونُسُ، أَتَدْرِي أَيَّ مَكَانٍ هَذَا؟**

فقلت: لا والله، ولكنِّي أعلم أنِّي في الصحراء.

فقال: **هَذَا قَبْرُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام يَلْتَقِي هُوَ وَرَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[3].

٤ ـ روى صفوان بن مهران الجمَّال، قال: «سار الصادق عليه السلام وأنا معه في

---

(١) وسائل الشيعة: ١٠/ ٣١٠.
(٢) وسائل الشيعة: ١٠/ ٣٠٩.
(٣) وسائل الشيعة: ١٤/ ٣٧٨.

القادسية حتَّى أشرف على النجف، فقال: **هَذا هُوَ الْجَبَلُ الَّذِي اعْتَصَمَ بِهِ ابْنُ جَدِّي نُوحٍ، فَقَالَ: ﴿سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ﴾[1]، فَأَوْحَىٰ اللَّهُ تَعَالَىٰ إِلَيْهِ: أَيَعْتَصِمُ بِكَ مِنِّي أَحَدٌ؟ فَغَارَ فِي الأَرْضِ، وَتَقَطَّعَ إِلَىٰ الشَّامِ.**

ثمَّ قال: **اعْدِلْ بِنَا**، فعدلت به، فلم يزل سائراً حتَّى أتى الغريّ فوقف به، ثمَّ أتى القبر، فساق السَّلام من آدم، على نبيّ نبيّ، وأنا أسوق معه السَّلام حتَّى وصل السَّلام إلى النبيّ صلى الله عليه وآله ثمَّ خرَّ على القبر فسلَّم عليه وعلا نحيبه، ثمَّ قام فصلَّىٰ أربع ركعات[2] وصلَّيت معه.

فقلت: يابن رسول الله صلى الله عليه وآله، ما هذا القبر؟

فقال: **هَذَا قَبْرُ جَدِّي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام»**[3].

هذه بعض زيارات الإمام الصَّادق عليه السلام لجدّه الإمام أمير المؤمنين سيِّد العترة الطاهرة، وباب مدينة علم النَّبيّ صلى الله عليه وآله.

حثّه على زيارة جدّه عليه السلام:

وتظافرت الأخبار عن الإمام الصَّادق عليه السلام في الحثّ على زيارة قبر جدّه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وهذه بعضها:

١ ـ قال عليه السلام لرجل من شيعته: **«إِنَّ إِلَىٰ جَانِبِ كوفانٍ قَبْراً ما أَتَاهُ مَكْرُوبٌ قَطُّ فَصَلَّىٰ عِنْدَهُ رَكْعَتَيْنِ أَوْ أَرْبَعَ إِلَّا نَفَّسَ اللَّهُ كَرْبَهُ، وَقَضَىٰ حَاجَتَهُ.**

قال: قلت: قبر الحسين بن عليّ؟

فقال لي برأسه: **لَا**.

فقلت: قبر أمير المؤمنين؟

فقال برأسه: **نَعَمْ»**[4].

٢ ـ قال عليه السلام: **«مَنْ تَرَكَ زِيارَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام لَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ إِلَيْهِ، أَلَا تَزورون مَنْ تَزورُهُ الْمَلَائِكَةُ»**[5].

---

(١) سورة هود: الآية ٤٣.
(٢) وفي رواية: «فصلَّىٰ ستّ ركعات».
(٣) وسائل الشيعة: ١٠/ ٢٩٦.
(٤) وسائل الشيعة: ١٠/ ٢٩٥.
(٥) وسائل الشيعة: ١٠/ ٢٩٤.

٣ ـ قال ابن مارد للإمام أبي عبد الله عليه السلام: «ما لمن زار جدّك أمير المؤمنين عليه السلام؟

قال عليه السلام: يابْنَ مَارِدٍ، مَنْ زَارَ جَدِّي عَارِفاً بِحَقِّهِ، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ حِجَّةً مَقْبولَةً، وَعُمْرَةً مَبْرورَةً.

وَاللَّهِ يَابْنَ مَارِدٍ مَا تَطْعَمُ النَّارُ قَدَماً تَغَبَّرَتْ فِي زِيَارَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام، مَاشِياً كَانَ أَوْ رَاكِباً.

يَابْنَ مَارِدٍ، اكْتُبْ هَذَا الْحَدِيثَ بِمَاءِ الذَّهَبِ»[1].

زياراته لمرقد الحسين عليه السلام:

زار الإمام الصّادق عليه السلام حينما كان في الحيرة مرقد جدّه الإمام الحسين عليه السلام، ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله، وسيّد شباب أهل الجنّة صلوات الله عليه.

دعاؤه عليه السلام لزوّار الحسين عليه السلام:

من المكاسب المهمّة، والفوائد العظيمة التي يظفر بها الزائرون لمرقد سيّد الشُّهداء عليه السلام دعاء الإمام الصّادق عليه السلام بهذا الدُّعاء العظيم لهم، استمعوا له:

روى معاوية بن وهب، قال: «استأذنت على أبي عبد الله عليه السلام فأذن لي، فدخلت عليه فوجدته في مصلّاه، فجلست حتّى قضى صلاته، فسمعته يناجي ربّه وهو يقول:

يَا مَنْ خَصَّنَا بِالْكَرَامَةِ، وَوَعَدَنَا الشَّفَاعَةَ، وَحَمَّلَنَا الرِّسَالَةَ، وَجَعَلَنَا وَرَثَةَ الْأَنْبِيَاءِ، وَخَتَمَ بِنَا الْأُمَمَ السَّالِفَةَ، وَخَصَّنَا بِالْوَصِيَّةِ، وَأَعْطَانَا عِلْمَ مَا مَضَى وَعِلْمَ مَا بَقِيَ، وَجَعَلَ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْنَا. اغْفِرْ لِي، وَلِإِخْوَانِي، وَزُوَّارِ قَبْرِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ، الَّذِينَ أَنْفَقُوا أَمْوَالَهُمْ، وَأَشْخَصُوا أَبْدَانَهُمْ رَغْبَةً فِي بِرِّنَا، وَرَجَاءً لِمَا عِنْدَكَ فِي صِلَتِنَا، وَسُرُوراً أَدْخَلُوهُ عَلَى نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله، وَإِجَابَةً مِنْهُمْ لِأَمْرِنَا، وَغَيْظاً أَدْخَلُوهُ عَلَى عَدُوِّنَا، أَرَادُوا بِذَلِكَ رِضْوَانَكَ، فَكَافِهِمْ عَنَّا بِالرِّضْوَانِ، وَاكْلَأْهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَاخْلُفْ عَلَى أَهَالِيهِمْ وَأَوْلَادِهِمُ الَّذِينَ خُلِّفُوا بِأَحْسَنِ الْخَلَفِ، وَاصْحَبْهُمْ وَاكْفِهِمْ شَرَّ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ، وَكُلِّ ضَعِيفٍ مِنْ خَلْقِكَ أَوْ شَدِيدٍ، وَشَرَّ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، وَأَعْطِهِمْ أَفْضَلَ مَا أَمَّلُوا مِنْكَ فِي غُرْبَتِهِمْ عَنْ أَوْطَانِهِمْ، وَمَا آثَرُونَا عَلَى أَبْنَائِهِمْ وَأَهَالِيهِمْ وَقَرَابَاتِهِمْ.

---

(١) وسائل الشيعة: ١٤/ ٣٧٦.

اللَّهُمَّ إِنَّ أَعْدَاءَنَا عَابُوا عَلَيْهِمْ خُرُوجَهُمْ، فَلَمْ يَنْهَهُمْ ذَلِكَ عَنِ النُّهُوضِ وَالشُّخُوصِ إِلَيْنَا خِلَافاً عَلَيْهِمْ، فَارْحَمْ تِلْكَ الْوُجُوهَ الَّتِي غَيَّرَتْهَا الشَّمْسُ، وَارْحَمْ تِلْكَ الْخُدُودَ الَّتِي تُقَلَّبُ عَلَى قَبْرِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ، وَارْحَمْ تِلْكَ الْأَعْيُنَ الَّتِي جَرَتْ دُمُوعُهَا رَحْمَةً لَنَا، وَارْحَمْ تِلْكَ الْقُلُوبَ الَّتِي جَزِعَتْ وَاسْتَرَقَّتْ لَنَا، وَارْحَمْ تِلْكَ الصَّرْخَةَ الَّتِي كَانَتْ لَنَا.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَوْدِعُكَ تِلْكَ الْأَنْفُسَ وَتِلْكَ الْأَبْدَانَ حَتَّى تُرَوِّيَهِمْ مِنَ الْحَوْضِ يَوْمَ الْعَطَشِ.

فَمَا زَالَ عليه السلام يَدْعُو بِهَذَا الدُّعَاءِ وَهُوَ سَاجِدٌ، فَلَمَّا انْصَرَفَ قُلْتُ لَهُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، لَوْ أَنَّ هَذَا الَّذِي سَمِعْتُهُ مِنْكَ كَانَ لِمَنْ لَا يَعْرِفُ اللَّهَ لَظَنَنْتُ أَنَّ النَّارَ لَا تَطْعَمُ مِنْهُ شَيْئاً أَبَداً. وَاللَّهِ لَقَدْ تَمَنَّيْتُ أَنِّي كُنْتُ زُرْتُهُ وَلَمْ أَحُجَّ.

فَقَالَ لِي: مَا أَقْرَبَكَ مِنْهُ، فَمَا الَّذِي يَمْنَعُكَ مِنْ زِيَارَتِهِ. يَا مُعَاوِيَةُ، لَا تَدَعْ ذَلِكَ.

قَالَ: قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، لَمْ أَدْرِ أَنَّ الْأَمْرَ يَبْلُغُ هَذَا كُلَّهُ.

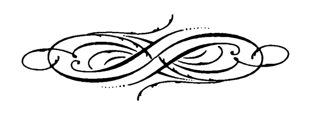
فَقَالَ لي: يَا مُعَاوِيَةُ، وَمَنْ يَدْعُو لِزُوَّارِهِ فِي السَّمَاءِ أَكْثَرُ مِمَّنْ يَدْعُو لَهُمْ فِي الْأَرْضِ، لَا تَدَعْهُ لِخَوْفٍ مِنْ أَحَدٍ، فَمَنْ تَرَكَهُ لِخَوْفٍ رَأَى مِنَ الْحَسْرَةِ مَا يَتَمَنَّى أَنَّ قَبْرَهُ كَانَ عِنْدَهُ، أَمَا تُحِبُّ أَنْ يَرَى اللَّهُ شَخْصَكَ وَسَوَادَكَ فِيمَنْ يَدْعُو لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَعَلِيٌّ وَفَاطِمَةُ وَالْأَئِمَّةُ عليهم السلام؟

أَمَا تُحِبُّ أَنْ تَكُونَ غَداً مِمَّنْ يَنْقَلِبُ بِالْمَغْفِرَةِ لِمَا مَضَى، وَتُغْفَرُ لَهُ ذُنُوبُ سَبْعِينَ سَنَةً؟

أَمَا تُحِبُّ أَنْ تَكُونَ غَداً مِمَّنْ تُصَافِحُهُ الْمَلَائِكَةُ؟

أَمَا تُحِبُّ أَنْ تَكُونَ غَداً فِيمَنْ يَخْرُجُ وَلَيْسَ عَلَيْهِ ذَنْبٌ فَيُتْبَعَ بِهِ؟

أَمَا تُحِبُّ أَنْ تَكُونَ غَداً فِيمَنْ يُصَافِحُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ»[1].



(١) وسائل الشيعة: ١٠/ ٣٢٠ ـ ٣٢١.

الإمام الصَّادق عليه السلام في عهد المنصور

حكومة المنصور

عناصره النفسيَّة:

ولم يتمتَّع المنصور بأيّة صفة كريمة، ولا بنزعة شريفة، فقد تمرَّس في الغدر والظلم والاعتداء على الناس، وفيما يلي عرض لبعض عناصره ومقوّماته النفسيَّة:

البخل:

وأسرف المنصور في البخل، فقد سيطرت عليه هذه الظاهرة، وكانت من أبرز صفاته.

شحّه على نفسه:

ومن أبشع ألوان البخل، وأشدّها خساسة بخل الإنسان وشحّه على نفسه، فإنَّ ذلك من ضروب اللؤم وانحطاط النفس، وقد تميَّز الدوانيقي بهذه الظاهرة، فقد حرَّم على نفسه لذائذ الحياة، فكان يتحاشى النعم، ويلبس ما خشن من الثياب، وربَّما رقَّع قميصه بيده، وعلَّق الإمام الصَّادق عليه السلام على ذلك بقوله: **«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي ابْتَلَاهُ بِفَقْرِ نَفْسِهِ فِي مُلْكِهِ»**[1].

وقال جماعة للإمام الصَّادق عليه السلام: إنَّ أبا جعفر المنصور لا يلبس مذ صارت الخلافة إليه إلاَّ الخشن، ولا يأكل إلاَّ الجشب.

فقال عليه السلام: **«يا وَيْحَهُ مَعَ مَا مُكِّنَ لَهُ مِنَ السُّلْطَانِ، وَجُبِيَ لَهُ مِنَ الْخَرَاجِ»**.

فانبروا قائلين: إنَّما يفعل ذلك بخلاً وجمعاً للمال.

فقال عليه السلام: **«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي حَرَمَهُ مِنْ دُنْيَاهُ، وَمَا تَرَكَ لَهُ مِنْ دِينِهِ»**[2].

---

(١) الفخري: ص١١٥.

(٢) زهر الآداب: ١/ ٨٤.

ورأته إحدى جواريه وعليه قميص، مرقَّع، فسخرت منه، وقالت: أخليفة وثوب مرقَّع؟!

فضحك وقال لها: ويحك أما سمعت قول الشاعر ابن هَرْمَة:

قَـدْ يُـدْرِكُ الـشَّـرفَ الْـفَـتـىٰ ورداؤه خَـلِـقٌ وَجَـيْـبُ قَـمِـيـصِـهِ مَـرقُـوعُ[١]

استبداده:

وثمَّة ظاهرة أُخرى من نزعات المنصور وهي الاستبداد، فقد كان مستبدّاً في جميع أُموره، لا يخضع لعرف ولا لقانون.

الغدر والفتك:

كان المنصور غادراً فاتكاً، يقتل على الظنَّة والتهمة.

ترويعه للمدنيِّين:

قابل المنصور بمزيد من العنف والاضطهاد أهالي يثرب، وسلبهم جميع مقوّماتهم الاقتصاديَّة، فقطع عنهم الميرة في البرّ والبحر[٢].

التنكيل بالعلويِّين:

وامتحن العلويّون امتحاناً عسيراً وشاقّاً في عهد المنصور الدوانيقي الذي سلبت من أفانين نفسه الرحمة والرأفة، ولم يخضع لأي عرف أو قانون.

القبض على العلويِّين:

وانتظر الدوانيقي موسم الحجّ، فلمَّا حان سافر هو وحاشيته إلى بيت الله الحرام، وبعد انتهائه من مراسيم الحجّ قفل راجعاً إلى يثرب، وقد صحب معه عقبة بن سلم الذي كان عيناً له على السادة العلويِّين، وقد أوصاه قبل سفره بقوله: إذا لقيني بنو الحسن وفيهم عبد الله فأنا مكرمه، ورافع محلّته[٣]، وداع بالغذاء، فإذا فرغنا من طعامنا فلحظتك، فامتثل بين يديه، فإنَّه سيصرف عنك بصره، فاستدر حتَّى ترمز ظهره بإبهام رجلك حتَّى يملأ عينه منك، ثمَّ حسبك وإيَّاه أن يراك ما دام يأكل.

---

(١) تاريخ الخلفاء: ص٢٦٧.

(٢) الكامل في التاريخ: ٥/ ٢٦١.

(٣) في تاريخ الطبري: «ورافع مجلسه».

ولمَّا انتهى المنصور إلى يثرب استقبله السادة الحسنيّون وفيهم عبد الله بن الحسن، فأجلسه المنصور إلى جانبه، ودعا بالغداء فأصابوا منه، فقام عقبة ونفَّذ ما عهد إليه المنصور، وجلس أمامه، ففزع منه عبد الله وقال للمنصور: أقلني أقالك الله.

فصاح الخبيث الدنس: لا أقالني الله إن أقلتك، وأمر أن يكبَّل بالحديد، ويزجّ في السجن، فكبّل مع جماعته من العلويِّين وحُبس في بيت مروان، وألقيت تحته ثلاث من حقائب الإبل محشوَّة بالتبن، ودخل عليه جماعة بعثهم والي المدينة فجعلوا يحذِّرونه من بطش المنصور ونقمته، وطلبوا منه أن يخبرهم بمكان ولديه لينجو من السجن، فالتفت إلى الحسن بن زيد فقال له: يابن أخي، والله لبليتي أعظم من بليَّة إبراهيم عليه السلام. إنَّ الله عزَّ وجلَّ أمر إبراهيم أن يذبح ابنه، وهو لله طاعة، فقال إبراهيم: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ﴾[1]، وإنَّكم جئتموني في أن آتي بابنيَّ هذا الرجل فيقتلهما وهو لله عزَّ وجلَّ معصية، فوالله يابن أخي لقد كنت على فراشي فما يأتيني النوم، وإنِّي على ما ترى أطيب نوماً[2].

حملهم إلى العراق:

ومكث السادة الأجلَّاء في سجن الطاغية السفَّاك في يثرب ثلاث سنين، وقد عانوا الضيق والتعذيب.

فجيعة الإمام الصَّادق عليه السلام:

وفجع الإمام الصَّادق عليه السلام وذابت نفسه أسىً وحسرات على ما حلَّ بأبناء عمومته من الأرزاء القاصمة، وبلغ به الحزن أقصاه، لقد أطلَّ الإمام على السادة العلويِّين وهم مقيَّدون بالحديد، وقد اصفرَّت وجوههم، وارتعدت فرائصهم، فأرسل الإمام ما في عينيه من دموع، والتفت إلى الحسن بن زيد قائلاً: **«يا أبا عَبْدِ اللَّهِ، وَاللَّهِ لَا تُحْفَظُ لِلَّهِ حُرْمَةٌ بَعْدَ هَذا[3]، وَاللَّهِ ما وَفَتِ الأَنْصارُ وَلَا أَبْناءُ الانْصارِ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله بِمَا أَعْطوهُ مِنَ الْبَيْعَةِ عَلَىٰ الْعَقَبَةِ»**، وأخذ يشرح له قصَّة العقبة قائلاً:

«إِنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله قَالَ لِعَلِيٍّ: خُذْ عَلَيْهِمُ الْبَيْعَةَ بِالْعَقَبَةِ.

فَقَالَ: كَيْفَ آخُذُ عَلَيْهِمْ؟

---

(١) سورة الصافَّات: الآية ١٠٦.

(٢) مقاتل الطالبيِّين: ص٢١٦.

(٣) في تاريخ الطبري: ٦/ ١٧٤: «بَعْدَ هَؤُلَاءِ».

فَقَالَ ﷺ: عَلَىٰ أَنْ يَمْنَعوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَذُرِّيَّتَهُ مِمَّا يَمْنَعونَ مِنْهُ أَنْفُسَهُمْ وَذَرَارِيهُمْ» ولو وقف الأنصار في يوم السقيفة موقفاً مشرِّفاً وبايعوا سيِّد العترة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لما آلت الخلافة الإسلاميَّة إلى الدوانيقي وأشباهه من الأُمويِّين والعبَّاسيِّين، ولما حلَّت بالأُمَّة الرزايا والخطوب، وإنَّ جميع ما عاناه المسلمون في ماضيهم وحاضرهم، وما يعانونه في مستقبلهم من الأزمات والخطوب كلّ ذلك ناشيء عن الأحداث الرهيبة التي حصلت بالمسلمين بعد وفاة النَّبيّ ﷺ مباشرة.

وعلى أيّة حال، فإنَّ الإمام الصَّادق عليه السلام قد ذابت نفسه أسىً وحسرات، وأخذ يدعو على الأنصار قائلاً: «اللَّهُمَّ فَاشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَىٰ الأَنْصَارِ»[1].

وروى عبد الله بن إبراهيم الجعفري عن السيِّدة خديجة بنت عمر بن عليّ: أنَّ العلويِّين حينما أُوقفوا عند باب المسجد الذي يُقال له باب جبرئيل، طلع عليهم الإمام الصَّادق عليه السلام وعامَّة ردائه مطروح على الأرض، ثمَّ اطّلع من باب المسجد فقال: «لَعَنَكُمُ اللَّهُ يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ - ثلاثاً - ما عَلىٰ هَذَا عَاهَدْتُمْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَلَا بَايَعْتُموهُ، أَما وَاللَّهِ إِنْ كُنْتُ حَرِيصاً، وَلَكِنِّي غُلِبْتُ، وَلَيْسَ لِلْقَضَاءِ مَدْفَعٌ، ثمَّ قام وأخذ إحدى نعليه فأدخلها رجله والأُخرى في يده، وعامَّة ردائه يجرّ في الأرض، ثمَّ دخل بيته فحمَّ عشرين ليلة لم يزل يبكي فيها اللَّيل والنهار[2].

وكان الإمام الصَّادق عليه السلام يتطلَّع بفارغ الصبر إلى التعرُّف على شؤون أبناء عمومته، فقد روى خلَّاد بن عمير الكندي مولى آل حجر بن عديّ، قال: «دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقال: هَلْ لَكَ عِلْمٌ بِآلِ الْحَسَنِ؟

يقول خلَّاد: وكان قد اتّصل بنا عنهم خبر لم نحبّ أن نبدأه به، فقلت له: نرجو أن يعافيهم الله، فتأثّر واندفع يقول: وَأَيْنَ هُمْ مِنَ الْعَافِيَةِ؟ ثمَّ بكى حتَّى علا صوته، وبكينا معه»[3].

ثورة الزكيّ محمَّد:

أمَّا محمَّد بن عبد الله بن الحسن فكان من أجلَّاء السادة، ومن مفاخر العلويِّين، وكان يتمتَّع بجميع صفات الشرف والفضل من العلم والفقه والشجاعة والسخاء.

---

(١) مقاتل الطالبيِّين: ص٢١٩ - ٢٢٠.

(٢) بحار الأنوار: ٤٧/ ٢٨٣.

(٣) بحار الأنوار: ٤٧/ ٣٠٢.

ويقول الرواة: إنَّه كان يشبه جدّه الرسول ﷺ في خلقه وأخلاقه، واعتقد أهل المدينة أنَّه لو جاز أن يبعث الله نبيّاً بعد محمَّد ﷺ لكان هو[١]، وكشف ذلك عمَّا يتمتَّع به هذا السيِّد العظيم من المبادىء الكريمة والمُثل العليا وسموِّ الذات.

وكان عبد الله بن الحسن يمجِّد ولديه، ويدعوهما إلى النضال ضدّ حكومة المنصور قائلاً: «إن منعكما أبو جعفر أن تعيشا كريمين، فلا يمنعكما أن تموتا كريمين»[٢].

ثورة الزكيّ إبراهيم:

أمَّا الزعيم إبراهيم بن عبد الله فهو من أعلام الثائرين في الإسلام، وكان يتمتَّع بسموِّ الأدب، وحسن الأخلاق، وقد أُترعت نفسه بالإيمان بحقّ الأُمَّة، فانطلق إلى ميادين الجهاد لينقذها من العبوديَّة والذُّلِّ، ويحقِّق في رحابها عدل الإسلام وحكم القرآن.

وأعلن إبراهيم في البصرة ثورته الكبرى على المنصور فاستجاب له المسلمون وانضمّوا إلى دعوته، وكان والي البصرة سفيان بن معاوية من المؤيّدين له، وكان على اتّصال دائم معه، يطلع إبراهيم على كلّ ما جدَّ للمنصور من رأي، وساعده في كثير من شؤون الثورة.

إنَّ ثورة إبراهيم القائد الملهم لم تكن بأيِّ حال من الأحوال من أجل متع الحياة ورغباتها، وإنَّما استهدفت إبادة الظلم، والقضاء على الجور المتمثِّل في حكومة المنصور التي أماتت العدل، وأحيت الباطل، والتي كانت امتداداً للحكم الأُموي الجائر.

النيل من الإمام عليّ عليه السلام:

ولمَّا قتل الطاغية السفَّاك الدوانيقي السيِّدين الزكيِّين محمَّد وإبراهيم، وجَّه أحد عملائه وهو شيبة إلى الموسم لينال من رائد العدالة الاجتماعيَّة، وإمام المتَّقين، أمير المؤمنين عليه السلام وأبنائه السادة العظام، كما فعل أسياده الأُمويّون من قبل، وصعد الباغي شيبة على المنبر، وكان الإمام الصَّادق عليه السلام حاضراً، فحمد الله وأثنى عليه ثمَّ قال: «إنَّ عليّ بن أبي طالب شقَّ عصا المسلمين، وخالف أمير المؤمنين، وأراد هذا الأمر - أي الخلافة - لنفسه، فأخَّر الله أُمنيته، وأماته بغيظه، ثمَّ هؤلاء - يعني السادة من أبناء الإمام أمير المؤمنين عليه السلام - يقتلون، وبالدماء يحصون».

---

(١) شذرات الذهب: ١/ ٢١٣.

(٢) مقاتل الطالبيِّين: ص٢٤٣.

ولم يزد على هذه الكلمات حتَّى انبرى إليه الإمام الصَّادق عليه السلام فقال: «**الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَنُصَلِّي عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَأَنْبِيائِهِ الْمُرْسَلِينَ، أَمَّا مَا قُلْتَ مِنْ خَيْرٍ فَنَحْنُ أَهْلُهُ، وَأَمَّا مَا قُلْتَ مِنْ شَرٍّ فَأَنْتَ بِهِ أَوْلىٰ، وَصَاحِبُكَ** ـ يعني المنصور ـ **بِهِ أَحْرَىٰ، يَا مَنْ رَكِبَ غَيْرَ رَاحِلَتِهِ، وَأَكَلَ غَيْرَ زَادِهِ، ارْجِعْ مَأْزوراً**».

ثمَّ التفت الإمام عليه السلام إلى الناس فقال لهم: «**أُخْبِرُكُمْ بِأَبْخَسِ مِنْ ذَلِكَ مِيراثاً، وَأَبْيَنِ مِنْهُ خُسْراناً: مَنْ بَاعَ آخِرَتَهُ بِدُنْيا غَيْرِهِ، وَهُوَ هَذَا** ـ وأشار إلى شيبة ـ»، وتساءل الناس عن هذا الذي ردَّ على شيبة فقيل لهم: إنَّه الإمام جعفر الصَّادق عليه السلام[1].

موقف الإمام عليه السلام من المنصور:

أمَّا موقف الإمام الصَّادق عليه السلام من الطاغية السفَّاك الدوانيقي، فقد تميَّز بالكراهية والبغض له، وعدم الاعتراف بشرعيَّة حكومته، وذلك لما اقترفه من عظيم الجرائم والموبقات في حقِّ العلويِّين وغيرهم، وقد حاول المنصور أن يكسب ودّه، ويجعله من جملة بطانته وحاشيته، فكتب إليه: «لِمَ لا تغشانا كما يغشانا سائر الناس؟».

فأجابه الإمام عليه السلام بمنتهى الصراحة غير حافل بسلطانه: «**لَيْسَ لَنَا مَا نَخافُكَ مِنْ أَجْلِهِ، وَلَا عِنْدَكَ مِنْ أَمْرِ الآخِرَةِ مَا نَرْجوكَ لَهُ، وَلَا أَنْتَ فِي نِعْمَةٍ فَنُهَنِّيكَ عَلَيْهَا، وَلَا تَراها نِقْمَةً فَنُعَزِّيكَ، فَمَا تَصْنَعُ عِنْدَكَ؟**».

لقد أجابه الإمام عليه السلام بالرفض الكامل لمزاملته، والمجيء إليه، وكان جوابه في منتهى الروعة والدقَّة، فإنَّه عليه السلام لم يكن برجوازيّاً ـ كما في لغة العصر ـ حتَّى يخاف على عماراته وأمواله من المصادرة إذا لم يأتِ لزيارته، كما أنَّ المنصور لم يكن من روَّاد الآخرة ولا من الذين يعملون الصالحات حتَّى يزوره الإمام تقرُّباً إلى الله تعالى.

وحاول المنصور أن يخدع الإمام عليه السلام فكتب إليه ثانياً: «إنَّك تصحبنا لتنصحنا».

ورفض الإمام عليه السلام طلبه، وأجابه: «**مَنْ أَرادَ الدُّنْيا فَلَا يَنْصَحُكَ، وَمَنْ أَرادَ الآخِرَةَ فَلَنْ يَصْحَبُكَ**».

وحفل جواب الإمام عليه السلام بالحجَّة القاطعة التي لا مجال للتشكيك فيها، فإنَّ من يريد الدُّنيا وزخرفها، ويتَّصل بالسلطة، فإنَّه لا ينكر عليها ما تقترفه من ظلم وجور، وإنَّما يكون مسدَّداً لها حفاظاً على مصالحه وأغراضه الخاصَّة، وأمَّا من يريد الآخرة فإنَّه يهرب من الاتّصال بالسلطة خوفاً على دينه.

---

(١) تيسير المطالب: ص١١٣.

وبهر المنصور من جواب الإمام وراح يقول: «والله لقد ميَّز عندي من يريد الدُّنيا ممَّن يريد الآخرة، وأنَّه ممَّن يريد الآخرة لا الدُّنيا».

لقد رفض الإمام عليه السلام التقرُّب إلى المنصور، وابتعد عنه كأشدّ ما يكون الابتعاد، وكيف يلتقي سليل النُّبوَّة بالمنصور الذي هو من أئمَّة الظلم والجور في الأرض.

يقول المؤرّخون: إنَّ المنصور سأل الإمام الصَّادق عليه السلام عن الذباب وقد وقع على وجهه، فقال له: «يا أبا عبد الله، لِمَ خلق الله الذباب؟

فأجابه الإمام غير حافل بسلطانه قائلاً: **«لِيُذِلَّ بِهِ الْجَبَابِرَةَ»**.

موقف المنصور من الإمام عليه السلام:

وأُترعت نفس المنصور الدوانيقي بالبغض والكراهية والعداء للإمام الصَّادق عليه السلام بالرغم من عدم اشتراك الإمام بالثورة الكبرى التي قادها السادة العلويِّين ضدّ المنصور، وعدم تشجيعه لها، وكان المنصور على علم بذلك، بل كان هناك ما هو أبعد من هذا، وهو أنَّ الإمام قد بشَّره بالخلافة، وتسلّمه لقيادة الحكم، وعدم تماميَّة الأمر إلى ذي النفس الزكيَّة الذي بايعه المنصور، وكان هذا كافياً لعدم تعرّضه للإمام بمكروه، إلاَّ أنَّه لم يعن بذلك، فقد قابل الإمام بجميع صنوف الظلم والاضطهاد.

الإجراءات القاسية:

لقد دفع المنصور شحّه وحرصه على الملك إلى مقابلة الإمام عليه السلام بأعنف وأقسى ألوان الإرهاق والتنكيل، والتي كان منها ما يلي:

١ ـ حرق دار الإمام عليه السلام.

٢ ـ حجبه عن الناس.

٣ ـ اعتقال الإمام عليه السلام.

٤ ـ عزمه على قتل الإمام عليه السلام.

امتناعه من إجابة المنصور:

دعا المنصور الدوانيقي الإمام الصادق عليه السلام إلى الحضور عنده حينما زار مدينة النَّبي صلى الله عليه وآله فامتنع الإمام من إجابته، وقد روى الربيع ما جرى للإمام معه، قال:

«لَمَّا حَجَّ الْمَنْصُورُ وَصَارَ بِالْمَدِينَةِ سَهِرَ لَيْلَةً فَدَعَانِي، فَقَالَ: يَا رَبِيعُ، انْطَلِقْ فِي وَقْتِكَ هَذَا عَلَى أَخْفَضِ الجَنَاحِ، وَأَلْيَنِ مَسِيرِ، وَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ وَحْدَكَ فَافْعَلْ،

حَتَّى تَأْتِيَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ جعفرَ بْنَ مُحَمَّدٍ، فَقُلْ لَهُ: هَذَا ابْنُ عَمِّكَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ وَيَقُولُ لَكَ: إِنَّ الدَّارَ وَإِنْ نَأَتْ، وَالْحَالَ وَإِنِ اخْتَلَفَتْ، فَإِنَّا نَرْجِعُ إِلَى رَحِمٍ أَمَسَّ مِنَ اليَمِينِ إِلَى الشِمَالِ، وَهُوَ يَسْأَلُكَ الْمَصِيرَ فِي وَقْتِكَ هَذَا، فَإِنْ سَمَحَ بِالْمَسِيرِ مَعَكَ فَأَوْطِهِ خَدَّكَ، وَإِنِ امْتَنَعَ بِعُذْرٍ أَوْ غَيْرِهِ فَارْدُدِ الأَمْرَ إِلَيْهِ فِي ذَلِكَ، فَإِنْ أَمَرَكَ بِالْمَصِيرِ ثَانياً فَيَسِّرْ وَلَا تُعَسِّرْ، وَاقْبَلِ الْعَفْوَ وَلَا تُعَنِّفْ فِي قَوْلٍ وَلَا فِعْلٍ.

وسار الرَّبيعُ إلى الإمام فدخل عليه، فَوَجَدهُ قد استقبل القبلة، وهو ساجد قد أثَّر التراب في وجهه وخدَّيْهِ، فَأكبرهُ الربيع واستعظمه، ولمَّا فَرَغَ الإمام مِنْ صَلَاتِهِ وَدُعَائِهِ سلَّم عليه الربيع، فقال له الإمام: **ما جاءَ بِكَ؟**

- ابن عمّك يقرئك السَّلام.

وردَّ الإمام السَّلام عليه، والتفت الربيع إلى الإمام فعرَّفه برغبة المنصور في الالتقاء به.

فقال عليه السلام له: **يا رَبيعُ،** ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾[1].

يَا رَبِيعُ، ﴿أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٩٨ أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾[2].

وأمره بأن يقرأ على المنصور السَّلام، ثمَّ أقبل على صلاته، وقبل أن يشرع في الصلاة قال للربيع: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ۝٣٣ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ۝٣٤ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ۝٣٥ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ۝٣٦ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ۝٣٧ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۝٣٨ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۝٣٩ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ﴾[3] **قُلْ لَهُ: إِنَّا وَاللَّهِ قَدْ خِفْنَاكَ، وَخَافَتْ لِخَوْفِنَا النِّسْوَةُ اللَّاتِي أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِنَّ، فَإِنْ كَفَفْتَ وَإِلَّا أَجْرَيْنَا اسْمَكَ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي كُلِّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، وَأَنْتَ حَدَّثْتَنَا عَنْ أَبِيكَ، عَنْ جَدِّكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: أَرْبَعُ دَعَوَاتٍ لَا يُحْجَبْنَ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى: دُعَاءُ الْوَالِدِ لِوَلَدِهِ وَالأَخُ بِظَهْرِ الْغَيْبِ لأَخِيهِ، وَالْمَظْلُومُ، وَالْمُخْلِصُ.**

قَالَ الرَّبِيعُ: فَمَا اسْتَتَمَّ الْكَلَامَ حَتَّى أَتَتْ رُسُلُ الْمَنْصُورِ تَقْفُو أَثَرِي، وَتَعْلَمُ خَبَرِي، فَرَجَعْتُ وَأَخْبَرْتُهُ بِمَا كَانَ، فَبَكَى، ثُمَّ قَالَ: **إِرْجِعْ إِلَيْهِ، وَقُلْ لَهُ: الأَمْرُ فِي لِقَائِكَ إِلَيْكَ، وَأَمَّا النِّسْوَةُ اللَّاتِي ذَكَرْتَهُنَّ فَعَلَيْهِنَّ السَّلَامُ، فَقَدْ آمَنَ اللَّهُ رَوْعَهُنَّ، وَجَلَّى هَمَّهُنَّ.**

---

(١) سورة الحديد: الآية ١٦.

(٢) سورة الأعراف: الآيتان ٩٨ و٩٩.

(٣) سورة النجم: الآيات ٣٣ ـ ٤٠.

رَجَع الربيع إلى الإمام فأخبره بمقالة المنصور، فقال عليه السلام: قل له: **وَصَلْتَ رَحِماً**، ثُمَّ بكى عليه السلام وسقطت بعض دموعه في حجره، والتفت إلى الربيع فقال له: **يَا رَبِيعُ، إِنَّ هَذِهِ الدُّنْيَا وَإِنْ أَمْتَعَتْ بِبَهْجَتِهَا، وَغَرَّتْ بِزِبْرِجِهَا، فَإِنَّ آخِرَهَا لَا يَعْدُو أَنْ يَكُونَ كَآخِرِ الرَّبِيعِ الَّذِي يَرُوقُ بِخُضْرَتِهِ، ثُمَّ يَهِيجُ**، - أي يتغيّر - **عِنْدَ انْتِهَاءِ مُدَّتِهِ، وَعَلَى مَنْ نَصَحَ لِنَفْسِهِ وَعَرَفَ حَقَّ مَا عَلَيْهِ وَما لَهُ، أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهَا** - أي إلى الدُّنيا - **نَظَرَ مَنْ عَقَلَ عَنْ رَبِّهِ جَلَّ وَعَلَا، وَحَذَّرَ سُوءَ مُنْقَلَبِهِ، فَإِنَّ هَذِهِ الدُّنْيَا قَدْ خَدَعَتْ قَوْماً فَارَقُوهَا أَسَرَّ مَا كَانُوا إِلَيْهَا، وَأَكْثَرَ مَا كَانُوا اغْتِبَاطاً بِهَا، طَرَقَتْهُمْ آجَالُهُمْ بَيَاتاً وَهُمْ نَائِمُونَ، أَعْقَبَتْهُمُ الأَلَمَ، وَأَوْرَثَتْهُمُ النَّدَمَ، وَجَرَّعَتْهُمْ مُرَّ الْمَذَاقِ، وَغَصَّصَتْهُمْ بِكَأْسِ الْفِرَاقِ، فَيَا وَيْحَ مَنْ رَضِيَ عَنْهَا، أَوْ أَقَرَّ عَيْناً بِهَا، أَمَا رَأَى مَصْرَعَ آبَائِهِ، وَمَنْ سَلَفَ مِنْ أَعْدَائِهِ وَأَوْلِيَائِهِ.**

يَا رَبِيعُ، أَطْوِلْ بِهَا حَسْرَةً، وَأَقْبِحْ بِهَا كَثْرَةً، وَأَخِسَّ بِهَا صَفْقَةً، وَأَكْبِرْ بِهَا نَزْحَةً إِذَا عَايَنَ الْمَغْرُورُ بِهَا أَجَلَهُ، وَقُطِعَ بِالْأَمَانِيِّ أَمَلُهُ، وَلْيَعْلَمْ عَلَى أَنَّهُ لَوْ أُعْطِيَ أَطْوَلَ الْأَعْمَارِ وَأَمَدَّهَا، وَبَلَغَ فِيهَا جَمِيعَ الْآمَالِ هَلْ قِصَارُهُ إِلَّا الْهَرَمُ. نَسْأَلُ اللَّهَ لَنَا وَلَكَ عَمَلاً صَالِحاً بِطَاعَتِهِ، وَمَآباً إِلَى رَحْمَتِهِ، وَنُزُوعاً عَنْ مَعْصِيَتِهِ، وَبَصِيرَةً فِي حَقِّهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَهُ وَبِهِ».

فالتفت الربيع إلى الإمام بخضوع فقال له: يا أبا عبد الله، أسألك بكلّ حقّ بينك وبين الله جلَّ وعلا إلاَّ عرَّفتني ما ابتهلت به إلى ربّك تعالى، وجعلته حاجزاً بينك وبين حذرك وخوفك، لعلَّ الله أن يجبر بدوائك كسيراً، ويغني به فقيراً، والله ما أعني غير نفسي.

نجاة الإمام عليه السلام من شرِّه:

وضاق الطاغية ذرعاً من الإمام الصَّادق عليه السلام الذي انتشر فضله، وتحدّث الناس عن طاقاته العلميَّة، ومواهبه التي لا تحدّ، وعزم الطاغية على قتله.

يقول الربيع: قال لي المنصور: إذا نزلت المدينة فاذكر لي جعفر بن محمَّد، فوالله العظيم لا يقتله أحد غيري، احذر أن تدع أن تذكرني به.

قال: فلمَّا صرنا إلى المدينة أنساني الله عزَّ وجلَّ ذكره، فلمَّا صرنا إلى مكَّة قال لي: يا ربيع، ألم آمرك أن تذكرني بجعفر بن محمَّد إذا دخلنا المدينة؟

فقلت: نسيت ذلك يا مولاي.

فقال: إذا رجعت من مكَّة إلى المدينة فأذكرني به فلا بدَّ من قتله، فإن لم تفعل لأضربنَّ عنقك.

فقلت: نعم، وأوصيت غلماني وأصحابي أن يذكروني به إذا انتهينا إلى المدينة.

فلمَّا قدمنا قلت للمنصور: أحضر لك جعفر بن محمَّد؟

قال: نعم، ولا تأتيني به إلاَّ مسحوباً، فمضيت وأنا في حال عظيم من الارتباك، فأتيت الإمام جعفر الصَّادق عليه السلام وكان جالساً في وسط داره فقلت له: جعلت فداك، إنَّ أمير المؤمنين يدعوك إليه.

فقال: **السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ**، ثمَّ نهض وهو يمشي معي.

فقلت: يابن رسول الله ﷺ، إنَّه أمرني أن آتيه بك مسحوباً.

فقال: **امْتَثِلْ ما أَمَرَكَ بِهِ**، فأخذت بطرف كمِّه أسوقه إليه، فلمَّا أدخلته عليه رأيته وهو جالس على سريره، وفي يده عمود من حديد يريد أن يقتله، ونظرت إلى الإمام جعفر وهو يحرِّك شفتيه، فوقفت أنظر إليهما، فلمَّا قرب الإمام من المنصور قام إليه ورحَّب به، وقال له: ادنُ منِّي يابن عمِّي حتَّى أجلسه على سريره، ثمَّ أمر غلامه أن يأتيه بالغالية وعطَّره بها، ولم يستقرّ به المجلس حتَّى أمره بالانصراف، ولمَّا خرج نهضت بين يديه، حتَّى وصل إلى منزله، فقلت له: بأبي أنت وأمِّي يابن رسول الله ﷺ، إنِّي لم أشكّ فيه ساعة تدخل عليه أن يقتلك، ورأيتك تحرِّك شفتيك في وقت دخولك عليه، فما قلت؟

قَالَ عليه السلام: نَعَمْ يَا رَبِيعُ، قُلْتُ: حَسْبِيَ الرَّبُّ مِنَ الْمَرْبُوبِينَ، حَسْبِيَ الْخَالِقُ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ، حَسْبِي مَنْ لَمْ يَزَلْ حَسْبِي، حَسْبِيَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلّا هُوَ، عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، حَسْبِيَ الَّذِي لَمْ يَزَلْ حَسْبِي، حَسْبِي حَسْبِي حَسْبِيَ اللَّهُ وَ نِعْمَ الْوَكِيلُ، اللَّهُمَّ احْرُسْنِي بِعَيْنِكَ الَّتِي لَا تَنَامُ، وَاكْنُفْنِي بِرُكْنِكَ الَّذِي لا يُرَامُ، وَاحْفَظْنِي بِعِزِّكَ، وَاكْفِنِي شَرَّهُ بِقُدْرَتِكَ، وَمُنَّ عَلَيَّ بِنَصْرِكَ، وَإِلَّا هَلَكْتُ وَأَنْتَ رَبِّي.

اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَجَلُّ مِمَّا أَخَافُ وَأَحْذَرُ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَدْرَأُكَ فِي نَحْرِهِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ، وَأَسْتَكْفِيكَ إِيَّاهُ، يَا كَافِيَ مُوسَى مِنْ فِرْعَوْنَ، وَمُحَمَّدٍ ﷺ مِنَ الأَحْزَابِ، ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾[1]. ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ

(١) سورة آل عمران: الآيتان ١٧٣ و١٧٤.

فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ﴾[١]. ﴿وَجَعَلۡنَا مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ سَدّٗا وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ سَدّٗا فَأَغۡشَيۡنَٰهُمۡ فَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ﴾[٢].

لقد التجأ الإمام عليه السلام إلى الله تعالى، وأناب إليه أن ينجيه من شرّ هذا الطاغية، ويكفيه ممَّا دبَّر له من سوء ومكروه، وروى السيِّد الجليل ابن طاووس أنَّ الإمام عليه السلام قد تحصَّن وتسلَّح بهذا الدُّعاء حينما دخل على المنصور وهو:

«بِاللَّهِ أَسْتَفْتِحُ، وَبِاللَّهِ أَسْتَنْجِحُ، وَ بِرَسُولِهِ صلى الله عليه وآله أَتَوَسَّلُ، وَبِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ أَتَشَفَّعُ، وَبِالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمَا أَتَقَرَّبُ.

اللَّهُمَّ لَيِّنْ لِي صُعُوبَتَهُ، وَسَهِّلْ لِي حُزُونَتَهُ، وَوَجِّهْ سَمْعَهُ وَ بَصَرَهُ وَجَمِيعَ جَوَارِحِهِ إِلَيَّ بِالرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ، وَأَذْهِبْ عَنِّي غَيْظَهُ وَبَأْسَهُ وَمَكْرَهُ وَجُنُودَهُ وَأَحْزَابَهُ، وَانْصُرْنِي عَلَيْهِ بِحَقِّ كُلِّ سَائِحٍ فِي رِيَاضِ قُدْسِكَ، وَفَضَاءِ نُورِكَ، وَشَرِبَ مِنْ حَيْوَانِ مَائِكَ، وَأَنْقِذْنِي بِنَصْرِكَ الْعَامِّ الْمُحِيطِ، جَبْرَئِيلُ عَنْ يَمِينِي، وَمِيكَائِيلُ عَنْ يَسَارِي، وَمُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله أَمَامِي، وَاللَّهُ وَلِيِّي وَحَافِظِي وَنَاصِرِي وَأَمَامِي، فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ. اسْتَتَرْتُ وَ احْتَجَبْتُ وَ امْتَنَعْتُ وَتَعَزَّزْتُ بِكَلِمَةِ اللَّهِ الْوَحْدَانِيَّةِ الْأَزَلِيَّةِ الْإِلَهِيَّةِ، الَّتِي مَنِ امْتَنَعَ بِهَا كَانَ مَحْفُوظاً، إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ».

وحفظ الربيع هذا الدُّعاء وعلَّق عليه بقوله: «كتبته على رقّ، وجعلته في حمائل سيفي، فوالله ما هبت المنصور بعدها».

المنصور مع الإمام في الربذة:

كان الإمام الصادق عليه السلام في الربذة، فاجتاز عليها المنصور، ولمَّا علم بإقامة الإمام فيها التفت إلى إبراهيم بن جبلة فقال له: يابن جبلة، قم إليه فضع في عنقه ثيابه، ثمَّ ائتني به سحباً.

قال إبراهيم: فخرجت حتَّى أتيت منزله، فلم أجده فيه، فطلبته في مسجد أبي ذرّ، فوجدته في باب المسجد، فاستحييت أن أفعل به ما أمرني به المنصور، فأخذت بمكّه وقلت له: أجب أمير المؤمنين.

فقال عليه السلام: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، دَعْنِي أُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ بَكَى بُكَاءً شَدِيداً قَالَ: **اللَّهُمَّ أَنْتَ ثِقَتِي فِي كُلِّ كَرْبٍ، وَرَجَائِي فِي كُلِّ شِدَّةٍ، وَأَنْتَ لِي فِي كُلِّ أَمْرٍ نَزَلَ بِي ثِقَةٌ**

(١) سورة النحل: الآيتان ١٠٨ و١٠٩.
(٢) سورة يٰس: الآية ٩.

وَعُدَّةٌ، فَكَمْ مِنْ كَرْبٍ يَضْعُفُ عَنْهُ الْفُؤَادُ، وَتَقِلُّ فِيهِ الْحِيلَةُ، وَيَخْذُلُ فِيهِ الْقَرِيبُ، وَيَشْمَتُ بِهِ الْعَدُوُّ، وَتُعْيِيِنِي فِيهِ الْأُمُورُ، أَنْزَلْتُهُ بِكَ، وَشَكَوْتُهُ إِلَيْكَ رَاغِباً فِيهِ إِلَيْكَ عَمَّنْ سِوَاكَ، فَفَرَّجْتَهُ وَكَشَفْتَهُ وَكَفَيْتَنِيهِ، فَأَنْتَ وَلِيُّ كُلِّ نِعْمَةٍ، وَصَاحِبُ كُلِّ حَسَنَةٍ، وَمُنْتَهَى كُلِّ حَاجَةٍ، فَلَكَ الْحَمْدُ كَثِيراً، وَلَكَ الْمَنُّ فَاضِلًا.

ودخل الإمام عليه السلام على الطاغية فاستوى جالساً، وواجه الإمام بعنف وقسوة قائلاً له: قدمت رِجلاً وأخَّرت أُخرى، أما والله لأقتلنَّك، والإمام يعتذر منه ويقول: **ارْفَقْ فَوَاللَّهِ لَقَلَّ ما أَصْحَبُكَ.**

وقد نعى الإمام إليه نفسه، وتوهَّم المنصور أنَّه قد عناه، فقال لعيسى بن عليّ: سله أبي أم به؟

وبادر عيسى فسأل الإمام من هو الذي سيفارق الحياة هل هو أو المنصور؟

فقال عليه السلام إنَّه هو الذي سيفارق ويستريح من المنصور.

وجلس الإمام في الطريق ينتظر إبراهيم ليشكره على ما أسداه عليه من معروف، وبادر إبراهيم فلحق الإمام فوجده جالساً وهو يحمد الله ويقول: **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَدْعُوهُ فَيُجِيبُنِي وَإِنْ كُنْتُ بَطِيئاً حِينَ يَدْعُونِي، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَسْأَلُهُ فَيُعْطِينِي وَإِنْ كُنْتُ بَخِيلًا حِينَ يَسْتَقْرِضُنِي، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي اسْتَوْجَبَ الشُّكْرَ عَلَيَّ بِفَضْلِهِ وَإِنْ كَانَ قَلِيلًا شُكْرِي. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَكَلَنِي النَّاسُ إِلَيْهِ فَأَكْرَمَنِي وَلَمْ يَكِلْنِي إِلَيْهِمْ فَيُهِينُونِي، فَرَضِيتُ بِلُطْفِكَ يَا رَبِّ لُطْفاً، وَبِكِفَايَتِكَ خَلَفاً.**

اللَّهُمَّ يَا رَبِّ مَا أَعْطَيْتَنِي مِمَّا أُحِبُّ، فَاجْعَلْهُ قُوَّةً لِي فِيمَا تُحِبُّ، اللَّهُمَّ وَمَا زَوَيْتَ عَنِّي مِمَّا أُحِبُّ فَاجْعَلْهُ خَيْراً لِي، وَاصْرِفْ عَنِّي مَا أَكْرَهُ، وَاجْعَلْهُ خَيْراً لِي.

اللَّهُمَّ مَا غَيَّبْتَ عَنِّي مِنَ الْأُمُورِ فَلَا تُغَيِّبْنِي عَنْ حِفْظِكَ، وَمَا فَقَدْتُ فَلَا أَفْقِدُ عَوْنَكَ، وَمَا نَسِيتُ فَلَا أَنْسَى ذِكْرَكَ، وَمَا مَلَلْتُ فَمَا أَمَلُّ شُكْرَكَ، عَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ[1].

استدعاؤه إلى الكوفة:

وأمر الطاغية السفَّاك المنصور الدوانيقي إبراهيم بن جبلة بحمل الإمام الصَّادق عليه السلام من يثرب إلى الكوفة، ومضى إبراهيم يجدّ في السير حتَّى انتهى إلى الإمام عليه السلام، فأخبره

(١) مهج الدعوات: ص٢٣٢ ـ ٢٣٤.

برسالة المنصور، فتوجَّه الإمام بمشاعره وعواطفه نحو الله تعالى، وجعل يدعو بهذا الدُّعاء:

اللَّهُمَّ أَنْتَ ثِقَتِي فِي كُلِّ كَرْبٍ، وَرَجَائِي فِي كُلِّ شِدَّةٍ، وَإِنَّكَ لِي فِي كُلِّ أَمْرٍ نَزَلَ بِي ثِقَةٌ وَعُدَّةٌ، كَمْ مِنْ كَرْبٍ يَضْعُفُ فِيهِ الْقُوَى، وَتَقِلُّ فِيهِ الْحِيلَةُ، وَتَعْيِينِي فِيهِ الْأُمُورُ، وَيَخْذُلُ فِيهِ الْقَرِيبُ، وَيَشْمَتُ فِيهِ الْعَدُوُّ، أَنْزَلْتُهُ بِكَ وَشَكَوْتُهُ إِلَيْكَ، رَغْبَةً فِيهِ إِلَيْكَ عَمَّنْ سِوَاكَ، فَفَرَّجْتَهُ وَكَشَفْتَهُ فَأَنْتَ وَلِيُّ كُلِّ نِعْمَةٍ، وَمُنْتَهَى كُلِّ حَاجَةٍ، لَكَ الْحَمْدُ كَثِيراً، وَلَكَ الْمَنُّ فَاضِلًا.

ولمَّا قدَّمت إليه راحلته ليركب عليها توجَّه إلى الله تعالى وأخذ يدعو بهذا الدُّعاء:

اللَّهُمَّ بِكَ أَسْتَفْتِحُ، وَبِكَ أَسْتَنْجِحُ، وَ بِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله أَتَوَجَّهُ، اللَّهُمَّ ذَلِّلْ لِي حُزُونَتَهُ وَكُلَّ حُزُونَةٍ، وَسَهِّلْ لِي صُعُوبَتَهُ وَكُلَّ صُعُوبَةٍ، وَارْزُقْنِي مِنَ الْخَيْرِ فَوْقَ مَا أَرْجُو، وَاصْرِفْ عَنِّي مِنَ الشَّرِّ فَوْقَ مَا أَحْذَرُ، فَإِنَّكَ تَمْحُو مَا تَشَاءُ وَتُثْبِتُ وَعِنْدَكَ أُمُّ الْكِتَابِ.

ولمَّا انتهى الإمام عليه السلام إلى الكوفة نزل عن راحلته، وصلَّى ركعتين، ورفع يده إلى السَّماء، وأخذ يناجي الله ويدعوه ليصرف عنه سوء المنصور وكيده قائلاً:

اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَمَا أَظَلَّتْ، وَرَبَّ الْأَرَضِينَ السَّبْعِ وَمَا أَقَلَّتْ، وَالرِّيَاحِ وَمَا ذَرَتْ، وَالشَّيَاطِينِ وَمَا أَضَلَّتْ، وَالْمَلَائِكَةِ وَمَا عَمِلَتْ، أَسْأَلُكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَأَنْ تَرْزُقَنِي خَيْرَ هَذِهِ الْبَلْدَةِ وَخَيْرَ مَا فِيهَا وَخَيْرَ أَهْلِهَا، وَخَيْرَ مَا تَقَدَّمْتُ لَهُ، وَأَنْ تَصْرِفَ عَنِّي شَرَّهَا وَشَرَّ مَا فِيهَا وَشَرَّ أَهْلِهَا وَشَرَّ مَا قَدِمْتُ لَهُ.

وأخبر المنصور بقدوم الإمام، فدعا المسيَّب بن زهير الضبيّ وقال له: إذا دخل جعفر بن محمَّد فخاطبته، وأومأت إليك، فاضرب عنقه ولا تتأخَّر، وأسرع الربيع نحو الإمام فقال له: يابن رسول الله، إنَّ هذا الجبَّار قد أمر فيك بأمر أكره أن ألقاك به، فإذا كان في نفسك شيء تقوله أتوصيني به؟

فَقَالَ عليه السلام: **لَا يَرُوعُكَ ذَلِكَ**، وعرَّفه أنَّه سوف يسلم من شرّه، ولمَّا أراد الدخول على المنصور قال عليه السلام: **يَا إِلَهَ جَبْرَئِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ، وَإِلَهَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ، تَوَلَّنِي فِي هَذِهِ الْغَدَاةِ، وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيَّ أَحَداً مِنْ خَلْقِكَ بِشَيْءٍ لَا طَاقَةَ لِي بِهِ.**

ودخل الإمام عليه السلام على المنصور، فلمَّا رآه أخذته هيبة الإمام، وسكن غضبه، فأخذ بيده ورفعه على سريره، وأخذ يعتذر منه قائلاً: يا أبا عبد الله، يعزُّ عليَّ تعبك، وإنَّما

أحضرتك لأشكو إليك أهلك، قطعوا رحمي، وطعنوا في ديني، وألّبوا الناس علَيَّ، ولو ولي هذا الأمر غيري ممَّن هو أبعد رحماً منِّي لسمعوا له وأطاعوا.

وأخذ الإمام عليه السلام يسكِّن غضبه قائلاً: **يا أَميرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَيْنَ يُعْدَلُ بِكَ عَنْ سَلَفِكَ الصَّالِحِ؟ إِنَّ أَيُّوبَ عليه السلام ابْتُلِيَ فَصَبَرَ، وَإِنَّ يُوسُفَ ظُلِمَ فَغَفَرَ، وَإِنَّ سُلَيْمَانَ أُعْطِيَ فَشَكَرَ.**

وطفق المنصور يقول: صبرت، وغفرت، وشكرت.

وراح المنصور يسأل الإمام قائلاً: حدِّثنا حديثاً كنت سمعته منك في صلة الأرحام.

قَالَ عليه السلام: **حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ جَدِّي: أَنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: الْبِرُّ وَصِلَةُ الأَرْحَامِ عِمارَةُ الدُّنْيا، وَزِيادَةُ الأَعْمَارِ.**

قال المنصور: ليس هو هذا.

قال: **نَعَمْ، حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ جَدِّي، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُنْسَأَ فِي أَجَلِهِ، وَيُعَافَى فِي بَدَنِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ.**

قال المنصور: لَيْسَ هَذَا هُوَ.

قَالَ عليه السلام: **نَعَمْ، حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ جَدِّي: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: رَأَيْتُ رَحِماً مُتَعَلِّقَةً بِالْعَرْشِ تَشْكُو إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَاطِعَهَا.**

فَقُلْتُ: يَا جِبْرَئِيلُ، كَمْ بَيْنَهُمْ؟

قَالَ: سَبْعَةُ آبَاءٍ.

فقال المنصور: ليس هذا هو.

قالَ عليه السلام: **نَعَمْ، حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ جَدِّي، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: احْتَضَرَ رَجُلٌ بَارٌّ فِي جِوَارِهِ رَجُلٌ عَاقٌّ. قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِمَلَكِ الْمَوْتِ: يَا مَلَكَ الْمَوْتِ، كَمْ بَاقٍ مِنْ أَجَلِ الْعَاقِّ؟**

قَالَ: ثَلاثُونَ سَنَةً.

قَالَ: حَوِّلْهَا إِلَى هَذَا الْبَارِّ.

فقال المنصور: يا غلام، ائتني بالغالية، فأتاه بها، فجعل يغلِّفه بيده، ثمَّ دفع إليه أربعة آلاف دينار، ودعا بدابَّته فجعلها قرب سريره، فركب عليها، وغادر مجلسه.

قال الربيع: فسمعته يقول: **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَدْعُوهُ فَيُجِيبُنِي وَإِنْ كُنْتُ بَطِيئاً حِينَ يَدْعُونِي.**

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَسْأَلُهُ فَيُعْطِينِي وَإِنْ كُنْتُ بَخِيلًا حِينَ يَسْأَلُنِي.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي اسْتَوْجَبَ مِنِّي الشُّكْرَ وَإِنْ كَانَ قَلِيلًا شُكْرِي.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَكَلَنِي إِلَيْهِ فَأَكْرَمَنِي وَلَمْ يَكِلْنِي إِلَى النَّاسِ فَيُهِينُونِي.

يَا رَبِّ كَفَى بِلُطْفِكَ لُطْفاً، وَبِكِفَايَتِكَ خَلَفاً.

فقال الربيع: يابن رسول الله، إنَّ هذا الجبَّار دعا المسيّب بن زهير فدفع إليه سيفاً، وأمره أن يضرب عنقك، وإنّي رأيتك تحرِّك شفتيك حين دخلت بشيء لم أفهمه عنك.

فقال له الإمام عليه السلام: لَيْسَ هَذا مَوْضِعُهُ، ولمَّا صار وقت العشاء ذهب الربيع إلى الإمام يطلب من أن يعلِّمه الدُّعاء الذي أنجاه الله ببركته من شرّ المنصور وكيده.

فقال عليه السلام له: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ جَدِّي: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله لَمَّا أَلَّبَتْ عَلَيْهِ الْيَهُودُ وَفَزَارَةُ وَغَطَفَانُ وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾[1]، وَ كَانَ ذَلِكَ الْيَوْمُ مِنْ أَغْلَظِ يَوْمٍ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله، فَجَعَلَ يَدْخُلُ وَيَخْرُجُ وَيَنْظُرُ إِلَى السَّمَاءِ وَيَقُولُ: ضَيِّقِي تَتَّسِعِي، ثُمَّ خَرَجَ فِي بَعْضِ اللَّيْلِ فَرَأَى شَخْصاً فَقَالَ لِحُذَيْفَةَ: انْظُرْ مَنْ هَذَا؟

فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ.

فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ: يَا أَبَا الْحَسَنِ، أَمَا خَشِيتَ أَنْ تَقَعَ عَلَيْكَ عَيْنٌ؟

قَالَ عليه السلام: إِنِّي وَهَبْتُ نَفْسِي لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَخَرَجْتُ حَارِساً لِلْمُسْلِمِينَ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ، فَمَا انْقَضَى كَلَامُهُمَا حَتَّى نَزَلَ جِبْرَئِيلُ عليه السلام فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ اللَّهَ يُقْرِئُكَ السَّلَامَ وَيَقُولُ لَكَ: قَدْ رَأَيْتُ مَوْقِفَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ مُنْذُ اللَّيْلَةِ، وَأَهْدَيْتُ لَهُ مِنْ مَكْنُونِ عِلْمِي كَلِمَاتٍ لَا يَتَعَوَّذُ بِهَا عِنْدَ شَيْطَانٍ مَارِدٍ، وَلَا سُلْطَانٍ جَائِرٍ، وَلَا غَرَقٍ، وَلَا هَدْمٍ، وَلَا رَدْمٍ، وَلَا سَبُعٍ ضَارٍ، وَلَا لِصٍّ قَاطِعٍ، إِلَّا آمَنَهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ، وَهُوَ أَنْ يَقُولَ: اللَّهُمَّ احْرُسْنَا بِعَيْنِكَ الَّتِي لَا تَنَامُ، وَاكْنُفْنَا بِرُكْنِكَ الَّذِي لَا يُرَامُ، وَأَعِزَّنَا بِسُلْطَانِكَ الَّذِي لَا يُضَامُ، وَ ارْحَمْنَا بِقُدْرَتِكَ عَلَيْنَا، وَلَا تُهْلِكْنَا وَأَنْتَ الرَّجَاءُ، رَبِّ كَمْ مِنْ نِعْمَةٍ أَنْعَمْتَ بِهَا عَلَيَّ قَلَّ لَكَ عِنْدَهَا شُكْرِي، وَكَمْ بَلِيَّةٍ ابْتَلَيْتَنِي بِهَا قَلَّ لَكَ عِنْدَهَا صَبْرِي، فَيَا مَنْ قَلَّ عِنْدَ نِعْمَتِهِ شُكْرِي فَلَمْ يَحْرِمْنِي، وَيَا مَنْ قَلَّ عِنْدَ بَلِيَّتِهِ صَبْرِي فَلَمْ يَخْذُلْنِي، يَا ذَا الْمَعْرُوفِ الدَّائِمِ الَّذِي لَا يَنْقَضِي أَبَداً، وَيَا ذَا النَّعْمَاءِ الَّتِي لَا تُحْصَى عَدَداً.

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ١٠.

أَسْأَلُكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ، وَأَدْرَأُ بِكَ فِي نُحُورِ الأَعْدَاءِ وَالْجَبَّارِينَ.

اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى دِينِي بِدُنْيَايَ، وَعَلَى آخِرَتِي بِتَقْوَايَ، وَاحْفَظْنِي فِيمَا غِبْتُ عَنْهُ، وَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي فِيمَا حَضَرْتُهُ، يَا مَنْ لَا تَنْقُصُهُ الْمَغْفِرَةُ، وَلَا تَضُرُّهُ الْمَعْصِيَةُ، أَسْأَلُكَ فَرَجاً عَاجِلًا، وَصَبْراً جَمِيلًا، وَرِزْقاً وَاسِعاً، وَالْعَافِيَةَ مِنْ جَمِيعِ الْبَلَاءِ، وَالشُّكْرَ عَلَى الْعَافِيَةِ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِين.

قال الربيع: لقد دعاني المنصور ثلاث مرَّات يريد قتلي فأنقذني الله بركة هذا الدُّعاء[١].

استدعاؤه عليه السلام إلى بغداد:

وأعوز المنصور إلى عامله على يثرب بحمل الإمام الصَّادق عليه السلام إلى بغداد لاغتياله، ونفَّذ العامل ذلك، ولمَّا انتهى الإمام إلى بغداد أبقاه في موضع يسمَّى بالحمر طيلة النهار، وفي الهزيع الأخير من اللَّيل دعا الربيع فقال له: يا ربيع، إنَّك تعرف موضعك منِّي، وإنِّي أُعرِّفك أمراً لا تظهر عليه حتَّى أُمَّهات الأولاد، فشكره الربيع على ثقته به، وأظهر الطاعة الكاملة لأوامره، فقال له المنصور: صر إلى جعفر بن محمَّد فأتني به الساعة على الحال الذي تجده فيه لا تغيِّر شيئاً ممَّا عليه.

وصعب ذلك على الربيع، فقد كان من القائلين بإمامة الإمام عليه السلام، وجعل يقول بعد الاسترجاع: هذا والله العطب إن أتيت به على ما أراه من غضبه قتله، وذهبت منِّي الآخرة، وإن لم آتِ به قتلني وقتل نسلي وأخذ أموالي، فميَّزت بين الدُّنيا والآخرة، فمالت نفسي إلى الدُّنيا.

وأمر الربيع ولده محمَّداً، وكان شرساً فظَّاً بأن يأتي بالإمام على الحالة التي يجده فيها، ومضى إليه محمَّد فتسلَّق عليه الدار، فوجد الإمام قائماً يصلِّي وعليه قميص ومنديل قد ائتزر به، فلمَّا سلَّم من صلاته قابله الفتى بعنف وقال له: أجب أمير المؤمنين، فطلب الإمام منه أن يدعو ويلبس ثيابه، فلم يسمح له بذلك، وطلب منه أن يدخل المغتسل ويتطهَّر، فأبى وامتنع من إجابته، وقال له: لا أدعك تغيِّر شيئاً، وأخرج الإمام حافياً حاسراً في قميصه ومنديله، وكان قد جاوز الستِّين من عمره، ولمَّا مضى بعض الطريق ضعف الإمام عن المشي، فسمح له بالركوب، وانتهى بالإمام إلى الربيع.

---

(١) مهج الدعوات: ص٢٣٤ ـ ٢٣٩.

فلمَّا رآه بتلك الحالة أغرق بالبكاء، فقال الإمام له: دعني أُصلِّي ركعتين وأدعو، فسمح له بذلك، ولمَّا فرغ من صلاته ودعائه أخذ الربيع بذراعيه وأدخله على المنصور، وكان الإمام عليه السلام يواصل دعاءه، ولمَّا رآه المنصور قابله بمزيد من الهوان، وصاح الرجس به: يا جعفر، ما تدع حسدك وبغيك وفسادك على أهل هذا البيت من بني العبَّاس، وما يزيدك الله بذلك إلاَّ شدَّة حسد ونكد. والإمام واقف أمام هذا الرجس، وهو يعتذر منه قائلاً: **مَا فَعَلْتُ شَيْئاً مِنْ هَذَا، وَلَقَدْ كُنْتُ فِي وَلَايَةِ بَنِي أُمَيَّةَ وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُمْ أَعْدَى الْخَلْقِ لَنَا وَلَكُمْ، وَأَنَّهُمْ لَا حَقَّ لَهُمْ فِي هَذَا الْأَمْرِ، فَوَاللَّهِ مَا بَغَيْتُ عَلَيْهِمْ، وَلَا بَلَغَهُمْ عَنِّي سُوءٌ مَعَ جَفَاءِهِمُ الَّذِي كَانَ لِي، وَكَيْفَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَصْنَعُ الْآنَ هَذَا، وَأَنْتَ ابْنُ عَمِّي، وَأَمَسُّ الْخَلْقِ بِي رَحِماً، وَأَكْثَرُهُمْ عَطَاءً وَبِرّاً، فَكَيْفَ أَفْعَلُ؟**

أَطْرَقَ الْمَنْصُورُ برأسه إلى الأرض، وهو يتميَّز غيظاً وغضباً على الإمام عليه السلام، والتفت إليه بشراسة وعنف قائلاً: بطلت وأثمت.

ثمَّ ثنى الوسادة، وأخرج منها إضبارة كتب، فرمى بها الإمام، وقال: هذه كتبك إلى أهل خراسان تدعوهم إلى نقض بيعتي، وأن يبايعوك دوني.

فأنكر الإمام أشدّ الإنكار أن تكون هذه الكتب له، وإنَّما هي مزوَّرة عليه قائلاً: **وَاللَّهِ مَا فَعَلْتُ، وَلَا أَسْتَحِلُّ ذَلِكَ، وَلَا هُوَ مِنْ مَذْهَبِي، وَإِنِّي لَمَنْ يَعْتَقِدُ طَاعَتَكَ عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ السِّنِّ مَا قَدْ أَضْعَفَنِي عَنْ ذَلِكَ لَوْ أَرَدْتُهُ، فَصَيِّرْنِي فِي بَعْضِ حُبوسِكَ حَتَّى يَأْتِيَنِي الْمَوْتُ فَهُوَ مِنِّي قَرِيبٌ.**

فصاح الطاغية به: لا، ولا كرامة.

وأطرق الطاغية برأسه إلى الأرض، ثمَّ ضرب يده إلى سيفه فسلَّ منه شبراً، وفزع الربيع، وقال: إنَّا لله، ذهب الرجل.

ثمَّ إنَّه ردَّ السيف وخاطب الإمام بهذه الكلمات الجافَّة التي تنمّ عن خبثه قائلاً: يا جعفر، أما تستحي مع هذه الشيبة، ومع هذا النسب أن تنطق بالباطل، وتشقّ عصا المسلمين، تريد أن تريق الدماء، وتطرح الفتنة بين الرعيَّة والأولياء؟

فردَّ عليه السلام: **لَا وَاللَّهِ مَا فَعَلْتُ، وَلَا هَذِهِ كُتُبِي وَلَا خَطِّي وَلَا خَاتَمِي.**

ولم يجد اعتذار الإمام معه شيئاً، فانتضى من السيف ذراعاً، والتاع الربيع فقال: إنَّا لله، مضى الرجل.

ودار في نفسي إنَّه إن أمرني بقتل الإمام أن آخذ السيف من يده وأضرب به المنصور، وإن سبَّب ذلك هلاكي وهلاك ولدي، وأقبل المنصور على الإمام يعاتبه،

والإمام يعتذر منه، ثمَّ انتضى السيف كلّه، ثمَّ أغمده، وأطرق ساعة برأسه إلى الأرض، ثمَّ رفع رأسه، وقال: أظنّك يا جعفر صادقاً.

ثمَّ أقبل على الربيع فقال له: هات العيبة ـ وهي مستودع ـ وأمره أن يغمس فيها يديه، ويضعها على لحية الإمام عليه السلام، وكانت بيضاء فاسودَّت وقال له: احمله على فارهٍ من دوابي التي أركبها، وأعطه عشرة آلاف درهم، وشيِّعه إلى منزله مكرَّماً، وخيِّره بين المقام عندنا أو الانصراف إلى مدينة جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله، وخرج الربيع وملء إهابه الفرح والسرور بسلامة الإمام عليه السلام من هذا الرجس، والتفت إلى الإمام قائلاً: يابن رسول الله، إنِّي لأعجب ممَّا عمد هذا إليك وما أنقذك الله منه، ولا عجب من أمر الله، وقد سمعتك تدعو عقيب الركعتين بدعاء لم أدرِ ما هو؟ ورأيتك تحرِّك شفتيك في صحن القصر، لم أدرِ ما هو؟

فقال عليه السلام: **أَمَّا الْأَوَّلُ فَدُعَاءُ الْكَرْبِ وَالشَّدَائِدِ، لَمْ أَدْعُ بِهِ عَلَى أَحَدٍ قَبْلَ الْيَوْمِ جَعَلْتُهُ عِوَضاً مِنْ أَدْعَيَتِي الَّتِي كُنْتُ أَدْعُو بِهَا إِذَا قَضَيْتُ صَلاتِي، وَأَمَّا الَّذِي حَرَّكْتُ بِهِ شَفَتِي فَهُوَ دُعَاءُ جدِّي رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله يَوْمَ الْأَحْزَابِ حِينَما أَحَاطَتْ بِهِ جُيوشُ الْمُشْرِكِينَ، فَكَانَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾[1]، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله بِهذا الدُّعاءِ، وَكَانَ الإِمامُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ صلوات اللَّهِ عَلَيْهِ يَدْعو بِهِ إِذَا أَحْزَنَهُ أَمْرٌ، وَهُوَ: اللَّهُمَّ احْرُسْنِي بِعَيْنِكَ الَّتِي لَا تَنَامُ، وَاكْنُفْنِي بِرُكْنِكَ الَّذِي لَا يُضَامُ، وَاغْفِرْ لِي بِقُدْرَتِكَ عَلَيَّ.**

رَبِّ لَا أَهْلَكُ وَأَنْتَ الرَّجَاءُ. اللَّهُمَّ أَنْتَ أَعَزُّ وَأَكْبَرُ مِمَّا أخافُ وَأَحْذَرُ، بِاللَّهِ اسْتَفْتِحُ، وَبِاللَّهِ اسْتَنْجِحُ، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله أَتَوَجَّهُ، يَا كَافِيَ إِبْرَاهِيمَ مِنْ نَمْرودَ، وَمُوسَىٰ مِنْ فِرْعَونَ، اكْفِنِي ما أنا فِيهِ، اللَّهُ اللَّهُ رَبِّي لَا أُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً، حَسْبِيَ الرَّبُّ مِنَ الْمَرْبوبِينَ، حَسْبِيَ الْخَالِقُ مِنَ الْمَخْلوقِينَ، حَسْبِيَ الْمَانِعُ مَنَ الْمَمْنوعِينَ، حَسْبِيَ مَنْ لَمْ يَزَلْ حَسْبِي، حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ.

وقال الإمام عليه السلام للربيع: **كُنْتَ قَدْ طَلَبْتَ مِنِّي أَرْضِي بِالْمَدِينَةِ، وَأَعْطَيْتَنِي بِهَا عَشْرَةَ آلافِ دينارٍ، فَلَمْ أَبِعْها عَلَيْكَ، وَإِنِّي قَدْ وَهَبْتُها لَكَ.**

---

(١) سورة الأحزاب: الآيتان ١٠ و١١.

فقال الربيع: إنّما رغبتي في الدُّعاء الأوّل والثاني، وإذا فعلت هذا فهو البرّ، ولا حاجة لي في الأرض.

فقال عليه السلام: **إِنَّا أَهْلُ بَيْتٍ لَا نَرْجِعُ فِي مَعْروفِنا، نَحْنُ نَنْسَخُكَ الدُّعاءَ**[1]**، وَنُسَلِّمُ لَكَ الأَرْضَ**، ثمَّ إنَّه علَّمه الدُّعاء، كما كتب له ورقة في هبته للأرض.

وقال الربيع للإمام: أما خفت أبا جعفر المنصور وقد أعدَّ لك ما أعدَّ؟

قال عليه السلام: **خِيفَتِي مِنَ اللَّهِ دُونَ خِيفَتِهِ، وَكَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي صَدْري أَعْظَمَ مِنْهُ.**

وانصرف الإمام عليه السلام راجعاً إلى يثرب.

قال الربيع: وجدت من المنصور خلوة وطيب نفس فقلت له: يا أمير المؤمنين، رأيت غضبك على جعفر غضباً لم أرك غضبته على أحد قطّ، ولا على عبد الله بن الحسن، ولا على غيره حتَّى بلغ بك الأمر أنَّك أردت قتله، فقد أخرجت من سيفك شبراً ثمَّ غمدته، ثمَّ عاتبته، ثمَّ أخرجت منه ذراعاً ثمَّ عاتبته، وأغمدته، ثمَّ أخرجته كلّه، فلم أشكّ في قتلك له، ثمَّ انحلَّ ذلك كلّه فعاد رضى حتَّى أمرتني فسوَّدت لحيته بالغالية التي لا يتغلَّف منها أحد إلاَّ أنت، وحملته، وأمرتني بتشييعه مكرَّماً!

فقال المنصور: ويحك يا ربيع! ليس هو كما ينبغي أن تحدِّث به، وستره أوْلى، ولا أُحبّ أن يبلغ ولد فاطمة عليها السلام فيفخرون بذلك علينا، حسبنا ما نحن فيه، ولكن لا أكتمك شيئاً، انظر من في الدار فنحِّهم.

قال الربيع: فنحَّيت كلّ من في الدار، قال المنصور: ارجع ولا تبقِ أحداً، ففعلت ذلك، ثمَّ قال لي: ليس أنا وأنت، لئن سمعت ما ألقيته إليك من أحد لأقتلنَّك وولدك وأهلك أجمعين، ولآخذن مالك، وتعهَّد الربيع له بعدم إذاعته.

فقال المنصور: يا ربيع، كنت مصرَّاً على قتل جعفر، ولا أسمع له قولاً، ولا أقبل له عذراً، وإن كان ممَّن لا يخرج بسيف أغلظ عندي، وأهمّ عليَّ من أمر عبد الله بن الحسن، وقد كنت أعلم هذا منه ومن آبائه على عهد بني أُميَّة.

وأخذ المنصور يحدِّثه عن السبب في إحجامه عن قتل الإمام قائلاً: لمَّا هممت به في المرَّة الأُولى تمثَّل لي رسول الله صلى الله عليه وآله فإذا هو حائل بيني وبينه، باسط كفّيه، حاسر عن ذراعيه، قد عبس وقطب في وجهي، فصرفت وجهي عنه.

ثمَّ هممت به في المرَّة الثانية، وانتضيت من السيف أكثر ممَّا انتضيت منه في المرَّة

---

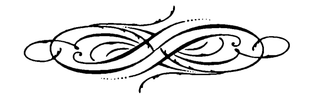
(١) أي نعلِّمك الدُّعاء.

الأُولى، فإذا أنا برسول الله ﷺ قد قرب ودنا شديداً، وهمَّ بي أن لو فعلت لفعل، فأمسكت.

ثمَّ تجاسرت فانتضيت السيف في الثالثة، فتمثَّل لي رسول الله ﷺ باسطاً ذراعيه، قد شمَّر واحمرَّ وعبس وقطب حتَّى كاد أن يضع يده عليَّ فخفت، والله لو فعلت لفعل، وكان منِّي ما رأيت. وهؤلاء من بني فاطمة صلوات الله عليها لا يجهل حقَّهم إلاَّ جاهل لا حظّ له في الشريعة، فإيَّاك أن يسمع هذا منك أحداً.

قال محمَّد بن الربيع: فما حدَّثني بهذا أبي حتَّى مات المنصور، وما حدَّثت أنا به حتَّى مات المهدي وموسى وهارون[1].

هذا بعض ما عاناه الإمام الصَّادق عليه السلام من المحن والخطوب من المنصور، فقد كان من ألدّ أعدائه والحاقدين عليه.



(١) مهج الدعوات: ص٢٣٩ ـ ٢٤٥.

الإمام عليه السلام ينعى نفسه

وأعلن الإمام الصَّادق عليه السلام للناس بدنوِّ الأجل المحتوم منه، وأنَّ لقاءه بربّه لقريب، وكان من بين من أخبرهم بذلك ما يلي:

روى شهاب بن عبد ربّه، قال: «قال لي أبو عبد الله عليه السلام: **كَيْفَ بِكَ إِذَا نَعانِي إِلَيْكَ مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمانَ؟**

قال: فلا والله ما عرفت محمَّد بن سليمان من هو، فكنت يوماً بالبصرة عند محمَّد بن سليمان، وهو والي البصرة إذ ألقى إليَّ كتاباً، وقال لي: يا شهاب، عظَّم الله أجرك وأجرنا في إمامك جعفر بن محمَّد.

قال: فذكرت الكلام، فخنقتني العبرة»[١].

أخبر الإمام عليه السلام المنصور بدنوِّ أجله عليه السلام، لمَّا أراد الطاغية أن يقتله فقد قال له: «**ارْفَقْ بِي فَوَاللَّهِ لَقَلَّ مَا أَصْحَبُكَ**» ثمَّ انصرف عنه.

فقال المنصور لعيسى بن عليّ: قم اسأله أبي أم به - يعني الوفاة - فلحقه عيسى، وأخبره بمقالة المنصور، فقال عليه السلام: **لَا بَلْ بِي**[٢]، وتحقَّق ما تنبَّأ به الإمام عليه السلام، فلم تمضِ فترة يسيرة من الزمن حتَّى وافته المنيَّة.

اغتياله عليه السلام:

كان الإمام الصَّادق عليه السلام شجا يعترض في حلق الطاغية الدوانيقي، فقد ضاق ذرعاً منه، وقد حكى لصديقه وصاحب سرّه محمَّد بن عبد الله الإسكندري. يقول محمَّد: «دخلت على المنصور فرأيته مغتمَّاً، فقلت له: ما هذه الفكرة؟

- يا محمَّد، لقد هلك من أولاد فاطمة عليها السلام مقدار مائة ويزيدون - وهؤلاء قد قتلتهم - وبقي سيِّدهم وإمامهم.

---

(١) المناقب: ٤/ ٢٢٢.

(٢) مهج الدعوات: ص٢٣٤.

ـ من ذاك؟

ـ جعفر بن محمَّد الصَّادق.

وحاول محمَّد أن يصرفه عنه، فقال له: إنَّه رجل أنحلته العبادة، واشتغل بالله عن طلب الملك والخلافة.

ولم يرتضِ المنصور مقالته فردَّ عليه: يا محمَّد، قد علمت أنَّك تقول به، وبإمامته، ولكنَّ الملك عقيم»[1].

وأخذ الطاغية يضيّق على الإمام، وأحاط داره بالعيون وهم يسجِّلون كلّ بادرة تصدر من الإمام، ويرفعونها له، وقد حكى الإمام عليه السلام ما كان يعانيه من الضيق.

يقول عليه السلام: **«عَزَّتِ السَّلَامَةُ، حَتَّى لَقَدْ خَفِيَ مَطْلَبُها، فَإِنْ تَكُنْ فِي شَيْءٍ فَيوشِكُ أَنْ تَكُونَ فِي الْخُمولِ، فَإِنْ طُلِبَتْ فِي الْخُمولِ فَلَمْ توجَدْ فَيوشِكُ أَنْ تَكُونَ فِي الصَّمْتِ، وَالسَّعِيدُ مَنْ وَجَدَ فِي نَفْسِهِ خَلْوَةً يَشْتَغِلُ بِهَا»**[2].

ولم تجدِ جميع المحاولات التي سلكها الإمام عليه السلام للتخلُّص من شرّ الطاغية، فقد صمَّم على اغتياله ـ على ما قيل[3] ـ غير حافل بالعار والنار، فدسّ إليه سمَّاً فاتكاً على يد عامله على يثرب فسقاه به، ولمَّا تناوله الإمام عليه السلام تقطَّعت أمعاؤه، وأخذ يعاني الآلام القاسية، والأوجاع المؤلمة، وأيقن بأنَّ النهاية الأخيرة من حياته قد دنت منه.

إلى جنَّة المأوىٰ:

وأخذ الموت يدنو سريعاً من سليل النُّبوَّة، ورائد النهضة الفكريَّة والعلميَّة في الإسلام، وعنوان مجد هذه الأُمَّة وفخرها، وفي اللحظات الأخيرة من حياته أخذ يوصي أهل بيته بمكارم الأخلاق ومحاسن الصفات، ويحذِّرهم من مخالفة أوامر الله وأحكامه، كما أخذ يقرأ سوراً وآيات من القرآن الكريم، ثمَّ ألقى النظرة الأخيرة من حياته على ولده الإمام الكاظم عليه السلام، وفاضت روحه الزكيَّة إلى بارئها، تلك الرُّوح التي لم يخلق لها مثيل فيما مضى من سالف الزمن ـ عدا آبائه ـ وما هو آتٍ حتَّى يرث الله الأرض ومن عليها.

---

(١) مهج الدعوات: ص٢٤٧.

(٢) حياة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام: ١/ ٤١٢.

(٣) نور الأبصار: ص١٣٣. الفصول المهمَّة/ابن الصباغ: ص٢٣٠.

تجهيزه عليه السلام:

وقام الإمام موسى الكاظم عليه السلام وهو خائر القوى، مكلوم القلب، فأخذ في تجهيز جثمان أبيه، وهو يذرف الدموع مهما ساعدته الجفون، فغسَّل الجسد الطاهر، وكفَّنه بثوبين شطويّين[١] كان يحرم فيهما، وفي قميص وعمامة كانت لجدّه الإمام زين العابدين وسيِّد المتَّقين عليه السلام، ولفَّه ببرد اشتراه الإمام موسى عليه السلام بأربعين ديناراً، وبعد الفراغ من تجهيزه صلَّى عليه الإمام موسى عليه السلام، وقد ائتمَّ به مئات المسلمين، وحمل الجثمان المقدَّس على أطرف الأنامل تحت هالة من التكبير، وقد غرق الناس بالبكاء وهم يذكرون فضل الإمام وعائدته على هذه الأُمَّة بما بثَّه من الطاقات العلميَّة التي شملت جميع أنواع العلوم. وجيء بالجثمان العظيم إلى البقيع المقدَّس، فدفن في مقرّه الأخير بجوار جدّه الإمام زين العابدين، وأبيه الإمام محمَّد الباقر عليهما السلام، وقد واروا معه العلم والحلم، وكلّ ما يسمو به هذا الكائن الحيّ من بني الإنسان.

سنة وفاته:

واختلف المؤرّخون في السنة التي توفِّي فيها الإمام عليه السلام، وهذه بعض الأقوال:

١ ـ توفِّي سنة١٤٨هـ، وهذا هو المشهور[٢].

٢ ـ توفِّي سنة ١٤٦هـ[٣].

وكانت وفاته في شهر شوَّال[٤]، وقيل: في النصف من رجب[٥].

عمره الشريف:

واختلف الرواة والمؤرّخون في عمره الشريف، وهذه بعض الأقوال:

١ ـ عمره ٦٥ سنة[٦].

٢ ـ عمره ٦٨ سنة[٧].

---

(١) شطويين: مفرده شطا، إحدى قرى مصر.

(٢) الإرشاد: ص٣٠٤.

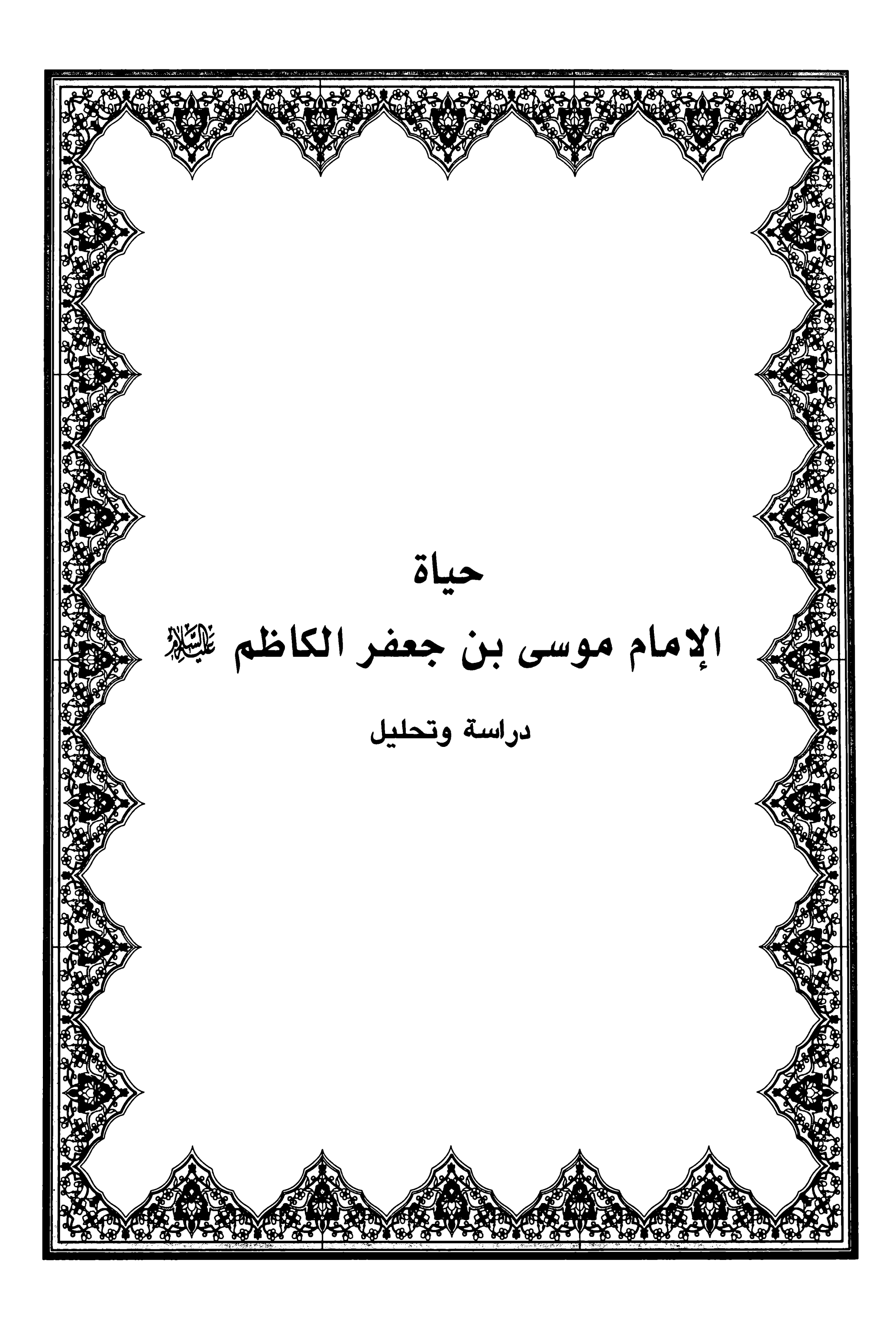
(٣) المعارف: ص٢٥٦.

(٤) الإرشاد: ص٣٠٤.

(٥) أعلام الورى: ص٢٧١.

(٦) دائرة المعارف/البستاني: ٦/٤٧٨.

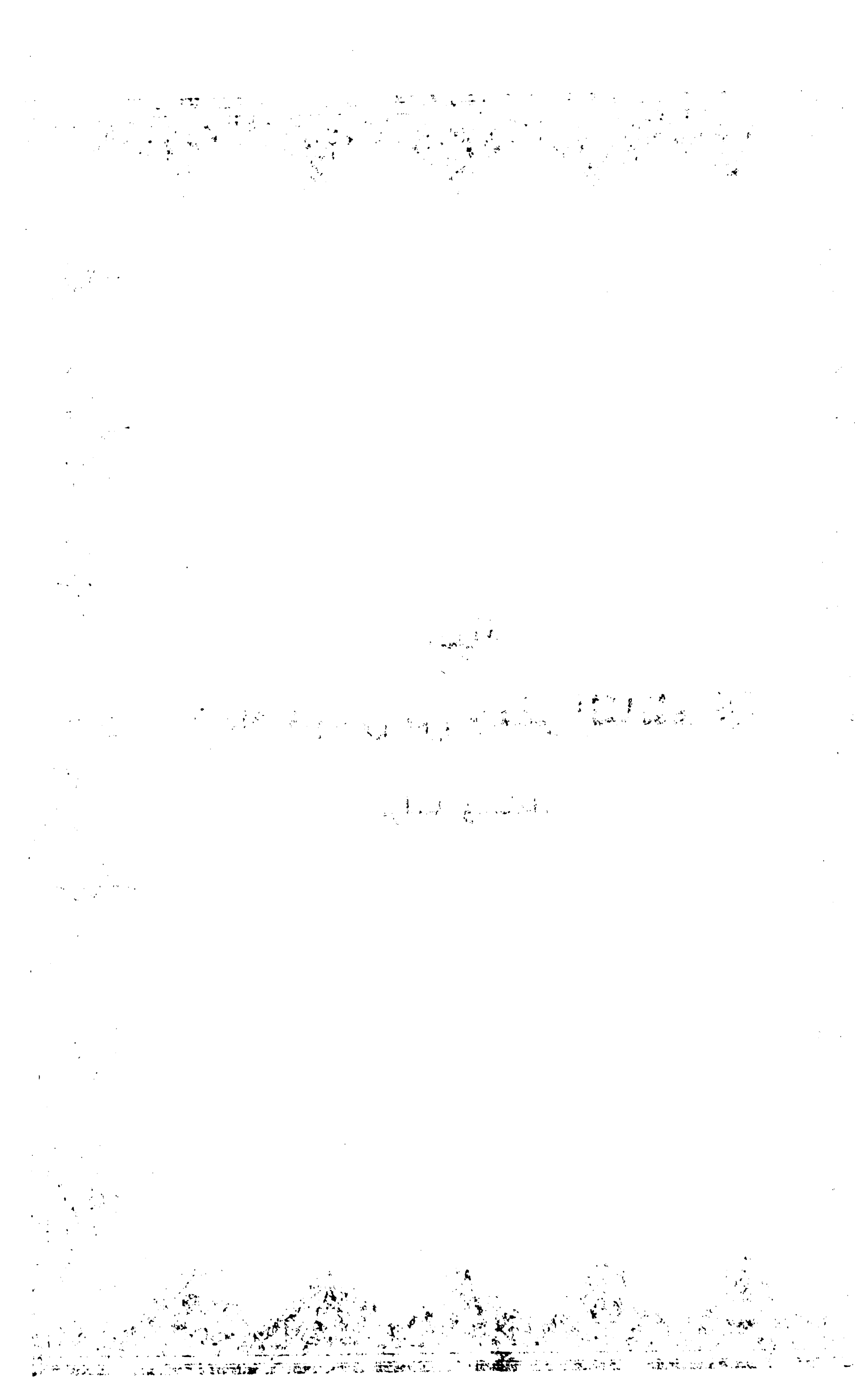
(٧) خلاصة تهذيب الكمال: ص٥٤.



حياة

الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام

دراسة وتحليل



ولادته ونشأته

وكان الإمام موسى يحفز أصحابه، ويحثّهم على اتخاذ القيان، والزواج بهن فقد قال لهم:

«اتخذوا القيان، فإنَّ لهن فطناً وعقولاً ليست لكثير من النساء..»[1].

ولم يقتصر أهل البيت عليهم السلام على هذا الإحسان المستفيض للرقيق، وإنَّما تعدوه إلى المصاهرة، وذلك للتدليل على إلغاء الإسلام للتفاوت، وتحطيماً للإجراءات الأموية القاسية التي اتخذت ضدهم.

وكانت أُمّ الإمام موسى من تلكم النسوة اللاتي جلبن لأسواق يثرب وقد خصَّها الله بالفضل، وعناها بالشرف، فصارت وعاءاً للإمامة، وإناءاً للفضيلة والكرامة.

أما كيفية زواج أبي عبد الله الصادق بها فقد حدث عنها ابن عكاشة الأسدي، ونعرض حديثه بإيجاز يقول: دخلت على الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام، وكان ولده أبو عبد الله ماثلاً بين يديه، فقدم له عنب، فالتفت إلينا يرشدنا إلى آداب الأكل قائلاً:

«حبة، حبة يأكله الشيخ، والصبي الصغير، وثلاثة وأربعة يأكله من يظن أن لا يشبع، وكله حبتين فإنَّه يستحب..».

يقول ابن عكاشة: نظرت إلى أبي عبد الله الصادق فرأيته قد بلغ مبالغ الرجال، فعرضت على أبيه زواجه فقلت له:

«سيِّدي: لأي شيء لا تزوج أبا عبد الله، فقد أدرك التزويج؟!».

فأخبرني الإمام عن عزمه على ذلك، وكانت بين يديه صرة فقال لي:

«أما أنَّه سيجيء نخاس من أهل بربر، فينزل دار ميمون فنشتري له بهذه الصرة جارية..».

وخرج القوم من ثوي الإمام ومضت على ذلك حفنة من الزمن فدخل عليه ابن

---

(١) الاتحاف بحب الأشراف: ص٥٥.

عكاشة مع زمرة من إخوانه فلما استقر بهم الجلوس أخبرهم الإمام بمجيء النخاس ووصول الجارية معه، وأمرهم أن يبادروا لشرائها بتلك الصرة التي رأوها من قبل، فقاموا جميعاً وقلوبهم مليئة بالغبطة والسرور ولما انتهوا إلى النخاس طلبوا منه عرض ما عنده من الجواري عليهم فأخبرهم أنَّه لم يبق عنده سوى جاريتين مريضتين إحداهما أمثل من الأخرى فطلبوا منه إحضارهما فقام وأخرجهما إليهم فوقع نظرهم على الماثلة للشفاء، وسامها عليهم بسبعين ديناراً، فراموا منه تخفيض ثمنها فأبى، ففتحوا الصرة فإذا بها سبعون ديناراً فدفعوها له وأخذوا الجارية وجاؤوا بها إلى الإمام، فحمد الله وأثنى عليه وقد شمله الفرح فقال لها:

«ما اسمك؟».

فأجابته بصوت خافت يقطر حياءاً:

«حميدة».

وانبرى الإمام فمنحها وساماً من الشرف والتكريم قائلاً:

«حميدة في الدُّنيا محمودة في الآخرة».

والتفت إلى ولده والسرور بادٍ عليه، فوهبه إيَّاها[1] وتزوج بها أبو عبد الله فكانت من أعز نسائه، وأحبهن إليه، وآثرهن عنده.

واختلف المؤرخون اختلافاً كثيراً في نسبها فقيل إنَّها أندلسية، وتكنى لؤلؤة[2] وقيل إنَّها بربرة[3] وهي بنت صالح البربري[4] وقيل إنَّها شقيقة صالح[5] وذهب بعضهم إلى أنَّها رومية وقيل إنَّها من أجلّ بيوت العجم[6].

وكانت السيِّدة حميدة تعامل في بيتها معاملة كريمة، فكانت موضع عناية وتقدير عند جميع العلويات، كما أنَّ الإمام الصادق عليه السلام كان يغدق عليها بمعروفه، وقد رأى فيها وفور العقل والكمال، وحسن الإيمان، وأثنى عليها ثناءاً عاطراً فقال فيها:

---

(١) أُصول الكافي: ١/ ٤٧٦.
(٢) مرآة العقول: ١/ ٤٥١.
(٣) كشف الغمة: ٣/ ٢.
(٤) أعلام الورى، بحار الأنوار، وفي المناقب: ٤/ ٣٢٣، حميدة المصفاة ابنة صاعد البربري.
(٥) مختصر أخبار الخلفاء: ص٣٩.
(٦) الأنوار البهية: ص٨٧.

«حميدة مصفاة من الأدناس كسبيكة الذهب، ما زالت الأملاك تحرسها حتى أديت إليَّ كرامة من الله وللحجَّة من بعدي..»[١].

لقد كانت هذه السيِّدة طاهرة الذيل، نقية الثوب، بريئة من النقص قد أترعت نفسها بالإيمان والصلاح، وقد غذاها الإمام الصادق بعلومه، حتى أصبحت في طليعة نساء عصرها علماً وورعاً وإيماناً، وقد عهد إليها الإمام الصادق بتفقيه نساء المسلمين وتعليمهن الأحكام الشرعية[٢] وأجدر بها أن تحتل هذه المكانة، وأن تكون من ألمع نساء عصرها في العفة والفقه والكمال.

الوليد المبارك:

ويمتد الزمن بعد زواج الإمام بها، والعيش هادىء والحياة البيتية حافلة بالمسرات، قد غمرتها المودة، وترك الكلفة، واجتناب هجر الكلام ومره.

وفي فترات تلك المدة السعيدة عرض لها حمل، وسافر الإمام أبو عبد الله إلى بيت الله الحرام لأداء فريضة الحج، فحملها معه وبعد الانتهاء من مراسيمه قفلوا راجعين إلى يثرب، فلما انتهوا إلى «الأبواء» أحست حميدة بالطلق فأرسلت خلف الإمام تخبره بالأمر لأنَّه قد عهد إليها أن لا تسبقه بشأن وليده، وكان أبو عبد الله يتناول طعام الغذاء مع جماعة من أصحابه، فلما وافاه النبأ المسر قام مبادراً إليها فلم يلبث قليلاً حتى وضعت حميدة سيِّداً من سادات المسلمين، وإماماً من أئمة أهل البيت.

لقد أشرقت الدُّنيا بهذا المولود المبارك الذي ما ولد ـ في عصره ـ أيمن، ولا أكثر عائدة ولطفاً على الإسلام منه.

لقد ولد أبر الناس، وأعطفهم على الفقراء، وأكثرهم عناءاً ومحنة في سبيل الله وأعظمهم عبادة وخوفاً من الله.

وبادر الإمام أبو عبد الله فتناول وليده فأجرى عليه مراسيم الولادة الشرعية فأذن في أذنه اليمنى، وأقام في اليسرى.

لقد كانت أول صورة فتح الإمام موسى عليها عينيه صورة أبيه الذي ما أظلت سماء الدُّنيا أسمى ولا أعظم شأناً منه بعد آبائه، وكانت أول كلمة قرعت سمعه كلمة التوحيد التي تنطوي على الإيمان بما له من معنى.

---

(١) بحار الأنوار: ١١/ ٢٣٢.

(٢) الأنوار البهية: ص٧٨.

وانطلق الإمام أبو عبد الله عائداً إلى أصحابه، وقد علت على ثغره ابتسامة فبادره أصحابه قائلين:

«أسرك الله، وجعلنا فداك، يا سيِّدنا ما فعلت حميدة؟».

فبشرهم بمولوده المبارك، وعرَّفهم عظيم أمره قائلاً:

«قد وهب الله لي غلاماً، وهو خير من برأ الله».

أجل أنَّه خير من برأ الله علماً وتقوى وصلاحاً، وتحرجاً في الدِّين وأحاط الإمام أصحابه علماً بأنَّ وليده من أئمة أهل البيت عليهم السلام الذين فرض الله طاعتهم على عباده قائلاً لهم:

«فدونكم، فوالله هو صاحبكم»[١].

وكانت ولادته في «الأبواء» وقيل في يثرب[٢] وهو مخالف لما عليه عامة المؤرخين، وكانت سنة ولادته (١٢٨هـ)[٣] وقيل سنة (١٢٩هـ)[٤] وذلك في أيام حكم عبد الملك بن مروان.

الطفولة الزاكية:

وأخذ الإمام موسى يتدرج في طفولته، وهو يرضع من ثدي الإيمان ويتربى في حجر الإسلام، يغذيه الإمام أبو عبد الله الصادق عليه السلام بعطفه وحنانه.

حب وتكريم:

قدَّمه الإمام الصادق عليه السلام على بقية ولده، وحمل له من الحب ما لا يحمله لغيره، فمن مظاهر وده أنَّه وهب له قطعة من أرض تُسمَّى البسرية، كان قد اشتراها بست وعشرين ألف دينار[٥] وسئل عن مدى حبه له فقال:

«وددت أنَّ ليس لي ولد غيره لئلا يشركه في حبي أحد»[٦].

وتكلَّم الإمام موسى وهو طفل بكلام أثار إعجاب أبيه، فاندفع أبوه قائلاً:

---

(١) بحار الأنوار: ١١/ ٢٣٠.
(٢) وفيات الأعيان: ٤/ ٣٩٥.
(٣) تهذيب التهذيب: ١٠/ ٣٤.
(٤) أعيان الشيعة: ٤/ ٣.
(٥) دلائل الإمامة: ص٤٩ ـ ٥٠.
(٦) الاتحاف بحب الأشراف: ص٥٤.

«الحمد لله الذي جعلك خلفاً من الآباء، وسروراً من الأبناء، وعوضاً عن الأصدقاء»(١).

صفته:

ووصف رواة الأثر ملامح صورته فقالوا: كان أسمر شديد السمرة(٢) وقيل كان أسود اللون(٣) وقيل أزهر اللون، ربع القامة، كث اللحية(٤) ووصفه شقيق البلخي فقال: كان حسن الوجه، شديد السمرة، نحيف الجسم.

هيبته ووقاره:

وحاكى الإمام موسى في هيبته هيبة الأنبياء، وبدت في ملامح شكله سيماء الأئمة الطاهرين من آبائه، فما رآه أحد إلاَّ هابه، وأكبره، وقد صور مدى هيبته ووقاره أبو نواس شاعر البلاط العباسي حينما التقى به في الطريق، فاندفع أبو نواس يقول:

إذا أبصرتك العين من غير ريبة ... وعارض فيك الشك أثبتك القلب
ولو أنَّ ركباً أمموك لقادهم ... نسيمك حتى يستدل بك الركب
جعلتك حسبي في أموري كلها ... وما خاب من أضحى وأنت له حسب(٥)

نقش خاتمه:

أما نقش خاتمه فيدلُّ على مدى تعلُّقه بالله وانقطاعه إليه فقد كانت صورته «الملك لله وحده»(٦).

كنيته:

أبو الحسن الأول، أبو الحسن الماضي، أبو إبراهيم، أبو علي، أبو إسماعيل.

---

(١) بحار الأنوار: ١١/٢٣٧.
(٢) الفصول المهمة لابن الصباغ، أخبار الدول: ص١١٢.
(٣) عمدة الطالب: ص١٨٥.
(٤) أعيان الشيعة: ٤/٩.
(٥) المناقب: ٤/٣١٨.
(٦) أخبار الدول: ص١١٢.

ألقابه:

الصابر: لأنَّه صبر على الآلام والخطوب التي تلقاها من حكَّام الجور، والفراعنة الطغاة فقد جرَّعوه نغب التهمام، وقابلوه بجميع ألوان الإساءة والمكروه.

الزاهر: لأنَّه زهر بأخلاقه الشريفة وكرمه المضيء الذي مثل به خلق جده الرسول صلى الله عليه وآله.

العبد الصالح: ولقب بالعبد الصالح لعبادته، واجتهاده في الطاعة، حتى صار مضرب المثل في عبادته على ممر العصور والأجيال وقد عرف بهذا اللقب عند رواة الحديث فكان الراوي عنه يقول حدَّثني العبد الصالح.

السيِّد: لأنَّه من سادات المسلمين، وإمام من أئمتهم.

الوفي: لأنَّه أوفى إنسان خلق في عصره، فقد كان وفياً باراً بإخوانه وشيعته وباراً حتى بأعدائه والحاقدين عليه.

الأمين: وكل ما للفظ الأمانة من معنى قد مثل في شخصيته العظيمة فقد كان أميناً على شؤون الدِّين وأحكامه، وأميناً على أمور المسلمين.

قائد العسكر: ومن ألقابه عليه السلام قائد الجيش والعسكر[١] أنَّ السبب في ذلك أنَّه عليه السلام مثَّل المنصور في يوم النيروز فدخل عليه الجيش والأمراء يهنونه ويحملون له الهدايا والألطاف الأمر الذي لم يتفق لأحد من آبائه وأبنائه وبهذه المناسبة لقب بذلك[٢].

الكاظم: وإنَّما لقب بذلك لما كظمه من الغيظ عمَّا فعل به الظالمون من التنكيل والإرهاق حتى قضى شهيداً مسموماً في ظلمات السجون.

ذو النفس الزكية: وذلك لصفاء ذاته التي لم تتلوث بمآثم ولا بأقذار المادة حتى سمت، وانبتلت عن النظير.

باب الحوائج: وهذا أكثر ألقابه ذكراً، وأشهرها ذيوعاً وانتشاراً، فقد اشتهر بين العام والخاص أنَّه ما قصده مكروب أو حزين إلاَّ فرَّج الله آلامه وأحزانه وما استجار أحد بضريحه المقدَّس إلاَّ قضيت حوائجه.

---

(١) تحفة الأزهار وزلال الأنهار.

(٢) الكنى وألقاب: ج١، ص١٧٦.

عبقرية ونبوغ

الأسرة:

لقد نشأ الإمام موسى في أحضان أبيه الإمام الصادق الذي ما عرف التأريخ الإنساني نظيراً له في إيمانه وتقواه وسائر نزعاته عدا آبائه الأئمة الطاهرين، وقد قال فيه تلميذه مالك بن أنس: «ما رأت عين، ولا سمعت أذن، ولا خطر على قلب بشر أفضل من جعفر بن محمد الصادق، علماً وعبادة وورعاً».

ذكاء ونبوغ:

وقد جمع الإمام موسى في سنه المبكر بين هذين النوعين وذلك في فهمه للناس وسلوكه معهم بالحكمة والروية، وإدراكه لحقائق الأمور، ومعرفته بخفايا الأشياء التي لم يدركها كبار العلماء.

مع أبي حنيفة:

كان أبو حنيفة في طليعة الذاهبين إلى «الجبر» وقد سافر إلى يثرب ليحاجج الإمام الصادق عليه السلام الذي عرف بأنَّه من خصوم هذه الفكرة، ولما انتهى إليها قصد دار الإمام، وجلس في دهليز الدار ينتظر الإذن وبينما هو جالس إذ خرج صبي يدرج فبادره أبو حنيفة قائلاً:

«أين يضع الغريب؟».

فالتفت إليه الصبي، وقال له: على رسلك، ثم جلس متأدباً، واستند إلى الحائط، وانبرى إليه يجيبه عن سؤاله قائلاً:

«توق شطوط الأنهار، ومساقط الثمار، وأفنية المساجد، وقارعة الطريق وتوار خلف الجدار، ولا تستقبل القبلة، ولا تستدبرها، وضع أين شئت».

وقد بيَّن له الأماكن التي يكره ويحرم فيها التغوط، فبهر أبو حنيفة وذهل فإنَّه لم يحسب أنَّ هناك صبياً يملك هذه المقدرة العلمية، واندفع قائلاً:

ـ ما اسمك؟

ـ موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب.

ولما عرف أبو حنيفة أنَّ الصبي فرع من دوحة النبوَّة والإمامة اطمأنت نفسه، وتقدَّم إليه بالسؤال الذي أعده للإمام الصادق قائلاً:

«يا غلام ممَّن المعصية؟ هل هي من الله أو من العبد؟».

وانطلق الإمام فأجابه:

«لا تخلو إما أن تكون من الله، وليس من العبد شيء، فليس لله أن يأخذ العبد بما لم يفعل، وإما أن تكون من العبد ومن الله، والله أقوى الشريكين، فليس للشريك القوي أن يأخذ الضعيف بذنب هما فيه سواء، وإما أن تكون من العبد، وليست من الله فإن شاء عفا، وإن شاء عاقب وهو المستعين..».

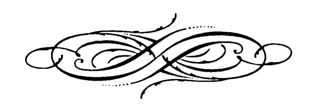
وحفل هذا الاستدلال بمقتضى الحصر العقلي بجميع مقومات الأدلة العلمية الوثيقة التي لا تقبل الحل أو النقض.

ووقف أبو حنيفة مبهوراً قد ملئت الدهشة أهابه فانطلق يرفع عقيرته قائلاً:

«قد استغنيت، بما سمعت!!».

وخرج منهزماً قد بان عليه العجز، ولم يجتمع بالإمام الصادق، وقد شاع رد الإمام عليه وعجزه عن جوابه في الأوساط العلمية، وقد انبرى بعض الشعراء إلى نظم جوابه عليه السلام بقوله:

لم تخل أفعالنا اللاتي نُذم بها ... إحدى ثلاث معان حين نأتيها
إما تفرد بارينا بصنعتها ... فيسقط اللوم عنَّا حين ننشيها
أو كان يشركنا فيها فيلحقه ... ما سوف يلحقنا من لائم فيها
أو لم يكن لإلهي في جنايتها ... ذنب فما الذنب إلاَّ ذنب جانيها[1]



(١) أمالي المرتضى: ١/ ١٠٥ ـ ١٠٦.

في جامعة الإمام الصادق عليه السلام

وصايا الإمام الصادق عليه السلام إلى ولده:

كان عليه السلام يحثُّ أصحابه وشيعته على التحلي بمكارم الأخلاق ومحاسن الأفعال ليكونوا قدوة صالحة إلى المجتمع، وقد صدرت منه بهذا الصدد وصايا، منها وصيته إلى ولده الإمام موسى، وقد جاء فيها:

«يا بني: إنَّه من رضي بما قُسم له استغنى، ومن مدَّ يمينه إلى ما في يد غيره مات فقيراً، ومن لم يرض بما قسمه الله له اتهم الله في قضائه، ومن استصغر زلة نفسه استكبر زلة غيره.

يا بني: من كشف حجاب غيره انكشفت عورات بيته، ومن سل سيف البغي قُتل به، ومن احتفر لأخيه بئراً سقط فيها، ومن داخل السفهاء حُقر، ومن خالط العلماء وُقر، ومن دخل مداخل السوء اتهم.

يا بني: إيَّاك أن تزدري بالرجال فيُزدرى بك، وإيَّاك والدخول فيما لا يعنيك فتذل لذلك.

يا بني: قل الحق لك أو عليك.

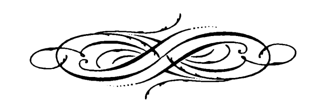
يا بني: كن لكتاب الله تالياً، وللسلام فاشياً، وبالمعروف آمراً وعن المنكر ناهياً، ولمن قطعك واصلاً، ولمن سكت عنك مبتدئاً، ولمن سألك معطياً، وإيَّاك والنميمة فإنَّها تزرع الشجناء في قلوب الرجال، وإيَّاك والتعرُّض لعيوب الناس فمنزلة المتعرض لعيوب الناس بمنزلة الهدف.

يا بني: إذا طلبت الجود فعليك بمعادنه، فإنَّ للجود معادناً وللمعادن أصلاً، وللأُصول فروعاً، وللفرع ثمراً، ولا يطيب ثمر إلاَّ بفرع، ولا فرع إلاَّ بأصل، ولا أصل ثابت إلاَّ بمعدن طيب.

يا بني: إذا زرت فزر الأخيار، ولا تزر الفجار فإنَّهم صخرة لا ينفجر ماؤها، وشجرة لا يخضر ورقها، وأرض لا يطيب عشبها..»[1].

في عهد الإمام موسى:

وقطع الإمام موسى عليه السلام شوطاً من حياته في جامعة أبيه الكبرى، وكان من أبرز العلماء النابهين، كما شارك أباه في إلقاء محاضراته العلمية، وسانده في تعزيزها، وتقديمها في الميادين الثقافية، وبعد انتقال أبيه إلى حظيرة القدس تولى إدارة شؤون هذه المدرسة الكبرى، وقام بنشر العلوم وبثّ روح الفضيلة، وقد احتف به العلماء والرواة لا يفارقونه ولا يفترقون عنه، يسجلون أحاديثه وأبحاثه وفتاواه.



(١) الإمام جعفر الصادق: ص٧٩ ـ ٨٠.

مثله العليا

وبلغ الإمام موسى عليه السلام في مواهبه وعبقرياته أعلى مستويات الإنسانية وقيمها، فهو بحكم قابلياته ومقدراته فذ من أفذاذ العقل الإنساني، ومثل رائع من أمثلة الخير والكمال في الأرض.

إمامته:

ومنحه الله بالإمامة، وخصَّه بالنيابة العامة عن جده الرسول صلى الله عليه وآله فهو أحد أوصيائه، وخلفائه على أُمَّته.

والإمامة ـ حسب ما تراه الشيعة ـ كالنبوَّة لا يمنحها الله إلاَّ للذوات الخيرة التي طُهرت من الأرجاس والآثام وانمحت عنها أفانين الظلم والأباطيل.

النص على إمامته:

وعرف الإمام الصادق عليه السلام شيعته بإمامة ولده موسى عليه السلام منذ أن أشرقت الدُّنيا بولادته، وكان في كل مناسبة يحيطهم علماً بذلك ويوصيهم بضرورة الكتمان خوفاً عليهم وعلى ولده من السلطة الحاكمة، ولما أخذ عليه السلام بعنق السبعين من سني حياته هرعت إليه طائفة من الشيعة تسأله عن الإمام من بعده لتعقد له الولاء والطاعة، وترجع إليه في أمور دينها فأجابهم عليه السلام بأنَّ الحجَّة من بعده ولده موسى عليه السلام، وفيما يلي عرض لتلك النصوص:

١ ـ سأل المفضل بن عمر الإمام جعفر بن محمد عليه السلام عن الحجَّة من بعده ليتولاه ويُدين بإمامته فقال عليه السلام: «يا مفضل، الإمام من بعدي ابني موسى، الخلف المأمول المنتظر»[1].

٢ ـ قصد يزيد بن سليط بيت الله الحرام ومعه زمرة من أصحابه فالتقى في أثناء

(١) البحار: ج١١، ص٢٣٤.

الطريق بالإمام أبي عبد الله عليه السلام وكان معه ولده وحاشيته فبادر إلى الإمام يسأله عن الحجَّة من بعده قائلاً:

«بأبي أنتم وأُمِّي، أنتم الأئمة المطهرون، والموت لا يعرى منه أحد فمن القائم من بعدك؟ فأشار عليه السلام إلى ولده موسى وأخذ يبيِّن له ما تحلى به ولده من المثل العليا قائلاً:

«فعنده علم الحكمة، والفهم، والسخاء، والمعرفة بما يحتاج الناس إليه فيما اختلفوا فيه من أمر دينهم، وفيه حسن الخلق، وحسن الجوار، وهو باب من أبواب الله، وفيه أخرى هي خير من هذا كله..».

- بأبي أنت وأُمِّي، وما هي!!؟

- «يخرج الله تعالى منه غوث هذه الأُمَّة، وغياثها، وعلمها، ونورها وفهمها، وحكيمها، خير مولود وخير ناشىء، يحقن الله به الدماء، ويصلح به ذات البين، ويلم به الشعث، ويشعب به الصدع، ويكسو به العاري، ويشبع به الجائع، ويؤمن به الخائف، وينزل به القطر، ويأتمر له العباد، خير كهل، وخير ناشىء. قوله حكم، وصمته علم يبيِّن للناس ما يختلفون فيه..»[(١)].

٣ - وهرع داود بن كثير، إلى الإمام أبي عبد الله عليه السلام يسأله عن الإمام من بعده قائلاً:

جعلني الله فداك، وقدَّمني للموت قبلك، إن كان كون فإلى من أرجع؟

- إلى ابني موسى.

واطمأن داود بذلك، واستراح ضميره فلم يداخله الشك ولم يتحير في معرفة الإمام كما حدث بذلك قوله: «ما شككت في موسى طرفة عين»[(٢)].

٤ - وتشرَّف الفيض بن المختار بزيارة الإمام أبي عبد الله عليه السلام فجرى بينهما حديث في شأن أبي الحسن موسى، وبينما هما يتحدثان في أمره إذ دخل الإمام موسى فالتفت أبو عبد الله عليه السلام إلى الفيض قائلاً: «يا فيض هو صاحبك الذي سألت عنه، فقم فقر له بحقه».

فاندفع الفيض يلثم يد الإمام ورأسه، ويدعو الله له بالبقاء والحياة، والتفت إلى أبي عبد الله عليه السلام قائلاً:

- جعلت فداك أفأخبر به أحداً..؟

---

(١) البحار: ج١١، ص٢٣٤.

(٢) نفس المصدر.

ـ نعم أهلك، وولدك، ورفقاءك.

وبهذا نقف على مدى التكتم الشديد من الإمام وشيعته، خوفاً من السلطة الجائرة، وانبرى الفيض إلى خلص أصحابه فأتحفهم بهذا النبأ المسر وكان من جملتهم يونس بن ظبيان، فأراد أن يزداد يقيناً فبادر إلى ثوى الإمام فلما انتهى إليه بادر إليه الإمام أبو عبد الله قائلاً:

«يا يونس، الأمر كما قال لك الفيض».

فانصرف يونس وهو مثلوج القلب قد غمره الفرح والسرور بهذه النعمة التي ظفر بها[1].

٥ ـ وزار إبراهيم الكرخي الإمام جعفر بن محمد عليه السلام وبينما هو جالس بخدمة الإمام إذ أقبل أبو الحسن موسى فقام إليه إبراهيم إجلالاً، فالتفت إليه أبو عبد الله.

«يا إبراهيم: أمَّا إنَّه صاحبك من بعدي، أما ليهلكن فيه قوم، ويسعد فيه آخرون، فلعن الله قاتله، وضاعف العذاب على روحه، أما ليخرجن الله من صلبه خير أهل الأرض في زمانه سمي جده ـ يعني محمد المهدي عجَّل الله فرجه سمي النبي وشبيهه في تحطيمه للظلم والقضاء على الظالمين ـ ووارث علمه، يقتله جبار بني فلان بعد عجائب طريفة حسداً له ولكن الله بالغ أمره ولو كره المشركون».

وأخذ يتحدث عن ولده، وما منحه الله من اللطف والكرامة قائلاً:

«يخرج الله من صلبه تمام اثني عشر مهدياً، اختصهم الله بكرامته، وأحلهم دار قدسه، المقر بالثاني عشر منهم كالشاهر سيفه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله يذبّ عنه».

ولما انتهى عليه السلام إلى هذه الفقرات من حديثه دخل عليه بعض عملاء الأمويين فقطع عليه السلام الحديث، وأراد إبراهيم إتمامه فلم يظفر به فرحل عن يثرب إلى وطنه ولما كان العام المقبل تشرف بالمثول بين يدي الإمام وهو يتحرق شوقاً إلى سماع بقية كلامه فأدرك عليه السلام ذلك فقال:

«يا إبراهيم: المفرج الكرب عن شيعته بعد ضنك شديد، وبلاء طويل، وجزع وخوف، فطوبى لمن أدركه، ثم قال له: حسبك يا إبراهيم».

وفرح إبراهيم بهذا الكلام من حديث الإمام وانطلق يقول:

«ما رجعت بشيء أسر من هذا لقلبي، ولا أقر لعيني»[2].

---

(١) أُصول الكافي: ج١، ص٣٠٩.

(٢) البحار: ج١١، ص٢٣٥.

٦ ـ دخل عيسى بن عبد الله العلوي على الإمام جعفر بن محمد يسأله عن الحجَّة من بعده قائلاً:

«إن كان كون ـ ولا أراني الله ذلك ـ فبمن أءتم؟».

فأومأ عليه السلام إلى ولده موسى فانبرى عيسى قائلاً:

«فإن حدث بموسى حدث فبمن أءتم؟

ـ بولده.

فإن حدث بولده حدث، وترك أخاً كبيراً وابناً صغيراً فبمن أءتم؟

ـ بولده، ثم هكذا أبداً.

ـ فإن لم أعرفه، ولا أعرف موضعه؟

ـ تقول: اللَّهمَّ، إنِّي أتولى من بقي من حججك من ولد الإمام الماضي فإنَّ ذلك يجزيك..»[١].

مواهبه العلمية:

كان الإمام موسى عليه السلام أعلم أهل عصره بجميع أنواع العلوم العقلية والنقلية، وكان علمه إلهامياً كعلم الأنبياء والأوصياء لا كسبياً كبقية الناس وقد أقام المتكلمون من الشيعة على ذلك سيلاً من الأدلة لا تقبل الجدل والشك وشهد للإمام موسى عليه السلام بوفور علمه أبوه الإمام جعفر بن محمد فقال في حقه لعيسى:

«إنَّ ابني هذا لو سألته عمَّا بين دفتي المصحف لأجابك فيه بعلم».

وقال فيه:

«وعنده علم الحكمة، والفهم، والسخاء، والمعرفة بما يحتاج إليه الناس فيما اختلفوا فيه من أمر دينهم».

ويكفي للتدليل على سعة علومه رواية العلماء عنه جميع الفنون من علوم الدِّين وغيرها ممَّا ملأوا به الكتب، وألفوا المؤلفات الكثيرة، حتى عرف بين الرواة بالعالم، وقال الشيخ المفيد:

وقد روى الناس عن أبي الحسن موسى فأكثروا، وكان أفقه أهل زمانه[٢].

---

(١) أُصول الكافي: ج١، ص٣٠٩.

(٢) الإرشاد: ص٢٧٢.

عبادته وتقواه:

أ ـ من مظاهر طاعته وعبادته:

دخل الإمام موسى الكاظم عليه السلام مسجد النبي صلى الله عليه وآله في أول الليل فسجد سجدة واحدة وهو يقول بنبرات تقطر إخلاصاً وخوفاً منه:

«عظم الذنب عندي، فليحسن العفو من عندك، يا أهل التقوى، ويا أهل المغفرة».

وجعل يردِّد هذه الكلمات بإنابة وخشوع وبكاء حتى أصبح الصبح[١]. ولما أودعه طاغية زمانه الملك هارون الرشيد في ظلمات السجون تفرغ للطاعة والعبادة حتى بهر بذلك العقول وحيَّر الألباب، فقد شكر الله على تفرغه لطاعته قائلاً:

«اللَّهمَّ، إنِّي طالما كنت أسألك أن تفرغني لعبادتك، وقد استجبت منِّي فلك الحمد على ذلك..»[٢].

وحدث الشيباني عن مدى عبادته، فقال:

كانت لأبي الحسن موسى عليه السلام في بضع عشر سنه سجدة في كل يوم بعد ابيضاض الشمس إلى وقت الزوال[٣]، وقد اعترف عدوه هارون الرشيد بأنَّه المثل الأعلى للإنابة والإيمان، وذلك حينما أودعه في سجن الربيع فكان يطل من أعلى القصر فيرى ثوباً مطروحاً في مكان خاص من البيت لم يتغير عن موضعه فيتعجب من ذلك ويقول للربيع:

ـ ما ذاك الثوب الذي أراه كل يوم في ذلك الموضع؟!.

ـ يا أمير المؤمنين: ما ذاك بثوب، وإنَّما هو موسى بن جعفر، له في كل يوم سجدة بعد طلوع الشمس إلى وقت الزوال.

فبهر هارون وانطلق يبدي إعجابه.

ـ أما إنَّ هذا من رهبان بني هاشم!!

والتفت إليه الربيع بعدما سمع منه اعترافه بزهد الإمام وعزوفه عن الدُّنيا طالباً أن يطلق سراحه ولا يضيق عليه قائلاً:

ـ يا أمير المؤمنين: ما لك قد ضيقت عليه في الحبس!!؟

---

(١) وفيات الأعيان: ج٤، ص٢٩٣.

(٢) وفيات الأعيان: ج٤، ص٢٩٣.

(٣) البحار: ج١١، ص٢٩٨.

فأجابه هارون بما انطوت عليه نفسه من عدم الرحمة والرأفة قائلاً: «هيهات! لا بدَّ من ذلك!»[١].

وروت شقيقة السندي بن شاهك ـ حينما سجن الإمام في بيت أخيها ـ عن عبادة الإمام فقالت:

«إنَّه إذا صلَّى العتمة حمد الله ومجده ودعاه إلى أن يزول اللَّيل، ثم يقوم، ويصلِّي حتى يطلع الصبح، فيصلِّي الصبح، ثم يذكر الله حتى تطلع الشمس، ثم يقعد إلى ارتفاع الضحى، ثم يرقد ويستيقظ قبل الزوال، ثم يتوضأ ويصلي حتى يصلي العصر، ثم يذكر الله حتى يصلي المغرب، ثم يصلي ما بين المغرب والعتمة، فكان هذا دأبه إلى أن مات»[٢].

ب ـ صومه:

أنفق الإمام أغلب أيام حياته في طاعة الله فكان يصوم في النهار ويقوم مصلياً في الليل، خصوصاً لما سجنه هارون فإنَّه لم يبارح العبادة الاستحبابية بجميع أنواعها من صوم وغيره.

ج ـ حجَّه:

قد حجَّ معه أخوه علي بن جعفر وجميع عياله أربع مرَّات، وحدث علي بن جعفر عن الوقت الذي قطعوا به طريقهم فقال: كانت السفرة (الأولى) ستاً وعشرين يوماً، و(الثانية) كانت خمساً وعشرين يوماً، و(الثالثة) كانت أربعاً وعشرين يوماً، و(الرابعة) كانت إحدى وعشرين يوماً[٣].

وجرت له قصة مع شقيق البلخي أجمع على ذكرها أغلب من ترجم للإمام، وهذا نصها:

خرج شقيق حاجاً بيت الله الحرام سنة ١٤٩هـ أو سنة ١٤٦، فنزل القادسية، ولما استقر به المكان أخذ يشرف على الحجاج، وينظر إلى استعدادهم وبينما هو مشغول بالنظر إلى الحجيج إذ وقع بصره ـ كما يقول ـ على شاب حسن الوجه، شديد السمرة، نحيف

---

(١) البحار: ج١١، ص٢٩٨.
(٢) تأريخ أبي الفداء: ج٢، ص١٢.
(٣) البحار: ج١١، ص٢٦١.

الجسم، فوق ثيابه ثوب من صوف، قد جلس وحده، منفرداً عن الناس، بعيداً عن شؤونهم، لم يختلط معهم، فدار في خلده، إنَّ هذا الفتى من الصوفية يريد أن يكون عبئاً ثقيلاً على الحاج حيث لا متاع عنده، ولم يصحب معه ما يحتاج إليه المسافر من المتاع اللازم، فصمم شقيق على أن يمضي إليه، ويوبخه ليرتدع عمَّا هو فيه، ويثيب إلى الصواب فلما دنا منه انبرى إليه الفتى قبل أن يفتح معه الحديث قائلاً له بنبرات تقطر لطفاً:

«يا شقيق: اجتنبوا كثيراً من الظن، إنَّ بعض الظن إثم!!».

ولم يتكلَّم بأكثر من هذا. ثم إنَّه تركه وانصرف عنه، فبهر شقيق وبقي حائر الفكر مذهول اللب من أمر الفتى الذي نطق باسمه، وعرف دخائل نفسه، وقد داخله الشيء الكثير من الإكبار له، واطمأن بأنَّه من عباد الله الصالحين، وقد ندم على ما فرط في أمره، فصمم على الالتحاق به ليعفو عنه، ويحله من خطيئته، فجد في طلبه فلم يدركه، فلما نزلت القوافل بوادي (فضة) نظر شقيق وإذا بصاحبه واقف يصلي وأعضاؤه تضطرب خوفاً من الله، ودموعه تتبلور على خديه، فصبر حتى فرغ من صلاته، فالتفت إليه الفتى قبل أن يسأله قائلاً له:

«يا شقيق: اتل، وإنِّي لغفار لمن تاب وآمن وعلم صالحاً ثم اهتدى».

ثم إنَّه تركه وانصرف عنه، وهام شقيق في تيار من الهواجس والأفكار، وأخذ يقول: يا الله! يا للعجب!! إنَّه تكلَّم بما انطوت عليه نفسي مرتين.

إنَّه من الأبدال.

إنَّه من المنيبين المهتدين، وأخذ يطيل التفكير في شأنه، وسارت القافلة تطوي البيداء، فلما انتهت إلى (الأبواء) خرج شقيق يتجول فيها فوقع نظره على الفتى فبادر إليه، وإذا به واقف على بئر يستقي منها، وبيده ركوة قد سقطت في البئر فرمق السماء بطرفه، وجعل يخاطب الله بمنتهى الخضوع والإيمان قائلاً:

أنت شربي إذا ظمئت من الماء وقوتي إذا أردت الطعاما

«إلٰهي وسيِّدي، ما لي سواك فلا تعدمنيها..».

ولم يزد على ذلك حتى ارتفع الماء فوراً، إلى رأس البئر والركوة طافية عليه، فمدَّ يده فتناولها ثم توضأ منها، وصلَّى أربع ركعات، ثم مال إلى كثيب من الرمل فتناول منه قبضة وجعلها في الركوة فحرَّكها وشرب منه، فسلَّم عليه شقيق وقال له:

ـ اطعمني ممَّا رزقك الله.

ـ يا شقيق: لم تزل نعم الله عليَّ ظاهرة وباطنة، فاحسن ظنّك بربّك ثم ناوله الركوة فشرب منها، فإذا فيها سويق وسكر، فما شرب شقيق ـ كما يقول ـ شراباً قط ألذ ولا أطيب منه، وبقي أياماً وهو لا يشتهي الطعام والشراب، ثم إنَّه مضى عنه، فلم يجتمع به إلاَّ بمكة، فرآه إلى جانب (قبّة الشراب) في غلس الليل البهيم وهو قائم يصلّي بخشوع وأنين وبكاء، فلم يزل كذلك حتى انبثق نور الفجر، ثم إنَّه قام إلى (حاشية المطاف) فركع ركعتي الفجر، وصلَّى صلاة الصبح مع الناس، ثم انعطف نحو البيت، فطاف فيه بعد شروق الشمس، وبعد الفراغ من الطواف صلَّى صلاة الطواف، ثم خرج من البيت فتبعه شقيق يريد السلام عليه والتشرف بمقابلته، وإذا بالخدم والموالي قد طافوا حوله وأحاطوا به يميناً وشمالاً، وانكبت عليه جماهير الناس تلثم يديه وأطرافه فتعجب شقيق من ذلك وبادر إلى من حوله يسأله عن اسم صاحبه فقيل له: «هذا موسى الكاظم».

فعند ذلك آمن شقيق وتيقن بأنَّ تلك الكرامة جديرة بالإمام[1] ونظم بعض الشعراء هذه البادرة بقوله:

سل شقيق البلخي عنه بما عاين منه	وما الذي كان أبصر
قال: لما حججت عاينت شخصاً	شاحب اللون ناحل الجسم أسمر
سائراً وحده وليس له زاد	فما زلت دائماً أتفكَّر
وتوهمت أنَّه يسأل الناس	ولم أدر أنَّه الحج الأكبر
ثم عاينته ونحن نزول	دون قيد على الكثيب الأحمر
يضع الرمل في الإناء ويشربه	فناديته وعقلي محير
إسقني شربة فلما سقاني	منه عاينته سويقاً وسكر
فسألت الحجيج من يك هذا	قيل هذا الإمام موسى بن جعفر[2]

د ـ تلاوته للقرآن:

كان من أحسن الناس صوتاً به، فإذا قرأ بحزن، ويبكي السامعون لتلاوته[3].

وحدث حفص عن كيفية تلاوته للقرآن فقال: وكانت قراءته حزناً فإذا قرأ فكأنَّه يخاطب إنساناً[4].

---

(١) أخبار الدول: ص١١٢.

(٢) مطالب السؤول: ص٨٤.

(٣) المناقب: ج٢، ص٣٧٩.

(٤) البحار: ج١١، ص٢٦٥.

هـ ـ بكاؤه من خشية الله:

قد حدث الرواة عن مدى خوفه من الله فقالوا: إنَّه كان يبكي من خشية الله حتى تخضل كريمته الشريفة، من دموع عينيه[١].

و ـ عتقه للعبيد:

أعتق منه ألف مملوك[٢] كل ذلك لوجه الله، وابتغاء مرضاته، والتقرُّب إليه.

زهده:

حدَّثنا عن مدى زهده إبراهيم بن عبد الحميد فقال: دخلت عليه في بيته الذي كان يصلِّي فيه، فإذا ليس في البيت شيء سوى خصفة، وسيف معلق، ومصحف[٣].

وقد أنفق جميع ذلك بسخاء على البائسين والمحرومين في سبيل الله وابتغاء مرضاته، وكان عليه السلام دوماً يتلو على أصحابه سيرة أبي ذر الصحابي العظيم الذي ضرب المثل الأعلى لنكران الذات والتجرُّد عن الدُّنيا والزهد في ملاذها، فقال عليه السلام: «رحم الله أبا ذر. فلقد كان يقول: جزى الله الدُّنيا عنِّي مذمة بعد رغيفين من الشعير، أتغذى بأحدهما، وأتعشى بالآخر، وبعد شملتي الصوف ائتزر بأحدهما وأتردى بالأخرى..»[٤].

جوده وسخاؤه:

قد أجمع المؤرخون أنَّه أنفق عليه السلام جميع ما عنده عليهم كل ذلك في سبيل الله ولم يبتغ من أحد جزاءاً أو شكوراً، وكان عليه السلام في صِلاته يتطلب الكتمان وعدم الذيوع لئلا يشاهد على الآخذ ذلة الحاجة وكان يلتمس في ذلك وجه الله ورضاه، ولهذا كان يخرج في غلس اللَّيل البهيم فيوصل الطبقة الضعيفة ببره وإحسانه وهي لا تعلم من أي جهة تصلها تلك المبرة، وكان يوصلهم بصراره التي تتراوح ما بين المائتي دينار إلى الأربعمائة دينار[٥] وكان يضرب المثل بتلك الصرار فكان أهله يقولون: «عجباً لمن جاءته صرار موسى وهو يشتكي القلة والفقر!»[٦].

---

(١) كشف الغمة: ص٢٤٧.
(٢) الدر النظيم في مناقب الأئمة.
(٣) البحار: ج١١، ص٢٦٥.
(٤) أصول الكافي: ج٢، ص١٣٤.
(٥) تأريخ بغداد: ج١٣، ص٢٨.
(٦) عمدة الطالب: ص١٨٥.

وبلغ من عطفه المستفيض أنَّه إذا بلغه عن شخص يؤذيه ويسيء إليه بعث له بصرة فيها ألف دينار[١]، وقد قامت هباته السرية وصلاته الخفية بإعاشة فقراء يثرب، فكانوا جميعاً يرتعون بنعمته ويعيشون من عطاياه، وقد ذكر المؤرخون جمهرة كبيرة ممَّن أغدق عليهم الإمام ببره، نقتصر منهم على ما يلي:

* كانت لمحمد بن عبد الله البكري ديون على جماعة من أهالي يثرب فقدم إليهم ليستحصل ديونه منهم فبقي مدة يطالبهم، ويلح عليهم فلم يظفر بشيء من ديونه فعنَّ له أن يتشرَّف بمقابلة الإمام، ويشكو له الحاجة والفقر، فمضى إليه وكان عليه السلام في بعض ضياعه (بنقمى)[٢]، ولما وصل إلى محل الإمام خرج عليه السلام وكان بخدمته غلام معه منسف[٣] فيه قديد[٤] مجزع[٥] فأكلوا منه جميعاً وبعد الفراغ من تناول الطعام سأله الإمام عن حاله فأخبره بقصته وضيق حاله، فقام عليه السلام فدخل البيت ثم خرج فأمر غلامه بالانصراف لئن يراه فيكون ذل على السائل ثم أعطاه صرة فيها ثلاثمائة دينار ـ لعلَّها أكثر من ديونه ـ فأخذها محمد وانصرف شاكراً للإمام وداعياً له بالخير[٦].

* خرج الإمام من يثرب مع حاشيته وبعض أولاده إلى ضياعه الواقعة بساية[٧] وقبل الانتهاء إليها استراحوا في بعض المناطق المجاورة لها، وكان الوقت آنذاك شديد البرد، فبينما هم جلوس إذ خرج إليهم عبد زنجي فصيح اللِّسان وهو يحمل على رأسه قدراً يفور، فوقف أمام غلمان الإمام وقال لهم:

ـ أين سيِّدكم؟

ـ هو ذاك ـ وأشاروا إلى أبي الحسن ـ.

ـ أبو من يكنى؟

ـ أبو الحسن.

فوقف بين يديه وهو يتضرع قائلاً له:

---

(١) تأريخ بغداد: ج١٣، ص٢٧.
(٢) نقمى: بالتحريك والقصر من النقمة وهي العقوبة، موضع من أعراض المدينة كان لآل أبي طالب.
(٣) المنسف: بالكسر يستعمل في تصفية الحب وغربلته.
(٤) القديد: اللحم المشرر الذي قطع وشرر.
(٥) المجزع: كل شيء اجتمع فيه سواد وبياض.
(٦) تأريخ بغداد: ج١٣، ص٢٨.
(٧) ساية: واد من حدود الحجاز فيه مزارع.

ـ يا سيِّدي: هذه عصيدة أهديتها إليك.

فقبل الإمام عليه السلام هديته وأمره بأن يضعها عند الغلمان فوضعها عندهم ثمَّ انصرف فلم يلبث إلَّا قليلاً حتى أقبل ومعه حزمة من الحطب فوقف قبال الإمام وقال له:

ـ يا سيِّدي: هذا حطب أهديته إليك.

فقبل عليه السلام هديته وأمره أن يلتمس له قبساً من النار، فمضى قليلاً ثم جاء بالنار فأمر الإمام بكتابة اسمه واسم مولاه وبعد تسجيله أمر بعض ولده بالاحتفاظ به عند الحاجة، ثم أنَّهم رحلوا إلى ضياعهم فمكثوا فيها أياماً، وبعدها اتجهوا إلى بيت الله الحرام، فاعتمر عليه السلام فيه، وبعد فراغه أمر صاعداً أن يفتش عن مالك العبد وقال له:

«إذا علمت موضعه فاعلمني حتى أمشي إليه، فإنِّي أكره أن أدعوه والحاجة لي».

فمضى ففتش عن الرجل حتى ظفر به، فعرفه وعرف أنَّه ممَّن يدين بالإمامة، وبعد السلام عليه سأله الرجل عن قدوم الإمام فأنكر عليه صاعد ذلك، ثم سأله عن سبب مجيئه فأخبره بأنَّ له حوائج دعته إلى السفر، فلم يقتنع الرجل بذلك وغلب على ظنه تشريف الإمام إلى مكة، ثم ودعه صاعد وقفل راجعاً إلى الإمام، فتبعه الرجل وسار على أثره فالتفت صاعد فرآه يسير خلفه فكلَّما أراد التخلي عنه فلم يتمكن فسارا معاً حتى أقبلا إلى الإمام فلما مثلا عنده أخذ عليه السلام يؤنب صاعداً على إخبار الرجل بقدومه فاعتذر له بأنَّه لم يخبره ولكنَّه تبعه بغير اختيار منه، وبعدما استقر الرجل التفت عليه السلام إليه قائلاً:

ـ غلامك فلان تبيعه؟

ـ جعلت فداك، الغلام لك والضيعة وجميع ما أملك.

ـ أما الضيعة فلا أحب أن أسلبكها..».

وجعل الرجل يتضرع إلى الإمام ويتوسل إليه ليقبلهما منه، والإمام ممتنع من إجابته، وأخيراً اشترى عليه السلام الغلام مع الضيعة بألف دينار فأعتق الغلام، ووهب له الضيعة، كل ذلك ليجازي الإحسان بالإحسان ويقابل المعروف بالمعروف، وقد وسع الله على العبد ببركة الإمام حتى أصبح أبناؤه من أثرياء مكة وصرافيها[1].

* حدث عيسى بن محمد القرطي قال: زرعت بطيخاً وقثاءً وقرعاً في موضع بالجوانية[2] على بئر يُقال لها أم عضام، فلما قرب الخير واستوى الزرع بغتني الجراد

---

(١) تأريخ بغداد: ج١٣، ص٢٩ ـ ٣٠.

(٢) الجوانية: موضع أو قرية قرب المدينة.

فأتى على الزرع كله، وكنت قد غرمت عليه مع ثمن جملين مائة وعشرين ديناراً، فبينما أنا جالس إذ طلع عليَّ الإمام موسى بن جعفر عليه السلام فسلَّم ثم قال لي:

- كيف حالك؟

- أصبحت كالصريم[١] بغتني الجراد، فأكل زرعي.

- كم غرمت فيه؟

- مائة وعشرين ديناراً مع ثمن الجملين.

فالتفت عليه السلام لعرفة، وقال له: زن لابن المغيث مائة وخمسين ديناراً ثم قال لعيسى: فربحك ثلاثون ديناراً مع الجملين[٢].

حلمه:

رووا أنَّ شخصاً من أحفاد عمر بن الخطاب كان يسيء للإمام، ويكيل السب والشتم لجده أمير المؤمنين عليه السلام فأراد بعض شيعة الإمام اغتياله فنهاهم عليه السلام عن ذلك ورأى أن يعالجه بغير ذلك فسأل عن مكانه فقيل إنَّه يزرع في بعض نواحي المدينة، فركب عليه السلام بغلته ومضى إليه متنكراً، فوجده في مزرعته فأقبل نحوه فصاح به العمري لا تطأ إليه جلس إلى جنبه وأخذ يلاطفه ويحدِّثه بأطيب الحديث، وقال له بلطف ولين:

- كم غرمت في زرعك هذا؟

- مائة دينار.

- كم ترجو أن تصيب منه؟

- أنا لا أعلم الغيب!!

- إنَّما قلت لك: كم ترجو أن يجيئك منه؟

- أرجو أن يجيئني منه مائتا دينار؟

فأعطاه عليه السلام ثلاثمائة دينار، وقال: هذه لك وزرعك على حاله فتغير العمري، وخجل من نفسه على ما فرط من قبل في حق الإمام، وتركه عليه السلام ومضى إلى الجامع النبوي، فوجد العمري قد سبقه، فلما رأى الإمام مقبلاً قام إليه تكريماً وانطلق يهتف:

«الله أعلم حيث يجعل رسالته في من يشاء».

---

(١) الصريم: الأرض المحصود زرعها.

(٢) تأريخ بغداد: ج١٣، ص٢٩.

فبادر إليه أصحابه منكرين عليه هذا الانقلاب، فأخذ يخاصمهم، ويتلو عليهم مناقب الإمام ومآثره، ويدعو له، فالتفت عليه السلام إلى أصحابه قائلاً: «أيما كان خيراً؟ ما أردتم أو ما أردت أن أصلح أمره بهذا المقدار؟»[١].

ومن آيات حلمه عليه السلام أنَّه اجتاز على جماعة من حساده وأعدائه، وكان فيهم ابن هياج فأمر بعض أتباعه أن يتعلق بلجام بغلة الإمام ويدعيها فمضى الرجل إل الإمام وتعلق بزمام بغلته فادعاها له فعرف الإمام غايته فنزل عن بغلته وأعطاها له[٢].

وكان عليه السلام يوصي أبناءه بالتحلي بهذه الصفة الرفيعة ويأمرهم بالصفح عمَّن أساء إليهم فقد جمعهم وأوصاهم بذلك فقال: «يا بني: إنِّي أوصيكم بوصية من حفظها انتفع بها، إذا أتاكم آت فأسمع أحدكم في الأذن اليمنى مكروهاً ثم تحول إلى اليسرى فاعتذر لكم، وقال: إنِّي لم أقل شيئاً فاقبلوا عذره..»[٣].

إرشاده وتوجيهه:

قد ذكر المؤرخون بوادر كثيرة له في هذا المجال فقد رووا قصته مع بشر الحافي، فقد كان في بداية أمره فيما يقول الرواة يتعاطى الشراب ويقضي لياليه وأيامه في المجون والدعارة فاجتاز الإمام عليه السلام على داره ببغداد فسمع الملاهي وأصوات الغناء والقصب تعلو من داره، وخرجت منها جارية وبيدها قمامة فرمت بها في الطريق، فالتفت الإمام إليها قائلاً:

«يا جارية! صاحب هذه الدار حر أم عبد؟».

«حر».

«صدقت، لو كان عبداً لخاف من مولاه».

ودخلت الجالية الدار، وكان بشر على مائدة السكر، فقال لها: ما أبطأك؟ فنقلت له ما دار بينها وبين الإمام فخرج بشر مسرعاً حتى لحق الإمام فتاب على يده، واعتذر منه وبكى[٤] وبعد ذلك أخذ في تهذيب نفسه واتصل بالله عن معرفة وإيمان حتى فاق أهل عصره في الورع والزهد، وقال فيه إبراهيم الحربي:

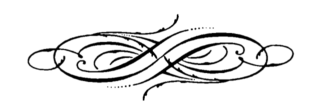
---

(١) تأريخ بغداد: ج١٣، ص٢٨ ـ ٢٩.
(٢) البحار: ج١١، ص٢٧٧.
(٣) الفصول المهمة لابن الصباغ: ص٢٢٠.
(٤) الكنى والألقاب: ج٢، ص١٥٠.

«ما أخرجت بغداد أتم عقلاً، ولا أحفظ للسانه، من بشر بن الحارث كان في كل شعرة منه عقل»[١].

كان يتذمر من أهل عصره، ويكره الاختلاط بهم وذلك لفقدان المؤمنين والأخيار، وكثرة الأشرار والمنحرفين، لذلك ابتعد عن الاجتماع بكثير من الناس حتى أنَّ المأمون تشفع بأحمد بن حنبل في أن يأذن له في زيارته فأبى ولم يجبه[٢]، ومن شعره في تذمره من أهل زمانه قوله:

ذهب الرجال المرتجى لفعالهم والمنكرون لكل أمر منكر
وبقيت في خلف يزين بعضهم بعضاً ليدفع معور عن معور[٣]



---

(١) تأريخ بغداد: ج٧، ص٧٣.
(٢) الكواكب الدرية: ج١، ص٢٠٨.
(٣) تأريخ بغداد: ج٧، ص٧٧.

أقوال وآراء

١ ـ الإمام الصادق:

وأشاد الإمام الصادق عليه السلام بفضل ولده، وبيَّن للمسلمين ما مُثل فيه من المواهب والعبقريات، فقال: «ولدي موسى شبيه عيسى بن مريم»[١].

وقال: «وفيه علم الحكمة، والفهم، والسخاء، والمعرفة بما يحتاج الناس إليه فيما اختلفوا فيه من أمر دينهم، وفيه حسن الخلق، والجوار، وهو باب من أبواب الله».

وأثرت عنه كثير من الأخبار وهي تشيد بفضل الإمام موسى عليه السلام وتعرب عن مآثره ومواهبه.

٢ ـ هارون الرشيد:

واعترف هارون الرشيد ـ الذي هو خصم الإمام وأعدى أعدائه ـ بمواهب الإمام ومناقبه، وأنَّه أحق بالخلافة من غيره، وقد صرَّح بذلك حينما سأله ولده المأمون عن إكباره وتقديره له، فقال له: «يا بني: هذا إمام الناس وحجَّة الله على خلقه، وخليفته على عباده، أنا إمام الجماعة في الظاهر والغلبة والقهر، وإنَّه والله لأحق بمقام رسول الله صلى الله عليه وآله مني ومن الخلق جميعاً، ووالله لو نازعني في هذا الأمر لأخذت الذي فيه عيناه فإنَّ الملك عقيم».

وأضاف إلى ذلك قوله: «يا بني هذا وارث علم النبيين هذا موسى بن جعفر إن أردت العلم الصحيح تجده عند هذا»[٢].

وهذه الصفات الماثلة في الإمام هي السِّر في عظمته، والسِّر في إجماع العلماء على إكباره واتفاق المسلمين على محبته.

---

(١) دائرة المعارف لمحمد فريد وجدي: ج٩، ص٥٩٤.

(٢) ينابيع المودة: ج٣، ص٣٢.

من تراثه الفكري

رسالته في العقل:

قد تحدَّث الإمام موسى عن أهم آثار العقل واستدل على فضله بالآيات الكريمة، وذلك في حديثه الذهبي الذي زود به تلميذه هشام بن الحكم، ويعتبر هذا الحديث من أهم الثروات الفكرية التي أُثرت عن الإمام، وقد شرحه شرحاً فلسفياً صدر المتألهين الآخوند ملا صدرا.

قال عليه السلام: «يا هشام: إنَّ الله تبارك وتعالى بشَّر أهل العقل والفهم في كتابه فقال: ﴿...فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[١].

يا هشام: إنَّ الله تبارك وتعالى أكمل للناس الحجج بالعقول، ونصر النبيين بالبيان، ودلهم على ربوبيته بالأدلة فقال: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ﴾ ﴿وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[٢].

يا هشام: قد جعل الله ذلك[٣] دليلاً على معرفته بأنَّ لهم مدبِّراً فقال: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[٤] وقال: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾[٥] وقال: وَقَالَ إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ

---

(١) سورة الزمر: الآيتان: ١٧ ـ ١٨.

(٢) سورة البقرة: الآيتان: ١٦٣ ـ ١٦٤.

(٣) اسم الإشارة يرجع إلى الآية المذكورة أو لكلامه المتقدم.

(٤) سورة النحل: الآية ١٢.

(٥) سورة المؤمن: الآية ٦٦.

رزقٍ فَأَحيا بِهِ الْأَرضَ بَعْدَ مَوْتِهَا و تَصْرِيفِ الرِّياحِ وَالسَّحابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّماءِ وَالْأَرضِ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ[1] وقال: ﴿يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[2] وقال: ﴿وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[3] وقال: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[4] وقال: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[5] وقال: ﴿هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾»[6].

وقال عليه السلام: «يا هشام: ثم وعظ أهل العقل ورغبهم في الآخرة فقال: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾»[7].

وقال عليه السلام: «يا هشام: ثم خوف الذين لا يعقلون عقابه فقال تعالى: ﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْآخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[8] وقال: ﴿إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾»[9].

وقال عليه السلام: «يا هشام: إنَّ العقل مع العلم قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾»[10].

وقال عليه السلام: «يا هشام: ثم ذمَّ الذين لا يعقلون فقال: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ

---

(١) قد أخذ هذا من مضمون الآية الخامسة في سورة الجاثية.
(٢) سورة الحديد: الآية ١٧.
(٣) سورة الرعد: الآية ٤.
(٤) سورة الروم: الآية ٢٤.
(٥) سورة الأنعام: الآية ١٥١.
(٦) سورة الروم: الآية ٢٨.
(٧) سورة الأنعام: الآية ٣٢.
(٨) سورة الصافات: الآيات ١٣٦ و١٣٧ و١٣٨.
(٩) سورة العنكبوت: الآيتان: ٣٣ و٣٤.
(١٠) سورة العنكبوت: الآية ٤٣.

قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾[١] وقال: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾[٢] وقال: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ﴾[٣] وقال: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾[٤] وقال: ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾[٥] وقال: ﴿وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾»[٦].

إلى هنا ينتهي بنا الحديث في بيان الآيات التي استدل بها عليه السلام على ذم من لا يعقل من الناس، ولننتقل إلى فصل آخر من كلامه، قال عليه السلام: «يا هشام: ثم ذمَّ الله الكثرة فقال: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾[٧]، وقال: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٨] وقال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾[٩].

يا هشام: ثم مدح القلة فقال: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ الشَّكُورُ﴾[١٠] وقال: ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾[١١] وقال: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ اللَّهُ﴾[١٢] وقال: ﴿وَمَنْ ءَامَنَ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[١٣] وقال: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[١٤] وقال: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾[١٥] **وقال: وأكثرهم لا يشعرون.**

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٦٩.
(٢) سورة البقرة: الآية ١٧١.
(٣) سورة يونس: الآية ٤٢.
(٤) سورة الفرقان: الآية ٤٤.
(٥) سورة الحشر: الآية ١٤.
(٦) سورة البقرة: الآية ٤٤.
(٧) سورة الأنعام: الآية ١١٦.
(٨) سورة لقمان: الآية ٢٥.
(٩) سورة العنكبوت: الآية ٦٣.
(١٠) سورة سبأ: الآية ١٣.
(١١) سورة ص: الآية ٢٤.
(١٢) سورة غافر: الآية ٢٨.
(١٣) سورة هود: الآية ٤٠.
(١٤) سورة الأنعام: الآية ٣٧.
(١٥) سورة المائدة: الآية ١٠٣.

يا هشام: ثم ذكر أولي الألباب بأحسن الذكر وحلاهم بأحسن الحلية، فقال: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾[1] وقال: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾[2] وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾[3] وقال تعالى: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾[4] وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾[5] وقال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾[6] وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ ﴿٥٣﴾ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾[7] وقال تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[8]».

وقال عليه السلام: «يا هشام: إنَّ الله تعالى يقول في كتابه: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾[9] - يعني عقل - وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾[10] يعني الفهم والعقل».

وأخذ عليه السلام يتلو على هشام بعض حكم لقمان ونصائحه فقال: «يا هشام: إنَّ لقمان قال لابنه: تواضع للحق تكن أعقل الناس وإنَّ الكيس لدى الحق يسير، يا بني: إنَّ الدُّنيا بحر عميق قد غرق فيها عالم كثير فلتكن سفينتك فيها تقوى الله، وحشوها الإيمان، وشراعها التوكل، وقيمها العقل ودليلها العلم، وسكانها الصبر».

ولننتقل إلى مشهد آخر من كلامه قال عليه السلام: «يا هشام: إنَّ لكل شيء دليلاً، ودليل العقل التفكُّر، ودليل التفكُّر الصمت، ولكل شيء مطية، ومطية العقل التواضع وكفى بك جهلاً أن تركب ما نهيت عنه.

يا هشام: ما بعث الله أنبياءه ورسله إلى عباده إلاَّ ليعقلوا عن الله فأحسنهم استجابة

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٦٩.
(٢) سورة آل عمران: الآية ٧.
(٣) سورة آل عمران: الآية ١٨٩.
(٤) سورة الرعد: الآية ١٩.
(٥) سورة الزمر: الآية ٩.
(٦) سورة ص: الآية ٢٩.
(٧) سورة غافر: الآية ٥٢.
(٨) سورة الذاريات: الآية ٥٥.
(٩) سورة ق: الآية ٣٧.
(١٠) سورة لقمان: الآية ١٢.

أحسنهم معرفة، وأعلمهم بأمر الله أحسنهم عقلاً، وأكملهم عقلاً أرفعهم درجة في الدُّنيا والآخرة.

يا هشام: إنَّ لله على الناس حجتين: حجَّة ظاهرة، وحجَّة باطنة؛ فأما الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمة ﷺ وأما الباطنة فالعقول.

يا هشام: إنَّ العاقل الذي لا يشغل الحلال شكره ولا يغلب الحرام صبره.

يا هشام: من سلط ثلاثاً على ثلاث فكأنَّما أعان على هدم عقله: من أظلم نور تفكُّره بطول أمله، ومحا طرائف حكمته بفضول كلامه، وأطفأ نور عبرته بشهوات نفسه فكأنَّما أعان هواه على هدم عقله، ومن هدم عقله أفسد عليه دينه ودُنياه.

يا هشام: كيف يزكو عند الله عملك وأنت قد شغلت قلبك عن أمر ربّك، وأطعت هواك عن غلبة عقلك.

يا هشام: الصبر على الوحدة علامة قوَّة العقل، فمن عقل عن الله اعتزل أهل الدُّنيا والراغبين فيها، ورغب فيما عند الله، وكان الله آنسه في الوحشة وصاحبه في الوحدة وغناه في العيلة، ومعزه من غير عشيرة.

يا هشام: نصب الحق لطاعة الله، ولا نجاة إلاَّ بالطاعة، والطاعة بالعلم والعلم بالتعلُّم، والتعلُّم بالعقل يعتقد ولا علم إلاَّ من عالم رباني، ومعرفة العلم بالعقل.

يا هشام: قليل العمل من العالم مقبول مضاعف، وكثير العمل من أهل الهوى والجهل مردود.

يا هشام: إنَّ العاقل رضي بالدون من الدُّنيا مع الحكمة، ولم يرض بالدون من الحكمة مع الدُّنيا فلذلك ربحت تجارته.

يا هشام: إنَّ العقلاء تركوا فضول الدُّنيا فكيف الذُّنوب؟ وترك الدُّنيا من الفضل، وترك الذُّنوب من الفرض.

يا هشام: إنَّ العاقل نظر إلى الدُّنيا وإلى أهلها فعلم أنَّها لا تنال إلاَّ بالمشقة، ونظر إلى الآخرة فعلم أنَّها لا تنال إلاَّ بالمشقة، فطلب بالمشقة أبقاهما.

يا هشام: إنَّ العقلاء زهدوا في الدُّنيا ورغبوا في الآخرة، لأنَّهم علموا أنَّ الدُّنيا طالبة مطلوبة والآخرة طالبة ومطلوبة فمن طلب الآخرة طلبته الدُّنيا حتى يستوفي منها رزقه، ومن طلب الدُّنيا طلبته الآخرة فيأتيه الموت فيفسد عليه دُنياه وآخرته.

يا هشام: من أراد الغنى بلا مال، وراحة القلب من الحسد، والسلامة في الدِّين،

فليتضرع إلى الله عزَّ وجلَّ في مسألته بأن يكمل عقله، فمن عقل قنع بما يكفيه، ومن قنع بما يكفيه استغنى، ومن لم يقنع بما يكفيه لم يدرك الغنى أبداً.

يا هشام: إنَّ الله حكى عن قوم صالحين أنَّهم قالوا: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾، حين علموا أنَّ القلوب تزيغ وتعود إلى عماها ورداها، أنَّه لم يخف الله من لم يعقل عن الله، ومن لم يعقل عن الله لم يعقد قلبه على معرفة ثابتة يبصرها ويجد حقيقتها في قلبه ولا يكون أحد كذلك إلاَّ من كان قوله لفعله مصدقاً وسرّه لعلانيته موافقاً، لأنَّ الله تبارك اسمه لم يدلَّ على الباطن الخفي من العقل إلاَّ بظاهر منه وناطق عنه.

يا هشام كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: ما عبد الله بشيء أفضل من العقل، وما تم عقل امرىء حتى يكون فيه خصال شتى: الكفر والشر منه مأمونان، والرشد والخير منه مأمولان، وفضل ماله مبذول، وفضل قوله مكفوف، ونصيبه من الدُّنيا القوت، لا يشبع من العلم دهره، الذل أحب إليه مع الله من العز مع غيره، والتواضع أحب إليه من الشرف، يستكثر قليل المعروف من غيره، ويستقل كثير المعروف من نفسه ويرى الناس كلهم خيراً منه، وأنَّه شرهم في نفسه، وهو تمام الأمر.

يا هشام: إنَّ العاقل لا يكذب وإن كان فيه هواه.

يا هشام: لا دين لمن لا مروة له، ولا مروة لمن لا عقل له، وإنَّ أعظم الناس قدراً الذي لا يرى الدُّنيا لنفسه خطراً. أما إنَّ أبدانكم ليس لها ثمن إلاَّ الجنَّة فلا تبيعوها بغيرها.

يا هشام إنَّ أمير المؤمنين عليه السلام كان يقول: إنَّ من علامة العاقل أن يكون فيه ثلاث خصال: يجيب إذا سئل، وينطق إذا عجز القوم عن الكلام، ويشير بالرأي الذي يكون فيه صلاح أهله، فمن لم يكن فيه من هذه الخصال الثلاث شيء فهو أحمق».

يا هشام: إنَّ العاقل لا يحدث من يخاف تكذيبه، ولا يسأل من يخاف منعه، ولا يعد ما لا يقدر عليه، ولا يرجو ما يعنف برجائه، ولا يقدم على ما يخاف فوته بالعجز عنه».

وانتهت هذه الرسالة الرفيعة على رواية ثقة الإسلام الشيخ الكليني[1].

(١) أصول الكافي: ج١، ص١٣ ـ ٢٠.

رسالته في التوحيد:

قد كانت هذه الرسالة ـ فيما يرويه المؤرخون ـ جواباً عن رسالة وجهها إليه الفتح بن عبد الله يسأله عن ذلك فأجابه عليه السلام بعد البسملة بما نصّه:

«الحمد لله الملهم عباده حمده، وفاطرهم على معرفة ربوبيته، الدال على وجوده بخلقه، المستشهد بآياته على قدرته الممتنعة من الصفات ذاته ومن الأبصار رؤيته ومن الأوهام الإحاطة به لا أمد لكونه ولا غاية لبقائه لا تشمله المشاعر، ولا تحجبه الحجب والحجاب بينه وبين خلقه خلقه إيَّاهم، لامتناعه ممَّا يمكن في ذواتهم ولا مكان ممَّا يمتنع منه ولافتراق الصانع من المصنوع والحاد من المحدود، والرَّبّ من المربوب، الواحد بلا تأويل عدد، والخالق لا بمعنى حركة، والبصير لا بأداة، والسميع لا بتفريق آلة.

والشاهد لا بمماسة والباطن لا باجتنان والظاهر البائن لا بتراخي مسافة أزله نهي لمجاول الأفكار ودوامه ردع لطامحات العقول قد حسر كنهه نوافذ الأبصار، وقمح وجوده جوائل الأوهام أول الديانة به معرفته وكمال معرفته توحيده، وكمال توحيده نفي الصفات عنه، بشهادة كل صفة أنَّها غير الموصوف، وشهادة الموصوف أنَّه غير الصفة وشهادتهما جميعاً بالتثنية، الممتنع منه الأزل، فمن وصف الله فقد حده، ومن حده فقد عدَّه، ومن عدَّه فقد أبطل أزله، ومن قال كيف فقد استوصفه، ومن قال فيم فقد ضمنه، ومن قال على م فقد جهله، ومن قال أين فقد أخلا منه، ومن قال ما هو فقد نعته، ومن قال إلى م فقد غاياه، عالم إذ لا معلوم، وخالق إذ لا مخلوق، ورب إذ لا مربوب، وكذلك يوصف ربنا، وفوق ما يصفه الواصفون..»[1].

كلامه في البداء:

وتحدث الإمام موسى عليه السلام عن البداء في حديثه مع المعلى بن محمد، وقد سأله عن كيفية علم الله فأجابه عليه السلام بجواب عرض فيه لأهم المسائل الفلسفية والكلامية، وهذا نصه، قال عليه السلام:

علم وشاء، وأراد وقدر، وقضى وأمضى، فأمضى ما قضى، وقضى ما قدر، وقدر ما أراد، فبعلمه كانت المشيئة وبمشيئته كانت الإرادة، وبإرادته كان التقدير، وبتقديره كان القضاء، وبقضائه كان الإمضاء، والعلم يتقدم على المشيئة، والمشيئة ثانية،

(١) أُصول الكافي: ج١، ص١٣٩ ـ ١٤٠.

والإرادة ثالثة والتقدير واقع على القضاء بالإمضاء فللّه تبارك وتعالى البداء فيما علم متى شاء، وفيما أراد لتقدير الأشياء فإذا وقع القضاء بالإمضاء فلا بداء، فالعلم في المعلوم قبل كونه، والمشيئة في المنشأ قبل عينه، والإرادة في المراد قبل قيامه، والتقدير لهذه المعلومات قبل تفصيلها وتوصيلها عيناً ووقتاً والقضاء بالإمضاء هو المبرم من المفعولات ذوات الأجسام المدركات بالحواس من ذي لون وريح ووزن وكيل وما دبَّ ودرج من إنس وجن وطير وسباع وغير ذلك ممَّا يدرك بالحواس فللّه تعالى فيه البداء ممَّا لا عين له فإذا وقع العين المفهوم المدرك فلا بداء والله يفعل ما يشاء فبالعلم علم الأشياء قبل كونها وبالمشيئة عرف صفاتها وحدودها وأنشأها قبل إظهارها وبالإرادة ميز أنفسها في ألوانها وصفاتها، وبالتقدير قدر أقواتها وعرف أولها وآخرها وبالقضاء أبان للناس أماكنها ودلهم عليها وبالإمضاء شرح عليها وأبان أمرها وذلك تقدير العزيز العليم».

الإيمان بالله:

وقد تحدَّث الإمام عن الإيمان بالله ففضله على جميع الأعمال وذلك حينما سأله شخص فقال له:

ـ أيُّها العالم، أخبرني أي الأعمال أفضل عند الله؟

ـ ما لا يقبل عمله إلاَّ به.

ـ وما ذلك؟!!

ـ الإيمان بالله، الذي هو أعلى الأعمال درجة، وأسناها حظاً، وأشرفها منزلة.

ـ أخبرني عن الإيمان أقول وعمل أم قول بلا عمل؟

ـ الإيمان عمل كله، والقول بعض ذلك العمل بفرض من الله، بيّن في كتابه، واضح نوره، ثابتة حجَّته، يشهد به الكتاب ويدعو إليه.

ـ صف لي ذلك حتى أفهمه؟

ـ إنَّ الإيمان حالات ودرجات وطبقات ومنازل، فمنه التام المنتهي تمامه، ومنه الناقص البين نقصانه، ومنه الزائد الراجح زيادته.

ـ إنَّ الإيمان ليتم ويزيد وينقص؟!!

ـ نعم.

ـ وكيف ذلك؟!!

إنَّ الله تبارك وتعالى فرض الإيمان على جوارح بني آدم، وقسمه عليها وفرقه عليها فليس من جوارحهم جارحة إلاَّ وهي موكلة من الإيمان بغير ما وكلت به أختها، فمنها قلبه الذي به يعقل ويفقه ويفهم، وهو أمير بدنه الذي لا تورد الجوارح، ولا تصدر إلاَّ عن رأيه وأمره، ومنها يداه اللتان يبطش بهما، ورجلاه اللتان يمشي بهما وفرجه الذي ألباه وعيناه اللتان يبصر بهما، وأذناه اللتان يسمع بهما، وفرض على القلب غير ما فرض على اللِّسان، وفرض على اللِّسان غير ما فرض على العينين، وفرض على العينين غير ما فرض على السمع، وفرض على السمع غير ما فرض على اليدين، وفرض على اليدين غير ما فرض على الرجلين، وفرض على الرجلين غير ما فرض على الفرج، وفرض على الفرج غير ما فرض على الوجه، فأما ما فرض على القلب من الإيمان فالإقرار، والمعرفة، والتصديق، والتسليم، والعقد والرضا بأن لا إلّه إلاَّ الله وحده لا شريك له، أحداً، صمداً، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، وأنَّ محمَّداً ﷺ عبده ورسوله..»[1].

العلم:

فقد روى المؤرخون أنَّه دخل مسجد النبي ﷺ فرأى قوماً قد طافوا برجل وهم يعظمونه ويبالغون في تكريمه فقال عليه السلام لبعض أصحابه:

ـ من هذا؟

ـ علامة!

ـ وما العلامة؟

ـ أعلم الناس بأنساب العرب ووقائعها.

ـ ذاك علم لا يضر من جهله، ولا ينفع من علمه.

والتفت إلى أصحابه فبيَّن لهم العلوم النافعة التي ينبغي لهم أن ينفقوا حياتهم على تحصيلها فقال: «إنَّما العلم ثلاثة: آية محكمة أو فريضة عادلة، أو سُنَّة قائمة، وما خلاهن فهو فضل..».

وحدث الإمام عليه السلام أصحابه عمَّا ينبغي عليهم أن يعرفوه قال عليه السلام: «وجدت علم الناس في أربع: (أولها) أن تعرف ربك (الثانية) أن تعرف ما صنع بك (الثالثة) أن تعرف ما أراد منك (الرابعة) أن تعرف ما يخرجك عن دينك»[2].

---

(١) أصول الكافي: ج٢، ص٣٨ ـ ٣٩.

(٢) أعيان الشيعة: ٤/ ٥٧.

التفقه في الدِّين:

وحثَّ الإمام المسلمين على التفقه في الدِّين، ومعرفة الأحكام الشرعية فقال لهم: «تفقهوا في دين الله، فإنَّ الفقه مفتاح البصيرة، وتمام العبادة، والسبب إلى المنازل الرفيعة والرتب الجليلة في الدِّين والدُّنيا، وفضل الفقيه على العابد كفضل الشمس على الكواكب، ومن لم يتفقه في دينه لم يرض الله له عملاً..».

وسأله بعض أصحابه عمَّا يحتاج إليه من الأحكام الشرعية قائلاً:

هل يسع الناس ترك المسألة عمَّا يحتاجون إليه؟

فقال عليه السلام: «إنَّ الناس لا يسعهم أن يتركوا ما يحتاجون إليه في أمور دينهم».

مجالسة العلماء:

وأمر عليه السلام أصحابه بملازمة العلماء ومجالستهم وذلك للاستفادة من علومهم وآدابهم والاقتداء بسلوكهم فقال عليه السلام: «محادثة العالم على المزابل خير من محادثة الجاهل على الزرابي».

العمل:

كان الإمام الكاظم عليه السلام يعمل لإعاشة عائلته، فقد روى الحسن بن علي بن أبي حمزة، قال: رأيت أبا الحسن موسى يعمل في أرض له، وقد استنقعت قدماه في العرق فقلت له:

جعلت فداك، أين الرجال؟

- يا علي، عمل باليد من هو خير منِّي ومن أبي في أرضه.

فبهر الحسن وانطلق يقول:

- من هو؟

- رسول الله وأمير المؤمنين وآبائي كلهم قد عملوا بأيديهم، وهو من عمل النبيين والمرسلين والصالحين[1].

---

(١) من لا يحضره الفقيه: ٣/٥٣.

التحذير من الكسل:

وأوصى الإمام موسى بن جعفر عليه السلام بعض ولده بالجد في أموره والحذر من الكسل فقال عليه السلام: «إيَّاك والكسل والضجر فإنَّهما يمنعاك من حظك في الدُّنيا والآخرة».

الاقتصاد:

قال عليه السلام: «من اقتصد وقنع بقيت عليه النعمة، ومن بذَّر وأسرف زالت عنه النعمة».

وقال عليه السلام: «ما عال امرىء اقتصد».

مكارم الأخلاق:

السخاء وحسن الخلق:

وحثَّ عليه السلام أصحابه على التحلي بالسخاء وحسن الخلق قال: «السخي الحسن الخلق في كنف الله، لا يتخلى الله عنه، حتى يدخله الجنَّة، وما بعث نبياً إلاَّ سخياً، وما زال أبي يوصيني بالسخاء وحسن الخلق..».

الورع:

كان عليه السلام كثيراً ما يوصي أصحابه وشيعته بالورع عن محارم الله، قال: «كثيراً ما كنت أسمع أبي يقول: ليس من شيعتنا من لا تتحدث المخدرات بورعه في خدورهن».

الصبر:

قال عليه السلام: «المصيبة لا تكون مصيبة يستوجب صاحبها أجرها إلاَّ بالصبر والاسترجاع عند الصدمة».

قال عليه السلام: «إنَّ الصبر على البلاء أفضل من العافية عند الرخاء».

قال عليه السلام: «المصيبة للصابر واحدة وللجازع اثنتان».

الصمت:

وأوصى عليه السلام أصحابه بالصمت وبيَّن لهم فوائده قال عليه السلام: «إنَّ الصمت باب من أبواب الحكمة، وإنَّ الصمت يكسب المحبة إنَّه دليل على كل خير».

العفو والإصلاح:

قال عليه السلام: «ينادي منادٍ يوم القيامة ألا من كان له أجر على الله فليقم، فلا يقوم إلاَّ من عفا وأصلح».

قول الحق:

قال عليه السلام: «اتق الله، وقل الحق وإن كان فيه هلاكك فإنَّ فيه نجاتك، أي فلان اتق الله ودع الباطل وإن كان فيه نجاتك، فإنَّ فيه هلاكك».

حسن الجوار:

قال عليه السلام: «ليس حسن الجوار كف الأذى، ولكن حسن الجوار الصبر على الأذى».

إغاثة المستجير:

وحثَّ عليه السلام أصحابه على إغاثة المستجير وقضاء حاجته قال: «من قصده رجل من إخوانه مستجيراً به في بعض أحواله فلم يجره بعد أن يقدر عليه فقد قطع ولاية الله عزَّ وجلَّ»(١).

زيارة الإخوان:

قال عليه السلام: «من زار أخاه المؤمن لله لا لغيره يطلب به ثواب الله، وكّل الله عزَّ وجلَّ به سبعين ألف ملك من حين يخرج من منزله حتى يعود إليه ينادونه ألا طبت وطابت لك الجنَّة، تبوأت من الجنَّة منزلاً..».

الرضاء بقضاء الله:

قال عليه السلام: «ينبغي لمن عقل عن الله أن لا يستبطئه في رزقه، ولا يتهمه في قضائه».

شكر النعمة:

قال عليه السلام: «التحدث بنعم الله شكر، وترك ذلك كفر، فاربطوا نعم ربكم بالشكر، وحصنوا أموالكم بالزكاة، وادفعوا البلاء بالدُّعاء، فإنَّ الدُّعاء جنَّة ترد البلاء وقد أبرم إبراماً..».

---

(١) الوسائل: باب الأمر بالمعروف.

محاسبة النفس:

قال عليه السلام: «ليس منَّا من لم يحاسب نفسه في كل يوم، فإن عمل حسناً استزاد منه، وإن عمل سيئاً استغفر الله منه وتاب منه..».

الاستشارة:

قال عليه السلام: «من استشار لا يعدم عند الصواب مادحاً، وعند الخطأ عاذراً..».

مساوىء الأفعال:

اتباع الهوى:

قال عليه السلام: «اتق المرتقى السهل إذا كان منحدره وعراً، إنَّ أبي قال: لا تدع النفس وهواها، فإنَّ هواها رداها، وترك النفس وما تهوى أذاها، وكف النفس عمَّا تهوى دواها».

العقوق:

قال عليه السلام: قال رسول الله ﷺ: «كن باراً واقتصر على الجنَّة، وإن كنت عاقاً فظاً فاقتصر على النار».

استصغار الذنب:

قال عليه السلام: «لا تستكثروا كثير الخير ولا تستقلوا قليل الذُّنوب، فإنَّ القليل من الذُّنوب يجتمع حتى يكون كثيراً، وخافوا في السِّر حتى تعطوا من أنفسكم النصف».

المزاح:

قال عليه السلام لبعض ولده: «إيَّاك والمزاح فإنَّه يذهب بنور إيمانك ويستخف بمروءتك..».

أدعيته:

وانقطع الإمام إلى الله فكان في جميع أوقاته يلهج بذكره تعالى، ويدعوه دعاء المنيبين، وقد حفلت كتب الأدعية بالشيء الكثير من أدعيته أما فائدة الدُّعاء فقد تحدث عنها بقوله:

«عليكم بالدُّعاء، فإنَّ الدُّعاء لله والطلب إلى الله يرد البلاء وقد قدر وقضي ولم يبق إلاَّ إمضاؤه، فإذا دعي الله عزَّ وجلَّ، وسئل صرف البلاء».

وتحدث عليه السلام مرة أخرى عمّا يترتب على الدُّعاء من الفوائد فقال عليه السلام: «ما من بلاء يقع على عبد مؤمن فيلهمه الله عزَّ وجلَّ الدُّعاء إلاَّ كان كشف ذلك البلاء وشيكاً وما من بلاء يقع على عبد مؤمن فيمسك عن الدُّعاء إلاَّ كان ذلك البلاء طويلاً فإذا نزل البلاء فعليكم بالدُّعاء والتضرع إلى الله عزَّ وجلَّ»[1].

دعاؤه على ظالم له:

دعا عليه السلام بهذا الدُّعاء الشريف في قنوته على بعض ظالميه وأكبر الظن أنَّه أحد خلفاء العباسيين المعاصرين له الذين جرعوه أنواع الغصص والآلام ونحن نقدم نصه الكامل ليتضح منه ما قاساه الإمام من طواغيت زمانه:

اللَّهُمَّ، إِنِّي وَفُلَانُ ابْنُ فُلَانٍ، عَبْدَانِ مِنْ عَبِيدِكَ، نَوَاصِينَا بِيَدِكَ تَعْلَمُ مُسْتَقَرَّنَا وَمُسْتَوْدَعَنَا وَمُنْقَلَبَنَا، وَمَثْوَانَا، وَسِرَّنَا، وَعَلَانِيَتَنَا تَطَّلِعُ عَلَى نِيَّاتِنَا وَتُحِيطُ بِضَمَائِرِنَا، عِلْمُكَ بِمَا نُبْدِيهِ كَعِلْمِكَ بِمَا نُخْفِيهِ، وَمَعْرِفَتُكَ بِمَا نُبْطِنُهُ كَمَعْرِفَتِكَ بِمَا نُظْهِرُهُ، وَلَا يَنْطَوِي عِنْدَكَ شَيْءٌ مِنْ أُمُورِنَا، وَلَا يَسْتَتِرُ دُونَكَ حَالٌ مِنْ أَحْوَالِنَا، وَلَا مِنْكَ مَعْقِلٌ يُحْصِنُنَا، وَلَا حِرْزٌ يُحْرِزُنَا، وَلَا مَهْرَبٌ لَنَا نَفُوتُكَ بِهِ، وَلَا يَمْنَعُ الظَّالِمَ مِنْكَ حُصُونُهُ، وَلَا يُجَاهِدُكَ عَنْهُ جُنُودُهُ، وَلَا يُغَالِبُكَ مُغَالِبٌ بِمَنْعِهِ، وَلَا يُعَازُّكَ مُعَازٌّ بِكَثْرَةٍ أَنْتَ مُدْرِكُهُ أَيْنَمَا سَلَكَ وَقَادِرٌ عَلَيْهِ أَيْنَمَا لَجَأَ، فَمَعَاذُ الْمَظْلُومِ مِنَّا بِكَ، وَتَوَكُّلُ الْمَقْهُورِ مِنَّا عَلَيْكَ، وَرُجُوعُهُ إِلَيْكَ، يَسْتَغِيثُ بِكَ إِذَا خَذَلَهُ الْمُغِيثُ، وَيَسْتَصْرِخُكَ إِذَا قَعَدَ عَنْهُ النَّصِيرُ، وَيَلُوذُ بِكَ إِذَا نَفَتْهُ الْأَفْنِيَةُ، وَيَطْرُقُ بَابَكَ إِذَا غُلِّقَتْ عَنْهُ الْأَبْوَابُ الْمُرْتَجَةُ، وَيَصِلُ إِلَيْكَ إِذَا احْتَجَبَتْ عَنْهُ الْمُلُوكُ الْغَافِلَةُ، تَعْلَمُ مَا حَلَّ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَشْكُوَهُ إِلَيْكَ، وَتَعْلَمُ مَا يُصْلِحُهُ قَبْلَ أَنْ يَدْعُوَكَ لَهُ، فَلَكَ الْحَمْدُ سَمِيعاً لَطِيفاً عَلِيماً خَبِيراً، اللَّهُمَّ، وَأَنَّهُ قَدْ كَانَ فِي سَابِقِ عِلْمِكَ وَمُحْكَمِ قَضَائِكَ، وَجَارِي قَدَرِكَ، وَنَافِذِ أَمْرِكَ، وَمَاضِي مَشِيَّتِكَ فِي خَلْقِكَ أَجْمَعِينَ شَقِيِّهِمْ وَسَعِيدِهِمْ وَبَرِّهِمْ وَفَاجِرِهِمْ أَنْ جَعَلْتَ «لِفُلَانِ ابْنِ فُلَانٍ» عَلَيَّ قُدْرَةً فَظَلَمَنِي بِهَا وَبَغَى عَلَيَّ بِمَكَانِهَا وَاسْتَطَالَ وَتَعَزَّزَ بِسُلْطَانِهِ الَّذِي خَوَّلْتَهُ إِيَّاهُ، وَتَجَبَّرَ وَافْتَخَرَ بِعُلُوِّ حَالِهِ الَّذِي نَوَّلْتَهُ، وَغَرَّهُ إِمْلَاؤُكَ لَهُ، وَأَطْغَاهُ حِلْمُكَ عَنْهُ فَقَصَدَنِي بِمَكْرُوهٍ عَجَزْتُ عَنِ الصَّبْرِ عَلَيْهِ، وَتَعَمَّدَنِي بِشَرٍّ ضَعُفْتُ عَنِ احْتِمَالِهِ، وَلَمْ أَقْدِرْ عَلَى الِانْتِصَافِ مِنْهُ لِضَعْفِي، وَلَا عَلَى الِانْتِصَارِ لِقِلَّتِي فَوَكَلْتُ أَمْرَهُ إِلَيْكَ، وَتَوَكَّلْتُ فِي شَأْنِهِ عَلَيْكَ، وَتَوَعَّدْتُهُ بِعُقُوبَتِكَ، وَحَذَّرْتُهُ بَطْشَكَ، وَخَوَّفْتُهُ نَقِمَتَكَ، فَظَنَّ أَنَّ حِلْمَكَ عَنْهُ مِنْ ضَعْفٍ، وَحَسِبَ أَنَّ إِمْلَاءَكَ لَهُ عَنْ عَجْزٍ، وَلَمْ

(١) أُصول الكافي: ج٢، ص٥٥٣.

تَنْهَهُ وَاحِدَةٌ عَنْ أُخْرَى، وَلَا انْزَجَرَ عَنْ ثَانِيَةٍ بِأُولَى لَكِنَّهُ تَمَادَى فِي غَيِّهِ، وَتَتَابَعَ فِي ظُلْمِهِ، وَلَجَّ فِي عُدْوَانِهِ، وَاسْتَشْرَى فِي طُغْيَانِهِ جُرْأَةً عَلَيْكَ يَا سَيِّدِي وَمَوْلَايَ وَتَعَرُّضاً لِسَخَطِكَ الَّذِي لَا تَرُدُّهُ عَنِ الظَّالِمِينَ الَّذِي لَا تَحْبِسُهُ عَنِ الْبَاغِينَ، فَهَا أَنَا ذَا يَا سَيِّدِي مُسْتَضْعَفٌ فِي يَدِهِ مُسْتَضَامٌ تَحْتَ سُلْطَانِهِ مُسْتَذَلٌّ بِفِنَائِهِ مَغْلُوبٌ مَبْغِيٌّ عَلَيَّ، مَرْعُوبٌ وَجِلٌ خَائِفٌ، مُرَوَّعٌ مَقْهُورٌ قَدْ قَلَّ صَبْرِي وَضَاقَتْ حِيلَتِي، وَانْغَلَقَتْ عَلَيَّ الْمَذَاهِبُ إِلَّا إِلَيْكَ، وَانْسَدَّتْ عَنِّي الْجِهَاتُ إِلَّا جِهَتُكَ، وَالْتَبَسَتْ عَلَيَّ أُمُورِي فِي دَفْعِ مَكْرُوهِهِ عَنِّي، وَاشْتَبَهَتْ عَلَيَّ الْآرَاءُ فِي إِزَالَةِ ظُلْمِهِ، وَخَذَلَنِي مَنِ اسْتَنْصَرْتُهُ مِنْ خَلْقِكَ، وَأَسْلَمَنِي مَنْ تَعَلَّقْتُ بِهِ مِنْ عِبَادِكَ، فَاسْتَشَرْتُ نَصِيحِي فَأَشَارَ عَلَيَّ بِالرَّغْبَةِ إِلَيْكَ، وَاسْتَرْشَدْتُ دَلِيلِي فَلَمْ يَدُلَّنِي إِلَّا عَلَيْكَ، فَرَجَعْتُ إِلَيْكَ يَا مَوْلَايَ صَاغِراً رَاغِماً مُسْتَكِيناً عَالِماً أَنَّهُ لَا فَرَجَ لِي إِلَّا عِنْدَكَ، وَلَا خَلَاصَ لِي إِلَّا بِكَ أَنْتَجِزُ وَعْدَكَ فِي نُصْرَتِي وَإِجَابَةِ دُعَائِي لِأَنَّ قَوْلَكَ الْحَقُّ الَّذِي لَا يُرَدُّ وَلَا يُبَدَّلُ، وَقَدْ قُلْتَ تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ: وَمَن ﴿بُغِيَ عَلَيۡهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُۚ﴾ وَقُلْتَ جَلَّ ثَنَاؤُكَ، وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُكَ: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ فَأَنَا فَاعِلٌ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ لَا مَنّاً عَلَيْكَ، وَكَيْفَ أَمُنُّ بِهِ وَأَنْتَ دَلَلْتَنِي عَلَيْهِ، فَاسْتَجِبْ لِي كَمَا وَعَدْتَنِي يَا مَنْ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ وَإِنِّي لَأَعْلَمُ يَا سَيِّدِي أَنَّ لَكَ يَوْماً تَنْتَقِمُ فِيهِ مِنَ الظَّالِمِ لِلْمَظْلُومِ، وَأَتَيَقَّنُ أَنَّ لَكَ وَقْتاً تَأْخُذُ فِيهِ مِنَ الْغَاصِبِ لِلْمَغْصُوبِ لِأَنَّهُ لَا يَسْبِقُكَ مُعَانِدٌ، وَلَا يَخْرُجُ مِنْ قَبْضَتِكَ مُنَابِذٌ، وَلَا تَخَافُ فَوْتَ فَائِتٍ وَلَكِنَّ جَزَعِي وَهَلَعِي لَا يَبْلُغَانِ الصَّبْرَ عَلَى أَنَاتِكَ، وَانْتِظَارَ حِلْمِكَ فَقُدْرَتُكَ يَا سَيِّدِي فَوْقَ كُلِّ قُدْرَةٍ، وَسُلْطَانُكَ غَالِبُ كُلِّ سُلْطَانٍ، وَمَعَادُ كُلِّ أَمَدٍ إِلَيْكَ وَإِنْ أَمْهَلْتَهُ، وَرُجُوعُ كُلِّ ظَالِمٍ إِلَيْكَ وَإِنْ أَنْظَرْتَهُ، وَقَدْ أَضَرَّنِي - يَا سَيِّدِي - حِلْمُكَ عَنْ (فُلَانٍ) وَطُولُ أَنَاتِكَ لَهُ، وَإِمْهَالُكَ إِيَّاهُ، فَكَادَ الْقُنُوطُ يَسْتَوْلِي عَلَيَّ، لَوْلَا الثِّقَةُ بِكَ، وَالْيَقِينُ بِوَعْدِكَ، فَإِنْ كَانَ فِي قَضَائِكَ النَّافِذِ وَقُدْرَتِكَ الْمَاضِيَةِ أَنَّهُ يُنِيبُ، أَوْ يَتُوبُ، أَوْ يَرْجِعُ عَنْ ظُلْمِي وَيَكُفُّ عَنْ مَكْرُوهِي، وَيَنْتَقِلُ عَنْ عَظِيمِ مَا رَكِبَ مِنِّي، فَصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَأَوْقِعْ ذَلِكَ فِي قَلْبِهِ السَّاعَةَ السَّاعَةَ قَبْلَ إِزَالَةِ نِعْمَتِكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ بِهَا عَلَيَّ، وَتَكْدِيرِ مَعْرُوفِكَ الَّذِي صَنَعْتَهُ إِلَيْهِ، وَإِنْ كَانَ عِلْمُكَ بِهِ غَيْرَ ذَلِكَ مِنْ مُقَامِهِ عَلَى ظُلْمِي، فَإِنِّي أَسْأَلُكَ يَا نَاصِرَ الْمَظْلُومِينَ الْمَبْغِيِّ عَلَيْهِمْ إِجَابَةَ دَعْوَتِي فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَخُذْهُ مِنْ مَأْمَنِهِ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ وَافْجَأْهُ فِي غَفْلَتِهِ مُفَاجَأَةَ مَلِيكٍ مُنْتَصِرٍ وَاسْلُبْهُ نِعْمَتَهُ وَسُلْطَانَهُ وَافْضُضْ عَنْهُ جُمُوعَهُ وَأَعْوَانَهُ وَمَزِّقْ مُلْكَهُ كُلَّ مُمَزَّقٍ، وَفَرِّقْ أَنْصَارَهُ كُلَّ مُفَرَّقٍ، وَأَعِزْلْهُ مِنْ نِعْمَتِكَ الَّتِي لَا يُقَابِلُهَا بِالشُّكْرِ وَالإِحْسَانِ وَانْزِعْ عَنْهُ سِرْبَالَ عِزِّكَ الَّذِي لَمْ يُجَازِهِ بِالإِحْسَانِ، وَاقْصِمْهُ يَا قَاصِمَ الْجَبَابِرَةِ، وَأَهْلِكْهُ يَا مُهْلِكَ الْقُرُونِ الْخَالِيَةِ، وَأَبِرْهُ يَا مُبِيرَ الْأُمَمِ الظَّالِمَةِ، وَاخْذُلْهُ يَا خَاذِلَ الْفِرَقِ الْبَاغِيَةِ، وَابْتُرْ عُمُرَهُ، وَابْتَزَّهُ مُلْكَهُ، وَعِفِّ أَثَرَهُ،

وَاقْطَعْ خَبَرَهُ، وَأَطْفِ نَارَهُ، وَأَظْلِمْ نَهَارَهُ، وَكَوِّرْ شَمْسَهُ، وَأَزْهِقْ نَفْسَهُ، وَاهْشِمْ سُوقَهُ، وَجُبَّ سَنَامَهُ، وَأَرْغِمْ أَنْفَهُ، وَعَجِّلْ حَتْفَهُ، وَلَا تَدَعْ لَهُ جُنَّةً إِلَّا هَتَكْتَهَا، وَلَا دِعَامَةً إِلَّا قَصَمْتَهَا، وَلَا كَلِمَةً مُجْتَمِعَةً إِلَّا فَرَّقْتَهَا، وَلَا قَائِمَةَ عُلُوٍّ إِلَّا وَضَعْتَهَا، وَلَا رُكْناً إِلَّا وَهَنْتَهُ، وَلَا سَبَباً إِلَّا قَطَعْتَهُ، وَأَرِنَا أَنْصَارَهُ عَبَادِيدَ بَعْدَ الْأُلْفَةِ، وَشَتَّى بَعْدَ اجْتِمَاعِ الْكَلِمَةِ، وَمُقْنِعِي الرُّؤُوسِ بَعْدَ الظُّهُورِ عَلَى الْأُمَّةِ، وَاشْفِ بِزَوَالِ أَمْرِهِ الْقُلُوبَ الْوَجِلَةَ، وَالْأَفْئِدَةَ اللَّهِفَةَ، وَالْأُمَّةَ الْمُتَحَيِّرَةَ، وَالْبَرِيَّةَ الضَّائِعَةَ، وَأَدِلْ بِبَوَارِهِ الْحُدُودَ الْمُعَطَّلَةَ، وَالسُّنَنَ الدَّاثِرَةَ، وَالْأَحْكَامَ الْمُهْمَلَةَ، وَالْمَعَالِمَ الْمُغَيَّرَةَ، وَالْآيَاتِ الْمُحَرَّفَةَ، وَالْمَدَارِسَ الْمَهْجُورَةَ، وَالْمَحَارِيبَ الْمَجْفُوَّةَ، وَالْمَشَاهِدَ الْمَهْدُومَةَ، وَأَشْبِعْ بِهِ الْخِمَاصَ السَّاغِبَةَ، وَارْوِ بِهِ اللَّهَوَاتِ اللَّاغِبَةَ، وَالْأَكْبَادَ الظَّامِئَةَ، وَأَرِحْ بِهِ الْأَقْدَامَ الْمُتْعَبَةَ، وَاطْرُقْهُ بِلَيْلَةٍ لَا أُخْتَ لَهَا، وَبِسَاعَةٍ لَا مَثْوَى فِيهَا، وَبِنَكْبَةٍ لَا انْتِعَاشَ مَعَهَا، وَبِعَثْرَةٍ لَا إِقَالَةَ مِنْهَا، وَأَبِحْ حَرِيمَهُ، وَنَغِّصْ نَعِيمَهُ، وَأَرِهِ بَطْشَتَكَ الْكُبْرَى، وَنَقِمَتَكَ الْمُثْلَى، وَقُدْرَتَكَ الَّتِي فَوْقَ قُدْرَتِهِ، وَسُلْطَانَكَ الَّذِي هُوَ أَعَزُّ مِنْ سُلْطَانِهِ، وَاغْلِبْهُ لِي بِقُوَّتِكَ الْقَوِيَّةِ، وَمِحَالِكَ الشَّدِيدِ، وَامْنَعْنِي مِنْهُ بِمَنْعِكَ الَّذِي كُلُّ خَلْقٍ فِيهِ ذَلِيلٌ، وَابْتَلِهِ بِفَقْرٍ لَا تَجْبُرُهُ، وَبِسُوءٍ لَا تَسْتُرُهُ، وَكِلْهُ إِلَى نَفْسِهِ فِيمَا يُرِيدُ، إِنَّكَ فَعَّالٌ لِمَا تُرِيدُ، وَأَبْرِئْهُ مِنْ حَوْلِكَ وَقُوَّتِكَ، وَكِلْهُ إِلَى حَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ، وَأَزِلْ مَكْرَهُ بِمَكْرِكَ، وَادْفَعْ مَشِيَّتَهُ بِمَشِيَّتِكَ، وَأَسْقِمْ جَسَدَهُ، وَأَيْتِمْ وُلْدَهُ، وَانْقُصْ أَجَلَهُ، وَخَيِّبْ أَمَلَهُ، وَأَدِلْ دَوْلَتَهُ، وَأَطِلْ عَوْلَتَهُ، وَاجْعَلْ شُغُلَهُ فِي بَدَنِهِ، وَلَا تَفُكَّهُ مِنْ حُزْنِهِ، وَصَيِّرْ كَيْدَهُ فِي ضَلَالٍ وَأَمْرَهُ إِلَى زَوَالٍ وَنِعْمَتَهُ إِلَى انْتِقَالٍ وَجِدَّهُ فِي سَفَالٍ وَسُلْطَانَهُ فِي اضْمِحْلَالٍ، وَعَاقِبَتَهُ إِلَى شَرِّ مَثَالٍ وَأَمِتْهُ بِغَيْظِهِ، إِنْ أَمَتَّهُ، وَأَبْقِهِ بِحَسْرَتِهِ إِنْ أَبْقَيْتَهُ، وَقِنِي شَرَّهُ وَهَمْزَهُ وَلَمْزَهُ وَسَطْوَتَهُ وَعَدَاوَتَهُ، وَالْمَحْهُ لَمْحَةً تُدَمِّرُ بِهَا عَلَيْهِ، فَإِنَّكَ أَشَدُّ بَأْساً وَأَشَدُّ تَنْكِيلاً..»[1].

دعاؤه لوفاء الدين:

وشكا إلى الإمام بعض أصحابه الديون المتراكمة عليه فكتب عليه السلام له هذا الدُّعاء وأمره أن يدعو به.

«اللَّهُمَّ ارْدُدْ إِلَى جَمِيعِ خَلْقِكَ مَظَالِمَهُمُ الَّتِي قِبَلِي صَغِيرَهَا وَكَبِيرَهَا فِي يُسْرٍ مِنْكَ وَعَافِيَةٍ، وَمَا لَمْ تَبْلُغْهُ قُوَّتِي، وَلَمْ تَسَعْهُ ذَاتُ يَدِي، وَلَمْ يَقْوَ عَلَيْهِ بَدَنِي، وَيَقِينِي وَنَفْسِي، فَأَدِّهِ عَنِّي مِنْ جَزِيلِ مَا عِنْدَكَ مِنْ فَضْلِكَ ثُمَّ لَا تُخْلِفْ عَلَيَّ مِنْهُ شَيْئاً تَقْضِيهِ مِنْ حَسَنَاتِي يَا

(١) مهج الدعوات: ص٦٧ ـ ٧٢.

أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَأَنَّ الدِّينَ كَمَا شُرِعَ وَأَنَّ الْإِسْلَامَ كَمَا وُصِفَ، وَأَنَّ الْكِتَابَ كَمَا أُنْزِلَ وَأَنَّ الْقَوْلَ كَمَا حُدِّثَ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ، ذَكَرَ اللَّهُ مُحَمَّداً وَأَهْلَ بَيْتِهِ بِخَيْرٍ، وَحَيَّا مُحَمَّداً وَأَهْلَ بَيْتِهِ بِالسَّلَامِ..»(١).

وعظ وإرشاد:

وصيته لبعض ولده:

قال عليه السلام: «يا بني، إيَّاك أن يراك الله في معصية نهاك عنها، وإيَّاك أن يفقدك الله عند طاعة أمرك بها، وعليك بالجد، ولا تخرجن من نفسك التقصير عن عبادة الله، فإنَّ الله عزَّ وجلَّ لا يعبد حق عبادته، وإيَّاك والمزاح فإنَّه يذهب بنور إيمانك، ويستخف بمروءتك، وإيَّاك والكسل والضجر فإنَّهما يمنعانك حظك من الدُّنيا والآخرة»(٢).

إرشاد وتوجيه:

ووجه عليه السلام إرشاداً عاماً لجميع المسلمين جاء فيه:

«كفى بالتجارب تأديباً، وبممر الأيام عظة، وبأخلاق من عاشرت معرفة، وبذكر الموت حاجزاً من الذُّنوب والمعاصي، والعجب كل العجب للمحتمين من الطعام والشراب مخافة الداء إن نزل بهم كيف لا يحتمون من الذُّنوب مخافة النار إذا اشتعلت في أبدانهم..»(٣).

وصية عامة:

وأوصى عليه السلام عموم أصحابه بتنظيم أوقاتهم، والعمل على تهذيب نفوسهم قال عليه السلام: «اجتهدوا في أن يكون زمانكم أربع ساعات: ساعة لمناجاة الله، وساعة لأمر المعاش، وساعة لمعاشرة الإخوان والثقات الذين يعرفونكم عيوبكم، ويخلصون لكم في الباطن، وساعة تخلون فيها للذاتكم في غير محرم وبهذه الساعة تقدرون على الثلاث ساعات، ولا تحدثوا أنفسكم بفقر ولا بطول عمر، فإنَّه من حدث نفسه بالفقر بخل، ومن حدثها بطول العمر يحرص اجعلوا لأنفسكم حظاً من الدُّنيا بإعطائها ما تشتهي من الحلال وما

---

(١) أُصول الكافي: ج٢، ص٥٥٥.

(٢) الوافي: ج٣، ص٧٨.

(٣) الدر النظيم.

لا يثلم المروءة، وما لا سرف فيه، واستعينوا بذلك على أمور الدِّين، فإنَّه روى ليس منَّا من ترك دُنياه لدينه أو ترك دينه لدُنياه»[١].

الحث على فعل الخير:

قال عليه السلام: «من استوى يوماه فهو مغبون، ومن كان آخر يوميه أشرها فهو ملعون، ومن لم يعرف الزيادة على نفسه فهو في النقصان، ومن كان إلى النقصان أكثر فالموت خير له من الحياة..»[٢].

بعض مناظراته واحتجاجاته:

مع نفيع الأنصاري:

وشرَّف عليه السلام بلاط الملك هارون، فلما رآه حاجب البلاط قابله بالتكريم والحفاوة وقدمه على غيره لمقابلة هارون، وكان في مجلس الانتظار نفيع الأنصاري فلما رأى تلك الحفاوة البالغة احترق قلبه من الغيظ وساءه تكريم الإمام، فالتفت إلى عبد العزيز وكان معه فقال له:

ـ من هذا الشيخ؟

ـ أوما تعرفه!! هذا شيخ آل أبي طالب، هذا موسى بن جعفر.

فانبرى نفيع يندد بالعباسيين على تكريمهم للإمام قائلاً:

ما رأيت أعجز من هؤلاء القوم يفعلون هذا برجل يقدر أن يزيلهم عن السرير، أما لئن خرج لأسوأنه.

فزجره عبد العزيز ونهره قائلاً:

«لا تفعل، فإنَّ هؤلاء أهل بيت لم يتعرض لهم أحد بخطاب إلاَّ وسموه ـ بالجواب ـ سمة يبقى عارها عليه أبد الدهر..».

ولما انتهى الإمام من مقابلة هارون، وخرج من عنده أقبل عليه نفيع يشتد فأمسك بزمام دابته وقال له:

ـ من أنت؟

ـ يا هذا، إن كنت تريد النسب فأنا ابن محمد حبيب الله، وابن إسماعيل ذبيح الله،

---

(١) تحف العقول: ص٤٠٩.
(٢) الاتحاف بحب الأشراف: ص٥٥.

وابن إبراهيم خليل الله، وإن كنت تريد البلد فهو الذي فرض الله عزَّ وجلَّ على المسلمين وعليك إن كنت منهم الحج إليه، وإن كنت تريد المفاخرة فوالله ما رضي مشركوا قومي بمسلمي قومك أكفاءاً لهم حتى قالوا يا محمد اخرج إلينا أكفاءنا من قريش، خل عن زمام دابتي.

وانصرف نفيع وهو لا يبصر طريقه من الخجل والعار الذي وسمه به الإمام[1].

مع الفضل بن الربيع:

وتشرَّف هارون الرشيد بزيارة قبر النَّبي ﷺ فاجتمع به الإمام عليه السلام وبعد انتهاء المقابلة خرج عليه السلام فاجتاز على محمَّد الأمين ابن الرشيد، فالتفت محمد إلى الفضل بن الربيع قائلاً له: عاتب هذا، فقام الفضل إلى الإمام فقال له:

كيف لقيت أمير المؤمنين على هذه الدابة التي إن طلبت عليها لم تسبق وإن طلبت عليها تلحق؟

ـ لست احتاج أن أطلب، ولا أن أُطلب، ولكنَّها دابة تنحط عن خيلاء الخيل، وترتفع عن ذلة العير، وخير الأمور أوسطها..[2].

فتركه الإمام وانصرف، وبدا على الفضل الارتباك والعيّ والعجز.

مع أبي حنيفة:

ودخل أبو حنيفة على الإمام الصادق عليه السلام فقال له:

رأيت ابنك موسى يصلِّي والناس يمرون بين يديه، فلم ينههم عن ذلك؟!

فأمر أبو عبد الله عليه السلام بإحضار ولده فلما مثل بين يديه قال له:

«يا بني، إنَّ أبا حنيفة يذكر أنَّك كنت تصلِّي والناس يمرون بين يديك؟».

«نعم، يا أبت إنَّ الذي كنت أُصلِّي له كان أقرب إليَّ منهم، يقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾.

وفرح الإمام الصادق عليه السلام وسرَّ سروراً بالغاً بما أدلى به ولده من المنطق الرائع، فقام إليه فضمَّه وانطلق قائلاً: «بأبي أنت وأُمِّي يا مودع الأسرار!!»[3].

---

(١) نزهة الناظر في تنبيه الخاطر: ص٤٥.

(٢) زهر الآداب: ج١، ص١٣٢.

(٣) البحار: ج١٢، ص٢٨٣.

مع هارون الرشيد:

ولما اعتقل هارون الرشيد الإمام موسى عليه السلام وبقي في السجن حفنة من السنين أمر يوماً بإحضاره في بلاطه، فلما حضر واستقر به المجلس التفت إليه هارون وقد نخر الغيظ قلبه قائلاً:

ـ يا موسى بن جعفر: خليفتين يجبي لهما الخراج؟!!.

ـ يا أمير المؤمنين، أعيذك بالله أن تبوء بإثمي وإثمك، وتقبل الباطل من أعدائنا علينا، فقد علمت أنَّه قد كذب علينا منذ قبض رسول الله صلى الله عليه وآله بما علم ذلك عندك، فإن رأيت بقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وآله أن تأذن لي أن أُحدِّثك بحديث أخبرني به أبي عن آبائه عن جدي رسول الله صلى الله عليه وآله.

ـ قد أذنت لك.

ـ أخبرني أبي عن آبائه عن جدي رسول الله صلى الله عليه وآله أنَّه قال: «إنَّ الرحم إذا مست الرحم تحرَّكت واضطربت»، فناولني يدك.

فرقَّ هارون وزال غضبه فمدَّ إليه يده وجذبه إلى نفسه وعانقه طويلاً ثم أدناه منه وقد اغرورقت عيناه بالدموع والتفت إليه قائلاً له بنبرات تقطر عطفاً:

«صدقت، وصدق جدك، لقد تحرَّك دمي، واضطربت عروقي حتى غلبت عليَّ الرقَّة، وفاضت عيناي، وأنا أريد أن أسألك عن أشياء تتلجلج في صدري منذ حين لم أسأل عنها أحداً، فإن أنت أجبتني عنها خليت عنك ولم أقبل قول أحد فيك، وقد بلغني أنَّك لم تكذب قط، فاصدقني عمَّا أسألك ممَّا في قلبي».

ـ ما كان علمه عندي فإنِّي مخبرك به، إن أنت آمنتني.

ـ لك الأمان، إن أنت صدقتني، وتركت التقية التي تعرفون بها معشر بني فاطمة.

ـ سل عمَّا شئت.

ـ لمَ فضلتم علينا ونحن وأنتم من شجرة واحدة، وبنو عبد المطّلب ونحن وأنتم واحد، فبنو العبَّاس وأنتم ولد أبي طالب، وهما عمَّا رسول الله صلى الله عليه وآله، وقرابتهما منه سواء؟

ـ نحن أقرب.

ـ وكيف ذلك؟

ـ لأنَّ عبد الله وأبا طالب لأب وأم، وأبوكم العبَّاس ليس هو من أم عبد الله وأبي طالب.

ـ لمَ ادعيتم أنَّكم ورثتم النبي ﷺ والعم يحجب ابن العم، وقبض رسول الله ﷺ وقد توفي أبو طالب قبله، والعبَّاس عمّه حي؟

ـ إن رأى أمير المؤمنين أن يعفيني عن هذه المسألة، ويسألني عن كل باب سواها.

ـ لا أو تجيب؟

ـ آمني.

ـ قد آمنتك قبل الكلام.

ـ جاء في قول علي عليه السلام: إنَّه ليس مع ولد الصلب ذكراً كان أم أنثى لأحد سهم إلاَّ الأبوين والزوج والزوجة، ولم يثبت للعم مع ولد الصلب ميراث، إلاَّ أن تيماً وعدياً، وبني أمية قالوا: العم والد، رأياً منهم بلا حقيقة ولا أثر عن النبي ﷺ، ثم إنَّه عليه السلام ذكر له جملة من فقهاء العصر الذين أفتوا بما أفتى به جده أمير المؤمنين عليه السلام في هذه المسألة وأضاف عليه السلام إلى ذلك قوله:

روى قدماء العامة، عن النبي ﷺ أنَّه قال: (علي أقضاكم) وكذلك قال عمر بن الخطاب: (علي أقضانا) وهو ـ أي القضاء ـ اسم جامع لأنَّ جميع ما مدح به النبي ﷺ أصحابه من القراءة والفرائض، والعلم داخل في القضاء.

وبعدما أدلى عليه السلام بهذه الحجَّة الدامغة طلب منه هارون الرشيد المزيد من الإيضاح والبيان فقال عليه السلام: إنَّ النبي لم يورث من لم يهاجر، ولا أثبت له ولاية حتى يهاجر.

قال هارون: ما حجَّتك؟

قال عليه السلام: قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَـٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا﴾[1]، وإنَّ عمي العبَّاس لم يهاجر.

فتغيَّر لون هارون وتميَّز من الغيظ فقال للإمام:

ـ هل أفتيت أحداً بذلك من أعدائنا أم أخبرت به أحداً من الفقهاء؟

ـ لا وما سألني عنها أحد سواك.

فسكن غضبه وقال: لمَ جوزتم للعامة والخاصة أن ينسبوكم إلى رسول الله ﷺ

---

(١) سورة الأنفال: الآية ٧٣.

ويقولوا: لكم يا بني رسول الله، وأنتم بنو علي، وإنَّما ينسب المرء إلى أبيه، وفاطمة إنَّما هي وعاء، والنبي صلى الله عليه وآله جدكم من قبل أُمّكم؟

- لو أنَّ النبي صلى الله عليه وآله نُشر فخطب منك كريمتك هل كنت تجيبه؟

- سبحان الله!! ولم لا أجيبه، بل أفتخر على العرب والعجم وقريش بذلك.

- لكنَّه لا يخطب منّي ولا أزوجه.

- ولمَ؟

- لأنَّه ولدني ولم يلدك.

- أحسنت يا موسى!!

- كيف قلتم: إنَّا ذرِّية النبي: والنبي لم يعقب، وإنَّما العقب للذكر لا للأنثى، وأنتم ولد بنته.

- أسألك بحقّ القرابة إلاَّ ما أعفيتني.

- لا أو تخبرني عن حجَّتكم فيه يا ولد علي، وأنت يا موسى يعسوبهم وإمام زمانهم، ولست أعفيك.

- تأذن لي في الجواب؟

- هات.

قال الله تعالى في كتابه: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾[1] من أبو عيسى يا أمير المؤمنين؟

- ليس لعيسى أب.

- إنَّما ألحقه الله تعالى بذراري الأنبياء من طريق مريم، وكذلك أُلحقنا بذراري النبي صلى الله عليه وآله من قبل أُمّنا فاطمة عليها السلام.

وطلب هارون من الإمام أن يزيد في حجَّته وبرهانه، فأجابه إلى ذلك فقال عليه السلام:

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾[2] فلم يدع أحد أنَّ النبي صلى الله عليه وآله أدخل تحت الكساء عند مباهلة النصارى إلاَّ علي بن أبي طالب وفاطمة

(١) سورة الأنعام: الآيتان ٨٤ ـ ٨٥.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٦١.

والحسن والحسين، فكان تأويل قوله تعالى: ﴿أَبْنَآءَنَا﴾ الحسن والحسين، ﴿وَنِسَآءَنَا﴾ فاطمة و﴿أَنفُسَنَا﴾ علي بن أبي طالب عليه السلام.

وأضاف إلى هذه الحجَّة برهاناً آخر وهو أنَّ العلماء قد أجمعوا على أنَّ جبرئيل قال: يوم أُحد، يا محمد إنَّ هذه لهي المواساة من علي فقال صلى الله عليه وآله: إنَّه منِّي وأنا منه، فقال وأنا منكما[1].

مع علماء اليهود:

قصد وفد من علماء اليهود الإمام الصادق ليحاججونه في الإسلام فلما تشرَّفوا بالمثول بين يديه انبروا إليه يطلبون منه الحجَّة والدليل على نبوَّة رسول الله صلى الله عليه وآله قائلين:

ـ أي معجز يدلُّ على نبوَّة محمَّد صلى الله عليه وآله؟

ـ كتابه المهيمن، الباهر لعقول الناظرين، مع ما أعطي من الحلال والحرام، وغيرهما ممَّا لو ذكرناه لطال شرحه.

ـ كيف لنا أن نعلم هذا كما وصفت؟

فانطلق الإمام موسى وكان آنذاك صبياً قائلاً لهم:

ـ وكيف لنا بأن نعلم ما تذكرون من آيات الله لموسى على ما تصفون؟

ـ علمنا ذلك بنقل الصادقين.

ـ فاعلموا صدق ما أنبأتكم به بخبر طفل لقَّنه الله تعالى من غير تعليم ولا معرفة عن الناقلين.

فبهروا وآمنوا بقول الإمام الكاظم ـ الذي هو المعجز بحق ـ وهتفوا معلنين إسلامهم قائلين:

ـ نشهد أن لا إلَه إلاَّ الله، وأنَّ محمَّداً رسول الله، وأنَّكم الأئمة الهادون والحجج من عند الله على خلقه...

ولما أدلى موسى بهذه الحجَّة وأسلم القوم على يده، وثب إليه أبو عبد الله فقبَّل ما بين عينيه وقال له: أنت القائم من بعدي، ثم إنَّه عليه السلام أمر بكسوة لهم وأوصلهم فانصرفوا وهم شاكرون[2].

---

(١) البحار: ج١٢، ص٢٧٤ ـ ٢٧٥.

(٢) البحار: ج٤، ص١٤٨.

مع راهب:

كان في الشام راهب تقدِّسه النصارى وتعظِّمه، وكان يخرج لهم في السنة يوماً فيعظهم، فالتقى به الإمام في ذلك اليوم الذي يعظ به وقد طافت به الرهبان وعلية القوم، فلما استقر المجلس بالإمام التفت إليه الراهب قائلاً:

ـ يا هذا، أنت غريب؟

ـ نعم.

ـ منَّا أو علينا؟

ـ لست منكم.

ـ أنت من الأُمَّة المرحومة؟

ـ نعم.

ـ أمن علمائها أم من جهالها؟

ـ لست من جهالها؟

فاضطرب الراهب، وتقدَّم إلى الإمام يسأله عن أعقد المسائل عنده قائلاً:

ـ كيف طوبى، أصلها في دار عيسى عندنا، وعندكم في دار محمد صلى الله عليه وآله وأغصانها في كل دار؟

ـ إنَّها كالشمس يصل ضوؤها إلى كل مكان وموضع وهي في السماء.

ـ إنَّ الجنَّة كيف لا ينفذ طعامها وإن أكلوا منه، وكيف لا ينقص منه شيء؟

ـ إنَّه كالسراج في الدُّنيا يقتبس منه، ولا ينقص منه شيء.

ـ إنَّ في الجنَّة ظلاً ممدوداً، ما هو؟

ـ الوقت الذي قبل طلوع الشمس، هو الظل الممدود، ثم تلا قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾.

ـ إنَّ أهل الجنَّة يأكلون ويشربون كيف لا يكون لهم غائط ولا بول؟

ـ إنَّهم كالجنين في بطن أُمّه.

ـ إنَّ لأهل الجنَّة خدماً كيف يأتونهم بما أرادوا بلا أمر؟

ـ إنَّ الإنسان إذا احتاج إلى شيء عرفت أعضاؤه ذلك فتعرفه الخدم فيحقِّقون مراده من غير أمر.

ـ مفاتيح الجنَّة من ذهب أو فضة؟

ـ مفتاح الجنَّة قول العبد: لا إله إلاَّ الله.

ـ صدقت.

ثم إنَّه أسلم هو وقومه(١).

نظمه الشعر:

أما نظمه للشعر فقليل جداً وقد ذكر الشيخ المفيد له أبياتاً تلاها الإمام الرِّضا عليه السلام على المأمون ونسبها عليه السلام إلى أبيه:

كن للمكاره بالعزاء مدافعاً فلعلَّ يوماً لا ترى ما تكره
فلربَّما استتر الفتى فتنافست فيه العيون وأنَّه لمموه
ولربَّما خزن الأديب لسانه حذر الجواب وأنَّه لمفوه
ولربَّما ابتسم الوقور من الأذى وضميره من حره يتأوه(٢)

جوامع الكلم:

قال عليه السلام: لا تذهب الحشمة بينك وبين أخيك، وابق منها، فإنَّ ذهابها ذهاب الحياء.

قال عليه السلام: عونك للضعيف من أفضل الصدقة.

قال عليه السلام: يعرف شدَّة الجور من حكم به عليه.

قال عليه السلام: تعجب الجاهل من العاقل أكثر من تعجب العاقل من الجاهل.

قال عليه السلام: لا تصلح المسألة إلاَّ في ثلاث: في دم منقطع، أو غرم مثقل، أو حاجة مدقعة.

قال عليه السلام: المؤمن أعز من الجبل، الجبل يستفل بالمعاول، والمؤمن لا يستفل دينه بشيء.

قال عليه السلام: أداء الأمانة والصدق يجلبان الرِّزق، والخيانة والكذب يجلبان الفقر والنفاق.

قال عليه السلام: من تكلف ما ليس من عمله ضاع عمله، وخاب أمله.

قال عليه السلام: لا خير في العيش إلاَّ لمسمع واع أو عالم ناطق.

---

(١) المناقب: ج٣، ص٤٢٧.

(٢) الأمالي: ص١٥٠.

قال عليه السلام: إنَّ صلاحكم من صلاح سلطانكم، وإنَّ السلطان العادل بمنزلة الوالد الرحيم، فأحبّوا له ما تحبّون لأنفسكم واكرهوا له ما تكرهون لأنفسكم.

قال عليه السلام: لمحمد بن الفضل: يا محمد كذب سمعك وبصرك عن أخيك وإن شهد عندك خمسون قسامة، وقال لك قولاً: فصدقه وكذبهم ولا تذيعن شيئاً يشينه.

قال عليه السلام: من دعا قبل الثناء على الله والصلاة على النبي صلى الله عليه وآله كان كمن رمى بسهم بلا وتر.

قال عليه السلام: أفضل العبادة بعد المعرفة انتظار الفرج.

قال عليه السلام: التودُّد إلى الناس نصف العقل.

قال عليه السلام: كثرة الهم تورث الهرم.

قال عليه السلام: العجلة هي الخرق.

قال عليه السلام: قلَّة العيال أحد اليسارين.

قال عليه السلام: من أحزن والديه فقد عقَّهما.

قال عليه السلام: الصنيعة لا تكون صنيعة إلاَّ عند ذي دين أو حسب، والله ينزل المعونة على قدر المؤنة، وينزل الصبر على قدر المصيبة.

قال عليه السلام: إذا كان الجور أغلب من الحق لم يحل لأحد أن يظنّ بأحد خيراً حتى يعرف ذلك منه.

قال عليه السلام: المؤمن مثل كفتي الميزان كلَّما زيد في إيمانه زيد في بلائه.

قال عليه السلام: وقد حضر ميتاً أنزل في قبره، إن شيئاً هذا آخره لحقيق أن يزهد في أوله، وإن شيئاً هذا أوله لحقيق أن يخاف آخره.

قال عليه السلام: اشتدت مؤنة الدِّين والدُّنيا، أما مؤنة الدُّنيا فإنَّك لا تمدّ يدك إلاَّ وجدت فاجراً قد سبقك إليها، وأما مؤنة الآخرة فإنَّك لا تجد أعواناً يعينونك عليها.

قال عليه السلام: لا تبذل لإخوانك من نفسك ما ضرره عليك أعظم من منفعته لهم.

قال عليه السلام: ما أهان الدُّنيا قوم قط إلاَّ هنأهم الله إيَّاها وبارك لهم فيها، وما أعزها قوم قط إلاَّ بغضهم الله إيَّاها.

وذكر في مجلسه بعض الجبابرة، فقال عليه السلام: أما والله لئن عز بالظلم في الدُّنيا ليذلن بالعدل في الآخرة.

قال عليه السلام: من أتى إلى أخيه مكروهاً فبنفسه بدأها.

قال عليه السلام: من ولده الفقر أبطره الغنى.

قال عليه السلام: ما استسب اثنان إلاَّ انحط الأعلى منهما إلى المرتبة السفلى.

قال عليه السلام: المؤمن أخو المؤمن لأُمِّه وأبيه وإن لم يلده أبوه، ملعون من اتهم أخاه، ملعون من لم ينصح لأخيه، ملعون من استأسر لأخيه، ملعون من احتجب عن أخيه، ملعون من اغتاب أخاه.

قال عليه السلام: قلَّة الوفاء عيب بالمروءة.

قال عليه السلام: المعروف تلو المعروف غل لا يفكه إلاَّ مكافأة أو شكر.

قال عليه السلام: لو ظهرت الآجال لأفتضحت الآمال.

قال عليه السلام: قلَّة الشكر تزهد في اصطناع المعروف.

قال عليه السلام؛ رأس السخاء أداء الأمانة.

قال عليه السلام: من لم يكن له من نفسه واعظ تمكن منه عدوه ـ يعني به الشيطان ـ.

قال عليه السلام: المغبون من غبن من عمره ساعة.

قال عليه السلام: من كثر خلقه لم يعرف بشره.

قال عليه السلام: من ترك التماس المعالي لانقطاع رجائه فيها لم ينل جسيماً.

قال عليه السلام: إيَّاك أن تمنع في طاعة الله فتنفق مثليه في معصية الله.

قال عليه السلام: من تكلَّم في الله هلك، ومن طلب الرياسة هلك، ومن دخله العجب هلك.

قال عليه السلام: إنَّ قوماً يصحبون السلطان يتخذهم المؤمنون كهوفاً هم الآمنون يوم القيامة.

قال عليه السلام: كلَّما أحدث الناس من الذُّنوب ما لم يكونوا يعملون أحدث الله لهم من البلاء ما لم يكونوا يعدون.

قال عليه السلام: إنَّ أهل الأرض لمرحومون ما تحابوا وأدوا الأمانة وعملوا بالحق.

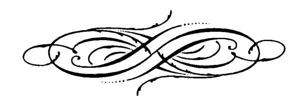
قال عليه السلام: لا تضيع حق أخيك اتكالاً على ما بينك وبينه فإنَّه ليس بأخ من ضيعت حقه، ولا يكونن أخوك أقوى على قطيعتك منك على صلته.

قال عليه السلام: إنَّ الأنبياء وأولاد الأنبياء وأتباع الأنبياء خصّوا بثلاث خصال، السقم في الأبدان، وخوف السلطان والفقر.

قال عليه السلام لبعض ولده: لا تخرجن نفسك من حد التقصير في عبادة الله وطاعته فإنَّ الله عزَّ وجلَّ لا يعبد حقَّ عبادته.

قال عليه السلام: إذا لم تستح فاعمل ما شئت.

قال علي بن سويد: سألت أبا الحسن عن العجب الذي يفسد العمل فقال عليه السلام: العجب درجات منها أن يزين للعبد سوء عمله فيراه حسناً فيعجبه ويحسب أنَّه يحسن صنعاً، ومنها أن يؤمن العبد بربّه فيمنُّ على الله عزَّ وجلَّ، ولله عليه فيه المنّ.



انهيار الحكم الأموي

كان الإمام موسى عليه السلام أيام الثورة العارمة على الحكم الأموي في سن مبكر، فقد كان عمره الشريف ـ حسب ما يقول الرواة ـ ممَّا يزيد على أربع سنين، وهو دور يسمح لصاحبه أن ينقل إلى دخيلة نفسه كثيراً من المشاهدات والصور التي تمرُّ عليه، ولا سيَّما إذا كانت من الأحداث الجسام فإنَّها تؤثِّر ـ من دون شك ـ في دخائل ذاته، وتتفاعل معه، وتترك فيه كثيراً من الانطباعات حسب ما يقوله علماء النفس.

وقد شاهد الإمام أو سمع وهو في سنِّه المبكر الثورة العارمة التي عمَّت جميع الأقاليم الإسلامية على الحكم الأموي، فقد واكبت تلك الثورة كثيراً من الأحداث الرهيبة فجبال من جثث الضحايا وبحور من الدماء بذلت بسخاء للتخلص من ذلك الحكم الأسود القائم على الجور والاستغلال والتنكُّر لحقوق الإنسان.

إنَّ الحديث عن العوامل التي أدَّت إلى سقوط الدولة الأموية أمر تقتضيه ضرورة البحث عن حياة الإمام موسى عليه السلام فقد قطع شوطاً من حياته، وهو يسمع بتلك الأزمات الاجتماعية التي غيَّرت مجرى الحياة العامة فقد بلغ عمره الشريف حين سقوط الدولة الأموية إحدى عشر سنة وهو دور يسمح لصاحبه أن ينقل إلى دخائل نفسه من المشاهدات والصور التي تمرُّ عليه. وقد رأى انحراف الثورة عن مجراها فقد كان باعثها إرجاع الحكم لأهل البيت عليهم السلام حتى تنعم الأُمَّة بالعدل والرفاهية والدعة والاستقرار ولكنَّها مع الأسف قد حملت الخلافة إلى بني العبَّاس، وإذا بهم يمعنون في قتل العلويين ومطاردتهم، والتنكيل بهم، وإذا ببيوت العلويين يعمُّها الأسى والثكل والحداد، ومن الطبيعي أنَّ لذلك أثراً بالغاً في نفس الإمام موسى عليه السلام فقد اترعت نفسه بالأسى الشديد والحزن العميق.

في عهد السفَّاح

في عهد السفاح رأى ما فعله في سفك الدماء، وهتك الحرمات، وقد ختم حياته بفرض أخيه المنصور خليفة على المسلمين، وهو من أشرّ خلق الله، وأخبث حاكم في

الإسلام لؤماً وانحرافاً عن العدل، فقد جهد في فقر المسلمين وإشاعة الذعر والخوف في جميع أنحاء العالم الإسلامي.

فقد رأى الإمام موسى عليه السلام وهو في غضون الصبا وريعة العمر محنة المجتمع الإسلامي وشقاءه بتلك الأدوار الرهيبة التي اجتازت عليه فإنَّه لم ينتقل من جور الأمويين وظلمهم حتى وقع تحت وطأة الحكم العباسي فأخذ يعاني الجور والاستبداد، والعسف والإرهاق، وأخذت السلطة العباسية تمعن في إفقار المسلمين ونهب ثرواتهم وصرفها بسخاء على المجون والدعارة كما كان الحال أيام الحكم الأموي، ومن الطبيعي أنَّ لذلك أثراً كبيراً في حياة الإمام موسى عليه السلام وانطوائها على الحزن والأسى.

في عهد المنصور

كان من أقسى ما قام به المنصور من الظلم جوره البالغ على العلويين، ومعاملتهم بما لا يوصف من العنف والاضطهاد فقد صبَّ عليهم جام غضبه فنكل بهم أفظع التنكيل، ولم يرع فيهم أواصر الرحم، وقربهم من الرسول صلى الله عليه وآله وقد شاهد الإمام موسى عليه السلام ما حلَّ بأسرته من صنوف المحن والإرهاق، فكان لذلك أثره الكبير في نفسه فقد صارت موطناً للآلام والأحزان.

لقد قطع الإمام موسى عليه السلام عقدين من سني حياته في دور المنصور فرأى تلك السياسة النكراء التي تحمل شارات الموت والفناء لجميع المواطنين...

رجوع الشيعة للإمام موسى:

ولما فجع العالم الشيعي بوفاة زعيمه الرُّوحي العظيم الإمام الصادق عليه السلام رجع من بعده إلى ولده الإمام موسى، فقد بعثت جميع الأقطار التي تدين بالإمامة وفودها لتعيين الإمام بعد أبي عبد الله عليه السلام وجاءت تلك الوفود إلى يثرب فالتقت بالإمام موسى وآمنت بإمامته وعقدت له الولاء والطاعة فقد وجدت فيه كل ما هو ماثل في أبيه من العلم والإيمان والتقوى والصلاح وما ماثل ذلك من الصفات الرفيعة التي لا توجد إلاَّ عند من عصمه الله من الزلل، وطهَّره من الرجس، واختاره لإرشاد عباده إلى سواء السبيل.

وحدث هشام بن سالم أحد عيون الشيعة ووجوهها عن كيفية رجوعه ورجوع إخوانه إلى الإمام بعد وفاة أبيه يقول: كنت بالمدينة مع محمد بن النعمان صاحب الطاق حين وفاة الإمام أبي عبد الله، وقد اجتمع الناس على عبد الله بن جعفر ظانين أنَّه صاحب

الأمر والقائم بعد أبيه فدخلت عليه مع أصحابي ولما استقر بنا المجلس وجهنا له السؤال الآتي:

ـ كم تجب الزكاة في المائتين من الدراهم؟

ـ خمسة دراهم.

ـ ففي المائة؟

ـ درهمان ونصف.

وتعجبوا من هذه الفتوى التي لا تمتُّ إلى الشريعة الإسلامية بصلة، فإنَّ النصاب الأول في نصاب الدراهم مائتان وما نقص عنها فليس عليه شيء وطفق هشام يقول مستهزءاً بهذه الفتوى التي لا مدرك لها:

ـ والله ما تقول المرجئة هذا!!

ـ والله ما أدري ما تقول المرجئة؟

وخرج هشام ومحمد من عنده وهما لا يبصران الطريق من الألم والحزن لعدم ظفرهما بالإمام القائم بعد أبي عبد الله وجعل هشام يقول:

«إلى المرجئة، إلى القدرية، إلى المعتزلة، إلى الزيدية، إلى الخوارج؟!!».

وبينما كان هشام ومحمد هائمين في تيار من الهواجس والأفكار لا يعلمان أي مبدأ يعتنقانه إذ أطل عليهما شيخ فأومأ إلى هشام يشير إليه باتباعه، فتوهم هشام أنَّه من عيون المنصور وجواسيسه قد فهم حديثهما فالتفت إلى صاحبه وقد استولى عليه الذعر والارتباك وأمره بالبعد عنه ليكون وحده الذي ينال العقوبة والجزاء، فتبع الشيخ حتى أورده على الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، فلما دخل سكن روعه وحينما استقر به المجلس التفت إليها لإمام قائلاً بنبرات تفيض لطفاً وحناناً: «إليَّ لا إلى المرجئة، ولا إلى القدرية، ولا إلى المعتزلة، ولا إلى الزيدية..».

ففرح هشام لأنَّه ظفر ببغيته حيث أخبره الإمام بما انطوت عليه نفسه وتلك من إمارة الإمامة وعلائمها، ووجه له هشام السؤال الآتي:

ـ جعلت فداك مضى أبوك؟

ـ نعم.

ـ مضى موتاً؟

ـ نعم.

ـ من لنا بعده؟

ـ إن شاء الله أن يهديك هداك.

ـ جعلت فداك إنَّ عبد الله أخاك يزعم أنَّه الإمام بعد أبيه.

ـ عبد الله يريد أن لا يعبد الله.

ـ من لنا بعده؟

فأجابه مثل جوابه الأول، وطفق هشام يقول:

ـ أفأنت هو؟

ـ لا أقول ذلك.

وأخطأ هشام في حديثه والتفت إلى خطله فقال:

ـ عليك إمام؟

ـ لا.

فداخله من الإكبار والإجلال ما لا يعلم به إلاَّ الله، ثم قال له:

ـ جعلت فداك، أسألك عمَّا كنت أسأل به أباك؟

ـ سل ولا تذع، فإن أذعت فهو الذبح.

ثم وجه إليه أسئلة كثيرة فإذا به بحر لا ينزف لكثرة علمه، وفضله وانبرى بعد معرفته ووثوقه بإمامته قائلاً:

ـ جعلت فداك، شيعة أبيك في ضلال فألقي إليهم هذا الأمر، وأدعوهم إليك، فقد أخذت عليَّ الكتمان؟

ـ من أنست به رشداً فألق إليه، وخذ عليه الكتمان، فإن أذاع فهو الذبح ـ وأشار بيده إلى حلقه ـ.

ثم خرج وهو ناعم الفكر مسرور القلب بما ظفر به، فبادر إليه صاحبه قائلاً:

ـ ما وراءك؟

ـ الهدى.

ثم حدَّثه بالأمر، وقصدا زرارة وأبا بصير وبعد الاجتماع بهما نقل لهما الحديث، فبادر زرارة وأبو بصير إلى الإمام وسألاه عن بعض المسائل فأجاب عنها فقطعا بإمامته، وأقبلت جماهير الشيعة تترى أفواجاً نحو الإمام وهي تعقد له الولاء والطاعة، وتعترف

بإمامته، وقد دانت الأغلبية الساحقة من الشيعة بإمامته سوى أصحاب عمار الساباطي فإنَّهم بقوا على فكرتهم مصرين[1].

وتولى الإمام عليه السلام بعد وفاة أبيه القيام بشؤون الشيعة وبنشر المبادىء الإسلامية العليا وتزويد العلماء والطلبة بشتى أنواع العلوم والمعارف، وقد وضعت عليه الحكومة بعد ذلك الرقابة فلم يتمكن على الاتصال بالشيعة علناً كما لم تتمكن الشيعة على التصريح بعقيدتها ومبدأها.

الإمام موسى مع المنصور:

وشاهد الإمام موسى عليه السلام جميع الرزايا والنكبات التي حلَّت بأهل بيته وأسرته فانطوت نفسه على الحزن العميق، والأسى المرير، وقد صبر محتسباً كاظماً للغيظ.

ولم يشترك الإمام في الميادين السياسية، ولم ينضم إلى الثوار من العلويين لعلمه بفشل حركتهم، وعدم نجاحها، فلذا كفَّ عنه المنصور الأذى والمكروه، وقد طلب منه أن يمثِّله في يوم النوروز وينوب عنه في قبض الهدايا والتحف التي اعتاد الوجوه والأشراف وزعماء الجيش تقديمها إلى الخليفة فقد سنَّ ذلك معاوية بن أبي سفيان في الإسلام وسار على منواله وخطته الملوك من بعده، وقد امتنع عليه السلام من إجابته قائلاً:

«إنِّي قد فتشت الأخبار عن جدي رسول الله صلى الله عليه وآله فلم أجد لهذا العيد خبراً، وأنَّه سنَّة للفرس قد محاها الإسلام، ومعاذ الله أن نحيي ما محاه الإسلام..».

فلم يعتن المنصور بعدم مشروعيته، وأصر على الإمام أن ينوب عنه لأنَّ في ذلك مجاراة لجنوده الفرس الذين اعتادوا على الاحتفال بهذا اليوم، ولم يجد الإمام بدّاً من إجابته فجلس في مكانه ودخل عليه الوجوه والزعماء يهنؤنه ويحملون له الهدايا والتحف، وعلى رأسه شخص من قبل المنصور يسجِّل ما يصل إليه، وفي الوقت دخل على الإمام شيخ طاعن في السنّ رثّ الهيئة وهو يحمل له هدية أثمن من الجوهر وأغلى من جميع ما قدّم له فوقف قبال الإمام وهو يقول:

«يا سيِّدي إنِّي رجل صعلوك لا مال لي أتحفك به، ولكنِّي أتحفك بأبيات ثلاث قالها جدي في جدك الحسين..».

ـ مرحباً بك وبهديتك، اتلُ ما قال:

فانطلق يقول:

---

(١) المجالس: ج٥، ص٣٢٨.

عـجـبـت لـمـصـقـول عـلاك فـرنـده يـوم الـهـيـاج وقـد عـلاك غـبـار
ولأسـهـم نـفـذتـك دون حـرائـر يـدعـون جـدك والـدمـوع غـزار
ألا تـضـعـضـعـت الـسـهـام وعـاقـهـا عـن جـسـمـك الإجـلال والإكـبـار

فانقلبت مسرات ذلك اليوم إلى مأتم حافل بالأسى والحزن على سيِّد الشُّهداء عليه السلام والتفت إليه الإمام وقد استولى عليه الشجى والحزن قائلاً له:

«قبلت هديتك، اجلس بارك الله فيك..».

ثمَّ إنَّه رفع رأسه إلى الخادم فقال له: إمض إلى المنصور وعرِّفه بهذا المال وما يصنع به، فمضى إلى المنصور وأخبره بمقالة الإمام، فقال له جميع ما وصل فهو هدية له، فقفل راجعاً وأخبره بالأمر، فوهب عليه السلام جميع تلك الأموال الضخمة إلى الشيخ كرامة لجده الذي رثى سيِّد الشُّهداء بهذه الأبيات الرقيقة[1].

ولم تصرِّح هذه الرواية أنَّه عليه السلام في أي بلد أقام ممثلاً عن المنصور، هل في يثرب أم في بغداد؟ فقد أهملت هذه الجهة مضافاً إلى ما عرف به المنصور من البخل والشح، وهذا ممَّا يوجب الريبة في الرواية.

لقد انطوت حياة المنصور الحافلة بالجور والإثم والموبقات، فلم يعهد المسلمون في جميع مراحل تأريخهم حاكماً أظلم ولا أعنف ولا أقسى من المنصور وكان عمر الإمام موسى عليه السلام آنذاك ثلاثين سنة، وقد قضى زهرة حياته في عهد هذا الطاغية وهو مكلوم القلب حزين النفس قد طافت به الآلام حزناً على المسلمين وجزعاً على ما لاقاه العلويون من التنكيل والعذاب الأليم، وهنا نودعه لنلتقي به في عهد المهدي.

في عهد المهدي

حينما استقل المهدي على دست الحكم أصدر مرسوماً ملكياً بالعفو عن جميع المعتقلين والمساجين السياسيين سوى من كان في عنقه دم أو كان ذا فساد في الأرض، كما ردَّ جميع الأموال المنقولة وغير المنقولة التي صادرها أبوه ظلماً وعدواناً إلى أهلها، فردَّ على الإمام موسى ما صادره أبوه من أموال الإمام الصادق عليه السلام، ويعود السبب في جميع ذلك إلى أنَّه قد تلقَّى الملك على جانب عظيم من الاستقرار والطمأنينة بالإضافة إلى ذلك فإنَّه ظفر بثراء عريض جهد في جمعه أبوه المنصور فقتر على نفسه وعلى الأُمَّة

(١) المناقب: ج٢، ص٣٨٠.

فلم ينعم هو ولا المجتمع بخيرات ذلك المال الكثير، ومن المؤسف أنَّ المهدي قد أنفق جميع الثروات الضخمة على اللهو والمجون والهبات للعملاء والماجنين، ولم تستفد الطبقة الضعيفة منها شيئاً فإنَّه لم يرفه عليها بشيء فلم يكن له همّ إلاَّ إشباع شهواته والإسراف في البذخ والترف والمجون.

وعلى أيِّ حال فإنَّ المهدي لا يُقاس بأبيه فقد خالفه بأغلب صفاته وأعماله إلاَّ أنَّه ورث منه العداء العارم للعلويين وشيعتهم، فقد كان يبغضهم بغضاً شديداً، لقد ورث ذلك من أبيه المنصور الذي كان يعتقد أنَّ لا بقاء له في الحكم والسلطان إلاَّ بالقضاء على العلويين وشيعتهم...

إغداق الأموال على انتقاص العلويين:

وسرف المهدي الأموال الضخمة على انتقاص أهل البيت والحطّ من شأنهم، وقد عرف فريق من الشعراء المرتزقين أنَّ الوسيلة في ثرائهم انتقاصهم لأهل البيت والمبالغة في ذمّهم فراحوا يلفِّقون الأكاذيب في هجائهم، ومن جملة هؤلاء العبيد بشار بن برد المعروف بالزندقة والإلحاد فقد دخل على المهدي وأنشده قصيدته التي يقول فيها:

يا ابن الذي ورث النبي محمَّداً ... دون الأقارب من ذوي الأرحام
الوحي بين بني البنات وبينكم ... قطع الخصام فلات حين خصام
ما للنساء مع الرجال فريضة ... نزلت بذلك سورة الأنعام[1]
أنَّى يكون وليس ذاك بكائن ... لبني البنات وراثة الأعمام

فأجازه المهدي على ذلك بسبعين ألف درهم تشجيعاً له ولغيره من باعة الضمير على انتقاص أهل البيت، ولما سمع الإمام موسى عليه السلام بقصيدة بشار تأثَّر أشد التأثُّر ونام ليلته قلقاً متألماً، وقد سمع هاتفاً يتلو عليه أبياتاً تعارض أبيات بشار وهي:

أنىَّ يكون ولا يكون ولم يكن ... للمشركين دعائم الإسلام
لبني البنات نصيبهم من جدهم ... والعم متروك بغير سهام
ما للطليق وللتراث وإنَّما ... سجد الطليق مخافة الصمصام
وبقي ابن شلة واقفاً متلدداً ... فيه ويمنعه ذوو الأرحام
إنَّ ابن فاطمة المنوَّه باسمه ... حاز التراث سوى بني الأعمام[2]

---

(١) ليس في سورة الأنعام ما يشير إلى هذا المعنى بل ليس فيها أي حكم من أحكام الميراث.
(٢) احتجاج الطبرسي: ص٢١٤.

مع الإمام موسى:

ولم يتعرَّض المهدي في بداية حكمه إلى الإمام بمكروه ولم ينله بسوء وقد اكتفى عن التنكيل به بوضع الرقابة الشديدة عليه، ولما شاع ذكره في الأوساط وذاع صيته لم يملك المهدي غضبه فعمد إلى اعتقاله ولكنَّه سرعان ما أطلق سراحه لأنَّه قد رأى برهاناً من ربّه كما سنذكره، ونعرض بعض البوادر التي جرت للإمام معه مع بيان اعتقاله.

استدلاله على حرمة الخمر:

حجَّ المهدي بيت الله الحرام، وبعد أدائه للمناسك قفل إلى زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله وقد بذل أموالاً طائلة إلى المدنيين، واجتمع به الإمام فلما استقر به المجلس وجه له المهدي السؤال الآتي:

ـ هل الخمر محرمة في كتاب الله؟ فإنَّ الناس إنَّما يعرفونها، ولا يعرفون التحريم.

ـ بل هي محرمة في كتاب الله.

ـ في أي موضع هي محرمة؟

ـ قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ وأخذ عليه السلام يدلي عليه المراد من الآية الكريمة قائلاً:

أما قوله: ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ يعني الزنا المعلن، ونصب الرايات التي كانت ترفعها الفواجر للفواحش في الجاهلية.

وأما قوله: ﴿وَمَا بَطَنَ﴾ يعين ما نكح الآباء، لأنَّ الناس قبل أن يبعث النبي صلى الله عليه وآله إذا كان للرجل زوجة ومات عنها زوجها تزوجها من بعده ابنه إذا لم تكن أُمّه، فحرم الله ذلك.

وأما ﴿ٱلْإِثْمِ﴾ فإنَّها الخمرة بعينها وقد قال الله تبارك وتعالى في موضع آخر: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ فأما الإثم في كتاب الله، فهو الخمر والميسر وإثمهما كبير.

ولم يملك المهدي إعجابه بالإمام فالتفت إلى علي بن يقطين قائلاً له:

ـ هذا والله فتوى هاشمية.

ـ صدقت، والله يا أمير المؤمنين، الحمد لله الذي لم يخرج هذا العلم منكم أهل البيت.

فلذعه هذا الكلام، فلم يملك صوابه فاندفع قائلاً: «صدقت يا رافضي»[1].

---

(١) البحار: ج٤، ص٤٨.

تحديد فدك:

ولما أعلن المهدي ردّ المظالم إلى أهلها دخل عليه الإمام موسى عليه السلام فرآه مشغولاً بذلك فالتفت إليه قائلاً:

ـ ما بال مظلمتنا لا ترد.

ـ وما ذاك يا أبا الحسن؟

ـ فدك.

ـ حدها لي.

ـ حد منها جبل أُحد، وحد منها عريش مصر، وحد منها سيف البحر، وحد منها دومة الجندل.

ـ كل هذه حدود فدك؟

ـ نعم.

فتغيَّر المهدي وبدا الغضب على سحنات وجهه فقد أعلن له الإمام أنَّ جميع أقاليم المملكة الإسلامية قد أخذت منهم.

فانطلق المهدي قائلاً:

«هذا كثير انظر فيه»[١].

توسعة المسجد الحرام:

وأمر المهدي بتوسعة المسجد الحرام مع الجامع النبوي وذلك في سنة (١٦١هـ)[٢] وقد امتنع أرباب الدور المجاورة للجامعين من بيعها على الحكومة، فسأل المهدي فقهاء العصر عن جواز إجبارهم على ذلك فقالوا له: لا ينبغي أن تدخل شيئاً في المسجد غصباً، وكان بمجلسه علي بن يقطين فأشار عليه أن يرفع استفتاءاً في المسألة إلى الإمام موسى عليه السلام فاستصوب رأيه وكتب إلى عامله على يثرب يأمره بأن يسأل الإمام عن ذلك، فلما انتهى الكتاب إليه مضى إلى الإمام، وعرض عليه السؤال فكتب عليه السلام الجواب وهذا نصَّه بعد البسملة:

---

(١) عمدة الأخبار في مدينة المختار: ص٣١٦.

(٢) تأريخ اليعقوبي: ج٣، ص٣٩٣.

«إن كانت الكعبة هي النازلة بالناس، فالناس أولى ببنائها، وإن كان الناس هم النازلون بفناء الكعبة فالكعبة أولى بفنائها».

ولما انتهى الجواب إلى المهدي أمر بهدم الدور وإضافتها إلى ساحة المسجدين وفزع أربابها إلى الإمام والتمسوا منه أن يكتب لهم رسالة إلى المهدي ليعوِّضهم عن ثمن دورهم، فأجابهم وكتب إلى المهدي رسالة في ذلك فما وصلت إليهم أوصلهم وأرضاهم[١] وليس هذا نوعاً من الاستملاك الذي يعبّر عنه في الوقت الحاضر بالاستملاك للمصلحة العامة كما فهمه بعض المعاصرين بل إنَّ هذا حكم شرعي يتبع أدلته الخاصة التي نصَّت على أنَّ للجامع فناءاً وإنَّ من نزل به لا حرمة لما يقيمه فيه من بناء، ونسب المحدث الحافظ أبو الخطاب، القصة للإمام الصادق عليه السلام مع المنصور[٢] وهو بعيد فإنَّ التأريخ لم يحدث عن قيام المنصور بحركة عمرانية للجامعين.

اعتقال الإمام:

ولما شاع ذكر الإمام وانتشر اسمه في جميع الآفاق لم يملك المهدي غيظه وحقده فخاف على كرسيه، واعتقد أنَّ ملكه لا يستقر إلاَّ باعتقال الإمام، فكتب إلى عامله على المدينة يأمره بإرسال الإمام إليه فوراً، ولما وصلت الرسالة إليه توجه إلى الإمام وأخبره بذلك فتجهز عليه السلام للسفر من وقته فسار عليه السلام حتى انتهى إلى زبالة فاستقبله أبو خالد بكآبة وحزن فنظر إليه الإمام نظرة رأفة ورحمة وقال له:

ـ ما لي أراك منقبضاً؟!!

ـ كيف لا أنقبض! وأنت سار إلى هذا الطاغية ولا آمن عليك فهدأ عليه السلام روعه وأخبره أنَّه لا ضير عليه في سفره هذا، وضرب له موعداً يجتاز فيه عليه، ثم انصرف الإمام متوجهاً إلى بغداد، فلما وصل إليها أمر المهدي باعتقاله وإيداعه في السجن، ونام المهدي تلك الليلة فرأى في منامه الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وهو متأثر حزين فخاطبه:

«يا محمد، فهل عسيتم أن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم».

فقام المهدي من نومه فزعاً مرعوباً فاستدعى حاجبه الربيع فلما مثل بين يديه كان المهدي يردِّد الآية الكريمة، وأمره بإحضاره الإمام موسى، فلما أقبل إليه قام فعانقه

---

(١) البحار: ج٤، ص٢٤٨.

(٢) النبراس: ص٢٤.

وأجلسه إلى جانبه ثم قال له بعطف ولين: «يا أبا الحسن، إنِّي رأيت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب يقرأ عليَّ كذا ـ وأشار إلى الآية ـ أفتؤمنني أن لا تخرج علي أو على أحد من ولدي؟

ـ والله ما فعلت ذلك، ولا هو من شأني.

ـ صدقت، يا ربيع، اعطه ثلاثة آلاف دينار ورده إلى أهله إلى المدينة، فقام الربيع فشايعه وأحكم أمره وسرحه في الليل فما أصبح عليه الصبح إلاَّ وهو في الطريق[1] وسارت قافلة الإمام تطوي البيداء حتى انتهت إلى «زبالة» في اليوم الذي عيَّنه لأبي خالد وكان يترقَّب قدوم الإمام في ذلك الوقت بفارغ الصبر فلما قدم عليه السلام عليه بادر إليه وهو يلثم يديه وأطرافه والفرح بادٍ عليه فأدرك الإمام سروره البالغ فقال له: «إنَّ لهم إليَّ عودة لا أتخلص منها»[2].

وأشار عليه السلام بذلك إلى ما يصنعه به هارون من اعتقاله في سجونه حتى يلفظ أنفاسه الأخيرة بها، ولم يجلب المهدي الإمام إلى بغداد سوى هذه المرة وقد قطع عليه السلام من سني حياته في دوره عشر سنين وقد قام خلال هذه المدة بنشر العلم وتغذية الناشئة العلمية بأنواع العلوم والآداب وهذه المدة من أهم أدوار حياته التي شيَّد بها صروح العلم والفضيلة والأخلاق.

في عهد الهادي

استقبل موسى الهادي الدولة الإسلامية في أيام شبابها الغض، ونضارة غصنها الرطب، وفي إبان قوَّتها الكاملة، وثروتها الموفورة، وقد بويع له، وهو في غضارة العمر فقدكان عمره ـ حسب ما يقول الرواة ـ خمساً وعشرين سنة[3] وكان سادراً في الطيش والغرور، ومتمادياً في الإثم والفجور، وقد أراح الله منه العباد في بداية ملكه فلم تطل أيامه، ولو امتد به العمر لواجه المسلمون في عهده أعنف المشاكل وأقساها، فقد كان طاغية جبَّاراً لا يتحرج من سفك الدماء وإراقتها بغير حق، وقد أسرف في سفك دماء العلويين، فأنزل بهم العقاب الصارم، وقد أجمع رأيه على التنكيل بالإمام موسى عليه السلام إلاَّ أنَّ قصم ظهره قبل أن يقوم بذلك.

---

(١) تأريخ بغداد: ج١٣، ص٣٠ ـ ٣١.
(٢) نور الأبصار: ص١٣٦.
(٣) خلاصة الذهب المسبوك: ص٧٥.

تهديده للإمام موسى:

ولما استأصل موسى الهادي شأفة العلويين، أخذ يتوعد الأحياء منهم بالقتل والدمار، وقد ذكر عميدهم وسيِّدهم الإمام موسى عليه السلام فقال: «والله ما خرج حسين إلاَّ عن أمره، ولا اتبع إلاَّ محبته لأنَّه صاحب الوصية في أهل هذا البيت قتلني الله إن أبقيت عليه».

وأضاف يقول في تهديده: «ولولا ما سمعت من المهدي فيما أخبر به المنصور ما كان به جعفر ـ يعني الإمام الصادق عليه السلام ـ من الفضل المبرز عن أهله في دينه، وعمله وفضله، وما بلغني من السفاح فيه من تعريضه وتفضيله، لنبشت قبره وأحرقته بالنار إحراقاً».

وكان في مجلسه القاضي أبو يوسف، فانبرى إليه قائلاً: «نساؤه طوالق، وعتق جميع ما يملك من الرقيق، وتصدق جميع ما يملك من المال، وحبس دوابه، وعليه المشي إلى بيت الله إن كان مذهب موسى بن جعفر الخروج، ولا يذهب إليه، ولا مذهب أحد من ولده ولا ينبغي أن يكون هذا منهم».

ولم يزل يلطف به، حتى سكن غضبه[1] ودلَّ هذا الموقف الكريم على نبل أبي يوسف وشرفه.

استهزاء الإمام به:

وانتهى تهديد الهادي إلى الإمام عليه السلام فخفَّ إليه أهل بيته وأصحابه مسرعين فزعين قد استولى عليهم الرعب، فأشاروا مجمعين على الإمام أن يختفي ليسلم من شر هذا الطاغية، فتبسم عليه السلام لأنَّه قد استشف من وراء الغيب هلاك هذا الباغي وتمثل عليه السلام بقول كعب بن مالك:

زعمت سخينة[2] أن ستغلب ربها وليغلبن مغالب الغلاب

وأنشد بيتاً آخر:

زعم الفرزدق أن سيقتل مربعاً أبشر بطول سلامة يا مربع

ودلَّ ذلك على سخريته البالغة بتهديد الهادي له، فقد علم عليه السلام إنَّ الله سيقصم ظهره قبل أن يناله بسوء ومكروه.

---

(١) بحار الأنوار: ١١/٢٧٨.

(٢) سخينة: طعام يتخذ من الدقيق كانت قريش تُعير به حتى صار لقباً لها.

دعاؤه عليه:

وأقبل الإمام موسى عليه السلام نحو القبلة، وأخذ يتضرع إلى الله، ويتوسل إليه لينجيه من شر هذا الطاغية، وقد عا بهذا الدُّعاء الجليل:

«إِلَهِي كَمْ مِنْ عَدُوٍّ انْتَضَى عَلَيَّ سَيْفَ عَدَاوَتِهِ، وَشَحَذَ لِي ظُبَةَ مُدْيَتِهِ وَأَرْهَفَ لِي شَبَا حَدِّهِ، وَدَافَ لِي قَوَاتِلَ سُمُومِهِ، وَسَدَّدَ نَحْوِي صَوَائِبَ سِهَامِهِ، وَلَمْ تَنَمْ عَنِّي عَيْنُ حَرَاسَتِهِ، وَأَضْمَرَ أَنْ يَسُومَنِي الْمَكْرُوهُ، وَيُجَرِّعَنِي ذُعَافَ مَرَارَتِهِ، فَنَظَرْتُ إِلَى ضَعْفِي عَنِ احْتِمَالِ الْفَوَادِحِ، وَعَجْزِي عَنِ الانْتِصَارِ مِمَّنْ قَصَدَنِي بِمُحَارَبَتِهِ، وَوَحْدَتِي فِي كَثِيرِ مَنْ نَاوَانِي، وَإِرْصَادِهِمْ لِي فِيمَا لَمْ أَعْمَلْ فِيهِ فِكْرِي فِي الْإِرْصَادِ لَهُمْ بِمِثْلِهِ، فَأَيَّدْتَنِي بِقُوَّتِكَ، وَشَدَدْتَ أَزْرِي بِنَصْرِكَ، وَفَلَلْتَ شَبَا حَدِّهِ، وَخَذَلْتَهُ بَعْدَ جَمْعِ عَدِيدِهِ وَحَشْدِهِ، وَأَعْلَيْتَ كَعْبِي عَلَيْهِ، وَوَجَّهْتَ مَا سَدَّدَ إِلَيَّ مِنْ مَكَائِدِهِ إِلَيْهِ، وَرَدَدْتَهُ، وَلَمْ يَشْفِ غَلِيلَهُ، وَلَمْ تَبْرُدْ حَزَازَاتُ غَيْظِهِ، وَقَدْ عَضَّ عَلَى أَنَامِلِهِ، وَأَدْبَرَ مُوَلِّياً قَدْ أَخْفَقَتْ سَرَايَاهُ فَلَكَ الْحَمْدُ يَا رَبِّ مِنْ مُقْتَدِرٍ لَا يُغْلَبُ، وَذِي أَنَاةٍ لَا يَعْجَلُ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَاجْعَلْنِي لِأَنْعُمِكَ مِنَ الشَّاكِرِينَ، وَلِآلَائِكَ مِنَ الذَّاكِرِينَ.

إِلَهِي وَكَمْ مِنْ بَاغٍ بَغَانِي بِمَكَائِدِهِ، وَنَصَبَ لِي أَشْرَاكَ مَصَائِدِهِ، وَوَكَّلَ بِي تَفَقُّدَ رِعَايَتِهِ، وَأَضْبَأَ إِلَيَّ إِضْبَاءَ السَّبُعِ لِطَرِيدَتِهِ انْتِظَاراً لِانْتِهَازِ فُرْصَتِهِ، وَهُوَ يُظْهِرُ لِي بَشَاشَةَ الْمَلَقِ، وَيَبْسُطُ لِي وَجْهاً غَيْرَ طَلْقٍ فَلَمَّا رَأَيْتَ دَغَلَ سَرِيرَتِهِ، وَقُبْحَ مَا انْطَوَى عَلَيْهِ لِشَرِيكِهِ فِي صُلْبِهِ، وَأَصْبَحَ مُجْلِباً إِلَيَّ فِي بَغْيِهِ أَرْكَسْتَهُ لِأُمِّ رَأْسِهِ وَأَتَيْتَ بُنْيَانَهُ مِنْ أَسَاسِهِ فَصَرَعْتَهُ فِي زُبْيَتِهِ وَأَرْدَيْتَهُ فِي مَهْوَى حُفْرَتِهِ، وَجَعَلْتَ خَدَّهُ طَبَقاً لِتُرَابِ رِجْلِهِ وَشَغَلْتَهُ فِي بَدَنِهِ وَرِزْقِهِ، وَرَمَيْتَهُ بِحَجَرِهِ، وَخَنَقْتَهُ بِوَتْرِهِ، وَذَكَّيْتَهُ بِمَشَاقِصِهِ، وَكَبَبْتَهُ لِمَنْخِرِهِ، وَرَدَدْتَ كَيْدَهُ فِي نَحْرِهِ، وَوَثَّقْتَهُ بِنَدَامَتِهِ، وَفَنَيْتَهُ بِحَسْرَتِهِ فَاسْتَخْذَلَ وَاسْتَخْذَأَ وَتَضَاءَلَ بَعْدَ نَخْوَتِهِ، وَانْقَمَعَ بَعْدَ اسْتِطَالَتِهِ ذَلِيلًا مَأْسُوراً فِي رِبَقِ حَبَائِلِهِ الَّتِي كَانَ يُؤَمِّلُ أَنْ يَرَانِي فِيهَا يَوْمَ سَطْوَتِهِ، وَقَدْ كِدْتُ يَا رَبِّ لَوْلَا رَحْمَتُكَ يَحِلُّ بِي مَا حَلَّ بِسَاحَتِهِ، فَلَكَ الْحَمْدُ يَا رَبِّ مِنْ مُقْتَدِرٍ لَا يُغْلَبُ وَذِي أَنَاةٍ لَا يَعْجَلُ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَاجْعَلْنِي لِأَنْعُمِكَ مِنَ الشَّاكِرِينَ وَلِآلَائِكَ مِنَ الذَّاكِرِينَ.

إِلَهِي وَكَمْ مِنْ حَاسِدٍ شَرِقَ بِحَسَدِهِ وَشَجَى بِغَيْظِهِ. وَسَلَقَنِي بِحَدِّ لِسَانِهِ وَوَخَزَنِي بِمُوْقِ عَيْنِهِ، وَجَعَلَ عِرْضِي غَرَضاً لِمَرَامِيهِ، وَقَلَّدَنِي خِلَالًا لَمْ تَزَلْ فِيهِ، فَنَادَيْتُكَ يَا رَبِّ مُسْتَجِيراً بِكَ، وَاثِقاً بِسُرْعَةِ إِجَابَتِكَ مُتَوَكِّلًا عَلَى مَا لَمْ أَزَلْ أَعْرِفُهُ مِنْ حُسْنِ دِفَاعِكَ عَالِماً أَنَّهُ لَمْ يَضْطَهِدْ مَنْ أَوَى إِلَى ظِلِّ كَنَفِكَ وَأَنْ لَا تُقْرِعَ الْفَوَادِحَ مَنْ لَجَأَ إِلَى مَعْقِلِ الانْتِصَارِ بِكَ،

فَحَصَّنْتَنِي مِنْ بَأْسِهِ بِقُدْرَتِكَ فَلَكَ الْحَمْدُ يَا رَبِّ مِنْ مُقْتَدِرٍ لَا يُغْلَبُ، وَذِي أَنَاةٍ لَا يَعْجَلُ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَاجْعَلْنِي لِأَنْعُمِكَ مِنَ الشَّاكِرِينَ، وَلِآلَائِكَ مِنَ الذَّاكِرِينَ.

إِلَهِي وَكَمْ مِنْ سَحَائِبِ مَكْرُوهٍ قَدْ جَلَّيْتَهَا، وَسَمَاءِ نِعْمَةٍ أَمْطَرْتَهَا وَجَدَاوِلِ كَرَامَةٍ أَجْرَيْتَهَا، وَأَعْيُنِ أَحْدَاثٍ طَمَسْتَهَا، وَنَاشِئَةِ رَحْمَةٍ نَشَرْتَهَا وَجُنَّةِ عَافِيَةٍ أَلْبَسْتَهَا، وَغَوَامِرِ كُرُبَاتٍ كَشَفْتَهَا، وَأُمُورٍ جَارِيَةٍ قَدَّرْتَهَا لَمْ تُعْجِزْكَ إِذْ طَلَبْتَهَا، وَلَمْ تَمْتَنِعْ عَلَيْكَ إِذْ أَرَدْتَهَا فَلَكَ الْحَمْدُ يَا رَبِّ مِنْ مُقْتَدِرٍ لَا يُغْلَبُ، وَذِي أَنَاةٍ لَا يَعْجَلُ، صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَاجْعَلْنِي لِأَنْعُمِكَ مِنَ الشَّاكِرِينَ، وَلِآلَائِكَ مِنَ الذَّاكِرِينَ.

إِلَهِي وَكَمْ مِنْ ظَنٍّ حَسَنٍ حَقَّقْتَ وَمِنْ عُدْمِ إِمْلَاقٍ جَبَرْتَ، وَمِنْ مَسْكَنَةٍ فَادِحَةٍ حَوَّلْتَ، وَمِنْ صَرْعَةٍ مُهْلِكَةٍ أَنْعَشْتَ، وَمِنْ مَشَقَّةٍ أَزَحْتَ لَا تُسْأَلُ يَا سَيِّدِي عَمَّا تَفْعَلُ، وَهُمْ يُسْئَلُونَ، وَلَا يَنْقُصُكَ مَا أَنْفَقْتَ وَلَقَدْ سُئِلْتَ فَأَعْطَيْتَ وَلَمْ تُسْأَلْ فَابْتَدَأْتَ وَاسْتُمِيحَ بَابُ فَضْلِكَ فَمَا أَكْدَيْتَ، أَبَيْتَ إِلَّا إِنْعَاماً وَامْتِنَاناً وَإِلَّا تَطَوُّلاً يَا رَبِّ وَإِحْسَاناً وَأَبَيْتُ يَا رَبِّ إِلَّا انْتِهَاكاً لِحُرُمَاتِكَ وَاجْتِرَاءً عَلَى مَعَاصِيكَ وَتَعَدِّياً لِحُدُودِكَ وَغَفْلَةً عَنْ وَعِيدِكَ وَطَاعَةً لِعَدُوِّي وَعَدُوِّكَ لَمْ يَمْنَعْكَ يَا إِلَهِي وَنَاصِرِي إِخْلَالِي بِالشُّكْرِ عَنْ إِتْمَامِ إِحْسَانِكَ، وَلَا حَجَزَنِي ذَلِكَ عَنِ ارْتِكَابِ مَسَاخِطِكَ، اللَّهُمَّ فَهَذَا مَقَامُ عَبْدٍ ذَلِيلٍ اعْتَرَفَ لَكَ بِالتَّوْحِيدِ وَأَقَرَّ عَلَى نَفْسِهِ بِالتَّقْصِيرِ فِي أَدَاءِ حَقِّكَ وَشَهِدَ لَكَ بِسُبُوغِ نِعْمَتِكَ عَلَيْهِ، وَجَمِيلِ عَادَاتِكَ عِنْدَهُ وَإِحْسَانِكَ إِلَيْهِ، فَهَبْ لِي يَا إِلَهِي وَسَيِّدِي مِنْ فَضْلِكَ مَا أُرِيدُهُ إِلَى رَحْمَتِكَ وَأَتَّخِذُهُ سُلَّماً أَعْرُجُ فِيهِ إِلَى مَرْضَاتِكَ وَآمَنُ بِهِ مِنْ سَخَطِكَ بِعِزَّتِكَ وَطَوْلِكَ وَبِحَقِّ مُحَمَّدٍ نَبِيِّكَ وَالْأَئِمَّةِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، فَلَكَ الْحَمْدُ يَا رَبِّ مِنْ مُقْتَدِرٍ لَا يُغْلَبُ، وَذِي أَنَاةٍ لَا يَعْجَلُ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَاجْعَلْنِي لِأَنْعُمِكَ مِنَ الشَّاكِرِينَ، وَلِآلَائِكَ مِنَ الذَّاكِرِينَ.

إِلَهِي وَكَمْ مِنْ عَبْدٍ أَمْسَى وَأَصْبَحَ فِي كَرْبِ الْمَوْتِ وَحَشْرَجَةِ الصَّدْرِ وَالنَّظَرِ إِلَى مَا تَقْشَعِرُّ مِنْهُ الْجُلُودُ وَتَفْزَعُ إِلَيْهِ الْقُلُوبُ وَأَنَا فِي عَافِيَةٍ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ فَلَكَ الْحَمْدُ يَا رَبِّ مِنْ مُقْتَدِرٍ لَا يُغْلَبُ وَذِي أَنَاةٍ لَا يَعْجَلُ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَاجْعَلْنِي لِأَنْعُمِكَ مِنَ الشَّاكِرِينَ وَلِآلَائِكَ مِنَ الذَّاكِرِينَ.

إِلَهِي وَكَمْ مِنْ عَبْدٍ أَمْسَى وَأَصْبَحَ سَقِيماً مُوجَعاً مُدْنَفاً فِي أَنِينٍ وَعَوِيلٍ يَتَقَلَّبُ فِي غَمِّهِ وَلَا يَجِدُ مَحِيصاً وَلَا يُسِيغُ طَعَاماً وَلَا يَسْتَعْذِبُ شَرَاباً وَلَا يَسْتَطِيعُ ضَرّاً وَلَا نَفْعاً وَهُوَ فِي حَسْرَةٍ وَنَدَامَةٍ وَأَنَا فِي صِحَّةٍ مِنَ الْبَدَنِ وَسَلَامَةٍ مِنَ الْعَيْشِ كُلُّ ذَلِكَ مِنْكَ، فَلَكَ الْحَمْدُ يَا

رَبِّ مِنْ مُقْتَدِرٍ لَا يُغْلَبُ وَذِي أَنَاةٍ لَا يَعْجَلُ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَاجْعَلْنِي لِأَنْعُمِكَ مِنَ الشَّاكِرِينَ وَلِآلَائِكَ مِنَ الذَّاكِرِينَ.

إِلَهِي وَكَمْ عَبْدٍ أَمْسَى وَأَصْبَحَ خَائِفاً مَرْعُوباً مُسَهَّداً مُشْفِقاً وَحِيداً وَجِلاً هَارِباً طَرِيداً وَمُنْحَجِزاً فِي مَضِيقٍ أَوْ مَخْبَأَةٍ مِنَ الْمَخَابِي قَدْ ضَاقَتْ عَلَيْهِ الْأَرْضُ بِرُحْبِهَا لَا يَجِدُ حِيلَةً وَلَا مَنْجَى وَلَا مَأْوَى وَلَا مَهْرَباً وَأَنَا فِي أَمْنٍ وَطُمَأْنِينَةٍ وَعَافِيَةٍ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ فَلَكَ الْحَمْدُ يَا رَبِّ مِنْ مُقْتَدِرٍ لَا يُغْلَبُ وَذِي أَنَاةٍ لَا يَعْجَلُ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَاجْعَلْنِي لِأَنْعُمِكَ مِنَ الشَّاكِرِينَ وَلِآلَائِكَ مِنَ الذَّاكِرِينَ.

إِلَهِي وَسَيِّدِي وَكَمْ مِنْ عَبْدٍ أَمْسَى وَأَصْبَحَ مَغْلُولاً مُكَبَّلاً بِالْحَدِيدِ بِأَيْدِي الْعُدَاةِ لَا يَرْحَمُونَهُ فَقِيداً مِنْ أَهْلِهِ وَوُلْدِهِ مُنْقَطِعاً عَنْ إِخْوَانِهِ وَبَلَدِهِ يَتَوَقَّعُ كُلَّ سَاعَةٍ بِأَيَّةِ قِتْلَةٍ يُقْتَلُ وَبِأَيِّ مُثْلَةٍ يُمَثَّلُ بِهِ وَأَنَا فِي عَافِيَةٍ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ فَلَكَ الْحَمْدُ يَا رَبِّ مِنْ مُقْتَدِرٍ لَا يُغْلَبُ وَذِي أَنَاةٍ لَا يَعْجَلُ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَاجْعَلْنِي لِأَنْعُمِكَ مِنَ الشَّاكِرِينَ وَلِآلَائِكَ مِنَ الذَّاكِرِينَ.

إِلَهِي وَسَيِّدِي وَكَمْ مِنْ عَبْدٍ أَمْسَى وَأَصْبَحَ يُقَاسِي الْحَرْبَ وَمُبَاشَرَةَ الْقِتَالِ بِنَفْسِهِ قَدْ غَشِيَتْهُ الْأَعْدَاءُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ وَالسُّيُوفُ وَالرِّمَاحُ وَآلَةُ الْحَرْبِ يَتَقَعْقَعُ فِي الْحَدِيدِ مَبْلَغَ مَجْهُودِهِ وَلَا يَعْرِفُ حِيلَةً وَلَا يَجِدُ مَهْرَباً قَدْ أُدْنِفَ بِالْجِرَاحَاتِ أَوْ مُتَشَحِّطاً بِدَمِهِ تَحْتَ السَّنَابِكِ وَالْأَرْجُلِ يَتَمَنَّى شَرْبَةً مِنْ مَاءٍ أَوْ نَظْرَةً إِلَى أَهْلِهِ وَوُلْدِهِ وَلَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا وَأَنَا فِي عَافِيَةٍ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ فَلَكَ الْحَمْدُ يَا رَبِّ مِنْ مُقْتَدِرٍ لَا يُغْلَبُ وَذِي أَنَاةٍ لَا يَعْجَلُ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَاجْعَلْنِي لِأَنْعُمِكَ مِنَ الشَّاكِرِينَ وَلِآلَائِكَ مِنَ الذَّاكِرِينَ.

إِلَهِي وَكَمْ مِنْ عَبْدٍ أَمْسَى وَأَصْبَحَ فِي ظُلُمَاتِ الْبِحَارِ وَعَوَاصِفِ الرِّيَاحِ وَالْأَهْوَالِ وَالْأَمْوَاجِ يَتَوَقَّعُ الْغَرَقَ وَالْهَلَاكَ لَا يَقْدِرُ عَلَى حِيلَةٍ أَوْ مُبْتَلَى بِصَاعِقَةٍ أَوْ هَدْمٍ أَوْ غَرَقٍ أَوْ حَرَقٍ أَوْ شَرَقٍ أَوْ خَسْفٍ أَوْ مَسْخٍ أَوْ قَذْفٍ وَأَنَا فِي عَافِيَةٍ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ فَلَكَ الْحَمْدُ يَا رَبِّ مِنْ مُقْتَدِرٍ لَا يُغْلَبُ وَذِي أَنَاةٍ لَا يَعْجَلُ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَاجْعَلْنِي لِأَنْعُمِكَ مِنَ الشَّاكِرِينَ وَلِآلَائِكَ مِنَ الذَّاكِرِينَ.

إِلَهِي وَكَمْ مِنْ عَبْدٍ أَمْسَى وَأَصْبَحَ مُسَافِراً شَاخِصاً عَنْ أَهْلِهِ وَوَطَنِهِ وَوُلْدِهِ مُتَحَيِّراً فِي الْمَفَاوِزِ تَائِهاً مَعَ الْوُحُوشِ وَالْبَهَائِمِ وَالْهَوَامِّ وَحِيداً فَرِيداً لَا يَعْرِفُ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدِي سَبِيلاً أَوْ مُتَأَذِّياً بِبَرْدٍ أَوْ حَرٍّ أَوْ جُوعٍ أَوْ عُرْيٍ أَوْ غَيْرِهِ مِنَ الشَّدَائِدِ مِمَّا أَنَا مِنْهُ خِلْوٌ وَفِي عَافِيَةٍ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ فَلَكَ الْحَمْدُ يَا رَبِّ مِنْ مُقْتَدِرٍ لَا يُغْلَبُ وَذِي أَنَاةٍ لَا يَعْجَلُ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَاجْعَلْنِي لِأَنْعُمِكَ مِنَ الشَّاكِرِينَ وَلِآلَائِكَ مِنَ الذَّاكِرِينَ.

إِلَهِي وَكَمْ مِنْ عَبْدٍ أَمْسَى وَأَصْبَحَ فَقِيراً عَائِلَا عَارِياً مُمْلِقاً مُخْفِقاً مَهْجُوراً خَائِفاً جَائِعاً ظَمْآنَ يَنْتَظِرُ مَنْ يَعُودُ عَلَيْهِ بِفَضْلٍ، أَوْ عَبْدٍ وَجِيهٍ هُوَ أَوْجَهُ مِنِّي عِنْدَكَ وَأَشَدُّ عِبَادَةً لَكَ مَغْلُولَا مَقْهُوراً قَدْ حَمَلَ ثِقْلَا مِنْ تَعَبِ الْعَنَاءِ وَشِدَّةِ الْعُبُودِيَّةِ وَكُلْفَةِ الرِّقِّ وَثِقْلِ الضَّرِيبَةِ أَوْ مُبْتَلَى بِبَلَاءٍ شَدِيدٍ لَا قِبَلَ لَهُ بِهِ إِلَّا بِمَنِّكَ عَلَيْهِ وَأَنَا الْمَخْدُومُ الْمُنْعَمُ الْمُعَافَى الْمُكَرَّمُ فِي عَافِيَةٍ مِمَّا هُوَ فِيهِ فَلَكَ الْحَمْدُ يَا رَبِّ مِنْ مُقْتَدِرٍ لَا يُغْلَبُ وَذِي أَنَاةٍ لَا يَعْجَلُ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَاجْعَلْنِي لِأَنْعُمِكَ مِنَ الشَّاكِرِينَ وَلِآلَائِكَ مِنَ الذَّاكِرِينَ.

إِلَهِي مَوْلَايَ وَسَيِّدِي وَكَمْ مِنْ عَبْدٍ أَمْسَى وَأَصْبَحَ شَرِيداً طَرِيداً حَيْرَانَ مُتَحَيِّراً جَائِعاً خَائِفاً خَاسِراً فِي الصَّحَارِي وَالْبَرَارِي قَدْ أَحْرَقَهُ الْحَرُّ وَالْبَرْدُ وَهُوَ فِي ضُرٍّ مِنَ الْعَيْشِ وَضَنْكٍ مِنَ الْحَيَاةِ وَذُلٍّ مِنَ الْمُقَامِ يَنْظُرُ إِلَى نَفْسِهِ حَسْرَةً لَا يَقْدِرُ لَهَا عَلَى ضَرٍّ وَلَا نَفْعٍ وَأَنَا خِلْوٌ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ بِجُودِكَ وَكَرَمِكَ فَلَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ مِنْ مُقْتَدِرٍ لَا يُغْلَبُ وَذِي أَنَاةٍ لَا يَعْجَلُ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَاجْعَلْنِي لِأَنْعُمِكَ مِنَ الشَّاكِرِينَ وَلِآلَائِكَ مِنَ الذَّاكِرِينَ وَارْحَمْنِي بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

مَوْلَايَ وَسَيِّدِي وَكَمْ مِنْ عَبْدٍ أَمْسَى وَأَصْبَحَ عَلِيلَا مَرِيضاً سَقِيماً مُدْنَفاً عَلَى فُرُشِ الْعِلَّةِ وَفِي لِبَاسِهَا يَتَقَلَّبُ يَمِيناً وَشِمَالَا لَا يَعْرِفُ شَيْئاً مِنْ لَذَّةِ الطَّعَامِ وَلَا مِنْ لَذَّةِ الشَّرَابِ يَنْظُرُ إِلَى نَفْسِهِ حَسْرَةً لَا يَسْتَطِيعُ لَهَا ضَرّاً وَلَا نَفْعاً وَأَنَا خِلْوٌ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ بِجُودِكَ وَكَرَمِكَ فَلَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ مِنْ مُقْتَدِرٍ لَا يُغْلَبُ وَذِي أَنَاةٍ لَا يَعْجَلُ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَاجْعَلْنِي لَكَ مِنَ الْعَابِدِينَ وَلِأَنْعُمِكَ مِنَ الشَّاكِرِينَ وَلِآلَائِكَ مِنَ الذَّاكِرِينَ وَارْحَمْنِي بِرَحْمَتِكَ يَا مَالِكَ الرَّاحِمِينَ.

مَوْلَايَ وَسَيِّدِي وَكَمْ مِنْ عَبْدٍ أَمْسَى وَأَصْبَحَ قَدْ دَنَا يَوْمُهُ مِنْ حَتْفِهِ وَقَدْ أَحْدَقَ بِهِ مَلَكُ الْمَوْتِ فِي أَعْوَانِهِ يُعَالِجُ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ وَحِيَاضَهُ تَدُورُ عَيْنَاهُ يَمِيناً وَشِمَالَا لَا يَنْظُرُ إِلَى أَحِبَّائِهِ وَأَوِدَّائِهِ وَأَخِلَّائِهِ قَدْ مُنِعَ مِنَ الْكَلَامِ وَحُجِبَ عَنِ الْخِطَابِ يَنْظُرُ إِلَى نَفْسِهِ حَسْرَةً فَلَا يَسْتَطِيعُ لَهَا نَفْعاً وَلَا ضَرّاً وَأَنَا خِلْوٌ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ بِجُودِكَ وَكَرَمِكَ فَلَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ مِنْ مُقْتَدِرٍ لَا يُغْلَبُ وَذِي أَنَاةٍ لَا يَعْجَلُ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَاجْعَلْنِي لَكَ مِنَ الْعَابِدِينَ وَلِأَنْعُمِكَ مِنَ الشَّاكِرِينَ وَلِآلَائِكَ مِنَ الذَّاكِرِينَ وَارْحَمْنِي بِرَحْمَتِكَ يَا مَالِكَ الرَّاحِمِينَ.

مَوْلَايَ وَسَيِّدِي وَكَمْ مِنْ عَبْدٍ أَمْسَى وَأَصْبَحَ فِي مَضَايِقِ الْحُبُوسِ وَالسُّجُونِ وَكَرْبِهَا وَذُلِّهَا وَحَدِيدِهَا تَتَدَاوَلُهُ أَعْوَانُهَا وَزَبَانِيَتُهَا فَلَا يَدْرِي أَيَّ حَالٍ يُفْعَلُ بِهِ وَأَيَّ مُثْلَةٍ يُمَثَّلُ بِهِ فَهُوَ فِي ضُرٍّ مِنَ الْعَيْشِ وَضَنْكٍ مِنَ الْحَيَاةِ يَنْظُرُ إِلَى نَفْسِهِ حَسْرَةً لَا يَسْتَطِيعُ لَهَا ضَرّاً وَلَا

نَفعاً وَأنَا خِلوٌ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ بِجُودِكَ وَكَرَمِكَ فَلا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ مِنْ مُقْتَدِرٍ لا يُغْلَبُ وَذِي أَنَاةٍ لَا يَعْجَلُ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَاجْعَلْنِي لَكَ مِنَ الْعَابِدِينَ وَلِنَعْمَائِكَ مِنَ الشَّاكِرِينَ وَلِآلَائِكَ مِنَ الذَّاكِرِينَ وَارْحَمْنِي بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

مَوْلَايَ وَسَيِّدِي وَكَمْ مِنْ عَبْدٍ أَمْسَى وَأَصْبَحَ قَدِ اسْتَمَرَّ عَلَيْهِ الْقَضَاءُ وَأَحْدَقَ بِهِ الْبَلَاءُ وَفَارَقَ أَوِدَّاءَهُ وَأَحِبَّاءَهُ وَأَخِلَّاءَهُ وَأَمْسَى حَقِيراً أَسِيراً ذَلِيلًا فِي أَيْدِي الْكُفَّارِ وَالْأَعْدَاءِ يَتَدَاوَلُونَهُ يَمِيناً وَشِمَالًا قَدْ حَمَلَ فِي الْمَطَامِيرِ وَثَقَّلَ بِالْحَدِيدِ لَا يَرَى شَيْئاً مِنْ ضِيَاءِ الدُّنْيَا وَلَا مِنْ رَوْحِهَا يَنْظُرُ إِلَى نَفْسِهِ حَسْرَةً لَا يَسْتَطِيعُ لَهَا ضَرّاً وَلَا نَفعاً وَأَنَا خِلوٌ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ بِجُودِكَ وَكَرَمِكَ فَلَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ مِنْ مُقْتَدِرٍ لَا يُغْلَبُ وَذِي أَنَاةٍ لَا يَعْجَلُ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَاجْعَلْنِي لَكَ مِنَ الْعَابِدِينَ وَلِنَعْمَائِكَ مِنَ الشَّاكِرِينَ وَلِآلَائِكَ مِنَ الذَّاكِرِينَ وَارْحَمْنِي بِرَحْمَتِكَ يَا مَالِكَ الرَّاحِمِينَ.

مَوْلَايَ وَسَيِّدِي وَكَمْ مِنْ عَبْدٍ أَمْسَى وَأَصْبَحَ قَدِ اشْتَاقَ إِلَى الدُّنْيَا لِلرَّغْبَةِ فِيهَا إِلَى أَنْ خَاطَرَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ حِرْصاً مِنْهُ عَلَيْهَا قَدْ رَكِبَ الْفُلْكَ وَكُسِرَتْ بِهِ وَهُوَ فِي آفَاقِ الْبِحَارِ وَظُلَمِهَا يَنْظُرُ إِلَى نَفْسِهِ حَسْرَةً لَا يَقْدِرُ لَهَا عَلَى ضَرٍّ وَلَا نَفْعٍ وَأَنَا خِلوٌ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ بِجُودِكَ وَكَرَمِكَ فَلَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ مِنْ مُقْتَدِرٍ لَا يُغْلَبُ وَذِي أَنَاةٍ لَا يَعْجَلُ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَاجْعَلْنِي لَكَ مِنَ الْعَابِدِينَ وَلِنَعْمَائِكَ مِنَ الشَّاكِرِينَ وَلِآلَائِكَ مِنَ الذَّاكِرِينَ وَارْحَمْنِي بِرَحْمَتِكَ يَا مَالِكَ الرَّاحِمِينَ.

مَوْلَايَ وَسَيِّدِي وَكَمْ مِنْ عَبْدٍ أَمْسَى وَأَصْبَحَ قَدِ اسْتَمَرَّ عَلَيْهِ الْقَضَاءُ وَأَحْدَقَ بِهِ الْبَلَاءُ وَالْكُفَّارُ وَالْأَعْدَاءُ وَأَخَذَتْهُ الرِّمَاحُ وَالسُّيُوفُ وَالسِّهَامُ وَجُدِّلَ صَرِيعاً وَقَدْ شَرِبَتِ الْأَرْضُ مِنْ دَمِهِ وَأَكَلَتِ السِّبَاعُ وَالطَّيْرُ مِنْ لَحْمِهِ وَأَنَا خِلوٌ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ بِجُودِكَ وَكَرَمِكَ لَا بِاسْتِحْقَاقٍ مِنِّي يَا لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ مِنْ مُقْتَدِرٍ لَا يُغْلَبُ وَذِي أَنَاةٍ لَا يَعْجَلُ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَاجْعَلْنِي لِنَعْمَائِكَ مِنَ الشَّاكِرِينَ وَلِآلَائِكَ مِنَ الذَّاكِرِينَ وَارْحَمْنِي بِرَحْمَتِكَ يَا مَالِكَ الرَّاحِمِينَ.

وَعِزَّتِكَ يَا كَرِيمُ لَأَطْلُبَنَّ مِمَّا لَدَيْكَ وَلَأُلِحَنَّ عَلَيْكَ وَلَأَلْجَأَنَّ إِلَيْكَ وَلَأَمُدَّنَ يَدِي نَحْوَكَ مَعَ جُرْمِهَا إِلَيْكَ فَبِمَنْ أَعُوذُ يَا رَبِّ وَبِمَنْ أَلُوذُ لَا أَحَدَ لِي إِلَّا أَنْتَ أَفَتَرُدُّنِي وَأَنْتَ مُعَوَّلِي وَعَلَيْكَ مُتَّكَلِي وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي وَضَعْتَهُ عَلَى السَّمَاءِ فَاسْتَقَلَّتْ وَعَلَى الْجِبَالِ فَرَسَتْ وَعَلَى الْأَرْضِ فَاسْتَقَرَّتْ وَعَلَى اللَّيْلِ فَأَظْلَمَ وَعَلَى النَّهَارِ فَاسْتَنَارَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَأَنْ تَقْضِيَ لِي جَمِيعَ حَوَائِجِي وَتَغْفِرَ لِي ذُنُوبِي كُلَّهَا صَغِيرَهَا وَكَبِيرَهَا وَتُوَسِّعَ عَلَيَّ مِنَ الرِّزْقِ مَا تُبَلِّغُنِي بِهِ شَرَفَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

مَوْلَايَ بِكَ اسْتَعَنْتُ فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَأَعِنِّي وَبِكَ اسْتَجَرْتُ فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَأَجِرْنِي وَأَغْنِنِي بِطَاعَتِكَ عَنْ طَاعَةِ عِبَادِكَ وَبِمَسْأَلَتِكَ عَنْ مَسْأَلَةِ خَلْقِكَ وَانْقُلْنِي مِنْ ذُلِّ الْفَقْرِ إِلَى عِزِّ الْغِنَى وَمِنْ ذُلِّ الْمَعَاصِي إِلَى عِزِّ الطَّاعَةِ فَقَدْ فَضَّلْتَنِي عَلَى كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِكَ جُوداً مِنْكَ وَكَرَماً لَا بِاسْتِحْقَاقٍ مِنِّي.

إِلَهِي فَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى ذَلِكَ كُلِّهِ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَاجْعَلْنِي لِنَعْمَائِكَ مِنَ الشَّاكِرِينَ وَلِآلَائِكَ مِنَ الذَّاكِرِينَ وَارْحَمْنِي بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ»[1].

هلاك موسى الهادي:

واستجاب الله دعاء وليّه العبد الصالح فأهلك عدوّه الطاغية الجبّار فأراح العباد والبلاد من شرّه، وجوره.

وممّا زاد في محنة المسلمين وعنائهم أنَّ موسى الهادي أقبل على اللهو والعبث والمجون وأخذ يصرف الخزينة المركزية على شهواته، ويهب أضخم الأموال للمغنين غير حافل بما ألزم به الإسلام من الاحتياط الشديد في أموال المسلمين، وحرمة صرفها في غير صالحهم وتطورهم الاقتصادي.

لقد رأى الإمام موسى عليه السلام تلك الأحداث الجسام، ورافق كثيراً من مآسيها فزادته عناءاً وجهداً، فقد رأى الحق مضاعاً، والعدل مجافى ولم يكن هناك أي ظل للحياة الإسلامية، فقد خالفت السلطات الحاكمة آنذاك جميع ما أثر عن الإسلام في عالم السياسة والاقتصاد والإدارة.

عهد الرشيد

جلس هارون على أريكة الخلافة الإسلامية العظمى واستولى على جميع إمكانيات الدولة ومقدرات المجتمع يهب لمن يشاء ويمنع عمَّن يشاء لا يسأل عمَّا يفعل ولا يحاسب عمَّا يبذر فهو ظل الله في أرضه وخليفته على عباده ـ كما يقولون ـ.

موقف الإمام:

وتميَّز موقف الإمام موسى عليه السلام مع حكومة هارون بالشِّدَّة والصرامة فقد حرم

---

(١) يُعرف هذا الدُّعاء بدعاء الجوشن الصغير، وقد ذكره السيِّد ابن طاووس في مهج الدعوات: ص٢٢٠ ـ ٤٢٧.

التعاون معها في جميع المجالات، وقد ظهر هذا الموقف جلياً في حديثه مع صفوان فقد قال له الإمام:

يا صفوان، كل شيء منك حسن جميل ما خلا شيئاً واحداً.

فالتاع صفوان وذابت نفسه لعلمه بأنَّه لم يخلد إلى أي معصية فانبرى للإمام قائلاً:

جُعلت فداك أي شيء؟!!

- كراؤك جمالك من هذا الطاغية - يعني هارون -.

- والله ما أكريته أشراً، ولا بطراً، ولا للصيد ولا للهو ولكن أكريته لهذا الطريق - يعني طريق مكة - ولا أتولاه بنفسي، ولكن أبعث معه غلماني.

فقال له الإمام: يا صفوان، أيقع كراك عليهم؟

- نعم جعلت فداك.

- أتحب بقاءهم حتى يخرج كراك.

- نعم.

فقال عليه السلام: من أحب بقاءهم فهو منهم، ومن كان منهم كان وارداً للنار.

وأعرب عليه السلام في حديثه عن نقمته البالغة، وسخطه الشديد على حكومة هارون، وهو موقف صارم منبعث من صميم العقيدة الإسلامية التي أعلنت الحرب بغير هوادة على الظالمين والمستبدين، وحرمت التعاون معهم بأيّ لون كان، ومنعت من الركون إليهم بأيّ وجه من الوجوه، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾ كما كشف عليه السلام بحكمه هذا عن مدى مقاومة الإسلام للظالمين، فقد حرم على المسلمين الميل إليهم والرغبة في بقائهم حتى لو كان ذلك مستنداً إلى بعض المصالح الشخصية التي ترتبط بظلمهم وجورهم فإنَّ من أحب بقاء الظالمين كان معهم وحشر في زمرتهم في نار جهنم.

وحذَّر عليه السلام في بعض أحاديثه شيعته من الدخول في سلك حكومة هارون والتلبس بأي وظيفة من وظائف دولته، فقال عليه السلام لزياد ابن أبي سلمة:

«يا زياد، لأن أسقط من شاهق فأتقطع قطعة قطعة أحبّ إليَّ من أن أتولى لهم عملاً أو أطأ بساط رجل منهم»[1].

وإنَّما قاوم عليه السلام حكومة هارون بهذه المقاومة الشديدة لأنَّ في ولايته درساً للعدل

---

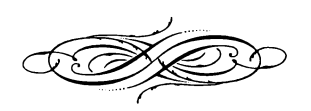
(١) المكاسب للشيخ الأنصاري: باب الولاية من قبل الجائر.

وتبديلاً لسُنَّة الله ومحواً للحق وإحياءً للباطل وقتلاً للإسلام فلذا حرم على شيعته التعاون معه واستثنى عليه السلام من ذلك ما إذا كانت الوظيفة لإنقاذ المسلمين من الظلم والجور، وقضاء حوائج المؤمنين فقد أباحها عليه السلام كما في حديثه مع علي بن يقطين، وهو مستثنى من ولاية الجائر.

إنَّ موقف الإمام من حكومة هارون موقف صريح واضح يقضي بوجوب تحطيم حكمه وإزالة ملكه، أما الوسائل المحققة لذلك فسنبيِّن أنَّه كان يرى ضرورة المقاومة السلبية فقط، وأما غيرها فليست من رأيه لعلمه بفشلها وعدم نجاحها وسنذكر ذلك عند التعرُّض لمحنة العلويين في دوره.

وبعد هذا هل يصح أن يُقال: إنَّ ملوك بني أمية وبني العباس حماة الإسلام وخلفاء النبي صلى الله عليه وآله على أُمَّته؟؟

وعلى أيِّ حال فإنَّ الأعمال التي أثرت عن هارون قد جافى بها الحق والعدل وكان من الضروري ـ فيما نحسب ـ الوقوف على ذلك فإنَّه من الأسباب التمهيدية لمعرفة محنة الإمام وبلائه في ذلك الدور الرهيب الذي انعدمت فيه جميع الحريات، وقد عانى الإمام وغيره من قادة الفكر أقسى ألوان المحن والخطوب.



عصر الإمام

واتسم عصر الإمام عليه السلام بموجات رهيبة من النزعات الشعوبية والعنصرية والنحل الدينية، والاتجاهات العقائدية التي لا تمت إلى الإسلام بصلة، ولا تلتقي معه بطريق، وقد تصارعت تلك الحركات الفكرية تصارعاً لا هدوء فيه ولا استقرار، حتى امتد ذلك الصراع إلى أكثر العصور، ويعود السبب في ذلك إلى أنَّ الفتح الإسلامي قد نقل ثقافات الأُمم وسائر علومهم إلى العالم العربي والإسلامي، بالإضافة إلى أنَّ الإسلام قد جاء بموجة عارمة من العلوم والأفكار، ودعا المسلمين في نفس الوقت إلى الانطلاق والتخصص في جميع ألوان المعارف، وقد أحدث ذلك انقلاباً فكرياً في المجتمع الإسلامي وتبلورت الأفكار بألوان من الثقافة لم يعهد لها المجتمع نظيراً في العصور السالفة، وقد اتجهت تلك الطاقات العلمية التي تفجرت في ذلك العصر إلى الجانب العقائدي من واقع الحياة فحدثت المذاهب الإسلامية والفرق الدينية وتشعبت الأُمَّة إلى طوائف وقع فيما بينها من النزاع والمخاصمات والجدال الشيء الكثير، فكانت النوادي تعجُّ بالمعارك الدامية واصراع العنيف خصوصاً فيما يتعلق بإثبات الخالق وصفاته الإيجابية والسلبية والقضاء والقدر ومسألة خلق القرآن، وكان من أبرز المتصارعين في هذه الساحة هم علماء الكلام والمتكلمون.

دفاع الإمام موسى الكاظم عليه السلام عن العقيدة الإسلامية:

وقام الإمام موسى عليه السلام بدوره في الدفاع عن العقيدة الإسلامية، وإبطال شبه الملحدين، وزيف أفكارهم، وتعرض فيما يلي إلى بعض المسائل الكلامية التي سئل عنها:

١ ـ إبطاله لحركة الله:

جاء في بعض الروايات من طرق العامة أنَّ الله سبحانه ينزل في الثلث الأخير من اللَّيل فيُنادي في السَّماء: «هل من داع؟ هل من مستغفر».

والمجسمون يحملون هذه الأخبار على ظواهرها من دون تأويل أو نظر في سندها،

وأثبتوا أنَّ الله تعالى له جسم، وقد عرض ذلك على الإمام عليه السلام فبيَّن فساد ذلك، قال عليه السلام:

«إنَّ الله لا ينزل، ولا يحتاج إلى أن ينزل، إنَّما منظره في القرب والبعد سواء لم يبعد منه قريب ولم يقرب منه بعيد، ولم يحتج إلى شيء بل يحتاج إليه وهو ذو الطول لا إلّه إلاَّ هو العزيز الحكيم.

أما قول الواصفين: إنَّه ينزل تبارك وتعالى فإنَّما يقول بذلك من ينسبه إلى نقص أو زيادة وكل متحرِّك يحتاج إلى من يحرِّكه أو يتحرَّك به فمن ظنَّ بالله الظُّنون فقد هلك فاحذروا في صفاته من أن تقفوا له على حدٍّ تحدُّونه بنقصٍ أو زيادةٍ أو تحريكٍ أو تحرُّكٍ أو زوالٍ أو استنزالٍ أو نهوضٍ أو قعودٍ، فإنَّ الله جلَّ وعز عن صفة الواصفين ونعت النَّاعتين، وتوهُّم المتوهِّمين، وتوكَّل على العزيز الرَّحيم الذي يراك حين تقوم، وتقلُّبك في السَّاجدين...»[1].

وتحدَّث عليه السلام مع أصحابه عن نفي الحركة عن الله تعالى فقال: «لا أقول: إنَّه قائم فأزيله عن مكانه، ولا أجده بمكان يكون فيه ولا أحدّه أن يتحرَّك في شيء من الأركان والجوارح، ولا أحدَّه بلفظ شق فم، ولكن كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ بمشيئته من غير تردُّد في نفس، صمداً فرداً، لم يحتج إلى شريك يذكر له ملكه، ولا يفتح له أبواب علمه»[2].

٢ ـ نفي الجسم عن الله:

وممَّا قال به الملحدون في ذلك العصر: إنَّ الله تعالى له جسم كبقية الموجودات، وقد قال بذلك هشام بن الحكم قبل هدايته ورجوعه إلى طريق الحق، وقد عرض قوله على الإمام موسى عليه السلام فقال في الرد عليه:

«أي فحش أو خنا أعظم من قول من يصف خالق الأشياء بجسم أو صورة، أو بخلقة[3] أو بتحديد، أو أضعاء، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً»[4].

عرض عبد الرحمن على الإمام عليه السلام قولاً لهشام في التجسيم، وهو (إنَّ الله جسم

---

(١) أُصول الكافي: ١/١٢٥.
(٢) أُصول الكافي: ١/١٢٥.
(٣) في بعض النسخ: بخلقه.
(٤) أُصول الكافي: ١/١٠٥.

ليس كمثله شيء، عالم سميع، بصير قادر متكلم، ناطق، والكلام والقدرة والعلم تجري مجرى واحد ليس شيء منها مخلوقاً) فردَّ الإمام عليه ذلك بقوله:

«قاتله الله، أما علم أنَّ الجسم محدود، والكلام غير المتكلم، معاذ الله!! وأبرأ إلى الله من هذا القول، لا جسم، ولا صورة، ولا تحديد وكل شيء سواه مخلوق، إنَّما تكون الأشياء بإرادته ومشيئته من غير كلام ولا تردُّد في نفس، ولا نطق بلسان»[١].

ومن جملة الأمور التي سئل عنها عليه السلام فيما يتعلق بصفات الله أنَّه سئل عن جسم الله وصورته فأجاب عليه السلام: «سبحان من ليس كمثله شيء لا جسم ولا صورة»[٢].

٣ ـ معنى الله:

وانتشرت الأضاليل في ذلك العصر وسادت البدع، وقد وجهت الأسئلة الكثيرة إلى الإمام عليه السلام فيما يتعلق بذات الله وصفاته، ومن الأسئلة التي وجهت إليه هو ما «معنى الله؟» فأجاب عليه السلام: «استولى على ما دق وجل»[٣].

٤ ـ علمه تعالى:

ورفع إلى الإمام سؤال عن علم الله تعالى جاء فيه: هل إنَّ الله كان يعلم الأشياء، قبل أن خلق الأشياء وكونها، أو أنَّه لم يعلم ذلك حتى خلقها وأراد خلقها وتكوينها، فعلم ما خلق عندما خلق وما كون عندما كون؟

فأجاب عليه السلام: «لم يزل الله عالماً بالأشياء قبل أن يخلق الأشياء كعلمه بالأشياء بعد ما علم خلق الأشياء»[٤].

وكتب إليه محمد بن حمزة رسالة يسأله فيها عن علم الله وهذا نصّها: «إنَّ مواليك اختلفوا في العلم، فقال بعضهم: لم يزل الله عالماً قبل فعل الأشياء، وقال بعضهم: لا نقول: لم يزل الله عالماً لأنَّ معنى يعلم يفعل فإن أثبتنا العلم فقد أثبتنا في الأزل معه شيئاً، فإن رأيت جعلني الله فداك أن تعلمني من ذلك ما أقف عليه ولا أجوزه».

فكتب عليه السلام إليه: «لم يزل الله عالماً تبارك وتعالى ذكره»[٥].

---

(١) أُصول الكافي: ١/ ١٠٦.
(٢) أُصول الكافي: ١/ ١٠٤.
(٣) أُصول الكافي: ١/ ١١٥.
(٤) أُصول الكافي: ١/ ١٠٧.
(٥) أُصول الكافي: ١/ ١٠٧.

٥ ـ إرادة الله:

وسأل صفوان بن يحيى الإمام عن الإرادة هل هي من الله أو من الخلق؟

فأجابه عليه السلام: «الإرادة من الخلق الضمير، وما يبدوا لهم بعد ذلك من الفعل، وأما من الله تعالى فإراداته أحداثه لا غير لأنَّه لا يروي، ولا يهم ولا يفكِّر وهذه الصفات منفية عنه، وهي صفات الخلق، فإرادة الله الفعل لا غير ذلك، يقول له: كن فيكون بلا لفظ ولا نطق ولا لسان ولا همَّة ولا تفكُّر، ولا كيف لذلك كما أنَّه لا كيف له»[١].

٦ ـ مشيئة الله:

قال علي بن إبراهيم: سمعت أبا الحسن موسى عليه السلام يقول: لا يكون شيء إلاَّ ما شاء الله وأراد، وقدر، وقضى، فقلت له: ما معنى شاء؟

قال عليه السلام: ابتداء الفعل.

قلت: ما معنى قدر؟

قال عليه السلام: تقدير الشيء من طوله وعرضه.

قلت: ما معنى قضى؟

قال عليه السلام: إذا قضى أمضاه، فذلك الذي لا مردّ له[٢].

٧ ـ الإرادة التكوينية والتشريعية:

قال عليه السلام: إنَّ لله إرادتين ومشيئتين: إرادة حتم وإرادة عزم، ينهي وهو يشاء، ويأمر وهو لا يشاء، أو رأيت أنَّه نهى آدم وزوجته أن يأكلا من الشجرة، وشاء ذلك، ولو لم يشأ أن يأكلا لما غلبت مشيئتهما مشيئة الله تعالى، وأمر إبراهيم أن يذبح إسحاق ولم يشأ أن يذبحه ولو شاء لما غلبت مشيئة إبراهيم مشيئة الله تعالى[٣].

الواقفية:

وهي الطائفة الضالة المارقة من الدِّين، التي خانت الله ورسوله ونهبت أموال المسلمين، وقد ادعت أنَّ الإمام موسى عليه السلام حي لم يمت ولا يموت وأنَّه رفع إلى السَّماء كما رفع المسيح عيسى بن مريم عليه السلام وأنَّه هو القائم المنتظر الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً، وزعموا أنَّ الذي في سجن السندي بن شاهك

---

(١) أُصول الكافي: ١/١٢٧.
(٢) أُصول الكافي: ١/١٥٠.
(٣) نفس المصدر: ص١٥١.

ليس هو الإمام موسى عليه السلام بل أنَّه شبِّه وخيِّل إليهم أنَّه هو. ولا بدَّ لنا من التعرُّض ـ ولو إجمالاً ـ لبعض شؤون هذه الطائفة، وفيما يلي ذلك:

أ ـ سبب الوقف:

ويعود السبب في وقف هؤلاء على الإمام موسى عليه السلام وإنكارهم لموته: أنَّ الإمام عليه السلام لما كان في ظلمات السجون ونصب وكلاءاً له على قبض الحقوق الشرعية التي ترد إليه من بعض المؤمنين، وقد اجتمعت أموال ضخمة عند بعضهم، فكان عند زياد بن مروان القندي سبعون ألف دينار وعند علي بن أبي حمزة ثلاثون ألف دينار... وهكذا عند غيرهم، فلما توفي الإمام عليه السلام جحد هؤلاء القوم موته، واشتروا بالأموال المودعة عندهم الضيع والدور وأثروا بها، وقد طلبها منهم الإمام الرِّضا عليه السلام فأبوا أن يدفعوها له، وأنكروا موت أبيه[1].

وذكر الحسين بن محمد: أنَّه اجتمع ثلاثون ألف دينار عند الأشاعثة من زكاة أموالهم وبقية الحقوق الأخرى فحملوا تلك الأموال إلى وكيلين للإمام موسى عليه السلام بالكوفة أحدهما حيان السراج، وكان الإمام عليه السلام آنذاك في السجن، فلما قبضا الأموال اشتريا بها الدور والغلات، ولما قبض الإمام أنكرا موته وأذاعا أنَّه لا يموت، وأنَّه هو القائم المنتظر[2] لكن بعضهم رجع إلى طريق الحق والصواب فدفع الأموال التي اختلسها إلى الإمام الرِّضا عليه السلام وأقرَّ بإمامته.

ب ـ انتشاره:

وانتشر مبدأ الوقف واعتنقه خلق كثير من الناس، وكان منهم عدد كبير من أصحاب الإمام عليه السلام ورواة حديثه.

فقد حدث يونس بن عبد الرحمن قال: «مات أبو إبراهيم موسى عليه السلام وليس من قومه أحد إلاَّ وعنده المال الكثير، وكان ذلك سبب وقفهم وجحدهم موته طمعاً في الأموال، فكان عند زياد بن مروان القندي سبعون ألف دينار وعند علي أبي حمزة ثلاثون ألف دينار، فلما رأيت ذلك وتبيَّنت الحق وعرفت من أمر أبي الحسن الرِّضا عليه السلام ما عرفت تكلَّمت ودعوت الناس إليه، فبعثا ـ أي زياد وعلي ـ إليَّ وقالا ما يدعوك إلى هذا؟ إن كنت تريد المال فنحن نغنيك، وضمنا لي عشرة آلاف دينار وقالا لي: كف،

---

(١) البحار: ٣٠٨/١٢.
(٢) نفس المصدر.

فأبيت وقلت لهما: إنَّا روينا عن الصادقين عليهما السلام أنَّهم قالوا إذا ظهرت البدع فعلى العالم أن يظهر علمه، فإن لم يفعل سلب نور الإيمان، وما كنت لأدع الجهاد في أمر الله على كلِّ حال، فناصباني وأضمرا لي العداوة»[١].

وقال الإمام موسى عليه السلام لعلي بن أبي حمزة البطايني أحد أعلام الواقفية: «يا علي! إنَّما أنت وأصحابك أشباه الحمير»[٢].

نكبة البرامكة:

واستشف الإمام موسى عليه السلام من وراء الغيب بما يجري على البرامكة من الخطوب والنكبات وزوال النعمة وفجائة النقمة، فأخبر عليه السلام بذلك وقال: «مساكين آل برمك! لا يعلمون ما يجري عليهم» فكان كما أخبر عليه السلام، فقد جرت عليهم أعظم نكبة جرت في التأريخ، فبعدما كانت الدُّنيا بأيديهم قد زهرت لهم وتمتعوا بلذائذها وظفروا بنعيمها، فغزاهم الدهر بنكباته فصاروا من الذل والهوان بأقصى مكان، فصودرت أموالهم وقتل جعفر وقذف أبوه يحيى وباقي أسرته في ظلمات السجون، حتى بلغ سوء حالهم أنَّ من يذكر أياهم ومعروفهم ومكارمهم نال العقوبة والعذاب.

إنَّ البرامكة كانوا يتقربون إلى الرشيد بالسعي على العلويين، وكانوا من المسببين لسجن الإمام عليه السلام وقتله. وقد روى الصدوق عن صفوان بن معن: أنَّ يحيى البرمكي لم يكتف بإغرائه للرشيد في قتل الإمام الكاظم عليه السلام، فأغراه بقتل الإمام الرِّضا عليه السلام فقال له هارون: أما يغنينا ما صنعنا بأبيه؟ أتريد أن نقتلهم جميعاً؟!![٣].

وقال السيِّد نعمة الله الجزائري: «إنَّ السبب الحقيقي في هلاك البرامكة هو دعاء أبي الحسن الرِّضا عليه السلام عليهم في موقف عرفة، لأنَّهم سعوا بأبيه الكاظم عليه السلام»[٤].

إنَّ البرامكة من دون شك لا يحملون أي طابع من الود للعلويين، وقد أسرفوا في التنكيل بهم باستثناء الفضل بن يحيى، فإنَّه كان يميل إلى الإمام الكاظم عليه السلام، وقد رفه عليه حينما كان بالبصرة في سجنه، وهو الذي سمح ليحيى العلوي بالوفادة إلى بيت الله الحرام، ولعلَّ القول بميلهم إلى التشيُّع جاء بسببه.

---

(١) البحار: ٣٠٨/١١.

(٢) البحار: ٣٠٩/١٢.

(٣) عيون أخبار الرضا، صحيفة الأبرار: ٣٩٦/٢.

(٤) زهر الربيع: ص٢٠٥.

أبناء الإمام

أنجب الإمام موسى عليه السلام الذرِّيَّة الطاهرة والنسل الطيِّب فكانوا من خيرة أبناء المسلمين ـ في ذلك العصر ـ تقوى وصلاحاً وهدياً وورعاً وابتعاداً عن مآثم الحياة وأباطيلها، وقد نشأ الكثيرون منهم نشأة دينية كاملة لأنَّ الإمام عليه السلام قد وجههم الوجهة الصالحة فسكب في نفوسهم المثل العليا والإيمان بالله والتفاني في سبيل العقيدة والعمل على خدمة الحق، قال ابن الصباغ في حقِّهم: «إنَّ لكل واحد من أولاد أبي الحسن موسى عليه السلام فضلاً مشهوداً»[1].

وقال الشيخ الطبرسي: «إنَّ لكل واحد من أولاد أبي الحسن موسى عليه السلام فضلاً ومنقبة مشهورة»[2].

لقد ورثوا الفضل والشرف والمجد عن آبائهم فكانوا في سلوكهم وهديهم أمثلة رائعة للفضيلة والكمال.

واندفع بعضهم إلى إعلان الثورة على حكومة بني العباس لأجل إسعاد المسلمين، وإنقاذهم من جور العباسيين واستبدادهم، كما سنذكر ذلك، وقبل عرض تراجمهم نعرض إلى أنَّ النسابين، ورواة الأثر قد اختلفوا في عددهم اختلافاً كثيراً وفيما يلي ذلك:

«الأول» إنَّهم ثلاثة وثلاثون الذكور منهم «١٦» والإناث «١٧»[3].

«الثاني» سبعة وثلاثون الذكور «١٨» والإناث «١٩»[4].

«الثالث» ثمانية وثلاثون الذكور «٢٠» والإناث «١٨»[5].

---

(١) الفصول المهمة: ص٢٥٦. ط إيران.

(٢) أعلام الورى.

(٣) تحفة الأزهار وزلال الأنهار.

(٤) صحاح الأخبار: ص٤٦.

(٥) كشف الغمة: ص٢٤٣.

«الرابع» أربعون الذكور منهم «١٨» والإناث «٢٢»[١].

«الخامس» ستون الذكور «٢٣» الإناث «٣٧»[٢].

وهناك أقوال غير هذه، أمَّا أسماء الذكور والإناث منهم فكما يلي:

الذكور:

الإمام الرضا عليه السلام، إسماعيل، جعفر، هارون، حمزة، محمد، أحمد، قاسم، عباس، إبراهيم، حسن، عبد الله، زيد، حسين، الفضل، سليمان سالم، سعيد[٣]، عقيل، إبراهيم الأكبر وعبد الله[٤].

الإناث:

أم عبد الله، قسيمة، لبابة، أم جعفر، أمامة، كلثم، بريهة أم القاسم، محمودة، أمينة الكبرى، علية، زينب، رقية، حسنة، عائشة أم سلمة، أسماء، أم فروة، آمنة، أم أبيها، حليمة، رملة، ميمونة، أمينة الصغرى، أسماء الكبرى، زينب، زينب الكبرى، فاطمة الكبرى، فاطمة أم كلثوم الكبرى، أم كلثوم الوسطى، أم كلثوم الصغرى، وزاد الأشناني: عطفة، وعباسة، وخديجة الكبرى، وخديجة[٥] وصرحة[٦] وعلى هذا فتكون عدد السيِّدات من أبنائه سبعاً وثلاثين.

ونقدِّم عرضاً موجزاً للتعريف ببعض أولاده عليه السلام.

الأولاد الذكور:

١ ـ الإمام الرِّضا.

هو الإمام الثامن من أئمة أهل البيت وسيأتي ترجمته عندما نتكلَّم عنه عليه السلام.

٢ ـ إبراهيم الأكبر.

كان إبراهيم سيِّداً جليلاً عظيم الشأن ومن علماء عصره البارزين، وروى الحديث عن آبائه[٧]، ونقل ابن شدقم عن جده أنَّ إبراهيم كان عالماً فاضلاً كاملاً من أئمة

---

(١) سر السلسلة العلوية.

(٢) المجدي، عمدة الطالب، مناهل الضرب في أنساب العرب.

(٣) عمدة الطالب.

(٤) أحسن الكبار.

(٥) المجدي.

(٦) تحفة الأزهار.

(٧) غاية الاختصار، لتاج الدِّين.

الزيدية، وكان شيخاً كبيراً كريماً[١]، وممَّا يدلُّ على نباهة شأنه أنَّ الإمام موسى عليه السلام جعله من جملة أوصيائه في الظاهر لأجل التنويه باسمه والتشريف له وإعلاء مكانته وأحواله.

٣ ـ إبراهيم الأصغر.

يلقب بالمرتضى، وهو أصغر ولد أبيه، وأُمّه نوبية اسمها نجية[٢].

٤ ـ أحمد.

أُمّه أُم ولد، وكانت من السيِّدات المحترمات تُدعى أُمّ أحمد.

وكان الإمام موسى عليه السلام كثير الاعتناء بولده أحمد، وكانت له المنزلة السامية عنده، فكان يقدِّمه على بعض أولاده، ووهب له بعض ضياعه[٣].

وكان أحمد من عيون المتقين والصالحين، وقد أعتق ألف مملوك[٤] متقرباً بها إلى الله تعالى.

٥ ـ إسحاق.

يلقب بالأمير[٥] والأمين[٦].

٦ ـ إسماعيل.

من عيون علماء عصره وفي طليعة المتقين والصالحين، كان أميراً على فارس من قبل أبي السرايا[٧].

٧ ـ جعفر.

يكنى أبا الحسن أُمّه أُم ولد[٨] ويعرف بالخواري.

٨ ـ الحسن.

أُمّه أُم ولد، عقبه قليل جداً.

---

(١) تحفة الأزهار.
(٢) تحفة الأزهار، عمدة الطالب: ص١٩٠.
(٣) الإرشاد: ص٧٧.
(٤) الإرشاد، تحفة العالم.
(٥) المجدي، عمدة الطالب.
(٦) بحر الأنساب.
(٧) جامع الأنساب: ص٤٧.
(٨) تحفة الأزهار.

٩ ـ الحسين.

يلقب بالسيِّد علاء الدِّين[١] وكان سيِّداً جليل القدر، رفيع الشأن وممَّا يدلُّ على سمو مكانته رواية البزنطي، فقد جاء فيها أنَّه سئل الإمام الجواد عليه السلام أي عمومتك أبرّ بك؟ فقال: الحسين، قال الإمام الرِّضا عليه السلام صدق والله، هو والله أبرّهم به وأخيرهم[٢].

١٠ ـ حمزة.

يكنى أبا القاسم، أُمّه أُم ولد، كان عالماً فاضلاً كاملاً مهيباً جليلاً رفيع المنزلة، عالي الرتبة، مقدراً عند الخاصة والعامة.

١١ ـ زيد.

أُمّه أُم ولد، ويعرف بزيد النار، وكان زيدياً في رأيه أي أنَّه يذهب مذهب الزيدية في الخروج على السلطة لا أنَّه يعتقد بإمامة الخارج كما هو مذهبهم وكان مزاحاً[٣].

١٢ ـ العباس.

وشجب بعضهم وثاقته وعدالته نظراً لمخاصمته للإمام الرِّضا عليه السلام ومنازعته له بغير حق.

١٣ ـ عبد الله.

أُمّه أُم ولد ويعرف بـ«العوكلاني».

١٤ ـ عبيد الله.

أُمّه أُم ولد.

١٥ ـ القاسم.

وحيد عصره في تقواه وصلاحه، ومحنته وبلائه.

وكان الإمام موسى عليه السلام يكن في نفسه أعظم الحب والودّ لولده القاسم لما يراه منه من الهدي والصلاح، وما يتمتع به من الفضل والقابليات الفذة فكان عليه السلام يثني عليه ويشيد به ويقدِّمه على سائر أبنائه ما عدا ولده الإمام الرِّضا عليه السلام فقد روى يزيد بن سليط قال: طلبت من الإمام موسى عليه السلام أن يعين لي الإمام من بعده فقال عليه السلام:

---

(١) تحفة العالم: ٢/٣١.

(٢) البحار: ١٣/٤٥.

(٣) العيون.

«أخبرك يا أبا عمارة إنِّي خرجت فأوصيت إلى ابني علي، ولو كان الأمر لي لجعلته في القاسم ابني لحبي ورأفتي عليه، ولكن ذلك إلى الله تعالى...»[١].

ونسب إلى الإمام الرِّضا عليه السلام أنَّه قال في فضل زيارة القاسم: «من لم يقدر على زيارتي فليزر أخي القاسم».

١٦ ـ محمد.

يكنى أبا إبراهيم، كان كريماً جليلاً، موقراً يعرف بالعابد لكثرة وضوئه وصلاته، فكان في كل ليلة يتوضأ ويصلِّي، ويرقد قليلاً ثم يقوم لعبادة الله تعالى حتى ينبلج نور الصبح.

١٧ ـ هارون.

أُمّه أم ولد.

١٨ ـ عون.

ذكره الشبلنجي وقال: إليه يرجع نسب سيِّدنا ومولانا الشيخ الكبير المقرب جامع الشرفين شرف النسب وشرف المعرفة بالله، والأدب ذي الكرامات الظاهرة أبي الحسن، وأبي الأشبال علي الأهدل بن عمر بن محمد بن سليمان بن عبيد بن عيسى بن علوي بن محمد بن حمحام بنعون بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام.

١٩ ـ إدريس.

وإليه ينتمي السيِّد خواجه معين الدِّين السنجري[٢].

٢٠ ـ شمس.

٢١ ـ شرف الدِّين.

وإليه تنتمي السادة الخلخالية، وقد أثبت شجرة لهم[٣].

٢٢ ـ صالح.

أعقب السادة الشهيرين بالشجعان، ولهم شجرة، وقد توفي في تجريش، وقبره مشيد وعليه بناية ضخمة[٤].

---

(١) أصول الكافي.
(٢) كنز الأنساب: ص٧٤.
(٣) جامع الأنساب: ص٤٤.
(٤) كنز الأنساب.

بعد الحديث عن تراجم السادة من أولاد الإمام عليه السلام نشير إلى ترجمة موجزة لبعض السيِّدات من بناته:

الإناث:

١ ـ آمنة.

توفيت في مصر، وقبرها هناك يُزار.

٢ ـ حكيمة.

أمرها أخوها الإمام الرِّضا عليه السلام بأن تحضر عند الخيزران أُمّ الإمام الجواد عند ولادتها به، وقد روت كيفية ولادته وما جرى له من المعجز آنذاك[١].

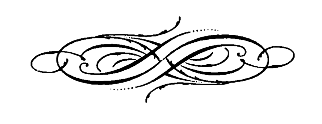
٣ ـ فاطمة.

وهي الشهيرة بالسيِّدة معصومة، وقد روت هي وأختاها زينب وأُمّ كلثوم حديثاً في فضل جدهن أمير المؤمنين عليه السلام وفي فضل شيعته[٢] وكانت تحبّ أخاها الرِّضا حباً شديداً.

٤ ـ فاطمة الصغرى.

قبرها في «باد كوبه» يقع في وسط مسجد بنائه قديم[٣].

إنَّ في سيرة أبناء الإمام ملتقى أصيل لكل فضيلة ومأثرة، فقد أترعت حياة بعضهم بالثورة والنقمة على الظالمين، فاندفعوا إلى ساحات الجهاد والنضال لإنقاذ الأُمَّة ممَّا هي فيه من واقع مرير، ومن استبداد فظيع بشؤونها، واقتصادها، ولكن لم تحالفهم الظروف فباءت بالفشل إلاَّ أنَّ المأمون لم يتخذ معهم موقفاً حاسماً، وإنَّما عفا عنهم إرضاءاً للعامة التي تعطف كثيراً على ذرِّية نبيها، وتكنّ لهم أعظم الودّ والولاء.



(١) المعالم لابن شهرآشوب.
(٢) سفينة البحار: ١/٧٢٩.
(٣) تحفة العالم: ص٣٧.

أسباب سجنه

١ ـ سمو شخصية الإمام:

الإمام موسى عليه السلام من ألمع الشخصيات الإسلامية في ذلك العصر فهو من أئمة المسلمين، وأحد أوصياء الرسول ﷺ على أُمَّته كما دان بإمامته جمهور كبير من المسلمين، وقد أجمع المسلمون على اختلاف مذاهبهم على إكبار الإمام وتقديره، والثناء عليه وقد تحدَّث الناس في عصره عن علومه وتقواه وورعه ومكارمه، وكان هارون نفسه ممَّن يجلّه ويعتقد بأنَّ الخلافة الإسلامية هو أولى بها منه كما حدث بذلك المأمون، فقد قال لندمائه:

أتدرون من علَّمني التشيُّع؟

فانبروا جميعاً قائلين: لا والله ما نعلم.

قال: علَّمني ذلك الرشيد.

فقالوا كيف ذلك؟ والرشيد كان يقتل أهل هذا البيت!!

قال: كان يقتلهم على الملك لأنَّ الملك عقيم، ثم أخذ يحدِّثهم عن ذلك قائلاً: لقد حججت معه سنة فلما انتهى إلى المدينة قال: لا يدخل عليَّ رجل من أهلها أو من المكيين سواء كانوا من أبناء المهاجرين والأنصار أو من بني هاشم حتى يعرفني بنسبه وأسرته، فأقبلت إليه الوفود تترى وهي تعرِّف الحاجب بأنسابها، فيأذن لها، وكان يمنحها العطاء حسب مكانتها ومنزلتها، وفي ذات يوم أقبل الفضل بن الربيع حاجبه وهو يقول له: رجل على الباب، زعم أنَّه موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام.

فلما سمع ذلك هارون أمر جلساءه بالوقار والهدوء، ثم قال لرئيس تشريفاته:

إئذن له، ولا ينزل إلاَّ على بساطي.

وأقبل الإمام عليه السلام وقد وصفه المأمون فقال: إنَّه شيخ قد أنهكته العبادة كأنَّه شن بال قد كلم السجود وجهه، فلما رآه هارون قام إليه وأراد الإمام أن ينزل عن دابته، فصاح

الرشيد لا والله إلاَّ على بساطي فمنعه الحجاب من الترجل، ونظرنا إليه بالإجلال والإعظام، وسار راكباً إلى البساط، والحجاب وكبار القوم محدقون به، واستقبله هارون، فقبَّل وجهه وعينيه، وأخذ بيده حتى صيَّره في صدر مجلسه وأقبل يسأله عن أحواله ويحدِّثه، ثم قال له:

يا أبا الحسن، ما عليك من العيال؟

قال الإمام: يزيدون على الخمسمائة.

قال هارون: أولاد كلهم؟

قال الإمام: لا، أكثرهم موالي وحشمي، فأما الولد فلي نيف وثلاثون ثم بيَّن له عدد الذكور والإناث.

فقال هارون: لم لا تزوِّج النسوة من بني عمومتهن؟

قال الإمام: اليد تقصر عن ذلك.

قال هارون: فما حال الضيعة؟

قال الإمام: تعطي في وقت وتمنع في آخر.

قال هارون: فهل عليك دين؟

قال الإمام: نعم.

قال هارون: كم؟

قال الإمام: نحو من عشرة آلاف دينار.

قال هارون: يابن العم، أنا أعطيك من المال ما تزوِّج به أولادك وتعمِّر به الضياع.

قال الإمام: وصلتك رحم يابن العم، وشكر الله لك هذه النيَّة الجميلة، والرحم ماسة واشجة، والنسب واحد، والعباس عم النبي صلى الله عليه وآله وصنو أبيه، وعم علي بن أبي طالب عليه السلام وصنو أبيه، وما أبعدك الله من أن تفعل ذلك، وقد بسط يدك، وأكرم عنصرك، وأعلى محتدك.

فقال هارون: أفعل ذلك يا أبا الحسن، وكرامة.

فقال له الإمام: إنَّ الله عزَّو جلَّ قد فرض على ولاة العهد أن ينعشوا فقراء الأُمَّة، ويقضوا على الغارمين، ويؤدوا عن المثقل ويكسوا العاري، وأنت أولى من يفعل ذلك.

قال هارون: أفعل ذلك يا أبا الحسن.

ثم انصرف الإمام عليه السلام فقام هارون تكريماً له فقبَّل ما بين عينيه ووجهه ثم التفت إلى أولاده فقال لهم: قوموا بين يدي عمّكم وسيِّدكم، وخذوا بركاته وسووا عليه ثيابه وشيِّعوه إلى منزله، فانطلقوا مع الإمام بخدمته وأسر عليه السلام إلى المأمون فبشَّره بالخلافة وأوصاه بالإحسان إلى ولده، ولما فرغوا من القيام بخدمة الإمام وإيصاله إلى داره، قال المأمون: كنت أجرأ ولد أبي عليه، فلما خلا المجلس قلت له: يا أمير المؤمنين، من هذا الرجل؟ الذي عظَّمته وقمت من مجلسك إليه فاستقبلته وأقعدته في صدر المجلس، وجلست دونه ثم أمرتنا بأخذ الركاب له.

قال هارون: هذا إمام الناس وحجَّة الله على خلقه وخليفته على عباده قال المأمون: يا أمير المؤمنين أوليست هذه الصفات كلها لك وفيك؟

قال هارون: أنا إمام الجماعة في الظاهر بالغلبة والقهر وموسى بن جعفر إمام حق، والله يا بني إنَّه لأحق بمقام رسول الله ﷺ منِّي ومن الخلق جميعاً ووالله لو نازعتني هذا الأمر لأخذت الذي فيه عينيك فإنَّ الملك عقيم.

وبقي هارون في يثرب مدة من الأيام، فلما أزمع على الرحيل منها أمر للإمام بصلة ضئيلة قدرها مائتا دينار، وأوصى الفضل بن الربيع أن يعتذر له عند الإمام، فانبرى إليه المأمون وهو مستغرب من قلَّة صلته مع كثرة تعظيمه وتقديره له قائلاً: يا أمير المؤمنين! تعطي أبناء المهاجرين والأنصار، وسائر قريش وبني هاشم، ومن لا يعرف نسبه خمسة آلاف دينار، وتعطي موسى بن جعفر وقد عظَّمته وأجللته مائتي دينار أخس عطية أعطيتها أحداً من الناس.

فثار هارون وصاح في وجهه قائلاً: اسكت، لا أُمّ لك، فإنِّي لو أعطيت هذا ما ضمنته له ما كنت آمنه أن يضرب وجهي بمائة ألف سيف من شيعته ومواليه، وفقر هذا وأهل بيته أسلم لي ولكم من بسط أيديهم[1].

٢ ـ حقد هارون:

لم يرق لهارون أن يرى في المجتمع من هو أفضل منه، ولم يهدأ له فكر أن ينظر إلى الجماهير وسائر الأوساط الشعبية وهي تؤمن بأنَّ الإمام هو أولى بالأمر من غيره، وأنَّه في القمة العليا علماً وفضلاً ومأثراً وأنَّ المسلمين قد أجمعوا على تعظيمه وتناقلوا

(١) البحار: ١١/ ٢٧٠ ـ ٢٧٢.

فضائله وعلومه، فساءه ذلك، فقدم على ارتكاب الجريمة فأودع الإمام في ظلمات السجون وغيَّبه عن الناس.

٣ ـ حرصه على الملك:

كان هارون حريصاً على ملكه متفانياً في حب سلطانه، فهو يضحي في سبيله جميع المقدَّسات والقيم، وقد عبر عن مدى حرصه على سلطته بكلمته المعروفة التي تناقلتها الأجيال والأحقاب وهي: «لو نازعني رسول الله صلى الله عليه وآله لأخذت الذي فيه عيناه».

٤ ـ بغضه للعلويين:

وكان أبغض شيء عليه أن يرى عميد العلويين وسيِّدهم الإمام موسى عليه السلام في دعة واطمئنان وأمان، فلم يرق له ذلك دون أن ينكل به فدفعه لؤمه وعداؤه الموروث إلى سجنه وحرمان الأُمَّة الإسلامية من الاستفادة بعلومه ونصائحه وتوجيهاته.

٥ ـ الوشاية به:

وعمد فريق من باعة الضمير والدِّين الذين انعدمت من نفوسهم الإنسانية إلى السعي بالإمام عليه السلام والوشاية به عند الطاغية هارون ليتزلفوا إليه بذلك، وينالوا من دُنياه، وقد بلي بهم الإسلام والمسلمون وبهؤلاء الأوغاد يستعين الظالمون في جميع المراحل التأريخ على تنفيذ خططهم الرامية إلى إشاعة الظلم والجور والفساد في الأرض.

وكانت وشاية المجرمين بالإمام ذات طوابع متعدِّدة، وهي:

أ ـ جباية الأموال له.

ب ـ طلبه للخلافة.

لقد كان تأريخ الإسلام حافلاً بالشيء الكثير من أعمال هؤلاء المخربين الذين هم من أقوى عوامل الشر والفساد ولولاهم لما تمكنت السلطة على الظلم والجور، وقد سعى فريق من هؤلاء بالإمام موسى عليه السلام إلى هارون فأوغروا صدره عليه وأثاروا كوامن الحقد عليه، فقد قالوا: إنَّه يطالب بالخلافة، ويكتب إلى سائر الأقطار والأمصار الإسلامية يدعوهم إلى نفسه ويحفِّزهم إلى الثورة ضد حكومته، وكان في طليعة هؤلاء الوشاة يحيى البرمكي وكان السبب في وشايته ـ فيما يقول الرواة ـ هو أنَّ الرشيد قد جعل ولي عهده محمد بن زبيدة عند جعفر بن محمد بن الأشعث، فساء ذلك يحيى وأحاطت به هواجس مريرة، وخاف أن تنقضي دولته ودولة ولده إذا أفضى الأمر إلى محمد، وأنَّ زمام الدولة سيكون بيد جعفر، وكان يحيى قد عرف ميوله واتجاهه نحو

العلويين وأنَّه يذهب إلى إمامة موسى عليه السلام، فاختلى به وعرَّفه بفكرته وأنَّ له ميولاً نحو العلويين فسرّ جعفر بذلك وعرَّفه بفكرته، ولما علم يحيى ذلك منه سعى به إلى الرشيد فتأثر منه، ولكنَّه لم يوقع به أي مكروه لأنَّه تذكر أياديه وجميل آبائه على العباسيين.

ودخل جعفر على الرشيد فوسع له في مجلسه، وجرى بينهما حديث استطابه هارون، فأمر له بعشرين ألف دينار، فغضب يحيى، فلما كان اليوم الثاني دخل عليه فقال له:

يا أمير المؤمنين، كنت قد أخبرتك عن جعفر ومذهبه، فتكذب ذلك ـ وهاهنا أمر فيه الفيصل ـ.

قال الرشيد: ما هو؟

قال يحيى: إنَّه لا يصل إليه مال من جهة من الجهات إلاَّ أخرج خمسه فوجه به إلى موسى بن جعفر، ولست أشك في العشرين ألف دينار أنَّه وجه خمسها إليه.

قال هارون: إنَّ في هذا لفيصلا.

فأرسل في الوقت خلف جعفر، فلما انتهى إليه الرسول عرف سعاية يحيى به فلم يشك في أنَّ هارون إنَّما دعاه في فلس اللَّيل ليقتله، فأفاض عليه الماء واغتسل غسل الأموات، وأقبل إلى الرشيد فلما وقع بصره عليه وشم منه رائحة الكافور قال له:

ما هذا؟

قال: يا أمير المؤمنين، قد علمت أنَّه قد سعى بي عندك، فلما جاءني رسولك في هذه الساعة لم آمن من أن يكون قد انقدح في نفسك ما يُقال عليَّ، فأرسلت إليَّ لتقتلني.

قال هارون: كلا، ولكن قد أخبرت أنَّك تبعث إلى موسى بن جعفر من كل ما يصير إليك بخمسه، وأنَّك قد فعلت ذلك في العشرين ألف دينار التي وهبتها لك، فأحببت أن أعلم ذلك؟

قال جعفر: الله أكبر يا أمير المؤمنين، تأمر بعض خدمك ليذهب فيأتيك بها بخواتيمها.

فأمر الرشيد بعد خدمه فأتاه بها على ما هي عليه لم يؤخذ منها شيء، فبدا السرور على سحنات وجهه وقال له: هذا أول ما نعرف كذب من سعى بك إليَّ، صدقت يا جعفر انصرف آمناً، فإنِّي لا أقبل فيك قول أحد.

فخجل يحيى، وباء بالخزي والخسران، وازداد غيظه وحنقه وأخذ يعمل جاهداً في

إسقاط مكانة جعفر وزوال نعمته، فرأى أن يسعى بالإمام موسى عليه السلام ليتوصل بذلك إلى النكاية به، فقال ليحيى بن أبي مريم: ألا تدلني على رجل من آل أبي طالب له رغبة في الدُّنيا فأوسع له منها؟ فقال له: نعم، ذاك علي بن إسماعيل بن جعفر، فأرسل خلفه يحيى وكان آنذاك في الحج، فلما اجتمع به قال له يحيى: أخبرني عن عمك موسى، وعن شيعته وعن المال الذي يحمل إليه فقال: عندي الخبر، وحدثه بما يريد، فطلب منه أن يرحل معه إلى بغداد ليجمع بينه وبين الرشيد فأجابه إلى ذلك فلما سمع الإمام موسى عليه السلام بسفره مع يحيى بعث خلفه فقال له:

بلغني أنَّك تريد السفر؟

ـ نعم.

ـ إلى أين؟

ـ إلى بغداد.

ـ ما تصنع؟

ـ عليَّ دين وأنا مملق.

ـ أنا أقضي دينك، وأكفيك أمورك.

فلم يلتفت إلى الإمام ووسوست له نفسه وأجاب داعي الهوى فترك الإمام وقام من عنده، فقال عليه السلام له: لا تؤتم أولادي، ثم أمر عليه السلام له بثلاثمائة دينار وأربعة آلاف درهم، وقال عليه السلام: والله ليسعى في دمي ويؤتم أولادي فقال له أصحابه: جعلنا الله فداك، فأنت تعلم هذا من حاله، وتعطيه؟!!

فقال عليه السلام: نعم حدَّثني أبي عن آبائه عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنَّه قال: إنَّ الرحم إذا قطعت فوصلت قطعها الله.

وخرج علي يطوي البيداء حتى انتهى إلى بغداد، فدخل على الرشيد فقال له بعد السلام عليه:

ما ظننت أنَّ في الأرض خليفتين حتى رأيت عمي موسى بن جعفر يسلّم عليه بالخلافة.

وقيل: إنَّه قال له: إنَّ الأموال تحمل إليه من المشرق والمغرب، وأنَّ له بيوت أموال، وأنَّه اشترى ضيعة بثلاثين ألف دينار، وسمَّاها «البسرية».

فلما سمع ذلك الرشيد فقد صوابه وأحرقه الغيظ، وأمر لعلي بمائتي ألف درهم على أن يستحصلها من بعض نواحي المشرق فمضت الرسل لجباية المال إليه فدخل بيت

الخلاء فزحر فيه وسقطت أمعاؤه فأخرج منه وهو يعاني آلام الموت فقيل له: إنَّ الأموال قد وصلتك فقال: ما أصنع بها وقد أتاني الموت وقيل: إنَّه رجع إلى داره فهلك فيها في تلك الليلة التي اجتمع بها مع هارون[١].

احتجاج الإمام:

من الأسباب التي حفَّزت هارون لاعتقال الإمام وزجّه في غياهب السجون احتجاجه عليه السلام عليه بأنَّه أولى بالنبي العظيم ﷺ من جميع المسلمين فهو أحد أسباطه ووريثه، وأنَّه أحق بالخلافة من غيره، وقد جرى احتجاجه عليه السلام معه في مرقد النبي ﷺ وذلك حينما زاره هارون قد احتفَّ به الوجوه والأشراف وقادة الجيش وكبار الموظفين في الدولة، فقد أقبل بوجهه على الضريح المقدَّس وسلَّم على النبي ﷺ قائلاً:

«السلام عليك، يابن العم».

وقد اعتز بذلك على من سواه وافتخر على غيره برحمه الماسة من النبي ﷺ وأنَّه إنَّما نال الخلافة لقربه من الرسول ﷺ وكان الإمام ـ آنذاك ـ حاضراً فسلَّم على النبي ﷺ قائلاً: «السلام عليك يا أبت» ففقد الرشيد صوابه واستولت عليه موجات من الاستياء حيث قد سبقه الإمام إلى ذلك المجد والفخر فاندفع قائلاً بنبرات تقطر غضباً: لم قلت إنَّك أقرب إلى رسول الله ﷺ منَّا؟؟.

فأجابه عليه السلام بجواب لم يتمكن الرشيدمن الردّ عليه أو المناقشة فيه قائلاً:

لو بُعث رسول الله ﷺ حياً وخطب منك كريمتك هل كنت تجيبه إلى ذلك؟

فقال هارون: سبحان الله!! وكنت أفتخر بذلك على العرب والعجم فانبرى الإمام مبيِّناً له الوجه في قربه من النبي ﷺ دونه قائلاً:

لكنَّه لا يخطب منِّي ولا أزوِّجه لأنَّه والدنا لا والدكم فلذلك نحن أقرب إليه منكم، وأراد عليه السلام أن يدعم قوله ببرهان آخر فقال لهارون: هل كان يجوز له أن يدخل على حرمك وهن مكشفات؟؟.

فقال هارون: لا.

فقال الإمام: لكن له أن يدخل على حرمي ويجوز له ذلك فلذلك نحن أقرب إليه منكم[٢].

---

(١) عيون أخبار الرِّضا، غيبة الشيخ الطوسي، البحار، المناقب، وقيل إنَّ الساعي به هو محمد بن إسماعيل.

(٢) أخبار الدول: ص١١٣.

واندفع هارون بعدما أعياه الدليل إلى منطق العجز، فأمر باعتقال الإمام عليه السلام وزجِّه في السجن[١].

تعيينه لفدك:

ومن الأسباب التي ملأت نفس هارون بالحقد على الإمام عليه السلام ودعته إلى اعتقاله والعزم على قتله، تعيينه عليه السلام لفدك بأنَّها تشمل أكثر المناطق الإسلامية، وذلك حينما سأله هارون عنها ليرجعها إليه، فأبى عليه السلام أن يأخذها إلاَّ بحدودها، فقال الرشيد:

ـ ما حدودها؟

فقال عليه السلام: إن حدَّدتها لم تردّها.

فأصرَّ هارون عليه أن يبيِّنها له قائلاً: بحقِّ جدّك إلاَّ فعلت.

ولم يجد الإمام بدّاً من إجابته، فقال له: «**أما الحدّ الأوّل**» فعدن، فلما سمع الرشيد ذلك تغيَّر وجهه، واستمر الإمام عليه السلام في بيانه قائلاً: و«**الحدّ الثاني**» سمرقند. فأربد وجه الطاغية، واستولت عليه موجة من الغضب الهائل، ولكن الإمام عليه السلام لم يعتن به فقد أخذ يستمر في بيانه قائلاً: و«**والحدّ الثالث**» إفريقيا، فاسود وجه هارون وقال بنبرات تقطر غيظاً «هيه» وانطلق الإمام يبيِّن الحد الأخير قائلاً: و«**الحدّ الرابع**» فسيف البحر ممَّا يلي الجزر وأرمينية.

فثار الرشيد ولم يملك أعصابه دون أن قال:

ـ لم يبق لنا شيء.

ـ قد علمت أنَّك لا تردّها.

وتركه الإمام والكمد يحزُّ في نفسه، فعزم حينئذٍ على التنكيل به[٢].

صلابة موقف الإمام:

إنَّ الإمام عليه السلام لم يصانع هارون ولم يتسامح معه فكان موقفه معه صريحاً واضحاً فقد دخل عليه في بعض قصوره المشيَّدة الجميلة التي لم يُر مثلها في بغداد ولا في غيرها، فانبرى إليه هارون وقد أسكرته نشوة الحكم قائلاً:

ما هذه الدار؟

(١) تذكرة الخواص: ص٣٥٩.
(٢) المناقب: ٢/٣٨١.

فأجابه الإمام غير معتن بسلطانه وجبروته قائلاً له:

«هذه دار الفاسقين» قال الله تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ ومشت الرعدة في جسم هارون، واستولت عليه موجة من الاستياء فقال للإمام: دار من هي؟

- هي لشيعتنا فترة، ولغيرهم فتنة.

- ما بال صاحب الدار لا يأخذها.

- أخذت منه عامرة ولا يأخذها إلاّ معمورة.

- أين شيعتك؟

- فتلا الإمام عليه السلام قوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾[1].

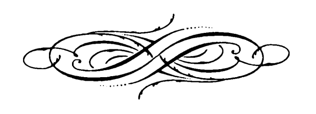
فثار هارون، وقال بصوت يقطر غضباً:

- أنحن كفار؟

- لا، ولكن كما قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾[2].

فغضب هارون وأغلظ في كلامه على الإمام[3] إنَّ موقف الإمام عليه السلام كان مع هارون موقفاً لا لين فيه، فإنَّه يراه غاصباً لمنصب الخلافة ومختلساً للسلطة والحكم.

إلى هنا ينتهي بنا الحديث عن بيان بعض الأسباب التي دعت الرشيد إلى اعتقال الإمام عليه السلام.



(١) سورة البيِّنة: آية ١.
(٢) سورة إبراهيم: آية ٢٨.
(٣) البحار: ١١/٢٧٩.

في ظلمات السجون

كان الإمام موسى عليه السلام زعيم المعارضين لسياسة هارون، وقد ذكرنا ـ غير مرَّة ـ موقفه السلبي تجاهه، وعمل هارون ما وسعه في إرهاق الإمام والانتقام منه، اعتقله في سجونه وحجبه عن شيعته، وقضى زمناً طويلاً في السجون حتى لفظ أنفاسه الأخيرة فيها.

١ ـ القبض عليه:

وثقل الإمام موسى عليه السلام على هارون، وضاق صدره منه، وأزعجه إلى أبعد الحدود انتشار اسمه، وذيوع فضله، وتحدث الناس عن مآثره وعلمه، فجاء الطاغية إلى قبر النبي صلى الله عليه وآله وكان آنذاك في يثرب فسلَّم على النبي صلى الله عليه وآله وخاطبه قائلاً:

«بأبي أنت وأُمِّي يا رسول الله، إنِّي أعتذر إليك من أمر عزمت عليه إنِّي أريد أن آخذ موسى بن جعفر عليه السلام فأحبسه لأنِّي قد خشيت أن يلقي بين أُمَّتك حرباً يسفك فيها دماءهم»[1].

وفي اليوم الثاني أصدر أوامره بإلقاء القبض على الإمام، فألقت الشرطة عليه القبض وهو قائم يُصلِّي لربّه عند رأس جدّه النبي صلى الله عليه وآله فقطعوا عليه صلاته ولم يمهلوه من إتمامها فحمل من ذلك المكان الشريف، وقيّد وهو يذرف الدموع ويوجّه شكواه إلى جده الرسول صلى الله عليه وآله قائلاً:

«إليك أشكو يا رسول الله»[2].

ولم يحترم هارون قداسة القبر الشريف، فهتك حرمته، وحرمة أبنائه التي هي أولى بالرعاية والمودَّة من كلّ شيء، كما لم يحترم الصلاة التي هي أقدس عبادة في الإسلام فقطع عليه صلاته وأمر بتقييده، وحمل إليه الإمام وهو يرسف في ذلّ القيود فلما مثل

---

(١) البحار: ١٧/٢٩٦.
(٢) المناقب: ٢/٣٨٥.

عنده جفاه وأغلظ له في القول، وكان اعتقاله في سنة «١٧٩هـ» في شهر شوال لعشر بقين منه[١].

٢ ـ فزع المسلمين:

ولما اعتقل الإمام عليه السلام جزع المسلمون وفزعوا، فلم يبق قلب إلاَّ تصدع من الأسى والحزن، فقد حجب عنهم من كان يحنُّ على فقرائهم ويعول بأيتامهم وأراملهم، ومن كان يتعهَّدهم بالرعاية والعطف والحنان ومن كان مفزعاً لهم عند الكوارث والخطوب، وخاف الرشيد من وقوع الفتنة وحدوث الاضطراب، فأمر بتهيأة قبتين فأوعز بحمل إحديهما إلى الكوفة والأخرى إلى البصرة ليوهم على الناس أمر الإمام ويخفي عليهم خبر اعتقاله بأيّ مكان، وأمر بحمل الإمام عليه السلام إلى البصرة في غلس اللَّيل البهيم فحمل إليها وقد خيم على يثرب الحزن واللوعة والمصاب.

٣ ـ اعتقاله في البصرة:

وسير الإمام عليه السلام معتقلاً إلى البصرة، قد أحاطت به الآلام والهموم، ووكل حسان السروي بحراسته والمحافظة عليه[٢] وقبل أن يصل إلى البصرة تشرَّف بالمثول بين يديه عبد الله بن مرحوم الأزدي فدفع له الإمام كتباً وأمره بإيصالها إلى ولي عهده الإمام الرِّضا عليه السلام وعرَّفه بأنَّه الإمام من بعده[٣].

وسارت القافلة تطوي البيداء حتى انتهت إلى البصرة وذلك قبل التروية بيوم[٤] فأخذ حسان الإمام ودفعه إلى عيسى بن أبي جعفر فحبسه في بيت من بيوت المحبس، وأقفل عليه أبواب السجن، فكان لا يفتحها إلاَّ في حالتين: إحداهما في خروجه إلى الطهور، والأخرى لإدخال الطعام له[٥].

أما شؤونه في سجن البصرة فهي:

أ ـ تفرغه للعبادة:

وأقبل الإمام عليه السلام على عبادة الله فحيَّر الألباب وأبهر العقول بعبادته وانقطاعه إلى

---

(١) البحار: ٢٩٦/١١.
(٢) البحار: ٢٩٨/١١.
(٣) تنقيح المقال.
(٤) البحار، منتخب التواريخ: ص٥١٨.
(٥) البحار.

الله فكان يصوم في النهار ويقوم في الليل يقضي أغلب أوقاته في الصلاة والسجود والدُّعاء لم يضجر ولم يسأم من السجن، واعتبر تفرغه للعبادة من أعظم النعم التي منحها الله له، فكان يشكر ربّه على ذلك، ويدعو بهذا الدُّعاء: «اللَّهمَّ، إنَّك تعلم أنِّي كنت أسألك أن تفرغني لعبادتك، اللَّهمَّ وقد فعلت فلك الحمد»[1].

ب ـ اتصال العلماء به:

لما شاع اعتقال الإمام عليه السلام في البصرة أقبل علماؤها ورواة الحديث إلى الإمام فاتصلوا به من طريق خفي ورووا عنه بعض العلوم والأحكام.

ج ـ الإيعاز لعيسى باغتياله:

وانتشر خبر سجن الإمام عليه السلام في البصرة، وتناقل الناس حديثه مقروناً بالحسرة واللوعة فخاف هارون من حدوث الفتن والاضطرابات فأوعز إلى عيسى يطلب منه فوراً القيام باغتيال الإمام عليه السلام ليستريح منه ويهدأ باله بذلك.

د ـ استعفاؤه عن ذلك:

ولما وصلت أوامر الرشيد لعيسى باغتيال الإمام عليه السلام ثقل عليه الأمر فجمع خواصه وثقاته فعرض عليهم الأمر فأشاروا عليه بالتحذير من ارتكاب الجريمة، فاستصوب رأيهم، وكتب إلى الرشيد رسالة يطلب فيها إعفاءه عن ذلك، وهذا نصها:

«يا أمير المؤمنين، كتبت إليَّ في هذا الرجل، وقد اختبرته طول مقامه بمن حبسته معه عيناً عليه، لينظروا حيلته، وأمره وطويته ممَّن له المعرفة والدراية، ويجري من الإنسان مجرى الدم، فلم يكن منه سوء قط، ولم يذكر أمير المؤمنين إلاَّ بخير، ولم يكن عنده تطلع إلى ولاية، ولا خروج ولا شيء من أمر الدُّنيا، ولا دعا قط على أمير المؤمنين، ولا على أحد من الناس، ولا يدعو إلاَّ بالمغفرة والرحمة له ولجميع المسلمين مع ملازمته للصيام والصلاة والعبادة، فإن رأى أمير المؤمنين أن يعفيني من أمره، أو ينفذ من يتسلمه منِّي وإلاَّ سرحت سبيله، فإنِّي منه في غاية الحرج»[2].

٤ ـ حمله إلى بغداد:

واستجاب الرشيد لطلب عيسى وخاف منه أن يطلق سراح الإمام عليه السلام فأمره بحمله

(١) المناقب: ٢/٣٧٩.
(٢) البحار، الفصول المهمة.

إلى بغداد وفرح عيسى بذلك لأنَّ الله قد أنقذه من ارتكاب الموبقة، أما ما جرى عليه في بغداد فهو كما يلي:

أ ـ اعتقاله عند الفضل:

ولما انتهى الإمام عليه السلام إلى بغداد أمر الرشيد باعتقاله عند الفضل بن الربيع فأخذه الفضل وحبسه في بيته.

ب ـ انشغاله في العبادة:

وأقبل الإمام عليه السلام على طاعة ربّه فكان يقضي أغلب أوقاته في الصلاة والسجود والابتهال إلى الله والتضرع إليه حتى فاق بطاعته جميع الأولياء.

فقد حدث عبد الله القزويني قال: دخلت على الفضل بن الربيع وهو جالس على سطح داره، فقال لي ادن منِّي، فدنوت منه حتى حاذيته فقال لي:

ـ أشرف على الدار.

فأشرف عبد الله على الدار، فقال له الفضل:

ـ ما ترى في البيت؟

ـ أرى ثوباً مطروحاً.

ـ أنظر حسناً.

فتأمَّل عبد الله في نظره، فقال له:

ـ رجل ساجد.

ـ هل تعرفه؟

ـ لا.

ـ هذا مولاك.

ـ من مولاي؟!!

ـ تتجاهل عليَّ؟!!

ـ ما أتجاهل، ولكن لا أعرف لي مولى.

ـ هذا أبو الحسن موسى بن جعفر.

وأخذ الفضل يحدث عبد الله عن عبادة الإمام وطاعته لله قائلاً:

«إنِّي أتفقده الليل والنهار فلم أجده في وقت من الأوقات إلاَّ على الحال التي

أخبرك بها إنَّه يُصلِّي الفجر، فيعقب ساعة في دبر صلاته إلى أن تطلع الشمس ثم يسجد سجدة فلا يزال ساجداً حتى تزول الشمس، وقد وكل من يترصد له الزوال، فلست أدري متى يقول الغلام قد زالت الشمس؟ إذ يثب فيبتدىء بالصلاة من غير أن يجدِّد الوضوء، فاعلم أنَّه لم ينم في سجوده ولا أغفى، فلا يزال كذلك إلى أن يفرغ من صلاة العصر، فإذا صلَّى العصر سجد سجدة فلا يزال ساجداً إلى أن تغيب الشمس، فإذا غابت وثب من سجدته فصلَّى المغرب من غير أن يحدث حدثاً، ولا يزال في صلاته وتعقيبه إلى أن يصلِّي العتمة فإذا صلَّى العتمة أفطر على شوى[1] يؤتى به، ثم يجدِّد الوضوء، ثم يسجد ثم يرفع رأسه فينام نومة خفيفة، ثم يقوم، فيجدِّد الوضوء، ثم يقوم، فلا يزال يصلِّي في جوف الليل حتى يطلع الفجر فلست أدري متى يقول الغلام إنَّ الفجر قد طلع؟ إذ قد وثب هو لصلاة الفجر فهذا دأبه منذ حُوّل إليَّ..».

ولما رأى عبد الله إكبار الفضل للإمام عليه السلام حذَّره من أن يستجيب لداعي الهوى فينفذ رغبة الرشيد باغتياله، فقال له:

«اتق الله، ولا تحدث في أمره حدثاً يكون منه زوال النعمة، فقد تعلم أنَّه لم يفعل أحد بأحد سوءاً إلاَّ كانت نعمته زائلة..».

وكان الفضل مؤمناً بذلك فقال له:

«قد أرسلوا إليَّ غير مرة يأمرونني بقتله، فلم أجبهم إلى ذلك، وأعلمتهم أنِّي لا أفعل ذلك، ولو قتلوني ما أجبتهم إلى ما سألوني..»[2].

ج ـ إشراف هارون عليه:

كان هارون يتوجس في نفسه الخوف من الإمام عليه السلام فلم يثق بالعيون التي وضعها عليه في سجنه، فكان بنفسه يراقبه، ويتطلع على شؤونه خوفاً من أن يتصل به أحد من الناس، أو يكون الفضل قد رفه عليه، فأطل من أعلى القصر على السجن فرأى ثوباً مطروحاً في مكان خاص لم يتغيَّر عن موضعه فقال للفضل:

ـ ما ذاك الثوب الذي أراه كل يوم في ذلك الموضع؟!

ـ يا أمير المؤمنين، ما ذاك بثوب، وإنَّما هو موسى بن جعفر له في كل يوم سجدة بعد طلوع الشمس إلى وقت الزوال.

---

(١) شوى: تصغير شواء أي شواء قليل.

(٢) عيون الأخبار، البحار.

فتبهر هارون وقال:

ـ أما إنَّ هذا من رهبان بني هاشم!

والتفت إليه الربيع بعدما سمع منه اعترافه بزهد الإمام قائلاً له:

ـ يا أمير المؤمنين: ما لك قد ضيقت عليه في الحبس؟!!

فأجابه هارون بما انطوت عليه نفسه من الشر وفقدان الرأفة قائلاً: «هيهات: لا بدَّ من ذلك»[1].

د ـ سأم الإمام:

وسئم الإمام عليه السلام من السجن وضاق صدره من طول المدة، وقد أحاطت به آلام مرهقة، وخطوب مريرة، فقد حجب عن عياله وأطفاله وشيعته، ينقل من حبس إلى حبس، تراقبه الشرطة والعيون خوفاً من اتصال أحد من شيعته به، وقد لجأ عليه السلام إلى الله تعالى في أن يخلصه من هذه المحنة.

هـ ـ دعاؤه:

ولما طالت مدة الحبس على الإمام عليه السلام وهو رهين السجون، قام في غلس البهيم فجدَّد طهوره وصلَّى لربه أربع ركعات، وأخذ يناجي الله ويدعوه بهذا الدُّعاء:

«يَا سَيِّدِي: نَجِّنِي مِنْ حَبْسِ هَارُونَ، وَخَلِّصْنِي مِنْ يَدِهِ، يَا مُخَلِّصَ الشَّجَرِ مِنْ بَيْنِ رَمْلٍ وَطِينٍ، وَيَا مُخَلِّصَ اللَّبَنِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ، وَيَا مُخَلِّصَ الْوَلَدِ مِنْ بَيْنِ مَشِيمَةٍ وَرَحِمٍ وَ يَا مُخَلِّصَ النَّارِ مِنْ بَيْنِ الْحَدِيدِ وَالْحَجَرِ وَيَا مُخَلِّصَ الْأَرْوَاحِ مِنْ بَيْنِ الْأَحْشَاءِ وَالْأَمْعَاءِ، خَلِّصْنِي مِنْ يَدِ هَارُونَ»[2].

و ـ إطلاق سراحه:

واستجاب الله دعاء العبد الصالح فأنقذه من سجن الطاغية هارون وأطلقه في غلس اللَّيل، وذلك بسبب رؤيا رآها، فحدث عبد الله بن مالك الخزاعي، وكان على دار الرشيد وشرطته، قال: أتاني رسول الرشيد في ما جائني فيه قط، فانتزعني من موضعي، ومنعني من تغيير ثيابي، فراعني ذلك، فلما صرت إلى الدار سبقني الخادم، فعرف

---

(١) البحار: ١١/ ٢٩٨.

(٢) المناقب: ٢/ ٣٧٠، عيون الأخبار.

الرشيد خبري، فأذن لي في الدخول، فدخلت، فوجدته جالساً على فراشه، فسلَّمت، فسكت ساعة، فطار عقلي، وتضاعف جزعي، ثم قال لي:

ـ يا عبد الله، أتدري لِمَ طلبتك في هذا الوقت؟

ـ لا والله يا أمير المؤمنين.

ـ إنِّي رأيت الساعة في منامي كأن حبشياً قد أتاني، ومعه حربة فقال: إن لم تخل عن موسى بن جعفر الساعة، وإلاَّ نحرتك بهذه الحربة، إذهب فخل عنه.

ولم يطمئن عبد الله بأمر الرشيد بإطلاق سراح الإمام، فقال له: أطلق موسى بن جعفر؟ قال له ذلك ثلاث مرَّات، فقال الرشيد:

«نعم، امض الساعة حتى تطلق موسى بن جعفر، واعطه ثلاثين ألف درهم، وقل له إن أحببت المقام قبلنا فلك عندي ما تحب، وإن أحببت المضي إلى المدينة فالإذن في ذلك إليك».

ومضى عبد الله مسرعاً إلى السجن يقول: لما دخلت وثب الإمام عليه السلام قائماً، وظنَّ أنِّي قد أمرت فيه بمكروه، فقلت له:

«لا تخف، قد أمرني أمير المؤمنين بإطلاقك وأن أدفع إليك ثلاثين ألف درهم، وهو يقول لك: إن أحببت المقام قبلنا فلك ما تحبّ، وإن أحببت الانصراف فالأمر في ذلك مطلق لك، وأعطيته الثلاثين ألف درهم[1] وقلت له: لقد رأيت من أمرك عجباً.

وأخذ الإمام عليه السلام يحدِّثه عن السبب في إطلاق سراحه قائلاً:

«بينما أنا نائم إذ أتاني رسول الله صلى الله عليه وآله فقال لي: يا موسى، حبست مظلوماً قل هذه الكلمات فإنَّك لا تبيت هذه الليلة في الحبس، فقلت له: بأبي أنت وأُمِّي ما أقول فقال: قل:

«يَا سَامِعَ كُلّ صَوْتٍ، وَيَا سَابِق الفَوْتِ، وَيَا كَاسِي العِظَام لَحْماً، وَمُنْشِرهَا بَعْدَ المَوْتِ أَسْأَلُكَ بِأَسْمَائِكَ الْحُسْنَىٰ، وبَاسْمِكَ الأَعْظَم الأَكْبَرِ الْمَخْزُونِ الْمَكْنُونِ الَّذِي لَمْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ المَخْلُوقِينَ، يَا حَلِيماً ذَا أَنَاةٍ لَا يَقوىٰ عَلىٰ أَنَاتِهِ، يَا ذَا المَعْرُوفِ الَّذِي لَا يَنْقَطِعِ أَبَداً، وَلَا يُحَصىٰ عَدداً، فَرِّجْ عَنِّي» فكان ما ترى[2] وفرَّج الله عن

(١) مروج الذهب: ٣/ ٢٦٥.

(٢) وفيات الأعيان: ٤/ ٣٩٤.

الإمام، فخلى هارون سبيله، وقد مكث في سجن الفضل مدة طويلة من الزمن لم يعينها لنا التاريخ.

وبقي الإمام بعد إطلاق سراحه في بغداد لم ينزح عنها إلى يثرب، وكان يدخل على الرشيد في كل أسبوع مرة في يوم الخميس[١] وكان يحتفي به إذا رآه، وقد دخل عليه يوماً، وقد استولى الغضب على هارون من أجل رجل ارتكب جرماً فأمر أن يضرب ثلاثة حدود، فنهاه الإمام عليه السلام عن ذلك وقال إنَّما تغضب لله، فلا تغضب له أكثر ممَّا غضب لنفسه[٢] وربَّما جرت بينهما بعض المناظرات، فقد دخل عليه في بعض الأيام فانبرى إليه الرشيد قائلاً:

أتقولون إنَّ الخمس لكم؟

ـ نعم.

ـ إنَّه لكثير.

ـ إنَّ الذي أعطاه لنا علم أنَّه غير كثير[٣].

٥ ـ عزم هارون على قتله:

ولما شاع ذكر الإمام، وانتشرت فضائله ومآثره في بغداد ضاق الرشيد من ذلك، وخاف منه فعزم على قتله، لولا أنَّه رأى برهاناً من ربّه فعفا عنه، فقد حدث الفضل قال: كنت حاجباً عند الرشيد، فأقبل عليَّ يوماً وهو غضبان وبيده سيف يقلِّبه فقال لي:

بقرابتي من رسول الله ﷺ لئن لم تأتني بابن عمي، لأخذت الذي فيه عيناك.

فخاف الفضل ومشت الرعدة في أوصاله وقال له:

ـ بمن أجيئك؟

ـ بهذا الحجازي.

ـ وأي الحجازيين؟

ـ موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب فخاف الفضل من الله أن يكون الشَّر على يده، ولكنَّه فكَّر في نقمة هارون وبطشه به فاستجاب لأمره وطلب منه أن يحضر له سوطين، وهسارين وجلادين، فأحضر ذلك، قال:

---

(١) البحار.

(٢) الوسائل: باب الأمر بالمعروف.

(٣) البحار: ١١/ ٢٨٠.

ومضيت إلى منزل أبي إبراهيم فأتيت إلى خربة فيها كوخ من جريد النخل، وإذا بغلام أسود فقلت له: استئذن لي على مولاك، يرحمك الله، فقال لي لج، فليس له حاجب، ولا بواب فولجت إليه فإذا بغلام أسود بيده مقص يأخذ اللحم من جبينه وعرنين أنفه من كثرة سجوده، فسلَّمت عليه، وقلت:

ـ أجب الرشيد.

ـ ما للرشيد، ومالي أما تشغله نعمته عنِّي؟!!

وو ثب مسرعاً، وهو يقول: لولا أنِّي سمعت في خبر عن جدي رسول الله صلى الله عليه وآله إنَّ طاعة السلطان للتقية واجبة، ما جئت، وانطلق عليه السلام مع الفضل فقال له:

ـ استعد للعقوبة يا أبا إبراهيم.

ـ أليس معي من يملك الدُّنيا والآخرة، ولن يقدر اليوم على سوء بي إن شاء الله.

قال الفضل: رأيت الإمام وقد أدار يده يلوح بها على رأسه الشريف ثلاث مرات، ولما وصل الفضل استقبله الرشيد وهو مذهول قد استولى عليه الخوف والذعر فقال له: يا فضل.

ـ لبَّيك.

ـ جئتني بابن عمي؟

ـ نعم.

ـ لا تكن أزعجته؟

ـ لا.

ـ لم تعلمه أنِّي عليه غضبان، فإنِّي قد هيجت على نفسي ما لم أرده إئذن له بالدخول ودخل الإمام عليه السلام فلما رآه وثب إليه قائماً وعانقه، وقال له:

مرحباً يابن عمي وأخي ووارثي ما الذي قطعك عن زيارتنا؟

فأجابه الإمام عليه السلام غير معتن به قائلاً:

ـ سعة ملكك وحبك للدنيا.

وأمر الرشيد أن يأتي بغالية، فأتى بها، فطيب الإمام بيده وأمر أن يحمل بين يديه خلع وبدرتان ودنانير، فقال الإمام عليه السلام لولا أنِّي أرى أن أزوج بها من عزاب بني أبي طالب لئلا ينقطع نسله ما قبلتها أبداً وانصرف عليه السلام وهو يقول: الحمد لله ربّ العالمين، والتفت هارون إلى الفضل قائلاً له:

«يا فضل إنَّك لما مضيت لتجيئني به رأيت أقواماً قد أحدقوا بداري بأيديهم حراب قد غرسوها في أصل الدار يقولون إن آذى ابن رسول الله خسفنا به وبداره الأرض وإن أحسن إليه انصرفنا عنه وتركناه.

وانطلق الفضل مسرعاً نحو الإمام قائلاً له:

ـ ما الذي قلت حتى كُفيت أمر الرشيد؟

ـ دعاء جدي علي بن أبي طالب عليه السلام، كان إذا دعا به ما برز إلى عسكر إلاَّ هزمه ولا إلى فارس إلاَّ قهره، وهو دعاء كفاية البلاء وهو:

«اللَّهُمَّ بِكَ أُسَاوِرُ وَبِكَ أُحَاوِلُ وَبِكَ أُحَاوِرُ وَبِكَ أَصُولُ وَبِكَ أَنْتَصِرُ وَبِكَ أَمُوتُ وَبِكَ أَحْيَا أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ اللَّهُمَّ إِنَّكَ خَلَقْتَنِي وَرَزَقْتَنِي وَسَتَرْتَنِي وَعَنِ الْعِبَادِ بِلُطْفِ مَا خَوَّلْتَنِي أَغْنَيْتَنِي وَإِذَا هَوَيْتُ رَدَدْتَنِي وَإِذَا عَثَرْتُ قَوَّمْتَنِي وَإِذَا مَرِضْتُ شَفَيْتَنِي وَإِذَا دَعَوْتُ أَجَبْتَنِي يَا سَيِّدِي ارْضَ عَنِّي فَقَدْ أَرْضَيْتَنِي»[1].

٦ ـ اعتقاله عند الفضل:

ولما رأى الفضل عبادة الإمام عليه السلام وإقباله على الله، وانشغاله بذكره أكبر الإمام ورفه عليه، ولم يضيق عليه، وكان في كل يوم يبعث له بمائدة فاخرة من الطعام، وقد رأى عليه السلام من السعة في سجن الفضل ما لم يرها في بقية السجون.

وأوعز الرشيد للفضل باغتيال الإمام عليه السلام فامتنع من ذلك ولم يجبه وخاف من الله.

إنَّ الفضل كان ممَّن يذهب إلى الإمامة ويدين بها، وهذا هو السبب في اتهام البرامكة بالتشيُّع، وقد امتنع أشد الامتناع في تنفيذ رغبات الرشيد في قتل الإمام.

وانطلق بعض الأوغاد إلى هارون، فأخبره برتفيه الفضل على الإمام عليه السلام ولما سمع ذلك الطاغية تحرق من الغيظ والغضب، وكان آنذاك في الرقة فأنفذ في الوقت مسرور الخادم إلى بغداد ليكشف له حقيقة الحال، فإن كان الأمر على ما بلغه مضى إلى العباس بن محمد وأوصله رسالة يأمره فيها بجلد الفضل، وكذلك أمره بالوصول إلى السندي بن شاهك مدير شرطته ليكون منفذاً لأوامره.

وقدم مسرور إلى بغداد فنزل دار الفضل بن يحيى لا يدري أحد ما يريده، ثم دخل

---

(١) عيون الأخبار، البحار.

على الإمام موسى عليه السلام فوجده مرفهاً عليه كما بلغ الرشيد فمضى من فوره إلى العباس وأمره بتنفيذ أمر الرشيد، وكذلك سار إلى السندي فأمره بإطاعة العباس، وأرسل العباس بالفور الشرطة إلى الفضل فأخرجوه من داره وهو يهرول والناس من حوله، فدخل على العباس فأمر بتجريده، ثم ضربه مائة سوط.

وخرج الفضل متغيِّراً، قد انهارت قواه وأعصابه، فجعل يسلِّم على الناس يميناً وشمالاً وهو لا يشعر بذلك.

وكتب مسرور إلى الرشيد بما فعله، فأمره بأخذ الإمام عليه السلام واعتقاله عند السندي بن شاهك، وجلس الرشيد مجلساً حافلاً ضمَّ جمهوراً غفيراً من الناس، فرفع صوته قائلاً:

«أيُّها الناس، إنَّ الفضل بن يحيى قد عصاني، وخالف طاعتي، ورأيت أن ألعنه فالعنوه».

فارتفعت الأصوات من جميع جنبات الحفل باللعن والسباب والشتم على الفضل حتى اهتزَّت الأرض من أصوات اللعن.

وبلغ يحيى بن خالد ذلك فأسرع إلى الرشيد فدخل عليه من غير الباب الذي يدخل منه الناس، حتى جاءه من خلفه فأسره قائلاً:

«يا أمير المؤمنين، إنَّ الفضل حدث، وأنا أكفيك ما تريد».

فسر الرشيد بذلك، وظهر السرور على وجهه، وذهب عن نفسه ما يحمله من الحقد على الفضل، فأراد يحيى أن يستعيد كيان ولده ويرد له كرامته، فقال للرشيد:

«يا أمير المؤمنين، قد غضضت من الفضل بلعنك إيَّاه، فشرفه بإزالة ذلك».

وأقبل هارن بوجهه على الناس، فرفع عقيرته قائلاً:

«إنَّ الفضل قد عصاني في شيء فلعنته، وقد تاب وأناب إلى طاعتي فتولوه».

وارتفعت الأصوات من جميع جنبات الحفل وهي تعلن التأييد الشامل لتلك السياسة المتناقضة وهي ذات لهجة واحدة أعلنها أولئك الناس الذي لا يؤمنون بالقيم ولا بالمثل العليا قائلين:

«يا أمير المؤمنين، نحن أولياء من واليت وأعداء من عاديت، وقد توليناه»[1].

---

(١) مقاتل الطالبيين: ص٥٠٣ ـ ٥٠٤.

نهاية المطاف

محل سجنه:

سجن عليه السلام في المحبس المعروف بدار المسيب الواقع قرب باب الكوفة وفيه كانت وفاته[١] وقال بعض المؤرخين إنَّه حبس في بيت السند وأنَّه كان مع أهله وعياله، ولم نعلم أنَّ دار السندي هل هي دار المسيب أم غيرها؟

التضييق عليه:

وأمر الرشيد جلاده السندي أن يضيِّق على الإمام، وأن يقيّده بثلاثين رطلاً من الحديد، ويقفل الباب في وجهه، ولا يدعه يخرج إلاَّ للوضوء[٢] وامتثل السندي لذلك، فقام بإرهاق الإمام وبذل جميع جهوده للتضييق عليه ووكل بمحافظته بشاراً مولاه، وكان من أشد الناس بغضاً لآل أبي طالب ولكنَّه لم يلبث أن تغيَّر حاله، وثاب إلى طريق الحق وذلك لما رآه من كرامات الإمام عليه السلام ومعاجزه، وقام ببعض الخدمات له[٣].

إنَّ السندي لم يرع حرمة الإمام وتعرَّض لإسائته، فقد حدث أبو الأزهر ابن ناصح البرجحي قال: اجتمعت مع ابن السكيت في مسجد يقع بالقرب من دار السندي، فدارت بيننا مذاكرة في علم العربية، وكان في الجامع رجل لا نعرفه فالتفت إلينا قائلاً:

«يا هؤلاء، أنتم إلى إقامة دينكم أحوج منكم إلى إقامة ألسنتكم».

وأخذ الرجل يدلي علينا بالأدلة الوافرة على ضرورة الإمامة، ثم قال:

ـ ليس بينكم، وبين إمام العصر غير هذا الجدار ـ وأشار إلى جدار السندي.

ـ لعلَّك تعني هذا المحبوس؟.

ـ نعم.

---

(١) البحار: ١١/ ٣٠٠.

(٢) الهداية للحسين بن حمدان.

(٣) البحار: ١١/ ٣٠٥.

يقول أبو الأزهر: فعرفنا الرجل من الشيعة، وأنَّه يذهب إلى الإمامة فقلنا له: قد سترنا عليك، وطلبنا منه أن يذهب عنَّا لئلا نبتلي بسببه، فانبرى الرجل لنا وقال:

«والله لا يفعلون ذلك أبداً، والله ما قلت لكم إلاَّ بأمره، وأنَّه ليرانا ويسمع كلامنا، ولو شاء أن يكون ثالثنا لكان».

يقول أبو الأزهر: وفي أثناء الحديث دخل علينا رجل من باب المسجد تكاد العقول أن تذهب لهيبته ووقاره، فعلمنا أنَّه الإمام موسى بن جعفر عليه السلام فبادرنا قائلاً: أنا ذلك الرجل الذي حدَّثكم عنِّي صاحبي وفي الوقت أقبل السندي ومعه جماعة من شرطته فقال للإمام بغير حياء ولا خجل: «يا ويحك، كم تخرج بسحرك وحيلتك من وراء الأبواب والأغلاق فلو كنت هربت كان أحب إليَّ من وقوفك هاهنا أتريد يا موسى أن يقتلني الخليفة؟».

فقال له الإمام والتأثر بادٍ عليه: «كيف أهرب، وكرامتي ـ أي نيلي الشهادة ـ على أيديكم».

ثم أخذ بيد الإمام وأودعه في السجن[1].

اتصال العلماء به:

واتصل جماعة من العلماء والرواة بالإمام عليه السلام من طريق خفي فانتهلوا من نمير علومه فمنهم موسى بن إبراهيم المروزي، وقد سمح له السندي بذلك لأنَّه كان معلماً لولده.

دخل عليه في غلس اللَّيل أبو يوسف ومحمد بن الحسن وقد أرادا اختباره في بعض المسائل المهمة ليطلعا على مدى علمه ولما استقر بهما المجلس جاء إلى الإمام بعض الموظفين في السجن فقال له: إنَّ نوبتي قد فرغت وأريد الانصراف، فإن كانت لك حاجة فامرني أن أتيك بها غداً، فقال عليه السلام: ليس لي حاجة انصرف، فلما انصرف، التفت عليه السلام إلى أبي يوسف وصاحبه فقال لهما: «إنِّي لأعجب من هذا الرجل يسألني أن أكلفه حاجة يأتيني بها غداً إذا جاء وهو ميت في هذه الليلة».

فأمسكا عن سؤاله، وقاما، وقد استولى عليهما الذهول وجعل كل واحد منهما يقول لصاحبه: أردنا أن نسأله عن الفرض، والسُّنَّة، فأخذ يتكلَّم معنا في علم الغيب!! والله لنرسلن خلف الرجل من يبيت على باب داره لينظر ماذا يكون من أمره؟ وأرسلا في

---

(١) البحار: ١١/ ٣٠٤.

الوقت شخصاً فجلس على باب دار الرجل يراقبه فلما استقر في مكانه سمع الصراخ والعويل قد علا من الدار، فسأل عن الحادث فأخبر بأنَّ الرجل قد توفي، فقام مبادراً وأخبرهما بالأمر، فتعجبا من علم الإمام عليه السلام وقد روى هذه القصة الكثيرون من رواة الأثر[١].

تعيينه لولي عهده:

ونصب الإمام عليه السلام من بعده ولده الإمام الرِّضا عليه السلام فجعله علماً لشيعته، ومرجعاً لأُمَّة جده، فقد حدث الحسين بن المختار قال: لما كان الإمام موسى عليه السلام في السجن خرجت لنا ألواح من عنده وقد كتب فيها: «عهدي إلى أكبر ولدي»[٢].

لقد عيَّن ولده الرِّضا من بعده وذلك قبل أن يعتقله الطاغية هارون، وقلَّده منصب الإمامة ودلَّ عليه الخواصّ من شيعته.

وصيته:

وأوصى الإمام عليه السلام ولده الإمام الرِّضا عليه السلام وعهد إليه بالأمر من بعده وقد أوصاه بوصيتين، وهما يتضمنان ولايته على صدقاته، ونيابته عنه في شؤونه الخاصة والعامة، وقد أشهد عليهما جماعة من المؤمنين، أما الوصية الأولى فلم أعثر عليها، وأما الثانية فقد ذكرها جماعة من الأعلام، وقبل أن يدلي بها ويسجلها أمر بإحضار الشهود وهم كل من إبراهيم بن محمد الجعفري وإسحاق بن محمد الجعفري، وإسحاق بن جعفر بن محمد، وجعفر بن صالح، ومحمد الجعفري، ويحيى بن الحسين بن زيد، وسعد بن عمران الأنصاري، ومحمد بن الحارث الأنصاري، ويزيد بن سليط الأنصاري، ومحمد بن جعفر بن سعد الأسلمي ـ وهو كاتب وصيته الأولى ـ فلما حضر هؤلاء شرع عليه السلام بذكر وصيته، وهذا نصها:

«إنَّ موسى يشهد أن لا إلّه إلاَّ الله وحده لا شريك له، وأنَّ محمَّداً عبده ورسوله، وأنَّ الساعة آتية لا ريب فيها، وأنَّ الله يبعث من في القبور وأنَّ البعث من بعد الموت حق، وأنَّ الوعد حق، وأنَّ الحساب حق، والقضاء حق، وأنَّ الوقوف بين يدي الله حق، وأنَّ ما جاء به محمَّد ﷺ حق، وأنَّ ما أنزل به الروح الأمين حق، على ذلك أحيى وعليه أموت، وعليه أبعث إن شاء الله، وأشهدهم أنَّ هذه وصيتي بخطِّي، وقد

(١) نور الأبصار: ص١٢٦ ـ ١٢٧.
(٢) البحار، أُصول الكافي، عيون الأخبار.

نسخت وصية جدي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ووصية محمد بن علي قبل ذلك نسختها حرفاً بحرف، ووصية جعفر بن محمد، على مثل ذلك، وإنّي قد أوصيت بها إلى علي وبني بعده معه إن شاء وآنس منهم رشداً، وأحب أن يقرهم فذاك له، ولا أمر لهم معه، وأوصيت إليه بصدقاتي وأموالي وموالي وصبياني الذين خلفت وولدي إلى إبراهيم والعباس وقاسم وإسماعيل وأحمد وأُمّ أحمد، وإلى علي أمر نسائي دونهم وثلث صدقة أبي وثلثي يضعه حيث يرى، ويجعل فيه ما يجعل ذو المال في ماله، فإن أحب أن يبيع أو يهب أو ينحل أو يتصدق بها على من سميت له وعلى غير من سميت فذاك له، وهو أنا في وصيتي في مالي، وفي أهلي وولدي وإن يرى أن يقر إخوته الذين سميتهم في كتابي هذا أقرهم، وإن كره فله أن يخرجهم غير مثرب عليه[1] ولا مردود، فإن آنس منهم غير الذي فارقتهم عليه فأحب أن يردهم في ولاية فذاك له، وإن أراد رجل منهم أن يزوج أخته فليس له أن يزوجها إلاّ بإذنه وأمره فإنّه أعرف بمناكح قومه، وأي سلطان أو أحد من الناس كفه عن شيء أو حال بينه وبين شيء ممّا ذكرت فهو من الله ومن رسوله بريء، والله ورسوله منه براء، وعليه لعنة الله وغضبه ولعنة اللاعنين والملائكة المقرَّبين والنَّبيِّين والمرسلين وجماعة المؤمنين، وليس لأحد من السلاطين أن يكفه عن شيء، وليس لي عنده تبعة، ولا تباعة، ولا لأحد من ولدي وله قبلي مال، فهو مصدق فيما ذكر، فإن أقل فهو أعلم وإن أكثر فهو الصادق كذلك، وإنّما أردت بإدخال الذين أدخلتهم معه من ولدي التنويه بأسمائهم، والتشريف لهم، وأُمّهات أولادي من أقامت منهن في منزلها وحجابها فلها ما كان يجري عليها في حياتي، إن رأى ذلك ومن خرجت منهن إلى زوج فليس لها أن ترجع إلى محواي[2] إلاّ أن يرى علي غير ذلك، وبناتي بمثل ذلك، ولا يزوج بناتي أحد من إخوتهن من أُمّهاتهن، ولا سلطان ولا عم إلاّ برأيه ومشورته، فإن فعلوا غير ذلك فقد خالفوا الله ورسوله، وجاهده في ملكه، وهو أعرف بمناكح قومه، فإن أراد أن يزوج زوج وإن أراد أن يترك ترك، وقد أوصيتهن بما ذكرت في كتابي هذا، وجعلت الله عزَّ وجلَّ عليهن شهيداً، وهو وأُمّ أحمد شاهدان وليس لأحد أن يكشف وصيتي، ولا ينشرها، وهو منها على غير ما ذكرت وسميت، فمن أساء فعليه، ومن أحسن فلنفسه، وما ربّك بظلام للعبيد، وصلّى الله على محمد وعلى آله، وليس لأحد من سلطان ولا غيره أن يفض كتابي هذا الذي ختمت عليه

---

(١) مثرب: مأخوذ من التثريب وهو التوبيخ والتعيير.

(٢) المحوى: اسم المكان الذي يحوي الشيء أي يضمه ويجمعه.

الأسفل، فمن فعل ذلك فعليه لعنة الله وغضبه ولعنة اللاعنين، والملائكة المقربين، وجماعة المرسلين والمؤمنين، وعلى من فضّ كتابي هذا»[١].

أوقافه وصدقاته:

وتصدَّق الإمام عليه السلام ببعض أراضيه على أولاده وسجل ذلك في وثيقة وألزم أبناءه بتنفيذ مضامينها والعمل على وفقها، وهذا نصها، كتب عليه السلام بعد البسملة:

هذا ما تصدَّق به موسى بن جعفر تصدَّق بأرضه مكان كذا وكذا ـ وقد عيَّن ذلك ـ كلها نخلها وأرضها وماءها وأرجاءها وحقوقها وشربها من الماء وكل حق هو لها في مرفع[٢] أو مطهر[٣] أو عيص[٤] أو مرفق أو ساحة أو مسيل أو عامر أو غامر[٥] تصدق بجميع حقه من ذلك على ولده من صلبه الرجال والنساء يقسم واليها ما أخرج الله عزَّ وجلَّ من غلتها بعد الذي يكفيها من عمارتها ومرافقها وبعد ثلاثين عذقاً يقسم في مساكين أهل القرية، بين ولد موسى بن جعفر للذكر مثل حظِّ الأنثيين فإن تزوجت امرأة من ولد موسى بن جعفر فلا حق لها في هذه الصدقة حتى ترجع إليها بغير زوج، فإن رجعت كان لها مثل حظّ التي لم تتزوج من بنات موسى، ومن توفي من ولد موسى وله ولد فولده على سهم أبيهم للذكر مثل حظّ الأنثيين على مثل ما شرط موسى بين ولده من صلبه ومن توفي من ولد موسى ولم يترك ولداً ردَّ حقه على أهل الصدقة وليس لولد بناتي في صدقتي هذه حق إلاَّ أن يكون آباؤهم من ولدي وليس لأحد في صدقتي حق مع ولدي وولد ولدي وأعقابهم ما بقي منهم أحد، فإن انقرضوا ولم يبق منهم أحد فصدقتي على ولد أبي من أُمِّي ما بقي منهم أحد، ما شرطت بين ولدي وعقبي، فإن انقرض ولدي أبي من أُمِّي وأولادهم فصدقتي على ولد أبي وأعقابهم ما بقي منهم أحد فإن لم يبق منهم أحد فصدقتي على الأولى فالأولى حتى يرث الله الذي يرثها وهو خير الوارثين.

تصدَّق موسى بن جعفر بصدقته هذه وهو صحيح، صدقة حبيساً بتاً يتلالا مثنوية فيها[٦] ولا رداً أبداً ابتغاء وجه الله تعالى والدار الآخرة، ولا يحلُّ لمؤمن يؤمن بالله

---

(١) أُصول الكافي: ١/٣١٦ ـ ٣١٧، عيون أخبار الرِّضا، البحار.
(٢) المرفع: المكان المرتفع.
(٣) المطهر: المصعد.
(٤) العيص: بالكسر الشجر الكثير.
(٥) الغامر: الخراب.
(٦) لا مثنوية فيها: أي لا استثناء.

واليوم الآخر أن يبيعها أو يبتاعها أو ينحلها، أو يغير شيئاً ممَّا وضعتها عليه حتى يرث الله الأرض ومن عليها، وجعل صدقته هذه إلى علي وإبراهيم فإن انقرض أحدهما دخل القسم مع الباقي في مكانه فإن انقرض أحدهما دخل إسماعيل مع الباقي منهما، فإن انقرض أحدهما دخل العباس مع الباقي منهما، فإن انقرض أحدهما الأكبر من ولدي يقوم مقامه فإن لم يبق من ولدي إلاَّ واحد فهو الذي يقوم به..»[1].

ترفعه من المطالبة بإطلاقه:

وبعدما مكث الإمام عليه السلام زماناً طويلاً في سجن هارون تكلَّم معه جماعة من خواص شيعته فطلبوا منه أن يتكلَّم مع بعض الشخصيات المقربة عند الرشيد ليتوسط في إطلاق سراحه، فامتنع عليه السلام عن ذلك وقال لهم:

«حدَّثني أبي عن آبائه أنَّ الله عزَّ وجلَّ أوحى إلى داود، يا داود إنَّه من اعتصم عبد من عبادي بأحد من خلقي دوني، وعرفت ذلك منه إلاَّ قطعت عنه أسباب السماء، وأسخت الأرض من تحته»[2].

كتابه لهارون:

وأرسل الإمام عليه السلام وهو في السجن رسالة لهارون أعرب فيها عن سخطه البالغ عليه، وهذا نصها:

«إنَّه لن ينقضي عنِّي يوم من البلاء حتى ينقضي عنك يوم من الرخاء، حتى نفنى جميعاً إلى يوم ليس له انقضاء، وهناك يخسر المبطلون»[3].

إرسال جارية له:

وأنفذ هارون إلى الإمام عليه السلام جارية وضاءة بارعة في الجمال والحسن أرسلها بيد أحد خواصه لتتولى خدمة الإمام ظاناً أنَّه سيفتتن بها، فلما وصلت إليه قال عليه السلام لمبعوث هارون:

«قل لهارون: بل أنتم بهديتكم تفرحون، لا حاجة لي في هذه ولا في أمثالها».

فرجع الرسول ومعه الجارية وأبلغ هارون قول الإمام فالتاع غضباً وقال له:

---

(١) البحار: ١١/٢١٥ ـ ٢١٦.

(٢) تأريخ اليعقوبي: ٣/١٢٥.

(٣) البداية والنهاية: ١٠/١٨٣، تأريخ بغداد.

«ارجع إليه، وقل له: ليس برضاك حبسناك ولا برضاك أخدمناك واترك الجارية عنده، وانصرف».

فرجع ذلك الشخص وترك الجارية عند الإمام وأبلغه بمقالته، وأنفذ هارون خادماً له إلى السجن ليتفحص عن حال الجارية، فلما انتهى إليها رآها ساجدة لربِّها لا ترفع رأسها وهي تقول في سجودها «قدُّوس، قدُّوس» فمضى الخادم مسرعاً فأخبره بحالها فقال هارون:

«سحرها والله موسى بن جعفر عليَّ بها!!».

فجيء بها إليه، وهي ترتعد قد شخصت ببصرها نحو السماء وهي تذكر الله وتمجِّده، فقال لها هارون:

ـ ما شأنك؟

ـ شأني الشأن البديع، إنِّي كنت عنده واقفة، وهو قائم يصلِّي ليله ونهاره، فلما انصرف من صلاته قلت له: هل لك حاجة أعطيكها؟

فقال الإمام: وما حاجتي إليك؟

ـ قلت: إنِّي أدخلت عليك لحوائجك.

قال الإمام: فما بال هؤلاء ـ وأشار بيده إلى جهة ـ فالتفت، فإذا روضة مزهرة لا أبلغ آخرها من أولها بنظري، ولا أولها من آخرها، فيها مجالس مفروشة بالوشي والديباج، وعليها وصائف ووصايف لم أر مثل وجوههم حسناً، ولا مثل لباسهم لباساً، عليهم الحرير الأخضر، والأكاليل والدر والياقوت، وفي أيديهم الأباريق والمناديل، ومن كل الطعام فخررت ساجدة حتى أقامني هذا الخادم فرأيت نفسي حيث كنت، فقال لها هارون، وقد أترعت نفسه بالحقد.

ـ يا خبيثة لعلَّك سجدت، فنمت فرأيت هذا في منامك.

ـ لا والله يا سيِّدي، رأيت هذا قبل سجودي، فسجدت من أجل ذلك.

فالتفت الرشيد إلى خادمه، وأمره باعتقال الجارية، وإخفاء الحادث لئلا يسمعه أحد من الناس فأخذها الخادم، واعتقلها عنده، فأقبلت على العبادة والصلاة، فإذا سئلت عن ذلك قالت: هكذا رأيت العبد الصالح، وقالت إنِّي لما عاينت من الأمر

نادتني الجواري يا فلانة، ابعدي عن العبد الصالح حتى ندخل عليه فنحن له دونك، وبقيت عاكفة على العبادة حتى لحقت بالرفيق الأعلى[١].

فشل اغتياله:

ولما انتشرت مناقب الإمام عليه السلام، وفضائله، وتحدث الناس عن علمه وحلمه، وصبره وبلواه، ضاق هارون من ذلك فعزم على قتله فدعا برطب فأكل منه، ثم أخذ إناءاً فوضع فيه عشرين رطبة، وأخذ سلكاً فعركه في السم، وأدخله في سم الخياط، وأخذ رطبة من ذلك الرطب فوضع فيها ذلك السلك وأخرجه منها حتى تكللت بالسم، ووضعها في ذلك الرطب، وقال لخادمه: احمله إلى موسى بن جعفر، وقل له: إنَّ أمير المؤمنين أكل من هذا الرطب، وهو يقسم عليك بحقِّه لما أكلته عن آخره، فإنِّي اخترتها لك بيدي، ولا تتركه يبقي منه شيئاً، ولا يطعم منه أحداً، فحمل الخادم الرطب وجاء به إلى الإمام، وأبلغه برسالة هارون فأمره عليه السلام أن يأتيه بخلال، فجاء به إليه، وقام بإزائه، فأخذ الإمام يأكل من الرطب، وكانت للرشيد كلبة عزيزة عنده، فجذبت نفسها وخرجت تجر بسلاسلها الذهبية حتى حاذت الإمام فبادر عليه السلام بالخلال إلى الرطبة المسمومة ورمى بها إلى الكلبة فأكلتها فلم تلبث أن ضربت بنفسها الأرض وماتت، واستوفى الإمام باقي الرطب وحمل الغلام الإناء إلى الرشيد، فلما رآه بادره قائلاً:

- قد أكل الرطب عن آخره؟

- نعم يا أمير المؤمنين.

- كيف رأيته؟

- ما أنكرت منه شيئاً، ثم قصص عليه حديث الكلبة وموتها فاضطرب الرشيد وقام بنفسه فأشرف عليها فرآها وقد تهرتت وتقطَّعت من السم فوقف مذهولاً قد مشت الرعدة بأوصاله وقال:

«ما ربحنا من موسى إلاَّ أن أطعمناه جيد الرطب وضيعنا سمّنا وقتلنا كلبتنا ما في موسى حيلة»[٢].

---

(١) المناقب: ٢/٢٦٣ ـ ٢٦٤.

(٢) البحار: ١١/٢٩٩.

الإمام ينعى نفسه:

ولما علم الإمام موسى عليه السلام أنَّ لقاءه بربّه لقريب نعى نفسه لبعض شيعته، وعزاهم بمصيبته، وأوصاهم بالتمسك بالعروة الوثقى من آل محمد صلى الله عليه وآله، وذلك في جوابه عن المسائل التي بعثها علي بن سويد فقد حدث أنَّه بعث له حينما كان في السجن ببعض المسائل يسأله عنها، فتأخر الجواب عنه أشهراً، وبعد ذلك أجابه بهذا الجواب، وقد جاء فيه بعد البسملة ما نصه:

«الحمد لله العلي العظيم الذي بعظمته ونوره أبصر قلوب المؤمنين وبعظمته ونوره عاداه الجاهلون، وبعظمته ونوره ابتغى من في السماوات والأرض إليه الوسيلة بالأعمال المختلفة والأديان المتضادة، فمصيب ومخطىء وضال ومهتدي، وسميع وأصم، وبصير وأعمى، حيران فالحمد لله الذي عرف ووصف دينه محمد صلى الله عليه وآله.

أما بعد: فإنَّك امرؤ أنزلك الله من آل محمد بمنزلة خاصة، وحفظ مودَّة ما استرعاك من دينه، وما ألهمك من رشدك، وبصرك من أمر دينك بتفضيلك إيَّاهم وبردك الأمور إليهم، كتبت إليَّ تسألني عن أمور كنت منها في تقية ومن كتمانها في سعة فلما انقضى سلطان الجبابرة وجاء سلطان ذي السلطان العظيم بفراق الدُّنيا المذمومة إلى أهلها العتاة على خالقهم رأيت أن أفسِّر لك ما سألتني عنه مخافة أن تدخل الحيرة على ضعاف شيعتنا من قبل جهالهم، فاتق الله عزَّ ذكره، وخصّ بذلك الأمر أهله واحذر أن تكون سبب بلية على الأوصياء أو حارشاً عليهم[1] بإفشاء ما استودعتك، وإظهار ما استكتمتك وان تفعل إن شاء الله.

إنَّ أوَّل ما أنهى إليك أنِّي أنعى إليك نفسي في ليالي هذه غير جازع ولا نادم ولا شاك فيما هو كائن ممَّا قد قضى الله عزَّ وجلَّ وختم، فاستمسك بعروة الدِّين، آل محمَّد والعروة الوثقى الوصي بعد الوصي، والمسالمة لهم والرِّضا بما قالوا: ولا تلتمس دين من ليس من شيعتك، ولا تحبن دينهم فإنَّهم الخائنون الذين خانوا الله ورسوله وخانوا أمانتهم، أوتدري ما خانوا أمانتهم؟ أئتمنوا على كتاب الله فحرفوه وبدلوه ودلوا على ولاة الأمر منهم فانصرفوا عنهم فأذاقهم الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون، وسألت عن رجلين اغتصبا رجلاً مالاً كان ينفقه على الفقراء والمساكين وأبناء السبيل وفي سبيل الله فلما اغتصباه ذلك لم يرضيا حيث غصباه حتى حملاه إيَّاه كرهاً فوق رقبته

(١) التحريش: هو إغراء بعض القوم ببعض.

إلى منازلهما فلما أحرزاه توليا إنفاقه أيبلغان بذلك كفراً؟ فلعمري لقد نافقا قبل ذلك وردا على الله عزَّ وجلَّ كلامه وهزئا برسوله ﷺ وهما الكافران عليهما لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، والله ما دخل قلب أحد منهما شيء من الإيمان منذ خروجهما من حالتيهما، وما زادا إلاَّ شكاً، كانا خداعين مرتابين منافقين حتى توفتهما ملائكة العذاب إلى محل الخزي في دار المقام.

وسألت عمَّن حضر ذلك الرجل وهو يغصب ماله ويوضع على رقبته منهم عارف ومنكر فأولئك أهل الردة الأولى من هذه الأُمَّة فعليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

وسألت عن مبلغ علمنا، وهو على ثلاثة وجوه ماض وغابر وحادث فأما الماضي فمفسّر وأما الغابر فمزبور[1] وأما الحادث فقذف في القلوب ونقر في الأسماع وهو أفضل علمنا، ولا نبي بعد نبينا محمَّد ﷺ وسألت عن أُمَّهات أولادهم وعن نكحهم وعن طلاقهم، فأمَّا أُمَّهات أولادهم فهن عواهر إلى يوم القيامة نكاح بغير ولي وطلاق في غير عدة، وأما من دخل في دعوتنا فقد هدم إيمانه ضلاله ويقينه شكّه، وسألت عن الزكاة فيهم فما كان من الزكاة فأنتم أحق به لأنَّا قد أحللنا ذلك لكم من كان منكم وأين كان.

وسألت عن الضعفاء فالضعيف من لم يرفع إليه حجَّة، ولم يعرف الاختلاف، فإذا عرف الاختلاف فليس بضعيف، وسألت عن الشهادة لهم، فاقم الشهادة لله عزَّ وجلَّ ولو على نفسك والوالدين والأقربين فيما بينك وبينهم فإن خفت على أخيك ضيماً فلا وادع إلى شرائط الله عزَّ ذكره من رجوت إجابته ولا تحصن بحصن رياء[2].

ووال آل محمَّد ولا تقل لما بلغك عنَّا ونسب إلينا هذا باطلاً وإن كنت تعرف منَّا خلافه فإنَّك لا تدري لما قلناه وعلى أي وجه وضعناه، آمن بما أخبرك، ولا تفش بما استكتمناك من خبرك، إنَّ من واجب حق أخيك أن لا تكتمه شيئاً تنفعه به لأمر دُنياه وآخرته ولا تحقد عليه وإن أساء وأجب دعوته إذا دعاك ولا تخل بينه وبين عدوه من الناس وإن كان أقرب إليه منك وعده في مرضه، ليس من أخلاق المؤمن الغش ولا الأذى، ولا الخيانة ولا الكبر ولا الخنا ولا الفحش ولا الأمر به، فإذا رأيت المشوه الأعرابي في جحفل جرار فانتظر فرجك ولشيعتك المؤمنين، وإذا انكسفت الشمس فارفع

---

(١) في بعض النسخ: فمرموز.

(٢) في بعض النسخ: «ولا تحضر حصن زنا».

بصرك إلى السماء وانظر ما فعل الله بالمجرمين، فقد فسَّرت لك جملاً مجملاً، وصلَّى الله على محمَّد وآله الأخيار..»(١).

اغتياله:

لقد عانى الإمام أقسى ألوان الخطوب والتنكيل، فتكبيل بالقيود، وتضييق شديد، وأذى مرهق، وبعدما صبَّ عليه الرشيد جميع النكبات الموجعة دسَّ إليه سمّاً فاتكاً، فقضى عليه، ومضى لربِّه شهيداً سعيداً.

الأقوال في سمِّه:

واتفق أكثر المؤرخين أنَّ الإمام لم يمت حتف أنفه، وإنَّما توفي مسموماً، وأنَّ الرشيد هو الذي أوعز في سمّه واغتياله.

ونصَّت بعض المصادر أنَّ الفضل بن يحيى هو الذي سمَّ الإمام وذلك حينما نقل إلى سجنه فكان الفضل بن الربيع يبعث له في كل يوم مائدة من الطعام، وفي اليوم الرابع قدَّم له الفضل بن يحيى مائدة، فرفع الإمام عليه السلام يده إلى السماء وقال: يا رب، إنَّك تعلم أنِّي لو أكلت قبل اليوم كنت قد أعنت على نفسي، ثم أكل الإمام من تلك المائدة، فمرض منها، فلما كان اليوم الثاني ألمَّ به المرض، فجيء له بطبيب ليسأله عن علته، فقال له:

«ما حالك؟».

فتغافل الإمام عن إجابته، فألحَّ عليه الطبيب بالسؤال، فأخرج له الإمام راحته ثم قال له:

«هذه علتي».

وكانت يده الشريفة قد اخضر وسط راحتها من السم، فلما رآها الطبيب انصرف وقال لهم:

«والله لهو أعلم بما فعلتم به منكم»(٢).

وهذه الرواية لا يمكن المساعدة عليها، وذلك لما عرف به الفضل من الميل

---

(١) روضة الكافي: ص١٢٤ ـ ١٢٦.
(٢) عيون أخبار الرِّضا.

للعلويين، وأنَّه قد رفه على الإمام حينما كان في سجنه، فاستحق بذلك التنكيل والجلد والتشهير من قبل الرشيد ومع هذا فكيف يتصور إقدامه على اغتيال الإمام وقتله.

وذهب أكثر المؤرخين والمترجمين للإمام إلى أنَّ الرشيد أوعز إلى السندي بن شاهك الوغد الأثيم في قتل الإمام، فاستجابت نفسه الخبيثة لذلك، وأقدم على تنفيذ أفظع جريمة في الإسلام فاغتال سبط النبي صلى الله عليه وآله وأزكى ذات خلقت في دُنيا الوجود بعد آبائه الطيبين، فعلى السندي لعنة اللاعنين وله الخزي والعذاب الأليم.

كيفية سمّه:

والمشهور أنَّ الرشيد عمد إلى رطب فوضع فيه سماً فاتكاً وأمر السندي أن يقدِّمه إلى الإمام ويحتم عليه أن يتناول منه[1].

وقيل: إنَّ الرشيد أوعز إلى السندي في ذلك، فأخذ رطباً ووضع فيه السم وقدَّمه للإمام فأكل منه عشر رطبات، فقال له السندي:

«زد على ذلك».

فرمقه الإمام بطرفه وقال له:

«حسبك، قد بلغت ما تحتاج إليه»[2].

اضطراب السندي:

ولما أقدم السندي على ارتكاب الجريمة الخطيرة، اضطرب اضطراباً شديداً، وخاف خوفاً بالغاً من المسؤولية أمام الشيعة والعلويين، فاستدعى الشخصيات والوجوه إلى قاعة السجن، وكانوا ثمانين شخصاً ـ كما حدث بذلك بعض شيوخ العامة ـ يقول: أحضرنا السندي، فلما حضرنا، انبرى إلينا فقال:

«انظروا إلى هذا الرجل هل حدث به حدث؟ فإنَّ الناس يزعمون أنَّه قد فعل به مكروه، ويكثرون من ذلك، وهذا منزله وفراشه موسع عليه غير مضيق، ولم يرد به أمير المؤمنين ـ يعني هارون ـ سوءاً وإنَّما ينتظره أن يقدم فيناظره، وها هو ذا موسع عليه في جميع أموره فاسألوه».

---

(١) الدمعة الساكبة نقلاً عن عيون الأخبار.

(٢) البحار.

يقول ذلك الشيخ: ولم يكن لنا هم سوى مشاهدة الإمام ومقابلته فلما دنونا منه لم نر مثله قط في فضله ونسكه فانبرى إلينا وقال لنا:

«أما ما ذكر من التوسعة، وما أشبه ذلك، فهو على ما ذكر، غير أنّي أخبركم أيُّها النفر أنّي قد سقيت السم في تسع تمرات، وأنّي أصفر غداً وبعد غد أموت».

ولما سمع السندي ذلك انهارت قواه، ومشت الرعدة بأوصاله واضطرب مثل السعفة التي تلعب بها الرياح العاصفة[1] فقد أفسد عليه الإمام ما رامه من الحصول على البراءة من المسؤولية في قتله.

وروي أنَّه على أثر ذلك أمر بالإمام عليه السلام فلفَّ في بساط وأجلس الفراشين عليه حتى فارق الحياة.

إلى الرفيق الأعلى:

وسرى السم في جميع أجزاء البدن الإمام عليه السلام فأخذ يعاني أشد الآلام والأوجاع، وقد علم عليه السلام أنَّ لقاءه بربّه لقريب فاستدعى السندي، فلما مثل عنده أمره أن يحضر مولى له ينزل عند دار العباس بن محمد في مشرعة القصب ليتولى غسله، وسأله السندي أن يأذن له في تكفينه، فأبى عليه السلام وقال: إنَّا أهل بيت مهور نسائنا وحجَّ صرورتنا وأكفان موتانا من طاهر أموالنا، وعندي كفني[2] وأحضر له السندي مولاه، وثقل حال الإمام، وأشرف على النهاية المحتومة، فأخذ يعاني آلام الموت، فاستدعى المسيب بن زهرة فقال له:

«إنِّي على ما عرفتك من الرحيل إلى الله عزَّ وجلَّ فإذا دعوت بشربة من ماء فشربتها ورأيتني قد انتفخت، واصفر لوني واحمر واخضر وتلون ألواناً فأخبر الطاغية بوفاتي».

قال المسيب: فلم أزل أراقب وعده حتى دعا عليه السلام بشربة فشربها، ثم استدعاني، فقال لي:

«يا مسيب، إنَّ هذا الرجس السندي بن شاهك سيزعم أنَّه يتولى غسلي ودفني، وهيهات هيهات أن يكون ذلك أبداً، فإذا حملت إلى المقبرة المعروفة بمقابر قريش فألحدوني بها، ولا ترفعوا قبري فوق أربعة أصابع مفرجات، ولا تأخذوا من تربتي شيئاً

---

(١) روضة الواعظين: ص١٨٥ ـ ١٨٦.

(٢) مقاتل الطالبيين: ص٥٠٤.

لتتبركوا به، فإنَّ كل تربة لنا محرمة إلاَّ تربة جدي الحسين بن علي عليهما السلام فإنَّ الله عزَّ وجلَّ جعلها شفاءاً لشيعتنا وأوليائنا».

قال المسيب: ثم رأيت شخصاً أشبه الأشخاص به جالساً إلى جانبه وكان عهدي بسيِّدي الرِّضا عليه السلام وهو غلام، فأردت أن أسأله، فصاح بي سيِّدي موسى، وقال: أليس قد نهيتك، ثم إنَّ ذلك الشخص قد غاب عنِّي، فجئت إلى الإمام وإذا به جثة هامدة قد فارق الحياة فانهيت الخبر إلى الرشيد بوفاته[١].

زمن وفاته:

والمشهور أنَّ وفاة الإمام عليه السلام كانت سنة «١٧٣هـ» لخمس بقين من شهر رجب[٢].

وقيل سنة «١٨١هـ»[٣]، وقيل سنة «١٨٦هـ»[٤].

وكانت وفاته في يوم الجمعة وعمره الشريف كان يوم وفاته أربعاً وخمسين سنة[٥] أو خمساً وخمسين، وكان مقامه منها مع أبيه عشرين سنة وبعد أبيه خمساً وثلاثين سنة[٦].

وضعه على الجسر:

يا لله يا للمسلمين، مثل الإمام موسى عليه السلام سبط النبي، وإمام المسلمين وسيِّد المتقين والعابدين، وعملاق الفكر الإسلامي يلقى على جسر الرصافة وهو ميت ينظر إليه القريب والبعيد وتتفرَّج عليه المارة، قد أحاطت بجثمانه المقدَّس الشرطة، وكشفت وجهه للناس قاصدين بذلك انتهاك حرمته والحط من كرامته، والتشهير به، ولم يرع هارون الرحم الماسة التي بينه وبين الإمام، ولا حرمته وهو ميت، وقد قيل:

واحترام الأموات حتم وإن كا نوا بعاداً فكيف بالقرباء

لقد حاول الرشيد بفعله هذا إذلال الشيعة وإهانتهم، وقد أثر ذلك في نفوسهم أي تأثير، فظلوا يذكرونه في جميع مراحل تأريخهم مقروناً باللوعة والحزن.

---

(١) عيون أخبار الرِّضا.
(٢) ابن خلكان: ٢/ ١٧٣.
(٣) الدروس.
(٤) مروج الذهب: ٣/ ٢٧٣.
(٥) المناقب: ٢/ ٣٨٣.
(٦) الفصول المهمة: ص٢٥٥.

قيام سليمان بتجهيزه:

وانبرى سليمان بن أبي جعفر المنصور فتولى تجهيز الإمام وتشييعه فقد كان قصره مطلاً على نهر دجلة، فسمع الصياح والضوضاء ورأى بغداد قد ماجت واضطربت فهاله ذلك، فالتفت إلى ولده وغلمانه قائلاً:

«ما الخبر؟».

فقالوا له: هذا السندي بن شاهك ينادي على موسى بن جعفر، وأخبروه بذلك النداء القاسي الفظيع.

فثارت عواطفه، وتغيَّر حاله، واستولت عليه موجة من الغيظ، فصاح بولده قائلاً:

انزلوا مع غلمانكم فخذوه من أيديهم، فإن مانعوكم فاضربوهم، وخرقوا ما عليهم من سواد ـ وهو لباس الشرطة والجيش ـ.

وانطلق أبناء سليمان وغلمانه مسرعين إلى الشرطة فأخذوا جثمان الإمام منهم، ولم تبد الشرطة معهم أية معارضة، فسليمان عم الخليفة، وأهم شخصية لامعة في الأسرة العباسية، وأمره مطاع عند الجميع، وحمل الغلمان نعش الإمام فجاؤوا به إلى سليمان، فأمر بالوقت أن ينادي في شوارع بغداد بنداء معاكس لنداء السندي، فانطلق غلمانه رافعين أصواتهم بهذا النداء:

«ألا من أراد أن يحضر جنازة الطيب ابن الطيب موسى بن جعفر فليحضر»[١].

تجهيز الإمام:

وقام سليمان بتجهيز الإمام فغسله، وكفنه، ولفَّه بحبرة قد كتب عليها القرآن الكريم بأسره كلفته ألفين وخمسمائة دينار[٢] وحدث المسيب بن زهرة يقول: والله لقد رأيت القوم بعيني وهم يظنون أنَّهم يغسلونه فلا تصل أيديهم إليه ويظنون أنَّهم يحنطونه ويكفنونه وأراهم أنَّهم لا يصنعون شيئاً، ورأيت ذلك الشخص الذي حضر وفاته ـ وهو الإمام الرِّضا ـ هو الذي يتولى غسله وتحنيطه وتكفينه، وهو يظهر المعاونة لهم، وهم لا يعرفونه فلما فرغ من أمره التفت إليَّ فقال:

«يا مسيب مهما شككت في شيء فلا تشكن فيَّ، فإنِّي إمامك ومولاك وحجَّة الله

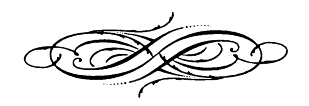
---

(١) البحار، عيون أخبار الرِّضا.

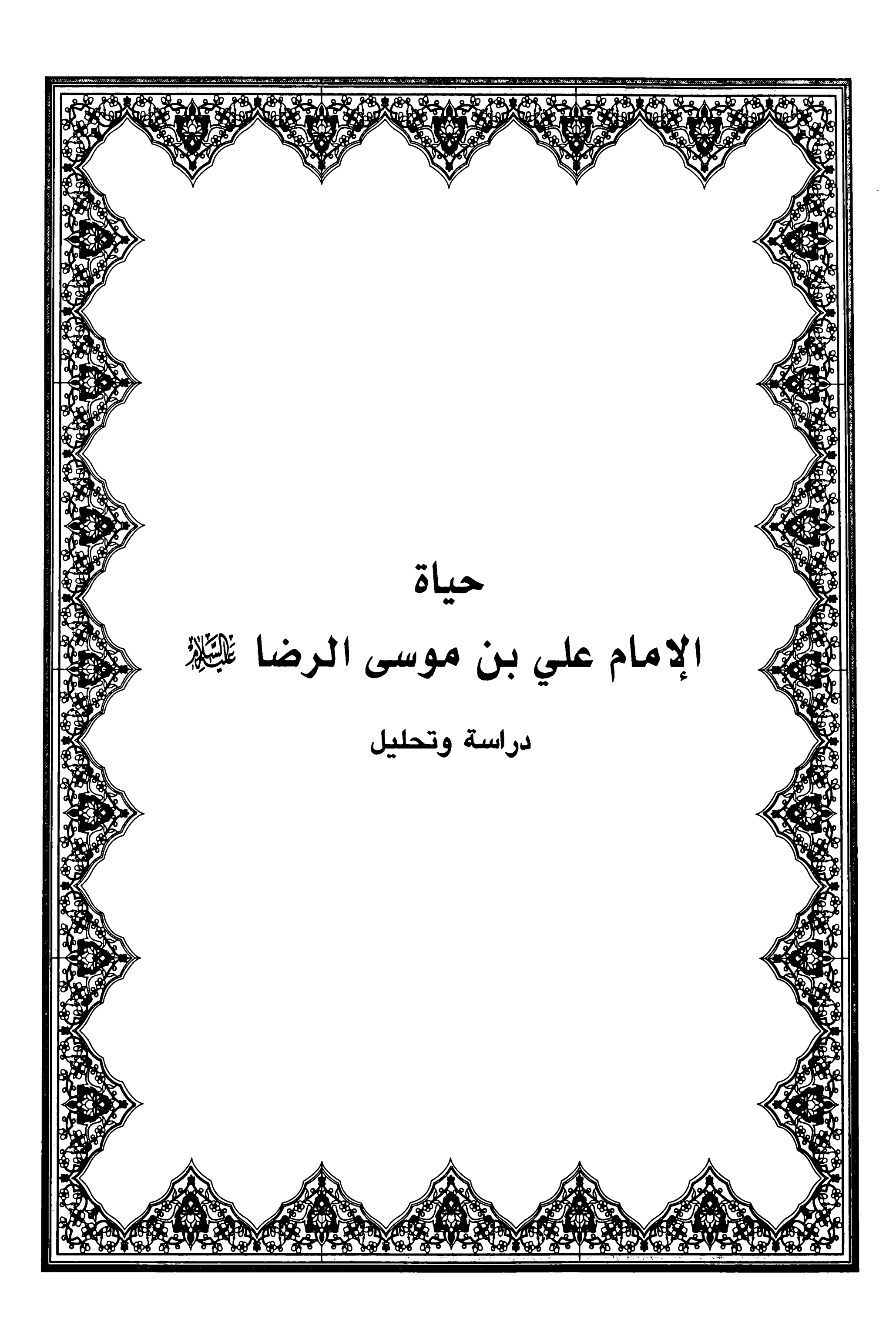
(٢) المناقب: ٢/ ٣٨٧.

عليك بعد أبي، يا مسيب مثلي مثل يوسف الصدّيق ومثلهم مثل إخوته حين دخلوا عليه وهم له منكرون»[١].

لقد عاش الإمام عليه السلام في حياته عيشة المتقين والصالحين، فآثر طاعة الله على كل شيء وعمل جاهداً على رفع كلمة الحق وتحطيم الباطل فلم يجار هارون، ولم يصانعه، بل كان من أقوى الجبهات المعادية له، وقد تحمَّل في سبيل ذلك جميع ضروب الأذى والآلام، حتى لفظ أنفاسه الأخيرة وهو في ظلمات السجون، ففاز بالشهادة، وجعل الله ذكره خالداً وحياته قدوة، ومرقده ملجأ للمنكوبين وملاذاً للمهلوفين كما منَّ عليه فجعله من أئمة أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهَّرهم تطهيراً.



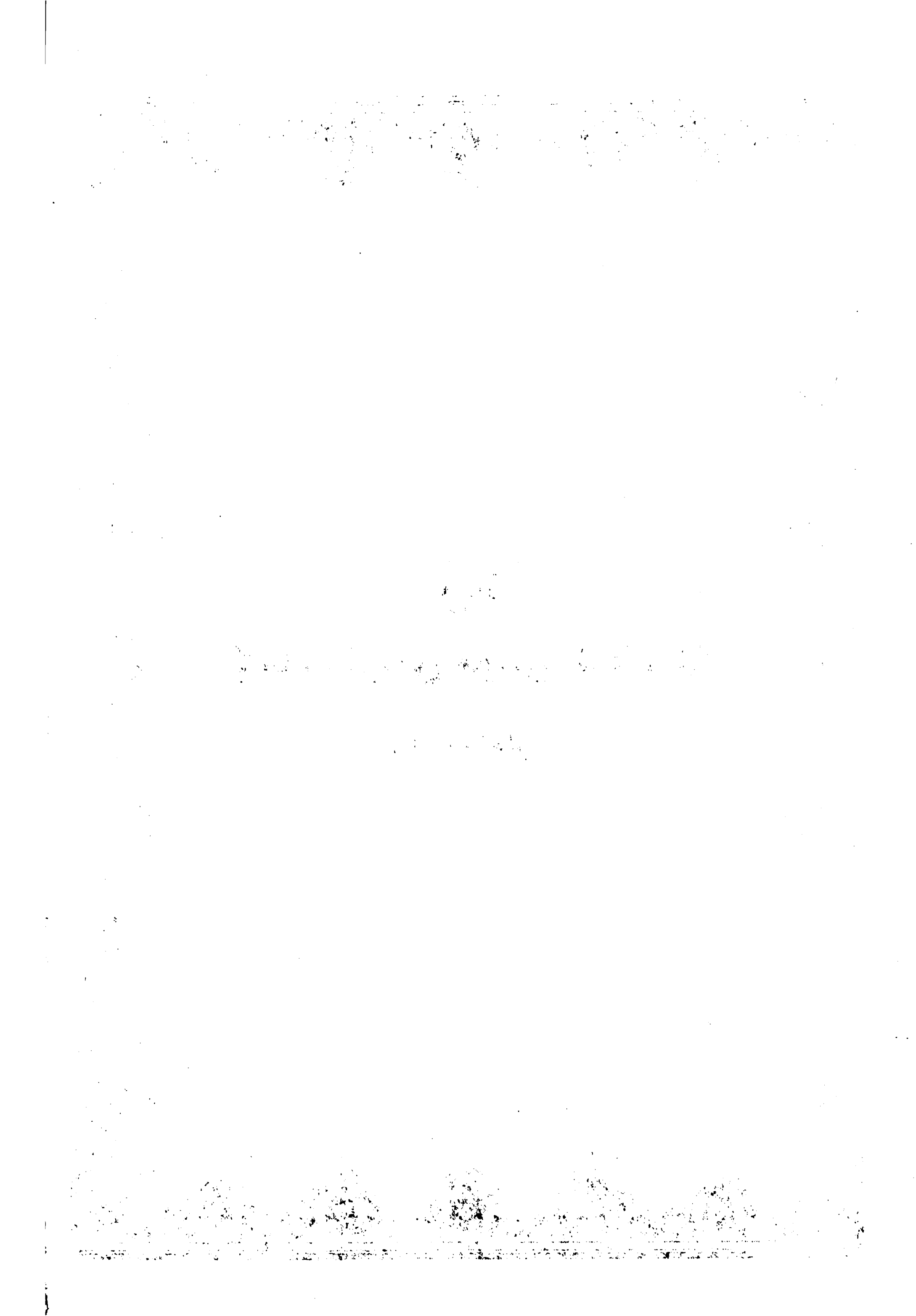
(١) عيون أخبار الرِّضا.



حياة

الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام

دراسة وتحليل



الوليد العظيم

الأب:

أما أبو الإمام الرِّضا فهو الإمام موسى الكاظم عليه السلام.

الأُمّ:

هي من السيِّدات الماجدات في الإسلام، وكانت أمة وهذا لا ينقص مكانتها، لأنَّ الإسلام جعل المقياس في تفاوت الناس بالتقوى والعمل الصالح، ولا أثر لغير ذلك.

ونقل الرواة عدَّة أقوال في كيفية زواج الإمام الكاظم عليه السلام بهذه السيِّدة الماجدة، وهذه بعضها:

١ ـ إنَّها كانت من أشراف العجم، وكانت ملكاً للسيِّدة حميدة أُمّ الإمام موسى عليه السلام.

وهي من أفضل النساء في عقلها، ودينها وإعظامها لمولاتها السيِّدة حميدة حتى أنَّها ما جلست بين يديها من ملكتها إجلالاً، وإعظاماً لها، وقد قالت حميدة لابنها الإمام موسى: يا بني ان تكتم جارية، ما رأيت جارية قط أفضل منها، ولست أشك أنَّ الله تعالى سيظهر نسلها، وقد وهبتها لك فاستوصِ بها خيراً[1].

٢ ـ روى هشام بن أحمد قال: قال: أبو الحسن الأول ـ هو الإمام موسى ـ هل علمت أحداً من أهل المغرب قدم؟ قلت: لا، فقال عليه السلام: بلى قد قدم رجل، فانطلق بنا إليه، فركب وركبنا معه، حتى انتهينا إلى الرجل، فإذا رجل من أهل المغرب معه رقيق. فقال له: اعرض علينا، فعرض علينا تسع جوارٍ، كل ذلك يقول أبو الحسن: لا حاجة لي فيها، ثم قال له: اعرض علينا، فقال: ما عندي شيء، فقال له: بلى اعرض علينا قال: لا والله ما عندي إلاَّ جارية مريضة، فقال له: ما عليك أن تعرضها، فأبى، ثم انصرف عليه السلام ثم أنَّه أرسلني من الغد إليه، فقال لي: قل له: كم غايتك فيها؟ فإذا قال:

(١) عيون أخبار الرِّضا: ١/ ١٤ ـ ١٥.

كذا وكذا ـ يعني من المال ـ فقل: قد أخذتها، فأتيته، فقال له: ما أريد أن أنقصها من كذا ـ وعيَّن مبلغاً خاصاً ـ فقلت: قد أخذتها، وهو لك، فقال: هي لك، ولكن من الرجل الذي كان معك بالأمس؟ فقلت: رجل من بني هاشم فقال: من أي بني هاشم؟ فقلت: من نقبائهم، فقال: أريد أكثر من هذا، فقلت: ما عندي أكثر من هذا.

فقال: أخبرك عن هذه، إنِّي اشتريتها من أقصى المغرب، فلقيتني امرأة من أهل الكتاب، فقالت: من هذه الوصيفة معك؟ فقلت: اشتريتها لنفسي، فقالت: ما ينبغي أن تكون عند مثلك، إنَّ هذه الجارية ينبغي أن تكون عند خير أهل الأرض، فلا تلبث عنده إلاَّ قليلاً حتى تلد منه غلاماً يدين له شرق الأرض وغربها قال: فأتيته بها، فلم تلبث عنده إلاَّ قليلاً حتى ولدت له علياً[1].

٣ ـ روي: أنَّ الإمام الكاظم عليه السلام قال لأصحابه: والله ما اشتريت هذه الجارية إلاَّ بأمر من الله ووحيه، وسئل عن ذلك، فقال: بينما أنا نائم إذ أتاني جدي وأبي، ومعهما قطعة حرير، فنشراها، فإذا قميص فيه صورة هذه الجارية، فقالا: يا موسى ليكونن لك من هذه الجارية خير أهل الأرض بعدك، ثم أمرني أبي إذا ولد لي ولد أن أسميه علياً، وقالا: إنَّ الله عزَّ وجلَّ سيظهر به العدل والرحمة، طوبى لمن صدقه، وويل لمن عاداه وجحده[2].

اسمها:

أما اسم هذه السيِّدة الزكية فقد اختلفت فيه أقوال الرواة، هذه بعضها:

١ ـ تكتم: وذهب كثير من المؤرخين إلى أنَّ اسمها تكتم[3].

٢ ـ الخيزران[4].

٣ ـ أروى[5].

٤ ـ نجمة[6].

٥ ـ أم البنين[7] والظاهر أنَّه كنية لها.

---

(١) عيون أخبار الرِّضا: ١/ ١٧ ـ ١٨.

(٢) عيون أخبار الرِّضا: ١/ ١٥.

(٣) أعيان الشيعة: ٤/ ق٢/ ٨٠.

(٤) تذكرة الخواص: ص٣٦١.

(٥) نور الأبصار: ص١٣٨.

(٦) كشف الغمة: ٣/ ١٠٢.

(٧) الإرشاد: ص٣٤٢.

تقواها:

وكانت هذه السيِّدة الزكية من العابدات، فقد أقبلت على طاعة الله إقبالاً شديداً، فقد تأثرت بسلوك زوجها الإمام الكاظم عليه السلام إمام المتقين والمنيبين إلى الله تعالى.

الوليد العظيم:

وقد استقبل الإمام الكاظم النبأ بهذا المولود المبارك بمزيد من الابتهاج، وسارع إلى السيِّدة زوجته يهنيها بوليدها قائلاً:

«هنيئاً لك يا نجمة كرامة لك من ربّك..».

وأخذ وليده المبارك، وقد لفَّ في خرقة بيضاء، وأجرى عليه المراسم الشرعية، فأذن في أذنه اليمنى، وأقام في اليسرى، ودعا بماء الفرات فحنكه به، ثم ردَّه إلى أُمّه، وقال لها:

«خذيه فإنَّه بقية الله في أرضه..»[١].

ألقابه:

١ ـ الرِّضا:

واختلف المؤرخون والرواة في الشخص الذي أضفى على الإمام عليه السلام هذا اللقب الرفيع، حتى غلُب عليه، وصار اسماً يعرف به، وهذه بعض الأقوال:

أ ـ المأمون:

وذهب فريق من المؤرخين إلى أنَّ المأمون هو الذي منحه هذا اللقب[٢] لأنَّه رضي به، وجعله ولي عهده[٣]، وقد فنَّد الإمام الجواد عليه السلام ذلك أمام جماعة من أصحابه وقال:

«إنَّ الله تبارك وتعالى سمى ما ترضاه، لأنَّه كان رضى لله عزَّ وجلَّ في سمائه، ورضى لرسوله، والأئمة من بعده صلوات الله عليهم...».

فقال له البزنطي:

«ألم يكن كل واحد من آبائك الماضين عليهم السلام رضى لله عزَّ وجلَّ ولرسوله، والأئمة بعده؟».

---

(١) كشف الغمة: ٣/٨٨.
(٢) تأريخ أبي الفداء: ٢/٢٤.
(٣) البحار: ١٢/٤.

«بلى. . .».

«لم سُمّي أبوك من بينهم بالرِّضا؟. . .».

«لأنَّه رضي به المخالفون من أعدائه، كما رضي به الموافقون من أوليائه، ولم يكن ذلك لأحد من آبائه، فلذلك سُمِّي من بينهم بالرِّضا. . .»[1].

ب ـ الإمام موسى:

وذهب بعض الرواة إلى أنَّ الإمام موسى الكاظم عليه السلام هو الذي أضفى على ولده هذا اللقب، فقد روى سليمان بن حفص قال: كان موسى بن جعفر سمَّى ولده علياً الرِّضا، وكان يقول: ادعو لي ولدي الرِّضا، وقلت لولدي الرِّضا، وقال لي ولدي الرِّضا، وإذا خاطبه قال: يا أبا الحسن[2].

وقد علَّل أحمد البزنطي السبب الذي من أجله لقب بالرِّضا قال: «إنَّما سمِّي الرِّضا لأنَّه كان رضى لله تعالى في سمائه، ورضى لرسوله والأئمة بعده في أرضه»[3].

٢ ـ الصابر[4]:

وإنَّما لقب بذلك لأنَّه صبر على المحن والخطوب التي تلقاها من خصومه وأعدائه.

٣ ـ الزكي[5]:

لقد كان الإمام الرِّضا عليه السلام من أزكياء البشر، ومن نبلائهم وأشرافهم.

٤ ـ الوفي[6]:

أما الوفاء فهو عنصر من عناصر الإمام، وذاتي من ذاتياته، فقد كان وفياً لأُمَّته ووطنه.

٥ ـ سراج الله[7]:

لقد كان الإمام سراجاً لله يهدي الضال، ويرشد الحائر.

---

(١) أعلام الورى، البحار: ١٢/٢.
(٢) البحار: ١٢/٣.
(٣) البحار: ١٢/٣.
(٤) جوهرة الكلام في مدح السادة الأعلام: ص١٤٣.
(٥) الصراط السوي: ورقة ١٩٩.
(٦) تذكرة الخواص: ص٣٦١.
(٧) الدر النظيم: ورقة ٢١٠.

٦ ـ قرّة عين المؤمنين[١]:

ومن ألقابه الكريمة أنَّه كان قرَّة عين المؤمنين، فقد كان زيناً وفخراً لهم، وكهفاً وحصناً لهم.

٧ ـ مكيدة الملحدين[٢]:

وإنَّما لُقب بذلك لأنَّه أبطل شبه الملحدين، وفنَّد أوهامهم، وذلك في مناظراته التي أُقيمت في البلد العباسي.

٨ ـ الصدِّيق[٣]:

فقد كان عليه السلام كيوسف الصدِّيق الذي ملك مصر.

فقد تزعم جميع أنحاء العالم الإسلامي، وكانت له الولاية المطلقة عليه.

٩ ـ الفاضل[٤]:

وهو أفضل إنسان، وأكملهم في عصره، ولهذه الظاهرة لقب بالفاضل.

كنيته:

وقد كُني الإمام الرِّضا عليه السلام بما يلي:

١ ـ أبو الحسن:

كناه بذلك أبوه الإمام موسى الكاظم عليه السلام[٥] فقد قال عليه السلام لعلي بن يقطين: يا علي هذا ابني ـ وأشار إلى الإمام الرِّضا ـ سيِّد ولدي، وقد نحلته كنيتي[٦].

٢ ـ أبو بكر:

وهذه الكنية نادرة، ولم يعرف بها إلاَّ نادراً فقد روى أبو الصلت الهروي قال:

---

(١) الدر النظيم: ورقة ٢١٠.
(٢) بحار الأنوار: ١٢/ ٤.
(٣) بحار الأنوار: ١٢/ ٤.
(٤) بحار الأنوار: ١٢/ ٤.
(٥) بحار الأنوار: ١٢/ ٣.
(٦) بحار الأنوار.

سألني المأمون يوماً عن مسألة، فقلت: قال فيها أبو بكر كذا وكذا، فقال المأمون: من هو أبو بكر؟ أبو بكرنا، أو أبو بكر العامة؟ قلت: أبو بكرنا.

قال عيسى: قلت لابن الصلت من هو أبو بكركم؟ فقال: علي بن موسى، كان يكنى بها[١].

سنة ولادته:

واختلف المؤرخون اختلافاً كثيراً في السنة التي ولد فيها الإمام الرِّضا عليه السلام، وكذلك اختلفوا في الشهر الذي ولد فيه، وهذه بعض ما أثر عنهم:

١ ـ إنَّه ولد سنة ١٤٧هـ[٢].

٢ ـ ولد سنة ١٤٨هـ[٣] وهذا هو المشهور بين الرواة.

٣ ـ ولد سنة ١٥٠هـ[٤].

٤ ـ ولد سنة ١٥١هـ[٥].

٥ ـ ولد سنة ١٥٣هـ[٦] وهي السنة التي توفي فيها جده الصادق[٧].

هذه بعض الأقوال في سنة ولادته، وقد اختلف المؤرخون أيضاً في الشهر الذي ولد فيه، وهذه بعض أقوالهم:

١ ـ إنَّه ولد يوم الخميس أو ليلة الخميس لأحد عشر ليلة خلت من ربيع الأول[٨].

٢ ـ ولد في ذي القعدة[٩] في الحادي عشر منه يوم الخميس[١٠].

٣ ـ ولد في شوال في السابع منه وقيل في ثامنه، وقيل سادسه[١١].

---

(١) مقاتل الطالبيين: ص٥٦١.

(٢) نور الأبصار: ص١٣٨.

(٣) غاية الاختصار: ص١٤٨.

(٤) المجدِّدون في الإسلام: ص٨٧.

(٥) سِّر السلسلة العلوية: ص٣.

(٦) الدر النظيم: ورقة ١٥٣.

(٧) أعيان الشيعة: ٤/ق٢/ ٧٧ ـ ٧٨.

(٨) كشف الغمة: ٣/ ٨٧.

(٩) أعيان الشيعة: ٤/ق٢/ ٧٧.

(١٠) الدر المسلوك: ورقة ١٣٩.

(١١) مرآة الجنان: ٢/ ١٢.

صفته:

وذهب كثير من المؤرخين إلى أنَّ الإمام عليه السلام كان أسمر شديد السمرة[١]، وقيل: إنَّه كان أبيض معتدل القامة[٢] وأنَّه كان شديد الشبه بجده رسول الله صلى الله عليه وآله[٣].

هيبته:

أما هيبة الإمام أبي محمد فكانت تعنو لها الجباه، فقد بدت عليه هيبة الأنبياء والأوصياء الذين كساهم الله بنوره، وما رآه أحد إلاّ هابه، وكان من هيبته أنَّه إذا جلس للناس أو ركب لم يقدر أحد أن يرفع صوته من عظيم هيبته[٤].

نقش خاتمه:

وقد وسم على خاتم الإمام الرِّضا عليه السلام ما يلي: «ولي الله»[٥].

وله خاتم آخر قد نقش عليه: «العزَّة لله»[٦].

نشأته:

نشأ الإمام الرِّضا عليه السلام في بيت من أجلِّ البيوت وأرفعها في الإسلام، أنَّه بيت الإمامة، ومركز الوحي.

سلوكه:

أما سلوكه مع أبنائه فقد تميَّز بأروع ألوان التربية الإسلامية خصوصاً مع ولده الإمام الجواد عليه السلام، فكان لا يذكره باسمه، وإنَّما كان يكنيه، يقول: كتب إليَّ جعفر، كنت كتبت إلى أبي جعفر[٧].

---

(١) أخبار الدول: ص١١٤.
(٢) الصراط السوي في منقب آل النبي للشيخاني القادري: ورقة ١٩٩.
(٣) الدر النظيم: ورقة ٢١٠.
(٤) حياة الإمام الجواد.
(٥) الدر المسلوك: ورقة ١٣٩.
(٦) الدر النظيم: ورقة ٢١٠.
(٧) معجم رجال الحديث: ١٤/ ٢٨٣.

عناصره النفسية

انظروا ما يقوله إبراهيم بن العباس عن مكارم أخلاقه يقول:

«ما رأيت، ولا سمعت بأحد أفضل من أبي الحسن الرِّضا عليه السلام، ما جفا أحداً قط، ولا قطع على أحد كلامه، ولا ردَّ أحداً عن حاجة، وما مدَّ رجليه بين جليسه، ولا اتكأ قبله، ولا شتم مواليه، ومماليكه، ولا قهقه في ضحكة، وكان يجلس على مائدته ومماليكه ومواليه قليل النوم باللَّيل، يحيي أكثر لياليه من أولها إلى آخرها كثير المعروف والصدقة، وأكثر ذلك في الليالي المظلمة»[1].

ويقول الرواة: إنَّه احتاج إلى الحمام فكره أن يأمر أحداً بتهيئته له، ومضى إلى حمام في البلد لم يكن صاحبه يظن أنَّ ولي العهد يأتي إلى الحمام في السوق فيشغل فيه، وإنَّما حمامات الملوك في قصورهم.

ولما دخل الإمام الحمام كان فيه جندي، فأزال الإمام عن موضعه، وأمره أن يصبُّ الماء على رأسه، ففعل الإمام ذلك، ودخل الحمام رجل كان يعرف الإمام فصاح بالجندي هلكت، أتستخدم ابن بنت رسول الله ﷺ؟ فذعر الجندي، ووقع على الإمام يقبِّل أقدامه، ويقول له متضرعاً:

«يابن رسول الله! هلا عصيتني إذ أمرتك؟».

فتبسم الإمام في وجهه وقال له، برفق ولطف:

«إنَّها لمثوبة، وما أردت أن أعصيك فيما أثاب عليه»[2].

يقول إبراهيم بن العباس: سمعت علي بن موسى الرِّضا يقول: حلفت بالعتق، ولا أحلف بالعتق إلاَّ أعتقت رقبة، وأعتقت بعدها جميع ما أملك، إن كان يرى أنَّه خير من

---

(١) حياة الإمام محمد الجواد: ص٣٧.

(٢) نور الأبصار: ص١٣٨.

هذا، وأومأ إلى عبد أسود من غلمانه، إذا كان ذلك بقرابة من رسول الله صلى الله عليه وآله، إلاَّ أن يكون له عمل صالح فأكون أفضل به منه[١].

وقال له رجل: والله ما على وجه الأرض أشرف منك أباً.

فقال عليه السلام: التقوى شرفتهم، وطاعة الله أحفظتهم، وقال له شخص آخر: «أنت والله خير الناس...».

فردَّ عليه قائلاً:

«لا تخاف يا هذا خير منِّي من كان أتقى لله عزَّ وجلَّ، وأطوع له، والله ما نسخت هذه الآية ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾»[٢].

زهده:

قد تحدث عن زهده محمد بن عباد قال: كان جلوس الرِّضا على حصيرة في الصيف، وعلى مسح[٣] في الشتاء، ولباسه الغليظ من الثياب حتى إذا برز الناس تزيأ[٤].

ويقول الرواة: إنَّه التقى به سفيان الثوري، وكان الإمام قد لبس ثوباً من خز، فأنكر عليه ذلك وقال له: لو لبست ثوباً أدنى من هذا؟ فأخذ الإمام عليه السلام يده برفق، وأدخلها في كمه فإذا تحت ذلك الثوب مسح، وقال عليه السلام له: «يا سفيان الخز للخلق، والمسح للحق...»[٥].

سخاؤه:

إنَّه أنفق جميع ما عنده على الفقراء حينما كان في خرسان، وذلك في يوم عرفة فأنكر عليه الفضل بن سهل، وقال له: «إنَّ هذا المغرم...».

فأجابه الإمام: «بل هو المغنم لا تحدث مغرماً ما ابتغيت به أجراً وكرماً»[٦].

ووفد عليه رجل فسلَّم عليه، وقال له: أنا رجل من محبيك ومحبي آبائك، ومصدري من الحج، وقد نفذت نفقتي، وما معي ما أبلغ مرحلة، فإن رأيت أن ترجعني

---

(١) البحار: ٢٨/١٢.
(٢) البحار: ٢٨/١٢.
(٣) المسح: الكساء من الشعر.
(٤) عيون أخبار الرِّضا: ١٧٨/٢.
(٥) حياة الإمام محمد الجواد: ص٣٩.
(٦) حياة الإمام محمد الجواد: ص٤٠.

إلى بلدي، فإذا بلغت تصدَّقت بالذي تعطيني عنك، فقال له: اجلس رحمك الله واقبل على الناس يحدِّثهم حتى تفرَّقوا، وبقي هو وسليمان الجعفري، وحيثمة، فاستأذن الإمام منهم ودخل الدار ثم خرج ورد الباب وخرج من أعلى الباب، وقال: أين الخرساني، فقام إليه فقال عليه السلام له: خذ هذه المائتي دينار واستعن بها في مؤنتك ونفقتك، ولا تتصدَّق بها عنِّي، انصرف الرجل مسروراً قد غمرته نعمة الإمام، والتفت إليه سليمان فقال له: «جعلت فداك لقد أجزلت ورحمت، فلماذا سترت وجهك عنه..».

فأجابه عليه السلام: إنَّما صنعت ذلك مخافة أن أرى ذلّ السؤال في وجهه لقضائي حاجته، أما سمعت حديث رسول الله صلى الله عليه وآله: «المستتر بالحسنة تعدل سبعين حجَّة، والمذيع بالسيئة مخذول...» أما سمعت قول الشاعر:

متى آته يوماً لأطلب حاجة رجعت إلى أهلي ووجهي بمائه[1]

ومن سخائه أنَّه إذا أتي بصحفة طعام عمد إلى أطيب ما فيها من طعام، ووضعه في تلك الصفحة ثم يأمر بها إلى المساكين، ويتلو هذه الآية: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ ثم يقول: علم الله عزَّ وجلَّ أنَّ ليس كل إنسان يقدر على عتق رقبة فجعل له السبيل إلى الجنَّة[2].

ومن بوادر جوده وكرمه أنَّ فقيراً قال له: «أعطني على قدر مروتك...».

فأجابه الإمام: «لا يسعني ذلك..».

والتفت الفقير إلى خطأ كلامه فقال ثانياً: «أعطني على قدر مروّتي..».

وقابله الإمام ببسمات فيَّاضة بالبشر قائلاً: «إذن نعم..».

وأمر له بمائتي دينار[3].

كان عليه السلام يكرم الضيوف، ويغدق عليهم بنعمه وإحسانه وكان يبادر بنفسه لخدمتهم، وقد استضافه شخص، وكان الإمام يحدِّثه في بعض اللَّيل فتغيَّر السراج فبادر الضيف لإصلاحه فوثب الإمام، وأصلحه بنفسه، وقال لضيفه: إنَّا قوم لا نستخدم أضيافنا[4].

إحسانه إلى العبيد:

وقد روى عبد الله بن الصلت عن رجل من أهل (بلخ)، قال: كنت مع الإمام

---

(١) البحار: ١٢/٢٨.
(٢) البحار: ١٢/٢٨.
(٣) المناقب: ٤/٣٦١.
(٤) البحار: ١٢/١٨.

الرِّضا عليه السلام في سفره إلى خراسان فدعا يوماً بمائدة فجمع عليها مواليه، من السودان وغيرهم، فقلت: جعلت فداك لو عزلت لهؤلاء مائدة، فأنكر عليه ذلك وقال:

«إنَّ الرَّبّ تبارك وتعالى واحد، والأُمّ واحدة، والجزاء بالأعمال. . .»[١].

علمه:

تحدَّث عبد السلام الهروي عن سعة علومه، وكان مرافقاً له يقول:

«ما رأيت أعلم من علي بن موسى الرِّضا، ما رآه عالم إلاَّ شهد له بمثل شهادتي، ولقد جمع المأمون في مجالس له عدداً من علماء الأديان، وفقهاء الشريعة، والمتكلمين فغلبهم عن آخرهم حتى ما بقي منهم أحد إلاَّ أقرَّ له بالفضل، وأقرَّ له على نفسه بالقصور، ولقد سمعته يقول: كنت أجلس في (الروضة) والعلماء بالمدينة متوافرون فإذا عيَّ الواحد منهم عن مسألة أشاروا إليَّ بأجمعهم، وبعثوا إليَّ المسألة فأجيب عنها. .»[٢].

ويقول إبراهيم بن العباس:

«ما رأيت الرِّضا يسأل عن شيء قط إلاَّ علم، ولا رأيت أعلم منه بما كان في الزمان الأول، إلى وقته وعصره، وكان المأمون يمتحنه بالسؤال عن كل شيء فيجيب. .»[٣].

وقال المأمون:

«ما أعلم أحداً أفضل من هذا الرجل (يعني الإمام الرِّضا) على وجه الأرض. .»[٤].

معرفته بجميع اللغات:

يدلل على ذلك ما رواه أبو إسماعيل السندي، قال: سمعت بالهند أنَّ لله في العرب حجَّة، فخرجت في طلبه، فدللت على الرِّضا عليه السلام فقصدته وأنا لا أحسن العربية، فسلَّمت عليه بالسندية، فردَّ عليَّ بلغتي، فجعلت أُكلِّمه بالسندية، وهو يردُّ عليَّ بها،

---

(١) الاتحاف بحب الأشراف: ص٥٨. البحار: ١٢/ ١٨.
(٢) كشف الغمة: ٣/ ١٠٧.
(٣) عيون أخبار الرِّضا: ٢/ ١٨٠.
(٤) أعيان الشيعة: ٤/ ق٢/ .

وقلت له: إنِّي سمعت أنَّ لله حجَّة في العرب، فخرجت في طلبه، فقال عليه السلام: أنا هو، ثم قال لي: سل عمَّا أردته فسألته عن مسائل فأجابني عنها بلغتي[١].

وقد أكَّد هذه الظاهرة الكثيرون ممَّن اتصلوا بالإمام، يقول أبو الصلت الهروي: كان الرِّضا عليه السلام يكلِّم الناس بلغاتهم، فقلت له: في ذلك فقال: «يا أبا الصلت أنا حجَّة الله على خلقه، وما كان الله ليتخذ حجَّة على قوم، وهو لا يعرف لغاتهم، أوما بلغك قول أمير المؤمنين عليه السلام: أوتينا فصل الخطاب، وهل هو إلاَّ معرفته اللغات»[٢].

الملاحم والأحداث:

ومن بين ما أخبر به ما يلي:

١ ـ روى الحسن بن بشار قال: قال الرِّضا: إنَّ عبد الله ـ يعني المأمون ـ يقتل محمداً ـ يعني الأمين ـ فقلت له: عبد الله بن هارون يقتل محمد بن هارون، قال: نعم عبد الله الذي بخراسان يقتل محمد ابن زبيدة الذي هو ببغداد.. وكان يتمثَّل بهذا البيت:

وإنَّ الضغن بعد الضغن يفشو عليك، ويخرج الداء الدفينا[٣]

٢ ـ ومن بين الأحداث التي أخبر عنها: إنَّه لما خرج محمد ابن الإمام الصادق بمكة، ودعا الناس إلى نفسه، وخلع بيعة المأمون، قصده الإمام الرِّضا، وقال له: يا عم لا تكذب أباك، ولا أخاك ـ يعني الإمام الكاظم عليه السلام ـ فإنَّ هذا الأمر لا يتم، ثم خرج، ولم يلبث محمد إلاَّ قليلاً لاحقته جيوش المأمون بقيادة الجلودي، فانهزم محمد ومن معه، وطلب الأمان، فآمنه الجلودي، وصعد المنبر وخلع نفسه، وقال: إنَّ هذا الأمر للمأمون وليس لي فيه حق[٤].

٣ ـ روى الحسين نجل الإمام موسى عليه السلام قال: كنَّا حول أبي الحسن الرِّضا عليه السلام، ونحن شبان من بني هاشم إذ مرَّ علينا جعفر بن عمر العلوي وهو رثُّ الهيئة فنظر بعضنا إلى بعض وضحكنا من هيئته، فقال الرِّضا: لترونه عن قريب كثير المال، كثير التبع، فما مضى إلاَّ شهر ونحوه، حتى ولي المدينة وحسنت حاله[٥].

---

(١) البحار: ١٢/ ١٥.
(٢) المناقب: ٤/ ٣٣٣.
(٣) المناقب: ٤/ ٣٣٥.
(٤) البحار: ١٢/ ١٣.
(٥) الفصول المهمة: ص٢٢٩.

٤ ـ روى محول السجستاني قال: لما جاء البريد بإشخاص الإمام الرِّضا عليه السلام إلى خراسان كنت أنا بالمدينة فدخل المسجد ليودع رسول الله صلى الله عليه وآله، فودعه مراراً كل ذلك يرجع إلى القبر، ويعلو صوته بالبكاء والنحيب، فتقدَّمت إليه، وسلَّمت عليه، فيردُّ السلام، وهنأته، فقال: ذرني فإنِّي أخرج من جوار جدي، فأموت في غربة، وأُدفن في جنب هارون، قال: فخرجت متبعاً طريقه، حتى وافى خراسان فأقام فيها وقتاً ثم دفن بجنب هارون[١].

٥ ـ لقد أعلن عليه السلام غير مرَّة أنَّ هارون لا يعرض له بسوء، وأنَّه يدفن إلى جانب هارون، فقد روى حمزة بن جعفر الأرجاني خرج هارون من المسجد الحرام من باب، وخرج عليّ الرِّضا من باب فقال عليه السلام: «يا بعد الدار وقرب الملتقى إنَّ طوس ستجمعني وإيَّاه»[٢].

٦ ـ روى جعفر بن صالح قال: أتيت الرِّضا، فقلت: امرأتي حامل فادع الله أن يجعله ذكراً، فقال: هما اثنان، فانصرفت وقلت: أُسمِّي أحدهما محمداً، والآخر علياً، ثم أتيته فقال لي: سمِّ واحداً علياً والآخر أُمّ عمرو فلما قدمت الكوفة رأيتها ولدت غلاماً وبنتاً، فسميت الذكر علياً، والأُنثى أُمّ عمرو[٣].

عبادته وتقواه:

يقول بعض جماعته: ما رأيته قط إلاَّ ذكرت قوله تعالى: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ ويقول الشيراوي عن عبادته: إنَّه كان صاحب وضوء وصلاة، وكان في ليله كله يتوضأ ويصلِّي، ويرقد وهكذا إلى الصباح[٤].

اسمعوا ما يرويه رجاء بن أبي الضحاك عن عبادة الإمام، وكان المأمون قد بعثه إلى الإمام ليأتي به إلى (خراسان)، فكان معه من المدينة المنورة إلى مرو يقول:

«والله ما رأيت رجلاً كان أتقى لله منه، ولا أكثر ذكراً له في جميع أوقاته منه، ولا أشد خوفاً لله عزَّ وجلَّ، كان إذا أصبح صلَّى الغداة فإذا سلَّم جلس في مصلاه يسبِّح الله، ويحمده ويكبِّره، ويهلِّله، ويصلِّي على النبي وآله صلى الله عليه وآله حتى تطلع الشمس، ثم

---

(١) الاتحاف بحب الأشراف: ص٥٩.
(٢) الاتحاف بحب الأشراف: ص٥٩.
(٣) جوهرة الكلام: ص١٤٦.
(٤) الاتحاف بحب الأشراف: ص٥٩.

يسجد سجدة يبقى فيها حتى يتعالى النهار، ثم يقبل على الناس يحدِّثهم، ويعظهم إلى قرب الزوال، ثم جدَّد وضوءه، وعاد إلى مصلاه، فإذا زالت الشمس قام وصلَّى ست ركعات يقرأ في الركعة الأولى الحمد، وقل يا أيها الكافرون، وفي الثانية الحمد وقل هو الله أحد، ويقرأ في الأربع في كل ركعة الحمد لله، وقل هو الله أحد، ويسلِّم، وفي كل ركعتين يقنت فيهما في الثانية قبل الركوع وبعد القراءة، ثم يؤذن، ثم يصلِّي ركعتين ثم يقيم، ويصلِّي الظهر، فإذا سلَّم سبَّح الله وحمد، وكبَّره، وهلَّله ما شاء الله، ثم يسجد سجدة الشكر، ويقول فيها مائة مرة شكراً لله، فإذا رفع رأسه قام فصلَّى ست ركعات، يقرأ في كل ركعة الحمد لله، وقل هو الله أحد، ويسلِّم في كل ركعتين، ويقنت في ثانية كل ركعتين قبل الركوع وبعد القراءة، ثم يؤذن، ثم يصلِّي ركعتين ويقنت في الثانية، فإذا سلَّم قام وصلَّى العصر، فإذا سلَّم جلس في مصلاه يسبِّح الله، ويحمده، ويكبِّره، ويهلِّله، ثم يسجد سجدة يقول فيها مائة مرة حمداً لله، فإذا غابت الشمس، توضأ وصلَّى المغرب ثلاثاً بأذان وإقامة، وقنت في الثانية، قبل الركوع وبعد القراءة، فإذا سلَّم جلس في مصلاه يسبِّح الله ويحمده، ويكبِّره، ويهلِّله ما شاء الله، ثم يسجد سجدة الشكر، ثم يرفع رأسه، ولا يتكلَّم، حتى يقوم ويصلِّي أربع ركعات بتسليمتين، يقنت في كل ركعتين في الثانية قبل الركوع وبعد القراءة، وكان يقرأ في الأولى من هذه الأربع الحمد وقل يا أيها الكافرون، وفي الثانية الحمد وقل هو الله أحد، ثم يجلس بعد التسليم في التعقيب ما شاء الله حتى يمسي، ثم يفطر، ثم يلبث حتى يمضي من الليل قريب من الثلث، ثم يقوم فيصلِّي العشاء والآخرة أربع ركعات، ويقنت في الثانية قبل الركوع وبعد القراءة، فإذا سلَّم جلس في مصلاه يذكر الله عزَّ وجلَّ ويحمده ويكبِّره ويهلِّله ما شاء الله، ويسجد بعد التعقيب سجدة الشكر ثم يأوي إلى فراشه.

وإذا كان الثلث الأخير من اللَّيل قام من فراشه بالتسبيح والتحميد والتكبير والتهليل والاستغفار، فاستاك ثم توضأ ثم قام إلى صلاة اللَّيل، فصلَّى ثمان ركعات ويسلِّم في كل ركعتين، يقرأ في الأولين منها في كل ركعة الحمد وثلاثين مرة قل هو الله أحد.

ويصلِّي صلاة جعفر بن أبي طالب أربع ركعات يسلِّم في كل ركعتين، ويقنت في كل ركعتين في الثانية قبل الركوع، ويحتسب بها من صلاة اللَّيل، ثم يصلِّي الركعتين الباقيتين، يقرأ في الأولى الحمد وسورة الملك، وفي الثانية الحمد وهل أتى على الإنسان، ثم يقوم فيصلِّي ركعتي الشفع، يقرأ في كل ركعة الحمد مرة وقل هو الله أحد ثلاث مرات، ويقنت في الثانية، ثم يقوم فيصلِّي الوتر ركعة يقرأ فيها الحمد، وقل هو الله أحد ثلاث مرات وقل أعوذ برب الفلق مرة واحدة، وقل أعوذ برب الناس مرَّة

واحدة، ويقنت فيها قبل الركوع وبعد القراءة، ويقول في قنوته: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وآلِ مُحمَّدٍ، اللَّهُمَّ اهْدِنَا فِيمَنْ هَدَيْتَ وَعافِنا فِيْمَنْ عافَيْتَ، وَتَولَّنَا فِيْمَنْ تولَّيْتَ، وَبارِكْ لَنا فِيمَا أَعْطَيْتَ، وَقِنا شَرَّ مَا قَضَيْتَ، فَإِنَّكَ تَقْضِي وَلَا يُقْضىٰ عَلَيْكَ إِنَّهُ لَا يذلّ مَنْ وَالَيْتَ، وَلَا يعزّ مَنْ عَادَيْتَ، تَبارَكْتَ وَتَعالَيْتَ. . .»

ثمَّ يقول: اسْتَغْفِرْ اللّه وَأَسْأَلَهُ التَّوْبَةَ سبعين مرَّة، فإذا سلَّم جلس في التعقيب ما شاء الله، وإذا قرب الفجر قام فصلَّى ركعتين الفجر يقرأ في الأُولى الحمد وقل يا أيها الكافرون وفي الثانية الحمد وقل هو الله أحد، فإذا طلع الفجر أذن وأقام وصلَّى الغداة ركعتين، فإذا سلَّم جلس في التعقيب حتَّى تطلع الشَّمس، ثمَّ سجد سجدة الشُّكر حتَّى يتعالى النهار. . .»[1].

دعاؤه في قنوته:

وكان الإمام عليه السلام يدعو بهذا الدُّعاء الجليل في قنوته:

«الْفَزَعَ، الْفَزَعَ إِلَيْكَ، يَا ذَا الْمُحَاضَرَةِ وَالرَّغْبَةَ، الرَّغْبَةَ إِلَيْكَ يَا مَنْ بِهِ الْمُفَاخَرَةُ، وَأَنْتَ اللَّهُمَّ مُشَاهِدُ هَوَاجِسِ النُّفُوسِ، وَمُراصِدُ حَرَكَاتِ الْقُلُوبِ، وَمُطَالِعُ مَسَرَّاتِ السَّرائِرِ مِنْ غَيْرِ تَكَلُّفٍ وَلَا تَعَسُّفٍ، وَقَدْ تَرَى اللَّهُمَّ مَا لَيْسَ عَنْكَ بِمُنْظُورٍ، وَلَكِنْ حِلْمُكَ آمَنَ أَهْلَهُ عَلَيْهِ جُرْأَةً وَتَمَرُّداً، وَعُتُوّاً وَعِنَاداً وَمَا يُعَانِيهِ أَوْلِيَاؤُكَ مِنْ تَعْفِيَةِ آثَارِ الْحَقِّ، وَدُرُوسِ مَعَالِمِهِ، وَتَزَيُّدِ الْفَوَاحِشِ، وَاسْتِمْرَارِ أَهْلِهَا عَلَيْهَا، وَظُهُورِ الْبَاطِلِ، وَعُمُومِ التَّغَاشُمِ، وَالتَّرَاضِي بِذَلِكَ فِي الْمُعَامَلَاتِ وَالْمُتَصَرِّفَاتِ، قَدْ جَرَتْ بِهِ الْعَادَاتُ، وَصَارَ كَالْمَفْرُوضَاتِ وَالْمَسْنُونَاتِ.

اللَّهُمَّ فَبَادِرْنَا مِنْكَ بِالْعَوْنِ الَّذِي مَنْ أَعَنْتَهُ بِهِ فَازَ، وَمَنْ أَيَّدْتَهُ لَمْ يَخَفْ لَمزَ لَمَّازٍ، وَخُذِ الظَّالِمَ أَخْذاً عَنِيفاً، وَلَا تَكُنْ لَهُ رَاحِماً وَلَا بِهِ رَؤُوفاً.

اللَّهُمَّ بَادِرْهُمْ.

اللَّهُمَّ عَاجِلْهُمْ.

اللَّهُمَّ لَا تُمْهِلْهُمْ.

اللَّهُمَّ غَادِرْهُمْ بُكْرَةً وَهجرة، وَسَحَرَةً وَبَيَاتاً، وَهُمْ نَائِمُونَ وَضُحَى وَهُمْ يَلْعَبُونَ، وَمَكْراً وَهُمْ يَمْكُرُونَ وَفَجْأَةً وَهُمْ آمِنُونَ.

---

(١) البحار: ١٢/٢٦ ـ ٢٧.

اللَّهُمَّ بَدِّدْهُمْ، وَبَدِّدْ أَعْوَانَهُمْ، وَاغْلُلْ أَعْضَادَهُمْ وَاهْزِمْ جُنُودَهُمْ، وَافْلُلْ حَدَّهُمْ، وَاجْتَثَّ سَنَامَهُمْ وَأَضْعِفْ عَزَائِمَهُمْ.

اللَّهُمَّ امْنَحْنَا أَكْتَافَهُمْ، وَبَدِّلْهُمْ بِالنِّعَمِ النِّقَمَ وَبَدِّلْنَا مِنْ مُحَاذَرَتِهِمْ وَبَغْيِهِمُ السَّلَامَةَ، وَأَغْنِمْنَاهُمْ أَكْمَلَ الْمَغْنَمِ، اللَّهُمَّ لَا تَرُدَّ عَنْهُمْ بَأْسَكَ الَّذِي إِذَا حَلَّ بِقَوْمٍ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ...»[١].

دعاؤه في سجدة الشكر:

روى سليمان بن جعفر قال: دخلنا على الإمام الرِّضا عليه السلام، وهو ساجد في سجدة الشكر، فأطال سجوده، ثم رفع رأسه، فسألوه عن إطالة سجوده، فأخبرهم أنَّه دعا بهذا الدُّعاء، وحثَّهم عليه، وأمرهم بكتابته فكتبوه، وهذا نصَّه:

«اللَّهُمَّ الْعَنِ اللَّذَيْنِ بَدَّلَا دِينَكَ، وَغَيَّرَا نِعْمَتَكَ، وَاتَّهَمَا رَسُولَكَ صلى الله عليه وآله، وَخَالَفَا مِلَّتَكَ، وَصَدَّا عَنْ سَبِيلِكَ وَكَفَرَا آلَاءَكَ، وَرَدَّا عَلَيْكَ كَلَامَكَ، وَاسْتَهْزَءَا بِرَسُولِكَ وَقَتَلَا ابْنَ نَبِيِّكَ، وَحَرَّفَا كِتَابَكَ، وَجَحَدَا آيَاتِكَ، وَسَخِرَا بِآيَاتِكَ، وَاسْتَكْبَرَا عَنْ عِبَادَتِكَ وَقَتَلَا أَوْلِيَاءَكَ وَجَلَسَا فِي مَجْلِسٍ لَمْ يَكُنْ لَهُمَا بِحَقٍّ، وَحَمَلَا النَّاسَ عَلَى أَكْتَافِ آلِ مُحَمَّدٍ، اللَّهُمَّ الْعَنْهُمَا لَعْناً يَتْلُو بَعْضُهُ بَعْضاً، وَاحْشُرْهُمَا وَأَتْبَاعَهُمَا إِلَى جَهَنَّمَ زُرْقاً، اللَّهُمَّ إِنَّا نَتَقَرَّبُ إِلَيْكَ بِاللَّعْنَةِ عَلَيْهِمَا، وَالْبَرَاءَةِ مِنْهُمَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، اللَّهُمَّ الْعَنْ قَتَلَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَقَتَلَةَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ، ابْنِ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله، اللَّهُمَّ زِدْهُمَا عَذَاباً فَوْقَ الْعَذَابِ، وَهَوَاناً فَوْقَ هَوَانٍ، وَذُلًّا فَوْقَ ذُلٍّ، وَخِزْياً فَوْقَ خِزْيٍ، اللَّهُمَّ دُعَّهُمَا فِي النَّارِ دَعّاً وَأَرْكِسْهُمَا فِي أَلِيمِ عَذَابِكَ رَكْساً، اللَّهُمَّ احْشُرْهُمَا وَأَتْبَاعَهُمَا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً، اللَّهُمَّ فَرِّقْ جَمْعَهُمْ وَشَتِّتْ أَمْرَهُمْ، وَخَالِفْ بَيْنَ كَلِمَتِهِمْ، وَبَدِّدْ جَمَاعَتَهُمْ، وَالْعَنْ أَئِمَّتَهُمْ، وَاقْتُلْ قَادَتَهُمْ، وَسَادَتَهُمْ، وَكُبَرَاءَهُمْ، وَالْعَنْ رُؤَسَاءَهُمْ، وَاكْسِرْ رَايَتَهُمْ، وَأَلْقِ الْبَأْسَ بَيْنَهُمْ، وَلَا تُبْقِ مِنْهُمْ دَيَّاراً.

اللَّهُمَّ الْعَنْ أَبَا جَهْلٍ وَالْوَلِيدَ لَعْناً يَتْلُو بَعْضُهُ بَعْضاً، وَيَتْبَعُ بَعْضُهُ بَعْضاً، اللَّهُمَّ الْعَنْهُمَا لَعْناً يَلْعَنُهُمَا بِهِ كُلُّ مَلَكٍ مُقَرَّبٍ، وَكُلُّ نَبِيٍّ مُرْسَلٍ، وَكُلُّ مُؤْمِنٍ امْتَحَنْتَ قَلْبَهُ لِلْإِيمَانِ، اللَّهُمَّ الْعَنْهُمَا لَعْناً يَتَعَوَّذُ مِنْهُ أَهْلُ النَّارِ، اللَّهُمَّ الْعَنْهُمَا لَعْناً لَا يَخْطُرُ لِأَحَدٍ بِبَالٍ، اللَّهُمَّ الْعَنْهُمَا فِي مُسْتَسِرِّ سِرِّكَ، وَظَاهِرِ عَلَانِيَتِكَ، وَعَذِّبْهُمَا عَذَاباً فِي التَّقْدِيرِ، وَشَارِكْ مَعَهُمَا.. وَأَشْيَاعَهُمَا وَمُحِبِّيهِمَا وَمَنْ شَايَعَهُمَا إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ»[٢].

---

(١) مهج الدعوات: ص٧٣.
(٢) مهج الدعوات: ص٣٢٠.

إخفاء الدُّعاء:

وأوصى الإمام أصحابه بإخفاء الدُّعاء، وأن يدعو الإنسان ربّه سِّراً لا يعلم به أحد، قال عليه السلام: دعوة العبد سِّراً دعوة واحدة تعدل سبعين دعوة علانية[١].

حرزه:

كان الإمام عليه السلام يتسلح بهذا الدُّعاء الشريف كان الإمام عليه السلام يتسلح بهذا الدُّعاء الشريف: «**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ، يَا مَنْ لَا شَبِيهَ لَهُ، وَلَا مِثَالَ، أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا خَالِقَ إِلَّا أَنْتَ، تُفْنِي الْمَخْلُوقِينَ، وَتَبْقَى، أَنْتَ حَلُمْتَ عَمَّنْ عَصَاكَ وَفِي الْمَغْفِرَةِ رِضَاكَ**»[٢].

كما كان متشبثاً بهذا الدُّعاء الجليل: «**اسْتَسْلَمْتُ مَوْلَايَ لَكَ وَأَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ، وَتَوَكَّلْتُ فِي كُلِّ أُمُورِي عَلَيْكَ، وَأَنَا عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدَيْكَ، فَأَخْبَأْنِي اللَّهُمَّ فِي سِتْرِكَ عَنْ شِرَارِ خَلْقِكَ، وَاعْصِمْنِي مِنْ كُلِّ أَذَى وَسُوءٍ بِمَنِّكَ، وَاكْفِنِي شَرَّ كُلِّ ذِي شَرٍّ، بِقُدْرَتِكَ.**

اللَّهُمَّ مَنْ كَادَنِي وَأَرَادَنِي فَإِنِّي أَدْرَأُ بِكَ فِي نَحْرِهِ، وَسُدَّ عَنِّي أَبْصَارَ الظَّالِمِينَ إِذْ كُنْتَ نَاصِرِي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَإِلَهَ الْعَالَمِينَ، أَسْأَلُكَ كِفَايَةَ الْأَذَى، وَالْعَافِيَةَ وَالشِّفَاءَ، وَالنَّصْرَ عَلَى الْأَعْدَاءِ، وَالتَّوْفِيقَ لِمَا تُحِبُّ رَبَّنَا، وَتَرْضَى، يَا إِلَهَ الْعَالَمِينَ، يَا جَبَّارَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرَضِينَ، يَا رَبَّ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ، صَلَوَاتُكَ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ»[٣].

وكان الإمام عليه السلام يدعو بهذا الدُّعاء لطلب الرِّزق والسعة في العيش، وكان يدعو به عقيب كل فريضة، وهذا نصّه:

«**يَا مَنْ يَمْلِكُ حَوَائِجَ السَّائِلِينَ، وَيَعْلَمُ ضَمِيرَ الصَّامِتِينَ لِكُلِّ مَسْأَلَةٍ مِنْكَ سَمْعٌ حَاضِرٌ، وَجَوَابٌ عَتِيدٌ، وَلِكُلِّ صَامِتٍ مِنْكَ عِلْمٌ بَاطِنٌ مُحِيطٌ أَسْأَلُكَ بِمَوَاعِيدِكَ الصَّادِقَةِ، وَأَيَادِيكَ الْفَاضِلَةِ، وَرَحْمَتِكَ الْوَاسِعَةِ، وَسُلْطَانِكَ الْقَاهِرِ وَمُلْكِكَ الدَّائِمِ، وَكَلِمَاتِكَ التَّامَّاتِ، يَا مَنْ لَا تَنْفَعُهُ طَاعَةُ الْمُطِيعِينَ، وَلَا تَضُرُّهُ مَعْصِيَةُ الْعَاصِينَ (صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ)، وَارْزُقْنِي مِنْ فَضْلِكَ، وَأَعْطِنِي فِيمَا تَرْزُقُنِي الْعَافِيَةَ مِنْ فَضْلِكَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ**»[٤].

---

(١) أُصول الكافي: ج٢، ص٣٦٨. أُصول الكافي: ج٢، ص٤٧٦.

(٢) مهج الدعوات: ص٤٤.

(٣) المصباح: ص٢١٧.

(٤) المصباح: ص١٦٨.

الثناء على شخصية الإمام عليه السلام

احتلت شخصية الإمام الرِّضا عليه السلام عواطف العلماء والمؤلفين في كل جيل وعصر، فأدلوا بجمل من الثناء والتعظيم ومن بينهم:

الإمام الكاظم عليه السلام:

أشاد الإمام الكاظم عليه السلام بولده الإمام الرِّضا، وقدَّمه على السادة الأجلاَّء من أبنائه، وأوصاهم بخدمته، والرجوع إليه في أمور دينهم، فقال لهم: «هذا أخوكم علي بن موسى عالم آل محمد ﷺ، سلوه عن أديانكم، واحفظوا ما يقول لكم، فإنِّي سمعت أبي جعفر بن محمد عليه السلام يقول لي: إنَّ عالم آل محمد ﷺ لفي صلبك، وليتني أدركته فإنَّه سمي أمير المؤمنين..»[(١)].

المأمون:

وأعلن المأمون الملك العباسي فضل الإمام الرِّضا وسمو مكانته ومنزلته في كثير من المناسبات، وهذه بعضها:

أ ـ قال المأمون للفضل بن سهل وأخيه: «ما أعلم أحداً أفضل من هذا الرجل ـ يعني الإمام علي بن موسى ـ على وجه الأرض»[(٢)].

ب ـ أشاد المأمون بالإمام الرِّضا عليه السلام في رسالته التي بعثها للعباسيين الذين نقموا عليه تقليده للإمام بولاية العهد قال:

«ما بايع له المأمون ـ أي للإمام الرضّا ـ إلاَّ مستبصراً في أمره عالماً بأنَّه لم يبق أحد على ظهرها ـ أي على ظهر الأرض ـ أبين فضلاً، ولا أظهر عفَّة، ولا أورع ورعاً، ولا أزهد زهداً في الدُّنيا، ولا أطلق نفساً، ولا أرضى في الخاصة والعامة، ولا أشد في ذات الله منه، وإنَّ البيعة له لموافقة لرضى الرَّبّ»[(٣)].

---

(١) كشف الغمة: ٣/ ١٠٧.

(٢) أعيان الشيعة: ٤/ق٢/ ١٣٣.

(٣) البحار: ١٢/ ٦٣.

وحدَّدت هذه الكلمات بعض الصفات الرفيعة الماثلة في الإمام عليه السلام، والتي تميَّز بها على غيره، وهي:

أ ـ إنَّ الإمام أبين الناس فضلاً وعلماً.

ب ـ إنَّه أعفّ إنسان على وجه الأرض.

ج ـ إنَّه أزهد الناس في مباهج الحياة وزينتها.

هـ ـ إنَّه أندى الناس كفاً وأوفرهم جوداً وعطاءً للمحرومين.

و ـ إنَّ الخاصة والعامة قد أجمعت على الإقرار له بالفضل ولم يظفر بذلك أحد غيره.

ز ـ إنَّه من أشد الناس في ذات الله، فإنَّه لا يخشى في جنب الله لومة لائم.

ح ـ إنَّ بيعة المأمون للإمام بولاية العهد كانت موافقة لله تبارك وتعالى.

ج ـ جاء في الوثيقة التي عهد بها بولاية العهد للإمام عليه السلام ما نصَّه:

«فكانت خيرته بعد استخارته لله، وإجهاد نفسه في قضاء حقّه في عباده وبلاده في البيتين ـ أي البيت العباسي والأسرة العلوية زادها الله شرفاً ـ جميعاً علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، لما رأى من فضله البارع، وعلمه الناصع، وورعه الظاهر، وزهده الخالص، وتخليه من الدُّنيا، وتسلمه من الناس، وقد استبان له ما لم تزل الأخبار عليه متواطية، والألسن عليه متفقة، والكلمة فيه جامعة، ولما لم يزل يعرفه به من الفضل يافعاً وناشئاً وحدثاً ومكتملاً فعقد له بالعهد والخلافة من بعده»[١].

أبو النواس:

وكان ممَّن مدح الإمام عليه السلام أبو نواس الشاعر المشهور وقد قال الشعر فيه مرتين وأجاد فيهما، وهما:

١ ـ إنَّ الشعراء المعاصرين للإمام قالوا فيه الشعر ومدحوه سوى أبي نواس فعوتب على ذلك[٢] فقال هذه الأبيات الرائعة:

قيل لي أنت أوحد الناس طراً ... في فنون من المقال النبيه

---

(١) كشف الغمة: ٣/ ١٢٥.

(٢) ذكر ابن طولون في كتابه (الأئمة الاثني عشر): ص٩٨ ـ ٩٩.

لــك مــن جــوهــر الــكــلام نــظــام يــثــمــر الــدر فــي يــدي مــجــتــنــيــه
فــلــمــاذا تــركــت مــدح ابــن مــوســى والــخــصــال الــتــي تــجــمــعــن فــيــه
قــلــت: لا أهــتــدي لــمــدح إمــام كــان جــبــريــل خــادمــاً لأبــيــه

ومن الطريف أنَّ الذهبي الذي عرف بالحقد على أهل البيت قد علَّق على البيت الأخير من هذه الأبيات بقوله: «قلت: هذا لا يجوز إطلاقه من أنَّ جبريل خادم لأبيه والنص معدوم فيه... وقد كذبت الرافضة على علي الرِّضا...»[1].

٢ ـ خرج الإمام الرِّضا عليه السلام يوماً على بغلة فارهة، فدنا منه أبو نواس، وسلَّم عليه وقال له: «يابن رسول الله قلت: فيك أبياتاً أحب أن تسمعها منِّي؟».

وبادر الإمام قائلاً: «قل».

فانبرى أبو نواس قائلاً:

مــطــهــرون نــقــيــات ثــيــابــهــم تــجــري الــصــلاة عــلــيــهــم كــلَّــمــا ذكــروا
مــن لــم يــكــن عــلــويــاً حــيــن تــنــســبــه فــمــا لــه فــي قــديــم الــدهــر مــفــتــخــر
أولــئــك الــقــوم أهــل الــبــيــت عــنــدهــم عــلــم الــكــتــاب ومــا جــاءت بــه الــســور[2]

وأعجب الإمام بهذه الأبيات فقال لأبي نواس: «قد جئتنا بأبيات ما سبقك إليها أحد..».

ثم التفت إلى غلامه فقال له: ما معك من فاضل نفقتنا؟ فقال: ثلاثمائة دينار، قال: ادفعها له، ثم لما ذهب إلى بيته، قال لغلامه: لعلَّه استقلها، سق إليه البغلة[3][4].

دعبل الخزاعي:

وأكثر دعبل في مدح الإمام الرِّضا عليه السلام، وفي رثائه، وممَّا قاله فيه:

لــقــد رحــل ابــن مــوســى بــالــمــعــالــي وســار بــيــســره الــعــلــم الــشــريــف
وتــابــعــه الــهــدى والــدِّيــن طــراً كــمــا يــتــتــبــع الألــف الألــيــف[5]

---

(١) تأريخ الإسلام: ٨/ورقة ٣٥.
(٢) خلاصة الذهب المسبوك: ص٢٠٠.
(٣) الاتحاف بحب الأشراف: ص٦٠.
(٤) كشف الغمة: ٣/١٠٧.
(٥) ديوان دعبل: ص١٠٨.

تقلّده الإمامة

عاش الإمام الرِّضا عليه السلام تسعاً وعشرين سنة وأشهراً في كنف أبيه الإمام موسى الكاظم عليه السلام، وقد شاهد ضروباً قاسية من المحن والخطوب التي حلَّت بأبيه الذي كان مثار قلق وخوف للحكم العباسي لأنَّه كان محط أنظار المسلمين، وموضع آمالهم في إنقاذهم من الطغمة العباسية الحاكمة التي تمادت في ظلم الناس وإرغامهم على ما يكرهون.

تقلّد الإمام الرِّضا للزعامة الكبرى:

وتقلَّد الإمام الرِّضا عليه السلام بعد وفاة أبيه الزعامة الدينية الكبرى، والمرجعية العامة للمسلمين، وقد احتفَّ به العلماء والفقهاء وهم يسجِّلون آراءه في ميادين الآداب والحكمة، وما يفتي به من المسائل الشرعية وغير ذلك من صنوف المعارف والعلم.

سفره إلى البصرة:

وبعد وفاة الإمام الكاظم عليه السلام سافر الإمام الرِّضا عليه السلام إلى البصرة للتدليل على إمامته، وإبطال شبه المنحرفين عن الحق، وقد نزل ضيفاً في دار الحسن بن محمد العلوي، وقد عقد في داره مؤتمراً عاماً ضمَّ جمعاً من المسلمين كان من بينهم عمرو بن هداب، وهو من المنحرفين عن آل البيت عليهم السلام والمعادين لهم، كما دعا فيه جاثليق النصارى، ورأس الجالوت، والتفت إليهم الإمام فقال لهم: «إنِّي إنَّما جمعتكم لتسألوني عمَّا شئتم من آثار النُّبوَّة وعلامات الإمامة التي لا تجدونها إلاَّ عندنا أهل البيت، فهلموا أسألكم...».

وبادر عمرو بن هداب فقال له:

«إنَّ محمد بن الفضل الهاشمي أخبرنا عنك أنَّك تعرف كل ما أنزله الله، وأنَّك تعرف كل لسان ولغة...».

وانبرى الإمام عليه السلام فصدق مقالة محمد بن الفضل في حقِّه قائلاً: «صدق محمد بن الفضل أنا أخبرته بذلك..».

وسارع عمرو قائلاً: «إنَّا نختبرك قبل كل شيء بالألسن، واللغات، هذا رومي، وهذا هندي، وهذا فارسي، وهذا تركي، قد أحضرناهم..».

فقال عليه السلام: «فليتكلَّموا بما أحبّوا، أجب كل واحد منهم بلسانه إن شاء الله...».

وتقدَّم كل واحد منهم أمام الإمام فسأله عن مسألة فأجاب عليه السلام عنها بلغته، وبهر القوم وعجبوا، والتفت الإمام إلى عمرو فقال له: «إن أنا أخبرتك أنَّك ستبتلي في هذه الأيام بدم ذي رحم لك هل كنت مصدقاً لي؟..».

قال عمرو: «لا، فإنَّ الغيب لا يعلمه إلاَّ الله تعالى...».

وردَّ الإمام عليه مقالته: «أوليس الله تعالى يقول: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ فرسول الله صلى الله عليه وآله عند الله مرتضى، ونحن ورثة ذلك الرسول الذي أطلعه الله على ما يشاء من غيبه فعلمنا ما كان، وما يكون إلى يوم القيامة.

وإنَّ الذي أخبرتك به يابن هداب لكائن إلى خمسة أيام وإن لم يصح في هذه المدة فإنِّي.. وإن صح فتعلم أنَّك راد على الله ورسوله.

وأضاف الإمام قائلاً: «أما أنَّك ستصاب ببصرك، وتصير مكفوفاً، فلا تبصر سهلاً، ولا جبلاً وهذا كائن بعد أيام، ولك عندي دلالة أخرى، أنَّك ستحلف يميناً كاذبة فتضرب بالبرص..».

وأقسم محمد بن الفضل بالله بأنَّ ما أخبر به الإمام قد تحقَّق، وقيل لابن هداب: «هل صدق الرِّضا بما أخبر به؟..».

فقال: والله لقد علمت في الوقت الذي أخبرني به أنَّه كائن، ولكنِّي كنت أتجلد.

والتفت الإمام إلى الجاثليق فقال له: «هل دلَّ الإنجيل على نبوَّة محمد صلى الله عليه وآله؟».

وسارع الجاثليق قائلاً: «لو دلَّ الإنجيل على ذلك ما جحدناه...».

ووجه الإمام له السؤال التالي: «أخبرني عن السكنة التي لكم في السفر الثالث؟..».

وأجاب الجاثليق: «إنَّها اسم من أسماء الله تعالى لا يجوز لنا أن نظهره..».

وردَّ عليه الإمام قائلاً: «فإن قرَّ به ربّك أنَّه اسم محمد، وأقرَّ عيسى به، وأنَّه بشَّر بني إسرائيل بمحمد لتقر به ولا تنكره؟..».

ولم يجد الجاثليق بداً من الموافقة على ذلك قائلاً: «إن فعلت أقررت، فإنِّي لا أرد الإنجيل ولا أجحده...».

وأخذ الإمام يقيم عليه الحجَّة قائلاً: «خذ على السفر الثالث الذي فيه ذكر محمد صلى الله عليه وآله وبشارة عيسى بمحمد؟...».

وسارع الجاثليق قائلاً: «هات ما قلته..».

فأخذ الإمام عليه السلام يتلو عليه السفر من الإنجيل الذي فيه ذكر الرسول محمد صلى الله عليه وآله، وقال للجاثليق: «من هذا الموصوف؟..».

قال الجاثليق: «صفه».

وأخذ الإمام عليه السلام في وصفه قائلاً: «لا أصفه إلاَّ بما وصفه الله، وهو صاحب الناقة، والعصا، والكساء، النبي الأُمِّي، الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل، يأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر، ويحلُّ لهم الطيِّبات ويحرِّم عليهم الخبائث، ويضع عنهم إصرهم، والأغلال التي كانت عليهم، يهدي إلى الطريق الأقصد، والمنهاج الأعدل، والصراط الأقوم.

سألتك يا جاثليق بحقِّ عيسى روح الله، وكلمته، هل تجدون هذه الصفة في الإنجيل لهذا النبي صلى الله عليه وآله؟؟».

وأطرق الجاثليق ملياً برأسه إلى الأرض، وقد ضاقت عليه الأرض بما رحبت، فقد سدَّ عليه الإمام كل نافذة يسلك منها، ولم يسعه أن يجحد الإنجيل، فأجاب الإمام قائلاً: نعم هذه الصفة من الإنجيل، وقد ذكر عيسى في الإنجيل هذا النبي ولم يصح عند النصارى أنَّه صاحبكم..».

وانبرى الإمام يقيم عليه الحجَّة، ويبطل أوهامه قائلاً: «أما إذا لم تكفر بجحود الإنجيل، وأقررت بما فيه من صفة محمَّد صلى الله عليه وآله، فخذ على السفر الثاني، فإنَّه قد ذكره وذكر وصيه، وذكر ابنته فاطمة وذكر الحسن والحسين..».

وقد استبان للجاثليق ورأس الجالوت أنَّ الإمام عليه السلام عالم بالتوراة والإنجيل، وأنَّه واقف على جميع ما جاء فيهما، وفكَّرا في التخلص من حجج الإمام فأبديا الشك في أنَّ الذي بشَّر به موسى والسيِّد المسيح هو النبي محمَّد صلى الله عليه وآله، وطفقا قائلين: «لقد بشَّر به موسى وعيسى جميعاً، ولكن لم يتقرر عندنا أنَّه محمد هذا، فأمَّا كون اسمه محمد، فلا يجوز أن نقر لكم بنبوَّته، ونحن شاكون أنَّه محمدكم أو غيره..».

وانبرى الإمام قائلاً: «إحتججتم بالشك، فهل بعث الله قبل أو بعد من ولد آدم إلى

يومنا هذا نبياً اسمه محمد أو تجدونه في شيء من الكتب التي أنزلها الله على جميع الأنبياء غير محمد؟ . .».

وأحجموا عن الجواب، ولم يجدا شبهة يتمسكان بها، وأصرَّا على العناد والجحود قائلين: «لا يجوز لنا أن نقر لك بأنَّ محمد هو محمدكم، فإنَّا إن أقررنا لك بمحمد ووصيه وابنته وابنيها على ما ذكرتم أدخلتمونا في الإسلام كرهاً . .».

وانبرى الإمام قائلاً: «أنت يا جاثليق آمن في ذمة الله، وذمة رسوله أنَّه لا يبدؤك منَّا شيء تكرهه . .».

وسارع الجاثليق قائلاً: «إذ قد آمنتني فإنَّ هذا النبي الذي اسمه محمد، وهذا الوصي الذي اسمه علي، وهذا البنت التي اسمها فاطمة، وهذان السبطان اللذان اسمهما الحسن والحسين في التوراة والإنجيل والزبور.

وطفق الإمام قائلاً: «هل هذا صدق وعدل؟ . .».

قال: «بل صدق وعدل . . .».

وسكت الجاثليق، واعترف بالحق، والتفت الإمام إلى رأس الجالوت فقال له: «اسمع يا رأس الجالوت السفر الفلاني من زبور داود . .».

قال رأس الجالوت: «بارك الله فيك وفيمن ولدك، هات ما عندك . . .».

وأخذ الإمام يتلو عليه السفر الأول من الزبور حتى انتهى إلى ذكر محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين، ووجه الإمام له السؤال التالي: «سألتك يا رأس الجالوت بحقّ الله هذا في زبور داود؟ . .».

قال: «نعم هذا بعينه في الزبور بأسمائهم . . .».

وانبرى الإمام قائلاً: «بحقِّ عشر الآيات التي أنزلها الله على موسى بن عمران في التوراة هل تجد صفة محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين في التوراة منسوبين إلى العدل والفضل؟».

ولم يسع رأس الجالوت إلاَّ الإقرار والاعتراف بذلك، وأخذ الإمام يتلو في سفر آخر من التوراة، وقد بهر رأس الجالوت من اطلاع الإمام ومن فصاحته وبلاغته، وتفسيره ما جاء في النبي وعلي وفاطمة والحسنين.

فقال رأس الجالوت: «والله يابن محمد لولا الرياسة التي حصلت لي على جميع اليهود لآمنت بأحمد، واتبعت أمرك، فوالله الذي أنزل التوراة على موسى، والزبور على

داود، ما رأيت أقرأ للتوراة والإنجيل والزبور منك، ولا رأيت أحسن تفسيراً وفصاحة لهذه الكتب منك».

وقد استغرقت مناظرة الإمام معهم وقتاً كثيراً حتى صار وقت صلاة الظهر فقام عليه السلام فصلَّى بالناس صلاة الظهر، وانصرف إلى شؤونه الخاصة، وفي الغد عاد إلى مجلسه، وقد جاؤوا بجارية رومية لامتحان الإمام عليه السلام، فكلَّمها الإمام بلغتها، والجاثليق حاضر، وكان عارفاً بلغتها، فقال الإمام للجارية: «أيما أحب إليك محمد أم عيسى؟..».

فقالت الجارية: «كان فيما مضى عيسى أحب إليَّ، لأنِّي لم أكن أعرف محمداً، وبعد أن عرفت محمداً فهو أحب إليَّ من عيسى...».

والتفت لها الجاثليق فقال لها: «إذا كنت دخلت في دين محمد فهل تبغضين عيسى؟...».

وأنكرت الجارية كلامه فقالت: «معاذ الله بل أحب عيسى، وأؤمن به، ولكن محمداً أحب إليَّ...».

والتفت الإمام إلى الجاثليق فطلب منه أن يترجم للجماعة كلام الجارية، فترجمه لهم، وطلب الجاثليق من الإمام أن يحاجج مسيحياً من السند له معرفة بالمسيحية، وصاحب جدل، فحاججه الإمام بلغته، فآمن السندي بالإسلام، وأقرَّ للإمام عليه السلام بالإمامة، وطلب عليه السلام من محمد بن الفضل أن يأخذه إلى الحمام ليغتسل، ويطهِّر بدنه من درن الشرك، فأخذه محمد إلى الحمام، وكساه بثياب نظيفة، وأمر الإمام بحمله إلى يثرب ليتلقى من علومه، ثم ودع الإمام أصحابه ومضى إلى المدينة المنورة[1].

سفره إلى الكوفة:

وغادر الإمام عليه السلام يثرب متوجهاً إلى الكوفة، فلما انتهى إليها استقبل فيها استقبالاً حاشداً، وقد نزل ضيفاً في دار حفص بن عمير اليشكري، وقد احتفَّ به العلماء والمتكلِّمون وهم يسألونه عن مختلف المسائل، وهو يجيبهم عنها، وقد عقد مؤتمراً عاماً ضمَّ بعض علماء النصارى واليهود وجرت بينه وبينهم مناظرات أدَّت إلى انتصاره وعجزهم عن مجاراته، والتفت الإمام عليه السلام إلى الحاضرين، فقال لهم:

«يا معاشر الناس، أليس أنصف الناس من حاج خصمه بملته وبكتابه، وشريعته؟...».

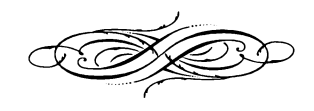
(١) البحار: ٢١/١٢ ـ ٢٣، بتصرف نقلنا الخبر.

فقالوا جميعاً: «نعم».

فقال عليه السلام: «اعلموا أنَّه ليس بإمام بعد محمد ﷺ إلاَّ من قام بما قام به محمد ﷺ حين يفضي له الأمر، ولا يصلح للإمامة إلاَّ من حاج الأُمم بالبراهين للإمامة...».

وانبرى عالم يهودي فقال له: «ما الدليل على الإمام؟...».

فقال عليه السلام: «أن يكون عالماً بالتوراة والإنجيل والزبور والقرآن الحكيم فيحاج أهل التوراة بتوراتهم، وأهل الإنجيل بإنجيلهم وأهل القرآن بقرآنهم، وأن يكون عالماً بجميع اللغات حتى لا يخفى عليه لسان واحد، فيحاج كل قوم بلغتهم، ثم يكون مع هذا الخصال تقياً، نقياً من كل دنس، طاهراً من كل عيب، عادلاً، منصفاً، حكيماً، رؤوفاً، رحيماً، غفوراً، عطوفاً، صادقاً، مشفقاً، باراً، أميناً، مأموناً...»[1].



(١) البحار: ٢٣/١٢، نقلنا الحديث بتصرف.

مناظراته واحتجاجاته

واتسم عصر الإمام الرِّضا عليه السلام بشيوع المناظرات والاحتجاجات بين زعماء الأديان والمذاهب الإسلامية وغيرها، وقد احتدم الجدال بينهم في كثير من البحوث الكلامية خصوصاً فيما يتعلق بأُصول الدِّين، وقد حفلت الكتب الكلامية وغيرها بألوان من ذلك الصراع العقائدي مشفوعة بالأدلة التي أقامها المتكلمون على ما يذهبون إليه.

أسئلة عمران الصابىء:

كان عمران الصابىء من كبار فلاسفة عصر الإمام عليه السلام كما كان الزعيم الرُّوحي لطائفة الصابئة، وقد انتدبه المأمون لامتحان الإمام، فاختار له أعمق المسائل الفلسفية وأكثرها تعقيداً وغموضاً.

وننقل النصّ الكامل من أسئلة الصابىء وجواب الإمام عنها حسبما ذكره الشيخ الصدوق في (عيون أخبار الرِّضا) مع مقتطفات من تعليقات المحقق الشيخ محمد تقي الجعفري.

لقد قدَّم الوفد الذي كان مع عمران جملة من المسائل، وبعدما أجاب الإمام عليه السلام عن أسئلة الوفد الذي هو من كبار علماء النصارى، واليهود والصابئة، قال لهم: «يا قوم إن كان فيكم أحد يألف الإسلام، وأراد أن يسأل، فليسأل غير محتشم..».

فانبرى إليه عمران الصابىء، وكانت متطلعاً بصيراً في علم الكلام فخاطب الإمام بأدب وإكبار قائلاً: «يا عالم الناس لولا أنَّك دعوت إلى مسألتك، لم أقدم عليك بالمسائل، فلقد دخلت الكوفة والبصرة، والشام، والجزيرة ولقيت المتكلمين، فلم أقع على أحد يثبت لي واحداً ـ يعني أنَّ الله تعالى واحد لا ثاني له ـ ليس غيره قائماً بواحدنيته أفتأذن لي أن أسألك...».

عرض الصابىء إلى عمق مسألته، وأنَّه لم يهتد لحلها علماء الكوفة والبصرة والشام والجزيرة، ويطلب من الإمام عليه السلام حلها، فقابله الإمام ببسمات فيَّاضة بالبشر قائلاً: «إن كان في الجماعة عمران الصابىء، فأنت هو..».

قال: «أنا هو».

قال: «سل يا عمران، وعليك بالنصفة، وإيَّاك والخطل[١] والجور..».

وأطرق الصابىء بوجهه إلى الأرض، وقال بنبرات تقطر أدباً وإجلالاً للإمام: «والله يا سيِّدي ما أريد إلاَّ أن تثبت لي شيئاً أتعلق به فلا أجوزه..».

لقد أعرب الصابىء عن نواياه الحسنة وأنَّه يريد الحقيقة، والوصول إلى الواقع، ولا صلة له بغير ذلك، فقال عليه السلام: «سل عمَّا بدا لك..».

وكان المجلس مكتظاً بالعلماء والقادة، وفي طليعتهم المأمون فانضم بعضهم إلى بعض، وانقطعوا عن الكلام ليسمعوا أسئلة الصابىء وجواب الإمام عنها، وتقدَّم الصابىء بأسئلته.

س ١ ـ «أخبرني عن الكائن الأول، وعمَّا خلق..» أما المسؤول عنه في هذه الكلمات فهو الشيء الأول والمادة الأولى التي خلق الله تعالى الأشياء منها، وليس المسؤول عنه وجود الله المبدع العظيم فإنَّه من الأمور الواضحة التي لا يشك فيها من يملك وعيه وإرادته، فإنَّ جميع ما في الكون تدلل على وجود خالقها فإنَّه من المستحيل أن يوجد المعلول من دون علته... ولنستمع إلى جواب الإمام عليه السلام عن هذه المسألة.

الجواب: «أما الواحد فلم يزل واحداً كائناً، بلا حدود، ولا أعراض، ولا يزال كذلك، ثم خلق خلقاً مبتدعاً مختلفاً بأعراض وحدود مختلفة، لا في شيء أقامه، ولا في شيء حدَّه، ولا على شيء حذاه، ومثله له، فجعل الخلق من بعد ذلك صفوة، وغير صفوة، واختلافاً وائتلافاً، وألواناً وذوقاً وطعماً لا لحاجة كانت منه إلى ذلك، ولا لفضل منزلة لم يبلغها إلاَّ به ولا رأى لنفسه فيما خلق زيادة ولا نقصاناً...».

وحكى هذا المقطع من جواب الإمام عليه السلام ما يلي:

أولاً: إنَّ الله تعالى واحد لا شيء معه، وهو مجرد من الحدود والأعراض التي هي من صفات الممكن، فهو كائن واحد، ما زال ولا يزال، وليست وحدته عددية أو نوعية أو جنسية، وإنَّما بمعنى عدم ارتباطه بأي شيء مادّي أو غير مادَّي، فهو بمرتبة من الكمال لا يشابهه أي شيء من الممكنات التي نسبتها إليه نسبة الصانع إلى المصنوع، فتبارك الله.

ثانياً: إنَّ النظرة البدوية في الأشياء أنَّ كل صورة لا بدَّ لها من مادة تقوم وتحل

(١) الخطل: المنطق الفاسد.

بها، ولكن هذا بالنسبة إلى غير الواجب تعالى أما هو فإنَّه يخلق الأشياء لا من شيء كان، ولا من شيء خلق، وإنَّما يقول للشيء كن فيكون، فقد ابتدع خلق الأشياء لا على شيء حذاه، ومثله له، فهو القوَّة الكبرى المبدعة لخلق الأشياء لا لحاجة منه إليها، فهو المصدر الوحيد للفيض على جميع الكائنات.

والتفت الإمام عليه السلام إلى عمران فقال له: «تعقل هذا يا عمران. . .؟».

قال: «نعم والله يا سيِّدي. . .».

قال عليه السلام: «اعلم يا عمران أنَّه لو كان خلق ما خلق لحاجة، لم يخلق إلاَّ من يستعين به على حاجته، ولكان ينبغي أن يخلق أضعاف ما خلق لأنَّ الأعوان كلَّما كثروا كان صاحبهم أقوى، والحاجة يا عمران لا يسعها لأنَّه كان لم يحدث من الخلق شيئاً إلاَّ حدثت فيه حاجة أخرى، ولذلك أقول: لم يخلق الخلق لحاجة ولكن تقلُّ بالخلق الحوائج بعضهم إلى بعض، وفضَّل بعضهم على بعض بلا حاجة منه إلى من فضل، ولا نقمة منه على من أذلّ. . .».

وهذا الكلام متمم لما قبله من أنَّ الله تعالى خلق الخلق في غنى عنهم فهم المحتاجون إلى فيضه ورحمته وعطائه، فهو الجواد المطلق الذي بسط الرحمة والإحسان على جميع الموجودات والكائنات وكان من فضله أنَّه فضَّل بعض مخلوقاته على بعض بلا حاجة منه إلى من فضل، ولا نقمة منه على من أذل.

س ٢ ـ «يا سيِّدي هل كان الكائن معلوماً في نفسه عند نفسه. .؟».

وهذا السؤال عميق للغاية، وتوضيحه ـ حسبما ذكره الشيخ الجعفري ـ أن تحصل شيء وتحقِّقه في الانكشاف العلمي كواقع ذلك الشيء ينحل إلى هوية نفسه، وطارديته لغيره، وبذلك يكون محدوداً، فإنَّ الحجر ما لم يضف إلى هويته عدم جميع أضداده لا يتحصل تحصلاً علمياً. . . فإنَّ النفس المعلومة ما لم يلاحظ طرد جميع ما سواها عنها لا تكون معلومة ومحصلة عند العالم وكأنَّ هذا هو الموجب لسؤال عمران عن كونه تعالى معلوماً عند نفسه، فحينئذٍ لو أجاب الإمام بثبوته لاستشكل عمران هل كان تحصيل نفسه عند نفسه ملازماً لطرد غيره من المعقولات أم لا؟

الجواب: قال عليه السلام: «إنَّما يكون المعلمة بالشيء لنفي خلافه، وليكن الشيء نفسه، بما نفى عنه موجوداً، ولم يكن هناك شيء يخالفه، فتدعوه الحاجة إلى نفي ذلك الشيء عن نفسه بتحديد ما علم منها. .».

والتفت الإمام إلى عمران فقال له: «أفهمت يا عمران؟. .».

قال: «نعم والله يا سيِّدي. . .».

وحاصل ما أجاب به الإمام عليه السلام أنَّ ما ذكره الصَّابىء إنَّما يصح فيما لو كان المعلوم مقارناً بعدَّة أشياء تخالفه فيلزم حينئذٍ نفي تلك الأشياء لتحصيل المعلوم إلاَّ أنَّ الله تعالى خالق الكون وواهب الحياة ما لم يكن هناك شيء يقارنه فلا حاجة إلى نفيه ليقرر إرادته بذلك النفي.

س ٣ ـ «أخبرني بأيّ شيء علم ما علم أبضمير أم بغير ضمير؟».

أراد الصابىء بهذا السؤال إلزام الإمام بالقول بالتركيب في ذاته تعالى، من جهة أنَّه ذو ضمير.

الجواب: «أرأيت إذا علم بضمير هل يجد بداً من أن يجعل لذلك الضمير حداً تنتهي إليه المعرفة؟

أراد الإمام أنَّ ذلك الضمير لا بدَّ أن يعرف حقيقته وماهيته، وقد وجه الإمام إليه السؤال التالي: «فما ذلك الضمير؟. .».

فانقطع الصابىء عن الكلام ولم يستطع أن يقول شيئاً، فقد سدَّ الإمام عليه كل نافذة يسلك فيها لإثبات ما يذهب إليه، والتفت الإمام إليه قائلاً: «لا بأس إن سألتك عن الضمير نفسه فتعرفه بضمير آخر؟ فإن قلت: نعم، أفسدت عليك قولك. . .».

وأقام الإمام الحجَّة الكاملة والبرهان القاطع على بطلان ما التزم به الصابىء من أنَّه تعالى يعلم بواسطة الضمير، وعلى هذا فلا بدَّ من ضمير آخر يقع به الإدراك لذاته تعالى، وهذا الضمير الآخر يتوقف على ضمير غيره، وهكذا فيلزم التسلسل، وهو ما لا نهاية له، وإن توقف الضمير الثاني على الضمير الأول فيلزم منه الدور والأمران ممَّا أجمع على فسادهما، لترتب الأمور الفاسدة عليهما حسبما ذكره الفلاسفة والمنطقيون وتمم الإمام عليه السلام حجَّته وبرهانه بقوله:

«يا عمران أليس ينبغي أن تعلم أنَّ الواحد ليس يوصف بضمير، وليس يُقال له: أكثر من فعل وعمل وصنع، وليس يتوهم منه مذاهب وتجزية كمذاهب المخلوقين وتجزيتهم، فاعقل ذلك، وابن عليه ما علمت صواباً. .».

أراد الإمام عليه السلام أنَّ صدور الأفعال والأعمال المختلفة من الله تعالى ليست على غرار غيره من الممكنات التي تحتاج إلى العلل والأسباب كالعقل، وغيره من سائر الجوارح الظاهرية، فإنَّه تعالى يستحيل عليه ذلك.

س ٤ ـ «يا سيِّدي ألا تخبرني عن حدود خلقه كيف هي؟ وما معانيها؟ وعلى كم نوع يكون؟..».

واستفسر عمران عن حدود المخلوقات التي تميّز بعضها عن بعض فأجابه الإمام:

الجواب: «قد سألت فاعلم أنَّ حدود خلقه على ستة أنواع: ملموس، وموزون، ومنظور إليه، وما لا ذوق له، وهو الرُّوح، ومنها منظور إليه، وليس له وزن، ولا لمس، ولا حس، ولا لون، ولا ذوق، والتقدير والأعراض والصور، والطول، والعرض، ومنها العمل والحركات التي تصنع الأشياء وتعملها، وتغيرها من حال إلى حال وتزيدها، وتنقصها، فأما الأعمال والحركات فإنَّها تنطلق لأنَّه لا وقت لها أكثر من قدر ما يحتاج إليه، فإذا فرغ من الشيء انطلق بالحركة، وبقي الأثر، ويجري مجرى الكلام الذي يذهب ويبقى أثره...».

وحفل جواب الإمام عليه السلام بذكر الخواص والصفات التي تتميَّز بها الأشياء سواء أكانت من الكائنات الحية أم من غيرها.

س ٥ ـ «يا سيِّدي: ألا تخبرني عن الخالق إذا كان واحداً لا شيء غيره، ولا شيء معه، أليس قد تغيَّر بخلقه الخلق..».

ومعنى هذا السؤال أنَّ الحقائق الطبيعية التي أوجدها الله تعالى أنَّها توجب تغيُّر الخالق العظيم بتغييرها، وهذا إنَّما يلزم على القول باتحادهما معه تعالى ذاتاً، وهذا مستحيل.

الجواب: «قديم لم يتغيَّر عزَّ وجلَّ بخلقه الخلق، ولكن الخلق يتغيَّر، بتغييره...».

وحاصل جواب الإمام عليه السلام أنَّ الخالق العظيم لما كان هو الصانع والموجد للأشياء، وهو قديم فلا يلزم منه التغيير بتغيير الممكنات والكائنات.

س ٦ ـ «يا سيِّدي فبأيِّ شيء عرفناه؟...».

الجواب: «بغيره..».

إنَّ جميع ما في الكون ممَّا يرى، وممَّا لا يرى يدلل على وجود الخالق العظيم، لقد عرفناه بمخلوقاته، وآمنَّا به بما نشاهده من بدائع صنعته، وقد استبان بصورة واضحة لا غموض فيها في هذه العصور التي غزا الإنسان فيها الفضاء الخارجي، فقد ظهر للبشرية عظيم صنعته تعالى بما أودعه في هذا الفضاء من الكواكب التي لا تحصى ولا تعد، وكلها تسير بانتظام، ودقة، ولو اختلفت في مسيرها لحظة لتصادمت، وتلاشت، ولم يسبق لها أثر، فسبحان الله المبدع الحكيم.

س ٧ ـ «أي شيء غيره؟».

الجواب: «مشيئته، واسمه وصفته، وما أشبه ذلك، وكل ذلك محدث، مخلوق، مدبّر...».

لقد عرفنا الله تعالى بمشيئته واسمه وصفاته التي دلَّت عليه سبحانه، ففي دعاء الصباح: «يا من دلَّ على ذاته بذاته». وكل ما في الكون من موجودات تستند إليه استناد المصنوع إلى الصانع.

س ٨ ـ «يا سيِّدي أي شيء هو؟».

الجواب: «هو نور، بمعنى أنَّه هاد خلقه من أهل السماء، وأهل الأرض، وليس لك عليَّ أكثر من توحيدي إيَّاه...».

لقد أراد عمران بسؤاله معرفة حقيقة الله تعالى، متوهماً أنَّه تعالى كسائر الممكنات والموجودات، ولما كان ذلك مستحيلاً، إذ كيف يحيط الإنسان الذي لا يعرف ذاته وما فيها من الأجهزة الدقيقة، كيف يعرف حقيقة الخالق العظيم المصور والمبدع للأكوان، وقد أجاب الإمام عليه السلام أنَّه يعرف بأوصافه الظاهرية من هدايته لخلقه وغير ذلك من الأدلة الصريحة الواضحة التي تنادي بوجود خالقها العظيم.

س ٩ ـ «يا سيِّدي: أليس قد كان ساكتاً قبل الخلق لا ينطق، ثم نطق..».

الجواب: «لا يكون السكوت إلاَّ عن نطق قبله، والمثل في ذلك أنَّه لا يُقال للسراج: هو ساكت لا ينطق، ولا يُقال: إنَّ السراج ليضيء، فما يريد أن يفعل بنا لأنَّ الضوء من السراج ليس بفعل منه، ولا كون، وإنَّما هو ليس شيء غيره، فلما استضاء لنا، قلنا: قد أضاء لنا، حتى استضأنا به، فبهذا تستبصر أمرك..».

ومعنى جواب الإمام عليه السلام إنَّ السكوت والنطق إنَّما يعرضان موضوع قابل لهما، توارد العدم والملكة وحيث أنَّ نطق الله تعالى ليس على غرار ما يتصف به الناطقون من الممكنات، فيصح عليه النطق، كما يصح عليه السكوت وقد ذهبت الشيعة إلى أنَّ التكلم من صفات الأفعال لا يقوم بذاته تعالى قوام الأوصاف الذاتية، فإنَّه تعالى هو الذي خلق النطق والكلام إذا أراده وقد مثل الإمام عليه السلام لذلك بالسراج فإنَّه لا يُقال له أنَّه ساكت لا ينطق، كما أنَّ إسناد الإضافة إلى السراج ليس اختيارياً له، هذه بعض الاحتمالات في تفسير كلام الإمام عليه السلام.

س ١٠ ـ «يا سيِّدي: فإنَّ الذي كان عندي أنَّ الكائن قد تغير في فعله عن حاله بخلقه الخلق...».

الجواب: «يا عمران في قولك إنَّ الكائن يتغير في وجه من الوجوه، حتى يصيب الذات منه ما يغيره، هل تجد النار تغيرها تغير نفسها، وهل تجد الحرارة تحرق نفسها؟ أو هل رأيت بصيراً قط رأى بصره؟...».

إنَّ هذا السؤال من عمران قد تقدَّم، وقد أجابه الإمام عليه السلام وقد زاده عليه السلام توضيحاً، فقال له: إنَّ الكائن لا يتغير بوجه من الوجوه، فأفعال النفس ـ مثلاً ـ التي تصدر منها لا توجب زيادة فيها ولا نقصاناً، وهناك مثال آخر وهو البصر، فإن صدر الرؤية منه لا توجب زيادة فيه ولا نقصاناً.

س ١١ ـ «ألا تخبرني يا سيِّدي أهو في الخلق، أم الخلق فيه؟...».

الجواب: «أجلّ هو يا عمران عن ذلك، ليس هو في الخلق، ولا الخلق فيه تعالى عن ذلك، وسأعلمك ما تعرفه، ولا قوّة إلاّ بالله، أخبرني عن المرآة أنت فيها، أم هي فيك؟ فإن كان ليس واحد منكما في صاحبه، فبأي شيء استدللت بها على نفسك يا عمران..؟».

لقد أحال الإمام عليه السلام حلول الله تعالى في خلقه، وحلولهم فيه، ومثل لذلك بالصورة التي تنعكس في المرآة، فإنَّها لا تحل فيها، وكذلك المرآة لا تحل في الصورة، وإنَّما النُّور هو الذي أوجب رؤية الصورة في المرآة، وهو غير حال في شيء منهما، يقول ابن الفارض:

بوحدته دامت لها كل كثرة	فصحت قد آنت لها كل علة
قد صار عين الكل فرداً لذاته	وإن دخلت أفراده تحت عدَّة
نظرت فلم أبصر سوى محض وحدة	بغير شريك قد تغطت بكثرة

وهنا بحث فلسفية عميقة أعرضنا عن ذكرها إيثاراً للإيجاز.

س ١٢ ـ «بضوء بيني وبينها..».

وهذا السؤال مرتبط بما قبله، وقد أوضحناه.

الجواب: «هل ترى من ذلك الضوء أكثر ممَّا تراه في عينك؟».

عمران: «نعم».

الإمام: «فأرناه».

وسكت عمران، ولم يدر ما يقول، فقد سدَّ الإمام عليه كل نافذة يسلك منها، وواصل الإمام حديثه قائلاً: «فلا أرى النُّور إلاَّ وقد دلَّك، ودلَّ المرآة على أنفسكما من

غير أن يكون في واحد منكما، ولهذا أمثال كثيرة غير هذا لا يجد الجاهل فيها مقالاً ولله المثل الأعلى».

وحضرت وقت الصلاة، ولم يجد الإمام بُداً من تأجيل المناظرة فالتفت إلى المأمون، فقال له: الصلاة حضرت، وخاف عمران من عدم استئناف الحوار بينه وبين الإمام، فقال له: «يا سيِّدي لا تقطع عليَّ مسألتي، فقد رقَّ قلبي..».

فأوعده الإمام عليه السلام بالعودة إلى مناظرته، ونهض الإمام فأدَّى فريضة الصلاة.

وعادت الجلسة، وقد حضرها المأمون، وكبار العلماء والقادة، والتفت الإمام عليه السلام إلى عمران فقال له: «سل يا عمران..».

س ١٣ ـ «يا سيِّدي ألا تخبرني عن الله عزَّ وجلَّ، هل يوجد بحقيقة أو يوجد بوصف؟..».

الجواب: «إنَّ الله المبدىء، الواحد، الكائن الأول، لم يزل واحداً لا شيء معه، فرداً لا ثاني معه، لا معلوماً ـ يعني بحقيقته ـ ولا مجهولاً، ولا محكماً، ولا مشتابهاً، ولا مذكوراً، ولا منسياً، ولا شيءاً يقع عليه اسم شيء من الأشياء، ولا من وقت كان ولا إلى وقت يكون، ولا بشيء قام، ولا إلى شيء يقوم ولا إلى شيء استند، ولا في شيء استكن، وذلك كله قبل الخلق[1] إذ لا شيء غيره، وما أوقعت عليه من الكل فهي صفات محدثة، وترجمة يفهم بها من فهم.

واعلم أنَّ الإبداع والمشيئة والإرادة معناها واحد، وأسماؤهما ثلاثة، وكان أول إبداعه ومشيئته وإرادته التي جعلها أصلاً لكل شيء، ودليلاً على كل شيء مدرك، وفاصلاً لكل مشكل، وبتلك الحروف تفريق كل شيء من اسم حق وباطل أو فعل أو مفعول، أو معنى أو غير معنى، وعليها اجتمعت الأمور كلها ولم يجعل للحروف في إبداعه لها معنى غير أنفسها، تتناهى ولا وجود لها، لأنَّها مبدعة بالإبداع.

والنُّور في هذا الموضع أول فعل الله الذي هو نور السموات والأرض، والحروف هي المفعول التي عليها مدار الكلام، والعبادات كلها من الله عزَّ وجلَّ علمها خلقه، وهي ثلاثة وثلاثون حرفاً، فمنها ثمانية وعشرون حرفاً تدلُّ على لغات العربية، ومن الثمانية والعشرين اثنان وعشرون حرفاً تدلُّ على لغات السريانية والعبرانية، ومنها خمسة أحرف متحرفة في سائر اللغات من العجم والأقاليم، واللغات كلها، وهي خمسة أحرف

---

(١) في نسخة: قبل خلقه الخلق.

تحرفت من الثمانية والعشرين حرفاً من اللغات فصارت الحروف ثلاثة وثلاثين حرفاً، فأما الخمسة المختلفة «فيتجنح» لا يجوز ذكرها أكثر ممَّا ذكرناه ثم جعل الحروف بعد إحصائها، وأحكام عدتها فعلامته كقوله عزَّ وجلَّ: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ وكن منه صنع، وما يكون به المصنوع، فالخلق الأول من الله عزَّ وجلَّ الإبداع لا بوزن له، ولا حركة، ولا سمع، ولا لون، ولا حس، والخلق الثاني الحروف، لا وزن لها، ولا لون، وهي مسموعة موصوفة، غير منظور إليها، والخلق الثالث ما كان من الأنواع كلها محسوساً، ملموساً، ذا ذوق منظور إليه والله تبارك وتعالى سابقاً للحروف، والحروف لا تدلُّ على غير نفسها».

وبهر المأمون، ولم يفهم أكثر محتويات هذه الكلمات العميقة التي تحتاج إلى وقت طويل لبيانها، وقال للإمام: «كيف لا تدلُّ ـ أي الحروف ـ على غير أنفسها؟..».

فأجابه الإمام موضحاً له الأمر قائلاً: «إنَّ الله تبارك وتعالى لا يجمع منها شيئاً لغير معنى أبداً، فإذا ألف منها أحرفاً أربعة أو خمسة، أو ستة، أو أكثر من ذلك، أو أقل لم يؤلفها بغير معنى ولم يكن إلاً لمعنى محدث لم يكن قبل ذلك شيئاً..».

س ١٤ ـ «كيف لنا بمعرفة ذلك؟..».

الجواب: «أما المعرفة فوجه ذلك وبيانه: إنَّك تذكر الحروف إذا لم ترد بها غير نفسها ذكرتها فرداً، فقلت: ا ب ت ث ج ح خ حتى تأتي على آخرها، فلم تجد لها معنى غير أنفسها، وإذا ألفتها وجعلت منها أحرفاً، وجعلتها اسماً وصفة لمعنى ما طلبت، ووجه مَا عنيت، كانت دليلة على معانيها داعية إلى الموصوف بها، أفهمته؟».

قال: «نعم».

وواصل الإمام حديثه في بيان معاني الحروف عند تركيبها قائلاً: «واعلم أنَّه لا يكون صفة لغير موصوف، ولا حد لغير محدود، والصفات والأسماء كلها تدلُّ على الكمال والوجود ولا مثال على الإحاطة، كما تدلُّ الحدود التي هي التربيع والتثليث، والتسديس، لأنَّ الله عزَّ وجلَّ تدرك معرفته بالصفات والأسماء، ولا تدرك بالتحديد، بالطول والعرض، والقلَّة والكثرة، واللون والوزن، وما أشبه ذلك وليس يحلّ بالله، وتقدس شيء من ذلك حتى يعرفه خلقه بمعرفتهم أنفسهم بالضرورة التي ذكرنا.

ولكن يدلُّ على الله عزَّ وجلَّ بصفاته، ويدرك بأسمائه، ويستدل عليه بخلقه حتى لا يحتاج في ذلك الطالب المرتاد إلى رؤية عين، ولا استماع أذن، ولا لمس كف، ولا إحاطة بقلب، ولو كانت صفاته جلَّ ثناؤه لا تدلُّ عليه، وأسماؤه لا تدعو إليه، والمعلمة

من الخلق لا تدركه لمعناه كانت العبادة من الخلق لأسمائه وصفاته دون معناه، فلولا أنَّ ذلك كذلك لكان المعبود الموحد غير الله لأنَّ صفاته وأسماءَه غيره.. أفهمت يا عمران؟».

قال: «نعم يا سيِّدي زدني..».

وواصل الإمام حديثه الممتع، وقد استولى على من حضر من العلماء والقادة قائلاً:

«إيَّاك وقول الجهال من أهل العمى والضلال الذين يزعمون أنَّ الله جلَّ وتقدَّس موجود في الآخرة للحساب في الثواب والعقاب، وليس بموجود في الدُّنيا للطاعة والرجاء ولو كان في الوجود لله عزَّ وجلَّ نقص واهتضام لم يوجد في الآخرة أبداً، ولكن القوم تاهوا وعموا، وصمّوا عن الحق من حيث لا يعلمون، وذلك قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾[1] يعني أعمى عن الحقائق الموجودة، وقد علم ذوو الألباب أنَّ الاستدلال على ما هناك لا يكون إلاَّ بما هاهنا، ومن أخذ علم ذلك برأيه، وطلب وجوده وإدراكه عن نفسه دون غيرها لم يزدد من علم ذلك إلاَّ بُعداً لأنَّ الله عزَّ وجلَّ جعل علم ذلك خاصة عند قوم يعقلون ويعلمون ويفهمون...».

س ١٥ ـ «يا سيِّدي ألا تخبرني عن الإبداع أخلق هو أم غير خلق؟..».

علَّق الشيخ الجعفري على هذه المسألة بقوله: إنَّ هذه المسألة أيضاً ممَّا أعيى الأذهان والعقول البشرية لأنَّها التي أوجبت افتراق المسالك والفرق المختلفة فمنهم من قال: باستحالة الإبداع مطلقاً أكان من الواجب، أم من الممكن، ومن قبيل المواد والصور أو العقول والنُّفوس وغيرها، ومنهم من جوزه مطلقاً، ومنهم من حصر إمكان الإبداع على الله تعالى على نحو العموم أي أنَّه تعالى قادر على أن يبدع أي موجود شاء دون مادة سابقة له، وقع التغير عليه، وقد قالوا: إنَّه مقتضى قدرته المطلقة وقابلية الموضوع ومنهم من ذهب مذاهب أخرى[2].

الجواب: «بل خلق ساكن، لا يدرك بالسكون، وإنَّما صار خلقاً لأنَّه شيء محدث، والله تعالى الذي أحدثه فصار خلقاً له، وإنَّما هو الله عزَّ وجلَّ خلقه لا ثالث بينهما ولا ثالث غيرهما، فما خلق الله عزَّ وجلَّ لم يعد أن يكون خلقه، وقد يكون الخلق ساكناً

(١) سورة الإسراء: الآية ٧٢.
(٢) تحف العقول: ص٥٢٧.

ومتحرِّكاً ومختلفاً ومؤتلفاً ومعلوماً ومتشابهاً، وكل ما وقع عليه حدّ فهو خلق الله عزَّ وجلَّ واعلم أنَّ كل ما أوجدتك الحواس فهو معنى مدرك للحواس، وكل حاسة تدلُّ على ما جعل الله عزَّ وجلَّ لها في إدراكها، والفهم من القلب بجميع ذلك كله واعلم أنَّ الواحد الذي هو قائم بغير تقدير ولا تحديد خلق خلقاً مقدراً بتحديد وتقدير، وكان الذي خلق خلقين اثنين: التقدير والمقدر، وليس في كل واحد منهما لون ولا وزن، ولا ذوق، فجعل أحدهما يدرك بالآخر وجعلهما مدركين بنفسهما، ولم يخلق شيئاً فرداً قائماً بنفسه دون غيره للذي أراد من الدلالة على نفسه وإثبات وجوده فالله تبارك وتعالى فرد واحد لا ثاني معه يقيمه، ولا يعضده، ولا يكنّه، والخلق ممَّا يمسك بعضه بعضاً بإذن الله تعالى ومشيئته وإنَّما اختلف الناس في هذا الباب حتى تاهوا وتحيَّروا وطلبوا الخلاص من الظلمة بالظلمة في وصفهم الله تعالى بصفة أنفسهم، فازدادوا من الحق بُعداً، ولو وصفوا الله عزَّ وجلَّ بصفاته، ووصفوا المخلوقين بصفاتهم لقالوا بالفهم واليقين، ولما اختلفوا، فلما طلبوا من ذلك ما تحيَّروا فيه، ارتبكوا، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم...».

س ١٦ ـ «أشهد أنَّه كما وصفت، ولكن بقيت لي مسألة...».

قال عليه السلام: «سل عمَّا أردت..».

قال: «أسألك عن الحكيم في أي شيء هو؟ وهل يحيط به شيء؟ وهل يتحول من شيء إلى شيء؟ أو به حاجة إلى شيء..؟».

الجواب: «أخبرك يا عمران فاعقل ما سألت عنه، فإنَّه من أغمض ما يرد على الخلق في مسائلهم، وليس يفهم المتفاوت عقله، العازب حلمه، ولا يعجز عن فهمه أولو العقل المنصفون، أما أول ذلك فلو كان خلق ما خلق لحاجة منه لجاز لقائل أن يقول: يتحول إلى ما خلق لحاجته إلى ذلك، ولكنَّه عزَّ وجلَّ لم يخلق شيئاً لحاجة ولم يزل ثابتاً لا في شيء، ولا على شيء إلاَّ أنَّ الخلق يمسك بعضه بعضاً، ويدخل بعضه في بعض، ويخرج منه، والله جلَّ وتقدَّس بقدرته يمسك ذلك كله، وليس يدخل في شيء، ولا يخرج منه، ولا يؤوده حفظه، ولا يعجز عن إمساكه، ولا يعرف أحد من الخلق كيف ذلك إلاَّ الله عزَّ وجلَّ، ومن أطلعه عليه من رسله وأهل سِّره، والمستحفظين لأمره وخزانه، القائمين بشريعته، وإنَّما أمره كلمح البصر أو هو أقرب، إذا شاء شيئاً فإنَّما يقول له ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ بمشيئته وإرادته وليس شيء أقرب إليه من شيء، ولا شيء أبعد منه من شيء.. أفهمت ياعمران؟..».

قال: «نعم يا سيِّدي..».

إنَّ الإنسان مهما أوتي من علم فهو عاجز عن معرفة نفسه وما فيها من الأجهزة الدقيقة المذهلة، فكيف ليعرف أو يحيط علماً بالخالق العظيم، مبدع الأكوان، وواهب الحياة، يقول ابن أبي الحديد:

فيك يا أعجوبة الكون غدا الفكر عليلا
فكري كلَّما دان شبراً منك راح ميلا
أنت حيَّرت ذوي اللُّب، وبلبلت العقولا

إنَّ فكر الإنسان محدود فكيف يعرف حقيقة الله تعالى، نعم عرفناه وآمنَّا به بمخلوقاته، فكل ذرَّة في هذا الوجود تنادي بوجود الخالق العظيم الذي لا يعزب عنه مثقال ذرَّة في السَّماء والأرض.

ولما رأى عمران الصابىء الطاقات الهائلة من العلم التي يتمتع بها الإمام عليه السلام، والتي منها أجوبته الحاسمة عن أعمق المسائل الفلسفية التي لا يهتدي لحلها إلاَّ أوصياء الأنبياء الذين منحهم الله العلم وفصل الخطاب، أعلن عمران إسلامه وطفق يقول:

«أشهد أنَّ الله تعالى على ما وصفت، ووحدت، وأشهد أنَّ محمَّداً ﷺ عبده المبعوث بالهدى، ودين الحق...».

ثم خرَّ ساجداً لله تعالى وأسلم، وبهر العلماء والمتكلمون من علوم الإمام، ومواهبه وعبقرياته، وراحوا يحدِّثون الناس عن فضل الإمام وسعة علومه، وانصرف المأمون وهو غارق بالألم، قد أترعت نفسه بالحقد والحسد للإمام.

وخاف عم الإمام محمد بن جعفر عليه من المأمون، وكان حاضراً في المجلس ورأى كيف تغلب على عمران الصابىء الذي هو في طليعة فلاسفة العصر، فاستدعى الحسن بن محمد النوفلي، وكان من أصحاب الإمام فقال له:

«يا نوفلي أما رأيت ما جاء به صديقك ـ يعني الإمام ـ؟ لا والله ما ظننت أنَّ علي بن موسى الرِّضا خاض في شيء قط، ولا عرفناه به، إنَّه كان يتكلم بالمدينة، أو يجتمع إليه أصحاب الكلام؟..».

وراح النوفلي يعرِّفه بعلم الإمام وفضله قائلاً:

«قد كان الحاج يأتونه فيسألونه عن أشياء من حلالهم وحرامهم فيجيبهم، وربَّما كلَّم من يأتيه يحاجه..».

وراح محمد يبدي مخاوفه من المأمون على ابن أخيه قائلاً:

«إنّي أخاف عليه أن يحسده هذا الرجل فيسمه أو يفعل به بلية، فأشر عليه بالإمساك عن هذه الأشياء..».

وكان النوفلي يظن خيراً بالمأمون، ولا يخاف منه على الإمام، فقال لمحمد:

«ما أراد الرجل - يعني المأمون - إلاَّ امتحانه ليعلم هل عنده شيء من علم آبائه؟..».

ولم يقنع محمد بكلام النوفلي، فقد كان يظن السوء بالمأمون وراح يقول له:

«قل له: إنَّ عمك قد كره هذا الباب، وأحب أن تمسك عن هذه الأشياء لخصال شتى...».

وكان عم الإمام مصيباً في حدسه، عالماً بما تكنه الأسرة العباسية من العداء والحقد لأهل البيت عليهم السلام، وقد أثارت أسئلة الصابىء وإسلامه على يد الإمام أحقاد المأمون فقدم على اغتيال الإمام.

ونقل النوفلي كلمات محمد إلى الإمام عليه السلام فشكره على ذلك، ودعا له بالخير.

وكسب الإمام عليه السلام في مناظرته إسلام عمران الذي هو في طليعة علماء عصره، فقد بعث خلفه، فلما مثل عنده رحَّب به وقابله بمزيد من الحفاوة والتكريم، ودعا له بكسوة فخلعها عليه وأعطاه عشرة آلاف درهم، ففرح عمران بذلك وأخذ يدعو للإمام ويشكره على ذلك قائلاً: «جعلت فداك حكيت فعل جدّك أمير المؤمنين عليه السلام».

وجعل عمران يتردَّد على الإمام ويكتسب من فيض علومه وصار بعد ذلك فيما يقول المؤرخون داعية من دعاة الإسلام، وجعل المتكلمون من أصحاب المقالات والبدع يفدون عليه، ويسألونه عن مهام المسائل وهو يجيبهم عنها، حتى اجتنبوه، وأوصله المأمون بعشرة آلاف درهم، كما أعطاه الفضل بن سهل مالاً، وولاه الإمام على صدقات بلخ فأصاب الرغائب[1].

أسئلة سليمان المروزي:

أما سليمان المروزي فكان متضلعاً بالفلسفة، ومتمرساً في البحوث الكلامية وكان يُعدُّ في طليعة علماء خراسان، وقد انتدبه المأمون لامتحان الإمام الرِّضا عليه السلام وقد قابله

(١) عيون أخبار الرِّضا: ١/١٦٨ - ١٧٨ وذكر الطبرسي ما يقرب من ذلك في الاحتجاج، والمجلسي في البحار، والحسن بن شعبة في تحف العقول.

بحفاوة وتكريم، وقال له: «إنَّ ابن عمي علي بن موسى الرِّضا، قدم عليَّ من الحجاز، وهو يحب الكلام وأصحابه، فلا عليك أن تصير إلينا يوم التروية لمناظرته..».

وخاف سليمان من ذلك، فقد ظن أنَّ الإمام سوف يعجز عن أجوبة مسائله فيحقد عليه العلويون، وراح يعتذر من المأمون قائلاً: «إنِّي أكره أن أسأل مثله في مجلسك في جماعة من بني هاشم، فينتقص عند القوم إذا كلمني، ولا يجوز الانتقاص عليه...».

وتعهد له المأمون، ووعده أن لا يصيبه أي أذى أو مكروه قائلاً: «إنَّما وجهت إليه لمعرفتي بقوَّتك، وليس مرادي إلاَّ أن تقطعه عن حجَّة واحدة فقط..».

وهذا الكلام يدلل على سوء ما يضمره المأمون للإمام، وما يكنّه له من الحقد والعداء، واطمأنَّ سليمان، من أي اعتداء عليه، وراح يقول للمأمون: «حسبك يا أمير المؤمنين، اجمع بيني وبينه، وخلني والذم..».

ووجه المأمون في الوقت رسوله إلى الإمام يطلب منه الحضور لمناظرة سليمان فأجابه الإمام إلى ذلك، وحضر معه وفد من أعلام أصحابه ضمَّ عمران الصابىء الذي أسلم على يده وجرى حديث بينه وبين سليمان حول البداء، فأنكره سليمان، وأثبته عمران، وطلب سليمان رأي الإمام فيه فأقرَّه، واستدل عليه بآيات من الذِّكر الحكيم، والتفت المأمون إلى سليمان فقال له: سل أبا الحسن عمَّا بدا لك وعليك بحسن الاستماع والإنصاف، ووجه سليمان الأسئلة التالية للإمام عليه السلام:

قال: «ما تقول فيمن جعل الإرادة اسماً وصفة مثل حي، وسميع، وبصير وقدير؟..».

قال عليه السلام: «إنَّما تقول: حدثت الأشياء واختلفت لأنَّه شاء وأراد، ولم تقولوا: حدثت الأشياء واختلف لأنَّه سميع بصير، فهذا دليل على أنَّهما ـ أي الإرادة والمشيئة ـ ليستا مثل سميع، ولا بصير، ولا قدير.

وانبرى سليمان قائلاً: «فإنَّه لم يزل مريداً..».

وردَّ عليه الإمام: «يا سليمان فإرادته غيره؟..».

قال: «نعم...».

وذهب سليمان إلى التعدد مع أنَّ الله تعالى متحد مع إرادته، وأبطل الإمام شبهته قائلاً: «قد أثبت معه شيئاً غيره لم يزل؟..».

قال: «ما أثبت...».

قال عليه السلام: «أهي ـ أي الإرادة ـ محدثة؟..».

قال: «لا ما هي محدثة..».

وضيَّق الإمام على سليمان الخناق، وراحت أقواله تتناقض فتارة يقول بقدم الإرادة، وأخرى يقول بحدوثها، فصاح به المأمون، وطلب منه عدم المكابرة، والإنصاف في حديثه قائلاً: «عليك بالإنصاف، أما ترى من حولك من أهل النظر؟».

والتفت المأمون إلى الإمام قائلاً: «كلِّمه يا أبا الحسن، فإنَّه متكلم خراسان».

وسأله الإمام قائلاً: «أهي محدثة؟..».

فأنكر سليمان حدوث الإرادة، فردَّ عليه الإمام: «يا سليمان هي محدثة، فإنَّ الشيء إذا لم يكن أزلياً كان محدثاً، وإذا لم يكن محدثاً كان أزلياً..».

وانبرى سليمان قائلاً: «إرادته ـ أي الله ـ منه، كما أنَّ سمعه وبصره وعلمه منه».

وأبطل الإمام عليه قوله، قائلاً: «فأراد نفسه؟..».

قال: «لا..».

وأخذ الإمام يفند مقالته قائلاً له: «فليس المريد مثل السميع والبصير».

وراح سليمان يتخبط خبط عشواء فقد ضيَّق الإمام عليه، وسدَّ كل نافذة يسلك منها، قائلاً: «إنَّما أراد نفسه، كما سمع نفسه، وأبصر نفسه، وعلم نفسه..».

وانبرى الإمام فأبطل مقالته، قائلاً له: «ما معنى أراد نفسه؟ أراد أن يكون شيئاً، وأراد أن يكون حياً، أو سميعاً، أو بصيراً أو قديراً..».

ولم يدر سليمان ماذا يقول، فأجاب: «نعم..».

فقال له الإمام: «أفبإرادته كان ذلك؟..».

قال: «نعم...».

وطفق الإمام يبطل مقالته، ويبدي ما فيها من التناقض قائلاً: «فليس لقولك: أراد أن يكون حياً سميعاً، بصيراً معنى، إذا لم يكن ذلك بإرادته؟..».

والتبس الأمر على سليمان، وراح يقول: «بلى قد كان ذلك بإرادته..».

وعجَّ المجلس بالضحك، وضحك المأمون والرِّضا عليه السلام من تناقض كلام سليمان، والتفت الإمام إلى الجماعة، وطلب منهم الرفق بسليمان، ثم قال له: «يا سليمان، فقد حال ـ أي الله تعالى ـ عندكم عن حاله وتغير عنها، وهذا ما لا يوصف الله به...».

وبان العجز على سليمان، وانقطع الكلام، والتفت الإمام إليه ليقيم عليه الحجَّة قائلاً: «يا سليمان أسألك عن مسألة..؟».

قال: «سل جُعلت فداك..».

قال عليه السلام: «أخبرني عنك وعن أصحابك تكلمون الناس بما تفقهون وتعرفون؟ أو بما لا تفقهون، ولا تعرفون؟...».

قال: «بل بما نفقه ونعلم..».

وأخذ الإمام يقيم الحجَّة والبرهان على خطأ ما ذهب إليه سليمان قائلاً: «فالذي يعلم الناس أن المريد غير الإرادة، وأنَّ المريد قبل الإرادة، الفاعل قبل المفعول، وهذا يبطل قولكم: إنَّ الإرادة والمريد شيء واحد...».

وطفق سليمان قائلاً: «جُعلت فداك، ليس ذلك منه على ما يعرف الناس، ولا على ما يفقهون؟».

واندفع الإمام يبطل ما ذهب إليه قائلاً: «فأراكم أدعيتم علم ذلك بلا معرفة، وقلتم: الإرادة كالسمع والبصر إذا كان ذلك عندكم على ما لا يعرف، ولا يعقل..».

وحار سليمان ولم يطق جواباً أمام هذه الطاقات الهائلة من العلم التي يملكها الإمام عليه السلام، واستأنف الإمام حديثه ليتم عليه الحجَّة قائلاً: «يا سليمان هل يعلم الله جميع ما في الجنَّة والنار؟...».

وأسرع سليمان قائلاً: «نعم..».

وانبرى الإمام قائلاً: «أفيكون ما علم الله تعالى أنَّه يكون من ذلك؟..».

قال: «نعم..».

قال عليه السلام: «فإذا كان حتى لا يبقى منه شيء، إلاَّ كان يزيدهم أو يطويه عنهم؟..».

فأجاب سليمان: «بل يزيدهم..».

وأبطل الإمام قوله: «فأراه في قولك: قد زادهم ما لم يكن في علمه، إنَّه يكون..».

وطفق سليمان يقول: «جُعلت فداك فالمريد لا غاية له...».

ومضى الإمام يفنِّد شبه سليمان قائلاً: «فليس يحيط علمه عندكم بما يكون فيهما إذا لم يعرف غاية ذلك وإذا لم يحط علمه بما يكون فيهما، لم يعلم ما يكون فيهما قبل أن يكون، تعالى الله عزَّ وجلَّ عن ذلك علوّاً كبيراً..».

وراح سليمان يعتذر ويوجه ما قاله: «إنَّما قلت: لا يعلمه، لأنَّه لا غاية لهذا، لأنَّ الله عزَّ وجلَّ وصفهما بالخلود، وكرهنا أن نجعل لهما انقطاعاً..».

وراح الإمام عليه السلام يفنّد شبهه وأوصافه قائلاً: «ليس علمه بذلك بموجب لانقطاعه عنهم، لأنّه قد يعلم بذلك، ثم يزيدهم ثم لا يقطعه عنهم، وكذلك قال الله عزَّ وجلَّ في كتابه: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾[1] وقال لأهل الجنة: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾[2] وقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾﴾[3] فهو عزَّ وجلَّ يعلم ذلك لا يقطع عنها الزيادة.. أرأيت ما أكل أهل الجنة، وما شربوا يخلف مكانه؟..».

قال: «بلى..».

قال عليه السلام: «أفيكون يقطع ذلك عنهم، وقد أخلف مكانه؟..».

قال: «لا..».

ومضى الإمام عليه السلام يقرر ما ذهب إليه قائلاً: «فكذلك كلّما يكون فيها إذا أخلف مكانه فليس بمقطوع عنهم..».

وراح سليمان يتمسك بالشبه والأوهام ثم يزيله عنها هذه الحجج البالغة التي أقامها الإمام قائلاً: «بلى يقطعه عنهم، ولا يزيدهم..».

وانبرى الإمام فأبطل ذلك بقوله: «إذاً يبيد فيها، وهذا يا سليمان إبطال الخلود، وخلاف الكتاب، لأنَّ الله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾[4] ويقول عزَّ وجلَّ: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ ويقول عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾[5] ويقول عزَّ وجلَّ: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾[6] ويقول عزَّ وجلَّ: ﴿وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾﴾».

ووجم سليمان، وحار في الجواب، وراح يسدُّ عليه كل نافذة يسلك فيها لإثبات شبهة قائلاً له: «يا سليمان ألا تخبرني عن الإرادة أفعل هي أم غير فعل..؟».

قال: «بل هي فعل..».

وردَّ الإمام عليه: «فهي محدثة لأنَّ الفعل كله محدث..».

إنَّ كل ممكن معلول ومصنوع وحادث أما واجب الوجود تعالى فهو عارٍ عن صفات

---

(١) سورة النساء: الآية ٥٦.
(٢) سورة هود: الآية ١٠٨.
(٣) سورة الواقعة: الآية ٣٣.
(٤) سورة ق: الآية ٣٥.
(٥) سورة الحجر: الآية ٤٨.
(٦) سورة البينة: الآية ٨.

الممكن، ومستحيلة عليه. . . ولم يستطع سليمان أن يقول شيئاً، وراح يناقض نفسه فقال: «ليست ـ أي الإرادة ـ بفعل. . ».

وقد اعترف سليمان سابقاً بأنَّها فعل، والتفت إليه الإمام فقال: «فمعه ـ أي مع الله ـ غيره لم يزل؟. . ».

وراوغ سليمان، ولم يجب الإمام عن سؤاله، وقال: «الإرادة هي الإنشاء. . .».

فأجابه الإمام: «هذا الذي عبتموه على ضرار[1] وأصحابه من قولهم: إنَّ كل ما خلق الله عزَّ وجلَّ في سماء أو أرض أو بحر أو برّ من كلب، أو خنزير، أو قرد، أو إنسان، أو دابة، إرادة الله، وإنَّ إرادة الله تحيى، وتموت، وتذهب، وتأكل وتشرب، وتنكح، وتلذّ، وتظلم، وتفعل الفواحش، وتكفر، وتشرك، فيبرأ منها، ويُعاد بها وهذا حدها».

عرض الإمام عليه السلام إلى الآراء الفاسدة التي التزم بها ضرار والتي عابها على سليمان وأصحابه فإنَّ هذه اللوازم الفاسدة كلها ترد على سليمان إلاَّ أنَّه لم يع مقالة الإمام، وراح يقول: «إنَّها ـ أي الإرادة ـ كالسمع والبصر والعلم. . ».

لقد كرر سليمان ما قاله سابقاً من أنَّ الإرادة كالسمع والبصر وقدأبطل الإمام ذلك، فقال عليه السلام له: «أخبرني عن السمع والبصر والعلم أمصنوع؟. . ».

قال: «لا. . ».

وانبرى الإمام يدلّه على تناقض كلامه قائلاً: «فكيف نفيتموه؟ قلتم لم يرد، ومرة قلتم: أراد، وليست ـ أي الإرادة ـ بمفعول له. . ».

وراح سليمان يتخبط خبط عشواء، فقال: «إنَّما ذلك كقولنا: مرة علم، ومرة لم يعلم. . ».

فأجابه الإمام ببالغ الحجّة قائلاً: «ليس ذلك سواء لأنَّ نفي المعلوم ليس كنفي العلم، ونفي المراد نفي الإرادة أن تكون، لأنَّ الشيء إذا لم يرد لم تكن إرادة، فقد يكون العلم ثابتاً، وإن لم يكن المعلوم بمنزلة البصر، فقد يكون العلم ثابتاً، وإن لم يكن المعلوم بمنزلة البصر، يكون الإنسان بصيراً، وإن لم يكن المبصر وقد يكون العلم ثابتاً، وإن لم يكن المعلوم. . ».

وأجاب سليمان: «إنَّها ـ أي الإرادة ـ مصنوعة. . ».

وأبطل الإمام قول سليمان، قائلاً: «فهي محدثة، ليست كالسمع والبصر لأنَّ السمع والبصر ليسا بمصنوعين، وهذه مصنوعة. . ».

---

(١) ضرار من شيوخ المعتزلة في علم الكلام، وهو من الاباضية.

فقال سليمان: «إنَّها صفة من صفاته لم تزل..».

وردَّ عليه الإمام قائلاً: «فينبغي أن يكون الإنسان لم يزل لأنَّ صفته لم تزل..».

وأخذ سليمان يراوغ في كلامه قائلاً: «لا، لأنَّه لم يفعلها..».

فأنكر الإمام عليه ذلك وقال: «يا خراساني ما أكثر غلطك، أفليس بإرادته وقوله تكون الأشياء؟..».

وأصرَّ سليمان على خطئه قائلاً: «لا...».

فأجابه الإمام: «إذا لم تكن بإرادته، ولا مشيئته، ولا أمره، ولا بالمباشرة فكيف يكون ذلك؟ تعالى الله عن ذلك..».

وحار سليمان، فلم يستطع أن يقول شيئاً، وراح الإمام يفنِّد شبه سليمان، وما تمسك به من أوهام قائلاً له: «ألا تخبرني عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا﴾[1]. يعني بذلك أنَّه يحدث إرادة؟..».

فأجابه الإمام عليه السلام: «فإذا أحدث إرادة، كان قولك: إنَّ الإرادة هي هو أو شيء منه باطلاً، لأنَّه لا يكون أن يحدث نفسه، ولا يتغيَّر عن حاله تعالىٰ عن ذلك..».

وانبرى سليمان قائلاً: «إن لم يكن عنى بذلك أن يحدث إرادة».

وسارع سليمان قائلاً: «نعم».

قال عليه السلام: «فما عنى به؟..».

قال: «عنى فعل الشيء..».

فزجره الإمام قائلاً: «ويلك كم تردِّد هذه المسألة، وقد أخبرتك أنَّ الإرادة محدثة، لأنَّ فعل الشيء محدث..».

قال: «فليس لها معنى..».

قال عليه السلام: «قد وصف نفسه عندكم، حتى وصفها بالإرادة بما له معنى له فإذا لم يكن لها معنى قديم، ولا حديث بطل قولكم، إنَّ الله عزَّ وجلَّ لم يزل مريداً..».

وراح سليمان يتمسك بالشبه قائلاً: «إنَّما عنيت أنَّها ـ أي الإرادة ـ فعل من الله تعالى لم يزل...».

---

(١) سورة الإسراء: الآية ١٦.

وردَّ عليه الإمام قائلاً: «ألم تعلم أنَّ ما لم يزل لا يكون مفعولاً وقديماً وحديثاً في حالة واحدة».

وحار سليمان في الجواب، فقد أبطل الإمام جميع شبهه، وأوضح له أنَّ كل ممكن حادث وليس أزلياً، وإرادة الله تعالى ليست على غرار صفات الممكن.

وراح الإمام يقيم عليه الحجَّة قائلاً: «لا بأس أتمم مسألتك..».

قال: «إنَّ الإرادة صفة من صفاته..».

وأنكر الإمام عليه تكراره لهذه المسألة قائلاً: «كم تردّد عليَّ أنَّها صفة من صفاته، فصفته محدثة أو لم تزل؟..».

قال: «محدثة..».

قال عليه السلام: «الله أكبر فالإرادة محدثة، وإن كانت صفة من صفاته لم تزل فلم يرد شيئاً... إن ما لم يزل لا يكون مفعولاً..».

وراح سليمان يغالط نفسه قائلاً: «ليس الأشياء إرادة، ولم يرد شيئاً..».

وردَّ الإمام عليه قائلاً: «وسوست يا سليمان، فقد فعل، وخلق ما لم يزل خلقه، وفعله وهذه صفة من لا يدري ما فعل؟ تعالى عن ذلك..».

وغالط سليمان فقال: «يا سيِّدي فقد أخبرتك إنَّها كالسمع والبصر والعلم..».

وصاح به المأمون قائلاً: ويلك يا سليمان، كم هذا الغلط والتردُّد؟ اقطع هذا، وخذ في غيره، إذ لست تقوى على غير هذا الرد..».

والتفت الإمام إلى المأمون، قائلاً: «دعه يا أمير المؤمنين، لا تقطع عليه مسألته، فيجعلها حجَّة..».

ونظر الإمام إلى سليمان قائلاً: «تكلَّم يا سليمان..».

ومضى سليمان قائلاً: «قد أخبرتك أنَّها ـ أي الإرادة ـ كالسمع والبصر والعلم..».

فردَّ عليه الإمام: «لا بأس أخبرني عن معنى هذه؟ أمعنى واحد أم معانٍ مختلفة؟..».

قال: «معنى واحد..».

قال عليه السلام: «فمعنى الإرادات كلها معنى واحد؟».

قال: «نعم..».

وردَّ عليه الإمام ببالغ الحجَّة قائلاً: «فإذا كان معناها واحداً كانت إرادة القيام

وإرادة القعود وإرادة الحياة وإرادة الموت، إذا كانت إرادته واحدة لم تتقدَّم بعضها بعضاً، ولم يخالف بعضها بعضاً، وكانت شيئاً واحداً..».

وأجاب سليمان قائلاً: «إنَّ معناها مختلف..».

وأشكل الإمام عليه قائلاً: أخبرني عن المريد أهو الإرادة أم غيرها؟..».

قال: «بل هو الإرادة..».

فأجابه الإمام: «المريد عندكم مختلف إذا كان هو الإرادة..».

قال: «يا سيِّدي ليس الإرادة المريد..».

وأشكل الإمام عليه قائلاً: «فالإرادة محدثة، وإلاَّ فمعه غيره..».

قال: «إنَّها اسم من أسمائه..».

قال عليه السلام: «هل سمَّى نفسه بذلك؟».

قال: «لا، لم يسمِّ نفسه بذلك..».

قال عليه السلام: «فليس لك أن تسميه بما لم يسمِّ به نفسه..».

وراوغ سليمان، فقال: «قد وصف نفسه بأنَّه مريد..».

قال عليه السلام: «ليس صفته نفسه، أنَّه مريد إخبار عن أنَّه إرادة ولا إخبار عن أنَّ الإرادة اسم من أسمائه..».

قال: «لأنَّ إرادته علمه..».

وأجابه الإمام: «إذا علم الشيء فقد أراده..».

قال: «أجل..».

قال عليه السلام: «إذا لم يرده لم يعلمه».

قال: «أجل..».

وانبرى الإمام يوضح فساد ما ذهب إليه سليمان قائلاً: «من أين قلت ذلك؟ وما الدليل على أنَّ إرادته عمله؟ وقد يعلم ما لا يريده أبداً، وذلك قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾[1] فهو يعلم كيف يذهب به، وهو لا يذهب به أبداً..».

وقال سليمان: «لأنَّه قد فرغ من الأمر فليس يزيد فيه شيئاً..».

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٨٦.

وردَّ الإمام عليه قائلاً: «هذا قول اليهود: فكيف قال تعالى: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[1].

وأنكر سليمان ذلك وقال: «إنَّما عنى بذلك، أنَّه قادر عليه..».

وأجابه الإمام: «أفيعد ما لا يفي به؟ فكيف قال: ﴿يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ﴾[2] وقال عزَّ وجلَّ: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾[3] وقد فرغ من الأمر...».

وحار سليمان، فقد سدَّ الإمام عليه كل نافذة، فأين ما اتجه فالإمام يواجهه ببالغ الحجَّة، وقوَّة البرهان في إبطال ما يذهب إليه.. ومضى الإمام عليه السلام في إبطال شبه سليمان قائلاً: «يا سليمان هل يعلم أنَّ إنساناً يكون، ولا يريد أن يخلق إنساناً أبداً، وأنَّ إنساناً يموت اليوم، ولا يريد أن يموت اليوم..».

وسارع سليمان قائلاً: «نعم».

وسارع الإمام راداً عليه هذا التناقض في كلامه قائلاً: «فيعلم أنَّه يكون ما يريد أن يكون، أو يعلم أنَّه يكون ما لا يريد أن يكون؟..».

وانبرى سليمان قائلاً: «يعلم أنَّهما يكونان جميعاً..».

وأجابه الإمام بما يترتب على قوله من التناقض قائلاً: «إذاً يعلم أنَّ إنساناً حيّ ميت، قائم، قاعد، أعمى، بصير، في حالة واحدة، وهذا هو الحال...».

وراح سليمان يكثر من التناقض في كلامه الذي ألزمه به الإمام قائلاً: «جُعلت فداك، فإنَّه يعلم أنَّه يكون أحدهما دون الآخر...».

فقال الإمام: «لا بأس، فأيهما يكون الذي أراد أن يكون، أو الذي لم يرد أن يكون؟..».

ورح سليمان يتخبط خبط عشواء، لم يدر ما يقول، وما يترتب على كلامه من التهافت فقال: «أراد الذي أن يكون..».

وغرق القوم في الضحك، وضحك الإمام الرِّضا، والمأمون، فقال الإمام: «غلطت، وتركت قولك: إنَّه يعلم أنَّ إنساناً يموت اليوم، وهو لا يريد أن يموت اليوم،

---

(١) سورة المؤمن (غافر): الآية ٦٠.
(٢) سورة فاطر: الآية ١.
(٣) سورة الرعد: الآية ٣٩.

وأنَّه يخلق خلقاً، وأنَّه لا يريد أن يخلقهم، وإذا لم يجز العلم عندكم بما لم يرد أن يكون، فإنَّما يعلم أن يكون ما أراد أن يكون؟..».

وراح سليمان يوجه ما قاله: «فإنَّما قولي: إنَّ الإرادة ليست هو ولا غيره..».

وانبرى الإمام يدلّه على تناقض قوله: «إذا قلت: ليست هو فقد جعلتها غيره، وإذا قلت: ليست هي غيره، فقد جعلتها هو..».

وقال سليمان: «كيف فهو يعلم ـ أي الله ـ كيف يصنع الشيء؟..».

قال عليه السلام: «نعم..».

قال: «فإنَّ ذلك إثبات للشيء..».

فأجابه الإمام بمنطق الحكمة والعلم قائلاً: «أحلت ـ أي تكلَّمت بالمحال ـ لأنَّ الرجل قد يحسن البناء وإن لم يبن، ويحسن الخياطة، وإن لم يخط، ويحسن صنعة الشيء، وإن لم يصنعه أبداً. يا سليمان هل تعلم أنَّه واحد لا شيء معه؟..».

قال: «نعم..».

قال عليه السلام: «فيكون ذلك إثباتاً للشيء..».

وأنكر سليمان ما قاله سابقاً: «ليس يعلم أنَّه واحد لا شيء معه..».

فأجابه الإمام: «أفتعلم أنت ذاك؟..».

قال: «نعم..».

قال عليه السلام: «فأنت يا سليمان إذاً أعلم منه؟..».

وراح سليمان يقول: «المسألة محال..».

فردَّ الإمام عليه قائلاً: «محال عندك، إنَّه واحد، لا شيء معه، وأنَّه سميع بصير، حكيم قادر..».

قال: «نعم..».

وأجابه الإمام بمنطق العلم والحكمة قائلاً: «كيف أخبر عزَّ وجلَّ أنَّه واحد، حي سميع، بصير، حكيم، قادر، عليم، خبير، وهو لا يعلم ذلك، وتكذيبه.. تعالى الله عن ذلك».

وأضاف الإمام قائلاً: «كيف يريد صنع ما لا يدري صنعه، ولا ما هو؟ وإذا كان الصانع لا يدري كيف يصنع الشيء قبل أن يصنعه فإنَّما هو متحير.. تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً..».

وراح سليمان يتخبط فقال: «إنَّ الإرادة القدرة..».

فردَّ الإمام عليه بقوله: «وهو عزَّ وجلَّ يقدر على ما لا يريده أبداً، ولا بدَّ من ذلك، لأنَّه قال تبارك وتعالى: ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ فلو كانت الإرادة هي القدرة كان قد أراد أن يذهب به لقدرته..».

وبان العجز على سليمان، ووقف حائراً أمام هذا البحر المتلاطم من العلم والفضل، فانقطع عن الكلام، والتفت إليه المأمون مشيداً بمواهب الإمام وعبقرياته قائلاً:

«يا سليمان هذا أعلم هاشمي..».

واحتوت هذه المناظرة على بحوث فلسفية بالغة الأهمية دلَّت على مدى ما يحمله الإمام الرِّضا عليه السلام من طاقات علمية هائلة أثبتت صدق وواقعية ما تذهب إليه الشيعة الإمامية من أنَّ الإمام لا بدَّ أن يكون أعلم أهل عصره، وبذلك فقد باءت بالفشل محاولة المأمون الذي أراد تعجيز الإمام ولو بمسألة واحدة ليتخذ منها وسيلة للطعن في معتقدات الشيعة بالإمام، وقد علَّق الشيخ الصدوق نضَّر الله مثواه على هذه المناظرة بقوله:

كان المأمون يجلب على الرِّضا من متكلِّمي الفرق والأهواء المضلة كل من سمع به حرصاً على انقطاعه عن الحجَّة مع واحد منهم، وذلك حسداً منه له، ولمنزلته من العلم، فكان لا يكلِّمه أحد إلاَّ أقرَّ له بالفضل وألزم الحجَّة له عليه، لأنَّ الله تعالى ذكره يأبى إلاَّ أن يعلي كلمته، ويتم نوره، وينصر حجَّته، وهكذا وعد تبارك وتعالى في كتابه فقال: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾[1] يعني بالذين آمنوا الأئمة الهداة، وأتباعهم العارفين بهم، والآخذين عنهم بنصرهم بالحجَّة على مخالفيهم ما داموا في الدُّنيا، وكذلك يفعل بهم في الآخرة وإنَّ الله عزَّ وجلَّ لا يخلف الميعاد[2].

مناظرته مع الجاثليق:

ومن بين الإجراءات التي اتخذها المأمون لامتحان الإمام لعلَّه يظفر بتعجيزه أنَّه أوعز إلى وزيره الفضل بن سهل أن يجمع له الأعلام المتكلمين من أصحاب المقالات والأديان، مثل الجاثليق[3]. ورأس الجالوت[4]، والهربذ الأكبر[5]

(١) سورة غافر: الآية ٥١.
(٢) عيون أخبار الرِّضا: ١/١٨٢ ـ ١٩١.
(٣) الجاثليق: رئيس الأساقفة.
(٤) الجالوت: هو أحد علماء اليهود.
(٥) الهربذ: هو من علماء الهنود.

وأصحاب زردهشت[١] ونسطاس الرومي[٢] وسائر المتكلمين فجمعهم الفضل في بلاط المأمون، ثم أدخلهم عليه فقابلهم بمزيد من الحفاوة والتكريم، وعرض عليهم ما يرومه قائلاً: «إنَّما جمعتكم لخير، وأحببت أن تناظروا ابن عمي المدني، القادم عليَّ، فإذا كان بكرة فاغدوا عليَّ، ولا يتخلف منكم أحد...».

فأجابوه بالسمع والطاعة، والامتثال لأمره، وأمر المأمون ياسر الخادم أن يدعو الإمام لمناظرة علماء الأديان في اليوم الثامن، فخف ياسر إلى الإمام وأبلغه مقالة المأمون فأجابه إلى ذلك والتفت الإمام إلى الحسن بن محمد النوفلي، فقال له: «يا نوفلي أنت عراقي، ورقة العراقي غير غليظة، فما عندك في جمع ابن عمي علينا أهل الشرك وأصحاب المقالات..».

وعرف النوفلي غاية المأمون، فقال للإمام:

«جُعلت فداك يريد الامتحان، ويجب أن يعرف ما عندك، ولقد بنى على أساس غير وثيق البنيان، وبئس والله ما بنى...».

وسارع الإمام قائلاً: «وما بناؤه في هذا الباب؟..».

وعرض النوفلي على الإمام ما يحذره ويخافه عليه منهم قائلاً: «إنَّ أصحاب الكلام والبدع خلاف العلماء، وذلك أنَّ العالم لا ينكر غير المنكر، وأصحاب المقالات والمتكلمون، وأهل الشرك أصحاب إنكار ومباهتة، إن احتججت عليهم بأنَّ الله واحد، قالوا: صحيح وحدانيته، وإن قلت: إنَّ محمداً صلى الله عليه وآله رسول، قالوا: ثبت رسالته، ثم يباهتون الرجل ـ وهو مبطل عليهم بحجَّته ـ ويغالطونه حتى يترك قوله، فاحذرهم جُعلت فداك..».

لقد أعرب النوفلي عن مخاوفه من هؤلاء الذين يحاججهم الإمام لأنَّهم لا يبغون الوصول إلى الواقع، والتعرُّف على الحقّ، وهم دوماً يعتمدون على المغالطات للوصول إلى أهدافهم الرخيصة.

وأزال الإمام في نفس النوفلي من المخاوف قائلاً: «أتخاف أن يقطعوا عليَّ حجَّتي؟..».

إنَّهم أمام بحر من العلم، وطاقات هائلة من الفضل، فكيف يقطعون على الإمام

---

(١) في نسخة: «زرادشت» وهو من تلاميذ بعض الأنبياء، وقيل: إنَّه مرسل من قبل بعض الأنبياء إلى بني إسرائيل.

(٢) النسطاس: عالم بالطب.

حجَّته، وسارع النوفلي فقال: «لا والله ما خفت عليك قط، وإنِّي لأرجو أن يظفرك الله بهم، إن شاء الله..».

وانبرى الإمام قائلاً: «يا نوفلي، أتحب أن تعلم متى يندم المأمون؟..».

قال: «نعم..».

قال عليه السلام: «إذا سمع احتجاجي على أهل التوراة بتوراتهم، وعلى أهل الإنجيل بإنجيلهم، وعلى أهل الزبور بزبورهم، وعلى الصابئين بعبرانيتهم، وعلى أهل الهرابذة بفارسيتهم، وعلى أهل الروم بروميتهم، وعلى أهل المقالات بلغاتهم، فإذا قطعت كل صنف، ودحضت حجَّته، وترك مقالته، ورجع إلى قولي، علم المأمون أنَّ الذي هو بسبيله ليس بمستحق له، فعند ذلك تكون الندامة، ولا حول ولا قوَّة إلاَّ بالله العلي العظيم..».

لقد كشف الإمام عليه بهذه الكلمات عمَّا يملكه من ثروات علمية لا تحد، وأنَّه باستطاعته أن يناظر جميع أهل الأديان والمذاهب، ويفنِّد أوهامهم، ويوضح لهم الحق، وإذا استبان ذلك للمأمون فإنَّه يندم على هذه الإجراءات، ويظهر له أنَّه على غير صواب.

ولما انقضى النهار، وأقبل اليوم الثاني خف الفضل بن سهل مسرعاً إلى الإمام عليه السلام، فقال له: «جُعلت فداك إنَّ ابن عمك ـ يعني المأمون ـ ينتظرك، اجتمع القوم، فما رأيك في إتيانه؟..».

فأجابه أنَّه مستعد للحضور، وأنَّه قادم على المأمون، وخرج الإمام، وهو بهيبة تعنو لها الجباه، فكان يلهج بذكر الله ودخل على المأمون، وكان المجلس مكتظاً بالطالبيين والهاشميين، وقادة الجيش والعلماء، من مسلمين وغيرهم، وقام المأمون وجميع من في المجلس تكريماً وتعظيماً للإمام، وجلس الإمام، والناس وقوف احتراماً له، فأمرهم المأمون بالجلوس، وبعدما استقر المجلس بالإمام التفت المأمون إلى الجاثليق، فقال له: «يا جاثليق هذا ابن عمي علي بن موسى بن جعفر، وهو من ولد فاطمة بنت نبينا صلى الله عليه وآله، وابن علي بن أبي طالب عليه السلام فأحب أن تكلِّمه وتحاجّه، وتنصفه..».

وانبرى الجاثليق قائلاً: «يا أمير المؤمنين، كيف أحاج رجلاً يحاج عليّ بكتاب أنا منكره ونبي لا أُومن به..».

لقد حسب الجاثليق أنَّ الإمام عليه السلام يستدل على ما يذهب إليه بآيات من القرآن الكريم، أو بكلمات من الرسول صلى الله عليه وآله، وهو لا يؤمن بذلك، وإنَّما ينبغي دليلاً وبرهاناً

من كتبهم، وردَّ الإمام عليه مقالته: «يا نصراني فإن احتججت عليك بإنجيلك أتقرُّ به؟..».

وسارع الجاثليق قائلاً: «هل أقدر على دفع ما نطق به الإنجيل، نعم والله أقر به..».

قال عليه السلام: «سل عمَّا بدا لك، واسمع الجواب..».

ـ «ما تقول في نبوَّة عيسى، وكتابه هل تنكر منهما شيئاً؟..».

ـ «أنا مقر بنبوة عيسى وكتابه، وما بشَّر به أُمَّته، وأقرت به الحواريون، وكافر بنبوة عيسى لم يقر بنبوة محمد وكتابه، ولم يبشر به أُمَّته..».

وسارع الجاثليق قائلاً: «أليس إنَّما تقطع الأحكام بشاهدي عدل؟..».

قال عليه السلام: «بلى...».

قال: «فأقم شاهدين من غير أهل ملتك على نبوة محمد ممَّن لا تنكره النصرانية، وسلنا مثل ذلك من غير أهل ملتنا..».

وصدق الإمام مقالته، فقد جاء بالنصف قائلاً: «الآن جئت بالنصفة، ألا تقبل منِّي العدل، والمقدم عند المسيح بن مريم؟..».

ـ «من هذا العدل سمه لي؟..».

ـ «ما تقول: في يوحنا الديلمي؟..».

وسارع الجاثليق قائلاً: «بخ، بخ، ذكرت أحب الناس إلى المسيح..».

وانبرى سليل النُّبوَّة قائلاً: «أقسمت عليك هل نطق الإنجيل أنَّ يوحنا قال: إنَّ المسيح أخبرني بدين محمد العربي، وبشَّرني به، أنَّه يكون من بعدي، فبشَّرت به الحواريين، فآمنوا به..».

ولم يسع الجاثليق إنكار ذلك إلاَّ أنَّ قال: «إنَّ يوحنا لم يسمه لنا، حتى نعرفه».

وردَّ عليه الإمام: «فإن جئناك بمن يقرأ الإنجيل فتلا عليك ذكر محمد، وأهل بيته، وأُمَّته أتؤمن به؟..».

وقال بصوت خافت: «أمر سديد..».

والتفت الإمام عليه السلام إلى نسطاس الرومي، فقال له: «كيف حفظك للسفر الثالث من الإنجيل؟..».

ـ «ما أحفظني له..».

وخاطب الإمام عليه السلام الجاثليق فقال له: «ألست تقرأ الإنجيل؟..».

ـ «بلى...».

ـ «خذ على السفر الثالث، فإن كان فيه ذكر محمد ﷺ وأهل بيته وأُمَّته فاشهدوا لي، وإن لم يكن فيه ذكره فلا تشهدوا لي...».

وتلا الإمام عليه السفر الثالث حتى إذا بلغ ذكر النبي ﷺ التفت إلى الجاثليق فقال له: «إنِّي أسألك بحقّ المسيح وأُمّه أتعلم أنّي عالم بالإنجيل؟..».

ـ «نعم..».

ثم قرأ ما في السفر الثالث من ذكر النبي وأهل بيته وأُمته، وأضاف قائلاً: «ما تقول: هذا قول عيسى بن مريم، فإن كذبت ما نطق به الإنجيل فقد كذبت موسى وعيسى، ومتى أنكرت هذا الذِّكر وجب عليك القتل لأنَّك تكون قد كفرت بربّك ونبيك وكتابك..».

وراح الجاثليق يقول: «لا أنكر ما قد بان لي من الإنجيل، وإنِّي لمقرّ به..».

والتفت الإمام عليه السلام إلى الحاضرين، فطلب منهم الشهادة على إقراره ثم قال له: «يا جاثليق سل عمَّا بدا لك..».

وسارع الجاثليق سائلاً: «أخبرني عن حواري عيسى بن مريم كم كان عدتهم، وعن علماء الإنجيل كم كانوا؟».

قال عليه السلام: «على الخبير سقطت، أما الحواريون فكانوا اثني عشر رجلاً وكان أفضلهم وأعلمهم (لوقا) وأما علماء النصارى فكانوا ثلاثة رجال: «يوحنا» الأكبر ـ يا حي ـ و«يوحنا» بقرقيسيا، و«يوحنا» الديلمي بزخار، وعنده كان ذكر النبي ﷺ، وذكر أهل بيته، وهو الذي بشَّر أُمَّة عيسى وبني إسرائيل به وأضاف الإمام قائلاً: «والله إنَّا لنؤمن بعيسى الذي آمن بمحمد ﷺ وما ننقم على عيسى شيئاً إلاَّ ضعفه، وقلة صيامه وصلاته..».

وحينما سمع الجاثليق الكلمات الأخيرة من هذا فصاح: «أفسدت، والله علمك، وضعف أمرك، وما كنت ظننت إلاَّ أنَّك أعلم أهل الإسلام..».

وقابله الإمام بهدوء فقال له: «وكيف ذلك؟..».

وفقد الجاثليق صوابه، وراح يقول: «من قولك إنَّ عيسى كان ضعيفاً، قليل الصوم والصلاة، وما أفطر عيسى يوماً قط، وما نام بليل قط، وما زال صائم الدهر، قائم الليل..».

وانبرى الإمام بنسف العقيدة المسيحية الزاعمة بأنَّ المسيح إلّه يُعبد من دون الله، فقال عليه السلام: «لمن كان يصوم ـ أي المسيح ـ ويصلِّي؟..».

فانقطع الجاثليق عن الجواب، ولم يدر ما يقول، والتفت الإمام إليه قائلاً: «إنِّي أسألك عن مسألة؟..».

ـ «سل فإن كان عندي علمها أجبتك..».

ووجه الإمام إليه السؤال التالي: «ما أنكرت أنَّ عيسى كان يحيي الموتى بإذن الله؟..».

وأجاب الجاثليق: «أنكرت ذلك من قبل، إنَّ من أحيى الموتى، وأبرأ الأكمه والأبرص فهو رب مستحق لأن يُعبد..».

وردَّ الإمام عليه مقالته: «فإنَّ اليسع قد صنع مثل ما صنع عيسى عليه السلام، مشى على الماء، وأحيى الموتى، أبرأ الأكمه والأبرص، فلم لا تتخذه أمته رباً، ولم يعبده أحد من دون الله عزَّ وجلَّ، فأحيى خمسة وثلاثين ألف رجل من بعد موتهم بستين سنة، يا رأس الجالوت، أتجد هؤلاء في شباب بني إسرائيل في التوراة اختارهم (بخت نصر) من سبي بني إسرائيل حين غزا بيت المقدس، ثم انصرف بهم إلى بابل، فأرسله الله عزَّ وجلَّ إليهم، فأحياهم، هذا في التوراة لا يدفعه إلاَّ كافر منكر..».

وبُهر الجاثليق بمعلومات الإمام عنهم، وقال: «قد سمعنا به، وعرفناه..».

والتفت الإمام إلى يهودي كان في المجلس، فأمره أن يقرأ إحدى فصول التوراة، فأخذ في قراءتها، وكان فيه ذكر لبعض الأنبياء، وأقبل الإمام على رأس الجالوت فقال له: «أهؤلاء ـ يعني الأنبياء ـ كانوا قبل عيسى، أم عيسى كان قبلهم؟..».

قال: «بل كانوا قبله..».

وأخذ الإمام يتلو عليهم بعض معجزات جده الرسول الأعظم وخاتم الأنبياء قائلاً: «لقد اجتمعت قريش على رسول الله صلى الله عليه وآله فسألوه أن يحيي لهم موتاهم، فوجه معهم علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال له: اذهب إلى الجبانة، فنادِ بأسماء هؤلاء الرهط، الذين يسألون عنهم بأعلى صوتك، يا فلان، يا فلان يقول لكم محمد رسول الله صلى الله عليه وآله: قوموا بإذن الله عزَّ وجلَّ، فقاموا ينفضون التراب عن رؤوسهم، فأقبلت قريش تسألهم عن أمورهم، ثم أخبروهم أنَّ محمداً قد بُعث نبياً، فقالوا: وددنا أنَّا أدركناه، فنؤمن به، ولقد أبرأ الأكمه والأبرص والمجانين، وكلَّمته البهائم والطير والجن والشياطين، ولم نتخذه رباً من دون الله، ولم ننكر لأحد من هؤلاء فضلهم فإن اتخذتم عيسى رباً جاز

لكم أن تتخذوا اليسع وحزقيل ربين، لأنَّهما قد صنعا مثل ما صنع عيسى بن مريم، من إحياء الموتى وغيره، ثم إنَّ قوماً من بني إسرائيل خرجوا من بلادهم من الطاعون وهم ألوف حذر الموت، فأماتهم الله في ساعة واحدة، فعمد أهل القرية فحظروا عليهم حظيرة، فلم يزالوا فيها حتى نخرت عظامهم، وصاروا رميماً، فمرَّ بهم نبي من أنبياء بني إسرائيل فتعجب منهم، ومن كثرة العظام البالية، فأوحى الله أتحب أن أحييهم لك فتنذرهم؟ قال: نعم. فأوحى الله أن نادهم، فقال: أيتها العظام البالية قومي بإذن الله، فقاموا أحياء أجمعين ينفضون التراب عن رؤوسهم، ثم إبراهيم خليل الله حين اتخذ الطير فقطعهن قطعاً، ثم وضع على كل جبل منهم جزءاً ثم ناداهن فأقبلن سعياً إليه، ثم موسى بن عمران وأصحابه السبعون الذين اختارهم، صاروا معه إلى الجبل، فقالوا له: إنَّك قد رأيت الله فأرناه.

فقال لهم: إنِّي لم أره.

فقالوا: لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة، فأخذتهم الصاعقة فاحترقوا عن آخرهم، فبقي موسى وحيداً.

فقال: يا رب! اخترت سبعين رجلاً من بني إسرائيل فجئت بهم، فارجع أنا وحدي، فكيف يصدقني قومي بما أخبرهم به فلو شئت أهلكتهم من قبل وإيَّاي، أفتهلكنا بما فعل السفهاء منها؟

فأحياهم الله عزَّ وجلَّ من بعد موتهم، وكل شيء ذكرته لك من هذا لا تقدر على دفعه، لأنَّ التوراة والإنجيل والزبور والفرقان قد نطقت به، فإن كان كل من أحيى الموتى وأبرأ الأكمه والأبرص والمجانين يتخذ رباً من دون الله، فاتخذ هؤلاء كلهم أرباباً، ما تقول يا نصراني؟».

لقد نعى الإمام عليه السلام على النصارى اتخاذهم السيِّد المسيح رباً من دون الله لأنَّه أحيى الموتى، وأبرأ الأكمه والأبرص فقد جرت أمثال هذه المعاجز إلى سيِّد الأنبياء الرسول ﷺ وبعض الأنبياء العظام، ولم يتخذوا أرباباً يعبدون من دون الله تعالى.

وانبرى الجاثليق فخاطب الإمام بعدما سمع منه هذه الكلمات المشرقة فقال: «القول: قولك، ولا إله إلاَّ الله..».

والتفت الإمام إلى رأس الجالوت، فقال له: «أقبل عليَّ، أسألك بالعشر الآيات التي أنزلت على موسى بن عمران، هل تجد في التوراة مكتوباً نبأ محمد ﷺ وأمته إذا جاءت الأُمَّة الأخيرة اتباع راكب البعير، يسبِّحون الرَّب جداً، جداً، تسبيحاً جديداً في

الكنائس الجدد ـ أراد بها المساجد ـ فليفزع بنو إسرائيل إليهم، وإلى ملكهم، لتطمئن قلوبهم، فإنَّ ما بأيديهم سيوفاً ينتقمون بها من الأُمم الكافرة في أقطار الأرض، هكذا هو مكتوب في التوراة. . .».

وبهر الجالوت، وراح يقول: «نعم إنَّا لنجد ذلك كذلك. .».

والتفت الإمام عليه السلام إلى الجاثليق فقال له: «كيف علمك بكتاب شعيا؟. .».

قال: «أعرفه حرفاً، حرفاً. .».

وخاطب الإمام الجاثليق ورأس الجالوت فقال لهما: «أتعرفان هذا من كلامه: يا قوم إنِّي رأيت صورة راكب الحمار، لابساً جلابيب النُّور، ورأيت راكب البعير ضوءه ضوء القمر. .».

وطفقا قائلين: «قد قال ذلك شعيا. .».

والتفت الإمام إلى الجاثليق فقال له: «أتعرف قول عيسى: إنِّي ذاهب إلى ربكم وربِّي، و«البارقليطا» جاء هو الذي يشهد لي بالحق كما شهدت له، وهو الذي يفسِّر لكم كل شيء، وهو الذي بيده فضائح الأُمم، وهو الذي يكسر عمود الكفر. .».

وبهر الجاثليق، وقال: «ما ذكرت شيئاً من الإنجيل إلاَّ ونحن مقرون به. .».

وراح الإمام يقرره إنَّ ما ذكره ثابت في الإنجيل قائلاً: «أتجد هذا في الإنجيل ثابتاً؟. .».

قال: «نعم. .».

قال عليه السلام: «يا جاثليق: ألا تخبرني عن الإنجيل الأول حين افتقدتموه عند من وجدتموه؟ ومن وضع لكم هذا الإنجيل؟. .».

وأخذ الجاثليق يتخبط خبط عشواء قائلاً: «ما افتقدنا الإنجيل إلاَّ يوماً واحداً، حتى وجدناه غضاً طرياً، فأخرجه إلينا يوحنا ومتى. .».

فردَّ عليه الإمام قائلاً: «ما أقل معرفتك بسُنن الإنجيل وعلمائه، فإن كان كما تزعم فلم اختلفتم في الإنجيل؟ وإنَّما الاختلاف في هذا الإنجيل الذي في أيديكم اليوم، فإن كان على العهد الأول لم تختلفوا فيه، ولكني مفيدك علم ذلك، اعلم أنَّه لما افتقد الإنجيل الأول اجتمعت النصارى إلى علمائهم، فقالوا لهم: قتل عيسى بن مريم، وافتقدنا الإنجيل، وأنتم العلماء فما عندكم؟

فقال لهم الوقا ومرقانوس ويوحنا ومتى إنَّ الإنجيل في صدورنا نخرجه إليكم سفراً

في كل أحد، فلا تحزنوا عليه، ولا تخلوا الكنائس فإنَّا سنتلوه عليكم في أكل أحد سفراً سفراً حتى نجمعه كله».

وأضاف الإمام قائلاً:

«إنَّ الوقا، ومرقانوس، ويوحنا ومتى وضعوا لكم هذا الإنجيل، بعدما افتقدتم الإنجيل الأول، وإنَّما كان هؤلاء الأربعة تلاميذ الأولين أعلمت ذلك؟..».

وراح الجاثليق يبدي إكباره للإمام، ويعترف له أنَّه لا علم له بذلك قائلاً:

«أما قبل هذا فلم أعلمه، وقد علمته الآن، وقد بان لي من فضل علمك بالإنجيل، وقد سمعت أشياء كما علمته، شهد قلبي أنَّها حق، واستزدت كثيراً من الفهم..».

والتفت الإمام عليه السلام إلى المأمون، وإلى من حضر من أهل بيته وغيرهم، فطلب منهم أن يشهدوا عليه، فقالوا: شهدنا، ووجَّه كلامه صوب الجاثليق فقال له:

«بحق الإبن وأُمه، هل تعلم أنَّ متى قال في نسبة عيسى أنَّه المسيح بن داود بن إبراهيم بن إسحاق بن يعقوب بن يهود بن خضرون؟

وقال مرقانوس في نسبة عيسى أنَّه كلمة الله أحلها في الجسد الآدمي فصارت إنساناً!!

وقال لوقا إنَّ عيسى بن مريم وأمه كانا إنسانين من لحم ودم فدخل فيهما روح القدس؟

ثم إنَّك تقول في شهادة عيسى على نفسه، حقاً أقول لكم، أنَّه لا يصعد إلى السماء إلاَّ من نزل منها، إلاَّ راكب البعير خاتم الأنبياء، فإنَّه يصعد إلى السماء وينزل فما تقول في هذا القول؟».

واعترف الجاثليق بما قالواه في المسيح، وما قاله السيِّد المسيح في نفسه، فقال: «هذا قول عيسى لا ننكره..».

فقال له الإمام: «فما تقول في شهادة الوقا ومرقانوس ومتى على عيسى وما نسبوا إليه؟..».

وراح الجاثليق يزكي السيِّد المسيح، ويكذب ما نسبوه له قائلاً: «كذبوا على عيسى..».

والتفت الإمام الرِّضا عليه السلام إلى من حضر في مجلسه من القادة والعلماء قائلاً: «يا قوم أليس قد زكهم، وشهد أنَّهم علماء الإنجيل وقولهم حق؟..».

وبان الإنكسار على الجاثليق وراح يلتمس من الإمام أن لا يسأله فقال: «يا عالم المسلمين أحب أن تعفيني من أمر هؤلاء».

فأعفاه الإمام، ثم قال له: «سلني عمَّا بدا لك..».

وبهر الجاثليق من علوم الإمام التي هي امتداد ذاتي لعلوم جده سيِّد الكائنات محمد صلى الله عليه وآله، وقال بخضوع وإكبار للإمام: «ليسألك غيري، فوالله ما ظننت أنَّ في علماء المسلمين مثلك..».

وأطرق الجاثليق برأسه إلى الأرض، وعجَّ المجلس بالتهليل والتكبير، واستبان للمأمون وغيره أنَّ الإمام عليه السلام نفحة قدسية من نفحات الملة، فقد وهبه لهذه الأُمَّة كما وهب آباءه، ومنحهم من العلوم التي لا حدَّ لها.

مناظرته مع رأس الجالوت:

وكان رأس الجالوت، يمثِّل الطائفة اليهودية في ذلك المجلس الذي أعده المأمون لامتحان الإمام فقال له الإمام:

«تسألني أو أسألك؟..».

«بل أسألك، ولست أقبل منك حجَّة إلاَّ من التوراة أو من الإنجيل أو من زبور داود، أو ما في صحف إبراهيم وموسى..».

فأجابه الإمام بالموافقة على هذا الشرط قائلاً:

«لا تقبل منِّي حجَّة إلاَّ بما نطق به التوراة على لسان موسى بن عمران، والإنجيل على لسان عيسى بن مريم، والزبور على لسان داود عليه السلام..».

ـ «من أين تثبت نبوَّة محمد صلى الله عليه وآله؟..».

ـ «شهد بنبوَّته موسى بن عمران، وعيسى بن مريم، وداود خليفة الله في الأرض..».

وطلب رأس الجالوت إثبات ذلك قائلاً:

«أثبت قول موسى بن عمران..».

فقال الإمام: «تعلم يا يهودي أنَّ موسى أوصى بني إسرائيل، فقال لهم: إنَّه سيأتيكم نبي فيه[1] فصدقوا، ومنه فاسمعوا فهل تعلم أنَّ لبني إسرائيل أخوة غير ولد

---

(١) هكذا في النسخ المخطوطة والمطبوعة، والصواب فيه بالباء والمعنى إن أدركتم صحبته وفيه، أي قصدوه وأسمعوا ما يقوله.

إسماعيل؟ إن كنت تعرف قرابة إسرائيل من إسماعيل، والنسب الذي بينهما من قبل إبراهيم».

واعترف رأس الجالوت بذلك قائلاً: «هذا قول موسى: لا ندفعه..».

وألزمه الإمام بالحجَّة والبرهان قائلاً: «هل جاءكم من إخوة بني إسرائيل غير محمد ﷺ؟..».

ـ «لا..».

وانبرى الإمام قائلاً: «أليس هذا قد صح عندكم؟..».

ـ «نعم، ولكني أحب أن تصححه لي من التوراة؟..».

وتلا الإمام عليه قطعة من التوراة قائلاً: «هل تنكرون التوراة تقول لكم: جاء النُّور من قبل طور سيناء وأضاء للناس من جبل ساعير، واستعلن علينا من جبل فاران..».

وأقر رأس الجالوت بهذه الكلمات، إلاَّ أنَّه طلب من الإمام تفسيرها، فقال عليه السلام له:

«أنا أخبرك بها، أما قوله: جاء النُّور من قبل طور سيناء فذلك وحي الله تبارك وتعالى الذي أنزله على موسى على جبل طور سيناء، وأما قوله: وأضاء للناس في جبل ساعير فهو الجبل الذي أوحى الله عزَّ وجلَّ إلى عيسى بن مريم وهو عليه، وأما قوله: واستعلن علينا من جبل فاران فذاك جبل من جبال مكة، وبينه وبينها يومان؟ أو يوم..».

قال شعيا النبي: فما تقول أنت وأصحابك في التوراة رأيت راكبين أضاء لهما الأرض أحدهما على حمار، والآخر على جمل،فمن راكب الحمار، ومن راكب الجمل؟..».

ولم يعرف رأس الجالوت ذلك رغم أنَّه موجود في التوراة فطلب من الإمام إيضاح ذلك له، فقال عليه السلام: «أما راكب الحمار فعيسى، وأما راكب الجمل فمحمد ﷺ أتنكر هذا في التوراة؟..».

ـ «لا ما أنكره..».

ووجه الإمام إليه السؤال التالي: «هل تعرف حبقوق النبي؟..».

ـ «نعم إنِّي به لعارف..».

وأخذ الإمام عليه السلام يقرأ ما أثر عنه قائلاً:

«فإنَّه قال: ـ وكتابكم ينطق به ـ جاء الله تعالى بالبيان من جبل فاران وامتلأت

السموات من تسبيح أحمد وأمته، يحمل خيله في البحر، كما يحمل في البر يأتينا بكتاب جديد ـ يعني القرآن الكريم ـ بعد خراب بيت المقدس، أتعرف هذا وتؤمن به؟...».

واعترف رأس الجالوت بذلك، والتفت إليه الإمام فأقام عليه حجَّة أخرى، وهي ما جاء في الزبور، من التبشير بالرسول الأعظم محمد ﷺ قائلاً:

«فقد قال داود في زبوره ـ وأنت تقرأه ـ اللهم ابعث مقيم السُّنَّة بعد الفترة، فهل تعرف نبياً أقام السُّنَّة بعد الفترة غير محمد ﷺ؟..».

وأخذ رأس الجالوت يراوغ، وينكر الحق قائلاً:

«هذا قول داود نعرفه ولا ننكره، ولكنَّه عنى بذلك عيسى، وإمامه هي الفترة..».

فردَّ عليه الإمام قائلاً:

«جهلت أنَّ عيسى كان موافقاً لسُنَّة التوراة حتى رفعه الله إليه، وفي الإنجيل مكتوب إنَّ ابن البرة ـ أي عيسى ـ ذاهب، والبارقليطا جاء من بعده، وهو الذي يحفظ الآصار، ويفسِّر لكم كل شيء، يشهد لي كما شهدت له، أنا جئتكم بالأمثال، وهو يأتيكم بالتأويل، أتؤمن بهذا في الإنجيل؟..».

وطفق رأس الجالوت يقول: «نعم لا أنكره..».

ووجه الإمام إليه السؤال التالي: «أسألك عن نبيك موسى بن عمران؟..».

ـ «سل...».

ـ «ما الحجَّة على أنَّ موسى تبثت نبوته؟..».

وأخذ رأس الجالوت يستدل على نبوة موسى قائلاً: «إنَّه جاء بما لم يجيء به أحد من الأنبياء قبله..».

ـ «مثل ماذا؟..».

ـ «مثل فلق البحر، وقلبه العصا حية تسعى، وضربه الحجر فانفجرت منه العيون، وإخراجه يده بيضاء للناظرين، وعلاماته لا يقدر الخلق على مثلها..».

وصدق الإمام مقالته قائلاً: «صدقت في أنَّها حجَّة على نبوته.. إنَّه جاء بما لم يقدر الخلق على مثله، أفليس كل من ادعى أنَّه نبي، وجاء بما لم يقدر الخلق على مثله وجب عليكم تصديقه؟..».

وأنكر اليهودي مقالة الإمام قائلاً: «لا، لأنَّ موسى لم يكن له نظير لمكانه من ربه،

وقربه منه، ولا يجب علينا الإقرار بنبوة من ادعاها، حتى يأتي من الأعلام بمثل ما جاء به...».

نقض الإمام كلام اليهودي قائلاً: «فيكف أقررتم بالأنبياء الذين كانوا قبل موسى، ولم يفلقوا البحر، ولم يفجروا من الحجر اثني عشر عيناً، ولم يخرجوا أيديهم مثل إخراج موسى يده بيضاء، ولم يقلبوا العصا حية تسعى..».

وأجاب اليهودي: «قد خبرتك أنَّه متى جاؤوا على نبوتهم من الآيات بما لا يقدر الخلق على مثله، ولو جاؤوا بمثل ما جاء به موسى أو كانوا على ما جاء به موسى وجب تصديقهم..».

وردَّ الإمام عليه السلام حجَّته قائلاً: «يا رأس الجالوت فما يمنعك من الإقرار بعيسى بن مريم وكان يحيي الموتى، ويبرىء الأكمه والأبرص، ويخلق من الطين كهيئة الطير ثم ينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله..».

وراوغ اليهودي فقال: «يُقال: إنَّه فعل ذلك، ولم نشهده..».

وردَّ الإمام عليه ببالغ الحجَّة قائلاً: «أرأيت ما جاء به موسى من الآيات شاهدته؟ أليس إنَّما جاءت الأخبار من ثقاة أصحاب موسى أنَّه فعل ذلك..».

- «بلى..».

وألزمه الإمام بالحجَّة القاطعة قائلاً: «كذلك أيضاً أتتك الأخبار المتواترة بما فعل عيسى بن مريم، فكيف صدقتم بموسى، ولم تصدقوا بعيسى؟..».

ووجم رأس الجالوت، فقد سدَّ عليه الإمام كل نافذة، وأقام عليه الحجَّة البالغة، وبان عليه العجز، وأضاف الإمام عليه السلام يقول: «وكذلك أمر محمد ﷺ وما جاء به، وأمر كل نبي بعثه الله، ومن آياته أنَّه كان يتيماً فقيراً، راعياً أجيراً، ولم يتعلم، ولم يختلف إلى معلم، ثم جاء بالقرآن الذي فيه قصص الأنبياء عليهم السلام وأخبارهم حرفاً، حرفاً، وأخبار من مضى، ومن بقي إلى يوم القيامة، ثم كان يخبرهم بأسرارهم، وما يعملون في بيوتهم، وجاء بآيات كثيرة..».

وقطع رأس الجالوت على الإمام كلامه قائلاً: «لم يصح عندنا خبر عيسى، ولا خبر محمد، ولا يجوز أن نقر لهما بما لا يصح..».

وفنَّد الإمام عليه السلام كلام اليهودي قائلاً: «فالشاهد الذي يشهد لعيسى ومحمد شاهد زور؟..».

وأخرس رأس الجالوت، ووجم، وهو كظيم، وراح يفتش في حقيقة مغالطاته شبهة يتمسك بها فلم يجد وسيلة يتمسك بها لدعم أباطيله.

مناظرته مع الهربذ الأكبر:

وبعدما فشلت رؤساء المذاهب والأديان في امتحان الإمام، وبان عليها العجز، ولم يبق إلاً الهربذ الأكبر المرجع الأعلى للمجوس، فالتفت إليه الإمام عليه السلام فقال له:

«أخبرني عن زردشت الذي تزعم أنَّه نبي، ما حجَّتك على نبوته؟..».

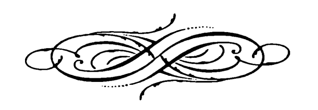
فقال الهربذ: «إنَّه أتى بما لم يأتنا به أحد قبله، ولم نشهده ولكن الأخبار من أسلافنا وردت علينا بأنَّه أُحلَّ لنا ما لم يحله لنا غيره، فاتبعناه..».

وانبرى الإمام فقال له: «أفليس إنَّما أتتكم الأخبار فاتبعتموه؟..».

قال: «بلى...».

وراح الإمام يقيم عليه الحجَّة التي لا مجال لإنكارها قائلاً: «فكذلك سائر الأُمم السالفة أتتهم الأخبار بما أتى به النبيون وأتى به موسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وآله فما عذركم في ترك الإقرار بهم، إذ كنتم إنَّما أقررتم بزردشت من قبل الأخبار الواردة بأنَّه جاء بما لم يجيء به غيره..».

واستولت عليه الحيرة والذهول وحار في الجواب، فانقطع عن الكلام، والتفت سليل النُّبوَّة إلى من حضر من رؤساء الأديان فقال لهم: «يا قوم إنَّ كان فيكم أحد يخالف الإسلام، وأراد أن يسأل فليسأل غير محتشم..»[1].



(١) الاحتجاج: ٢/١٩٩ ـ ٢١٢، عيون أخبار الرِّضا: ٢/١٥٤ ـ ١٦٨.

مؤلفاته

ونقل المؤرخون والرواة أنَّ الإمام الرِّضا عليه السلام ألف مجموعة من الكتب كان بعضها بطلب من المأمون، وقد خاض في بعضها في بيان أحكام الشريعة، ومهمات مسائل الفقه، كما دوّن في بعضها ما أثر عن جده الرسول الأعظم ﷺ من الأحاديث، وقد سمي هذا بمسند الإمام الرِّضا عليه السلام ومن بين مؤلفاته الرسالة الذهبية في الطب ذكر فيها الإمام عليه السلام ما يصلح بدن الإنسان ومزاجه، وما يفسده، وهي من أُمَّهات الكتب الموجزة في هذا الفن. . .

١ ـ رسالته في جوامع الشريعة:

أوعز المأمون إلى وزيره الفضل بن سهل أن يتشرَّف بمقابلة الإمام الرِّضا عليه السلام، ويقول له: إنِّي أحبّ أن تجمع لي من الحلال والحرام والفرائض والسُّنن، فإنَّك حجَّة الله على خلقه ومعدن العلم، وأجاب الإمام طلب المأمون وأمر بدواة وقرطاس فاحضرتا له، وأمر الفضل أن يكتب فأملى عليه رسالة جامعة لغرر أحكام الشريعة حفلت ببعض البحوث الكلامية وبأُمَّهات المسائل الفقهية[١].

٢ ـ رسالته الذهبية في الطب:

ولم تقتصر علوم الإمام الرِّضا عليه السلام على أحكام الشريعة الإسلامية الغراء، وإنَّما شملت جميع أنواع العلوم، والتي منها علم الطب، فقد كان علماً من أعلامه، ومتمرساً بجميع فروعه وجزئياته، ويدلل على ذلك بصورة واضحة هذه الرسالة التي سمَّاها المأمون بالرسالة الذهبية، كما منح في تقريظه لها وسام الطبيب على الإمام عليه السلام وقد وضعت البرامج العامة لإصلاح بدن الإنسان ووقايته من الإصابة بالأمراض الذي هو القاعدة الأساسية للطب الوقائي في هذه العصور، والذي يُعدّ من أعظم الوسائل في تقدُّم الصحة وازدهارها.

---

(١) راجع تحف العقول: ص٤١٥.

وعلى أيٍّ حال فلا بدَّ لنا من وقفة قصيرة للحديث عمَّا يتعلق بهذه الرسالة قبل عرضها، وفيما يلي ذلك:

سبب تأليفها:

وتميَّز بلاط المأمون بأنَّه كان في معظم الأوقات ندوة من ندوات العلم والأدب خصوصاً في عهد الإمام الرِّضا عليه السلام عملاق هذه الأُمَّة ورائد نهضتها الفكرية والعلمية، فقد تحول البلاط العباسي إلى مسرح للبحوث العلمية والفلسفية، كما ذكرنا ذلك في البحوث السابقة.

ومن بين البحوث العلمية التي عرضت في تلك الندوة هو ما يضمه بدن الإنسان من الأجهزة والخلايا العجيبة، وبدائع تركيب أعضائه التي تجلَّت فيها حكمة الخالق العظيم، وروعة قدرته، وخاض القوم فيما يصلح بدن الإنسان، ويفسده، وقد ضمت الجلسة كبار العلماء والقادة كان في طليعتهم من يلي:

١ ـ الإمام الرضا.

٢ ـ المأمون.

٣ ـ يوحنا بن ماسويه.

٤ ـ جبريل بن بختيشوع.

٥ ـ صالح بن بهلة الهندي.

وقد خاض هؤلاء القوم سوى الإمام في البحوث الطبية والإمام عليه السلام ساكت لم يتكلَّم بشيء، فانبرى إليه المأمون قائلاً له بإكبار:

«ما تقول يا أبا الحسن في هذا الأمر الذي نحن فيه اليوم والذي لا بدَّ منه من معرفة هذه الأشياء، والأغذية النافع منها، والضار وتدبير الجسد..».

لقد طلب المأمون من الإمام عليه السلام أن يفتح له آفاقاً من العلم فيما يتعلق بأجهزة بدن الإنسان، ويرشده إلى النافع من الأغذية والضار منها، وما يصلح جسم الإنسان وما يضره.. وانبرى الإمام فأجابه:

«عندي ما جربته، وعرفت صحته بالاختبار ومرور الأيام مع ما وقفني عليه من مضى من السلف ممَّا لا يسع الإنسان جهله ولا يعذر في تركه، فأنا أجمع ذلك مع ما يقاربه ممَّا يحتاج إلى معرفته...».

تقريظ المأمون:

وبعث الإمام الرِّضا عليه السلام برسالته الذهبية إلى المأمون فأعجب بها إعجاباً بالغاً، وأمر أن تكتب بالذهب، كما أمرت أن تكتب نسخ منها، وتوزع على أولاده وأفراد أسرته، وجهاز دولته، كما أمر أن تودع نسخة منها في بيوت الحكمة، وممَّا لا شك فيه أنَّها عرضت على أعلام الطب في عصره فأقروها، وقد قرظها المأمون بالرسالة التالية، فقد جاء فيها بعد البسملة:

«الحمد لله أهل الحمد ووليه، وله آخره وبدؤه، ذو النعم والافضال والإحسان والإجمال، أحمده على نعمه المتظاهرة وفواضله وأياديه المتكاثرة، وأشكره على منحه ومواهبه شكراً يوجب زيادته، ويقرب زلفى، أشهد أن لا إلَه إلاَّ الله شهادة مخلص له بالإيمان غير جاحد، ولا منكر له بربوبيته ووحدانيته، بل شهادة تصدق نسبته لنفسه، وأنَّه كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ وكذلك ربنا عزَّ وجلَّ، وصلَّى الله على سيِّد الأولين والآخرين محمد بن عبد الله خاتم النبيين.

أما بعد: فإنِّي نظرت في رسالة ابن عمي العلوي الأديب والفاضل الحبيب، والمنطق الطبيب، في إصلاح الأجسام، وتدبير الحمام، وتعديل الطعام، فرأيتها في أحسن التمام، ووجدتها في أفضل الإنعام، ودرستها متدبِّراً، وردَّدت نظري فيها متفكِّراً، فكلَّما أعدت قراءتها، والنظر فيها ظهرت لي حكمتها، ولاحت لي فائدتها، وتمكنت من قلبي منفعتها، فوعيتها حفظاً، وتدبَّرتها فهماً، إذ رأيتها من أنفس العلائق، وأعظم الذخائر، وأنفع الفوائد، فأمرت أن تكتب بالذهب لنفاستها، وحسن موقعها، وعظم نفعها، وكثرت بركتها، وسميتها (المذهبة) وخزنتها في خزانة الحكمة، وذلك بعد أن نسخها آل هاشم فتيان الدولة، لأنَّ بتدبير الأغذية تصلح الأبدان، وبصحة الأبدان تدفع الأمراض، ويدفع الأمراض تكون الحياة وبالحياة تنال الحكمة، وبالحكمة تنال الجنَّة وكانت أهلاً للصيانة والإدخار، وموضعاً للتأهيل والاعتبار وحكماً يعول عليه، ومشيراً يرجع إليه، ومن معادن العلم آمراً وناهياً ينقاد له، ولأنَّها خرجت من بيوت الذين يوردون حكم الرسول صلى الله عليه وآله المصطفى، وبلاغات الأنبياء، ودلائل الأوصياء، وآداب العلماء، وشفاء للصدور والمرضى من أهل الجهل والعمى رضوان الله عليهم وبركاته أولهم وصغيرهم وكبيرهم.

فعرضتها على خاصتي وصفوتي من أهل الحكمة والطب وأصحاب التأليف والكتب

المعدودين في أهل الدراية والمذكورين بالحكمة، وكل مدحها وأعلاها، ورفع قدرها وأطراها إنصافاً لمصنفها، وإذعاناً لمؤلفها وتصديقاً له فيما حكاه فيها، فمن وقعت إليه هذه الرسالة من بعدنا من أبنائنا، وأبناء دولتنا، ورعايانا وسائر الناس على طبقاتهم فليعرف قدرها، والموهبة له، وتمام النعمة له، وليأخذها بشكر فإنَّها أنفس من العقيان وأعظم خطراً من الذر والمرجان، وليستعمل حفظها وعرضها على همته وفكره ليلاً ونهاراً، فإنَّها عائدة عليه بالنفع والسلامة، من جميع الأمراض والأعراض إن شاء الله تعالى، وصلَّى الله على رسوله محمد وأولاده الطيبين الطاهرين أجمعين حسبنا الله ونعم الوكيل والحمد لله ربّ العالمين..»[1].

الرسالة الذهبية

تعتبرر الرسالة من المشهورات بين علمائنا وإليك بعض الفقرات من تلك الرسالة:

«اعلم يا أمير المؤمنين أنَّ الله تعالى لم يبتل العبد المؤمن ببلاء حتَّى جعل له دواء يعالج به، ولكلّ صنف من الداء صنف من الدواء وتدبير ونعت، وذلك أنَّ الأجسام الإنسانية جعلت على مثال الملك، فملك الجسد هو القلب، والعمَّال العروق والأوصال والدماغ، وبيت الملك قلبه وأرضه الجسد، والأعوان يداه ورجلاه وشفتاه وعيناه ولسانه وأُذناه، وخزانته معدته وبطنه، وحجابه صدره.

فاليدان عونان يقرِّبان ويبعِّدان ويعملان على ما يوحي إليهما الملك، والرجلان تنقلان الملك حيث يشاء.

والعينان تدلاَّنه على ما يغيب عنه، لأنَّ الملك من وراء الحجاب لا يوصل إليه شيء إلاَّ بهما، وهما سراجان أيضاً، وحصن الجسد وحرزه الأُذنان لا يدخلان على الملك إلاَّ ما يوافقه، لأنَّهما لا يقدران أن يدخلا شيئاً حتَّى يوحي الملك إليهما فإذا أوحى الملك إليهما أطرق الملك منصتاً لهما حتَّى يسمع منهما، ثمَّ يجيب بما يريد فيترجم عنه اللِّسان بأدوات كثيرة، منها ريح الفؤاد، وبخار المعدة، ومعونة الشفتين وليس للشفتين قوَّة إلاَّ باللِّسان، وليس يستغني بعضها عن بعض، والكلام لا يحسن إلاَّ بترجيعه في الأنف، لأنَّ الأنف يزيِّن الكلام كما يزيِّن النافخ في المزمار وكذلك

(١) راجع شرح الرسالة الذهبية (طب الإمام الرِّضا عليه السلام) للاستفادة من نص الرسالة وشرحها (دار المحجة البيضاء، شرح محسن عقيل).

المنخران، وهما ثقبتا الأنف، يدخلان على الملك ممَّا يحبّ من الرياح الطيِّبة، فإذا جاءت ريح تسوء على الملك أوحى إلى اليدين فحجبا بين الملك وتلك الريح.

وللملك مع هذا ثواب وعقاب، فعذابه أشدُّ من عذاب الملوك الظاهرة القاهرة في الدُّنيا، وثوابه أفضل من ثوابهم! فأمَّا عذابه فالحزن، وأمَّا ثوابه فالفرح، وأصل الحزن في الطحال، وأصل الفرح في الثرب والكليتين، ومنهما عرقان موصلان إلى الوجه.

فمن هناك يظهر الفرح والحزن، فترى علامتهما في الوجه. وهذه العروق كلّها طرق من العُمَّال إلى الملك ومن الملك إلى العمَّال، ومصداق ذلك أنَّك إذا تناولت الدواء أدَّته العروق إلى موضع الداء بإعانتها.

واعلم يا أمير المؤمنين أنَّ الجسد بمنزلة الأرض الطيِّبة، متى تعوهدت بالعمارة والسقي من حيث لا يزداد في الماء فتغرق. ولا ينقص منه فتعطش، دامت عمارتها وكثر ريعها، وزكى زرعها، وإن تغوفل عنها فسدت، ولم ينبت فيها العشب، فالجسد بهذه المنزلة.

وبالتدبير في الأغذية والأشربة يصلح ويصحّ، وتزكو العافية فيه فانظر يا أمير المؤمنين ما يوافقك، ويوافق معدتك، ويقوى عليه بدنك، ويستمرئه من الطعام فقدّره لنفسك واجعله غذاءك.

واعلم يا أمير المؤمنين أنَّ كلّ واحدة من هذه الطبائع تحت ما يشاكلها، فاغتذِ ما يشاكل جسدك، ومن أخذ من الطعام زيادة لم يغذه ومن أخذه بقدر لا زيادة عليه ولا نقص في غذائه نفعه. وكذلك الماء فسبيله أن تأخذ من الطعام كفايتك في أيَّامه وارفع يديك منه وبك إليه بعض القرم[1] وعندك إليه ميل، فإنَّه أصلح لمعدتك ولبدنك، وأزكى لعقلك وأخفّ لجسمك.

يا أمير المؤمنين، كل البارد في الصيف، والحارّ في الشتاء، والمعتدل في الفصلين على قدر قوَّتك وشهوتك. وابدأ في أوَّل الطعام بأخفّ الأغذية التي يغتذي بها بدنك بقدر عادتك وبحسب طاقتك ونشاطك. وزمانك الذي يجب أن يكون أكلك في كلّ يوم عندما يمضي من النهار ثمان ساعات أكلة واحدة، أو ثلاث أكلات في يومين تتغدَّى باكراً في أوَّل يوم، ثمَّ تتعشَّى، فإذا كان في اليوم الثاني، فعند مضي ثمان ساعات من النهار أكلت أكلة واحدة ولم تحتج إلى العشاء. وكذا أمر جدِّي ﷺ علياً عليه السلام في كلّ يوم وجبة، وفي غده وجبتين. وليكن ذلك بقدر لا يزيد ولا ينقص.

---

(١) القرم: ـ بالتحريك ـ: شهوة الطعام.

وارفع يديك من الطعام وأنت تشتهيه، وليكن شرابك على أثر طعامك من الشراب الصافي العتيق ممّا يحلّ شربه، والذي أنا واصفه فيما بعد.

واعلم يا أمير المؤمنين أنَّ قوّة النُّفوس تابعة لأمزجة الأبدان، وأنَّ الأمزجة تابعة للهواء، وتتغيَّر بحسب تغيُّر الهواء في الأمكنة. فإذا برد الهواء مرَّة وسخن أخرى تغيَّرت بسببه أمزجة الأبدان، وأثَّر ذلك التغيُّر في الصور، فإذا كان الهواء معتدلاً اعتدلت أمزجة الأبدان، وصلحت تصرُّفات الأمزجة في الحركات الطبيعيَّة كالهضم والجماع والنوم والحركة وسائر الحركات.

لأنَّ الله تعالى بنى الأجسام على أربع طبائع، وهي: المرُّتان والدم والبلغم وبالجملة حارَّان وباردان، قد خولف بينهما فجعل الحارّين ليناً ويابساً، وكذلك الباردين رطباً ويابساً، ثم فرَّق ذلك على أربعة أجزاء من الجسد، وعلى الرأس والصدر والشراسيف وأسفل البطن.

واعلم يا أمير المؤمنين أنَّ الرأس والأُذنين والعينين والمنخرين والفم والأنف من الدم، وأنَّ الصدر من البلغم والرِّيح، والشراسيف من المرّة الصفراء، وأنَّ أسفل البطن من المرّة السوداء.

واعلم يا أمير المؤمنين أنَّ النوم سلطان الدماغ وهو قوام الجسد وقوَّته فإذا أردت النوم فليكن اضطجاعك أوَّلا على شقِّك الأيمن، ثم انقلب على الأيسر وكذلك فقم من مضجعك على شقِّك الأيمن كما بدأت به عند نومك.

وعوِّد نفسك القعود من اللَّيل ساعتين [مثل ما تنام، فإذا بقي من اللَّيل ساعتان فادخل] وأدخل الخلاء لحاجة الإنسان، والبث فيه بقدر ما تقضي حاجتك ولا تطل فيه، فإنَّ ذلك يورث داء الفيل.

واعلم يا أمير المؤمنين أنَّ أحوال الإنسان التي بناه الله تعالى عليها وجعله متصرِّفاً بها فإنَّها أربعة أحوال: الحالة الأولى لخمس عشرة سنة، وفيها شبابه وحسنه وبهاؤه، وسلطان الدم في جسمه.

ثم الحالة الثانية من خمسة وعشرين سنة إلى خمس وثلاثين سنة، وفيها سلطان المرّة الصفراء وقوَّة غلبتها على الشخص، وهي أقوى ما يكون، ولا يزال كذلك حتَّى يستوفي المدَّة المذكورة، وهي خمس وثلاثون سنة.

ثمَّ يدخل في الحالة الثالثة إلى أن تتكامل مدَّة العمر ستِّين سنة، فيكون في سلطان

المرّة السوداء، وهي سنّ الحكمة والموعظة والمعرفة والدراية، وانتظام الأمور، وصحَّة النظر في العواقب، وصدق الرأي، وثبات الجأش في التصرُّفات.

ثمَّ يدخل في الحالة الرابعة، وهي سلطان البلغم، وهي الحالة التي لا يتحوَّل عنها ما بقي إلاَّ إلى الهرم، ونكد عيش، وذبول، ونقص في القوَّة، وفساد في كونه ونكتته أنَّ كل شيء كان لا يعرفه حتَّى ينام عند القوَّة، ويسهر عند النوم، ولا يتذكَّر ما تقدَّم، وينسى ما يحدث في الأوقات ويذبل عوده، ويتغيَّر معهوده، ويجفُّ ماء رونقه وبهائه، ويقلُّ نبت شعره وأظفاره، ولا يزال جسمه في انعكاس وإدبار ما عاش، لأنَّه في سلطان المرّة البلغم، وهو بارد وجامد، فبجموده وبرده يكون فناء كلّ جسم يستولي عليه في آخر القوَّة البلغميَّة.

وأنا أذكر ما يحتاج إلى تناوله من الأغذية والأدوية، وما يجب أن يفعله في أوقاته. فإذا أردت الحجامة فليكن في اثني عشرة ليلة من الهلال إلى خمس عشرة، فإنَّ أصحّ لبدنك. فإذا انقضى الشهر فلا تحتجم إلاَّ أن تكون مضطراً إلى ذلك، وهو لأنَّ الدم ينقص في نقصان الهلال، ويزيد في زيادته.

ولتكن الحجامة بقدر ما يمضي من السنين: ابن عشرين سنة يحتجم في كلّ عشرين يوماً، وابن الثلاثين في كلِّ ثلاثين يوماً مرَّة واحدة، وكذلك من بلغ من العمر أربعين سنة يحتجم في كلّ أربعين يوماً مرَّة وما زاد فبحسب ذلك.

واعلم يا أمير المؤمنين أنَّ الحجامة إنَّما تأخذ دمها من صغار العروق المبثوثة في اللحم، ومصداق ذلك ما أذكره أنَّها لا تضعِّف القوَّة كما يوجد من الضعف عند الفصد.

وحجامة النقرة تنفع من ثقل الرأس، وحجامة الأخدعين تخفِّف عن الرأس والوجه والعينين، وهي نافعة لوجع الأضراس. . .

واحذر يا أمير المؤمنين أن تجمع بين البيض والسمك في المعدة في وقت واحد فإنَّهما متى اجتمعا في جوف الإنسان ولد عليه النقرس والقولنج والبواسير ووجع الأضراس. . .

ودخول الحمام على البطنة يولد القولنج، والاغتسال بالماء البارد بعد أكل السمك يورث الفالج، وأكل الأترج باللَّيل يقلِّ العين ويوجب الحول. وإتيان المرأة الحائض يورث الجذام في الولد، والجماع من غير إهراق الماء على أثره يوجب الحصاة.

والجماع بعد الجماع من غير فصل بينهما بغسل يورث للولد الجنون. وكثرة أكل البيض وإدمانه يولد الطحال ورياحاً في رأس المعدة. والامتلاء من البيض المسلوق يورث الربو والانبهار، وأكل اللحم النيّ يولد الدود في البطن. . .

وإذا أردت دخول الحمَّام وأن لا تجد في رأسك ما يؤذيك فابدأ قبل دخولك بخمس جرع من ماء فاتر، فإنَّك تسلم ـ إن شاء الله تعالى ـ من وجع الرأس والشقيقة. وقيل: خمس مرَّات يصبّ الماء الحارّ عليه عند دخول الحمَّام.

واعلم يا أمير المؤمنين أنَّ الحمَّام ركّب على تركيب الجسد: للحمَّام أربعة بيوت مثل أربع طبائع الجسد:

البيت الأوَّل يابس، والثاني بارد رطب، والثالث حارّ رطب، والرابع حارّ يابس. ومنفعة الحمام عظيمة، يؤدِّي إلى الاعتدال، وينقِّي الدرن، ويلين العصب والعروق، ويقوِّي الأعضاء الكبار، ويذيب الفضول، ويذهب العفن...

ومن أراد أن لا يشتكي مثانته فلا يحبس البول ولو على ظهر دابَّته.

ومن أراد أن لا يؤذيه معدته فلا يشرب بين طعامه ماءً حتَّى يفرغ ومن فعل ذلك رطب بدنه، وضعفت معدته، ولم يأخذ العروق قوَّة الطعام، فإنَّه يصير في المعدة فجّاً إذا صبَّ الماء على الطعام أوَّلاً فأوَّلاً.

ومن أراد أن لا يجد الحصاة وعسر البول فلا يحبس المنيّ عند نزول الشهوة، ولا يطل المكث على النساء.

ومن أراد أن يأمن من وجع السفل ولا يظهر به وجع البواسير فليأكل كلَّ ليلة سبع تمرات برنيّ بسمن البقر، يدهن بين انثيه بدهن زنبق خالص.

ومن أراد أن يزيد في حفظه فليأكل سبع مثاقيل زبيباً بالغداة على الريق.

ومن أراد أن يقلّ نسيانه ويكون حافظاً فليأكل كلَّ يوم ثلاث قطع زنجبيل مربّى بالعسل، ويصطبغ بالخردل مع طعامه في كلّ يوم...

ومن أراد أن لا يؤلمه أذنه فليجعل فيها عند النوم قطنة.

ومن أراد ردع الزكام مدَّة أيَّام الشتاء فليأكل كلّ يوم ثلاث لقم من الشهد.

واعلم يا أمير المؤمنين أنَّ للعسل دلائل يعرف بها نفعه من ضرّه، وذلك أنَّ منه شيئاً إذا أدركه الشمّ عطس، ومنه شيء يسكر، وله عند الذوق حراقة شديدة فهذه الأنواع من العسل قاتلة...

ومن أراد أن لا تسقط أذناه ولهاته فلا يأكل حلواً حتى يتغرغر بعده بخلّ.

ومن أراد أن لا يصيبه اليرقان فلا يدخل بيتاً في الصيف أوَّل ما يفتح بابه، ولا يخرج منه أوَّل ما يفتح بابه في الشتاء غدوة.

ومن أراد أن لا يصيبه ريح في بدنه فليأكل الثوم كلّ سبعة أيَّام مرَّة.

ومن أراد أن لا تفسد أسنانه فلا يأكل حلواً إلاَّ بعد كسرة خبز.

ومن أراد أن يستمرء طعامه فليتك بعد الأكل على شقِّه الأيمن ثمَّ ينقلب بعد ذلك على شقِّه الأيسر حتَّى ينام.

ومن أراد أن يطفىء لهب الصفراء فليأكل كلّ يوم شيئاً رطباً بارداً، ويروِّح بدنه، ويقلّ الحركة، ويكثر النظر إلى من يحبّ.

ومن أراد أن يحرق السوداء فعليه بكثرة القيء وفصد العروق ومداومة النورة.

ومن أراد أن يذهب بالريح الباردة فعليه بالحقنة والأدهان الليِّنة على الجسد وعليه بالتكميد بالماء الحارّ في الابزن [ويجتنب كلَّ بارد، ويلزم كلّ حار ليِّن].

ومن أراد أن يذهب عنه البلغم فليتناول بكرة كلّ يوم من الأطريفل الصغير مثقالاً واحداً.

واعلم يا أمير المؤمنين أنَّ المسافر ينبغي له أن يتحرز بالحرّ إذا سافر وهو ممتلىء من الطعام ولا خالي الجوف، وليكن على حدّ الاعتدال، وليتناول من الأغذية الباردة مثل القريص والهلام والخلّ والزيت وماء الحصرم ونحو ذلك من الأطعمة الباردة...

وأنا أذكر أمر الجماع، فلا تقرب النساء من أوَّل اللَّيل صيفاً ولا شتاءً وذلك لأنَّ المعدة والعروق تكون ممتلئة وهو غير محمود ويتولَّد منه القولنج والفالج واللقوة والنقرس والحصاة والتقطير والفتق وضعف البصر ورقّته. فإذا أردت ذلك فليكن في آخر اللَّيل، فإنَّه أصلح للبدن، وأرجى للولد، وأزكى للعقل في الولد الذي يقضي الله بينهما.

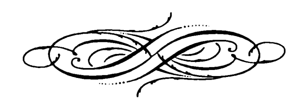
ولا تجامع امرأة حتَّى تلاعبها، وتكثر ملاعبتها، وتغمز ثدييها، فإنَّك إذا فعلت ذلك غلبت شهوتها واجتمع ماؤها، لأنَّ ماءها يخرج من ثدييها، والشهوة تظهر من وجهها وعينيها، واشتهت منك مثل الذي تشتهيه منها. ولا تجامع النساء إلاَّ وهي طاهرة.

فإذا فعلت ذلك فلا تقم قائماً، ولا تجلس جالساً، ولكن تميل على يمينك ثم انهض للبول إذا غرفت من ساعتك شيئاً، فإنَّك تأمن الحصاة بإذن الله تعالى، ثمَّ اغتسل واشرب من ساعتك شيئاً من الموميائي بشراب العسل، أو بعسل منزوع الرغوة، فإنَّه يردّ من الماء مثل الذي خرج منك.

واعلم يا أمير المؤمنين أنَّ جماعهنَّ والقمر في برج الحمل أو الدلو من البروج أفضل، وخير من ذلك أن يكون في برج الثور، لكونه شرف القمر. ومن عمل فيما وصفت في كتابي هذا ودبَّر به جسده أمن بإذن الله تعالى من كلّ داء، وصحَّ جسمه بحول الله وقوَّته، فإنَّ الله تعالى يعطي العافية لمن يشاء، ويمنحها إيَّاه والحمد لله.

٣ ـ صحيفة الرِّضا عليه السلام:

من مؤلفات الرِّضا عليه السلام هذه الرسالة الغرَّاء التي سُميت بـ(صحيفة الرِّضا) وسمَّاها فريق من الرواة بـ(مسند الإمام الرِّضا) وهذه التسمية أقرب إلى وضع الكتاب لأنَّه حوى بعض ما يرويه من الأخبار عن جده النبي صلى الله عليه وآله، وعن آبائه الأئمة الطاهرين عليهم السلام، وقد نصَّ جمهرة من المحققين على أنَّ هذه الرسالة من مؤلفات الإمام عليه السلام[1].



(١) كشف الظنون: ٢/١٠٧٦.

بحوث عقائدية

قضايا التوحيد:

أ ـ استحالة المعرفة الكاملة بذات الله:

إنَّ من المستحيل أن يوصف الله تعالى بصفة تلم بحقيقة ذاته المقدَّسة وقد انبرى أبو هاشم الجعفري، وهو من أعلام عصره في فضله وعلمه وتقواه فقال للإمام الرِّضا عليه السلام:

«هل يوصف الله؟».

وقد أراد بذلك الوقوف والإحاطة بمعرفة الله فأجابه الإمام عليه السلام:

«أما تقرأ القرآن؟».

«بلى. . .».

وأحال الإمام عليه الجواب على كتاب الله تعالى فقال:

«أما تقرأ قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ﴾[1]».

وأسرع أبو هاشم قائلاً:

«ما هي. . .».

وأجاب أبو هاشم عمَّا يعرفه عن الأبصار قائلاً:

«أبصار العيون. . . .».

فأنكر الإمام عليه السلام ذلك قائلاً:

«إنَّ أوهام القلوب أكبر من أبصار العيون، فهو لا تدركه الأوهام، وهو يدرك الأوهام. . .»[2].

---

(١) سورة الأنعام: الآية ١٠٣.

(٢) أُصول الكافي: ٩٩/١.

ب ـ استحالة رؤية الله:

من المستحيل رؤية الله تعالى، وقد شاع في بعض أوساط ذلك العصر أنَّ النبي محمَّداً صلى الله عليه وآله، قد رآه وقد خف كل من إبراهيم بن محمد الخزاز، ومحمد بن الحسين إلى الإمام الرِّضا عليه السلام يسألانه عن ذلك وقالا له:

«إنَّ محمداً رأى ربّه في صورة الشاب الموفق في سن أبناء الثلاثين سنة؟..».

وأسندا هذه المقالة إلى جماعة من أعلام الشيعة، وأنَّهم قالوا: إنَّه تعالى أجوف إلى السرة، والبقية صمد، ولا شبهة أنَّ ذلك مدسوس عليهم ولا علاقة لهم بهذه المنكرات واضطراب الإمام حينما سمع هذه الأباطيل وخرَّ ساجداً لله تعالى، وجعل يخاطبه بتذلل وخشوع:

«سبحانك ما عرفوك، ولا وحدوك، فمن أجل ذلك وصفوك، سبحانك لو عرفوك لوصفوك بما وصفت به نفسك، سبحانك كيف طاوعتهم أنفسهم أن يشبهوك بغيرك.

اللَّهمَّ لا أصفك إلاَّ بما وصفت به نفسك، ولا أشبهك بخلقك، أنت أهل لكل خير، فلا تجعلني من القوم الظالمين...».

ثم التفت عليه السلام إليهم فقال:

«ما توهمتم من شيء، فتوهموا الله غيره..».

يعني أنَّ كل ما يتوهمه الإنسان، ويتصوره بالنسبة إلى ذات الله تعالى، فليتصور بأنَّ الله تعالى غير الذي تصوره ثم التفت إلى محمد بن الحسين فقال له: «نحن آل محمد النمط الأوسط الذي لا يدركنا الغالي ولا يسبقنا التالي، يا محمد إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله حين نظر إلى عظمة ربّه كان صلى الله عليه وآله في هيئة الشاب الموفق وسن أبناء ثلاثين سنة؟!!

يا محمد عظم ربِّي عزَّ وجلَّ أن يكون في صفة المخلوقين».

وانبرى محمد بن الحسين قائلاً:

«من كانت رجلاه في خضرة؟».

فأجابه الإمام:

«ذاك محمد كان إذا نظر إلى ربّه بقلبه جعله في نور مثل نور الحجب، حتى يستبين له ما في الحجب، إنَّ نور الله منه أخضر ومنه أحمر، ومنه أبيض، ومنه غير ذلك، يا محمد ما شهد له الكتاب والسُّنَّة فنحن القائلون به»[1].

---

(١) أُصول الكافي: ١/١٠١ ـ ١٠٢.

قدم الخالق العظيم وصفاته:

من البحوث المهمة التي أدلى بها الإمام عليه السلام هي قدم الخالق العظيم وصفاته، قال عليه السلام لبعض أصحابه:

«اعلم علمك الله الخير أنَّ الله تبارك وتعالى قديم والقِدم صفته، التي دلَّت العاقل على أنَّه لا شيء قبله ولا شيء معه في ديموميته، فقد بان لنا بإقرار العامة معجزة الصفة، أنَّه لا شيء قبل الله، ولا شيء مع الله في بقائه، وبطل قول من زعم أنَّه كان قبله أو كان معه شيء، وذلك أنَّه لو كان معه شيء في بقائه لم يجز أن يكون خالقاً له لأنَّه لم يزل معه، فكيف يكون خالقاً لمن لم يزل معه، ولو كان قبله شيء كان الأول ذلك الشيء لا هذا، وكان الأول أولى بأن يكون خالقاً للأول.

ثم وصف نفسه تبارك وتعالى بأسماء دعا الخلق إذ خلقهم وتعبدهم، وابتلاهم إلى أن يدعوه بها، فسمَّى نفسه سميعاً بصيراً، قادراً، قائماً، ناطقاً، ظاهراً، باطناً، لطيفاً خبيراً قوياً، عزيزاً، حكيماً، عليماً، وما أشبه هذه الأسماء، فلما رأى ذلك من أسمائه القالون المكذبون، وقد سمعونا نحدِّث عن الله، أنَّه لا شيء مثله، ولا شيء من الخلق في حاله، قالوا: أخبرونا إذا زعمتم أنَّه لا مثل لله، ولا شبه له، كيف شاركتموه في أسمائه الحسنى فتسميتم بجميعها، فإنَّ في ذلك دليلاً على أنَّكم مثله في حالاته كلها أو في بعضها دون بعض إذ جمعتم الأسماء الطيبة؟

قيل لهم: إنَّ الله تبارك وتعالى ألزم العباد أسماء من أسمائه على اختلاف المعاني، وذلك كما يجمع الاسم الواحد معنيين مختلفين، والدليل على ذلك قول الناس الجائز عندهم الشائع، وهو الذي خاطب الله به الخلق فكلَّمهم بما يعقلون ليكون عليهم حجَّة في تضييع ما ضيَّعوا، فقد يُقال للرجل: كلب، وحمار، وثور، وسكرة، وعلقمة، وأسد، كل ذلك على خلافه وحالاته لم تقع الأسامي على معانيها التي كانت بنيت عليها لأنَّ الإنسان ليس بأسد، ولا كلب، فافهم ذلك رحمك الله.

وإنَّما سمي الله تعالى بالعلم[1] بغير علم حادث علم به الأشياء، استعان به على حفظ ما يستقبل من أمره والروية فيما يخلق من خلقه، ويفسد ما مضى ممَّا أفنى من خلقه، ممَّا لو لم يحضره، ويغيبه كان جاهلاً ضعيفاً كما أنَّا لو رأينا علماء الخلق إنَّما

(١) في نسخة بالعالم وهو الأصح.

سموا بالعلم لعلم حادث[1] إذ كانوا فيه جهلة، وربَّما فارقهم العلم بالأشياء فعادوا إلى الجهل، وإنَّما سمي الله عالماً لأنَّه لا يجهل شيئاً، فقد جمع الخالق والمخلوق اسم العالم، واختلف المعنى على ما رأيت.

وسمي ربّنا سميعاً لا بخرق فيه يسمع الصوت، ولا يبصر به كما أنَّ خرقنا الذي به نسمع لا نقوى به على البصر، ولكنَّه أخبر أنَّه لا يخفى عليه شيء من الأصوات، ليس على حدّ ما سمينا نحن، فقد جمعنا الاسم بالسمع، واختلف المعنى وهكذا البصر لا بخرق منه أبصر، كما أنَّا نبصر بخرق منَّا لا ننتفع به في غيره، ولكنَّ الله بصير لا يحتمل[2] شخصاً، منظوراً إليه، فقد جمعنا الاسم واختلف المعنى وهو قائم ليس على معنى انتصاب وقيام على ساق في كبد كما قامت الأشياء، ولكن قائم[3] يخبر أنَّه حافظ كقول الرجل: القائم بأمرنا فلان، والله هو القائم على كل نفس بما كسبت، والقائم أيضاً كلام الناس: الباقي، والقائم أيضاً يخبر عن الكفاية، كقولك للرجل قم بأمر بني فلان أي اكفهم، والقائم منَّا قائم على ساق، فقد جمعنا على النفاذ في الأشياء، والامتناع من أن يدرك كقولك للرجل: لطف عنِّي هذا الأمر، ولطف فلان في مذهبه، وقوله: يخبرك أنَّه غمض فيه العقل، وفات الطلب، وعاد متعمقاً، متلطفاً لا يدركه الوهم، فكذلك لطف الله تبارك وتعالى عن أن يدرك بحد أو يحد بوصف، واللطافة منَّا الصغر والقلَّة، فقد جمعنا الاسم واختلف المعنى.

وأما الخبير فالذي لا يعزب عنه شيء، ولا يفوته، ليس للتجربة، ولا للاعتبار بالأشياء، فعند التجربة والاعتبار علمان ولولاهما ما علم لأنَّ من كان كذلك كان جاهلاً، والله لم يزل خبيراً بما يخلق الخبير من الناس المستخبر عن جهل المتعلم، فقد جمعنا الاسم، واختلف المعنى وأما الظاهر فليس من أجل أنَّه علا الأشياء بركوب فوقها، وقعود عليها وتسنم لذراها، ولكن ذلك لقهره ولغلبته الأشياء وقدرته عليها كقول الرجل: ظهرت على أعدائي، وأظهرني الله على خصمي، يخبر عن الفلج والغلبة فهكذا ظهور على الأشياء، ووجه آخر أنَّه الظاهر لمن أراده، ولا يخفى عليه شيء، وأنَّه مدبِّر لكل ما برأ، فأي ظاهر أظهر وأوضح من الله تبارك وتعالى لأنَّك لا تعدم صنعته حيثما

---

(١) في التوحيد «سموا بالعالم لعلم حادث إذ كانوا قبله جهلة».
(٢) في التوحيد «لا يجهل شخصاً».
(٣) في التوحيد «ولكن أخبر أنَّه قائم يخبر أنَّه حافظ».

توجهت، وفيك من آثاره ما يغنيك، والظاهر منَّا البارز بنفسه، والمعلوم بحده فقد جمعنا الاسم ولم يجمعنا المعنى.

وأما الباطن فليس على معنى الاستبطان للأشياء بأن يغور فيها ولكن ذلك منه على استبطانه للأشياء علماً وحفظاً وتدبيراً كقول القائل: أبطنته: يعني خبرته، وعلمت مكتوم سِّره، والباطن منَّا الغائب في الشيء المستتر وقد جمعنا الاسم واختلف المعنى.

وأما القاهر فليس على معنى علاج ونصب واحتيال، ومدارة ومكر كما يقهر العباد بعضهم بعضاً، والمقهور منهم يعود قاهراً والقاهر يعود مقهوراً، ولكن ذلك من الله تبارك وتعالى على أنَّ جميع ما خلق ملبس به الذل لفاعله، وقلَّة الامتناع لما أراد به، لم يخرج منه طرفة عين، أن يقول له: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ والقاهر منَّا على ما ذكرت ووصفت، فقد جمعنا الاسم واختلف المعنى، وهكذا جميع الأسماء، وإن كنَّا لم نستجمعها كلها فقد يكتفي الاعتبار بما ألقينا إليك، والله عونك وعوننا في إرشادنا وتوفيقنا..»[١].

نزاهة الخالق عن المكان:

وتنزَّه الخالق العظيم عن المكان والزمان اللذين هما من لوازم الموجودات التي تستند في وجودها إلى الله تعالى، وقد خف رجل من وراء نهر بلخ نحو الإمام الرِّضا عليه السلام فقال له:

«إنِّي أسألك عن مسألة فإن أجبتني فيها بما عندي قلت بإمامتك...».

«سل عمَّا شئت...».

وعرض مسألته على الإمام قائلاً:

«أخبرني عن ربك متى كان؟ وكيف كان اعتماده؟...».

وأجابه الإمام ببالغ الحجَّة قائلاً:

«إنَّ الله تبارك وتعالى أيَّن الأين بلا أين، وكيَّف الكيف بلا كيف، وكان اعتماده على قدرته..».

إنَّ الله تعالى هو الذي أوجد المكان والزمان فهما من مخلوقاته فكيف يتصف بهما؟ وبهر الرجل من جواب الإمام وسارع فقبَّل رأسه وقال:

---

(١) أُصول الكافي: ١/ ١٢٠ ـ ١٢٣.

«أشهد أن لا إلَه إلاَّ الله، وأنَّ محمَّداً رسول الله وأنَّ علياً وصي رسول الله، والقيِّم بعده بما أقام به رسول الله صلى الله عليه وآله، وإنَّكم الأئمة الصادقون، وأنَّك الخلف من بعدهم»[١].

امتناع رؤية الله:

وكتب محمد بن عبيد إلى الإمام الرِّضا عليه السلام يسأله عن الرؤية ـ أي رؤية الله تعالى ـ وما ترويه العامة والخاصة في ذلك، وسأل الإمام أن يشرح له ذلك فكتب الإمام إليه الرسالة التالية:

«اتفق الجميع لا تمانع بينهم، أنَّ المعرفة من جهة الرؤية ضرورة، فإذا جاز أن يُرى الله بالعين وقعت المعرفة ضرورة، ثم لم تخل تلك المعرفة من أن تكون إيماناً أو ليست بإيمان، فإن كانت تلك المعرفة من جهة الرؤية إيماناً، فالمعرفة التي في دار الدُّنيا من جهة الاكتساب ليست بإيمان لأنَّها ضدّه، فلا يكون في الدُّنيا مؤمن لأنَّهم لم يروا الله عزَّ ذكره، وإن لم تكن تلك المعرفة التي من جهة الرؤية إيماناً لم تخل هذه المعرفة التي من جهة الاكتساب أن تزول، ولا تزول في المعاد، فهذا دليل على أنَّ الله عزَّ وجلَّ لا يُرى بالعين، إذ العين تؤدِّي إلى ما وصفنا...»[٢].

تفنيده لآراء القدرية:

وفنَّد الإمام الرِّضا عليه السلام آراء القدرية، وأبطل شبههم في حديث له مع يونس بن عبد الرحمن قال عليه السلام:

«يا يونس لا تقل بقول القدرية، فإنَّ القدرية لم يقولوا بقول أهل الجنَّة، ولا بقول أهل النار، ولا بقول إبليس فإنَّ أهل الجنَّة قالوا: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا﴾ ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ وقال أهل النار: ﴿غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾، وقال إبليس: ﴿رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ الآية.

وأنكر يونس أن يقول بمقالتهم قائلاً:

«والله ما أقول بقولهم: ولكني أقول: لا يكون إلاَّ بما شاء الله وأراد وقدَّر وقضى...».

وردَّ عليه السلام قائلاً:

---

(١) أُصول الكافي: ١/ ٨٨.
(٢) أُصول الكافي: ١/ ٩٦ ـ ٩٧.

«يا يونس ليس هكذا، لا يكون إلاّ ما شاء الله، وأراد، وقدر قضى، يا يونس تعلم ما المشيئة؟..».

قال يونس: لا.

وأوضح الإمام له حقيقة المشيئة قائلاً:

«هي الذكر الأول، تعلم ما الإرادة؟..».

قال يونس: لا.

وبيَّن الإمام له واقع الإرادة قائلاً:

«هي العزيمة على ما يشاء، تعلم ما القدر؟..».

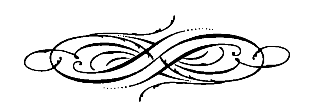
قال يونس: لا.

فقال عليه السلام:

«هي الهندسة، ووضع الحدود من البقاء والفناء، والقضاء هو الإبرام، وإقامة العين..».

وانحنى يونس إكباراً وإجلالاً للإمام، وقبَّل رأسه، وقال له:

«فتحت لي شيئاً كنت عنه في غفلة..»[1].



(١) أُصول الكافي: ١/١٥٧.

في رحاب القرآن الكريم

يقول المؤرخون: إنَّه كان يكثر باللَّيل في فراشه من تلاوة القرآن فإذامرَّ بآية فيها ذكر الجنَّة أو النار بكى، وسأل الله الجنَّة، وتعوَّذ به من النار[1].

تعقيبه على بعض الأمور:

كان الإمام عليه السلام إذا قرأ بعض سور القرآن الكريم عقَّب عليها ببعض الكلمات، ومن بينها هذه السور:

١ ـ سورة التوحيد:

وكان إذا فرغ من تلاوة سورة التوحيد عقب عليها بقوله: «كذلك الله ربنا» يقول ذلك ثلاثاً.

٢ ـ سورة الجحد:

وإذا فرغ من قراءة سورة الجحد قال ثلاثاً: «ربِّي الله وديني الإسلام».

٣ ـ سورة التين:

وبعد الفراغ من قراءتها يقول: «بلى وأنا على ذلك من الشاهدين».

٤ ـ سورة القيامة:

وإذا قرأ سورة القيامة قال: «سبحانك اللَّهم. .».

٥ ـ سورة الفاتحة:

وبعد فراغه من قراءة سورة الفاتحة يقول: «الحمد لله ربّ العالمين. .».

٦ ـ سورة سبِّح اسم ربّك:

وإذا تلى هذه السورة قال: «سبحان ربِّي الأعلى»[2].

---

(١) عيون أخبار الرِّضا: ٢/ ١٨٠.

(٢) عيون أخبار الرِّضا: ٢/١٨٣.

البسملة:

الجهر بالبسملة في الصلاة:

وكان الإمام الرِّضا عليه السلام يجهر بالبسملة في جميع صلواته باللَّيل والنهار وشجب من يخفت بها، فقال: «ما بالهم قاتلهم الله عمدوا إلى أعظم آية في كتاب الله فزعموا أنَّها بدعة إذا أظهروها»[١].

نماذج من تفسيره للقرآن:

واهتم الإمام الرِّضا عليه السلام اهتماماً بالغاً في تفسير القرآن الكريم فأولاه المزيد من العناية في محاضراته وبحوثه التي ألقاها على الفقهاء والعلماء وسائر طلابه، وقد نقلها الرواة والمفسرون للقرآن، وهذا بعضها:

١ ـ قوله تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَـٰرِهِمْ غِشَـٰوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[٢].

قال عليه السلام في تفسير هذه الآية: «الختم هو الطبع على قلوب الكفار عقوبة على كفرهم...»[٣].

٢ ـ قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَـٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾[٤].

قال عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَـٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾ «إنَّ الله لا يوصف بالترك كما يوصف خلقه، ولكنَّه متى علم أنَّهم لا يرجعون عن الكفر والضلالة، فمنعهم المعاونة واللطف، وخلى بينهم وبين اختيارهم»[٥].

٣ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾[٦] سأل عبد السلام بن صالح الهروي الإمام الرِّضا عليه السلام فقال له: يابن رسول الله صلى الله عليه وآله أخبرني عن الشجرة التي أكل منها آدم وحواء ما كانت؟ فقد اختلف الناس فيها فمنهم من يروي أنَّها الحنطة، ومنهم

---

(١) مواهب الرحمن في تفسير القرآن: ١/ ٢٠.
(٢) سورة البقرة: الآية ٧.
(٣) مواهب الرحمن: ١/ ٨٥.
(٤) سورة البقرة: الآية ٢٠.
(٥) مواهب الرحمن: ١/ ١٠٦.
(٦) سورة البقرة: الآية ٣٥.

من يروي أنَّها العنب ومنهم من يروي أنَّها شجرة الحسد؟ فقال عليه السلام: كل ذلك حق، فقال عبد السلام: ما معنى هذه الوجوه على اختلافها؟ فقال عليه السلام: يابن الصلت إنَّ شجرة الجنَّة تحمل أنواعاً، وكانت شجرة الحنطة، وفيها عنب، وليست كشجرة الدُّنيا»[١].

٤ ـ قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾[٢].

قال عليه السلام في تفسير الآية الكريمة: إنَّهم ـ أي الذين قالوا لموسى هذا القول ـ السبعون الذين اختارهم موسى عليه السلام وصاروا معه إلى الجبل، فقالوا: إنَّك قد رأيت الله فأرناه كما رأيته، فقال لهم: إنِّي لم أره، فقالوا له: لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة»[٣].

٥ ـ قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ...﴾ الآية[٤].

قال عليه السلام في تفسير هذه الآية: «وأما هاروت وماروت فكانا ملكين علَّما الناس السحر ليتحرزا به عن سحر السحرة، ويبطلوا كيدهم وما علَّما أحداً من ذلك شيئاً إلاَّ قالا له: إنَّما نحن فتنة فلا تكفر، فكفر قوم باستعمالهم لما أمروا بالاحتراز عنه، وجعلوا يفرقون بما يعلمونه بين المرء وزوجه، قال الله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ﴾[٥].

٦ ـ قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ ۖ﴾[٦] قال عليه السلام في تفسير هذه الآية: «يعني شاة، وضع على أدنى القوم قوَّة ليسع القوي والضعيف»[٧].

٧ ـ قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾[٨] سأل ابن فضال الإمام الرِّضا عليه السلام عن تفسير هذه الآية، فأجابه:

«هل ينظرون إلاَّ أن يأتيهم الله بالملائكة في ظلل من الغمام وهكذا نزلت.

---

(١) عيون أخبار الرِّضا.
(٢) سورة البقرة: الآية ٥٥.
(٣) مواهب الرحمن: ١/ ٢٥٥.
(٤) سورة البقرة: الآية ١٠٢.
(٥) مواهب الرحمن: ٢/ ٣٥٥.
(٦) سورة البقرة: الآية ١٩٦.
(٧) مواهب الرحمن.
(٨) سورة البقرة: الآية ٢١٠.

وعن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ فقال عليه السلام: إنَّ الله لا يوصف بالمجيء والذهاب تعالى عن الانتقال، وإنَّما يعني بذلك وجاء أمر ربك والملك صفاً صفاً»[١].

وعلَّق السيِّد السبزواري على تفسير الإمام بقوله: «ما ورد في الحديث حسن جداً للآية الشريفة كما هو شأنه عليه السلام في بيان الآيات المتشابهات، والمراد بقوله عليه السلام: هكذا نزلت هو النزول البياني والتفسيري على قلب رسول الله صلى الله عليه وآله»[٢].

٨ ـ قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾[٣].

سأل صفوان بن يحيى الإمام الرِّضا عليه السلام عن هذه الآية، وقال له: أكان في قلب إبراهيم شك؟ فقال عليه السلام: لا كان على يقين ولكنَّه أراد من الله الزيادة في يقينه[٤].

٩ ـ قوله تعالى: ﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾[٥] فسَّر الإمام الرِّضا عليه السلام الدرجات والتفاوت بين المتقين يوم القيامة فقال عليه السلام: «الدرجة ما بين السماء والأرض»[٦].

١٠ ـ قوله تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾[٧]. قال عليه السلام في تفسير هذه الآية: لتبلون في أموالكم بإخراج الزكاة، وفي أنفسكم بالتوطين على الصبر[٨].

١١ ـ قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟﴾[٩]. قال عليه السلام: إذا كان يوم القيامة ينادي منادٍ أين الصابرون؟ فيقوم فئام[١٠] من الناس، فقال له بعض أصحابه: جُعلت فداك، ما الصابرون؟ قال عليه السلام: على أداء الفرائض، والمتصبرون على اجتناب المحارم[١١].

---

(١) مواهب الرحمن: ٣/ ٢٧٠.
(٢) مواهب الرحمن: ٤/ ٢٧٠.
(٣) سورة البقرة: الآية ٢٦٠.
(٤) تفسير القمي.
(٥) سورة آل عمران: الآية ١٦٣.
(٦) تفسير العياشي.
(٧) سورة آل عمران: الآية ١٨٦.
(٨) مواهب الرحمن: ٦ج١٦٢.
(٩) سورة آل عمران: الآية ٢٠٠.
(١٠) الفئام: الجماعة من الناس.
(١١) تفسير القمي.

١٢ ـ قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾[١].

سئل الإمام الرِّضا عليه السلام عن إرادة العباد، وإرادة الله تعالى، فقال: إنَّ الإرادة من العباد الضمير، وما يبدو بعد ذلك من الفعل، وأما من الله عزَّ وجلَّ فالإرادة للفعل إحداثه إنَّما يقول: كن فيكون بلا تعب وكيف[٢].

١٣ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾[٣].

سأل بريد العجلي الإمام الرِّضا عليه السلام عن تفسير هذه الآية فقال عليه السلام: هم الأئمة من آل محمد صلى الله عليه وآله أن يؤدوا الأمانة إلى من بعده، ولا يخص بها غيره، ولا يزويها عنه[٤].

١٤ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾[٥].

قال عليه السلام: في تفسير الآية لن يجعل الله للكافر على المؤمنين حجَّة، ولقد أخبر الله تعالى عن كفار قتلوا نبيهم بغير الحق، ومع قتلهم إيَّاهم لم يجعل الله لهم على أنبيائه سبيلاً[٦].

١٥ ـ قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾[٧].

قال عليه السلام: «للناس في التوحيد ثلاثة مذاهب: نفي، وتشبيه، وإثبات بغير تشبيه، فمذهب النفي لا يجوز، ومذهب التشبيه لا يجوز لأنَّ الله تبارك وتعالى لا يشبهه شيء، والسبيل في الطريقة الثالثة إثبات بلا تشبيه».

١٦ ـ قوله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾[٨].

استشهد الإمام عليه السلام بالآية الكريمة في حديثه التالي، قال عليه السلام:

«إنَّ الله عزَّ وجلَّ لم يقبض نبينا حتى أكمل له الدِّين، وأنزل عليه القرآن فيه تبيان كل شيء يبيِّن فيه الحلال والحرام والحدود والأحكام، وجميع ما يحتاج إليه الناس كملاً، وقال عزَّ وجلَّ: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾»[٩].

---

(١) سورة النساء: الآية ٢٦.
(٢) مواهب الرحمن: ٨/ ١٤٠.
(٣) سورة النساء: الآية ٥٨.
(٤) مواهب الرحمن: ٨/ ٣٦٧.
(٥) سورة النساء: الآية ١٤١.
(٦) الميزان: ٥/ ١٢٠.
(٧) سورة الأنعام: الآية ١٩.
(٨) سورة الأنعام: الآية ٣٨.
(٩) الميزان: ٧/ ١٠٦.

١٧ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِيٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾[1].

إنَّ نوح عليه السلام قال لقومه مضمون هذه الآية الكريمة، وقد علّق الإمام الرِّضا عليه السلام على ذلك بقوله: «الأمر إلى الله يهدي ويضل»[2].

١٨ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾[3].

سأل علي بن محمد بن الجهم الإمام الرِّضا عليه السلام في مجتمع حاشد فقال له:

«يابن رسول الله أتقول بمهمة الأنبياء؟».

«نعم...».

«ما تقول في قوله عزَّ وجلَّ في يوسف ولقد همت به، وهمَّ بها؟».

فأجابه عليه السلام بتفسير الآية وأنَّه ليس كما توهم من الأخذ بظاهره قائلاً:

«إنَّها ـ أي زليخا ـ همت بالمعصية، وهمَّ يوسف بقتلها إن أجبرته لعظيم ما تداخله، فصرف الله عنه قتلها، وهو قوله عزَّ وجلَّ: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ﴾ والسوء القتل والفحشاء الزنا»[4].

١٩ ـ قوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾[5].

قال عليه السلام في تفسير الآية إنَّه شرك لا يبلغ به الكفر[6].

٢٠ ـ قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾[7].

روى محمد بن علي بن بلال عن يونس في كتاب رفعوه إلى الإمام الرِّضا عليه السلام يسألونه عن العالم الذي أتاه موسى أيّهما كان أعلم؟ وهل يجوز أن يكون على موسى حجّة في وقته، فكتب عليه السلام في الجواب:

---

(١) سورة هود: الآية ٣٤.
(٢) تفسير العياشي.
(٣) سورة يوسف: الآية ٢٤.
(٤) الميزان: ١١/١٦٦.
(٥) سورة يوسف: الآية ١٠٦.
(٦) تفسير العياشي.
(٧) سورة الكهف: الآية ٦٦.

«أتى موسى العالم فأصابه في جزيرة من جزائر البحر، إما جالساً وإما متكئاً، فسلَّم عليه موسى فأنكر السلام إذ كان الأرض ليس بها سلام.

قال: من أنت؟

قال: أنا موسى بن عمران.

- «أنت موسى بن عمران الذي كلَّمه الله تكليماً؟».

- «نعم...».

- «ما حاجتك؟...».

- «جئت لتعلمني ممَّا علمت رشداً..».

- «إنِّي وكلت بأمر لا تطيقه، ووكلت بأمر لا أطيقه..».

وساق له الأمرين[1].

٢١ - قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ﴾[2].

استشهد الإمام عليه السلام بالآية الكريمة في الحديث التالي، روى الحسين بن خالد قال: قلت لأبي الحسن الرِّضا عليه السلام: أخبرني عن قول الله: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡحُبُكِ﴾ قال: هي محبوكة إلى الأرض وشبك بين أصابعه، فقلت: كيف تكون محبوكة إلى الأرض والله يقول: ﴿رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ﴾ فقال عليه السلام: سبحان الله!! أليس الله يقول ﴿بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ﴾ فقلت: بلى.

فقال: فثم عمد ولكن لا ترونها[3].

٢٢ - قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾[4].

روى أحمد بن عمر قال: سألت أبا الحسن الرِّضا عليه السلام عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ﴾ الآية فقال عليه السلام: ولد فاطمة عليها السلام، والسابق بالخيرات لا يعرف الإمام[5].

---

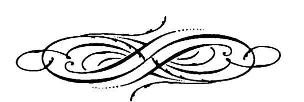
(١) الميزان.
(٢) سورة لقمان: الآية ١٠.
(٣) تفسير القمي.
(٤) سورة فاطر: الآية ٣٢.
(٥) الميزان: ١٧/٤٩.

٢٣ ـ قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾[1].

سأل محمد بن عبيدة الإمام الرِّضا عليه السلام عن تفسير قوله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ قال عليه السلام: يعني بقدرتي وقوّتي[2].

٢٤ ـ قوله تعالى: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[3].

قال الإمام عليه السلام: في تفسير أحد، أنَّه «أحد لا بتأويل عدد»[4].



(١) سورة ص: الآية ٥٧.

(٢) الميزان: ١٧/٢٢٩.

(٣) سورة التوحيد: الآية ١.

(٤) الميزان: ٢٠/٣٩١.

علل الأحكام وغيرها

بيَّن الإمام الرِّضا عليه السلام عن ضرورة اشتمال الأحكام الشرعية على المصالح في جانب الواجبات والمفاسد في جهة المحرمات، وقد أدلى بذلك في تقديم أجوبته عن علل بعض الأحكام التي سأله عنها الفضل بن شاذان، قال عليه السلام:

«إن سأل سائل هل يجوز أن يكلف الحكيم عبده فعلاً من الأفعال لغير علَّة ولا معنى؟ قيل له: لا يجوز ذلك لأنَّه حكيم غير عابث، ولا جاهل فإن قال قائل: فأخبرني لِمَ كلف الخلق؟ قيل: لعلل كثيرة، فإن قال قائل: فأخبرني عن تلك العلل معروفة موجودة؟ هي أم غير معروفة ولا موجودة قيل: بل هي معروفة موجودة عند أهلها»(١).

المسائل الكلامية:

أما المسائل الكلامية التي ذكر عللها الإمام عليه السلام فهي:

أ ـ الحكمة في أمر الخلق بالإقرار بالله:

وأدلى الإمام عليه السلام بالحكم الوثيقة التي من أجلها وجب على العباد الإقرار بالله تعالى، وبرسله وبما جاء من عنده، قال عليه السلام:

فإن قال قائل: لم أمر الخلق بالإقرار بالله، وبرسوله، وحجَّته، وبما جاء من عند الله عزَّ وجلَّ؟...

وأجاب الإمام بما يلي:

«قيل: لعلل كثيرة، منها إن من لم يقر بالله عزَّ وجلَّ، ولم يجتنب معاصيه، ولم ينته عن ارتكاب الكبائر، ولم يراقب أحداً فيما يشتهي، ويستلذ من الفساد والظلم، وإذا فعل الناس هذه الأشياء، وارتكب كل إنسان ما يشتهي ويهواه من غير مراقبة لأحد كان في ذلك فساد الخلق أجمعين، ووثوب بعضهم على بعض، فغصبوا الفروج والأموال،

---

(١) عيون أخبار الرِّضا: ٢/٩٩.

وأباحوا الدماء والنساء، وقتل بعضهم بعضاً من غير حق، ولا جرم، فيكون في ذلك خراب الدُّنيا، وهلاك الخلق، وفساد الحرث والنسل.

ومنها أنَّ الله عزَّ وجلَّ حكيم ولا يكون الحكيم، ولا يوصف بالحكمة إلاَّ الذي يحظر الفساد، ويأمر بالصلاح، ويزجر عن الظلم، وينهى عن الفواحش، ولا يكون حظر الفساد، والأمر بالصلاح والنهي عن الفواحش إلاَّ بعد الإقرار بالله عزَّ وجلَّ، ومعرفة الآمر والناهي.

ولو ترك الناس بغير إقرار بالله عزَّ وجلَّ، ولا معرفته لم يثبت أمر بصلاح ولا نهي عن فساد إذ لا آمر ولا ناهي ومنها إنَّا وجدنا الخلق قد يفسدون بأمور باطنة مستورة فلولا الإقرار بالله وخشيته بالغيب لم يكن أحد إذا خلا بشهوته وإرادته يراقب أحداً في ترك المعصية، وانتهاك حرمة، وارتكاب كبيرة إذا كان فعله مستوراً عن الخلق غير مراقب لأحد، فكان يكون في ذلك خلاف الخلق أجمعين، فلم يكن قوام الخلق وصلاحهم إلاَّ بالإقرار منهم بعليم خبير يعلم السِّر وأخفى، آمر بالصلاح، ناه عن الفساد، لا تخفى عليه خافية، ليكون في ذلك انزجار لهم عمَّا يخلون به من أنواع الفساد»[1].

ب ـ الإقرار لله بالوحدانية:

قال ﷺ: «فإن قال قائل: فلم أوجب عليهم الإقرار والمعرفة بأنَّ الله واحدٌ أحد؟!.

قيل: لعلل، منها أنَّه لو لم يجب عليهم الإقرار والمعرفة، لجاز أن يتوهموا مدبرين أو أكثر من ذلك، وإذا جاز ذلك لم يهتدوا إلى الصانع لهم من غيره، لأنَّ كل إنسان منهم كان لا يدري، لأنَّه إنَّما يعبد غير الذي خلقه، ويطيع غير الذي أمره، فلا يكونون على حقيقة من صانعهم وخالقهم، ولا يثبت عندهم أمر آمر، ولا نهي ناه، إذاً لا يعرف الآمر بعينه، ولا الناهي من غيره.

ومنها أنَّه لو جاز أن يكون اثنين، لم يكن أحد الشريكين أولى بأن يعبد، ويُطاع من الآخر، وفي إجازة أن يطاع ذلك الشريك إجازة أن لا يطاع الله، وفي إجازة أن لا يطاع الله كفر بالله وبجميع كتبه ورسله، وإثبات كل باطل، وترك كل حق، وتحليل كل حرام،

---

(١) عيون أخبار الرِّضا: ٢/ ١٠٠.

وتحريم كل حلال، والدخول في كل معصية والخروج من كل طاعة، وإباحة كل فساد، وإبطال كل حق.

ومنها أنَّه لو جاز أن يكون أكثر من واحد لجاز لإبليس أن يدعي أنَّه ذلك الآخر حتى يضاد الله تعالى في جميع حكمه ويصرف العباد إلى نفسه، فيكون في ذلك أعظم الكفر، وأشد النفاق...»[1].

ج ـ الله ليس كمثله شيء.

قال عليه السلام: «فإن قال قائل: فلم أوجب عليهم الإقرار بالله بأنَّه ليس كمثله شيء؟.

قيل: لعلل، منها: أن لا يكونوا قاصدين نحوه بالعبادة والطاعة دون غيره، غير مشتبه عليهم أمر ربّهم، وصانعهم، ورازقهم، ومنها أنَّهم لولا يعلموا أنَّه ليس كمثله شيء لم يدروا لعلَّ ربّهم وصانعهم هذه الأصنام التي نصبها لهم آباؤهم، والشمس، والقمر، والنيران، إذا كان جائزاً أن يكون عليهم مشتبه، وكان يكون في ذلك الفساد وترك طاعاته كلها، وارتكاب معاصيه كلها على قدر ما يتناهى إليهم من أخبار هذه الأرباب، وأمرها ونهيها. ومنها: أنَّه لو لم يجب عليهم أن يعرفوا أنَّ ليس كمثله شيء لجاز عندهم أن يجري عليه ما يجري على المخلوقين من العجز والجهل، والتغيير، والزوال والفناء، والكذب، والاعتداء، ومن جازت عليه هذه الأشياء لم يؤمن فناؤه، ولم يوثق بعدله، ولم يحقق قوله، وأمره ونهيه، ووعده ووعيده، وثوابه وعقابه وفي ذلك فساد الخلق، وإبطال الربوبية...»[2].

د ـ العلة في تكليف العباد:

قال عليه السلام: «فإن قال قائل: لم أمر الله تعالى العباد ونهاهم؟

قيل: لأنَّه لا يكون بقاؤهم وصلاحهم إلاَّ بالأمر، والنهي، والمنع من الفساد والتغاصب...»[3].

هـ ـ العلة في معرفة الرُّسل:

قال عليه السلام: «فإن قال قائل: فلم أوجب عليهم معرفة الرُّسل، والإقرار بهم، والإذعان لهم بالطاعة؟

---

(١) عيون أخبار الرِّضا: ٢/ ١٠٢.

(٢) عيون أخبار الرِّضا: ٢/ ١٠٣.

(٣) عيون أخبار الرِّضا.

قيل: لأنَّه لما إن لم يكن في خلقهم وقواهم ما يكملون به مصالحهم، وكان الصانع متعالياً عن أن يرى، وكان ضعفهم وعجزهم عن إدراكه ظاهراً، لم يكن بدَّ لهم من رسول بينه وبينهم معصوم، يؤدِّي إليهم أمره ونهيه وأدبه، ويقفهم على ما يكون به اجترار منافعهم، ومضارهم، فلو لم يجب عليهم معرفته وطاعته، لم يكن لهم في مجيء الرسول منفعة، ولا سد حاجة، ولكان إتيانه عبثاً لغير منفعة، ولا صلاح، وليس هذا من صفة الحكيم الذي أتقن كل شيء...».

و ـ الحكمة في إطاعة أولي الأمر:

قال عليه السلام: «فإن قال قائل: فلم جعل أولي الأمر، وأمر بطاعتهم؟

قيل: لعلل كثيرة، منها أنَّ الخلق لما وقفوا على حد محدود، وأمروا أن لا يتعدوا ذلك الحد، لما فيه من فسادهم، لم يكن يثبت ذلك، ولا يقوم إلاَّ بأن يجعل فيه أميناً يمنعهم من التعدي، والدخول فيما حظر عليهم، لأنَّه لو لم يكن ذلك لكان أحد لا يترك لذته ومنفعته لفساد غيره، فجعل عليهم فيما يمنعهم من الفساد، ويقيم فيهم الحدود والأحكام.

ومنها إنَّا لا نجد فرقة من الفرق، ولا ملة من الملل بقوا وعاشوا إلاَّ بقيم ورئيس، ولما لا بدَّ لهم منه، في أمر الدِّين والدُّنيا، فلم يجز في حكمة الحكيم أن يترك الخلق ممَّا يعلم أنَّه لا بدَّ له منه ولا قوام إلاَّ به، فيقاتلون به عدوهم، ويقسمون فيئهم، ويقيم لهم جمعهم، وجماعتهم، ويمنع ظالمهم من مظلومهم.

ومنها: أنَّه لو لم يجعل لهم إماماً قيماً أميناً، حافظاً مستودعاً لدرست الملة، وذهب الدِّين، وغيّرت السُّنن والأحكام، ولزاد فيه المبتدعون، ونقص منه الملحدون، وشبهوا ذلك على المسلمين، لأنَّا وجدنا الخلق منقوصين، محتاجين غير كاملين، مع اختلافهم، واختلاف أهوائهم، وتشتت أنحائهم، فلو لم يجعل لهم قيماً حافظاً لما جاء به الرسول ﷺ، لفسدوا على نحو ما بيَّنا، وغيّرت الشرائع والسُّنن، والأحكام والإيمان، وكان في ذلك فساد الخلق أجمعين»[1].

ز ـ الإمامة من نسل النبي:

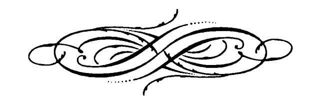
قال عليه السلام: «فإن قال قائل: فلم لا يجوز أن يكون الإمام من غير جنس الرسول ﷺ؟

---

(١) عيون أخبار الرِّضا: ٢/١٠٠ ـ ١٠١.

قيل: لعل منها أنَّه لما كان الإمام مفترض الطاعة، لم يكن بُدَّ من دلالة تدلُّ عليه، ويتميَّز بها من غيره، وهي القرابة المشهورة، والوصية الظاهرة، ليعرف من غيره، ويهتدى إليه بعينه، ومنها: أنَّه لو جاز في غير جنس الرسول، لكان قد فضل من ليس برسول على الرُّسل، إذ جعل أولاد الرسول اتباعاً لأولاد أعدائه كأبي جهل، وابن أبي معيط، لأنَّه قد يجوز بزعمهم أن ينتقل ذلك في أولادهم إذا كانوا مؤمنين، فيصير أولاد الرسول تابعين، وأولاد أعداء الله، وأعداء رسوله متبوعين، فكان الرسول أولى بهذه الفضيلة من غيره وأحق.

ومنها: إنَّ الخلق إذا أقروا للرسول بالرسالة، وأذعنوا له بالطاعة لم يتكبَّر أحد منهم أن يتبع ولده، ويطيع ذرِّيته، ولم يتعاظم ذلك في أنفس الناس، وإذا كان ذلك في غير جنس الرسول كان كل واحد منهم في نفسه أنَّهم أولى به من غيره، ودخلهم من ذلك الكبر، ولم تسخ أنفسهم بالطاعة، لمن هو عندهم دونهم، فكان ذلك داعية إلى الفساد والاختلاف»[1].



(١) عيون أخبار الرِّضا: ٢/١٠٢.

بعض علل الأحكام الشرعية

غسل الميت:

وعلل الإمام عليه السلام وجوب غسل الميت بتعليلين:

الأول: قال عليه السلام: وعلَّة غسل الميت، أنَّه يغسل، لأنَّه يطهر، وينظف من أدناس أمراضه، وما أصابه من صنوف علله، لأنَّه يلقى الملائكة، ويباشر أهل الآخرة، فيستحب إذا ورد على الله، ولقي أهل الطهارة، ويماسونه ويماسهم أن يكون طاهراً نظيفاً، موجهاً به إلى الله ليطلب به، ويشفع له...

الثاني: قال عليه السلام: وعلة أخرى أنَّه يخرج منه المني الذي منه خلق، فيجنب، فيكون غسله له...[1].

عدم وجوب الغسل للبول، والغائط:

قال عليه السلام: «وعلة التخفيف في البول والغائط، لأنَّه أكثر وأدوم من الجنابة، ففرض فيه بالوضوء لكثرته ومشقته، ومجيئه بغير إرادة منهم، ولا شهوة، والجنابة لا تكون إلاَّ باستلذاذ منهم، والإكراه لأنفسهم»[2].

الصلاة:

قال عليه السلام: «فإن قال قائل: فلِمَ أمروا بالصلاة؟

قيل: لأنَّ في الصلاة الإقرار بالربوبية، وهو صلاح عام، لأنَّ فيه خلع الأنداد، والقيام بين يدي الجبَّار بالذل، والاستكانة، والخضوع، والخشوع، والاعتراف، وطلب الإقالة من سالف الذُّنوب، ووضع الجبهة على الأرض كل يوم وليلة، ليكون العبد ذاكراً لله، غير ناس له، ويكون خاشعاً، وجلاً متذللاً، طالباً، راغباً في الزيادة للدِّين والدُّنيا،

(١) عيون أخبار الرِّضا: ٢/ ٨٩.
(٢) عيون أخبار الرِّضا: ٢/ ٨٩.

مع ما فيه من الانزجار عن الفساد، وصار ذلك عليه في كل يوم وليلة، لئلا ينسى العبد مدبره، وخالقه، والقيام بين يدي ربه، زاجراً له عن المعاصي، وحاجزاً ومانعاً له عن أنواع الفساد»[١].

أذان الصلاة:

قال عليه السلام: «فإن قال قائل: أخبرني عن الأذان لم أمروا به؟

قيل: لعلل كثيرة، منها أن يكون تذكيراً للساهي، وتنبيهاً للغافل، وتعريفاً لمن جهل الوقت، واشتغل عن الصلاة، وليكون ذلك داعياً إلى عبادة الخالق، مرغباً فيها، مقراً له بالتوحيد، مجاهراً بالإيمان، معلناً بالإسلام، مؤذناً لمن نسيها[٢].

وإنَّما يُقال: مؤذن لأنَّه يؤذن بالصلاة»[٣].

فصول الأذان:

وحكى الإمام عليه السلام العلل في فصول الأذان، وهي:

أ ـ البدء بالتكبير:

قال عليه السلام: «فإنْ قال قائل: فلم بدأ فيه ـ أي في الأذان بالتكبير ـ وهو الله أكبر ـ قبل التهليل ـ وهو لا إلّه إلاَّ الله ـ.

قيل: لأنَّه أراد أن يبدأ بذكره، واسمه، لأنَّ اسم الله تعالى في التكبير في أوَّل الحرف، وفي التهليل في آخر الحرف، فبدأ بالحرف الذي اسم الله في أوَّله لا في آخر»[٤].

ب ـ التكبير أربعاً:

قال عليه السلام: «فإنْ قال قائل: فلم جُعل التكبير في أوَّل الأذان أربعاً؟

قيل: لأنَّ أوَّل الأذان إنَّما يبدأ غفلة، وليس قبله كلام ينبه المستمع له، فجعل ذلك تنبيهاً للمستمعين لما بعده في الأذان»[٥].

ج ـ فصول الأذان مثنى:

---

(١) عيون أخبار الرِّضا: ٢/١٠٣ ـ ١٠٤.
(٢) في العلل (لمن يتساهى).
(٣) عيون أخبار الرِّضا: ٢/١٠٥.
(٤) عيون أخبار الرِّضا: ٢/١٠٥.
(٥) عيون أخبار الرِّضا: ٢/١٠٥.

قال عليه السلام: «فإنْ قال قائل: فلم جعل بعد التكبير شهادتين؟

قيل: لأنَّ أوَّل الإيمان إنَّما هو التوحيد، والإقرار لله عزَّ وجلَّ بالوحدانية، والثاني الإقرار للرسول ﷺ بالرسالة، وإنَّ طاعتهما ومعرفتهما مقرونتان، وإنَّ أصل الإيمان إنَّما هو الشهادة، فجعل الشهادتين في الأذان، كما جعل في سائر الحقوق شهادتين، فإذا أقر لله بالوحدانية، وأقر للرسول بالرسالة، فقد أقر بجملة الإيمان، لأنَّ أصل الإيمان إنَّما هو الإقرار بالله وبرسوله»[1].

تكفين الأموات:

قال عليه السلام: «فإن قال قائل: فلم أمروا بكفن الميت؟

قيل: ليلقى ربه عزَّ وجلَّ طاهر الجسد، ولئلا تبدو عورته لمن يحمله ويدفنه، ولئلا يظهر الناس على بعض حاله، وقبح منظره، وتغيُّر ريحه، ولئلا يقسو القلب من كثرة النظر إلى مثل ذلك للعاهة والفساد، وليكون أطيب لأنفس الأحياء، ولئلا يبغضه حميم فيلغي ذكره ومودته، فلا يحفظه فيما خلف، وأوصاه، وأمره به، واجباً كان أو ندباً».

دفن الأموات:

قال عليه السلام: «فإنْ قال قائل: فلم أمر بدفنه؟

قيل: لئلا يظهر الناس على فساد جسده، وقبح منظره وتغيُّر ريحه، ولا يتأذى الأحياء بريحه، وبما يدخل عليه من الآفة والفساد، وليكون مستوراً عن الأولياء والأعداء، فلا يشمت عدوه، ولا يحزن صديقه».

صلاة الكسوف:

قال عليه السلام: «فإن قال قائل: فلم جعلت للكسوف صلاة؟

قيل: لأنَّه آية من آيات الله عزَّ وجلَّ، لا يدري لرحمة ظهرت أم لعذاب؟

فأحب النبي ﷺ أن تفزع أُمَّته إلى خالقها وراحمها، عند ذلك، ليصرف عنهم شرها، ويقيهم مكرها، كما صرف عن قوم يونس، حين تضرعوا إلى الله عزَّ وجلَّ».

صلاة العيد:

قال عليه السلام: «فإنْ قال قائل: فلم جعل التكبير فيها أكثر من غيرها من الصلاة؟

---

(١) عيون أخبار الرِّضا: ٢/ ١٠٥.

قيل: لأنَّ التكبير إنَّما هو لله، وتمجيد على ما هدى وعافى، كما قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[1].

الصوم:

وتحدَّث الإمام عليه السلام عن الحكمة في تشريع الصوم، وعن بعض علل التشريع فيما يتعلق بأحكام شهر رمضان المبارك.

قال عليه السلام: «فإنْ قال قائل: فلمَ أمر بالصوم؟

قيل: لكي يعرفوا ألم الجوع والعطش، فيستدلوا على فقر الآخرة، وليكون الصائم خاشعاً، ذليلاً، مستكيناً، مأجوراً، محتسباً، عارفاً، صابراً على ما أصابه من الجوع والعطش، فيستوجب الثواب، مع ما فيه من الإنكسار عن الشهوات، وليكون ذلك واعظاً لهم في العاجل، ورايضاً لهم على ما كلفهم، ودليلاً لهم في الآجل، وليعرفوا شدة مبلغ ذلك على أهل الفقر والمسكنة في الدُّنيا، فيؤدّوا إليهم ما افترض الله لهم في أموالهم».

وجوب الحج:

قال عليه السلام: «فإنْ قال قائل: فلم أمر بالحج؟

قيل: لعلَّة الوفادة إلى الله عزَّ وجلَّ، وطلب الزيادة، والخروج من كل ما اقترف العبد، تائباً ممَّا مضى، مستأنفاً لما يستقبل، مع ما فيه من إخراج الأموال، وتعب الأبدان، والاشتغال عن الأهل والولد، وحظر الأنفس عن اللذات، شاخص في الحر والبرد، ثابت ذلك عليه دائم، مع الخضوع والاستكانة والتذلل، مع ما في ذلك لجميع الخلق من المنافع، في شرق الأرض وغربها، ومن في البرد والحر[2]، ممَّن يحج، وممَّن لا يحج، من بين تاجر وجالب، وبائع، ومشتري، وكاسب، ومسكين، ومكار، وفقير، وقضاء حوائج أهل الأطراف في المواضع الممكن لهم الاجتماع فيها من النفقة، ونقل أخبار الأئمة عليهم السلام إلى كل صقع وناحية، كما قال الله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[3].

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٨٥.

(٢) لعلَّ الصحيح: في البر والبحر.

(٣) سورة التوبة: الآية ١٢٢.

الحج مرَّة واحدة:

قال عليه السلام: «فإنْ قال قائل: فلم أُمروا بحجَّة واحدة، لا أكثر من ذلك؟

قيل له: لأنَّ الله تعالى وضع الفرائض على أدنى القوم مرة كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ يعني شاة، ليسع له القوي والضعيف، وكذلك سائر الفرائض إنَّما وضعت على أدنى القوم قوَّة، فكان من تلك الفرائض الحج المفروض واحداً، ثم رغب بعد أهل القوَّة بقدر طاقتهم».

استلام الحجر:

قال عليه السلام: «وعلَّة استلام الحجر: إنَّ الله تبارك وتعالى لما أخذ ميثاق بني آدم ألقمه الحجر، فمن ثمَّ كلَّف الناس تعاهد ذلك الميثاق، ومن ثم يُقال: عند الحجر، أمانتي أديتها، وميثاق تعاهدته لتشهد لي بالموافاة، ومنه قول سلمان: ليجيء الحجر يوم القيامة مثل أبي قبيس له لسان وشفتان يشهد لمن وافاه بالموافاة».

الزكاة:

قال عليه السلام فيما كتبه لمحمد بن سنان عن أجوبة مسائله في علل الأحكام قال:

«وعلَّة الزكاة من أجل قوت الفقراء، وتحصين أموال الأغنياء، لأنَّ الله تبارك وتعالى كلَّف أهل الصحة القيام بشأن أهل الزمانة ـ وهم المرضى ـ والبلوى، كما قال الله تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾(١) في أموالكم بإخراج الزكاة، وفي أنفسكم بتوطين الأنفس على الصبر، مع ما في ذلك من أداء شكر نعم الله عزَّ وجلَّ والطمع في الزيادة، مع ما فيه من الرأفة والرحمة لأهل الضعف والعطف على أهل المسكنة، والحث لهم على المواساة، وتقوية الفقراء، والمعونة على أمر الدِّين، وهم عظة لأهل الغنى، وعبرة لهم، ليستدلوا على فقراء الآخرة بهم، وما لهم من الحث في ذلك على الشكر لله تبارك وتعالى لما خوَّلهم، وأعطاهم، والدُّعاء والتضرع والخوف من أن يصيروا مثلهم في أمور كثيرة في أداء الزكاة والصدقات، وصلة الأرحام، واصطناع المعروف».

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٨٦.

علل بعض المحرمات:

قتل النفس:

قال عليه السلام: «وحرَّم الله قتل النفس لعلَّة فساد الخلق في تحليله لو أحل، وفنائهم، وفساد التدبير».

عقوق الوالدين:

قال عليه السلام: «وحرَّم الله عقوق الوالدين لما فيه من الخروج عن التوقير...».

الزنا:

قال عليه السلام: «وحرَّم الزنا لما فيه من الفساد من قتل الأنفس، وذهاب الأنساب، وترك التربية للأطفال، وما أشبه ذلك من وجوه الفساد».

عقوبة الزاني:

قال عليه السلام: «وعلَّة ضرب الزاني على جسده بأشد الضرب لمباشرته الزنا، واستلذاذ الجسد كله به، فجعل الضرب عقوبة له، وعبرة لغيره، وهو أعظم الجنايات».

اللواط والمساحقة:

قال عليه السلام: «وعلة تحريم الذكران للذكران، والإناث بالإناث، لما ركب في الإناث، وما طبع عليه الذكران، ولما في إتيان الذكران الذكران، والإناث الإناث من انقطاع النسل، وفساد التدبير، وخراب الدُّنيا».

أكل مال اليتيم:

قال عليه السلام: «وحرم أكل مال اليتيم ظلماً لعلل كثيرة من وجوه الفساد، أوَّل ذلك إنَّه إذا أكل الإنسان مال اليتيم ظلماً فقد أعان على قتله، إذ اليتيم غير مستغن، ولا محتمل لنفسه ولا علم بشأنه، ولا له من يقوم عليه، ويكفيه، كقيام والديه، فإذا أكل ماله فكأنَّه قد قتله وصيَّره إلى الفقر والفاقة، مع ما خوف الله عزَّ وجلَّ، وجعل من العقوبة في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ﴾»[1].

(١) سورة النساء: الآية ٩.

قطع يد السارق اليمنى:

قال عليه السلام: «وعلة قطع اليمين من السارق، ولأنَّه يباشر الأشياء بيمينه، وهي أفضل أعضائه، وأنفعها له، فجعل قطعها نكالاً وعبرة للخلق، لئلا يبتغو أخذ الأموال من غير حلها، ولأنَّه أكثر ما يباشر السرقة بيمينه.

وحرم غصب الأموال، وأخذها من غير حلها، لما فيه من أنواع الفساد، والفساد محرم لما فيه من الفناء، وغير ذلك من وجوه الفساد».

الخمر:

قال عليه السلام: «حرم الله الخمر لما فيها من الفساد، ومن تغييرها عقول شاربيها، وحملها إيَّاهم على إنكار الله عزَّ وجلَّ، والفرية عليه وعلى رسله، وسائر ما يكون منهم من الفساد والقتل والقذف والزنا، وقلَّة الاحتجاز من شيء من الحرام، فبذلك قضينا على كل مسكر من الأشربة إنَّه حرام محرم، لأنَّه يأتي من عاقبتها ما يأتي من عاقبة الخمر، فليجتنبه من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتولانا، وينتحل مودتنا، فإنَّه لا عصمة بيننا وبين شاربيها».

زواج الرجل بأربعة نسوة:

قال عليه السلام: «وعلة تزويج الرجل أربعة نسوة، وتحريم أن تتزوج المرأة أكثر من واحد، لأنَّ الرجل إذا تزوج أربع نسوة كان الولد منسوباً إليه، والمرأة لو كان لها زوجان، وأكثر من ذلك لم يعرف الولد لمن هو، إذ هم مشتركون في نكاحها، وفي ذلك فساد الأنساب والمواريث والمعارف».

المطلقة تسع تطليقات:

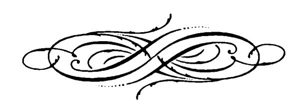
قال عليه السلام: «وعلة تحريم المرأة بعد تسع تطليقات، فلا تحل له أبداً، عقوبة، لئلا يتلاعب بالطلاق، ولا يستضعف المرأة، وليكون ناظراً في أموره، متيقظاً، معتبراً، وليكون يأساً لهما من الاجتماع بعد تسع تطليقات».

ميراث المرأة:

أما ميراث المرأة فإنَّها ترث نصف ما يرث الرجل، وقد علل عليه السلام ذلك بتعليلين وهما:

الأوَّل: قال عليه السلام: «وعلة إعطاء النساء نصف ما يعطى الرجال من الميراث، لأنَّ المرأة إذا تزوجت أخذت، والرجل يعطي، فلذلك وفر على الرجال».

الثاني: قال عليه السلام: «وعلة أخرى في إعطاء الذكر مثلي ما تعطى الأنثى، لأنَّ الأنثى في عيال الذكر إن احتاجت، وعليه أن يعولها، وعليه نفقتها، وليس على المرأة أنْ تعول الرجل، ولا يؤخذ بنفقته إن احتاج، فوفر الله تعالى على الرجال لذلك، وذلك قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ﴾»[١].



(١) سورة النساء: الآية ٢٣٤.

جوامع الكلم

فضل العقل:

قال ﷺ: «صديق كل امرىء عقله، وعدوه جهله»[١].

قال ﷺ: «أفضل العقل معرفة الإنسان نفسه»[٢].

قال ﷺ: «ليس العبادة كثرة الصلاة والصوم إنَّما العبادة كثرة التفكُّر في أمر الله عزَّ وجلَّ»[٣].

محاسبة النفس:

قال ﷺ: «من حاسب نفسه ربح، ومن غفل عنها خسر»[٤].

الحلم:

قال ﷺ: «لا يكون الرجل عابداً حتى يكون حليماً» الحديث[٥].

الصمت:

قال ﷺ: «من علامات الفقه ـ أي المعرفة ـ الحلم والعلم، والصمت. إنَّ الصمت باب من أبواب الحكمة، إنَّ الصمت يكسب المحبة، أنَّه دليل على كل خير»[٦].

التواضع:

قال ﷺ: «التواضع أن تعطي الناس ما تحب أن تعطاه».

---

(١) أُصول الكافي: ١/١١، وسائل الشيعة: ١١/١٦١.
(٢) أعيان الشيعة: ٢/١٩٦.
(٣) الميزان: ٨/٣٦٩، وسائل الشيعة: ١١/١٥٣.
(٤) أُصول الكافي: ٢/١١١.
(٥) أُصول الكافي: ٢/١١٣.
(٦) أُصول الكافي: ٢/١٢٤.

وقال عليه السلام فيما كتبه لمحمد بن سنان: «التواضع درجات منها أن يعرف المرء قدر نفسه، فينزلها منزلتها بقلب سليم، لا يحب أن يأتي لأحد إلاَّ مثل ما يؤتى إليه، إن أتي إليه بسيئة درأها[١] بالحسنة، كاظم الغيظ، عاف عن الناس، والله يحب المحسنين»[٢].

الخصال الكريمة في المؤمن:

قال عليه السلام: «لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يكون فيه ثلاث خصال: سنة من ربّه، وسنة من نبيه، وسنة من وليه، فأما السنة من ربه فكتمان سِّره، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ وأما السُّنَّة من نبيه فمداراة الناس، فإنَّ الله عزَّ وجلَّ أمر نبيه بمداراة الناس فقال: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾[٣] وأما السنة من وليه فالصبر في البأساء والضراء»[٤].

العجب المفسد للعمل:

قال عليه السلام: «العجب درجات: منها أن يزين للعبد سوء عمله فيراه حسناً، ويحسب أنَّه يحسن صنعاً، ومنها أن يؤمن العبد فيمنُّ على الله، ولله المنَّة عليه فيه»[٥].

الذُّنوب:

قال عليه السلام: «كلَّما أحدث العباد من الذُّنوب ما لم يكونوا يعلمون أحدث لهم من البلاء ما لم يكونوا يعرفون»[٦].

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

قال عليه السلام: «لتأمرن بالمعروف، ولتنهنَّ عن المنكر، أو ليستعملن عليكم شراركم، فيدعو خياركم فلا يُستجاب لهم!»[٧].

---

(١) درأها: أي دفعها.
(٢) الدر النظيم: ورقة ٢١٦.
(٣) سورة الأعراف: الآية ١٩٩.
(٤) وسائل الشيعة: ١١/ ٢٤١.
(٥) البحار: ٧٨/ ٣٣٥.
(٦) وسائل الشيعة: ١١/ ٢٤٠.
(٧) وسائل الشيعة: ١١/ ٣٩٤.

من أحب عاصياً:

قال عليه السلام: «من أحب عاصياً فهو عاص، ومن أحب مطيعاً فهو مطيع، ومن أعان ظالماً فهو ظالم، ومن خذل ظالماً فهو عادل، أنّه ليس بين الله وبين أحد قرابة، ولا تنال ولاية الله إلاّ بالطاعة».

سئل الإمام عليه السلام عن خيار العباد، فقال عليه السلام: «الذين إذا أحسنوا استبشروا، وإذا أساؤوا استغفروا، وإذا أعطوا شكروا، وإذا ابتلوا صبروا، وإذا غضبوا عفوا»[(١)].

شرف العمل:

قال عليه السلام: «إنَّ الذي يطلب من فضل يكف به عياله أعظم أجراً من المجاهد في سبيل الله»[(٢)].

خصال كريمة:

قال عليه السلام: «خمس من لم تكن فيه فلا ترجوه لشيء من الدُّنيا والآخرة: من لم تعرف الوثاقة في أرومته، والكرم في طباعه، والرضى في خلقه، والنبل في نفسه، والمخافة لربّه»[(٣)].

وصية عامة:

وأوصى الإمام عليه السلام أصحابه وسائر الناس بهذه الوصية القيِّمة:

«اتقوا الله أيُّها الناس في نعم الله عليكم، فلا تنفروها عنكم بمعاصيه واعلموا أنَّكم لا تشكرون الله بشيء بعد الإيمان بالله ورسوله وبعد الاعتراف بحقوق أولياء الله من آل محمد ﷺ أحب من معاونتكم لإخوانكم المؤمنين على دُنياهم التي هي معبر لكم إلى جنان ربّهم فإنَّ من فعل ذلك كان من خاصة الله»[(٤)].

صلة الأرحام:

قال عليه السلام: «يكون الرجل يصل رحمه فيكون قد بقي من عمره ثلاث سنين فيصيرها الله ثلاثين سنة، ويفعل الله ما يشاء»[(٥)].

---

(١) تحف العقول: ص٤٤٥.
(٢) تحف العقول: ص٤٤٥.
(٣) تحف العقول: ص٤٤٦.
(٤) الدر النظيم: ورقة ٢١٥.
(٥) وسائل الشيعة: ١٥/ ٢٣٤.

وعظ وإرشاد:

قال محمد بن عبيدة: دخلت على الرِّضا عليه السلام فبعث إلى صالح بن سعيد فوعظنا جميعاً، وكان من وعظه أنَّه قال:

«قال أبو جعفر ـ يعني الإمام محمد الباقر عليه السلام ـ كن خيراً لا شر معه، كن ورقاً لا شوك معه، ولا تكن شوكاً لا ورق معه، وشراً لا خير معه».

ثم قال: «إنَّ الله يبغض القيل والقال، وإيضاع المال وكثرة السؤال».

ثم قال: «إنَّ بني إسرائيل شدَّدوا فشدَّد الله عليهم، قال لهم موسى: اذبحوا بقرة، قالوا: ما لونها؟ فلم يزالوا يشدِّدون حتى ذبحوا بقرة بملء جلدها ذهباً».

ثم قال: «إنَّ علي بن أبي طالب عليه السلام قال: إنَّ الحكماء ضيَّعوا الحكمة لما وضعوها عند غير أهلها»[١].

من كلماته القصار:

قال عليه السلام: «إنَّ للقلوب إقبالاً وإدباراً، ونشاطاً وفتوراً، فإذا أقبلت بصرت، وفهمت، وإذا أدبرت كلت وملت، فخذوها عند إقبالها ونشاطها واتركوها عند إدبارها وفتورها»[٢].

قال عليه السلام: «اصحب السلطان بالحذر، والصديق بالتواضع، والعدو بالتحرز، والعامة بالبشر»[٣].

قال عليه السلام: «إنَّ مشي الرجال مع الرجل فتنة للمتبوع ومذلة للتابع»[٤].

قال عليه السلام: «صاحب النعمة يجب أن يوسع على عياله»[٥].

قال عليه السلام: «التودُّد إلى الناس نصف العقل»[٦].

قال عليه السلام: «السخي يأكل من طعام الناس ليأكوا من طعامه».

قال عليه السلام: «عونك للضعيف أفضل من الصدقة».

(١) البحار: ٧٢/ ٣٤٥.
(٢) أعيان الشيعة.
(٣) أعيان الشيعة.
(٤) تأريخ اليعقوبي: ٣/ ١٨١.
(٥) بحار الأنوار: ٧٨/ ٣٣٥.
(٦) بحار الأنوار: ٧٨/ ٣٣٥.

قال عليه السلام: «ليس لبخيل راحة، ولا لحسود لذّة، ولا للملوك وفاء، ولا لكذوب مروة»[١].

قال له رجل: سل لي ربّك التقية الحسنة، والمعرفة بحقوق الإخوان، والعمل بما أعرف من ذلك، فقال الرِّضا عليه السلام: «قد أعطاك الله ذلك، لقد سألت أفضل شعار الصالحين ودثارهم»[٢].

قال عليه السلام: «لا يجتمع المال إلاّ بخصال خمس: ببخل شديد، وأمل طويل، وحرص غالب، وقطيعة لرحم، وإيثار الدُّنيا على الآخرة»[٣].

قال عليه السلام: «كفاك ممَّن يريد نصحك بالنميمة ما يجد في نفسه من سوء الحساب في العاقبة».

قال عليه السلام: «من لم يخف الله في القليل لم يخفه في الكثير».

وكان الإمام الرِّضا عليه السلام ـ في عصره ـ عملاق الفكر الإسلامي، وأعلم إنسان على وجه الأرض ـ كما يقول المأمون ـ وقد أمدَّ العالم الإسلامي بجميع مقومات الارتقاء والنهوض، وقد اتخذ الجامع النبوي ـ زاده الله شرفاً ـ معهداً لدروسه، ومحاضراته، وقد احتفَّ به العلماء والرواة، وطلبة الفقه وهو ابن نيف وعشرين عاماً[٤] وهم يسجلون فتواه، وما يدلي به من روائع الحكم، وفنون الآداب.

ووجد العلماء في أحاديثه امتداداً ذاتياً لأحاديث جده الرسول ﷺ الملهم الأوَّل لقضايا الفكر والعلم في الأرض، وامتداداً مشرقاً لآبائه الأئمة الطاهرين رواد النهضة العلمية والحضارية في دنيا الإسلام ويقول الرواة: إنَّه ليس في الأرض سبعة أشراف كتب عنهم الحديث عند الخاص والعام إلاّ علي بن موسى عليه السلام[٥].

وبلغ من اهتمام العلماء بأحاديثه أنَّه حينما اجتاز في نيسابور ازدحموا عليه، وقد بلغ عددهم ما ينيف على عشرين ألفاً، وهم يحملون المحابر وطلبوا منه أن يتحفهم بحديث عن جده رسول الله ﷺ فروى لهم الحديث ـ الذي سمي بالحديث الذهبي ـ.

---

(١) تحف العقول: ص٤٤٦.
(٢) وسائل الشيعة: ١١/ ٤٧٤.
(٣) وسائل الشيعة: ١٢/ ١٩.
(٤) تهذيب التهذيب.
(٥) البحار: ١٢/ ٢٩.

مع دعبل بن علي الخزاعي

هو شاعر الإسلام الذي وهب حياته لله، وناهض أئمة الظلم والجور، ونصر أئمة الهدى والحق، وجاهد كأعظم ما يكون الجهاد في سبيلهم، فتعرض لسخط ملوك العباسيين، ونقمتهم، فطاردته أجهزتهم، ومخابراتهم، وبقي صامداً لم يحفل بما عاناه من الأهوال والخطوب. لقد كان دعبل لسان الجبهة المعارضة للحكم العباسي الفاسد الذي استأثر بخيرات البلاد، وأنفقها بسخاء على الدعارة والمجون، وترك البلاد تموج بالفقر والحرمان، وراح دعبل بأدبه الفيَّاض يهجو أولئك الملوك، ويثير سخط العامة عليهم.

مكانته العلمية:

وبالإضافة لما يتمتع به دعبل من المواهب الأدبية التي جعلته في الرعيل الأوَّل من أدباء عصره، فقد كان من العلماء، فقد روى عن الإمام الرِّضا وأبي جعفر محمد الجواد عليهما السلام[1] اللذين هما من مصادر الفقه عند الإمامية.

ووهب دعبل أدبه وفكره للعلويين الذين هم دعاة العدل الاجتماعي في الإسلام، والذين ناضلوا كأشد ما يكونالنضال لإعلان حقوق الإنسان، وإنقاذ الفقراء والمحرومين من ويلات الحكم الأموي والعباسي.

رثاؤه للإمام الحسين:

ورُوِّع المسلمون بكارثة كربلاء التي انتهكت فيها حرمة الرسول صلى الله عليه وآله في أبنائه وذرِّيته فقد أبادت جيوش الأمويين بوحشية قاسية عترة النبي صلى الله عليه وآله واقترفت فيهم أفظع الجرائم، وقد اهتزَّ لهول هذه الفاجعة الضمير الإنساني، وقد اندفع دعبل الذي هو علوي الفكر إلى رثاء الإمام الحسين عليه السلام فرثاه بذوب روحه في مجموعة من روائع نظمه كان من بينها هذه اللوحات:

---

(١) معجم رجال الحديث: ٧/١٤٨.

أأسبلت دمع العين بالعبرات — وبت تقاسي شدَّة الزفرات
وتبكي على آثار آل محمد — وقد ضاق منك الصدر بالحسرات
ألاً فابكهم حقاً وأجر عليهم — عيوناً لريب الدهر منسكبات
ولا تنس في يوم الطفوف مصابهم — بداهية من أعظم النكبات
سقى اللَّه أجداثاً على طف كربلا — مرابع أمطار من المزنات
وصلَّى على روح الحسين وجسمه — طريحاً على النهرين بالفلوات
قتيلاً بلا جرم ينادي لنصره — - فريداً وحيداً - أين أين حماتي
أأنسى - وهذا النهر يطفح - ظامئاً — قتيلاً ومظلوماً بغير ترات
فقل لابن سعد - أبعد الله سعده - — ستلقى عذاب النار واللعنات
سأقنت طول الدهر ما هبت الصبا — وأقنت بالآصال والغدوات
على معشر ضلوا جميعاً وضيَّعوا — مقال رسول اللَّه بالشُّبهات
لقد رفعوا رأس الحسين على القنا — وساقوا نساءً حُسراً ولهات
توفوا عطاشاً نازحين وغادروا — مدارس وحي اللَّه مندرسات
يعزُّ على المختار أن يمكث ابنه — طريحاً بلا دفن لدى الهبوات
ويرفع رأس الرمح رأس حبيبه — ويُسرى به للشام في الحربات
وينكثه بالعود من لاكت أمه — لحمزة كبداً لم يُسَغْ بلهاة
مصائب أجرت عين كل موحد — دماءً رماها القلب بالعبرات[1]

هجاؤه للرشيد:

ولما توفي الإمام الرضًا عليه السلام سارع المأمون فدفنه إلى جانب أبيه، وسئل عن ذلك، فقال: ليغفر الله لهارون بجواره للإمام الرِّضا، ولما سمع دعبل ذلك هزأ وقال:

قبران في طوس خير الناس كلهم — وقبر شرهم هذا من العبر
ما ينفع الرجس من قرب الزكي ولا — على الزكي بقرب الرجس من ضرر
هيهات كل امرىء رهن بما كسبت — له يداه فخذ ما شئت أو فذر

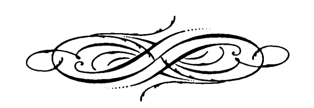
هجاؤه لإبراهيم:

ولما بايع المأمون الإمام الرِّضا عليه السلام بولاية العهد غضب العباسيون وانتفخت

(١) ديوان دعبل: ص١٠٧.

أوداجهم، فعمدوا إلى إبراهيم بن المهدي شيخ المغنين فبايعوه، وانبرى دعبل إلى هجائه فقال:

نَـعَـرَ ابـن شـكـلـة بـالـعـراق وأهـلـه ... فـهـفـا إلـيـه كـل أطـلـس مـائـق
إن كـان إبـراهـيـم مـضـطـلـعـاً بـهـا ... فـلـتـصـلـحـن من بعده لـلـمـخـارق
ولـتـصـلـحـن مـن بـعـد ذاك لـزلـزل ... ولـتـصـلـحـن مـن بـعـده لـمـخـارق
أنّـىٰ يـكـون ولـيـس ذاك بـكـائـن ... يـرث الـخـلافـة فـاسـق عـن فـاسـق[1]



(١) ديوان دعبل: ص١٧٤.

عصر الإمام عليه السلام

واتسم عصر الإمام الرِّضا عليه السلام بالعصر الذهبي، وأنَّه من أزهى العصور وأروعها في التأريخ الإسلامي، وذلك لازدهار العمران وتطور الزراعة، وسيطرة الدولة الإسلامية على معظم مناطق العالم فقد أصبحت خاضعة للحكم العباسي، كما أصبحت بغداد عاصمة العالم الإسلامي، بل وعاصمة الدُّنيا، فقد كانت أعظم حاضرة يؤمها رجال العلم والسلك الدبلوماسي من مختلف أنحاء العالم وذلك للظفر بمنصب من مناصب الدولة، أو لعرض ما تحتاجه بلادهم من الشؤون الإدارية والاقتصادية والعلمية.

التنكيل بالعلويين:

ومن أقسى المحن التي عاناها السادة العلويون في العصور العباسية الأولى، والتي شاهد بعضها الإمام الرِّضا عليه السلام هو التنكيل القاسي بالعلويين فقد عمد العباسيون بشكل سافر إلى اضطهادهم وتصفيتهم جسدياً.

وكان أوَّل من أوقع الفتنة بين العلويين والعباسيين هو المنصور الدوانيقي[(١)] وهو القائل:

«قتلت من ذرِّية فاطمة ألفاً أو يزيدون، وتركت سيِّدهم ومولاهم وإمامهم جعفر بن محمد»[(٢)].

لقد قتل هذا العدد من أبناء رسول الله ﷺ ليجعلهم ذخراً له يقدِّمهم إلى الله تعالى وإلى جدهم رسول الله ﷺ هو الذي ترك لولده خزانة رؤوس العلويين، وعلَّق بكل رأس ورقة كتب فيها اسم العلوي، وقد حوت رؤوس شيوخ وأطفال وشباب[(٣)].

---

(١) تأريخ الخلفاء للسيوطي: ص٢٦١، مروج الذهب: ٤/ ٢٢٢.

(٢) الأدب في ظل التشيُّع: ص٦٨.

(٣) تأريخ الطبري: ١٠/ ٤٤٦.

وقال للإمام الصادق عليه السلام: «لأقتلنك ولأقتلن أهلك حتى لا أبقي على الأرض منكم قامة سوط»[١].

تأريخ الدولة العباسية كما يقول السيِّد أمير علي[٢].

وفي عهد الهادي عانت الأسرة العلوية الخوف والإرهاب فقد أخافهم خوفاً شديداً، وألحَّ في طلبهم، وقطع أرزاقهم، وأعطياتهم وكتب إلى الآفاق بطلبهم[٣] وهو صاحب (واقعة فخ) الشبيهة بكارثة كربلاء في مآسيها، فقد بلغ عدد الرؤوس التي أرسلت إليه مائة ونيفاً، وسبى الأطفال والنساء، وقتل السبي حتى الأطفال.

وأما في عهد الرشيد فقد عانى العلويون أشد وأقسى ألوان الظلم يقول الفخري: لم يكن ـ أي الرشيد ـ يخاف الله وأفعاله بأعيان آل علي وهم أولاد بنت نبيه لغير جرم[٤]. وقد أقسم على تصفيتهم وتصفية شيعتهم يقول: حتام اصبر على آل بني أبي طالب والله لأقتلنهم ولأقتلن شيعتهم[٥]. وقد أوعز إلى عامله على يثرب بأن يضمن العلويون بعضهم بعضاً[٦] وهو الذي هدم قبر سيِّد الشُّهداء وريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله الإمام الحسين، وقطع السدرة التي كان يستظل تحتها الزائرون وقد قام بذلك عامله على الكوفة موسى بن عيسى العباسي[٧].

ومن أعظم ما اقترفه من (الإثم) اغتياله لإمام المسلمين وسيِّد المتقين الإمام موسى بن جعفر عليه السلام بعدما قضى في سجونه حفنة من السنين.

مع الواقفية:

من الأحداث التي جرت في عصر الإمام الرِّضا عليه السلام، وأزعجته إلى حدٍّ بعيد هي انتشار مذهب (الواقفية) بين صفوف الشيعة، فقد ذهب القائلون بالوقف إلى أنَّ الإمام موسى بن جعفر عليه السلام حي ولم يمت، ولا يموت، وأنَّه رفع إلى السماء كما رفع

---

(١) المناقب: ٣/ ٣٥٧.
(٢) مختصر تأريخ العرب: ص١٨.
(٣) تأريخ اليعقوبي: ٣/ ١٣٦.
(٤) الآداب السلطانية: ص٢٠.
(٥) الأغاني: ٥/ ٢٢٥.
(٦) الولاة والقضاة: ص١٩٨.
(٧) أمالي الشيخ: ص٣٣٠.

المسيح بن مريم وأنَّه هو القائم المنتظر الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً، وزعموا أنَّ الذي في سجن السندي بن شاهك ليس هو الإمام موسى عليه السلام، وإنَّما شبّه وخيّل إلى الناس أنَّه هو. . .

سبب الوقف:

أما سبب الوقف فيعود إلى أنَّ الإمام الكاظم عليه السلام حينما كان في سجن هارون نصب وكلاءً له لبعض الحقوق الشرعية التي كانت ترد إليه من الشيعة، وقد اجتمعت أموال كثيرة عند بعض الوكلاء، فكان عند زياد بن مروان القندي سبعون ألف دينار، وعند علي بن أبي حمزة ثلاثون ألف دينار، فلما توفي الإمام الكاظم عليه السلام جحدوا موته، واشتروا بالأموال التي عندهم الضياع والدور، وقد طلبها الإمام الرِّضا عليه السلام منهم فأنكروا موت أبيه، وأبوا من تسليمها له[1].

شجب الإمام للواقفية:

وأنكر الإمام الرِّضا عليه السلام على دعاة الواقفية ما ذهبوا إليه، فقد كتب إليه بعض شيعته يسأله عنهم فأجابه عليه السلام «الواقف حائد عن الحق، ومقيم على سيئة إن مات لها كانت جهنم مأواه وبئس المصير»[2].

وعلى أيٍّ حال فقد عبرت هذه الرسالة عن محنة الإمام عليه السلام وآلامه من الواقفية الذين غرتهم الدُّنيا.

قال الحسين بن عمر: سمعت يحيى بن أكثم (قاضي سامراء)، بعدما جهدت به، وناظرته، وحاورته، وواصلته، وسألته عن علوم آل محمد، فقال: بينا أنا ذات يوم دخلت أطوف بقبر رسول الله ﷺ، فرأيت محمد بن علي الرِّضا عليه السلام، يطوف به، فناظرته في مسائل عندي، فأخرجها إليَّ، فقلت له: والله إنِّي أريد أن أسألك مسألة، وإنِّي والله لأستحيي من ذلك!

فقال لي: أنا أخبرك، قبل أن تسألني، تسألني عن الإمام.

فقلت: هو والله هذا! فقال: أنا هو.

فقلت: علامة؟

---

(١) البحار: ٢/٣٠٨.

(٢) حياة الإمام موسى بن جعفر: ٢/٢٠٧.

فكان في يده عصا، فنطقت وقالت: «إنَّ مولاي إمام هذا الزمان وهو الحجَّة!»[١].

وروى الحسين بن عمر بن يزيد، قال: دخلت على الرِّضا عليه السلام، وأنا يومئذٍ واقف، وقد كان أبي سأل أباه عن سبع مسائل، فأجابه في ست، وأمسك عن السابعة، فقلت:

«والله لأسألنَّه عمَّا سأل أبي أباه، فإن أجاب بمثل فسألته، فأجاب بمثل جواب أبيه في المسائل الست، فلم يزد في الجواد واواً ولا ياءً، وأمسك عن السابعة.

وقد كان أبي قال لأبيه: إنِّي أحتجَّ عليك عند الله يوم القيامة، أنَّك زعمت أنَّ عبد الله لم يكن إماماً، فوضع عليه السلام يده على عنقه ثم قال له: نعم احتجَّ علي بذلك عند الله عزَّ وجلَّ، فما كان فيه من إثم فهو في رقبتي الخ[٢].

الكذب على الأئمة:

وشاع افتعال الأحاديث والكذب على الأئمة عليهم السلام في عصر الإمام الرِّضا عليه السلام، وغيره من سائر العصور، وذلك للحطّ من شأنهم، والتقليل من أهميتهم، ومن بين تلك الأحاديث ما نقله أبو الصلت فقد قال للإمام الرِّضا:

«يابن رسول الله ما شيء يحكيه الناس عنكم؟».

وسارع الإمام قائلاً:

«ما هو؟».

«يقولون: إنَّكم تدعون أنَّ الناس عبيد لكم...».

فأنكر الإمام ذلك، وتبرأ منه وقال:

«اللَّهمَّ فاطر السَّموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تشهد بأنِّي لم أقل ذلك قط، ولا سمعت أحداً من آبائي قاله، وأنت العالم بما لنا من المظالم عند هذه الأُمَّة وإنَّ هذه منها».

ثم التفت إلى أبي الصلت فقال له:

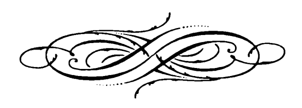
«يا عبد السلام إذا كان الناس كلهم عبيدنا على ما يقولون، فعلى من نبيعهم؟

يا عبد السلام أمنكر أنت لما أوجب الله عزَّ وجلَّ لنا من الولاية كما ينكره غيرك...».

(١) أُصول الكافي: ١/ ٣٥٣.
(٢) أُصول الكافي: ١/ ٣٥٣.

وعلَّق العلاَّمة السيِّد هاشم معروف الحسني رحمه الله على هذه الرواية بقوله:

لقد أنكر الإمام على السائل ذلك الاتهام الذي أراد أعداؤهم من خلاله التشنيع عليهم، وعدَّه من جملة المظالم التي ارتكبتها الأُمَّة بحقهم لأنَّ نسبة ذلك لهم يعني أنَّهم يخالفون سُنن الإسلام، ونصوص القرآن التي لا ترى فضلاً لأحد إلاَّ بالتَّقوى[1].



(١) سيرة الأئمة الاثني عشر: ٢/٣٥٩.

في عهد الرشيد والأمين والمأمون

عاصر الإمام الرِّضا عليه السلام ثلاثة من ملوك العباسيين: وهم هارون الرشيد، والأمين والمأمون، وفي عهد الرشيد انطوت نفسه على حزن عميق وأسى مرير، وذلك لما اتخذه هارون من إجراءات صارمة وقاسية ضدّ السادة العلويين عامة، وضدّ أبيه الإمام الكاظم عليه السلام.

وكان من قسوته البالغة فتكه بالسادة العلويين، وتنكيله بهم فقد صبَّ عليهم وابلاً من العذاب الأليم لم يألفوه إلاَّ في عهد جده الطاغية السفاك منصور الدوانيقي. لقد كان الرشيد حقوداً على ذوي الأحساب العريقة والشخصيات اللامعة التي تتمتع بمكانة مرموقة في الأوساط الاجتماعية، وقد حقد على سيِّد المسلمين الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، فأودعه في ظلمات السجون ثم اغتاله بالسم.

كان هارون مدمناً على شرب الخمر، وربَّما كان يتولى بنفسه سقاية ندمائه.

ونشأ هارون بين أحضان المغنيات والمطربات، وقد اجتمع في قصره عدد كبير من العازفات والمغنيات، فكان في قصره ثلاثمائة جارية من الحسان يعزفن ويغنين[١].

ومن تحلّل هارون عدم مبالاته باقتراف الحرام لعبه بالنرد[٢] وهو من أنواع القمار.

لقد أسرف هارون في الشهوات، وصار بلاطه مسرحاً لجميع ألوان الدعارة والمجون، فلا يكاد يخلو من حفلات الرقص والغناء وشرب الخمور.

مع الإمام الرِّضا:

وحينما اغتال هارون الإمام الكاظم عليه السلام بعث عصابة من رجال الأمن للاطلاع على شؤون الإمام الرِّضا عليه السلام ومعرفة اتجاهاته وميوله.

وشعر الإمام الرِّضا عليه السلام بذلك فأراد التخلص من هارون فمضى إلى السوق والأمن

---

(١) التمدن الإسلامي: ٥/١١٨.

(٢) حياة الإمام موسى بن جعفر: ٢/٧٠.

يتابعه فاشترى عليه السلام ديكاً وكلباً وشاة، ورفع رجال الأمن ذلك إلى هارون فلما عرف ذلك استراح من جانب الإمام، وعرف أنَّه ليس أهلاً لأنْ يقوم بأيّ حركة ضدّه، وأمر رجال أمنه بالتوجه إلى بغداد.

وانبرى الإمام عليه السلام إلى نشر أحكام الله وتعاليم الإسلام، وإيضاح جوانب الإمامة، وفزع بعض أعلام شيعته وخافوا بأنَّه لا يصيبه أي مكروه من هارون، وأنَّه لا يخاف جانبه[1] بعد الذي صنعه من شراء الديك والكلب والكبش، وكان ممَّن خاف على الإمام وحذَّره من بطش هارون هم:

صفوان بن يحيى:

قال صفوان: لما مضى أبو إبراهيم عليه السلام وتكلَّم أبو الحسن الرِّضا خفنا عليه، فقيل له: إنَّك قد أظهرت أمراً عظيماً، وإنَّا نخاف عليك هذا الطاغية ـ يعني هارون ـ فقال عليه السلام: ليجهد جهده فلا سبيل له عليَّ[2].

محمد بن سنان:

قال محمد بن سنان: قلت لأبي الحسن الرِّضا في أيام هارون، إنَّك قد شهرت نفسك بهذا الأمر ـ أي إظهار الإمامة ـ وجلست مجلس أبيك، وسيف هارون يقطر من دمائكم!

فقال عليه السلام: «جرأتي على هذا ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن أخذ أبو جهل من رأسي شعرة فاشهدوا أنِّي لست بنبي وأنا أقول لكم: إن أخذ هارون من رأسي شعرة فاشهدوا أنِّي لست بإمام»[3].

وشاية عيسى بن جعفر بالإمام:

وانبرى عيسى بن جعفر نحو هارون حينما توجه من (الرقة) إلى (مكة) فقال له:

«اذكر يمينك التي حلفت بها في آل أبي طالب، فإنَّك حلفت إن ادعى أحد بعد موسى الإمامة ضربت عنقه صبراً، وهذا علي ابنه يدَّعي هذا الأمر ـ أي الإمامة ـ ويُقال فيه، ما يُقال في أبيه...».

فلم يحفل هارون بكلامه، ونظر إليه مغضباً وقال له:

---

(١) البحار: ١٢/ ٣٢.

(٢) أعيان الشيعة: ٤/ق٢/ ٩٧.

(٣) أعيان الشيعة: ٤/ق٢/ ٩٧.

«وما ترى؟ أتريد أن أقتلهم كلهم؟».

وكان في المجلس موسى بن مهران فبادر إلى الإمام الرِّضا عليه السلام فأخبره بالأمر، فقال عليه السلام: «ما لي ولهم لا يقدرون إليَّ على شيء»[1].

وشاية يحيى بالإمام:

وممَّن وشى بالإمام يحيى البرمكي، فقد قال لهارون: هذا علي الرِّضا بن موسى قد تقدَّم، وادَّعى الأمر لنفسه، فلم يحفل به هارون وقال له: «يكفينا ما فعلنا بأبيه أتريد أن نقتلهم جميعاً»[2] وقد باءت بالفشل جميع المحاولات التي حيكت ضده.

كبس دار الإمام:

ولما ثار محمد بن جعفر بن محمد على هارون أرسل الجلودي إلى مناجزته وأمره أن يغير على دور العلويين في المدينة، ويسلب ما على نسائهم من ثياب وحلي، ولا يدع على واحدة منهن إلاَّ ثوباً واحداً.

وهجم الجلودي على دار الإمام الرِّضا عليه السلام، فقام الإمام وجمع السيِّدات من بنات رسول الله صلى الله عليه وآله في بيت ووقف على باب البيت فقال الجلودي للإمام: لا بدَّ أن أدخل البيت فأسلبهن كما أمرني الرشيد، فقال له الإمام: أنا أسلبهن لك، وأحلف أنِّي لا أدع عليهن شيئاً إلاَّ أخذته، فلم يزل الإمام يطلب إليه، ويتوسل حتى سكن، وقام عليه السلام إلى البيت فأخذ ما على العلويات من حلي وحلل، ولم يدع عليهن شيئاً حتى أقراطهن وخلاخيلهن وأزرارهن، وسلَّم جميع ذلك إلى الجلودي ليقوم بتسليمه إلى طاغية بغداد[3].

وتأثَّر الإمام الرِّضا عليه السلام كأشد ما يكون التأثر من هذا الاعتداء الصارخ على بيته، فلم يرع هارون كرامة الإمام[4].

ومن الجدير بالذكر أنَّ الإمام قد انطوت نفسه على حزن عميق على ما حلَّ بأبيه الإمام موسى عليه السلام من المحن والخطوب التي صبَّها عليه هارون، فقد أودعه في ظلمات سجونه حفنة من السنين، وقابله بمزيد من التوهين ثم اغتاله بالسم، وكذلك صبَّ جام

---

(١) عيون أخبار الرِّضا: ٢/٢٢٦.

(٢) الاتحاف بحب الأشراف: ص٥٩.

(٣) عيون أخبار الرِّضا: ٢/١٦١، البحار: ٤٩/١٦٦.

(٤) عيون أخبار الرِّضا: ٢/١٦١، البحار: ٤٩/١٦٦.

غضبه على السادة العلويين فأنزل بهم العقاب الصارم، وقتلهم تحت كل حجر ومدر ولم يرع فيهم أواصر النسب، وقرابتهم من رسول الله ﷺ التي هي أولى بالرعاية والعطف من كل شيء.

حكومة الأمين:

وتسلَّم الأمين بعد وفاة أبيه القيادة الإسلامية، وكان بإجماع المؤرخين غير مؤهل لهذا المنصب الرفيع، وذلك لما يتصف به من نزعات وضيعة كان منها ما يلي:

١ ـ انهماكه في اللذَّات:

وانصرف الأمين بعد تقلَّده للخلافة إلى اللهو والطرب، وعهد بأُمور الدولة إلى الفضل بن الربيع.

٢ ـ كراهته للعلم:

من صفات الأمين بغضه للعلم، وكراهته للعلماء، وكان أمياً، لا يقرأ ولا يكتب[1].

٣ ـ ضعف الرأي:

ولم يتمتع الأمين برأي حصيف، فلم تصقله التجارب، ولم تهذبه الأيام.

ووصفه الكتبي بقوله: «وكان قد هان عليه القبيح فاتبع هواه ولم ينظر في شيء من عقباه، وأنَّه كان من أبخل الناس على الطعام، وكان لا يبالي أين قعد، ولا مع من شرب»[2].

٤ ـ احتجابه عن الرعية:

ومن نزعاته أنَّه كان ينفر من الناس تكبُّراً عليهم، فقد احتجب عن رعيته وأهالي مملكته.

خلعه للمأمون:

وتقلَّد الأمين الخلافة يوم وفاة أبيه الرشيد، وقد تسلَّم خاتم الخلافة، والبردة، والقضيب التي كان تسلَّمها الملوك من قبله من بني العباس.

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزي: ١/ ١٦.

(٢) عيون التواريخ: ٣/ورقة ٢١٢.

الرشيد هو المسؤول عن هذه الأحداث:

وألقى الرشيد العداء والفتنة بين أبنائه فقد نصب الأمين ملكاً من بعده وجعل المأمون ولي عهده، وكتب بذلك العهود والمواثيق، وأشهد عليها، وعلّقها في جوف الكعبة، مع علمه بالعداء العارم بين الأخوين فكانت النتيجة هي الأحداث المؤسفة التي ذهب ضحيتها عشرة آلاف من المواطنين، وتخربت بغداد.

الحروب الطاحنة:

وبعدما خلع الأمين أخاه المأمون رسمياً عن ولاية العهد، وأبلغه ذلك ندب إلى حربه علي بن عيسى، ودفع إليه قيداً من ذهب، وقال له: أوثق المأمون، ولا تقتله حتى تقدم به إليَّ، وأعطاه مليوني دينار سوى الأثاث والكراع، ولما انتهت الأنباء من بغداد بالإجراءات التي اتخذها الأمين ضد أخيه، بادر المأمون فخلع أخاه، ونصب نفسه حاكماً عاماً على العالم الإسلامي وقطع الخراج عن الأمين، وألغى اسمه من الطراز والدراهم والدنانير، وأعلن الخروج عن طاعته، وندب إلى قتاله طاهر بن الحسين وهرثمة بن أعين، وجهزهما بجيش.

والتقى الجيشان بـ(الري)، والتحما في معركة رهيبة، جرت فيها أنهار من الدماء، وأخيراً انتصر جيش المأمون على جيش الأمين، وقتل القائد العام لقواته المسلحة، وانتهب جميع أمتعته وأسلحته، وكتب طاهر بن الحسين إلى الفضل بن سهل وزير المأمون يخبره بهذ الانتصار الرائع، ويهنئه فيه، وجاء في رسالته «كتبت إليك ورأس علي بن عيسى في حجري وخاتمه في يدي والحمد الله ربّ العالمين».

محاصرة بغداد:

وخفت جيوش المأمون إلى احتلال بغداد بقيادة طاهر بن الحسين، وقد حاصرت بغداد، وأيقن الأمين بالهزيمة فكتب إلى طاهر يطلب من الأمان لنفسه وعائلته، وأنصاره، وأنَّه يستقبل من الخلافة لأخيه، فقال طاهر:

«الآن ضيق خناقه، وهيض جناحه، وانهزم فساقه، لا والذي نفسي بيده حتى يضع يده في يدي، وينزل على حكمي».

ولم يجبه إلى شيء ممَّا أراد.

ودام الحصار على بغداد مدة طويلة حتى تخربت فيها معالم الحضارة، وعمَّ الفقر والبؤس جميع سكَّانها وكثر العابثون والشذاذ فقاموا باغتيال الأبرياء ونهب الأموال،

ومطاردة النساء، وانبرى جماعة من خيار الناس بقيادة رجل يُقال له سهل بن سلامة فمنعوا العابثين من إيذاء الناس، وتصدوا لهم بقوَّة السلاح حتى أخرجوهم من بغداد.

قتل الأمين:

وكان الأمين في تلك المحنة الحازبة مشغولاً بلهوه وطربه، وقد أحاطت به جيوش المأمون، ويروي المؤرخون أنَّه كان يصطاد سمكاً مع جماعة من الخدم وكان من بينهم (كوثر) وكان مغرماً به فخرج ينظر إلى الجيش المحيط بالقصر فأصابته شجة في وجهه فجعل يبكي، فوجه الأمين من جاء به فجعل يمسح الدم من وجهه وهو يقول:

ضربوا قرة عيني ومن أجلي ضربوه   أخذ اللّه من قلبي لأُناس حرقوه[١]

وكان بهذه الحالة المزرية مشغولاً بلهوه حتى هجمت عليه طلائع جيش المأمون فأجهزت عليه، وحمل رأسه إلى طاهر بن الحسين فنصبه على رمح، وتلا قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾[٢][٣].

حكومة المأمون:

صفات المأمون:

أما صفات المأمون ونزعاته النفسية فهي كما يلي:

الغدر:

أما الغدر فهو من ذاتيات المأمون، ومن عناصره فقد بايع الإمام الرِّضا عليه السلام بولاية العهد، وبعدما انتهت مآربه السياسية غدر به فدسّ له سماً قاتلاً فقتله.

القسوة:

وظاهرة أخرى من صفات المأمون وهي القسوة وانعدام الرحمة والرأفة من نفسه، فقد قتل أخاه، وحمل رأسه إليه، ولو كانت عنده نزعة من الرحمة لعفا عن أخيه بعدما طلب العفو والأمان وتسليم السلطة إليه، ومن قسوته أنَّه بعدما اغتال الإمام الرِّضا عليه السلام قابل السادة العلويين بمنتهى الشِّدَّة والصرامة، فعهد إلى جلاديه بقتلهم والتنكيل بهم أينما وجدوا[٤].

---

(١) روضة الأعيان في أخبار مشاهير الزمان مصور في مكتبة السيِّد الحكيم تسلسل ٣٩٠٢ ورقة ١٠٣.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٢٦.

(٣) عيون التواريخ: ٣/ ورقة ٢١١.

(٤) حياة الإمام الرِّضا.

الدهاء:

ولم تعرف الدبلوماسية الإسلامية في العصر العباسي من هو أدهى من المأمون، ولا من هو أدرى منه في الشؤون السياسية، فقد كان سياسياً من الطراز الأول، فقد استطاع بدهائه أن يتغلب على كثير من الأحداث الرهيبة التي ألمت به، وكادت تطوي حياته وسلطانه، فقد استطاع بمهارة فائقة أن يقضي على أخيه الأمين الذي كان يتمتع بتأييد مكثف من قبل الأسرة العباسية والقيادات العسكرية العليا، كما استطاع أن يقضي على أعظم ثورة مضادة له، تلك ثورة القائد الملهم أبي السرايا، التي اتسع نطاقها فشملت معظم الأقاليم الإسلامية، وقد سقط معظمها بأيدي الثوار، وكان شعار الثورة الدعوة إلى الرِّضا من آل محمد صلى الله عليه وآله، وقد حمل الإمام الرِّضا عليه السلام قسراً إلى (خراسان).

الميل إلى اللهو:

وأهم لعبة عند المأمون وأحبها إليه هي الشطرنج فقد هام فيها.

وكان المأمون مولعاً بالغناء والموسيقى.

وكان يحيي لياليه بالغناء والرقص والعزف على العود كأبيه الرشيد الذي لم يمرُّ على قصره اسم الله تعالى، وإنَّما كانت لياليه الليالي الحمراء.

وعكف المأمون على الإدمان على الخمر، فكان يشربها في وضح النهار وفي غلس اللَّيل.

تظاهره بالتشيُّع:

وذهب بعض المؤرخين والباحثين إلى أنَّ المأمون قد اعتنق مذهب التشيُّع، وقد استندوا إلى ما يلي:

من علمه التشيُّع:

إنَّه أعلن أمام حاشيته وأصحابه أنَّه قد اعتنق مذهب التشيُّع وذلك في الحديث التالي: روى سفيان بن نزار، قال: كنت يوماً على رأس المأمون، فقال لأصحابه:

أتدرون من علَّمني التشيُّع؟

فقالوا جميعاً: لا والله ما نعلم؟

فقال: علمنيه الرشيد.

فانبروا قائلين: كيف ذلك والرشيد كان يقتل أهل البيت؟

قال: كان يقتلهم على الملك لأنَّ الملك عقيم، لقد حججت معه سنة، فلما صار إلى المدينة تقدَّم إلى حجاجه، وقال لهم: لا يدخلن عليَّ رجل من أهل المدينة ومكة، ولا من المهاجرين والأنصار وبني هاشم، وسائر بطون قريش إلاَّ نسب نفسه... وامتثل الحجاب ذلك، فكان الرجل إذا أراد الدخول عليه عرف نفسه إلى الحجاب، فإذا دخل فيصله بحسب مكانته ونسبه، وكانت صلته خمسة آلاف دينار إلى مائتي دينار يقول المأمون وبينما أنا واقف إذ دخل الفضل بن الربيع، فقال: يا أمير المؤمنين، على الباب رجل يزعم أنَّه موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب.

فأقبل الرشيد على أبنائه، وعلى سائر القواد، وقال لهم: احفظوا على أنفسكم، ثم قال للفضل ائذن له، ولا ينزل إلاَّ على بساطي، يقول المأمون: ودخل شيخ مسخد[١] قد أنهكته العبادة كأنَّه شن بال[٢] قد كلم[٣] السجود وجهه وأنفه فلما رأى الرشيد أنَّه أراد أن ينزل من دابته، فصاح لا والله إلاَّ على بساطي فمنعه الحجاب من الترجل، ونظر إليه الجميع بإجلال وإكبار وتعظيم ووصل الإمام إلى البساط والحجاب والقواد محدقون به، فنزل عن راحلته فقام إليه الرشيد واستقبله إلى آخر البساط، وقبَّل وجهه وعينيه، وأخذ بيده حتى صيَّره في صدر المجلس وأجلسه معه، وأقبل عليه يحدِّثه، ويسأله عن أحواله، ثم قال له:

يا أبا الحسن ما عليك من العيال؟

قال هارون: أولاد كلهم؟

قال الإمام: لا أكثرهم موالي وحشم، أما الولد فلي نيف وثلاثون، وذكر عدد الذكور، وعدد الإناث، والتفت إليه هارون فقال له:

- لم لا تزوِّج النسوان من بني عمومتهن وأكفائهن؟

- اليد تقصر عن ذلك.

- ما حال الضيعة؟

- تعطي في وقت وتمنع في آخر!.

- هل عليك دين؟

---

(١) المسخد: مصفر الوجه.

(٢) الشن البالي: القربة البالية.

(٣) كلم: أي جرح.

ـ نعم.

ـ كم هو؟

ـ عشرة آلاف دينار.

ـ يابن العم أنا أعطيك من المال ما تزوج به الذكران والنسوان، وتقضي به الدين، وتعمر به الضياع.

فشكره الإمام على ذلك وقال له: وصلتك رحم يابن العم، وشكر الله هذه النية الجميلة والرحم ماسة، والقرابة واشجة، والنسب واحد، والعباس عم النبي صلى الله عليه وآله، وصنو أبيه، وعم علي بن أبي طالب عليه السلام وصنو أبيه، وما أبعدك الله من أن تفعل ذلك، وقد بسط يدك، وأكرم عنصرك وأعلى محتدك[1].

فقال هارون: افعل ذلك وكرامة.

وأخذ الإمام عليه السلام بوصيه بالبر والإحسان إلى عموم الفقراء قائلاً: يا أمير المؤمنين إنَّ الله قد فرض على ولاة العهد، أن ينعشوا فقراء الأُمَّة، ويقضوا عن الغارمين، ويؤدّوا عن المثقل، ويكسوا العاري، ويحسنوا إلى العاني[2] فأنت أولى من يفعل ذلك...

فانبرى هارون قائلاً: أفعل ذلك يا أبا الحسن، ثم قام الإمام عليه السلام فقام الرشيد تكريماً له، وقبَّل عينيه ووجهه ثم أقبل على أولاده فقال لهم: يا عبد الله، ويا محمد، ويا إبراهيم امشوا بين يدي عمكم وسيِّدكم خذوا بركابه، وسووا عليه ثيابه وشيِّعوه إلى منزله.

وانصرف الإمام عليه السلام، وفي نفس الطريق أسرَّ إلى المأمون فبشَّره بالخلافة، وقال له:

إذا ملكت هذا الأمر فأحسن إلى ولدي.

ومضى الإمام مشيّعاً من قبل أبناء هارون إلى منزله، ورجع المأمون إلى منزله، فلما خلا المجلس من الناس التفت إلى أبيه قائلاً: يا أمير المؤمنين من هذا الرجل الذي قد أعظمته، وأجللته وقمت من مجلسك إليه، فاستقبلته، وأقعدته في صدر المجلس، وجلست دونه، ثم أمرتنا بأخذ الركاب له؟

فقال هارون: هذا إمام الناس، وحجَّة الله على خلقه، وخليفته على عباده...

---

(١) المحتد: الأصل.

(٢) العاني: الفقير.

وبهر المأمون فقال لأبيه: يا أمير المؤمنين أليست هذه الصفات لك وفيك؟

فأجابه هارون بالواقع قائلاً: أنا إمام الجماعة في الظاهر والغلبة والقهر، وموسى بن جعفر إمام حق، والله يا بني أنَّه لأحق بمقام رسول الله ﷺ منِّي ومن الخلق جميعاً، ووالله إنْ نازعتني هذا الأمر لأخذت الذي فيه عيناك، فإنَّ الملك عقيم.

ولما أراد الرشيد الانصراف من المدينة إلى بغداد أمر بصرة فيها مائتا دينار وقال للفضل بن الربيع اذهب بها إلى موسى بن جعفر، وقل له: يقول لك أمير المؤمنين: نحن في ضيقة، وسيأتك برنا بعد الوقت، فقام المأمون، وقال لأبيه: تعطي أبناء المهاجرين والأنصار وسائر قريش، ومن لا تعرف حسبه ونسبه خمسة آلاف دينار إلى ما دونها، وتعطي موسى بن جعفر، وقد عظَّمته، وجلَّلته مائتي دينار أخس عطية أعطيتها أحداً من الناس؟؟

فزجره هارون، وقال له: اسكت لا أُمّ لك، فإنِّي لو أعطيت هذا ما ضمنته له، ما كنت آمنه أن يضرب وجهي غداً بمائة ألف سيف من شيعته ومواليه، وفقر هذا وأهل بيته أسلم لي ولكم من بسط أيديهم وأعينهم.

وأعرب هارون عن خشيته من الإمام عليه السلام، وقضت سياسته في محاربته اقتصادياً لئلا يقوى على مناهضته وكان في المجلس مخارق المغني فتألم وانبرى إلى هارون قائلاً: يا أمير المؤمنين، قد دخلت المدينة، وأكثر أهلها يطلبون منِّي شيئاً، وإن خرجت ولم أقسم فيهم شيئاً لم يتبيَّن لهم فضل أمير المؤمنين عليَّ، ومنزلتي عنده.

فأمر له هارون بعشرة آلاف دينار، فقال له مخارق: يا أمير المؤمنين هذا لأهل المدينة، وعليَّ دين أحتاج أن أقضيه.

فأمر له بعشرة آلاف دينار، ثم قال له: بناتي أريد أن أزوجهن فأمر له بعشرة آلاف دينار، وقال له: لا بدَّ من غلة تعطينيها ترد عليَّ وعلى عيالي وبناتي فأمر له باقطاع[1] تبلغ وارداتها في السنة عشرة آلاف دينار، وأمر أن يعجل ذلك له، وقام مخارق مسرعاً إلى بيت الإمام الكاظم عليه السلام، فلما انتهى إليه استأذن على الإمام فأذن له فقال له: قد وقفت على ما عاملك هذا الطاغية، وما أمر لك به، وقد احتلت عليه لك، وأخذت منه صلات ثلاثين ألف دينار واقطاعاً تغل في السنة عشرة آلاف دينار، ولا والله يا سيِّدي ما

---

(١) الاقطاع: القطعة من الأرض الزراعية.

أحتاج إلى شيء من ذلك، ما أخذت إلاّ لك وأنا أشهد لك بهذه القطاع، وقد حملت المال لك.

فشكره الإمام عليه السلام على ذلك، وقال له: بارك الله لك في مالك، وأحسن جزاءك، ما كنت لآخذ منه درهماً واحداً، ولا من هذه الاقطاع شيئاً، وقد قبلت صلتك وبرك، فانصرف راشداً ولا تراجعني في ذلك».

وقبَّل مخارق يد الإمام عليه السلام، وانصرف عنه[1].

إشادته بالإمام أمير المؤمنين:

وأشاد المأمون بالإمام أمير المؤمنين رائد الحق والعدالة في الإسلام، فقد كتب إلى جميع الآفاق بأنَّ علي بن أبي طالب عليه السلام أفضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله»[2].

انتقاصه لمعاوية:

واستدل القائلون بتشيع المأمون إلى أنَّه أمر بسبّ معاوية بن هند وانتقاصه في جميع أنحاء العالم الإسلامي، فقد أمر أن ينادي المنادي «أن برئت الذمة من أحد من الناس ذكر معاوية بخير أو قدَّمه على أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله»[3].

استدلاله على إمامة الإمام علي:

ومن أهم ما استدل به القائلون على تشيُّع المأمون عقده للمؤتمرات العلمية، واستدلاله ببالغ الحجَّة على إمامة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وأنَّه القائد الأول للمسيرة الإسلامية بعد النبي صلى الله عليه وآله وهو أولى بمقامه، وأحق بمركزه من غيره.

عقده بولاية العهد للإمام:

وثمة دليل آخر اعتمد عليه الذاهبون إلى تشيُّع المأمون وهو عقده بولاية العهد للإمام الرِّضا عليه السلام، وبذلك فقد عرض الخلافة التي تقمصها العباسيون إلى الخطر، وتسليمها إلى السادة العلويين.

---

(١) عيون أخبار الرِّضا: ١/ ٨٨ ـ ٩٣.
(٢) تذكرة الخواص: ص٣٦٦.
(٣) مروج الذهب: ٣/ ٣٦١.

زيف تشيُّعه:

من الشواهد والأدلة التي تثبت زيف تشيُّعه وأنَّه لا علاقة له مطلقاً بأهل البيت ﷺ، اغتياله للإمام الرِّضا ﷺ بعدما نفذت أغراضه السياسية ولم يكتف بذلك، وإنَّما أوعز إلى عامله على مصر بغسل المنابر التي كان يخطب عليها بولاية العهد للإمام الرِّضا ﷺ[1] وهذا يكشف عمَّا يكنّه في أعماق نفسه من البغض والعداء للإمام.

أسباب تظاهره بالتشيُّع:

ولا بدَّ لنا من وقفة قصيرة للبحث عن بعض الأسباب التي دعت المأمون لتظاهره بالولاء لأهل البيت ﷺ، وإعلان تشيعه في المحافل الرسمية، وفيما أحسب أنَّ الذي دعاه لذلك ما يلي:

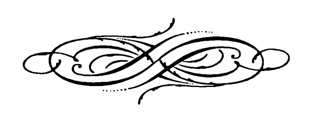
أ ـ إنَّه كان مختلفاً كأشد ما يكون الاختلاف مع أسرته العباسية الذين كانت ميولهم مع أخيه الأمين.

ب ـ إنَّه أراد بإظهاره التشيع إرضاء قادة جيشه الذين كان لهم ميول ومحبة لأهل البيت ﷺ.

ج ـ وإنَّما عمد المأمون إلى العطف على العلويين، وإذاعة فضائل الإمام أمير المؤمنين ﷺ جلب عواطف الشعب البار الذين أترعت عواطفهم وقلوبهم بالمحبة والولاء لأهل البيت ﷺ وقد تسلح بهم في محاربته لأخيه الأمين.

د ـ ومن الأسباب الوثيقة جداً التي دعت المأمون إلى التظاهر بالتشيع وعقده بولاية العهد للإمام الرِّضا ﷺ هو القضاء على الثورة العارمة التي فجرتها الشيعة بقيادة السادة العظام من أبناء الإمام موسى بن جعفر ﷺ.

هـ ـ ولعلَّ من جملة الأسباب التي حفزت المأمون إلى تظاهره بالتشيُّع، هو كشف الشيعة، ومعرفة السلطة بأسمائهم وأماكنهم بعدما كانوا خلايا تحت الخفاء.



(١) الولاة والقضاة للكندي.

الإمام الرِّضا عليه السلام وولاية العهد

نحن أمام حدث تأريخي مهم بالغ الخطورة أشغل الرأي العام، وأذهل كافة الأوساط السياسية، وهو عقد المأمون بولاية العهد للإمام الرِّضا عليه السلام الأمر الذي يؤذن بتحول الخلافة من بني العباس إلى خصومهم السادة العلويين فقد بهر الناس، وتساءلوا: كيف تحولت السياسة العباسية بين عشية وضحاها إلى هذا الخط المعاكس للخط السياسي الذي سلكه العباسيون منذ بداية حكمهم، وهو قهر السادة العلويين وإبادتهم، فقد أفنوا شبابهم فدفنوهم أحياءً وألقوا بأطفالهم في حوض دجلة، واستعملوا معهم جميع ألوان الإبادة...

والمأمون فيما عرفه الناس، وعرفه التأريخ هو من أبناء هذه الأسرة الظالمة لأهل البيت عليهم السلام لم يشذ في سلوكه عن سلوك آبائه، ولم ينحرف عن اتجاههم المعادي للعلويين، قد تغذى وتربى على بغضهم وعدائهم فجده المنصور وأبوه الرشيد وهما قد سلكا جميع الطرق لتصفية العلويين جسدياً، وسخرا جميع أجهزتهم السياسية والاقتصادية للحط من شأن العلويين وكرامتهم، وإبعادهم عن الساحة السياسية في دنيا العرب والإسلام.

دوافع المأمون:

ولا بدَّ لنا من وقفة قصيرة للنظر في الأسباب والدوافع التي دعت المأمون إلى عقده بولاية العهد للإمام الرِّضا عليه السلام وهذه بعضها:

١ ـ إنَّه لم يكن له مركز قوي في الدولة الإسلامية، فقد كانت الأسرة العباسية تحتقره، وذلك من جهة أُمه (مراجل) التي كانت من خدم القصر، مضافاً إلى صلته القوية بالفضل بن سهل، وتوليته جميع أموره، وهو فارسي الأصل، وكذلك كان أخوه الأمين يبغضه ويبغي له الغوائل، ويكيده من جهة منافسته له على السلطة، فأراد المأمون تدعيم مركزه، وتقوية نفوذه، والتغلب على الحاقدين عليه.

٢ ـ وقبل أن يتسلم المأمون قيادة الدولة الإسلامية كان على علم بما يكنه المجتمع

الإسلامي من الكراهية والبغض للأسرة العباسية، وذلك لما اقترفوه من الظلم والاستبداد بأمور المسلمين، وما صبوه على السادة العلويين دعاة العدل الاجتماعي من أنواع الجور والطغيان، حتى تمنى المسلمون عودة الحكم الأموي على ما فيه من قسوة وعذاب.

فأراد المأمون أن يفتح صفحة جديدة للمواطنين، ويلقي الستار على سياسة آبائه، فعيَّن الإمام الرِّضا عليه السلام، الذي هو أمل الأُمَّة الإسلامية لولاية العهد.

٣ ـ إنَّ معظم جيش المأمون ضباطاً وجنوداً كانوا من الشيعة الذين يدينون بإمامة الإمام الرِّضا عليه السلام فأراد أن يكسب ودهم وإخلاصهم.

٤ ـ إنَّ الثورة ضد الحكم العباسي قد اندلعت في معظم الأقاليم الإسلامية، وكان شعار الثوار الذي رفعوه الدعوة إلى الرِّضا من آل محمد صلى الله عليه وآله، وقد استجاب الثوار لهذه البيعة التي عقدها للإمام، وفي نفس الوقت فقد أضفى على الإمام لقب الرِّضا ليجلب بذلك المأمون عواطف الثوار.

٥ ـ وفي بيعة المأمون للإمام الرِّضا عليه السلام بولاية العهد فقد أكسب المأمون حكومة الشرعية، وأنَّها ليست ظالمة كحكومة آبائه، وعلى هذا فالخروج على غير مشروع، ويجب على المسلمين مناهضة الثائرين عليه.

٦ ـ ومن المكاسب التي ظفر بها المأمون في هذه البيعة هو أنَّه تعرف على عناصر الشيعة وتعرف على هوياتهم ولم يعودوا يعملون في السِّر والخفاء فقد كان خلاياهم سِّريَّة للغاية، وبعد البيعة ظهر أمرهم، وانكشفوا للسلطة.

٧ ـ ومن الأهداف التي كان ينشدها المأمون في هذه البيعة هو إظهار الإمام عليه السلام أنَّه ليس من الزاهدين في الدُّنيا، وإنَّما كان من عشَّاقها في قبوله لهذه البيعة.

رسالة الفضل إلى الإمام:

وأرسل الفضل بن سهل رسالة إلى الإمام الرضا عليه السلام يطلب فيها القدوم إلى (خراسان)، ليتسلم الخلافة من المأمون وهذا نصّها بعد البسملة:

«لعلي بن موسى الرِّضا، وابن رسول الله المصطفى، المهتدى بهديه، المقتدى بفعله، الحافظ لدين الله، الخازن لوحي الله، من وليه الفضل بن سهل، الذي بذل في ردّ حقِّه إليه مهجته، ووصل ليله فيه بنهاره.

سلام عليك أيُّها المهتدي ورحمة الله وبركاته، فإنِّي أحمد إليك الله الذي لا إلّه إلاَّ هو وأسأله أن يصلِّي على محمَّد عبده.

أما بعد: فإنّي أرجو أنَّ الله قد أدّى لك، وأذن لك في ارتجاع حقّك ممَّن استضعفك، وأن يعظم منه عليك، وأن يجعلك الإمام الوارث، ويري أعداءك، ومن رغب عنك، منك ما كان يحذرون.

وإنَّ كتابي هذا عن إزماع من أمير المؤمنين عبد الله الإمام المأمون ومنّي على رد مظلمتك عليك، وإثبات حقوقك في يديك، والتخلي منها إليك، على ما أسأل الله الذي وقف عليه: أن تبلغني ما أكون بها أسعد العالمين، وعند الله من الفائزين، ولحق رسول الله صلى الله عليه وآله من المؤدين، ولك عليه من المعاونين، حتى أبلغ في توليك ودولتك كلتا الحسنتين.

فإذا أتاك كتابي ـ جعلت فداك ـ وأمكنك أن لا تضعه من يدك، حتى تسير إلى أمير المؤمنين، الذي يراك شريكاً في أمره، وشفيعاً في نسبه، وأولى الناس بما تحت يده... فعلت ما أنا بخيرة الله محفوفاً، وبملائكته محفوظاً، وبكلاءته محروساً، وإنَّ الله كفيل لك بكل ما يجمع حسن العائدة عليك، وصلاح الأُمَّة بك وحسبنا الله ونعم الوكيل، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته»[١].

رسل المأمون إلى الإمام:

وأرسل المأمون وفداً رسمياً لإشخاص الإمام الرِّضا من (يثرب) إلى (خراسان)، أما الشخص الذي كان يرأس الوفد فقد ذهب أكثر المؤرخين إلى أنَّه الرجاء بن أبي الضحاك، وقيل إنَّه عيسى بن يزيد المعروف بالجلودي، واستبعد ذلك السيِّد الأمين، وقال: إنَّ الجلودي كان من قواد الرشيد وكان عدواً للإمام الرِّضا عليه السلام، وليس من الحكمة أن يبعثه المأمون لإشخاص الإمام[٢].

وقد عهد المأمون إلى رئيس الوفد أن يأتي بالإمام عليه السلام على طريق (البصرة)، و(الأهواز) و(فارس)، وأن لا يأتي به على طريق (الكوفة) و(قم)[٣]، كما كتب المأمون إلى الإمام الرِّضا عليه السلام أن لا يأخذ على طريق الجبل وقم، وإنَّما يأخذ على طريق البصرة والأهواز وفارس[٤].

---

(١) حياة الإمام الرِّضا: ص٤٤٢ ـ ٣٣٤ نقلاً عن كتاب التدوين لعبد الكريم الرافعي الشافعي.
(٢) أعيان الشيعة: ٢/١٢١.
(٣) عيون أخبار الرِّضا: ٢/١٤٩.
(٤) أعيان الشيعة والبحار.

الإمام يودع قبر النبي:

ولم يجد الإمام عليه السلام بُدّاً من إجابة المأمون، فمضى إلى قبر جده الرسول ﷺ فودَّعه الوداع الأخير، وعلم أنَّه لا عودة له إلى جواره، روى محول السجستاني قال:

لما ورد البريد بإشخاص الإمام الرِّضا إلى (خراسان) كنت أنا بالمدينة فدخل المسجد ليودع قبر جده رسول الله ﷺ فودعه مراراً، وكان صوته يعلو بالبكاء والنحيب، فتقدَّمت إليه، وسلَّمت عليه، فردَّ السلام، وهنأته بما يصير إليه.

فقال عليه السلام: «ذرني فإنِّي أخرج من جوار جدي ﷺ فأموت في غربة وأدفن في جنب هارون.

قال محول: فخرجت متبعاً طريق الإمام حتى مات بـ(طوس)، ودفن بجنب هارون»[١].

الإمام يأمر أهله بالبكاء عليه:

وكان الإمام الرِّضا عليه السلام على علم لا يخامره أدنى شك أنَّ لا عودة له إلى أهله ووطنه، فودعهم الوداع الأخير، وجمع عياله وأمرهم بالبكاء والنحيب عليه، وهو يسمع ذلك، ووزع عليهم اثني عشر ألف دينار[٢] وعرَّفهم أنَّه لا يرجع إليهم أبداً.

إقامة ولده الجواد مقامه:

وأقام الإمام الرِّضا عليه السلام ولده الجواد مقامه وهو ابن سبع سنين أو يزيد على ذلك، وأدخله مسجد النبي ﷺ ووضع يده على حافة القبر الشريف وألصق ولده بالقبر، واستحفظه عند جده الرسول ﷺ وقال له: أمرت جميع وكلائي، وحشمي، بالسمع والطاعة لك، وعرَّف أصحابه أنَّه القيّم من بعده[٣].

إلى بيت الله الحرام:

وقبل أن يتوجه الإمام إلى (خراسان)، يمم وجهه نحو بيت الله الحرام ليودعه الوداع الأخير، وقد صحب معه معظم عائلته، وكان من بينهم ولده الإمام الجواد عليه السلام، ولما انتهى إلى بيت الله المعظَّم أدَّى التحية فطاف بالبيت وصلَّى بمقام إبراهيم، وسعى،

---

(١) أعيان الشيعة: ٤/ق٢/ ١٢٢.

(٢) أعيان الشيعة: ٤/ق٢/ ١٢٣، كشف الغمة: ٣/ ٩٥.

(٣) الدر النظيم.

وطاف معه ولده الإمام الجواد فلما انتهى إلى حجر إسماعيل جلس فيه، وأطال الجلوس فانبرى إليه موفق الخادم، وطلب منه القيام فأبى، وقد بدا عليه الحزن والأسى، فأسرع موفق نحو الإمام الرِّضا، وأخبره بشأن ولده، وبادر الإمام الرِّضا، نحو ولده فطلب منه القيام فأجابه بنبرات مشفوعة بالبكاء والحسارت قائلاً:

وكيف أقوم وقد ودعت يا أبتي البيت وداعاً لا رجوع بعده؟

لقد رأى الإمام الجواد عليه السلام ما بدا على أبيه من الوجل والأسى، فاستشف من ذلك أنَّه النهاية الأخيرة من حياة أبيه، وفعلاً قد تحقَّق ذلك فإنَّ الإمام الرِّضا لم يعد في سفرته إلى الديار المقدَّسة، وقضى شهيداً مسموماً على يد المأمون العباسي.

إلى خراسان:

وغادر الإمام الرِّضا عليه السلام بيت الله الحرام متوجهاً إلى خراسان، وقد قوبل بمنتهى الحفاوة والتكريم والإجلال في كل بلد أو حي اجتازه، فقد سارع المسلمون إلى الاحتفاء به، وهم يتبركون بتقبيل يديه، ويعرضون عليه التشرُّف بضيافته وتقديم الخدمات له، كما يسألونه عن أحكام دينهم، وهو عليه السلام يجيبهم عن ذلك.

في نيسابور:

وطوت قافلة الإمام البيداء تجذ في السير، لا تلوي على شيء حتى انتهت إلى (نيسابور) وقد استقبل فيها استقبالاً شعبياً منقطع النظير، فلم تشاهد (نيسابور) في جميع تأريخها مثل ذلك الاستقبال وكان في طليعة المستقبلين كبار العلماء والفضلاء ورجال الحديث.

وكان في (نيسابور) حمام فدخل فيه الإمام عليه السلام فاغتسل فيه ثم خرج منه وصلَّى على ظهره، وأخذ أهالي (نيسابور) يتبركون بذلك الحمام فيغتسلون فيه ويشربون منه التماساً للبركة، ويصلون على ظهره ويدعون الله عزَّ وجلَّ في حوائجهم فتقضى لهم ببركة الإمام العظيم[١].

الحديث الذهبي:

وأحاط العلماء ورواة الحديث بالإمام عليه السلام، وكان على بغلة شهباء، وقد لبس عمامته، وكان في مقدمة العلماء يحيى بن يحيى، وإسحاق بن راهويه، ومحمد بن رافع

(١) عيون أخبار الرِّضا: ٢/١٣٥.

وأحمد بن حرب وغيرهم[١] ولما رأته الجماهير الحاشدة وهو بتلك الهيئة التي تحكي هيئة جده رسول الله ﷺ تعالت أصواتهم بالتهليل والتكبير مشفوعة بالأسى والبكاء، وقد ضجَّت البقعة بالبكاء فنادى العلماء والحفاظ: «معاشر الناس انصتوا، وعوا ولا تؤذوا رسول الله ﷺ في عترته».

وألقى الإمام عليه السلام على العلماء هذا الحديث الشريف فقال:

«سمعت أبي موسى بن جعفر يقول: سمعت أبي جعفر بن محمد يقول: سمعت أبي محمد بن علي يقول: سمعت أبي علي بن الحسين يقول: سمعت أبي الحسين بن علي يقول: سمعت أبي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: لا إلَه إلاَّ الله حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي».

ولما مرَّت الراحلة نادى أهل (نيسابور) فقال: «ولكن بشروطها، وأنا من شروطها»[٢].

إلى طوس:

وسرت قافلة الإمام عليه السلام من (نيسابور)، وهي تطوي الصحراء حتى انتهت إلى (سناباد)، وفيه جبل كانت تنحت منه القدور، فاستند إليه، قال: اللَّهمَّ انفع به، وبارك فيما يجعل فيه، وفيما ينحت منه، ثم أمر بأن ينحت منه قدور له فنحتت له، وقال: لا يطبخ ما آكله إلاَّ فيها.

وفي (سناباد) دار حميد بن قحطبة الطائي التي فيها قبر هارون الرشيد فمضى إليها الإمام، وانتهى إلى قبر هارون فخط بيده إلى جانبه، وقال لمن حوله: هذه تربتي، وفيها أدفن، وسيجعل الله هذا المكان مختلف شيعتي، وأهل محبتي، والله ما يزورني منهم زائر، ولا يسلِّم عليَّ منهم مسلِّم إلاَّ وجب له غفران الله ورحمته بشفاعتنا أهل البيت، ثم استقبل القبلة فصلَّى ركعات ودعا بدعوات، ولما فرغ من صلاته سجد سجدة طال مكثه فيها فأحصيت له فيها خمسمائة تسبيحة[٣] ثم ناول عليه السلام بعض ثيابه إلى حميد لغسلها، فأخذها حميد وأعطاها إحدى جواريه فأخذتها، وسرعان ما أقبلت وقالت:

---

(١) المنتظم لابن الجوزي مصور في مكتبة السيِّد الحكيم: ج١٠، ورقة ٦٧.

(٢) عيون أخبار الرِّضا: ٢/ ١٣٥.

(٣) عيون أخبار الرِّضا: ٢/ ١٣٦ ـ ١٣٧.

وجدت رقعة في قميص أبي الحسن، فناولتها إلى حميد وسارع بها إلى الإمام عليه السلام وقال له: ما فيها يابن رسول الله صلى الله عليه وآله؟

فقال عليه السلام: «هذه عوذة من أمسكها في جيبه كان مدفوعاً عنه، وكانت له حرز من الشيطان الرجيم، ومن السلطان...».

وطلب حميد من الإمام أن يمليها عليه فأملاها وهذا نصّها بعد البسملة:

«بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيم، بِسْمِ اللّهِ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمٰنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا أَوْ غَيْرَ تَقِيٍّ أَخَذْتُ بِاللّهِ السَّمِيعِ الْبَصِيرِ عَلَى سَمْعِكَ وَبَصَرِكَ لَا سُلْطَانَ لَكَ عَلَيَّ، وَلَا عَلَى سَمْعِي وَلَا عَلَى بَصَرِي، وَلَا عَلَى شَعْرِي، وَلَا عَلَى بَشَرِي وَلَا عَلَى لَحْمِي، وَلَا عَلَى دَمِي وَلَا عَلَى مُخِّي، وَلَا عَلَى عَصَبِي، وَلَا عَلَى عِظَامِي، وَلَا عَلَى مَالِي وَلَا عَلَى مَا رَزَقَنِي رَبِّي سَتَرْتُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بِسِتْرِ النُّبُوَّةِ الَّذِي اسْتَتَرَ أَنْبِيَاءُ اللّهِ بِهِ مِنْ سَطَوَاتِ الْجَبَابِرَةِ وَالْفَرَاعِنَةِ، جَبْرَئِيلُ عَنْ يَمِينِي وَمِيكَائِيلُ عَنْ يَسَارِي، وَإِسْرَافِيلُ عَنْ وَرَائِي وَمُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله أَمَامِي، وَاللّهُ مُطَّلِعٌ عَلَيَّ يَمْنَعُكَ مِنِّي وَيَمْنَعُ الشَّيْطَانَ مِنِّي.

اللّٰهُمَّ لَا يَغْلِبُ جَهْلُهُ أَنَاتَكَ أَنْ يَسْتَفِزَّنِي وَيَسْتَخِفَّنِي، اللّٰهُمَّ إِلَيْكَ الْتَجَأْتُ، اللّٰهُمَّ إِلَيْكَ الْتَجَأْتُ، اللّٰهُمَّ إِلَيْكَ الْتَجَأْتُ»[1].

استقبال المأمون للإمام:

وأمر المأمون باستقبال الإمام استقبالاً رسمياً، فخرجت القوات المسلحة لاستقباله وسائر أبناء الشعب، وكان المأمون في مقدمة مستقبليه، ومعه الفضل بن سهل، وبقية وزرائه ومستشاريه، فصافح الإمام ورحب به ترحيباً حاراً وخصّص له داراً فخمة، مزوّدة بالخدم والحشم، وسائر ما يحتاج إليه، وعنى به عناية فائقة.

عرض الخلافة على الإمام:

وعرض المأمون على الإمام عليه السلام تنازله عن الخلافة رسمياً، وتقليد الإمام عليه السلام بها فقال له:

«يابن رسول الله قد عرفت فضلك، وعلمك وزهدك وورعك، وعبادتك، وأراك أحق بالخلافة منّي...».

فأجابه الإمام:

(١) عيون أخبار الرِّضا: ٢/١٣٦ ـ ١٣٧.

«بالزهد بالدُّنيا أرجو النجاة من شر الدُّنيا، وبالورع عن المحارم أرجو الفوز بالمغانم، وبالتواضع في الدُّنيا أرجو الرفعة عند الله...».

لقد أعرب الإمام عليه السلام عن زهده في الدُّنيا، وورعه عن محارم الله تعالى مبتغياً بذلك الفوز في الدار الآخرة والرفعة عند الله.

وسارع المأمون قائلاً:

«إنِّي رأيت أن أعزل نفسي عن الخلافة، واجعلها لك...».

ولم تخف على الإمام نوايا المأمون، وأنَّه إنَّما قام بذلك تنفيذاً لأغراضه السياسية، وكيف يتنازل عن الخلافة وقد قتل أخاه الأمين من أجلها، وخرب بغداد ونشر في ربوع العالم الإسلامي الثكل والحزن والحداد فكيف يسلِّمها للإمام عليه السلام؟

وأجابه الإمام بجواب حاسم أغاظ المأمون، وورم منه أنفه قائلاً له:

«إن كانت هذه الخلافة لك فلا يجوز أن تخلع لباساً ألبسكه الله، وتجعله لغيرك، وإن كانت الخلافة ليست لك فلا يجوز أن تجعل لي ما ليس لك...».

وأفحم المأمون فقد سدَّ الإمام عليه كل نافذة يسلك منها، وراح يقول مهدِّداً للإمام:

«لا بدَّ لك من قبول هذا الأمر...».

فأجابه الإمام:

«لست أفعل ذلك طائعاً أبداً..».

وبهر ذو الرياستين، وراح يقول:

«واعجباً!! رأيت الميمون أمير المؤمنين يفوِّض أمر الخلافة إلى الرِّضا، ورأيت الرِّضا يقول: لا طاقة لي بذلك، ولا قدرة عليه، فما رأيت خلافة قط كانت أضيع منها...».

لقد كان الإمام عليه السلام عالماً بزيف هذا العرض، وعدم جديته فالمأمون من الأسرة العباسية الحاقدة على آل البيت عليهم السلام.

عرض ولاية العهد على الإمام:

وحاول المأمون بجميع الطرق والوسائل إقناع الإمام عليه السلام على قبول الخلافة أو ولاية العهد من بعده فامتنع من إجابته امتناعاً شديداً، وقد استمرت المحاولات على

إقناعه أكثر من شهرين إلاَّ أنَّها لم تجد شيئاً وأصر الإمام على رفضه وامتناعه عن قبول أي منصب من مناصب الدولة.

إرغام الإمام:

ونفذت جميع الطرق الدبلوماسية التي سلكها المأمون لإقناع الإمام عليه السلام على قبول ولاية العهد، فرأى أن يسلك طريقاً آخر وهو التهديد والتوعيد للإمام، فقد بعث إلى الإمام فلما مثل عنده جرى حوار بينهما فقال عليه السلام له:

«والله ما كذبت منذ خلقني ربِّي عزَّ وجلَّ، وما زهدت في الدُّنيا للدُّنيا، وإنِّي لأعلم ما تريد؟...».

وسارع المأمون قائلاً:

«ما أريد؟...».

وطلب الإمام منه الأمان إن صارحه بالحقيقة قائلاً:

«الأمان على الصدق؟».

«لك الأمان...».

وبين الإمام دوافع المأمون في إصراره على تقليده بولاية العهد قائلاً:

«تريد بذلك أن يقول الناس: إنَّ علي بن موسى لم يزهد في الدُّنيا، بل زهدت الدُّنيا فيه، ألا ترون كيف قبل ولاية العهد طمعاً في الخلافة؟...».

وغضب المأمون وورم أنفه، فصاح بالإمام قائلاً:

«إنَّك تلقاني أبداً بما أكرهه، وقد أمنت سطوتي فبالله أقسم لئن قبلت ولاية العهد، وإلاَّ أجبرتك على ذلك فإن فعلت، وإلاَّ ضربتك عنقك...»[1].

وانبرى الإمام عليه السلام يتضرع إلى الله تعالى ويدعو قائلاً:

«اللَّهمَّ إنَّك قد نهيتني من الإلقاء بيدي إلى التهلكة، وقد أكرهت واضطررت، كما أشرفت من قبل عبد الله المأمون على القتل إن لم أقبل ولاية عهده، وقد أكرهت واضطررت كما اضطر يوسف ودانيال عليهما السلام إذ قبل كل واحد منهما الولاية من طاغية زمانه.

اللَّهمَّ لا عهد إلاَّ عهدك، ولا ولاية لي إلاَّ من قبلك، فوفقني لإقامة دينك، وإحياء

---

(١) أمالي الصدوق: ص٤٣، عيون أخبار الرِّضا: ٢/ ١٤٠.

سُنَّة نبيك محمد ﷺ فإنَّك أنت المولى، وأنت النصير، ونعم المولى أنت، ونعم النصير. . .»[١].

وقبل الإمام ولاية العهد وهو باكٍ حزين[٢] قد طافت به الآلام والهموم.

شروط الإمام:

وشرط الإمام عليه السلام على المأمون شروطاً تكشف عن عدم رضاه بولاية العهد، وإجباره على قبول هذا المنصب، وهي:

أ ـ لا يولي أحداً.

ب ـ لا يعزل أحداً.

ج ـ لا ينقض رسماً.

د ـ يكون مشيراً من بعيد في شؤون الدولة[٣].

وأجاز المأمون هذه الشروط التي تتصادم مع أهدافه، وتفضح نواياه.

نص وصية ولاية العهد:

وقد نقلتها جمهرة من مصادر التأريخ، وقد اطلع عليها ابن الجوزي وقال: ابتاعها خالي بمأتي دينار، وحملها إلى سيف الدولة صدقة بن منصور، وكان فيها خطوط جماعة من الكتّاب مثل الصولي عبد الله بن العباس، والوزير المغربي[٤] وقد اطلع عليها علي بن عيسى الأربلي، ونقل نصها في كتابة (كشف الغمة) وذلك في سنة (٦٧٠هـ)[٥] ونحن ننقل نصها فقد جاء فيها بعد البسملة:

«هذا كتاب كتبه عبد الله بن هارون الرشيد، أمير المؤمنين لعلي بن موسى بن جعفر.

أما بعد: فإنَّ الله عزَّ وجلَّ اصطفى الإسلام ديناً، واصطفى من عباده رسلاً دالين عليه، وهادين إليه، يبشر أولهم بآخرهم، ويصدق تاليهم ماضيهم، حتى انتهت نبوَّة الله إلى محمد ﷺ على فترة الرسل، ودروس من العلم، وانقطاع من الوحي، واقتراب من

---

(١) عيون أخبار الرِّضا: ١/ ١٩.
(٢) ينابيع المودة: ص٢٨٤.
(٣) عيون أخبار الرِّضا: ٢/ ١٤٠.
(٤) مرآة الزمان: ٥/ورقة ١٤٨ مصور.
(٥) كشف الغمة.

الساعة، فختم الله به النبيين، وجعله شاهداً لهم، ومهيمناً عليهم وأنزل عليه كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، بما أحل وحرم ووعد وأوعد، وحذر وأنذر، وأمر به، ونهى عنه لتكون له الحجَّة البالغة على خلقه، ليهلك من هلك عن بيِّنة، ويحيا من حيي عن بيِّنة، وإنَّ الله لسميع عليم.

فبلغ عن الله رسالته، ودعا إلى سبيله بما أمره من الحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة التي هي أحسن، ثم بالجهاد والغلظة، حتى قبضه الله إليه، واختار له ما عنده ﷺ، فلما انقضت النُّبوَّة، وختم الله بمحمد ﷺ، الوحي والرسالة، جعل قوام الدِّين، ونظام أمر المسلمين بالخلافة، وإتمامها وعزها، والقيام بحقِّ الله فيها بالطاعة التي يُقام بها فرائض الله تعالى وحدوده، وشرائع الإسلام وسُنَّته، ويجاهد بها عدوه.

فعلى خلفاء الله طاعته فيما استحفظهم واسترعاهم من دينه وعباده، وعلى المسلمين طاعة خلفائهم، ومعاونتهم على إقامة حق الله وعدله، وأمن السبيل، وحقن الدماء وصلاح ذات البين، وجمع الإلفة، وفي خلاف ذلك اضطراب حبل المسلمين، واختلالهم، واختلاف ملتهم وقهر دينهم، واستعلاء عدوهم، وتفرق الكلمة، وخسران الدُّنيا والآخرة.

فحق على من استخلفه الله في أرضه، وائتمنه على خلقه أن يجهد الله نفسه، ويؤثر ما فيه رضى الله وطاعته، ويعتمد لما الله مواقفه عليه، ومسائله عنه، ويحكم بالحق، ويعمل بالعدل فيما أحله الله وقلده، فإنَّ الله عزَّ وجلَّ يقول لنبيه داود: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾ وقال الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ وبلغنا أنَّ عمر بن الخطاب قال: «لو ضاعت سخلة بشاطىء الفرات لتخوفت أن يسألني الله عنها».

وأيم الله إنَّ المسؤول عن خاصة نفسه، الموقوف على عمله فيما بينه وبين الله، ليعرض على أمر كبير، وعلى خطر عظيم، فكيف بالمسؤول عن رعاية الأُمَّة، وبالله الثقة، وإليه المفزع، والرغبة في التوفيق والعصمة والتسديد والهداية إلى ما فيه ثبوت الحجَّة، والفوز من الله بالرضوان والرحمة.

وأنظر الأُمَّة لنفسه، وأنصحهم لله في دينه وعباده من خلائقه في أرضه، من عمل بطاعة الله وكتابه وسُنَّة نبيه ﷺ، في مدة أيامه وبعدها، وأجهد رأيه فيمن يوليه عهده، ويختاره لإمامة المسلمين ورعايتهم بعده، وينصبه علماً لهم، ومفزعاً في جمع إلفتهم،

ولمِّ شعثهم، وحقن دمائهم والأمن بإذن الله من فرقتهم، وفساد ذات بينهم، واختلافهم ورفع نزغ الشيطان وكيده عنهم، فإنَّ الله عزَّ وجلَّ جعل العهد بعد الخلافة من تمام الإسلام وكماله، وعزَّه وصلاح أهله، وألهم خلفاءه الخلافة من توكيد لمن يختاره له من بعدهم ما عظمت به النعمة وشملت فيه العافية، ونقض الله بذلك مكر أهل الشقاق والعداوة والسعي والفرقة والتربص للفتنة.

ولم يزل أمير المؤمنين منذ أفضت إليه الخلافة فاختبر بشاعة مذاقها، وثقل محملها، وشدَّة مؤونتها، وما يجب على من تقلدها من ارتباط طاعة الله، ومراقبته فيما حمله منها، فانصب بدنه، وأسهر عينه، وأطال فكره فيما فيه عز الدِّين، وقمع المشركين، وصلاح الأُمَّة ونشر العدل، وإقامة الكتاب والسُّنَّة، ومنعه ذلك من الخفض والدعة، ومهنأ العيش، علما بما الله سائله عنه، ومحبة أن يلقى الله مناصحاً له في دينه وعباده، ومختاراً لولاية عهده، ورعاية الأُمَّة من بعده أفضل من يقدر عليه، في دينه وورعه وعلمه، وأرجاهم للقيام في أمر الله وحقِّه، مناجياً بالاستجارة في ذلك ومسألته، إلهامه ما فيه رضاه وطاعته في آناء ليله ونهاره، معملاً في طلبه والتماسه في أهل بيته من ولد عبد الله بن العباس، وعلي بن أبي طالب فكره ونظره، مقتصراً ممَّن علم حاله ومذهبه منهم على علمه، وبالغاً في المسألة عمَّن خفي عليه أمره جهده وطاقته، حتى استقصى أمورهم معرفة، وابتلى أخبارهم مشاهدة، واستبرأ أحوالهم معاينة، وكشف ما عندهم مساءلة.

فكان خيرته بعد استخارته الله، وإجهاده نفسه في قضاء حقه في عباده وبلاده في البيتين جميعاً:

علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ.

لما رأى من فضله البارع، وعلمه النافع، وورعه الظاهر، وزهده الخالص، وتخليه من الدُّنيا، وتسلمه من الناس.

وقد استبان له ما لم تزل الأخبار عليه متواطئة والألسن عليه متفقة، والكلمة فيه جامعة، ولما لم يزل يعرفه به من الفضل يافعاً، وناشئاً، وحدثاً ومكتهلاً فعقد له بالخلافة من بعده، واثقاً بخيرة الله في ذلك، إذ علم الله أنَّه فعله إيثاراً له، وللدين ونظراً للإسلام والمسلمين وطلباً للسلامة، وثبات الحجَّة والنجاة في اليوم الذي يقوم الناس فيه لربِّ العالمين.

ودعا أمير المؤمنين ولده وأهل بيته وخاصته وقواده وخدمه، فبايعوا مسرورين

عالمين بإيثار أمير المؤمنين طاعة الله على الهوى في ولده وغيرهم ممَّن هو أشبك منه رحماً وأقرب قرابة.

وسمَّا الرِّضا، إذ كان رضا عند أمير المؤمنين، فبايعوا معشر أهل بيت أمير المؤمنين، ومن بالمدينة المحروسة من قواده وجنده وعامة المسلمين لأمير المؤمنين، وللرضا من بعده علي بن موسى على اسمه وبركته، وحسن قضائه لدينه وعباده، بيعة مبسوطة إليها أيديكم منشرحة لها صدوركم، عالمين بما أراد أمير المؤمنين بها، وآثر طاعة الله، والنظر لنفسه ولكم فيها، شاكرين الله على ما ألهم أمير المؤمنين بها من قضاء حقه في رعايتكم، وحرصه على رشدكم، وصلاحكم، راجين عائدة ذلك في جمع إلفتكم، وحقن دمائكم، ولمِّ شعثكم، وسدّ ثغوركم وقوَّة دينكم، ورغم عدوكم، واستقامة أموركم، وسارعوا إلى طاعة الله، وطاعة أمير المؤمنين، فإنَّه الأمن إن سارعتم إليه، وحمدتم الله عليه، عرفتم الحظ فيه إن شاء الله...»[1].

وانتهت هذه الوثيقة وكان تأريخها يوم الاثنين لسبع خلون من شهر رمضان سنة إحدى ومائتين هجرية.

وطلب المأمون من الإمام الرِّضا عليه السلام أن يكتب بيده الشريفة بقبول هذا العهد، فكتب عليه السلام بخطِّه بعد البسملة ما يلي:

«الحمد لله الفعَّال لما يشاء، ولا معقب لحكمه، ولا راد لقضائه يعلم خائنة الأعين، وما تخفي الصدور، وصلاته على نبيه خاتم النبيين وآله الطيبين الطاهرين.

أقول وأنا علي بن موسى بن جعفر: إنَّ أمير المؤمنين عضده الله بالسداد، ووفقه للرشاد عرف من حقنا ما جهله غيره، فوصل أرحاماً قطعت وأمن أنفساً فزعت بل أحياها وقد تلفت، وأغناها إذ افتقرت، مبتغياً رضى ربّ العالمين لا يريد جزاءً من غيره، وسيجزي الله الشاكرين، ولا يضيع أجر المحسنين.

وإنَّه جعل إلى عهده، والإمرة الكبرى إن بقيت بعده، فمن حلَّ عقدة أمر الله بشدها، وفصم عروة أحب الله إيثاقها، فقد أباح الله حريمه، وأحل محرمه، إذ كان بذلك زارياً على الإمام منتهكاً حرمة الإسلام، بذلك جرى السالف، فصبر منه على الفلتات ولم يعترض على العزمات، خوفاً من شتات الدِّين، واضطراب حبل المسلمين، ولقرب أمر الجاهلية، ورصد فرصة تنتهز وبايقة تبتدر.

---

(١) صبح الأعشى: ٩/ ٣٦٢ ـ ٣٦٦.

وقد جعلت الله على نفسي إن استرعاني أمر المسلمين وقلدني خلافته العمل فيهم ـ عامة، وفي بني العباس بن عبد المطلب خاصة ـ بطاعته وطاعة رسوله ﷺ، وأن لا أسفك دماً حراماً، ولا أبيح فرجاً، ولا مالاً إلاَّ ما سفكته حدود الله، وأباحته فرائضه، وأن أتخير الكفاة جهدي وطاقتي، وجعلت بذلك على نفسي عهداً مؤكداً، يسألني الله عنه، فإنَّه عزَّ وجلَّ يقول: ﴿وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾.

وإن أحدثت أو غيرت أو بدلت كنت للغير مستحقاً وللنكال متعرضاً، وأعوذ بالله من سخطه، وإليه أرغب في التوفيق لطاعته، والحول بيني وبين معصيته، في عافية لي وللمسلمين.

والجامعة والجفر يدلان على ضد ذلك، وما أدري ما يفعل بي، ولا بكم، إنَّ الحكم إلاَّ لله يقضي بالحق، وهو خير الفاصلين، لكني امتثلت أمر أمير المؤمنين، وآثرت رضاه والله يعصمني وإيَّاه وأشهدت الله على نفسي بذلك وكفى بالله شهيداً. . .».

وكتبت بخطِّي، بحضرة أمير المؤمنين أطال الله بقاءه والفضل بن سهل، وسهل بن الفضل، ويحيى بن أكثم وبشر بن المعتمر، وحماد بن النعمان، في شهر رمضان سنة إحدى ومائتين.

وكتب الفضل بن سهل وزير المأمون ما صورته:

«رسم أمير المؤمنين أطال الله بقاءه قراءة مضمون هذا المكتوب ظهره وبطنه بحرم سيِّدنا رسول الله ﷺ بين الروضة والمنبر على رؤوس الأشهاد، ومرأى ومسمع من وجوه بني هاشم، وسائر الأولياء والأجناد، وهو يسأل الله أن يعرف أمير المؤمنين وكافة المسلمين الحجَّة به على جميع المسلمين وأبطل الشُّبهة التي كانت اعترضت آراء الجاهلين: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾».

وكتب الفضل بن سهل في التأريخ المعين فيه.

وكتب يحيى بن أكثم القاضي ما صورته: «شهد يحيى بن أكثم على مضمون هذه الصحيفة ظهرها وبطنها، وكتب بخطِّه بالتأريخ».

وكتب حماد بن النعمان ما صورته: «شهد حماد بن النعمان بمضمون ظهره وبطنه».

وكتب بشر بن المعتمر ما صورته: «شهد بمثل ذلك بشر بن المعتمر وكتب بخطه بالتأريخ»[1].

---

(١) صبح الأعشى: ٩/ ٣٩٢ ـ ٣٩٣.

البيعة للإمام:

وعقد المأمون لبيعة الإمام الرِّضا عليه السلام مهرجاناً شعبياً عاماً حضرته الوزراء، وكبار رجال الدولة، وقادة القوات المسلحة وبقية أبناء الشعب، وفي طليعتهم العلويون والعباسيون، وكان ذلك في يوم الثلاثاء في اليوم الثاني من شهر رمضان المبارك[١] سنة (٢٠١هـ)[٢].

وجلس المأمون على دست الخلافة، ووضع للإمام الرِّضا عليه السلام وسادتين عظيمتين حتى لحق بمجلس المأمون، وعليه عمامة، وقد تقلد سيفاً، وأمر المأمون ولده العباس أن يبايع للإمام فكان أول من بايعه[٣] ثم بايعه الناس.

كيفية البيعة:

أما كيفية بيعة الناس للإمام عليه السلام فكانت فريدة لم يألفها ملوك الأمويين والعباسيين، فقد رفع عليه السلام يده، وتلقى بظهرها وجهه الشريف، وباطنها وجهوه المبايعين، وبهر المأمون من ذلك، وراح يقول للإمام: «ابسط يدك للبيعة...».

فأجابه عليه السلام: «إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله هكذا كان يبايع»[٤].

الإمام يخبر بعدم تمامية هذا الأمر:

ولما جلس الإمام الرِّضا عليه السلام ذلك المجلس، وقد لبس الخلع، والخطباء والشعراء يشيدون بفضله، ويدعون الناس إلى مبايعته نظر عليه السلام إلى بعض مواليه، وقد داخله السرور، وعمَّته الأفراح، فأشار إليه فأسرع نحوه فأسر إليه قائلاً:

«لا تشغل قلبك بشيء ممَّا ترى من هذا الأمر، ولا تستبشر فإنَّه لا يتم»[٥].

وتحقَّق ما أخبر به الإمام عليه السلام فإنَّه لم تتم هذه البيعة للإمام، وخان المأمون بعهده ووعده، فغدر بالإمام ودسَّ إليه سمّاً فاغتاله.

---

(١) عيون التواريخ: ٣/ورقة ٢٢١.
(٢) سر السلسلة العلوية: ص٣٨، مرآة الزمان: ٦/ورقة ٤٠، تاريخ القضاعي.
(٣) البحار.
(٤) مقاتل الطالبيين.
(٥) الفصول المهمة: ص٢٣٨.

خطبة المأمون:

ولما انتهت مراسيم البيعة قام المأمون فاعتلى المنبر، وخطب الناس فقال في جملة خطابه:

«أيُّها الناس جاءتكم بيعة علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، والله لو قرأت هذه الأسماء على الصم والبكم لبرأوا بإذن الله عزَّ وجلَّ»[١].

خطبة الإمام الرِّضا:

ولما تمَّت البيعة للإمام الرِّضا عليه السلام، طلب منه المأمون أن يعتلي المنبر، ويخطب الناس، فصعد المنبر وقال بعد حمد الله والثناء عليه:

«أيُّها الناس إنَّ لنا عليكم حقاً برسول الله ﷺ، ولكن علينا حق به، فإذا أديتم إلينا ذلك وجب علينا الحق لكم...».

زواج الإمام بابنة المأمون:

وعرض المأمون على الإمام الرِّضا عليه السلام أن يتزوج الأميرة السيِّدة أم حبيب[٢] فقبل الإمام ذلك وتزوج بها، وإنَّما عمد المأمون تقرباً للإمام، وحتى تقوى العلاقة بينهما، ويرى بعض المحللين للأخبار أنَّ سبب ذلك أن تكون ابنته عيناً لأبيها على جميع تصرفات الإمام وتحركاته وهذا ليس ببعيد عن سياسة المأمون ودهائه.

البيعة للإمام في جميع الأقطار:

وأمر المأمون جميع ولاته وعمَّاله في جميع الأقطار والأقاليم الإسلامية بأخذهم البيعة للإمام الرِّضا بولاية العهد من جميع المواطنين.

الناقمون على المأمون:

ونقمت القوى المعادية لأهل البيت عليهم السلام على المأمون لعقده بولاية العهد للإمام الرِّضا، واعتبروا ذلك تحويلاً للخلافة عن الأسرة العباسية التي ينعمون في ظلالها.

---

(١) عيون أخبار الرِّضا: ٢/١٤٧.

(٢) ذكر أبو الفرج أنَّ الإمام الرِّضا تزوج بابنة المأمون أم الفضل، وهو خطأ والصحيح أنَّه تزوج بأم حبيب.

وكان من أشد الناقمين على المأمون الأسرة العباسية، فقد اعتبرت ذلك خطراً على مملكتهم، وقد قامت قيامتهم، وورمت آنافهم وقاموا بما يلي من الإجراءات:

خلع المأمون:

وخلع العباسيون بيعة المأمون، واعتبروها لاغية، وأعلنوا أمام الجماهير عصيانهم للمأمون، وطلبوا من المواطنين رفض بيعته، وبيعة ولي عهده، فاستجاب لهم خلق كثير، وبذلك فلم تعد بيعة للمأمون في أعناقهم.

البيعة لإبراهيم بن شكلة:

وعمد العباسيون إلى بيعة عميدهم إبراهيم بن شكلة[١] شيخ المغنين، والموسيقين في بغداد، ودعي له بالخلافة، وسمي بالمرضي[٢] وكانت خلافته موضع استهزاء وسخرية من قبل الأوساط الواعية والمفكرة، وذلك لاستهتاره، وتحلله من جميع القيم والأعراف.

وأعرب المأمون أن بيعته للإمام الرِّضا عليه السلام كانت من أجل مصالح العبَّاسيِّين، ففي هذه البيعة قد حقن دمائهم، ولعلَّ سبب ذلك هو انفجار البلاد بثورات متصلة تنادي للرِّضا من آل محمَّد صلى الله عليه وآله ليقيم في ربوع الوطن العدل السياسي والعدل الاجتماعي، وحينما جاء بالإمام الرِّضا عليه السلام نصبه وليّ عهده خمدت تلك الثورات، ولو استمرت لقضت على الحكم العبَّاسي، وقضت على العبَّاسيِّين...

القصيدة الخالدة لدعبل:

وتُعدُّ قصيدة دعبل التي ألقاها على الإمام الرِّضا عليه السلام من ذخائر الأدب العربي، ومن مناجم التراث الإسلامي وهي من أشهر قصائد دعبل، وقد أثرت في نفس الإمام تأثيراً بالغاً، حتى بكى، وأغمي عليه ثلاث مرَّات[٣] لأنَّه عرض فيها الفجائع القاسية التي حلَّت بأهل البيت عليهم السلام، وقد كتبها دعبل في ثوب وأحرم فيه وأوصى أن يكون في أكفانه[٤].

---

(١) شكلة: أم إبراهيم وكانت جارية سوداء، وكان إبراهيم شديد عظيم الجثة حتى قيل له التنين، وفيات الأعيان: ١/ ١٠.

(٢) تأريخ اليعقوبي.

(٣) الأغاني: ١٨/ ٤٢.

(٤) معجم الأدباء: ٤/ ١٩٤.

وقد انتشرت قصيدة دعبل انتشاراً هائلاً في ذلك العصر، وقد سمعها المأمون فأعجب بها، وطلب من دعبل أن يقرأها عليه، وقال له: لا بأس عليك ولك الأمان من كل شيء فيها، وقد رويتها إلاَّ إنِّي أحب أن أسمعها من فيك، فأنشدها والمأمون يبكي حتى اخضلت لحيته من دموعه[١].

ومن طريف ما ينقل عن هذه القصيدة الغراء أنَّ دعبل لما سار من (مرو) في قافلة قطع عليهم اللصوص الطريق، وأخذوا كل ما معهم، واتفق أنَّ لصاً كان ينهب ما عند دعبل وينشد بيتاً من قصيدته التي ألقاها على الإمام وهو:

أرى فيئهم في غيرهم متقسماً ... وأيديهم من فيئهم صفرات

فقال له دعبل: لمن هذا البيت؟ فقال له: لرجل من خزاعة يُقال له دعبل، فقال له: أنا دعبل، ثم أنشده القصيدة فذهل ونادى ببقية اللصوص أن يردوا على القافلة ما أخذوه منها تكريماً لشاعر أهل البيت، فردوه عليهم[٢].

نص القصيدة:

ونقل المغفور له الفاضل عبد الصاحب الدجيلي نص القصيدة في ديوان دعبل عن جمهرة من المصادر المخطوطة والمطبوعة ونحن ننقلها عنه، وهذا نصها:

تجاوبن بالأرنان والزفرات ... نوائح عجم اللفظ والنطقات
يخبرن بالأنفاس عن سر أنفس ... أسارى هوى ماض وآخر آت
فأسعدن أو أسعفن حتى تقوضت ... صنوف الدجى بالفجر منهزمات
على العرصات الخاليات من المها ... سلام شج صب على العرصات
فعهدي بها خضر المعاهد مألفا ... من العطرات البيض والخفرات
ليالي يعدّين الوصال على القلى ... وبعدي تدانينا على الغربات
وإذا هن يلحظن العيون سوافراً ... ويسترن بالأيدي على الوجنات
وإذ كل يوم لي بلحظي نشوة ... يبيت لها قلبي على نشوات
فكم حسرات هاجها بمحسر ... وقوفي يوم الجمع من عرفات
ألم تر للأيام ماجر جورها ... على الناس من نقص وطول شتات
ومن دول المستهترين ومن غدا ... بهم طالباً للنور في الظلمات

(١) الأغاني: ١٨/ ٤٢.
(٢) نور الأبصار: ص١٤٧.

فكيف ومن أنَّى يطالب زلفة … إلى اللَّه بعَد الصوم والصلوات
سوى حب أبناء النبي ورهطه … وبغض بني الزرقاء والعبلات
وهند وما أدَّت سمية وابنها … أولو الكفر في الإسلام والفجرات
هم نقضوا عهد الكتاب وفرضه … ومحكمه بالزور والشُّبهات
ولم تك إلاَّ محنة كشفتهم … بدعوى ضلال من هن وهنات
تراث بلا قربى وملك بلا هدى … وحكم بلا شورى بغير هدات
رزايا أرتنا خضرة الأُفق حمرة … وردت أجاجاً طعم كل فرات
وما سهلت تلك المذاهب فيهم … على الناس إلاَّ بيعة الفلتات
وما نال أصحاب السقيفة إمرة … بدعوى تراث، بل بأمر ترات
ولو قلدوا الموصى إليه زمامها … لُزمت بمأمون من العثرات
أخا خاتم الرُّسل المصفى من القذى … ومفترس الأبطال في الغمرات
فإن جحدوا كان الغدير شهيده … وبدر وأُحد شامخ الهضبات
وآي من القرآن تتلى بفضله … وإيثاره بالقوت في اللزبات
وغر خلال أدركته بسبقها … مناقب كانت فيه مؤتنفات
مناقب لم تدرك بكيد ولم تنل … بشيء سوى حد القنا الذربات
نجي لجبريل الأمين وأنتم … عكوف على العزى معاً ومناة
بكيت لرسم الدار من عرفات … وأذريت دمع العين بالعبرات
وفكَّ عرى صبري وهاجت صبابتي … رسوم ديار أقفرت وعرات
مدارس آيات خلت من تلاوة … ومنزل وحي مقفر العرصات
لآل رسول اللَّه بالخيف من منى … وبالركن والتعريف والجمرات
ديار علي والحسين وجعفر … وحمزة والسجَّاد ذي الثفنات
ديار لعبد اللَّه والفضل صنوه … نجي رسول اللَّه في الخلوات
منازل وحي اللَّه ينزل بينها … على أحمد المذكور في السورات
منازل قوم يُهتدى بهداهم … فتؤمن منهم زلة العثرات
منازل كانت للصلاة وللتقى … وللصوم والتطهير والحسنات
منازل جبريل الأمين يحلها … من اللَّه بالتسليم والرحمات
منازل وحي اللَّه معدن علمه … سبيل رشاد واضح الطرقات
ديار عفاها جور كل منابذٍ … ولم تعف للأيام والسنوات
فيا وارثي علم النبي وآله … عليكم سلام دائم النفحات

قفا نسأل الدار التي خف أهلها ... متى عهدها بالصوم والصلوات
وأين الألى شطت بهم غربة النوى ... أفانين في الآفاق مفترقات
هم أهل ميراث النبي إذا اعتزوا ... وهم خير سادات وخير حماة
مطاعيم في الإعسار في كل مشهد ... لقد شرفوا بالفضل والبركات
وما الناس إلاَّ حاسد ومكذب ... ومضطعن ذو إحنة وترات
إذا ذكروا قتلى ببدر وخيبر ... ويوم حنين أسبلوا العبرات
فكيف يحبون النبي ورهطه ... وهم تركوا أحشاءهم وغرات
لقد لاينوه في المقال وأضمروا ... قلوباً على الأحقاد منطويات
فإن لم تكن إلاَّ بقربى محمد ... فهاشم أولى من هن وهنات
سقى اللَّه قبراً بالمدينة غيثه ... فقد حلَّ فيه الأمن بالبركات
نبي الهدى صلَّى عليه مليكه ... وبلغ عنه روحه التحفات
وصلَّى عليه اللَّه ما ذر شارق ... ولاحت نجوم اللَّيل مبتدرات
أفاطم لو خلت الحسين مجدلا ... وقد مات عطشاناً بشط فرات
إذن للطمت الخد فاطم عنده ... وأجريت دمع العين في الوجنات
أفاطم قومي يا ابنة الخير واندبي ... نجوم سماوات بأرض فلاة
قبور بكوفان وأخرى بطيبة ... وأخرى بفخ نالها صلوات
وقبر ببغداد لنفس زكية ... تضمنها الرحمن في الغرفات
فأما الممضات التي لست بالغاً ... مبالغها منِّي بكنه صفات
قبور لدى النهر من أرض كربلا ... معرسهم فيها بشط فرات
توفوا عطاشا بالفرات فليتني ... توفيت فيهم قبل حين وفاتي
إلى اللَّه أشكو لوعة عند ذكرهم ... سقتني بكأس الذل والفظعات
أخاف بأن أزدارهم فيشوقني ... مصارعهم بالجزع فالنخلات
تقسمهم ريب الزمان كما ترى ... لهم عفرة مغشية الحجرات
سوى أنَّ منهم بالمدينة عصبة ... - مدى الدهر - انضاء من اللزبات
قليلة زوار سوى بعض زور ... من الضبع والعقبان والرخمات
لهم كل حين نومة بمضاجع ... ثوت في نواحي الأرض مختلفات
وقد كان منهم بالحجاز وأهلها ... مغاوير يختارون في السروات
تنكب لأواء السنين جوارهم ... فلا تصطليهم جمرة الجمرات
حمى لم تزره المذنبات وأوجه ... تضيء لدى الأستار في الظلمات

إذا أوردوا خيلاً تسعر بالقنا ... مساعر جمر الموت والغمرات

وإن فخروا يوماً أتوا بمحمد ... وجبريل والفرقان والسورات

وعدوا علياً ذا المناقب والعلا ... وفاطمة الزَّهراء خير بنات

وحمزة والعباس ذا الهدي والتقى ... وجعفرا الطيار في الحجبات

أولئك لا منتوج هند وحزبها ... سمية من نوكى ومن قذرات

ستسأل تيم عنهم وعديها ... وبيعتهم في أفجر الفجرات

هم منعوا الآباء من أخذ حقهم ... وهم تركوا الأبناء رهن شتات

وهم عدلوها عن وصي محمد ... فبيعتهم جاءت على الغدرات

ملامك في أهل النبي فإنَّهم ... أحباي ما عاشوا وأهل ثقاتي

تخيرتهم رشداً لأمري فإنَّهم ... على كلِّ حال خيرة الخيرات

نبذت إليهم بالمودة صادقاً ... وسلَّمت نفسي طائعاً لولاتي

فيا ربّ زدني من يقيني بصيرة ... وزد حبّهم يا ربّ في حسناتي

سأبكيهم ما حجَّ للَّه راكب ... وما ناح قمري على الشجرات

بنفسي أنتم من كهول وفتية ... لفك عناة أو لحمل ديات

وللخيل لما قيد الموت خطوها ... فأطلقتم منهن بالذربات

أحب قصي الرحم من أجل حبّكم ... وأهجر فيكم أسرتي وبناتي

وأكتم حبيكم مخافة كاشح ... عنيد لأهل الحق غير موات

فيا عين بكيهم وجودي بعبرة ... فقد آن للتسكاب والهملات

لقد حفت الأيام حولي بشرها ... وإنِّي لأرجو الأمن بعد وفاتي

ألم تر أنِّي من ثلاثين حجَّة ... أروح وأغدو دائم الحسرات

أرى فيئهم في غيرهم متقسماً ... وأيديهم من فيئهم صفرات

فكيف أداوي من جوى بي والجوى ... أمية أهل الفسق والتبعات

فآل رسول اللَّه نحف جسومهم ... وآل زياد حفل القصرات

بنات زياد في القصور مصونة ... وآل رسول اللَّه في الفلوات

سأبكيهم ما ذر في الأرض شارق ... ونادى منادي الخير بالصلوات

وما طلعت شمس وحان غروبها ... وباللَّيل أبكيهم وبالغدوات

ديار رسول اللَّه أصبحن بلقعاً ... وآل زياد تسكن الحجرات

وآل رسول اللَّه تدمى نحورهم ... وآل زياد آمنوا السربات

وآل رسول اللَّه تسبى حريمهم ... وآل زياد ربة الحجلات

إذا وتـروا مـدوا إلـى واتـريـهـم أكـفـا عـن الأوتـار مـنـقـضـبـات
فـلـولا الـذي أرجـوه فـي الـيـوم أو غـد تـقـطـع نـفـسـي إثـرهـم حـسـرات
خـروج إمـام لا مـحـالـة خـارج يـقـوم عـلـى اسـم الـلّـه والـبـركـات
يـمـيِّـز فـيـنـا كـلّ حـق وبـاطـل ويـجـزي عـلـى الـنـعـمـاء والـنـقـمـات
سأقـصـر نـفـسـي جـاهـداً عـن جـدالـهـم كـفـانـي مـا ألـقـى مـن الـعـبـرات
فـيـا نـفـس طـيـبـي ثـم يـا نـفـس أبـشـري فـغـيـر بـعـيـد كـل مـا هـو آت
ولا تـجـزعـي مـن مـدة الـجـور إنَّـنـي أرى قـوَّتـي قـد آذنـت بـشـتـاتِ
فـإنَّ قـرب الـرَّحـمٰـن مـن تـلـك مـدتـي وأخـر مـن عـمـري لـطـول حـيـاتـي
شـفـيـت ولـم أتـرك لـنـفـسـي رزيـة ورويـت مـنـهـم مـنـصـلـي وقـنـاتـي
فـإنِّـي مـن الـرَّحـمٰـن أرجـو بـحـبـهـم حـيـاة لـدى الـفـردوس غـيـر بـتـات
عـسـى الـلّـه أن يـأوي لـذا الـخـلـق أنَّـه إلـى كـل قـوم دائـم الـلـحـظـات
فـإن قـلـت عـرفـاً أنـكـروه بـمـنـكـر وغـطـوا عـلـى الـتـحـقـيـق بـالـشُّـبـهـات
أحـاول نـقـل الـشـمـس عـن مـسـتـقـرهـا وأسـمـع أحـجـاراً مـن الـصـلـدات
فـمـن عـارف لـم يـنـتـفـع ومـعـانـد يـمـيـل مـع الأهـواء والـشـهـوات
قـصـاري مـنـهـم أن أمـوت بـغـصـة تـردَّد فـي صـدري وفـي الـلـهـوات
كـأنَّـك بـالأضـلاع قـد ضـاق رحـبـهـا لـمـا ضـمـنـت مـن شـدَّة الـزفـرات

وانتهت هذه القصيدة العصماء التي نالت رضا الإمام ودعاءَه لدعبل بالفوز يوم الفزع الأكبر.

المأمون يطلب من الإمام محاسن الشعر:

وطلب المأمون من الإمام عليه السلام أن ينشده أحسن ما رواه في الحلم، فقال عليه السلام أحسن ما رويته هذه الأبيات:

إن كـان دونـي مـن بـلـيـت بـجـهـلـه أبـيـت لـنـفـسـي أن أقـابـل بـالـجـهـل
وإن كـان مـثـلـي فـي مـحـلـي مـن الـنـهـى هـربـت لـحـلـمـي كـي أجـل عـن الـمـثـل
وإن كنت أدنى منه في الفضل والحجى عـرفـت لـه حـق الـتـقـدُّم والـفـضـل

وأعجب المأمون بهذه الأبيات وانبرى يقول: «من قائله؟...».

قال عليه السلام: «بعض فتياننا...».

وقال المأمون: أنشدني أحسن ما رويته في السكوت عن الجاهل، فقال عليه السلام هذه الأبيات:

إنّي ليهجرني الصديق تجنباً ... فأريه أنّ لهجره أسبابا
وأراه إن عاتبته أغريته ... فأرى له ترك العتاب عتابا
وإذا ابتليت بجاهل متحلم ... يجد المحال من الأمور صوابا
أوليته منّي السكوت وربَّما ... كان السكوت عن الجواب جوابا

وبهر المأمون، وقال: ما أحسن هذا؟ من قاله: فقال عليه السلام: لبعض فتياننا، ثم قال المأمون: أنشدني: أحسن ما رويته في استجلاب العدو وحتى يكون صديقاً، فأنشده الإمام هذه الأبيات:

وذي غلة سالمته فقهرته ... فأوقرته منّي لعفو التحمُّل
ومن لا يدافع سيئات عدوه ... بإحسانه لم يأخذ الطول من عل
ولم أر في الأشياء أسرع مهلكاً ... لغمر قديم من وداد معجل[1]

فقال المأمون: ما أحسن هذا من قاله؟

قال عليه السلام: قاله بعض فتياننا.

قال المأمون: أنشدني أحسن ما رويته في كتمان السِّر.

فأنشده:

وإنّي لأنسى السِّر كي لا أذيعه ... فيا من رأى سراً يُصان بأن ينسى
مخافة أن يجري ببالي ذكره ... فينبذه قلبي إلى ملتوى الحشا
فيوشك من لم يفش سراً وجال في ... خواطره أن لا يطيق له حبسا[2]

رسالة الإمام إلى ولده الجواد:

وأرسل الإمام الرِّضا عليه السلام من (خراسان) إلى ولده الإمام الجواد هذه الرسالة وقد جاء فيها بعد البسملة:

«فدتك نفسي بغلني أنَّ الموالي إذا ركبت أخرجوك من باب البستان الصغير، وإنَّما ذاك من بخل بهم لئلا ينال أحد منك خيراً، فأسألك بحقِّي عليك، لا يكن مدخلك ومخرجك إلاَّ من الباب الكبير، وإذا ركبت إن شاء الله فليكن معك ذهب وفضة لا يسألك أحد شيئاً إلاَّ أعطيته، ومن سألك عن عمومتك أن تبره فلا تعطه أقل من خمسين ديناراً، والكثير إليك، ومن سألك من عماتك فلا تعطها أقل من خمسين ديناراً، والكثير

(١) الغمر: الحقد.
(٢) عيون أخبار الرِّضا: ٢/ ١٧٤ ـ ١٧٥.

إليك، ومن سألك من قريش فلا تعطه أقل من خمسة وعشرين ديناراً، والكثير إليك، إنِّي إنَّما أريد أن يوفقك الله، فاتق الله، واعط ولا تخف من ذي العرش اقتاراً..»[١].

مع أخيه زيد:

وانضم زيد إلى الثورة التي أعلنها أبو السرايا داعية محمد بن إبراهيم الحسني، وقد قلد زيداً ولاية (الأهواز)، فسار إليها ليتولى مهام منصبه، فاجتاز على (البصرة)، وكانت خاضعة للحكم العباسي فأحرق دور بني العباس، ومن أجل ذلك لُقب بزيد النار، ولما فشلت ثورة أبي السرايا، استتر زيد فطلبه الحسن بن سهل فظفر به، فحبسه، ولم يزل في الحبس حتى ظفر إبراهيم شيخ المغنيين المعروف بابن شكلة، فهجم البغداديون على السجن، وأخرجوا زيداً من السجن، ومضى إلى يثرب، ودعا لبيعة محمد بن جعفر فبعث المأمون جيشاً فقضى على الثورة، وأسر زيد وجيء به مخفوراً إلى المأمون فقال له:

«يا زيد خرجت بالبصرة، وتركت أن تبدأ بدور أعدائنا من أمية وثقيف، وغنى، وباهلة، وآل زياد، وقصدت دور بني عمك ـ يعني بني العباس ـ».

فقال له زيد بمرح:

«يا أمير المؤمنين أخطأت من كل جهة، وإن عدت للخروج بدأت بأعدائنا».

وضحك المأمون، وبعثه إلى الإمام الرِّضا عليه السلام وقال له:

قد وهبت لك جرمه فأحسن أدبه[٢].

ولما مثل أمام الإمام عليه السلام قال له:

«ويلك يا زيد، فعلت بالمسلمين بالبصرة ما فعلت، وتزعم أنَّك ابن فاطمة بنت رسول الله ﷺ، والله لأشد الناس عليك رسول الله ﷺ يا زيد ينبغي لمن أخذ برسول الله أن يعطى به...».

ولما انتهى كلام الإمام إلى المأمون بكى، وقال: هكذا ينبغي أن يكون أهل بيت رسول الله ﷺ[٣].

---

(١) الدر النظيم: ورقة ٢١٥ ـ ٢١٦.

(٢) تنقيح المقال: ١/ ٤٧١.

(٣) مرآة الجنان: ٢/ ١٣.

مع أخته فاطمة:

وكتب الإمام الرِّضا عليه السلام وهو في (خراسان) إلى السيِّدة الزكية فاطمة المعروفة بالسيِّدة معصومة أن تلحق به، فقد كانت أثيرة عنده، وعزيزة عليه، ولما انتهى الكتاب إليها تجهزت وسافرت إليه[١] ولما وصلت إلى (ساوه) مرضت فسألت عن المسافة بينها وبين (قم) فقيل لها: عشرة فراسخ فأمرت بحملها إلى (قم)، فحملت إليها، ونزلت في بيت موسى بن خزرج بزمام ناقتها، وأقدمها إلى داره فبقيت عنده سبعة عشرة يوماً، ثم انتقلت إلى حظيرة القدس، فقام موسى بتجهيزها، ودفنها في أرض كانت له، وبنى على مرقدها الطاهر سقيفة من البواري إلى أنَّ بنت عليها السيِّدة زينب بنت محمد بن علي الجواد قبَّة[٢].

استسقاء الإمام:

وحبس المطر عن الناس، فعزى ذلك بعض الحاقدين على الإمام عليه السلام ذلك إلى توليه ولاية العهد، وأخذوا يذيعون ذلك وينشرونه في الأوساط الشعبية للطعن بشخصية الإمام عليه السلام وبلغ المأمون ذلك، فثقل عليه، وعرض ذلك على الإمام وطلب منه أن يدعو الله تعالى لينزل المطر على الناس، فأجابه الإمام: إنِّي أفعل ذلك يوم الاثنين، فقال له المأمون: ولم ذلك، فقال عليه السلام:

«إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله أتاني البارحة، ومعه أمير المؤمنين علي عليه السلام، وقال: يا بني انتظر يوم الاثنين، فابرز إلى الصحراء واستسق، فإنَّ الله تعالى سيسقيهم، وأخبرهم بما يريك الله ممَّا لا يعلمون من حالهم ليزدادوا علماً بفضلك ومكانك من ربّك عزَّ وجلَّ...».

وانتظر المأمون، وباقي حاشيته الاثنين، وقد أوعز إلى جميع الأوساط الشعبية بالخروج إلى الصحراء يوم الاثنين ولما حلَّ هذا اليوم هرعت الناس إلى الصحراء، وخرج الإمام عليه السلام وعليه هيبة الأنبياء فلما انتهى إلى الصحراء نصب له منبر وقد حفَّت به الجماهير، وقد علت أصواتهم بالتهليل والتكبير.

دعاء الإمام:

واعتلى الإمام المنبر فحمد الله تعالى، وأثنى عليه، ثم قال:

---

(١) جوهرة الكلام: ص١٤٦.

(٢) حياة الإمام موسى بن جعفر: ٢/ ٤٣٩.

«اللَّهمَّ يا رب أنت عظمت حقنا أهل البيت، فتوسلوا بنا كما أمرت، وأملوا فضلك، ورحمتك، وتوقعوا إحسانك، ونعمتك، فاسقهم سقياً نافعاً، عاماً، غير رايث[1] ولا ضائر، وليكن ابتداء مطرهم بعد انصرافهم من مشهدهم هذا إلى منازلهم ومقارهم. .».

وأضاف الإمام قائلاً:

«فوالذي بعث محمَّداً صلى الله عليه وآله بالحقِّ نبياً، لقد نسجت الرياح في الهواء الغيوم، وأرعدت وأبرقت. . .».

ولما سمعت الجماهير كلام الإمام أرادت الرجوع إلى أهلها لئلا يصيبهم المطر، فقال عليه السلام: ليست هذه السحابة التي أطلت عليكم لكم، وإنَّما هي لبلد وسمَّاه لهم.

وهكذا أطلت على الجماهير عشر سحب متوالية، ويخبر الإمام عن كل سحابة أنَّها تهطل في بلد وسمَّاه، وأطلت السحابة الحادية عشر، فقال عليه السلام:

«أيُّها الناس: هذه سحابة بعثها الله عزَّ وجلَّ لكم، فاشكروا الله على تفضُّله عليكم، وقوموا إلى مقاركم، ومنازلكم فإنَّها مساقة لكم، ولرؤوسكم ممسكة عنكم إلى أن تدخلوا إلى مقاركم، ثم يأتيكم من الخير ما يليق بكرم الله تعالى وجلاله. . .».

ثم نزل من على المنبر، وسارعت الجماهير إلى بيوتها، فلما انتهت إليها هطلت السحابة بوابل من المطر لم يسبق له مثيل فملئت الأودية والحياض، والغدران، والفلوات.

وأيقن الناس بكرامة أهل البيت، وما لهم من المنزلة الوثيقة عند الله تعالى، وقالوا: هنيئاً لولد رسول الله صلى الله عليه وآله كرامات الله عزَّ وجلَّ لهم، وكانت هذه الكرامة من كرامات هذا الإمام العظيم.

خطاب الإمام:

وخطب الإمام عليه السلام في حفل كبير حاشد على أثر هذه الكرامة فقال عليه السلام:

«أيُّها الناس: اتقوا الله في نعم الله عليكم، فلا تنفروها عنكم بمعاصيه بل استديموها بطاعته، وشكره على نعمه وأياديه، واعلموا أنَّكم لا تشكرون الله تعالى بشيء بعد الإيمان بالله، وبعد الاعتراف بحقوق أولياء الله من آل محمد رسول الله صلى الله عليه وآله، أحب إليه من معاونتكم لإخوانكم المؤمنين على دُنياهم التي هي معبر لهم إلى جنان ربهم، فإنَّ

---

(١) غير رايث: أي غير بطيء.

من فعل ذلك كان من خاصة الله تبارك وتعالى وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله في ذلك قولاً ما ينبغي لقائل أن يزهد في فضل الله عليه فيه إن تأمله وعمل عليه.

قيل: يا رسول الله هلك فلان يعمل من الذُّنوب كيت وكيت، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: بل قد نجا، ولا يختم الله عمله إلاَّ بالحسنى، وسيمحو الله عنه السيِّئات، ويبدلها حسنات، إنَّه كان يمرُّ مرة في طريق، عرض له مؤمن قد انكشفت عورته وهو لا يشعر فسترها عليه، ولم يخبره مخافة أن يخجل، ثم إنَّ ذلك المؤمن عرفه في مهواه[1] فقال له: أجزل الله لك الثواب وأكرم لك المآب، ولا ناقشك في الحساب، فاستجاب الله له فيه، فهذا العبد لا يختم الله له إلاَّ بخير بدعاء ذلك المؤمن، فاتصل قول رسول الله صلى الله عليه وآله بهذا الرجل فتاب وأناب، وأقبل على طاعة الله عزَّ وجلَّ، فلم تأت سبعة أيام حتى أغير على سرح[2] المدينة، فوجه رسول الله صلى الله عليه وآله في أثرهم جماعة ذلك الرجل أحدهم فاستشهد...».

خشية المأمون من الإمام:

وخشي المأمون من الإمام، وفزع من التفات الجماهير حوله، وخاف على ملكه من الزوال، فقد استبان للناس فضل الإمام عليه السلام وروحانيته، وأنَّه هو القادر على أن يبسط العدل السياسي، والعدل الاجتماعي في ربوعهم، وأنَّ بني العباس لا لايقة لهم لزعامة الأُمَّة والتحكم في سلطان المسلمين.

قرارات هامة:

وأخذ المأمون يطيل التفكير، ويقلِّب الرأي على وجوهه مع مستشاريه للتخلص من الإمام، فاتخذ من القرارات ما يلي:

أولاً: عقد المؤتمرات العلمية التي تضم كبار علماء الدُّنيا لامتحان الإمام لعلَّه يعجز عن الإجابة.

ثانياً: فرض الرقابة عليه، وإحاطته بقوى مكثفة من الأمن تحصي عليه أنفاسه.

ثالثاً: طرد الشيعة من الحضور في مجالس الإمام والاستماع إلى حديثه، وقد عهد المأمون للقيام بذلك إلى حاجبه محمد بن عمرو الطوسي فطرد الشيعة، وزبرهم من

---

(١) المهواة: المطمئن من الأرض ما بين جبلين.

(٢) السرح: المال السائم.

الالتقاء بالإمام عليه السلام، وقد قابل المأمون الإمام بشراسة فغضب عليه السلام، وقام فصلّى ركعتين، وقال في قنوته:

«اللّهُمَّ يَا ذَا الْقُدْرَةِ الْجَامِعَةِ، وَالرَّحْمَةِ الْوَاسِعَةِ، وَالْمِنَنِ الْمُتَتَابِعَةِ وَالْآلَاءِ الْمُتَوَالِيَةِ، وَالْأَيَادِي الْجَمِيلَةِ، وَالْمَوَاهِبِ الْجَزِيلَةِ، يَا مَنْ لَا يُوصَفُ بِتَمْثِيلٍ، وَلَا يُمَثَّلُ بِنَظِيرٍ، وَلَا يُغْلَبُ بِظَهِيرٍ، يَا مَنْ خَلَقَ فَرَزَقَ، وَأَلْهَمَ فَأَنْطَقَ وَابْتَدَعَ فَشَرَعَ، وَعَلَا فَارْتَفَعَ، وَقَدَّرَ فَأَحْسَنَ، وَصَوَّرَ فَأَتْقَنَ، وَاحْتَجَّ فَأَبْلَغَ، وَأَنْعَمَ فَأَسْبَغَ، وَأَعْطَى فَأَجْزَلَ، يَا مَنْ سَمَا فِي الْعِزِّ فَفَاتَ خَوَاطِرَ الْأَبْصَارِ، وَدَنَا فِي اللُّطْفِ فَجَازَ هَوَاجِسَ الْأَفْكَارِ يَا مَنْ تَفَرَّدَ بِالْمُلْكِ فَلَا نِدَّ لَهُ فِي مَلَكُوتِ سُلْطَانِهِ، وَتَوَحَّدَ بِالْكِبْرِيَاءِ فَلَا ضِدَّ لَهُ فِي جَبَرُوتِ شَأْنِهِ، يَا مَنْ حَارَتْ فِي كِبْرِيَاءِ هَيْبَتِهِ دَقَائِقُ لَطَائِفِ الْأَوْهَامِ وَحَسَرَتْ دُونَ إِدْرَاكِ عَظَمَتِهِ خَطَائِفُ أَبْصَارِ الْأَنَامِ، يَا عَالِمَ خَطَرَاتِ قُلُوبِ الْعَالَمِينَ وَيَا شَاهِدَ لَحَظَاتِ أَبْصَارِ النَّاظِرِينَ، يَا مَنْ عَنَتِ الْوُجُوهُ لِهَيْبَتِهِ وَخَضَعَتِ الرِّقَابُ لِجَلَالَتِهِ، وَوَجِلَتِ الْقُلُوبُ مِنْ خِيفَتِهِ، وَارْتَعَدَتِ الْفَرَائِصُ مِنْ فَرَقِهِ، يَا بَدِيءُ، يَا بَدِيعُ، يَا قَوِيُّ يَا مَنِيعُ، يَا عَلِيُّ، يَا رَفِيعُ، صَلِّ عَلَى مَنْ شَرَّفْتَ الصَّلَاةَ بِالصَّلَاةِ عَلَيْهِ، وَانْتَقِمْ لِي مِمَّنْ ظَلَمَنِي، وَاسْتَخَفَّ بِي، وَطَرَدَ الشِّيعَةَ عَنْ بَابِي وَأَذِقْهُ مَرَارَةَ الذُّلِّ وَالْهَوَانِ كَمَا أَذَاقَنِيهَا، وَاجْعَلْهُ طَرِيدَ الْأَرْجَاسِ وَشَرِيدَ الْأَنْجَاسِ...»(١).

واستجاب الله دعاء الإمام عليه السلام فقد ثارت الغوغاء على المأمون حتى كادت أن تقضي عليه ولاقى من الرعب والهوان ما لا يوصف.

عدم محاباة الإمام عليه السلام للمأمون:

إنَّ الإمام عليه السلام في جميع خطواته وأعماله قد آثر رضى الله تعالى، فلم يحاب أحداً، ولم يصانع مخلوقاً، ولو صانع المأمون وتقرَّب إليه، وأرضى عواطفه لما قدم المأمون على اغتياله وقتله.

وكان من صراحة الإمام عليه السلام وعدم محاباته للمأمون أنَّ المأمون قال له:

«يا أبا الحسن إنِّي فكَّرت في شيء، فنتج لي الفكر الصواب فيه، فكَّرت في أمرنا وأمركم، ونسبنا ونسبكم، فوجدت الفضيلة فيه واحدة، ورأيت اختلاف شيعتنا في ذلك محمولاً على الهوى والعصبية...».

فقال له الإمام:

(١) عيون أخبار الرِّضا: ٢/ ١٧٢ ـ ١٧٣.

«إنَّ لهذا الكلام جواباً، إن شئت ذكرته لك، وإن شئت أمسكت...».

وسارع المأمون قائلاً:

«إنّي لم أقله إلاَّ لأعلم ما عندك منه...».

وانبرى يقيم له الحجَّة على أنَّ العلويين أحق بالنبي، وأقرب إليه من العباسيين قائلاً:

«أنشدك الله يا أمير المؤمنين، لو أنَّ الله تعالى بعث نبيه محمَّداً صلى الله عليه وآله فخرج علينا من وراء أكمة من هذه الآكام يخطب إليك ابنتك كنت مزوجه إيَّاها؟».

فقال المأمون:

«يا سبحان الله!! وهل أحد يرغب عن رسول الله صلى الله عليه وآله!».

وبادر الإمام الرِّضا قائلاً:

«افتراه كان يحل له أن يخطب إليَّ؟...».

وأفحم المأمون ولم يجد منفذاً يسلك فيه لتبرير قربهم من النبي صلى الله عليه وآله، فقد أقام الإمام حجَّة دامغة لا مجال لإنكارها والشك فهم أبناء بنته البضعة الطاهرة فاطمة الزَّهراء سلام الله عليها، وأبناؤها أبناؤه، وراح المأمون يقول:

«أنتم والله أمس برسول الله رحماً...»[1].

الإمام يرفض تعيين الولاة:

وعرض المأمون على الإمام الرِّضا عليه السلام تعيين من يشاء ويختار ليكون والياً على بعض الأقاليم الإسلامية، ورفض الإمام عليه السلام الاستجابة لهذا الطلب، وقال له:

«إنّي إنَّما دخلت فيما دخلت على أن لا آمر ولا أنهى، ولا أعزل ولا أشير حتى يقدمني الله قبلك، فوالله إنَّ الخلافة لشيء ما حدثت به نفسي، ولقد كنت بالمدينة أتردَّد في طرقها على دابتي، وأنَّ أهلها وغيرهم يسألوني الحوائج فأقضيها لهم، فيصيرون كالأعمام لي وإنَّ كتبي لنافذة في الأمصار، وما زدتني من نعمة هي عليَّ من ربِّي»[2].

الإمام يخبر بعدم دخوله بغداد:

وقال المأمون للإمام الرِّضا عليه السلام ندخل بغداد، وعرض عليه ما يفعله فيها،

---

(١) كنز الفوائد: ص١٦٦.

(٢) عيون أخبار الرِّضا: ٢/١٦٦ ـ ١٦٧.

فقال عليه السلام له: تدخل أنت بغداد، وسمع بعض الشيعة هذا الكلام ففزع لأنَّه يؤذن بعدم دخول الإمام إلى بغداد، واختلى بالإمام، وقال له: إنِّي سمعت شيئاً غمني، وذكر له ما قاله الإمام، فقال عليه السلام له:

«ما أنا وبغداد، لا أرى بغداد، ولا تراني...»[1].

الفضل بن سهل ووشايته بالإمام:

قام الفضل بن سهل بخطوات رهيبة معادية للإمام الرِّضا عليه السلام، والتي كان منها وشايته بالإمام إلى المأمون، فقد قال له:

«إنَّك جعلت ولاية العهد لأبي الحسن، وأخرجتها من بني أبيك، والعامة والعلماء والفقهاء وآل عباس لا يرضون بذلك وقلوبهم متنافرة عنك...».

وكان الفضل شديد المعارضة للإمام، فإذا ذهب الإمام إلى رأي عاكسه، ودعا المأمون إلى نقضه، وكان ذلك ما نقله الرواة أنَّ المأمون دخل على الإمام، وقرأ عليه كتاباً، فيه أنَّ بعض قواته فتحت بعض قرى (كابل)، فقال له الإمام:

«أوسرّك فتح قرية من قرى الشرك؟...».

وسارع المأمون قائلاً:

«أوليس في ذلك سرور؟...».

والتفت إليه فأرشده إلى موضع السرور الذي ينبغي أن يسلكه قائلاً:

«يا أمير المؤمنين اتق الله في أُمَّة محمد صلى الله عليه وآله، وما ولاك الله من هذا الأمر، وخصَّك به، فإنَّك قد ضيَّعت أمور المسلمين، وفوَّضت ذلك إلى غيرك يحكم فيهم بغير حكم الله، وقعدت في هذه البلاد ـ يعني (خراسان) ـ وتركت بين الهجرة، ومهبط الوحي، وإنَّ المهاجرين والأنصار يظلمون دونك، ولا يرقبون في مؤمن إلَّا ولا ذمة، ويأتي على المظلوم دهر يتعب فيه نفسه، ويعجز عن نفقته، ولا يجد من يشكو إليه حاله ولا يصل إليك.

فاتق الله يا أمير المؤمنين في أمور المسلمين، وارجع إلى بيت النبوة ومعدن المهاجرين والأنصار، أما علمت أنَّ والي المسلمين مثل العمود في وسط الفسطاط، من أراده أخذه؟...».

وحكت هذه الكلمات الصراحة والنصيحة الخالصة، وليس فيها أي محاباة للمأمون ولا مجاراة لعواطفه وميوله، والتفت إلى الإمام فقال له:

---

(١) عيون أخبار الرِّضا: ٢/ ٢٢٤ ـ ٢٢٥.

«يا سيِّدي فما ترى؟...».

وأشار الإمام عليه بالحق الذي فيه نجاته قائلاً:

«أرى أن تخرج من هذه البلاد، وتتحول إلى موضع آبائك وأجدادك وتنظر في أمور المسلمين، ولا تكلهم إلى غيرك، فإنَّ الله تعالى سائلك عمَّا ولاك...».

واستجاب المأمون لرأي الإمام وقال له:

«نعم ما قلت يا سيِّدي، هذا هو الرأي...».

وأمر أن تقدم النوائب[1] للخروج إلى (يثرب)، وبلغ ذلك الفضل فغمَّه الأمر، وسارع نحو المأمون فقال له:

«ما هذا الرأي الذي أمرت به؟...».

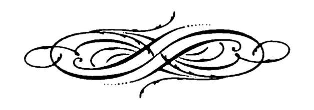
وعرض المأمون بما أشار عليه الإمام عليه السلام، من اتخاذ المدينة المنورة عاصمة للملك، وانبرى الفضل يفند هذه الفكرة، ويشير عليه بعكس ما أشار عليه الإمام قائلاً:

«يا أمير المؤمنين ما هذا الصواب، قتلت بالأمس أخاك، وأزلت الخلافة عنه، وبنو أبيك معادون لك، وجميع أهل العراق، وأهل بيتك والعرب، ثم أحدثت هذا الحدث الثاني، إنَّك وليت ولاية العهد لأبي الحسن، وأخرجتها من بني أبيك، والعامة والفقهاء والعلماء وآل العباس لا يرضون بذلك وقلوبهم متنافرة عنك. فالرأي أن تقيم بخراسان حتى تسكن قلوب الناس على هذا، ويتناسون ما كان من أمر محمد أخيك، وهاهنا مشايخ قد خدموا الرشيد، وعرفوا الأمر فاستشرهم في ذلك، فإن أشاروا بذلك فامضه».

فقال المأمون: «من هم؟...».

فقال الفضل: «مثل علي بن أبي عمران وأبي يونس، والجلودي ـ وهؤلاء الذين نقموا بيعة أبي الحسن، ولم يرضوا بها...».

وأخيراً استجاب المأمون لرأي الفضل، وأعرض عمَّا أشار عليه الإمام من اتخاذ (يثرب) عاصمة للملك[2].



(١) النوائب: هي الجيوش والعساكر المعدة للنوائب.
(٢) عيون أخبار الرِّضا: ٢/ ١٦٠.

نهاية المطاف

ولم يمض قليل من الوقت على تقلد الإمام الرِّضا عليه السلام لولاية العهد حتى تنكر له المأمون كأشد ما يكون التنكر، وأضمر له السوء والغدر، وأخذ يبغي له الغوائل، ويكيده في غلس اللَّيل، وفي وضح النهار.

الخلاص من الإمام الرضا عليه السلام

حمام سرخس:

ورأى المأمون أن يتخلص من الإمام الرِّضا عليه السلام، ومن الفضل بن سهل دفعة واحدة حتى تخلص له الأسرة العباسية فأوعز إلى عصابة مجرمة من عملائه القيام باغتيال الإمام والفضل في حمام (سرخس)، وطلب منهما الدخول في الحمام في وقت واحد، ويكون هو معهما، وذلك لتغطية الأمر، وعدم انكشافه لأي أحد، وكان الإمام عليه السلام يقظاً حساساً فلم تخف عليه هذه المكيدة فرفض إجابته، فكتب المأمون إليه ثانياً يلتمسه، ويترجاه فأجابه الإمام:

«لست بداخل غداً الحمام، فإنِّي رأيت رسول الله ﷺ في المنام في هذه الليلة يقول لي: يا علي لا تدخل الحمام غداً، فلا أرى لك يا أمير المؤمنين، ولا للفضل أن تدخلا الحمام غداً...».

فأجابه المأمون: «صدقت يا سيِّدي، وصدق رسول الله ﷺ لست بداخل الحمام غداً، والفضل فهو أعلم وما يفعله...».

وتتضح مكيدة المأمون بالنسبة إلى الفضل فقد خلاه وشأنه ليلاقي مصرعه على أيدي عصابته.

مصرع الفضل:

وبادر الفضل إلى الحمام، فحينما دخل فيه تناهبت جسمه سيوف العصابة فخر على

الأرض صريعاً يتخبط بدمه، وما هي إلاَّ لحظات وإذا به جثة هامدة لا حراك فيها، وبذلك فقد حقَّق المأمون شطراً من مهمته.

وحينما قتل الفضل سارع أصحابه نحو المأمون ليأخذوا الثأر منه، فقد علموا أنَّه هو الذي أوعز بقتله، وبادر حراس قصر المأمون إلى غلق أبوابه خوفاً من هجوم الثوار على المأمون إلاَّ أنَّ الثوار حملوا أقبسة من النار لحرق أبواب القصر، ولما علم المأمون بذلك فزع، والتجأ إلى الإمام الرِّضا عليه السلام فاحتمى به، وخرج الإمام عليه السلام إلى الثوار، وأمرهم بالانصراف فاستجابوا له، ونجا المأمون ببركة الإمام عليه السلام[1].

اغتيال الإمام:

وقام المأمون باغتيال إمام المسلمين، سبط الرسول صلى الله عليه وآله الإمام الرِّضا عليه السلام، فدسَّ له سمّاً قاتلاً في العنب، أو الرمان، كما سنذكره.

إلى جنَّة المأوى:

وامتحن الإمام امتحاناً عسيراً في تقلده لولاية العهد، فقد ضيَّق عليه المأمون غاية التضييق، ففرض عليه الرقابة الشديدة، وأحاطه بقوى مكثفة من الأمن، وقد سئم الإمام من الحياة، وراح يدعو الله تعالى أن ينقله من دار الدُّنيا إلى دار الخلود قائلاً: «اللَّهم إن كان فرجي ممَّا أنا فيه بالموت فعجِّل لي الساعة...».

واستجاب الله دعاء وليه العظيم فنقله من دار الدُّنيا المحفوفة بالمكاره والآلام إلى دار الحق، ونعرض إلى كيفية وفاته، فقد دعا الإمام عليه السلام في غلس اللَّيل البهيم هرثمة بن أعين، فلما مثل عنده قال له:

«يا هرثمة هذا آوان رحيلي إلى الله تعالى، ولحوقي بجدي وآبائي عليهم السلام، وقد بلغ الكتاب أجله، وقد عزم هذا الطاغي - يعني المأمون - على سمِّي في عنب ورمان مفروك، فأمَّا العنب فإنَّه يغمس السلك في السم ويجذبه بالخيط بالعنب، وأما الرمان فإنَّه يطرح السم في كف بعض غلمانه، ويفرك الرمان بيده ليتلطخ حبه في ذلك السم، ، وإنَّه سيدعوني في اليوم المقبل، ويقرب إليَّ الرمان والعنب، ويسألني أكلها، فآكلها ثم ينفذ الحكم، ويحضر القضاء.

فإذا أنا مت فسيقول: أنا أغسله بيدي فإذا قال: ذلك، فقل له عنِّي: بينك وبينه،

(١) عيون أخبار الرِّضا: ٢/ ١٦٤.

أنَّه قال لي: لا تتعرض لغسلي، ولا لتكفيني ولا لدفني، فإنَّك إن فعلت ذلك عاجلك من العذاب ما أخر عنك، وحل بك أليم ما تحذر فإنَّه سينتهي».

وأضاف الإمام قائلاً: «فإذا خلى بينك وبين غسلي حتى ترى، فيجلس في علو من ابنيته مشرفاً على موضع غسلي لينظر، فلا تتعرض يا هرثمة لشيء من غسلي حتى ترى فسطاطاً أبيض قد ضرب في جانب الدار، فإذا رأيت ذلك فاحملني في أثوابي التي أنا فيها، وضعني من وراء الفسطاط، وقف وراؤه، ويكون من معك دونك ولا تكشف عنِّي الفسطاط حتى تراني فتهلك.

وإنَّه ـ أي المأمون ـ سيشرف عليك، ويقول لك: يا هرثمة أليس زعمتم أنَّ الإمام لا يغسله إلاَّ إمام مثله، فمن يغسل أبا الحسن علي بن موسى، وابنه محمد بالمدينة من بلاد الحجاز ونحن بـ(طوس)؟

فإذا قال ذلك: فقل له: إنَّا نقول: إنَّ الإمام لا يجب أن يغسله إلاَّ إمام مثله، فإن تعدى متعد فغسل الإمام لم تبطل إمامة الإمام لتعدي غاسله، ولا بطلت إمامة الإمام الذي بعده، بأن غلب على غسل أبيه، ولو ترك أبو الحسن علي بن موسى الرِّضا عليه السلام بالمدينة لغسله ابنه محمد ظاهراً مكشوفاً، ولا يغسله الآن أيضاً إلاَّ هو من حيث يخفى، فإذا ارتفع الفسطاط فسوف تراني مدرجاً في أكفاني، فضعني على نعشي، واحملني، فإذا أراد أن يحفر قبري، فإنَّه سيجعل قبر أبيه هارون الرشيد قبلة لقبري، ولا يكون ذلك أبداً، فإذا ضربت المعاول ينب عن الأرض[1] ولم يحفر لهم منها شيء، ولا مثل قلامة ظفر، فإذا اجتهدوا في ذلك وصعب عليهم، فقل لهم عنِّي؛ إنِّي أمرتك أن تضرب معولاً واحداً في قبلة قبر أبيه هارون الرشيد، فإذا ضربت تقذفه في الأرض إلى قبر محفور، وضريح قائم، فإذا انفرج القبر فلا تنزلني حتى يفور من ضريحه الماء الأبيض فيمتلىء منه ذلك القبر... فإذا غار الماء فأنزلني في ذلك القبر وألحدني في ذلك الضريح»[2].

وأمر الإمام عليه السلام هرثمة بحفظ ما قاله، فأجابه هرثمة إلى ما أراد، وفي اليوم الثاني بعث المأمون خلف الإمام، فلما حضر عنده قام إليه فعانقه وقبَّل ما بين عينيه وأجلسه إلى جانبه، وأقبل عليه يحادثه، وأمر بعض غلمانه أن يأتيه بعنب ورمان، قال هرثمة: فلم أستطع الصبر وأصابتني رعدة.

---

(١) ينب عن الأرض أي يمتنع ولا يؤثر فيها.
(٢) عيون أخبار الرِّضا: ٢/٢٤٧.

وناول المأمون الإمام العنقود من العنب، وقال له: «يابن رسول الله ما رأيت عنباً أحسن من هذا؟...».

«فردَّ عليه الإمام: «ربَّما كان عنباً حسناً منه في الجنَّة...».

وطلب من الإمام أن يتناول منه شيئاً فامتنع عليه السلام منه، فصاح المأمون: «لعلَّك تتهمنا بشيء؟...».

وتناول المأمون ثلاث حبات، ثم رمى به، وقام، فقال له المأمون: «إلى أين؟...».

فنظر إليه الإمام، وقال له بنبرات خافتة: «إلى حيث وجهتني...»[١].

وسارع الإمام إلى الدار، وقد تفاعل السم في جميع أجزاء بدنه، وقد أيقن بنزول الرزء القاصم، وبعث إليه المأمون يطلب منه وصيته ونصيحة له، فقال عليه السلام لرسوله:

«قل له: يوصيك أن لا تعطي أحداً ما تندم عليه...»[٢].

يقول الرواة: إنَّه لما ثقل حاله امتنع أهل بيته وأصحابه من الأكل والشرب، فالتفت عليه السلام إلى ياسر وقال له: «هل أكل الناس شيئاً؟...».

فردَّ عليه بصوت خافت حزين النبرات قائلاً: «من يأكل مع ما أنت فيه».

فانتصب عليه السلام ثم قال: هاتوا المائدة، ولم يدع أحداً من حشمه إلاَّ أجلسه على المائدة، وجعل يتفقد واحداً بعد واحد، ولما فرغوا من تناول الطعام، أمر بحمله إلى النساء، ولما فرغوا من الأكل أغمي عليه[٣].

وفي غلس اللَّيل البهيم كان الإمام يتلو آيات من الذِّكر الحكيم، وكان آخر آية قرأها قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾[٤]، ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾[٥] ثم فاضت نفسه الزكية إلى بارئها[٦] تحفُّها ملائكة الرَّحمٰن، وتستقبلها في رياض الخلد أرواح الأنبياء والأوصياء.

---

(١) عيون أخبار الرِّضا: ٢/٢٤٣.
(٢) عيون التواريخ: ٣/٢٢٧.
(٣) عيون أخبار الرِّضا: ٢/٢٤١.
(٤) سورة آل عمران: الآية ١٥٤.
(٥) سورة الأحزاب: الآية ٣٨.
(٦) عيون أخبار الرِّضا: ٢/٢٤١.

رياء المأمون:

وأظهر المأمون الحزن، والجزع الكاذب، على وفاة الإمام فقد خرج حافياً، حاسراً، يضرب على رأسه، ويقبض على لحيته، ويبكي، وقد رفع عقيرته ليسمعه الناس قائلاً:

«ما أدري أي المصيبتين أعظم عليَّ، فقدي لك، وفراقي إيَّاك، أو تهمة الناس لي أنِّي اغتلتك وقتلتك...»[1].

تشييع جثمان الإمام:

وشيع جثمان الإمام تشييعاً حافلاً لم تشاهد مثله (خراسان) في جميع أدوار تأريخها، فقد أغلقت الدوائر الرسمية، والمحلات التجارية، وهرع الناس بجميع طبقاتهم إلى تشييع الجثمان المقدَّس.

في مقره الأخير:

وجيء بالجثمان المقدَّس تحت هالة من التكبير والتعظيم إلى مقره الأخير، فحفر له قبر بالقرب من قبر هارون قاتل أبي الإمام فواراه المأمون فيه، وقد وارى معه كل ما تسمو به الإنسانية من الصفات الرفيعة، والنزعات الكريمة.

المأمون مع هرثمة:

ودعا المأمون هرثمة بن أعين، وطلب منه أن يحدثه بما سمع من الإمام وما قاله له في سمّه بالعنب والرمان، وجعل هرثمة يحدِّثه بذلك والمأمون يصفر وجهه مرة، ويحمر أخرى وهو يقول بنبرات تقطر أسى وحسرات على ما اقترفه في حق الإمام قائلاً؛

«ويل للمأمون من الله، وبل له من رسول الله ﷺ ويل له من علي بن أبي طالب، ويل للمأمون من فاطمة الزَّهراء، ويل للمأمون من الحسن والحسين، ويل للمأمون من علي بن الحسين، ويل للمأمون من محمد بن علي، ويل للمأمون من جعفر بن محمد، ويل له من موسى بن جعفر، ويل للمأمون من علي بن موسى الرِّضا... هذا والله الخسران المبين!»

وأمر المأمون هرثمة بكتمان قول الإمام معه، وعدم إذاعته، وتلا قول الله تعالى:

---

(١) عيون أخبار الرِّضا: ٢/٢٤١.

﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾[1].

عمر الإمام:

أما عمر الإمام عليه السلام الحافل بالمكرمات والفضائل فقد اختلف المؤرخون في مدته، وهذه بعض الأقوال:

١ ـ ٤٧ سنة[2].

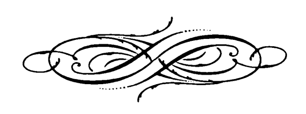
٢ ـ ٤٨ سنة[3].

٣ ـ ٤٩ سنة[4].

٤ ـ ٥٠ سنة[5].

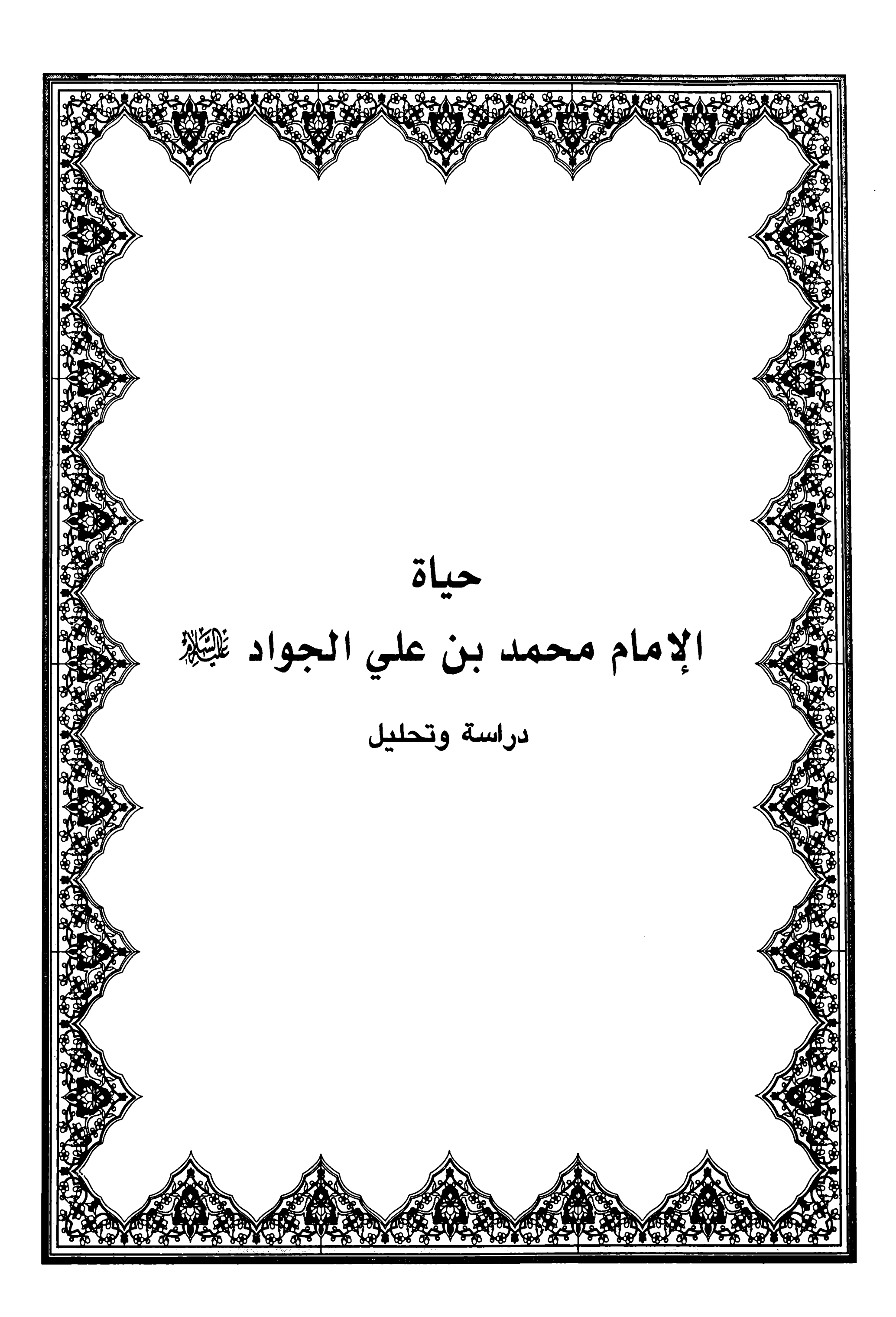
٥ ـ ٥١ سنة[6].

٦ ـ ٥٥ سنة[7].



---

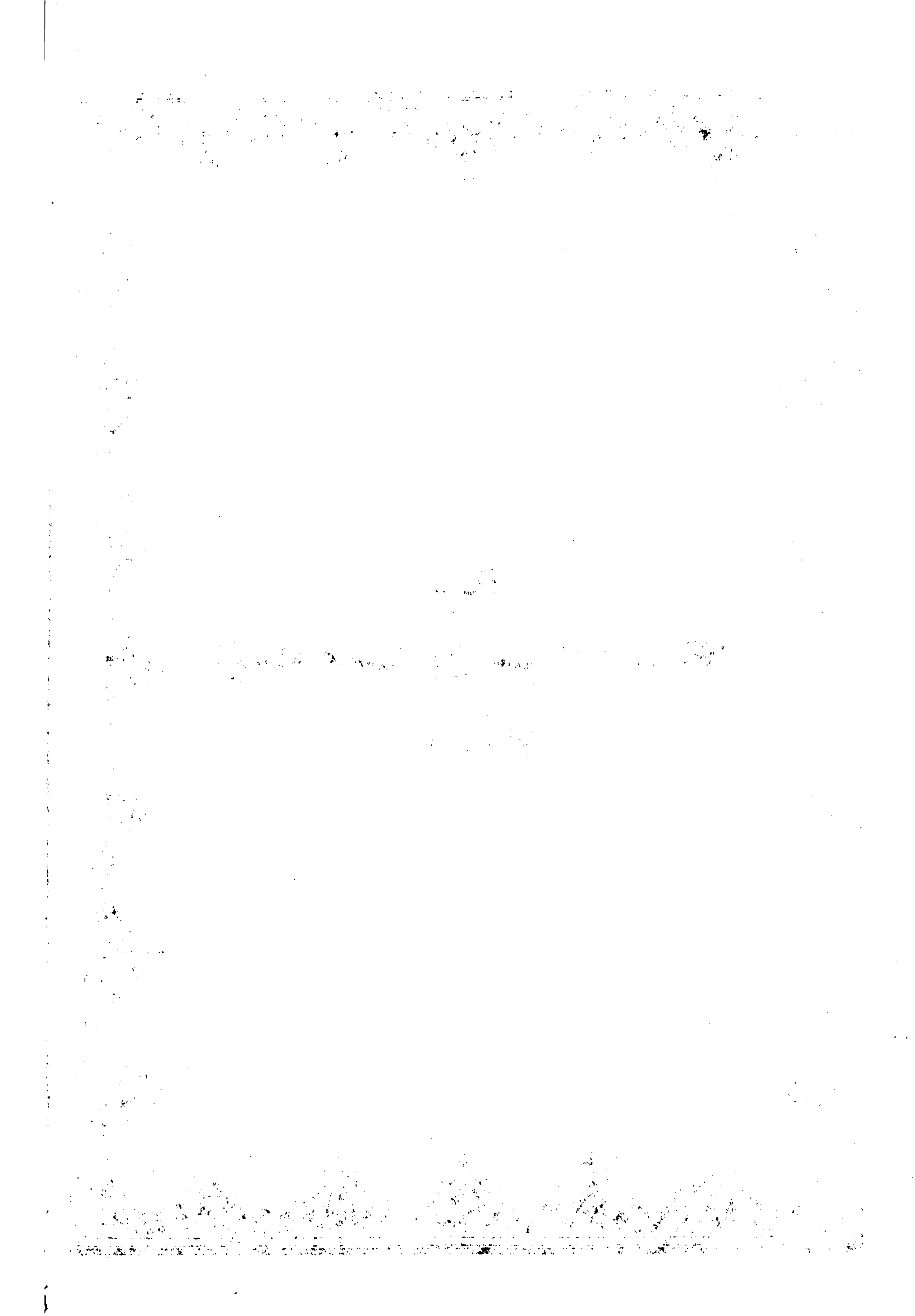
(١) عيون أخبار الرِّضا: ٢/ ٢٤٩.
(٢) أعيان الشيعة: ٤/ ق٢/ ٧٨.
(٣) أعيان الشيعة: ٤/ ق٢/ ٧٨.
(٤) عيون التواريخ: ٣/ ورقة ٢٢٦.
(٥) أعيان الشيعة: ٤/ ق٢/ ٧٨.
(٦) أعيان الشيعة: ٤/ ق٢/ ٧٨.
(٧) أُصول الكافي: ١/ ٤٨٦.



حياة

الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام

دراسة وتحليل



ولادته ونشأته

الأب:

أمَّا أبوه فهو الإمام علي الرِّضا ابن الإمام موسى بن جعفر ابن الإمام محمَّد الباقر بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام.

الأُمّ:

أمَّا اسم أُمّ الإمام الجواد عليه السلام فقد اختلف الرواة فيه، وهذه بعض الأقوال:

١ ـ اسمها الخيزران، سمَّاها به الإمام الرِّضا عليه السلام، وكانت تُسمَّى درَّة[١].

٢ ـ اسمها سكينة النوبية. وقيل المريسية[٢].

وقيل: إنَّها ممَّن تنتمي إلى مارية القبطية زوجة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله[٣].

٣ ـ اسمها ريحانة[٤].

٤ ـ اسمها سبيكة[٥].

وأهملت بعض المصادر اسمها، واكتفت بالقول إنَّها أُمّ ولد[٦].

الوليد العظيم:

وأحاط الإمام الرِّضا عليه السلام السيِّدة الكريمة جاريته بكثير من الرعاية والتكريم، فقد استشفَّ من وراء الغيب أنَّها ستلد له ولداً قد اختاره الله للإمامة وللنيابة العامَّة عن النبيّ

---

(١) بحر الأنساب: ٢/١٩، من مصوَّرات مكتبة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

(٢) الفصول المهمَّة: ص٢٥٢.

(٣) المقنعة: ص٤٨٢.

(٤) دلائل الإمامة: ص٢٠٩.

(٥) الإرشاد: ص٣٥٦.

(٦) عمدة الطالب: ص١٨٨.

الأعظم ﷺ، فهو أحد أوصيائه الاثني عشر، وقد أخبر الإمام الرِّضا ﷺ بذلك أعلام أصحابه.

وعهد الإمام الرِّضا عليه السلام إلى شقيقته السيِّدة الجليلة حكيمة بنت الإمام موسى بن جعفر عليه السلام بأن تقوم برعاية جاريته، وتلازمها حتَّى تلد[١].

وقامت السيِّدة حكيمة بما طلب منها الإمام الرِّضا عليه السلام، ولمَّا شعرت الجارية بالولادة أمر عليه السلام شقيقته بأن تحضر مع القابلة لولادتها، وقام عليه السلام فوضع مصباحاً في البيت[٢] وظلَّ عليه السلام يرقب الوليد العظيم.. ولم تمض إلاَّ لحظات حتَّى ولدت جاريته عَلماً من أعلام الفكر والجهاد في الإسلام.

سرور الإمام الرِّضا عليه السلام:

وغمرت الإمام الرِّضا عليه السلام موجات من الأفراح والسرور بوليده المبارك، وطفق يقول: **«قَدْ وُلِدَ لِي شَبيهُ مُوسَى بْنِ عِمْرانَ فالِقِ الْبِحارِ، وَشَبيهُ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ، قُدِّسَتْ أُمٌّ وَلَدَتْهُ»**[٣].

والتفت عليه السلام إلى أصحابه فبشَّرهم بمولوده قائلاً: **«إنَّ اللّهَ قَدْ وهَبَ لي مَنْ يَرِثُني، وَيَرِثُ آلَ دَاوُدَ»**[٤].

مراسيم الولادة:

وأسرع الإمام الرِّضا عليه السلام إلى وليده المبارك فأخذه وأجرى عليه مراسيم الولادة الشرعيَّة، فأذَّن في أُذنه اليمنى، وأقام في اليسرى، ثمَّ وضعه في المهد[٥].

كنتيه عليه السلام:

وكنَّى الإمام الرِّضا عليه السلام ولده الإمام محمَّد الجواد بأبي جعفر.

ألقابه عليه السلام:

أمَّا ألقابه الكريمة فهي تدلُّ على معالم شخصيَّته العظيمة، وسموّ ذاته، وهي:

---

(١) دلائل الإمامة: ص٢٠٩.

(٢) مختصر البحار في أحوال الأئمَّة: مخطوطات مكتبة كاشف الغطاء.

(٣) بحار الأنوار: ٥٠/١٥.

(٤) بحار الأنوار: ٥٠/١٨.

(٥) مختصر البحار في أحوال الأئمَّة (مخطوط).

١ ـ **الجواد**: لُقِّب بذلك لكثرة ما أسداه من الخير والبرّ والإحسان إلى الناس.

٢ ـ **التقيّ**: لُقِّب بذلك لأنَّه اتَّقى الله وأناب إليه، واعتصم به، فلم يستجب لأي داع من دواعي الهوى، فقد امتحنه المأمون بشتَّى ألوان المغريات فلم ينخدع، فأناب إلى الله وآثر طاعته على كلّ شيء.

٣ ـ **القانع**(١).

٤ ـ **الرضي**(٢).

٥ ـ **المختار**(٣).

٦ ـ **المتوكّل**(٤).

٧ ـ **المرتضى**(٥).

٨ ـ **الزكيّ**(٦).

٩ ـ **باب المراد**: وقد عُرِف بهذا اللقب عند عامَّة المسلمين التي آمنت بأنَّه باب من أبواب الرحمة الإلهيَّة التي يلجأ إليها الملهوفون وذوو الحاجة لدفع ما ألمَّ بهم من مكاره الدهر وفجائع الأيَّام.

ملامحه عليه السلام:

قد وصفته بعض المصادر بأنَّه: **«كان أبيضاً، معتدل القامة»**(٧).

سنة ولادته عليه السلام:

والمشهور بين المؤرّخين أنَّ ولادة الإمام أبي جعفر الجواد عليه السلام كانت في ١٩ من شهر رمضان سنة ١٩٥هـ(٨).

وقيل: إنَّ ولادته كانت في الخامس من رمضان سنة ١٧٥هـ، وهو اشتباه محض

---

(١) مناقب آل أبي طالب: ٣/ ٤٨٦.
(٢) مناقب آل أبي طالب: ٣/ ٤٨٦.
(٣) مناقب آل أبي طالب: ٣/ ٤٨٦.
(٤) مناقب آل أبي طالب: ٣/ ٤٨٦.
(٥) النُّجوم الزاهرة: ٢/ ٢٣١.
(٦) دلائل الإمامة: ص٢٠٩.
(٧) نور الأبصار: ص١٤٦.
(٨) مصباح الفقاهة: ١/ ٣٨٤. النُّجوم الزاهرة: ٢/ ٢٣١.

فإنَّه من المقطوع به أنَّه لم يولد في تلك السنة، وإنَّما ولد في سنة ١٩٥هـ حسبما أجمع عليه الرواة والمؤرّخون.

نقش خاتمه عليه السلام:

أمَّا نقش خاتمه فيدلُّ على مدى انقطاعه إلى الله، فقد كتب عليه **«العزَّة للَّه»**[١].

نشأته عليه السلام:

وقد روى يحيى الصنعاني، قال: «دخلت على أبي الحسن الرِّضا عليه السلام وهو بمكَّة، وكان يقشِّر موزاً ويطعم أبا جعفر، فقلت له: جعلت فداك، هذا المولود المبارك؟

قال عليه السلام: **«نَعَمْ يا يَحْيىٰ هَذا الْمَوْلودُ الَّذي لَمْ يُولَدْ في الإِسْلامِ مَوْلودٌ أَعْظَمُ بَرَكَةً عَلىٰ شيعَتِنا مِنْهُ»**[٢].

ذكاؤه وعبقريته عليه السلام:

وملك الإمام محمَّد الجواد عليه السلام في سنِّه المبكّر من الذكاء والعبقريَّة ما يثير الدهشة ويملك النفس إكباراً وإعجاباً، وقد ذكر المؤرّخون بوادر كثيرة من ذكائه كان من بينها ما يلي:

١ ـ ما رواه أُميَّة بن عليّ، قال: «كنت مع أبي الحسن الرِّضا بمكَّة في السنة التي حجَّ فيها مودِّعاً البيت الحرام عندما أراد السفر إلى خراسان، وكان معه ولده أبو جعفر الجواد، فودَّع أبو الحسن البيت، وعدل إلى المقام فصلَّى عنده، وكان أبو جعفر قد حمله أحد غلمان الإمام يطوف به، وحينما انتهى إلى حجر إبراهيم جلس فيه وأطال الجلوس، فانبرى إليه موفَّق الخادم، وطلب منه القيام معه فأبى عليه، وهو حزين، قد بان عليه الجزع، فأسرع موفق إلى الإمام الرِّضا عليه السلام وأخبره بشأن ولده، فأسرع إليه، وطلب منه القيام فأجابه بنبرات مشفوعة بالبكاء والحسرات قائلاً: **كَيْفَ أَقومُ؟ وَقَدْ وَدَّعْتَ يا أَبَتي الْبَيْتَ وَداعاً لاَ رُجوعَ بَعْدَهُ**.

وسرت موجة من الألم في نفس الإمام الرِّضا عليه السلام فالتمس منه القيام معه فأجابه إلى ذلك»[٣].

---

(١) دلائل الإمامة: ص٢٠٩.
(٢) الكافي: ٦/ ٣٦٠.
(٣) كشف الغمَّة: ٣/ ١٥٢.

٢ ـ ومن بوادر ذكائه ما حدَّث به المؤرّخون: «أنَّ المأمون قد اجتاز في موكبه الرسمي في بعض شوارع بغداد على صبيان يلعبون، وكان الإمام الجواد واقفاً معهم، فلمَّا بصروا بموكب المأمون فرّوا خوفاً منه سوى الإمام الجواد فإنَّه بقي واقفاً فبهر منه المأمون، وكان لا يعرفه، فقال له: هلاَّ فررت مع الصبيان؟

فأجابه الإمام بمنطقه الرائع الذي ملك به عواطف المأمون قائلاً:

يا أميرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَمْ يَكُنْ بِالطَّرِيقِ ضِيقٌ فأُوَسِّعَهُ لَكَ، وَلَيْسَ لِي جُرْمٌ فَأَخْشاكَ، وَالظَّنُّ بِكَ حَسَنٌ أَنَّكَ لاَ تَضُرُّ مَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ.

وعجب منه المأمون وسأله عن نسبه فأخبره به فترحَّم على أبيه(١).

٣ ـ ومن آيات نبوغه المذهل أنَّه في سنِّه المبكّر قد سأله العلماء والفقهاء عن ثلاثين ألف مسألة فأجاب عنها، ولا مجال لتعليل هذه الظاهرة إلاَّ بالقول إنَّ الله تعالى قد منح أئمَّة أهل البيت عليهم السلام طاقات مشرقة من العلم لم يمنحها إلاَّ إلى أُولي العزم من أنبيائه ورسله.

إشادة الإمام الرِّضا عليه السلام بالجواد عليه السلام:

وكان الإمام الرِّضا عليه السلام يشيد دوماً بولده الإمام الجواد، ويدلِّل على فضله ومواهبه، وقد بعث الفضل بن سهل إلى محمَّد بن أبي عباد كاتب الإمام الرِّضا عليه السلام يسأله عن مدى علاقة الإمام الرِّضا عليه السلام بولده الجواد عليه السلام.

فأجابه: «ما كان الرِّضا يذكر محمَّداً إلاَّ بكنيته، يقول: **كَتَبَ لي أبو جَعْفَرٍ، وَكُنْتُ أَكْتُبُ إِلَىٰ أبي جَعْفَرٍ** عليه السلام، وكان آنذاك بالمدينة، وهو صبيّ، وكانت كتب أبي جعفر ترد إلى أبيه وهي في منتهى البلاغة والفصاحة»(٢).

وحدَّث الرواة عن مدى تعظيم الإمام الرِّضا عليه السلام لولده الجواد عليه السلام، فقالوا: «إنَّ عباد بن إسماعيل وابن أسباط كانا عند الإمام الرِّضا بمنى إذ جيء بأبي جعفر فقالا له: هذا المولود المبارك؟

فاستبشر الإمام وقال: «نعم هذا المولود الذي لم يلد في الإسلام أعظم بركةً منه».

---

(١) أخبار الدول: ص١١٥.
(٢) بحار الأنوار: ٥٠/٣٦.

إكبار وتعظيم:

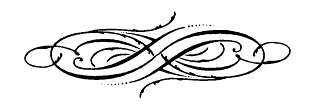
قد ذكر الرواة أنَّ عليّ بن جعفر الفقيه الكبير، وشقيق الإمام موسى بن جعفر، وأحد أعلام الأُسرة العلوية في عصره، كان ممَّن يقدِّس الإمام الجواد عليه السلام ويعترف له بالفضل والإمامة، فقد روى محمَّد بن الحسن بن عمارة، قال: «كنت عند عليّ بن جعفر بن محمَّد جالساً بالمدينة، وكنت أقمت عنده سنتين أكتب عنه ما سمع من أخيه ـ يعني الإمام أبا الحسن موسى ـ إذ دخل أبو جعفر محمَّد بن عليّ الرِّضا عليهما السلام مسجد رسول الله ﷺ فوثب عليّ بن جعفر بلا حذاء ولا رداء، فقبَّل يده وعظَّمه، والتفت إليه الإمام الجواد قائلاً: **اجْلِسْ رَحِمَكَ اللَّهُ**.

فقال له أبو جعفر عليه السلام: **يا عَمِّ، اجْلِسْ رَحِمَكَ اللَّهُ**.

وانحنى عليّ بن جعفر بكلّ خضوع قائلاً: يا سيِّدي، كيف أجلس وأنت قائم؟

وانصرف الإمام الجواد عليه السلام ورجع عليّ بن جعفر إلى أصحابه فأقبلوا عليه يوبِّخونه على تعظيمه للإمام مع حداثة سنِّه قائلين له: أنت عمّ أبيه، وأنت تفعل به هذا الفعل؟

فأجابهم عليّ بن جعفر جواب المؤمن بربِّه ودينه، والعارف بمنزلة الإمامة قائلاً: اسكتوا إذا كان الله عزَّ وجلَّ ـ وقبض على لحيته ـ لم يؤهل هذه الشيبة ـ يعني الإمامة ـ وأهَّل هذا الفتى، ووضعه حيث وضعه، نعوذ بالله ممَّا تقولون بل أنا له عبد»[١].



(١) بحار الأنوار: ٥٠/٣.

في ظلال أبيه عليه السلام

عاش الإمام محمَّد الجواد في ظلال أبيه فترة قصيرة من الزمن لا تتجاوز السبع سنين، وكان بهذا السن يملك من الذكاء والعبقريات ما يثير الدهشة.

ولا بدَّ لنا من وقفة قصيرة للحديث عن بعض شؤون الإمام الجواد عليه السلام مع أبيه الإمام الرِّضا عليه السلام.

قيامه عليه السلام بشؤون أبيه عليه السلام:

وبالرغم من حداثة سنّ الإمام الجواد عليه السلام فقد كان هو القائم بشؤون أبيه ورعاية أُموره خصوصاً ما كان منها بالمدينة[1].

ويقول المؤرّخون: إنَّه كان يأمر الموالي، وينهاهم، ولا يخالفه أحد في ذلك وكان الإمام الرِّضا عليه السلام مسروراً بقيام ابنه بمهامه وشؤونه.

رسالة الإمام الرِّضا عليه السلام:

وحينما كان الرِّضا عليه السلام في خراسان بعث إلى الإمام الجواد عليه السلام برسالة جاء فيها:

«يا أبا جَعْفَر، بَلَغَني أنَّ الْمَوالِيَ إذا رَكِبْتَ أخْرَجوكَ مِنْ الْبابِ الصَّغيرِ، فَإنَّما ذلِكَ مِنْ بُخْلٍ بِهِمْ لِئلاَّ يَنالَ مِنْكَ أحَدٌ خَيْراً، فَأسْألُكَ بِحَقِّي عَلَيْكَ، لاَ يَكُنْ مَدْخَلُكَ وَمَخْرَجُكَ إلاَّ مِنَ الْبَابِ الْكَبيرِ، وإذا رَكِبْتَ فَاصْحَبْ مَعَكَ ذَهَبٌ وَفِضَّةٌ ثُمَّ لاَ يَسْألُكَ أحَدٌ إلاَّ أعْطَيْتَهُ.

وَمَنْ سَألَكَ مِنْ عُمومَتِكَ أنْ تَبِرَّهُ فَلا تُعْطِهِ أقَلَّ مِنْ خَمْسينَ دِيناراً، وَالْكَثيرُ إلَيْكَ. وَمَنْ سَألَكَ مِنْ عَمَّاتِكَ فَلا تُعْطِها أقَلَّ مِنْ خَمْسَةٍ وَعِشْرينَ دِيناراً، وَالْكَثيرُ إلَيْكَ. إنِّي إنَّما أُريدُ أنْ يَرْفَعَكَ اللَّهُ، فَأنْفِقْ، وَلاَ تَخْشَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ إقْتاراً»[2].

---

(١) ضياء العالمين: ج٢، من مخطوطات مكتبة الحسينية الشوشترية.

(٢) الكافي: ٤/٤٣، عيون أخبار الرِّضا عليه السلام: ٢/٨.

نصّه عليه السلام على إمامة الجواد عليه السلام:

ونصَّ الإمام الرِّضا عليه السلام على إمامة ولده الجواد، ونصبه خليفة من بعده ومرجعاً عامّاً للمسلمين ليرجعوا إليه في شؤونهم الدينية.

روى محمَّد المحمودي عن أبيه، قال: «كنت واقفاً على رأس الإمام الرِّضا عليه السلام بطوس فقال له بعض أصحابه: إنْ حدث حدث فإلى من؟ وإنَّما سأله عن الإمام من بعده حتى يدين بطاعته والولاء له.

فقال عليه السلام له: **إلىٰ ابْني أبي جَعْفَرٍ.**

وكان الإمام أبو جعفر عليه السلام في مرحلة الطفولة، فقال له: إنِّي أستصغر سنّه!!

فردَّ عليه الإمام هذه الشُّبهة قائلاً: **إنَّ اللَّهَ بَعَثَ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ قَائِماً في دونِ السِّنِّ، الَّتي يَقومُ فِيها أبو جَعْفَرٍ**»[1].

ممَّن روى النصّ على إمامة الجواد عليه السلام صفوان بن يحيى، قال: «قلت للرِّضا عليه السلام: قد كنَّا نسألك قبل أن يهب الله لك أبا جعفر عليه السلام فكنت تقول: **يَهَبُ اللَّهُ لي غُلاماً، فَقَدْ وَهَبَهُ اللَّهُ لَكَ فَأقَرَّ عُيونَنا، فَلا أرانا اللَّهُ يَوْمَكَ، فَإنْ كَانَ كَوْنٌ فَإلَى مَنْ؟**

فأشار بيده إلى أبي جعفر عليه السلام وهو قائم بين يديه، فقلت: جعلت فداك، هذا ابن ثلاث سنين؟!

قال: **وَما يَضُرُّهُ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ، فَقَدْ قَامَ عِيسىٰ عليه السلام بِالْحُجَّةِ وَهُوَ ابْنُ ثَلاثِ سِنينَ**»[2].

حيرة الشيعة:

وتحيَّرت الشيعة أشدّ ما تكون الحيرة في شؤون الإمامة بعد وفاة الإمام الرِّضا عليه السلام، فقد كان سنّ الإمام الجواد سبع سنين وأشهر ممَّا أدّىٰ إلى اضطراب بعضهم ووقوع النزاع في صفوفهم.

فقد رأى بعضهم أنَّ من كان بهذا السنّ لا يكون إماماً، وأنَّ الإمامة لا بدَّ أن يتقلَّدها الرجل الكبير، واجتمع فريق من الشيعة في بيت من بيوتهم، وكان من بينهم الريَّان بن الصلت، ويونس، وصفوان بن يحيى، ومحمَّد بن حكيم، وعبد الرَّحمٰن ابن

---

(١) الدرّ النظيم: ص٧٠٤.

(٢) أصول الكافي: ١/ ٣٨٣.

الحجّاج، وخاضوا في مسألة الإمامة فجعلوا يبكون، فقال لهم يونس: دعوا البكاء حتى يكبر هذا الصبيّ ـ يعني الإمام الجواد ـ.

فردَّ عليه الريَّان بن الصلت قائلاً: إن كان أمر من الله جلَّ وعلا، فابن يومين مثل ابن مائة سنة، وإن لم يكن من عند الله فلو عمَّر الواحد من الناس خمسة آلاف سنة ما كان يأتي بمثل ما يأتي به السادة أو بعضه. وهذا ممَّا ينبغي أن ينظر فيه(١).

وكان هذا هو الجواب الحاسم المرتكز على الواقع المشرق الذي تذهب إليه الشيعة الإمامية من أنَّ كبر السن وصغره لا مدخليَّة لهما في الترشيح لمنصب الإمامة الذي يضارع منصب النُّبوَّة في أكثر خصوصيَّاته، فإنَّ أمرهما بيد الله تعالى فهو الذي يهبهما لمن يختار من عباده.

وفود الفقهاء والعلماء:

ووفدت إلى يثرب جمهرة من كبار العلماء والفقهاء وقد انتدبوا من قِبل الأوساط الشيعيَّة في بغداد وغيرها من الأمصار، وذلك للتعرُّف على الإمام بعد وفاة الإمام الرِّضا عليه السلام، وكان عددهم ـ فيما يقول المؤرّخون ـ ثمانين رجلاً.

ولما انتهوا إلى يثرب قصدوا دار الإمام أبي عبد الله الصَّادق عليه السلام ففرش لهم بساط أحمر، وخرج إليهم عبد الله ابن الإمام موسى عليه السلام فجلس في صدر المجلس، مُضفياً على نفسه المرجعيَّة للأُمَّة، وأنَّه الإمام بعد الإمام الرِّضا عليه السلام، وقام رجل فنادى بين العلماء: هذا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله فمن أراد السؤال فليسأل، فقام إليه أحد العلماء فسأله: ما تقول في رجل قال لامرأته: أنت طالق عدد نجوم السماء؟

فأجابه عبد الله بجواب يخالف فقه أهل البيت عليهم السلام قائلاً: طُلِّقت ثلاثاً دون الجوزاء.

وذهل العلماء والفقهاء من هذا الجواب الذي شذَّ عمَّا قرَّره الأئمَّة الطاهرون من أنَّ الطلاق يقع واحداً، ولا نعلم لِمَ استثنى عبد الله الجوزاء عن بقية الكواكب؟

وانبرى إليه أحد الفقهاء فقال له: ما تقول في رجل أتى بهيمة؟

فأجابه على خلاف ما شرع الله قائلاً: تقطع يده، ويجلد مائة جلدة.

وبهت الحاضرون، وضجَّ بعضهم بالبكاء من هذه الفتاوى التي خالفت أحكام الله،

(١) دلائل الإمامة: ص٢٥٠. فِرق الشيعة: ص٥٩.

وحاروا في أمرهم، وبينما هم في حيرة وذهول إذ فُتِح باب من صدر المجلس، وخرج موفّق، ثمَّ أطلَّ عليهم الإمام أبو جعفر وهو بهيبته التي تعنو لها الجباه، وقام الفقهاء والعلماء إجلالاً وإكباراً له، وانبرى شخص فعرَّفهم بأنَّه الإمام بعد أبيه، والحجَّة الكبرى على المسلمين.

فقام إليه صاحب السؤال الأوَّل فقال له: ما تقول فيمن قال لامرأته: أنت طالق عدد نجوم السماء؟

فأجابه الإمام عليه السلام: **يا هَذا اقْرَأ كِتابَ اللَّهِ تَبارَكَ وتَعالَىٰ: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ﴾[١] وَهِيَ في الثَّالِثَةِ**.

وبهر الحاضرون من مواهب الإمام، وقد أيقنوا أنَّهم وصلوا إلى الغاية التي ينشدونها، ورفع السائل إلى الإمام فتيا عمّه في المسألة.

فالتفت عليه السلام إليه قائلاً: **يا عَمِّ اتَّقِ اللَّهَ، وَلاَ تُفْتِ وَفي الأُمَّةِ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ**.

وأطرق عبد الله برأسه إلى الأرض، ولم يدرِ ماذا يقول، وقام إلى الإمام صاحب المسألة الثانية فقال له: ما تقول فيمن أتى بهيمة؟

فقال عليه السلام: **يُعَزَّرُ، وَتُحمىٰ ظَهْرُ الْبَهِيمَةِ، وَتُخْرَجُ مِنَ الْبَلَدِ لِئلا يَبْقىٰ عَلَى الرَّجُلِ عَارُها**.

وعرض السائل على الإمام فتوى عمّه، فأنكر عليه أشدّ الإنكار وقال له متأثِّراً: **لا إِلَهَ إلاَّ اللَّهُ، يا عَبْدَ اللَّهِ، إِنَّهُ لَعَظِيمٌ عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقِفَ غداً بَيْنَ يَدَي اللَّهِ فَيَقُولُ لَكَ: لِمَ أَفْتَيْتَ عِبادي بِما لاَ تَعْلَمُ وَفِي الأُمَّةِ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ!**

وأخذ عبد الله يلتمس له المعاذير قائلاً: رأيت أخي الرِّضا، وقد أجاب في هذه المسألة بهذا الجواب.

فأنكر عليه الإمام وصاح به: **إِنَّما سُئِلَ الرِّضا عليه السلام عَنْ نَبَّاشٍ نَبَشَ قَبْرَ امْرَأَةٍ فَفَجَرَ بِها، وَأَخَذَ ثِيابَها فَأَمَرَ بِقَطْعه لِلسَّرِقَةِ، وَجَلْدِهِ لِلزِّنا، وَنَفْيِهِ لِلْمُثْلَةِ فَفَرِحَ الْقَوْمُ**[٢].

وسأله العلماء والفقهاء عن مسائل كثيرة في مختلف أبواب الفقه، وقد بلغت فيما يقول المؤرّخون ثلاثين ألف مسألة، وصرَّح بعضهم أنَّه سئل في مجلس واحد عن ثلاثين ألف مسألة فأجاب عنها عليه السلام[٣].

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٢٩.

(٢) دلائل الإمامة: ص٢٠٥.

(٣) وسائل الشيعة: ١٨/ ٥١١ ـ ٥١٢.

من مثله العليا

تجسَّدت في شخصية الإمام الجواد عليه السلام جميع المثل العليا والرفيعة وهو الذي تقلَّد الإمامة والزعامة الدينيَّة العامَّة وكان عمره الشريف سبع سنين وأشهر، كما تقلَّد عيسى بن مريم النُّبوَّة وهو دون هذا السنّ.

علمه عليه السلام:

وقد دلَّل الجواد عليه السلام على ما تذهب إليه الشيعة في الإمامة، فقد كان وهو في سنّه المبكر قد خاض في مختلف العلوم وسأله العلماء والفقهاء عن كلّ شيء فأجاب عنه، ممَّا أوجب انتشار التشيُّع في ذلك العصر وذهاب أكثر العلماء إلى القول بالإمامة.

لقد احتفَّ بالإمام الجواد عليه السلام ـ وهو ابن سبع سنين وأشهر ـ العلماء والفقهاء والرواة وهم ينتهلون من نمير علومه، وقد رووا عنه الكثير من المسائل الفلسفيَّة والكلاميَّة، ويعتبر ذلك من أوثق الأدلَّة على ما تذهب إليه الشيعة في الإمامة.

عبادته عليه السلام:

كان الإمام الجواد عليه السلام أعبد أهل زمانه، وأشدّهم خوفاً من الله تعالى، وأخلصهم في طاعته وعبادته، شأنه شأن الأئمَّة الطاهرين من آبائه الذين وهبوا أرواحهم لله، وعملوا كلّ ما يقرِّبهم إلى الله زلفى.

أمَّا مظاهر عبادة الإمام الجواد عليه السلام، فهي:

نوافله عليه السلام:

كان الإمام الجواد عليه السلام كثير النوافل، ويقول الرواة: كان يصلِّي ركعتين يقرأ في كلّ ركعة سورة الفاتحة، وسورة الإخلاص سبعين مرَّة[١].

وكان كثير العبادة في شهر رجب، وقد روى الريَّان بن الصلت، قال: «صام أبو

---

(١) وسائل الشيعة: ٥/٢٩٨.

جعفر الثاني عليه السلام لمّا كان ببغداد يوم النصف من رجب، ويوم سبع وعشرين منه، وصام معه جميع حشمه، وأمرنا أن نصلّي بالصلاة التي هي اثنتا عشرة ركعة، تقرأ في كلّ ركعة الحمد وسورة، فإذا فرغت قرأت الحمد أربعاً، وقل هو الله أحد أربعاً والمعوذتين أربعاً، وقلت: لا إله إلاّ الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم أربعاً، الله الله ربّي، ولا أُشرك به شيئاً أربعاً، ولا أُشرك بربّي أحداً أربعاً»[(١)].

وكان يقول: **إنَّ في رَجَبٍ لَلَيْلَةٌ خَيْرٌ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ، وَهِيَ لَيْلَةُ سَبْعٍ وَعِشْرينَ مِنْ رَجَبٍ**، وذكر عليه السلام فيها صلاة خاصّة[(٢)].

تعقيبه عليه السلام عقيب صلاة الفجر:

«بِسْمِ اللَّهِ، وَصَلَّىٰ اللَّهُ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ ۝٤٤ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ﴾[(٣)]، ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٨٧ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[(٤)]، ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ۝١٧٣ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ﴾[(٥)].

ما شَاءَ اللَّهُ لاَما شَاءَ النَّاسُ، ما شَاءَ اللَّهُ وإنْ كَرِهَ النَّاسُ.

حَسْبِيَ الرَّبُّ مِنَ الْمَرْبُوبِينَ، حَسْبِيَ الْخَالِقُ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ، حَسْبِيَ الرَّازِقُ مِنَ الْمَرْزُقِينَ، حَسْبِيَ الَّذِي لَمْ يَزَلْ حَسْبِي، حَسْبِي مَنْ كَانَ مُنْذُ كُنْتُ لَمْ يَزَلْ حَسْبِي، حَسْبِيَ اللَّهُ [الَّذِي] لاَ إِلَهَ إلاَّ هُوَ، عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ، وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ»[(٦)].

حجّه عليه السلام:

وكان الإمام أبو جعفر عليه السلام كثير الحجّ، وقد روى الحسن بن علي الكوفي بعض أعمال حجّه، قال: «رأيت أبا جعفر الثاني عليه السلام في سنة خمس عشرة ومائتين ودَّع البيت بعد ارتفاع الشمس،وطاف بالبيت يستلم الركن اليماني في كلّ شوط.

---

(١) وسائل الشيعة: ٥/ ٢٤٣.

(٢) وسائل الشيعة: ٥/ ٢٤٢.

(٣) سورة غافر: الآيتان ٤٤ و٤٥.

(٤) سورة الأنبياء: الآيتان ٨٧ و٨٨.

(٥) سورة آل عمران: الآيتان ١٧٣ و١٧٤.

(٦) الكافي: ٢/ ٥٤٨، الحديث ٦.

فلمَّا كان الشوط السابع استلمه واستلم الحجر، ومسح بيده ثمَّ مسح وجهه بيده، ثمَّ أتى المقام، فصلَّى خلفه ركعتين، ثمَّ خرج إلى دبر الكعبة إلى الملتزم، فالتزم البيت، وكشف الثوب عن بطنه، ثمَّ وقف عليه طويلاً يدعو، ثمَّ خرج من باب الحناطين وتوجَّه.

قال: فرأيته في سنة (٢١٩هـ) ودَّع البيت ليلاً يستلم الركن اليماني والحجر الأسود في كلّ شوط، فلمَّا كان في الشوط السابع التزم البيت في دبر الكعبة قريباً من الركن اليماني وقوف الحجر المستطيل وكشف الثوب عن بطنه، ثمَّ أتى الحجر فقبَّله ومسحه وخرج إلى المقام فصلَّى خلفه، ثمَّ مضى ولم يعد إلى البيت، وكان وقوفه على الملتزم بقدر ما طاف بعض أصحابنا سبعة أشواط وبعضهم ثمانية»[١].

وروى عليّ بن مهزيار بعض الخصوصيات في حجّ الإمام عليه السلام، قال: «رأيت أبا جعفر الثاني عليه السلام ليلة الزيارة طاف طواف النساء، وصلَّى خلف المقام، ثمَّ دخل زمزم فاستقى منها بيده بالدلو الذي يلي الحجر وشرب منه وصبَّ على بعض جسده، ثمَّ اطَّلع في زمزم مرَّتين، وأخبرني بعض أصحابنا أنَّه رآه بعد ذلك في سنة فعل مثل ذلك»[٢].

من أدعيته عليه السلام:

للإمام الجواد أدعية كثيرة تمثِّل مدى انقطاعه إلى الله تعالى، فمن أدعيته هذا الدُّعاء:

«يا مَنْ لاَ شَبيهَ لَهُ وَلاَ مِثالَ، أنتَ اللَّهُ لاَ إلَهَ إلاَّ أنتَ، وَلاَ خَالِقَ إلاَّ أنتَ، تُفْني الْمَخْلوقِينَ، وَتَبْقىٰ أنتَ، حَلُمْتَ عَمَّنْ عَصاكَ، وَفِي الْمَغْفِرَةِ رِضَاكَ»[٣].

وكتب إليه محمَّد بن الفضيل يسأله أن يعلِّمه دعاءاً فكتب إليه هذا الدُّعاء الشريف تقول إذا أصبحت وأمسيت:

اللَّهُ اللَّهُ رَبِّي، الرَّحْمٰنُ الرَّحِيمُ، لاَ أُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً.

وَإِنْ زِدْتَ عَلىٰ ذَلِكَ فَهُوَ خَيْرٌ، ثُمَّ تَدْعو بِما بَدا لَكَ فِي حَاجَتِكَ، فَهُوَ لِكُلِّ شَيْءٍ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالىٰ يَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشاءُ[٤].

دعاؤه عليه السلام في الثناء على الله عزَّ وجلَّ:

«يا ذَا الَّذِي كَانَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، ثُمَّ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ، ثُمَّ يَبْقَىٰ وَيُفْنىٰ كُلُّ شَيْءٍ، وَيَا

---

(١) وسائل الشيعة: ١٠/ ٢٣٢.

(٢) وسائل الشيعة: ٩/ ٥١٥.

(٣) أعيان الشيعة؛ ٢/ ٣٦.

(٤) أصول الكافي: ٢/ ٥٣٤.

ذَا الَّذِي لَيْسَ فِي السَّمَاوَاتِ الْعُلَىٰ، وَلاَ فِي الأَرضِينَ السُّفْلَىٰ، وَلاَ فَوْقَهُنَّ، وَلاَ بَيْنَهُنَّ، وَلاَ تَحْتَهُنَّ، إلَهٌ يُعْبَدُ غَيْرُهُ»[1].

دعاؤه عليه السلام لطلب العافية في السفر:

«اللَّهُمَّ إنِّي أُريدُ سَفَراً، فَخِرْ لِي فِيهِ، وَأَوْضِحْ لِي فِيهِ سَبِيلَ الرَّأي وَفَهِّمْنِيه، وَافْتَحْ عَزْمِي بِالإِسْتِقَامَةِ، وَاشْمِلْنِي فِي سَفَرِي بِالسَّلاَمَةِ، وَأَفِدِ لِي بِهِ جَزِيلَ الحَظِّ وَالْكَرَامَةِ، وَاكْلأْنِي فِيهِ بِحُسْنِ الْحِفْظ وَالْحِراسَةِ، وَجَنِّبْنِي اللَّهُمَّ وَعْثَاءَ الأَسْفارِ، وَسَهِّلْ لِي حُزونَةَ الأَوْعَارِ، وَاطْوِ لِيَ الْبَعِيدَ لِطُولِ انبِساطِ الْمَراحِلِ، وَقَرِّبْ مِنِّي بُعْدَ نَأْيِ الْمَنَاهِلِ، وَبَاعِدْ فِي المَسِيرِ بَيْنَ خُطَى الرَّواحِلِ، حَتَّى تُقَرِّبَ نِيَاطَ الْبَعِيدِ، وَتُسَهِّلَ وَعُورَ الشَّدِيدِ. وَلَقِّنِي اللَّهُمَّ فِي سَفَرِي نُجْحَ طائِرِ الواقِيَةِ، وَهَنِّئْنِي غُنْمَ العافِيَةِ، وَخَفِيرَ الاستِقْلالِ، وَدَلِيلَ مُجَاوَزَةِ الأَهْوالِ، وَبَاعِثَ وُفُورِ الْكِفايَةِ، وَسَانِحَ خَفِيرِ الوِلاَيَةِ.

وَاجْعَلِ اللَّهُمَّ رَبِّ سَبَباً عَظِيمَ السِّلْمِ، حَاصِلَ الْغُنْمِ، وَاجْعَلِ اللَّهُمَّ اللَّيْلَ سِتْراً مِنَ الآفاتِ، وَالنَّهَارَ مَانِعاً مِنَ الْهَلَكاتِ، وَاقْطَعْ عَنِّي قَطْعَ لُصُوصِهِ بِقُدْرَتِكَ...»[2].

دعاؤه عليه السلام لقضاء الحاجة:

وكانت إذا ألمَّت به حاجة دعا الله عزَّو جلَّ بهذا الدُّعاء الشريف:

«اللَّهُمَّ جديرٌ مَنْ أمَرْتَهُ بِالدُّعاءِ أنْ يَدْعوكَ، وَمَنْ وَعَدْتَهُ بِالإجابَةِ أنْ يَرْجوكَ، وَلِيَ اللَّهُمَّ حاجَةٌ قَدْ عَجَزَتْ عَنْها حِيلَتِي، وَكَلَّتْ فِيها طَاقَتِي، وَضَعُفَتْ عَنْ مَرامِها قُدْرَتِي، وَسَوَّلَتْ لِي نَفْسِيَ الأَمَّارَةُ بِالسُّوءِ، وَعَدُوِّيَ الْغَرورُ الَّذِي أنا مِنْهُ مُبْتَلىً أنْ أرْغَبَ فِيها إلَىٰ ضَعِيفٍ مِثْلِي وَمَنْ هُوَ فِي النُّكُولِ شَكْلِي.

حَتَّىٰ تَدارَكْتَنِي رَحْمَتُكَ، وَبَادَرَتْنِي بِالتَّوْفِيقِ رَأْفَتُكَ، وَرَدَدْتُ عَلَيَّ عَقْلِي بِتَطَوُّلِكَ، وَأَلْهَمْتَنِي رُشْدِي بِتَفَضُّلِكَ، وَأَحْيَيْتَ بِالرَّجاءِ لَكَ قَلْبِي، وَأَزَلْتَ خُدْعَةَ عَدُوِّي عَنْ لُبِّي، وَصَحَّحْتَ بِالتَّأمِيلِ فِكْرِي، وَشَرَحْتَ بِالرَّجَاءِ لإسْعافِكَ صَدْرِي، وَصَوَّرْتَ لِيَ الْفَوْزَ بِبُلوغِ مَا رَجَوْتُهُ، وَالْوصُولِ إلَىٰ مَا أمَّلْتُهُ.

فَوَقَفْتُ اللَّهُمَّ رَبِّ بَيْنَ يَدَيْكَ سَائِلاً لَكَ، ضَارِعاً إلَيْكَ، وَاثِقاً بِكَ، مُتَوَكِّلاً عَلَيْكَ فِي

---

(١) إقبال الأعمال: ١/٣٤٨.

(٢) المصباح: ص١٨٩.

قَضاءِ حَاجَتِي، وَتَحْقِيقِ أُمْنِيَّتِي، وَتَصْدِيقِ رَغْبَتِي، فَأَنْجِحِ اللَّهُمَّ حَاجَتِي بِأَيْمَنِ نَجاحٍ، وَاهْدِها سَبِيلَ الْفَلاَحِ.

وَأعِذْنِي اللَّهُمَّ رَبِّ بِكَرَمِكَ مِنَ الْخَيْبَةِ وَالْقُنوطِ، وَالأناةِ والتَّثْبيطِ بِهَنيءِ إجابَتِكَ، وَسَابِغِ مَوْهِبَتِكَ، إنَّكَ مَليٌّ وَلِيٌّ، وَعَلىٰ عِبادِكَ بِالْمَنائِحِ الْجزيلَةِ وَفِيٌّ.

وأنْتَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَبِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ، وَبِعَبادِكَ خَبِيرٌ بَصِيرٌ»[1].

دعاؤه عليه السلام لطلب الرِّزق والسعة:

«اللَّهُمَّ أرْسِلْ عَلَيَّ سِجالَ رِزْقِكَ مِدْراراً، وَأمْطِرْ سَحَائِبَ إفْضالِكَ عَلَيَّ غِزَاراً، وأدِمْ غَيْثَ نَيْلِكَ إلَيَّ سِجالاً، وَأسْبِلْ مَزِيدَ نِعَمِكَ عَلىٰ خَلَّتِي إسْبالاً، وأفْقِرْنِي بِجُودِكَ إلَيْكَ، وَأغْنِنِي عَمَّنْ يَطْلُبُ مَا لَدَيْكَ، وَداوِ دَاءَ فَقْرِي بِدَاوءِ فَضْلِكَ، وَانْعَشْ صَرْعَةَ عَيْلَتِي بِطَوْلِكَ، وَتَصَدَّقْ عَلىٰ إقْلالِي بِكَثْرَةِ عَطَائِكَ، وَعَلَىٰ اخْتِلالِي بِكَرِيم حَبَائِكَ، وَسَهِّلْ رَبِّ سُبُلَ الرِّزْقِ إلَيَّ، وَثَبِّتْ قَواعِدَهُ لَدَيَّ، وَبَجِّسْ لي عُيونَ سَعَةِ رَحْمَتِكَ، وَفَجِّرْ أنْهارَ رَغْدِ الْعَيْشِ قِبَلِي بِرَأفَتِكَ، وَأجْدِبْ أرْضَ فَقْرِي، وَأخْصِبْ جَدْبَ ضُرِّي، وَاصْرِفْ عَنِّي فِي الرِّزْقِ الْعَوائِقَ، وَاقْطَعْ عَنِّي مِنَ الضِّيقِ الْعَلائِقَ، وَارْمِنِي اللَّهُمَّ مِنْ سَعَةِ الرِّزْقِ بِأخْصَبِ سِهَامِهِ، وَاحْبُنِي مِنْ رَغَدِ الْعَيْشِ بِأكْثَرِ دَوامِهِ.

وَاكْسُني اللَّهُمَّ سرابِيلَ السَّعَةِ، وَجَلابِيبَ الدَّعَةِ، فَإنِّي يَا رَبِّ مُنْتَظِرٌ لإنْعامِكَ بِحَذْفِ الْمَضِيقِ، وَلِتَطَوُّلِكَ بِقَطْعِ التَّعْوِيقِ، وَلِتَفَضُّلِكَ بِإزَالَةِ التَّقْتِيرِ، وَلِوصُولِ حَبْلي بِكَرَمِكَ بِالتَّيْسِيرِ.

وَأمْطِرِ اللَّهُمَّ عَلَيَّ سَماءَ رِزْقِكَ بِسِجَالِ الدِّيَمِ، وَأغْنِنِي عَنْ خَلْقِكَ بِعَوائِدِ النِّعَمِ، وَارْمِ مَقاتِلَ الإقْتَارِ مِنِّي، وَاحْمِلْ كَشْفَ الضُّرِّ عَنِّي عَلَىٰ مَطايا الإعْجَالِ، وَاضْرِبْ عَنِّي الضِّيقَ بِسَيْفِ الإسْتِئصَالِ.

وَأتْحِفْنِي رَبِّ مِنْكَ بِسَعَةِ الإفْضَالِ، وَامْدُدْنِي بِنُمُوِّ الأمْوَالِ، وَاحْرُسْنِي مِنْ ضِيقِ الإقْلالِ، وَاقْبِضْ عَنِّي سُوءَ الْجَدْبِ، وَابْسُطْ لِي بِساطَ الْخِصْبِ، وَاسْقِنِي مِنْ مَاءِ رِزْقِكَ غَدَقاً، وَانْهَجْ لِي مِنْ عَمِيمِ بَذْلِكَ طُرُقاً، وَفَاجِئْنِي بِالثَّرْوَةِ وَالْمَالِ، وَانْعَشْنِي بِهِ مِنَ الإقْلالِ، وَصَبِّحْنِي بِالإسْتِظْهارِ، وَمَسِّنِي بِالتَّمَكُّنِ مِنَ الْيَسارِ، إنَّكَ ذُو الطَّوْلِ الْعَظِيمِ، وَالْفَضْلِ الْعَمِيمِ، وَالْمَنِّ الْجَسِيمِ، وَأنْتَ الْجَوادُ الْكَرِيمُ»[2].

---

(١) المصباح: ص٤٠٠. الدعوات: ص٥٩.

(٢) المصباح: ص١٧١.

دعاؤه عليه السلام لكشف الظلم:

ومن أدعيته عليه السلام السياسيَّة التي يسأل الله عزَّ وجلَّ فيها أن يزيل ظلم الحكَّام الجور المستبدِّين:

١ ـ «اللَّهُمَّ إنَّ ظُلْمَ عِبادِكَ قَدْ تَمَكَّنَ فِي بِلاَدِكَ حَتَّىٰ أَمَاتَ الْعَدْلَ، وَقَطَعَ السُّبُلَ، وَمَحَقَ الْحَقَّ، وَأَبْطَلَ الصِّدْقَ، وَأَخفَىٰ الْبِرَّ، وَأَظْهَرَ الشَّرَّ، وَأَهْمَلَ التَّقْوىٰ، وَأزَالَ الْهُدىٰ، وَأَزَاحَ الْخَيْرَ، وَأَثْبَتَ الضَّيْرَ[1] وَأَنْمىٰ الْفَسادَ، وَقَوَّىٰ الْعِنَادَ، وَبَسَطَ الْجَوْرَ، وَعَدَىٰ الطَّوْرَ.

اللَّهُمَّ يَا رَبِّ لاَ يَكْشِفُ ذَلِكَ إلاَّ سُلْطَانُكَ، وَلاَ يُجِيرُ مِنْهُ إلاَّ امْتِنانُكَ، اللَّهُمَّ رَبِّ فَابْتَزَّ الظُّلْمَ، وَبُتَّ حِبالَ الْغَشْمِ، وَأَخمِلْ سُوقَ الْمُنْكَرِ، وَأَعِزَّ مَنْ عَنْهُ زَجَرَ، وَاحْصُدْ شَأفَةَ أَهْلِ الْجَوْرِ، وَأَلْبِسْهُمُ الْحَوْرَ بَعْدَ الْكَوْرَ، وَعَجِّلْ لَهُمُ الْبَياتَ، وَأَنْزِلْ عَلَيْهِمُ الْمُثُلاتِ، وَأَمِتْ حَياةَ الْمُنْكَراتِ لِيَأْمَنَ الْمَخُوفُ، وَيَسْكُنَ الْمَلْهُوفُ، وَيَشْبَعَ الْجَائِعُ، وَيُحفَظَ الضَّائِعُ، وَيَأْوىٰ الطَّرِيدُ، وَيَعُودَ الشَّرِيدُ، وَيُغْنَىٰ الْفَقِيرُ، وَيُجارَ الْمُسْتَجِيرُ، وَيُوَقَّرَ الْكَبِيرُ، وَيُرْحَمَ الصَّغِيرُ، وَيُعَزَّ الْمَظْلُومُ، وَيُذَلَّ الظَّالِمُ، وَيُفَرَّجَ الْمَغْمُومُ، وَتَنْفَرِجَ الْغَمَاءُ، وَتَسْكُنَ الدَّهْمَاءُ، وَيَمُوتَ الاخْتِلاَفُ، وَيَحْيَىٰ الائتِلاَفُ، وَيَعْلُوَ الْعِلْمُ، وَيَشْمِلَ السِّلْمُ، وَيُجْمَعَ الشَّتاتُ، وَيَقْوىٰ الإيْمانُ، وَيُتْلَىٰ الْقُرْآنُ، إنَّكَ أَنْتَ الدَّيَّانُ الْمُنْعِمُ الْمَنَّانُ»[2].

٢ ـ «اللَّهُمَّ مَنَائِحُكَ مُتَتابِعَةٌ، وَأَيَادِيكَ مُتَوالِيَةٌ، وَنِعَمُكَ سَابِقَةٌ، وَشُكْرُنا قَصِيرٌ، وَحَمْدُنا يَسِيرٌ، وَأَنْتَ بِالتَّعَطُّفِ عَلىٰ مَنْ اعْتَرَفَ جَدِيرٌ.

اللَّهُمَّ وَقَدْ غَصَّ آلُ الْحَقِّ بِالرِّيقِ، وَارْتَبَكَ أَهْلُ الصِّدْقِ فِي الْمَضِيقِ، وَأَنْتَ اللَّهُمَّ بِعبادِكَ وَذَوِي الرَّغْبَةِ إِلَيْكَ شَفِيقٌ، وَبِإجَابَةِ دُعَائِهِمْ وَتَعْجِيلِ الْفَرَجِ عَنْهُمْ حَقِيقٌ.

اللَّهُمَّ فَصَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَبَادِرْنا مِنْكَ بِالْعَوْنِ الَّذِي لاَ خِذْلاَنَ بَعْدَهُ، وَالنَّصْرِ الَّذِي لاَ بَاطِلَ يَتَكأَدُهُ، وَأَتِحْ لَنا مِنْ لَدُنْكَ مَتاحاً فَيَّاحاً يَأْمَنُ فِيهِ وَلِيُّكَ، وَيَخِيبُ فِيهِ عَدُوُّكَ، وَتُقامُ فِيهِ مَعالِمُكَ، وَتَظْهَرُ فِيهِ أوامِرُكَ، وَتَنْكَفُّ فِيهِ عَوادِي عِداتِكَ.

اللَّهُمَّ بَادِرْنا مِنْكَ بِدارِ الرَّحْمَةِ، وَبادِرْ أَعْداءَكَ مِنْ بَأْسِكَ بِدارِ النَّقِمَةِ. اللَّهُمَّ أَعِنَّا وَأَغِثْنا، وَارْفَعْ نَقِمَتَكَ عَنَّا، وَأَحِلَّها بِالْقَوْمِ الظَّالِمِينَ»[3].

---

(١) أي الضرر.

(٢) بحار الأنوار: ٩١/١١٨ و١١٩.

(٣) بحار الأنوار: ٨٢/٢٢٥.

٣ ـ «اللَّهُمَّ أنتَ الأوَّلُ بلاَ أوَّليَّةٍ مَعْدُودَةٍ، وَالآخِرُ بلاَ آخِريَّةٍ مَحْدُودَةٍ، أنْشأْتَنا لاَ لِعِلَّةٍ اِقْتِساراً، وَاخْتَرَعْتَنا لاَ لِحاجَةٍ اِقْتِداراً، وَابْتَدَعْتَنا بِحِكْمَتِكَ اِخْتِياراً، وَبَلَوْتَنا بِأمْرِكَ وَنَهْيِكَ اِخْتِباراً.

فَأنْتَ رَبُّ الْعِزَّةِ وَالْبَهاءِ، وَالْعَظَمَةِ وَالْكِبْرياءِ، وَالإحْسانِ وَالنَّعْماءِ وَالْمَنِّ وَالآلاَءِ، وَالْمَنْحِ وَالْعَطاءِ، وَالإنْجازِ وَالْوَفاءِ. لاَ تُحِيطُ الْقُلُوبُ لَكَ بِكُنْهٍ، وَلاَ تُدْرِكُ الأوْهَامُ لَكَ صِفَةً، وَلاَ يُشْبِهُكَ شَيْءٌ مِنْ خَلْقِكَ، وَلاَ يُمَثَّلُ بِكَ شَيْءٌ مِنْ صَنْعَتِكَ تَبارَكْتَ أنْ تُحَسَّ أوْ تُمَسَّ أوْ تُدْرِكَكَ الْحَواسُّ الْخَمْسُ، وَأنَّىٰ يُدْرِكُ مَخْلُوقٌ خَالِقَهُ، وَتَعالَيْتَ يَا إلَهِي عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ عُلُوّاً كَبِيراً.

اللَّهُمَّ أدِلْ لأوْلِيائِكَ مِنْ أعْدائِكَ الظَّالِمِينَ، الْباغِينَ، النَّاكِثِينَ، الْقَاسِطِينَ، الْمَارِقِينَ، الَّذِينَ أضَلُّوا عِبادَكَ، وَحَرَّفُوا كِتابَكَ، وَبَدَّلُوا أحْكامَكَ، وَجَحَدُوا حَقَّكَ، وَجَلَسُوا مَجالِسَ أوْلِيائِكَ، جُرْأةً مِنْهُمْ عَلَيْكَ، وَظُلْماً مِنْهُمْ لأهْلِ بَيْتِ نَبِيِّكَ، عَلَيْهِمْ سَلاَمُكَ، وَصَلَواتُكَ وَرَحْمَتُكَ وَبَرَكاتُكَ، فَضَلُّوا وَأضَلُّوا خَلْقَكَ، وَهَتَكُوا حِجابَ سِتْرِكَ عَنْ عِبادِكَ، وَاتَّخَذُوا اللَّهُمَّ مَالَكَ دُوَلاً، وَعِبادَكَ خَوَلاً، وَتَرَكُوا اللَّهُمَّ عَالَمَ أرْضِكَ فِي بَكْماءَ عَمْياءَ ظَلْماءَ مُدْلَهِمَّةً، فَأعْيُنُهُمْ مَفْتُوحَةٌ، وَقُلُوبُهُمْ عَمِيَّةٌ، وَلَمْ تَبْقَ اللَّهُمَّ عَلَيْكَ مِنْ حُجَّةٍ، لَقَدْ حَذَّرْتَ اللَّهُمَّ عَذابَكَ، وَبَيَّنْتَ نَكالَكَ، وَوَعَدتَ الْمُطِيعِينَ إحْسانَكَ، وَقَدَّمْتَ إلَيْهِمْ بِالنُّذُرِ، فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ وَأيَّدْتَ....

وَجَدِّدِ اللَّهُمَّ عَلَىٰ أعْدائِكَ وَأعْدائِهِمْ نارَكَ وَعَذابَكَ الَّذِي لاَ تَدْفَعُهُ عَنِ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَقَوِّ ضَعْفَ الْمُخْلِصِينَ لَكَ بِالْمَحَبَّةِ الْمُشايِعِينَ لَنا بِالْمُوالاَةِ، الْمُتَّبِعِينَ لَنا بِالتَّصْدِيقِ وَالْعَمَلِ، الْمُوازِرِينَ لَنا بِالْمُواساةِ فِينا، الْمُحيينَ ذِكْرَنا عِنْدَ اجْتِماعِهِمْ، وَشَدِّدِ اللَّهُمَّ رُكْنَهُمْ، وَسَدِّدِ اللَّهُمَّ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَيْتَهُ لَهُمْ، وَأتْمِمْ عَلَيْهِمْ نِعْمَتَكَ، وَخَلِّصْهُمْ، وَاسْتَخْلِصْهُمْ، وَسُدَّ اللَّهُمَّ فَقْرَهُمْ، وَالْمُمِ اللَّهُمَّ شَعْثَ فَاقَتِهِمْ وَاغْفِرِ اللَّهُمَّ ذُنُوبَهُمْ وَخَطاياهُمْ، وَلاَ تُزِغْ قُلُوبَهُمْ بَعْدَ إذْ هَدَيْتَهُمْ، وَلاَ تُخَلِّهِمْ ـ أيْ رَبِّ ـ بِمَعْصِيَتِهِمْ، وَاحْفَظْ لَهُمْ ما مَنَحْتَهُمْ بِهِ مِنَ الطَّهارَةِ بِوِلاَيَةِ أوْلِيائِكَ، وَالْبَراءَةِ مِنْ أعْدائِكَ، إنَّكَ سَمِيعٌ مُجِيبٌ»[1].

---

(١) مهج الدعوات: ص٨١، البلد الأمين: ص٦٥٧، بحار الأنوار: ٨٢/ ٢٢٥ و٢٢٦.

زهده عليه السلام:

لقد كان الإمام الجواد عليه السلام شابّاً في مقتبل العمر، وكان المأمون يغدق عليه الأموال الوافرة البالغة مليون درهم. وكانت الحقوق الشرعية ترد إليه من الطائفة الشيعيَّة التي تذهب إلى إمامته بالإضافة إلى الأوقاف التي في (قم) وغيرها، إلاَّ أنَّه لم يكن ينفق شيئاً منه في أُموره الخاصَّة وإنَّما كان ينفقها على الفقراء والمعوزين والمحرومين.

وقد رآه الحسين المكاري في بغداد، وكان محاطاً بهالة من التعظيم والتكريم من قِبل الأوساط الرسمية والشعبية فحدَّثته نفسه أنَّه لا يرجع إلى وطنه يثرب وسوف يقيم في بغداد راتعاً في النعم والترف، وعرف الإمام قصده، فانعطف عليه وقال له: **«يا حُسَيْنُ، خُبْزُ الشَّعِيرِ وَمِلْحُ الْجَرِيشِ فِي حَرَمِ جَدِّي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا تَرانِي فِيهِ»**[١].

كرمه عليه السلام:

* روى المؤرّخون أنَّ أحمد بن حديد قد خرج مع جماعة من أصحابه إلى الحجّ، فهجم عليهم جماعة من السرَّاق ونهبوا ما عندهم من أموال ومتاع، ولما انتهوا إلى يثرب انطلق أحمد إلى الإمام محمَّد الجواد وأخبره بما جرى عليهم، فأمر عليه السلام له بكسوة وأعطاه دنانير ليفرِّقها على جماعته، وكانت بقدر ما نهب منهم[٢]. لقد أنقذهم الإمام من المحنة وردَّ لهم ما سلب منهم.

* روى العتبي عن بعض العلويِّين أنَّه كان يهوى جارية في يثرب، وكانت يده قاصرة عن ثمنها، فشكا ذلك إلى الإمام الجواد عليه السلام، فسأله عن صاحبها فأخبره عنه، ولمَّا كان بعد أيام سأل العلوي عن الجارية فقيل له: قد بيعت وسأل عن المشتري لها، فقالوا له: لا ندري.

وكان الإمام الجواد قد اشتراها سرّاً، ففزع العلوي نحو الإمام، وقد رفع صوته: بيعت فلانة.

فقابله الإمام ببسمات فيَّاضة بالبشر قائلاً: **هَلْ تَدْرِي مَنِ اشْتَراها؟**

قال: لا.

وانطلق معه الإمام إلى الضيعة التي فيها الجارية، فانتهى إلى البيت الذي فيه الجارية، فأمره عليه السلام بالدخول إلى الدار، فأبى العلوي لأنَّها دار الغير ولم يعلم أنَّ الإمام

(١) إثبات الهداة: ٦/ ١٨٥.

(٢) الصراط المستقيم: ٢/ ٢٠١.

قد اشتراها، وأصرَّ عليه الإمام بالدخول، ولم يلتفت إلى أنَّها ملك الإمام، ثمَّ إنَّه دخل الدار مع الإمام فلمَّا رأى الجارية التي يهواها، قال عليه السلام له: **أتَعْرِفُها؟**

قال: نعم.

قال الإمام عليه السلام: **هِيَ لَكَ والْقَصْرُ وَالضَّيْعَةُ وَالْغُلَّةُ وَجَمِيعُ مَا فِي الْقَصْرِ فَأَقِمْ مَعَ الْجَارِيَةِ.**

وملأ الفرح قلب العلوي وحار في شكر الإمام»[(١)].

* روى محمَّد بن الوليد الكرماني، قال: «أكلت بين يدي أبي جعفر الثاني عليه السلام حتَّى إذا فرغت ورفع الخوان ذهب الغلام ليرفع ما وقع من فتات الطعام فقال عليه السلام له: **«ما كَانَ في الصَّحْراءِ فَدَعْهُ وَلَوْ فَخِذُ شاةٍ، وَما كَانَ فِي الْبَيْتِ فَتَتَبَّعْهُ وَالْقُطْهُ»**[(٢)].

الإحسان إلى الناس:

روى أحمد بن زكريا الصيدلاني، عن رجل من بني حنيفة من أهالي بست وسجستان، قال: «رافقت أبا جعفر في السنة التي حجَّ فيها في أوَّل خلافة المعتصم فقلت له ـ وأنا على المائدة ـ: إنَّ والينا ـ جعلت فداك ـ يتولاَّكم أهل البيت ويحبّكم وعليّ في ديوانه خراج، فإن رأيت ـ جعلني الله فداك ـ أن تكتب إليه بالإحسان إليَّ.

فقال عليه السلام: **لاَ أعْرِفُهُ.**

فقلت: جعلت فداك، إنَّه على ما قلت من محبّيكم أهل البيت، وكتابك ينفعني واستجاب له الإمام فكتب إليه بعد البسملة:

«أمَّا بَعْدُ، فَإنَّ مُوصِلَ كِتابِي هَذا ذَكَرَ عَنْكَ مَذْهَباً جَمِيلاً، وَهُوَ مُذْهَبُ أهْلِ الْبَيْتِ، وَإنَّ ما لَكَ مِنْ عَمِلِكَ إلاَّ ما أحْسَنْتَ فِيهِ، فَأحْسِنْ إلَىٰ إخْوانِكَ، وَاعْلَمْ أنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ سائِلُكَ عَنْ مَثاقِيلِ الذَّرِّ وَالْخَرْدَل»[(٣)].

ولما ورد إلى سجستان عرف الوالي ـ وهو الحسين بن عبد الله النيسابوري ـ إنَّ الإمام قد أرسل إليه رسالة فاستقبله من مسافة فرسخين، وأخذ الكتاب فقبَّله، واعتبر ذلك شرفاً له، وسأله عن حاجته فأخبره بها، فقال له: لا تؤدِّ لي خراجاً ما دام لي

---

(١) مرآة الزمان: ٦، ورقة ١٠٥، من مصورات مكتبة أمير المؤمنين عليه السلام.
(٢) وسائل الشيعة: ٦/٤٩٩.
(٣) الخردل: نبات حبَّه صغير جدّاً.

عمل، ثمَّ سأله عن عياله فأخبره بعددهم، فأمر له ولهم بصلة، وظلَّ الرجل لا يؤدِّي الخراج ما دام الوالي حيّاً، كما أنَّه لم يقطع صلته عنه[1] كلّ ذلك ببركة الإمام ولطفه.

مواساته عليه السلام للناس:

يقول المؤرّخون: إنَّه قد جرت على إبراهيم بن محمَّد الهمداني مظلمة من قِبل الوالي، فكتب إلى الإمام الجواد عليه السلام يخبره بما جرى عليه، فتألَّم الإمام وأجابه بهذه الرسالة:

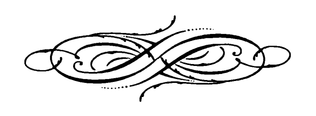
«عَجَّلَ اللَّهُ نُصْرَتَكَ عَلىٰ مَنْ ظَلَمَكَ، وَكَفاكَ مَؤونَتَهُ، وَأَبْشِرْ بِنَصْرِ اللَّهِ عَاجِلاً إِنْ شاءَ اللَّهُ، وَبِالأَجْرِ آجِلاً، وَأَكْثِرْ مِنْ حَمْدِ اللَّهِ تَعالىٰ»[2].

ومن مواساته للناس تعازيه للمنكوبين والمفجوعين، فقد بعث رسالة إلى رجل قد فجع بفقد ولده، وقد جاء فيها بعد البسملة:

«ذَكَرْتَ مُصِيبَتَكَ بِعَلِيٍّ ابْنِكَ، وَذَكَرْتَ أَنَّهُ كَانَ أَحَبَّ وُلْدِكَ إِلَيْكَ، وَكَذَلِكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، إِنَّما يَأْخُذُ مِنَ الْوَلَدِ وَغَيْرِهِ أَزْكىٰ ما عِنْدَ أَهْلِهِ لِيُعْظِمَ بِهِ أَجْرَ الْمُصابِ بِالْمُصِيبَةِ، فَأَعْظَمَ اللَّهُ أَجْرَكَ، وَأَحْسَنَ عَزاكَ، وَرَبَطَ عَلىٰ قَلْبِكَ إِنَّهُ قَدِيرٌ، وَعَجَّلَ اللَّهُ عَلَيْكَ بِالْخَلَفِ، وَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ اللَّهُ تَعالىٰ قَدْ فَعَلَ إِنْ شاءَ اللَّهُ»[3].

ومن مواساته للناس أنَّ رجلاً من شيعته كتب إليه يشكو ما ألَمَّ به من الحزن والأسى لفقد ولده، فأجابه الإمام عليه السلام برسالة تعزية جاء فيها:

«أما عَلِمْتَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَخْتارُ مِنْ مَالِ الْمُؤْمِنِ، وَمِنْ وُلْدِهِ أَنْفَسِهِ لِيُؤْجِرَهُ عَلىٰ ذَلِكَ»[4].



(١) بحار الأنوار: ٣٣٩/٤٦.
(٢) بحار الأنوار: ١٠٨/٥٠.
(٣) وسائل الشيعة: ٢١٨/٣، الحديث ٢.
(٤) وسائل الشيعة: ٢٤٣/٣، الحديث ٢.

علومه ومعارفه عليه السلام

التوحيد

وأُثيرت في عصر الإمام الجواد عليه السلام كثير من الشكوك والأوهام حول قضايا التوحيد أثارها من لا حريجة له في الدِّين من الحاقدين على الإسلام لزعزعة العقيدة الإسلاميَّة في نفوس المسلمين، وتشكيكهم في مبادىء دينهم العظيم.

وقد أجاب الإمام الجواد عليه السلام عن كثير من تلك الشُّبه، وفنَّدها، وكان من بينها:

١ ـ وفد على الإمام أبي جعفر عليه السلام بعض المتضلِّعين في علم الفلسفة والكلام فقدَّم له السؤال التالي:

أخبرني عن الرَّبّ تبارك وتعالى، له أسماء وصفات في كتابه؟ فأسماؤه وصفاته هي هو.

وحلَّل الإمام عليه السلام سؤاله إلى وجهين، كما حلَّل الوجه الثاني منهما إلى وجهين، وقد صحَّح بعض تلك الوجوه، وأبطل البعض الآخر منها لأنَّها تتنافى مع واقع التوحيد قال عليه السلام:

إنَّ لِهَذَا الْكَلامِ وَجْهَيْنِ: إنْ كُنْتَ تَقولُ: هِيَ هُوَ، أيْ إنَّهُ ذُو عَدَدٍ وَكَثْرَةٍ فَتَعالَىٰ اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ.

وَإنْ كُنْتَ تَقولُ: لَمْ تَزَلْ هَذِهِ الصِّفاتُ وَالأسْمَاءُ، فَإنَّ لَمْ تَزَلْ يَحْتَمِلُ مَعْنَيَيْنِ: فَإنْ قُلْتَ: لَمْ تَزَلْ عِنْدَهُ فِي عِلْمِهِ، وَهُوَ مُسْتَحِقُّها فَنَعَمْ، وَإنْ كُنْتَ تَقولُ: لَمْ يَزَلْ تَصْويرُها وَهِجاؤُها، وَتَقْطِيعُ حُروفِها، فَمَعاذَ اللَّهِ أنْ يَكونَ مَعَهُ شَيْءٌ غَيْرُهُ، بَلْ كَانَ اللَّهُ، وَلاَ خَلْقَ، ثُمَّ خَلَقَها وَسِيلَةً بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقِهِ يَتَضَرَّعونَ بِها إلَيْهِ وَيَعْبُدونَهُ، وَهِيَ ذِكْرُهُ، وَكَانَ اللَّهُ وَلاَ ذِكْرَ، وَالْمَذْكُورُ بِالذِّكْرِ هُوَ اللَّهُ الْقَدِيمُ الَّذِي لَمْ يَزَلْ وَالأسْمَاءُ وَالصِّفَاتُ مَخْلُوقَاتُ الْمَعانِي، وَالْمَعْنِي بِهَا هُوَ اللَّهُ الَّذِي لاَ يَلِيقُ بِهِ الإخْتِلافُ وَالإئْتِلافُ، وَإنَّما يَخْتَلِفُ وَيَأْتَلِفُ الْمُتَجَزِّىءُ.

فَلا يُقالُ: اللَّهُ مُؤْتَلِفٌ، وَلاَ اللَّهُ كَثِيرٌ، وَلاَ قَلِيلٌ، وَلَكِنَّهُ الْقَدِيمُ فِي ذَاتِهِ لأنَّ ما

سِوَىٰ الْوَاحِدِ مُتَجَزِّىءٌ، وَاللَّهُ وَاحِدٌ لاَ مُتَجَزِّىءٌ، وَلاَ مُتَوَهَّمٌ بِالْقِلَّةِ وَالْكَثْرَةِ، وَكُلُّ مُتَجَزِّىءٍ وَمُتَوَهَّمٍ بِالْقِلَّةِ وَالْكَثْرَةِ فَهُوَ مَخْلوقٌ دَالٌّ عَلَىٰ خَالِقٍ لَهُ.

فَقَوْلُكَ: إِنَّ اللَّهَ قَدِيرٌ خَبَّرْتَ أَنَّهُ لاَ يُعْجِزُهُ شَيْءٌ، فَنَفَيْتَ بِالْكَلِمَةِ الْعَجْزَ وَجَعَلْتَ الْعَجْزَ سِواهُ، وَكَذٰلِكَ قَوْلُكَ عَالِمٌ إِنَّما نَفَيْتَ بِالْكَلِمَةِ الْجَهْلَ وَجَعَلْتَ الْجَهْلَ سِواهُ، فَإِذَا أَفْنَىٰ اللَّهُ الأَشْياءَ أَفْنَىٰ الصُّوَرَ وَالْهِجاءَ، وَلاَ يَنْقَطِعُ وَلاَ يَزَالُ مَنْ لَمْ يَزَلْ عَالِماً.

وألمَّ كلام الإمام بجوهر التوحيد فأبطل أن تكون أيَّة صفة من صفاته تعالى مستلزمة للعدد والكثرة وذلك لما يترتَّب عليها من الآثار الفاسدة المستحيلة بالنسبة له تعالى، فلا حدوث في صفاته، ولا تجزّيء في ذاته فصفاته عين ذاته، كما دلَّل على ذلك في علم الكلام.. أمَّا تحليل هذه الفقرات من كلامه فإنَّه يستدعي بحوثاً مطوَّلة، وقد آثرنا الإيجاز فيها.

وبهر السائل من إحاطة الإمام بهذه البحوث المعقَّدة وراح يسأله قائلاً:

كيف سمِّي ربّنا سميعاً؟

فأجابه الإمام جواباً رائعاً دفع به الشُّبهة قائلاً:

إِنَّهُ لاَ يَخْفىٰ عَلَيْهِ ما يُدْرَكُ بِالأَسْماعِ، وَلَمْ نَصِفْهُ بِالسَّمْعِ الْمَعْقولِ فِي الرَّأْسِ، وَكَذٰلِكَ سَمَّيْناهُ بَصِيراً لأَنَّهُ لاَ يَخْفىٰ عَلَيْهِ ما يُدْرَكُ بِالإِبْصارِ مِنْ لَوْنٍ وَشَخْصٍ وَغَيْرِ ذٰلِكَ، وَلَمْ نَصِفْهُ بِنَظَرِ لَحْظِ الْعَيْنِ، وَكَذٰلِكَ سَمَّيْناهُ لَطِيفاً لِعِلْمِهِ بِالشَّيْءِ اللَّطِيفِ، مِثْلِ الْبَعوضَةِ وَأَحْقَرِ مِنْ ذٰلِكَ، وَمَوْضِعِ الشَّقِّ مِنْها، وَالْعَقْلِ وَالشَّهْوَةِ، وَالسِّفادِ وَالْحَدَبِ عَلىٰ نَسْلِها، وَإِفْهامِ بَعْضِها عَنْ بَعْضٍ، وَنَقْلِها الطَّعامَ وَالشَّرابَ إِلَىٰ أَوْلاَدِها فِي الْجِبالِ وَالْمَفاوِزِ وَالأَوْدِيَةِ وَالْقِفارِ، فَعِلْمُنا أَنَّ خالِقَها لَطِيفٌ بِلاَ كَيْفٍ، وَإِنَّما الْكَيْفِيَّةُ لِلْمَخْلوقِ الْمُكَيَّفِ.

وَكَذٰلِكَ سُمِّيَ رَبُّنا قَوِياً لاَ بِقُوَّةِ الْبَطْشِ الْمَعْروفِ مِنَ الْمَخْلوقِ، وَلَوْ كانَ قُوَّتُهُ قُوَّةَ الْبَطْشِ الْمَعْروفِ مِنَ الْخَلْقِ لَوَقَعَ التَّشْبِيهُ، ولاَحْتَمَلَ الزِّيادَةَ، وَمَا احْتَمَلَ الزِّيادَةَ احْتَمَلَ النُّقْصَانَ، وَمَا كَانَ نَاقِصاً كَانَ غَيْرَ قَدِيم، وَمَا كَانَ غَيْرَ قَدِيم كَانَ عَاجِزاً، فَرَبُّنا تَبارَكَ وَتَعالَىٰ لاَ شِبْهَ لَهُ وَلاَ ضِدَّ وَلاَ نِدَّ وَلاَ كَيْفَ، وَلاَ نِهايَةَ وَلاَ أَقْطارَ، مُحَرَّمٌ عَلَىٰ الْقُلُوبِ أَنْ تُمَثِّلَهُ، وَعَلَىٰ الأَوْهَام أَنْ تَحِدَّهُ، وَعَلَىٰ الضَّمائِرِ أَنْ تُكَيِّفَهُ جَلَّ عَنْ أَداةِ خَلْقِهِ وَسِماتِ بَرِيَّتِهِ، وَتَعالَىٰ عَنْ ذٰلِكَ عُلُوّاً كَبِيراً[1].

---

(١) الكافي: ١/١١٦ ـ ١١٧.

٢ ـ سأل محمَّد بن عيسى الإمام أبا جعفر عليه السلام عن التوحيد قائلاً: إنِّي أتوهَّم شيئاً، فأجابه الإمام:

«نَعَمْ غَيْرُ مَعْقولٍ، وَلاَ مَحْدودٌ، فَمَا وَقَعَ وَهْمُكَ عَلَيْهِ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ خِلاَفُهُ، لاَ يُشْبِهُهُ شَيْءٌ، وَلاَ تُدْرِكُهُ الأَوْهَامُ، كَيْفَ تُدْرِكُهُ الأَوْهَامُ وَهُوَ خِلاَفُ مَا يُعْقَلُ، وَخِلاَفُ مَا يُتَصَوَّرُ فِي الأَوْهَامِ، إِنَّما يُتَوَهَّمُ شَيْءٌ غَيْرُ مَعْقولٍ وَلاَ مَحْدودٌ»[١].

٣ ـ روى الحسين بن سعيد، قال: «سئل أبو جعفر الثاني عليه السلام: يجوز أن يُقال الله إنَّه شيء؟

فقال عليه السلام: **نَعَمْ يُخْرِجُهُ مِنَ الْحَدَّيْنِ: حَدِّ التَّعْطِيلِ وَحَدِّ التَّشْبِيهِ»**[٢].

٤ ـ سأل أبو هاشم الجعفري الإمام الجواد عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾[٣].

فقال عليه السلام: **يا أبا هاشِم، أَوْهامُ الْقُلُوبِ أَدَقُّ مِنْ أَبْصارِ الْعُيونِ، أَنْتَ قَدْ تُدْرِكُ بِوَهْمِكَ السِّنْدَ وَالْهِنْدَ، وَالْبُلْدانَ الَّتِي لَمْ تَدْخُلْها، وَلاَ تُدْرِكُها بِبَصَرِكَ، فَأَوْهامُ الْقُلوبِ لاَ تُدْرِكُهُ فَكَيْفَ أَبْصارُ الْعُيونِ؟**[٤].

٥ ـ سأل أبو هاشم الجعفري الإمام أبا جعفر الجواد عليه السلام، قال: ما معنى الواحد؟

فأجابه عليه السلام: **الَّذِي اجْتَمَعَتِ الأَلْسُنُ عَلَيْهِ بِالتَّوْحِيدِ كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾**[٥][٦].

علل الأحكام

وكشف الإمام محمَّد الجواد عليه السلام النقاب عن العلَّة في تشريع بعض الأحكام، وكان من بينها ما يلي:

١ ـ سئل محمَّد بن سليمان عن العلّة في جعل عدَّة المطلَّقة ثلاث حِيض أو ثلاثة أشهر، وصارت عدَّة المتوفَّى عنها زوجها أربعة أشهر وعشراً.

---

(١) التوحيد: ص١٦٤.
(٢) التوحيد: ص١٠٤.
(٣) سورة الأنعام: الآية ١٠٣.
(٤) التوحيد: ص٦٩.
(٥) سورة لقمان: الآية ٢٥.
(٦) التوحيد: ص٤٤.

فأجابه الإمام عليه السلام عن ذلك: **أَمَّا عِدَّةُ الْمُطَلَّقَةِ ثَلاثَةُ قُروءٍ فَلاِسْتِبْراءِ الرَّحِمِ مِنَ الْوَلَدِ، وَأَمَّا عِدَّةُ الْمُتَوَفَّىٰ عَنْهَا زَوْجُها فَإِنَّ اللَّهَ تَعالىٰ شَرَطَ لِلنِّساءِ شَرْطاً، وَشَرَطَ عَلَيْهِنَّ شَرْطاً فَلَمْ يُحابِهِنَّ فِيما شَرَطَ لَهُنَّ، وَلَمْ يُجُرْ فِيما اشْتَرَطَ عَلَيْهِنَّ.**

أَمَّا ما شَرَطَ لَهُنَّ فِي الإِيْلاءِ أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ إِذْ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾[1]، فَلَمْ يُجَوِّزْ لأَحَدٍ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فِي الإِيْلاءِ لِعِلْمِهِ تَبارَكَ اسْمُهُ أَنَّهُ غايَةُ صَبْرِ الْمَرْأَةِ عَنِ الرَّجُلِ.

وَأَمَّا ما شَرَطَ عَلَيْهِنَّ فَإِنَّهُ أَمَرَها أَنْ تَعْتَدَّ إِذَا مَاتَ زَوْجُها أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً فَأَخَذَ مِنْها لَهُ عِنْدَ مَوْتِهِ مَا أَخَذَ لَهَا مِنْهُ فِي حَياتِهِ عِنْدَ الإِيْلاءِ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾[2]، وَلَمْ يَذْكُرِ الْعَشَرَةَ الأَيَّامَ فِي الْعِدَّةِ إِلاَّ مَعَ الأَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ، وَعَلِمَ أَنَّ غَايَةَ الْمَرْأَةِ الأَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ فِي تَرْكِ الْجِماعِ فَمِنْ ثَمَّ أَوْجَبَهُ عَلَيْهَا وَلَهَا»[3].

٢ ـ سأل محمَّد بن سليمان الإمام عن العلّة فيما إذا قذف الرجل امرأته بجريمة الزنا تكون شهادته أربع شهادات بالله، وإذا قذفها غيره ـ سواء أكان قريباً لها أم بعيداً ـ جلد الحدّ أو يقيم البيّنة على ما قال.

فأجابه عليه السلام: **قَدْ سُئِلَ أبو جَعْفَرٍ** ـ يعني الإمام الباقر عليه السلام ـ **عَنْ ذَلِكَ فَقالَ: إِنَّ الزَّوْجَ إِذَا قَذَفَ امْرَأَتَهُ فَقالَ: رَأَيْتُ ذَلِكَ بِعَيْنِي كَانَتْ شَهادَتُهُ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ.**

وَإِذَا قَالَ: إِنَّهُ لَمْ يَرَهُ قِيلَ لَهُ أَقِمِ الْبَيِّنَةَ عَلَىٰ مَا قُلْتَ، وَإِلاَّ كَانَ بِمَنْزِلَةِ غَيْرِهِ، وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالىٰ جَعَلَ لِلزَّوْجِ مَدْخَلاً لاَ يَدْخُلُهُ غَيْرُهُ وَالِدٌ وَلاَ وَلَدٌ يَدْخُلُهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهارِ فَجازَ لَهُ أَنْ يَقُولَ: رَأَيْتُ، وَلَوْ قَالَ غَيْرُهُ: رَأَيْتُ، قِيلَ لَهُ: وَمَا أَدْخَلَكَ الْمَدْخَلَ الَّذِي تَرىٰ هَذَا فِيهِ وَحْدَكَ، أَنْتَ مُتَّهَمٌ فَلاَ بُدَّ مِنْ أَنْ يُقِيمَ عَلَيْكَ الحَدَّ الَّذِي أَوْجَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ[4].

التبشير بالإمام المهدي عليه السلام

١ ـ روى عبد العظيم بن عبد الله الحسني، قال: «دخلت على سيِّدي محمَّد بن عليّ بن موسى عليهم السلام وأنا أُريد أن أسأله عن القائم هل هو المهدي أو غيره؟ فابتدأني قائلاً:

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٢٦.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٣٤.

(٣) وسائل الشيعة: ١٥/ ٤٥٢.

(٤) وسائل الشيعة: ١٥/ ٥٩٤.

«يا أبا الْقاسِمِ، إنَّ الْقائِمَ مِنّا هُوَ الْمَهْدِيُّ الَّذِي يَجِبُ أنْ يُنْتَظَرَ فِي غَيْبَتِهِ، وَيُطاعَ فِي ظُهُورِهِ، وَهُوَ الثّالِثُ مِنْ وُلْدِي، وَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّداً بِالنُّبُوَّةِ، وَخَصَّنا بِالإمامَةِ، إنَّهُ لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيا إلاّ يَوْمٌ واحِدٌ لَطَوَّلَ اللَّهُ ذٰلِكَ الْيَوْمَ حَتّىٰ يَخْرُجَ فِيهِ فَيَمْلأ الأرْضَ قِسْطاً وَعَدْلاً كَما مُلِئَتْ ظُلْماً وَجَوْراً، وَإنَّ اللَّهَ تَبارَكَ وَتَعالىٰ لَيُصْلِحُ لَهُ أمْرَهُ فِي لَيْلَةٍ كَما أصْلَحَ أمْرَ كَلِيمِهِ مُوسىٰ، إذْ ذَهَبَ يَقْتَبِسُ ناراً فَرَجَعَ وَهُوَ رَسُولٌ نَبِيٌّ.

وأضاف الإمام الجواد قائلاً: أفْضَلُ أعْمالِ شيعَتِنا انْتِظارُ الْفَرَجِ»[(١)].

٢ ـ روى عبد العظيم الحسني، قال: «قلت لمحمَّد بن علي: إنِّي لأرجو أن تكون القائم من أهل بيت محمَّد صلى الله عليه وآله الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً؟ فأجابه الإمام الجواد عليه السلام:

«يا أبا الْقاسِمِ، ما مِنّا إلاّ وَهُوَ قائِمٌ بِأمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَهادٍ إلىٰ دِينِ اللَّهِ، وَلٰكِنَّ الْقائِمَ الَّذِي يُطَهِّرُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ الأرْضَ مِنْ أهْلِ الْكُفْرِ وَالْجُحودِ، وَيَمْلأُها عَدْلاً وَقِسْطاً هُوَ الَّذِي تَخْفىٰ عَلَىٰ النّاسِ وِلادَتُهُ، وَيَغِيبُ عَنْهُمْ شَخْصُهُ، وَيُحَرَّمُ عَلَيْهِمْ تَسْمِيَتُهُ، وَهُوَ سَمِيُّ رَسولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَكَنِيُّهِ، وَهُوَ الَّذِي تُطْوىٰ لَهُ الأرْضُ، وَيَذِلُّ لَهُ كُلُّ صَعْبٍ، وَيَجْتَمِعُ إلَيْهِ مِنْ أصْحابِهِ عِدَّةُ أهْلِ بَدْرٍ ثَلاثُمائَةٍ وَثَلاثَةَ عَشَرَ رَجُلاً مِنْ أقاصِي الْبِلادِ، وَذٰلِكَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[(٢)]. فَإذا اجْتَمَعَتْ لَهُ هٰذِهِ الْعِدَّةُ مِنْ أهْلِ الإخْلاصِ أظْهَرَ اللَّهُ أمْرَهُ»[(٣)].

من واقع الإيمان

للإمام أبي جعفر الجواد عليه السلام بعض النصائح الرفيعة الهادفة إلى الإيمان بالله والثقة به والتوكُّل عليه، ومن بينها:

١ ـ الثقة بالله:

قال عليه السلام: «إنَّ مَنْ وَثِقَ بِاللَّهِ أراهُ السُّرُورَ، وَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَىٰ اللَّهِ كَفاهُ الأُمُورَ، وَالثِّقَةُ بِاللَّهِ حِصْنٌ لا يَتَحَصَّنُ فِيهِ إلاّ الْمُؤْمِنُ، وَالتَّوَكُّلُ عَلَىٰ اللَّهِ نَجاةٌ مِنْ كُلِّ سُوءٍ، وَحِرْزٌ مِنْ كُلِّ عَدُوٍّ»[(٤)].

---

(١) إكمال الدِّين وإتمام النعمة: ٢/ ٤٨ ـ ٤٩.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٤٨.

(٣) إكمال الدِّين وإتمام النعمة: ٢/ ٤٩.

(٤) الفصول المهمَّة: ص٣٧٣.

٢ ـ الاستغناء بالله:

ودعا الإمام الجواد عليه السلام إلى الاستغناء بالله تعالى، ورجائه دون غيره، قال عليه السلام: «مَنِ اسْتَغْنىٰ بِاللَّهِ افْتَقَرَ النَّاسُ إلَيْهِ، وَمَنِ اتَّقَىٰ اللَّهَ أحَبَّهُ النَّاسُ»[١].

٣ ـ الانقطاع إلى الله:

قال عليه السلام: «مَنِ انْقَطَعَ إلىٰ غَيْرِ اللَّهِ وَكَلَهُ اللَّهُ إلَيْهِ»[٢].

٤ ـ القصد إلى الله بالقلوب:

وقد أعلن عليه السلام ذلك بقوله: «الْقَصْدُ إلَىٰ اللَّهِ تَعَالىٰ بِالْقُلُوبِ أبْلَغُ مِنْ إتْعابِ الْجَوارِحِ بِالأعْمَالِ»[٣].

مكارم الأخلاق

١ ـ قال عليه السلام: «مِنْ حُسْنِ خُلُقِ الرَّجُلِ كَفُّ أذَاهُ، وَمِنْ كَرَمِهِ بِرُّهُ لِمَنْ يَهْواهُ، وَمِنْ صَبْرِهِ قِلَّةُ شَكْواهُ، وَمِنْ نُصْحِهِ نَهْيُهُ عَمَّا لاَ يَرْضاهُ، وَمِنْ رِفْقِ الرَّجُلِ بِأخِيهِ تَرْكُ تَوْبِيخِهِ بِحَضْرَةِ مَنْ يَكْرَهُ، وَمِنْ صِدْقِ صُحْبَتِهِ إسْقَاطُهُ الْمَؤُونَةَ، وَمِنْ عَلاَمَةِ مَحَبَّتِهِ كَثْرَةُ الْمُوافَقَةِ وَقِلَّةُ الْمُخالَفَةِ»[٤].

٢ ـ قال عليه السلام: «حَسَبُ الْمَرْءِ مِنْ كَمالِ الْمُروءَةِ أنْ لاَ يَلْقىٰ أحَداً بِما يَكْرَهُ.. وَمِنْ عَقْلِهِ إنْصافُهُ قُبولَ الْحَقِّ إذَا بَانَ لَهُ»[٥].

قضاء حوائج الناس:

قال عليه السلام: «إنَّ لِلَّهِ عِباداً يَخُصُّهُمْ بِدَوامِ النِّعَمِ، فَلاَ تَزَالُ فِيهِم مَا بَذَلوا لَها، فَإذَا مَنَعوها نَزَعَها عَنْهُمْ وَحَوَّلَها إلىٰ غَيْرِهِمْ»[٦].

وأكَّد عليه السلام ذلك في حديث آخر له قال:

---

(١) جوهرة الكلام: ص١٥٠.
(٢) الدرّ النظيم: ص٧١٦؛ بحار الأنوار: ٦٨/ ١٥٥.
(٣) الدرّ النظيم: ص٧١٤؛ بحار الأنوار: ٦٧/ ٦٠.
(٤) الإتحاف بحبّ الأشراف: ص٧٧.
(٥) الفصول المهمّة: ص٢٥٩.
(٦) الفصول المهمّة: ص٢٥٨.

«ما عَظُمَتْ نِعَمُ اللَّهِ عَلىٰ أَحَدٍ إلاَّ عَظُمَتْ إِلَيْهِ حَوائِجُ النَّاسِ، فَمَن لَمْ يَحْتَمِلْ تِلْكَ الْمَؤونَةَ عَرَّضَ تِلْكَ النِّعْمَةَ لِلزَّوالِ»[1].

من آداب السلوك:

١ ـ قال عليه السلام: «ثَلاثُ خِصالٍ تُجْلَبُ فِيهِنَّ الْمَوَدَّةُ: الإِنْصافُ فِي الْمُعاشَرَةِ، وَالْمُواساةُ فِي الشِّدَّةِ، وَالإِنْطِواءُ عَلىٰ قَلْبٍ سَلِيمٍ»[2].

٢ ـ قال عليه السلام: «ثَلاثَةٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ لَمْ يَنْدَمْ: تَرْكُ الْعَجَلَةِ، وَالْمَشُورَةُ، وَالتَّوَكُّلُ عَلَىٰ اللَّهِ تَعالىٰ عِنْدَ الْعَزِيمَةِ، وَمَنْ نَصَحَ أَخاهُ سِرّاً فَقَدْ زانَهُ، وَمَنْ نَصَحَهُ عَلانِيَةً فَقَدْ شانَهُ»[3].

٣ ـ قال عليه السلام: «عِنْوانُ صَحِيفَةِ الْمُؤْمِنِ حُسْنُ خُلُقِهِ، وَعِنْوانُ صَحِيفَةِ السَّعِيدِ حُسْنُ الثَّناءِ عَلَيْهِ، والشُّكْرُ زِينَةُ الرِّوايَةِ، وَخَفْضُ الْجَناحِ زِينَةُ الْعِلْمِ، وَحُسْنُ الآدابِ زِينَةُ الْعَقْلِ، وَالْجَمالُ فِي اللِّسانِ، وَالْكَمالُ فِي الْعَقْلِ»[4].

الدعوة إلى فعل المعروف:

ودعا الإمام الجواد عليه السلام إلى اصطناع المعروف قال عليه السلام: «أَهْلُ الْمَعْرُوفِ إِلَىٰ اصْطِناعِهِ أَحْوَجُ مِنْ أَهْلِ الْحاجَةِ إِلَيْهِ؛ لأَنَّ لَهُم أَجْرَهُ وَفَخْرَهُ وَذِكْرَهُ، فَمَهْما اصْطَنَعَ الرَّجُلُ مِنْ مَعْرُوفٍ فَإِنَّهُ يَبْدَأُ فِيهِ بِنَفْسِهِ»[5].

التوبة:

وقد روى أحمد بن عيسى في نوادره عن أبيه أنَّ رجلاً أربى دهراً، فخرج قاصداً أبا جعفر الجواد عليه السلام، وعرض عليه ما ارتكبه من عظيم الإثم فقال عليه السلام له:

«مَخْرَجكَ مِنْ كِتابِ اللَّهِ، يَقولُ اللَّهُ: ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ﴾[6] وَالْمَوْعِظَةُ هِيَ التَّوْبَةُ، فَجَهْلُهُ بِتَحْرِيمِهِ، ثُمَّ مَعْرِفَتُهُ بِهِ، فَما مَضىٰ فَحَلالٌ، وَما بَقِيَ فَلْيَسْتَحْفِظْ»[7].

---

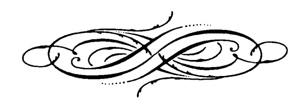
(١) الفصول المهمَّة: ص٢٥٨.
(٢) الفصول المهمَّة: ص٥٨.
(٣) الإتحاف بحبّ الأشراف: ص٧٨.
(٤) بحار الأنوار: ٧٥/٧٩، الحديث ٦١ و: ٨٠، الحديث ٦٥.
(٥) بحار الأنوار: ٧٥/٧٩.
(٦) سورة البقرة: الآية ٢٧٥.
(٧) وسائل الشيعة: ١٢/٤٣٣.

من وحي الله لبعض أنبيائه:

وروى الإمام الجواد عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام **«أَوْحَى اللَّهُ إلىٰ بَعْضِ الأَنْبِياءِ: أَمَّا زُهْدُكَ فِي الدُّنْيا فَتَعَجُلُكَ الرَّاحَةَ، وَأَمَّاانْقِطاعُكَ إِلَيَّ فَيُعَزِّزُكَ بِي، وَلَكِنْ هَلْ عادَيْتَ لِي عَدُوّاً، وَوَالَيْتَ لِي وَلِيّاً»**[١].

ما يحتاج إليه المؤمن:

وتحدَّث الإمام الجواد عليه السلام، عمَّا يحتاج إليه المؤمن في هذه الحياة بقوله: **«الْمُؤْمِنُ يَحْتاجُ إلىٰ تَوْفِيقٍ مِنَ اللَّهِ، وَواعِظٍ مِنْ نَفْسِهِ، وَقَبولٍ مِمَّنْ يَنْصَحُهُ»**[٢].



(١) تحف العقول: ص٤٥٥ ـ ٤٥٦.

(٢) تحف العقول: ص٤٥٧.

من مواعظه عليه السلام

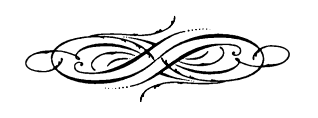
١ ـ قال عليه السلام: «تَأْخيرُ التَّوْبَةِ اغْتِرارٌ، وَطولُ التَّسْويفِ حَيْرَةٌ، وَالاعْتِلالُ عَلىٰ اللّٰهِ هَلَكَةٌ، وَالإِصْرارُ عَلىٰ الذَّنْبِ أَمْنٌ لِمَكْرِ اللّٰهِ ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾[١]»[٢].

٢ ـ قال له رجل: أوصني، فأوصاه عليه السلام بهذه الوصية القيِّمة:

«تَوَسَّدِ الصَّبْرَ، وَاعْتَنِقِ الْفَقْرَ، وَارْفُضِ الشَّهَواتِ، وَخالِفِ الْهَوىٰ، وَاعْلَمْ أَنَّكَ لَنْ تَخْلُوَ مِنْ عَيْنِ اللّٰهِ، فَانْظُرْ كَيْفَ تَكونُ»[٣].

٣ ـ كتب الإمام الجواد عليه السلام إلى بعض أوليائه هذه الرسالة الموجزة وهي حافلة بالوعظ والإرشاد وقد جاء فيها:

«أَمَّا هَذِهِ الدُّنْيا فَإِنَّا فيها مُعْتَرِفونَ، وَلَكِنْ مَنْ كانَ هَواهُ هَوىٰ صاحِبِهِ وَدانَ بِدينِهِ فَهُوَ مَعَهُ حَيْثُ كانَ، وَالآخِرَةُ هِيَ دارُ الْقَرارِ»[٤].



(١) سورة الأعراف: الآية ٩٩.

(٢) تحف العقول: ص٤٥٦.

(٣) تحف العقول: ص٤٥٥.

(٤) تحف العقول: ص٤٥٦.

رسائله عليه السلام

١ ـ بعث الإمام الجواد عليه السلام رسالة إلى رجل من أهل الحيرة جاء فيها بعد البسملة:

«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي انْتَجَبَ مِنْ خَلْقِهِ، وَاخْتَارَ مِنْ عِبَادِهِ، وَاصْطَفىٰ مِنَ النَّبِيِّينَ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله فَبَعَثَهُ بَشِيراً وَنَذِيراً وَدَلِيلاً عَلَىٰ سَبِيلِهِ الَّذِي مَنْ سَلَكَهُ لَحِقَ، وَمَنْ تَقَدَّمَهُ مَرَقَ، وَمَنْ عَدَلَ عَنْهُ مُحِقَ، وَصَلَّىٰ اللَّهُ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ.

أَمَّا بَعْدُ: فَإِنِّي أُوصِي أَهْلَ الإِجَابَةِ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّذِي جَعَلَ لِمَنِ اتَّقَاهُ الْمَخْرَجَ مِنْ مَكْرُوهِهِ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَوْجَبَ لِوَلِيِّهِ مَا أَوْجَبَهُ لِنَفْسِهِ وَنَبِيِّهِ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ بِلِسانٍ عَرَبِيٍّ مُبِين. وَقَدْ بَلَغَنِي عَنْ أَقْوامِ انْتَحَلوا الْمَوَدَّةَ وَنُحِلوا بِدِينِ اللَّهِ، وَدِينِ مَلائِكَتِهِ شَكوا فِي النِّعْمَةِ، وَحَمَلوا أَوْزَارَهُمْ وَأَوْزَارَ الْمُقْتَدِينَ بِهِمْ، وَاسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطانُ فَأَنْساهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ وَمَا وَرِثوهُ مِنْ أَسْلافٍ صَالِحِينَ، أَبْصَروا فَلَزِموا، وَلَمْ يُؤْثِروا دُنْياً حَقِيرَةً عَلَىٰ آخِرَةٍ مُؤَبَدَةٍ، فَأَيْنَ يَذْهَبُ الْمُبْطِلونَ؟ سَوْفَ يَأْتِي عَلَيْهِمْ يَوْمٌ يَضْمَحِلُّ عَنْهُمْ فِيهِ الْبَاطِلُ، وَتَنْقَطِعُ أَسْبابُ الخَدائِعِ، وَذَلِكَ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذِ الْقُلوبُ لَدَىٰ الْحَناجِرِ. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يَفْعَلُ مَا يَشاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ»[1].

٢ ـ وردت على الإمام أبي جعفر عليه السلام رسالة رواها بكر بن صالح، قال: «كتب صهر لي إلى أبي جعفر الثاني رسالة جاء فيها: «إنَّ أبي ناصب خبيث الرأي، وقد لقيت منه شدَّة وجهداً، فرأيك جعلت فداك في الدُّعاء لي، وما ترى جعلت فداك، أفترى أن أُكاشفه أم أُداريه؟»».

فأجابه الإمام عليه السلام بعد البسملة:

«قَدْ فَهِمْتُ كِتَابَكَ، وَمَا ذَكَرْتَ مِنْ أَمْرِ أَبِيكَ، وَلَسْتُ أَدَع الدُّعاءَ لَكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَالْمُداراةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْمُكاشَفَةِ، وَمَعَ الْعُسْرِ يُسْر.

---

(١) الدرّ النظيم: ص٧١٥.

﴿فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾[(١)]، ثَبَّتَكَ اللَّهُ عَلىٰ وَلايَةِ مَنْ تَوَلَّيْت، نَحْنُ وَأَنْتُمْ وَديعَةُ اللَّهِ الَّذي لاَ تَضِيعُ وَدايِعُهُ»[(٢)].

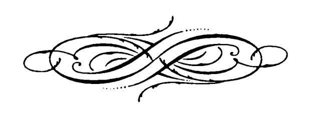
٣ ـ كان إبراهيم بن محمَّد وكيل الإمام الجواد عليه السلام بهمدان لتعليم الناس معالم دينهم، وقبض الحقوق الشرعية منهم، وإرسالها للإمام عليه السلام وكان قد بعث ما قبضه للإمام عليه السلام، فأرسل عليه السلام له هذه الرسالة:

«قَدْ وَصَلَ الْحِسَابُ تَقَبَّلَ اللَّهُ مِنْكَ، وَرَضِيَ عَنْهُمْ، وَجَعَلَهُمْ مَعَنا فِي الدُّنْيا وَالآخِرَةِ، وَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكَ مِنَ الدَّنانِيرِ بِكَذا، وَمِنَ الْكِسْوَةِ بِكَذا، فَبارَكَ اللَّهُ فِيكَ، وَفِي جَمِيعِ نِعَمِ اللَّهِ إِلَيْكَ.

وَقَدْ كَتَبْتُ إِلَىٰ النَّضْرِ أَمَرْتُهُ أَنْ يَنْتَهِيَ عَنْكَ، وَعَنِ التَّعَرُّضِ لَكَ، وَلِخِلاَفِكَ، وَأَعْلَمْتُهُ مَوْضِعَكَ عِنْدِي.

وَكَتَبْتُ إِلَىٰ أَيُّوبَ أَمَرْتُهُ بِذَلِكَ أَيْضاً.

وَكَتَبْتُ إِلَىٰ مَوالِيَّ بِهَمَدانَ كتَاباً أَمَرْتُهُمْ بِطاعَتِكَ، وَالْمَصِيرِ إِلَىٰ أَمْرِكَ، وَأَنْ لاَ وَكِيلَ سِوَاكَ»[(٣)].



---

(١) سورة هود: الآية ٤٩.

(٢) بحار الأنوار: ٧١/٧٩.

(٣) بحار الأنوار: ٥٠/١٠٨.

روائع الحكم والآداب

١ ـ قال ﷺ: «لاَ تُعاجِلُوا الأمْرَ قَبْلَ بُلوغِهِ فَتَنْدَموا، وَلاَ يَطولَنَّ عَلَيْكُمُ الأمَدُ فَتَقْسوا قُلوبُكُمْ، وَارْحَموا ضُعَفاءَكُمْ، وَاطْلُبوا الرَّحْمَةَ مِنَ اللَّهِ بِالرَّحْمَةِ لَهُمْ»[١].

٢ ـ قال ﷺ: «ثَلاثٌ يَبْلُغْنَ بِالْعَبْدِ رِضْوانَ اللَّهِ تَعالَىٰ: كَثْرَةُ الاسْتِغْفارِ، وَخَفْضُ الْجانِبِ، وَكَثْرَةُ الصَّدَقَةِ، وَثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ لَمْ يَنْدَمْ: تَرْكُ الْعَجَلَةِ، وَالْمَشورَةُ، وَالتَّوَكُّلُ عَلَىٰ اللَّهِ تَعالَىٰ عِنْدَ الْعَزْمِ»[٢].

٣ ـ قال ﷺ: «كَيْفَ يَضِيعُ مَنِ اللَّهُ كَافِلُهُ، وَكَيْفَ يَنْجو مَنِ اللَّهُ طَالِبُهُ»[٣].

٤ ـ قال ﷺ: «يَوْمُ الْعَدْلِ عَلَىٰ الظَّالِمِ أَشَدُّ مِنْ يَوْمِ الْجَوْرِ عَلَىٰ الْمَظْلومِ»[٤].

٥ ـ قال ﷺ: «ما هَدَمَ الدِّينَ مِثْلُ الْبِدَعِ، وَلاَ أَفْسَدَ الرِّجالُ مِثْلُ الطَّمَعِ، وَبِالرَّاعِي تَصْلُحُ الرَّعِيَّةُ، وَبِالدُّعاءِ تُصْرَفُ الْبَلِيَّةُ»[٥].

٦ ـ قال ﷺ: «الدِّينُ عِزٌّ، وَالْعِلْمُ كَنْزٌ، وَالصَّمْتُ نُورٌ»[٦].

٧ ـ قال ﷺ: «ما اسْتَوىٰ رَجُلانِ فِي حَسَبٍ وَدِينٍ إلاَّ كانَ أفْضَلُهُما عِنْدَ اللَّهِ آدَبَهُما. إلى أن قال: بِقِراءَتِهِ الْقُرْآنَ كَما أُنْزِلَ، وَدُعائِهِ اللَّهَ مِنْ حَيْثُ لاَ يُلْحِنُ، فَإنَّ الدُّعاءَ الْمَلْحونَ لاَ يَصْعَدُ إلَىٰ اللَّهِ»[٧].

٨ ـ قال ﷺ: «مَنْ شَتَمَ أُجِيبَ، وَمَنْ غَرَسَ أشْجارَ التُّقَىٰ اجْتَنَىٰ ثِمارَ الْمُنىٰ»[٨].

---

(١) بحار الأنوار: ٧٥/ ٨٣.
(٢) بحار الأنوار: ٧٥/ ٨١.
(٣) بحار الأنوار: ٦٨/ ١٥٥.
(٤) مستدرك الوسائل: ١٢/ ٩٧.
(٥) بحار الأنوار: ٧٥/ ٩١.
(٦) بحار الأنوار: ٧٥/ ٧٩.
(٧) وسائل الشيعة: ١٧/ ٣٢٧.
(٨) بحار الأنوار: ٧٥/ ٧٩.

٩ ـ قال عليه السلام: «الْعُلَماءُ غُرَباءُ لِكَثْرَةِ الْجُهَّالِ بَيْنَهُمْ»[١].

١٠ ـ قال عليه السلام: «مَنْ أَحَبَّ الْبَقاءَ فَلْيُعِدَّ لِلْمَصائِبِ قَلْباً صَبوراً»[٢].

١١ ـ قال عليه السلام: «مَنْ عَمِلَ عَلىٰ غَيْرِ عِلْمٍ كَانَ مَا يُفْسِدُ أَكْثَرُ مِمَّا يُصْلِحُ»[٣].

١٢ ـ قال عليه السلام: «مَنِ اسْتَفَادَ أخاً فِي اللَّهِ فَقَدِ اسْتَفادَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ»[٤].

١٣ ـ قال عليه السلام: «مَنْ أَطاعَ هَواهُ أَعْطىٰ عَدُوَّهُ مناهُ»[٥].

١٤ ـ قال عليه السلام: «رَاكِبُ الشَّهَواتِ لا تُقالُ عَثْرَتُهُ»[٦].

١٥ ـ قال عليه السلام: «عِزُّ الْمُؤْمِنِ غِناهُ عَنِ النَّاسِ»[٧].

١٦ ـ قال عليه السلام: «لاَ تَكُنْ وَلِيّاً لِلَّهِ فِي الْعَلاَنِيَةِ عَدُوّاً لَهُ فِي السِّرِّ»[٨].

١٧ ـ قال عليه السلام: «إصْبِرْ عَلَىٰ مَا تَكْرَهُ فِيما يَلْزَمُكَ الْحَقُّ، وَاصْطَبِرْ عَمَّا لاَ تُحِبُّ فِيما يَدْعوكَ إِلَىٰ الْهَوىٰ»[٩].

١٨ ـ قال عليه السلام: «قَدْ عاداكَ مَنْ سَتَرَ عَنْكَ الرُّشْدَ اتِّباعاً لِمَا تَهواهُ»[١٠].

١٩ ـ قال عليه السلام: «إِيَّاكَ وَمُصاحَبَةَ الشِّرِّيرِ، فَإِنَّهُ كَالسَّيْفِ الْمَسْلولِ، يَحْسُنُ مَنْظَرُهُ، وَيَقْبَحُ أَثَرُهُ»[١١].

٢٠ ـ قال عليه السلام: «الْحَوائِجُ تُطْلَبُ بِالرَّجاءِ، وَهِيَ تُنْزَلُ بِالْقَضاءِ»[١٢].

٢١ ـ قال عليه السلام: «الْعَافِيَةُ أَحْسَنُ عَطاءٍ»[١٣].

٢٢ ـ قال عليه السلام: «إِذَا نَزَلَ الْقَضاءُ ضَاقَ الْفَضاءُ»[١٤].

---

(١) بحار الأنوار: ٧٥/ ٨١.
(٢) بحار الأنوار: ٧٥/ ٨١.
(٣) الكافي: ١/ ٤٤.
(٤) بحار الأنوار: ٧١/ ٢٧٦.
(٥) بحار الأنوار: ٦٧/ ٧٨.
(٦) بحار الأنوار: ٧٥/ ٣٦٤.
(٧) بحار الأنوار: ٧٢/ ١٠٩.
(٨) بحار الأنوار: ٧٥/ ٣٦٥.
(٩) الدرّ النظيم: ص٧١٤.
(١٠) بحار الأنوار: ٧٥/ ٣٦٤.
(١١) مستدرك الوسائل: ٨/ ٣٥١.
(١٢) بحار الأنوار: ٧٥/ ٣٦٥.
(١٣) الدرّ النظيم: ص٧١٦.
(١٤) بحار الأنوار: ٧٥/ ٣٦٢.

٢٣ ـ قال عليه السلام: «لاَ تُعادِيَنَّ أحداً حَتَّىٰ تَعْرِفَ الَّذِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ تَعَالىٰ، فَإنْ كَانَ مُحْسِناً لَمْ يُسْلِمْهُ إلَيْكَ، وَإنْ كَانَ مُسيئاً فَإنَّ عِلْمَكَ بِهِ يَكْفيكَهُ فَلاَ تُعادِيهِ»(١).

٢٤ ـ قال عليه السلام: «التَّحَفُّظُ عَلىٰ قَدْرِ الْخَوْفِ، والطَّمَعُ عَلىٰ قَدْرِ النَّيْلِ»(٢).

٢٥ ـ قال عليه السلام: «كَفىٰ بِالْمَرْءِ خِيانَةً أنْ يَكُونَ أميناً لِلْخَوَنَةِ»(٣).

٢٦ ـ قال عليه السلام: «مَا شَكَرَ اللَّهَ أحَدٌ عَلىٰ نِعْمَةٍ أنْعَمَها عَلَيْهِ إلاَّ اسْتَوْجَبَ بِذلِكَ الْمَزِيدَ قَبْلَ أنْ يَظْهَرَ عَلَىٰ لِسَانِهِ»(٤).

٢٧ ـ قال عليه السلام: «مَنْ أمَّلَ فَاجِراً كَانَ أدْنىٰ عُقوبَتِهِ الْحِرْمانُ»(٥).

٢٨ ـ قال عليه السلام: «مَوْتُ الإنْسانِ بِالذُّنُوبِ أكْثَرُ مِنْ مَوْتِهِ بِالأجَلِ، وَحَياتُهُ بِالْبِرِّ أكْثَرُ مِنْ حَياتِهِ بِالْعُمْرِ»(٦).

٢٩ ـ قال عليه السلام: «مَنْ أخْطأَ وُجوهَ الْمَطالِبِ خَذَلَتْهُ الْحِيَلُ»(٧).

٣٠ ـ قال عليه السلام: «مَنِ اسْتَحْسَنَ قَبيحاً كَانَ شَرِيكاً فِيهِ»(٨).

٣١ ـ قال عليه السلام: «مَنْ كَثُرَ هَمُّهُ سَقِمَ جَسَدُهُ»(٩).

٣٢ ـ قال عليه السلام: «أرْبَعُ خِصالٍ تُعِينُ الْمَرْءَ عَلَىٰ الْعَمَلِ: الصِّحَّةُ، والْغِنىٰ، وَالْعِلْمُ وَالتَّوْفِيقُ»(١٠).

٣٣ ـ قال عليه السلام: «الْعَامِلُ بِالظُّلْمِ، وَالْمُعِينُ عَلَيْهِ، وَالرَّاضِي بِهِ شُرَكاءُ ثَلاثَتهم»(١١).

٣٤ ـ قال عليه السلام: «الصَّبْرُ عَلَىٰ الْمُصِيبَةِ مُصِيبَةٌ لِلشَّامِتِ»(١٢).

---

(١) بحار الأنوار: ٧١/ ١٨٠.
(٢) بحار الأنوار: ٧٥/ ٣٦٥.
(٣) بحار الأنوار: ٧٢/ ٣٨٠.
(٤) مستدرك الوسائل: ١٢/ ٣٧١.
(٥) بحار الأنوار: ٧٥/ ٨٣.
(٦) بحار الأنوار: ٧٥/ ٨٣.
(٧) بحار الأنوار: ٧٥/ ٨١.
(٨) بحار الأنوار: ٧٥/ ٨٢.
(٩) بحار الأنوار: ٧٥/ ٧٩.
(١٠) بحار الأنوار: ٧٥/ ٧٩.
(١١) الكافي: ٢/ ٣٣٣.
(١٢) إرشاد القلوب: ١/ ٧٤.

٣٥ ـ قال عليه السلام: «لَوْ سَكَتَ الْجَاهِلُ ما اخْتَلَفَ النَّاسُ»[١].

٣٦ ـ قال عليه السلام: «مَقْتَلُ الرَّجُلِ بَيْنَ فَكَّيْهِ»[٢].

٣٧ ـ قال عليه السلام: «النَّاسُ أشْكَالٌ، وَكُلٌّ يَعْمَلُ عَلىٰ شَاكِلَتِهِ»[٣].

٣٨ ـ قال عليه السلام: «النَّاسُ إخْوانٌ فَمَنْ كَانَتْ أُخُوَّتُهُ فِي غَيْرِ ذَاتِ اللَّهِ، فَإنَّهَا فَهِيَ عَداوَةٌ، وَذٰلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾[٤]»[٥].

٣٩ ـ قال عليه السلام: «كُفْرُ النِّعْمَةِ دَاعِيَةٌ لِلْمَقْتِ»[٦].

٤٠ ـ قال عليه السلام: «مَنْ جَازَاكَ بِالشُّكْرِ فَقَدْ أعْطَاكَ أكْثَرَ مِمَّا أخَذَ مِنْكَ»[٧].

٤١ ـ قال عليه السلام: «مَنْ وَعَظَ أخَاهُ سِرّاً فَقَدْ زَانَه، وَمَنْ وَعَظَهُ عَلانِيَةً فَقَدْ شَانَهُ»[٨].

٤٢ ـ قال عليه السلام: «ما أنْعَمَ اللَّهُ عَلىٰ عَبْدٍ نِعْمَةً فَعَلِمَ أنَّهَا مِنَ اللَّهِ إلاَّ كَتَبَ اللَّهُ جَلَّ اسْمُهُ شُكْرَها لَهُ قَبْلَ أنْ يَحْمِدَهُ عَلَيْهَا، وَلاَ أذْنَبَ ذَنْباً فَعَلِمَ أنَّ اللَّهَ مُطَّلِعٌ عَلَيْهِ إنْ شَاءَ عَذَّبَهُ، وَإنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ، إلاَّ غَفَرَ لَهُ قَبْلَ أنْ يَسْتَغْفِرَهُ»[٩].

٤٣ ـ قال عليه السلام: «الشَّرِيفُ كُلُّ الشَّرِيفِ مَنْ شَرَّفَهُ عِلْمُهُ، وَالسُّؤْدَدُ حَقُّ السُّؤْدَدِ لِمَنْ اتَّقىٰ اللَّهَ رَبَّهُ»[١٠].

٤٤ ـ قال عليه السلام: «مَنْ شَهِدَ أمْراً فَكَرِهَهُ كَانَ كَمَنْ غَابَ عَنْهُ، وَمَنْ غَابَ عَنْ أمْرٍ فَرَضِيَهُ كَانَ كَمَنْ شَهِدَهُ»[١١].

٤٥ ـ قال عليه السلام: «مَنْ أصْغَىٰ إلىٰ نَاطِقٍ فَقَدْ عَبَدَهُ، فَإنْ كَانَ النَّاطِقُ عَنِ اللَّهِ فَقَدْ عَبَدَ اللَّهَ، وَإنْ كَانَ النَّاطِقُ يَنْطِقُ عَنْ لِسَانِ إبْلِيسَ، فَقَدْ عَبَدَ إبْلِيسَ»[١٢].

---

(١) بحار الأنوار: ٧٥/ ٨١.
(٢) بحار الأنوار: ٥١/ ٢٥١.
(٣) الفصول المهمَّة: ص٢٧٠.
(٤) سورة الزخرف: الآية ٦٧.
(٥) بحار الأنوار: ٧١/ ١٦٥.
(٦) بحار الأنوار: ٧٥/ ٨٢.
(٧) بحار الأنوار: ٧٥/ ٨٢.
(٨) بحار الأنوار: ٧١/ ١٦٦.
(٩) بحار الأنوار: ٧٥/ ٨٢.
(١٠) كشف الغمَّة: ٢/ ٣٥٠.
(١١) تحف العقول: ص٤٥٦.
(١٢) تحف العقول: ص٤٥٦.

٤٦ ـ قال عليه السلام: «إِظْهَارُ الشَّيْءِ قَبْلَ أَنْ يَسْتَحْكِمَ مَفْسَدَةٌ لَهُ»[١].

٤٧ ـ قال عليه السلام: «نِعْمَةٌ لاَ تُشْكَرُ كَسَيِّئَةٍ لاَ تُغْفَرُ»[٢].

٤٨ ـ قال عليه السلام: «مَنْ هَجَرَ الْمُدارَاةِ قَارَبَهُ الْمَكْرُوهُ»[٣].

٤٩ ـ قال عليه السلام: «مَنِ انْقادَ إِلَىٰ الطُّمَأْنِينَةِ قَبْلَ الْخِبْرَةِ، فَقَدْ عَرَّضَ نَفْسَهُ لِلْهَلَكَةِ وَالْعَاقِبَةِ الْمُتْعِبَةِ»[٤].

٥٠ ـ قال عليه السلام: «مَنْ لَمْ يَعْرِفِ الْمَوارِدَ أَعْيَتْهُ الْمَصادِرُ»[٥].

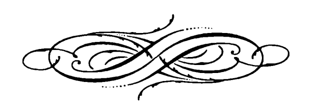
٥١ ـ قال عليه السلام: «لاَ يَغُرُّكَ سَخَطُ مَنْ رِضاهُ الْجَوْرُ»[٦].

٥٢ ـ قال عليه السلام: «الأَيَّامُ تَهْتِكُ لَكَ الأَمْرَ عَنِ الأَسْرارِ الْكَامِنَةِ»[٧].

٥٣ ـ قال عليه السلام: «مَنْ عَتَبَ مِنْ غَيْرِ ارْتِيابٍ أَعْتَبَ مِنْ غَيْرِ اسْتِعْتَابٍ»[٨].

٥٤ ـ قال عليه السلام: «أَفْضَلُ الْعِبادَةِ الإِخْلاَصُ»[٩].

٥٥ ـ قال عليه السلام: «الثِّقَةُ بِاللَّهِ ثَمَنٌ لِكُلِّ غالٍ، وَسُلَّمٌ إِلَىٰ كُلِّ عالٍ»[١٠].



(١) تحف العقول: ص٤٥٧.
(٢) بحار الأنوار: ٧٥/ ٣٦٣.
(٣) بحار الأنوار: ٧٥/ ٣٦٣.
(٤) بحار الأنوار: ٧٥/ ٣٦٣.
(٥) بحار الأنوار: ٦٨/ ٣٤٠.
(٦) نزهة الناظر: ص١٣٧.
(٧) بحار الأنوار: ٧٥/ ٣٦٥.
(٨) بحار الأنوار: ٧١/ ١٨١.
(٩) بحار الأنوار: ٦٧/ ٢٤٥.
(١٠) بحار الأنوار: ٧٥/ ٣٦٣.

عصر الإمام

أمّا عصر الإمام أبي جعفر الجواد عليه السلام، فقد كان من أزهى العصور الإسلاميّة وأروعها، فقد تميَّز في نهضته العلميَّة وحضارته الفكريَّة، وقد ظلَّ المسلمون وغيرهم أجيالاً وقروناً يعيشون على موائد الثروت الفكريَّة والعلميَّة التي أُسِّست في ذلك العصر.

الحياة السياسيَّة

أمّا الحياة السياسيَّة في عصر الإمام أبي جعفر عليه السلام، فقد كات بشعة وحرجة للغاية، لا للإمام فحسب، وإنَّما كانت لعموم المسلمين؛ وذلك لما فيها من الأحداث الجسام.

فقد مُنيت الأُمَّة بموجات عارمة من الفتن والاضطرابات، وقبل أن نتحدَّث عنها نرى من اللازم أن نعرض لمنهج الحكم في العصر العبَّاسي وغيره ممَّا يتّصل بالموضوع، وفيما يلي ذلك:

منهج الحكم:

أمّا منهج الحكم في العصر العباسي، فإنَّه كان على غرار الحكم الأموي، لم يتغيَّر ولم يتبدَّل، وقد وصفه (نكلسون) بأنَّه نظام استبدادي، وأنَّ العبَّاسيِّين حكموا البلد حكماً مطلقاً على النحو الذي كان يحكم به ملوك آل ساسان قبلهم[١].

الفتنة بين الأمين والمأمون:

لعلَّ من أبرز الأحداث السياسيَّة التي جرت في عصر الإمام محمَّد الجواد عليه السلام هي الفتنة الكبرى التي وقعت بين الأمين والمأمون، وأدَّت إلى إشعال نار الحرب بينهما، وقد كلَّفت المسلمين ثمناً باهظاً، وذلك بما أُريق من الدماء، وإزهاق الأنفُس في سبيل

---

(١) اتّجاهات الشعر العربي: ص٤٩.

استقرار المُلك والسلطان لأحدهما، وقبل أن نعرض إلى ذكر هذه الأحداث نُشير بإيجاز إلى بعض شؤون الأمين وأحواله:

صفات الأمين:

ولم تكن في الأمين أيَّة صفة كريمة يستحق بها هذا المنصب الخطير في الإسلام، فقد أجمع المترجمون له على أنّه لم يتَّصف بأيَّة نزعة شريفة، وإنَّما قلَّده الرشيد منصب الخلافة نظراً لتأثير زوجته السيِّدة زبيدة عليه.

وكان الأمين ضعيف الرأي، وقد أُعطي المُلك العريض ولم يحسن سياسته، وقد وصفه المسعودي بقوله: «كان قبيح السيرة، ضعيف الرأي، يركب هواه، ويهمل أمره، ويتَّكل في جليلات الخطوب على غيره، ويثق بمن لا ينصحه»[(١)].

ووصفه الكتبي بقوله: «وكان قد هانَ عليه القبيح فاتَّبع هواه، ولم ينظر في شيء من عقباه. وكان من أبخل الناس على الطعام، وكان لا يبالي أين قعد، ولا مع من شرب»[(٢)].

هذه بعض نزعات الأمين وصفاته، وهي تصوِّر لنا إنساناً تافهاً، قد اتّجه إلى ملذَّاته وشهواته، ولم يعن بأيّ شأن من شؤون الدولة الإسلاميَّة.

خلعه للمأمون:

وتقلَّد الأمين الخلافة يوم توفّي الرشيد، وقد ورد عليه خاتم الخلافة والبردة والقضيب التي يتسلَّمها كلّ من يتقلَّد الخلافة من ملوك العبَّاسيِّين، وحينما استقرَّت له الأُمور خلع أخاه المأمون، وجعل العهد لولده موسى، وهو طفل صغير في المهد وسمَّاه الناطق بالحقّ، وأرسل إلى الكعبة من جاءه بكتاب العهد الذي علَّقه فيها الرشيد، وقد جعل فيه ولاية العهد للمأمون بعد الأمين، وحينما أتى به مزَّقه، وكان ذلك ـ فيما يقول المؤرخون ـ برأي الفضل بن الربيع وبكر بن المعتمر، وهذا ليس غريباً عليه فقد اقترف كل ما هو مجاف للأخلاق والأعراف.

الحروب الطاحنة:

وبعدما خلع الأمين أخاه المأمون عن ولاية العهد، وأبلغه ذلك رسمياً ندب إلى

---

(١) التنبيه والأشراف: ص٣٠٢.

(٢) عيون التواريخ: ٣، ورقة ٢١٢.

حربه عليّ بن عيسى، ودفع إليه قيداً من ذهب، وقال له: أوثق المأمون ولا تقتله حتى تقدم به إليَّ، وأعطاه مليوني دينار سوى الأثاث والكراع.

ولمَّا علم المأمون ذلك سمَّى نفسه أمير المؤمنين، وقطع عنه الخراج، وألغى اسمه من الطراز والدراهم والدنانير، وأعلن الخروج عن طاعته، وندب طاهر بن الحسين، وهرثمة بن أعين إلى حربه.

والتقى الجيشان بالريّ، وقد التحما في معركة رهيبة جرت فيها أنهار من الدماء، وأخيراً انتصر جيش المأمون على جيش الأمين، وقتل القائد العامّ للقوَّات المسلَّحة في جيش الأمين، وانتهبت جميع أمتعته وأسلحته.

وكتب طاهر بن الحسين إلى الفضل بن سهل وزير المأمون يخبره بهذا الانتصار الباهر، وقد جاء في رسالته: «كتبت إليك ورأس علي بن عيسى في حجري، وخاتمه في يدي، والحمد لله ربّ العالمين».

ودخل الفضل على المأمون سلَّم عليه بالخلافة، وأخبره بالأمر، وأيقن المأمون بالنصر، فبعث إلى طاهر القائد العامّ في جيشه بالهدايا والأموال، وشكره شكراً جزيلاً على ذلك، وقد سمَّاه ذا اليمينين، وصاحب خيل اليدين، وأمره بالتوجّه إلى احتلال العراق والقضاء على أخيه الأمين.

محاصرة بغداد:

وخفَّت جيوش المأمون إلى احتلال بغداد بقيادة طاهر بن الحسين، فحاصرت بغداد، وقد دام الحصار مدَّة طويلة تخرَّبت فيها معالم الحضارة في بغداد، وعمَّ الفقر والبؤس جميع سكَّانها، وكثر العابثون والشذَّاذ، فقاموا باغتيال الأبرياء، ونهبوا الأموال، وطاردوا النساء حتَّى تهيَّأت جماعة من خيار الناس تحت قيادة رجل يُقال له سهل بن سلامة، فمنعوا العابثين، وتصدّوا لهم بقوَّة السلاح حتَّى أخرجوهم من بغداد[1].

قتل الأمين:

وكان الأمين في تلك المحنة الحازبة مشغولاً بلهوه وطربه،ويقول المؤرّخون: إنَّه كان يصطاد سمكاً مع جماعة من الخدم، وكان فيهم (كوثر) الذي كان مغرماً به، فكانت

---

(١) اتّجاهات الشعر العربي: ص٧٣.

توافيه الأنباء بهزيمة جنوده، ومحاصرة قصره فلم يعن بذلك، وكان يقول: اصطاد كوثر ثلاث سمكات وما اصطدت إلاَّ سمكتين، وهجمت عليه طلائع جيش المأمون فأجهزت عليه، وحمل رأسه إلى طاهر بن الحسين فنصبه على رمح وتلا قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾[1].

خلافة إبراهيم الخليع:

من الأحداث السياسيَّة في ذلك العصر خلافة إبراهيم الخليع الذي لم يترك لوناً من ألوان المجون إلاَّ ارتكبه، وكان مدمناً على الخمر في أكثر أوقاته، وقد نصَّبه العبَّاسيّون خليفة عليهم، وذلك لحقدهم على المأمون وكراهيَّتهم له، وقد بايعه الغوغاء، وأهل الطرب من الناس.

هربه:

وزحف المأمون بجيوشه نحو بغداد للقضاء على تمرُّد إبراهيم، فلمَّا علم ذلك هرب، وهرب من كان يعتمد على نصرته.

وظلَّ إبراهيم مختفياً في بغداد يطارده الرعب والخوف، وقد ظفر به المأمون فعفا عنه لأنَّه لم يكن له أي وزن سياسي حتَّى يخشى منه.

ثورة أبي السرايا:

من أعظم الثورات الشعبيَّة التي حدثت في عصر الإمام أبي جعفر عليه السلام هي ثورة أبي السرايا التي استهدفت القضايا المصيريَّة لجميع الشعوب الإسلاميَّة، فقد رفعت شعار الدعوة إلى (الرِّضا من آل محمَّد صلى الله عليه وآله) الذين هم الأمل الباسم للمضطهدين والمحرومين، وكادت أن تعصف هذه الثورة بالدولة العبَّاسيَّة، فقد استجاب لها معظم الأقطار الإسلاميَّة، فقد كان قائدها الملهم أبو السرايا ممَّن هذَّبته الأيَّام، وحنَّكته التجارب، وقام على تكوينه عقل كبير. إلَّا أنَّ المأمون قد استطاع بمهارة سياسية فائقة أن يقضي على الحركة ويقبرها في مهدها، فقد جلب الإمام الرِّضا عليه السلام إلى خراسان وأرغمه على قبول ولاية العهد وأظهر للمجتمع الإسلامي أنَّه علوي الرأي.. فاعتقد الجمهور أنَّه من الشيعة واستطاع بهذا الأسلوب الماكر أن ينقلب على الأحداث ويخمد نار الثورة.

---

(١) عيون التواريخ: ٣، ورقة ٢١١.

هذه بعض الثورات التي حدثت في عصر الإمام محمَّد الجواد عليه السلام، وهي تحكي عن عدم استقرار الوضع السياسي في ذلك العصر.

اضطهاد العلويِّين:

واضطهدت أكثر الحكومات العبَّاسيَّة العلويِّين رسميّاً، وقابلتهم بمنتهى القسوة والشِّدَّة، وقد رأوا من العذاب ما لم يروه في العهد الأموي، وأوَّل من فتح باب الشرّ والتنكيل بهم الطاغية فرعون هذه الأُمَّة المنصور الدوانيقي[١].

وهو القائل: «قتلت من ذرِّيَّة فاطمة ألفاً أو يزيدون، وتركت سيِّدهم ومولاهم جعفر بن محمَّد»[٢].

وهو صاحب خزانة رؤوس العلويِّين التي تركها لابنه المهدي تثبيتاً لملكه وسلطانه، وقد ضمَّت تلك الخزانة رؤوس الأطفال والشباب والشيوخ من العلويِّين[٣].

أمَّا موسى الهادي، فقد زاد على سلفه المنصور، وهو صاحب واقعة فخّ التي لا تقلّ في مشاهدها الحزينة عن واقعة كربلاء.

قال الإمام الجواد عليه السلام في فجائعها: **«لَمْ يَكُنْ لَنا بَعْدَ الطَّفِّ مَصْرَعٌ أَعْظَمُ مِنْ فَخٍّ»**، وقد ارتكب فيها هذا السفَّاك من الجرائم ما لم يُشاهد مثله، فقد أوعز بقتل الأطفال وإعدام الأسرى، وظلَّ يطارد العلويين ويلح في طلبهم فمن ظفر به قتله، لكن لم تطل أيَّام هذا الجلاَّد حتَّى قسم الله ظهره.

أمَّا هارون الرشيد، فهو لم يقلّ عن سلفه في عدائه لأهل البيت عليهم السلام والتنكيل بهم، وهو القائل: «حتام اصبر على آل بني أبي طالب، والله لأقتلنَّهم ولأقتلنَّ شيعتهم، ولأفعلنَّ وأفعلنَّ»[٤].

ولما آلت الخلافة إلى المأمون رفع عنهم المراقبة، وأجرى لهم الأرزاق، وشملهم برعايته وعنايته، ولكن لم يدم ذلك طويلاً فإنَّه بعدما اغتال الإمام الرِّضا عليه السلام بالسمّ، أخذ في مطاردة العلويِّين والتنكيل بهم كما فعل معهم أسلافه.

وعلى أيٍّ حال، فإنَّ من أعظم المشاكل السياسيَّة التي امتحن بها المسلمون امتحاناً

---

(١) تاريخ الخلفاء: ص٢٦١.
(٢) الأدب في ظلّ التشيُّع: ص٦٨.
(٣) عيون المعجزات: ص٨٠.
(٤) حياة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام: ٢/٤٧.

عسيراً هي التنكيل بعترة النبيّ ﷺ وذرِّيَّته، وتقطيع أوصالهم بيد الزمرة العبَّاسيَّة الخائنة التي لا تقلّ في قسوتها وشرورها عن بني أُميَّة، فقد انتهى الأمر بأبناء النبيّ ﷺ أنَّهم كانوا يتضوّرون جوعاً حتَّى بلغ الحال بالقاسم بن إبراهيم أنَّه كان يطبخ الميتة ويأكلها لفقره وسوء حاله[١].

إلى غير ذلك من المآسي التي حلَّت بهم، ومن الطبيعي أنَّها قد كوت قلب الإمام أبي جعفر الجواد عليه السلام، وأخلدت له الأسى والحزن.

الحياة الاقتصاديَّة

واردات الدولة:

أمَّا واردات الدولة الإسلاميَّة في العصر العبَّاسي الذي عاش فيه الإمام أبو جعفر الجواد عليه السلام فقد كانت ضخمة للغاية، فقد أحصى ابن خلدون الخراج في عهد المأمون فكان مجموعه ما يزيد على ٤٠٠ مليون درهم[٢].

وقد بلغ من سعة المال ووفرته أنَّه كان لا يُعدُّ، وإنَّما كان يوزن، فكانوا يقولون: إنَّه بلغ ستة أو سبعة آلاف قنطار من الذهب[٣].

وقد حسب عامل المعتصم على الروم خراجها فكان أقلّ من ثلاثة آلاف ألف، فكتب إليه المعتصم يعاتبه، وممَّا جاء في عتابه: «إنَّ أخسَّ ناحية عليها أخس عبيدي خراجها أكثر من خراج أرضك»[٤].

الحياة الاجتماعيَّة

وعاش أكثر خلفاء بني العبَّاس عيشة لهو وطرب ومجون، ليس فيها ذكر لله ولا لليوم الآخر، لقد قضوا أيَّامهم في هذه الحياة التافهة التي تمثِّل السقوط والانحطاط، يقول الشاعر في بعض خلفائهم:

خليفةٌ في قفصٍ بين وَصيفٍ وَبُغا
يقولُ ما قالا لَهُ كَما تَقولُ البَبَّغا

---

(١) الحدائق الوردية: ٢/ ٢٢٠.
(٢) المقدّمة: ١/ ١٧٩ ـ ١٨١.
(٣) المقدّمة: ١/ ١٨١.
(٤) أحسن التقاسيم: ص٦٤.

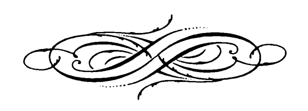
التقشُّف والزهد:

وبجانب حياة اللهو والطرب التي عاشها الناس في عصر الإمام أبي جعفر عليه السلام، فقد كانت هناك طائفة من الناس قد اتّجهت إلى الزهد والتقشُّف، ونظرت إلى مباهج الحياة نظرة زهد واحتقار، فكان من بينهم إبراهيم بن الأدهم، وهو ممَّن ترك الحياة الناعمة وأقبل على طاعة الله وكان يردِّد هذا البيت:

اتَّخِذِ اللَّهَ صاحِباً وَدَعِ النَّاسَ جانِبا

وكان يلبس في الشتاء فرواً ليس تحته قميص[1] مبالغة منه في الزهد.

وبهذا ينتهي بنا الحديث عن عصر الإمام الجواد عليه السلام.



(١) حلية الأولياء: ٧/ ٣٦٧ ـ ٣٧٣.

في عصر المأمون

عاش الإمام أبو جعفر محمَّد الجواد عليه السلام معظم حياته في عهد المأمون، ولم يلبث بعده إلاَّ قليلاً حتَّى وافاه الأجل المحتوم.

ويرى بعض المؤرّخين أنَّ المأمون كان يكنُّ له أعظم الودّ وخالص الحبّ، فزوَّجه من ابنته أُمّ الفضل، ووفَّر له العطاء الجزيل، وكان يحوطه ويحميه ويخشى عليه عوادي الدهر، ويضنُّ به على المكروه، وكان يصرِّح أنَّه يبغي بذلك الأجر من الله، وصلة الرحم التي قطعها آباؤه.

وفيما أحسب أنَّ ذلك التكريم لم يكن عن إيمان بالإمام أو إخلاص له، وإنَّما كان لدوافع سياسيَّة.

نزعات المأمون وصفاته:

من أبرز نزعات المأمون وصفاته ما يلي:

١ ـ الدهاء:

ولم تعرف الدبلوماسيَّة الإسلاميَّة في العصر العبَّاسي من هو أذكى من المأمون، ولا من هو أدرى منه في الشؤون السياسيَّة العامَّة، فقد كان سياسيّاً من الطراز الأوَّل، فقد استطاع بحدَّة ذكائه، وقدراته السياسيَّة أن يتغلَّب على كثير من الأحداث الرهيبة التي ألمَّت به، وكادت تطوي حياته، وتقضي على سلطانه.

فقد استطاع أن يقضي على أخيه الأمين الذي كان يتمتَّع بتأييد مكثَّف من قِبل الأُسرة العبَّاسيَّة، والسلطات العسكريَّة.

كما استطاع أن يقضي على أعظم حركة عسكريَّة مضادَّة له، تلك ثورة أبي السرايا التي اتّسع نطاقها فشملت الأقاليم الإسلاميَّة حتَّى سقط بعضها بأيدي الثوار.

٢ ـ القسوة:

وصفة أُخرى من صفات المأمون البارزة، هي القسوة، وانعدام الرحمة والرأفة من

آفاق نفسه، أمَّا ما يدعم ذلك فهو قتله لأخيه حينما قبضت عليه قوَّاته العسكريَّة، ولو كان يملك شيئاً من الرحمة لما قتل أخاه.

كما أنَّه قابل العلويِّين بعد قتله للإمام الرِّضا عليه السلام بمنتهى الشِّدَّة والقسوة، فعهد إلى جلاَّديه بقتلهم والتنكيل بهم أينما وجِدوا.

٣ ـ الغدر:

وظاهرة أُخرى من نزعات المأمون وصفاته وهي الغدر، فقد بايع للإمام الرِّضا عليه السلام بولاية العهد، وبعدما انتهت مآربه السياسيَّة دسَّ إليه السمّ فقتله ليتخلَّص منه.

تظاهره بالتشيُّع:

والشيء الذي يهمّنا هو البحث عن تظاهر المأمون بالتشيُّع، حتَّى اعتقد الكثيرون من البحَّاث أنَّه من الشيعة؛ لأنَّه قام بما يلي:

١ ـ ردّ فدك للعلويِّين:

وردَّ المأمون فدكاً للعلويِّين بعد أن صادرتها الحكومات السابقة عليه، وكان قصدها إشاعة الفقر بين العلويِّين، وفرض الحصار الاقتصادي عليهم حتَّى يشغلهم الفقر والبؤس عن مناهضة أولئك الحكَّام، وقد أنعش المأمون العلويِّين، ورفع عنهم تلك الضائقة الاقتصاديَّة التي كانت آخذة بخناقهم، ويعتبر كثيرون من البحَّاث هذا الإجراء دليلاً على تشيُّعه، ولمَّا سجَّل لهم فدكاً قام دعبل فأنشد أبياتاً أوَّلها:

أَصْبَحَ وَجْهُ الزَّمانِ قَدْ ضَحِكا ... بِرَدِّ مَأْمونِ هاشِمٍ فَدَكا

٢ ـ تفضيل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

وقام المأمون بإجراء خطير، فقد أعلن رسميّاً فضل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام رائد العدالة الاجتماعيَّة في الأرض على عموم الصحابة، كما أعلن الحطّ من معاوية بن أبي سفيان الذئب الجاهلي.

وكان هذا الإجراء من أهمّ المخطَّطات التي تُلفت النظر إلى تشيُّعه، فقد جرى سلفه على انتقاص الإمام، والحطّ من شأنه، وتقديم سائر الصحابة عليه.

٣ ـ ولاية العهد للإمام الرِّضا عليه السلام:

وثمَّة أمر آخر استند إليه القائلون بتشيُّعه، وهو عقده ولاية العهد إلى الإمام الرِّضا عليه السلام، وقد أخرج بذلك الخلافة من العبَّاسيِّين إلى العلويِّين.

هذه أهم الأُمور التي استند إليها القائلون بتشيُّعه، والذي نراه ـ بكثير من التأمُّل ـ أنَّ الرجل لم يكن من الشيعة.. وإنَّما صنع الأُمور المتقدمة تدعيماً لسياسته وأغراضه.

مع الإمام الجواد عليه السلام:

والذي يهمّ القرَّاء ـ فيما اعتقد ـ هو البحث عن علاقة الإمام أبي جعفر عليه السلام بالمأمون ومدى ارتباطه به، وسائر شؤونه معه، وفيما يلي ذلك:

أوَّل إلتقاء:

وجرى أوَّل إلتقاء بين الإمام أبي جعفر عليه السلام والمأمون في بغداد، حينما كان المأمون خارجاً مع حاشيته في موكب إلى الصيد، فاجتاز في الطريق على صبية، فلمَّا رأوا انهزموا خوفاً منه سوى الإمام الجواد عليه السلام، فبصر به المأمون فوقف يسأله عن عدم فراره.

فأجابه عليه السلام بحكمة وتدبُّر: **لَيْسَ فِي الطَّرِيقِ ضِيقٌ حَتَّىٰ أُوَسِّعَهُ لَكَ، وَلَيْسَ لِي جُرْمٌ فَأَخْشاكَ مِنْهُ، وَالظَّنُّ بِكَ حَسَنٌ إنَّكَ لاَ تَضُرُّ مَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ.**

وبُهر المأمون من هذا المنطق الفيَّاض فراح يسأله: ما اسمك؟ **مُحَمَّدٌ.**

ـ ابن مَن؟ **ابْنُ عَلِيٍّ الرِّضا.**

ولم يستكثر عليه المأمون هذا الذكاء المفرط، فهو من أهل بيت النُّبوَّة، ومعدن الرسالة، ومركز الوعي والإحساس في الأرض، وترحَّم المأمون على الإمام الرِّضا عليه السلام، وانطلق في مسيرته نحو البيداء للصيد.

ولمَّا انتهى إلى موضع الصيد أرسل بازياً كان معه فغاب عنه، وبعد فترة عاد وفي منقاره سمكة صغيرة فيها بقايا الحياة، فتعجَّب المأمون وقفل راجعاً إلى بلاطه، والتقى بالإمام الجواد عليه السلام، وبادره المأمون قائلاً: يا محمَّد ما في يدي؟

فأجابه الإمام: **إنَّ اللَّهَ تَعالىٰ خَلَقَ فِي بَحْرِ قُدْرَتِهِ سَمَكاً صَغِيراً تَصيدُهُ بازاتُ الْمُلوكِ وَالْخُلَفاءِ، كَيْ يَخْتَبِروا بِها سُلالَةَ بَنِي الْمُصْطَفىٰ.**

ولم يملك المأمون إعجابه بالإمام فراح يقول: أنت ابن الرِّضا حقّاً!!

وأخذه معه، وأحسن إليه، وبالغ في إكرامه[١]، وكان هذا الاجتماع أوَّل إلتقاء بين الإمام والمأمون.

---

(١) نور الأبصار: ص١٤٦. أخبار الدول: ص١١٦.

زواج الإمام من ابنة المأمون:

وأجمع المؤرّخون على أنَّ المأمون قد رغب في زواج الإمام أبي جعفر عليه السلام من ابنته أُمّ الفضل، فهو الذي دعاه إلى هذه المصاهرة.

ومن الجدير بالذِّكر أنَّها ثاني علاقة تكون بهذا المستوى بين الأُسرتين العلويَّة والعبَّاسيَّة بعدما انهارت جميع أُسس العلائق والقرابة التي كانت بينهما، ولم يعد أي تقارب أو إلتقاء بين الأُسرتين، وكان ذلك منذ عصر الطاغية اللئيم المنصور الدوانيقي، وجرى أبناؤه على ذلك فنكَّلوا بالعلويِّين أفظع ما يكون التنكيل.

أسباب المصاهرة:

وذكر الرواة والمؤرّخون عدَّة أسباب لإقدام المأمون على هذه المصاهرة، وهذا بعضها:

١ ـ ما أدلى به نفس المأمون حينما عزم على أن يزوِّج الإمام من ابنته، فقال: «أحببت أن أكون جدّاً لمرء ولده رسول الله صلى الله عليه وآله وعليّ بن أبي طالب عليه السلام».

وفيما اعتقد أنَّ هذا ليس هو السبب الحقيقي في هذه المصاهرة، فإنَّ المأمون لم يؤمن بقرارة نفسه في هذه الجهة، ولو كان صادقاً فيما يقول لما اغتال الإمام الرِّضا عليه السلام وما أوعز إلى جهاز حكومته بمطاردة العلويِّين وقتلهم.

٢ ـ إنَّ الذي دعا المأمون إلى ذلك إعجابه بمواهب الإمام الجواد عليه السلام وعبقريَّاته التي أصبحت حديث الأندية والمجالس، وهذا الرأي لم يحظ بأيّ تأييد علمي.

٣ ـ إنَّه أراد التمويه على الرأي العامّ بإظهار براءته من اغتياله للإمام الرِّضا عليه السلام فإنَّه لو كان قاتلاً له لما زوَّج ابنه من ابنته.

٤ ـ إنَّه حاول الوقوف على نشاط الإمام الجواد عليه السلام، والإحاطة باتّجاهاته السياسيَّة، ومعرفة العناصر الموالية له، والقائلة بإمامته، وذلك من طريق ابنته التي ستكون زوجة له.

٥ ـ لعلَّ من أهمّ الأسباب، وأكثرها خطورة هو أنَّ المأمون قد حاول من هذه المصاهرة جرّ الإمام إلى ميادين اللهو واللعب ليهدم بذلك صرح الإمامة الذي تُدين به الشيعة، والذي كان من أهمّ بنوده عصمة الإمام وامتناعه من اقتراف أيّ ذنب عمداً كان أو سهواً.

وكان من الطبيعي أن يفشل في ذلك، فإنَّ الإمام عليه السلام لم يتجاوب معه بأيِّ شكل

من الأشكال، ولو كان في ذلك إزهاق نفسه، أمَّا ما يدلُّ على ذلك كلّه فهو ما رواه ثقة الإسلام الكليني. قال ما نصّه: «احتال المأمون على أبي جعفر عليه السلام بكلِّ حيلة[١]، فلم يمكنه فيه شيء، فلمَّا اعتلَّ وأراد أن يبني عليه ابنته[٢] دفع إلى مائتي وصيفة من أجمل ما يكون إلى كلّ واحدة منهنَّ جاماً فيه جوهر يستقبله أبا جعفر إذا قعد في موضع الأخيار، فلم يلتفت إليهنَّ، وكان هناك رجل يُقال له مخارق، صاحب صوت وعود، وضرب، طويل اللحية فدعاه المأمون، فقال: يا أمير المؤمنين، إن كان شيء من أمر الدُّنيا فأنا أكفيك أمره، فقعد بين يدي أبي جعفر عليه السلام فشهق مخارق شهقة اجتمع عليه أهل الدار، وجعل يضرب بعوده ويغنِّي.

فلمَّا فعل ساعة وإذا أبو جعفر لا يلتفت إليه يميناً ولا شمالاً، ثمَّ رفع إليه رأسه، وقال: **اتَّقِ اللّه يا ذا العُثْنونِ**[٣].

قال: فسقط المضراب من يده والعود، فلم ينتفع بيديه إلى أن مات، فسأله المأمون عن حاله قال: لمَّا صاح بي أبو جعفر فزعت فزعة لا أُفيق منها أبداً[٤].

وكشفت هذه الرواية عن محاولات المأمون لجرّ الإمام عليه السلام إلى ميادين اللهو، فقد عرض عليه جميع ألوان المغريات، وكان الإمام آنذاك في ريعان الشباب، فاعتصم عليه السلام بطاقاته الرُّوحيَّة الهائلة، وامتنع عمَّا حرَّمه الله عليه، وقد أفسد عليه السلام بذلك مخطَّطات المأمون الرامية إلى إبطال ما تذهب إليه الشيعة من عصمة أئمَّتهم، وكانت هذه الجهة ـ فيما نحسب ـ هي السبب في إضفاء لقب التقيّ عليه لأنَّه اتَّقى الله في أشدّ الأدوار، وأكثرها صعوبة، فوقاه الله شرّ المأمون[٥].

فزع العبَّاسيِّين:

وفزع العبَّاسيّون أشدَّ ما يكون الفزع حينما علموا أنَّ المأمون قد عزم على مصاهرة الإمام الجواد عليه السلام، فعقدوا اجتماعاً حضره كبارهم، وذوو الرأي والمشورة منهم، وعرضوا فيما بينهم خطورة الأمر، وما قد ينتهي إليه من نقل الخلافة والملك من

---

(١) أراد أن ينادمه الإمام، ويدخل معه ـ والعياذ بالله ـ في ميادين الدعارة.

(٢) يبني عليه ابنته: أي يزفّها إليه.

(٣) العثنون: اللحية، أو ما فضل منها بعد العارضين أو طولها.

(٤) أُصول الكافي: ١/ ٤٩٤ ـ ٤٩٥.

(٥) معاني الأخبار: ص٦٤. بحار الأنوار: ٥٠/ ١٦.

العبَّاسيِّين إلى العلويِّين، وبعد مداولة الحديث، ومناقشة الأمر من جميع جهاته، أجمع رأيهم على الاجتماع بالمأمون، وإبداء المعارضة التامَّة لما أقدم عليه.

واتّفق المأمون مع العبَّاسيِّين على امتحان الإمام الجواد عليه السلام لعلَّه يعجز عن الجواب فيفسد بذلك مصاهرته للمأمون، بالإضافة إلى أنَّهم سيتَّخذون من ذلك وسيلة لبطلان ما تذهب إليه الشيعة من أنَّ الإمام أعلم أهل عصره وأفضلهم، وانبرى العبَّاسيّون قائلين: «قد رضينا لك يا أمير المؤمنين ولأنفسنا بامتحانه، فخلِّ بيننا وبينه لننصب من يسأله بحضرتك عن شيء من فقه الشريعة، فإنْ أصاب الجواب عنه لم يكن لنا اعتراض في أمره، وظهر للخاصَّة والعامَّة سداد رأي أمير المؤمنين، وإن عجز عن ذلك، فقد كفينا الخطب في معناه»[1].

وانصرف العبَّاسيّون، وهم يفتِّشون عن شخصيَّة علميَّة تتمكَّن من امتحان الإمام وتعجيزه.

انتداب يحيى لامتحان الإمام عليه السلام:

وأجمع رأي العبَّاسيِّين على اختيار يحيى بن أكثم قاضي قضاة بغداد، وأحد أعلام الفقه في ذلك العصر، لامتحان الإمام أبي جعفر عليه السلام، وعرضوا عليه الأمر، ومنَّوه بالأموال الطائلة إن امتحن الإمام وعجز عن جوابه، فإنَّه يحقِّق لهم أعظم الانتصارات.

وأجابهم يحيى إلى ذلك، وانصرف إلى منزله، وراح يفتِّش في كتب الفقه والحديث عن أعقد المسائل وأهمّها ليمتحن بها الإمام عليه السلام، وانطلق العبَّاسيّون إلى المأمون فعرَّفوه باستجابة يحيى لهم، وطلبوا منه تعيين يوم لامتحان الإمام، فعيّن لهم يوماً خاصّاً.

أسئلة يحيى:

ولمَّا حضر اليوم المقرَّر لامتحان الإمام عليه السلام هرع العبَّاسيّون إلى بلاط المأمون، وحضر الاجتماع أهل الفضل والأعلام الفكر وسائر طبقات الناس وكان يوماً مشهوداً وقد غصَّت قاعة الاجتماع على سعتها بالناس، وأمر المأمون أن يفرش للإمام أبي جعفر عليه السلام دست، ويجعل له فيه مسورتان، فصنع له ذلك، جلس فيه الإمام عليه السلام وكان

(١) الإرشاد: ص٣٥٩ ـ ٣٦٠.

له من العمر تسع سنين وأشهر، وجلس يحيى بن أكثم بين يديه، وجلس المأمون في دست متّصل بدست الإمام عليه السلام.

واستحال الجمع إلى آذان صاغية، وانبرى يحيى إلى المأمون فطلب منه أن يأذن له في امتحان الإمام فأذِن له في ذلك، واتّجه يحيى صوب الإمام وقال له: أتأذن لي - جعلت فداك - في مسألة؟

وقابله الإمام ببسمات فيّاضة بالبشر قائلاً: **سَلْ إنْ شِئْتَ**.

ووجّه يحيى مسألته إلى الإمام قائلاً: ماتقول - جعلني الله فداك - في مُحرم قتل صيداً؟

وحلّل الإمام عليه السلام هذه المسألة إلى عدَّة مسائل، وشقَّقها إلى مجموعة من الفروع وسأل يحيى أي فرع منها أراد قائلاً:

«قَتَلَهُ فِي حِلٍّ أوْ حَرَم، عَالِماً كَانَ الْمُحْرِمُ أمْ جَاهِلاً، قَتَلَهُ عَمْداً أوْ خَطأً، حُرّاً كَانَ الْمُحْرِمُ أمْ عَبْداً، صَغِيراً كَانَ أمْ كَبِيراً، مُبْتَدِئاً بِالْقَتْلِ أمْ مُعِيداً، مِنْ ذَواتِ الطَّيرِ كَانَ الصَّيْدُ أمْ مِنْ غَيْرِهِ، مِنْ صِغَارِ الصَّيْدِ أمْ مِنْ كِبارِها، مُصِرّاً كَانَ أوْ نَادِماً، فِي اللَّيْلِ كَانَ قَتْلُهُ لِلصَّيْدِ أمْ نَهاراً، مُحْرِماً كَانَ بِالْعُمْرَةِ إذْ قَتَلَهُ أوْ بِالْحَجِّ كَانَ مُحْرِماً».

وذهل يحيى وتحيَّر، وبان عليه العجز، إذ لم يتصوَّر هذه الفروع المترتّبة على مسألته، وعلت في القاعة أصوات التكبير والتهليل، فقد استبان للجميع أنَّ أئمَّة أهل البيت عليهم السلام هم معدن العلم والحكمة، وإنَّ الله منح كبارهم وصغارهم ما منح به أنبياءه من الكمال والعلم.

لقد شقَّق الإمام عليه السلام هذه المسألة إلى هذه الفروع، وإن كان بعضها لا يختلف فيه الحكم، كما إذا كان القتل للصيد في الليل أم في النهار، فإنَّ الحكم فيهما واحد، وإنَّما ذكر الإمام عليه السلام ذلك لتبكيت الخصم الذي سأل الإمام للامتحان لا للفهم.

وعلى أيِّ حال، فإنَّ المأمون لمَّا رأى العجز قد استبان على يحيى فلم يطق جواباً أقبل على بني العبَّاس فقال لهم: «الحمد لله على هذه النعمة، والتوفيق لي في الرأي. أعرفتم الآن ما كنتم تنكرونه»[1].

---

(١) الإرشاد: ص٣٦١.

خطبة العقد:

وبعدما أُفحم يحيى بن أكثم، وظهر عليه العجز، وبان لحضَّار الحفل فضل الإمام أبي جعفر عليه السلام وتقدُّمه في العلم على غيره ـ مع صغر سنّه ـ التفت إليه المأمون فقال له: أتخطب يا أبا جعفر؟

وأظهر الإمام عليه السلام الرِّضا بذلك، فأسرع المأمون قائلاً: اخطب ـ جعلت فداك ـ لنفسك، فقد رضيتك، وأنا مزوّجك أمّ الفضل ابنتي، وإن رغم قوم لذلك.

وانبرى الإمام فأنشأ خطبة العقد قائلاً:

«الْحَمْدُ لِلَّهِ إقْراراً بِنِعْمَتِهِ، وَلاَ إلَهَ إلاَّ اللَّهُ إخْلاصاً لِوَحْدانِيَّتِهِ، وَصَلَّىٰ اللَّهُ عَلَىٰ سَيِّدِ بَرِيَّتِهِ، وَالأَصْفِياءِ مِنْ عِتْرَتِهِ.

أمَّا بَعْدُ: فَقَدْ كَانَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَىٰ الأنَامِ أنْ أغْناهُمْ بِالْحَلالِ عَنِ الْحَرَامِ، فَقالَ سُبْحانَهُ: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[1].

ثُمَّ إنَّ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيِّ بْنِ مُوسىٰ يَخْطُبُ أُمَّ الْفَضْلِ بِنْتَ عَبْدِ اللَّهِ الْمَأْمونِ وَقَدْ بَذَلَ لَها مِنَ الصَّداقِ مَهْرَ جَدَّتِهِ فاطِمَةَ بِنْتِ مُحَمَّدٍ ﷺ خَمْسَمائَةِ دِرْهَمٍ جِياداً فَهَلْ زَوَّجْتَني يا أميرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ هَذَا الصَّداقِ؟».

وانبرى المأمون بحسب وكالته عن ابنته أو ولايته عليها فيما إذا كانت صغيرة، فقال: نعم قد زوَّجتك يا أبا جعفر على هذا الصداق المذكور، فهل قبلت النكاح؟

قال الإمام عليه السلام: **قَدْ قَبِلْتُ ذَلِكَ وَرَضِيتُ بِهِ**[2].

وأمر المأمون الناس على اختلاف مراتبهم بالجلوس وعدم التفرُّق من المجلس.

قال الريَّان: ولم نلبث أن سمعنا أصوات الملاحين في محاوراتهم، فإذا الخدم يجرّون سفينة قد صُنعت من الفضَّة قد شدَّت بحبال من الإبريسم، وهي مملوءة من الغالية، فأمر المأمون ـ أوّلاً ـ بأن تخضَّب لحاء الخاصَّة، وبعدهم العامَّة وتطيَّب الجميع، ثمَّ وضعت الموائد فأكل الناس منها[3].

---

(١) سورة النُّور: الآية ٣٢.
(٢) الإرشاد: ص٣٦١ و٣٦٢.
(٣) الإرشاد: ص٣٦٢.

المأمون يطلب إيضاح المسألة:

وطلب المأمون من الإمام أبي جعفر عليه السلام إيضاح المسألة السابقة التي سأله عنها يحيى بن أكثم، فأجابه عليه السلام إلى ذلك، وقد روي جوابه بصورتين:

الأولى: ما رواه الحسن بن عليّ بن شعبة في تحف العقول مرسلاً عن أبي جعفر الجواد عليه السلام، وقد جاء في الجواب:

«إنَّ الْمُحْرِمَ إذَا قَتَلَ صَيْداً فِي الْحِلِّ وَكَانَ الصَّيْدُ مِنْ ذَوَاتِ الطَّيْرِ مِنْ كِبارِهِ فَعَلَيْهِ شاةٌ، وَإنْ أصابَهُ فِي الْحَرَم فَعَلَيْهِ الْجزاءُ مُضاعَفاً، وَإذا قَتَلَ فَرْخاً فِي الْحِلِّ فَعَلَيْهِ حَمْلٌ قَدْ فُطِمَ مِنَ اللَّبَنِ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ الْقِيمَةُ لأنَّهُ لَيْسَ فِي الْحَرَمِ، وَإذَا قَتَلَهُ فِي الْحَرَمِ فَعَلَيْهِ الْحَمَلُ وَقِيمَةُ الْفَرْخِ. وَإنْ كَانَ مِنَ الْوَحْشِ فَعَلَيْهِ فِي حِمارِ الْوَحْشِ بَقَرَةٌ، وَإنْ كَانَ نَعَامَةً فَعَلَيْهِ بَدَنَةٌ[1]، فَإنْ لَمْ يَقْدِرْ فَإطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِيناً، فَإنْ لَمْ يَقْدِرْ فَلْيَصُمْ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ يَوْماً، وَإنْ كَانَ بَقَرَةً فَعَلَيْهِ بَقَرَةٌ، فَإنْ لَمْ يَقْدِرْ فَلْيُطْعِمْ ثَلاثِينَ مِسْكِيناً، فَإنْ لَمْ يَقْدِرْ فَلْيَصُمْ تِسْعَةَ أيَّام. وَإنْ كَانَ ظَبْياً فَعَلَيْهِ شَاةٌ، فَإنْ لَمْ يَقْدِرْ فَلْيُطْعِمْ عَشْرَةَ مَساكِينَ، فَإنْ لَمْ يَجِدْ فَلْيَصُمْ ثَلاثَةَ أيَّام. وَإنْ أصَابَهُ فِي الْحَرَم فَعَلَيْهِ الْجَزاءُ مُضاعَفاً ﴿هَدْيًا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ﴾[2] حَقّاً وَاجِباً أنْ يَنْحَرَهُ إنْ كَانَ فِي حَجٍّ بِمِنىً حَيْثُ يَنْحَرُ النَّاسُ. وَإنْ كَانَ فِي عُمْرَةٍ يَنْحَرُهُ بِمَكَّةَ فِي فِناءِ الْكَعْبَةِ وَيَتَصَدَّقُ بِمِثْلِ ثَمَنِ شَاةٍ. وَإنْ قَتَلَ حَماماً مِنْ حَمامِ الْحَرَمِ فَعَلَيْهِ دِرْهَمٌ يَتَصَدَّقُ بِهِ، وَدِرْهَمٌ يَشْتَرِي بِهِ عَلَفاً لِحَمامِ الْحَرَمِ. وَفِي الْفَرْخِ نِصْفُ دِرْهَم، وَفِي الْبَيْضَةِ رُبْعُ دِرْهَم، وَكُلُّ ما أتىٰ بِهِ الْمُحْرِمُ بِجَهالَةٍ أوْ خَطَأٍ فَلاَ شَيْءَ عَلَيْهِ إلاَّ الصَّيْدَ، فَإنَّ عَلَيْهِ فِيهِ الْفِداءَ بِجهالَةٍ كَانَ أمْ بِعِلْم، بِخَطَإٍ كَانَ أمْ بِعَمْدٍ. وَكُلُّ مَا أتَىٰ بِهِ الْعَبْدُ فَكَفَّارَتُهُ عَلَىٰ صَاحِبِهِ مِثْلُ مَا يَلْزَمُ صَاحِبَهُ. وَإنْ دَلَّ عَلىٰ الصَّيْدِ وَهُوَ مُحْرِمٌ وَقُتِلَ الصَّيْدُ فَعَلَيْهِ فِيهِ الْفِداءُ، وَالْمُصِرُّ عَلَيْهِ يَلْزَمُهُ بَعْدَ الْفِداءِ الْعُقُوبَةُ فِي الآخِرَةِ، وَالنَّادِمُ لاَ شَيْءَ عَلَيْهِ بَعْدَ الْفِداءِ فِي الآخِرَةِ. وَإنْ أصَابَ لَيْلاً أوْكَارَها[3] خَطَأً فَلا شَيْءَ عَلَيْهِ إلاَّ أنْ يَتَصَيَّدَ، فَإنْ تَصَيَّدَ بِلَيْلٍ أوْ نَهارٍ فَعَلَيْهِ فِيهِ الْفِداءُ. وَالْمُحْرِمُ لِلْحَجِّ يَنْحَرُ الْفِداءَ بِمَكَّةَ..».

وأمر المأمون أن يُكتب ذلك عن أبي جعفر عليه السلام، والتفت المأمون إلى أهل بيته الذين أنكروا تزويجه فقال لهم: هل فيكم من يجيب بهذا الجواب؟

قالوا: لا والله ولا القاضي ـ يا أمير المؤمنين ـ كنت أعلم به منّا فقال: ويحكم!

---

(١) في التفسير: «فعليه في الحمار الوحش بدنة، وكذلك في النعامة».

(٢) سورة المائدة: الآية ٩٥.

(٣) في التفسير: «في وكرها».

أما علمتم أنَّ أهل هذا البيت ليسوا خَلقاً من هذا الخَلق، أما علمتم أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله بايع الحسن والحسين وهما صبيّان ولم يبايع غيرهما طفلين، أولم تعلموا أنَّ أباهم عليّاً عليه السلام آمن برسول الله صلى الله عليه وآله وهو ابن تسع سنين فقبل الله ورسوله إيمانه، ولم يقبل من طفل غيره ولا دعا رسول الله صلى الله عليه وآله طفلاً غيره، أولم تعلموا أنَّها ذرِّية بعضها من بعض يجري لآخرهم ما يجري لأوَّلهم[1].

الثانية: ما رواه الشيخ المفيد أنَّ المأمون قال لأبي جعفر عليه السلام: إن رأيت جعلت فداك أن تذكر الفقه فيما فصَّلته من وجوه قتل الصيد لنعلمه ونستفيده؟

فقال أبو جعفر عليه السلام: **نَعَمْ إنَّ الْمُحْرِمَ إذَا قَتَلَ صَيْداً فِي الْحِلِّ، وَكَانَ الصَّيْدُ مِنْ ذَوَاتِ الطَّيْرِ، وَكَانَ مِنْ كِبَارِها فَعَلَيْهِ شَاةٌ، فَإنْ أَصَابَهُ فِي الْحَرَم فَعَلَيْهِ الْجَزاءُ مُضَاعَفاً، فَإذَا قَتَلَ فَرْخاً فِي الْحِلِّ فَعَلَيْهِ حَمْلٌ قَدْ فُطِمَ مِنَ اللَّبَنِ وَإذَا قَتَلَهُ فِي الْحَرَم فَعَلَيْهِ الْحَمْلُ وَقِيمَةُ الْفَرْخِ، وَإنْ كَانَ مِنَ الْوَحْشِ وَكَانَ حِمارَ وَحْشٍ فَعَلَيْهِ بَقَرَةٌ، وَإنْ كَانَ نَعَامَةً فَعَلَيْهِ بَدَنَةٌ، وَإنْ كَانَ ظَبياً فَعَلَيْهِ شَاةٌ، فَإنْ قَتَلَ شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ فِي الْحَرَم فَعَلَيْهِ الْجَزَاءُ مُضَاعَفاً هَدْياً بَالِغَ الْكَعْبَةِ، وَإذَا أَصَابَ الْمُحْرِمُ مَا يَجِبُ عَلَيْهِ الْهَدْيُ فِيهِ، وَكَانَ إحْرَامُهُ بِالْحَجِّ نَحَرَهُ بِمِنىً، وَإنْ كَانَ إحْرَامُهُ بِالْعُمْرَةِ نَحَرَهُ بِمَكَّةَ، وَجَزَاءُ الصَّيْدِ عَلَىٰ الْعَالِم وَالْجَاهِلِ سَواءٌ، وَفِي الْعَمْدِ لَهُ الْمَأْثَمُ وَهُوَ مَوْضوعٌ عَنْهُ فِي الْخَطَأ وَالْكَفَّارَةُ عَلَىٰ الْحُرِّ فِي نَفْسِهِ وَعَلَىٰ السَّيِّدِ فِي عَبْدِهِ، وَالصَّغِيرُ لاَ كَفَّارَةَ عَلَيْهِ وَهِيَ عَلَىٰ الْكَبِيرِ وَاجِبَةٌ، وَالنَّادِمُ يَسْقُطُ بِنَدَمِهِ عَنْهُ عِقَابُ الآخِرَةِ، وَالْمُصِرُّ يَجِبُ عَلَيْهِ الْعِقَابُ فِي الآخِرةِ.**

فقال له المأمون: أحسنت يا أبا جعفر أحسن الله إليك.

الإمام عليه السلام يسأل يحيى:

وطلب المأمون من الإمام الجواد عليه السلام أن يوجِّه سؤالاً إلى يحيى بن أكثم، فأجابه الإمام عليه السلام إلى ذلك والتفت إلى يحيى فقال له: **أَسْأَلُكَ؟**

فأجابه يحيى بتأدُّب: ذاك إليك ـ جعلت فداك ـ فإن عرفت جواب ما تسألني عنه، وإلاَّ استفدت منك.

فقدَّم له الإمام سؤالاً شبيهاً باللغز وذلك لمصلحة تقتضيها الظروف التي هو فيها، والتي كان منها إظهار فضله أمام العبَّاسيِّين الذين جحدوا فضله وفضل آبائه.

(١) تحف العقول: ص٤٥٢ و٤٥٣.

قال عليه السلام: أَخْبِرْنِي عَنْ رَجُلٍ نَظَرَ إِلَىٰ امْرَأةٍ فِي أَوَّلِ النَّهارِ فَكَانَ نَظَرُهُ إِلَيْها حَراماً عَلَيْهِ.

فَلَمَّا ارْتَفَعَ النَّهارُ حَلَّتْ لَهُ.

فَلَمَّا زَالَتِ الشَّمْسُ حَرُمَتْ عَلَيْهِ.

فَلَمَّا كَانَ وَقْتُ الْعَصْرِ حَلَّتْ لَهُ.

فَلَمَّا غَرُبَتِ الشَّمْسُ حَرُمَتْ عَلَيْهِ.

فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْها وَقْتَ الْعِشاءِ الآخِرَةِ حَلَّتْ لَهُ.

فَلَمَّا كَانَ انْتِصافُ اللَّيْلِ حَرُمَتْ عَلَيْهِ.

فَلَمَّا طَلَعَ الْفَجْرُ حَلَّتْ لَهُ، مَا حَالُ هَذِهِ الْمَرْأةِ؟ وَبِماذَا حَلَّتْ لَهُ؟ وَحَرُمَتْ عَلَيْهِ؟

وبهر يحيى، وحار في الجواب، والتفت إل الإمام قائلاً: «والله ما أهتدي إلى جواب هذا السؤال، ولا أعرف الوجه فيه، فإن رأيت أن تفيدنا فيه؟

وأخذ الإمام في تحليل المسألة قائلاً:

هَذِهِ أَمَةٌ لِرَجُلٍ مِنَ النَّاسِ نَظَرَ إِلَيْهَا أَجْنَبِيٌّ فِي أَوَّلِ النَّهارِ فَكَانَ نَظَرُهُ إِلَيْهَا حَراماً عَلَيْهِ.

فَلَمَّا ارْتَفَعَ النَّهارُ ابْتاعَها مِنْ مَوْلاها فَحَلَّتْ لَهُ.

فَلَمَّا كَانَ عِنْدَ الظُّهْرِ أَعْتَقَها فَحَرُمَتْ عَلَيْهِ.

فَلَمَّا كَانَ وَقْتُ الْعَصْرِ تَزَوَّجَها فَحَلَّتْ لَهُ.

فَلَمَّا كَانَ وَقْتُ الْمَغْرِبِ ظَاهَرَ مِنْهَا فَحَرُمَتْ عَلَيْهِ.

فَلَمَّا كَانَ وَقْتُ الْعِشَاءِ الآخِرَةِ كَفَّرَ عَنِ الظِّهَارِ فَحَلَّتْ لَهُ.

فَلَمَّا كَانَ فِي نِصْفِ اللَّيْلِ طَلَّقَها وَاحِدَةً فَحَرُمَتْ عَلَيْهِ.

فَلَمَّا كَانَ عِنْدَ الْفَجْرِ رَاجَعَها فَحَلَّتْ لَهُ.

وذهل الحاضرون من علم الإمام عليه السلام ـ وهو بهذا السنّ ـ وأقبل المأمون على أُسرته قائلاً: هل فيكم أحد يجيب عن المسألة بمثل هذا الجواب، أو يطرق القول فيما تقدَّم من السؤال؟

فانبروا جميعاً قائلين: لا والله إنّ أمير المؤمنين أعلم بما رأى[1].

---

(١) الإرشاد: ص٣٦٣.

هدايا بمناسبة عقد الزواج:

ولمَّا كان اليوم الثاني من بعد إجراء عقد الزواج حضر الناس في البلاط العبَّاسي وفي مقدِّمتهم قادة الجيش، وسائر الجهاز الرسمي، وغيرهم ومن عامَّة الناس، وهم يرفعون آيات التهاني إلى الإمام الجواد عليه السلام وإلى المأمون بهذه المناسبة السعيدة، وأمر المأمون بأن تقدَّم لهم الهدايا والعطايا، فقدِّمت لهم ثلاثة أطباق من الفضَّة فيها بنادق مسك وزعفران معجون في أجواف تلك البنادق، وفيها رقاع مكتوبة بأموال جزيلة، وعطايا سنيَّة، وإقطاعات فأمر المأمون بنثرها على القوم في خاصَّته، فكان كلّ من وقع في يده بندقة أخرج الرقعة التي فيها، والتمسه، فأطلق له، ووضعت البدر فنثر ما فيها على القوَّاد وغيرهم، وانصرف الناس وهم أغنياء بالجوائز والعطايا، وتقدَّم المأمون بالصدقة على كافَّة المساكين[1].

احتفاف الجماهير بالإمام عليه السلام:

وأُحيط الإمام الجواد أثناء إقامته في بغداد بهالة من التكريم والتعظيم، والتفَّت حوله الجماهير فقد رأت فيه امتداداً ذاتياً لآبائه الطاهرين الذين أضاءوا الحياة بجوهر الإسلام وواقع الإيمان، فكان الإمام إذا سار في الشارع اصطفَّت له المارَّة وعلا منها التكبير والتهليل، وهي ترفع صوتها عالياً: هذا ابن الإمام الرِّضا.

وقد حدَّث عن مظاهر ذلك التكريم القاسم بن عبد الرَّحمٰن وكان زيدياً فقال: «خرجت إلى بغداد فرأيت الناس يتشوفون ويقفون، فقلت: ما هذا؟

قالوا: ابن الرِّضا.

فقلت: والله لأنظر إليه، فطلع، وكان راكباً على بغل أو بغلة، فلعنت أصحاب الإمامة إذ يقولون: إنَّ الله افترض طاعة هذا، وبصر بي الإمام فعدل إليَّ، وقال: يَا قَاسِمَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ، ﴿أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ﴾[2]، وذهلت لمَّا عرف نيَّتي، وقلت بإمامته[3].

---

(١) الإرشاد: ص٣٦٣.

(٢) سورة القمر: الآية ٢٤.

(٣) إثبات الهداة: ١٩/٦.

محاضراته في بغداد:

واستغل الإمام أبو جعفر عليه السلام مدَّة بقائه في بغداد بالتدريس[١] وبلورة الفكر العامّ بالعلوم والمعارف الإسلاميَّة، وكان يلقي محاضراته القيِّمة على العلماء والرواة في بهو بيته، وقد تناولت مختلف العلوم والفنون من علم الحديث، والتفسير، وعلم الفقه، وعلم الكلام، وعلم الأُصول، إلاَّ أنَّ علم الفقه قد حظي بالجانب الأكبر من اهتمامه.

سفره إلى يثرب:

وسافر الإمام أبو جعفر عليه السلام بعد أن عقد على أُمّ الفضل إلى يثرب، وقد استقرَّ بها حفنة من السنين، وقد قام بشؤون العلويِّين، كما قام بإعاشة الفقراء والمحرومين، فكان موئلهم، أمَّا هو فقد عاش عيشة بسيطة كعيشة آبائه، فلم يرفّه على نفسه، وإنَّما حمَّلها من أمره رهقاً.

وقد احتفَّ به الفقهاء والعلماء ورواة الحديث، وهو يفيض عليهم من نمير علومه ومعارفه، وقد روى عنه العلماء جوانب كثيرة من الفقه وغيره، وقد ألمحنا إليها في البحوث السابقة.

بناؤه بأُمّ الفضل:

وبعدما بلغ الإمام الجواد عليه السلام سنّ الخامسة عشرة سافر إلى بغداد للزواج بأُمّ الفضل التي عقد عليها، وقدم إلى بغداد في شهر صفر ليلة الجمعة، وأقام فيها. وكان المأمون بتكريت، فقصده، وقابله المأمون بمزيد من الحفاوة والتكريم، وأمره أن تدخل عليه زوجته أُمّ الفضل، فأُدخلت عليه في دار أحمد بن يوسف وكانت داره على شاطىء دجلة، فأقام بها حتَّى موسم الحجّ ثمَّ خرج منها[٢].

المهنِّئون بزواجه:

ووفد جماعة من أعيان بغداد وغيرها على الإمام وهم يهنِّئونه بزواجه، ويبدون أفراحهم بهذه المناسبة، وكان ممَّن وفد عليه محمَّد بن علي الهاشمي، ولنستمع إلى حديثه، قال: «دخلت على أبي جعفر صبيحة عرسه بابنة المأمون، وكنت تناولت من

---

(١) عقيدة الشيعة: ص٢٠٠.

(٢) تاريخ بغداد/ ابن طيفور: ٦/ ٢٣ (من مخطوطات مكتبة الإمام كاشف الغطاء).

أوَّل اللَّيل دواءاً فأصابني العطش، وكرهت أن أدعو بالماء، فنظر أبو جعفر في وجهي، وقال: **أراكَ عَطْشاناً؟**

قلت: أجل.

قال: **يا غُلامُ، اسْقِنا ماءاً.**

فقلت في نفسي: الساعة يأتون بماء مسموم، واغتممت لذلك، فأقبل الغلام ومعه الماء، فتبسَّم في وجهي، ثمَّ قال: **يا غُلامُ، ناوِلْني الْماءَ**، فتناوله وشرب، ثمَّ ناولني فشربت وأطلت عنده، وعطشت فدعا بالماء، وفعل كما فعل بالمرة الأُولى، وخرجت من عنده وأنا أقول: أظنُّ أنَّ أبا جعفر يعلم ما في النُّفوس كما تقول الرافضة»[1].

لقد خاف محمَّد على الإمام أبي جعفر عليه السلام من العبَّاسيِّين أن يغتالوه بالسمّ ولا تمنعهم مصاهرتهم له لأنَّها لم تكن عن حسن نيَّة.

وممَّن وفد على الإمام عليه السلام مهنِّئاً أبو هاشم الجعفري، فقد قال له: لقد عظمت علينا بركة هذا اليوم ـ أي يوم زواج الإمام ـ.

وردَّ عليه الإمام قائلاً: **يا أبا هاشِمٍ، عَظُمَتْ بَرَكاتُ اللَّهِ عَلَيْنا فِيه.**

لقد أسند أبو هاشم عظمة البركة إلى اليوم الذي تزوَّج فيه الإمام، والحال ليس كذلك فإنَّ الأيَّام لا تُوجد البركة وإنَّما يوجدها الله خالق الكون وواهب الحياة، وشعر أبو هاشم أنَّ كلامه لا يخلو من زحاف فقال للإمام: يا مولاي، فما أقول في اليوم؟

ـ **قُلْ فِيهِ خَيْراً فَإِنَّهُ يُصيبُكَ.**

ـ يا مولاي، أفعل هذا ولا أُخالفه.

إنَّ الأيَّام ليس فيها بركة أو خير على الإنسان، وإنَّما ذلك بيد الله تعالى فهو الذي يفيضه على من يشاء من عباده، وقد قال له الإمام: **إذاً تُرْشَدُ وَلاَ تَرىٰ إلاَّ خَيْراً**[2].

مغادرته بغداد:

وغادر الإمام محمَّد الجواد عليه السلام بغداد بعد زواجه بأُمّ الفضل، وقد خرج معه أهله وعياله فتوجَّه بهم إلى بيت الله الحرام لأداء الحجّ[3].

---

(١) بحار الأنوار: ٥٠/ ٥٤، الحديث ٢٨.

(٢) بحار الأنوار: ٥٠/ ٧٩.

(٣) تاريخ بغداد/ ابن طيفور: ٦/ ٣٦٣.

أُمّ الفضل تشكو الإمام إلى أبيها:

وشاء الله تعالى أن تحرم أُمّ الفضل الذرِّيَّة من الإمام الجواد عليه السلام، فاضطرّ الإمام عليه السلام إلى أن يتسرَّىٰ ببعض الإماء ممَّن لها دين، فرزقه الله منها الذرِّيَّة الصالحة، فتميَّزت أُمّ الفضل غيظاً، ورفعت رسالة إلى أبيها تشكو فيها صنع الإمام معها، فأجابها المأمون: يا بنيَّة، إنَّا لم نزوِّجك أبا جعفر لنحرِّم عليه حلالاً، فلا تعاودي لذكر ما ذكرت بعدها[1].

وظلَّت أُمّ الفضل حاقدة على الإمام، حتى اغتالته بالسمّ كما يقول بعض المؤرّخين.

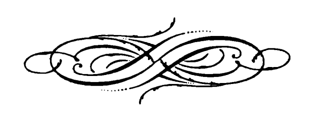
المرتَّب السنوي للإمام:

وأجرى المأمون مرتَّباً سنوياً للإمام أبي جعفر عليه السلام يبلغ مليون درهم[2] ولم ينفق الإمام هذه الأموال مع ما يرد إليه من الحقوق الشرعيَّة على شؤونه الخاصَّة، وإنَّما كان ينفقها ـ بسخاء ـ على الفقراء والمحرومين من العلويِّين وغيرهم.

وفاة المأمون:

كان عمر الإمام أبي جعفر عليه السلام في ذلك الوقت يربو على اثنين وعشرين عاماً، وكان ـ فيما يقول المؤرّخون ـ ينتظر موت المأمون بفارغ الصبر لعلمه أنَّه لا يبقى بعده إلاَّ قليلاً ثمَّ يرحل إلى جوار الله، ويفارق هذا العالم المليء بالفتن والأباطيل، وقد قال: **الْفَرَجُ بَعْدَ وَفاةِ الْمأْمُونِ بِثَلاثِينَ شَهْراً**.

ولم يلبث بعد وفاة المأمون إلاَّ ثلاثين شهراً حتَّى توفِّي[3].



---

(١) الإرشاد: ص٣٦٤.

(٢) شذرات الذهب: ٢/٤٨.

(٣) إثبات الهداة: ٦/١٩٠.

إلى جنَّة المأوىٰ

مع الإمام الجواد عليه السلام:

وأترعت نفس المعتصم بالحقد والكراهية للإمام الجواد عليه السلام، فكان يتميَّز من الغيظ حينما يسمع بفضائل الإمام ومآثره، وقد دفعه حسده له أن قدم على اغتياله، كما سنتحدَّث عن ذلك.

إشخاص الإمام إلى بغداد:

وأشخص المعتصم الإمام الجواد إلى بغداد فورد إليها لليلتين بقيتا من المحرم سنة (٢٢٠هـ)[١].

وقد فرض عليه الإقامة الجبريَّة فيها ليكون على علم بجميع شؤونه وأحواله، كما فرض عليه في نفس الوقت الرقابة الشديدة، وحجبه من الاتّصال بشيعته، والقائلين بإمامته.

الوشاية بالإمام:

ومن المؤسف حقّاً أن تصدر الوشاية بالإمام أبي جعفر عليه السلام من أبي داود السجستاني الذي كان من أعلام ذلك العصر، أمَّا السبب في ذلك فيعود إلى حسده للإمام عليه السلام.

والحسد داء خبيث ألقى الناس في شرٍّ عظيم، لقد حقد أبو داود على الإمام أشدَّ ما يكون الحقد، وذلك حينما أخذ المعتصم برأيه في مسألة فقهيَّة وترك بقية آراء الفقهاء، فتميَّز أبو داود غيظاً وغضباً على الإمام عليه السلام، وسعى إلى الوشاية به، وتدبير الحيلة في قتله.

---

(١) شرح ميمية أبي فراس: ص٣٦.

وبيان ذلك ما رواه زرقان الصديق الحميم لأبي داود قال: «إنَّه رجع من عند المعتصم وهو مغتمّ، فقلت له في ذلك.

قال: إنَّ سارقاً أقرَّ على نفسه بالسرقة وسأل الخليفة تطهيره بإقامة الحدّ عليه، فجمع لذلك الفقهاء في مجلسه، وقد أحضر محمَّد بن عليّ عليه السلام، فسألنا عن القطع في أي موضع يجب أن يقطع؟

فقلت: من الكرسوع[1] لقول الله في التيمُّم: ﴿فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡۗ﴾[2]، واتّفق معي على ذلك قوم.

وقال آخرون: بل يجب القطع من المرفق.

قال: وما الدليل على ذلك؟

قالوا: لأنَّ الله قال: ﴿وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ﴾[3].

قال: فالتفت إلى محمَّد بن عليّ عليه السلام فقال: ما تقول في هذا يا أبا جعفر؟

قال: **قَدْ تَكَلَّمَ الْقَوْمُ فِيهِ يا أميرَ الْمُؤْمِنِينَ.**

قال: دعني ممَّا تكلَّموا به، أي شيء عندك؟

قال: **اعْفِنِي عَنْ هَذَا يا أميرَ الْمُؤْمِنِينَ.**

قال: أقسمت عليك بالله لما أخبرتني بما عندك فيه.

فقال: **أَمَّا إِذَا أَقْسَمْتَ عَلَيَّ بِاللَّهِ إِنِّي أقولُ: إِنَّهُمْ أخطأُوا فِيهِ السُّنَّة، فَإِنَّ الْقَطْعَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ مِنْ مَفْصَلِ أُصولِ الأصابعِ فَيُتْرَكُ الْكَفُّ.**

قال: لِمَ؟

قال: **قَوْلُ رَسولِ اللَّهِ ﷺ: السُّجودُ عَلىٰ سَبْعَةِ أعْضاءٍ: الْوَجْهُ وَالْيَدَيْنِ وَالرُّكْبَتَيْنِ وَالرِّجلَيْنِ، فَإذا قُطِعَتْ يَدُهُ مِنَ الْكُرْسوعِ أوِ الْمِرْفَقِ لَمْ يَبْقَ لَهُ يَدٌ يَسْجُدُ عَلَيْها، وَقالَ اللَّهُ تَبارَكَ وَتَعالىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾ يَعْني بِهِ هَذِهِ الأعْضاءَ السَّبْعَةَ الَّتِي يَسْجُدُ عَلَيْها ﴿فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا﴾[4]، وَمَا كَانَ لِلَّهِ لَمْ يُقْطَعْ.**

قال: فأعجب المعتصم ذلك، فأمر بقطع يد السارق من مفصل الأصابع دون الكفّ.

---

(١) الكرسوع: طرف الزند الذي يلي الخنصر.

(٢) سورة النساء: الآية ٤٣.

(٣) سورة المائدة: الآية ٦.

(٤) سورة الجن: الآية ١٨.

قال زرقان: إنَّ أبا داود قال: صرت إلى المعتصم بعد ثالثة فقلت: إنَّ نصيحة أمير المؤمنين عليَّ واجبة، وأن أُكلِّمه بما أعلم إنِّي أدخل به النار.

قال: ما هو؟

قلت: إذا جمع أمير المؤمنين في مجلسه فقهاء رعيّته وعلماءهم لأمر واقع من أمور الدِّين فسألهم عن الحكم فيه، فأخبروه بما عندهم من الحكم في ذلك.

وقد حضر المجلس أهل بيته وقوَّاده ووزرائه وكتَّابه، وقد تسامع الناس بذلك من وراء بابه، ثمَّ يترك أقاويلهم كلّهم، لقول رجل يقول شطر هذه الأُمَّة بإمامته، ويدَّعون أنَّه أولى منه بمقامه، ثمَّ يحكم بحكمه دون حكم الفقهاء.

قال: «فتغيَّر لونه، وانتبه لما نبَّهته له، وقال: جزاك الله عن نصيحتك خيراً»[١].

تنبَّأ الإمام بوفاته:

واستشفَّ الإمام الجواد عليه السلام من وراء الغيب أنَّ الأجل المحتوم سيوافيه وأنَّ عمره كعمر الزهور، وقد أعلن ذلك لشيعته في كثير من المواطن وهذه بعضها:

١ - روى محمَّد بن الفرج قال: «كتب إليَّ أبو جعفر عليه السلام: **احْمِلوا إِلَيَّ الْخُمُسَ، لَسْتُ آخُذُ مِنكُمْ سِوىٰ عَامِي هَذا**، ولم يلبث عليه السلام إلاَّ قليلاً حتَّى قبض واختاره الله إلى جواره»[٢].

٢ - روى أبو طالب القمِّي، قال: «كتبت إلى أبي جعفر بن الرِّضا عليهما السلام أن يأذن لي أن أندب أبا الحسن - يعني أباه -.

قال: فكتب: **أنِ انْدُبْنِي وَانْدُبْ أبِي**»[٣].

٣ - وأخبر عليه السلام عن وفاته في أيَّام المأمون، فقد قال: «**الْفَرَجُ بَعْدَ الْمَأْمونَ بِثَلاثِينَ شَهْراً**» ولم يلبث بعد المأمون ثلاثين شهراً، حتَّى قبض واختاره الله إلى جواره»[٤].

٤ - روى إسماعيل بن مهران: «أنَّ المعتصم العبَّاسي لمَّا أشخص الإمام أبا جعفر عليه السلام إلى بغداد قال: قلت له: جعلت فداك، أنت خارج، فإلى مَن هذا الأمر من بعدك؟

---

(١) تفسير العيَّاشي: ١/٣١٩.
(٢) المحجَّة البيضاء: ٤/٣٠٨.
(٣) جامع الرواة: ١/٤٩٢.
(٤) إثبات الهداة: ٦/١٩٠.

فبكى حتى اخضلَّت لحيته، ثمَّ التفت إليَّ فقال: **عِنْدَ هَذِهِ يُخَافُ عَلَيَّ، الأَمْرُ مِنْ بَعْدِي إِلَىٰ ابْنِي عَلِيٍّ**»[1].

تعيينه لولده الهادي عليه السلام:

ونصَّ الإمام الجواد عليه السلام على إمامة ولده عليّ الهادي عليه السلام، ونصبه علماً ومرجعاً للأُمَّة من بعده.

فقد روى الصقر، قال: «سمعت أبا جعفر محمَّد بن عليَّ الرِّضا عليه السلام يقول: **إِنَّ الإِمَامَ بَعْدِي ابْنِي عَلِيٌّ، أَمْرُهُ أَمْرِي، وَقَوْلُهُ قَوْلِي، وَطَاعَتُهُ طَاعَتِي**»[2].

وروى الخيراني عن أبيه: «إنَّ الإمام أبا جعفر عليه السلام بعث إليه رسولاً فقال له: «**إِنَّ مَوْلاَكَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلاَمَ وَيَقُولُ لَكَ: إِنِّي مَاضٍ، وَالأَمْرُ صَائِرٌ إِلَى ابْنِي عَلِيٍّ، وَلَهُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي مَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ بَعْدَ أَبِي**»[3].

اغتيال الإمام عليه السلام:

ولم يمت الإمام محمَّد الجواد عليه السلام حتف أنفه، وإنَّما اغتاله المعتصم العبَّاسي[4]، فقد قدم الطاغية على اقتراف هذه الجريمة النكراء.

وقد اختلف المؤرّخون في الشخص الذي أوعز إليه المعتصم للقيام بسمِّ الإمام، وفيما يلي بعض الأقوال:

١ ـ ذكر بعض الرواة أنَّ المعتصم أوعز إلى بعض كتَّاب وزرائه بأن يدعو الإمام عليه السلام إلى منزله ويدسُّ إليه السمّ، فدعاه إلاَّ أنَّ الإمام عليه السلام اعتذر من الحضور في مجلسه، وأصرَّ عليه الكتَّاب بالحضور لأجل التبرُّك بزيارة الإمام له، وأضاف أنَّ أحد الوزراء أحبّ لقاءه ولم يجد عليه السلام بدّاً من إجابته، فصار إليه، ولمَّا تناول الطعام أحسَّ بالسمّ فدعا بدابته للخروج من المنزل فسأله صاحب المنزل أن يقيم عنده فقال عليه السلام: **خُروجِي مِنْ دَارِكَ خَيْرٌ لَكَ**[5].

---

(١) الإرشاد: ص٣٦٩.
(٢) إكمال الدِّين: ٢/ ٥٠.
(٣) الإرشاد: ص٣٦٩.
(٤) بحر الأنساب: ص٢٨.
(٥) تفسير العيَّاشي: ١/ ٣٢٠.

٢ ـ صرَّحت بعض الروايات أنَّ المعتصم أغرى بنت أخيه زوجة الإمام أُمّ الفضل بالأموال، فدسَّت إليه السمّ[١].

وعلى أيٍّ حال، فقد قطع المعتصم بسمّه للإمام أواصر القربى ولم يرع حرمة النبيّ صلى الله عليه وآله في أبنائه.

دوافع اغتياله عليه السلام:

أمَّا دوافع اغتيال المعتصم للإمام فهي ـ فيما نحسب ـ تتلخَّص بما يلي:

أوَّلاً: وشاية أبي داود فقد دفعت المعتصم إلى اغتيال الإمام.

ثانياً: حسد المعتصم للإمام عليه السلام على ما ظفر به من الإكبار والتعظيم عند عامَّة المسلمين، فقد تحدَّثوا مجمعين عن مواهبه وعبقرياته وهو في سنِّه المبكِّر، كما تحدَّثوا عن معالي أخلاقه من الحلم وكظمه للغيظ، وبرِّه بالفقراء وإحسانه إلى المحرومين، إلى غير ذلك من صفاته التي عجَّت بذكرها الأندية والمحافل، ممَّا دفع المعتصم إلى فرض الإقامة الجبريَّة عليه في بغداد ثمَّ القيام باغتياله.

إلى جنَّة المأوى:

وأثَّر السمّ في الإمام تأثيراً شديداً، فقد تفاعل مع جميع أجزاء بدنه، وأخذ يعاني منه آلاماً مرهقة، فقد تقطَّعت أمعاؤه من شدَّة الألم، وقد عهدت الحكومة العبَّاسيَّة إلى أحمد بن عيسى أن يأتيه في السحر ليتعرَّف خبر علّته[٢].

وقد أخبر الإمام عليه السلام بوفاته من كان عنده في الليلة التي توفِّي فيها فقال لهم: **نَحْنُ مَعْشَرٌ إِذَا لَمْ يَرْضَ اللَّهُ لأحَدِنا الدُّنْيا نَقَلَنا إِلَيْهِ**[٣].

فقد كان في ريعان الشباب وغضارة العمر، ولمَّا أحسَّ بدنو الأجل المحتوم منه أخذ يقرأ سوراً من القرآن الكريم، وقد لفظ أنفاسه الأخيرة ولسانه يلهج بذكر الله تعالى وتوحيده، وقد انطفت بموته شعلة مشرقة من الإمامة والقيادة الواعية المفكِّرة في الإسلام.

لقد استشهد الإمام عليه السلام على يد طاغية زمانه المعتصم العبَّاسي، وقد انطوت بموته

---

(١) نزهة الجليس: ٢/ ١١١.
(٢) الإرشاد: ص٣٦٩.
(٣) بحار الأنوار: ٥٠/ ٢، الحديث ٣.

صفحة من صفحات الرسالة الإسلاميَّة التي أضاءت الفكر ورفعت منار العلم والفضيلة في الأرض.

تجهيزه ودفنه:

وجُهِّز بدن الإمام عليه السلام فغسِّل وأُدرج في أكفانه، وبادر الواثق بن المعتصم فصلَّى عليه[١] ظاهراً والإمام حاضر[٢]، وحُمل الجثمان العظيم إلى مقابر قريش، وقد احتفَّت به الجماهير الحاشدة، فكان يوماً لم تشهد بغداد مثله، فقد ازدحمت عشرات الآلاف في مواكب حزينة وهي تردِّد فضل الإمام وتندبه، وتذكر الخسارة العظمى التي مُني بها المسلمون في فقدهم للإمام عليه السلام.

وحفر للجثمان الطاهر قبر ملاصق لقبر جدّه العظيم موسى بن جعفر عليه السلام فواروه فيه وقد واروا معه القيم الإنسانيَّة، وكلّ ما يعتزّ به الإنسان من المثل الكريمة.

عمره عليه السلام:

أمَّا عمره الشريف فكان خمساً وعشرين عاماً[٣]، وهو أصغر الأئمَّة الطاهرين عليهم السلام سنّاً، وقد قضى معظم حياته في نشر العلم، وإذاعة الفضيلة بين الناس، فكانت حياته الغالية مدرسة للفكر والوعي ومعهداً للإيمان والتقوى.

سنة وفاته عليه السلام:

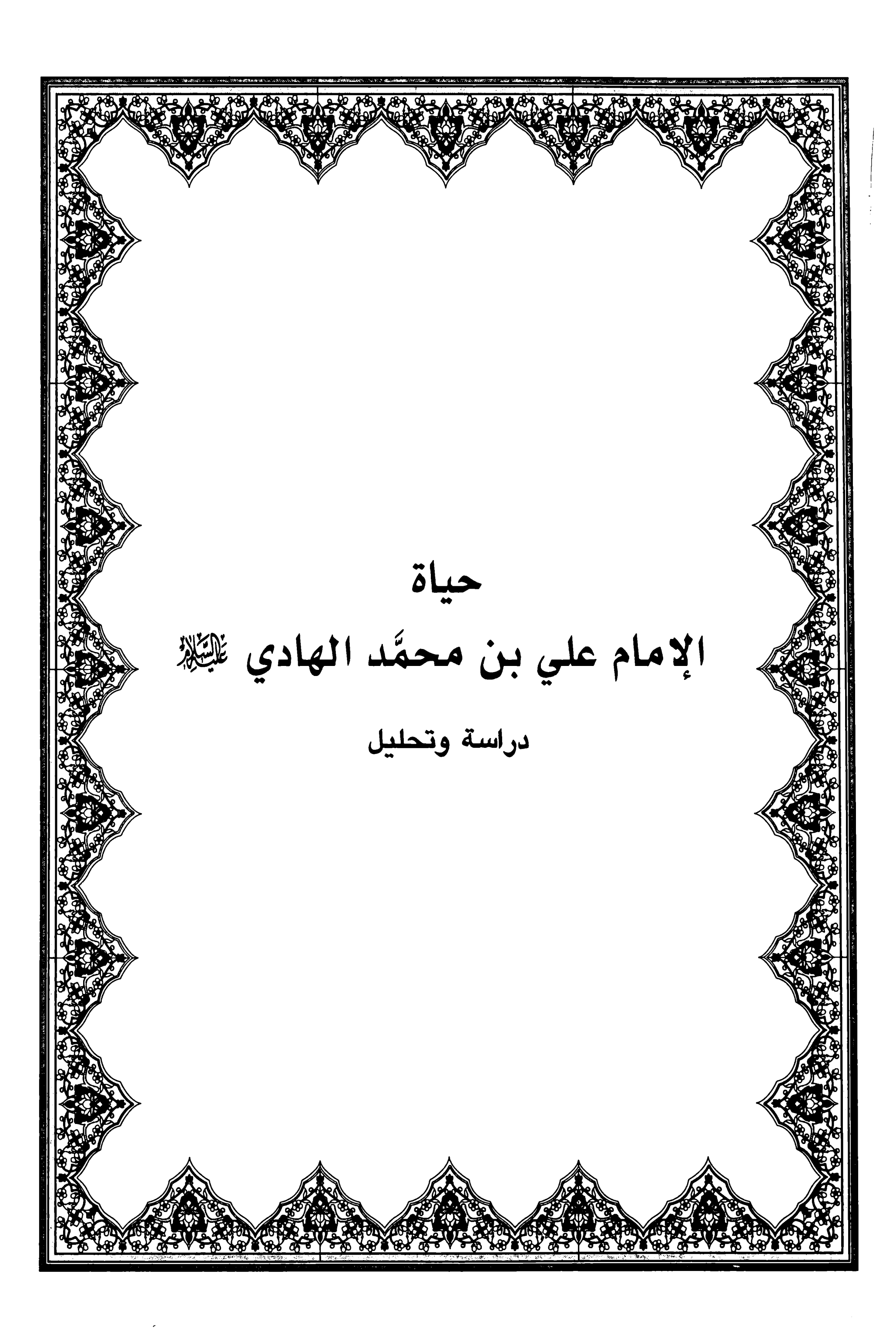
توفِّي الإمام الجواد عليه السلام سنة ٢٢٠هـ[٤]، يوم الثلاثاء لخمس خلون من ذي القعدة[٥].

وقيل: لخمس ليال بقين من ذي الحجَّة[٦].

وقيل: لست ليال خلون من ذي الحجَّة[٧].

---

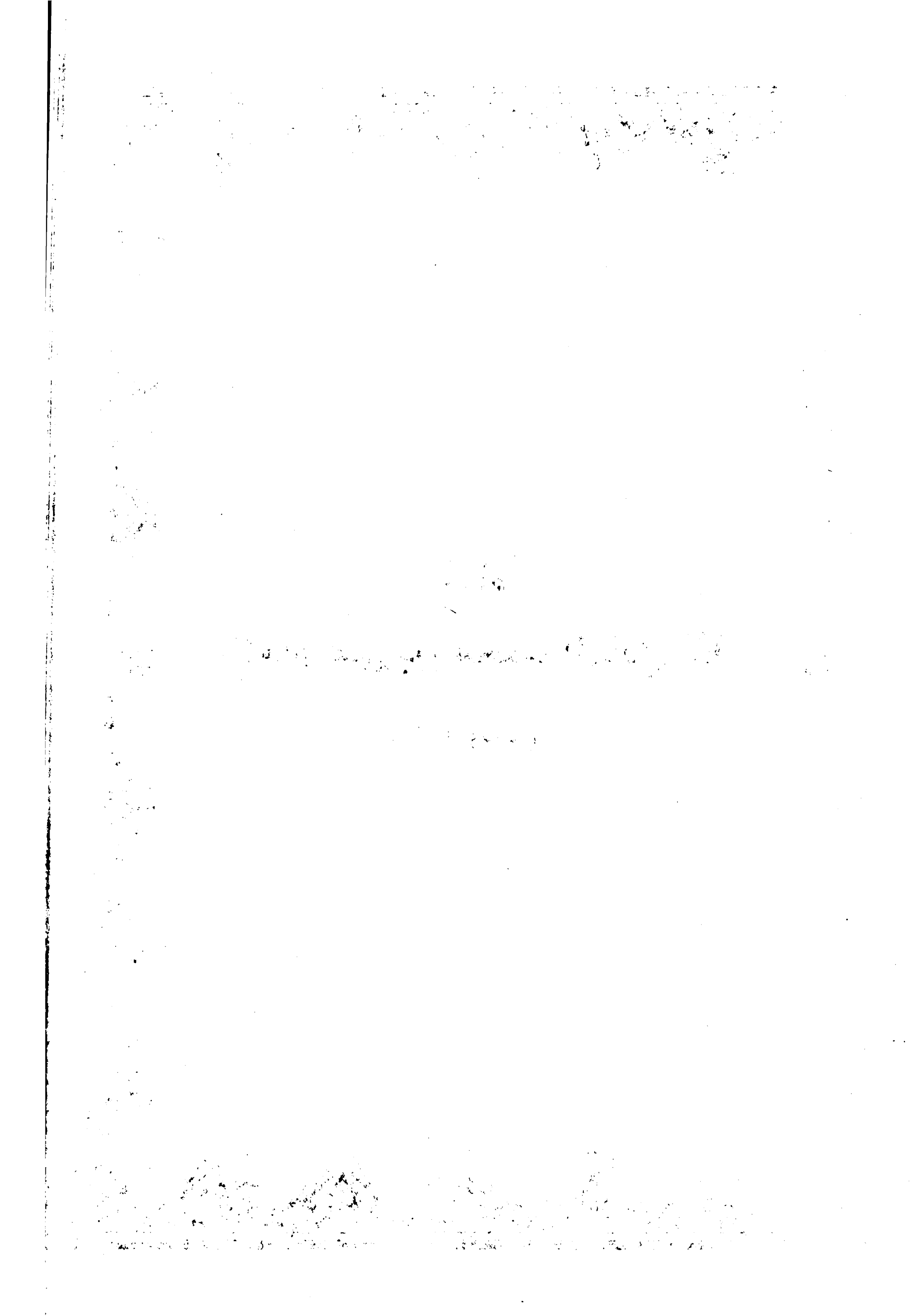
(١) نزهة الجليس: ٢/ ١١١.
(٢) بحا الأنوار: ٥٠/ ١١ و١٢، الحديث ١١.
(٣) تاريخ الإسلام: ١٥/ ٣٨٥.
(٤) تاريخ الخميس: ٢/ ٣٧٥.
(٥) نزهة الجليس: ٢/ ٦١.
(٦) النُّجوم الزاهرة: ٢/ ٢٣١.
(٧) الفصول المهمَّة: ص٢٦٢.



حياة

الإمام علي بن محمَّد الهادي عليه السلام

دراسة وتحليل



ولادته ونشأته عليه السلام

الأب:

أمَّا أبو الإمام الهادي عليه السلام فهو الإمام محمَّد الجواد بن عليّ بن موسى بن جعفر بن محمَّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام، وهو أرفع نسب في الإسلام.

كان أبوه الإمام الجواد عليه السلام أُعجوبة الناس بمواهبه وعبقريَّاته، فقد تقلَّد ـ بعد وفاة أبيه عليه السلام ـ الزعامة الدِّينيَّة والمرجعيَّة العامَّة للأُمَّة، وكان عمره سبع سنين وأشهراً.

الأُمّ:

تزوَّج الإمام محمَّد الجواد عليه السلام بأمة أولدت له الإمام عليّ الهادي عليه السلام، وكان قد اشتراها له محمَّد بن الفرج بسبعين ديناراً[1].

وتولّىٰ الإمام الجواد عليه السلام تربيتها وتهذيبها، وقد استقرَّت في بيت الإمامة الذي كان يضمّ العلويَّات من بنات رسول الله صلى الله عليه وآله اللاتي يمثِّلن الشرف والعفَّة والطهارة، وقد تأثَّرت بهديهنَّ وسلوكهنَّ فأقبلت على طاعة الله وعبادته، فكانت من القانتات المتهجِّدات والتاليات لكتاب الله، وقد روى ذلك نقلة الأثر[2].

وحسبها فخراً أنَّها ولدت سيِّداً من سادات المسلمين، وإماماً من أئمَّة أهل البيت عليهم السلام الذين جعلهم الله أمن العباد وسفن النجاة.

اسمها:

واختلف المؤرّخون والرواة في اسمها الشريف، وهذه بعض الأقوال:

١ ـ سمانة المغربية[3]، وتُعرف بالسيِّدة أُمّ الفضل[4].

---

(١) دلائل الإمامة: ص٢١٦.

(٢) عيون المعجزات: ص١١٨.

(٣) تذكرة الخواص: ص٣٩.

(٤) بحار الأنوار: ٥٠/ ١١٤.

٢ ـ مارية القبطيَّة[١].
٣ ـ يدش[٢].
٤ ـ حويت[٣].

الوليد العظيم:

وأشرقت الدُّنيا بولادة الإمام الهادي عليه السلام، فلم تلد امرأة في ذلك العصر مثله علماً وتقوى وتحرُّجاً في الدِّين، وقد ولد في (صريا)[٤] من يثرب[٥].

وكان بحكم ميراثه جامعاً لجميع خصال الخير والشرف والنبل.

مراسيم الولادة:

وسارع الإمام الجواد عليه السلام فأجرى على وليده المبارك المراسيم الشرعيَّة، فأذَّن في أُذنه اليمنى، وأقام في اليسرى، وختنه، وفي اليوم السابع من ولادته حلق رأسه، وتصدَّق بزنته فضَّة على المساكين، وعقَّ عنه بكبش، كما هي العادة عند أئمَّة أهل البيت عليهم السلام أنَّهم يجرون هذه المراسيم الشرعيَّة على أبنائهم عند الولادة.

سنة ولادته عليه السلام:

واتَّفق أكثر المؤرِّخين أنَّه ولد في سنة (٢١٢هـ)[٦].

وقيل: «إنَّه ولد في سنة (٢١٤هـ)»[٧].

وقد اختلفوا في الشهر واليوم الذي ولد فيه، وهذه بعض الأقوال:

١ ـ «ولد في اليوم السابع والعشرين من ذي الحجَّة»[٨].

٢ ـ «ولد في اليوم الثالث عشر من رجب»[٩].

---

(١) بحر الأنساب: ص٣٥.
(٢) مرآة الزمان: ٩/ورقة ٥٥٣ (مصوَّر).
(٣) تاريخ الأئمَّة: ص١٦.
(٤) صريا: قرية أُسَّسها الإمام موسى بن جعفر عليه السلام تبعد عن المدينة بثلاثة أميال. مناقب آل أبي طالب: ٣/ ٤٨٩.
(٥) الاتحاف بحبِّ الأشراف: ص٦٧.
(٦) أُصول الكافي: ١/ ٤٩٧.
(٧) الاتحاف بحبِّ الأشراف: ص٦٧.
(٨) أعيان الشيعة ـ القسم الثاني ـ: ٤/ ٢٥٢.
(٩) تاريخ الخميس: ٢/ ٣٢١.

٣ ـ «ولد يوم الجمعة ليومين خلت من رجب»[١].

٤ ـ ونصَّت بعض المصادر أنَّه ولد في رجب، ولكن لم تعيّن لنا اليوم الذي وُلد فيه، وبذلك صرَّحت بعض الأدعية، فقد جاء فيها: **«اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِالْمَوْلُودَيْنِ فِي رَجَبٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الثَّانِي وَابْنِهِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمُنْتَجَبِ»**.

وأهملت بعضه اليوم والشهر الذي وُلد فيه، واكتفت بالقول إنَّ وُلد بالمدينة[٢].

تسميته عليه السلام:

سمَّاه أبوه الإمام الجواد عليه السلام عليّاً تبرُّكاً وتيمُّناً باسم أجداده العظماء.

فقد شابه جدّه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في بلاغته وفصاحته، وشابه جدّه الإمام زين العابدين في تقواه وعبادته ونسكه.

كنيته عليه السلام:

كنَّى الإمام الجواد عليه السلام ولده الإمام الهادي بأبي الحسن، وعُرف بهذه الكنية جدَّاه الإمام موسى بن جعفر والإمام الرِّضا عليهما السلام.

ألقابه عليه السلام:

أمَّا ألقابه الكريمة، فإنَّها تحكي بعض ما اتَّصف به هذا الإمام العظيم من النزعات الكريمة، والصفات الرفيعة، وهي:

١ ـ **الهادي**: لأنَّه كان أهدى الناس إلى التقى والخير، وهو من أشهر ألقابه.

٢ ـ **الناصح**: لُقِّب بذلك لأنَّه كان من أنصح الناس لأُمَّة جدّه.

٣ ـ **المتوكّل**: وكان يبغض هذا اللقب، ويأمر أصحابه أن لا يلقّبوه به، وفيما أحسب إنَّما كره هذا اللقب لأنَّه كان لقباً للخليفة جعفر المتوكّل الذي كان من أبغض الناس وأعداهم لأهل البيت عليهم السلام.

٤ ـ **التقيّ**: لأنَّه أتَّقى الله وأناب إليه، وقد جهد الطاغية المتوكّل على أن يجرَّ الإمام إلى ميادين اللهو والدعارة فلم يستطع لذلك، وقد أخبر بذلك حاشيته.

٥ ـ **المرتضى**: وهو أشهر ألقابه.

---

(١) بحار الأنوار: ٥٠/١١٧.

(٢) الاتحاف بحبّ الأشراف: ص٦٧.

٦ ـ **الفقيه**: فقد كان أفقه أهل عصره، وكان المرجع الأعلى للفقهاء والعلماء.

٧ ـ **العالم**: وكان أعلم الناس لا في شؤون الشريعة الإسلاميَّة فحسب، وإنَّما في جميع أنواع العلوم والمعارف.

٨ ـ **الأمين**: على الدِّين والدُّنيا.

٩ ـ **الطيِّب**: فلم يكن أحد في عصره أطيب ولا أزكى منه.

١٠ ـ **العسكريّ**: لُقِّب بذلك لأنَّ مقامه بسرّ من رأى، وهي تُسمَّى العسكر[١].

١١ ـ **الموضِّح**: لأحكام الكتاب والسُّنَّة.

١٢ ـ **الرشيد**: فقد كان من أرشد الناس وأهداهم إلى سواء السبيل.

١٣ ـ **الشهيد**: لأنَّه رزق الشهادة على يد أعداء الله.

١٤ ـ **الوفيّ**: فقد كان من أوفى الناس، وكان الوفاء من عناصره ومميِّزاته.

١٥ ـ **الخالص**: من كلّ سوء وعيب[٢].

ملامحه عليه السلام:

أمَّا ملامحه فكانت كملامح جدّه الإمام الرِّضا وأبيه الإمام الجواد عليهما السلام، فقد كان شديد السمرة[٣].

ووصفه الرواة بأنَّه كان أدعج العينين[٤]، شثن الكفَّين[٥]، عريض الصدر، أقنى الأنف، أفلج الأسنان، حسن الوجه، طيِّب الريح، وكان جسيم البدن ـ شبيهاً بجدّه الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام ـ ولم يكن بالقصير المتردِّد[٦]، ولا بالطويل الممغط[٧]، بعيد المنكبين، ضخم الكراديس[٨]، معتدل القامة[٩].

---

(١) عمدة الطالب: ص١٨٨.
(٢) مناقب آل أبي طالب: ٣/ ٥٠٥.
(٣) نور الأبصار: ص١٦٤. بحار الأنوار: ٥٠/ ١١٦، الحديث ٨. جوهرة الكلام: ص١٥١.
(٤) أدعج العينين: شدَّة في سواد العينين مع سعتهما.
(٥) شثن الكفَّين: هو الميل إلى الغلظة.
(٦) القصير المتردِّد: هو المتناهي في القصر.
(٧) الممغَّط: المتناهي في الطول.
(٨) مآثر الكبراء في تاريخ سامرَّاء: ٣/ ٢٠.
(٩) جوهرة الكلام في مدح السادة الأعلام: ص١٥١.

نشأته عليه السلام:

نشأ الإمام الهادي عليه السلام في أُسرة تميَّزت عن الناس بسلوكها المشرق، وآدابها الرائعة، وفضائلها النيِّرة، فكان الصغير منهم يوقِّر الكبير، والكبير يحترم الصغير.

لقد نشأ الإمام الهادي عليه السلام في ظلال أبيه الجواد عليه السلام الذي كان أُنموذجاً لكلّ ما يعتزّ به الإنسان من الفضائل والمآثر، وقد أفرغ عليه أشعَّة من روحه، فلم يبق فضيلة إلاّ غرسها في نفس وليده، وكان يشيد به ـ دوماً ـ ويبدي إعجابه بمواهبه وذكائه.

وقد روى المؤرّخون: «أنَّه لمَّا أراد الشخوص إلى العراق أجلسه في حجره، وكان عمره آنذاك ستّ سنين، فقال له: **مَا الَّذِي تُحِبُّ أنْ يُهْدىٰ إلَيْكَ مِنْ طَرائِفِ الْعِراقِ؟**

فتبسَّم الهادي وقال: **سَيْفٌ كَأنَّهُ شُعْلَةٌ.**

والتفت الإمام الجواد إلى ولده موسى فقال له: **وَأنْتَ مَا تُحِبُّ أنْ تَشْتَهِي؟**

فقال موسى: **فِراشُ بَيْتٍ.**

ولم يكتم الإمام إعجابه بولده الهادي، فراح يُخاطبه: **أشْبَهَنِي أبو الْحَسَنِ.**

لقد سرَّ بتمنِّي ولده الذي يتمّ عن شجاعته وبسالته، وهذه سمته وسمة آبائه.

نبوغه المبكِّر:

وملك الإمام الهادي عليه السلام في طفولته المبكِّرة من الذكاء والنبوغ ما يذهل الفكر ويبهر الألباب، فكان يملك ذاكرة قويَّة، وذكاءاً مفرطاً، وفطنةً بالغة، فقد ذكر الرواة بوادر كثيرة من ذكائه كان منها أنَّ المعتصم بعدما اغتال الإمام الجواد عليه السلام عهد إلى عمر بن الفرج أن يشخص إلى يثرب ليختار معلِّماً لأبي الحسن الهادي البالغ من العمر آنذاك ستّ سنين وأشهراً، وقد عهد إليه أن يكون المعلِّم معروفاً بالنصب والانحراف عن أهل البيت عليهم السلام ليغذِّيه ببغضهم.

ولمَّا انتهى عمر إلى يثرب التقى بالوالي وعرَّفه بمهمَّته، فأرشده الوالي وغيره إلى الجنيدي، وكان شديد البغض للعلويِّين، فأرسل خلفه وعرَّفه بالأمر، فاستجاب له، وعيَّن له راتباً شهريّاً، وعهد إليه أن يمنع الشيعة من زيارته والاتّصال به، وقام الجنيدي بتعليم الإمام، إلاَّ أنَّه قد ذهل لما يراه من حدَّة ذكائه، فقد التقى محمَّد بن جعفر بالجنيدي فقال له: ما حال هذا الصبي ـ يعني الإمام الهادي عليه السلام ـ الذي تؤدِّبه؟

فأنكر الجنيدي ذلك وراح يقول: أتقول هذا الصبي؟! ولا تقول هذا الشيخ، أُنشدك بالله هل تعرف بالمدينة مَن هو أعرف منِّي بالأدب والعلم؟

ـ لا.

ـ إنِّي والله لأذكر الحرف في الأدب، وأظنُّ أنِّي قد بالغت فيه، ثمَّ إنَّه يملي أبواباً أستفيده منه، فيظنُّ الناس أنِّي أُعلِّمه وأنا والله أتعلَّم منه.

وانطوت أيَّام، فالتقى محمَّد بن جعفر مرَّة أُخرى بالجنيدي، فقال له: ما حال هذا الصبي؟

فأنكر عليه الجنيدي ذلك وقال: دع عنك هذا القول، والله تعالى لهو خير أهل الأرض، وأفضل من برأه الله تعالى، وإنَّه لربَّما همَّ بدخول الحجرة فأقول له: حتَّى تقرأ سورة، فيقول: **أيُّ سُوَرةٍ تُرِيدُ أنْ أقْرَأها؟**

فأذكر له السور الطوال ما لم يبلغ إليها، فيسرع بقراءتها بما لم أسمع أصحَّ منها، وكان يقرأها بصوتٍ أطيب من مزامير داود، وإنَّه حافظ القرآن من أوَّله إلى آخره، ويعلم تأويله وتنزيله...

وأضاف الجنيدي يقول: هذا صبيّ صغير نشأ بالمدينة بين الجدران السود، فمن أين علم هذا العلم الكبير، يا سبحان الله!!

ثمَّ إنَّه نزع عن نفسه النصب لأهل البيت ﷺ ودان بالولاء لهم، واعتقد بالإمامة[1].

هيبته ووقاره ﷺ:

أمَّا هيبة الإمام الهادي ﷺ فكانت تعنو لها الجباه، فقد ورث من آبائه ﷺ هيبتهم ووقارهم، وكانت تبدو عليه سيماء الأنبياء، وبهاء الأوصياء، وما لقيه أحد من خصومه أو شيعته إلاَّ هابه ووقَّره، وقد تحدَّث عن مدى هيبته محمَّد بن الحسن الأشتر العلوي، قال: «كنت مع أبي على باب المتوكّل في جمع من الناس ما بين طالبيّ وعبَّاسيّ وجعفريّ، فبينما نحن وقوف إذ جاء أبو الحسن، فترجَّل الناس كلّهم إجلالاً وإكباراً له حتَّى دخل القصر، وانبرى بعضهم فأنكر هذا التكريم للإمام وقال: لمن نترجَّل لهذا الغلام! ما هو بأشرفنا، ولا بأكبرنا سنّاً، والله لا نترجَّل له إذا خرج.

فردَّ عليه أبو هاشم الجعفري، وقال: والله لتترجلنَّ له صغاراً وذلَّة.

(١) مآثر الكبراء في تاريخ سامرَّاء: ٣/ ٩٥ ـ ٩٦.

وخرج الإمام عليه السلام فعلت أصوات التكبير والتهليل، وقام الناس بأسرهم تعظيماً له، فالتفت أبو هاشم إلى القوم قائلاً: أليس زعمتم أنَّكم لا تترجَّلون له؟

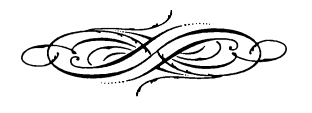
فلم يملكوا إعجابهم بالإمام وراحوا يقولون: والله ما ملكنا أنفسنا حتَّى ترجَّلنا»[١].

لقد كانت هيبته تملأ القلوب إكباراً وتعظيماً، ولم تكن هيبته ناشئة عن ملك أو سلطان، وإنَّما كانت ناشئة من طاعته لله وزهده في الدُّنيا، وتحرُّجه في الدِّين أعظم ما يكون التحرُّج، فقد خرج من ذلِّ معصية الله إلى عزّ طاعته، وقد بلغ من عظيم هيبة الناس له أنَّه كان إذا دخل على المتوكّل لا يبقى أحد في القصر إلاَّ قام بخدماته، وكانوا يتسابقون إلى رفع الستائر، وفتح الأبواب، ولا يكلِّفونه بشيء من ذلك[٢].

تعظيم العلويِّين له:

وأجمع السادة العلويّون على تعظيم الإمام الهادي عليه السلام والاعتراف له بالزعامة والفضل، وكان من بينهم عمّ أبيه زيد ابن الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام، وكان شيخاً كبيراً، وقد كلَّف عمر بن الفرج ـ وكان بوَّاباً للإمام عليه السلام ـ على أن يستأذن له ليتشرَّف بمقابلته، وكلَّم الإمام عليه السلام في شأنه، فأذن له، ودخل على الإمام وكان في صدر المجلس، فجلس زيد بين يديه تكريماً وتعظيماً، واعترافاً له بالإمامة.

وفي اليوم الثاني تشرَّف زيد بالدخول إلى مجلس الإمام، ولم يكن عليه السلام حاضراً، فتصدَّر زيد المجلس، وأقبل الإمام فلمَّا رآه زيد وثب من مكانه وأجلسه فيه، وجلس بين يديه متأدِّباً مع صغر سنّ الإمام وكبر زيد»[٣].



(١) بحار الأنوار: ٥٠/١٣٧، الحديث ٢٠.
(٢) بحار الأنوار: ٥٠/١٢٨، الحديث ٦.
(٣) مآثر الكبراء في تاريخ سامرَّاء: ٣/ ٩٤.

مظاهر شخصيته

وضارعت صفات الإمام الهادي عليه السلام صفات آبائه الذين امتازوا بها على سائر الناس، فقد التقت به جميع عناصر الشرف والكرامة، وحوى جميع الفضائل والمآثر، وحسبه أنَّه من أئمَّة أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرِّجس وطهَّرهم تطهيراً.

نجد في كتب الاحتجاج الأدلَّة الوثيقة التي أقامها الأئمَّة الطاهرون على توحيد الله وتعظيمه، وإبطال الشبه التي أقامتها الزمرة الباغية على الإسلام، والمنكرة لله، وقد أشاد الإمام الهادي عليه السلام بجهاد آبائه الأئمَّة الطاهرين في ميادين الإيمان والدعوة إلى الله في زيارته المُسمَّاة (بالجامعة) فقد جاء فيها:

السَّلاَمُ عَلَىٰ الدُّعَاةِ إِلَىٰ اللَّهِ، وَالأدِلاَّءِ عَلىٰ مَرْضاةِ اللَّهِ، وَالْمُسْتَقِرِّينَ فِي أَمْرِ اللَّهِ، وَالتَّامِّينَ فِي مَحَبَّةِ اللَّهِ، وَالْمُخْلِصِينَ فِي تَوْحِيدِ اللَّهِ، وَالْمُظْهِرِينَ لأمْرِ اللَّهِ وَنَهْيِهِ...

وأضاف الإمام قائلاً:

فَعَظَّمْتُمْ جَلاَلَهُ، وَأَكْبَرْتُمْ شَأْنَهُ، وَمَجَّدْتُمْ كَرَمَهُ، وَأَدَمْتُمْ ذِكْرَهُ، وَوَكَّدْتُمْ مِيثَاقَهُ، وَأَحْكَمْتُمْ عَقدَ طَاعَتِهِ، وَنَصَحْتُمْ لَهُ فِي السِّرِّ وَالْعَلاَنِيَةِ، وَدَعَوْتُمْ إِلَىٰ سَبِيلِهِ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ، وَبَذَلْتُمْ أَنْفُسَكُمْ فِي مَرْضَاتِهِ، وَصَبَرْتُمْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكُمْ فِي جَنْبِهِ، وَأَقَمْتُمْ الصَّلاَةَ، وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ، وَأَمَرْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهَيْتُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَجَاهَدْتُمْ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ حَتَّىٰ أَعْلَنْتُمْ دَعْوَتَهُ، وَبَيَّنْتُمْ فَرائِضَهُ، وَأَقَمْتُمْ حُدُودَهُ، وَنَشَرْتُمْ شَرَائِعَ أَحْكَامِهِ، وَسَنَنْتُمْ سُنَّتَهُ، وَصِرْتُمْ فِي ذَلِكَ مِنْهُ إِلَىٰ الرِّضا، وَسَلَّمْتُمْ لَهُ الْقَضَاءَ، وَصَدَّقْتُمْ مِنْ رُسُلِهِ مَنْ مَضىٰ.

وصوَّرت هذه الفقرات الرائعة الدور النضالي الذي خاضه الأئمَّة الطيِّبون في رفع كلمة التوحيد، والذبِّ عن قيم الإيمان والإسلام، فقد قدَّموا أرواحهم قرابين خالصة لوجه الله لا يبغون الأجر والجزاء إلاَّ من الله.

علمه عليه السلام:

كان الإمام الهادي عليه السلام في سنّ لا يتجاوز السبع سنين وتوفِّي والده الإمام

الجواد عليه السلام، وقد ظهر منه من العلوم والمعارف ـ وهو بهذا السنّ ـ ما يُذهل الأفكار، فقد امتحنه كبار العلماء بأدقِّ المسائل الفقهيَّة والفلسفيَّة والكلاميَّة، فأجاب عنها جواب العالم المتخصّص، فدان العلماء بإمامته، وفي ذلك دليل واضح على أنَّ الله تعالى منح أئمَّة أهل البيت العلم والحكمة، وآتاهم من الفضل ما لم يؤت أحداً من العالمين.

النصّ على إمامته عليه السلام:

روى النصّ على إمامة الهادي عليه السلام من أبيه الإمام الجواد عليه السلام جماعة من خيار المسلمين وثقاتهم، وفيما يلي بعضهم:

إسماعيل بن مهران:

وخفَّ إسماعيل بن مهران إلى الإمام الجواد عليه السلام حينما أُشخص إلى بغداد في سفرته الأُولى، فقال له: جُعلت فداك، إنِّي أخاف عليك في هذا الوجه، فإلى من الأمر من بعدك؟

فقابله الإمام ببسمات فيَّاضة بالبشر، وقال له: **لَيْسَ الْغَيْبَة كَمَا ظَنَنْتَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ**.

ودفع عنه ما كان يخشاه على الإمام من السلطة العبَّاسيَّة، ولمَّا استدعاه المعتصم انبرى إسماعيل ليتعرَّف على الإمام من بعده، فقال له: أنت خارج فإلى من هذا الأمر من بعدك؟

وبكى الإمام عليه السلام وتوجَّس خيفة في سفره، وظنَّ أن لا رجعة له إلى يثرب، فعيَّن عليه السلام له الإمام من بعده وهو ولده الهادي قائلاً: **«عِنْدَ هَذِهِ يُخافُ عَلَيَّ، الأَمْرُ مِنْ بَعْدِي إِلَىٰ ابْنِي عَلِيٍّ»**[1].

وتحقَّق ما تنبَّأ به الإمام، فقد اغتاله المعتصم العبَّاسي، وكان الإمام في غضارة الشباب ونضارة العمر.

الخيراني:

ومن رواة النصّ على إمامة الهادي عليه السلام الخيراني، فقد روى ذلك عن أبيه.

---

(١) الإرشاد: ص٣٦٩. أُصول الكافي: ١/ ٣٢٣.

الصقر بن أبي دلف:

وروى الصقر بن أبي دلف النصّ على إمامة الهادي عليه السلام من أبيه الجواد عليه السلام، قال: «سمعت أبا جعفر محمَّد بن عليّ الرِّضا يقول: **إنَّ الإِمَامَ بَعدِي ابْنِي عَلِيٌّ، أَمْرُهُ أَمْرِي، وَقَوْلُهُ قَوْلِي، وَطَاعَتُهُ طَاعَتِي، وَالإِمَامَةُ بَعْدَهُ فِي ابْنِهِ الْحَسَنِ**»[1].

أحمد بن أبي خالد:

ونقل أحمد بن أبي خالد النصّ من الإمام الجواد عليه السلام على إمامة ولده، قال: «إنَّ أبا جعفر أوصى إلى ابنه الهادي عليه السلام»، وسنذكر بنود الوصيَّة في البحوث الآتية[2].

بعض الشيعة:

وأدلى الإمام الجواد عليه السلام بالنصّ على إمامة ولده الهادي إلى بعض شيعته، وذلك حينما شخص إلى بغداد فقال: «**إنِّي مَاضٍ، والأَمْرُ** ـ أي الإمامة ـ **صائِرٌ إِلىٰ ابْنِي عَلِيٍّ، وَلَهُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي مَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ بَعْدَ أَبِي**»[3].

وقد أكَّد الإمام الجواد عليه السلام في حديثه على لزوم طاعة ولده، أنَّ له من الحقّ على شيعته ما كان له بالذات بعد أبيه.

هؤلاء بعض نقلة النصّ على إمامة الهادي عليه السلام، وقد تواترت النصوص بذلك.

كرمه عليه السلام:

وظاهرة أُخرى من صفات الإمام الهادي عليه السلام، وهي الكرم والسخاء، فقد كان من أبسط الناس كفّاً، وأنداهم يداً، وكان على غرار آبائه الذين يطعمون الطعام على حبِّه مسكيناً ويتيماً وأسيراً، وكانوا يطعمون الطعام حتَّى لا يبقى لأهلهم طعام، ويكسوهم حتَّى لا يبقى لهم كسوة.

وقد روى المؤرّخون بوادر كثيرة من برِّ الإمام الهادي عليه السلام وإحسانه إلى الفقراء والبائسين، ونقتصر منها على ما يلي:

١ ـ وفد جماعة من أعلام الشيعة على الإمام الهادي عليه السلام وهم أبو عمرو عثمان بن سعيد، وأحمد بن إسحاق الأشعري، وعليّ بن جعفر الهمَّاني، فشكا إليه أحمد بن

---

(١) إكمال الدِّين: ص٣٧٨، الحديث ٣.

(٢) أُصول الكافي: ١/٣٨٣، الحديث ٣.

(٣) أعيان الشيعة ـ القسم الثاني ـ: ٤/٢٥٦.

إسحاق ديناً عليه، فالتفت عليه السلام إلى وكيله أبي عمرو، وقال له: **ادْفَعْ لَهُ ثَلاَثِينَ أَلْفَ دِينارٍ، وَإِلَىٰ عَلِيِّ بْنِ جَعْفَرٍ ثَلاَثِينَ أَلْفَ دِينارٍ**، كما أعطى وكيله مثل هذا المبلغ.

وعلّق ابن شهرآشوب على هذه المكرمة العلويّة بقوله: «فهذه معجزة لا يقدر عليها إلاّ الملوك، وما سمعنا بمثل هذا العطاء»[1].

٢ ـ ومن بوادر كرمه ما رواه إسحاق الجلاَّب، قال: «اشتريت لأبي الحسن الهادي عليه السلام غنماً كثيرة يوم التروية، فقسَّمها عليه السلام في أقاربه»[2].

٣ ـ ومن كرمه ما رواه المؤرّخون أنَّه كان قد خرج من سامرَّاء إلى قرية له، فقصده رجل من الأعراب، فلم يجده في منزله فأخبره أهله بأنَّه ذهب إلى ضيعة له، فقصده، ولمَّا مثل عنده سأله الإمام عن حاجته، فقال بنبرات خافتة: يابن رسول الله، أنا رجل من أعراب الكوفة المتمسّكين بولاية جدّك عليّ بن أبي طالب، وقد ركبني فادح ـ أي دين ـ أثقلني حمله، ولم أرَ من أقصده سواك.

فرقَّ الإمام لحاله، وأكبر ما توسَّل به، وكان عليه السلام في ضائقة لا يجد ما يسعفه به، فكتب عليه السلام ورقة بخطّه جاء فيها: **إنَّ لِلأَعْرَابِيِّ دَيْناً عَلَيْهِ**، وعيَّن مقداره، وقال له:

«خُذْ هَذِهِ الْوَرَقَةَ، فَإِذَا وَصَلْتَ إِلَىٰ سُرَّ مَنْ رَأىٰ، وَحَضَرَ عَنْدِي جَماعَةٌ فَطَالِبْنِي بِالدَّيْنِ الَّذِي فِي الْوَرَقَةِ، وَأَغْلِظْ عَلَيَّ فِي تَرْكِ إِيْفائِكَ، وَلاَ تُخَالِفْنِي فِيما أَقُول».

فأخذ الأعرابي الورقة، ولمَّا قفل الإمام إلى سُرَّ من رأى حضر عنده جماعة كان فيها من عيون السلطة ومباحث الأمن، فجاء الأعرابي فأبرز الورقة، وطالب الإمام بتسديد دَينه الذي في الورقة، فجعل الإمام عليه السلام يعتذر إليه، والأعرابي قد أغلظ له في القول، ولمَّا تفرَّق المجلس بادر رجال الأمن إلى المتوكّل فأخبروه بالأمر، فأمر بحمل ثلاثين ألف درهم إلى الإمام، فحملت له، ولمَّا جاء الأعرابي قال له الإمام: **خُذْ هَذا الْمَالَ فَأَوْفِ بِهِ دَيْنَكَ، وَأَنْفِقِ الْبَاقِي عَلىٰ عِيالِكَ**.

وأكبر الأعرابي ذلك، وقال للإمام: إنَّ دَيني يقصر عن ثلث هذا المبلغ. ولكنَّ الله أعلم حيث يجعل رسالته فيمن يشاء[3].

وأخذ المال وسافر إلى أهله وهو مسرور القلب، ناعم البال، وهو يدعو للإمام الذي أنقذه من حياة البؤس والحرمان.

---

(١) مناقب آل أبي طالب: ٣/ ٥١٢.

(٢) بحار الأنوار: ٥٠/ ١٣٢، الحديث ١٤.

(٣) الاتحاف بحبّ الأشراف: ص٦٧ و٦٨.

٤ ـ وممّا ذكر الرواة من برّه وكرمه أنَّ أبا هاشم الجعفري أصابته ضائقة شديدة، فصار إلى الإمام عليه السلام، ولمّا نظر الإمام إلى ما فيه من الفاقة والبؤس أراد أن يخفّف عمّا هو فيه من المحنة فقال له: **يا أبا هاشِم، أيُّ نِعَم اللّهِ عَلَيْكَ تُرِيدُ أنْ تُؤدّيَ شُكْرَها؟ رَزَقَكَ اللّهُ الإيمانَ فَحَرَّمَ جَسَدَكَ علىٰ النّارِ، وَرَزَقَكَ الْعافِيَةَ بِإعانَتِكَ علىٰ الطّاعَةِ، وَرَزَقَكَ الْقُنوعَ فَصانَكَ عَنِ التَّبَذُّلِ.**

إنَّ هذه النعم التي أدلى بها الإمام من أعظم نعم الله لمن يتمتّع بها، ثمَّ إنَّ الإمام عليه السلام أمر له بمائة دينار[١].

زهده عليه السلام:

لقد عزف الإمام الهادي عليه السلام عن جميع مباهج الحياة ومتعها وعاش عيشة زاهدة إلى أقصى حدّ، لقد واظب على العبادة والورع والزهد، فلم يحفل بأيّ مظهر من مظاهر الحياة، وآثر طاعة الله على كلّ شيء، وقد كان منزله في يثرب وسرَّ من رأى خالياً من كلّ أثاث، فقد داهمت منزله شرطة المتوكّل ففتّشوه دقيقاً، فلم يجدوا فيه شيئاً من رغائب الحياة.

وكذلك لمّا فتّشت الشرطة داره في سرَّ من رأى، فقد وجدوا الإمام في بيت مغلق، وعليه مدرعة من شعر وهو جالس على الرمل والحصى، ليس بينه وبين الأرض فراش.

قال سبط ابن الجوزي: «إنَّ عليّ الهادي لم يكن عنده ميل إلى الدُّنيا، وكان ملازماً للمسجد، فلمّا فتّشوا داره لم يجدوا فيه إلاّ مصاحف وأدعية وكتب علم»[٢].

عمله عليه السلام في مزرعة له:

يقول الرواة: «إنّه كان يعمل بيده في أرض له لإعاشة عياله»، فقد روى عليّ بن أبي حمزة، قال: «رأيت أبا الحسن الثالث يعمل في أرض وقد استنقعت قدماه من العرق، فقلت له: جعلت فداك، أين الرجال؟

فقال الإمام: **يا عَلِيُّ، قَدْ عَمِلَ بِالْيَدِ مَنْ هُوَ خَيْرٌ منّي وَمِنْ أبي في أرْضِهِ.**

ـ مَنْ هو؟

---

(١) أمالي الصدوق: ص٤٩٧ و٤٩٨، الحديث ٦٨٢.

(٢) تذكرة الخواص: ص٣٢٢.

ـ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله، وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، وَآبائي كُلُّهم عَمِلوا بِأَيْديهِمْ، وَهُوَ مِنْ عَمَلِ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ وَالأَوْصِياءِ وَالصَّالِحِينَ»[1].

تكريمه عليه السلام للعلماء:

وكان الإمام الهادي عليه السلام يكرِّم رجال الفكر والعلم، ويحتفي بهم، ويقدِّمهم على بقيَّة الناس، لأنَّهم مصدر النُّور في الأرض، وكان من بين من كرَّمهم أحد علماء الشيعة وفقهائهم، وكان قد بلغه عنه أنَّه حاجج ناصبيّاً فأفحمه وتغلَّب عليه، فسرَّ الإمام عليه السلام بذلك، ووفد العالم على الإمام فقابله بحفاوة وتكريم، وكان مجلسه مكتظّاً بالعلويِّين والعبَّاسيِّين، فأجلسه الإمام على دست، وأقبل عليه يحدِّثه، ويسأل عن حاله سؤالاً حفيّاً، وشقَّ ذلك على حضَّار مجلسه من الهاشميِّين فالتفتوا إلى الإمام وقالوا له: كيف تقدِّمه على سادات بني هاشم؟

فقال لهم الإمام: إِيَّاكُمْ أَنْ تَكُونوا مِنَ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ تَعالىٰ فِيهِمْ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ ۝٢٣﴾[2] أَتَرْضَونَ بِكِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَكَماً؟

فقالوا جميعاً: بلى يابن رسول الله.

وأخذ الإمام يقيم الدليل على ما ذهب إليه قائلاً:

أَلَيْسَ اللَّهُ تَعالىٰ قَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾[3]، فَلَمْ يَرْضَ لِلعَالِمِ الْمُؤْمِنِ إِلاَّ أَنْ يُرْفَعَ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِ غَيْرِ الْعَالِمِ، كَمَا لَمْ يَرْضَ لِلْمُؤْمِنِ إِلاَّ أَنْ يُرْفَعَ عَلَىٰ مَنْ لَيْسَ بِمُؤْمِنٍ، أَخْبِرُونِي عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾، هَلْ قَالَ: يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ أُوتُوا النَّسَبَ دَرَجاتٍ، أَوَلَيْسَ قَالَ اللَّهُ: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ﴾[4].

فَكَيْفَ تُنْكِرُونَ رَفْعِي لِهَذا لِمَا رَفَعَهُ اللَّهُ تَعالَىٰ، إِنَّ كَسْرَ هَذا لِفُلانِ النَّاصِبِ بِحُجَجِ اللَّهِ تَعالَىٰ الَّتِي عَلَّمَهُ إِيَّاها مِنَ الأَفْضَلِ لَهُ كُلِّ شَرَفٍ فِي النَّسَبِ».

---

(١) من لا يحضره الفقيه: ٣/ ١٦٢، الحديث ٣٥٩٣.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٢٣.

(٣) سورة المجادلة: الآية ١١.

(٤) سورة الزُّمر: الآية ٩.

وسكت الحاضرون، فقد ردَّ عليهم الإمام ببالغ حجَّته، إلاَّ أنَّ بعض العبَّاسيِّين انبرى قائلاً: يابن رسول الله، لقد شرَّفت هذا علينا، وقصرتنا عمَّن ليس له نسب كنسبنا، وما زال منذ أوَّل الإسلام يقدّم الأفضل في الشرف على من دونه.

وهذا منطق رخيص، فإنَّ الإسلام لا يخضع بموازينه إلاَّ إلى القيم الصحيحة التي لم يعها هذا العبَّاسي، وقد ردَّ عليه الإمام عليه السلام قائلاً:

سُبْحانَ اللَّهِ! أَلَيْسَ الْعَبَّاسُ بايَعَ أَبا بَكْرٍ وَهُوَ تَيْمِيٌّ، وَالْعَبَّاسُ هاشِمِيٌّ، أَوَلَيْسَ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ كَانَ يَخْدِمُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، وَهُوَ هاشِمِيٌّ أبو الْخُلَفاءِ وَعُمَرُ عَدَوِيٌّ؟ وَمَا بَالُ عُمَرَ أَدْخَلَ الْبُعَداءَ مِنْ قُرَيْشٍ فِي الشُّورىٰ وَلَمْ يُدْخِلِ الْعَبَّاسَ؟ فَإِنْ كَانَ رفعنا لِمَنْ لَيْسَ بِهَاشِمِيٍّ عَلىٰ هَاشِمِيٍّ مُنْكَراً، فأَنْكِروا عَلَىٰ العَبَّاسِ بَيْعَتَهُ لأَبِي بَكْرٍ وَعَلىٰ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ خِدْمَتِهِ لِعُمَرَ بَعْدَ بَيْعَتِه، فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ جَائِزاً فَهَذا جَائِزٌ.

فأفحم العبَّاسي، وألقم حجراً[1]، فإنَّه لمَّا كان لم يع الأدلَّة المدعمة من الكتاب العزيز عرض له بيعة جدّه العبَّاس لأبي بكر وخدمة عبد الله بن عبَّاس لعمر مع أنَّ الخليفتين لا يساويان العبَّاس وابنه في النسب.

عبادته عليه السلام:

لم يرَ الناس في عصره مثله في عبادته وتقواه وشدَّة تحرُّجه في الدِّين، فلم يترك نافلة من النوافل إلاَّ أتى بها، وكان يقرأ في الركعة الثالثة من نافلة المغرب سورة الحمد وأوَّل سورة الحديد إلى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾[2]، وفي الركعة الرابعة سورة الحمد وآخر سورة الحجرات[3]، كما نسب إليه صلاة نافلة كان يصلِّي فيها ركعتين يقرأ في الأُولى سورة الفاتحة وياسين، وفي الثانية سورة الفاتحة وسورة الرحمن[4].

أدعيته عليه السلام في قنوت صلاته:

وأُثرت عن الإمام الهادي عليه السلام عدَّة أدعية كان يدعو بها في قنوت صلاته، وهي تمثِّل مدى انقطاعه إلى الله وعظيم اتّصاله به، وهذه بعضها:

«مَناهِلُ كَرامَاتِكَ بِجَزِيلِ عَطِيَّاتِكَ مُتْرَعةٌ، وَأَبْوَابُ مُنَاجَاتِكَ لِمَنْ أَمَّكَ مُشْرَعَةٌ،

---

(١) الاحتجاج: ٢/٢٥٧ ـ ٢٦٠.
(٢) سورة الحديد: الآية ٦.
(٣) وسائل الشيعة: ٤/٧٥٠.
(٤) وسائل الشيعة: ٥/٢٩٨.

وَعَطُوفُ لَحَظاتِكَ لِمَنْ ضَرَعَ إِلَيْكَ غَيْرُ مُنْقَطِعَةٍ، وَقَدْ أُلْجِمَ الْحِذارُ، وَاشْتَدَّ الاضْطِرارُ، وَعَجَزَ عَنِ الاصْطِبارِ أَهْلُ الانْتِظارِ، وَأَنْتَ اللَّهُمَّ بِالْمَرْصَدِ مِنَ الْمَكّارِ.

اللَّهُمَّ وَغَيْرُ مُهْمِلٍ مَعَ الإِمْهالِ، وَاللّائِذُ بِكَ آمِنٌ، وَالرّاغِبُ إِلَيْكَ غانِمٌ، وَالْقاصِدُ اللَّهُمَّ لِبابِكَ سالِمٌ.

اللَّهُمَّ فَعاجِلْ مَنْ قَدِ اسْتَنَّ فِي طُغْيانِهِ، وَاسْتَمَرَّ عَلىٰ جَهالَتِهِ لِعُقْباهُ فِي كُفْرانِهِ، وأَطْعَمَهُ حِلْمُكَ عَنْهُ فِي نَيْلِ إِرادَتِهِ، فَهُوَ يَتَسَرَّعُ إِلَىٰ أَوْلِيائِكَ بِمَكارِهِهِ، وَيُواصِلُهُمْ بِقَبائِحِ مَراصِدِهِ، وَيَقْصُدُهُمْ فِي مَظانِّهِمْ بِأَذِيَّتِهِ.

اللَّهُمَّ اكْشِفِ الْعَذابَ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ، وَابْعَثْهُ جَهْرَةً عَلَىٰ الظّالِمِينَ. اللَّهُمَّ اكْفُفِ الْعَذابَ عَنِ الْمُسْتَجِيرِينَ، وَاصْبُبْهُ عَلَىٰ الْمُغْتَرِّينَ. اللَّهُمَّ بادِرْ عُصْبَةَ الْحَقِّ بِالْعَوْنِ، وَبادِرْ أَعْوانَ الظُّلْمِ بِالْقَصْمِ. اللَّهُمَّ أَسْعِدْنا بِالشُّكْرِ، وَامْنَحْنا النَّصْرَ، وَأَعِذْنا مِنْ سُوءِ الْبَدارِ وَالْعاقِبَةِ وَالْخَتْرِ»[1].

ومن أدعيته الشريفة التي كان يدعو بها في قنوته هذا الدُّعاء الشريف:

«يا مَنْ تَفَرَّدَ بِالرُّبوبِيَّةِ، وَتَوَحَّدَ بِالْوَحْدانِيَّةِ، يا مَنْ أَضاءَ بِاسْمِهِ النَّهارُ، وَأَشْرَقَتْ بِهِ الأَنْوارُ، وَأَظْلَمَ بِأَمْرِهِ حِنْدِسُ اللَّيْلِ، وَهَطَلَ بِغَيْثِهِ وابِلُ السَّيْلِ.

يا مَنْ دَعاهُ الْمُضْطَرّونَ فَأَجابَهُمْ، وَلَجأَ إِلَيْهِ الْخائِفونَ فَآمَنَهُمْ، وَعَبَدَهُ الطّائِعونَ فَشَكَرَهُمْ، وَحَمِدَهُ الشّاكِرونَ فَأَثابَهُم، ما أَجَلَّ شَأْنَكَ، وَأَعْلَىٰ سُلْطانَكَ، وَأَنْفَذَ أَحْكامَكَ.

أَنْتَ الْخالِقُ بغَيْرِ تَكَلُّفٍ، وَالْقاضِي بِغَيْرِ تَحَيُّفٍ، حُجَّتُكَ الْبالِغَةُ، وَكَلِمَتُكَ الدّامِغَةُ، بِكَ اعْتَصَمْتُ وَتَعَوَّذْتُ مِنْ نَفَثاتِ الْعَنَدَةِ، وَرَصَداتِ الْمُلْحِدَةِ، الَّذِينَ أَلْحَدوا فِي أَسْمائِكَ، وَرَصَدوا بِالْمَكارِهِ لأَوْلِيائِكَ، وَأَعانوا عَلىٰ قَتْلِ أَنْبِيائِكَ وَأَصْفِيائِكَ، وَقَصَدوا لإِطْفاءِ نُورِكَ بِإِذاعَةِ سِرِّكَ، وَكَذَّبوا رُسُلَكَ، وَصَدُّوا عَنْ آياتِكَ، وَاتَّخَذوا مِنْ دُونِكَ وَدونِ رَسُولِكَ وَدُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً رَغْبَةً عَنْكَ، وَعَبَدوا طَواغيتَهُمْ وَجَوابِيتَهُمْ بَدَلاً مِنْكَ.

فَمَنَنْتَ عَلَىٰ أَوْلِيائِكَ بِعَظِيمِ نَعْمائِكَ، وَجُدْتَ عَلَيْهِمْ بِكَرِيمِ آلائِكَ، وَأَتْمَمْتَ لَهُمْ ما أَوْلَيْتَهُمْ بِحُسْنِ جَزائِكَ حِفْظاً لَهُمْ مِنْ مُعانَدَةِ الرُّسُلِ، وَضَلالِ السُّبُلِ، وَصَدَّقَتْ لَهُمْ بِالْعُهودِ أَلْسِنَةُ الإِجابَةِ، وَخَشَعَتْ لَكَ بِالْعُقودِ قُلُوبُ الإِنابَةِ، وَأَسْأَلُكَ اللَّهُمَّ بِاسْمِكَ الَّذِي خَشَعَتْ لَهُ السَّماواتُ وَالأَرْضُ، وَأَحْيَيْتَ بِهِ مَواتَ الأَشْياءِ، وأَمَتَّ بِهِ جَمِيعَ الأَحْياءِ،

(١) بحار الأنوار: ٨٢/ ٢٢٦ و٢٢٧.

وَجَمَعْتَ بِهِ كُلَّ مُتَفَرِّقٍ، وَفَرَّقْتَ بِهِ كُلَّ مُجْتَمِعٍ، وَأَتْمَمْتَ بِهِ الْكَلِماتِ، وَأَرَيْتَ بِهِ كُبْرَىٰ الآياتِ، وَتُبْتَ بِهِ عَلَىٰ التَّوَّابِينَ، وَأَخْسَرْتَ بِهِ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ، فَجَعَلْتَ عَمَلَهُمْ هَباءً مَنْثُوراً وَتَبَّرْتَهُمْ تَتْبِيراً، أَنْ تُصَلِّيَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَأَنْ تَجْعَلَ شِيعَتِي مِنَ الَّذِينَ حُمِّلوا فَصَدَّقوا، وَاسْتُنْطِقوا فَنَطَقوا، آمِنِينَ مَأْمُونِينَ.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ لَهُمْ تَوْفِيقَ الْهُدىٰ، وَأَعْمالَ أَهْلِ الْيَقِينِ، وَمُناصَحةَ أَهْلِ التَّوْبَةِ، وَعَزْمَ أَهْلِ الصَّبْرِ، وَتَقِيَّةَ أَهْلِ الْوَرَعِ، وَكِتْمانَ الصِّدِّيقِينَ حَتَّىٰ يَخافوكَ اللَّهُمَّ مَخافَةً تَحْجُزُهُمْ عَنْ مَعاصِيكَ، وَحَتَّىٰ يَعْمَلوا بِطاعَتِكَ لِينالوا كَرامَتَكَ، وَحَتَّى يُناصِحوا لَكَ وَفيكَ خَوْفاً مِنْكَ، وَحَتَّىٰ يُخْلِصوا لَكَ النَّصيحَةَ فِي التَّوْبَةِ حُبّاً لَكَ، فَتُوجِبَ لَهُمْ مَحَبَّتَكَ الَّتِي أَوْجَبْتَها لِلتَّوَّابِينَ، وَحَتَّىٰ يَتَوَكَّلوا عَلَيْكَ فِي أُمورِهِمْ كُلِّها حُسْنَ ظَنٍّ بِكَ، وَحَتَّىٰ يُفَوِّضوا إِلَيْكَ أُمورَهُمْ ثِقَةً بِكَ.

اللَّهُمَّ لاَ تُنالُ طاعَتُكَ إِلاَّ بِتَوْفِيقِكَ، وَلاَ تُنالُ دَرَجَةٌ مِنْ دَرَجاتِ الْخَيْرِ إِلاَّ بِكَ، اللَّهُمَّ يَا مَالِكَ يَوْمِ الدِّينِ الْعالِمَ بِخَفايا صُدورِ الْعالَمِينَ، طَهِّرِ الأَرْضَ مِنْ نَجَسِ أَهْلِ الشِّرْكِ، وَأَخْرِسِ الْخَرَّاصِينَ عَنْ تَقَوُّلِهِمْ عَلَىٰ رَسُولِكَ الإِفْكَ.

اللَّهُمَّ اقْصِمِ الْجَبَّارِينَ، وَأَبِرِ الْمُفْتَرِينَ، وَأَبِدِ الأَفَّاكِينَ الَّذِينَ إِذَا تُتْلىٰ عَلَيْهِمْ آياتُ الرَّحْمٰنِ قَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ[1]، وَأَنْجِزْ لِي وَعْدَكَ إِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ الْمِيعادَ، وَعَجِّلْ فَرَجَ كُلِّ طَالِبٍ مُرْتادٍ إِنَّكَ لَبِالْمِرْصادِ لِلْعِبادِ، وَأَعوذُ بِكَ مِنْ كُلِّ لَبْسٍ مَلْبوسٍ، وَمِنْ كُلِّ قَلْبٍ عَنْ مَعْرِفَتِكَ مَحْبوسٍ، وَمِنْ كُلِّ نَفْسٍ تَكْفُرُ إِذَا أَصابَها بُؤْسٌ، وَمِنْ وَاصِفِ عَدْلٍ عَمَلُهُ عَنِ الْعَدْلِ مَعْكوسٌ، وَمِنْ طَالِبٍ لِلْحَقِّ وَهُوَ عَنِ صِفاتِ الْحَقِّ مَنْكوسٌ، وَمِنْ مُكْسِبِ إِثْمٍ بِإِثْمِهِ مَرْكوسٌ، وَمِنْ وَجْهٍ عِنْدَ تَتابُعِ النِّعَمِ عَلَيْهِ عَبوسٌ، أَعوذُ بِكَ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ وَمِنْ نَظِيرِهِ وَأَشْكالِهِ وَأَشْباهِهِ وَأَمْثالِ، إِنَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ»[2].

استجابة دعائه عليه السلام:

وظاهرة أُخرى ممَّا اتَّصف به الإمام الهادي عليه السلام هو سرعة استجابة دعائه، فإنَّ له ولآبائه منزلة كريمة عند الله، فقد ذكر المؤرّخون أنَّ الإمام جعفر الصَّادق عليه السلام كان لا يسأل الله شيئاً إلاَّ أجابه من قريب[3].

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ سورة الأنفال: الآية ٣١.

(٢) بحار الأنوار: ٨٢/ ٢٢٧ و٢٢٨.

(٣) إسعاف الراغبين: ص٢٢٧.

وقد ذكر الرواة بوادر كثيرة من استجابة دعاء الإمام عليه السلام عند الله كان منها:

١ ـ ما رواه المنصوري، عن عمّ أبيه، قال: «قصدت الإمام عليّاً الهادي، فقلت له: يا سيِّدي، إنَّ هذا الرجل ـ يعني المتوكّل ـ قد أطرحني، وقطع رزقي، وملّني وما اتّهم به في ذلك هو علمه بملازمتي لك، وطلب من الإمام التوسُّط في شأنه عند المتوكّل.

فقال عليه السلام: **تُكفى إنْ شاءَ اللّهُ**.

ولمَّا صار اللّيل طرقته رسل المتوكّل، فخفَّ معهم مسرعاً إليه، فلمَّا انتهى إلى باب القصر رأى الفتح واقفاً على الباب، فاستقبله وجعل يوبِّخه على تأخيره، ثمَّ أدخله على المتوكّل، فقابله ببسمات فيَّاضة بالبشر قائلاً: يا أبا موسى تنشغل عنَّا وتنسانا، أي شيء لك عندي؟

وعرض الرجل حوائجه وصلاته التي قطعها عنه، فأمر المتوكّل بها وبضعفها له، وخرج الرجل مسروراً، فرأى الفتح.

فبادر إليه قائلاً: هل وافى عليّ بن محمَّد؟

ـ لا.

ـ هل كتب رقعة؟

ـ لا.

وانصرف الرجل فتبعه الفتح فأسرع إليه قائلاً: لست أشكُّ أنَّك التمست منه ـ أي من الإمام ـ الدُّعاء، فالتمس لي منه الدُّعاء.

ومضى ميمّماً وجهه نحو الإمام عليه السلام، فلمَّا تشرَّف بالمثول بين يديه قال عليه السلام له: **يا أبا مُوسىٰ، هَذا وَجْهُ الرِّضا**.

فقال الرجل بخضوع: ببركتك يا سيِّدي، ولكن قالوا لي: إنَّك ما مضيت إليه ولا سألته.

فأجابه الإمام ببسمات قائلاً: **إنَّ اللّهَ تَعالىٰ عَلِمَ مِنَّا أنَّا لاَ نَلْجَأُ فِي الْمُهِمَّاتِ إلّا إلَيْهِ، وَلاَ نَتَوَكَّلُ فِي الْمُلِمَّاتِ إلاَّ عَلَيْهِ، وَعَوَّدَنا إذَا سَأَلْنَاهُ الإجَابَةَ، وَنَخافُ أنْ نَعْدِلَ فَيَعْدِلَ بِنَا**.

وفطن الرجل إلى أنَّ الإمام قد دعا له بظهر الغيب، وتذكَّر له ما سأله الفتح فقال: يا سيِّدي، إنَّ الفتح يلتمس منك الدُّعاء.

فلم يستجب الإمام له، وقال: **«إنَّ الْفَتْحَ يُوالِينا بِظَاهِرِهِ، وَيُجانِبُنا بِبَاطِنِهِ، الدُّعاءُ إِنَّما يُدْعىٰ لَهُ إِذَا أَخْلَصَ فِي طَاعَةِ اللَّهِ، وَاعْتَرَفَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبِحَقِّنا أَهْلَ الْبَيْتِ»**.

إنَّ دعاء الأئمَّة الطيِّبين إنَّما يكون للذوات الطاهرة المؤمنة بالله ورسوله ﷺ وحقّ أهل البيت، وأمَّا الذين لا يؤمنون بذلك فإنَّهم عليهم السلام لا يدعون لهم، وطلب الرجل من الإمام أن يعلِّمه دعاءً ينتفع به، فأرشده عليه السلام إلى هذا الدُّعاء:

«يا عُدَّتِي دُونَ الْعُدَدِ، وَيَا رَجَائِي وَالْمُعْتَمَدُ، وَيَا كَهْفِي وَالسَّنَدُ، وَيَا وَاحِدُ يَا أَحَدُ، وَيَا قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، أَسْأَلُكَ بِحَقِّ مَنْ خَلَقْتَهُ مِنْ خَلْقِكَ، وَلَمْ تَجْعَلْ فِي خَلْقِكَ مِثْلَهُمْ أَحَداً، أَنْ تُصَلِّيَ عَلَىٰ جَمَاعَتِهِمْ، وَتَفْعَلَ بِي كَذا وَكَذا[1]. ثمَّ تذكر حاجتك».

٢ ـ وممَّا رواه المؤرّخون من استجابة دعائه أنَّه كان بأصفهان رجل يُسمَّى عبد الرحمن، وقد اعتنق التشيُّع وقال بإمامة الهادي عليه السلام، فسئل عن السبب في ذلك، فقال: إنِّي كنت رجلاً فقيراً، وكنت ذا لسان وجرأة، فخرجت مع جماعة من أهل بلدي متظلِّمين إلى المتوكّل.

فلمَّا انتهينا إلى سرَّ من رأى، قصدنا قصره، وبينما نحن على بابه إذ صدر الأمر من القصر بإحضار عليّ بن محمَّد بن الرِّضا عليهم السلام، فسألت عنه، فقيل إنَّه رجل علويّ تقول الرافضة بإمامته، ولا يبعد أن يأمر بالمتوكّل بقتله.

فقلت في نفسي: لا أبرح من مكاني حتَّى أنظر إليه، ولم ألبث إلاَّ قليلاً حتَّى جاء الإمام عليه السلام راكباً فقام الناس إليه إجلالاً وإكباراً.

فلمَّا رأيته وقع حبّه في قلبي، فصرت أدعو الله أن يصرف عنه كيد المتوكّل، ووقع بصر الإمام عليَّ فقصدني، وقال: **«قَدِ اسْتَجابَ اللَّهُ دُعاءَكَ، وَطَوَّلَ عُمْرَكَ، وَكَثَّرَ مَالَكَ وَوَلَدَكَ»**.

فارتعدت فرائصي لأنَّه قد علم بدخائل نفسي، وما انطوت عليه نيَّتي، ودخلنا على المتوكّل وقضينا حوائجنا ثمَّ سافرت إلى أصفهان، وقد فتح الله عليَّ وجوهاً من المال لم أحلم بها، فها أنا اليوم أغلق بابي على ما قيمته ألف ألف درهم سوى مالي الذي في خارج الدار، كما رزقت من الأولاد عشرة، وبلغت من العمر ما ينيف على السبعين عاماً»[2]، كلّ ذلك ببركة دعاء الإمام عليه السلام.

---

(١) أمالي الطوسي: ١/٢٩٢.

(٢) بحار الأنوار: ٥٠/١٤١ ـ ١٤٣، الحديث ٢٦.

٣ ـ ومن أدعية الإمام عليه السلام المستجابة ما رواه المؤرّخون: «أنَّ عليّ بن جعفر كان من وكلاء الإمام عليه السلام، فسُعي به إلى المتوكّل فحبسه، وبقي في ظلمات السجون مدَّة من الزمن، وقد ضاق به الأمر، فتكلَّم مع بعض عملاء السلطة في إطلاق سراحه، وقد ضمن أن يعطيه عوض ذلك ثلاثة آلاف دينار، فأسرع إلى عبيد الله وهو من المقرَّبين عند المتوكّل، وطلب منه التوسُّط في شأن عليّ بن جعفر، فاستجاب له، وعرض الأمر على المتوكّل، فأنكر عليه ذلك وقال له: لو شككت فيك لقلت إنَّك رافضي، هذا وكيل أبي الحسن الهادي وأنا على قتله عازم.

وندم عبيد الله على التوسُّط في شأنه، وأخبر صاحبه بالأمر، فبادر إلى عليّ بن جعفر وعرَّفه أنَّ المتوكّل عازم على قتله، ولا سبيل إلى إطلاق سراحه، فضاق الأمر بعليّ بن جعفر، فكتب رسالة إلى الإمام جاء فيها: «يا سيِّدي، الله الله فيَّ، فقد خفت أن أرتاب».

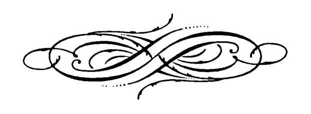
فوقَّع الإمام عليه السلام على رسالته: **«أمَّا إذَا بَلَغَ بِكَ الأمْرُ ما أرىٰ فَسَأقْصُدُ اللَّهَ فِيكَ»**.

وأصبح المتوكّل محموماً دنفاً، وازدادت به الحمَّى، فأمر بإطلاق جميع المساجين، وأمر إطلاق سراح عليّ بن جعفر بالخصوص، وقال لعبيد الله لِمَ لَمْ تَعرض عليَّ اسمه؟

فقال: لا أعود إلى ذكره أبداً، فأمره بأن يخلِّي عنه، وأن يلتمس منه أن يجعله في حلٍّ ممَّا ارتكبه منه، وأطلق سراحه ثمَّ نزح إلى مكَّة فأقام بها بأمر من الإمام»[(١)].

٤ ـ ومن أدعيته المستجابة ما رواه المؤرّخون: «أنَّ أحمد بن الخصيب كان من الحاقدين على الإمام عليه السلام، فألحَّ على الإمام أن يعطيه داره ويسلِّمها له بغير حقّ، فتميَّز الإمام غيظاً وقال له: **«لأقْعُدَنَّ مِنَ اللَّهِ مَقْعَداً لاَ تَبْقىٰ لَكَ مَعَهُ بَاقِيَةٌ»**.

ولم يلبث أحمد إلاَّ قليلاً حتَّى أخذه الله أخذ عزيز ذي انتقام، فقد هلك»[(٢)].



(١) بحار الأنوار: ٥٠/١٨٣ و١٨٤، الحديث ٥٨.

(٢) الإرشاد: ٢/٣٠٦.

علومه ومعارفه عليه السلام

ردّ الأخبار المشكلة لأهل البيت عليهم السلام:

وألزم الإمام الهادي عليه السلام شيعته بالتثبُّت من الأخبار المرويَّة عن الأئمَّة الطاهرين، فما علموا أنَّه صادر منهم وفهموا معناه أخذوا به، وما أشكل عليهم معناه فقد أمرهم بردّه إليهم حتَّى يبيِّنوه لهم، وقد جاء هذا في جوابه عن رسالة داود بن فرقد الفارسي، فقد جاء فيها:

«نسألك عن العلم المنقول إلينا عن آبائك وأجدادك قد اختلفوا علينا فيه، كيف العمل به على اختلافه؟

فأجابه الإمام عليه السلام: **إنْ عَلِمْتُمْ أنَّهُ قَوْلُنا فَالْزَموهُ، وَمَا لَمْ تَعْلَموهُ فَرُدّوهُ إلَيْنا**»[1].

وإنَّما أمرهم بردَّها إليهم لإيضاحها وبيانها إن كانت صادرة عنهم، وإن كانت موضوعة ومفتعلة قالوا لهم بذلك.

الأخبار المختلفة:

كتب الحميري إلى الإمام أبي الحسن الهادي عليه السلام يسأله عن الأخبار المختلفة، كيف العمل بها.

فأجابه الإمام: **«إنَّ مَنْ لَزِمَ رَأْسَ الْعَيْنِ لَمْ يَخْتَلِفْ عَلَيْهِ أمْرُهُ، فَإنَّها تَخْرُجُ مِنْ مَخْرَجِها وَهِيَ بَيْضاءُ صَافِيَةٌ»**.

وقد أراد الإمام أنَّ مَن اتَّصل بالإمام عليه السلام فإنَّه لا يختلف عليه شيء لأنَّه يأخذ الواقع من منبعه وأصله، ولمَّا قرأ الحميري كتب إلى الإمام عليه السلام: كيف لنا برأس، وقد حيل بيننا وبينه؟

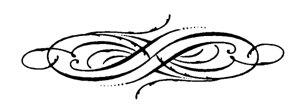
---

(١) بصائر الدرجات: ص٥٤٥.

وقد أراد الحميري أنَّه لا سبيل للاتّصال بالإمام نظراً للضغوط السياسيَّة، ومعاقبة الدولة لكلّ من اتَّصل بالأئمَّة عليهم السلام.

فأجابه الإمام: **«هِيَ مَبْذولَةٌ لِمَنْ طَلَبَها، إلاَّ لِمَنْ أرادَها بِالإلْحادِ»**[1].

وأشار الإمام عليه السلام إلى أنَّ طالب الحقيقة إذا أخلص في سعيه فإنَّه يصل إلى الحقّ ويظفر به.



(١) الدرّ النظيم: ص٧٣٢.

بحوث كلاميّة

وشاعت في عصر الإمام الهادي عليه السلام كثير من الشكوك والأوهام حول أُصول العقيدة الإسلاميَّة، وكانت بداية وجودها أيّام الحكم الأموي، فهو الذي فسح المجال لانتشار الأفكار المضلّلة وشجَّع عليها، وقد استمرَّت بتصاعد أيّام الحكم العبَّاسي، وقد تصدَّى علماء المسلمين، وفي طليعتهم أئمَّة أهل البيت عليهم السلام إلى تزييف الآراء الملحدة بالأدلَّة العلميَّة الحاسمة، وقد سجّلت في كتب منها «الاحتجاج» وغيره، التي ألَّفها علماء الشيعة للدليل على كفاح أئمَّتهم في نصرة العقيدة الإسلاميَّة ومكافحة الكفر والإلحاد.

ونعرض لبعض ما أُثر عن الإمام أبي الحسن الهادي عليه السلام في هذا المجال:

امتناع رؤية الله:

كتب أحمد بن إسحاق إلى الإمام أبي الحسن الثالث عليه السلام يسأله عن الرؤية ـ أي رؤية الله تعالى ـ وما اختلف فيه الناس.

فأجابه الإمام: **«لاَ تَجُوزُ الرُّؤْيَةُ مَا لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الرَّائِي وَالْمَرْئِيِّ هَواءٌ لَمْ يَنْفُذْهُ الْبَصَرُ، فَإِذَا انْقَطَعَ الْهَوَاءُ عَنِ الرَّائِي وَالْمَرْئِيِّ لَمْ تَصِحَّ الرُّؤْيَةُ، وَكَانَ فِي ذَلِكَ الاشْتِبَاهُ، لأنَّ الرَّائِيَ مَتىٰ سَاوَىٰ الْمَرْئِيَّ فِي السَّبَبِ الْمُوجِبِ بَيْنَهُما فِي الرُّؤْيَةِ وَجَبَ الاشْتِباهُ، وَكَانَ ذَلِكَ التَّشْبِيهُ لأنَّ الأسْبابَ لاَ بُدَّ مِنِ اتّصالِها بِالْمُسَبَّباتِ»**[1].

وانظر كيف خاطب الإمام العظيم أبو الحسن الهادي عليه السلام الله تعالى بهذه الكلمات المشرقة التي كشفت عن مدى معرفته بالله تعالى حيث يقول:

«إلَهِي تَاهَتْ أوْهامُ الْمُتَوَهِّمِينَ، وَقَصُرَ طَرْفُ الطَّارِفِينَ، وَتَلاشَتْ أوْصَافُ الْوَاصِفِينَ، وَاضمَحَلَّتْ أقَاوِيلُ الْمُبْطِلِينَ عَنِ الدَّرْكِ لِعَجِيبِ شَأْنِكَ، أوِ الْوُقُوعِ بِالْبُلوغِ إلَىٰ عُلُوِّكَ، فَأنْتَ فِي الْمَكانِ الَّذِي لاَ يَتَناهَىٰ، وَلَمْ تَقَعْ عَلَيْكَ عُيُونٌ بِإشَارَةٍ وَلاَ عِبارَةٍ،

(١) أُصول الكافي: ١/ ٩٧.

هَيْهاتَ، ثُمَّ هَيْهاتَ، يَا أوَّلِيُّ، يَا وَحْدانِيُّ، يَا فَرْدانِيُّ، شَمَخْتَ فِي الْعُلُوِّ بِعِزِّ الْكِبْرِ، وَارْتَفَعْتَ مِنْ وَراءِ كُلِّ غَوْرَةٍ وَنِهايَةٍ، بِجَبَروتِ الْفَخْرِ»(١).

استحالة التجسيم:

١ ـ روى الصقر بن أبي دلف، قال: «سألت أبا الحسن عليّ بن محمَّد عليه السلام عن التوحيد، وقلت له: إنِّي أقول بقول هشام بن الحكم ـ وكان يقول قبل هدايته بالتجسيم ـ.

فغضب الإمام عليه السلام وقال: مَا لَكُمْ وَقَوْلُ هِشامٍ، إنَّهُ لَيْسَ مِنَّا مَنْ زَعَمَ أنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جِسْمٌ، وَنَحْنُ مِنْهُ بَراءٌ فِي الدُّنْيا وَالآخِرَةِ.

يَابْنَ أبِي دَلَفٍ، إنَّ الْجِسْمَ مُحْدَثٌ، وَاللَّهُ مُحْدِثُهُ وَمُجَسِّمُهُ»(٢).

٢ ـ روى حمزة بن محمَّد، قال: «كتبت إلى أبي الحسن عليه السلام أسأله عن الجسم والصورة:

فكتب عليه السلام: سُبْحَانَ مَنْ لَيْسَ كَمِثْلِه شَيْءٌ، لاَ جِسْمٌ وَلاَ صورَةٌ»(٣).

٣ ـ روى إبراهيم بن محمَّد الهمداني، قال: «كتبت إلى الرجل ـ يعني أبا الحسن عليه السلام ـ إنَّ من قِبلنا من مواليك قد اختلفوا في التوحيد، فمنهم من يقول: جسم، ومنهم من يقول: صورة.

فكتب عليه السلام بخطِّه: سُبْحانَ مَنْ لاَ يُحَدُّ وَلاَ يوصَفُ، لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ»(٤).

استحالة وصفه تعالى:

وأدلى الإمام أبو الحسن الهادي عليه السلام في حديث له مع الفتح بن يزيد الجرجاني أعرب فيه عن استحالة وصف الخالق الحكيم بصفة تحيط بكنهه وحقيقته، وقد جاء فيه:

«إنَّ الْخَالِقَ لاَ يُوصَفُ إلاَّ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَأنَّىٰ يُوصَفُ الْخَالِقُ الَّذِي تَعْجِزُ الْحَواسُّ أنْ تُدْرِكَهُ، وَالأوْهَامُ أنْ تَنالَهُ، وَالْخَطَراتُ أنْ تَحُدَّهُ، وَالأبْصَارُ عَنِ الإحَاطَةِ بِه، جَلَّ عَمَّا يَصِفُهُ الْوَاصِفُونَ، وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَنْعَتُهُ النَّاعِتونَ، نَأىٰ فِي قُرْبِهِ، وَقَرُبَ فِي نَأْيِهِ، فَهُوَ فِي نَأْيِهِ قَرِيبٌ، وَفِي قُرْبِهِ بَعِيدٌ، كَيَّفَ الْكَيْفَ فَلاَ يُقَالُ كَيْفَ، وَأيَّنَ الأيْنَ فَلاَ يُقَالُ

---

(١) التوحيد: ص٦٦.

(٢) التوحيد: ص١٠٤.

(٣) التوحيد: ص٩٧.

(٤) التوحيد: ص١٠٠.

أَيْنَ، إِذْ هُوَ مُنْقَطِعُ الْكَيْفِيَّةِ وَالأَيْنِيَّةِ، هُوَ الْوَاحِدُ الأَحَدُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ، فَجَلَّ جَلاَلُهُ.

أَمْ كَيْفَ يُوصَفُ بِكُنْهِهِ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله، وَقَدْ قَرَنَهُ الْجَلِيلُ بِاسْمِهِ، وَشَرِكَهُ فِي عَطَائِهِ، وَأَوْجَبَ لِمَنْ أَطَاعَهُ جَزَاءَ طَاعَتِهِ إِذْ يَقُولُ: ﴿وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ﴾[1].

وَقَالَ يَحْكِي قَوْلَ مَنْ تَرَكَ طَاعَتَهُ، وَهُوَ يُعَذِّبُهُ بَيْنَ أَطْبَاقِ نِيرَانِهَا، وَسَرَابِيلِ قَطِرَانِهَا: ﴿يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠﴾[2].

أَمْ كَيْفَ يُوصَفُ بِكُنْهِهِ مَنْ قَرَنَ الْجَلِيلُ طَاعَتَهُمْ - يعني بهم أئمّة أهل البيت -: بِطَاعَةِ رَسُولِهِ حَيْثُ قَالَ: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[3].

وَقَالَ: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ﴾[4].

وَقَالَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾[5].

يَا فَتْحُ، كَمَا لاَ يُوصَفُ الْجَلِيلُ جَلَّ جَلاَلُهُ وَالرَّسُولُ وَالْخَلِيلُ وَوَلَدَا الْبَتُولِ، فَكَذَلِكَ لاَ يُوصَفُ الْمُؤْمِنُ الْمُسَلِّمُ لأَمْرِنا»[6].

حقيقة التوحيد:

سئل الإمام أبو الحسن الهادي عليه السلام عن حقيقة التوحيد، فقيل له: لم يزلِ الله تعالى وحده لا شيء معه، ثمَّ خلق الأشياء بديعاً، واختار لنفسه الأسماء، ولم تزل الأسماء والحروف له معه قديمة.

فكتب عليه السلام: **لَمْ يَزَلِ اللَّهُ عَزَّ اسْمُهُ مَوْجُوداً، ثُمَّ كَوَّنَ مَا أَرَادَ، وَلاَ رَادَّ لِقَضَائِهِ، وَلاَ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ**[7].

---

(١) سورة التوبة: الآية ٧٤.

(٢) سورة الأحزاب: الآية ٦٦.

(٣) سورة النساء: الآية ٥٩.

(٤) سورة النساء: الآية ٨٢.

(٥) سورة النساء: الآية ٥٨.

(٦) كشف الغمّة: ٢/٣٨٦ و٣٨٧.

(٧) الاحتجاج: ٢/٢٥٠.

أدعيته عليه السلام

دعاؤه عليه السلام عند الشدائد:

من أدعيته عليه السلام هذا الدُّعاء الشريف، وكان يدعو به إذا ألمَّت به حادثة أو حلَّ به خطب، أو أراد قضاء حاجة مهمَّة له، ويقول الرواة: «إنَّه قبل أن يدعو به يصوم يوم الأربعاء والخميس والجمعة، ثمَّ يغتسل في أوَّل يوم الجمعة، ويتصدَّق على مسكين، ويجلس تحت السَّماء، ويصلِّي أربع ركعات يقرأ في الركعة الأُولى سورة الحمد وسورة يس، وفي الثانية سورة الحمد وحم الدخان، وفي الثالثة سورة الحمد مع سورة الواقعة، وفي الرابعة سورة الحمد وسورة تبارك، وإذا فرغ منها بسط راحتيه إلى السَّماء، ودعا بإخلاص بهذا الدُّعاء[1].

وقد جاء فيه بعد البسملة:

اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ حَمْداً يَكُونُ أَحَقَّ الْحَمْدِ بِكَ، وَأَرْضَىٰ الْحَمْدِ لَكَ، وَأَوْجَبَ الْحَمْدِ بِكَ، وَأَحَبَّ الْحَمْدِ إِلَيْكَ، وَلَكَ الْحَمْدُ كَمَا أَنْتَ أَهْلُهُ، وَكَمَا رَضِيتَ لِنَفْسِكَ، وَكَمَا حَمِدَكَ مَنْ رَضِيتَ حَمْدَهُ مِنْ جَمِيعِ خَلْقِكَ، وَلَكَ الْحَمْدُ كَمَا حَمِدَكَ بِهِ جَمِيعُ أَنْبِيائِكَ وَرُسُلِكَ وَمَلائِكَتِكَ، وَكَمَا يَنْبَغِي لِعِزِّكَ وَكِبْرِيَائِكَ وَعَظَمَتِكَ، وَلَكَ الْحَمْدُ حَمْداً تَكِلُّ الأَلْسُنُ عَنْ صِفَتِهِ، وَيَقِفُ الْقَوْلُ عَنْ مُنْتَهاهُ، وَلَكَ الْحَمْدُ حَمْداً لاَ يَقْصُرُ عَنْ رِضَاكَ، وَلاَ يَفْضُلُهُ شَيْءٌ مِنْ مَحَامِدِكَ.

اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ، وَالشِّدَّةِ وَالرَّخَاءِ، وَالْعَافِيَةِ وَالْبَلاَءِ، وَالسِّنِينَ وَالدُّهُورِ، وَلَكَ الْحَمْدُ عَلَىٰ آلاَئِكَ وَنَعْمَائِكَ عَلَيَّ وَعِنْدِي، وَعَلَىٰ مَا أَوْلَيْتَنِي وَأَبْلَيْتَنِي وَعَافَيْتَنِي وَرَزَقْتَنِي وَأَعْطَيْتَنِي وَفَضَّلْتَنِي وَشَرَّفْتَنِي وَكَرَّمْتَنِي وَهَدَيْتَنِي لِدِينِكَ، حَمْداً لاَ يَبْلُغُهُ وَصْفُ وَاصِفٍ، وَلاَ يُدْرِكُهُ قَوْلُ قَائِلٍ.

اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ حَمْداً فِيمَا آتَيْتَهُ إِلَيَّ مِنْ إِحْسانِكَ عِنْدِي، وَإِفْضَالِكَ عَلَيَّ، وَتَفَضُّلِكَ

(١) وسائل الشيعة: ٥/ ٦٢، الحديث ١٦.

إيَايَ علىٰ غَيْرِي، وَلَكَ الْحَمْدُ علىٰ مَا سَوَّيْتَ مِنْ خَلْقِي، وَأَدَّبْتَنِي فَأَحْسَنْتَ أَدَبِي مَنّاً مِنْكَ عَلَيَّ لاَ لِسَابِقَةٍ مِنِّي، فَأيَّ النِّعَمِ يَا رَبِّ لَمْ تَتَّخِذْ عِنْدِي، وَأيَّ شُكْرٍ لَمْ تَسْتَوْجِبْ مِنِّي، رَضِيتُ بِلُطْفِكَ لُطْفاً وَبِكِفَايَتِكَ مِنْ جَمِيعِ الْخَلْقِ خَلْقاً.

يا رَبِّ أَنْتَ الْمُنْعِمُ عَلَيَّ، الْمُحْسِنُ الْمُتَفَضِّلُ الْمُجْمِلُ، ذُو الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ، وَالْفَوَاضِلِ وَالنِّعَمِ الْعِظَامِ، فَلَكَ الْحَمْدُ عَلَىٰ ذَلِكَ يَا رَبِّ، لَمْ تَخْذُلْنِي فِي شَدِيدَةٍ، وَلَمْ تسْلِمْنِي بِجَرِيرَةٍ، وَلَمْ تَفْضَحْنِي بِسَرِيرَةٍ، لَمْ تَزَلْ نَعماؤُكَ عَلَيَّ عَامَّةً عِنْدَ كُلِّ عُسْرٍ وَيُسْرٍ، أَنْتَ حَسَنُ الْبَلاَءِ، وَلَكَ عِنْدِي قَدِيمُ الْعَفْوِ عَنِّي. أَمْتِعْنِي بِسَمْعِي وَبَصَرِي وَجَوَارِحِي، وَمَا أَقَلَّتِ الأَرْضُ مِنِّي.

اللَّهُمَّ وَإِنَّ أَوَّلَ مَا أَسْأَلُكَ مِنْ حَاجَتِي، وَأَطْلُبُ إِلَيْكَ مِنْ رَغْبَتِي، وَأَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِهِ بَيْنَ يَدَيْ مَسْأَلَتِي، وَأَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَيْكَ بَيْنَ يَدَيْ طَلِبَتِي، الصَّلاَةُ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَأَسْأَلُكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ كَأَفْضَلِ مَا أَمَرْتَ أَنْ يُصَلَّىٰ عَلَيْهِمْ، وَكَأَفْضَلِ مَا سَأَلَكَ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِكَ، وَكَمَا أَنْتَ مَسْؤُولٌ لَهُ وَلَهُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

اللَّهُمَّ فَصَلِّ عَلَيْهِمْ بِعَدَدِ مَنْ صَلَّىٰ عَلَيْهِمْ، وَبِعَدَدِ مَنْ لَمْ يُصَلِّ عَلَيْهِمْ، وَبِعَدَدِ مَنْ لاَ يُصَلِّي عَلَيْهِمْ، صَلاَةً دَائِمَةً تَصِلُهَا بِالْوَسِيلَةِ وَالرِّفْعَةِ وَالْفَضِيلَةِ، وَصَلِّ عَلَىٰ جَمِيعِ أَنْبِيائِكَ وَرُسُلِكَ وَعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ، وَصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَسَلِّمْ عَلَيْهِمْ تَسْلِيماً كَثِيراً.

اللَّهُمَّ وَمِنْ جُودِكَ وَكَرَمِكَ أَنَّكَ لاَ تُخَيِّبُ مَنْ طَلَبَ إِلَيْكَ وَسَأَلَكَ، وَرَغِبَ فِيمَا عِنْدَكَ، وَتُبْغِضُ مَنْ لَمْ يَسْأَلْكَ، وَلَيْسَ أَحَدٌ كَذَلِكَ غَيْرَكَ، وَطَمَعِي يَا رَبِّ فِي رَحْمَتِكَ وَمَغْفِرَتِكَ، وَثِقَتِي بِإِحْسَانِكَ وَفَضْلِكَ حَدَانِي عَلَىٰ دُعَائِكَ، وَالرَّغْبَةِ إِلَيْكَ، وَإِنْزَالِ حَاجَتِي بِكَ، وَقَدْ قَدَّمْتُ أَمَامَ مَسْأَلَتِي التَّوَجُّهَ بِنَبِيِّكَ الَّذِي جَاءَ بِالْحَقِّ وَالصِّدْقِ مِنْ عِنْدِكَ، وَنُورِكَ وَصِرَاطِكَ الْمُسْتَقِيمِ الَّذِي هَدَيْتَ بِهِ الْعِبَادَ، وَأَحْيَيْتَ بِنُورِهِ الْبِلاَدَ، وَخَصَصْتَهُ بِالْكَرَامَةِ وَأَكْرَمْتَهُ بِالشَّهَادَةِ، وَبَعَثْتَهُ عَلَىٰ حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ.

اللَّهُمَّ إِنِّي مُؤْمِنٌ بِسِرِّهِ وَعَلاَنِيَتِهِ، وَسِرِّ أَهْلِ بَيْتِهِ الَّذِينَ أَذْهَبْتَ عَنْهُمُ الرِّجْسَ وَطَهَّرْتَهُمْ تَطْهِيراً اللَّهُمَّ فَصَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَلاَ تَقْطَعْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَاجْعَلْ عَمَلِي بِهِمْ مُتَقَبَّلاً.

اللَّهُمَّ دَلَلْتَ عِبَادَكَ عَلَىٰ نَفْسِكَ فَقُلْتَ تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[1].

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٨٦.

وَقُلْتَ: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾(١).

وَقُلْتَ: ﴿وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ﴾(٢).

أَجَلْ يَا رَبِّ، نِعْمَ الْمَدْعُوُّ أَنْتَ، وَنِعْمَ الرَّبُّ، وَنِعْمَ الْمُجِيبُ.

وَقُلْتَ: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾(٣).

وَأَنَا أَدْعوكَ اللَّهُمَّ بِأَسْمَائِكَ الْحُسْنَىٰ كُلِّها، مَا عَلِمْتُ مِنْهَا وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، أَسْأَلُكَ بِأَسْمَائِكَ الَّتِي إذَا دُعِيتَ بِهَا أَجَبْتَ، وَإِذَا سُئِلْتَ بِهَا أَعْطَيْتَ، أَدْعُوكَ مُتَضَرِّعاً إِلَيْكَ مِسْكِيناً، دُعاءَ مَنْ أَسْلَمَتْهُ الْغَفْلَةُ، وَأَجْهَدَتْهُ الْحَاجَةُ، أَدْعُوكَ دُعاءَ مَنِ اسْتَكَانَ وَاعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ، وَرَجَاكَ لِعَظِيمِ مَغْفِرَتِكَ وَجَزِيلِ مَثُوبَتِكَ.

اللَّهُمَّ إنْ كُنْتَ خَصَصْتَ أَحداً بِرَحْمَتِكَ طَائِعاً لَكَ فِيمَا أَمَرْتَهُ، وَعَمِلَ لَكَ فِيمَا لَهُ خَلَقْتَهُ، فَإِنَّهُ لَمْ يَبْلُغْ ذَلِكَ إلاَّ بِكَ وَبِتَوْفِيقِكَ.

اللَّهُمَّ مَنْ أَعَدَّ وَاسْتَعَدَّ لِوِفَادَةٍ إِلَىٰ مَخْلوقٍ رَجَاءَ رَفْدِهِ وَجَوائِزِهِ، فَإِلَيْكَ يَا سَيِّدِي كَانَ اسْتِعْدادِي رَجَاءَ رِفْدِكَ وَجَوائِزِكَ، فَأَسْأَلُكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَأَنْ تُعْطِيَنِي مَسْأَلَتِي وَحَاجَتِي..

ثمَّ سأل الإمام حاجته وطلب منه قضاءها.

وأضاف يقول: يَا أَكْرَمَ الْمُنْعِمِينَ، صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَمَنْ أَرَادَنِي بِسُوءٍ مِنْ خَلْقِكَ فَأَحْرِجْ صَدْرَهُ، وَأَفْحِمْ لِسَانَهُ، وَاسْدُدْ بَصَرَهُ، وَاقْمَعْ رَأْسَهُ، وَاجْعَلْ لَهُ شُغْلاً فِي نَفْسِهِ، وَاكْفِنِيهِ بِحَوْلِكَ وَقُوَّتِكَ، وَلاَ تَجْعَلْ مَجْلِسِي هَذَا آخِرَ الْعَهْدِ مِنَ الْمَجَالِسِ الَّتِي أَدْعوكَ بِهَا مُتَضَرِّعاً إِلَيْكَ، فَإِنْ جَعَلْتَهُ فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي كُلَّهَا مَغْفِرَةً لاَ تُغادِرُ لِي بِهَا ذَنْباً، وَاجْعَلْ دُعَائِي فِي الْمُسْتَجَابِ، وَعَمَلِي فِي الْمَرْفُوعِ الْمُتَقَبَّلِ عِنْدَكَ، وَكَلاَمِي فِيمَا يَصْعَدُ إِلَيْكَ مِنَ الْعَمَلِ الطَّيِّبِ، وَاجْعَلْنِي مَعَ نَبِيِّكَ وَصَفِيِّكَ، وَالأَئِمَّةِ صَلواتُكَ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، فَبِهِمُ اللَّهُمَّ أَتوَسَّلُ، وَإِلَيْكَ بِهِمْ أَرْغَبُ، فَاسْتَجِبْ دُعَائِي يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، وَأَقِلْنِي مِنَ الْعَثَرَاتِ وَمَصَارِعِ الْعَبَرَاتِ.

ثمَّ إنَّ الإمام سأل حاجته وهوىٰ إلى السُّجود، وقال:

---

(١) سورة الزمر: الآية ٥٢.

(٢) سورة الصافَّات: الآية ٧٥.

(٣) سورة الإسراء: الآية ١١٠.

لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ الْحَلِيمُ الْكَرِيمُ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ، سُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ السَّمٰواتِ السَّبْعِ، وَرَبِّ الأَرَضِينَ السَّبْعِ، وَرَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعَفْوِكَ مِنْ عُقوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِرِضاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ، لاَ أَبْلُغُ مِدْحَتَكَ، وَلاَ الثَّنَاءَ عَلَيْكَ، وَأَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَىٰ نَفْسِكَ، اجْعَلْ حَيَاتِي زِيادَةً لِي مِنْ كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلْ وَفَاتِي رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ سُوءٍ، وَاجْعَلْ قُرَّةَ عَيْنِي فِي طَاعَتِكَ.

ثمَّ قال:

يَا ثِقَتِي وَرَجَائِي لاَ تُحْرِقْ وَجهي بِالنَّارِ بَعْدَ سُجودِي وَتَعْفِيرِي لَكَ يَا سَيِّدِي مِنْ غَيْرِ مَنٍّ مِنِّي عَلَيْكَ، بَلْ لَكَ الْمَنُّ بِذَلِكَ عَلَيَّ، فَارْحَمْ ضَعْفِي وَرِقَّةَ جِلْدِي، وَاكْفِنِي مَا أَهَمَّنِي مِنْ أَمْرِ الدُّنْيا وَالآخِرَةِ. وَارْزُقْنِي مُرَافَقَةَ النَّبِيِّ وَأَهْلِ بَيْتِهِ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ السَّلاَمُ فِي الدَّرَجَاتِ الْعُلىٰ مِنَ الْجَنَّةِ.

يَا نُورَ النُّورِ، يَا مُدَبِّرَ الأُمُورِ، يَا جَوادُ، [يَا مَاجِدُ]، يَا وَاحِدُ يَا أَحَدُ، يَا صَمَدُ، يَا مَنْ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ، يَا مَنْ هُوَ هَكَذَا، وَلاَ يَكُونُ هَكَذا غَيْرُهُ، يَا مَنْ لَيْسَ فِي السَّمٰواتِ الْعُلَىٰ، وَالأَرَضِينَ السُّفْلىٰ إِلَهٌ سِواهُ، يَا مُعِزَّ كُلِّ ذَلِيلٍ، وَيَا مُذِلَّ كُلِّ عَزِيزٍ، قَدْ وَعِزَّتِكَ وَجَلاَلِكَ عِيلَ صَبْرِي، فَصَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَفَرِّجْ عَنِّي كَذَا وَكَذا، وَافْعَلْ بِي كَذا وَكَذا، السَّاعَةَ السَّاعَة، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ[1].

دعاؤه عليه السلام عند النوم:

ومن أدعيته الشريفة هذا الدُّعاء، وكان يدعو به إذا أراد النوم، أو انتبه من نومه، وهذا نصَّه:

«لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ الْحَيُّ الْقَيُّومُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، سُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ السَّمٰواتِ السَّبْعِ وَمَا فِيهِنَّ، وَرَبِّ الأَرَضِينَ السَّبْعِ وَمَا فِيهِنَّ، وَرَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، وَسَلاَمٌ عَلَىٰ الْمُرْسَلِينَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ»[2].

لقد كان الإمام عليه السلام يردِّد هذا الدُّعاء في أكثر أوقاته، وهو ينمُّ عن مدى تعلُّق الإمام عليه السلام بالله.

---

(١) مصباح المتهجِّد: ص٣٤٣ ـ ٣٤٧.
(٢) المقنع: ص٥٤٥.

دعاء الاعتصام:

ومن أدعيته هذا الدُّعاء الشريف الذي يعتصم فيه بالله، وهذا نصَّه:

«يَا عُدَّتِي عِنْدَ الْعُدَدِ، وَيَا رَجَائِي وَالْمُعْتَمَدُ، وَيَا كَهْفِي وَالسَّنَدُ، وَيَا وَاحِدُ يَا أَحَدُ، يَا قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، أَسْأَلُكَ بِحَقِّ مَنْ خَلَقْتَهُ مِنْ خَلْقِكَ، وَلَمْ تَجْعَلْ فِي خَلْقِكَ مِثْلَهُمْ أَحَداً، أَنْ تُصَلِّيَ عَلَيْهِمْ»[1].

ومثَّل هذا الدُّعاء مدى اعتصام الإمام بالله وانقطاعه إليه.

دعاؤه عليه السلام للاستعاذة من الشيطان:

وكان الإمام عليه السلام يدعو بهذا الدُّعاء الشريف للاستعاذة من شرّ الشيطان الرجيم، وقد جاء فيه بعد البسملة:

«يَا عَزِيزَ الْعِزِّ فِي عِزِّهِ، مَا أَعَزَّ عَزِيزَ الْعِزِّ فِي عِزِّهِ، يَا عَزِيزُ أَعِزَّنِي بِعِزِّكَ، وَأَيِّدْنِي بِنَصْرِكَ، وَادْفَعْ عَنِّي هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ، وَادْفَعْ عَنِّي بِدَفْعِكَ، وَامْنَعْ بِصُنْعِكَ، وَاجْعَلْنِي مِنْ خِيارِ خَلْقِكَ، يَا وَاحِدُ يَا أَحَدُ، يَا فَرْدُ يَا صَمَدُ»[2].

دعاء جليل:

من أدعيته هذا الدُّعاء الجليل، وقد رواه الطبرسي بسنده عن أبي هاشم داود بن القاسم الجعفري، قال: «كتبت إلى الإمام الهادي: بعض مواليه يسأله شيئاً من الدُّعاء، فكتب عليه السلام له بهذا الدُّعاء:

يَا أَسْمَعَ السَّامِعِينَ، وَيَا أَبْصَرَ الْمُبْصِرِينَ، وَيَا أَنْظَرَ النَّاظِرِينَ، وَيَا أَسْرَعَ الْحَاسِبِينَ، وَيَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، وَيَا أَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ.

صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَأَوْسِعْ لِي فِي رِزْقِي، وَمُدَّ لِي فِي عُمْرِي، وَامْنُنْ عَلَيَّ بِرَحْمَتِكَ، وَاجْعَلْنِي مِمَّنْ تَنْتَصِرُ بِهِ لِدِينِكَ، وَلاَ تَسْتَبْدِلْ بِي غَيْرِي»[3].

دعاؤه عليه السلام في أوَّل ليلة من رجب:

«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لاَ تَنْفَدُ خَزَائِنُهُ، وَلاَ يَخافُ آمِنُهُ. رَبِّ إِنِ ارْتَكَبْتُ الْمَعاصِيَ، فَذَلِكَ ثِقَةٌ مِنِّي بِكَرَمِكَ، إِنَّكَ تَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبادِكَ، وَتَعْفُو عَنْ سَيِّئاتِهِمْ، وَتَغْفِرُ الزَّلَلَ،

---

(١) أمالي الطوسي: ص٢٨٦. عدَّة الداعي: ص٥٧.

(٢) عيون أخبار الإمام الرِّضا عليه السلام: ٢/ ٦٤. بحار الأنوار: ٩١/ ١٨٧.

(٣) أعيان الشيعة، القسم الثاني: ٤/ ٢٨٥.

وَإِنَّكَ مُجِيبٌ لِدَاعِيكَ وَمِنْهُ قَرِيبٌ، فَأَنَا تَائِبٌ إِلَيْكَ مِنَ الْخَطَايَا، وَرَاغِبٌ إِلَيْكَ فِي تَوْفِيرِ حَظِّي مِنَ الْعَطَايَا. يَا خَالِقَ الْبَرَايَا، يَا مُنْقِذِي مِنْ كُلِّ شَدِيدٍ، يَا مُجِيرِي مِنْ كُلِّ مَحْذُورٍ، وَفِّرْ عَلَيَّ السُّرُورَ، وَاكْفِنِي شَرَّ عَوَاقِبِ الأُمُورِ، فَإِنَّكَ اللَّهُ عَلَىٰ نَعْمَائِكَ وَجَزِيلِ عَطَائِكَ مَشْكُورٌ، وَلِكُلِّ خَيْرٍ مَذْخُورٌ»[١].

دعاؤه ﷺ في اليوم الرابع والخامس عشر من الشهر:

«سُبْحَانَ مَنْ هُوَ دَائِمٌ لاَ يَسْهو، سُبْحَانَ مَنْ هُوَ قَائِمٌ لاَ يَلْهو، سُبْحَانَ مَنْ هُوَ غَنِيٌّ لاَ يَفْتَقِرُ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ»[٢].

دعاؤه ﷺ في كشف المهمّات:

«يَا مَنْ تُحَلُّ بِأَسْمَائِهِ عُقَدُ الْمَكَارِهِ، وَيَا مَنْ يُفَلُّ بِذِكْرِهِ حَدُّ الشَّدَائِدِ، وَيَا مَنْ يُدْعَىٰ بِأَسْمَائِهِ الْعِظَامِ مِنْ ضِيقِ الْمَخْرَجِ إِلَىٰ مَحَلِّ الْفَرَجِ.

ذَلَّتْ لِقُدْرَتِكَ الصِّعَابُ، وَتَسَبَّبَتْ بِلُطْفِكَ الأَسْبَابُ، وَجَرَىٰ بِطَاعَتِكَ الْقَضَاءُ، وَمَضَتْ عَلَىٰ ذِكْرِكَ الأَشْيَاءُ، فَهِيَ بِمَشِيَّتِكَ دُونَ قَوْلِكَ مُؤْتَمِرَةٌ، وَبِإِرَادَتِكَ دُونَ وَحْيِكَ مُنْزَجِرَةٌ.

وَأَنْتَ الْمَرْجُوُّ لِلْمُهِمَّاتِ، وَأَنْتَ الْمَفْزَعُ لِلْمُلِمَّاتِ، لاَ يَنْدَفِعُ مِنْهَا إِلاَّ مَا دَفَعْتَ، وَلاَ يَنْكَشِفُ مِنْهَا إِلاَّ مَا كَشَفْتَ، وَقَدْ نَزَلَ بِي مِنَ الأَمْرِ مَا قَدْ فَدَحَنِي ثِقْلُهُ، وَحَلَّ بِي مِنْهُ مَا بَهَظَنِي حَمْلُهُ، وَبِقُدْرَتِكَ أَوْرَدْتَ عَلَيَّ ذَلِكَ، وَبِسُلْطَانِكَ وَجَّهْتَهُ إِلَيَّ، فَلاَ مُصْدِرَ لِمَا أَوْرَدْتَ، وَلاَ مُيَسِّرَ لِمَا عَسَّرْتَ، وَلاَ صَارِفَ لِمَا وَجَّهْتَ، وَلاَ فَاتِحَ لِمَا أَغْلَقْتَ، وَلاَ مُغْلِقَ لِمَا فَتَحْتَ، وَلاَ نَاصِرَ لِمَنْ خَذَلْتَ، إِلاَّ أَنْتَ.

صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَافْتَحْ لِي يَا رَبِّ بَابَ الْفَرَجِ بِطَوْلِكَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سُلْطَانَ الْهَمِّ بِحَوْلِكَ، وَأَنِلْنِي حُسْنَ النَّظَرِ فِيمَا شَكَوْتُ، وَارْزُقْنِي حَلاَوَةَ الصُّنْعِ فِيمَا سَأَلْتُكَ، وَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ فَرَجاً وَحِيّاً، وَاجْعَلْ لِي مِنْ عِنْدِكَ مَخْرَجاً هَنِيئاً.

وَلاَ تَشْغَلْنِي بِالاهْتِمَامِ عَنْ تَعَاهُدِ فُرُوضِكَ، وَاسْتِعْمَالِ سُنَّتِكَ، فَقَدْ ضِقْتُ بِمَا نَزَلَ بِي يَا رَبِّ ذَرْعاً، وَامْتَلأْتُ بِحَمْلِ مَا حَدَثَ عَلَيَّ جَزَعاً.

وَأَنْتَ الْقَادِرُ عَلَىٰ كَشْفِ مَا بُلِيتُ بِهِ، وَدَفْعِ مَا وَقَعْتُ فِيهِ، فَافْعَلْ بِي ذَلِكَ، وَإِنْ

---

(١) مصباح المتهجِّد: ص٧٩٩ ـ ٨٦٠. إقبال الأعمال: ٢/ ١٨٨.

(٢) الدعوات: ص٩٤.

كُنْتُ غَيْرَ مُسْتَوْجِبهُ مِنْكَ، يَا ذَا الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، وَذَا الْمَنِّ الْكَرِيمِ، فَأَنْتَ قَادِرٌ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، آمِينَ رَبَّ الْعَالَمِينَ»(١).

دعاؤه عليه السلام في الاحتجاب:

«﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾(٢).

﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾(٣).

عَلَيْكَ يَا مَوْلَايَ تَوَكُّلِي، وَأَنْتَ حَسْبِي وَأَمَلِي، ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾(٤)، تَبَارَكَ إِلَهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ، رَبُّ الأَرْبَابِ، وَمَالِكُ الْمُلُوكِ، وَجَبَّارُ الْجَبَابِرَةِ، وَمَلِكُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، رَبِّ أَرْسِلْ إِلَيَّ مِنْكَ رَحْمَةً يَا رَحِيمُ، أَلْبِسْنِي مِنْكَ عَافِيَةً، وَازْرَعْ فِي قَلْبِي مِنْ نُورِكَ، وَاخْبَأْنِي مِنْ عَدُوِّكَ، وَاحْفَظْنِي فِي لَيْلِي وَنَهَارِي بِعَيْنِكَ، يَا أُنْسَ كُلِّ مُسْتَوْحِشٍ، وَإِلَهَ الْعَالَمِينَ.

﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَٰنِ ۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ﴾(٥)، حَسْبِيَ اللَّهُ كَافِياً وَمُعِيناً وَمُعَافِياً، ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾(٦)»(٧).

دعاؤه عليه السلام في الاحتراز من الشرور:

«يَانُورُ يَا بُرْهَانُ، يَا مُبِينُ يَا مَتِينُ، يَا رَبِّ اكْفِنِي شَرَّ الشُّرُورِ، وَآفَاتِ الدُّهُورِ، وَأَسْأَلُكَ النَّجَاةَ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ»(٨).

---

(١) المصباح: ص٢٣٣. إقبال الأعمال: ١/٢٥٢.
(٢) سورة الإسراء: الآيتان ٤٥ و٤٦.
(٣) سورة النحل: الآيتان ٩٨ و٩٩.
(٤) سورة الطلاق: الآية ٣.
(٥) سورة الأنبياء: الآية ٤٢.
(٦) سورة التوبة: الآية ١٢٩.
(٧) المصباح: ص٢١٨.
(٨) المصباح: ص٣٠٥. بحار الأنوار: ٣٦/٢٠٧.

دعاؤه عليه السلام لدفع النحوس والمخاوف:

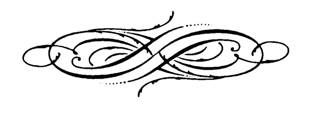
«أَصْبَحْتُ اللَّهُمَّ مُعْتَصِماً بِذِمَامِكَ الْمَنِيعِ الَّذِي لاَ يُطَاوَلُ وَلاَ يُحَاوَلُ، مِنْ شَرِّ كُلِّ غَاشِمٍ وَطَارِقٍ مِنْ سَائِرِ مَنْ خَلَقْتَ وَمَا خَلَقْتَ، مِنْ خَلْقِكَ الصَّامِتِ وَالنَّاطِقِ، فِي جُنَّةٍ مِنْ كُلِّ مَخُوفٍ بِلِبَاسٍ سَابِغَةٍ بِولاَءِ أَهْلِ بَيْتِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ.

مُحْتَجِباً مِنْ كُلِّ قَاصِدٍ لِي إِلَىٰ أَذِيَّةٍ بِجِدارٍ حَصِينِ الإِخْلاَصِ فِي الاعْتِرافِ بِحَقِّهِمْ، وَالتَّمَسُّكِ بِحَبْلِهِمْ. مُوقِناً أَنَّ الْحَقَّ لَهُمْ وَمَعَهُمْ وَمِنْهُمْ وَفِيهِمْ وَبِهِمْ، أُوَالِي مَنْ وَالَوْا، وَأُجَانِبُ مَنْ جَانَبُوا، وَأُحَارِبُ مَنْ حَارَبُوا. فَصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَاعِذْنِي اللَّهُمَّ بِهِمْ مِنْ شَرِّك كلِّ مَا أَتَّقِيهِ، يَا عَظِيمُ حَجَزْتُ الأَعَادِيَ عَنِّي بِبَدِيعِ السَّمٰواتِ وَالأَرْضِ، إِنَّا ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾[1]»[2].

دعاؤه عليه السلام لقضاء الحوائج:

«يَ بَارُّ، يَا وَصُولُ، يَا شَاهِدَ كُلِّ غَائِبٍ، وَيَا قَرِيبُ غَيْرَ بَعِيدٍ وَيَا غَالِبُ غَيْرَ مَغْلُوبٍ، وَيَا مَنْ لاَ يَعْلَمُ كَيْفَ هُوَ إِلاَّ هُوَ، يَا مَنْ لاَ تُبْلَغُ قُدْرَتُهُ.

أَسْأَلُكَ اللَّهُمَّ بِاسْمِكَ الْمَكْنُونَ الْمَخْزونِ، الْمَكْتُوم عَمَّنْ شِئْتَ، الطَّاهِرِ الْمُطَهَّرِ، الْمُقَدَّسِ النُّورِ التَّامِّ، الْحَيِّ الْقَيُّومِ الْعَظِيمِ، نُورِ السَّمٰواتِ وَالأَرَضِينَ، عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ الْعَظِيمِ، صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ»[3].



(١) سورة يٰس: الآية ٩.

(٢) مصباح المتهجِّد: ص٩٢. مفتاح الفلاح: ص٦٨.

(٣) جمال الأسبوع: ص١٨٠. بحار الأنوار: ٨٨/ ١٨٩.

مناجاته عليه السلام

كان الإمام أبو الحسن الهادي يُناجي الله تعالى في غلس اللَّيل البهيم بقلب خاشع، ونفس آمنة مطمئنَّة، وقد أُثر عنه في ذلك ما يلي:

١ ـ كان يقول في مناجاته عليه السلام:

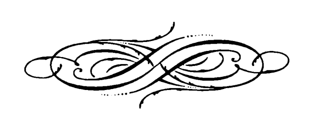
«إلَهِي مُسِيءٌ قَدْ وَرَدَ، وَفَقِيرٌ قَدْ قَصَدَ، لاَ تُخَيِّبْ مَسْعَاهُ، وَارْحَمْهُ وَاغْفِرْ لَهُ خَطاهُ»[1].

٢ ـ من مناجاته عليه السلام:

«إلَهِي صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَارْحَمْنِي إذَا انْقَطَعَ مِنَ الدُّنْيا أثَرِي، وَمُحِيَ مِنَ الْمَخْلوقِينَ ذِكْرِي، وَصِرْتُ فِي الْمَنْسِيِّينَ كَمَنْ نُسِي، إلَهِي كَبُرَ سِنِّي، وَرَقَّ جِلْدِي، وَدَقَّ عَظْمِي، وَنَالَ الدَّهْرُ مِنِّي، وَاقْتَرَبَ أجَلِي، وَنَفِدَتْ أيَّامِي، وَذَهَبَتْ شَهَواتِي، وَبَقِيَتْ تَبِعاتِي، إلَهِي ارْحَمْنِي إذَا تَغَيَّرَتْ صُورَتِي»[2].

٣ ـ كان عليه السلام يُناجي الله تعالى بهذه المناجاة:

«إلَهِي تَاهَتْ أوْهَامُ الْمُتَوَهِّمِينَ، وَقَصُرَ طَرْفُ الطَّارِفِينَ، وَتَلاَشَتْ أوْصَافُ الْوَاصِفِينَ، وَاضْمَحَلَّتْ أقَاوِيلُ الْمُبْطِلِينَ عَنِ الدَّرْكِ لِعَجِيبِ شَأْنِكَ، أوِ الْوقُوعِ بِالْبُلوغِ إلَىٰ عُلُوِّكَ، فَأنْتَ فِي الْمَكَانِ الَّذِي لاَ يَتَناهَىٰ، وَلَمْ تَقَعْ عَلَيْكَ عُيُونٌ بِإشارَةٍ وَلاَ عِبَارَةٍ، هَيْهَاتَ ثُمَّ هَيْهَاتَ، يَا أوَّلِيُّ، يَا وَحْدَانِيُّ، يَا فَرْدَانِيُّ فِي الْعُلُوِّ بِعِزِّ الْكِبْرِ، وَارْتَفَعْتَ مِنْ وَرَاءِ كُلِّ غَوْرَةٍ، وَنِهَايَةٍ بِجَبَروتِ الْفَخْرِ»[3].



(١) الدرّ النظيم: ص٧٢٩.
(٢) المصباح/الكفعمي: ص٣٦٨.
(٣) التوحيد: ص٦٦. بحار الأنوار: ٩١/١٧٩.

من الأحداث الإسلاميّة

وحدّث الإمام أبو الحسن الهادي عليه السلام أصحابه ببعض الأحداث المهمّة التي وقعت في العصر الإسلامي الأوّل، والتي كان منها قتل الطاغية الجلاّد الحجّاج بن يوسف الثقفي لقنبر الشهيد الخالد مولى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وقد روى عليه السلام كيفيّة استشهاده، قال عليه السلام: «**دَخَلَ قَنْبَرُ عَلَىٰ الْحَجَّاجِ بْنُ يُوسُفَ فَصَاحَ الطَّاغِيَةُ بِهِ: مَا الَّذِي كُنْتَ تَلِي مِنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ؟**

ـ كُنْتُ أُوَضِّيهِ.

ـ مَا كَانَ يَقُولُ إذَا فَرَغَ مِنْ وُضُوئِهِ؟

ـ كَانَ يَتْلو هَذِهِ الآيَةَ: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1].

ـ أَظُنُّهُ كَانَ يَتَأَوَّلُها عَلَيْنا؟

ـ نَعَمْ.

ـ مَا أَنْتَ صَانِعٌ إذَا ضَرَبْتُ عُنُقَكَ؟

ـ إذاً أَسْعَدُ فَتَشْقىٰ.

وأمر الطاغية بالعبد الصالح فضربت عنقه»[2].

فضل النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وعليّ عليه السلام:

وأشاد الإمام أبو الحسن عليه السلام بإحسان النبيّ صلى الله عليه وآله ووصيّه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على هذه الأُمّة، فقد أسديا إليها من الألطاف والفضل ما لا يحصى.

قال عليه السلام: «**إنَّ مِنْ إعْظَامِ جَلاَلِ اللَّهِ إيثَارَ قَرَابَةِ أَبَوَيْ دِينِكَ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وَعَلِيٍّ عليه السلام**

---

(١) سورة الأنعام: الآيتان ٤٤ و٤٥.

(٢) بحار الأنوار: ٤٢/ ١٣٥، الحديث ١٦.

عَلَىٰ قَرابَاتِ أَبِي نَسَبِكَ، وَإِنَّ مِنَ التَّهاونِ بِجَلاَلِ اللَّهِ إِيثَارَ قَرابَةِ أَبَوَيْ نَسَبِكَ عَلَىٰ قَرَابَةِ أَبَوَيْ دِينِكَ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وَعَلِيٍّ عليه السلام»[1].

وقال عليه السلام: «مَنْ لَمْ يَكُنْ وَالِدا دِينِهِ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله وَعَلِيٌّ عليه السلام أَكْرَمَ عَلَيْهِ مِنْ وَالِدَيْ نَسَبِهِ، فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي حِلٍّ وَلاَ حَرَامٍ، وَلاَ قَلِيلٍ وَلاَ كَثِيرٍ»[2].

فضل العلماء في زمان الغيبة:

وأشاد الإمام أبو الحسن الهادي عليه السلام بفضل العلماء في زمان غيبة حفيده الإمام المنتظر عليه السلام، قال: «لَوْلاَ مَنْ يَبْقىٰ بَعْدَ غَيْبَةِ قَائِمِكُمْ عليه السلام مِنَ الْعُلَماءِ الدَّاعِينَ إِلَيْهِ، وَالدَّالِّينَ عَلَيْهِ، وَالذَّابِّينَ عَنْ دِينِهِ بِحُجَجِ اللَّهِ، وَالْمُنْقِذِينَ لِضُعَفاءِ عِبَادِ اللَّهِ مِنْ شِباكِ إِبْلِيسَ وَمَرَدَتِهِ، وَمِنْ فِخَاخِ النَّواصِبِ لَما بَقِيَ أَحَدٌ إِلاَّ ارْتَدَّ عَنْ دِينِ اللَّهِ، وَلَكِنَّهُمُ الَّذِينَ يُمْسِكونَ أَزِمَّةَ قُلُوبِ ضُعَفَاءِ الشِّيعَةِ، كَمَا يُمْسِكُ صَاحِبُ السَّفِينَةِ سُكَّانَها، أُوْلَئِكَ هُمُ الأَفْضَلونَ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»[3].

فضل الصبر:

وتحدَّث الإمام أبو الحسن الهادي عليه السلام عن فضل الصبر، وما للصابرين من الأجر عند الله، فقد روى الحسن بن عليّ، قال: «سمعت أبا الحسن يقول: وَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيامَةِ نَادىٰ مُنادٍ: أَيْنَ الصَّابِرونَ؟

فَيَقُومُ عُنُقٌ مِنَ النَّاسِ، فَيُنادِي مُنَادٍ أَيْنَ الْمُتَصَبِّرونَ، فَيَقومُ عُنُقٌ مِنَ النَّاسِ.

فقلت: جعلت فداك، ومن الصابرون والمتصبِّرون؟

قال عليه السلام: الصَّابِرونَ عَلىٰ أداءِ الْفَرائِضِ، وَالْمُتَصَبِّرونَ عَلَىٰ تَرْكِ الْمَاصِي»[4].

التشاؤم من الأيَّام:

روى الحسن بن مسعود[5]، قال: «دخلت على أبي الحسن عليّ بن محمَّد عليه السلام

---

(١) مآثر الكبراء في تاريخ سامرَّاء: ٣/ ٢٢٧.

(٢) بحار الأنوار: ٢٣/ ٢٦١ و٤٦/ ١٠.

(٣) الاحتجاج: ١/ ٩ و١٠ و٢/ ٢٦٠.

(٤) بحار الأنوار: ٧/ ١٨١، الحديث ٢٤.

(٥) لا يوجد في كتب الرجال من سمّي بهذا الاسم من أصحاب الإمام أبي الحسن عليه السلام، ولعلَّ الصحيح هو الحسين بن سعيد الأهوازي.

وقد نكبت[١] إصبعي، وتلقّاني راكب وصدم كتفي ودخلت في زحمة، فخرقوا عليَّ بعض ثيابي، فقلت: كفاني الله شرّك من يوم، فما أيشمك[٢].

فقال عليه السلام لي: **يَاحَسَنُ، هَذَا وَأَنْتَ تَغْشانا، تَرْمِي بِذَنْبِكَ مَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ.**

قال الحسن: فأثاب إليَّ عقلي، وتبيَّنت خطأي، فقلت: يا مولاي، استغفر الله.

فقال: **يَا حَسَنُ مَا ذَنْبُ الأَيَّامِ حَتَّىٰ صِرْتُمْ تَتَشاءمُونَ مِنْها إذَا جُوزِيتُمْ بِأعْمَالِكُم فِيهَا.**

قال الحسن: أنا أستغفر أبداً، وهي توبتي يابن رسول الله.

قال عليه السلام: **وَاللَّهِ مَا يَنْفَعُكُمْ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يُعَاقِبُكُمْ بِذَمِّها عَلَىٰ مَا لاَ ذَمَّ عَلَيْها فِيهِ. أما عَلِمْتَ يَا حَسَنُ أنَّ اللَّهَ هُوَ الْمُثيبُ وَالْمُعاقِبُ وَالْمُجازِي بِالأعْمَالِ عَاجِلَةً وَآجِلَةً.**

قلت: بلى يا مولاي.

قال عليه السلام: **لاَ تَعُدْ وَلاَ تَجْعَلْ لِلأيَّامِ صُنْعاً فِي حُكْمِ اللَّهِ.**

قال الحسن: بلى يا مولاي»[٣].

النظافة:

ودعا الإمام عليه السلام إلى النظافة والتجمُّل. قال عليه السلام: **«إنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْجَمالَ وَالتَّجَمُّلَ، وَيَكْرَهُ الْبُؤْسَ وَالتَّباؤسَ، فَإنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجلَّ إذَا أنْعَمَ عَلَىٰ عَبْدِهِ نِعْمَةً أحَبَّ أنْ يَرىٰ عَلَيْهِ أثَرَها.**

فقيل له: وكيف ذلك؟

قال: **يُنَظِّفُ ثَوْبَهُ، وَيُطَيِّبُ رِيحَهُ، وَيُحْسِّنُ دَارَهُ، وَيَكْنِسُ أفْنِيَتَهُ، حَتَّىٰ أنَّ السِّراجَ قَبْلَ مَغِيبِ الشَّمْسِ يَنْفِي الْفَقْرَ، وَيَزِيدُ فِي الرِّزْقِ»**[٤].

ندرة الدرهم من الحلال:

روى السيِّد ابن طاووس بسنده عن محمَّد بن هارون الجلاَّب، قال: «قلت لسيِّدي

---

(١) نكبت: أي خدشت.

(٢) كذا جاء، ولعلَّ الصحيح: «فما أشأمك».

(٣) تحف العقول: ص٤٨٢ و٤٨٣.

(٤) أمالي الطوسي: ص٢٧٥، الحديث ٥٢٦.

عليّ بن محمَّد الهادي عليه السلام: **إنَّا روينا عن آبائك أنَّهُ يَأتي عَلَىٰ النَّاسِ زمانٌ لاَ يَكُونُ شَيْءٌ أعَزَّ مِنْ أخٍ أنِيسٍ، أوْ كَسْبِ دِرْهَمٍ مِنْ حَلاَلٍ.**

فقال لي: **يَا مُحَمَّدُ، إنَّ الْعَزِيزَ مَوْجُودٌ، وَلَكِنَّكَ فِي زَمانٍ لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ أعْسَرَ مِنْ دِرْهَمٍ حَلالٍ أوْ أخٍ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»**[1].

الجهل بحقيقة الموت:

سئل الإمام أبو الحسن الهادي عليه السلام: ما بال هؤلاء المسلمين يكرهون الموت؟

قال عليه السلام: **لأنَّهُمْ جَهِلوهُ فَكَرِهوهُ، وَلَوْ عَرَفوهُ وَكَانُوا مِنْ أوْلِياءِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لأحَبُّوهُ، وَلَعَلِموا أنَّ الآخِرَةَ خَيْرٌ لَهُمْ مِنَ الدُّنْيا.**

والتفت الإمام إلى أصحابه فقال لهم: **مَا بَالُ الصَّبيِّ وَالْمَجْنونِ يَمْتَنِعانِ عَنِ الدَّواءِ الْمُنَقِّي لأبْدانِهِمْ وَالنَّافِي لِلألَمِ عَنْهُمْ؟**

فأجابوه: لجهلهم بنفع الدواء.

فقال عليه السلام: **وَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّداً بِالْحَقِّ نَبِيّاً، مَنِ اسْتَعَدَّ لِلْمَوْتِ أنْفَعُ لَهُ مِنْ هَذَا الدَّواءِ لِهَذَا الْمُعالَجِ، أما إنَّهُمْ لَوْ عَرَفوا مَا يُؤَدِّي إلَيْهِ الْمَوْتُ مِنَ النَّعِيمِ لاَسْتَدْعَوْهُ وَأحَبُّوهُ أشَدَّ مَا يَسْتَدْعِي الْعَاقِلُ الْحَازِمُ الدَّواءَ لِدَفْعِ الآفَاتِ، وَاجْتِلاَبِ السَّلاَمَاتِ**[2].

فقال عليه السلام له: **يَا عَبْدَ اللَّهِ، تَخَافُ مِنَ الْمَوْتِ لأنَّكَ لاَ تعْرِفُهُ، أرَأيْتَكَ إذَا اتَّسَخْتَ وَتَقَذَّرْتَ وَتَأذَّيتَ مِنْ كَثْرَةِ الْقَذَرِ وَالْوَسَخِ عَلَيْكَ، وَأصَابَكَ قُروحٌ وَجَرَبٌ، وَعَلِمْتَ أنَّ الْغُسْلَ فِي الْحَمَّامِ يُزِيلُ ذَلِكَ كُلَّهُ، أما تُرِيدُ أنْ تَدْخُلَهُ فَتَغْسِلَ ذَلِكَ عَنْكَ أوْ تَكْرَهُ أنْ تَدْخُلَهُ فَيَبْقَىٰ ذَلِكَ عَلَيْكَ؟**

وانبرى المريض فقال: بلى يابن رسول الله صلَّى الله عليك وآلك وسلَّم، وقد أبدى رغبته بدخول الحمَّام.

فأجابه الإمام عليه السلام: **فَذَلِكَ الْمَوْتُ هُوَ ذَلِكَ الْحَمَّامُ، وَهُوَ آخِرُ مَا بَقِيَ عَلَيْكَ مِنْ تَمْحِيصِ ذُنُوبِكَ وَتَنْقِيَتِكَ مِنْ سَيِّئاتِكَ، فَإذَا أنْتَ وَرَدْتَ عَلَيْهِ وَجَاوَزْتَهُ، فَقَدْ نَجَوْتَ مِنْ كُلِّ هَمٍّ وَغَمٍّ وَأذىً، وَوَصَلْتَ إلَىٰ كُلِّ سُرورٍ وَفَرَحٍ.**

وسكن المريض، واستسلم للموت، ورضي بأمر الله[3].

---

(١) إقبال الأعمال: ١/ ٤١.
(٢) معاني الأخبار: ص٢٩٠.
(٣) معاني الأخبار: ص٢٩٠.

التوبة النصوح:

سأل أحمد بن هلال الإمام أبا الحسن الهادي عليه السلام عن التوبة النصوح، فأجابه عليه السلام: **أَنْ يَكُونَ الْبَاطِنُ كَالظَّاهِرِ، وَأَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ**[1].

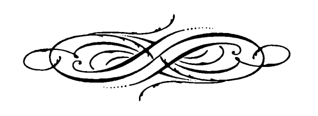
معنى الرجيم:

روى السيِّد الجليل عبد العظيم الحسني، قال: «سمعت أبا الحسن عليّ بن محمَّد عليه السلام يقول: **معنى الرجيم** ـ الذي وُصف به الشيطان ـ **أَنَّهُ مَرْجومٌ بِاللَّعْنِ، مَطْرودٌ مِنْ مَواضِعِ الْخَيْرِ، لاَ يَذْكُرُهُ مُؤْمِنٌ إلاَّ لَعَنَهُ، وَأَنَّ فِي عِلْمِ اللَّهِ السَّابِقِ أَنَّهُ إذَا خَرَجَ الْقَائِمُ عَجَّلَ اللَّهُ فَرَجَهُ لاَ يَبْقىٰ مُؤْمِنٌ فِي زَمَانِهِ إلاَّ رَجَمَهُ بِالْحِجَارَةِ كَمَا كَانَ قَبْلَ ذَلِكَ مَرْجوماً بِاللَّعْنِ**»[2].

الغوغاء:

قال الإمام أبو الحسن عليه السلام: «**الْغَوْغَاءُ قَتَلَةُ الأَنْبِياءِ، وَالعَامَّةُ مُشْتَقَّةٌ مِنَ الْعَمىٰ، وَمَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَنْ شَبَّهَهُمْ بِالأَنْعَامِ حَتَّىٰ قَالَ: ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾**[3]»[4].

إنَّ الغوغاء هم الذين لا يمتلكون أي وعيّ اجتماعي أو ديني، وهم الذين تزجُّ بهم القوى الباغية لتقتل الأنبياء والمصلحين.



(١) معاني الأخبار: ص١٧٤.
(٢) معاني الأخبار: ص١٣٩، الحديث ١.
(٣) سورة الأعراف: الآية ١٧٩.
(٤) أمالي الطوسي: ص٦١٣.

كلمات من نور

وأُثرت عن الإمام أبي الحسن الهادي عليه السلام مجموعة من الكلمات الذهبيَّة التي تُعدُّ من أروع الثروات الفكريَّة في الإسلام، وقد عالج فيها مختلف القضايا التربويَّة والأخلاقيَّة والنفسيَّة، وهذه بعضها:

١ ـ قال عليه السلام: «خَيْرٌ مِنَ الْخَيْرِ فَاعِلُهُ، وَأَجْمَلُ مِنَ الْجَمِيلِ قَائِلُهُ، وَأَرْجَحُ مِنَ الْعِلْمِ حَامِلُهُ»(١).

٢ ـ قال عليه السلام لبعض مواليه: «عَاتِبْ فُلاَناً وَقُلْ لَهُ: إنَّ اللَّهَ إذَا أَرَادَ بِعَبْدٍ خَيْراً إذَا عُوتِبَ قَبِلَ»(٢).

٣ ـ قال عليه السلام: «مَنْ سَأَلَ فَوْقَ قَدْرِ حَقِّهِ فَهُوَ أَوْلَىٰ بِالْحِرمَانِ»(٣).

٤ ـ قال عليه السلام: «صَلاَحُ مَنْ جَهِلَ الْكَرَامَةَ هَوَانُهُ»(٤).

٥ ـ قال عليه السلام: «الْحِلْمُ هُوَ أنْ تَمْلِكَ نَفْسَكَ، وَتَكْظِمَ غَيْظَكَ، وَلاَ يَكُونُ ذَلِكَ إلاَّ مَعَ الْقُدْرَةِ»(٥).

٦ ـ قال عليه السلام: «النَّاسُ فِي الدُّنْيا بِالْمَالِ، وَفِي الآخِرَةِ بِالأعْمَالِ»(٦).

٧ ـ قال عليه السلام: «مَنْ رَضِيَ عَنْ نَفْسِهِ كَثُرَ السَّاخِطونَ عَلَيْهِ»(٧).

٨ ـ قال عليه السلام: «تُرِيكَ الْمَقادِيرُ مَا لاَ يَخْطُرُ بِبالِكَ»(٨).

---

(١) نزهة الناظر: ص١٤٢، الحديث ٢٦.
(٢) تحف العقول: ص٤٨١.
(٣) نزهة الناظر: ص١١٠، الحديث ٣٢.
(٤) نزهة الناظر: ص١١١، الحديث ٣٤.
(٥) نزهة الناظر: ص١٣٨، الحديث ٥.
(٦) نزهة الناظر: ص١٣٩، الحديث ١٠.
(٧) أعلام الدِّين: ص٣١١.
(٨) نزهة الناظر: ص١٣٩، الحديث ٢.

٩ ـ قال عليه السلام: «شَرُّ الرَّزِيَّةِ سُوْءُ الْخُلُقِ»[١].

١٠ ـ قال عليه السلام: «الْغِنىٰ قِلَّةُ تَمَنِّيك، وَالرِّضىٰ بِمَا يَكْفِيك، وَالْفَقْرُ شَرَهُ النَّفْسِ وَشِدَّةُ الْقُنوطِ، وَالْمَذَلَّةُ اتِّباعُ اليَسيرِ، وَالنَّظَرُ فِي الْحَقِيرِ»[٢].

١١ ـ سئل الإمام عليه السلام عن الحزم؟

قال عليه السلام: «الْحَزْمُ أنْ تَنْتَظِرَ فُرْصَتَكَ، وَتُعاجِلَ مَا أمْكَنَكَ»[٣].

١٢ ـ قال عليه السلام: «رَاكِبُ الْحَرونِ ـ وهو الفرس الذي لا ينقاد ـ أسيرُ نَفْسِهِ»[٤].

١٣ ـ قال عليه السلام: «الْجاهِلُ أسيرُ لِسانِهِ»[٥].

١٤ ـ قال عليه السلام: «الْمِراءُ يُفْسِدُ الصَّداقَةَ الْقَدِيمَةَ، وَيَحِلُّ الْعُقْدَةَ الْوَثِيقَةَ، وَأقَلُّ مَا فِيهِ أنْ تَكُونَ الْمُغَالَبَةُ، وَالْمُغَالَبَةُ أمْتَنُ أسْبابِ الْقَطِيعَةِ»[٦].

١٥ ـ قال عليه السلام: «الْعِتابُ مِفْتاحُ التَّعالي، وَالْعِتابُ خَيْرٌ مِنَ الْحِقْدِ»[٧].

١٦ ـ أثنى بعض أصحاب الإمام على الإمام، وأكثر من تقريظه والثناء عليه، فقال عليه السلام له: «إنَّ كَثْرَةَ الْمَلَقِ تَهْجُمُ عَلىٰ الْظِّنَّةِ، وَإذَا حَلَلْتَ مِنْ أخِيكَ مَحَلَّ الثِّقَةِ فَاعْدِلْ عَنِ الْمَلَقِ إلَىٰ حُسْنِ النِّيَّةِ»[٨].

١٧ ـ قال عليه السلام: «الْمُصيبَةُ لِلصَّابِرِ واحِدَةٌ، وَلِلْجازِعِ اثْنَتَانِ»[٩].

١٨ ـ قال عليه السلام: «الْحَسَدُ مَاحِقُ الْحَسناتِ، وَالزَّهْوُ جَالِبُ الْمَقْتِ»[١٠].

١٩ ـ قال عليه السلام: «الْعُجْبُ صَارِفٌ عَنْ طَلَبِ الْعِلْمِ، دَاعٍ إلَىٰ التَّخَبُّطِ فِي الْجَهْلِ»[١١].

٢٠ ـ قال عليه السلام: «الْبُخْلُ أذَمُّ الأخْلاَقِ، وَالطَّمَعُ سَجِيَّةٌ سَيِّئَةٌ»[١٢].

---

(١) الدرّ النظيم: ص٧٢٩.
(٢) نزهة الناظر: ص١٣٨، الحديث ٧.
(٣) نزهة الناظر: ص١٣٨، الحديث ٦.
(٤) أعلام الدِّين: ص٣١١.
(٥) أعلام الدِّين: ص٣١١.
(٦) أعلام الدِّين: ص٣١١.
(٧) أعلام الدِّين: ص٣١١.
(٨) نزهة الناظر: ص١٣٩، الحديث ١٣.
(٩) نزهة الناظر: ص١٤٠، الحديث ١٥.
(١٠) نزهة الناظر: ص١٤٠، الحديث ١٦.
(١١) نزهة الناظر: ص١٤٠، الحديث ١٦.
(١٢) نزهة الناظر: ص١٤٠، الحديث ١٦.

٢١ ـ قال عليه السلام: «مُخالَطَةُ الأشْرارِ تَدُلُّ عَلىٰ شِرارِ مَنْ يُخالِطُهُمْ»(١).

٢٢ ـ قال عليه السلام: «الْكُفْرُ لِلنِّعَمِ أمارَةُ الْبَطَرِ، وَسَبَبٌ لِلتَّغْييرِ»(٢).

٢٣ ـ قال عليه السلام: «اللَّجاجَةُ مُسْلِبَةٌ لِلسَّلامَةِ، وَمَؤَدِّيَةٌ لِلنَّدامَةِ»(٣).

٢٤ ـ قال عليه السلام: «الْهُزْءُ فَكاهَةُ السُّفَهاءِ، وَصِناعَةُ الْجُهّالِ»(٤).

٢٥ ـ قال عليه السلام: «الْعُقوقُ يُعَقِّبُ الْقِلَّةَ، وَيُؤَدّي إلَىٰ الذِّلَّةِ»(٥).

٢٦ ـ قال عليه السلام: «السَّهَرُ ألَذُّ لِلْمَنامِ، وَالْجوعُ يَزيدُ فِي طيبِ الطَّعامِ»(٦).

٢٧ ـ قال عليه السلام لبعض أصحابه: «اذْكُرْ مَصْرَعَكَ بَيْنَ يَدَيْ أهْلِكَ، حَيْثُ لاَ طَبِيبَ يَمْنَعُكَ، وَلاَ حَبِيبَ يَنْفَعُكَ»(٧).

٢٨ ـ قال عليه السلام: «اذْكُرْ حَسَراتِ التَّفْرِيطِ تَلُذُّ بِقَدِيمِ الْحَزْمِ»(٨).

٢٩ ـ قال عليه السلام: «مَا اسْتَراحَ ذُو الْحِرْصِ وَالْحِكْمَةِ»(٩).

٣٠ ـ قال عليه السلام: «الْحِكْمَةُ لاَ تنْجَعُ فِي الطِّبَاعِ الْفَاسِدَةِ»(١٠).

٣١ ـ قال عليه السلام: «مَنْ لَمْ يُحْسِنْ أنْ يَمْنَعَ لَمْ يُحْسِنْ أنْ يُعْطِيَ»(١١).

٣٢ ـ قال عليه السلام: «شَرٌّ مِنَ الشَّرِّ جالِبُهُ، وَأهْوَلُ مِنَ الْهَوْلِ راكِبُهُ»(١٢).

٣٣ ـ قال عليه السلام: «إيّاكَ وَالْحَسَدَ، فَإنَّهُ يُبِينُ فِيكَ، وَلاَ يَعْمَلُ فِي عَدُوِّكَ»(١٣).

٣٤ ـ قال عليه السلام: «إذَا كَانَ زَمَانُ الْعَدْلُ فِيهِ أغْلَبُ مِنَ الْجَوْرِ فَحَرامٌ أنْ يُظَنَّ بِأحَدٍ

(١) أعلام الدِّين: ص٣١١.
(٢) أعلام الدِّين: ص٣١١.
(٣) أعلام الدِّين: ص٣١١.
(٤) أعلام الدِّين: ص٣١١.
(٥) أعلام الدِّين: ص٣١١.
(٦) أعلام الدِّين: ص٣١١.
(٧) أعلام الدِّين: ص٣١١.
(٨) أعلام الدِّين: ص٣١١.
(٩) نزهة الناظر: ص١٤١، الحديث ٢١.
(١٠) أعلام الدِّين: ص٣١١.
(١١) نزهة الناظر: ص١٤٢، الحديث ٢٥.
(١٢) نزهة الناظر: ص١٤٢، الحديث ٢٦.
(١٣) أعلام الدِّين: ص٣١١.

سُوءاً حَتَّىٰ يُعْلَمَ ذَلِكَ مِنْهُ، وَإِذَا كانَ زَمَانُ الْجَوْرُ أَغْلَبُ فِيهِ مِنَ الْعَدْلِ فَلَيْسَ لأحَدٍ أَنْ يَظُنَّ بِأَحَدٍ خَيْراً مَا لَمْ يَعْلَمْ ذَلِكَ مِنْهُ»[1].

٣٥ ـ قال عليه السلام للمتوكّل: «لاَ تَطْلُبِ الصَّفَاءَ مِمَّنْ كَدَّرْتَ عَلَيْهِ، وَلاَ الْوَفاءَ مِمَّنْ غَدَرْتَ بِهِ، وَلاَ النُّصحَ مِمَّنْ صَرَفْتَ سُوءَ ظَنِّكَ إلَيْهِ، فَإنَّمَا قَلْبُ غَيْرِكَ لَكَ كَقَلْبِكَ لَهُ»[2].

٣٦ ـ قال عليه السلام: «أبْقُوا النِّعَمَ بِحُسْنِ مُجَاوَرَتِها، وَالْتَمِسُوا الزِّيادَةَ فِيهِ بِالشُّكْرِ عَلَيْهَا، وَاعْلَموا أنَّ النَّفْسَ أقْبَلُ شَيْءٍ لِمَا أُعْطِيَتْ، وَأمْنَعُ شَيْءٍ لِما مُنِعَتْ فَاحْمِلوها علىٰ مَطِيَّةٍ لاَ تُبْطِىءُ»[3].

٣٧ ـ قال عليه السلام: «الْجَهْلُ وَالْبُخْلُ أذَمُّ الأخْلاَقِ»[4].

٣٨ ـ قال عليه السلام: «حُسْنُ الصُّورَةِ جَمالٌ ظَاهِرٌ، وَحُسْنُ الْعَقْلِ جمالَ بَاطِنٌ»[5].

٣٩ ـ قال عليه السلام: «إنَّ مِنَ الْغِرَّةِ بِاللَّهِ أنْ يَصِرَّ الْعَبْدُ عَلَىٰ الْمَعْصِيَةِ، وَيَتَمَنَّىٰ عَلىٰ اللَّهِ الْمَغْفِرَةَ»[6].

٤٠ ـ قال عليه السلام: «لَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِياً وَسيعاً لَسَلَكْتُ وَادِيَ رَجُلٍ عَبَدَ اللَّهُ وَحْدَهُ خَالِصاً»[7].

٤١ ـ قال عليه السلام: «الْغَضَبُ عَلَىٰ مَنْ لاَ تَمْلِكُ عَجْزٌ، وَعَلَىٰ مَنْ تَمْلِكُ لُؤْمٌ»[8].

٤٢ ـ قال عليه السلام: «الشَّاكِرُ أسْعَدُ بِالشُّكْرِ مِنْهُ بِالنِّعْمَةِ الَّتِي أوْجَبَتِ الشُّكْرَ، لأنَّ النِّعَمَ مَتاعٌ وَالشُّكْرُ نِعَمٌ وَعُقْبىٰ»[9].

٤٣ ـ قال عليه السلام: «إنَّ اللَّهَ جَعَلَ الدُّنْيا دَارَ بَلْوىٰ، وَالآخِرَةَ دَارَ عُقْبىٰ، وَجَعَلَ بَلْوَىٰ الدُّنْيا لِثَوابِ الآخِرَةِ سَبَباً، وَثَوابَ الآخِرَةِ مِنْ بَلْوَىٰ الدُّنْيا عِوَضاً»[10].

---

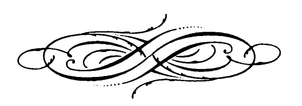
(١) أعلام الدِّين: ص٣١٢.
(٢) أعلام الدِّين: ص٣١٢.
(٣) أعلام الدِّين: ص٣١٢.
(٤) نزهة الناظر: ص١٤٠، الحديث ١٦.
(٥) نزهة الناظر: ص١٤٥، الحديث ٩.
(٦) أمالي الطوسي: ٢/١٩٣.
(٧) عدَّة الداعي: ص٢١٩.
(٨) أعلام الدِّين: ص٣١١.
(٩) تحف العقول: ص٤٨٣.
(١٠) تحف العقول: ص٤٨٣.

٤٤ ـ قال عليه السلام: «إنَّ الظَّالِمَ الْحَالِمَ يَكادُ أنْ يُعْفىٰ عَلىٰ ظُلْمِهِ بِحِلْمِهِ، وَإنَّ الْمُحِقَّ السَّفِيهَ يَكادُ أنْ يُطْفِىءَ نُورَ حَقِّهِ بِسَفَهِهِ»(١).

٤٥ ـ قال عليه السلام: «مَنْ جَمَعَ لَكَ وُدَّهُ وَرَأْيَهُ فَاجْمَعْ لَهُ طَاعَتَكَ»(٢).

٤٦ ـ قال عليه السلام: «مَنْ هَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فَلاَ تَأْمَنْ شَرَّهُ»(٣).

٤٧ ـ قال عليه السلام: «الدُّنْيا سُوقٌ رَبِحَ فِيهَا قَوْمٌ، وَخَسِرَ فِيهَا آخَرونَ»(٤).



(١) تحف العقول: ص٤٨٣.
(٢) تحف العقول: ص٤٨٣.
(٣) تحف العقول: ص٤٨٣.
(٤) تحف العقول: ص٤٨٣.

الإمام عليه السلام في سامرَّاء

عاش الإمام عليّ الهادي عليه السلام معظم حياته في سرَّ من رأى، وقد فرضت عليه السلطة العبَّاسيَّة الإقامة الجبريَّة فيها، فكان شبيهاً بالمعتقل، فقد أحاطت بداره مباحث الأمن العبَّاسي وهي ترصد جميع تحرُّكاته، وتراقب كلّ مَن يتَّصل به، أو يحمل له المال، وقد عانى الإمام من الضغط السياسي أشدَّ ما تكون المعاناة أيَّام الطاغية المتوكّل العبَّاسي الذي لم يألُ جهداً في ظلم العلويِّين والتنكيل بهم، وقد كابدوا في عهده الأسود صنوفاً مرهقة من الكوارث والخطوب، نتحدَّث عنها في غضون هذا الكتاب.

الإمام في يثرب:

كان الإمام أبو الحسن عليه السلام مقيماً في يثرب التي هي مسقط رأسه، وبلد آبائه، وقد انصرف إلى إشاعة العلم، وتهذيب الأخلاق، وتربية الناس بالآداب الإسلاميَّة، وقد اتَّخذ الجامع النبوي مدرسة له، وقد احتفَّ به العلماء والفقهاء والرواة، فكانوا ينتهلون من نمير علومه التي استمدَّها من آبائه الذين أضاءوا حياة الإنسان بنور العلم والإيمان، وكما كان مصدراً خصباً للحياة الفكريَّة والعلميَّة في يثرب، فقد كان المصدر الوحيد الذي يمدُّ أهل العلم في شؤونهم الماديَّة، كما كان يموِّن الفقراء والمعوزين بما يحتاجونه.

ولم يقتصر الإمام على برِّه وإحسانه إلى أهالي يثرب، وإنَّما شمل جميع مناحي حياتهم، فكان يواسيهم في السرَّاء والضرَّاء، ويعود مرضاهم، ويشيِّع جنائزهم، ويعطف على الصغير والكبير منهم، ويعود أراملهم وأيتامهم، ولم يبق لوناً من ألوان الخير والمعروف إلاَّ أسداه عليهم، وقد أخلصوا له أعظم ما يكون الإخلاص، والتفَّت حوله قلوبهم ومشاعرهم، وأقام في أعماق نفوسهم.

الوشاية بالإمام عليه السلام:

وحقد على الإمام أبي الحسن عليه السلام بعض من لا حريجة له في الدِّين، من الممسوخين والحاقدين على ذوي الأنساب الشريفة، فقد ساءهم ما يتمتَّع به الإمام من

الفضائل، وما له من المكانة المرموقة في الأوساط الإسلامية، وكان من أشدّ أعدائه وأخبثهم عبد الله بن محمَّد، وكان قد أقامه المتوكّل من قِبله في يثرب والياً على إقامة الصلاة، وسائر الشؤون الحربيَّة، وكان هذا الوغد يقصد الإمام بالسوء والأذى، وقد سعى به عند المتوكّل، وكانت سعايته تحمل أُموراً خطيرة، وهي:

١ ـ التفاف الجماهير حول الإمام ممَّا يشكِّل خطراً على الدولة.

٢ ـ ورود الأموال الطائلة إلى الإمام من مختلف أنحاء العالم الإسلامي، ولا يؤمن أن يشتري بها السلاح لمقاومة الدولة العبَّاسيَّة.

٣ ـ إنَّه لا يؤمن أن يقوم بثورة عارمة للإطاحة بالحكومة العبَّاسيَّة.

وطلب من المتوكّل العبَّاسي المبادرة لإلقاء القبض على الإمام لئلاً تقوى شوكته، ويعظم أمره، فلا تتمكَّن الدولة من مقاومته.

وفزع المتوكّل أشدّ ما يكون الفزع، وأحاط وزراءه علماً بالأمر.

إحباط الإمام عليه السلام للمؤامرة:

ولمَّا علم الإمام عليه السلام بوشاية هذا الوغد ومؤامرته ضدَّه خاف أن يتَّخذ المتوكّل معه الإجراءات القاسية، وذلك لعلمه بانحرافه عن أهل البيت عليهم السلام وشدَّة عدائه لهم، فكتب عليه السلام له رسالة يشكو فيها أحقاد عامله عليه، وسوء معاملته له، وقيامه بما يسوءه، كما أحاطه علماً بكذب وشايته، وأنَّه لا يبغي المتوكّل سوءاً، ولا يرى الخروج على حكومته.

واطمأنَّ المتوكّل بصدق الإمام وبراءته ممَّا نُسب له من الخروج على حكومته، وأنَّه لا صحَّة لذلك.

رسالة المتوكّل للإمام عليه السلام:

وأرسل المتوكّل إلى الإمام رسالة أجاب فيها عن رسالته، وقد عزل فيها عامله الباغي اللئيم، كما دعا الإمام إلى الحضور في سرَّ من رأى للإقامة الجبريَّة فيها ليكون تحت مراقبته، وهذا نصّ رسالته:

أمَّا بعد، فإنَّ أمير المؤمنين عارف بقدرك، راعٍ لقرابتك، موجب لحقّك، مقدّر من الأُمور فيك وفي أهل بيتك ما يصلح الله به حالكَ، ويثبِّت به عزّك وعزّهم، ويدخل الأمن عليك وعليهم يبتغي رضى ربّه، وأداء ما افترض عليه فيك وفيهم.

وقد رأى أمير المؤمنين صرف عبد الله بن محمَّد عمَّا كان يتولاَّه من الحرب

والصلاة بمدينة الرسول ﷺ إذا كان على ما ذكرت من جهالته بحقّك، واستخفافه بقدرك، وعندما قرفك به ونسبك إليه من الأمر الذي قد علم أمير المؤمنين براءتك منه، وصدق نيّتك في برّك وقولك، وإنّك لم تؤهّل نفسك لما قرفت بطلبه، وقد ولّى أمير المؤمنين ما كان يلي من ذلك محمّد بن الفضل، وأمره بإكرامك وتبجيلك، والانتهاء إلى أمرك ورأيك، والتقرُّب إلى الله وإلى أمير المؤمنين بذلك، وأمير المؤمنين مشتاق إليك يحبّ إحداث العهد بك، والنظر إليك، فإن نشطت لزيارته والمقام قِبله ما أحببت شخصت ومن اخترت من أهل بيتك ومواليك وحشمك على مهلة وطمأنينة ترحل إذا شئت وتنزل إذا شئت، وتسير كيف شئت.

وإن أحببت أن يكون يحيى بن هرثمة مولى أمير المؤمنين ومن معه من الجند يرحلون برحلك، ويسيرون بسيرك، فالأمر في ذلك إليك، وقد تقدَّمنا إليه بطاعتك، فاستخر الله حتَّى توافي أمير المؤمنين، فما أحد من إخوانه وولده وأهل بيته وخاصّته ألطف منه منزلة، ولا أحمد لهم إثرة، ولا هو لهم أنظر، ولا عليهم أشفق وبهم أبرّ، وإليهم أسكن منه إليك. والسلام عليك ورحمة الله وبركاته

وكتب هذه الرسالة إبراهيم بن العبَّاس في شهر جمادى الآخرة سنة (٢٤٣هـ)[١].

فزع المدنيِّين:

وعهد المتوكّل إلى يحيى بن هرثمة بالسفر إلى يثرب لإشخاص الإمام إلى سرَّ من رأى، والتحرِّي عمَّا نسب إليه من عزمه على مناهضة سلطانه والخروج على حكومته، وسلَّمه الرسالة التي بعثها إلى الإمام.

وسافر يحيى إلى يثرب، وأخذ يجدّ في السير لا يلوي على شيء حتَّى انتهى إليها، ولمَّا علم المدنيّون بمهمَّته فزعوا أشدّ ما يكون الفزع، وخافوا على الإمام من بطش الطاغية به، فقد كانوا يحبّون الإمام أشدّ ما يكون الحبّ، لأنَّه كان ملازماً لمسجد رسول الله ﷺ، وكان يغذِّي علماءهم بعلمه، ويحسن إلى فقرائهم، ولم يكن عنده أي ميل إلى الدُّنيا[٢].

وجعل يحيى يسكِّن من روعهم، ويهدِّىء فزعهم، وحلف لهم أنَّه لم يؤمر فيه بأيّ مكروه، فاطمأنوا إلى قوله.

---

(١) الإرشاد: ص٣٧٥ و٣٧٦.

(٢) مرآة الزمان: ٩، الورقة ٥٥٣.

تفتيش دار الإمام عليه السلام:

وقام يحيى بتفتيش دار الإمام عليه السلام، ففتَّشها تفتيشاً دقيقاً، فلم يجد فيها شيئاً سوى المصاحف وكتب الأدعية، وتبيَّن له كذب ما نُسب إلى الإمام[١] من أنَّ داره مليئة بالأسلحة والأموال.

إشخاص الإمام عليه السلام إلى سامرَّاء:

وأُكره الإمام عليه السلام على مغادرة يثرب والشخوص إلى سامرَّاء، وقد صحبه في سفره أفراد عائلته، وقد قام يحيى بنفسه بخدمة الإمام، وقد أُعجب بهديه وورعه وتقواه، وأخذ الركب يطوي البيداء حتَّى انتهوا إلى بغداد.

ويذكر اليعقوبي أنَّ الإمام لمَّا وصل إلى الياسريَّة تلقَّاه إسحاق بن إبراهيم، فرأى تشوُّق الناس إليه، واجتماعهم لرؤيته،فأقام إلى اللَّيل، ودخل به في اللَّيل، فأقام ببغداد بعض تلك اللَّيلة[٢]، وانطلق يحيى إلى زيارة حاكم بغداد إسحاق بن إبراهيم الظاهري، فأحاطه علماً بالأمر، فقال له إسحاق: إنَّ هذا الرجل ـ يعني الإمام الهادي عليه السلام ـ قد ولده رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد عرفت انحراف المتوكّل، فإن بلغته عنه كلمة قتله، ويكون النبيّ صلى الله عليه وآله خصمك يوم القيامة.

فقال يحيى: والله ما عرفت ما أنكره، ولا وقفت منه إلاَّ على أمر جميل.

ثمَّ غادروا بغداد واتَّجهوا إلى سامرَّاء، وحينما انتهوا إليها بادر يحيى بزيارة وصيف التركي، وهو من كبار رجال الدولة، فعرَّفه بوصول الإمام عليه السلام معه، فبادر وصيف فحذَّره من أن ينقل إلى المتوكّل ما يسوء الإمام قائلاً: يا يحيى، والله لئن سقط منه ـ أي من الإمام ـ شعرة لا يطالب بها سواك.

وبهر يحيى من توافق إسحاق ووصيف من التوصية بالإمام عليه السلام، وتأكيدهما على لزوم المحافظة عليه[٣].

في خان الصعاليك:

وأمر المتوكّل بإنزال الإمام عليه السلام في خان الصعاليك للحطِّ من شأنه والتقليل من أهمَّيته

(١) مروج الذهب: ٤/ ١١٣.
(٢) تاريخ اليعقوبي: ٣/ ٢٠٩.
(٣) مرآة الزمان: ٩، الورقة ٥٥٣. تذكرة الخواصّ: ص٣٥٩. مروج الذهب: ٤/ ١١٤.

أمام الرأي العامّ، وقد زاره صالح بن سعيد، فتألَّم وراح يقول: جعلت فداك في كلّ الأُمور أرادوا إطفاء نورك، والتقصير بك حتَّى أنزلوك هذا الخان الأشنع خان الصعاليك.

فنظر الإمام إليه بعطف ولطف، وشكر عواطفه، وخفَّف عليه من الألم والوجد، فأراه المعجز الذي أمدَّ الله به أولياءه وأنبياءه[1]، وسكن روع صالح، وذهب ما في نفسه من الحزن.

اجتماع الإمام بالمتوكّل:

وبادر يحيى إلى المتوكّل فأخبره بحسن سيرة الإمام وزهده، وأنَّه فتَّش داره فلم يجد فيها سوى المصاحف وكتب الأدعية، وأنَّه بريء ممَّا نُسب إليه من عزمه على الثورة على حكومته، وقد أزال ما في نفسه من الوجد والنقمة على الإمام، وأمر المتوكّل بإدخاله عليه، ولمَّا مثل عنده قابله بمزيد من الحفاوة والتكريم، وأجزل له الصلة[2]، وألزمه بالإقامة في سرَّ من رأى ليكون تحت المراقبة.

شراء الإمام عليه السلام داراً له:

ولمَّا فرض المتوكّل الإقامة الجبريَّة على الإمام بادر فاشترى داراً من دليل بن يعقوب النصراني فسكنها مع أفراد عائلته، وأقام فيها حتَّى توفِّي ودفن فيها[3].

رجوع المتوكّل لفتاوى الإمام عليه السلام:

ولم يجد المتوكّل بدّاً من الرجوع إلى الإمام الهادي عليه السلام في المسائل التي ابتلي بها، وتقديم فتواه على سائر فتاوى فقهاء عصره، وكان من بين تلك المسائل التي رجع فيها للإمام عليه السلام ما يلي:

١ ـ إنَّه كان للمتوكّل كاتب نصراني، وكان أثيراً عليه، فكان لحبّه له يكنِّيه أبا نوح، فأنكر عليه جماعة من كتَّابه ذلك، وقالوا: لا يجوز أن يكنَّى الكافر، فاستفتى فقهاء عصره فاختلفوا فطائفة أجازوا، وطائفة أُخرى منعت، ورفع بذلك استفتاءاً إلى الإمام عليه السلام، فكتب في الجواب بعد البسملة الآية الكريمة ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾[4]،

---

(١) الإرشاد: ص٣٧٦.
(٢) مرآة الزمان: ٩، الورقة ٥٥٣.
(٣) تاريخ بغداد: ١٢/ ٥٧.
(٤) سورة المسد: الآية ١.

وكانت هذه الإجابة من أبدع ما أُثر في عالم الفتيا، فقد استشهد بالآية الكريمة، وقد أعلنت بوضوح جواز تكنية الكافر، فأخذ المتوكّل بفتوى الإمام[1].

٢ ـ اعتلَّ المتوكّل فنذر إن عافاه الله أن يتصدَّق بدنانير كثيرة، فلمَّا أبل من مرضه جمع الفقهاء وسألهم عن قدر ما يتصدَّق به، فاختلفوا في ذلك، فاستفتى الإمام، فأجاب أنَّه يتصدَّق بثلاث وثمانين ديناراً، فعجب الفقهاء من ذلك، وقالوا للمتوكّل من أين له هذه؟

فأرسل إليه يطلب من المدرك، فأجاب عليه السلام: **إنَّ اللّهَ تَعالى يَقولُ: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾[2]، وَقَدْ رَوىٰ أهْلُنا جَميعاً أنَّ الْمَواطِنَ وَالسَّرايا كانَتْ ثَلاثَةً وَثَمانِينَ مَوْطِناً**[3].

وأضاف الإمام في آخر الجواب: **«كُلَّما زادَ أميرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي فِعْلِ الْخَيْرِ كانَ أنْفَعَ لَهُ وَأجْدىٰ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيا وَالآخِرَةِ»**[4].

٣ ـ ومن بين المسائل التي رجع فيها المتوكّل للإمام أنَّه قُدّم له رجل نصراني فجر بامرأة مسلمة، فأراد المتوكّل أن يقيم عليه الحدّ، فأسلم النصراني، فقال يحيى بن أكثم: هدم إيمانه شركه وفعله. وقال بعض الفقهاء: يضرب ثلاثة حدود.

وذهب آخرون إلى خلاف ذلك، فأمر المتوكّل أن يستفتي الإمام الهادي في هذه المسألة، فاستفتي، فأجاب عليه السلام: **يُضْرَبُ حَتَّىٰ يَموتَ**.

فأنكر يحيى وسائر الفقهاء ذلك، وقالوا: إنَّه لم يجيء بذلك كتاب ولا سُنَّة.

فكتب المتوكّل إلى الإمام عليه السلام أنَّ فقهاء المسلمين قد أنكروا ذلك وقالوا: إنَّه لم تجيء به سُنَّة، ولم ينطق به كتاب، فبيِّن لنا لِمَ أوجبت عليه الضرب حتَّى يموت؟

فأجاب عليه السلام بعد البسملة بالآية الكريمة: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ۝٨٤ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾[5]، فأخذ المتوكّل بفتوى الإمام، وأمر بضربه حتَّى مات»[6].

---

(١) بحار الأنوار: ١٠/٣٩١، الحديث ٤.

(٢) سورة التوبة: الآية ٢٥.

(٣) تاريخ الإسلام/الذهبي: ١٩/٢١٩.

(٤) تاريخ بغداد: ١٢/٥٧.

(٥) سورة غافر: الآيتان ٨٤ و٨٥.

(٦) شرح شافية أبي فراس: ٢/ورقة ١٦٧ (مصوَّر).

المتوكّل يسأل عن أشعر الناس:

سأل المتوكّل عليّ بن الجهم عن أشعر الناس، فذكر له بعض الشعراء في الجاهليّة، فلم يعن به المتوكّل، والتفت إلى إمام الهادي عليه السلام فسأله عن ذلك.

فقال عليه السلام: **الْحِمَّانِيُّ** حيث يقول:

لَقَدْ فاخَرَتْنا مِنْ قُرَيْشٍ عِصابَةٌ ... بِمَطِّ خُدُودٍ وَامْتِدادِ أصابِعِ

فَلَمَّا تَنازَعْنا الْمَقالَ قَضىٰ لَنا ... عَلَيْهِمْ بِمَا نَهْوىٰ نِداءُ الصَّوامِعِ

تَرانا سُكوتاً وَالشَّهِيدُ بِفَضْلِنا ... عَلَيْهِمْ جَهِيرُ الصَّوْتِ فِي كُلِّ جَامِعِ

فَإنَّ رَسُولَ اللَّهِ أحْمَدَ جَدُّنا ... وَنَحْنُ بَنُوهُ كَالنُّجُومِ الطَّوالِعِ

والتفت المتوكّل إلى الإمام قائلاً: ما نداء الصوامع يا أبا الحسن؟

فأجابه الإمام: **أشْهَدُ أنْ لاَ إلَهَ إلاَّ اللَّهُ، وَأشْهَدُ أنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَمُحَمَّدٌ جَدِّي أمْ جَدُّكَ؟**

وتميّز الطاغية غيظاً وغضباً، وقال بنبرات مرتعشة: هو جدّك لا ندفعك عنه»[1].

وانصرف الإمام وقد ترك الحزن ينخر في قلب الطاغية إذ لم يجد منفذاً يسلك فيه للردّ على الإمام.

المتوكّل يدعو ابن السكّيت لامتحان الإمام عليه السلام:

وطلب المتوكّل من العالم الكبير يعقوب بن إسحاق المشهور بابن السكّيت أن يسأل الإمام الهادي عليه السلام عن مسألة معقّدة لعلّه لا يهتدي لحلّها فيتّخذ من ذلك وسيلة للتشهير بالإمام والحطّ من شأنه، ومضى ابن السكّيت فأعدّ للإمام مسألة لامتحانه وعقد في البلاط العبّاسي مؤتمر علمي ضمّ كبار العلماء والفقهاء والمتكلّمين، وكان على رأسهم المتوكّل، وتقدّم ابن السكّيت بمسألته إلى الإمام قائلاً: لِمَ بعث الله موسى بالعصا واليد البيضاء، وبعث عيسى بإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى، وبعث محمّداً بالقرآن والسيف؟

وانبرى الإمام فأجابه عن الحكمة في ذلك قائلاً: **«بَعَثَ اللَّهُ مُوسىٰ بِالْعَصا وَالْيَدِ الْبَيْضاءِ فِي زَمانٍ الْغَالِبُ عَلَىٰ أهْلِهِ السِّحْرُ، فأتاهُمْ مِنْ ذَلِكَ مَا قَهَرَ سِحْرَهُمْ وَبَهَرَهُمْ وَأثْبَتَ الْحُجَّةَ عَلَيْهِمْ، وَبَعَثَ عِيسىٰ بِإبْراءِ الأكْمَهِ وَالأبْرَصِ وَإحْياءِ الْمَوْتىٰ بِإذْنِ اللَّهِ فِي**

---

(١) مناقب آل أبي طالب: ٣/ ٥١٠.

زَمانِ الْغَالِبُ عَلَىٰ أَهْلِهِ الطِّبُّ، فأتاهُمْ مِنْ ذَلِكَ مَا قَهَرَهُمْ وَبَهَرَهُمْ، وَبَعَثَ مُحَمَّداً بِالْقُرآنِ وَالسَّيْفِ فِي زَمانِ الْغَالِبُ عَلَىٰ أَهْلِهِ السَّيْفُ والشِّعْرُ، فَأَتَاهُمْ مِنَ الْقُرْآنِ الزَّاهِرِ وَالسَّيْفِ الْقَاهِرِ مَا بَهَرَ بِهِ شِعْرَهُم وَقَهَرَ سَيفَهُمْ، وَأَثْبَتَ الْحُجَّةَ عَلَيْهِمْ».

وانبرى ابن السكِّيت بعد هذا الجواب الحاسم الذي أدلى به الإمام عليه السلام، فقال له: فما الحجَّة الآن؟

قال عليه السلام: الْعَقْلُ يُعْرَفُ بِهِ الْكَاذِبُ عَلَىٰ اللَّهِ فَيُكَذَّب.

إنَّ العقل هو الحاكم في هذه الميادين، وهو الذي يشخِّص الصَّادق من الكاذب، وحكمه هو فصل الخطاب.

وبان العجز على ابن السكِّيت، فانبرى يحيى بن أكثم فأخذ يندِّد به قائلاً: ما لابن السكِّيت ومناظرته؟! إنَّما هو صاحب نحو وشعر ولغة.

أسئلة يحيى بن أكثم:

ورفع يحيى بن أكثم أسئلة إلى الإمام كان قد كتبها من قبل، وأعدَّها لامتحانه، فأخذها الإمام وأمر ابن السكِّيت أن يكتب أجوبتها، وفيما يلي الأسئلة مع الأجوبة بتصرُّف.

ـ قال الله تعالى في كتابه: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾[1]. إنَّ السائل هو سليمان، والمسؤول هو آصف، فهل كان سليمان وهو نبيّ محتاجاً إلى علم آصف؟

الجواب: إنَّه لم يعجز سليمان عليه السلام عن معرفة ما عرف آصف، لكنَّه صلوات الله عليه أحبَّ أن يعرف أُمَّته من الجن والإنس أنَّه الحجَّة من بعده، وذلك من علم سليمان أودعه آصف بأمر الله، ففهَّمه ذلك لئلاً يختلف في إمامته وولايته من بعده، ولتأكيد الحجَّة على الخلق.

ـ قال تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا﴾[2]، كيف سجد يعقوب وولده ليوسف وهم أنبياء؟

الجواب: أمَّا سجود يعقوب لولده، فإنَّ السجود لم يكن ليوسف، وإنَّما كان ذلك من يعقوب وولده طاعة لله تعالى، وتحيَّة ليوسف، ، كما أنَّ السجود من الملائكة لم

(١) سورة النمل: الآية ٤٠.
(٢) سورة يوسف: الآية ١٠٠.

يكن لآدم، فسجد يعقوب وولده ويوسف معهم شكراً لله تعالى باجتماع الشمل، ألم تر أنَّه يقول في شكره في ذلك الوقت: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ﴾ الآية[١].

ـ قال تعالى: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾[٢]، فإن كان المخاطب النبيّ ﷺ فقد شكَّ، وإن كان المخاطب غيره فعلى من إذاً أنزل الكتاب؟

الجواب: إنَّ المخاطب بذلك رسول الله ﷺ، ولم يكن في شكّ ممَّا أنزل الله إليه، لكن قالت الجهلة: كيف لم يبعث نبيّاً من الملائكة، ولِمَ لم يفرِّق بينه وبين الناس في الاستغناء عن المأكل والمشرب والمشي في الأسواق.

فأوحى الله إلى نبيّه: ﴿فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ بمحضر من الجهلة هل بعث الله نبيّاً قبلك إلاَّ وهو يأكل الطعام ويمشي في الأسواق،، ولك بهم أُسوة يا محمَّد، وإنَّما قال: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ﴾ ولم يكن شكّ ولكن للنصفة كما قال تعالى: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾[٣].

ولو قال: تعالوا فنجعل لعنة الله عليكم لم يكونوا يجيبوا إلى المباهلة، وقد علم الله أنَّ نبيّه مؤدٍّ عنه رسالته، وما هو من الكاذبين، وكذلك عرف النبيّ ﷺ بأنَّه صادق فيما يقول: ولكن أحبَّ أن ينصف من نفسه.

ـ قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾[٤]، ما هذه الأبحر، وأين هي؟

الجواب: فهو كذلك لو أنَّ أشجار الدُّنيا أقلام، والبحر مداد يمدُّه سبعة أبحر مدّاً حتَّى انفجرت الأرض عيوناً كما انفجرت في الطوفان، ما نفدت كلمات الله، وهي ـ أي الأبحر ـ عين الكبريت، وعين اليمن، وعين برهوت، وعين الطبرية، وحمة ما سيدان تُدعى لسان، وحمة أفريقية تُدعى سيلان، وعين باحوران، ونحن الكلمات التي لا تُدرك فضائلنا ولا تستقصى.

ـ قال تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾[٥]، فاشتهت نفس آدم أكل البرّ فأكل، فكيف عُوقب؟

---

(١) سورة يوسف: الآية ١٠١.

(٢) سورة يونس: الآية ٩٤.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٦١.

(٤) سورة لقمان: الآية ٢٧.

(٥) سورة الزخرف: الآية ٧١.

الجواب: وأمَّا الجنَّة ففيها من المآكل والمشرب والملاهي ما تشتهي الأنفس وتلذُّ الأعين، وأباح الله ذلك لآدم، والشجرة التي نهى الله آدم عنها وزوجته أن يأكلا منها شجرة الحسد عهد الله إليهما أن لا ينظروا إلى من فضَّله الله عليهما وإلى خلائقه بعين الحسد فنسي ولم يجد له عزماً.

ـ قال تعالى: ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا﴾[1] إذا كن يزوِّج الله عباده الذكران، فكيف عاقب قوماً فعلوا ذلك.

الجواب: إنَّ الله تعالى زوَّج الذكران المطيعين معاذ الله أن يكون الجليل العظيم عنى ما لبست به على نفسك تطلب الرخصة لارتكاب المحارم، ومن يفعل ذلك يلق آثاماً يُضاعف له العذاب يوم القيامة، ويخلَّد فيه مُهاناً إن لم يتب[2].

ـ كيف جاز شهادة المرأة وحدها، وقد قال الله: ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾[3]؟

الجواب: أمَّا شهادة المرأة وحدها التي جازت فهي القابلة التي جازت شهادتها مع الرِّضا، فإن لم يكن رضا فلا أقلّ من امرأتين، تقوم المرأتان بدل الرجل للضرورة لأنَّ الرجل لا يمكنه أن يقوم مقامها، فإن كانت وحدها قُبل قولها مع يمينها.

ـ حكم عليّ عليه السلام في أمر الخنثى أن ينظر إلى مبالها، فإن كان بولها بول الرجل فهي رجل، وإن كان بول الأُنثى فهو أُنثى، فمن ذا ينظر إليها، فإن كان الناظر إليها رجلاً فعسى أن تكون امرأة، وإن كان الناظر إليها امرأة فعسى أن تكون رجلاً، وهذا ما لا يحلّ، وما هو ميراثها؟

الجواب: أمَّا قول عليّ عليه السلام في الخنثى فهو كما قال، يرث من المبال ينظر قوم إليه عدول يأخذ كلّ واحد منهم مرآة، ويقوم الخنثى خلفهم عريانة، وينظرون إلى المرآة فيرون الشيء ويحكمون عليه.

ـ رجل أتى إلى قطيع غنم فرأى الراعي ينزو على شاة منها، فلمَّا بصر بصاحبها خلَّى سبيلها، فدخلت بين الغنم كيف تذبح؟ وهل يجوز أكلها أم لا؟

الجواب: أمَّا الرجل الناظر إلى الراعي وقد نزا على شاة فإن عرفها ذبحها وأحرقها، وإن لم يعرفها قسَّم الغنم نصفين وساهم بينهما[4]، فإذا وقع السهم على أحد

---

(١) سورة الشورى: الآية ٥٠.

(٢) وسائل الشيعة: ٢٤/ ١٧٠، الأطعمة والأشربة، الحديث ١٤.

(٣) سورة الطلاق: الآية ٢.

(٤) ساهم: أي قرع بينهما.

النصفين، فقد نجا النصف الآخر، ثمَّ يفرِّق النصف الآخر فلا يزال كذلك حتَّى تبقى شاتان، فيقرع بينهما فأيّتها وقع السهم بها ذُبحت وأُحرقت ونجا سائر الغنم[١].

ـ صلاة الفجر لِمَ يجهر فيها بالقرآن مع أنَّها من صلاة النهار، وإنَّما يجهر في صلاة اللَّيل؟

الجواب: أمَّا صلاة الفجر والجهر فيها بالقراءة لأنَّ النبيّ ﷺ كان يغلس بها[٢] فقراءتها في اللَّيل.

ـ إنَّ عليّاً قال لابن جرموز: بشِّر قاتل ابن صفيَّة بالنار[٣]، فلِمَ لم يقتله وهو إمام؟

الجواب: أمَّا قول عليّ عليه السلام: بشِّر قاتل ابن صفيَّة بالنار، فهو لقول رسول الله ﷺ: وكان ممَّن خرج يوم النهروان، فلم يقتله أمير المؤمنين بالبصرة لأنَّه علم أنَّه يقتل في فتنة النهروان.

ـ أخبرني عن عليّ لِمَ قتل أهل صفِّين، وأمر بذلك ـ أي بقتلهم ـ مقبلين ومدبرين، وأجاز[٤] على الجرحى، وكان حكمه يوم الجمل أنَّه لم يقتل مولِّياً، ولم يجز على جريح، ولم يأمر بذلك، وقال: **مَنْ دَخَلَ دَارَهُ فَهُوَ آمِنٌ**، وَلِمَ فعل ذلك؟ فإن كان الحكم الأوَّل صواباً فالثاني خطأ؟

الجواب: أمَّا قولك: إنَّ عليّاً قاتل أهل صفِّين مقبلين ومدبرين، وأجهز على جريحهم، وأنَّه يوم الجمل لم يتبع مولِّياً، ولم يجهز على جريحهم، وكلّ من ألقى سيفه وسلاحه آمنه، فإنَّ أهل الجمل قتل إمامهم، ولم يكن لهم فئة يرجعون إليها، وإنَّما رجع القوم إلى منازلهم غير متحاربين، ولا محتالين، ولا متجسِّسين، ولا متبارزين، فقد رضوا بالكفّ عنهم، وكان الحكم فيه دفع السيف، والكفّ عنهم إذا لم يطلبوا عليه أعواناً، وأهل صفِّين يرجعون إلى فئة مستعدَّة، وإمام منتصب يجمع لهم السلاح من الرماح والدروع والسيوف ويستعدّ لهم، ويسني لهم العطاء ويهيِّىء لهم الأموال، ويعود مريضهم، ويجبر كسيرهم، ويداوي جريحهم، ويحمل راجلهم، ويكسو حاسرهم، ويردّهم فيرجعون إلى محاربتهم وقتالهم.

فإنَّ الحكم في أهل البصرة الكفّ عنهم لمَّا ألقوا أسلحتهم، إذ لم تكن لهم فئة يرجعون إليها، والحكم في أهل صفِّين أن يتبع مدبرهم، ويجهز على جريحهم، فلا

---

(١) وسائل الشيعة: ٢٤/ ١٧٠، الباب ٣٠ من الأطعمة والأشربة، الحديث ٤.
(٢) يغلس بها: أي يصلّي بها في الغلس، وهي الظلمة في آخر اللَّيل.
(٣) ابن صفيَّة: هو الزبير بن العوَّام، قتله ابن جرموز يوم الجمل.
(٤) أجاز على الجرحى: أي أجهز عليهم.

يساوي بين الفريقين في الحكم، ولولا أمير المؤمنين وحكمه في أهل صفِّين والجمل لما عرف الحكم في عصاة أهل التوحيد، فمن أبى ذلك عرض على السيف.

ـ أخبرني عن رجل أقرَّ باللواط على نفسه، أيحدّ أم يدرأ عنه الحدّ؟

الجواب: أمَّا الرجل الذي أقرَّ باللواط فإنَّه أقرَّ بذلك متبرِّعاً من نفسه، ولم تقم عليه بيِّنة، وإنَّما تطوَّع بالإقرار على نفسه، وإذا كان للإمام الذي من الله أن يُعاقب عن الله كان له أن يمنَّ عن الله، أما سمعت قول الله: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾(١) فبدأ بالمنِّ قبل المنع.

قد أنبأناك بجميع ما سألتنا عنه، فاعلم... لقد كانت أجوبة الإمام عن هذه المسائل الغامضة حافلة بالواقع العلمي، وقد بهر منها يحيى، فالتفت إلى المتوكّل فأسدى له النصيحة قائلاً: «ما نحبّ أن تسأل هذا الرجل عن شيء بعد مسائلي، فإنَّه لا يرد عليه شيء بعدها إلاَّ دوَّنها وفي ظهور علمه تقوية للرافضة»(٢).

استجارته عليه السلام بالحائر الحسيني:

وألمَّ مرض بالإمام الهادي عليه السلام فرأى أنَّ خير دواء له الاستجارة بمرقد سيِّد شباب أهل الجنَّة، وأحد سبطي الرَّحمة الإمام الحسين عليه السلام الذي ما استجار أحد بضريحه إلاَّ فرَّج الله عنه ما هو فيه من آلام الدُّنيا وخطوبها، وقد روى أبو هاشم الجعفري استجارة الإمام عليه السلام وذلك بعدَّة روايات، نذكرها وهي:

١ ـ روى أبو هاشم الجعفري، قال: «دخلت أنا ومحمَّد بن حمزة على أبي الحسن نعوده وهو عليل، فقال لنا: **وَجِّهوا قَوْماً إلَى الْحَائِرِ مِنْ مَالِي**، فلمَّا خرجنا من عنده قال لي محمَّد بن حمزة: يوجِّهنا إلى الحائر، وهو بمنزلة مَن في الحائر؟

لقد كان الإمام الهادي بمنزلة جدِّه الإمام الحسين عليه السلام، فهو مثله إمام معصوم قد أذهب الله عنه الرِّجس وطهَّره تطهيراً، واطمأنَّ أبو هاشم بمقالة محمَّد بن حمزة، فمضى إلى الإمام عليه السلام وأخبره بذلك.

فقال عليه السلام: **لَيْسَ هُوَ هَكَذا، إنَّ لِلَّهِ مَواضِعَ يُحِبُّ أنْ يُعْبَدَ فِيهَا، وَحَائِرُ الْحُسَيْنِ عليه السلام مِنْ تِلْكَ الْمَواضِعِ**»(٣).

---

(١) سورة ص: الآية ٣٩.

(٢) مناقب ابن شهرآشوب؛ ٤/٤٠٣ ـ ٤٠٦.

(٣) كامل الزيارات: ص٤٥٩ و٤٦٠، الحديث ٦٩٨.

٢ ـ روى أبو هاشم، قال: «دخلت على أبي الحسن عليّ بن محمَّد وهو محموم عليل، فقال لي: **يا أبا هاشِم، ابْعَثْ رَجُلاً مِنْ مَوالينا إِلَىٰ الْحَائِرِ يَدْعو اللَّهِ لِي**.

وخرج أبو هاشم فاستقبل في الطريق علي بن بلال، فأخبره بأمر الإمام، وطلب منه السفر إلى كربلاء ليدعو له.

فبهر عليّ وقال: السمع والطاعة، ولكنّي أقول: إنَّه أضل من الحائر ـ أراد المكان المقدَّس الذي دُفن فيه الحسين عليه السلام ـ إذ كان بمنزلة مَن في الحائر، ودعاؤه لنفسه أفضل من دعائي له.

لقد كان عليّ بن بلال عالماً بمقام الإمام عليه السلام ومنزلته، فكيف يمضي للدُّعاء له عند مرقد الإمام الحسين عليه السلام، مع أنَّ الحسين عليه السلام وحفيده الهادي كلّ منهما إمام معصوم، وهلاَّ يدعو الإمام لنفسه، وهو أفضل خلق الله، كلّ هذه النقاط كانت مدار تساؤل عند عليّ بن بلال، وبادر أبو هاشم فنقل حديثه للإمام عليه السلام.

فأجابه عليه السلام: «**كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَفْضَلَ مِنَ الْبَيْتِ وَالْحَجَرِ، وَكَانَ يَطوفُ بِالْبَيْتِ وَيسْتَلِمُ الْحَجَرَ، وَإِنَّ لِلَّهِ تَعَالىٰ بِقاعاً يُحِبُّ أَنْ يُدْعىٰ فِيها فَيَسْتَجِيبُ لِمَنْ دَعاهُ وَالْحائِرُ مِنْها**»[1].

وقد أكَّد الإمام عليه السلام ذلك في حديث آخر له، فقد قال: «**إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ مِنْ أَرْضِهِ بِقاعاً تُسَمَّىٰ الْمَرْحُوماتُ أَحَبَّ أَنْ يُدْعىٰ فِيهَا فَيُجِيبُ**»[2].

٣ ـ روى أبو هاشم، قال: «بعث إليَّ أبو الحسن عليه السلام في مرضه وإلى محمَّد بن حمزة، فسبقني إليه محمَّد بن حمزة، فأخبرني أنَّه ما زال يقول: **ابْعَثوا إِلَى الْحائِرِ**.

فقلت لمحمَّد: ألا قلت: أنا أذهب إلى الحائر؟

فقلت له: جعلت فداك، أنا أذهب إلى الحائر.

فقال: **انْظُروا فِي ذَلِكَ**.

ثمَّ قال: **إِنَّ مُحَمَّداً لَيْسَ لَهُ سِرٌّ مِنْ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ** ـ يعني ليس زيدي العقيدة ـ **وَأَنَا أَكْرَهُ أَنْ يَسْمَعَ ذَلِكَ**.

قال: فذكرت ذلك لعليّ بن بلال، فقال: ما كان يصنع بالحائر وهو الحائر؟

فقدمت العسكر ـ يعني سامرَّاء ـ فدخلت عليه، فقال لي: **اجْلِسْ**، حين أردت

---

(١) كامل الزيارات: ص٤٦٠.

(٢) وسائل الشيعة: ٣/ ٥٧٠.

القيام، فلمّا رأيته أنس بي ذكرت قول عليّ بن بلال، فعرضته عليه فقال لي: **ألا قُلْتَ لَهُ: إنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ وَيُقَبِّلُ الْحَجَرَ، وَحُرْمَةُ النَّبِيِّ ﷺ وَالْمُؤْمِنِ أعْظَمُ مِنْ حُرْمَةِ الْبَيْتِ، وَأَمَرَهُ اللَّهُ أَنْ يَقِفَ بِعَرَفَةَ، وَإِنَّمَا هِيَ مَوَاطِنُ يُحِبُّ اللَّهُ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا. فَأَنا أُحِبُّ أَنْ يُدْعىٰ لِي حَيْثُ يُحِبُّ اللَّهُ أَنْ يُدْعىٰ فِيهَا، وَالْحَائِرُ مِنْ تِلْكَ الْمَواضِعِ**»[١].

كبس دار الإمام عليه السلام:

وسعى بعض اللئام من الذين لا يرجون لله وقاراً إلى المتوكّل فقالوا له: إنَّ عند الإمام عليه السلام كتباً وسلاحاً وأموالاً، ولا يؤمن من القيام بثورة مسلَّحة ضدّ حكومته.

ففزع المتوكّل وأوجس في نفسه خيفة، وأوعز إلى جماعة من شرطته الأتراك بالهجوم على دار الإمام ليلاً واعتقاله، فهجموا عليه على حين غفلة منه، فوجدوه في بيت مغلق وعليه مدرعة من شعر وليس بينه وبين الأرض من بساط إلاّ الرمل والحصى[٢]، وهو مستقبل القبلة، وهو يتلو قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾[٣].

وحملوه إلى المتوكّل وهو بتلك الحالة[٤] التي تمثِّل زهد الأنبياء وروحانيَّة المرسلين، وكان المتوكّل على موائد الخمر ثملاً سكراناً، فلمّا بصر بالإمام ناوله الطاغية كأساً من الخمر، فزجره الإمام وصاح به: **وَاللَّهِ مَا خَامَرَ لَحْمِي وَدَمِي قَطُّ**.

وقال المتوكّل للإمام: أنشدني شعراً.

- **إنِّي قَلِيلُ الرِّوايَةِ لِلشِّعْرِ**.

وأصرَّ الطاغية على مرامه قائلاً: لا بدَّ أن تنشدني. ولم يجد الإمام بُدّاً من إنشاده هذه الأبيات الحزينة التي حوَّلت أُنس الطاغية إلى بكاء وحزن قائلاً:

بَاتُوا عَلىٰ قُلَلِ الأجْبالِ تَحْرُسُهُمْ ... غُلْبُ الرِّجالِ فَما أغْنَتْهُمُ الْقُلَلُ

وَاسْتُنْزِلُوا بَعْدَ عِزٍّ عَنْ مَراتِبِهِمْ ... فَأُودِعُوا حُفَراً يا بِئْسَ مَا نَزَلُوا

نَاداهُمُ صَارِخٌ مِنْ بَعْدِ مَا قُبِرُوا: ... أيْنَ الأسِرَّةُ وَالتِّيجانُ وَالْحِلَلُ؟

---

(١) الكافي: ٤/٥٦٧.

(٢) دائرة المعارف القرن العشرين: ٦/٤٣٧.

(٣) سورة العنكبوت: الآية ٤.

(٤) تاريخ الإسلام/الذهبي: ١٨/١٩٩.

أَيْنَ الْوُجُوهُ الَّتِي كَانَتْ مُنَعَّمَةً ... مِنْ دُونِها تُضْرَبُ الأَسْتَارُ وَالْكِلَلُ؟
فأفْصَحَ الْقَبْرُ عَنْهُمْ حِينَ سَاءَلَهُمْ: ... تِلْكَ الْوُجُوهُ عَلَيْها الدُّودُ يَقْتَتِلُ
لَطالَما أكَلُوا دَهْراً وَمَا شَرِبُوا ... فَأَصْبَحُوا بَعْدَ طُولِ الأكْلِ قَدْ أُكِلوا[1]

واهتزَّ المتوكّل، وطار السكر من رأسه، فلم يملك صوابه وأخذ يبكي بكاءاً شديداً، وأشفق من حضر المجلس على الإمام من بطش المتوكّل، وظنُّوا أنَّ بادرة سوء أو انتقام ستبدو منه تجاه الإمام.

وأمر المتوكّل برفع كؤوس الخمر عن المجلس، والتفت إلى الإمام الزكيّ بخضوع وخشوع قائلاً: يا أبا الحسن عليك دَين؟

ـ **نَعَمْ، أرْبَعَةُ آلافِ دِينارٍ.**

فأمر بدفعها إليه، وردَّه إلى منزله مكرَّما، وكشفت هذه البادرة عن جهاد الإمام عليه السلام وموقفه المشرِّف تجاه هذا الطاغية، فلم يعن به، ولم يحفل بملكه وسلطانه، وراح يوعظه ويخوِّفه من عقاب الله، وقد عرَّفه عمَّا سيصير إليه من مفارقة هذه الحياة، فلا تدفع المنيَّة عنه جيوشه ولا سلطانه، كما عرَّفه عمَّا يؤول إليه بدنه الرقيق، فإنَّه حينما يُوارى في التراب يكون طعمة للديدان والحشرات.

ومن المؤكَّد أنَّ المتوكّل لم تمرُّ على سمعه أمثال هذه المواعظ، فقد أُترع سمعه بأصوات المغنِّين والمغنِّيات، وقد وافته المنيَّة وهو بين العازفين وكؤوس الخمر، ولا عهد له بذكر الله في جميع أدوار حياته.

وشاية البطحاوي بالإمام عليه السلام:

وروى المؤرّخون: «أنَّ المتوكّل أُصيب بخراج أشرف منه على الهلاك، فأشار عليه الفتح بن خاقان أن يبعث رسولاً إلى الإمام الهادي عليه السلام ويخبره بحاله لعلَّ عنده علاجاً له، فبعث إليه رسولاً فأخبره بحاله، فوصف عليه السلام وصفة فاستعملها المتوكّل، فبرأ من

---

(١) جاء في جوهرة الكلام: ص١٥٢: إنَّ هذه الأبيات وجدت مكتوبة على قصر سيف بن ذي يزن الحميري وقبلها الأبيات التالية:

انظر ماذا ترى أيُّها الرجل ... وكن على حذر من قبل تنتقل
وقدِّم الزاد من خير تسرّ به ... فكلّ ساكن دار سوف يرتحل
وانظر إلى معشر باتوا على دعة ... فأصبحوا في الثرى رهناً بما عملوا
بنوا فلم ينفع البنيان وادَّخروا ... مالاً فم يغنهم لمَّا انقضى الأجل

نزهة الجليس: ٢/١٣٨.

مرضه، ولمَّا بشِّرت أُمّه بعافيته حملت إلى الإمام بدرة وكيساً قيمتها عشرة آلاف دينار وقد ختمتها بخاتمها، وسعى محمَّد بن القاسم البطحاوي إلى المتوكّل فأخبره بأنَّ أموالاً وسلاحاً تحمل إلى الإمام، ففزع المتوكّل وأمر سعيد الحاجب بأن يكبس داره ليلاً ويأتي بجميع ما يجده فيها من الأموال والسلاح، وبادر سعيد إلى بيت الإمام فوضع سلّماً وصعد إلى سطح الدار، وقد اشتدّ الظلام، فلم يدرِ كيف يصل إلى صحن الدار.

وبينما هو في حيرة من أمره إذ سمع صوت الإمام يناديه: **يا سَعِيدُ، مَكانَكَ حَتَّى يَأتوكَ بِشَمْعَةٍ**، فأُتي بها، فنزل إلى الدار، فوجد الإمام عليه جبَّة صوف، وقلنسوة من صوف، وسجَّادة على حصير، ثمَّ فتَّش البيوت فلم يجد فيها سوى البدرة والكيس، ورفع مصلَّى الإمام فوجد سيفاً في جفنه، فحمل جميع ذلك إلى المتوكّل، ولمَّا نظر إلى البدرة والكيس عليها خاتم أُمّه استدعاها وسألها عن ذلك، فأخبرته أنَّها نذرت للإمام إن عوفي المتوكّل من علَّته أن تكرم الإمام، ولمَّا برأ وفت بنذرها، فاستحيى وأضاف إلى البدرة بدرة أُخرى، وأمر سعيد بحمل ذلك إلى الإمام، فحمله له واعتذر منه، فأجابه الإمام عليه السلام بالآية الكريمة: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[1]»[2].

اعتقال الإمام عليه السلام:

أمر الطاغية باعتقال الإمام وزجّه في السجن، فبقي فيه أيَّاماً وجاء لزيارته صقر بن أبي دلف، فاستقبله الحاجب وكانت له معرفة به، كما كان عالماً بتشيُّعه، وبادر الحاجب قائلاً: ما شأنك وفيم جئت؟

ـ بخير.

ـ لعلَّك جئت تسأل عن خبر مولاك؟

ـ مولاي أمير المؤمنين ـ يعني المتوكّل ـ.

فتبسَّم الحاجب وقال: اسكت، مولاك هو الحقّ ـ يعني الإمام الهادي عليه السلام ـ فلا تحتشمني فإنِّي على مذهبك.

ـ الحمد لله.

ـ تحبّ أن تراه؟

ـ نعم.

---

(١) سورة الشعراء: الآية ٢٢٧.

(٢) الكافي: ١/ ٥٠٠، الحديث ٤.

ـ اجلس حتَّى يخرج صاحب البريد.

ولمَّا خرج صاحب البريد التفت الحاجب إلى غلامه فقال له: خذ بيد الصقر حتَّى تدخله الحجرة التي فيها العلويّ المحبوس، وخلِّ بينه وبينه، فأخذه الغلام حتَّى أدخله الحجرة، وأومأ إلى بيت فيه الإمام، فدخل عليه الصقر، وكان الإمام جالساً على حصير، وبإزائه قبر محفور قد أمر به المتوكّل لإرهاب الإمام، والتفت عليه السلام له قائلاً بحنان ولطف: **يا صَقْرُ، ما أتىٰ بِكَ؟**

ـ جئت لأتعرَّف على خبرك.

وأجهش الصقر بالبكاء رحمة بالإمام وخوفاً عليه.

فقال عليه السلام له: **يا صَقْرُ، لاَ عَلَيْكَ لَنْ يَصِلُ إلَيْنا بِسُوءٍ.**

فهدَّأ روعه، وحمد الله على ذلك، ثمَّ سأل الإمام عن بعض المسائل الشرعيَّة، فأجابه عنها، وانصرف مودِّعاً للإمام[١].

ولم يلبث الإمام إلاَّ قليلاً في السجن حتَّى أُطلق سراحه.

محاولة فاشلة لاغتيال الإمام عليه السلام:

وثقل الإمام على المتوكّل، وضاق به ذرعاً، فقد ساءه ما يتحدَّث به الناس عن فضله وسعة علومه، وزهده وتقواه، وذهاب الشيعة إلى إمامته، وأنَّه أحقّ بالخلافة وأوْلى بها منه، فحاول اغتياله والقضاء عليه، إلاَّ أنَّه باء بالفشل، ولم يصل إلى مرامه، وقد روى ذلك الفضل بن أحمد الكاتب عن أبيه، قال: «كنَّا مع المعتزّ، وكان أبي كاتبه، فدخلنا على المتوكّل وكان جالساً على سريره، وهو ثائر ينظر شزراً إلى وزيره الفتح بن خاقان وقد رفع صوته: هذا الذي تقول فيه ما تقول؟

والفتح يخفِّف عليه غلواءه، ويقول له: إنَّه مكذوب عليه يا أمير المؤمنين.

فلم يحفل به وراح يقول: والله لأقتلنَّ هذا... هذا الذي يدَّعي الكذب، ويطعن في دولتي.

وأمر بإحضار أربعة من الخزر من الذين لا يفقهون شيئاً، وأعطى لكلّ واحد منهم سلاحاً، وأمرهم بقتل الإمام إذا دخل عليهم، وجعل يتهدَّد ويتوعَّد الإمام، وهو يقول بنبرات تقطر غضباً: والله لأحرقنَّ جسده بالنار بعد القتل.

---

(١) بحار الأنوار: ٢٤/٢٣٨ و٢٣٩، الحديث ١.

وأقبل الإمام وقد أحاط به حرَّاس القصر، وقد رفعوا أصواتهم بالتهليل والتكبير تعظيماً له، وهم يقولون: هذا ابن الرِّضا.

ولمَّا بصر به المتوكّل أخذته هيبته، وألقى الله الرعب والفزع في قلبه، فوثب من سريره، واستقبله استقبالاً حارَّاً، وقبَّل ما بين عينيه، وهو يقول له بخضوع: يا سيِّدي، يابن رسول الله، يا خير من خلق الله، يابن عمِّي، يا مولاي يا أبا الحسن.

والإمام ينصحه ويعظه، ويحذِّره عقاب الله، فقال المتوكّل: ما جاء بك يا سيِّدي في هذا الوقت؟

- **جَاءَنِي رَسُولُكَ يَقُولُ لِي: الْمُتَوَكِّلُ يَدْعوكَ.**

- كذب ابن الفاعلة، ارجع يا سيِّدي من حيث أتيت.

والتفت المتوكّل إلى وزيره وأبنائه قائلاً: يا فتح، يا عبد الله، يا معتزّ، شيِّعوا سيِّدكم.

وخرج الإمام محاطاً بهالة من الحفاوة والتكريم، وامتنع الخزر من اغتيال الإمام حينما رأوا هيبته، واحتفاء الحرس به، وتعظيم المتوكِّل له[١].

وبذلك فقد باءت محاولة المتوكِّل بالخيبة والخسران.

استهانة المتوكِّل بالإمام عليه السلام:

ونخر الحسد قلب المتوكّل، وقد سلك جميع الوسائل للحطِّ من شأن الإمام والتقليل من أهمَّيّته المتصاعدة أمام الرأي العامّ، وقد حاول إذلاله فأراد أن يمشي ولا يركب أمامه ليزهد فيه الناس، فأشار عليه وزيره بترك ذلك لأنَّ فيه شفاعة وسوء قالة عليه، فلم يصغ له، وأشار عليه ثانياً بأن يأمر القوَّاد والأشراف ومن ضمنهم الإمام بالمشي حتَّى لا يظنُّ أنَّه المقصود وحده، فاستجاب له، وأمر الناس بالمسير بين يديه، ففعلوا ذلك، وكان الوقت قائظاً شديد الحرّ، فجعل الإمام أثناء مشيه يتصبَّب عرقاً، فبصر به زرافة حاجب المتوكّل فبادر وأجلسه في دهليز هناك، وأخذ منديلاً وجعل يمسح به عرق الإمام، وحاول أن يخفِّف ما في نفس الإمام من آلام قائلاً: ابن عمّك لم يقصدك بهذا دون غيرك.

---

(١) الخرائج والجرائح: ١/٤١٨.

فنظر إليه الإمام وقال له: **إيهاً عَنْكَ**، وتلا قول الله تعالى: ﴿تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾[1].

قال زرافة: كان عندي معلّم يتشيَّع، وكنت كثيراً أُمازحه بالرافضيّ، فلمَّا انصرفت إلى منزلي استدعيته، فلمَّا حضر حدَّثته بما سمعته من الإمام عليه السلام، فتغيَّر وجهه، وقال لي: احترز، واخزن كلّ ما تملكه، فإنَّ المتوكّل يموت أو يُقتل بعد ثلاثة أيَّام. وقد استشفَّ ذلك من استشهاد الإمام بالآية الكريمة.

يقول زرافة: فتأثَّرت من كلامه وأخرجته، ثمَّ فكَّرت في نفسي وقلت: ما يضرّني أن آخذ بالحزم، فإن كان شيء من هذا كنت قد أخذت بالحزم، وإن لم يكن لم يضرّني، فركبت إلى دار المتوكّل، وأخرجت ما كان لي من الأموال وأودعتها عند مَن أعرف، ولم تمض ثلاثة أيَّام حتَّى هلك المتوكّل، وصارت هذه البادرة ـ فيما يقول زرافة ـ السبب في هدايته واعتقاده بالإمامة»[2].

دعاء الإمام عليه السلام على المتوكّل:

والتجأ الإمام الهادي عليه السلام إلى الله تعالى، وانقطع إليه، وقد دعاه بهذا الدُّعاء الشريف الذي عُرف (بدعاء المظلوم على الظالم)، ويُسمَّى بدعاء السيف، ودعاء اليماني أيضاً، وهو من الكنوز المشرقة لأهل البيت عليهم السلام، وهذا نصّه بعد البسملة:

«اللّهُمَّ إنَّكَ أنْتَ الْمَلِكُ الْمُتَعَزِّزُ بِالْكِبْرياءِ، الْمُتَفَرِّدُ بالْبَقاءِ، الْحَيُّ الْقَيُّومُ، الْمُقْتَدِرُ الْقَهَّارُ، الَّذِي لاَ إلَهَ إلاَّ أنْتَ، أنا عَبْدُكَ وَأنْتَ رَبِّي، ظَلَمْتُ نَفْسِي، وَاعْتَرَفْتُ بِإساءَتِي، وَأسْتَغْفِرُ إلَيْكَ مِنْ ذُنُوبِي، فَإنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلاَّ أنْتَ.

اللّهُمَّ إنِّي وَفُلاناً ـ يَعْنِي الْمُتَوَكِّلَ ـ عَبْدانِ مِنْ عَبِيدِكَ، نَواصِينا بِيَدِكَ، تَعْلَمُ مُسْتَقَرَّنا وَمُسْتَوْدَعَنا، وَتَعْلَمُ مُنْقَلَبَنا وَمَثْوانا، سِرَّنا وَعَلاَنِيَتَنا، وَتَطَّلِعُ عَلىٰ نِيَّاتِنا، وَتُحِيطُ بِضَمائِرِنا، عِلْمُكَ بِمَا نُبْدِيهِ كَعِلْمِكَ بِمَا نُخْفِيهِ، وَمَعْرِفَتُكَ بِمَا نُبْطِنُهُ كَمَعْرِفَتِكَ بِمَا نُظْهِرُهُ، وَلاَ يَنْطَوِي عَنْكَ شَيْءٌ مِنْ أُمُورِنا، وَلاَ يَسْتَتِرُ دُونَكَ حَالٌ مِنْ أحْوالِنا، وَلاَ لَنا مِنْكَ مَعْقِلٌ يُحْصِنُنا، وَلاَ حِرْزٌ يُحْرِزُنا، وَلاَ هَارِبٌ يَفُوتُكَ مِنَّا، وَلاَ يَمْتَنِعُ الظَّالِمُ مِنْكَ بِسُلْطَانِهِ، وَلاَ يُجاهِدُكَ عَنْهُ جُنودُهُ، وَلاَ يُغَالِبُكَ مُغَالِبٌ بِمَنْعَتِهِ، وَلاَ يُعازُّكَ مُتَعَزِّزٌ بِكَثْرَةٍ، أنْتَ مُدْرِكُهُ أيْنَما سَلَكَ، وَقَادِرٌ عَلَيْهِ أيْنَ لَجَأ.

---

(١) سورة هود: الآية ٦٥.

(٢) الخرائج والجرائح: ١/ ٤٠١ ـ ٤٠٣.

فَعَاذَ الْمَظْلومُ مِنَّا بِبَابِكَ، وَتَوَكَّلَ الْمَقْهُورُ مِنَّا عَلَيْكَ، وَرُجوعُهُ إِلَيْكَ، وَيَسْتَغِيثُ بِكَ إِذَا خَذَلَهُ الْمُغِيثُ، وَيَسْتَصْرِخُكَ إِذَا قَعَدَ عَنْهُ النَّصِيرُ، وَيَلُوذُ بِكَ إِذَا نَفَتْهُ الأَفْنِيَةُ، وَيَطْرُقُ بَابَكَ إِذَا أُغْلِقَتْ دُونَهُ الأَبْوابُ الْمُرْتَجَةُ، وَيَصِلُ إِلَيْكَ إِذَا احْتَجَبَتْ عَنْهُ الْمُلوكُ الْغَافِلَةُ، تَعْلَمُ مَا حَلَّ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَشْكوهُ إِلَيْكَ، وَتَعْرِفُ مَا يُصْلِحُهُ قَبْلَ أَنْ يَدْعُوكَ لَهُ، فَلَكَ الْحَمْدُ سَمِيعاً بَصِيراً، لَطِيفاً قَدِيراً».

ويستمرّ الإمام في دعائه قائلاً:

«اللَّهُمَّ إِنَّهُ قَدْ كَانَ فِي سَابِقِ عِلْمِكَ، وَمُحْكَمِ قَضَائِكَ، وَجَارِي قَدَرِكَ، وَمَاضِي حُكْمِكَ، وَنَافِذِ مَشِيَّتِكَ فِي خَلْقِكَ أَجْمَعِينَ، سَعِيدِهِمْ وَشَقِيِّهِمْ، وَبَرِّهِمْ وَفَاجِرِهِمْ، أَنْ جَعَلْتَ لِفُلاَنِ ابْنِ فُلاَنٍ ـ يَعْنِي الْمُتَوَكِّل ـ عَلَيَّ قُدْرَةً، فَظَلَمَنِي، وَبَغَىٰ عَلَيَّ، وَتَعَزَّزَ عَلَيَّ بِسُلْطَانِهِ الَّذِي خَوَّلْتَهُ إِيَّاهُ، وَتَجَبَّرَ عَلَيَّ بِعُلُوِّ حَالِهِ الَّتِي جَعَلْتَها لَهُ، وَغَرَّهُ إِمْلاَؤُكَ لَهُ، وَأَطْغَاهُ حِلْمُكَ عَنْهُ، فَقَصَدَنِي بِمَكْرُوهٍ عَجَزْتُ عَنِ الصَّبْرِ عَلَيْهِ، وَتَعَمَّدَنِي بِشَرٍّ ضَعُفْتُ عَنِ احْتِمَالِهِ، وَلَمْ أَقْدِرْ عَلَىٰ الانْتِصارِ مِنْهُ لِضَعْفِي وَالانْتِصَافِ مِنْهُ لِذُلِّي فَوَكَلْتُهُ إِلَيْكَ، وَتَوَكَّلْتُ فِي أَمْرِهِ عَلَيْكَ، وَتَوَعَّدْتُهُ بِعقُوبَتِكَ، وَحَذَّرْتُهُ سَطْوَتَكَ، وَخَوَّفْتُهُ نِقْمَتَكَ، فَظَنَّ أَنَّ حِلْمَكَ عَنْهُ مِنْ ضَعْفٍ، وَحَسِبَ أَنَّ إِمْلاَءَكَ لَهُ مِنْ عَجْزٍ، وَلَمْ تَنْهَهُ وَاحِدَةٌ عَنْ أُخْرىٰ، وَلاَ انْزَجَرَ عَنْ ثَانِيَةٍ بِأُولىٰ، وَلَكِنَّهُ تَمادىٰ فِي غَيِّهِ، وَتَتَابَعَ فِي ظُلْمِهِ، وَلَجَّ فِي عُدْوانِهِ، وَاسْتَشْرىٰ فِي طُغْيانِهِ جُرْأَةً عَلَيْكَ يَا سَيِّدِي، وَتَعَرُّضاً لِسَخَطِكَ الَّذِي لاَ تَرُدُّهُ عَنِ الظَّالِمِينَ، وَقِلَّةِ اكْتِراثٍ بِبَأْسِكَ الَّذِي لاَ تَحْبِسُهُ عَنِ الْبَاغِينَ.

فَهَا أَنَا ذَا يَا سَيِّدِي مُسْتَضْعَفٌ فِي يَدَيْهِ، مُسْتَضامٌ تَحْتَ سُلْطَانِهِ، مُسْتَذَلٌّ بِعِقَابِهِ، مَغْلُوبٌ، مَبْغِيٌّ عَلَيَّ، مَغْصُوبٌ، وَجِلٌ، خَائِفٌ مَرَوَّعٌ، مَقْهورٌ، قَدْ قَلَّ صَبْرِي، وَضَاقَتْ حِيلَتِي، وَانْغَلَقَتْ عَلَيَّ الْمَذَاهِبُ إِلاَّ إِلَيْكَ، وَانْسَدَّتْ عَلَيَّ الْجِهَاتُ إِلاَّ جِهَتَكَ، وَالْتَبَسَتْ عَلَيَّ أُمُورِي فِي دَفْعِ مَكْرُوهِهِ عَنِّي، وَاشْتَبَهَتْ عَلَيَّ الآرَاءُ فِي إِزَالَةِ ظُلْمِهِ، وَخَذَلَنِي مَنِ اسْتَنْصَرْتُهُ مِنْ عِبَادِكَ، وَأَسْلَمَنِي مَنْ تَعَلَّقْتُ بِهِ مِنْ خَلْقِكَ، وَاسْتَشَرْتُ نَصِيحِي فَأَشارَ عَلَيَّ بِالرَّغْبَةِ إِلَيْكَ، وَاسْتَرْشَدْتُ دَلِيلِي فَلَمْ يَدُلَّنِي إِلاَّ عَلَيْكَ، فَرَجَعْتُ إِلَيْكَ يَا مَوْلاَيَ صَاغِراً رَاغِماً مُسْتَكِيناً عَالِماً أَنَّهُ لاَ فَرَجَ لِي إِلاَّ عِنْدَكَ، وَلاَ خَلاَصَ لِي إِلاَّ بِكَ، انْتَجِزُ وَعْدَكَ فِي نُصْرَتِي، وَإِجَابَةِ دُعَائِي، فَإِنَّكَ قُلْتَ وَقَوْلُكَ الْحَقُّ الَّذِي لاَ يُرَدُّ وَلاَ يُبَدَّلُ: ﴿وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ﴾(١)، وَقُلْتَ جَلَّ جَلاَلُكَ، وَتَقَدَّسَتْ أَسْماؤُكَ: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾(٢).

---

(١) سورة الحجّ: الآية ٦٠.

(٢) سورة غافر: الآية ٦٠.

وَأنَا فَاعِلٌ مَا أمَرْتَنِي بِهِ لاَ مَنّاً عَلَيْكَ، وَكَيْفَ أمُنُّ بِهِ وَأنْتَ عَلَيْهِ دَلَلْتَنِي، فَصَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَاسْتَجِبْ لِي كَمَا وَعَدْتَنِي يَا مَن لاَ يُخْلِفُ الْمِيعادَ.

وَإنِّي لأعْلَمُ يَا سَيِّدِي أنَّ لَكَ يَوْماً تَنْتَقِمُ فِيهِ مِنَ الظَّالِمِ لِلْمَظْلُوم، وَأتَيَقَّنُ أنَّ لَكَ وَقْتاً تَأْخُذُ فِيهِ مِنَ الْغَاصِبِ لِلْمَغْصُوبِ؛ لأنَّكَ لاَ يَسْبِقُكَ مُعَانِدٌ، وَلاَ يَخْرُجُ عَنْ قَبْضَتِكَ مُنَابِذٌ، وَلاَ تَخافُ فَوْتَ فَائِتٍ، وَلَكِنْ جَزَعِي وَهَلَعِي لاَ يَبْلُغَانِ بِيَ الصَّبْرَ عَلَىٰ أنَاتِكَ وَانْتِظَارِ حِلْمِكَ، فَقُدْرَتُكَ عَلَيَّ يَا سَيِّدِي وَمَوْلاَيَ فَوْقَ كُلِّ قُدْرَةٍ، وَسُلْطَانُكَ غَالِبٌ عَلَىٰ كُلِّ سُلْطَانٍ، وَمَعَادُ كُلِّ أحَدٍ إلَيْكَ وَإنْ أمْهَلْتَهُ، وَرُجُوعُ كُلِّ ظَالِمٍ إلَيْكَ وَإنْ أنْظَرْتَهُ، وَقَدْ أضَرَّنِي حِلْمُكَ عَنْ فُلاَنِ ابْنِ فُلاَنٍ، وَطُولُ أنَاتِكَ لَهُ، وَإمْهَالُكَ إيَّاهُ، وَكَادَ الْقُنُوطُ يَسْتَوْلِي عَلَيَّ، لَوْلاَ الثِّقَةُ بِكَ، وَالْيَقِينُ بِوَعْدِكَ، فَإنْ كَانَ فِي قَضَائِكَ النَّافِذِ، وَقُدْرَتِكَ الْمَاضِيَةِ أنْ يُنِيبَ أوْ يَتُوبَ، أوْ يَرْجِعَ عَنْ ظُلْمِي أوْ يَكُفَّ عَنْ مَكْرُوهِي، وَيَنْتَقِلَ عَنْ عَظِيمِ مَا رَكِبَ مِنِّي....

فَصَلِّ - اللَّهُمَّ - عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَأوْقِعْ ذَلِكَ فِي قَلْبِهِ السَّاعَةَ السَّاعَةَ قَبْلَ إزَالَتِهِ نِعْمَتَكَ الَّتِي أنْعَمْتَ بِهَا عَلَيَّ، وَتَكْدِيرِهِ مَعْرُوفَكَ الَّذِي صَنَعْتَهُ عِنْدِي، وَإنْ كَانَ فِي عِلْمِكَ بِهِ غَيْرُ ذَلِكَ مِنْ مُقامِهِ عَلَىٰ ظُلْمِي، فَأسْألُكَ - يَا نَاصِرَ الْمَظْلُومِ الْمَبْغِيِّ عَلَيْهِ - إجَابَةَ دَعْوَتِي.

فَصَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَخُذْهُ مِنْ مَأْمَنِهِ أخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ، وَافْجَأْهُ فِي غَفْلَتِهِ مُفاجَاةَ مَلِيكٍ مُنْتَصِرٍ، وَاسْلُبْهُ نِعْمَتَهُ وَسُلْطَانَهُ، وَافْضُضْ عَنْهُ جُمُوعَهُ وَأعْوَانَهُ، وَمَزِّقْ مُلْكَهُ كُلَّ مُمَزَّقٍ، وَفَرِّقْ أنْصارَهُ كُلَّ مُفَرَّقٍ، وَأعْرِهِ مِنْ نِعْمَتِكَ الَّتِي لَمْ يُقابِلْها بِالشُّكْرِ، وَانْزَعْ عَنْهُ سِرْبالَ عِزِّكَ الَّذِي لَمْ يُجازِهِ بِالإحْسَانِ، وَاقْصِمْهُ يَا قَاصِمَ الْجَبابِرَةِ، وَأهْلِكْهُ يَا مُهْلِكَ الْقُرُونِ الْخَالِيَةِ، وَأبِرْهُ يَا مُبِيرَ الأُمَمِ الظَّالِمَةِ، وَأخْذُلْهُ يَا خَاذِلَ الْفِئَاتِ الْبَاغِيَةِ، وَابْتُرْهُ عُمْرَهُ، وَابْتَزَّ مُلْكَهُ، وَعَفِّ أثَرَهُ، وَاقْطَعْ خَبَرَهُ، وَأطْفِ نَارَهُ، وَأظْلِمْ نَهارَهُ، وَكَوِّرْ شَمْسَهُ، وَأزْهِقْ نَفْسَهُ، وَاهْشِمْ سُوقَهُ، وَجُبَّ سَنَامَهُ، وَارْغِمْ أنْفَهُ، وَعَجِّلْ حَتْفَهُ، وَلاَ تَدَعْ لَهُ جُنَّةً إلاَّ هَتَكْتَها، وَلاَ دِعَامَةً إلاَّ قَصَمْتَها، وَلاَ كَلِمَةً مُجْتَمِعَةً إلاَّ فَرَّقْتَها، وَلاَ قَائِمَةً عُلُوٍّ إلاَّ وَضَعْتَها، وَلاَ رُكْناً إلاَّ وَهَنْتَهُ، وَلاَ سَبَباً إلاَّ قَطَعْتَهُ، وَأرِنا أنْصارَهُ وَجُنُودَهُ وَأحِبَّاءَهُ وَأرْحَامَهُ عَبادِيدَ بَعْدَ الألْفَةِ، وَشَتَّىٰ بَعْدَ اجْتِماعِ الْكَلِمَةِ، وَمُقْنِعِي الرُّؤُوسِ بَعْدَ الظُّهُورِ عَلَىٰ الأُمَّةِ.

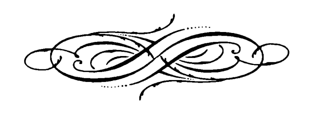
وَاشْفِ بِزَوالِ أمْرِهِ الْقُلُوبَ الْمُنْقَلِبَةَ، وَالأفْئِدَةَ اللَّهِفَةَ، وَالأُمَّةَ الْمُتَحَيِّرَةَ، وَالْبَرِيَّةَ الضَّائِعَةَ، وَأحْيِ بِبَوارِهِ الْحُدُودَ الْمُعَطَّلَةَ، وَالأحْكَامَ الْمُهْمَلَةَ، وَالسُّنَنَ الدَّائِرَةَ، وَالْمَعالِمَ

الْمُغَيَّرَةَ، وَالتِّلاَوَاتِ الْمُتَغَيِّرَةَ، وَالآيَاتِ الْمُحَرَّفَةَ، وَالْمَدارِسَ الْمَهْجُورَةَ، وَالْمَحارِيبَ الْمَجْفُوَّةَ، وَالْمَسَاجِدَ الْمَهْدُومَةَ، وَأَشْبِعْ بِهِ الْخِماصَ السَّاغِبَةِ، وَارْوِ بِهِ اللَّهَواتِ اللاَّغِبَةَ، وَالأَكْبادَ الظَّامِيَةَ، وَأَرِحْ بِهِ الأَقْدامَ الْمُتْعَبَةَ، وَأَطْرُقْهُ بِلَيْلَةٍ لاَ أُخْتَ لَهَا، وَسَاعَةٍ لاَ مَثْوىٰ فِيهَا، وَبِنَكْبَةٍ لاَ انْتِعَاشَ مَعهَا، وَبِعَثْرَةٍ لاَ إِقَالَةَ مِنْهَا، وَأَبِحْ حَرِيمَهُ، وَنَغِّصْ نَعِيمَهُ، وَأَرِهِ بَطْشَتَكَ الْكُبْرىٰ، وَنِقْمَتَكَ الْمُثْلىٰ، وَقُدْرَتَكَ الَّتِي هِيَ فَوْقَ كُلِّ قُدْرَةٍ، وَسُلْطَانَكَ الَّذِي هُوَ أَعَزُّ مِنْ سُلْطَانِهِ، وَاغْلِبْهُ لِي بِقُوَّتِكَ الْقَوِيَّةِ، وَمَحالِكَ الشَّدِيدِ، وَامْنَعْنِي بِمَنْعَتِكَ الَّتِي كُلُّ خَلْقٍ فِيهَا ذَلِيلٌ، وَابْتَلِهِ بِفَقْرٍ لاَ تَجْبُرُهُ، وَبِسُوءٍ لاَ تَسْتُرُهُ، وَكِلْهُ إِلَىٰ نَفْسِهِ فِيمَا يُرِيدُ، إِنَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ.

وَأَبْرِئْهُ مِنْ حَوْلِكَ وَقُوَّتِكَ، وَكِلْهُ إِلَىٰ حَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ، وَأَزِلْ مَكْرَهُ بِمَكْرِكَ، وَادْفَعْ مَشِيَّتَهُ بِمَشِيَّتِكَ، وَأَسْقِمْ جَسَدَهُ، وَأَيْتِمْ وُلْدَهُ، وَانْقُصْ أَجَلَهُ، وَخَيِّبْ أَمَلَهُ، وَأَزِلْ دَوْلَتَهُ، وَأَطِلْ عَوْلَتَهُ، وَاجْعَلْ شُغْلَهُ فِي بَدَنِهِ، وَلاَ تَفُكَّهُ مِنْ حُزْنِهِ، وَصَيِّرْ كَيْدَهُ فِي ضَلاَلٍ، وَأَمْرَهُ إِلَىٰ زَوالٍ، وَنِعْمَتَهُ إِلَىٰ انْتِقالٍ، وَجَدَّهُ فِي سَفالٍ، وَسُلْطَانَهُ فِي اضْمِحْلاَلٍ، وَعَاقِبَتَهُ إِلَىٰ شَرِّ مَآلٍ، وَأَمِتْهُ بِغَيْظِهِ إِذَا أَمَتَّهُ، وَأَبْقِهِ لِحُزْنِهِ إِنْ أَبْقَيْتَهُ، وَقِنِي شَرَّهُ وَهَمْزَهُ وَلَمْزَهُ وَسَطْوَتَهُ وَعَداوَتَهُ، وَالْمَحْهُ لَمْحَةً تُدَمِّرُ بِهَا عَلَيْهِ، فَإِنَّكَ أَشَدُّ بَأْساً، وَأَشَدُّ تَنْكِيلاً، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ»[1].

هلاك المتوكِّل:

واستجاب الله دعاء وليّه الإمام الهادي عليه السلام فقصم ظهر عدوّه، وانتقم منه أشدّ ما يكون الانتقام، فلم يلبث المتوكّل بعد هذا الدُّعاء سوى ثلاثة أيّام حتّى أودى الله بحياته، وجعله أثراً بعد عين.



(١) مهج الدعوات: ص٣٣٠ ـ ٣٣٧.

عصر الإمام عليه السلام

الحياة السياسيّة في عصر الإمام الهادي عليه السلام

أمّا الحياة السياسيّة في عصر الإمام الهادي عليه السلام، فقد كانت بشعة للغاية، فقد عدم الأمن والاستقرار في جميع أنحاء العالم الإسلامي، وانتشرت الفوضى في كلّ مكان لأنَّ السلطة العبّاسيّة قد فقدت هيمنتها، ولم تعدّ لها تلك القوّة الرهيبة التي كانت تتمتّع بها أيّام المنصور والرشيد والمأمون، أمّا سبب ذلك فيستند إلى ما يلي:

تسلُّط الأتراك على الحكم:

وتسلّط الأتراك على زمام الحكم، واستولوا على جميع أجهزة الدولة بحيث لم يعد للخليفة العبّاسي أي نفوذ أو سلطان، وإنّما كان الأمر بأيدي الأتراك، فهم الذين يولّون من شاؤوا ويعزلون من شاؤوا من الخلفاء فضلاً عن الوزراء والعمّال.

وقد صوَّر ذلك المعتمد نفسه بقوله:

أَلَـيْـسَ مِـنَ الـعَـجَـائِـبِ أنَّ مِـثْـلِـي ... يَـرىٰ مَـا قَـلَّ مُـمْـتَـنِـعـاً عَـلَـيْـهِ
وَتُـؤْخَـذُ بِـاسْـمِـهِ الـدُّنْـيـا جَـمِـيـعـاً ... وَمَـا مِـنْ ذَاكَ شَـيْءٌ فِـي يَـدَيْـهِ[1]

لقد تدهورت الخلافة وفقدت هيبتها وهيمنتها، ولم يعد للخليفة أي أهميّة، ومن طريف ما ينقل أنّه لمّا ولي المعتزّ بالله استدعى بعض أصحابه جماعة من المنجّمين فسألوه: كم يبقى الخليفة على كرسي الحكم؟ وكم المدّة التي يعيش فيها؟

فانبرى بعض الظرفاء، فقال: أنا أعرف ذلك. فقالوا له: أخبرنا عن ذلك.

فقال: إنَّ الأمر بيد الأتراك، فهم الذين يقرّرون مدّة حكمه وحياته، فلم يبق أحد إلاّ غلبه الضحك.

---

(١) الديارات: ص١٠١. تاريخ الإسلام: ٢٠/ ٣٢.

ولمَّا ولَّىٰ المعتصم (أشناس) وجعل له الحقّ في أن يولِّي عليها ولاة من قِبله، وكان يدعى له على المنابر[١].

وكان الدُّعاء قبل ذلك مختصّاً بالخلفاء، وفي أيَّام الواثق ولي (أشناس) على بغداد، وأمدَّ في سلطانه إلى آخر أعمال المغرب، وأسند إليه شؤون هذه الأقاليم يولي عليها من شاء من دون مراجعته، واستخلفه على جميع أُمور الملك، وألبسه وشاحين من جوهر[٢].

جهل الأتراك:

ولم تكن للأتراك أيَّة معرفة بشؤون الحكم والإدارة، ولا معرفة لهم بالأُمور السياسيَّة والاقتصاديَّة، وكانوا مشابهين للبدو في جميع أنحاء سلوكهم.

يقول عنهم الجاحظ: «الترك أصحاب خيام، وسكَّان فياف، وأرباب مواش، وهم أعراب العجم.. فحين لم تشغلهم الصناعات والتجارات والطبّ والفلاحة والهندسة، ولا غرس ولا بنيان، ولا شقّ أنهار، ولا جباية غلاَّت، ولم يكن همَّهم غير الغزو والغارة، والصيد، وركوب الخيل، ومقارعة الأبطال، وطلب الغنائم، وتدويخ البلدان، وكانت همَّتهم إلى ذلك معروفة، وكانت لهذه المعاني والأسباب مسخَّرة ومقصورة عليها، وموصولة بها، أحكموا ذلك الأمر بأمره، وأتوا على آخره، وذلك هو صناعتهم وتجارتهم ولذَّتهم وفخرهم وحديثهم وسمرهم».

لقد صارت أُمور الدولة بأيدي هؤلاء الجفاة الذين لا عهد لهم بالحضارة والصناعة، فتعرَّضت البلاد من جرَّاء ذلك إلى أزمات خطيرة، ومشاكل رهيبة، ومينت بكثير من الخطوب والأحداث.

فساد الحكم:

وكان من النتائج المباشرة في استيلاء الأتراك على السلطة هو فساد الحكم، وفقدان المسؤوليَّة، وكان من أبرز ألوان ذلك الفساد انتشار الرشوة، واختلاس الموظّفين لأموال الشعب، فكان الوزراء والولاة والكتَّاب يختلسون أموال الخرائج والضرائب، وما كان يصير إلى الدولة من البلدان المختلفة.

---

(١) تاريخ الطبري: ٧/ ٢٦٥.

(٢) البداية والنهاية: ١٠/ ٣٢٨.

وقد صادر الواثق في سنة (٢٢٩هـ) كتاب الدواوين، وأخذ منهم ما يقرب من مليوني دينار[١].

وصادر المتوكِّل أموال ابن الزيَّات التي اختلسها، كما صادر أموال كاتبه عمر بن الفرج الرخجي، ويُقال: إنَّه أخذ منه ما قيمته مائة وعشرون ألف دينار، ومن أخيه مائة وخمسين ألفاً[٢].

كما أخذ من قاضي القضاة يحيى بن أكثم خمسة وسبعين ألف دينار[٣].

وعلَّق شوقي ضيف على ذلك بقوله: «ومعنى ذلك أنَّ الوزراء ومثلهم الكتَّاب والولاة كانوا يختلسون أموال الدولة والأُمَّة، ويخيّل إلى الإنسان أنَّه لم يعد هناك موظَّف كبير في الدولة لا يقترف هذه الجريمة النكراء، وكان الولاة يرشون الوزراء ليظلّوا في ولاياتهم، وبلغت الرشوة أحياناً مائتي ألف دينار غير ما يرافقها من التحف والهدايا»[٤].

وحتَّى رجال الحِسبة كانوا يرتشون ويختلسون الأموال في أثناء مراقبتهم للتجَّار وحركة البيع والشراء في الأسواق على نحو ما يروى عن أحمد بن الطيب بن مروان السرخسي الفيلسوف إذ خان الأمانة في ولايته الحسبة ببغداد، وكان من جملة ما أخذه مائة وخمسين ألف دينار[٥].

ولا نبالغ إذا قلنا إنَّه كان يتورَّط في هذا الاختلاس، وما يُطوى فيه من الرشوة أكثر موظّفي الدولة[٦].

إنَّ انتشار الرشوة على هذا النحو الواسع دليل واضح على فساد المسؤولين في جهاز الحكم العبَّاسي، وأنَّ أغلب الموظّفين كانوا يختلسون أموال المسلمين بغير حقّ.

اضطهاد العلويِّين:

وكان من أسوأ صور السياسة الخرقاء التي انتهجها العبَّاسيّون هو اضطهادهم للسادة العلويِّين دعاة الإصلاح والعدل الاجتماعي في الإسلام، فقد امتحنوا أشدّ ما يكون الامتحان، وعانوا من الإرهاق ما لم يعانيه أحد في دنيا الإسلام، خصوصاً في أيَّام

(١) تاريخ الإسلام/ الذهبي: ١٦/ ٣٣.
(٢) مروج الذهب: ٤/ ١٩.
(٣) تاريخ ابن خلدون: ٣/ ٢٧٦. البداية والنهاية: ١٠/ ٣٥١.
(٤) العصر العبَّاسي الثاني: ص٢٠ و٢١.
(٥) مروج الذهب: ٤/ ١٧٠.
(٦) العصر العبَّاسي الثاني: ص٢١.

المتوكِّل، فقد جهد في ظلمهم والتنكيل بهم، وصبَّ عليهم وابلاً من المحن والخطوب، وكان فيما يقول المؤرّخون يحبِّب له ظلمهم وزيره عبيد الله بن يحيى بن خاقان[١].

الحصار الاقتصادي:

وفرض المتوكِّل الحصار الاقتصادي على العلويِّين، فقد منع رسميّاً البرّ بهم، والإحسان إليهم، وكان لا يبلغه أنَّ أحداً برّهم، وإن كان قليلاً، إلاَّ أنهكه عقوبة وأثقله غرماً[٢].

وقد امتنع الناس من صلتهم وإكرامهم، وإيصال أي حقّ من الحقوق الشرعيَّة لهم خوفاً من سطوة الطاغية وعقابه.

وأضرَّ الحصار الاقتصادي بالسادة العلويِّين، وأنهكهم إلى حدّ لا يوصف حتَّى بلغ بهم الحال أنَّ القميص يكون بين جماعة من العلويَّات تصلِّي فيه واحدة بعد واحدة، وكُنَّ يرقعنه، يجلسن على مغازلهنَّ عواري، حواسر[٣] في حين أنَّ الطاغية المتوكِّل كان ينفق على لياليه الحمراء الملايين من الدنانير، وكان يهب ـ بلا حساب ـ آلاف الدنانير إلى المغنِّين واللاَّهين والمخنّثين، ويمنع ذرِّيَّة رسول الله صلى الله عليه وآله وعترته الطيِّبين من أن يصلهم أحد بشيء من حقوقهم، قد أشاع فيهم الفقر والبؤس والحرمان.

اعتقال العلويِّين:

ومن بين المحن الشاقَّة والعسيرة التي تعرَّض لها العلويّون في أيَّام الطاغية المتوكِّل هو اعتقال أكثرهم، وزجّهم في ظلمات السجون لا لذنب اقترفوه وإنَّما لمطالبتهم بحقوق الأُمَّة، وتبنِّيهم لأهدافها وآمالها.

ثورة الشهيد يحيى:

وثار الشهيد الخالد يحيى بن عمر بن الحسين بن زيد في وجه الظلم والجبروت مطالباً بحقوق المظلومين والمضطهدين والمعذَّبين، وداعياً إلى إقامة حكم الله في الأرض، وكان يتحلَّىٰ بجميع الصفات الكريمة والنزعات الشريفة، فكان فارساً شجاعاً بعيداً عن رهق الشباب، وما يُعاب به مثله[٤].

---

(١) مقاتل الطالبيِّين: ص٥٩٧.
(٢) مقتل الطالبيِّين: ص٥٩٩.
(٣) مقاتل الطالبيِّين: ص٥٩٩.
(٤) مقاتل الطالبيِّين: ص٦٣٩.

وقد أحبَّه الناس وأخلصوا له لأنَّه استفتح أُموره بالكفِّ عن الدماء، والتورُّع عن أخذ شيء من أموال الناس، وقد أظهر العدل والإنصاف.

أمَّا السبب في ثورته فهو لجفوة لحقته، ومحنة نالته أيَّام المتوكّل وغيره من الأتراك[١].

وقد تبعه أخلاط من أهل الكوفة فثار بهم أيَّام المستعين العبَّاسي، وقد ندب إلى قتاله محمَّد بن طاهر، فزحف إليه في جيش مكثَّف، وبعد صراع رهيب سقط يحيى قتيلاً، وقد انطوت بقتله صفحة من صفحات الجهاد المشرِّف في الإسلام، وجلس محمَّد بن طاهر مجلساً عامّاً للتهنئة بقتل ذرِّية رسول الله ﷺ، فجعل الأوغاد والأذناب يبدون له الأفراح والمسرَّات ويهنِّئونه بالنصر والظفر بقتل ابن رسول الله ﷺ، ودخل عليه أبو هاشم الجعفري، وقد ضاقت عليه الأرض من لوعة المصاب والحزن، فقال له: «أيُّها الأمير، إنَّك لتهنأ بقتل رجل لو كان رسول الله ﷺ حيّاً لعزّي به».

ووجم ابن طاهر وساد صمت رهيب في المجلس، وخرج أبو هاشم وهو يقول:

يا بَني طاهِرٍ كُلوهُ وَبِيّاً إنَّ لَحْمَ النَّبِيِّ غَيْرُ مَرِيِّ
إنَّ وِتْراً يَكونُ طالِبَهُ اللَّـ ـهُ لَوِتْرٌ بِالفَوتِ غَيْرُ حَرِيِّ[٢]

وسبقت الأُسارى من أصحاب يحيى إلى بغداد، وقد لحقهم من العسف وسوء الحال ما لا يوصف لفظاعته، ويقول المؤرّخون: إنَّهم كانوا يساقون حفاة سوقاً عنيفاً ومن تأخّر ضربت عنقه، حتَّى ورد كتاب المستعين بتخلية سبيلهم، فأُطلق سراحهم[٣].

وعلى أيِّ حال، فقد كان قتل يحيى من الأحداث الجسام في ذلك العصر، فقد انتهكت في قتله حرمة النبيّ ﷺ في ذرِّيَّته الذين جعل القرآن العظيم مودَّتهم والولاء لهم أجراً للنبيّ ﷺ على أتعابه في أداء رسالته.

هدم قبر الحسين عليه السلام:

من المآسي الرهيبة التي مُني بها المسلمون في ذلك العصر إقدام المتوكّل الطاغية على هدم قبر الإمام الحسين عليه السلام الذي هو رمز للكرامة الإنسانيَّة، ورمز لجميع فضائل الدُّنيا، ورمز لكلّ ما يعتزّ به الإنسان من القيم العليا.

---

(١) مروج الذهب: ٤/ ٩٣.
(٢) مروج الذهب: ٤/ ٩٣.
(٣) مقاتل الطالبيِّين: ص٦٤٤.

لقد كان المتوكّل يتحرَّق غيظاً لما يسمعه من ازدحام الناس وتهافتهم على زيارة قبر ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله في حين أنَّ قبور آبائه وقبور إخوانه الأمويِّين قد صارت في مزبلة من مزابل الأرض في أمكنة قفراء موحشة مظلمة، وهي مأوى للوحوش الضارية، وهي ببؤسها تحكي ظلمهم وجورهم وبطشهم بالمسلمين.

أمَّا السبب المباشر لإقدامه على هدم القبر الشريف هو أنَّ بعض المغنِّيات كانت تبعث إليه بجواريها قبل أن يتقلَّد الخلافة ليغنّين له إذا شرب الخمر، فلمَّا ولي الخلافة بعث إليها لتسعفه بمغنيَّة فأُخبر أنَّها غائبة، وكانت قد مضت إلى زيارة قبر الإمام الحسين عليه السلام، وانتهى إليها الخبر وهي في كربلاء، فأسرعت الرجوع إلى بغداد وبعثت إليه بإحدى جواريها التي كان يألفها، فقال لها: أين كنتم؟

قالت: إنَّ مولاتي قد خرجت إلى الحجّ، وأخرجتنا معها، وكان ذلك في شهر شعبان.

فبهر المتوكّل وقال: إلى أين حججتم في شعبان؟

قالت: إلى قبر الحسين.

وفزع الطاغية وانتفخت أوداجه، وورم أنفه حينما سمع بالزيارة لقبر الحسين عليه السلام، فاعتقل مولاة الجارية، وصادر جميع أموالها[1]، وأوعز إلى العمَّال بهدم القبر الشريف، فامتنع العمَّال المسلمون من هدم قبر ريحانة نبيّهم، ولم يقدموا على ذلك، وتحرَّجوا أعظم ما يكون التحرُّج، فأوعز إلى اليهود وعلى رأسهم الديزج فاستجابوا له، وإلى ذلك يشير ابن الرومي في رائعته:

وَلَمْ تَقْنَعوا حَتَّىٰ اسْتَثارَتْ قُبورَهُمْ كِلابُكُمُ مِنْهَا بَهِيمٌ وَدَيزَجُ[2]

منع المسلمين من زيارة الحسين عليه السلام:

ومنع المتوكّل رسميّاً المسلمين من زيارة ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وسيِّد شباب أهل الجنَّة الغريب المظلوم، وقد أقام المسالح والمراصد، وبثَّ العيون لملاحقة الزائرين ومطاردتهم، وإنزال أقسى العقوبة بهم التي منها القتل والصلب وقطع الأيدي وغير ذلك من صنوف التنكيل، وبالرغم من هذه الإجراءات القاسية، فإنَّ المسلمين لم يمتنعوا من زيارة سبط نبيّهم، فقد ازدحموا على القبر الشريف، ولمَّا علم بذلك أنفذ إليهم أحد

(١) مقاتل الطالبيِّين: ص٤٧٨.
(٢) مقاتل الطالبيِّين: ص٦٥٨.

قوّاده، وضمَّ إليه جيشاً مكثَّفاً ليمنعهم من زيارته، فثار أهل السواد في وجهه وقالوا له: لو قتلتنا عن آخرنا لما امتنعنا عن زيارته، فكتب بذلك إلى المتوكّل، فأمره بالكفِّ عنهم.

وفي سنة (٢٤٧هـ) بلغ المتوكّل أنَّ المسلمين قد أقبلوا بكثرة هائلة إلى زيارة المرقد العظيم، فأنفذ إليهم جيشاً كثيراً، وأمر مناديه فنادى: «أن برئت الذمَّة ممَّن زار قبر الحسين»[1].

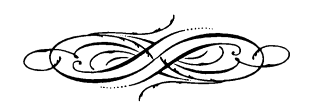
واتَّخذ جميع الإجراءات المشدَّدة من القتل والسجن وفرض الضرائب عليهم، إلاَّ أنَّه لم يفلح بذلك، فقذ بذل المسلمون أرواحهم وأموالهم بسخاء لزيارة الحسين عليه السلام.

تذمُّر المسلمين:

وتذمَّر المسلمون أشدّ ما يكون التذمُّر من المتوكّل، وسبّوه في الأندية والمجالس، وكتبوا سبّه على المساجد والجدران، في شوارع بغداد وغيرها.

لقد زاد العبَّاسيّون على ما فعله إخوانهم الأمويّون في ظلم العلويِّين والتنكيل بهم، ومن الحقّ أنَّ الأمويِّين على ما فيهم من شدَّة وقسوة فإنَّهم أشرف بكثير وأنبل من أكثر ملوك بني العبَّاس، فقد كانت لبعضهم من الفواضل ما ليست لمؤسِّس دولتهم المنصور الدوانيقي، كما يقول الإمام الصَّادق عليه السلام.

وبهذا ينتهي بنا الحديث عن الحياة السياسيَّة في عصر الإمام أبي الحسن الهادي عليه السلام.



(١) شرح شافية أبي فراس: ٢، الورقة ١٤٤.

الحياة الاقتصاديَّة

أمَّا الحياة الاقتصاديَّة في عصر الإمام الهادي عليه السلام، فقد كانت مضطربة للغاية، فلم يكن هناك نظام اقتصادي علمي تسير عليه الدولة، وإنَّما كانت البلاد ترزح تحت فوضى اقتصاديَّة غير خاضعة للنظام الاقتصادي الإسلامي وغيره، قد تسلَّط الخلفاء والأتراك والوزراء والعمَّال على سلب اقتصاد الأُمَّة، ونهب ثرواتها، واحتكار الأموال الطائلة في خزائنهم الخاصَّة، في حين كان البؤس والفقر سائدَين في جميع أنحاء البلاد، وكانت الأكثريَّة الساحقة من أبناء الشعوب الإسلاميَّة تئنُّ تحت وطأة الفقر لم تتمكَّن من الحصول على ضروريات الحياة فضلاً عن كماليَّاتها.

نفقات المتوكّل:

وكان المتوكّل ينفق أموال المسلمين بلا حساب على شهواته ورغباته، فكان بيت المال ملكاً له يتصرَّف فيه حيثما شاء، وقد قال المسعودي: «إنَّ النفقات لم تبلغ في وقت من الأوقات ما بلغته في أيَّام المتوكّل»[1].

وقد حظي بها ما يلي:

١ ـ المغنّين.

٢ ـ جواري القصر التي كانت تُعدُّ بأربعة آلاف.

٣ ـ اللاهين والمضحكين.

٤ ـ الشعراء الذين ينتقصون أهل البيت عليهم السلام، وكان يبذل لهم الهبات والأموال الكثيرة.

هؤلاء بعض الذين كان ينفق عليهم المتوكّل من أموال الدولة التي يجب أن تنفق على صالح المسلمين وتطوير حياتهم.

---

(١) مروج الذهب: ٤/١٥٩.

دعوة بركوار:

وهذه الدعوة من أهمّ الدعوات التي أُقيمت في العالم العربي والإسلامي، وقد أقامها المتوكّل حينما ختن بعض أولاده، وقد أنفق فيها من الأموال ما لا يحصى، فقد نقل العمراني صورة عن تلك الدعوة، قال: «ونصب السماط على حافَّة دجلة، وتناول الناس الطعام على اختلاف طبقاتهم، ثمَّ قدّمت لهم أقداح الشراب فشربوا، وأمر المتوكّل أن تنتقل الدراهم والدنانير المختلطة في الغرائر[١] ونصب قباباً بين أيدي الناس، وأمر منادياً فنادى كلّ من شرب قدحاً فليأخذ ثلاث حفنات، فأخذ كلّ واحد ثلاث حفنات، واستمرَّ الوضع إلى آخر النهار، كما أمر المتوكّل أن تصبّ الدنانير والدراهم المختلطة في وسط المجلس، فصبَّت وقد بلغت من الكثرة أن حالت من رؤية بعضهم بعضاً، ونادى مناديه: أنَّ أمير المؤمنين أباح لكم نهب هذه الأموال، فوقع الناس عليها وأخذوها.

ولمَّا جاء اللَّيل اشتعلت الشموع من العنبر، وكان بعضها كالنخلة، ونصبت بعضها على ساحل دجلة، فكان الإنسان في الجانب الآخر من ساحل دجلة يقرأ الكتب على ضوء تلك الشموع.

والتفت المتوكّل إلى شيخ معمّر فقال له: أين دعوة بركوار، من دعوة فم الصلح؟

أمَّا دعوة فم الصلح فهي الاحتفال بزواج المأمون بالسيِّدة بوران، وقد أنفق فيه من الأموال ما لم يشاهد مثله في جميع مراحل التاريخ الإنساني، وقد نقل الشيخ في حديثه جانباً منه، قال: «لا يمكنني ذكر التفصيل، ولكن أذكر جملة استدلَّ بها على ما أقوله: شاهدت في عرس بوران بفم الصلح على باب القرية كالجبل العظيم من القوانس والكبود للدجاج والبطّ والوزّ والحملان والصيود وأنواع الطير بحيث جاف العسكر، واحتاج الحسن بن سهل إلى أن أحضر جمال العرب، فنقلت بعضها، ورمى البعض منها في دجلة، فلم يمكن الشرب منه أيَّاماً لنتن رائحته. وشاهدت يا أمير المؤمنين خدمك وغلمانك في دعوة بركوار يتخاصمون على القوانس والكبود!!».

فبهر المتوكّل وراح يقول: الله أكبر ما تركوا لنا ما نُذكر به[٢].

الاحتفال بالبيعة لأولاده:

وأنفق المتوكّل الأموال الطائلة في الاحتفال الذي أقامه بمناسبة البيعة لأولاده،

---

(١) الغرائر: هي الجوالق، وهو العدل من الصوف أو الشعر.

(٢) الأنباء في تاريخ الخلفاء: ص٨٣ و٨٤.

وهم: محمَّد ولقبه المنتصر، والزبير ولقبه المعتزّ، وإبراهيم ولقبه المؤيّد، وقد صادفت البيعة في يوم الاثنين غرَّة المحرَّم سنة (٢٣٦هـ)، وقد دعا الناس دعوة عامَّة، وأنفق من الأموال ما يبهر العقول، فقد نصب سماطاً طوله أربعة فراسخ في البستان الذي غرسه بسامرَّاء الذي بنى فيه قصره المعروف بالجعفري، وكان طوله سبعة فراسخ، وعرضه فرسخ واحد، وقد امتلأ هذا القصر على سعته بالناس، وقد وضعت تماثيل العنبر والكافور ونوافج المسك بين أيدي الناس في جملة الرياحين والمشمومات، وكانت تنقل من الخزائن بالزبل[1] والغرائر، ولكلّ منها شرب قدحاً تناول منها فشمَّها، وأدخلها في كمّه أو سلَّمها إلى غلامه، وكلَّما نفدت أُعيد بدلها، هكذا من طلوع الشمس إلى غروبها.

وكان المتوكّل جالساً على سرير من ذهب مرصَّع بالجوهر فيه ألف منّ، وولاة العهود وقوف بين يديه، وعليهم التيجان المرصَّعة، والناسعلى طبقاتهم بين جالس وقائم، وقد طلعت الشمس على أواني الذهب التي كانت منتشرة في المجلس، ومناطق الذهب والسيوف والتس المحلاَّة بالذهب، وهي ممَّا تخطف الأبصار، وقد انبرى إبرهيم بن العبَّاس الصولي أمير الأهواز فأنشد بين السماطين:

أضْحَتْ عُرى الإسْلامِ وَهِيَ مَنوطَة ... بالنَّصرِ وَ الإعْزازِ والتأييد
بِخَلِيفَةٍ مِنْ هَاشِمٍ وَثَلاثَةٍ ... كَنَفوا الْخِلافَةَ مِنْ وُلاةِ عُهودِ
كَنَفَتُهُمُ الآباءُ وَاكْتَنَفَتْ بِهِمْ ... فَسَعَوا بِأكْرَمِ أنْفُسٍ وَجُدودِ[2]

الجواري:

واكتظَّت قصور ملوك بني العبَّاس بالجواري اللاتي جلبن من مختلف أنحاء البلاد، فكان للمتوكّل العبَّاسي أربعة آلاف جارية، وقد قاربهنَّ جميعاً[3]، وكانت له جارية يهواها، ولا يصبر على فراقها، فوقفت أمامه وقد كتبت على خدّها بالغالية «جعفر»، فتأمَّلها ثمَّ أنشأ يقول:

وَكاتِبَة فِي الخَدِّ بِالْمسكِ جَعْفَراً ... بِنَفْسِيَ مَحَطّ الْمِسْكِ مِنْ حَيْثُ أثَّرا
لَئِنْ أوْدَعَتْ سَطْراً مِنَ الْمِسْكِ خَدَّها ... لَقَدْ أوْدَعَتْ قَلْبِي مِنَ الْحُبِّ أسْطُرا[4]

---

(١) الزبل: جمع مفرده زبيل، وهو القفة والوعاء.
(٢) الأنباء في تاريخ الخلفاء: ص٨٣.
(٣) مروج الذهب: ٤/ ١٤١.
(٤) سير أعلام النبلاء: ١٢/ ٣٣. مروج الذهب: ٤/ ١٤٤.

ومن الطبيعي أنَّ هذه الجواري كان ينفق عليها ملايين الدنانير من بيت مال المسلمين، وبذلك كان الاقتصاد العامّ مُصاباً بالشلل نتيجة هذه التصرُّفات الشاذَّة.

القصور:

وبنى المتوكّل العبَّاسي وغيره من ملوك العبَّاسيِّين القصور الفخمة التي لم يوجد مثلها في البلاد، وقد بنى المتوكّل قصراً في سفينة.

وقد أنفق المتوكّل على قصوره الملايين من الدنانير.

يقول الشابشتي: «إنَّه كلَّفته مائتي ألف وأربعة وسبعين ألف ألف درهم، ومن العين مائة ألف دينار تكون قيمة الورق بعرف الوقت مع ما فيه من العين ثلاثة عشر ألف ألف دينار وخمسمائة ألف ألف وخمسة وعشرون ألف دينار»[١].

وقال النويري: «أنفق المتوكّل في بناء قصوره مائة ألف دينار، وخمسين ألف ألف عيناً، ومائتي ألف ألف وثمانية وخمسين ألف ألف وخمسمائة ألف درهم»[٢].

الهبات للشعراء:

ووهب المتوكّل وغيره من ملوك العبَّاسيِّين الأموال الطائلة للمرتزقة من الشعراء الذين كانو من أهمّ أجهزة الإعلام في ذلك العصر، وقد حظي الشعراء الذين ينالون من العلويِّين بالأموال الطائلة، وذلك لتثبيت مركز العبَّاسيِّين وإغراء المسلمين بأنَّهم أقرب إلى النبيّ ﷺ وأحقّ بمركزه من العلويِّين.

الحياة الاقتصاديَّة العامَّة:

أمَّا الحياة الاقتصاديَّة العامَّة في البلاد الإسلاميَّة، فقد كانت سيِّئة للغاية، فقد نهش الفقر أغلب الناس، فكانوا في ضيق وجهد شديدين، فقد انحصرت الثروة العامَّة عند المغنّين والملهّين، وحاشية السلطان وعملائه، خصوصاً الأتراك، فهؤلاء الذين تكدَّست بيوتهم بالأموال فحاروا في صرفها، فلم يتركوا لوناً من ألوان اللذَّة والشهوات إلاَّ أنفقوا الأموال الطائلة بسخاء فيها، وكلَّما سئموا من شهوة مالوا إلى أُخرى، وهكذا انقضت حياتهم بين اللهو والغناء وعقد مجالس الشراب في القصور الفخمة التي بُنيت بأموال الفقراء والمحرومين والبؤساء.

---

(١) الديارات: ص١٠٢.

(٢) نهاية الإرب: ١/٤٠٦.

وعلى أيٍّ حال، فإنَّ الحياة الاقتصاديَّة في أغلب شعوب العالم الإسلاميَّة كانت مشلولة ومضطربة، وهذا ممَّا دعا بعض رجال الإصلاح الاجتماعي إلى القيام بثورات مسلَّحة ضدّ الحكم العبَّاسي، وقد عرضنا لبعضها في البحوث السالفة.

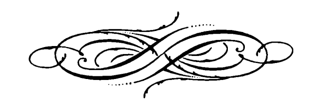
جباية الخراج:

وجباية الخراج ممَّا ترتبط بالبحث عن الحياة الاقتصاديَّة، فقد أسندت الحكومة العبَّاسيَّة هذه الوظيفة إلى جماعة من القساة والأشدَّاء، وكانوا يجبون الأموال الخراجيَّة والضرائب التي لم يشرِّعها الإسلام في قسوة وعنف، وقد صوَّر ذلك ابن المعتزّ في أُرجوزته يقول:

فكم وكم من رجل نبيل ... ذي هيبة ومركب جليل
رأيته يحتلّ بالأعوان ... إلى الحبوس وإلى الديوان
وجعلوا في يده حبالا ... من قنب يقطع الأوصالا
وعلَّقوه في عرى الجدار ... كأنَّه برادة في الدار
وَصَفَقوا قفاهُ صَفْقَ الطَّبْلِ ... نَصْباً بِعَينِ شامِتٍ وَخِلٍّ
وَصَبَّ سَجَّانٌ عَلَيْهِ الزَّيْتا ... فصارَ بَعْدَ بَزَّةٍ كَمَيْتا

البؤس العامّ:

وعانت الأغلبيَّة الساحقة من الشعوب الإسلاميَّة البؤس والفقر والحرمان في مختلف العصور العبَّاسيَّة، وقد كثرت شكوى العلماء والأُدباء ورجال الفكر من سوء حياتهم الاقتصاديَّة.



الحياة الدِّينيَّة

أمَّا الحياة الدِّينيَّة في عصر الإمام الهادي عليه السلام فقد كانت قلقة ومضطربة، وأُثيرت حول العقيدة الإسلاميَّة كثير من الشكوك والأوهام أثارتها القوى الحاقدة على الإسلام والباغية عليه، وقد تصدَّى علماء المسلمين ـ وفي طليعتهم الإمام الهادي عليه السلام ـ إلى تزييفها والردّ عليها، وقد ذكرنا ذلك عند التعرُّض للبحوث الكلاميَّة التي أدلى بها الإمام عليه السلام.

بدع وأضاليل:

واندسَّت في صفوف الشيعة زمرة خبيثة من الملاحدة والمارقين من الدِّين، فأشعلوا نار الفتنة، ونشروا البدع والأضاليل في صفوفهم، وقد امتحن بها الإسلام أشدّ ما يكون الامتحان، وذلك لما أذاعوا من الباطل الذي أضلّوا به البسطاء والسذّج الذين لا يميِّزون بين الحقّ والباطل.. أمَّا رؤوس تلك البدع العفنة فهم:

١ ـ عليّ بن حسكة القمِّي.

٢ ـ القاسم اليقطيني.

٣ ـ الحسن بن محمَّد بن بابا القمِّي.

٤ ـ محمَّد بن نصير.

هؤلاء بعض دعاة البدع والإلحاد الذين حاربوا الإسلام، وحملوا معول الهدم على جميع قيمه وتعاليمه.

أباطيل ابن حسكة:

أمَّا أضاليل ابن حسكة وبدعه، فهي:

١ ـ إنَّ الإمام أبا الحسن الهادي عليه السلام هو الرَّبّ والخالق والمدبِّر لهذه الأكوان.

٢ ـ إنَّ ابن حسكة هو النبيّ والمرسل من قِبل الإمام لهداية الناس.

٣ ـ إسقاط كافَّة الفرائض الإسلاميَّة من الزكاة والحجّ والصوم لمن دان بمذهبه.

أمّا هذه البنود جاءت في الرسالة التي رفعها إلى الإمام بعض أصحابه، وهذا نصّها:

جعلت فداك يا سيّدي، إنَّ عليّ بن حسكة يدَّعي أنَّه من أوليائك، وأنَّك أنت الأوّل القديم، وأنَّه بابك ونبيّك، أمرته أن يدعو إلى ذلك، ويزعم أنَّ الصلاة والزكاة والحجّ والصوم كلّ ذلك معرفتك، ومعرفة من كان في مثل حال ابن حسكة فيما يدّعي من البابيّة[1] والنُّبوّة فهو مؤمن كامل سقط عنه الاستعباد بالصلاة والصوم والحجّ، وذكر جميع شرائع الدِّين، إنَّ معنى ذلك كلّه ما ثبت لك، ومال الناس إليه كثيراً، فإن رأيت أن تمنّ على مواليك بجواب في ذلك تنجيهم من الهلكة؟[2].

هذه بعض أضاليله التي أغرى بها السذّج الذين لا يملكون أي وعي وتدبُّر، فمالوا لبدعه وصدَّقوه.

براءة الإمام عليه السلام منه:

وأعلن الإمام عليه السلام براءته من ابن حسكة، ودعا إلى نبذه ونبذ أتباعه وقتلهم، وقد جاء ذلك في جوابه عن الرسالة المتقدِّمة.

قال عليه السلام: **«كَذِبَ ابْنُ حَسَكَةَ عَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ، وَبِحَسْبِكَ أنِّي لاَ أعْرِفُهُ فِي مَوالِيَّ، مَا لَهُ لَعَنَهُ اللَّهُ، فَوَاللَّهِ مَا بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّداً وَالأنْبِياءَ قَبْلَهُ إلاَّ بِالْحَنِيفِيَّةِ وَالصَّلاةِ وَالزَّكاةِ والصَّوْمِ والْحَجِّ وَالْوِلاَيَةِ، وَمَا دَعا مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله إلاَّ إلَىٰ اللَّهِ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَكَذٰلِكَ نَحْنُ الأَوْصِياءُ مِنْ وُلْدِهِ عَبِيدُ اللَّهِ لاَ نُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً إنْ أطَعْناهُ رَحِمَنا، وَإنْ عَصَيْناهُ عَذَّبَنا مَا لَنا عَلَىٰ اللَّه مِنْ حُجَّةٍ بَلِ الْحُجَّةُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْنا وَعَلَىٰ جَمِيعِ خَلْقِهِ، أبْرَأُ إلَىٰ اللَّهِ مِمَّنْ يَقُولُ ذٰلِكَ، وَانْتَفِي إلَىٰ اللَّهِ مِنْ هَذَا الْقَوْلِ، فَاهْجُروهُمْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ، وَالْجِؤوهُمْ إلى ضِيقِ الطَّريقِ، فَإنْ وَجَدْتُمْ أحَداً مِنْهُمْ فَاشْدِخوا رَأْسَهُ بِالْحَجَرِ»**[3].

وأعربت هذه الرسالة عن تأثُّر الإمام واستيائه من هذا الملحد الذي أعرض عن ذكر الله واتّخذ آياته هزواً، وقد أباح عليه السلام دمه ودم أتباعه.

---

(١) وفي نسخة: «النيابة».

(٢) رجال الكشّي: ٥١٩/٩٩٧.

(٣) رجال الكشّي: ٥١٩/٩٩٧.

بدع الفهري:

وكان محمَّد بن نصير الفهري النميري من رؤوس الملحدين، ومن أئمَّة الكفر وقد أشاع الضلال بين الناس، ومن بدعه:

١ ـ إنَّ الإمام الهادي عليه السلام هو الخالق والرَّبّ.

٢ ـ إباحة نكاح المحارم من الأُمَّهات والبنات والأخوات وغيرهنَّ من سائر المحارم.

٣ ـ إباحة اللواط، وإنَّه من إحدى الشهوات والطيِّبات التي لم يحرِّمها الله تعالى، وأنَّه من جملة التواضع لله.

٤ ـ القول بالتناسخ والغلوّ[1].

هذه بعض بدعه وأضاليله التي حاول محاربة الإسلام، وتشويه واقع الأئمَّة الطاهرين عليهم السلام.

تأويلهم للفرائض:

وأوَّل هؤلاء الضالّون الفرائض الإسلاميَّة حسب أهوائهم الفاسدة، فقالوا: إنَّ المراد بالصلاة التي أمر الله بإقامتها ليست هي العبادة المعروفة، وإنَّما هي رجل خاصّ، وكذلك الزكاة ليست هي الضريبة الماليَّة التي فرضها الله، وإنَّما هي رجل، وكذلك أوَّلوا المعاصي التي نهى الله عنها، وقد جاء ذلك في الرسالة التي رفعها إبراهيم بن شيبة إلى الإمام، وهذا نصّها:

جعلت فداك، إنَّ عندنا قوماً يختلفون في معرفة فضلكم بأقاويل مختلفة تشمئزُّ منها القلوب، وتضيق لها الصدور، يروون في ذلك الأحاديث لا يجوز لنا الإقرار بها لما فيها من القول العظيم، ولا يجوز ردّها، ولا الجحود بها إذا نُسبت إلى آبائك، فنحن وقوف عليها من ذلك، لأنَّهم يقولون ويتأوَّلون معنى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾[2]، وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾[3]، فإنَّ الصلاة معناها رجل، لا ركوع ولا سجود، وكذلك الزكاة معناها ذلك الرجل لا عدد دراهم ولا إخراج مال، وأشياء تشبهها من الفرائض والسُّنن والمعاصي تأوَّلوها وصيَّروها

---

(١) رجال الكشّي: ٥٢١/ ١٠٠٠٠.

(٢) سورة العنكبوت: الآية ٤٥.

(٣) سورة البقرة: الآية ٤٢.

على هذا الحدّ الذي ذكرت أن تبيِّن لنا، فإن رأيت أن تمنَّ على مواليك بما فيه سلامتهم ونجاتهم من هذه الأقاويل التي تصير إلى العطب والهلاك، والذين ادَّعوا أنَّهم أولياء ودعوا إلى طاعتهم منهم عليّ بن حسكة والقاسم اليقطيني، فما تقول في القبول منهم جميعاً؟

فكتب عليه السلام له: **لَيْسَ هَذَا دِينُنا، فَاعْتَزِلْهُ**[1].

لقد أُمتحن الإمام عليه السلام أشدّ ما يكون الامتحان بهؤلاء الضالّين الذين كفروا بالله، وجحدوا بآياته واتَّخذوها هُزُواً.

الإمام يحذِّر منهم:

وحذَّر الإمام أبو الحسن الهادي عليه السلام شيعته وسائر المسلمين من الاتّصال بهؤلاء الغلاة الملحدين، وقد كتب عليه السلام إلى عليّ بن محمَّد بن عيسى هذه الرسالة:

«لَعَنَ اللَّهُ الْقاسِمَ الْيَقْطِينِيَّ، وَلَعَنَ اللَّهُ عَلِيَّ بْنَ حَسَكَةَ الْقُمِّيَّ، إنَّ شَيْطاناً تَرائىٰ لِلْقاسِمِ فَيوحِي إلَيْهِ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُروراً»[2].

وكتب الإمام الهادي عليه السلام إلى العبيدي يحذِّره من أضاليل هؤلاء الغلاة، ويدعوه إلى البراءة منهم، وقد جاء في رسالته:

«أبْرَأُ إلَىٰ اللَّهِ مِنَ الْفِهْرِيِّ، وَالْحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ بابا الْقُمِّيِّ، فَابْرَأْ مِنْهُما، فَإنِّي مُحَذِّرُكَ وَجَمِيعَ مَوالِيَّ، وَإنِّي أَلْعَنُهُما عَلَيْهِما لَعْنَةُ اللَّهِ، مَسْتَأْكِلَيْنِ يَأْكُلانِ بِنا النَّاسَ، فَتَّانَيْنِ مُؤذِيَيْنِ آذاهُما اللَّهُ، أرْسَلَهُما فِي اللَّعْنَةِ، وَأرْكَسَهُما فِي الْفِتْنَةِ رَكْساً، يَزْعَمُ ابْنُ بابا أنِّي بَعَثْتُهُ، وَأنَّهُ بَابٌ عَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ، سَخِرَ مِنْهُ الشَّيْطانُ فَأغْواهُ، فَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ قَبِلَ مِنْهُ ذَلِكَ.

يَا مُحَمَّدُ، إنْ قَدِرْتَ أنْ تَخْدِشَ رَأْسَهُ بِالْحَجَرِ فَافْعَلْ، فَإنَّهُ قَدْ آذانِي، آذاهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيا وَالآخِرَةِ»[3].

وأعربت هذه الرسالة عن مدى تأثُّر الإمام وفزعه من هؤلاء الغلاة الملحدين الذين اندسّوا في صفوف الشيعة لاختلاس أموالهم، وأخذها بالباطل.

---

(١) رجال الكشّي: ٥١٧/ ٩٩٤.
(٢) رجال الكشّي: ٥١٨/ ٩٩٦.
(٣) رجال الكشّي: ٥٢٠/ ٩٩٩.

الإمام عليه السلام يأمر بقتل فارس:

ودعا الإمام الهادي عليه السلام شيعته إلى قتل زعيم الغلاة فارس بن حاتم، وضمن لمن قتله الجنَّة، فقد قال:

«هَذا فَارِسُ يَعْمَلُ مِنْ قِبَلِي فَتَّاناً دَاعِياً إِلَىٰ الْبِدْعَةِ وَدَمُهُ هَدْرٌ لِكُلِّ مَنْ قَتَلَهُ، فَمَنْ هَذا الَّذِي يُرِيحُنِي مِنْهُ وَيَقْتُلُهُ، وَأَنَا ضَامِنٌ لَهُ عَلىٰ اللَّهِ الْجَنَّةَ»[١].

وقد استجاب لنداء الإمام بعض المؤمنين فقتله[٢] وقد أراح الله منه العباد والبلاد.

الإمام عليه السلام يبيح قتلهم:

وأباح الإمام قتل الغلاة، فقد كتب إلى بعض شيعته رسالة جاء فيها:

«وَإِنْ وَجَدْتَ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ خَلْوَةً فَاشْدَخْ رَأْسَهُ بِالصَّخْرَةِ»[٣].

رسالة السري إلى الإمام عليه السلام في الغلاة:

وأرسل السري بن سلامة إلى الإمام أبي الحسن الهادي عليه السلام يسأله عن الغلاة، وما يدعون إليه، وما يتخوَّف من معرّتهم ـ أي فسادهم ـ ويسأله الدُّعاء له ولإخوانه للتخلّص من شرورهم.

فأجابه الإمام عليه السلام: **«عَدَلَ اللَّهُ عَنْكُمْ مَا سَلَكوا فِيهِ مِنَ الْغُلُوِّ، فَحَسْبُهُمْ أَنْ تَبَرَّأَ أَوْلِياؤُهُ مِنْهُمْ، وَجَعَلَ اللَّهُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مُسْتَقَرّاً، وَلاَ جَعَلَهُ مُسْتَوْدَعاً، وَثَبَّتَكُمْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الدُّنْيا وَالآخِرَةِ، ولاَ أَضَلَّكُمْ بَعْدَ إِذْ هَداكُمْ»**[٤].

لقد دعا له الإمام عليه السلام بالتخلُّص من شرور هؤلاء الملحدين الذين ضلّوا عن الطريق وانحرفوا عن الحقّ، وابتعدوا عن القصد.

أسباب الغلوّ:

أمّا الأسباب التي دعت إلى الغلوّ والقول بأنَّ الإمام الهادي عليه السلام هو الإلّه والخالق للأكوان فهي فيما نحسب ما يلي:

---

(١) رجال الكشّي: ٥٢٤/١٠٠٦.
(٢) رجال الكشّي: ٥٢٤/١٠٠٦.
(٣) وسائل الشيعة: ١٨/ ٥٥٤.
(٤) الدرّ النظيم: ص٧٣٢.

١ ـ ما ظهر للإمام من المعاجز والكرامات التي منحها الله له ولآبائه، فاستغلَّها المنحرفون عن الدِّين والحاقدون عليه لإظهار البدع، وإماتة الإسلام والإجهاز عليه.

٢ ـ التحلُّل من القيم والآداب الإسلاميَّة، فقد أباحوا كلّ ما حرَّمه الإسلام ونهى عنه.

٣ ـ الطمع بأموال الناس وأخذها بالباطل، والاستيلاء على الأموال التي تدفعها الشيعة إلى أئمَّتها عليهم السلام.

هذه بعض الأسباب التي دعت إلى القول بالغلوّ.

مع الواقفيَّة:

وبعد وفاة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام ظهرت على مسرح الحياة الإسلاميَّة فرقة من الشيعة سمّيت (الواقفيَّة)، وقد أنكرت وفاة الإمام موسى عليه السلام وزعمت أنَّه ارتفع إلى السماء كما ارتفع المسيح عيسى بن مريم، وإنَّما ذهب زعماء هذه الفرقة إلى ذلك لأنَّ عندهم أموالاً كثيرة من الحقوق الشرعيَّة للإمام موسى عليه السلام فاختلسوها، ولم يوصلوها من بعده إلى الإمام الرِّضا عليه السلام.

وقد بقيت هذه الفرقة تناهض الشيعة الإماميَّة، وتدخل المكروه والأذى عليهم حتَّى لقَّبتهم الشيعة بالممطورة تشبيهاً لهم بالكلاب التي أصابها المطر ومشت بين الناس فيتنجَّس بها كلّ من قربت منه، وكذلك هؤلاء الواقفيَّة في نجاستهم وضررهم على الشيعة.

وعلى أيِّ حال، فقد كتب بعض الشيعة رسالة إلى الإمام في شأنهم جاء فيها:

«جعلت فداك، هؤلاء الممطورة فأقنت عليهم في الصلاة»، أي يجوز لعنهم في قنوته، فأفتاه الإمام بالجواز[1].

مشكلة خلق القرآن:

من المسائل الرهيبة التي ابتلي بها المسلمون في حياتهم الدِّينيَّة، وامتحنوا أشدّ ما يكون الامتحان هي مسألة (خلق القرآن)، فقد ابتدعها الحكم العبَّاسي وأثاروها للقضاء على خصومهم، وقد قتل خلق كثيرون من جرَّائها، وانتشرت الأحقاد والأضغان بين المسلمين.

---

(١) الكشّي: ٤٦٠/ ٨٧٥. الممطورة: الكلاب المبتلَّة بالمطر، والمراد بها في الحديث الواقفة.

وقد كتب الإمام الهادي عليه السلام إلى أحمد بن إسماعيل بن يقطين في سنة (٢٢٧هـ) رسالة في شأن هذه المسألة جاء فيها بعد البسملة:

«عَصَمَنا اللَّهُ وَإِيَّاكَ مِنَ الْفِتْنَةِ، فَإِنْ يَفْعَلْ فَقَدْ أَعْظَمَ بِهَا نِعْمَةً، وَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ فَهِيَ الْهَلَكَةُ.

نَحْنُ نَرىٰ أَنَّ الْجِدالَ فِي الْقُرْآنِ بِدْعَةٌ اشْتَرَكَ فِيهَا السَّائِلُ وَالْمُجِيبُ، فَيَتَعاطَىٰ السَّائِلُ مَا لَيْسَ لَهُ، وَيَتَكَلَّفُ الْمُجِيبُ مَا لَيْسَ عَلَيْهِ، وَلَيْسَ الْخالِقُ إلاَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَمَا سِواهُ مَخْلوقٌ، وَالْقُرْآنُ كَلامُ اللَّهِ، لاَ تَجْعَلْ لَهُ اسْماً مِنْ عِنْدِكَ فَتَكُونَ مِنَ الضَّالِّينَ.

جَعَلَنا اللَّهُ وَإِيَّاكَ مِنَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ، وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقونَ»[1].

حياة اللهو:

وانغمس ملوك بني العبَّاس الذين عاصرهم الإمام في اللهو والطرب والشهوات، فكانت لياليهم الحمراء حافلة بالشرب والغناء واللهو، ليس فيها أي جدّ، كما ليس فيها أي ذكر لله تعالى، وقد صوَّر القاضي التنوخي عليّ بن محمَّد قاضي البصرة خليفة زمانه العبَّاسي بقوله:

نَشا بَينَ طُنْبورٍ وَزِقٍّ وَمِزْهَرِ وَفِي حِجْرِ شادٍ أوْ عَلىٰ صَدْرِ ضارِبِ

وإذا كان الخليفة قد نشأ نشأة لهو وطرب فكيف بغيره من الوزراء والكتَّاب والولاة والعمَّال، بل وسائر الناس، لقد تهالكوا على اللذَّة واللهو، وأعرضوا عمَّا يريده الإسلام لهم من حياة طاهرة نقيَّة، لا عبث فيها لا فجور.

ونعرض إلى بعض مظاهر حياة اللهو والمجون في ذلك العصر.

انتشار الخمر:

وشاع شرب الخمر في ذلك العصر، وتعاطاه المتوكّل العبَّاسي وسائر وزرائه وحاشيته، وكان عندهم شيئاً مألوفاً، ولم يعتنوا بتحريم الإسلام له وتشديده في عقابه.

وكان إهداء قناني الخمر عند العبَّاسيِّين من أثمن الهدايا، فقد روى عبد الله بن أحمد بن حمدون النديم، عن أبيه، قال: «غزونا مع المأمون والمعتصم بلد الروم، فأهدى إلينا محمَّد بن عبد الملك الزيَّات شراباً عتيقاً عراقيّاً، وكتب معه هذه الأبيات:

ما إنْ تَرىٰ مِثْلِي فَتىً أنْدىٰ يَداً وأعَمَّ جُودا

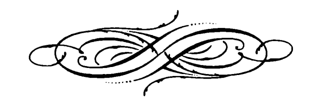
(١) التوحيد: ص٢٢٤.

أَسْقِي الصَّدِيقَ بِبَلْدَةٍ ... لَمْ يُرْوَ فِيهَا الماءَ عُودا
صَفراءَ صافِيَةً كَأَ ... نَّ عَلىٰ جَوانِبِها العُقودا
فَإِنِ اسْتَقَلَّ بِشُكْرِها ... أَوْجَهْتُ بِالشُّكْرِ المَزِيدا
خُذْها إلَيْكَ كَأَنَّما ... كُسِيَتْ زُجاجَتُها فَرِيدا
فَاجْعَلْ عَلَيْكَ بِأَنْ تَقو ... مَ بِشُكْرِها أَبَداً عُهودا[1].

لقد قضى المتوكّل معظم حياته بين كؤوس الخمر، وقد قتل وهو سكران ثمل لا يعي أي شيء. وإذا كان الخليفة لا يتأثَّم من شرب الخمر الذي حرَّمه الله، فكيف بغيره من جهاز دولته وسائر الناس.

إنَّ السلوك العامّ للمواطنين في ذلك العصر كان متّجهاً نحو الطرب والمجون، وقد شجَّعهم على ذلك تهالك ملوك بني العبَّاس على اللذَّة والفجور واللهو، ولم تكن للحياة الرُّوحيَّة أي أثر في قصورهم، ولا في سلوكهم.

وبهذا ينتهي الحديث عن عصر الإمام عليه السلام.



(١) التحف والهدايا: ص٢٤ و٢٥.

إلى جنّة المأوىٰ

وعانى الإمام الزكيّ أبو الحسن عليّ الهادي عليه السلام صنوفاً مرهقة من المحن والخطوب من طغاة بني العبّاس، فقد جهدوا على ظلمه والاعتداء عليه.

وكان المتوكّل من أكثرهم حقداً وظلماً له، فقد نقله من يثرب إلى سامرّاء، وفرض عليه الإقامة الجبريَّة فيها، وأحاط داره بقوى مكثّفة من المباحث والأمن وأخذت تحصي عليه أنفاسه، ومنع العلماء والرواة والفقهاء من الانتهال من نمير علومه، ونقل فتاواه وآرائه، وبذلك فقد جنى على العلم جناية لا تعدلها جناية.

كما فرض عليه الحصار الاقتصادي، فقد منع من إيصال الحقوق الشرعيَّة التي كانت ترد عليه من القطر وخارجه، وتركه في ضائقة ماليَّة خانقة، وكان يعهد إلى شرطته وجلاوزته بتفتيش داره بين حين وآخر لعلَّه يجد فيها من السلاح أو الكتب التي تناهض الحكم العبّاسي ليستحلّ بذلك إراقة دمه، إلاّ أنّه لم يجد فيها أي شيء.

وكان في بعض الأحيان يأمر بحمل الإمام عليه السلام إليه بالحالة التي هو فيها، وقد حُمل إليه مرَّة، وكان الطاغية ثملاً وبين يديه كؤوس الخمر وقنانيه، وقد أحاطت به جوقات المغنّين والمغنّيات، فوقف الإمام معه بصلابة وشدَّة، وأخذ يعظه ويذكّره الدار الآخرة، وينعى عليه ما هو فيه من اللهو والفسق والفجور، ولمّا رأى الطاغية إصرار الإمام على الابتعاد عنه، ورفضه للاتّصال به، وملازمته لطاعة الله وعبادته أمر باعتقاله وإيداعه في سجونه.

ويقول الرواة إنّه سمعه شخص في السجن وهو يقول: **أنا أكْرَمُ عَلىٰ اللّهِ مِنْ نَاقَةِ صالِحٍ**، وتلا قوله تعالى: ﴿تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾[1].

ولم تمض إلاّ أيّام الثلاثة حتّى هلك الطاغية، قتله ولده المنتصر[2].

ولم تنقض محنة الإمام وبلواه بعد هلاك عدوّه الطاغية المتوكّل، فقد ظلَّ الحكم

(١) سورة هود: الآية ٦٥.

(٢) أعلام الورى: ٢/٣٦٣.

العبَّاسي يراقبه ويبغي له الغوائل، ويكيد له في وضح النهار وغلس اللَّيل، لقد نقم العبَّاسيّون على الإمام لأنَّه موضع تقدير الأُمَّة وتقديسها، وأنَّها تكنّ له من الاحترام والتقدير والتعظيم ما لا تكنُّه لهم، وأنَّ هناك شطراً كبيراً من هذه الأُمَّة يذهب إلى إمامته، وإنَّه أحقّ وأوْلى بمركز الخلافة الإسلاميَّة من بني العبَّاس الذين غرقوا في الملذَّات والشهوات، وساسوا الناس سياسة بني أُميَّة المبنيَّة على البطش والجبروت والكبرياء.

وعلى أيِّ حال، فإنَّا نعرض بإيجاز إلى الفصول الأخيرة من حياة الإمام عليه السلام.

اغتياله بالسمّ:

وثقل الإمام عليه السلام على المعتمد العبَّاسي، وذلك لما يراه من تحدّث الناس عن مآثر الإمام وعلومه وزهده وتقواه، وتقديمهم له بالفضل على غيره من علماء المسلمين، فانتفخت أوداجه، وورم أنفه حسداً للإمام وحقداً عليه، وأخذت نزعاته الشريرة تدفعه إلى اقتراف أخطر جريمة في الإسلام، فدسَّ له سمّاً قاتلاً، فلمَّا تناوله الإمام لازم الفراش، وقد تسمَّم بدنه، وأخذ يُقاسي الآلام، وقد توافدت عليه الشيعة ووجوه الدولة لعيادته، وممَّن دخل عليه عائداً الشاعر الملهم أبو هاشم الجعفري، فلمَّا رآه بتلك الحالة جزع وبكى، وقد نظم قصيدة جاء فيها:

مـادَتِ الـدُّنْـيـا فُـؤادِي الْـعَـلِـيـلِ ... وَاعْـتَـرَتْـنِـي مَـوارِدُ الـلأْواءِ

حِـيْـنَ قِـيـلَ الإمـامُ نِـضْـوٌ عَـلِـيـلٌ ... قُـلْـتُ نَـفْـسِـي فَـدَتْـهُ كُـلَّ الْـفِـداءِ

مَـرِضَ الـدِّيـنُ لاعْـتِـلالِـكَ وَاعْـتَـلْـ ... ـلَ وَغَـارَتْ نُـجُـومُ الـسَّـمـاءِ

عَـجَـبـاً إنْ مُـنِـيـتَ بِـالـدَّاءِ وَالـسُّـقْـ ... ـمِ وَأَنْـتَ الإمـامُ حَـسْـمُ الـدَّاءِ

أنْـتَ آسـي الأدْواءَ فِـي الـدِّيـنِ وَالـدُّنْـ ... ـيـا وَمُـحْـيِـي الأمْـواتِ وَالأحْـيـاءِ[(١)]

وحكت هذه الأبيات مدى حزن أبي هاشم وجزعه على مرض الإمام، فقد ذابت نفسه أسىً وحسرات، وتمنَّى أن يكون بنفسه فداءً له، فقد مرض الدِّين لاعتلال الإمام العظيم، وغارت نجوم السَّماء من هول هذه الفاجعة، ويعجب أبو هاشم أن يمنى الإمام بالدَّاء والسقم وهو حسم الدَّاء.

---

(١) أعلام الورى: ٢/٣٤٨.

تعيينه عليه السلام لوليّ عهده:

ونصَّ الإمام الهادي عليه السلام على إمامة ولده أبي محمَّد الحسن عليه السلام ونصبه علماً ومرجعاً للشيعة بعد وفاته، وكان من قبل قد دلَّ على إمامته خواصّ شيعته، وقد عهد إليه أن يتولّى تجهيزه والصلاة عليه، ويواريه في داره، وأوصاه بغير ذلك ممَّا يتعلَّق بشؤونه.

إلى جنَّة المأوىٰ:

وتفاعل السمّ في بدن الإمام، وألمَّت به آلام قاسية، وأخذ الموت يدنو إليه سريعاً، ولمَّا شعر بدنوّ الأجل المحتوم منه توجَّه إلى القبلة، وأخذ يتلو بعض سور القرآن الكريم، وقد وافاه الأجل وذكر الله بين شفتيه.

لقد صعدت روحه العظيمة إلى بارئها وهي نقيَّة، طاهرة، مشرقة، تحفُّها ملائكة الرَّحمٰن، وقد أظلمت الدُّنيا لفقده، وأشرقت الآخرة بقدومه، وقد فقد الناس بموته الخير الكثير، فقد مات القائد والموجّه والمدافع عن حقوق الضعفاء والمحرومين.

تجهيزه عليه السلام:

وقام الزكيّ أبو محمَّد الحسن عليه السلام بتجهيز أبيه، فغسّل جسده الطاهر، وأدرجه في أكفانه، وصلَّى عليه وقلبه الشريف يتقطَّع ألماً وحزناً وحسرات.

مواكب التشييع:

وماجت سامرَّاء من هول الفاجعة الكبرى، وهرع الناس بجميع طبقاتهم إلى الفوز بتشييع جثمان الإمام الذي هو بقيَّة النُّبوَّة والإمامة، وقد عطّلت الدوائر الرسميَّة والمحلاَّت التجارية، وتقدَّم أمام النعش الوزراء والعلماء والقضاة وكبار القادة من رجال الجيش وسائر أفراد الأُسرة العبَّاسيَّة، وهم يشعرون بفادحة المصيبة، ويعدِّدون مزايا الإمام ومناقبه وفضائله، ويذكرون ما مُني به العالم الإسلامي من الخسارة العظمى التي لا تعوَّض.

لقد جرت مراسيم هائلة لتشييع جنازة الإمام لم تشهد سامرَّاء مثلها في جميع مراحل تاريخها.

في مقرّه الأخير:

وجيء بالجثمان الطاهر تحت هالة من التكبير والتعظيم إلى مقرّه الأخير، وهي دار الإمام التي أعدَّها مقبرة له ولأفراد أُسرته، وقد أنزله ولده الإمام الحسن عليه السلام في

ملحودة قبره ودموعه تجري على سحنات وجهه، وواراه في قبره، ووارى معه القيم الإنسانيَّة من العلم والحلم والتقى والصلاح.

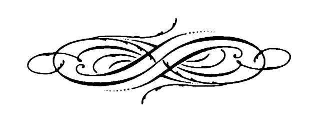
وبعد الفراغ من دفن الجثمان الطاهر هرعت جماهير المشيِّعين إلى الإمام أبي محمَّد الحسن عليه السلام وهي ترفع له تعازيها الحارَّة وتواسيه بمصابه الأليم، والإمام عليه السلام واقف مع أفراد أُسرته يشكرونهم على ذلك.

عمره الشريف:

أمَّا عمر الإمام عليه السلام فقد نصَّت بعض المصادر أنَّه كان أربعين سنة[1].

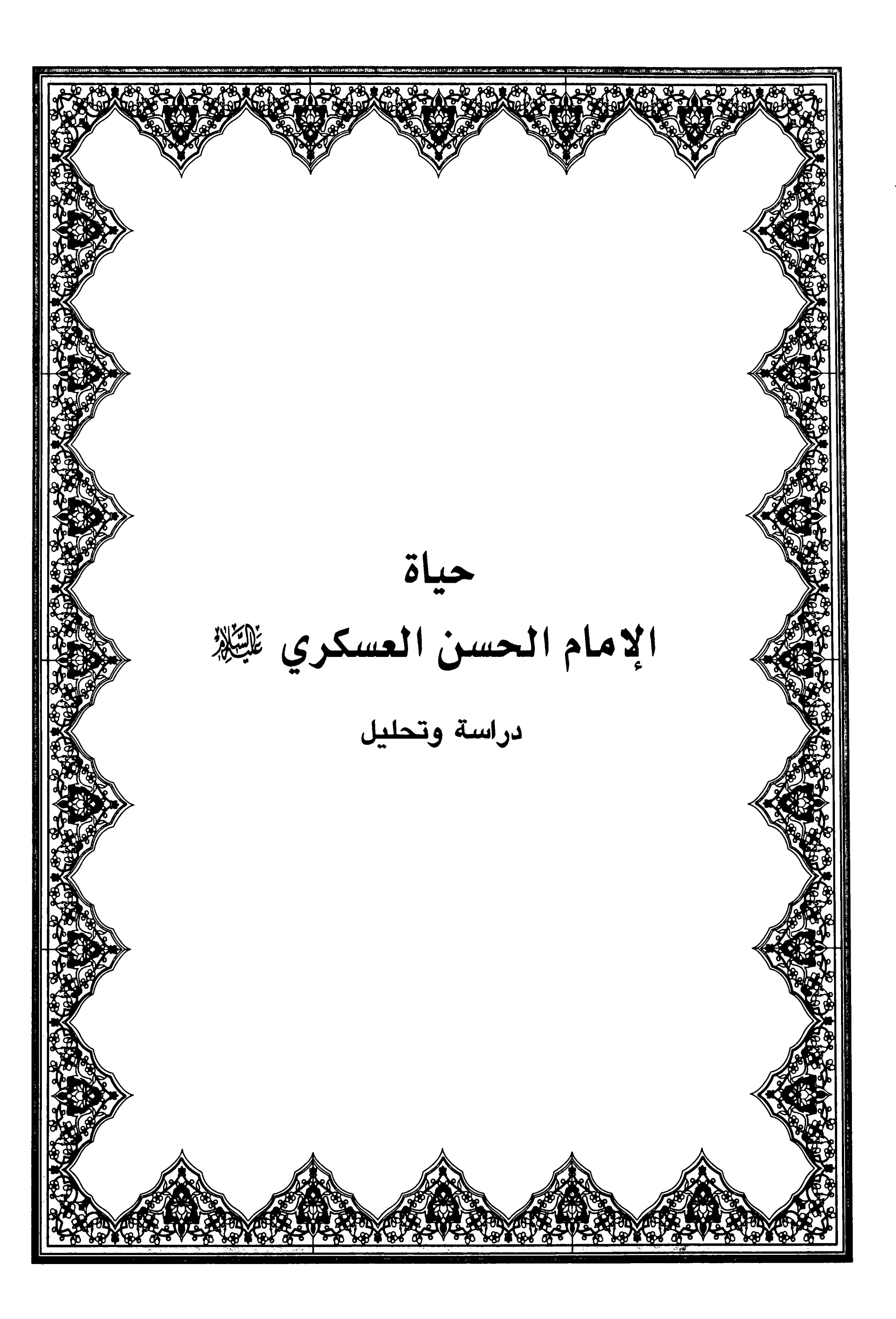
سنة شهادته عليه السلام:

وتوفِّي الإمام عليه السلام سنة (٢٥٤هـ) يوم الاثنين لخمس ليالٍ بقيت من جمادى الآخرة[2]، وقيل غير ذلك.



(١) نور الأبصار: ص١٥٠. كشف الغمَّة: ٣/ ١٧٤.

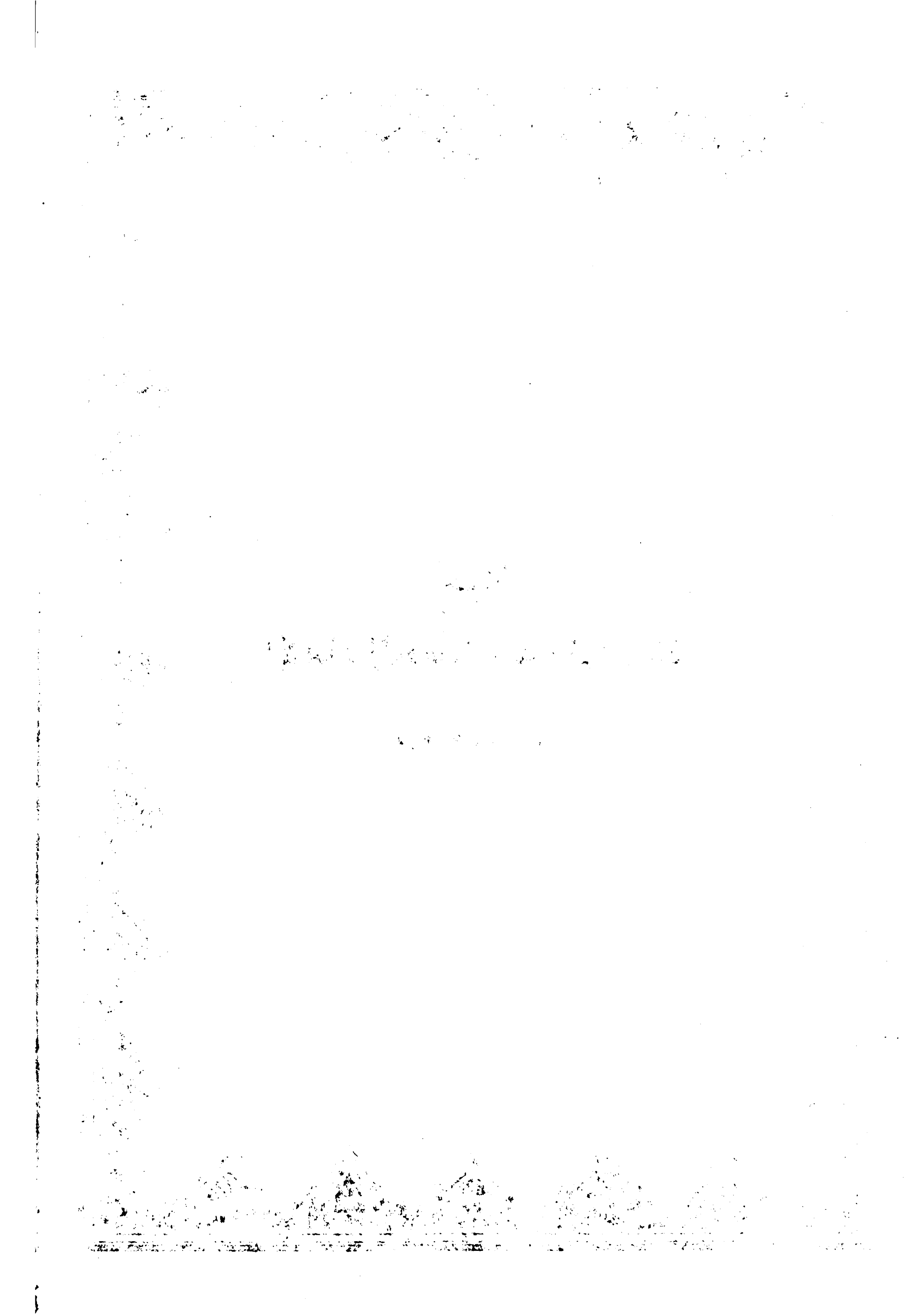
(٢) نور الأبصار: ص١٥٠. كشف الغمَّة: ٣/ ١٧٤.



حياة

الإمام الحسن العسكري عليه السلام

دراسة وتحليل



ولادته ونشأته عليه السلام

نسبه الوضّاح:

أمّا نسبه الكريم فهو من صميم الأُسرة النبويّة التي أعزّ الله بها العرب والمسلمين، والتي تبنّت قضايا الحقّ والعدل بين جميع شعوب الأرض، وتهذيب سلوك الإنسان، وإبعاده عن المنعطفات التي تجرُّ له المحن والويلات.

الأب:

أمّا أبو الإمام الحسن فهو الإمام عليّ الهادي عليه السلام، وهو الإمام العاشر من أئمّة التقى عليهم السلام.

الأُمّ:

أمّا أُمّه الكريمة، فكانت أفضل نساء عصرها، من السيّدات الزاكيات في عفّتها وورعها وطهارتها، ويقول الرواة: إنّها كانت من العارفات الصالحات[1]. وقد أثنى عليها الإمام عليّ الهادي عليه السلام ثناءً عاطراً، وأشاد بمكانتها، وسموّ منزلتها، فقال: «**سَلِيلُ** ـ وهو اسمها ـ **مَسْلولَةٌ مِنَ الآفَاتِ وَالأَرْجَاسِ وَالأَنْجَاسِ**»[2].

اسمها:

واختلف الرواة في اسمها الكريم، فقالوا ما يلي:

١ ـ سليل، وهو الأصحّ، للرواية السابقة.

٢ ـ سوسن[3].

٣ ـ حديث[4].

---

(١) عيون المعجزات: ص١٣٤.

(٢) أعيان الشيعة ـ القسم الرابع ـ: ٣/ ٢٨٩.

(٣) بحار الأنوار: ٥٠/ ٢٣٧.

(٤) الإرشاد: ٢/ ٣١٣.

٤ ـ حريبة[(١)].

مكان الولادة:

واختلف المؤرّخون في المكان الذي حظي بولادة الإمام عليه السلام، وفي ما يلي ذلك:

١ ـ في يثرب[(٢)].

٢ ـ في سامرَّاء[(٣)].

زمان الولادة:

واختلف الرواة أيضاً في الزمان الذي ولد فيه الإمام عليه السلام، وهذا بعض ما قالوه:

١ ـ ولد سنة ٢٣٠هـ في شهر ربيع الأوَّل[(٤)].

٢ ـ ولد سنة ٢٣١هـ[(٥)].

٣ ـ ولد سنة ٢٣٢هـ[(٦)].

٤ ـ ولد سنة ٢٣٣هـ[(٧)].

مراسم الولادة:

وسارع الإمام الهادي عليه السلام حينما بُشِّر بوليده المبارك فأجرى عليه مراسيم الولادة الشرعيَّة، فأذَّن في أُذنه اليمنى، وأقام في اليسرى، لقد استقبل الحياة بهذا النشيد المقدَّس الذي هو قبس من نور الله، إنَّه: «الله أكبر» «لا إلّه إلاَّ الله».

وفي اليوم السابع من ولادته بادر الإمام الهادي عليه السلام فحلق رأس وليده، وتصدَّق بزنته فضَّة أو ذهباً على المساكين، كما عقَّ عنه بكبش، عملاً بالسُّنَّة الإسلامية التي ندبت إلى ذلك، وجعلته حقّاً للمولود على أبيه.

---

(١) بحار الأنوار: ٥٠/ ٢٣٧.
(٢) أخبار الدول: ص١١٧. بحر الأنساب: ص٢. تحفة الأنام: ص٨٦.
(٣) روضة الواعظين: ص٢٥١.
(٤) بحار الأنوار: ٥٠/ ٤٥.
(٥) النُّجوم الزاهرة: ٣/ ٣٢.
(٦) بحر الأنساب: ص٢.
(٧) دائرة المعارف/ البستاني: ٧/ ٤٥.

تسميته عليه السلام:

وسمّىٰ الإمام عليّ الهادي عليه السلام وليده المبارك بـ(الحسن).

كنيته عليه السلام:

وكُنّي الإمام الزكيّ بـ(أبي محمّد)[١]، وهواسم ولده الإمام المنتظر محمّد المهدي المصلح الأعظم للبشريّة أمل المحرومين والمستضعفين في الأرض.

ألقابه عليه السلام:

أمّا ألقابه، فهي تحكي ما اتّصف به من النزعات العظيمة، والصفات الشريفة، وهي:

١ ـ **الخالص**[٢]: فقد كان خالصاً من كلّ دنس، ومنزّهاً عن كلّ عيب.

٢ ـ **الهادي**[٣]: وقد كان علماً لهداية الناس وإرشادهم إلى طرق الخير.

٣ ـ **العسكري**[٤]: ولُقّب بذلك للبلد الذي كان يقطنه، وهو سامرّاء، فقد كانت ثكنة عسكريّة. ومن الجدير بالذّكر أنّ هذا اللقب إذا أُطلق فإنّه ينصرف إلى الإمام الحسن لا إلى أبيه حسب ما نصّ عليه بعض المؤرّخين.

٤ ـ **الزكيّ**[٥]: وهو أزكى إنسان في عصره، فقد زكّى نفسه، ونمّاها في فعل الخيرات.

٥ ـ **الخاصّ**[٦]: وقد خصّه الله بالفضائل واستجابة الدُّعاء.

٦ ـ **الصامت**[٧]: وكان صامتاً لا ينطق إلاّ بالحكمة والعلم وذكر الله.

٧ ـ **السراج**[٨]: لقد كان سراجاً يضيء معالم الطريق، ويهدي الحائرين والضالّين إلى التقى والصلاح.

---

(١) أخبار الدول: ص١١٧.
(٢) أخبار الدول: ص١١٧.
(٣) بحر الأنساب: ص٢.
(٤) بحر الأنساب: ص٢.
(٥) تحفة الأنام: ص٨٧.
(٦) تحفة الأنام: ص٨٧.
(٧) تحفة الأنام: ص٨٧.
(٨) جوهرة الكلام: ص١٥٤.

٨ ـ التقيّ[١]: وهو أتقى إنسان في عصره، أشدّ الناس تمسُّكاً بالدِّين واعتصاماً بالله عزَّ وجلَّ.

صفته عليه السلام:

أمَّا ملامح شخصيَّته، فقد وصفها أحمد بن عبيد الله بن خاقان، فقال: «إنَّه أسمر، أعين[٢]، حسن القامة، جميل الوجه، جيِّد البدن، له جلالة وهيبة[٣]، وقيل: إنَّه كان بين السمرة والبياض»[٤].

نشأته عليه السلام:

لقد نشأ الإمام الزكيّ أبو محمَّد في بيت القرآن، ومركز الإسلام، وكان أبوه الإمام عليّ الهادي عليه السلام عملاق هذه الأُمَّة يغذِّيه بهديه، ويفيض عليه بمُثله ليكون امتداداً ذاتيَّاً لرسالة الإسلام.

الخشية من الله:

روى المؤرّخون أنَّ شخصاً مرَّ به وهو واقف مع أترابه من الصبيان يبكي، فظنَّ ذلك الشخص أنَّ هذا الصغير يبكي متحسِّراً على ما في أيدي أترابه، ولذا فهو لا يشاركهم لعبهم، فقال له: اشتري لك ما تلعب به.

فردَّ عليه: «**لا، ما لِلَّعِبِ خُلِقْنا**.

وبهر الرجل فقال له: لماذا خُلقنا؟

ـ **لِلْعِلْمِ وَالْعِبَادَةِ**.

ـ من أين لك هذا؟

ـ من قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾[٥].

وبهت الرجل ووقف حائراً، وانطلق يقول له: ما نزل بك، وأنت صغير لا ذنب لك.

---

(١) سفينة البحار: ١/٢٥٩.
(٢) الأعين: واسع العين.
(٣) بحار الأنوار: ٥٠/٣٢٦.
(٤) بحار الأنوار: ٥٠/٢٣٨.
(٥) سورة المؤمنون: الآية ١١٥.

ـ إِلَيْكَ عَنِّي، إِنِّي رَأَيْتُ وَالِدَتِي تُوقِدُ النَّارَ بِالْحَطَبِ الْكِبارِ، فَلا تَتَّقِدُ إلاّ بِالصِّغارِ، وَإِنِّي أَخْشىٰ أن أكونَ مِنْ صِغارِ حَطَبِ جَهَنَّمَ»[1].

مع أبيه عليه السلام:

وقطع الإمام الزكيّ أبو محمَّد عليه السلام شوطاً من حياته مع أبيه الإمام الهادي عليه السلام لم يفارقه في حلِّه وترحاله، وكان يرى فيه صورة صادقة لأخلاق جدِّه الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله التي امتاز بها على سائر النَّبيِّين، كما كان يرى فيه ذاتيَّات آبائه الأئمَّة الطاهرين عليهم السلام، وكان الإمام الهادي عليه السلام يرى في ولده الزكيّ امتداداً ذاتيّاً للإمامة الكبرى، والنيابة العظمى عن النَّبيّ صلى الله عليه وآله، فاهتمَّ بأمره، وأشاد بفضله، قائلاً فيه: **«أبو مُحَمَّدٌ ابْنِي أَصَحُّ آلِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله غَرِيزَةً، وَأَوْثَقُهُمْ حُجَّةً، وَهُوَ الأَكْبَرُ مِنْ وُلْدِي، وَهُوَ الْخَلَفُ، وَإِلَيْهِ تَنْتَهِي عُرَىٰ الإمامَةِ وَأَحْكامُنا»**[2].

ولازم الإمام أبو محمَّد أباه الإمام الهادي عليه السلام،وقد شاهد ما جرى عليه من صنوف الإرهاق والتنكيل من ملوك بني العبَّاس، خصوصاً في عهد الطاغية المتوكِّل، الذي جهد في ظلم الإمام، وأسرف في الجور والاعتداء عليه، ففرض عليه الإقامة الجبريَّة في سامرَّاء، وأحاط داره بقوى مكثَّفة من المباحث والأمن، تحصي عليه أنفاسه، وتمنع العلماء والفقهاء وسائر الشيعة من الاتصال به.

كما ضيَّق المتوكّل على الإمام في شؤونه الاقتصاديَّة، وكان يأمر بتفتيش داره بين حين وآخر، وحمله بالكيفيَّة التي هو فيها.

فجيعته عليه السلام بأخيه محمَّد:

كان السيِّد محمَّد أبو جعفر أُنموذجاً رائعاً للأئمَّة الطاهرين، وصورة صادقة لأفكارهم واتِّجاهاتهم، وقد تميَّز بذكائه، وخُلقه الرفيع، وسعة علمه، وسموِّ آدابه، حتَّى اعتقد الكثيرون من الشيعة أنَّه الإمام بعد أبيه الهادي عليه السلام.

وتحدَّث العارف علاَّن الكليني عن وقاره ومعالي أخلاقه، فقال: «صحبت أبا جعفر محمَّد بن عليّ بن محمَّد بن عليّ الرِّضا وهو حدث السنّ، فما رأيت أوقر، ولا أزكى،

(١) جوهرة الكلام في مدح السَّادة الأعلام: ص١٥٥.
(٢) أعيان الشيعة ـ القسم الثالث ـ: ٤/ ٢٩٥.

ولا أجلّ منه. وكان خلفه أبو الحسن العسكري بالحجاز طفلاً، فقدم عليه مشتدّاً[١]، وكان ملازماً لأخيه أبي محمَّد عليه السلام لا يفارقه[٢].

وقد تولّى عليه السلام تربيته، فغذّاه بعلومه وحكمه وآدابه.

ومرض أبو جعفر مرضاً شديداً، واشتدَّت به العلَّة، ولا نعلم سبب مرضه هل أنَّه سُقي سُمَّاً من قِبل أعدائه وحسَّاده من العبَّاسيِّين الذين عزَّ عليهم أن يروا تعظيم الجماهير وإكبارهم إيَّاه، أم أنَّ ما مُني به من المرض كان مفاجئاً.

وعلى أيِّ حال، فقد بقي أبو جعفر أيَّاماً يُعاني السقم حتَّى ذبلت نضارة شبابه، وكان الإمام أبو محمَّد عليه السلام ملازماً له، وقد طافت به الهموم على أخيه الذي كان من أعزّ الناس عنده، ومن أخلصهم له، وثقل حال أبي جعفر وفك به المرض فتكاً ذريعاً، واشتدَّ به النزع، فأخذ يتلو آيات من الذِّكر الحكيم، ويمجِّد الله، حتَّى صعدت روحه الطاهرة إلى بارئها كما تصعد أرواح الأنبياء والأوصياء تحفُّها ملائكة الرَّحمٰن.

مع أخيه الحسين:

وكان الحسين بن عليّ الهادي عليه السلام فذّاً من أفذاذ العقل البشري، وثمرة يانعة من ثمرات الإسلام، وقد تميَّز بسموِّ أدبه، وسعة أخلاقه، تشبيهاً لهما بجدّيهما ريحانتي رسول الله صلى الله عليه وآله: الحسن والحسين عليهما السلام، وقد شاعت هذه التسمية في العصر الذي نشأ فيه، فقد روى أبو هاشم، فقال: «ركبت دابَّة، فقلت: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ﴾[٣]، فسمع منِّي أحد السبطين، فقال: لا بهذا أُمرت، أُمرت أن تذكر نعمة ربّك إذا استويت عليه»[٤].

رزؤه عليه السلام بأبيه:

ورزىء الإمام الحسن بأبيه الهادي عليه السلام، وكان ذلك من أعظم النكبات والمصائب التي مُني بها في حياته.

لقد عمد الطاغية المعتمد العبَّاسي إلى اغتيال الإمام الهادي عليه السلام، فدسَّ له السمّ[٥]،

---

(١) المجدي: ص١٣١.

(٢) المجدي: ص١٣١.

(٣) سورة الزخرف: الآية ١٣.

(٤) سفينة البحار: ١/٢٥٩.

(٥) مناقب آل أبي طالب: ٤/٤٠١.

وذلك لما يسمعه من تحدّث الناس عن مآثر الإمام وشيوع فضله وعلومه، وتقدُّمه بالفضل على غيره، فورم أنفه، وانتفخت أوداجه حسداً للإمام وحقداً عليه، فقدم على اقتراف هذه الجريمة التي هي أخطر الجرائم وأفظعها.

ولمّا سُقي الإمام السمّ لازم الفراش، وقد تسمّم بدنه، وأخذ يُقاسي الآلام الموجعة، فتوافدت عليه الشيعة، وكبار رجال الدولة عائدين إيّاه، وممّن دخل عليه عائداً الشاعر الملهم أبو هاشم الجعفري.

فلمّا رأى الإمام يجود بنفسه جزع، وغامت عيناه بالدموع، ونظم ذوب حشاه بقصيدة جاء فيها:

مَادَتِ الأرْضُ بِي وَأدَّتْ فُؤادِي ... وَاعْتَرَتْنِي مَوارِدُ الْعَرْواءِ
حِينَ قِيلَ الإمامُ نِضْوٌ عَلِيلٌ ... قُلْتُ نَفْسِي فَدَتْهُ كُلَّ الْفِداءِ
مَرِضَ الدِّينُ لاعْتلالِكَ وَاعْتَلَّ ... وَغارَتْ لَهُ نُجومُ السَّماءِ
عَجَباً أنْ مُنِيتَ بِالدَّاءِ وَالسُّقْـ ... ـمِ وَأنْتَ الإمامُ حَسْمُ الدَّاءِ
أنْتَ آسِي الأدْواءِ فِي الدِّينِ و ... الدُّنْيا وَمُحيي الأمْواتِ وَالأحْياءِ[1]

ودخل عليه عائداً أبو دعامة، فلمّا همَّ بالانصراف قال له الإمام: **يا أبا دُعَامَةَ، قَدْ وَجَبَ حَقُّكَ، أفَلا أُحَدِّثُكَ بِحَديثٍ تُسَرُّ بِهِ؟**

وسارع أبو دعامة قائلاً: ما أحوجني إلى ذلك يابن رسول الله.

ـ حَدَّثَنِي أبي مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ، قَالَ: حَدَّثَنِي أبي عَلِيُّ بْنُ مُوسىٰ، قالَ: حَدَّثَنِي أبي مُوسَىٰ بْنُ جَعْفَرٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أبي جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أبي مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ، قَالَ: حَدَّثَنِي أبي عَلِيُّ بنُ الْحُسَيْنِ، قَالَ: حَدَّثَنِي أبِي الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ، قَالَ: حَدَّثَنِي أبي عَلِيُّ بْنُ أبي طَالِبٍ، ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: اكْتُبْ يَا عَلِيُّ.

قَالَ: وَمَا أكْتُبُ؟

قَالَ لِي: اكْتُبْ:

بسم الله الرحمن الرحيم

الإيمانُ ما وَقَرَتْهُ الْقُلوبُ، وَصَدَّقَتْهُ الأعْمالُ، وَالإسْلامُ ما جَرىٰ بِهِ اللِّسانُ، وَحَلَّتْ بِهِ الْمُناكَحَةُ.

---

(١) أعلام الورى: ٢/ ١٢٦ و١٢٧.

قال أبو دعامة: فقلت: يابن رسول الله، ما أدري والله أيُّهما أحسن الحديث أم الإسناد.

فقال: **إنَّها لَصَحِيفَةٌ بِخَطِّ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ بِإِمْلاءِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله نَتوارَثُها صاغِراً عَنْ كابِرٍ**»[1].

لقد كان الإمام حريصاً على نشر الفكر والوعي والعلم، ولم يمنعه المرض من الإدلاء بذلك.

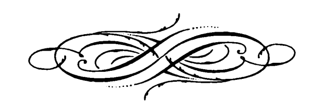
نصُّه على إمامة الحسن عليه السلام:

ونصَّ الإمام الهادي عليه السلام على إمامة ولده الزكي أبي محمَّد الحسن عليه السلام، ونصبه علماً ومرجعاً لشيعة أهل البيت.

وعهد أن يتولَّى تجهيزه والصلاة عليه، ويواريه في داره، كما أوصاه بغير ذلك ممَّا يتعلَّق بشؤونه الخاصَّة.

تجهيزه عليه السلام:

قام الإمام الزكيّ أبو محمَّد الحسن عليه السلام بتجهيز أبيه، فغسل جسده الطاهر، وأدرجه في أكفانه، وصلَّى عليه، وقد ذاب قلبه الشريف أسىً وحزناً من ألم المصاب.



(١) مروج الذهب: ٤/ ٨٥.

فضائله وعبادته عليه السلام

توفَّرت في الإمام الزكيّ أبي محمَّد عليه السلام جميع عناصر التقوى والصلاح، واجتمعت به جميع فضائل الدُّنيا، فقد تحلَّى بآداب النُّبوَّة، ومحاسن الإمامة، ولم يُرَ في عصره من هو أفضل وأتقى منه، ونشير بإيجاز إلى بعض مظاهر عبادته التي تميَّز بها.

عبادته عليه السلام:

كان الإمام أبو محمَّد عليه السلام أعبد أهل زمانه، وأكثرهم طاعة لله تعالى، وكان يحيي لياليه بالصلاة وتلاوة الكتاب والسجود لله. فقد قال محمَّد الشاكري: «كان الإمام يجلس في المحراب ويسجد، فأنام وانتبه وهو ساجد»[1].

صلاته عليه السلام:

وكان الإمام الحسن عليه السلام يتَّجه في صلاته بقلبه ومشاعره نحو الله خالق الكون وواهب الحياة، فلم يشعر ولم يحفل بأيّ شأن من شؤون الدُّنيا ما دام يصلِّي. فالصلاة معراج المؤمن، وقد تعلَّقت روحه بالله، واتَّصل به اتِّصال المنيبين والعارفين.

قنوته في صلاته عليه السلام:

وكان إذا قنت في صلاته يدعو بهذا الدُّعاء الشريف، وهو يوضِّح مدى تعلُّق الإمام واعتصامه بالله، وهذا نصَّه:

«يَا مَنْ غَشِيَ نُورُهُ الظُّلُماتِ، يَا مَنْ أضاءَتْ بِقُدْسِهِ الْفِجَاجُ الْمُتَوَعِّراتُ، يَا مَنْ خَشَعَ لَهُ أهْلُ الأرْضِ وَالسَّمٰواتِ، يَا مَنْ بَخَعَ لَهُ بِالطَّاعَةِ كُلُّ مُتَجَبِّرٍ عَاتٌ، يَا عَالِمَ الضَّمَائِرِ الْمُسْتَخْفِياتِ، وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً، فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابوا وَاتَّبَعوا سَبِيلَكَ، وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ، وَعَاجِلْهُمْ بِنَصْرِكَ الَّذِي وَعَدْتَهُمْ، إنَّكَ لاَ

(١) دلائل الإمامة: ص٢٢٧.

تُخلِفُ الْمِيعادَ. وَعَجِّلِ اللَّهُمَّ اجْتِياحَ أَهْلِ الْكَيْدِ، وَأَوِّبْهُمْ إِلَىٰ شَرِّ دَارٍ فِي أَعْظَمِ نَكَالٍ، وَأَقْبَحِ مَتابٍ.

اللَّهُمَّ إِنَّكَ حَاضِرُ أَسْرارِ خَلْقِكَ، وَعَالِمٌ بِضَمائِرِهِمْ، وَمُسْتَغْنٍ لَوْلاَ النَّدْبُ بِاللَّجَإِ إِلَىٰ تَنَجُزِ مَا وَعَدْتَهُ اللاَّجِينَ عَنْ كَشْفِ مَكامِنِهِمْ، وَقَدْ تَعْلَمُ يَا رَبِّ مَا أُسِرُّهُ وَأُبْدِيهِ، وَأَنْشُرُهُ وَأَطْوِيهِ، وَأُظْهِرُهُ وَأُخْفِيهِ، عَلَىٰ مُتَصَرِّفَاتِ أَوْقاتِي، وَأَصْنَافِ حَرَكَاتِي فِي جَمِيعِ حَاجَاتِي، وَقَدْ تَرىٰ يَا رَبِّ مَا قَدْ تَرَاطَمَ فِيهِ أَهْلُ وِلاَيَتِكَ، وَاسْتَمَرَّ عَلَيْهِمْ مِنْ أَعْداءِكَ، غَيْرَ ظَنِينٍ فِي كَرَمٍ، وَلاَ ضَنِينٍ بِنِعَمٍ، وَلَكِنَّ الْجُهْدَ يَبْعَثُ عَلَىٰ الاسْتِزادَةِ، وَمَا أَمَرْتَ بِهِ مِنَ الدُّعاءِ إِذَا أَخْلَصَ لَكَ اللَّجَأَ يَقْتَضِي إِحْسَانَكَ شَرْطَ الزِّيادَةِ.

وَهَذِهِ النَّواصِي وَالأَعْناقُ خَاضِعَةٌ لَكَ بِذُلِّ الْعُبودِيَّةِ، وَالاعْتِرافِ بِمُلْكَةِ الرُّبوبِيَّةِ، دَاعِيَةٌ بِقُلُوبِها، وَمُشَخِّصاتٌ إِلَيْكَ فِي تَعْجِيلِ الإِنالَةِ، وَمَا شِئْتَ كَانَ وَمَا تَشَاءُ كَائِنٌ.

أَنْتَ الْمَدْعُوَّ الْمَرْجُوُّ، الْمَأْمولُ الْمَسْؤولُ، لاَ يَنْقُصُكَ نَائِلٌ وَإِنِ اتَّسَعَ، وَلاَ يُلْحِفُكَ سَائِلٌ وَإِنْ أَلَحَّ وَضَرَعَ، مُلْكُكَ لاَ يَلْحَقُهُ التَّنْفِيدُ، وَعِزُّكَ الْبَاقِي عَلَىٰ التَّأْبيدِ، وَمَا فِي الأَعْصارِ مِنْ مَشِيَّتِكَ بِمِقْدَارٍ، وَأَنْتَ اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ الرَّؤُوفُ الْجَبَّارُ.

اللَّهُمَّ أَيِّدْنا بِعَوْنِكَ، وَاكْنُفْنا بِصَوْنِكَ، وَأَنِلْنا مَنالَ الْمُعْتَصِمِينَ بِحَبْلِكَ، الْمُسْتَظِلِّينَ بِظِلِّكَ»[١].

دعاؤه عليه السلام بعد صلاته:

اللَّهُمَّ لَكَ صَلَّيْتُ، وَإِيَّاكَ دَعَوْتُ، وَفِي صَلاتِي وَدُعائِي مَا قَدْ عَلِمْتَ مِنَ النُّقْصَانِ، وَالْعَجَلَةِ، وَالسَّهْوِ، وَالْغَفْلَةِ، وَالْكَسَلِ، وَالْفَتْرَةِ، وَالنِّسْيَانِ، وَالْمُدافَعَةِ، وَالرِّياءِ، وَالسُّمْعَةِ، وَالرَّيْبِ، وَالْفِكْرَةِ، وَالشَّكِّ، وَالْمَشْغَلَةِ، وَاللَّحْظَةِ الْمُلْهِيَةِ عَنْ إِقَامَةِ فَرائِضِكَ.

فَصَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاجْعَلْ مَكَانَ نُقْصانِها تَماماً، وَعَجَلَتِي تَثْبِيتاً وَتَمَكُّناً، وَسَهْوِي تَيَقُّظاً، وَغَفْلَتِي تَذَكُّراً، وَكَسَلِي نَشاطاً، وَفُتوري قُوَّةً، وَنِسْيانِي مُحافَظَةً، وَمُدافَعَتِي مُواظَبَةً، وَرِيائِي إِخْلاصاً، وَسُمْعَتِي تَسَتُّراً، وَرَيْبِي بَياناً، وَفِكْرِي خُشُوعاً، وَشَكِّي يَقِيناً، وَتَشاغُلِي فَراغاً، وَلِحَاظِي خُشُوعاً، فَإِنِّي لَكَ

(١) مهج الدعوات: ص٦٢ و٦٣.

صَلَّيْتُ، وَإِيَّاكَ دَعَوْتُ، وَوَجْهَكَ أَرَدْتُ، وَإِلَيْكَ تَوَجَّهْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَمَا عِنْدَكَ طَلَبْتُ.

فَصَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَاجْعَلْ لِي فِي صَلاَتِي وَدُعَائِي رَحْمَةً وَبَرَكَةً تُكَفِّرُ بِهَا سَيِّئَاتِي، وَتُضَاعِفُ بِهَا حَسَنَاتِي، وَتَرْفَعُ بِهَا دَرَجَتِي، وَتُكْرِمُ بِهَا مَقَامِي، وَتُبَيِّضُ بِهَا وَجْهِي، وَتَحُطُّ بِهَا وِزْرِي، وَاجْعَلْ مَا عِنْدَكَ خَيْراً لِي مِمَّا يَنْقَطِعُ عَنِّي. الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَضَىٰ عَنِّي صَلاَتِي، ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾[1]، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ. ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾[2]. الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَكْرَمَ وَجْهِي عَنِ السُّجُودِ إِلاَّ لَهُ.

اللَّهُمَّ كَمَا أَكْرَمْتَ وَجْهِي عَنِ السُّجودِ إِلاَّ لَكَ، فَصَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَصُنْهُ عَنِ الْمَسْأَلَةِ إِلاَّ لَكَ. اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَتَقَبَّلْهَا مِنِّي بِأَحْسَنِ قُبُولِكَ، وَلاَ تُؤَاخِذْنِي بِنُقْصَانِهَا، وَمَا سَهَىٰ عَنْهُ قَلْبِي مِنْهَا فَتَمِّمْهُ لِي بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ أُولِي الأَمْرِ الَّذِينَ أَمَرْتَ بِطَاعَتِهِمْ، وَأُولِي الأَرْحَامِ الَّذِينَ أَمَرْتَ بِصِلَتِهِمْ، وَذَوِي الْقُرْبَىٰ الَّذِينَ أَمَرْتَ بِمَوَدَّتِهِمْ، وَأَهْلِ الذِّكْرِ الَّذِينَ أَمَرْتَ بِمَسْأَلَتِهِمْ، وَالْمَوَالِيَ الَّذِينَ أَمَرْتَ بِمُوالاَتِهِمْ وَمَعْرِفَةِ حَقِّهِمْ، وَأَهْلِ الْبَيْتِ الَّذِينَ أَذْهَبْتَ عَنْهُمْ الرِّجْسَ وَطَهَّرْتَهُمْ تَطْهِيراً.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَاجْعَلْ ثَوابَ صَلاَتِي، وَثَوابَ مَنْطِقِي، وَثَوابَ مَجْلِسِي رِضَاكَ وَالْجَنَّةَ، وَاجْعَلْ ذٰلِكَ كُلَّهُ خَالِصاً مُخْلِصاً يُوافِي مِنْكَ رَحْمَةً وَإِجَابَةً، وَافْعَلْ فِي جَمِيعِ مَا سَأَلْتُكَ مِنْ خَيْرٍ، وَزِدْنِي مِنْ فَضْلِكَ إِنِّي إِلَيْكَ مِنَ الرَّاغِبِينَ.

يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، يَا ذَا الْمَنِّ الَّذِي لاَ يَنْقَطِعُ أَبداً، يَا ذَا الْمَعْرُوفِ الَّذِي لاَ يَنْقَطِع أَبداً، يَا ذَا النَّعْماءِ الَّتِي لاَ تُحصىٰ أَبداً.

يَا كَرِيمُ، يَا كَرِيمُ، يَا كَرِيمُ، صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَاجْعَلْنِي مِمَّنْ آمَنَ بِكَ فَهَدَيْتَهُ، وَتَوَكَّلَ عَلَيْكَ فَكَفَيْتَهُ، وَسَأَلَكَ فَأَعْطَيْتَهُ، وَرَغِبَ إِلَيْكَ فَأَرْضَيْتَهُ، وَأَخْلَصَ لَكَ فَأَنْجَيْتَهُ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَأَحْلِلْنا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِكَ لاَ يَمَسُّنا فِيهَا نَصَبٌ وَلاَ يَمَسُّنا فِيهَا لُغُوبٌ[3].

---

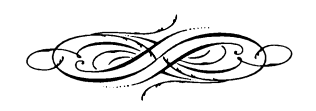
(١) سورة النساء: الآية ١٠٣.

(٢) سورة الأعراف: الآية ٤٣.

(٣) إشارة إلى قوله تعالى في سورة فاطر: الآية ٣٥.

اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ مَسْأَلَةَ الْفَقِيرِ الذَّلِيلِ، أَنْ تُصَلِّيَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَأَنْ تَغْفِرَ لِي جَمِيعَ ذُنُوبِي، وَتَقْلِبَنِي بِقَضاءِ جَمِيعِ حَوائِجِي إلَيْكَ، إنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

اللَّهُمَّ مَا قَصُرَتْ عَنْهُ مَسْأَلَتِي، وَعَجَزَتْ عَنْهُ قُوَّتِي، وَلَمْ تَبْلُغْهُ فِطْنَتِي، مِنْ أَمْرٍ تَعْلَمُ فِيهِ صَلاَحَ أَمْرِ دُنْيايَ وَآخِرَتِي، فَصَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَافْعَلْهُ بِي، يَا لاَ إلَهَ إلاَّ أَنْتَ، بِحَقِّ لاَ إلَهَ إلاَّ أَنْتَ، بِرَحْمَتِكَ فِي عَافِيةٍ، مَا شَاءَ اللَّهُ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إلاَّ بِاللَّهِ[1].



(١) مصباح المتهجّد: ص٨٠ ـ ٨٢.

أدعيته عليه السلام

دعاؤه عليه السلام في الصباح:

ومن مظاهر عبادته عليه السلام أنّه كان يدعو في صباح كلّ يوم بهذا الدُّعاء الجليل:

«يَا كَبِيرَ كُلِّ كَبِيرٍ، يَا مَنْ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَلاَ وَزِيرَ، يَا خَالِقَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ الْمُنِيرِ، يَا عِصْمَةَ الْخَائِفِ الْمُسْتَجِيرِ، يَا مُطْلِقَ الْمُكَبَّلِ الأسِيرِ، يَا رَازِقَ الطِّفْلِ الصَّغِيرِ، يَا جَابِرَ الْعَظْمِ الْكَسِيرِ، يَا رَاحِمَ الشَّيْخِ الْكَبِيرِ، يَا نُورَ النُّورِ، يَا مُدَبِّرَ النُّورِ، يَا بَاعِثَ مَنْ فِي الْقُبورِ، يَا شَافِي الصُّدورِ، يَا جَاعِلَ الظِّلِّ وَالْحَرورِ، يَا عَالِماً بِذاتِ الصُّدورِ، يَا مُنْزِلَ الْكِتَابِ وَالنُّورِ، وَالْفُرْقَانِ وَالزَّبورِ، يَا مَنْ تُسَبِّحُ لَهُ الْمَلائِكَةُ بِالإبْكَارِ وَالظُّهورِ، يَا دَائِمَ الثَّباتِ، يَا مُخْرِجَ النَّباتِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ، يَا مُحْيِيَ الأمْواتِ، يَا مُنْشِىءَ الْعِظَام الدَّارِساتِ، يَا سَامِعَ الصَّوْتِ، يَا سَابِقَ الْفَوْتِ، يا كَاسِي الْعِظَامِ الْبَالِيَةِ بَعْدَ الْمَوْتِ، يَا مَنْ لاَ يَشْغَلُهُ شُغْلٌ عَنْ شُغْلٍ، يَا مَنْ لاَ يَتَغَيَّرُ مِنْ حَالٍ إِلَىٰ حَالٍ، يَا مَنْ لاَ يَحْتَاجُ إِلَىٰ تَجَشُّمِ حَرَكَةٍ وَلاَ انْتِقالٍ، يَا مَنْ لاَ يَشْغَلُهُ شَأْنٌ عَنْ شَأْنٍ، يَا مَنْ يَرُدُّ بِالْطَفِ وَالدُّعَاءِ عَنْ أعْنانِ السَّماءِ مَا حَتَمَ وَأبْرَمَ مِنْ سُوءِ الْقَضَاءِ، يَا مَنْ لاَ يُحِيطُ بِهِ مَوْضِعٌ وَمَكانٌ، يَا مَنْ يَجْعَلُ الشِّفاءَ فِيمَا يَشاءُ مِنَ الأشْياءِ، يَا مَنْ يُمْسِكُ الرَّمَقَ مِنَ الْمُذْنِفِ الْعَمِيدِ الْعَلِيلِ بِمَا قَلَّ مِنَ الغِذاءِ.

يَا مَنْ يُزِيلُ بِأدْنَىٰ الدَّواءِ مَا غَلُظَ مِنَ الدَّاءِ، يَا مَنْ إِذَا وَعَدَ وَفىٰ، وَإِذَا تَواعَدَ عَفىٰ، يَا مَنْ يَمْلِكُ حَوائِجَ السَّائِلِينَ، يَا مَنْ يَعْلَمُ مَا فِي ضَمِيرِ الصَّامِتِينَ، يَا عَظِيمَ الْخَطَرِ، يَا كَرِيمَ الظَّفَرِ، يَا مَنْ لَهُ وَجْهٌ لاَ يَبْلىٰ، يَا مَنْ لَهُ مُلْكٌ لاَ يَفْنىٰ، يَا مَنْ لَهُ نُورٌ لاَ يُطْفىٰ، يَا مَنْ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ أمْرُهُ، يَا مَنْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ سُلْطَانُهُ، يَا مَنْ فِي جَهَنَّمَ سَخَطُهُ، يَا مَنْ فِي الْجَنَّةِ رَحْمَتُهُ، يَا مَنْ مَواعِيدُهُ صَادِقَةٌ، يَا مَنْ أيَادِيهِ فَاضِلَةٌ، يَا مَنْ رَحْمَتُهُ وَاسِعَةٌ، يَا غِياثَ الْمُسْتَغِيثِينَ، يَا مُجِيبَ دَعْوَةِ الْمُضْطَرِّينَ، يَا مَنْ هُوَ بِالْمَنْظَرِ الأعْلىٰ، وَخَلْقُهُ بِالْمَنْزِلِ الأدْنىٰ، يَا رَبَّ الأرْواحِ الْفَانِيَةِ، يَا رَبَّ الأجْسَادِ الْبَالِيَةِ، يَا أبْصَرَ النَّاظِرِينَ، يَا أسْمَعَ السَّامِعِينَ، يَا أسْرَعَ الْحَاسِبِينَ، يَا أحْكَمَ الْحَاكِمِينَ، يَا أرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، يَا وَاهِبَ

الْعَطايَا، يَا مُطْلِقَا الأُسَارىٰ، يَا رَبَّ الْعِزَّةِ، يَا أَهْلَ التَّقْوىٰ وَأَهْلَ الْمَغْفِرَةِ، يَا مَنْ لاَ يُدْرَكُ أَمَدُهُ، يَا مَنْ لاَ يُحصىٰ عَدَدُهُ، يَا مَنْ لاَ يَنْقَطِعُ مَدَدُهُ.

أَشْهَدُ وَالشَّهَادَةُ لِي رِفْعَةٌ وَعِدَّةٌ، وَهِيَ مِنِّي سَمْعٌ وَطَاعَةٌ، وَبِهَا أَرْجو الْمَفازَةَ يَوْمَ الْحَسْرَةِ وَالنَّدَامَةِ، أَنَّكَ أَنْتَ اللّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ وَحْدَكَ لاَ شَرِيكَ لَكَ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ صَلَواتُكَ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَأَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ عَنْكَ وَأَدَّىٰ مَا كَان وَاجِباً عَلَيْهِ لَكَ، وَأَنَّكَ تَخْلُقُ دَائِماً وَتَرْزُقُ، وَتُعْطِي وَتَمْنَعُ، وَتَرْفَعُ وَتَضَعُ، وَتُغْنِي وَتُفْقِرُ، وَتَخْذُلُ وَتَنْصُرُ، وَتَعْفو وَتَرْحَمُ، وَتَصْفَحُ وَتَتَجاوَزُ عَمَّا تَعْلَمُ، وَلاَ تَجورُ وَلاَ تَظْلِمُ، وَأَنَّكَ تَقْبِضُ وَتَبْسُطُ، وَتَمْحو وَتُثْبِتُ، وَتُبْدِىءُ وَتُعِيدُ، وَتُحْيِي وَتُمِيتُ، وَأَنْتَ حَيٌّ لاَ تَموتُ.

فَصَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاهْدِنِي مِنْ عِنْدِكَ، وَافِضْ عَلَيَّ مِنْ فَضْلِكَ، وَانْشُرْ عَلَيَّ مِنْ رَحْمَتِكَ، وَأَنْزِلْ عَلَيَّ مِنْ بَرَكاتِكَ، فَطَالَما عَوَّدْتَنِي الْحَسَنَ الْجَمِيلَ، وَأَعْطَيْتَنِي الْكَثِيرَ الْجَزِيلَ، وَسَتَرْتَ عَلَيَّ الْقَبِيحَ.

اللّهُمَّ فَصَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَعَجِّلْ فَرَجِي، وَأَقِلْنِي عَثْرَتِي، وَارْحَمْ عَبْرَتِي، وَارْدُدْنِي إِلَىٰ أَفْضَلِ عَادَتِكَ عِنْدِي، وَاسْتَقْبِلْ بِي صِحَّةً مِنْ سَقَمِي، وَسَلاَمَةً شَامِلَةً فِي بَدَنِي، وَبَصِيرَةً نَافِذَةً فِي دِينِي، وَمَهِّدنِي وَأَعِنِّي عَلَىٰ اسْتِغْفَارِكَ وَاسْتِقَالَتِكَ قَبْلَ أَنْ يَفْنَىٰ الأَجَلُ، وَيَنْقَطِعَ الْعَمَلُ، وَأَعِنِّي عَلَىٰ الْمَوْتِ وَكَرْبَتِهِ، وَعَلَىٰ الْقَبْرِ وَوَحْشَتِهِ، وَعَلَىٰ الْمِيزَانِ وَخِفَّتِهِ، وَعَلَىٰ الصِّراطِ وَزَلَّتِهِ، وَعَلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَرَوْعَتِهِ، وَأَسْأَلُكَ نَجاحَ الْعَمَلِ قَبْلَ انْقِطاعِ الأَجَلِ، وَقُوَّةً فِي سَمْعِي وَبَصَرِي، وَاسْتِعْمَالَ الصَّالِحِ مِمَّا عَلَّمْتَنِي وَفَهَّمْتَنِي، إِنَّكَ أَنْتَ الرَّبُّ الْجَلِيلُ، وَأَنا الْعَبْدُ الذَّلِيلُ، وَشَتَّانَ مَا بَيْنَنا، يَا حَنَّانُ يَا مَنَّانُ، يَا ذَا الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ، وَصَلِّ عَلَىٰ مَنْ بِهِ فَهَّمْتَنا، وَهُوَ أَقْرَبُ وَسائِلِنا إِلَيْكَ رَبَّنا، مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَعِتْرَتِهِ الطَّاهِرِينَ»[١].

دعاؤه عليه السلام في الاحتراز من الظالمين:

يذكر عليه السلام فيه ما صاب المسلمين من ظلم وبغي من حكّام عصره:

إِلَىٰ اللّهِ الْمَلِكِ الدَّيانِ، الْمُتَحَنِّنِ الْمَنَّانِ، ذِي الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ، وَذِي الْمِنَنِ الْعِظَامِ، وَالأَيَادِيَ الْجِسَامِ، وَعالِمِ الْخَفِيَّاتِ، وَمُجِيبِ الدَّعَواتِ، وَرَاحِمِ الْعَبَراتِ، الَّذِي لاَ تَشْغَلُهُ اللُّغَاتُ، وَلاَ تُحَيِّرُهُ الأَصْواتُ، وَلاَ تَأْخُذُهُ السِّناتُ، مِنْ عَبْدِهِ الذَّلِيلِ الْبَائِسِ الْفَقِيرِ الْمُسْكِينِ الضَّعِيفِ الْمُسْتَجِيرِ.

(١) مهج الدعوات: ص٣٣٢ ـ ٣٣٤.

اللّٰهُمَّ أنْتَ السَّلاَمُ، وَمِنْكَ السَّلامُ وَإلَيْكَ يَرْجِعُ السَّلاَمُ، تَبارَكْتَ وَتَعالَيْتَ يَا ذَا الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ، وَالْمِنَنِ الْعِظَامِ، وَالأيَادِيَ الْجِسَامِ.

إلٰهِي مَسَّنِي وَأهْلِي الضُّرُّ، وَأنْتَ أرْحَمُ الرَّاحِمِينَ[1]، وَأرْأفُ الأرْأفِينَ، وَأجْوَدُ الأجْوَدِينَ، وَأحْكَمُ الْحَاكِمِينَ، وَأعْدَلُ الْفَاضِلِينَ.

اللّٰهُمَّ إنّي قَصَدْتُ بَابَكَ، وَنَزَلْتُ بِفِنائِكَ، وَاعْتَصَمْتُ بِحَبْلِكَ، وَاسْتَغَثْتُ بِكَ، وَاسْتَجَرْتُ بِكَ، يَا غِياثَ الْمُسْتَغِيثِينَ أغِثْنِي، يَا جَارَ الْمُسْتَجِيرِينَ أجِرْنِي، يَا إلٰهَ الْعَالَمِينَ خُذْ بِيَدِي، إنَّهُ قَدْ عَلاَ الْجَبابِرَةُ فِي أرْضِكَ، وَظَهَروا فِي بِلاَدِكَ، وَاتَّخَذُوا أهْلَ دِينِكَ خِوَلاً، وَاسْتَأثَروا بِفَيْءِ الْمُسْلِمِينَ، وَمَنَعُوا ذَوِي الْحُقوقِ حُقوقَهُمُ الَّتِي جَعَلْتَها لَهُمْ، وَصَرَفوها فِي الْمَلاَهِي وَالْمعَازِفِ، وَاسْتَصْغَروا آلاءَكَ، وَكَذَّبوا أوْلِياءَكَ، وَتَسَلَّطوا بِجَبريَّتِهِمْ، لِيُعِزّوا مَنْ أذْلَلْتَ، وَيُذِلُّوا مَنْ أعْزَزْتَ، وَاحْتَجَبوا عَمَّنْ يَسْألُهُمْ حَاجَةً، أو مَنْ يَنْتَجِعُ مِنْهُمْ فَائِدَةً، وَأنْتَ مَوْلاَيَ، سَامِعُ كُلِّ دَعْوَةٍ، وَرَاحِمُ كُلِّ عَبْرَةٍ، وَمُقِيلُ كُلِّ عَثْرَةٍ، وَسَامِعُ كُلِّ نَجْوىٰ، وَمَوْضِعُ كُلِّ شَكْوىٰ، لاَ يَخْفىٰ عَلَيْكَ مَا فِي السَّمٰواتِ الْعُلىٰ، وَالأرَضِينَ السُّفْلىٰ، وَمَا بَيْنَهُما وَمَا تَحْتَ الثَّرىٰ.

اللّٰهُمَّ إنّي عَبْدُكَ وَابْنُ أمَتِكَ، ذَلِيلٌ بَيْنَ يَدَيْكَ، مُسْرِعٌ إلَىٰ رَحْمَتِكَ، رَاجٍ لِثَوابِكَ.

اللّٰهُمَّ إنَّ كُلَّ مَنْ آتَيْتَهُ فَعَلَيْكَ يَدُلّني، وَإلَيْكَ يُرْشِدُني، وَفِيمَا عِنْدَكَ يُرَغِّبُنِي، مَوْلاَيَ، وَقَدْ أتَيْتُكَ رَاجِياً سَيِّدِي، وَقعدْ قَصَدْتُكَ مُؤَمِّلاً، يَا خَيْرَ مَأمولٍ، وَيَا أكْرَمَ مَقْصُودٍ، صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلىٰ آلِ مُحَمَّدٍ، وَلاَ تُخَيِّبْ أمَلِي، وَلاَ تَقْطَعْ رَجَائِي، وَاسْتَجِبْ دُعَائِي، وَارْحَمْ تَضَرُّعِي، يَا غِيَاثَ الْمُسْتَغِيثِينَ أغِثْنِي، وَيَا جَارَ الْمُسْتَجِيرِينَ أجِرْنِي، يَا إلٰهَ الْعَالَمِينَ، خُذْ بِيَدِي أنْقِذْنِي وَاسْتَنْقِذْنِي وَوَفِّقْنِي وَاكْفِنِي.

اللّٰهُمَّ إنّي قَصَدْتُكَ بِأمَلٍ فَسِيحٍ، وَأمَّلْتُكَ بِرَجاءٍ مُنْبَسِطٍ، فَلاَ تُخَيِّبْ أمَلِي، وَلاَ تَقْطَعْ رَجَائِي.

اللّٰهُمَّ إنَّهُ لاَ يَخِيبُ مِنْكَ سَائِلٌ، وَلاَ يَنْقُصُكَ نَائِلٌ، يَا رَبَّاهُ يَا سَيِّدَاهُ، يَا مَوْلاَهُ يَا عِمَادَاهُ، يَا كَهْفَاهُ يَا حِصْناهُ، يَا حِرْزَاهُ يَا مَلْجَاهُ.

اللّٰهُمَّ إيَّاكَ أمَّلْتُ سَيِّدِي، وَلَكَ أسْلَمْتُ يَا مَوْلاَيَ، وَلِبَابِكَ قَرَعْتُ، فَصَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَلاَ تَرُدَّنِي بِالْخَيْبَةِ مَحروماً، وَجُدْتَ عَلَيْهِ بِنِعْمَتِكَ، وَأسْبَغْتَ عَلَيْهِ آلاءَكَ.

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ سورة الأنبياء: الآية ٨٣.

اللَّهُمَّ أَنْتَ غِيَاثِي، وَأَنْتَ عِصْمَتِي وَرَجَائِي، مَا لِي أَمَلٌ سِوَاكَ، وَلاَ رَجَاءٌ غَيْرُكَ.

اللَّهُمَّ فَصَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَجُدْ عَلَيَّ بِفَضْلِكَ، وَامْنُنْ عَلَيَّ بِإِحْسَانِكَ، وَافْعَلْ بِي مَا أَنْتَ أَهْلُهُ، وَلاَ تَفْعَلْ بِي مَا أَنَا أَهْلُهُ، يَا أَهْلَ التَّقوىٰ وَأَهْلَ الْمَغْفِرَةِ، أَنْتَ خَيْرٌ لِي مِنْ أَبِي وأُمِّي وَمِنَ الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ إِنَّ هَذِهِ قِصَّتِي إِلَيْكَ، لاَ إِلَىٰ الْمَخْلوقِينَ، وَمَسْأَلَتِي لَكَ إِذْ كُنْتَ خَيْرَ مَسْؤولٍ، وَأَعزَّ مَأْمُولٍ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَتَعَطَّفْ عَلَيَّ بِإِحْسَانِكَ، وَمُنَّ عَلَيَّ بِعَفْوِكَ وَعَافِيَتِكَ، وَحَصِّنْ دِينِي بِالْغِنىٰ، وَاحْرِزْ أَمانَتِي بِالْكِفايَةِ، وَاشْغَلْ قَلْبِي بِطَاعَتِكَ، وَلِسَانِي بِذِكْرِكَ، وَجَوارِحِي بِمَا يُقَرِّبُنِي مِنْكَ.

اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي قَلْباً خَاشِعاً، وَلِساناً ذَاكِراً، وَطَرَفاً غَاضّياً، وَيَقِيناً صَحِيحاً، حَتَّىٰ لاَ أُحِبَّ تَعْجِيلَ مَا أَخَّرْتَ، وَلاَ تَقْدِيمَ مَا أَجَّلْتَ، يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، وَيَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَاسْتَجِبْ دُعَائِي، وَارْحَمْ تَضَرُّعِي، وَكُفَّ عَنِّي الْبَلاَءَ، وَلاَ تُشْمِتْ بِيَ الأعْدَاءَ، وَلاَ حَاسِداً، وَلاَ تَسْلُبْنِي نِعْمَةً أَلْبَسْتَنيها، وَلاَ تَكِلْنِي إِلَىٰ نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ أَبَداً، يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّىٰ اللَّهُ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ وَآلِهِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيماً[1].

دعاؤه عليه السلام في طلب قضاء الحوائج:

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ الْبَدِيءُ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، وَأَنْتَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ الَّذي لاَ يُذِلُّكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ كُلَّ يَوْمٍ فِي شَأْنٍ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ خَالِقُ مَا يُرىٰ وَمَا لاَ يُرىٰ، الْعَالِمُ بِكُلِّ شَيْءٍ بِغَيْرِ تَعْلِيم.

أَسْأَلُكَ بِآلاَئِكَ وَنَعْمَائِكَ، بِأَنَّكَ اللَّهُ الرَّبُّ الْوَاحِدُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ الرَّحْمٰنُ الرَّحِيمُ.

وَأَسْأَلُكَ بِأَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ الْوِتْرُ الْفَرْدُ، الأَحدُ الصَّمَدُ، الَّذِي ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾.

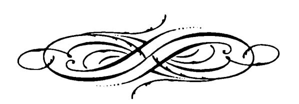
وأَسْأَلُكَ بِأَنَّكَ اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ، الْقَائِمُ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ، الرَّقِيبُ الْحَفِيظُ.

وَأَسْأَلُكَ بِأَنَّكَ اللَّهُ الأَوَّلُ قَبْلَ كَلِّ شَيْءٍ، وَالآخِرُ بَعْدَ كُلِّ شَيْءٍ، وَالْبَاطِنُ دُونَ كُلِّ شَيْءٍ، الضَّارُّ النَّافِعُ، الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ.

---

(١) بحار الأنوار: ٩٩/٢٣٨ ـ ٢٤٠.

وَأسألُكَ بِأَنَّكَ أنْتَ اللّهُ لاَ إلَهَ إلاَّ أنْتَ، الْحَيُّ الْقَيُّومُ، الْبَاعِثُ الْوَارِثُ، الْحَنَّانُ الْمَنَّانُ، بَدِيعُ السَّمٰواتِ وَالأرْضِ، ذُو الْجَلاَلِ والإكْرَام، وَذُو الطَّوْلِ، وَذُو الْعِزَّةِ، وَذُو السُّلْطانِ، لاَ إلَهَ إلاَّ أنْتَ أحَطْتَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً، وَأحْصَيْتَ كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً، صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ[1].



(١) جمال الأسبوع: ص١٨٠.

مُثُله العليا عليه السلام

علمه عليه السلام:

إنَّ الشيء المحقّق الذي اتَّفق عليه المترجمون للإمام أنَّه كان أعلم أهل عصره وأفضلهم، لا في شؤون الشريعة وأحكام الدِّين فحسب، وإنَّما في جميع أنواع العلوم على اختلافها من عقليَّة ونقليَّة.

يقول بختشوع الطبيب المسيحي إلى تلميذه بطريق في شأن الإمام: «وهو أعلم في يومنا هذا ممَّن هو تحت السَّماء»[١].

حلمه عليه السلام:

ومن الصفات الرفيعة والمُثل العليا التي تحلَّى بها الإمام الزكيّ أبو محمَّد عليه السلام: الحلم، فقد كان من أحلم الناس، وأكظمهم للغيظ، وقد قابل من أساء إليه بالعفو والصفح عنه.

وقد عمدت الحكومة العبَّاسيَّة إلى اعتقاله، وزجّه في سجونها، وهو صابر محتسب، لم ينبس ببنت شفَّة، ولم يَشْكُ لأيّ أحد ما هو فيه من الضيق، وقد أوكل أمره إلى الله تعالى، وكان ذلك من آيات حلمه.

قوَّة الإرادة:

وتميَّز الإمام أبو محمَّد عليه السلام بإرادته الصلبة، فقد جهدت الحكومة العبَّاسيَّة في إدراجه في جهازها، وبذلت جميع طاقاتها لإخضاعه لرغباتها فلم تستطع، وأصرَّ الإمام عليه السلام على استقلاليَّته، وبعده عنها، واعتبره العبَّاسيّون الممثِّل الوحيد لقوى المعارضة لسياستهم المبنيَّة على الاستغلال وقهر الشعوب.

---

(١) بحار الأنوار: ٥٠/ ٢٦١.

لقد صمد الإمام عليه السلام وقاوم المغريات التي بذلتها له الحكومة العبَّاسيَّة لإدراجه في سلكها، وآثر طاعة الله، وإرضاء ضميره على كلّ شيء.

السخاء:

وثمَّة ظاهرة أُخرى من مُثل الإمام عليه السلام ونزعاته، وهي الجود والسخاء، فقد كان من أسخى الناس، وأنداهم كفّاً، وقد أقام له وكلاء في أكثر المناطق الإسلاميَّة لقبض ما يرد إليه من الحقوق الشرعيَّة، وعهد إليهم بإنفاقها على الفقراء والمحرومين، وإصلاح ذات البين، وغير ذلك ممَّا ينفع الناس.

وكان ممَّا رواه المؤرّخون من فيض كرمه أنَّ محمَّد بن عليّ بن إبراهيم ابن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، قال: «قد ضاقت أُمورنا، فقال أبي: امضِ بنا حتَّى نصير إلى هذا الرجل ـ يعني أبا محمَّد ـ فإنَّه قد وصف لنا سماحه.

فقلت له: تعرفه؟

قال: ما أعرفه، ولا رأيته قطّ.

قال: فقصدناه، فقال أبي في الطريق: ما أحوجنا إلى أن يأمر لنا بخمسمائة درهم: مائتي درهم للكسوة، ومائتي درهم للدقيق، ومائة درهم للنفقة.

وقلت في نفسي: ليته أمر لي بثلاثمائة درهم: مائة أشتري بها حماراً، ومائة للنفقة، ومائة للكسوة، فأخرج إلى الجبل.

فلمَّا وافينا الباب خرج إلينا غلامه، فقال: يدخل عليّ بن إبراهيم ومحمَّد ابنه، فلمَّا دخلنا عليه وسلَّمنا، قال لأبي: **يَا عَلِيُّ، ما خَلَّفَكَ عَنَّا إلىٰ هَذَا الْوَقْتِ؟**

ـ يا سيِّدي، استحييت أن ألقاك على هذه الحال.

ومكثا وقتاً يسيراً ثمَّ خرجا، فجاء غلام الإمام إليهما وناول عليّاً صرَّة فيها دراهم، وقال: هذه خمسمائة درهم: مائتا درهم للكسوة، ومائتان للدقيق، ومائة للنفقة، وأعطى ولده محمَّداً صرَّة فيها ثلاثمائة درهم وقال له: اجعل مائة في ثمن حمار، ومائة للكسوة، ومائة للنفقة، ولا تخرج إلى الجبل، وصر إلى سوراء، وصار محمَّد إلى سوراء فتحسَّنت أُموره، وصار من أثرياء العلويِّين[1].

ومن كرمه وجوده ما رواه أبو هاشم الجعفري، قال: «شكوت إلى أبي محمَّد ضيق

---

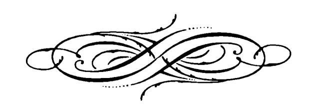
(١) الكافي: ١/٥٠٦، الحديث ٣.

الحبس، وكلب القيد[١]، فكتب إليَّ: **أَنْتَ تُصَلِّي الظُّهْرَ الْيَوْمَ فِي مَنْزِلِكَ**، فأخرجت وقت الظهر وصلَّيت في منزلي ـ كما قال ـ وكنت مضيّقاً عَليَّ، فأردت أن أطلب منه معونة في الكتاب الذي بعثته إليه.

فلمَّا صرت إلى منزلي بعث لي مائة دينار، وكتب إليَّ: **«إِذَا كَانَتْ لَكَ حَاجَةٌ فَلاَ تَسْتَحِ وَلاَ تَحْتَشِمْ، وَاطْلُبْها فَإِنَّكَ عَلىٰ مَا تُحِبُّ إنْ شَاءَ اللّٰهُ تَعالىٰ»**[٢].

سموّ الأخلاق:

نقل المؤرّخون أنَّه حبس على عهد المتوكّل الذي كان شديد العداوة لآل النبيّ صلى الله عليه وآله وحاقداً على آل أبي طالب، وقد أمر بالتنكيل بالإمام، والتشديد عليه، إلاَّ أنَّه لمَّا اتَّصل به، وشاهد سموّ أخلاقه، وعظيم هديه وصلاحه، انقلب رأساً على عقب، فكان لا يرفع بصره إليه إجلالاً وتعظيماً له، ولمَّا خرج الإمام من عنده وهو أحسن الناس بصيرة، وأحسنهم قولاً في الإمام[٣].



(١) الكلب: الشِّدَّة والضيق.
(٢) الأنوار البهيَّة: ص٣٠٥. أعلام الورى: ٢/ ١٤٠.
(٣) الكافي: ١/ ٥٠٨، الحديث ٨.

إمامته عليه السلام

النصّ على إمامته عليه السلام:

أمّا النصّ على الإمام فهو لإرشاد الأُمّة إلى مرجعها العامّ، وقائدها الرُّوحي، وقد أُثرت عن الإمام الهادي عليه السلام عدّة أخبار في إمامة ولده أبي محمّد عليه السلام، وهذه بعضها:

١ ـ روى يحيى بن يسار العنبري، قال: «أوصى أبو الحسن عليّ بن محمّد إلى ابنه أبي محمّد الحسن قبل موته بأربعة أشهر، وأشار إليه بالأمر من بعده، وأشهدني على ذلك وجماعة من الموالي»[(١)].

٢ ـ روى عليّ بن عمر النوفلي، قال: «كنت مع أبي الحسن عليه السلام في صحن داره، فمرَّ بنا محمَّد ابنه ـ وهو أبو جعفر ـ فقلت له: جعلت فداك، هذا صاحبنا بعدك ـ أي الإمام من بعدك ـ؟

فقال له: **صَاحِبُكُمْ بَعْدِي الْحَسَنُ**»[(٢)].

٣ ـ روى شاهويه بن عبد الله الجلاَّب، قال: «كتب إليَّ أبو الحسن في كتاب: **أَرَدْتَ أَنْ تَسْأَلَ عَنِ الْخَلَفِ بَعْدَ أَبِي جَعْفَرٍ، وَقَلِقْتَ لِذَلِكَ فَلاَ تَغْتَمَّ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾[(٣)]، وَصَاحِبُكَ بَعْدِي أبو مُحَمَّدٌ ابْنِي، وَعِنْدَهُ مَا تَحْتَاجونَ إِلَيْهِ، يُقَدِّمُ اللَّهُ مَا يَشاءُ وَيُؤَخِّرُ مَا يَشاءُ ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾[(٤)] قَدْ كُتِبَتْ بِما فِيهِ بَيانٌ وَقَناعٌ لِذِي عَقْلٍ يَقْظانٍ**»[(٥)].

٤ ـ روى داود بن القاسم، قال: «سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: **الْخَلْفُ مِنْ بَعْدِي الْحَسَنُ، فَكَيْفَ لَكُمْ بِالْخَلِفِ مِنْ بَعْدِ الْخَلَفِ؟**

---

(١) الفصول المهمَّة: ص٦٦. أصول الكافي: ١/ ٣٢٥.
(٢) أُصول الكافي: ١/ ٣٢٥.
(٣) سورة التوبة: الآية ١١٥.
(٤) سورة البقرة: الآية ١٠٦.
(٥) أُصول الكافي: ١/ ٣٢٨.

فقلت: ولِمَ جعلني الله فداك؟

فقال: **إنَّكُمْ لاَ تَرَوْنَ شَخْصَهُ، وَلاَ يَحِلُّ لَكُمْ ذِكْرُهُ بِاسْمِهِ.**

فقلت: فيكف نذكره؟

فقال: **قولوا: الْحُجَّةُ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ عليهم السلام**»[١].

٥ ـ روى أبو الفهفكي، قال: «كتب إليَّ أبو الحسن عليه السلام: **أبو مُحَمَّدٍ ابْني أَنْصَحُ آلِ مُحَمَّدٍ غَريزَةً، وَأَوْثَقُهُمْ حُجَّةً، وَهُوَ الأَكْبَرُ مِنْ وُلْدِي، وَهُوَ الْخَلَفُ، وَإِلَيْهِ تَنْتَهِي عُرَىٰ الإِمامَةِ وَأَحْكامُها، فَما كُنْتَ سَائِلِي فَسَلْهُ عَنْهُ، فَعِنْدَهُ ما يُحْتاجُ إِلَيْهِ**»[٢].

٦ ـ روى الصقر بن أبي دلف: قال: «سمعت عليّ بن محمَّد بن عليّ الرِّضا عليهم السلام يقول: **الإِمامُ بَعْدي الْحَسَنُ، وَبَعْدَ الْحَسَنِ ابْنُهُ الْقائِمُ الَّذِي يَمْلأُ الأَرْضَ قِسْطاً وَعَدْلاً، كَما مُلِئَتْ جَوْراً وَظُلْماً**»[٣].

٧ ـ روى عبد العظيم بن عبد الله الحسني، عن عليّ بن محمَّد عليه السلام، أنَّه قال: «**الإِمامُ مِنْ بَعْدي الْحَسَنُ ابْني، فَكَيْفَ لِلنَّاسِ بِالْخَلَفِ مِنْ بَعْدِهِ**»[٤].

٨ ـ روى عليّ بن مهزيار، قال: «قلت لأبي الحسن عليه السلام: إن كان كون ـ وأعوذ بالله ـ فإلى من؟

قال: **عَهْدي إِلَى الأَكْبَرِ مِنْ وُلْدي** ـ يعني الحسن ـ»[٥].

٩ ـ روى عبد الله بن محمَّد الأصفهاني، قال: «قال أبو الحسن: **صاحِبُكُمْ بَعْدي الَّذِي يُصَلِّي عَلَيَّ.**

قال: ولم نكن نعرف أبا محمَّد قبل ذلك، فلمَّا مات أبو الحسن عليه السلام خرج أبو محمَّد عليه السلام فصلَّى عليه»[٦].

---

(١) أُصول الكافي: ١/ ٣٢٨.
(٢) أُصول الكافي: ١/ ٣٢٧.
(٣) إكمال الدِّين: ٢/ ٥٥.
(٤) إكمال الدِّين: ٢/ ٥٥.
(٥) أعلام الورى: ٢/ ٣٦٨.
(٦) أعلام الورى: ٢/ ٣٦٨.

من دلائل إمامته عليه السلام:

وأمدَّ الله تعالى الأنبياء والأوصياء عليهم السلام بالمعاجز التي يعجز البشر عن الإتيان بمثلها ومن بينهم الإمام الزكيّ أبو محمَّد عليه السلام.

١ ـ روى الحسن النصيبي، قال: «خطر في قلبي عرق الجنب، هل هو طاهر؟ فأتيت إلى باب أبي محمَّد الحسن لأسأله، وكان ليلاً، فنمت.

فلمَّا طلع الفجر خرج من داره، فرآني فأيقظني، وقال: **إنْ كانَ حَلالاً فَنَعَمْ، وَإنْ كَانَ حَراماً، فَلا**»[1].

٢ ـ روى إسماعيل بن محمَّد العبَّاسي، قال: «شكوت إلى أبي محمَّد الحاجة، وحلفت له أنَّه ليس عندي درهم فما فوقه، فقال لي: **أتَحْلِفُ بِاللَّهِ كاذِباً، وَقَدْ دَفَنْتَ مائَتي دينارٍ؟ وَلَيْسَ قَوْلِي لَكَ هَذا دَفْعاً عَنِ الْعَطِيَّةِ. أعْطِهِ يَا غُلامُ ما مَعَكَ**، فأعطاني مائة دينار.

ثمَّ أقبل عليَّ، فقال: **إنَّكَ تُحْرَمُ الدَّنانيرَ الَّتي دَفَنْتها في أحْوَجِ ما تَكُونُ إلَيْها**.

يقول: واضطررت ففتَّشت عنها فلم أجدها، فإذا ابن لي قد عرفها فسرقها وهرب»[2].

٣ ـ شكا محمَّد بن حجر إلى الإمام أبي محمَّد عليه السلام ما يلقاه من ظلم عبد العزيز، ومن جور يزيد بن عيسى.

فأجابه عليه السلام: **أمَّا عَبْدُ العَزيزِ فَقَدْ كُفِيتَهُ، وَأمَّا يَزيدُ فَلَكَ وَلَهُ مَقامُ بَيْنَ يَدَي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ**، ولم تمض إلاَّ أيَّام يسيرة حتَّى هلك عبد العزيز، وأمَّا يزيد فقد قتل محمَّد بن حجر، وله مقام معه بين يدي الله تعالى»[3].

٤ ـ روى محمَّد بن حمزة الدوري، قال: «كتبت إلى الإمام أبي محمَّد عليه السلام أسأله أن يدعو الله لي بالغنى، وكنت قد أملقت، وخفت الفضيحة.

فخرج الجواب منه: **أبْشِرْ، فَقَدْ أتاكَ الْغِنى مِنَ اللَّهِ تَعالَىٰ، ماتَ ابْنُ عَمِّكَ يَحْيى بْنُ حَمْزَةَ، وَخَلَّفَ مائَةَ ألْفِ دِرْهَم، وَلَمْ يَتْرُكْ وارِثاً سِواكَ، وَهِيَ وارِدَةٌ عَلَيْكَ عَنْ قَريبٍ، فَاشْكُرِ اللَّهَ، وَعَلَيْكَ بِالاقْتِصادِ، وَإيَّاكَ وَالإسْرافَ**.

---

(١) مرآة الزمان: ٦، الورقة ١٩٢.

(٢) نور الأبصار: ص١٥٣.

(٣) مناقب آل أبي طالب: ٤/ ٤٣٣.

وورد عَليَّ المال والخبر بموت ابن عمّي، كما قال بعد أيّام قلائل، وزال عنّي الفقر، وأدّيت حقّ الله، وبررت إخواني، وتماسكت بعد ذلك، وكنت قبلاً مبذّراً»[١].

٥ ـ قال محمَّد بن الحسن بن ميمون: «كتبت إلى مولاي العسكري عليه السلام أشكو الفقر، ثمَّ قلت في نفسي: أليس قال أبو عبد الله عليه السلام: **الْفَقْرُ مَعَنا خَيْرٌ مِنَ الْغِنىٰ مَعَ غَيْرِنا، وَالْقَتْلُ مَعَنا خَيْرٌ مِنَ الْحَياةِ مَعَ عَدُوِّنا**.

فرجع الجواب: **إنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مَحَّصَ أَوْلِياءَنا إِذَا تَكاثَفَتْ ذُنُوبُهُمْ بِالْفَقْرِ، وَقَدْ يَعْفو عَنْ كَثِيرٍ مِنْهُمْ كَما حَدَّثَتْكَ نَفْسُكَ: الْفَقْرُ مَعَنا خَيْرٌ مِنَ الْغِنىٰ مَعَ عَدُوِّنا، وَنَحْنُ كَهْفٌ لِمَنِ الْتَجَأَ إِلَيْنا، وَنُورٌ لِمَنِ اسْتَبْصَرَ بِنا، وَعِصْمَةٌ لِمَنِ اعْتَصَمَ بِنا. مَنْ أَحَبَّنا كانَ مَعَنا فِي السَّنامِ الأَعْلىٰ، وَمِنِ انْحَرَفَ عَنَّا فَإِلَىٰ النَّار هوىٰ**»[٢].

٦ ـ قال أبو جعفر الهاشمي: «كنت في الحبس مع جماعة، فحبس أبو محمَّد عليه السلام وأخوه جعفر فخففنا إليه، وقبّلت وجه الحسن، وأجلسته على مضربة كانت تحتي، وجلس جعفر قريباً منه، وكان المتولّي لحبسه صالح بن وصيف، وكان معنا في الحبس رجل جحمي يقول إنَّه علويّ.

فالتفت إلينا أبو محمَّد قائلاً: **لَوْلا أَنَّ فِيكُمْ مَنْ لَيْسَ مِنْكُمْ لأَعْلَمْتُكُمْ حَتَّىٰ يُفَرِّجَ اللَّهَ عَنْكُمْ**، وأومأ عليه السلام **إلى الجحمي**، وقال: **إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ لَيْسَ مِنْكُمْ وَاحْذَروهُ، فَإِنَّ فِي ثِيابِهِ سِجِلاً يَكْتُبُ فِيهِ إِلَىٰ السُّلْطانِ مَا تَقولونَهُ**.

فانبرى بعض المسجونين ففتّشه، فوجد فيه كتاباً اتّهم فيه الجماعة بكلّ عظيمة، وافترى عليهم بأنّهم يريدون ثقب السجن والهرب منه»[٣].

٧ ـ روى أحمد بن محمَّد، قال: كتبت إلى أبي محمَّد عليه السلام حين أخذ المهتدي العبّاسي في قتل الموالي ـ أي الشيعة ـ وقلت: يا سيِّدي، الحمد لله الذي شغله عنك، فقد بلغني أنَّه يتهدَّدك، ويقول: والله لأجلبنّهم من جديد.

فوقّع أبو محمَّد بخطّه: **ذَاكَ أَقْصَرُ لِعُمْرِهِ، عُدَّ مِنْ يَوْمِكَ هَذا خَمْسَةَ أَيَّامٍ، وَيُقْتَلُ فِي الْيَوْمِ السَّادِسِ بَعْدَ هَوانٍ وَاسْتِخْفافٍ يَمُرَّانِ بِهِ**، فكان كما قال»[٤].

---

(١) نور الأبصار: ص٥٢.
(٢) كشف الغمَّة: ٣/ ٢١٧ و٢١٨.
(٣) الدرّ النظيم في مناقب الأئمَّة: ص٧٤٣.
(٤) أعلام الورى: ٢/ ٣٧٥.

٨ ـ روى شاهويه بن عبد ربّه، قال: «كان أخي صالح محبوساً، فكتبت إلى سيِّدي أبي محمَّد عليه السلام أسأله عن أشياء.

فأجابني عنها وكتب: **إنَّ أخاكَ صالِحاً يَخْرُجُ مِنَ الْحَبْسِ يَوْمَ يَصِلُكَ كِتابي هَذا، وَكُنْتَ أرَدْتَ أنْ تَسْألَنِي عَنْ أمْرِهِ فَنِسِيتَ.**

فبينما أنا أقرأ كتابه إذ أقبل بعض الناس فبشَّرني بإطلاق سراح أخي فتلقَّيته، وقرأت عليه الكتاب»[١].

٩ ـ روى أبو هاشم، قال: «شكوت إلى أبي محمَّد عليه السلام ضيق الحبس، وثقل القيد.

فكتب إليَّ: **تُصَلِّي الظُّهْرَ الْيَوْمَ فِي مَنْزِلِكَ**، وتحقَّق ذلك، فخرج من الحبس وقت الظهر وصلَّى في منزله»[٢].

١٠ ـ روى الثقة الأمين أبو هاشم: قال: «سمعت أبا محمَّد عليه السلام يقول: **إنَّ فِي الْجَنَّةِ لَباباً يُقالُ لهُ الْمَعْروفُ، لاَ يَدْخُلُهُ إلاَّ أهْلُ الْمَعْروفِ**، فحمدت الله في نفسي، وفرحت ممَّا أتكلَّفه من حوائج الناس.

فنظر إليَّ أبو محمَّد، وقال: **نَعَمْ، قَدْ عَلِمْتُ مَا أنْتَ عَلَيْهِ، وَأنَّ أهْلَ الْمَعْروفِ فِي الدُّنْيا هُمْ أهْلُ الْمَعْروفِ فِي الآخِرَة، جَعَلَكَ اللَّهُ مِنْهُمْ يَا أبا هاشِمٍ وَرَحِمَكَ**»[٣].

١١ ـ روى أبو هاشم، قال: «سأل الفهفكي الإمام أبا محمَّد عليه السلام، عن السبب في أخذ الرجل سهمين والمرأة تأخذ سهماً واحداً في الميراث.

فأجابه الإمام عليه السلام: **إنَّ الْمَرْأةَ لَيْسَ عَلَيْها جِهادٌ، وَلاَ نَفَقَةٌ، وَلاَ مَعْقُلَةٌ.**

يقول أبو هاشم: خطر في نفسي أنَّ هذه المسألة عين المسألة التي سأل بها ابن أبي العوجاء الإمام الصادق عليه السلام، وقد أجابه بمثل هذا الجواب.

فأقبل عليَّ الإمام أبو محمَّد، وقال: **نَعَمْ، هَذِهِ مَسْألَةُ ابْنِ أبي الْعَوْجاءِ، وَالْجَوابُ مِنَّا وَاحِدٌ إذَا كَانَ مَعْنَى الْمَسْألَةِ وَاحِداً، جَرىٰ لآخِرِنا مَا جَرىٰ لأوَّلِنا، وَأوَّلُنا وآخِرُنا فِي الْعِلْمِ، وَالأمْرِ سَواءٌ، وَلِرَسُولِ اللَّهِ، وَأمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ صَلواتُ اللَّهِ عَلَيْهِما فَضْلُهُما**»[٤].

---

(١) مناقب آل أبي طالب: ٤/ ٤٣٨.
(٢) أعلام الورى: ٢/ ٣٧٢.
(٣) نور الأبصار: ص١٥٢.
(٤) مناقب آل أبي طالب: ٤/ ٤٣٧.

١٢ ـ روى أبو هاشم، قال: «كتب إلى أبي محمَّد بعض مواليه يسأله شيئاً من الدُّعاء.

فكتب إليه: **ادْعُ بِهَذَا الدُّعاءِ: يا أَسْمَعَ السَّامِعِينَ، وَيَا أَبْصَرَ الْمُبْصِرينَ، وَيا أَنْظَرَ النَّاظِرِينَ، وَيَا أَسْرَعَ الْحَاسِبِينَ، وَيَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، وَيَا أَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ، صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَأَوْسِعْ لِي فِي رِزْقِي، وَمُدَّ لِي فِي عُمْرِي، وَامْنُنْ عَلَيَّ بِرَحْمَتِكَ، وَاجْعَلْني مِمَّنْ تَنْتَصِرُ بِهِ لِدِينِكَ، وَلاَ تَسْتَبْدِلْ بِي غَيْرِي.**

قال أبو هاشم: فقلت في نفسي: اللَّهُمَّ اجعلني في حزبك وفي زمرتك.

فأقبل عليَّ أبو محمَّد، فقال: **أَنْتَ فِي حِزْبِهِ، وَفِي زُمْرَتِهِ إنْ كُنْتَ بِاللَّهِ مُؤْمِناً، وَلِرَسولِهِ مُصَدِّقاً**»[1].

١٣ ـ روى أبو هاشم، قال: «خطر بنفسي أنَّ القرآن مخلوق أم غير مخلوق؟

فنظر إليَّ الإمام أبو محمَّد، وقال: **يا أبا هاشِمٍ، اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، وَما سِواهُ مَخْلوقٌ**»[2].

١٤ ـ روى أبو هاشم، قال: «دخلت على أبي محمَّد ﷺ وأنا أُريد أن أسأله عن فصّ أصوغ به خاتماً أتبرَّك به، فجلست ونسيت ما جئت له.

فلمَّا ودَّعته وأردت الانصراف ناولني خاتماً وتبسَّم، وقال: **أَرَدْتَ فُصّاً فَأَعْطَيْناكَ خَاتَماً، فَرَبِحْتَ الْفُصَّ وَالْكِرىٰ، هَنَّأَكَ اللَّهُ يا أبا هاشِم**، فتعجَّبت من ذلك وقلت: يا سيِّدي، إنَّك وليّ الله وإمامي الذي أُدين الله بفضله وطاعته.

فقال لي: **غَفَرَ اللَّهُ لَكَ يا أبا هاشِمٍ**»[3].

١٥ ـ روى أبو هاشم، قال: «سمعت أبا محمَّد ﷺ يقول: **إنَّ اللَّهَ لَيَعْفو يَوْمَ الْقِيامَةِ عَفْواً لاَ يَخْطُرُ عَلىٰ بَالِ الْعِبادِ، حَتَّىٰ يَقولَ أَهْلُ الشِّرْكِ: وَاللَّهِ مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ.**

فذكرت في نفسي حديثاً حدَّثني به رجل من أصحابنا من أهل مكَّة: أنَّ رسول الله ﷺ قرأ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾[4].

فقال رجل: ومن أشرك، فأنكرت ذلك وأضمرته في قلبي، وأنا أقوله في نفسي إذ

---

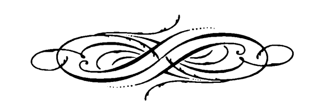
(١) أعلام الورى: ٢/ ٣٧٤.
(٢) مناقب آل أبي طالب: ٤/٤٣٦.
(٣) أعلام الورى: ٢/ ٣٧٥.
(٤) سورة الزمر: الآية ٥٣.

أقبل عليّ أبو محمّد، وتلا قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[١]، **بِئْسَ ما قالَ هَذا، وَبِئْسَما رَوىٰ**»[٢].

١٦ ـ روى أبو هاشم، قال: «كنت مضيقاً، فأردت أن أطلب من الإمام أبي محمّد عليه السلام، فاستحييت، فلمّا صرت إلى منزلي وجّه لي مائة دينار، وكتب إليّ: **إِذا كانَتْ لَكَ حاجَةٌ فَلا تَسْتَحِ، وَلاَ تَحْتَشِمْ، فَإِنَّكَ تَرىٰ ما تُحِبُّ**»[٣].

انطباعات عن شخصيته عليه السلام

أشاد الإمام عليّ الهادي عليه السلام بسموّ منزلة ولده أبي محمّد، فقال: «**أبو مُحَمَّدٍ ابْني، أَصَحُّ آلِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله غريزَةً، وأَوْثَقُهُمْ حُجَّةً، وَهُوَ الأَكْبَرُ مِنْ وُلْدي، وَهُوَ الْخَلَفُ، وَإِلَيْهِ تَنْتَهي عُرَىٰ الإمامَةِ وَأَحْكامُنا**»[٤].



(١) سورة النساء: الآية ٤٨.

(٢) الدرّ النظيم: ص٧٤٤.

(٣) الثاقب في المناقب: ص٢٤١.

(٤) الكافي: ١/٢٢٧، الحديث ١١.

رسائله عليه السلام

١ - رسالته عليه السلام إلى إسحاق النيسابوري:

وأرسل الإمام أبو محمَّد عليه السلام إلى إسحاق بن إسماعيل النيسابوري هذه الرسالة، وهي من غرر الرسائل، وقد استهدفت الوعظ والإصلاح الشامل، وهذا نصّها:

«سَتَرَنا اللَّهُ وَإيَّاكَ بِسَتْرِهِ، وَتَوَلاَّكَ فِي جَمِيعِ أُمُورِكَ بِصُنْعِهِ، قَدْ فَهِمْتُ كِتابَكَ رَحِمَكَ اللّٰهُ، وَنَحْنُ بِحَمْدِ اللَّهِ وَنِعْمَتِهِ أَهْلُ بَيْتٍ نَرِقُّ عَلَىٰ مَوالِينا، وَنَسُرُّ بِتَتابُعِ إِحْسانِ اللَّهِ إِلَيْهِمْ، وَفَضْلِهِ لَدَيْهِمْ، وَنَعْتَدُّ بِكُلِّ نِعْمَةٍ يَنْعَمُها اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِمْ، فَأَتَمَّ اللَّهُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ، وَمَنْ كَانَ مِثْلُكَ مِمَّنْ قَدْ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَبَصَّرَهُ بَصِيرَتَكَ، وَنَزَعَ عَنِ الْبَاطِلِ وَلَمْ يَعْمَ فِي طُغْيانِهِ بِعَمَهٍ.

فَإِنَّ تَمامَ النِّعْمَةِ دُخولُكَ الْجَنَّةَ، وَلَيْسَ مِنْ نِعْمَةٍ وَإِنْ جَلَّ أَمْرُها، وَعَظُمَ خَطَرُها، إِلاَّ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَقَدَّسَتْ أَسْماؤُهُ عَلَيْها يُؤَدِّي شُكْرَها.

وَأَنا أَقولُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ مِثْلَ ما حَمِدَ اللَّهُ بِهِ حامِدٌ إِلىٰ أَبَدِ الأَبَدِ، بِما مَنَّ عَلَيْكَ مِنْ نِعْمَتِهِ، وَنَجَّاكَ مِنَ الهَلَكَةِ، وَسَهَّلَ سَبِيلَكَ عَلَىٰ الْعَقَبَةِ، وَأَيْمُ اللَّهِ إِنَّها لَعَقَبَةٌ كَؤُودٌ، شَدِيدٌ أَمْرُها، صَعْبٌ مَسْلَكُها، عَظِيمٌ بَلاؤُها، طَويلٌ عَذابُها، قَدِيمٌ فِي الزُّبُرِ الأُولىٰ ذِكْرُها.

وَلَقَدْ كَانَتْ مِنْكُمْ أُمورٌ فِي أَيَّامِ الْمَاضِي إِلىٰ أَنْ مَضىٰ لِسَبِيلِهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَىٰ روحِهِ، وَفِي أَيَّامِي هَذِهِ كُنْتُمْ فِيها غَيْرُ مَحْمودي الشَّأْنِ، وَلاَ مُسَدَّدي التَّوفيقِ.

وَاعْلَمْ يَقِيناً يا إِسْحاقُ أَنَّ مَنْ خَرَجَ مِنْ هَذِهِ الدُّنْيا أَعْمىٰ فَهُوَ فهي الآخِرَةِ أَعْمىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلاً، إِنَّها - يابن إِسْماعِيلَ - لَيْسَ تَعْمَىٰ الأَبْصارُ وَلكِنْ تَعْمَىٰ الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدورِ[1].

وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي مُحْكَم كِتَابِهِ لِلظَّالِم: ﴿رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا﴾ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾[2].

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ سورة الإسراء: الآية ٧٢.

(٢) سورة طٰه: الآيتان ١٢٥ و١٢٦.

وَأيُّ آيَةٍ - يا إسْحاقُ - أعْظَمَ مِنْ حُجَّةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَىٰ خَلْقِهِ، وَأمينِهِ فِي بِلادِهِ، وَشَاهِدِهِ عَلَىٰ عِبادِهِ، مِنْ بَعْدِ من سَلَفَ مِنْ آبائِهِ الأوَّلِينَ النَّبِيِّينَ، وَآبائِهِ الآخِرِينَ، مِنَ الْوَصِيِّينَ، عَلَيْهِمْ أجْمَعِينَ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكاتُهُ.

فَأيْنَ يُتاهُ بِكُمْ؟ وَأيْنَ تَذْهَبونَ كَالأنْعام عَلَىٰ وُجُوهِكُمْ؟ عَنِ الْحَقِّ تَصْدِفونَ، وَبِالْبَاطِلِ تُؤْمِنونَ، وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ تَكْفُرونَ أوْ تَكْذِبونَ؟ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِبَعْضِ الْكِتابِ وَيَكْفُرُ بِبَعْضٍ، فَمَا جَزاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُم وَمِنْ غَيْرِكُمْ إلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا الْفَانِيَةِ، وَطولِ عَذابِ الآخِرَةِ الْبَاقِيَةِ، وَذَلِكَ وَاللَّهِ الْخِزيُ الْعَظِيمُ[1].

إنَّ اللَّهَ بِفَضْلِهِ وَمَنِّهِ لَمَّا فَرَضَ عَلَيْكُمُ الْفَرائِضَ لَمْ يَفْرُضْ ذَلِكَ عَلَيْكُمْ لِحاجَةٍ مِنْهُ إلَيْكُمْ، بَلْ رَحْمَةً مِنْهُ لاَ إلَهَ إلاَّ هُوَ عَلَيْكُمْ لِيَميزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ، وَلِيَبْتَلِيَ مَا فِي صُدورِكُمْ، وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ[2]، وَلِتألَفوا إلىٰ رَحْمَتِهِ، وَلِتَتَفَاضَلَ مَنازِلُكُمْ فِي جَنَّتِهِ، فَفَرَضَ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ، وَإقَامَ الصَّلاةِ، وَإيتاءِ الزَّكاةِ، والصَّوْمَ، وَالوِلايَةَ، وَكَفا بِهِمْ لَكُمْ باباً لِيَفْتَحوا أبْوابَ الْفَرائِضِ، وَمِفْتاحاً إلىٰ سَبِيلِهِ، وَلَوْلا مُحَمَّدٌ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَالأوصياءُ مِنْ بَعْدِهِ، لَكُنْتُمْ حَيارىٰ كَالْبَهائِمِ، لاَ تَعْرِفونَ فَرْضاً مِنَ الْفَرائِضِ، وَهَلْ يَدْخُلُ قَرْيَةً إلاَّ مِنْ بابِها.

فَلَمَّا مَنَّ عَلَيْكُمْ بِإقَامَةِ الأوْلياءِ بَعْدَ نَبِيِّهِ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِنَبِيِّهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا﴾[3].

وَفَرَضَ عَلَيْكُمْ لأوْلِيائِهِ حُقوقاً أمَرَكُمْ بِأدائِها إلَيْهِمْ لِيَحِلَّ لَكُمْ مَا وَراءَ ظُهُورِكُمْ مِنْ أزْواجِكُمْ وَأمْوالِكُمْ وَمأكَلِكُمْ وَمَشْرَبِكُمْ، وَيَعْرِفُكُمْ بِذَلِكَ النَّماءَ وَالْبَرَكَةَ وَالثَّرْوَةَ، وَلِيَعْلَمَ مَنْ يُطيعُهُ مِنْكُمْ بِالْغَيْبِ. قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[4].

وَاعْلَمُوا أنَّ ﴿وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾[5] لاَ إلَهَ إلاَّ هُوَ، وَلَقَدْ طالَتِ الْمُخاطَبَةُ فِيما بَيْنَنا وَبَيْنَكُمْ فِيها هُوَ لَكُمْ وَعَلَيْكُمْ لَما أرَيْتُكُمْ مِنِّي خَطَأً، وَلاَ سَمِعْتُمْ مِنِّي حَرْفاً مِنْ بَعْدِ الْمَاضِي عَلَيْهِ السَّلامُ.

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَـٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ سورة البقرة: الآية ٨٥.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ﴾ سورة آل عمران: الآية ١٥٤.

(٣) سورة المائدة: الآية ٣.

(٤) سورة الشورى: الآية ٢٣.

(٥) سورة محمَّد صلى الله عليه وآله: الآية ٣٨.

وَأَنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ عَمَّا إِلَيْهِ مَعادُكُمْ، وَمِنْ بَعْدِ الثَّاني رَسولِي وَمَا نَالَهُ مِنْكُمْ حِينَ أَكْرَمَهُ اللَّهُ بِمَصِيرِهِ إِلَيْكُمْ، وَمِنْ بَعْدِ إِقَامَتِي لَكُمْ إبْراهِيمَ بْنَ عَبْدَةَ، وَفَّقَهُ اللَّهُ لِمَرْضاتِهِ، وَأعانَهُ عَلَىٰ طَاعَتِهِ، وَكِتابُهُ الَّذِي حَمَلَهُ مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى النَّيْسابورِيّ، واللَّهُ الْمُسْتَعانُ عَلىٰ كُلِّ حَالٍ، وَإِنِّي أَراكُمْ مُفَرِّطِينَ فِي جَنْبِ اللَّهِ فَتَكُونونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ.

فَبُعْداً وَسُحْقاً لِمَنْ رَغِبَ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ، وَلَمْ يَقْبَلْ مَواعِظ أَوْلِيائِهِ، وَقَدْ أَمَرَكُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِطاعَتِهِ، لاَ إِلَهَ إلاَّ هُوَ، وَطَاعَةِ رَسُولِهِ ﷺ، وَبِطاعَةِ أُولِي الأمْرِ ﷺ، فَرَحِمَ اللَّهُ ضَعْفَكُمْ وَقِلَّةَ صَبْرِكُمْ عَمَّا أمامَكُمْ، فما أغَرَّ الإنسانَ بِرَبِّهِ الْكَرِيمِ[١]، وَاسْتَجابَ اللَّهُ تَعالىٰ دُعائِي فِيكُمْ، وَأَصْلَحَ أُمورَكُمْ عَلَىٰ يَدَيَّ.

فَقَدْ قَالَ اللَّهُ جَلَّ جَلالُهُ: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾[٢].

وَقَالَ جَلَّ جَلالُهُ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[٣].

وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ جَلالُهُ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[٤].

فَما أُحِبُّ أنْ يَدْعُوَ اللَّهُ جَلَّ جَلالُهُ بِي، وَلاَ بِمَنْ هُوَ فِي أَيَّامِي إلاَّ حَسَبَ رِقَّتِي عَلَيْكُمْ، وَمَا انْطَوىٰ لَكُمْ عَلَيْهِ مِنْ حُبِّ بُلُوغِ الأمَلِ فِي الدَّارَيْنِ جَمِيعاً، وَالْكَيْنُونَةِ مَعَنا فِي الدُّنْيا وَالآخِرَةِ.

فَقَدْ ـ يا إسْحاقُ، يَرْحَمُكَ اللَّهُ وَيَرْحَمُ مَنْ هوَ وَراءَكَ ـ بَيَّنْتُ لَكَ بَياناً، وَفَسَّرْتُ لَكَ تَفْسِيراً، وَفَعَلْتُ بِكُمْ مَنْ لَمْ يَفْهَمْ هَذَا الأمْرَ قَطُّ، وَلَمْ يَدْخُلْ فِيهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَلَوْ فَهِمَتِ الصُّمُّ الصِّلابُ بَعْضَ مَا فِي هَذَا الْكِتابِ لَتَصَدَّعَتْ قَلِقاً وَخَوْفاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَرُجُوعاً إِلَىٰ طَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

فَاعْمَلوا مِنْ بَعْدِ مَا شِئْتُمْ، فَسَيَرىٰ اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسولُهُ وَالْمُؤْمِنونَ، ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلونَ[٥]، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ»[٦].

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ سورة الانفطار: الآية ٦.

(٢) سورة الإسراء: الآية ٧١.

(٣) سورة البقرة: الآية ١٤٣.

(٤) سورة آل عمران: الآية ١١٠.

(٥) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ سورة التوبة: الآية ١٠٥.

(٦) تحف العقول: ص٤٨٤ ـ ٤٨٦. بحار الأنوار: ٧٨/ ٣٧٤ ـ ٣٧٧. الكشّي: ص٣٥٤ ـ ٣٥٧.

٢ ـ رسالته عليه السلام إلى أهالي قم وآبة:

وأرسل الإمام أبو محمَّد عليه السلام إلى شيعته من أهالي قم وآبة[١] رسالة جاء فيها:

«إنَّ اللَّهَ تَعالىٰ بِجُودِهِ وَرَأْفَتِهِ قَدْ مَنَّ عَلىٰ عِبادِهِ بِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بَشِيراً وَنَذِيراً، وَوَفَّقَكُم لِقَبولِ دِينِهِ، وَأكْرَمَكُمْ بِهِدايَتِهِ، وَغَرَسَ فِي قُلوبِ أسْلافِكُمُ الْماضِينَ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، وَأصْلابِكُم الْباقِينَ، تَوَلَّىٰ كِفَايَتَهُمْ، وَعَمَّرَهُمْ طَويلاً فِي طَاعَتِهِ، حُبَّ الْعِتْرَةِ الْهَادِيَةِ، فَمَضىٰ مَنْ مَضىٰ عَلَىٰ وَتِيرَةِ الصَّوابِ، مِنْهاجِ الصِّدْقِ، وَسَبِيلِ الرَّشَادِ، فَوَرَدوا مَوارِدَ الْفَائِزِينَ، وَاجْتَنَوا ثَمراتِ مَا قَدَّموا، وَوَجَدوا غِبَّ مَا أسْلَفوا.

ومنها:

نِيَّتُنا مُسْتَحْكَمَةٌ، وَنُفوسُنا إلىٰ طِيبِ آرائِكُمْ سَاكِنَةٌ، الْقَرابَةُ الْواشِجَةُ بَيْنَنا وَبَيْنَكُمْ قَوِيَّةٌ، وَصِيَّةٌ أوْصىٰ بِها أسْلافُنا وَأسْلافُكُمْ، وَعَهْدٌ عَهِدَ إلىٰ شَبابِنا وَمَشايِخِكُمْ، فَلَمْ يَزَلْ عَلَىٰ كُلِّ جُمْلَةٍ كَامِلَةٍ مِنَ الاعْتِقادِ، لَمَّا جَمَعَنا اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ الْحالِ الْقَرِيبَةِ، وَالرَّحِمِ الْماسَّةِ. يَقولُ الْعَالِمُ سَلاَمُ اللَّهِ عَلَيْهِ: «الْمُؤْمِنُ أخو الْمُؤْمِنِ لأُمِّهِ وَأبِيهِ»[٢].

٣ ـ رسالته عليه السلام إلى الفقيه عليّ بن الحسين:

«اعْتَصَمْتُ بِحَبْلِ اللَّهِ، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ، وَالْجَنَّةُ لِلْمُوَحِّدِينَ، وَالنَّارُ لِلْمُلْحِدِينَ، وَلاَ عِدْوانَ إلاَّ عَلَىٰ الظَّالِمِينَ، وَلاَ إلَهَ إلاَّ اللَّهُ أحْسَنُ الْخالِقِينَ، وَالصَّلاةُ عَلَىٰ خَيْرِ خَلْقِهِ مُحَمَّدٍ وَعِتْرَتِهِ الطَّاهِرِينَ.

أمَّا بَعْدُ، أُوصيكَ ـ يا شَيْخِي وَمُعْتَمَدي وَفَقِيهِي أبا الْحَسَنِ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ بْنِ بَابَوَيْهِ الْقُمِّيِّ، وَفَّقَكَ اللَّهُ لِمَرْضاتِهِ، وَجَعَلَ مِنْ صُلْبِكَ أوْلاداً صَالِحِينَ بِرَحْمَتِهِ ـ بِتَقْوَىٰ اللَّهِ، وَإقامَ الصَّلاةِ، وَإيتاءِ الزَّكَاةِ، فَإنَّهُ لاَ يُقْبَلُ الصَّلاةُ مِنْ مَانِعِ الزَّكَاةِ.

وَأُوصيكَ بِمَغْفِرَةِ الذَّنْبِ، وَبِكَظْمِ الْغَيْظِ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَمواساةِ الإخْوانِ، وَالسَّعْيِ فِي حَوائِجِهِمْ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ، وَالْحِلْمِ، وَالتَّفَقُّهِ فِي الدِّينِ، وَالتَّثَبُّتِ فِي الأمْرِ، وَالتَّعاهُدِ لِلْقُرْآنِ، وَحُسْنِ الْخُلُقِ، وَالأمْرِ بِالْمَعْروفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ.

فَإنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَـٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾[٣]، وَاجْتِنابِ الْفَواحِشِ كُلِّها.

---

(١) آبة: بليدة تقابل ساوة، وتعرف بين العامّة بـ«آوة». معجم البلدان.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ٤/ ٤٢٥، عنه.

(٣) سورة النساء: الآية ١١٤.

وَعَلَيْكَ بِصلاةِ اللَّيْلِ، فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَوْصىٰ عَلِيّاً، فَقالَ: يا عَلِيُّ، عَلَيْكَ بِصَلاةِ اللَّيْلِ، عَلَيْكَ بِصلاةِ اللَّيْلِ، عَلَيْكَ بِصَلاةِ اللَّيْلِ، وَمَنِ اسْتَخَفَّ بِصَلاةِ اللَّيْلِ فَلَيْسَ مِنّا.

فَاعْمَلْ بِوَصِيَّتِي، وَأْمُرْ جَمِيعَ شِيعَتِي حَتَّىٰ يَعْمَلوا عَلَيْها.

وَعَلَيْكَ بِالصَّبْرِ وَانْتِظارِ الْفَرَجِ، فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: أَفْضَلُ أَعْمالِ أُمَّتِي انْتِظارُ الْفَرَجِ، وَلاَ تَزالُ شيعَتُنا فِي حُزْنٍ حَتَّىٰ يَظْهَرَ وَلَدِيَ الَّذِي بَشَّرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ، يَمْلأُ الأَرْضَ قِسْطاً وَعَدْلاً كَما مُلِئَتْ ظُلْماً وَجَوْراً.

فَاصْبِرْ يَا شَيْخِي يَا أَبا الْحَسَنِ عَلِيٍّ، وَأْمُرْ جَمِيعَ شيعَتي بِالصَّبْرِ فَإِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِن عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ[1].

وَالسَّلامُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ جَمِيعِ شيعَتِنا وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَركاتُهُ.

وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، نِعْمَ الْمَوْلىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ»[2].

٤ ـ رسالته ﷺ إلى بعض شيعته:

وكتب إليه بعض شيعته يعرِّفه باختلاف الشيعة، فأجابه الإمام ﷺ برسالة جاء فيها:

«وَإِنَّما خَاطَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجلَّ العَاقِلَ وَلَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِي بِآيَةٍ أَوْ يَظْهَرُ دَلِيلاً أَكْثَرَ مِمَّا جَاءَ بِهِ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَسَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ، فقالوا: سَاحِرٌ وَكاهِنٌ وَكَذَّابٌ، وَهَدَىٰ اللَّهُ مَنِ اهْتَدىٰ، غَيْرَ أَنَّ الأَدِلَّةَ يَسْكُنُ إِلَيْها كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهُ عَزَّ وَجلَّ يَأْذَنُ لَنا فَنَتَكَلَّمُ، وَيَمْنَعُ فَنَصْمُتُ، وَلَوْ أَحَبَّ أَنْ لاَ يَظْهَرَ حَقّاً ما بَعَثَ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ، فَصَدَعوا بِالْحَقِّ فِي حَالِ الضَّعْفِ وَالْقُوَّةِ، وَيَنْطِقونَ فِي أَوْقاتٍ لِيَقْضيَ اللَّهُ أَمْرَهُ وَيُنْفِذَ حُكْمَهُ.

النَّاسُ فِي طَبَقاتٍ شَتَّىٰ: فَالْمُسْتَبْصِرُ عَلَىٰ سَبِيلِ نَجاةٍ، مُتَمَسِّكٌ بِالْحَقِّ، مُتَعَلِّقٌ بِفَرْعِ أَصْلٍ غَيْرَ شاكٍّ وَلاَ مُرْتابٍ، وَلاَ يَجِدُ عَنْهُ مَلْجأً.

وَطَبَقَةٌ لَمْ تَأْخُذِ الْحَقَّ مِنْ أَهْلِهِ، فَهُمْ كَراكِبِ الْبَحْرِ يَموجُ عِنْدَ مَوْجِهِ، وَيَسْكُنُ عِنْدَ سُكونِهِ.

وَطَبَقَةٌ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطانَ شَأْنُهُمْ الرَّدُّ عَلىٰ أَهْلِ الْحَقِّ، وَدَفْعِ الْحَقِّ بِالْباطِلِ

---

(١) إشارة إلى الآية الكريمة: ﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ سورة الأعراف: الآية ١٢٨.

(٢) روضات الجنّات: ٤/ ٢٧٣ و٢٧٤.

حَسَداً مِنْ عِنْدِ أنْفُسِهِمْ، فَدَعْ مَنْ ذَهَبَ يَمِيناً وشِمالاً، فَالرَّاعِي إذَا أرَادَ أنْ يَجْمَعَ غَنَمَهُ جَمَعَها بِأهْوَنِ السَّعْي.

ذَكَرْتَ مَا اخْتَلَفَ فِيهِ مَوالِيَّ، فَإذَا كَانَتِ الْوَصِيَّةُ وَالْكِبْرُ فَلاَ رَيْبَ، وَمَنْ جَلَسَ مَجالِسَ الْحُكْمِ فَهُوَ أوْلىٰ بِالْحُكْمِ، أحْسِنْ رعايَةَ مَنِ اسْتَرْعَيْتَ، وَإيَّاكَ وَالإذَاعَةَ، وَطَلَبَ الرِّئاسَةِ، فَإنَّهُمَا يَدْعوانِ إلَىٰ الْهَلَكَةِ.

ذَكَرْتَ شُخُوصَكَ إلَىٰ فَارِسَ، فَاشْخِصْ خَارَ اللَّهُ لَكَ وَتَدْخُلُ مِصْرَ إنْ شَاء اللَّهُ آمِناً، وَاقْرَءْ مَنْ تَثِقُ بِهِ مِنْ مَوالِيَّ السَّلامَ، وَمُرْهُمْ بِتَقْوىٰ اللَّهِ، الْعَظِيمِ، وَأدَاءِ الأمانَةِ، وَأعْلِمْهُمْ أنَّ الْمُذِيعَ عَلَيْنا حَرْبٌ لَنَا»[1].

٥ ـ رسالته عليه السلام إلى شخص من شيعته:

«مَا مُنِيَ أحَدٌ مِنْ آبائِي بِمِثْلِ مَا مُنِيتُ بِهِ مِنْ شَكِّ هَذِهِ الْعِصابَةِ فِيَّ، فَإنْ كَانَ هَذَا الأمْرُ أمْراً اعْتَقَدْتُموهُ، وَدِنْتُمْ بِهِ إلَىٰ وَقْتٍ ثُمَّ يَنْقَطِعُ، فَلِلشَّكِ مَوْضِعٌ، وَإنْ كَانَ مُتَّصِلاً مَا اتَّصَلَتْ أُمورُ اللَّهِ، فَما مَعْنَى الشَّكِّ»[2].

٦ ـ رسالته عليه السلام إلى عبد الله البيهقي:

«وَبَعْدُ: فَقَدْ بَعَثْتُ لَكُمْ إبْراهِيمَ بْنَ عَبْدَةَ لِيَدْفَعَ إلَيْهِ النَّواحِي، وَأهْلُ نَاحِيَتِكَ حُقوقِيَ الْوَاجِبَةَ عَلَيْكُمْ إلَيْهِ، وَجَعَلْتُهُ ثِقَتِي وَأمِينِي عِنْدَ مَوالِيَّ هُناكَ، فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ، وَلْيُراقِبوا، وَلْيُؤَدّوا الْحقوقَ، فَلَيْسَ لَهُمْ عُذْرٌ فِي تَرْكِ ذَلِكَ وَلاَ تَأْخِيرِهِ، وَلاَ أشْقاكُمُ اللَّهُ بِعِصْيانِ أوْلِيائِهِ، وَرَحِمَهُمُ اللَّهُ وَإيَّاكَ مَعَهُمْ بِرَحْمَتي لَهُمْ، إنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ كَرِيمٌ»[3].

٧ ـ رسالته عليه السلام في حقّ إبراهيم:

وكان الإمام عليه السلام قد أقام إبراهيم بن عبدة وكيلاً عنه في قبض الحقوق الشرعيَّة، وصرفها في إقامة دعائم الدِّين، وصلة المحتاجين، وقد زوَّده برسالة أشاد فيها بمكانة إبراهيم ووثاقته، وقد سئل عن تلك الرسالة هل هي بخطِّه.

فأجاب عليه السلام:

«وَكِتابِي الَّذِي وَرَدَ عَلَىٰ إبْرَاهِيمَ بْنَ عَبْدَةَ بَتَوْكِيلِي إيَّاهُ حُقوقِي مِنْ مَوالِينا هُناكَ.

---

(١) بحار الأنوار: ٧٥/ ٣٧١، الحديث ٤.

(٢) بحار الأنوار: ٧٥/ ٣٧٢، الحديث ٧.

(٣) الكشّي: ٥١٠/ ٩٨٣.

نَعَمْ، هُوَ كِتَابِي بِخَطِّي إِلَيْهِ، أَقَمْتُهُ لَهُمْ بِبَلَدِهِمْ حَقّاً غَيْرَ بَاطِلٍ، فَلْيَتَّقِ اللَّهَ حَقَّ تُقاهُ، وَلْيُخْرِجوا مِنْ حُقوقِي، وَلْيَدْفَعوها إِلَيْهِ، فَقَدْ جَوَّزْتُ لَهُ مَا يَعْمَلُ بِهِ فِيهَا، وَفَّقَهُ اللَّهُ، وَمَنَّ عَلَيْهِ بِالسَّلامَةِ مِنَ التَّقْصِيرِ»[١].

٨ ـ رسالته عليه السلام إلى بعض مواليه:

وبعث الإمام أبو محمَّد عليه السلام الرسالة التالية إلى بعض مواليه، وقد نعى فيها ما هم فيه من الاختلال والفرقة والانحراف عن الدِّين، وهذا نصّها بعد البسملة:

«اسْتَوْهِبُ اللَّهُ لَكُمْ زَهادَةً فِي الدُّنْيا، وَتَوْفِيقاً لِمَا يَرْضىٰ، وَمَعونَةً علىٰ طاعَتِهِ، وَعِصْمَةً عَنْ مَعْصِيَتِهِ، وَهَدايَةً مِنَ الزَّيْغِ وَكِفايَةً، فَجَمَعَ لَنا وَلأَوْلِيائِنا خَيْرَ الدَّارَيْنِ.

أَمَّا بَعْدُ: فَقَدْ بَلَغَنِي مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ اخْتِلافِ قُلوبِكُمْ، وَتَشْتِيتِ أَهْوائِكُمْ، وَنَزْغِ الشَّيْطانِ، حَتَّىٰ أَحْدَثَ لَكُمُ الْفُرْقَةَ وَالإِلْحادَ فِي الدِّينِ، وَالسَّعْيِ فِي هَدْمِ مَا مَضىٰ عَلَيْهِ أَوائِلُكُمْ مِنْ إِشادَةِ دِينِ اللَّهِ، وَإِثْباتِ حَقِّ أَوْلِيائِهِ، وَأَمالَكُمْ إِلىٰ سَبِيلِ الضَّلالَةِ، وَصَدَّ بِكُمْ عَنْ قَصْدِ الْحَقِّ، فَرَجَعَ أَكْثَرُكُمُ الْقَهْقَرىٰ عَلىٰ أَعْقابِكُمْ، تَنْكُصونَ كَأَنَّكُمْ لَمْ تَقْرَأُوا كِتابَ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ، وَلَمْ تَعوا شَيْئاً مِنْ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَلَعَمْرِي لَئِنْ كَانَ الأَمْرُ فِي اتِّكالِ سُفَهائِكُمْ عَلىٰ أَساطِيرِهِمْ لأَنْفُسِهِمْ وَتَأْلِيفِهِمْ رِواياتِ الزّورِ بَيْنَهُمْ لَقَدْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذابِ عَلَيْهِمْ، وَلَئِنْ رَضِيتُمْ بِذَلِكَ مِنْهُمْ وَلَمْ تُنْكِروهُ بِأَيْدِيكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ وَقُلوبِكُمْ وَنِيَّاتِكُمْ، إِنَّكُمْ شُرَكاؤُهُمْ فِي مَا اجْتَرَحوهُ مِنَ الإِفْتِراءِ عَلَىٰ اللَّهِ تَعالىٰ، وَعَلىٰ رَسُولِهِ، وَعَلىٰ وُلاةِ الأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ، وَلَئِنْ كَانَ الأَمْرُ كَذَلِكَ لَمَا كَذَبَ أَهْلُ الزَّبَدِ فِي دَعْواهُمْ، وَلاَ الْمُغِيرَةُ فِي اخْتِلافِهِمْ، وَلاَ الْكَيْسانِيَّةُ فِي صَاحِبِهِمْ، وَلاَ مَنْ سِواهُمْ مِنَ الْمُنْتَحِلِينَ وَالْمُنْحَرِفِينَ عَنَّا، بَلْ أَنْتُمْ شَرٌّ مِنْهُمْ قَلِيلاً وَما شَيْءٌ يَمْنعنِي مِنْ وسم، وَالْبَاطِلُ فِيكُمْ بِدَعْوَةٍ تَكونوا شَامَةً لأَهْلِ الْحَقِّ إِلاَّ انْتِظارُ فَيْئِهِمْ، وَسِيقَ أَكْثَرُهُمْ إِلىٰ أَمْرِ اللَّهِ إِلاَّ طائِفَةً لَوْ لَسَمَّيْتُها اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطانُ فَأَنْساهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ، وَمَنْ نَسِيَ ذِكْرَ اللَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ، فَسَيُصْلِيهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً.

وَكِتَابِي هَذَا حُجَّةٌ عَلَيْهِمْ، وَحُجَّةٌ لِغَائِبِكُمْ علىٰ شَاهِدِكُمْ، إِلاَّ مَنْ بَلَغَهُ فَأَدَّىٰ الأَمَانَةَ، وَأَنا أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْمَعَ قُلوبَكُمْ عَلىٰ الْهُدىٰ، وَيَعْصِمَكُمْ بِالتَّقْوىٰ، وَيُوَفِّقَكُمْ لِلْقَوْلِ بِما يَرْضىٰ. وَعَلَيْكُمُ السَّلامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكاتُهُ»[٢].

---

(١) الكشّي: ٥٨٠/١٠٨٨.

(٢) الدرّ النظيم: ص٧٤٨.

٩ ـ رسالته عليه السلام إلى بعض مواليه:

وأرسل الإمام أبو محمَّد عليه السلام إلى بعض مواليه هذه الرسالة، وقد جاء فيها بعد البسملة:

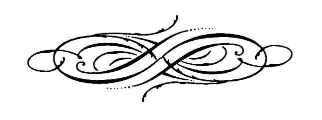
«كُلُّ مَقْدورٍ كائِنٌ، فَتَوَكَّلْ عَلَىٰ اللّهِ جَلَّ وَعَزَّ يَكْفِكَ، وَثِقْ بِهِ لاَ يُخَيِّبْكَ، وَشَكَوْتَ أخاكَ فَاعْلَمْ يَقِيناً أنَّ اللّهَ جَلَّ وَعَزَّ لاَ يُعِينُ عَلىٰ قَطِيعَةِ رَحِم، وَهُوَ جَلَّ ثَناؤُهُ مِنْ وَراءِ ظُلْمِ كُلِّ ظَالِمٍ، وَمَنْ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللّهُ، إنَّ اللّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ.

وَسَألْتُ الدُّعاءَ إنَّ اللّهَ جَلَّ وَعَزَّ لَكَ حَافِظٌ وَنَاصِرٌ وَسَاتِرٌ، وَأرْجو مِنَ اللّهِ الْكَرِيم الَّذِي عَرَّفَكَ مِنْ حَقِّهِ، وَحَقِّ أوْلِيائِهِ مَا عَمِيَ عَنْهُ غَيْرُكَ أنْ لاَ يُزِيل عنكَ نِعْمَةً أنْعَمَ بِهَا عَلَيْكَ، إنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيدٌ»[1].

١٠ ـ رسالته عليه السلام لبعض شيعته:

ورفع بعض الشيعة إلى الإمام عليه السلام رسالة يستغيث فيها من ظالمه ظلمه، واعتدى عليه. فأجابه عليه السلام بما يلي:

«نَحْنُ نَسْتَكْفِي بِاللّهِ جَلَّ وَعَزَّ فِي هَذَا الْيَوْمِ مِنْ كُلِّ ظَالِمٍ وَباغٍ وَحَاسِدٍ، وَوَيْلٌ لِمَنْ قَالَ مَا يَعْلَمُ اللّهُ جَلَّ وَعَزَّ خِلافَهُ، مَاذا يَلْقىٰ مِنْ دَيَّانِ يَوْمَ الدِّينِ! فَإنَّ اللّهَ جَلَّ وَعَزَّ لِلْمَظْلومِينَ نَاصِرٌ وَعَضُدٌ، فَثِقْ بِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، وَاسْتَعِنْ بِهِ يُزِلْ مِحْنَتَكَ، وَيَكْفِكَ شَرَّ كُلِّ ذِي شَرٍّ، فَعَلَ اللّهُ ذَلِكَ بِكَ، وَمَنَّ عَلَيْنا فِيكَ، إنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَاسْتَدْرَكَ اللّهُ كُلَّ ظَالِمٍ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ، مَا أحَدٌ ظَلَمَ وَبَغىٰ فَأفْلَحَ، الْوَيْلُ لِمَنْ أخَذَتْهُ أصابعُ الْمَظْلومِينَ، فَلاَ تَغْتَمَّ، وَثِقْ بِاللّهِ، وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ، فَما أسْرَعَ فَرَجَكَ، وَاللّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَعَ الَّذِينَ صَبَروا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنونَ»[2].



(١) الدرّ النظيم: ص٧٤٩.
(٢) الدرّ النظيم: ص٧٤٩.

كلماتٌ من نورٍ

فضل أهل البيت عليهم السلام:

لقد أشاد الإمام عليه السلام بفضل أهل البيت عليهم السلام الذين هم مصدر الوعي والإيمان في الإسلام.

قال عليه السلام: «قَدْ صَعَدْنا ذُرَىٰ الْحَقائِقِ بِأقْدامِ النُّبُوَّةِ وَالْوَلايَةِ، وَنَوَّرْنا السَّبْعَ الطَّرائِقَ بِأعْلامِ الْفُتُوَّةِ، فَنَحْنُ لُيوثُ الْوَغىٰ، وَغُيوثُ النَّدىٰ، وَفينا السَّيْفُ وَالْقَلَمُ فِي الْعاجِلِ، وَلِواءُ الْحَمْدِ وَالْعِلْمُ فِي الآجِلِ، وَأسْباطُنا خُلَفاءُ الدِّينِ، وَخُلَفاءُ الْيَقِينِ، وَمَصابِيحُ الأُمَمِ، وَمَفاتِيحُ الْكَرَمِ، فَالْكَرِيمُ لَبِسَ حُلَّةَ الاصْطِفاءِ لِمَا عَهِدْنَا مِنْهُ الْوَفاءَ، وَروحُ الْقُدُسِ فِي جِنانِ الصّاقورَةِ[١]، ذَاقَ مِنْ حَدائِقِنا الْباكورَةَ[٢]، وَشِيعَتُنا الْفِئَةُ النّاجِيَةُ، وَالْفِرْقَةُ الزّاكِيَةُ، صَاروا لَنا رِدَاءً وَصَوْناً، وَعَلىٰ الظَّلَمِةِ إلْباً وَعَوْناً. وَسَيَنْفَجِرُ لَهُمْ يَنابِيعُ الْحَيْوانِ بَعْدَ لَظىٰ النِّيرانِ، لِتَمامِ الرِّوايَةِ، وَالْغَواشِي مِنَ السِّنِينِ»[٣].

وصيَّته عليه السلام لشيعته:

وزوَّد الإمام عليه السلام شيعته بهذه الوصيَّة الحافلة بالنصائح الرفيعة، والمواعظ الحسنة، وهذا نصّها:

«أُوصيكُمْ بِتَقْوَىٰ اللَّهِ، وَالْوَرَعِ فِي دِينِكُمْ، وَالاجْتِهادَ لِلَّهِ، وَصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأداءِ الأمَانَةِ إلَىٰ مَنِ ائْتَمَنَكُمْ مِنْ بِرٍّ أوْ فَاجِرٍ، وَطُولِ السُّجودِ، وَحُسْنِ الْجِوارِ، فَبِهَذا جَاءَ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله.

صَلُّوا فِي عَشَائِرِهِمْ، وَاشْهَدوا جَنائِزَهُمْ، وَعودُوا مَرْضَاهُمْ، وَأدُّوا حُقُوقَهُمْ، فَإنَّ

---

(١) الصاقورة: السَّماء الثالثة.

(٢) الباكورة: أوَّل ما يدرك من الفاكهة.

(٣) بحار الأنوار: ٧٥/٣٧٨، الحديث ٣.

الرَّجُلَ مِنْكُمْ إذَا وَرَعَ فِي دِينِهِ، وَصَدَقَ فِي حَدِيثِهِ، وَأَدّىٰ الأَمَانَةَ، وَحَسَّنَ خُلُقَهُ مَعَ النَّاسِ، قِيلَ: هَذَا شيعي، فَيَسُرَّنِي ذَلِكَ.

اتَّقوا اللَّهَ، وَكونوا زَيْناً، وَلاَ تَكونوا شَيْناً، جُرُّوا إِلَيْنا كُلَّ مَوَدَّةٍ، وَارْفَعوا عَنَّا كُلَّ قَبيحٍ، فَإِنَّهُ مَا قِيلَ فِينا مِنْ حَسَنٍ فَنَحْنُ أَهْلُهُ، وَمَا قِيلَ فِينا مِنْ سُوءٍ فَما نَحْنُ كَذَلِكَ. لَنا حَقٌّ فِي كِتَابِ اللَّهِ، وَقَرابَةٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله.

أَكْثِروا ذِكْرَ اللَّهِ، وَذِكْرَ الْمَوْتِ، وَتِلاوَةَ الْقُرْآنِ، وَالصَّلاةِ عَلَىٰ النَّبيِّ صلى الله عليه وآله، فَإِنَّ فِي الصَّلاةَ عَلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله عَشْرُ حَسَناتٍ.

احْفَظوا مَا وَصَّيْتُكُمْ بِهِ، وَأَسْتَوْدِعُكُمُ اللَّهَ، وَأَقْرَأُ عَلَيْكُمُ السَّلاَمَ»[1].

نصيحة قيِّمة:

وزوَّد الإمام عليه السلام بعض أصحابه بهذه النصيحة القيِّمة، والحكمة البالغة.

قال عليه السلام: «ادْفَعِ الْمَسْأَلَةَ مَا وَجَدْتَ التَّحَمُّلَ يُمْكِنُكَ، فَإِنَّ لِكُلِّ يَوْمٍ رِزْقاً جَدِيداً، وَاعْلَمْ أَنَّ الإِلْحاحَ فِي الْمَطالِبِ يَسْلُبُ الْبَهاءَ، وَيُورِثُ التَّعَبَ وَالْعَناءَ، فَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَفْتَحِ اللَّهُ لَكَ باباً يَسْهُلُ الدُّخولُ فِيهِ، فَما أَقْرَبَ الصَّنِيعَ مِنَ الْمَلْهوفِ، وَالأَمْنَ مِنَ الْهارِبِ، فَرُبَّما كَانَتِ الْغِيَرُ نَوعٌ مِنْ أَدَبِ اللَّهِ، وَالْحُظوظُ مَراتِبُ، فَلاَ تَعْجَلْ عَلىٰ ثَمَرَةٍ لَمْ تُدْرَكْ، وَإِنَّما تَنالُها فِي أَوانِها.

وَاعْلَمْ أَنَّ الْمُدَبِّرَ لَكَ أَعْلَمُ بِالْوَقْتِ الَّذِي يَصْلَحُ لَكَ فِيهِ، فَثِقْ بِخِيَرَتِهِ فِي جَمِيعِ أُمُورِكَ يَصْلَحُ حَالُكَ، وَلاَ تَعْجَلْ بِحَوائِجِكَ قَبْلَ وَقْتِها، وَيَضِيقُ قَلْبُكَ وَصَدْرُكَ، وَيَغْشاكَ الْقُنوطُ.

وَاعْلَمْ أَنَّ لِلْحَياءِ مِقْداراً، فَإِنْ زَادَ عَلَىٰ ذَلِكَ فَهُوَ ضَعْفٌ، وَلِلْجودِ مِقْداراً، فَإِنْ زَادَ عَلىٰ ذَلِكَ فَهُوَ سَرَفٌ، وَلِلاقْتِصادِ مِقْداراً، فَإِنْ زَادَ فَهُوَ بُخْلٌ، وَلِلشَّجاعَةِ مِقْداراً، فَإِنْ زَادَ فَهُوَ التَّهَوُّرُ»[2].

وعظ وإرشاد:

كان الإمام أبو محمَّد عليه السلام يعظ أصحابه، ويذكِّرهم الدار الآخرة، ويحذِّرهم من فتن الدُّنيا وغرورها.

ومن وعظه: «إِنَّكُمْ فِي آجالٍ مَنْقُوصَةٍ، وَأَيَّامٍ مَعْدودَةٍ، وَالْمَوْتُ يَأْتِي بَغْتَةً. مَنْ يَزْرَعُ

---

(١) بحار الأنوار: ٧٥/ ٣٧٢.

(٢) نزهة الناظر في تنبيه الخواطر: ص١٤٣ و١٤٤.

خَيْراً يَحْصُد غِبْطَةً، وَمَنْ يَزْرَعُ شَرّاً يَحْصُدُ نَدامَةً. لِكُلِّ زارِعٍ ما زَرَعَ. لاَ يُسْبَقُ بَطِيءٌ بِحَظِّهِ، وَلاَ يُدْرِكُ حَرِيصٌ ما لَمْ يُقَدَّرْ لَهُ. مَنْ أُعْطِيَ خَيْراً فَاللَّهُ أَعْطاهُ، وَمَنْ وُقِيَ شَرّاً فَاللَّهُ وَقاهُ»[١].

التفكير في أمر الله تعالى:

ودعا الإمام عليه السلام إلى التفكُّر في أمر الله الهادف إلى الإيمان.

قال عليه السلام: «لَيْسَتِ العِبادَةُ كَثْرَةَ الصِّيامِ وَالصَّلاةِ، وَإِنَّما العِبادَةُ كَثْرَةُ التَّفَكُّرِ فِي أَمْرِ اللَّهِ»[٢].

الحكمة في تشريع الصوم:

سأله جعفر بن محمَّد بن حمزة العلوي عن الحكمة في تشريع الصوم.

فأجابه عليه السلام: «فَرَضَ اللَّهُ تَعالىٰ الصَّوْمَ لِيَجِدَ الْغَنِيُّ مَسَّ الْجوعِ فَيَحْنو عَلَىٰ الْفَقِيرِ»[٣].

ذمُّ المنافق:

وذمَّ الإمام عليه السلام المنافق، فقال: «بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ يَكونُ ذَا وَجْهَيْنِ، وَذا لِسانَيْنِ، يُطْري أخاهُ شاهِداً، وَيَأْكُلُهُ غائِباً، إنْ أُعْطِيَ حَسَدَهُ، وَإنْ ابْتُلِيَ خَذَلَهُ»[٤].

حبّ الأبرار وبغض الفجَّار لهم:

وتحدَّث الإمام عليه السلام عن حبّ الأبرار، وبغض الفجَّار لهم، فقال: «حُبُّ الأبْرارَ لِلأبْرارِ فَضِيلَةٌ لِلأبْرارِ، وَبُغْضُ الْفُجَّارِ لِلأبْرارِ زَيْنٌ لِلأبْرارِ، وَبُغْضُ الأبْرارِ لِلْفُجَّارِ خِزْيٌ لِلْفُجَّارِ»[٥].

بدائع الحكم القصار:

١ ـ «إذَا كَانَ الْمَقْضِيُّ كَائِناً، فَالضَّراعَةُ لِماذا؟»[٦].

٢ ـ «الْمُؤْمِنُ بَرَكَةٌ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِ، وَحُجَّةٌ عَلَىٰ الْكافِرِ»[٧].

---

(١) بحار الأنوار: ٧٨/ ٣٣٨.

(٢) تحف العقول: ص٤٨٨.

(٣) كشف الغمَّة: ٣/ ١٩٣.

(٤) تحف العقول: ص٤٨٨.

(٥) المجالس السنيَّة: ٢/ ٦٦٣.

(٦) نزهة الناظر في تنبيه الخواطر: ص٥١.

(٧) تحف العقول: ص٤٨٩.

٣ ـ «قَلْبُ الأحْمَقِ فِي فَمِهِ، وَفَمُ الْحَكِيمِ فِي قَلْبِهِ»[١]
٤ ـ «الْغَضَبُ مِفْتاحُ كُلِّ شَرٍّ»[٢].
٥ ـ «أَقَلُّ النَّاسِ رَاحَةً الْحَقودُ»[٣].
٦ ـ «أَوْرَعُ النَّاسِ مَنْ وَقَفَ عِنْدَ الشُّبْهَةِ، أَعْبَدُ النَّاسِ مَنْ أَقَامَ عَلَىٰ الْفَرائِضِ. أَزْهَدُ النَّاسِ مَنْ تَرَكَ الْحَرامَ. أَشَدُّ النَّاسِ اجْتِهاداً مَنْ تَرَكَ الذُّنُوبَ»[٤].
٧ ـ «لاَ يَشْغَلُكَ رِزْقٌ مَضْمونٌ عَنْ عَمَلٍ مَفْروضٍ»[٥].
٨ ـ «مَنْ تَعَدَّىٰ فِي ظُهورِهِ كَانَ كَنَاقِضِهِ»[٦].
٩ ـ «مَا تَرَكَ الْحَقَّ عَزِيزٌ إلاَّ ذَلَّ، وَلاَ أَخَذَ بِهِ ذَلِيلٌ إلاَّ عَزَّ»[٧].
١٠ ـ «صَدِيقُ الْجَاهِلِ تَعَبٌ»[٨].
١١ ـ «خِصْلَتَانِ لَيْسَ فَوْقَهُما شَيْءٌ: الإيمانُ بِاللَّهِ، وَنَفْعُ الإخْوانِ»[٩].
١٢ ـ «جُرْأَةُ الْوَلَدِ عَلَىٰ وَالِدِهِ فِي صِغَرِهِ تَدْعو إلَىٰ الْعُقوقِ فِي كِبَرِهِ»[١٠].
١٣ ـ «لَيْسَ مِنَ الأدَبِ إظْهَارُ الْفَرَحِ عِنْدَ الْمَحْزونِ»[١١].
١٤ ـ «خَيْرٌ مِنَ الْحَياةِ مَا إذَا فَقَدْتَهُ أَبْغَضْتَ الْحَياةَ، وَشَرٌّ مِنَ الْمَوْتِ مَا إذَا نَزَلَ بِكَ أَحْبَبْتَ الْمَوْتَ»[١٢].
١٥ ـ «رِياضَةُ الْجَاهِلِ، وَرَدُّ الْمُعْتَادِ عَنْ عَادَتِهِ كَالْمُعْجِزِ»[١٣].
١٦ ـ «التَّواضُعُ نِعْمَةٌ لاَ يُحْسَدُ عَلَيْها»[١٤].

---

(١) تحف العقول: ص٤٨٩.
(٢) تحف العقول: ص٤٨٨.
(٣) تحف العقول: ص٤٨٨.
(٤) تحف العقول: ص٤٨٩.
(٥) تحف العقول: ص٤٨٩.
(٦) تحف العقول: ص٤٨٩.
(٧) تحف العقول: ص٤٨٩.
(٨) تحف العقول: ص٤٨٩.
(٩) تحف العقول: ص٤٨٩.
(١٠) تحف العقول: ص٤٨٩.
(١١) تحف العقول: ص٤٨٩.
(١٢) تحف العقول: ص٤٨٩.
(١٣) تحف العقول: ص٤٨٩.
(١٤) تحف العقول: ص٤٨٩.

١٧ ـ «لاَ تُكْرِمِ الرَّجُلَ بِمَا يَشُقُّ عَلَيْهِ»[١].

١٨ ـ «مَنْ وَعَظَ أَخاهُ سِرّاً زانَهُ، وَمَنْ وَعَظَهُ عَلانِيَةً فَقَدْ شانَهُ»[٢].

١٩ ـ «مَا أَقْبَحَ بِالْمُؤْمِنِ أن تَكُونَ لَهُ رَغْبَةٌ تُذِلُّهُ»[٣].

٢٠ ـ «كَفَاكَ أَدَباً تَجَنُّبُكَ مَا تَكْرَهُ مِنْ غَيْرِكَ»[٤].

٢١ ـ «احْذَرْ كُلَّ ذَكِيٍّ سَاكِنِ الطَّرْفِ»[٥].

٢٢ ـ «لَوْ عَقَلَ أَهْلُ الدُّنيا خَرِبَتْ»[٦].

٢٣ ـ «أَضْعَفُ الأَعْداءِ كَيْداً مَنْ أَظْهَرَ عداوَتَهُ»[٧].

٢٤ ـ «خَيْرُ إِخوانِكَ مَنْ نَسِيَ ذَنْبَكَ، وَذَكَرَ إِحْسانَكَ إِلَيْهِ»[٨].

٢٥ ـ «حُسْنُ الصُّورَةِ جَمالٌ ظَاهِرٌ، وَحُسْنُ الْعَقْلِ جَمالٌ بَاطِنٌ»[٩].

٢٦ ـ «مَنْ أَنَسَ بِاللَّهِ اسْتَوْحَشَ مِنَ النَّاسِ»[١٠].

٢٧ ـ «مَنْ لَمْ يَتَّقِ وُجوهَ النَّاسِ لَمْ يَتَّقِ اللَّهَ»[١١].

٢٨ ـ «جُعِلَتِ الْخَبائِثُ فِي بَيْتٍ، وَالْكِذْبُ مَفاتيحُها»[١٢].

٢٩ ـ «إِذَا نَشِطَتِ الْقُلوبُ فَأَوْدِعوها، وَإِذَا نَفِرَتْ فَوَدِّعوها»[١٣].

٣٠ ـ «اللِّحاقُ بِمَنْ تَرْجو خَيْرٌ مِنَ الْمَقامِ مَعَ مَنْ لاَ تَأْمَنُ شَرَّهُ»[١٤].

---

(١) تحف العقول: ص٤٨٩.
(٢) تحف العقول: ص٤٨٩.
(٣) تحف العقول: ص٤٨٩.
(٤) نزهة الناظر: ص١٤٤، الحديث ٤.
(٥) نزهة الناظر: ص١٤٦، الحديث ٥.
(٦) نزهة الناظر: ص١٤٥، الحديث ٦.
(٧) نزهة الناظر: ص١٤٥، الحديث ٨.
(٨) بحار الأنوار: ٧٥/٣٧٧.
(٩) نزهة الناظر: ص١٤٥.
(١٠) نزهة الناظر: ص١٤٥.
(١١) نزهة الناظر: ص١٤٥.
(١٢) نزهة الناظر: ص١٤٥.
(١٣) نزهة الناظر: ص١٤٦.
(١٤) نزهة الناظر: ص١٤٦.

٣١ ـ «الْجَهْلُ خَصْمٌ، وَالْحِلْمُ حُكْمٌ، وَلَمْ يَعْرِفْ رَاحَةَ الْقُلوبِ مَنْ لَمْ يُجَرِّعْهُ الْحِلْمُ غُصَصَ الصَّبْرِ وَالْغَيْظِ»[١].

٣٢ ـ «نَائِلُ الْكَرِيمِ يُحَبِّبُكَ إِلَيْهِ، وَنَائِلُ اللَّئِيمِ يَضَعُكَ لَدَيْهِ»[٢].

٣٣ ـ «مَنْ كَانَ الْوَرَعُ سَجِيَّتَهُ، وَالإِفْضَالُ حُلْيَتَهُ، انْتَصَرَ مِنْ أَعْدائِهِ بِحُسْنِ الثَّناءِ عَلَيْهِ، وَتَحَصَّنَ بِالذِّكْرِ الْجَمِيلِ مِنْ وُصولِ نَقْصٍ إِلَيْهِ»[٣].

٣٤ ـ «مَنْ مَدَحَ غَيْرَ الْمُسْتَحَقِّ فَقَدْ قَامَ مَقامَ الْمُتَّهَمِ»[٤].

٣٥ ـ «لاَ يَعْرِفُ النِّعْمَةَ إِلاَّ الشَّاكِرُ، وَلاَ يَشْكُرُ النِّعْمَةَ إِلاَّ الْعَارِفُ»[٥].

٣٦ ـ «السَّهَرُ أَلَذُّ لِلْمَنامِ، وَالْجوعُ أَزْيَدُ فِي طِيبِ الطَّعَامِ»[٦].

٣٧ ـ «إِنَّ الْوُصُولَ إِلَىٰ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ سَفَرٌ لاَ يُدْرَكُ إِلاَّ بِامْتِطاءِ اللَّيْلِ»[٧].

٣٨ ـ «مَنْ لَمْ يُحْسِنْ أَنْ يَمْنَعَ لَمْ يُحْسِنْ أَنْ يُعْطِيَ»[٨].

٣٩ ـ «لاَ تَطْلُبِ الصَّفاءَ مِمَّنْ كَدَّرْتَ عَلَيْهِ، وَلاَ النُّصْحَ مِمَّنْ صَرَفْتَ سُوءَ ظَنِّكَ إِلَيْهِ، فَإِنَّما قَلْبُ غَيْرِكَ لَكَ كَقَلْبِكَ لَهُ»[٩].

٤٠ ـ «مِنَ الْجَهْلِ الضَّحْكُ مِنْ غَيْرِ عَجَبٍ»[١٠].

٤١ ـ «إِنَّ لِكَلامِ اللَّهِ فَضْلاً عَلَىٰ الْكَلامِ كَفَضْلِ اللَّهِ عَلَىٰ خَلْقِهِ، وَلِكَلامِنا فَضْلٌ عَلَىٰ كَلاَمِ النَّاسِ كَفَضْلِنا عَلَيْهِمْ»[١١].

٤٢ ـ «مِنَ التَّواضُعِ السَّلامُ عَلَىٰ كُلِّ مَنْ تَمُرُّ بِهِ، وَالْجُلوسُ دُونَ شَرَفِ الْمَجْلِسِ»[١٢].

---

(١) نزهة الناظر: ص١٤٦.
(٢) نزهة الناظر: ص١٤٧.
(٣) نزهة الناظر: ص١٤٧.
(٤) نزهة الناظر: ص١٤٣.
(٥) نزهة الناظر: ص١٤٣.
(٦) بحار الأنوار: ٧٥/ ٣٦٩.
(٧) بحار الأنوار: ٧٥/ ٣٨٠.
(٨) بحار الأنوار: ٧٥/ ٣٨٠.
(٩) الأنوار البهيّة: ص٢٨٧.
(١٠) بحار الأنوار: ٧٥/ ٣٧٢.
(١١) أعيان الشيعة: ٦/ ٣٨١.
(١٢) تحف العقول: ص٤٨٧.

٤٣ ـ «أَوْلَى النَّاسِ بِالْمَحَبَّةِ مِنْهُمْ مَنْ أَمَلُّوهُ»[١].

٤٤ ـ «مِنَ الْفَواقِرِ[٢] الَّتِي تَقْصِمُ الظَّهْرَ جارٌ إنْ رَأىٰ حَسَنَةً أَطْفَأَهَا، وَإنْ رَأىٰ سَيِّئَةً أفْشاها»[٣].

٤٥ ـ «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ أقْرَبُ إلَىٰ اسْمِ اللَّهِ الإعْظَمِ مِنْ سَوادِ الْعَيْنِ إلىٰ بَياضِها»[٤].

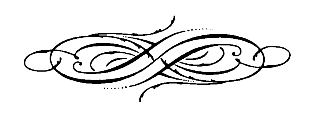
٤٦ ـ «لاَ تُمارِ فَيَذْهَبَ بَهاؤُكَ، وَلاَ تُمازِحْ فَيُجْتَرَأَ عَلَيْكَ»[٥].

٤٧ ـ «مَنْ رَضِيَ بِدُونِ الشَّرَفِ مِنَ الْمَجْلِسِ لَمْ يَزَلِ اللَّهُ وَمَلاَئِكَتُهُ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَقومَ»[٦].

٤٨ ـ «الإشْراكُ فِي النَّاسِ أخْفَىٰ مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ عَلىٰ الْمَسْحِ الأسْوَدِ فِي اللَّيْلَةِ الْمُظْلِمَةِ»[٧].

٤٩ ـ «لِلْقُلوبِ خَواطِرٌ مِنَ الْهَوىٰ، وَالْعُقولُ تَزْجُرُ، وَتُزادُ فِي التَّجارُبِ عِلْماً مُسْتَأْنَفاً، وَالاعْتِبارُ يُفِيدُ الرَّشَادَ»[٨].

٥٠ ـ «الْمَقَادِيرُ الْغَالِيَةُ لاَ تُدْفَعُ بِالْمُغَالَبَةِ، وَالأرْزَاقُ الْمَكْتوبَةُ لاَ تُنَالُ بِالشَّرَهِ وَالْمُطَالَبَةِ، تُذَلِّلُ لِلْمَقَادِيرِ نَفْسَكَ، وَاعْلَمْ أنَّكَ غَيْرُ نائِلٍ بِالْحِرْصِ إلاَّ مَا كُتِبَ لَكَ»[٩].



(١) نزهة الناظر: ص١٤٥.
(٢) الفواقر ـ جمع فاقرة ـ: الداهية العظيمة.
(٣) تحف العقول: ص٤٨٧.
(٤) تحف العقول: ص٤٨٧.
(٥) تحف العقول: ص٤٨٦.
(٦) تحف العقول: ص٤٨٦.
(٧) تحف العقول: ص٤٨٧.
(٨) نزهة الناظر: ص١٤٤، الحديث ٤.
(٩) نزهة الناظر: ص١٤٦، الحديث ٢٠.

في رحاب القرآن الكريم

كان الإمام أبو محمَّد الحسن العسكري عليه السلام من أئمَّة المفسِّرين، وقد أثر عنه تفسير خاصّ عرف بتفسير الإمام العسكري، ولا بأس أن نلمح إلى كوكبة من الآيات الكريمة التي فسَّرها، وفي ما يلي ذلك:

١ ـ قال أبو هاشم: «كنت عند أبي محمَّد عليه السلام فسأله ابن صالح الأرمني عن قوله الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ﴾[1].

قال الإمام أبو محمَّد عليه السلام: **ثَبَتَتِ الْمَعْرِفَةُ، وَنَسوا ذَلِكَ الْمَوْقِفَ وَسَيَذْكُرونَهُ، وَلَوْلاَ ذَلِكَ لَمْ يَدْرِ أَحَدٌ مَنْ خَالِقُهُ وَلاَ مَنْ رَازِقُهُ.**

قال أبو هاشم: فجعلت أتعجَّب في نفسي من عظيم ما أعطى الله وليّه، وجزيل ما حمَّله، فأقبل أبو محمَّد عليَّ، فقال: **الأَمْرُ أَعْجَبُ مِمَّا عَجِبْتَ مِنْهُ يا أبا هاشِمٍ وَأَعْظَمُ، مَا ظَنُّكَ بِقَوْمٍ مَنْ عَرَفَهُمْ عَرَفَ اللَّهَ، وَمَنْ أَنْكَرَهُمْ أَنْكَرَ اللَّهَ، فَلاَ مُؤْمِنٌ إلاَّ وَهُوَ بِهِمْ مُصَدِّقٌ، وَبِمَعْرِفَتِهِمْ مُوقِنٌ**[2].

٢ ـ روى سفيان بن محمَّد الصيفي، قال: «كتبت إلى أبي محمَّد عليه السلام أسأله عن الوليجة وهو قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً﴾[3]، وقلت في نفسي لا في الكتاب من يرى المؤمن هاهنا.

فرجع الجواب: **الْوَلِيجَةُ الَّتِي تُقَامُ دُونَ وَلِيِّ الأمرِ، وَحَدَّثَتْكَ نَفْسُكَ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ مَنْ هُمْ فِي هَذا الْمَوْضِعِ، فَهُمُ الأَئِمَّةُ الَّذِينَ يُؤْمِنونَ عَلَىٰ اللَّهِ، فَنَحْنُ إِيَّاهُمْ**[4].

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٧٢.
(٢) كشفة الغمَّة: ٣/ ٢١٠.
(٣) سورة التوبة: الآية ١٦.
(٤) مناقب آل أبي طالب: ٣/ ٥٣٢.

٣ ـ سأل محمَّد بن صالح الأرمني الإمام أبا محمَّد عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿يَمْحُواْ اللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾[1].

فقال الإمام عليه السلام: **هَلْ يَمْحو اللَّهُ إلاَّ ما كانَ، وَهَلْ يُثْبِتُ إلاَّ ما لَمْ يَكُنْ. تعالَىٰ الْجَبَّارُ الْعالِمُ بِالأشياءِ قَبْلَ كَوْنِها، الْخالِقُ إِذْ لاَ مَخْلوقَ، وَالرَّبُّ إِذْ لاَ مَرْبوبَ، وَالْقادِرُ قَبْلَ الْمَقْدورِ عَلَيْهِ.**

وانبرى محمَّد بن صالح، فقال: أشهد أنَّك حجَّة الله ووليّه، وإنَّك على منهاج الحقّ الإمام أمير المؤمنين[2].

٤ ـ سأل محمَّد بن صالح الأرمني الإمام أبا محمَّد عليه السلام عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾[3].

فقال الإمام أبو محمَّد عليه السلام: **«لَهُ الأمْرُ مِنْ قَبْلِ أنْ يَأمُرَ بِهِ، وَلَهُ الأمْرُ مِنْ بَعْدِ أنْ يَأمُرَ بِمَا يَشاءُ».**

فقلت في نفسي: هذا قول الله: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[4].

فنظر إليَّ الإمام وتبسَّم، وثمَّ قال: **«لَهُ الْخَلْقُ وَالأمْرُ تَبارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعالَمِينَ»**[5].

٥ ـ روى الثقة الأمين أبو هاشم الجعفري، قال: «كنت عند أبي محمَّد عليه السلام فسألته عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[6].

فقال عليه السلام: **إنَّها وَرَدَتْ فِي آلِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَالظَّالِمُ لِنَفْسِهِ الَّذِي لا يَقِرُّ بِالإمامِ، وَالْمُقْتَصِدُ الْعارِفُ بِالإمامِ، وَالسَّابِقُ بِالْخَيْراتِ بِإذْنِ اللَّهِ الإمامُ عليه السلام.**

قال أبو هاشم: فدمعت عيناي وجعلت أفكِّر في نفسي ما أعطى الله آل محمَّد ﷺ.

فنظر إليَّ الإمام وقال: **عِظَمَ ما حَدَّثَتْكَ بِهِ نَفْسُكَ مِنْ عِظَمِ شَأْنِ آلِ مُحَمَّدٍ، فَاحْمَدِ اللَّهَ، فَقَدْ جَعَلَكَ اللَّهُ مُتَمَسِّكاً بِحُبِّهِمْ، تُدْعىٰ يَوْمَ الْقِيامَةِ بِهِمْ إذَا دُعِيَ كُلُّ إنْسانٍ بِإمَامِهِ، فَأبْشِرْ يا أبا هاشِمٍ، فَإنَّكَ عَلَىٰ خَيْرٍ**[7].

---

(١) سورة الرعد: الآية ٣٩.

(٢) الثاقب في المناقب: ص٢٤٢.

(٣) سورة الروم: الآية ٤.

(٤) سورة الأعراف: الآية ٥٤.

(٥) كشف الغمَّة: ٣/ ٢١٠.

(٦) سورة فاطر: الآية ٣٢.

(٧) الثاقب في المناقب: ص٢٤١ و٢٤٢.

أحاديثه وفقهه

ما روي عنه عليه السلام من الأحكام:

١ ـ كتب محمَّد بن الحسن الصفَّار إلى أبي محمَّد الحسن بن عليّ عليهما السلام: كم حدّ الماء الذي يغسل به الميِّت، كما رووا أنَّ الجنب يغتسل بستّة أرطال من ماء، والحائض بتسعة أرطال، فهل للميِّت حدّ من الماء الذي يغسل به؟

فوقَّع الإمام عليه السلام: **حَدُّ غُسْلِ الْمَيِّتِ يُغَسَّلُ حَتَّىٰ يَطْهُرَ إنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالىٰ.**

وقال أبو جعفر الصدوق نضَّر الله مثواه: «وهذا التوقيع في جملة توقيعاته عندي بخطِّه عليه السلام في صحيفة»[١].

٢ ـ كتب إبراهيم بن مهزيار إلى أبي محمَّد الحسن عليه السلام يسأله عن الصلاة في (القرمز)، فإنَّ أصحابنا يتوقَّفون عن الصلاة فيه، فكتب: **«لاَ بَأْسَ فِيهِ مُطْلَقاً، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ»**[٢].

أمَّا القرمز فهو صبغ أرمني يتَّخذ من عصارة دود[٣]، ولا مانع من لبسه، وإنَّما الممنوع هو لبس الحرير.

٣ ـ كتب محمَّد بن الحسن الصفَّار رضي الله عنه إلى أبي محمَّد الحسن بن عليّ عليه السلام في رجل مات وعليه قضاء من شهر رمضان عشرة أيَّام، وله وليّان هل يجوز لهما أن يقضيا عنه جميعاً خمسة أيَّام أحد الوليِّين وخمسة أيَّام الآخر؟

فوقَّع عليه السلام: **يَقْضِي عَنْهُ أَكْبَرُ وَلِيَّيْهِ عَشَرَةَ أَيَّامٍ وَلاءً إنْ شاءَ اللَّهُ.**

قال الشيخ الصدوق: «وهذا التوقيع عندي مع توقيعاته إلى محمَّد بن الحسن الصفَّار»[٤].

---

(١) من لا يحضره الفقيه: ١/ ٨٦.
(٢) من لا يحضره الفقيه: ١/ ١٧١.
(٣) مجمع البحرين: ٣/ ١٤٧٠.
(٤) من لا يحضره الفقيه: ٢/ ٩٨.

٤ ـ كتب إبراهيم بن مهزيار إلى أبي محمَّد عليه السلام: «أُعلمك يا مولاي أنَّ مولاك عليّ بن مهزيار أوصى بأن يحجّ عنه من ضيعة صيَّر ريعها لك حجَّة في كلّ سنة بعشرين ديناراً، وأنَّه منذ انقطع طريق البصرة تضاعفت المؤونة على الناس، فليس يكتفون بعشرين ديناراً، وكذلك أوصى عدَّة من مواليك في حجّتين.

فكتب عليه السلام: **تُجْعَلُ ثَلاثَ حُجَجٍ حِجَّتَيْنِ إنْ شَاءَ اللَّهُ تَعالىٰ**»[1].

٥ ـ وكتب عليّ بن محمَّد الحضيني إلى الإمام أبي محمَّد عليه السلام: «إنَّ ابن عمِّي أوصى أن يحجّ عنه بخمسة عشر ديناراً في كلّ سنة، فليس يكفي، فما تأمرني في ذلك؟

فكتب عليه السلام: **تُجْعَلُ حِجَّتَيْنِ فِي حِجَّةٍ. إنَّ اللَّهَ عَالِمٌ بِذَلِكَ**»[2].

٦ ـ كتب محمَّد بن الحسن الصفَّار رضي الله عنه إلى أبي محمَّد الحسن بن عليّ عليهما السلام: «هل تقبل شهادة الوصيّ للميِّت بدين له على رجل مع شاهد عدل؟

فوقَّع عليه السلام: **إذَا شَهِدَ مَعَهُ عَدْلٌ فَعَلَىٰ الْمُدَّعي الْيَمِينُ**.

وكتب إليه: أوَ تقبل شهادة الوصيّ على الميِّت بدين مع شاهد آخر عدل؟

فوقَّع عليه السلام: **نَعَمْ، مِنْ بَعْدِ يَمِينٍ**»[3].

٧ ـ كتب محمَّد بن الحسن الصفَّار إلى أبي محمَّد عليه السلام: «رجل أوصى إلى ولده وفيهم كبار قد أدركوا وفيهم صغار، ويجوز للكبار أن ينفِّذوا وصيَّته، ويقضوا دينه لمن صحَّ على الميِّت بشهود عدول قبل أن يدرك الأوصياء الصغار.

فوقَّع عليه السلام: **نَعَمْ، عَلَىٰ الأكابِرِ أنْ يَقْضوا دَيْنَ أبيهِمْ، وَلاَ يَحْبِسوهُ بِذَلِكَ**»[4].

٨ ـ كتب محمَّد بن الحسن الصفَّار رضي الله عنه إلى أبي محمَّد الحسن بن علي عليهما السلام: «رجل يبذرق القوافل ـ أي يقوم بخفارتها وحراستها ـ من غير أمر السلطان في موضع مخيف، ويشارطونه على شيء مُسمَّى، أله أن يأخذ منهم أم لا؟

فوقَّع عليه السلام: **إذا واجَرَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ مَعْروفٍ أخَذَ حَقَّهُ إنْ شاءَ اللَّهُ**»[5].

٩ ـ كتب محمَّد بن الحسن الصفَّار رضي الله عنه إلى أبي محمَّد الحسن بن

---

(١) من لا يحضره الفقيه: ٢/ ٢٧٢.
(٢) من لا يحضره الفقيه: ٢/ ٢٧٢.
(٣) من لا يحضره الفقيه: ٣/ ٤٤.
(٤) وسائل الشيعة ـ أحكام الوصايا: ١٩/ ٣٧٥، الحديث ٢٤٧٩٤.
(٥) التهذيب: ٢/ ١١٥. من لا يحضره الفقيه: ٣/١٠٦.

عليّ عليه السلام في رجل اشترى من رجل بيتاً في دار له بجميع حقوقه، وفوقه بيت آخر، هل يدخل البيت الأعلى في حقوق البيت الأسفل؟

فوقَّع عليه السلام: **لَيْسَ لَهُ إلاَّ ما شْتَرَاهُ بِاسْمِهِ وَمَوْضِعِهِ إنْ شاءَ اللَّهُ**[1].

١٠ ـ كتب إليه محمَّد بن الحسن الصفَّار رضي الله عنه في رجل قال لرجلين: اشهدا أنَّ جميع الدار التي له في موضع كذا وكذا بحدودها كلّها لفلان ابن فلان، وجميع ما له في الدار من المتاع، والبيِّنة لا تعرف المتاع أي شيء هو؟

فوقَّع عليه السلام: **يَصْلُحُ إذا أحاطَ الشِّراءُ بِجَمِيعِ ذَلِكَ إنْ شَاءَ اللَّهُ**[2].

وعلم الإمام عليه السلام من السؤال ومن قرائن خارجيَّة أنَّ البيع وقع على الدار وما فيها من متاع.

فأجاب: **يَصْلُحُ إذا أحاطَ الشِّراءُ بِجَمِيعِ ذَلِكَ.**

١١ ـ كتب إليه محمَّد بن الحسن الصفَّار رضي الله عنه في رجل كانت له قطاع أرضين، فحضره الخروج إلى مكَّة، والقرية على مراحل من منزله، ولم يكن له من المقام ما يأتي بحدود أرضه، وعرف حدود القرية الأربعة، فقال للشهود: اشهدوا أنِّي قد بعث من فلان ـ يعني المشتري ـ جميع القرية التي حدّ منها كذا، والثاني، والثالث، والرابع، وإنَّما له في هذه القرية قطاع أرضين، فهل يصلح للمشتري ذلك، وإنَّما له بعض هذه القرية، وقد أقرَّ له بكلّها؟

فوقَّع عليه السلام: **لاَ يَجوزُ بَيْعُ ما لَيْسَ يَمْلِكُ، وَقَدْ وَجَبَ الشِّراءُ مِنَ الْبائِعِ عَلىٰ مَا يَمْلِكُ**[3].

١٢ ـ كتب محمَّد بن الحسن إلى الإمام أبي محمَّد عليه السلام في رجل يشهده أنَّه قد باع ضيعة من رجل آخر وهي قطاع أرضين، ولم يعرف الحدود في وقت ما أشهده، وقال: إذا أتوك بالحدود فاشهد بها، هل يجوز له أن يشهد؟

فوقَّع عليه السلام: **نَعَمْ، يَجوزُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ**[4].

١٣ ـ كتب محمَّد بن الحسن الصفَّار رضي الله عنه إلى الإمام أبي محمَّد عليه السلام: «هل يجوز أن يشهد على الحدود إذا جاء قوم آخرون من أهل تلك القرية فشهدوا أنَّ

(١) من لا يحضره الفقيه: ٣/ ١٥٣.
(٢) من لا يحضره الفقيه: ٣/ ١٥٣.
(٣) التهذيب: ٢/ ١٥٩.
(٤) من لا يحضره الفقيه: ٣/ ١٥٣.

حدود هذه القرية التي باعها الرجل هي هذه، فهل يجوز لهذا الشاهد الذي أشهده بالضيعة ولم يسمِّ الحدود أن يشهد بالحدود بقول هؤلاء الذين عرفوا هذه الضيعة، وشهدوا لها؟ أم لا يجوز لهم أن يشهدوا وقد قال لهم البائع: اشهدوا بالحدود إذا أتوكم بها؟

فوقَّع عليه السلام: **لا يَشْهَدُ إلاَّ علَىٰ صَاحِبِ الشَّيْءِ وَبِقَوْلِهِ، إنْ شَاءَ اللَّهُ»**[1].

١٤ ـ كتب محمَّد بن الحسن الصفَّار رضي الله عنه إلى أبي محمَّد الحسن بن عليّ عليه السلام: «رجل حلف بالبراءة من الله عزَّ وجلَّ أو من رسول الله صلى الله عليه وآله فحنث، ما توبته، وما كفَّارته؟

فوقَّع عليه السلام: **يُطْعِمُ عَشَرَةَ مَساكِينَ، لِكُلِّ مِسْكِينٍ مُدٌّ، وَيَسْتَغْفِرُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ»**[2].

١٥ ـ كتب محمَّد بن الحسن الصفَّار رضي الله عنه إلى أبي محمَّد الحسن بن عليّ عليه السلام في امرأة طلَّقها زوجها، ولم يجر عليها النفقة، وهي محتاجة، هل يجوز لها أن تخرج وتبيت عن منزلها للعمل والحاجة؟

فوقَّع عليه السلام: **لاَ بَأْسَ بِذَلِكَ إذا عَلِمَ اللَّهُ الصِّحَّةَ مِنْها**[3].

١٦ ـ كتب محمَّد بن الحسن الصفَّار إلى أبي محمَّد الحسن بن عليّ عليه السلام في امرأة مات عنها زوجها وهي في عدَّة منه، وهي محتاجة لا تجد من ينفق عليها، وهي تعمل للناس، هل يجوز لها أن تخرج وتعمل وتبيت عن منزلها للعمل والحاجة في عدَّتها؟

فوقَّع عليه السلام: **لاَ بَأْسَ بِذَلِكَ إنْ شَاءَ اللَّهُ**[4].

١٧ ـ كتب محمَّد بن الحسن الصفَّار رضي الله عنه إلى أبي محمَّد الحسن بن عليّ عليه السلام: «رجل أوصى إلى رجلين أيجوز لأحدهما أن ينفرد بنصف التركة، والآخر بالنصف؟

فوقَّع عليه السلام: **لاَ يَنْبَغِي لَهُما أنْ يُخالِفا الْمَيِّتَ وَيَعْمَلا عَلَىٰ حَسْبِ ما أَمَرَهُما بِهِ»**[5].

١٨ ـ كتب محمَّد بن الحسن الصفَّار رضي الله عنه إلى أبي محمَّد الحسن بن

---

(١) التهذيب: ٢/ ١٥٩.
(٢) التهذيب: ٢/ ٣٣٢.
(٣) من لا يحضره الفقيه: ٣/ ٣٢٢.
(٤) من لا يحضره الفقيه: ٣/ ٣٢٨.
(٥) من لا يحضره الفقيه: ٤/ ١٥١.

عليّ عليه السلام: «رجل أوصى بثلث ماله في مواليه ومولياته، الذكر والأُنثى فيه سواء؟ أو للذكر مثل حظّ الأُنثيين من الوصيّة؟

فوقّع عليه السلام: **جَائِزٌ لِلْمَيِّتِ ما أَوْصىٰ بِهِ عَلَىٰ مَا أَوْصىٰ بِهِ إنْ شاءَ اللَّهُ**»(١).

١٩ ـ كتب سهل بن زياد الآدمي إلى أبي محمّد عليه السلام: «رجل له ولد ذكر وإناث، فأقرَّ بضيعة أنّها لولده، ولم يذكر أنّها بينهم على سهام الله وفرائضه الذكر والأُنثى فيه سواء؟

فوقّع عليه السلام: **يُنَفِّذونَ وَصِيَّةَ أبيهِمْ عَلىٰ مَا سَمَّىٰ، فَإنْ لَمْ يَكُنْ سَمَّىٰ شَيْئاً رَدّوها عَلىٰ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إنْ شَاءَ اللَّهُ**»(٢).

٢٠ ـ كتب محمّد بن الحسن الصفّار رضي الله عنه إلى أبي محمّد الحسن بن عليّ عليه السلام: «رجل كان وصيّ رجل فمات، وأوصى إلى رجل آخر، هل يلزم الوصيّ وصيَّة الرجل الذي كان هذا وصيّه؟

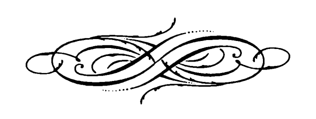
فكتب عليه السلام: **يَلْزَمُهُ بِحَقِّهِ إنْ كَانَ لَهُ قِبَلَهُ حَقٌّ إنْ شَاءَ اللَّهُ**»(٣).

٢١ ـ كتب محمّد بن الحسن الصفّار رضي الله عنه إلى أبي محمّد الحسن بن عليّ عليه السلام: في الوقوف، وما روي فيها عن آبائه عليهم السلام.

فوقّع عليه السلام: **الْوقوفُ تكونُ عَلىٰ حَسَبِ ما يُوقِفُها أَهْلُها إنْ شَاءَ اللَّهُ تَعالىٰ**(٤).

٢٢ ـ كتب محمّد بن الحسن الصفّار رضي الله عنه إلى أبي محمّد الحسن بن عليّ عليه السلام: «رجل مات وترك ابن ابنة وأخاه لأبيه وأُمّه لمن يكون الميراث؟

فوقّع عليه السلام: **الْمِيرَاثُ لِلأَقْرَبِ إنْ شَاءَ اللَّهُ**»(٥).



(١) من لا يحضره الفقيه: ٤/١٩٦.
(٢) من لا يحضره الفقيه: ٤/١٥٥.
(٣) التهذيب: ٢/٣٩٣.
(٤) من لا يحضره الفقيه: ٤/١٧٦.
(٥) من لا يحضره الفقيه: ١/١٦٩.

الحياة الاقتصادية

وفيما يلي عرض موجز لهيكل الاقتصاد العام في العصر العبَّاسي:

واردات الدولة:

كان أكثر واردات الدولة تُجبى من الخراج والصدقات، وهي تقدَّر بملايين الدنانير، فكان متوسّطها ـ فيما يقول بعض المؤرّخين ـ يبلغ في كلّ عام ثلاثمائة وستّين ألف ألف درهم[(١)].

وربَّما زادت في بعض الأعوام فبلغت خمسمائة ألف ألف درهم[(٢)].

وكانت للدرهم قيمة ملحوظة في ذلك العصر، فكان يساوي قيمة شاة، أو قيمة زقّ من العسل، أو قيمة زقّ من السمن، كما كان الدينار يساوي قيمة جمل.

ومن المؤسف أنَّ هذه الأموال الطائلة لم تكن تنفق على تطوير الحياة العلميَّة والصحيَّة والاقتصاديَّة حسبما يريده الإسلام، وإنَّما كانت تذهب إلى جيوب الحكَّام، فينفقونها بسخاء على بناء القصور الشاهقة كما كان يفعل المتوكّل، وعلى الماجنين والمغنِّين والعابثين، وغير ذلك من شؤون الحياة الفاسقة.

العنف في جباية الخراج:

يقول الجهشياري: «كان أهل الخراج يعذَّبون بصنوف العذاب من السباع والزنابير، وكان محمَّد بن مسلم خاصَّاً بالمهدي، فلمَّا تقلَّد الخلافة ووجد أهل الخراج يعذَّبون شاور محمَّد بن مسلم فيهم، فقال له: يا أمير المؤمنين، هذا موقف له ما بعده، وهم غرماء المسلمين، فالواجب أن يطالبوا مطالبة الغرماء، فأمر برفع العذاب عنهم»[(٣)].

---

(١) تاريخ التمدُّن الإسلامي: ٥/٧٩.
(٢) الوزراء والكتَّاب: ص٢٨٨.
(٣) الوزراء والكتَّاب: ص١٤٢.

وفي عهد الرشيد طعن الناس في الفضل بن يحيى البرمكي، وكان والياً على خراسان، وقد أكثروا من الشكوى منه، فعزله الرشيد، وولّى مكانه عليّ بن عيسى، فقتل وجوه أهل خراسان، وجمع أموالاً خطيرة، وحمل إلى الرشيد ألف بدرة معمولة من الحرير، وفيها عشرة آلاف ألف درهم[١].

وقد عانى أهل الموصل في جباية الخراج أشدّ ألوان الظلم، فقد كان الوالي عليهم من قِبل الرشيد يحيى بن سعيد، فطالبهم بخراج سنين مضت، وجلد أكثرهم[٢].

زيادة الخراج:

أمَّا زيادة الخراج فظاهرة منتشرة بين عمَّال العبَّاسيِّين، فقد كان العمَّال يطالبون الناس بأكثر ممَّا عليهم ليقطعوا قسماً من الأموال لأنفسهم، ولمَّا ولي أبو عبيد الله بن يسار الوزارة من قِبل المهدي جعل الخراج على النخل والشجر، واستمرَّت الحال من بعده على ذلك[٣].

وعانت مصر أشقّ ألوان المحن والخطوب في أمر الخراج، فقد زاد حاكمها موسى بن مصعب على كلّ فدان ضعف ما تقبل به، وجعل خراجاً على أهل الأسواق، وعلى الدواب، وعاد إلى الرشوة في الأحكام، وقد هجاه أحد شعراء ذلك العصر بقوله:

لَوْ يَعْلَمُ الْمَهْدِيُّ مَاذَا الَّذِي لَمْ يَفْعَلُهُ مُوسىٰ وَأَيُّوبُ
بِأَرْضِ مِصْرَ حِينَ حَلاًّ بِهَا لَمْ يُتَّهَمْ فِي النُّصْحِ يَعْقُوبُ[٤]

وقد ثار عليه اليمانيَّة والقيسيَّة من جرَّاء ظلمه[٥].

ويقول ابن تغري بردي: «إنَّه شدَّد على الناس في استخراج الخراج، وزاد على كلّ فدان ضعف ما كان أوَّلاً، ولقي الناس منه شدائد، وساءت سيرته، وارتشى في الأحكام، فكرهه الجند، وتشغبوا عليه ونابذوه؛ لأنَّه كان غاشماً ظالماً»[٦].

---

(١) الوراء والكتَّاب: ص٢٦٨.
(٢) الكامل في التاريخ: ٦/ ٢٦٨.
(٣) الفخري: ص١٦٤.
(٤) يعقوب بن داود هو وزير المهدي، وفيه يقول الشاعر:
بَنِي أُمَيَّةَ هُبّوا طَالَ نَوْمُكُمُ إنَّ الْخَلِيفَةَ يَعْقُوبُ بْنُ داودِ
ضَاعَتْ خِلافَتُكُمْ يا قَوْم فَالْتَمِسوا خَليفَةَ اللَّهِ بَيْنَ النَّايِ وَالْعودِ
(٥) الولاة والقضاة: ص١٢٥ و١٢٦.
(٦) النُّجوم الزاهرة: ٢/ ٥٤.

يقول عمر بن عبيد للمنصور الدوانيقي: «إنَّ من وراء بابك نيراناً تتأجَّج من الجور، وما يعمل من وراء بابك بكتاب الله، ولا بسُنَّة نبيّه»[١].

استئثار العبَّاسيِّين بأموال الدولة:

واستأثر العبَّاسيّون بأموال الدولة، واصطفوا لأنفسهم وأرحامهم ما شاؤوا، فقد كان محمَّد بن سليمان العبَّاسي دخله في اليوم مائة ألف درهم[٢].

ولمَّا هلك أبقى تركة عظيمة أخذ منها ستّين ألف درهم[٣].

ويقول المؤرّخون: «إنَّه تدافقت الأموال على الخيزران حتَّى بلغت غلَّتها مائة ألف ألف وستّين ألف درهم، وقدّر بعض المؤلّفين هذا المبلغ بما يُعادل نصف خراج المملكة آنئذٍ، وثلثي غلَّة روكفلر في هذا القرن، وقد وجد عند قبيحة زوجة المتوكّل مليون وثمانمائة ألف دينار، وكانت أُمّ المقتدر في غاية الغنى والثروة»[٤].

يقول فيها ابن الجوزي: «كانت لها أموال عظيمة تفوق حدّ الإحصاء، وكان يرفع لها من ضياعها في كلّ عام ألف ألف دينار»[٥].

وقد أغدق ملوك العبَّاسيِّين على أرحامهم الأموال الطائلة، فقد فرَّق الرشيد في أعمامه وأهله أموالاً لم يفرِّقها أحد من الخلفاء قبله[٦].

وقد فرض المنصور الدوانيقي لكلّ واحد من أعمامه ألف ألف درهم[٧].

وقد تنامت الأُسرة العيالية حتَّى بلغت في عصر المأمون ثلاثة وثلاثين ألفاً[٨].

الهبات الهائلة للجواري:

وبالغ ملوك العبَّاسيِّين في هباتهم للجواري والمغنِّيات، فقد وهب الرشيد لجاريته «دنانير» في ليلة عيد عقداً قيمته ثلاثون ألف دينار[٩].

---

(١) الأخبار الطوال: ص٣٨٤.
(٢) الوزراء والكتَّاب: ص٢٥٠.
(٣) النُّجوم الزاهرة: ٢/ ٧٥.
(٤) نشوار المحاضرات: ١/ ٢٩٣.
(٥) المنتظم: ٦/ ٢٥٣.
(٦) النُّجوم الزاهرة: ٢/ ٦٥.
(٧) الكامل في التاريخ: ٦/ ٣١٩.
(٨) الكامل في التاريخ: ٦/ ٣١٩.
(٩) المستطرف من أخبار الجواري: ص٢٨.

وأعطى المقتدر بعض حظاياه الدرَّة اليتيمة، وكان وزنها ثلاثة مثاقيل[١].

وذكر الأصفهاني أنَّ حمويه استأجر لجاريته ذات الخال من بعض الجوهريِّين بدنة وعقوداً ثمنها اثنا عشر ألف ألف دينار، فلمَّا رآها الرشيد أُعجب بها، وسأل عنها، فأخبره بأنَّها حلى مستأجرة، فأمر بشرائها ووهبها للجارية[٢].

وكان المقتدر العبَّاسي يدعو بالأموال فيلعب بها ويمحقها ويهبها للنساء والجواري[٣].

وكانت للمتوكّل جارية تُسمَّى «فضل» تجلس على كرسي، وهي تعارض الشعراء بحضرته، فقال لها حينما اشتراها: أشاعرة أنت؟

ـ كذا يزعم مَن باعني واشتراني.

فضحك المتوكّل، وقال لها: أنشديني من شعرك، فأنشدت:

اسْتَقْبَلَ الْمُلْكَ إمامُ الْهُدىٰ ... عامَ ثَلاثٍ وَثَلاثينا

خِلافَةٌ أفْضَتْ إلىٰ جَعْفَرٍ ... وَهوَ ابْنُ سَبعٍ بَعْدَ عِشْرينا

إنَّا لَنَرجو بِإمامِ الْهُدىٰ ... أنْ يَمْلِكَ الْمُلْكَ ثَمانينا

لاَ قَدَّرَ اللَّهُ امْرَءاً لَمْ يَقُلْ ... عِنْدَ دُعائِي لَكَ آمينا

فاستحسن المتوكّل الأبيات، وأمر لها بخمسين ألف درهم[٤].

بناء القصور:

وأسرف العبَّاسيّون إسرافاً هائلاً في بناء القصور، فأنفقوا مئات الملايين من الدنانير على بنائها وتزيينها بمختلف أنواع الزينة التي لم يرَ مثلها في جميع فترات التاريخ، فقد بنى المتوكّل ـ الذي يسمّونه بمحيي السُّنَّة ـ قصره المعروف بالمرج، فجعل حيطانه من داخل القصر وخارجه ملبَّسة بالفسيفساء والرخام الملوَّن المذهَّب، وجعل فيه صوراً عظاماً من الذهب، وجعل فيه شجرة عظيمة من الذهب عليها صورة كلّ طائر، وهو يصوِّت، مكلَّلة بالجواهر، وجعل له سريراً من ذهب يحمله صورة إنسان، وصورة أسد، وصورة ثور، وصورة نسر، وكلّ ذلك من ذهب مرصَّع بالجواهر، وقد شبه سريره

(١) تاريخ الخلفاء: ص٣٨٤.

(٢) الأغاني: ١٦/٢٢٦.

(٣) سمط النُّجوم العوالي: ٣/ ٣٥٤.

(٤) نساء الخلفاء/ ابن الساعي: ص٨٦.

بكرسي سليمان بن داود، وقد بلغت نفقاته على البناء والذهب والفضَّة ألف ألف وسبعمائة ألف دينار.

وقد أمر أن لا يدخل أحد القصر إلاَّ وهو في ثياب من الديباج والوشي، وقد أحضر أصحاب الملاهي والمعازف والمبطلات، فلمَّا جلس في هذه الجنَّة قال له يحيى بن خاقان: أرجو يا أمير المؤمنين أن يشكر الله لك بناء هذا القصر، فيوجب لك به الجنَّة.

قال: وكيف ذلك؟

قال: لأنَّك شوَّقت الناس بهذا القصر إلى الجنَّة، فيدعوهم ذلك إلى الأعمال الصالحة التي يرجون بها دخول الجنَّة، فسّر بذلك المتوكّل[١].

ومن القصور التي بناها المتوكّل (الجعفري)، وقد أنفق على بنائه أكثر من ألف دينار، وأحضر أصحاب الملاهي فلعبوا، ووهب لهم ألفي درهم[٢].

ترف العبَّاسيَّات:

وكان الجانب الأكبر من اقتصاد الدولة ينفق على سيِّدات البلاط العبَّاسي، وقد أغرقن بالترف والنعيم، فكانت السيِّدة زبيدة مولعة بالوشي الثمين حتَّى بلغ ثمن الثوب الواحد الذي تلبسه خمسين ألف دينار[٣].

ولم يقتصر هذا الترف على العبَّاسيَّات، وإنَّما سرى إلى نساء الوزراء، فقد كانت عتابة أُمّ جعفر البرمكي لها مائة جارية، وكانت كلّ جارية تلبس من الحليّ والجواهر ما يختلف عن الأُخرى[٤].

موقف الإمام عليه السلام:

أمَّا الإمام أبو محمَّد عليه السلام، فكان يمثِّل الجبهة المعارضة للحكم العبَّاسي، التي كانت تنعى على الحكَّام استبدادهم بثروات الأُمَّة وسرقتهم لأقواتها.

وكان من أبرز ألوان المعارضة التي اتَّخذها الإمام أنَّه حرَّم على نفسه الاتّصال أو التعاون بجميع صوره مع أُولئك الملوك الذين اتَّخذوا مال الله دولاً، وعباد الله خولاً،

---

(١) عيون التواريخ: ٦/ ورقة ١٧٠.

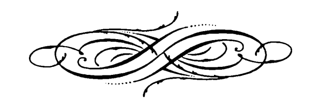
(٢) مرآة الزمان: ٦/ ١٥٨.

(٣) مروج الذهب: ٢/ ٣٦٦.

(٤) الوزراء والكتَّاب: ص١٩٢.

وقد جهدوا على إدراج الإمام عليه السلام في جهازهم وضمّه إليهم، فلم يستطيعوا ذلك، فقابلوه بمنتهى الشِّدَّة والقسوة، وضيَّقوا عليه حياته الاقتصاديَّة وتركوه في ضائقة ماليَّة خانقة، فقد منعوا وصول المال إليه من شيعته، إلاَّ أنَّ بعض المحسنين من الشيعة قد قام بدور مشرِّف، فكان يرسل إلى الإمام عليه السلام زقاقاً من السمن، ويجعل المال فيها[1]، ممَّا أوجب رفع تلك الضائقة عن الإمام.

وعلى أيٍّ حال، فقد وقف الإمام عليه السلام إلى جانب الفقراء والمحرومين الذين كانوا يعانون الضيق والبؤس من جرَّاء فقدان التوازن في الحياة الاقتصاديَّة، بسبب نهب أُولئك الملوك لثروات الأُمَّة، وبهذا ينتهي بنا الحديث عن الحياة الاقتصاديَّة في عصر الإمام عليه السلام.



(١) سفينة البحار: ٢/١٥٨.

الحياة السياسيَّة

أمَّا الحياة السياسية في عصر الإمام أبي محمَّد عليه السلام فقد كانت بشعة ومظلمة.. وانتشر الجور، وعمَّت الفتن، وكثرت الثورات الداخلية.. ولعلَّ ذلك ناشىء ممَّا يلي:

١ ـ تسلُّط الأتراك على زمام الحكم، واستبدادهم بجميع شؤون الدولة، وهم لا يفقهون السياسة، ولا يعرفون الإدارة، فظلموا الرعيَّة، وجاروا في الحكم، ونشروا الإرهاب.

٢ ـ جهل الملوك العبَّاسيِّين وانغماسهم في الشهوات واللذَّات، وإهمالهم لجميع شؤون الرعيَّة، ممَّا سبَّب حدوث الأزمات السياسيَّة في ذلك العصر، ونتحدَّث بإيجاز عن بعض معالم الحياة السياسيَّة السائدة في عصر الإمام عليه السلام:

اضطهاد العلويِّين:

لقد امتحن العلويّون كأشدّ ما يكون الامتحان، وأُرهقوا إرهاقاً شديداً في أكثر فترات الحكم العبَّاسي، إذ قام ملوك العبَّاسيِّين باضطهادهم رسميَّاً وملاحقتهم ومطاردتهم، وإنزال أقصى العقوبة بهم.

حجاب الإمام عليه السلام:

وعانى الإمام أبو محمَّد عليه السلام صنوفاً شاقَّة وعسيرة من الظلم والجور أيَّام المتوكّل، وغيره من الملوك الذين عاصرهم، فتسلَّح عليه السلام بهذا الدُّعاء الشريف، والتجأ إلى الله تعالى أن يحميه من كيده، وينجيه من شرَّهم، وهذا نصَّه:

اِحْتَجَبْتُ بِحِجابِ اللّهِ النُّورِ الَّذِي احْتَجَبَ بِهِ عَنِ الْعُيونِ، وَحُطْتُ عَلَىٰ نَفْسِي وَأَهْلِي وَوُلْدِي وَمَالِي وَمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ عِنايَتِي، بِبِسْمِ اللّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ وَأَحْرَزْتُ نَفْسِي وَذلِكَ كُلَّهُ مِنْ كُلِّ ما أخافُ وأَحْذَرُ بِاللّهِ الَّذِي ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَاۚ وَهُوَ

ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾[١]، ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا﴾[٢].

﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَـٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[٣].

﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَـٰرِهِمْ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَـٰفِلُونَ﴾[٤].

﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِمْ نُفُورًا﴾[٥].

وَصَلَّى اللَّهُ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ[٦].

وكشف هذا الدُّعاء عن مدى المخاوف التي كانت تراود الإمام عليه السلام من العبَّاسيِّين، فالتجأ إلى الله تعالى، وانقطع إليه لينقذه وأهله وولده من ظلمهم، ويجعله بمأمن من كيدهم.

وكان عليه السلام يحترز بهذا الدُّعاء ويتَّقي به من العبَّاسيِّين.

«يا عُدَّتِي عِنْدَ شِدَّتِي، وَيَا غَوْثِي عِنْدَ كُرْبَتِي، وَيَا مُؤْنِسِي عِنْدَ وَحْدَتِي، احْرُسْنِي بِعَيْنِكَ الَّتِي لاَ تَنَامُ، وَاكْنُفْنِي بِرُكْنِكَ الَّذِي لاَ يُرامُ»[٧].

اضطهاد القمِّيِّين:

واضطهد العبَّاسيّون القمِّيِّين، وأشاعوا فيهم الجور والإرهاب، فقد استعملوا عليهم موسى بن يحيى والياً، وكان ظالماً شريراً، تنفر منه النُّفوس لسوء أخلاقه وتجرُّده من كلّ خلق إنساني، وقد سار فيهم سيرة لم يألفوها من ذي قبل، فنشر الظلم، واعتدى عليهم بغير حقّ، وقد فزع وجوه القمِّيِّين وخيارهم إلى الإمام أبي محمَّد عليه السلام، وعرضوا عليه ذلك، فتألَّم وتأثَّر، وتضرَّع إلى الله تعالى أن ينقذهم من شرِّ هذا الباغي اللئيم.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٥٥.
(٢) سورة الكهف: الآية ٥٧.
(٣) سورة الجاثية: الآية ٢٣.
(٤) سورة النحل: الآية ١٠٨.
(٥) سورة الإسراء: الآيتان ٤٥ و٤٦.
(٦) مهج الدعوات: ص٦٣.
(٧) مهج الدعوات: ص٦٤.

تزويدهم بهذا الدُّعاء:

وزوَّد الإمام أبو محمَّد عليه السلام القميِّين بهذا الدُّعاء الجليل، وطلب منهم أن يدعوا به الله في أثناء قنوتهم ليكشف عنهم هذه المحنة الحازبة، وهذا نصُّه:

«الْحَمْدُ لِلَّهِ شُكْراً لِنَعْمائِهِ، وَاسْتِدْعاءً لِمَزِيدِهِ، وَاسْتِخْلاصاً لَهُ وَبِهِ دُونَ غَيْرِهِ، وَعِياذاً مِنْ كُفْرانِهِ، وَالإِلْحادِ فِي عَظَمَتِهِ وَكِبْرِيائِهِ، حَمْدَ مَنْ يَعْلَمُ أَنَّ مَا بِهِ مِنْ نَعْماءَ فَمِنْ عِنْدِ رَبِّهِ، وَمَا مَسَّهُ مِنْ عُقُوبَةٍ فَبِسُوءِ جِنَايَةِ يَدِهِ، وَصَلَّىٰ اللَّهُ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ، وَخِيَرَتِهِ مِنْ خَلْقِهِ، وَذَرِيعَةِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَىٰ رَحْمَتِهِ، وَعَلَىٰ آلِهِ الطَّاهِرِينَ وُلاَةِ أَمْرِهِ.

اللَّهُمَّ إِنَّكَ نَدَبْتَ إِلَىٰ فَضْلِكَ، وَأَمَرْتَ بِدُعاءِكَ، وَضَمِنْتَ الإِجَابَةَ لِعِبادِكَ، وَلَمْ تُخَيِّبْ مَنْ فَزِعَ إِلَيْكَ بِرَغْبَتِهِ، وَقَصَدَ إِلَيْكَ بِحَاجَتِهِ، ولَمْ تَرْجِعْ يَدٌ طَالِبَةٌ صِفْراً مِنْ عَطَائِكَ، وَلاَ خَائِبَةً مِنْ نِحَلِ هِبَاتِكَ.

وَأَيُّ رَاحِلٍ رَحَلَ إِلَيْكَ فَلَمْ يَجِدْكَ قَرِيباً، أَوْ أَيُّ وَافِدٍ وَفَدَ عَلَيْكَ فَاقْتَطَعَتْهُ عَوائِقُ الرَّدِّ دُونَكَ، بَل أَيُّ مُحْتَفِرٍ[(١)] مِنْ فَضْلِكَ لَمْ يُمْهِهِ[(٢)] فَيْضُ جُودِكَ، وَأَيُّ مُسْتَنْبِطٍ لِمَزِيدِكَ أَكْدَىٰ دونَ اسْتِماحَةِ سِجالِ[(٣)] عَطِيَّتِكَ.

اللَّهُمَّ وَقَدْ قَصَدْتُ إِلَيْكَ بِرَغْبَتِي، وَقَرَعَتْ بَابَ فَضْلِكَ يَدُ مَسْأَلَتِي، وَنَاجاكَ بِخُشُوعِ الاسْتِكَانَةِ قَلْبِي، وَوَجَدْتُكَ خَيْرَ شَفِيعٍ لِي إِلَيْكَ، وَقَدْ عَلِمْتَ مَا يَحْدُثُ مِنْ طَلِبَتِي قَبْلَ أَنْ يَخْطُرَ بِفِكْرِي، أَوْ يَقَعَ فِي خلدي، فَصِلِ اللَّهُمَّ دُعائِي إِيَّاكَ بِإِجابَتِي، وَاشْفَعْ مَسْأَلَتِي بِنُجْحِ طَلبتِي».

وحوى هذا المقطع على تمجيد الله وحمده، وبيان نعمه وألطافه على عباده التي منها استجابة دعائهم، وكشف ما ألمَّ بهم من عظيم المحن والبلوى، وكان ذلك بأبلغ بيان عرفته اللغة العربيَّة، وهو مَّا تتميَّز به أدعية أئمَّة أهل البيت عليهم السلام، ولنستمع إلى بند آخر من هذا الدُّعاء الجليل:

اللَّهُمَّ وَقَدْ شَمِلَنا زَيْغُ الْفِتَنِ، وَاسْتَوْلَتْ عَلَيْنا غَشْوَةُ الْحَيْرَةِ، وَقَارَعَنا الذُّلُّ وَالصَّغارُ، وَحَكَمَ عَلَيْنا غَيْرُ الْمَأْمونِينَ فِي دِينِكَ، وَابْتَزَّ أُمورَنا مَعادِنُ الأُبْنِ[(٤)] مِمَّنْ عَطَّلَ حُكْمَكَ، وَسَعَىٰ فِي إِتْلافِ عِبادِكَ، وَإِفْسَادِ بِلاَدِكَ.

---

(١) الاحتفاء: الاستقصاء والإلحاح في المسألة.

(٢) لم يمهه: أي لم يشمله ويعمُّه.

(٣) سجال: مفرده سجل الدلو العظيمة إذا كان فيها ماء قلَّ أو كثر، ولا يُقال لها فارغة سجل، وقوله: وسجال عطيتك من هذا المعنى على الاستعارة ـ مجمع البحرين.

(٤) الابن: العيب.

اللَّهُمَّ وَقَدْ عادَ فَيْئُنا دَوْلَةً بَعْدَ الْقِسْمَةِ، وَإِمارَتُنا غَلَبَةً بَعْدَ الْمَشُورَةِ، وَعُدْنا مِيراثاً بَعْدَ الاخْتِيارِ لِلأُمَّةِ، فَاشْتُرِيَتِ الْمَلاهِي وَالْمَعازِفُ بِسَهْمِ الْيَتِيمِ وَالأَرْمَلَةِ، وَحَكَمَ فِي أَبْشارِ الْمُؤْمِنِينَ أَهْلُ الذِّمَّةِ، وَوَلَّىٰ الْقِيامَ بِأُمورِهِمْ فَاسِقُ كُلِّ قَبِيلَةٍ، فَلاَ ذائِدَ يَذودُهُمْ عَنْ هَلَكَةٍ، وَلاَ راعٍ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ بِعَيْنِ الرَّحْمَةِ، وَلاَ ذو شَفَقَةٍ يُشْبِعُ الْكَبِدَ الْحَرَّىٰ مِنْ مَسْغَبَةٍ، فَهُمْ أُولو ضَرَعٍ بِدارِ مَضيعَةٍ، وَأُسَراءُ مَسْكَنَةٍ، وَخُلَفاءُ كَآبَةٍ وَذِلَّةٍ.

اللَّهُمَّ وَقَدِ اسْتَحْصَدَ زَرْعُ الْباطِلِ، وَبَلَغَ نِهايَتَهُ، وَاسْتَحْكَمَ عَمودُهُ، وَاسْتَجْمَعَ طَرِيدُهُ، وَخَذْرَفَ[١] وَلِيدُهُ، وَبَسَقَ[٢] فَرْعُهُ، وَضَرَبَ بِجِرانِهِ[٣].

اللَّهُمَّ فَأَتِحْ لَهُ مِنَ الْحَقِّ يَداً حاصِدَةً، تَصْرَعُ[٤] قائِمَهُ، وَتَهْشُمُ سُوقَهُ[٥]، وَتَجُبُّ سَنامَهُ[٦]، وَتَجْدَعُ مَراغِمَهُ لِيَسْتَخْفِيَ الْباطِلُ بِقُبْحِ صورَتِهِ، وَيَظْهَرَ الْحَقُّ بِحُسْنِ حِلْيَتِهِ.

اللَّهُمَّ وَلاَ تَدَعْ لِلْجَوْرِ دِعامَةً إِلاَّ قَصَمْتَها، وَلاَ جُنَّةً إِلاَّ هَتَكْتَها، وَلاَ كَلِمَةً مُجْتَمِعَةً إِلاَّ فَرَّقْتَها، وَلاَ سَرِيَّةَ ثِقْلٍ[٧] إِلاَّ خَفَّفْتَها، وَلاَ قائِمَةَ عُلُوٍّ إِلاَّ حَطَّطْتَها، وَلاَ رافِعَةَ عَلَمٍ إِلاَّ نَكَّسْتَها، وَلاَ خَضْراءَ إِلاَّ أَبَرْتَها[٨].

اللَّهُمَّ فَكَوِّرْ شَمْسَهُ، وَحُطَّ نُورَهُ، وَاطْمِسْ ذِكْرَهُ، وَارْمِ بِالْحَقِّ رَأْسَهُ، وَفُضَّ جُيوشَهُ، وَأَرْعِبْ قُلُوبَ أَهْلِهِ.

اللَّهُمَّ وَلاَ تَدَعْ مِنْهُ بَقِيَّةً إِلاَّ أَفْنَيْتَ، وَلاَ بُنْيَةً إِلاَّ سَوَّيْتَ، وَلاَ حَلَقَةً إِلاَّ فَصَمْتَ، وَلاَ سِلاحاً إِلاَّ أَكْلَلْتَ، وَلاَ حَدّاً إِلاَّ فَلَلْتَ، وَلاَ كُراعاً[٩] إِلاَّ اجْتَحْتَ، وَلاَ حامِلَةَ عَلَمٍ إِلاَّ نَكَّسْتَ.

اللَّهُمَّ وَأَرِنا أَنْصارَهُ عَبادِيدَ بَعْدَ الأُلْفَةِ، وَشَتَّىٰ بَعْدَ اجْتِماعِ الْكَلِمَةِ، وَمُقْنِعِي الرُّؤُوسِ بَعْدَ الظُّهورِ عَلَىٰ الأُمَّةِ.

---

(١) خذرف: أسرع.

(٢) بسق النخل: ارتفعت أغصانه وطالت.

(٣) ضرب بجرانه: أي ثبت واستقرّ.

(٤) هكذا ورد في الأصل، ولعلَّ الصحيح: «تحصد قائمه».

(٥) سوقه: هو ساق الشجرة وجذعها.

(٦) السنام: حدبة في ظهر البعير.

(٧) السرية: قطعة من الجيش.

(٨) أبرتها: أي أهلكتها.

(٩) الكراع: اسم يطلق على الخيل والبغال والحمير.

وَأَسْفِرْ لَنا عَنْ نَهارِ الْعَدْلِ، وَأَرِناهُ سَرمَداً لاَ ظُلْمَةَ فِيهِ، وَنُوراً لاَ شَوْبَ مَعَهُ[١]، وَاهطِلْ عَلَيْنا نَاشِئَتَهُ، وَأَنْزِلْ عَلَيْنا بَرَكَتَهُ، وَأَدِلْ لَهُ مِمَّنْ نَاواهُ[٢]، وَانْصُرْهُ عَلَىٰ مَنْ عاداهُ.

اللَّهُمَّ وَاظْهِرْ بِهِ الْحَقَّ، وَأَصْبِحْ بِهِ فِي غَسَقِ الظُّلَمِ، وَبُهَمِ الْحَيْرَةِ. اللَّهُمَّ وَأَحْيِ بِهِ الْقُلُوبَ الْمَيِّتَةَ، وَاجْمَعْ بِهِ الأَهْواءَ الْمَتَفَرِّقَةَ، وَالآرَاءَ الْمُخْتَلِفَةَ، وَأَقِمْ بِهِ الْحُدودَ الْمُعَطَّلَةَ، وَالأَحْكَامَ الْمُهْمَلَةَ، وَأَشْبِعْ بِهِ الْخِماصَ[٣] السَّاغِبَةَ[٤]، وَأَرِحْ بِهِ الأَبْدانَ الْمُتْعَبَةَ، كَما أَلْهَجْتَنا بِذِكْرِهِ، وَأَخْطَرْتَ بِبالِنا دُعاءَكَ لَهُ، وَوَفَّقْتَنا لِلدُّعاءِ إِلَيْهِ، وَحِياشَةِ أَهْلِ الْغَفْلَةِ عَنْهُ، وَأَسْكَنْتَ فِي قُلُوبِنا مَحَبَّتَهُ، وَالطَّمَعَ فِيهِ، وَحُسْنَ الظَّنِّ بِكَ لإِقامَةِ مَراسِمِهِ.

اللَّهُمَّ فَآتِ لَنا مِنْهُ عَلَىٰ حُسْنِ يَقِينٍ، يَا مُحَقِّقَ الظُّنونِ الْحَسَنَةِ، وَيَا مُصَدِّقَ الآمالِ الْمُبْطِئَةِ، اللَّهُمَّ وَأَكْذِبْ بِهِ الْمُتَأَلِّينَ عَلَيْكَ فِيهِ، وَأَخْلِفْ بِهِ ظُنونَ الْقَانِطِينَ مِنْ رَحْمَتِكَ وَالآيِسِينَ مِنْهُ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْنا سَبَباً مِنْ أَسْبابِهِ، وَعَلَماً مِنْ أَعْلامِهِ، وَمَعْقِلاً مِنْ مَعاقِلِهِ، وَنَضِّرْ وُجُوهَنا بِتَحْلِيَتِهِ، وَأَكْرِمْنا بِنُصْرَتِهِ، وَاجْعَلْ فِينا خَيْراً تُظْهِرُنا لَهُ وَبِهِ، وَلاَ تُشْمِتْ بِنا حَاسِدِي النِّعَمِ، وَالْمُتَرَبِّصِينَ بِنا حُلولَ النَّدَمِ، وَنُزولَ الْمُثْلِ، فَقَدْ تَرىٰ يَا رَبِّ بَراءَةَ سَاحَتِنا، وَخُلُوَّ ذَرْعِنا مِنَ الإِضْمارِ لَهُمْ عَلَىٰ إِحْنَةٍ، التَّمَنِّي لَهُمْ وُقوعَ جَائِحَةٍ[٥]، وَمَا تَنازَلَ مِنْ تَحْصِينِهِمْ بِالْعَافِيَةِ، وَمَا أَضْبَؤُا لَنا مِنِ انْتِهازِ الْفُرْصَةِ، وَطَلَبِ الْوُثُوبِ بِنا عِنْدَ الْغَفْلَةِ.

اللَّهُمَّ وَقَدْ عَرَّفْتَنا مِنْ أَنْفُسِنا، وَبَصَّرْتَنا مِنْ عُيوبِنا خِلالاً نَخْشىٰ أَنْ تَقْعُدَ بِنا عَنِ اسْتِيهالِ إِجابَتِكَ، وَأَنْتَ الْمُتَفَضِّلُ عَلىٰ غَيْرِ الْمُسْتَحِقِّينَ، وَالْمُبْتَدِىءُ بِالإِحْسانِ غَيْرَ السَّائِلِينَ، فَآتِ لَنا مِنْ أَمْرِنا عَلَىٰ حَسَبِ كَرَمِكَ وَجُودِكَ وَفَضْلِكَ وَامْتِنانِكَ، إِنَّكَ تَفْعَلُ مَا تَشاءُ، وَتَحْكُمُ مَا تُرِيدُ إِنَّا إِلَيْكَ رَاغِبونَ، وَمِنْ جَمِيعِ ذُنوبِنا تائِبونَ.

اللَّهُمَّ وَالدَّاعِي إِلَيْكَ، وَالْقَائِمُ بِالْقِسْطِ مِنْ عِبادِكَ، الْفَقِيرُ إِلَىٰ رَحْمَتِكَ، الْمُحْتَاجُ إِلَىٰ مَعونَتِكَ عَلَىٰ طَاعَتِكَ، إِذِ ابْتَدَأْتَهُ بِنِعْمَتِكَ، وَأَلْبَسْتَهُ أَثْوابَ كَرامَتِكَ، وَأَلْقَيْتَ عَلَيْهِ مَحَبَّةَ طَاعَتِكَ، وَثَبَّتَ وَطْأَتَهُ فِي الْقُلُوبِ مِنْ مَحَبَّتِكَ، وَوَفَّقْتَهُ لِلْقِيامِ بِمَا أَغْمَضَ فِيهِ أَهْلُ زَمانِهِ

---

(١) لا شوب معه: أي لا خليط معه.

(٢) ناواه: أي عاداه.

(٣) الخماص: الذين خوت بطونهم جوعاً.

(٤) الساغبة: الجائعة.

(٥) الجائحة: الإهلاك والاستئصال.

مِنْ أمْرِكَ، وَجَعَلْتَهُ مَفْزَعاً لِمَظْلُوم عِبادِكَ، وَناصِراً لِمَنْ لاَ يَجِدُ لَهُ نَاصِراً غَيْرَكَ، وَمُجَدِّداً لِمَا عُطِّلَ مِنْ أحْكَامِ كِتابِكَ، وَمُشَيِّداً لِمَا وَرَدَ مِنْ أعْلاَمِ سُنَنِ نَبِيِّكَ عَلَيْهِ وَآلِهِ سَلاَمُكَ وَرَحْمَتُكَ وَبَرَكَاتُكَ.

فَاجْعَلْهُ اللَّهُمَّ في حِصانَةٍ مِنْ بَأْسِ الْمُعْتَدِينَ، وَأشْرِقْ بِهِ الْقُلُوبَ الْمُخْتَلِفَةَ مِنْ بُغَاةِ الدِّينِ، وَبَلِّغْ بِهِ أفْضَلَ مَا بَلَّغْتَ بِهِ الْقَائِمِينَ بِقِسْطِكَ مِنْ أتْبَاعِ النَّبِيِّينَ.

اللَّهُمَّ وَأذْلِلْ بِهِ مَنْ لَمْ تُسْهِمْ لَهُ فِي الرُّجوعِ إلَىٰ مَحَبَّتِكَ، وَمَنْ نَصَبَ لَهُ الْعَداوَةَ، وَارْمِ بِحَجَرِكَ الدَّامِغِ مَنْ أرَادَ التَّألِيبَ عَلَىٰ دِينِكَ بِإذْلاَلِهِ، وَتَشْتِيتِ جَمْعِهِ، وَاغْضَبْ لِمَنْ لاَ تَرَةَ لَهُ، وَلاَ طَائِلَةَ، وَعادَىٰ الأقْرَبِينَ وَالأبْعَدِينَ فِيكَ، مَنّاً مِنْكَ عَلَيْهِ لاَ مَنّاً مِنْهُ عَلَيْكَ.

اللَّهُمَّ فَكَمَا نَصَبَ نَفْسَهُ فِيكَ غَرَضاً لِلأبْعَدِينَ، وَجَادَ بِبَذْلِ مُهْجَتِهِ لَكَ فِي الذَّبِّ عَنْ حَرِيمِ الْمُؤْمِنِينَ، وَرَدَّ شَرَّ بُغَاةَ الْمُرْتَدِّينَ الْمُرِيبِينَ حَتَّىٰ أخْفَىٰ مَا كَانَ جُهِرَ بِهِ مِنَ الْمَعَاصِي، وَابْتَدَأ مَا كَانَ نَبَذَهُ الْعُلَمَاءُ وَرَاءَ ظُهورِهِمْ فِيمَا أخذَ مِيثَاقَهُمْ عَلَىٰ أنْ يُبَيِّنوهُ لِلنَّاسِ وَلاَ يَكْتُموهُ، وَدَعا إلَىٰ الإقْرَارِ لَكَ بِالطَّاعَةِ، وَألاَّ يَجْعَلَ لَكَ شَرِيكاً مِنْ خَلْقِكَ يَعْلُو أمْرَهُ عَلَىٰ أمْرِكَ، مَعَ مَا يَتَجَرَّعُهُ فِيكَ مِنْ مَرارَاتِ الْغَيْظِ الْجَارِحَةِ بِحَواسِّ الْقُلُوبِ، وَمَا يَعْتَورُهُ مِنَ الْغُمومِ، وَيُفْرَعُ عَلَيْهِ مِنْ أحْداثِ الْخُطُوبِ، وَيَشْرَقُ بِهِ مِنَ الْغُصَصِ الَّتِي لاَ تَبْتَلِعُها الْحُلوقُ، وَلاَ تَحْنو عَلَيْها الضُّلوعُ، مِنْ نَظْرَةٍ إلَىٰ أمْرٍ مِنْ أمْرِكَ، وَلاَ تَنَالُهُ يَدُهُ بِتَغْيِيرِهِ، وَرَدِّهِ إلَىٰ مَحَبَّتِكَ.

فَاشْدُدِ اللَّهُمَّ أزْرَهُ بِنَصْرِكَ، وَأطِلْ بَاعَهُ فِي مَا قَصُرَ عَنْهُ مِنِ اطِّرادِ الرَّاتِعِينَ فِي حِمَاكَ، وَزِدْهُ فِي قُوَّتِهِ بَسْطَةً مِنْ تَأْيِيدِكَ، وَلاَ تُوحِشْنا مِنْ أُنْسِهِ، وَلاَ تَخْتَرِمْهُ دُونَ أمَلِهِ مِنَ الصَّلاَحِ الْفَاشِي فِي أهْلِ مِلَّتِهِ، وَالْعَدْلِ الظَّاهِرِ فِي أُمَّتِهِ.

اللَّهُمَّ وَشَرِّفْ بِمَا اسْتَقْبَلَ بِهِ مِنَ الْقِيَامِ بِأمْرِكَ لَدَىٰ مَوْقِفِ الْحِسَابِ مَقَامَهُ، وَسُرَّ نَبِيَّكَ مُحَمَّداً صَلَواتُكَ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِرُؤْيَتِهِ وَمَنْ تَبِعَهُ عَلَىٰ دَعْوَتِهِ، وَأجْزِلْ لَهُ عَلَىٰ مَا رَأيْتَهُ قَائِماً بِهِ مِنْ أمْرِكَ ثَوَابَهُ، وَابْنِ قُرْبَ دُنُوِّهِ مِنْكَ فِي حَياتِهِ، وَارْحَم اسْتِكَانَتَنا مِنْ بَعْدِهِ، وَاسْتِخْذَاءَنا لِمَنْ كُنَّا نَقْمَعُهُ بِهِ إذَا فَقَدْتَنا وَجْهَهُ، وَبَسَطْتَ أيْدِي مَنْ كُنَّا نَبْسُطُ أيْدِينا عَلَيْهِ لِنَرُدَّهُ عَنْ مَعْصِيَتِهِ، وَافْتَرَقْنا بَعْدَ الألْفَةِ وَالاجْتِمَاعِ تَحْتَ ظِلِّ كَنَفِهِ، وَتَلَهَّفْنا عِنْدَ الْفَوْتِ عَلَىٰ مَا أقْعَدْتَنا عَنْهُ مِنْ نُصْرَتِهِ، وَطَلَبْنا مِنَ الْقِيَامِ بِحَقِّ مَا لاَ سَبِيلَ لَنا إلَىٰ رَجْعَتِهِ.

وَاجْعَلْهُ اللَّهُمَّ فِي أمْنٍ مِمَّا يُشْفِقُ عَلَيْهِ مِنْهُ، وَرُدَّ عَنْهُ مِنْ سِهَامِ الْمَكَائِدِ مَا يُوَجِّهُهُ أهْلُ الشَّنَآنِ إلَيْهِ وَإلَىٰ شُرَكَائِهِ فِي أمْرِهِ، وَمُعَاوِنِيهِ عَلَىٰ طَاعَةِ رَبِّهِ الَّذِينَ جَعَلْتَهُمْ سِلاَحَهُ وَحِصْنَهُ، وَمَفْزَعَهُ وَأُنْسَهُ، الَّذِينَ سَلَوا عَنِ الأهْلِ وَالأوْلاَدِ، وَجَفَوا الْوَطَنَ، وَعَطَّلوا الْوَثِيرَ

مِنَ الْمِهادِ، وَرَفَضوا تِجارَتَهُمْ، وَأَضَرّوا بِمَعايِشِهِمْ، وَفُقِدوا أَنْدِيَتِهِمْ بِغَيْرِ غَيْبَةٍ عَنْ مِصْرِهِمْ، وَخالَطوا الْبَعِيدَ مِمَّنْ عاضَدَهُمْ عَلَىٰ أَمْرِهِمْ، وَقَلَوا الْقَرِيبَ مِمَّنْ صَدَّ عَنْهُمْ وَعَنْ وُجْهَتِهِمْ فَائْتَلَفوا بَعْدَ التَّدابُرِ وَالتَّقاطُعِ فِي دَهْرِهِمْ، وَقَطَعوا الأَسْبابَ الْمُتَّصِلَةَ بِعاجِلِ حِطامِ الدُّنْيا.

فَاجْعَلْهُمُ اللَّهُمَّ فِي أَمْنٍ مِنْ حِرْزِكَ وَظِلِّكَ وَكَنَفِكَ، وَرُدَّ عَنْهُمْ بَأْسَ مَنْ قَصَدَ إِلَيْهِمْ بِالْعَداوَةِ مِنْ عِبادِكَ، وَأَجْزِلْ لَهُمْ عَلَىٰ دَعْوَتِهِمْ مِنْ كِفايَتِكَ وَمَعونَتِكَ، وَأَيِّدْهُمْ بِتَأْيِيدِكَ وَنَصْرِكَ، وَأَزْهِقْ بِحَقِّهِمْ باطِلَ مَنْ أَرادَ إِطْفاءَ نُورِكَ.

اللَّهُمَّ وَامْلأْ بِهِمْ كُلَّ أُفُقٍ مِنَ الآفاقِ، وَقُطْرٍ مِنَ الأَقْطارِ قِسْطاً وَعَدْلاً، وَمَرْحَمَةً وَفَضْلاً، وَاشْكُرْهُمْ عَلَىٰ حَسَبِ كَرَمِكَ وَجُودِكَ عَلَىٰ ما مَنَنْتَ بِهِ عَلَىٰ الْقائِمِينَ بِالْقِسْطِ مِنْ عِبادِكَ، وَادَّخَرْتَ لَهُمْ مِنْ ثَوابِكَ ما يَرْفَعُ لَهُمْ بِهِ الدَّرَجاتِ، إِنَّكَ تَفْعَلُ ما تَشاءُ وَتَحْكُمُ ما تُرِيدُ»[١].

ظلم الوزراء وجبروتهم:

وأغلب وزراء بني العبَّاس كانوا من الظالمين الطغاة، فقد احتقروا الرعيَّة، وبالغوا في إذلالها وقهرها، ففي زمان المنتصر العبَّاسي خرج وزيره أحمد بن الخصيب، وكان راكباً فتظلَّم إليه شخص، فأخرج الوزير رجله من الركاب فزجَّ بها في صدره فقتله، فتحدَّث الناس بذلك، وقال بعض الشعراء:

قُلْ لِلْخَلِيفَةِ يابْنَ عَمِّ مُحَمَّدٍ ... أَشْكِلْ وَزِيرَكَ إِنَّهُ شَكَّالُ
أَشْكِلْهُ عَنْ رَكْلِ الرِّجالِ وَإِنْ تُرِدْ ... مالاً فَعِنْدَ وَزِيرِكَ الأَمْوالُ[٢]

وفي زمن الواثق عمل وزيره محمَّد بن عبد الملك الزيَّات تنّوراً فيه مسامير كان يعذِّب فيه الناس[٣].

يقول المؤرّخون: «إنَّ المنصور أخذ أموال الناس حتَّى ما ترك عند أحد فضلةً، وكان مبلغ ما أخذه منهم ثمانمائة ألف ألف درهم»[٤].

---

(١) مهج الدعوات: ص٨٥ ـ ٩٠.
(٢) محاضرات في تاريخ الأمم الإسلاميَّة: ص٢٧٠.
(٣) المحاسن والمساوىء: ص٥٣١. الفخري: ص٢١٤.
(٤) تاريخ اليعقوبي: ٣/ ١٢٥.

الثورات الداخليَّة:

وكان من الطبيعي أن تنطلق الشعوب الإسلاميَّة في مسيرتها النضاليَّة، وترفع علم الثورة ضدّ الحكم العبَّاسي الذي استأثر بمقدَّراتها الاقتصاديَّة، وقد حدثت ثورات محليَّة متعدِّدة، كان باعثها التخلُّص من الاستعباد والظلم والجور.

ونقتصر على ذكر بعضها للتدليل على ما ذكرناه في أوَّل هذا البحث من عدم الاستقرار السياسي، واضطراب الأمن العامّ في ذلك العصر.

ثورة الشهيد يحيى:

رفع الشهيد العظيم يحيى بن عمر الطالبي راية الثورة على الحكم العبَّاسي، مطالباً بتحقيق العدالة الاجتماعيَّة، وتوزيع فيء المسلمين على الفقراء والضعفاء، وقد احتفى به المحرومون، وتولاَّه العامَّة والخاصَّة، وذلك لحسن طويّته، وما كان يرومه من رفع مستوى الحياة العامَّة، وقد استولى على الكوفة، وأخرج من كان في سجونها من المظلومين والمضطهدين.

وقد أجهزت عليه الحكومة العبَّاسيَّة فقتلته، وسيِّر رأسه الشريف إلى محمَّد بن عبد الله بن طاهر أحد جلاَّدي ذلك العصر، فصيَّره الطاغية إلى المستعين، ونصب في سامرَّاء ليكون عبرة لمن يفكِّر بالثورة على العبَّاسيِّين.

ثورة الزنج:

ومن الثورات المحليَّة التي دوَّخت الحكم العبَّاسي في ذلك العصر ثورة الزنج، وقد تزعَّمها عليّ بن عبد الرحيم من بني عبد القيس، وقد ادَّعى أنَّه علويّ ينتهي نسبه إلى الشهيد الخالد زيد بن عليّ بن الحسين عليه السلام، وذلك لتلتفّ حوله الجماهير وتؤيِّد ثورته، فإنَّ الانتماء إلى هذه الأُسرة الكريمة التي تبنَّت القضايا المصيريَّة للعالم الإسلامي، وأصبحت رمزاً للثورة والتمرُّد على الظلم والطغيان يعطي دعماً كبيراً لنجاح الثورة.

وعلى أيِّ حال، فقد نفى الإمام أبو محمَّد عليه السلام مزاعم عليّ بن محمَّد زعيم الثورة الزنجيَّة بأنَّه علويّ. قال عليه السلام: **«صاحِبُ الزِّنْجِ لَيْسَ مِنَّا أهْلَ الْبَيْتِ»**[1].

(١) الكنى والألقاب: ٢/ ٤٠٢.

ثورة الشام:

واستعمل المتوكّل على الشام ذئباً من عملائه ومرتزقته، فأحال حياة المواطنين إلى جحيم، فوثب عليه الأحرار فأخرجوه.

ولمَّا علم المتوكّل بذلك جهَّز جيشاً مكثَّفاً في سبعة آلاف فارس وثلاثة آلاف راجل، وعهد إلى القائد العامّ بإباحة دمشق ثلاثة أيَّام، كما فعل أخوه في الإثم والشرّ يزيد بن معاوية في مدينة النبيّ صلى الله عليه وآله[١].

تسلُّط الأتراك على الحكم:

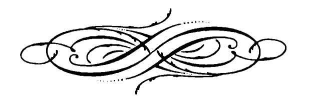
ومن أهمّ العوامل في الفساد الإداري والسياسي في جهاز الحكم العبَّاسي في عصر الإمام أبي محمَّد عليه السلام، تسلُّط الأتراك على زمام الحكم، وتلاعبهم بمقدّرات الدولة، وقد خضع دست الملك العبَّاسي لإرادتهم ورغباتهم، فهم الذين يقدِّمون لزعامة الدولة من شاؤوا، ويعزلون عنها من أرادوا، وأصبحت السلطات الدستوريَّة كلّها بأيديهم، والملك إنَّما هو بالاسم لا غير.

ومن الطريف أنَّ المعتزّ بالله لمَّا ولي الخلافة استدعى بعض أصحابه جماعة من المنجِّمين فسألوهم: كم يبقى الخليفة في الحكم؟ وكم المدَّة التي يعيش فيها؟

فانبرى بعض الظرفاء فقال لهم: أنا أعرف ذلك.

ـ أخبرنا.

ـ إنَّ الأمر بيد الأتراك، فهم الذين يقرّرون مدَّة حكمه وحياته، وغرق الجميع في الضحك، وعرفوا صدق قوله[٢].



(١) مرآة الزمان: ٦/ورقة ١٦٩.

(٢) الفخري: ص١٨١.

الحياة الدِّينيَّة

أمَّا الحياة العقائديَّة في عصر الإمام أبي محمَّد عليه السلام، فلم تكن سليمة ولا مستقيمة، فقد مُنيت بالاضطراب من جرَّاء بعض المنحرفين الذين أثاروا الشبه حول العقيدة الإسلاميَّة الناصعة، كما قام بعض المشعوذين من غير المسلمين بشعوذة لتضليل المسلمين وإفساد عقيدتهم.

وقد تصدَّىٰ الإمام أبو محمَّد عليه السلام للذبِّ عن الإسلام، والدفاع عنه، فأبطل أوهامهم، وزيَّف شبههم، وأبرز الواقع المشرق للإسلام.

إبطال الإمام لشبه الكندي:

كان إسحاق الكندي فيلسوف العراق قد راودته بعض الشبه حول القرآن الكريم، فأشاع في الأوساط العلميَّة أنَّه ألَّف كتاباً أسماه (تناقض القرآن)، وقد أشغل نفسه بذلك.

وانتهى الخبر إلى الإمام أبي محمَّد عليه السلام، فالتقى ببعض تلامذة الكندي، فقال عليه السلام له: **أما فيكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ يَرْدَعُ أُسْتاذَكُمُ الْكِنْدِيَّ عَمَّا أَخَذَ فِيهِ مِنْ تَشاغُلِهِ بِالْقُرْآنِ؟**

فقال التلميذ: نحن من تلامذته، كيف يجوز منَّا الاعتراض عليه في هذا أو في غيره.

فقال له الإمام عليه السلام: **أَتُؤَدِّي إِلَيْهِ ما أُلْقِيهِ إِلَيْكَ؟**

- نعم.

وأدلى الإمام عليه السلام بالحجَّة القاطعة، والدليل الحاسم الذي ينسف جميع شبه الكندي، فقال لتلميذه: **صِرْ إِلَيْهِ، وَتَلَطَّفْ فِي مُؤانَسَتِهِ، وَمَعونَتِهِ عَلىٰ مَا هُوَ بِسَبِيلِهِ، فَإِذَا وَقَعَتِ الأُنْسَةُ فَقُلْ: قَدْ حَضَرَتْنِي مَسْأَلَةٌ أَسْأَلُكَ عَنْهَا، فَإِنَّه يَسْتَدْعِي ذَلِكَ مِنْكَ، فَقُلْ لَهُ: إِنْ أَتَاكَ هَذَا الْمُتَكَلِّمُ بِهَذَا الْقُرْآنِ هَلْ يَجوزُ أَنْ يَكُونَ مُرادُهُ بِمَا تَكَلَّمَ مِنْهُ غَيْرَ الْمَعانِي الَّتِي قَدْ ظَنَنْتَها أَنَّكَ ذَهَبْتَ إِلَيْهَا، فَإِنَّهُ سَيَقولُ لَكَ: إِنَّه مِنَ الْجائِزِ لأَنَّهُ رَجُلٌ يَفْهَمُ إِذَا سَمِعَ،**

فَإِذَا أَوْجَبَ ذَلِكَ فَقُلْ لَهُ: فَما يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ أَرَادَ غَيْرَ هَذَا الَّذِي ذَهَبْتَ أَنْتَ إِلَيْهِ، فَيكونُ وَاضِعاً لِغَيْرِ مَعانِيهِ.

وسار الرجل حتَّى التقى بأُستاذه الكندي، وتلطَّف معه، وألقى عليه ما تفضَّل به الإمام عليه السلام، وأخذ يفكِّر ويطيل النظر في الأمر أي في الحقّ والصواب في ذلك، فإنَّه أمر محتمل، وسائغ في اللغة، والتفت إلى تلميذه فقال له: أقسمت عليك إلاَّ ما أخبرتني من أين لك هذا؟

- إنَّه شيء عرض بقلبي فأوردته عليك.
- كلاَّ ما مثلك من يهتدي إلى هذا... عرِّفني من أين لك هذا؟
- أمرني به الإمام أبو محمَّد.
- الآن جئت به، وما كان ليخرج مثل هذا إلاَّ من ذلك البيت.

وعمد الكندي إلى كتابه فأحرقه وأتلفه[1]، فقد رأى المنطق والصواب في كلام الإمام عليه السلام.

إبطاله لشعوذة راهب:

وكشف الإمام أبو محمَّد عليه السلام النقاب عن شعوذة راهب أراد أن يضلِّل المسلمين، ويشكِّكهم في دينهم، وبيان ذلك حسبما ذكره الرواة أنَّ الناس أصابهم قحط شديد، فأمر المعتمد العبَّاسي بالخروج إلى الاستسقاء ثلاثة أيَّام فخرجوا ولم يُغاثوا بالمطر، وخرج النصارى ومعهم راهب كلَّما مدَّ يده إلى السماء هطلت، وفعل ذلك مكرّراً، فشكَّ بعض الجهلة في دينهم، وارتدَّ البعض الآخر، وشقَّ ذلك على المعتمد، ففزع إلى الإمام أبي محمَّد عليه السلام، وكان في سجنه وقال له: أدرك أُمَّة جدّك يابن رسول الله ﷺ قبل أن يهلكوا.

فقال له الإمام عليه السلام: **يَخْرُجونَ غداً، وَأنا أُزيلُ الشَّكَّ إنْ شَاءَ اللَّهُ.**

وأخرجه المعتمد من السجن، وطلب منه أن يطلق سراح أصحابه من السجن فاستجاب له، وأخرجهم.

وفي اليوم الثاني خرج الناس للاستسقاء، فرفع الراهب يده إلى السَّماء، فغيمت ومطرت، فأمر الإمام بتفتيش يده وأخذ ما فيها، وإذا فيها عظم آدمي، فأخذه منه وأمره

(١) مناقب آل أبي طالب: ٤/٤٢٤.

بالاستسقاء، فرفع يده إلى السَّماء، فزال ما فيها من غيم، وطلعت الشمس، فعجب الناس من ذلك.

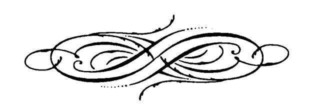
وبادر المعتمد قائلاً: ما هذا يا أبا محمَّد؟

- هَذَا عَظْمُ نَبِيٍّ ظَفَرَ بِهِ هَذا الرَّاهِبُ مِنْ بَعْضِ الْقُبورِ، وَمَا كُشِفَ عَظْمُ نَبِيٍّ تَحْتَ السَّماءِ إلاَّ هَطَلَتْ بِالْمَطَرِ.

وتفحَّص المعتمد على ذلك، فكان كما أخبر الإمام عليه السلام فزالت الشُّبهة، وانتفى الشكّ[1].

اللهو والطرب:

وظاهرة أُخرى في عصر الإمام أبي محمَّد عليه السلام، وهي أنَّه قد ساد فيه اللهو والطرب، فكانت بغداد وسامرَّاء تعجّان بالدعارة والمجون، وقد جرَّ المجتمع إلى هذه الحياة العابثة ملوك بني العبَّاس الذين استسلموا للذَّاتهم وشهواتهم، فكانت لياليهم الحمراء حافلة بجميع صنوف الآثام والمنكرات.



(١) جوهرة الكلام: ص١٥٤.

ملوك عصره

المتوكّل

تقلّد المتوكّل بن المعتصم الملك والسلطان في سنة (٢٣٢هـ)[١]، وهي السنة التي وُلد فيها الإمام الزكيّ أبو محمَّد عليه السلام[٢].

وحينما ولي المتوكّل الملك أُصيب الناس بكارثة سماويَّة لم يعهدوها من ذي قبل، فقد هبَّت ريح بالعراق شديدة السموم أحرقت زرع الكوفة والبصرة وبغداد، وقتلت المسافرين، ودامت خمسين يوماً، وسرت إلى همدان والموصل وسنجار، وأحرقت الزرع والمواشي، ومنعت الناس من المعاش في الأسواق، ومن المشي في الطرقات، وأهلكت خلقاً عظيماً[٣].

الانهماك في الحياة الجنسيَّة:

وكان المتوكّل منهمكاً في الحياة الجنسيَّة، فقد ذكر المؤرّخون أنَّه كانت له خمسة آلاف سريَّة يُقال: إنَّه وطأ الجميع، وكان عبد يقول: أحلف بالله لو لم يقتل المتوكّل لما عاش من كثرة جماعه[٤].

ولعه بالجواري:

ويُقال: إنَّه من شدَّة ولعه وهيامه بالجواري غضب على جاريته «محبوبة» فتركها وقتاً، إلاَّ أنَّه رأى في النوم أنَّها صالحته، فدعا بخادم له فقال: اذهب إلى محبوبة وتبيَّن لي خبرها، فذهب إليها، وعرَّفها بالأمر، ثمَّ رجع فأخبره أنَّها جالسة تغني.

---

(١) تاريخ الخلفاء: ص٣٤٦.

(٢) أخبار الدول: ص١١٧.

(٣) تاريخ الخلفاء: ص٣٤٦.

(٤) مرآة الزمان: ٦/ورقة ٦٩.

فقال المتوكّل: كيف تغنّي وأنا عليها غضبان؟ ثمّ قال لغلامه: قم معي حتّى نسمع غناءها، فقاما وإذا بها تغنّي بهذه الأبيات:

أدورُ في القَصْرِ لا أرىٰ أحَداً أشْكو إلَيْهِ وَلاَ يُكَلِّمُني
حَتَّىٰ كَأنِّي رَكِبْتُ مَعْصِيَةً لَيْسَتْ لَها تَوبَةٌ تُخَلِّصُني
فَهَلْ لَنا شَافِعٌ إلىٰ مَلِكٍ قَدْ زارَني فِي الكَرىٰ فَصَالَحَني
حَتَّى إذا ما الصَّباحُ لاحَ لَنا عَادَ إلى هَجْرِهِ فَصارَمَني

فطرب المتوكّل، ولمّا أحسَّت به خرجت إليه وأعلمته أنّها رأته في النوم، وقد جاء فصالحها، فقالت هذا الشعر وغنَّت له، فطرب المتوكّل، وأقام معها يحتسي الخمر، وأهدى إلى خواصّه الجوائز السنيَّة[١].

تجاهره بالمعاصي:

وكان المتوكّل يتجاهر بالمعاصي ولا يستحي من الناس، فقد كان يلعب بالنرد مع الفتح بن خاقان، فاستؤذن للقاضي أحمد بن داود، فأراد الفتح رفع النرد، فمنعه المتوكّل، وقال له: أُجاهر الله بشيء وأستره عن عباده[٢].

الجبروت والكبرياء:

وظاهرة أُخرى من صفات المتوكّل، وهي الجبروت والكبرياء خصوصاً في أيّامه الأخيرة حينما استتبَّ الملك، وصفا له السلطان، فقد طغى وتكبَّر، واستعلى على الناس بغير حقّ[٣].

عداؤه للعلويِّين:

وأُترعت نفس المتوكّل بالعداء العارم، والبغض الشديد لعترة رسول الله صلى الله عليه وآله وذرِّيَّته، فكان يتحرَّق غيظاً وغضباً عليهم، وقد جهد في ظلمهم وإرهاقهم، وقد عانوا في عهده ضروباً قاسية من الجور والظلم لم يعهدوها في حكم أئمَّة الظلم من قبله، وقد فرض عليهم الحصار الاقتصادي، فقد منع رسميًّا من البرّ بهم والإحسان إليهم، وكان لا يبلغه أنَّ أحداً برَّ بهم إلاَّ أنهكه عقوبة وأثقله غرماً[٤].

(١) نساء الخلفاء: ص٩٥ و٩٦.
(٢) زهر الآداب: ٤/ ٣١.
(٣) عيون التواريخ: ٦/ ورقة ١٧٠.
(٤) مقاتل الطالبيِّين: ص٥٩٧.

بغضه للإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

وأُترعت نفس المتوكّل بالبغض والحقد والعداء للإمام أمير المؤمنين عليه السلام، رائد الحقّ والعدل في الإسلام، فقد تنكَّر هذا الطاغية له، وجاهر ببغضه والاستهانة به، وقد اتَّخذ مخنّثاً من حاشيته وقروده يرقص له، ويشبّه نفسه بالإمام أمير المؤمنين عليه السلام الذي هو نفس رسول الله صلى الله عليه وآله، ومن كان منه بمنزلة هارون من موسى، فأثار هذا العمل الشنيع حفيظة ولده المنتصر الشهم الغيور، فأنكر عليه ذلك، وكان ذلك من جملة الأسباب التي أدَّت إلى قتله والإجهاز عليه.

هدمه لقبر الإمام الحسين عليه السلام:

وكانت المتوكّل يتحرَّق غيظاً لما يسمعه من تهافت الناس على زيارة قبر ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وسيِّد شباب أهل الجنَّة الإمام الحسين عليه السلام، فقد حظي هذا المرقد العظيم بازدحام الزائرين على اختلاف طبقاتهم وميولهم في حين أنَّ قبور العبَّاسيِّين في مزبلة من مزابل الأرض، صارت مأوى للوحوش الضارية، وهي ببؤسها تحكي ظلمهم وجورهم واستبدادهم بأُمور المسلمين.

وروى المؤرّخون السبب في إقدامه على هدم القبر الشريف، وهو أنَّ بعض المغنِّيات كانت تبعث إليه بجواريها ليغنين له إذا شرب الخمر، وذلك قبل أن يتقلَّد الملك والسلطان، فلمَّا صار ملكاف بعث إليها لترسل له مغنيَّة، فأُخبر أنَّها غائبة، وكانت قد مضت إلى زيارة قبر الإمام الحسين عليه السلام، وانتهى إليها الخبر وهي في كربلاء، فأسرعت راجعة إلى بغداد، وبعثت إليه بإحدى جواريها التي كان يألفها، فقال لها: أين كنتم؟

قالت: إنَّ مولاتي قد خرجت إلى الحجّ وأخرجتنا معها، وكان ذلك في شهر شعبان، فبهر المتوكّل وراح يقول: إلى أين حججتم في شعبان؟

- إلى قبر الحسين.

فانتفخت أوداجه وورم أنفه، وأمر باعتقال مولاة الجارية، ومصادرة أموالها، وأوعز إلى العمَّال بهدم القبر الشريف، فامتنع العمَّال المسلمون وتحرَّجوا كأعظم ما يكون التحرُّج، فأوعز إلى اليهود، وعلى رأسهم الديزج، فاستجابوا له، وإلى ذلك يشير ابن الرومي في رائعته التي رثى بها الشهيد الخالد يحيى:

وَلَمْ تَقْنَعوا حَتَّى اسْتَثارَتْ قُبورَهُمْ ... كِلابُكُمْ مِنْها بَهِيمٌ وَديزَجُ

وقام اليهود الأرجاس بهدم القبر الشريف وذلك في سنة (٢٣٧هـ)، كما هدموا كلّ بناء حول القبر، وخرَّبوا ما حوله نحو مائتي جريب، وأُجري الماء حوله، إلاّ أنَّ الماء دار حول القبر الشريف ولم يصل إليه، ومن ثمّ سمّي الحائر، وقد خرجت من الضريح رائحة من الطيب لم يشمّ الناس عطراً مثلها، إنَّها نسيم الرسالة الإسلاميَّة، ونسيم الشرف والكرامة.

يقول الجواهري:

شَمَمتُ ثَراكَ فَهَبَّ النَّسِيمُ   نَسِيمُ الْكَرامَةِ مِنْ بَلقَعِ

المنتصر

وتسلَّم المنتصر قيادة الحكم بعد الانقلاب الذي قام به ضدّ أبيه، وقد عمَّ الفرح والسرور جميع الأوساط الشيعية، فقد زال عنهم كابوس الظلم والجور، وقد قام بما يلي:

١ ـ ردّ فدك إلى العلويِّين.

٢ ـ رفع الحجر عن أوقاف العلويِّين وإرجاعها إليهم.

٣ ـ عزل والي المدينة صالح بن علي الذي كان يسيء إلى العلويِّين.

وجعل مكانه علي بن الحسين بن إسماعيل، وقال له: إنَّما ولَّيتك لتخلفني في برّ آل أبي طالب، وقضاء حوائجهم، فقد نالتهم جفوة، وخذ هذا المال ففرِّقه فيهم، وفي أهلك على أقدارهم.

فقال: سأبلغ بعون الله رضاء أمير المؤمنين.

فقال: إذن تسعد بذلك عند الله تعالى.

وكانت هذه السياسة المشرقة تجاه العلويِّين قد نال بها رضاء العامَّة والخاصَّة، وانبرى الشعراء إلى مدحه والثناء عليه.

يقول البحتري:

تَبَسَّمُ عَنْ وَاضِحٍ ذِي أشُرْ   وَتَنْظُرُ مِنْ فَاتِرٍ ذِي حَوَرْ

وَآلُ أبي طَالِبٍ بَعْدَ مَا   أُذِيعَ بِسِرِيهِمْ فَابْذَعَرْ

وَنعالَتْ أدانِيهِمُ جَفْوَةٌ   تَكادُ السَّماءُ لَها تَنْفَطِرْ

وَصَلْتَ شَوابِكَ أرْحامِهِمْ   وَقَدْ أوْشَكَ الْحَبْلُ أنْ يَنْبَتِرْ

وفاته:

ولم تطل أيَّام هذا الرجل الذي أنعش قلوب العلويِّين ببرِّه ومعروفه فقد وافته المنيَّة وهو في بداية ملكه، ويذهب أكثر المؤرّخين إلى أنَّه لم يمت حتف أنفه، وإنَّما مات مسموماً، فقد اغتاله الأتراك خوفاً من أن يفتك بهم، ويقضي على نفوذهم، فقد رشوا طبيبه ابن طيفور فأعطوه ثلاثين ألف دينار إذا قام باغتياله، وكان المنتصر مريضاً، فأشار عليه بفصده، فاستجاب له، ففصده بريشة مسمومة، وتوفِّي في الحال[1].

المستعين

حقده على الإمام عليه السلام:

لقد حقد المستعين كأشدّ ما يكون الحقد على الإمام الزكيّ أبي محمَّد عليه السلام وتميَّز غيظاً منه، أمَّا أسباب ذلك فهي:

١ ـ انتشار فضل الإمام عليه السلام، وتحدُّث الأندية والمجالس عن سموّ مكانته، وعظيم منزلته، وما يتمتَّع به من المواهب والعبقريَّات، وذهاب شطر من الأُمَّة إلى القول بإمامته، والتديُّن بالولاء له، في حين أنَّه مع سيطرته على الحكم لم يحظ بأيِّ منزلة أو مكانة في نفوس المسلمين.

٢ـ كثرة الوشاية بالإمام من المرتزقة والعملاء الذين يتزلَّفون إلى السلطة، وإخبارها بأنَّ الإمام عليه السلام ترد إليه الأموال الطائلة من شيعته، وأنَّه لا يؤمن أن يقوم بثورة عارمة ضدّ الحكم العبَّاسي ممَّا أوجب ذعر المستعين من الإمام عليه السلام.

٣ ـ وكان من عوامل حقد المستعين على الإمام أبي محمَّد عليه السلام هو الخوف من ولده الإمام المنتظر عليه السلام الذي بشَّر به الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، وتواترت الأخبار عنه بأنَّه هو الذي يقيم اعوجاج الدِّين، ويزيل كابوس الظلم والجور عن المظلومين المضطهدين، وقد ملئت قلوب العبَّاسيِّين ذعراً وخوفاً منه، معتقدين بأنَّه هو الذي يقضي على حكمهم المنحرف، فلذا كانوا يكنّون العداء للإمام أبي محمَّد عليه السلام، وقد وضعوا عليه الرقابة الشديدة، وأحاطوا حرمه وأهله بقوى مكثَّفة من النساء للتعرُّف على ولادة ولده الإمام المنتظر عليه السلام للإلقاء القبض عليه.

---

(١) تاريخ الخلفاء: ص٣٥٧.

هذا بعض العوامل التي أدَّت إلى حقد المستعين العبَّاسي على الإمام الزكيّ أبي محمَّد عليه السلام.

اعتقاله للإمام عليه السلام:

وأصدر الطاغية المستعين أمراً إلى جلاوزته وشرطته باعتقال الإمام أبي محمَّد عليه السلام، فاعتقل وأودع في سجن علي بن نارمش، وكان من أنصب الناس، وأشدَّهم عداوة لآل أبي طالب، وقد شدَّدت عليه السلطة بالتنكيل بالإمام والتضييق عليه، إلاَّ أنَّه تأثَّر بهدي الإمام عليه السلام، فنزع ما في قلبه من حقد وغلّ، وكان يضع خدَّه على الأرض تواضعاً له، ولا يرفع بصره إليه إجلالاً وإعظاماً، وعاد وهو من أحسن الناس بصيرة، وأحسنهم فيه قولاً[1].

وكان معه في السجن عيسى بن الفتح، فقال له الإمام: **يا عِيسىٰ، لَكَ مِنَ الْعُمْرِ خَمْسٌ وَسِتّونَ سَنَةً وَشَهْرٌ وَيَوْمانِ**.

فبهر عيسى، وكان معه كتاب فيه تاريخ ولادته، فراجعه، فكان كما أخبر الإمام، ثمَّ قال له: **هَلْ رُزِقْتَ وَلَداً؟**

فأجابه بالنفي، فدعا له الإمام قائلاً: **اللَّهُمَّ ارْزُقْهُ وَلَداً يَكونَ لَهُ عَضُداً، فَنِعْمَ الْعَضُدُ الْوَلَدُ**، ثمَّ أنشد:

مَنْ كَانَ ذَا عَضُدٍ يُدْرِكْ ظُلامَتَهُ ... إنَّ الذَّلِيلَ الَّذِي لَيْسَتْ لَهُ عَضُدُ

وانبرى عيسى فقال: يا سيِّدي، وأنت لك ولد؟

وأجابه الإمام: **وَاللَّهِ سَيَكونُ لِي وَلَدٌ يَمْلأُ الأَرْضَ قِسْطاً وَعَدْلاً، أَمَّا الآنَ فَلا**[2].

خلع المستعين:

وكانت نهاية هذا الطاغية الخسران المبين، فقد تنكَّر له الأتراك، وخافوا منه، فصمَّموا على خلعه، وكان قد اتَّجه إلى بغداد، فأرسلوا إليه أن يرجع إلى سامرَّاء، فأبى، ومضى ميمّماً وجهه نحو بغداد، فبادروا إلى خلعه، وأخرجوا المعتزّ من السجن، وبايعوه خليفة، وجهَّزوا جيشاً كثيفاً لاحتلال بغداد، وإلقاء القبض عليه.

---

(١) أصول الكافي: ٥٠٨/١.

(٢) جوهرة الكلام: ص١٥٥.

المعتزّ

عداؤه للإمام عليه السلام:

وورث المعتزّ من آبائه العداء والنصب لأهل البيت عليهم السلام، فقد أُترعت نفسه ببغضهم والحقد عليهم، وكان من مظاهر عدائه للإمام أبي محمَّد عليه السلام أنَّه حاول قتله، فقد أوعز إلى سعيد الحاجب أن يأخذ الإمام إلى قصر ابن هبيرة ويغتاله فيه، ولكنَّ الله أنجاه منه[١]، فقد مُني ببعض الأحداث التي شغلته عن ذلك.

اعتقاله للإمام عليه السلام:

وعمد المعتزّ إلى اعتقال الإمام أبي محمَّد عليه السلام وأودعه في السجن، وذلك لما سمعه من فضله، وتحدُّث الناس عن علومه وورعه وتقواه، بالإضافة إلى ما فرع سمعه من أنَّ الإمام عليه السلام هو والد الإمام المنتظر الذي يقضي على الظلم والجور، ويطيح بدول الظالمين، فخاف كأشدّ ما يكون الخوف منه.

دعاء الإمام عليه:

وضاق الإمام عليه السلام ذرعاً من المعتزّ، فقد أسرف في ظلمه والاعتداء عليه، فتضرَّع عليه السلام إلى الله ودعاه بإخلاص أن ينقذه من شروره، ولم تتعرَّض الكتب التي بأيدينا إلى تسجيل دعائه، وإنَّما أشارت إلى أنَّه دعا عليه.

وعلى أيِّ حال، فقد استجاب الله دعاء سليل النُّبوَّة، وبقيَّة الإمامة، فخلع الملك عنه، وقد أخبر عليه السلام شيعته بذلك قبل نزول الكارثة على المعتزّ، فقد كتب إليه أبو الهيثم بن سيَّابة يسأله الأنباء التي انتشرت في عزم المعتزّ على اغتياله، فأجابه الإمام: **بَعْدَ ثَلاثَةٍ يَأْتِيكُمُ الْفَرَجُ**، فخلع المعتزّ في اليوم الثالث[٢].

خلع المعتزّ:

وانتقم الله من المعتزّ أشدّ ما يكون الانتقام، فقد طلب منه جماعة من قادة الأتراك أن يعطيهم أرزاقهم، ولم يكن في بيت المال شيء، فخفَّ إلى أُمِّه، وكانت تملك الملايين، فطلب منها ذلك، فأبت عليه وشحَّت بما عندها.

---

(١) دلائل الإمامة: ص٢٢٥.

(٢) دلائل الإمامة: ص٢٢٥. أخبار الدول: ص١١٧.

ولمّا يئس الأتراك منه هجموا عليه وجرّوه من رجله، وضربوه بالدبابيس، وأقاموه في الشمس في يوم صائف شديد الحرارة، وهم يقولون له: اخلع نفسك، ثمَّ أحضروا قاضي بغداد وجماعة وخلعوه.

وبعد خمس ليال من خلعه أدخلوه الحمَّام، فلمَّا اغتسل عطش، فمنعوه الماء ثمَّ سقوه ماءً مثلَّجاً، فتوفِّي[١].

المهتدي

اعتقاله للإمام عليه السلام:

أوعز الطاغية إلى جلاوزته باعتقال الإمام أبي محمَّد وإيداعه في السجن، وقد عزم على قتله، كما عزم على إبادة شيعة أهل البيت عليهم السلام، ومكث الإمام في السجن حفنة من الأيَّام، وكان معه في السجن الزكيّ أبو هاشم، فقال له الإمام: **يا أبا هاشِم، إنَّ هَذَا الطَّاغِيَةَ أَرَادَ قَتْلِي فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ، وَقَدْ بَتَرَ اللَّهُ عُمْرَهُ، وَلَيْسَ لِي وَلَدٌ، وَسَيَرْزُقُنِي اللَّهُ وَلَداً**[٢].

وكتب إليه بعض شيعته: أنَّه قد بلغنا أنَّه ـ أي المهتدي ـ يتهدَّد شيعتك، ويقول: والله لأجلينَّهم عن جديد الأرض.

فوقَّع عليه السلام: **إنَّ ذَلِكَ أقْصَرُ لِعُمْرِهِ، عُدَّ مِنْ يَوْمِكَ هَذَا خَمْسَةَ أَيَّامٍ، فَإِنَّهُ يُقْتَلُ فِي الْيَوْمِ السَّادِسِ بَعْدَ هَوانٍ وَاسْتِخْفَافٍ وَذُلٍّ يَلْحَقُهُ.**

وتحقَّق ذلك كما أخبر عليه السلام[٣].

هلاك المهتدي:

ونقم الأتراك على المهتدي، وثاروا عليه، وهجموا عليه بالخناجر، فكان أوَّل من جرحه ابن عمّ (لبايكيال) القائد التركي، وقد جرحه في أوداجه، فالتقم الجرح والدم يفور منه، وأقبل يمصُّ الدم حتَّى روي منه، وكان التركي سكراناً، فقال له أصحابه: قد رويت من دم المهتدي كما رويت في هذا اليوم من الخمر[٤].

(١) تاريخ الخلفاء: ص٣٦٠.
(٢) مهج الدعوات: ص٢٧٤.
(٣) مهج الدعوات: ص٢٧٤.
(٤) مروج الذهب: ٤/١٢٧.

المعتمد

اعتقاله للإمام عليه السلام:

أمر الطاغية المعتمد باعتقال الإمام أبي محمَّد عليه السلام مع أخيه جعفر، وأوعز إلى مدير السجن (صالح بن وصيف) أن ينقل إليه أخباره، وما يتجدَّد من أحاديثه وشؤونه في كلّ وقت، فكان يخبره بأنَّه لم يقم بأيِّ شيء ممَّا يتصادم مع السياسة العبَّاسيَّة، وأنَّه قد انصرف عن الدُّنيا، واتَّجه صوب الله تعالى، فكان يصوم نهاره، ويحيي ليله بالعبادة.

وسأله مرَّة أُخرى عنه، فأخبره بمثل ذلك، فأمره بإطلاق سراحه، وإبلاغه تحيَّاته، والاعتذار منه، وجاء مدير السجن مسرعاً فوجد الإمام جالساً متهيّئاً للخروج قد لبس ثيابه وخفّه، فبهر من ذلك، فأدّىٰ إليه رسالة المعتمد، ونهض الإمام فاعتلى جواده، ثمَّ وقف، فانبرى السجَّان قائلاً: ما وقوفك؟

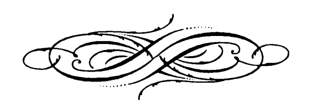
- **حَتَّىٰ يَجِيءَ جَعْفَرُ.**

- إنَّما أمرني بإطلاق سراحك دونه.

- **امْضِ إلَيْهِ وَأخْبِرْهُ أنّي أُخِذْتُ وَإيَّاهُ مِنَ الدَّارِ، فَإذا رَجَعْتُ وَحْدي كَانَ فِي ذَلِكَ ما لا خَفاءَ بِهِ عَلَيْكَ.**

ومضى السجَّان إلى المعتمد فأخبره بمقالة الإمام، فأمره بإخلاء سبيله، وخرج الإمام عليه السلام من السجن، وهو يتلو قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[1][2].

وعلى أيِّ حال، فقد عاصر الإمام الزكيّ أبو محمَّد عليه السلام هؤلاء الملوك من بني العبَّاس، وقد جهدوا على ظلمه، فأودعوه في ظلمات السجون، وحاولوا الفتك به، ولكنَّ الله صرف ذلك عنه، فقد ابتلاهم بأحداث جسام، كالثورات الداخليَّة واستبداد الأتراك.



(١) سورة الصف: الآية ٨.

(٢) مهج الدعوات: ص٣٣٠.

إلى جنَّة المأوىٰ

وقضى الإمام الزكيّ أبو محمَّد عليه السلام أيَّام حياته القصيرة الأمد بالمحن والخطوب، فقد جهد ملوك العبَّاسيِّين على ظلمه، وإنزال أقصى العقوبة به، فكانوا ينقلونه من سجن إلى سجن، وضيَّقوا عليه في حياته الاقتصاديَّة، وحجبوه عن الالتقاء بشيعته، كما منعوا العلماء والفقهاء من الانتهال من نمير علومه، وكان ذلك ـ فيما أعتقد ـ من أعظم ما عاناه من المحن والخطوب، وقد حاولوا جاهدين اغتياله، ولكنَّ الله تعالى صرف ذلك عنه، وشغلهم بالأحداث الجسام التي منوا بها.

نصَّه على الإمام المهدي عليه السلام:

وعلى كلِّ حال، فإنَّا نعرض لبعض النصوص التي أُثرت عن الإمام الحسن الزكيّ عليه السلام في النصّ على إمامة ولده المهدي عليه السلام، وفي ما يلي ذلك:

١ ـ روى الثقة أحمد بن إسحاق بن سعيد الأشعري، قال: «دخلت على أبي محمَّد الحسن بن عليّ عليه السلام وأنا أُريد أن أسأله عن الخلف من بعده، فقال لي مبتدئاً: **يا أَحْمَدَ بْنُ إِسْحاقَ، إنَّ اللَّهَ تَبارَكَ وَتَعالَىٰ لَمْ يُخْلِ الأَرْضَ مُنْذُ خَلَقَ آدَمَ، وَلاَ يُخْليها إِلَىٰ أَنْ تَقومَ السَّاعَةُ مِنْ حُجَّةٍ لِلَّهِ عَلَىٰ خَلْقِهِ، بِهِ يَدْفَعُ الْبَلاءَ عَنْ أَهْلِ الأَرْضِ، وَبِهِ يُنْزِلُ الْغَيْثَ، وَبِهِ يُخْرِجُ بَرَكاتِ الأَرْضِ.**

فقلت له: يابن رسول الله، فمن الإمام والخليفة بعدك؟

فنهض عليه السلام مسرعاً فدخل البيت، ثمَّ خرج وعلى عاتقه غلام كأنَّ وجهه القمر ليلة البدر، من أبناء ثلاث سنين، فقال: **يا أَحْمَدُ، لَوْلا كَرامَتُكَ عَلَىٰ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَعَلَىٰ حُجَجِهِ ما عَرَضْتُ عَلَيْكَ ابْنِي هَذا، إِنَّهُ سَمِّيَ بِاسْمِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَكُنْيَتِهِ، الَّذي يَمْلأُ الأَرْضَ قِسْطاً وَعَدْلاً كَما مُلِئَتْ جَوْراً وَظُلْماً.**

يا أَحْمَدُ، مَثَلُهُ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ مَثَلُ الْخِضرِ، وَمَثَلُ ذِي الْقَرْنَيْنِ، وَاللَّهِ لَيَغيبَنَّ غَيْبَةً لاَ يَنْجو مِنَ الْهَلَكَةِ فِيها إِلاَّ مَنْ ثَبَّتَهُ اللَّهُ عَلَىٰ الْقَوْلِ بِإِمامَتِهِ، وَوَفَّقَهُ فِيها لِلدُّعاءِ بِتَعْجِيلِ فَرَجِهِ.

قال أحمد بن إسحاق: فهل من علامة يطمئنّ إليها قلبي؟

فنطق الغلام بلسان عربي فصيح، فقال عليه السلام: **أنا بَقِيَّةُ اللّهِ فِي أرْضِهِ، وَالْمُنْتَقِمُ مِنْ أعْدائِهِ، فَلاَ تَطْلُبْ أثَراً بَعْدَ عَيْنٍ، يا أحْمد بْن إسْحاق.**

فقال أحمد: فخرجت مسروراً فرحاً، فلمَّا كان في الغد عدت إليه، فقلت له: يابن رسول الله، لقد عظم سروري بما مننت به عليّ، فما السُّنَّة الجارية في الخضر وذي القرنين؟

فقال: **طُولُ الْغَيْبَةِ يا أحْمد.**

قلت: يابن رسول الله، وإنَّ غيبته لتطول؟

قال: **إي وَرَبِّي حَتَّىٰ يَرْجِعَ عَنْ هَذَا الأمْرِ أكْثَرُ الْقَائِلِينَ بِهِ، وَلاَ يَبْقَىٰ إلاَّ مَنْ أخَذَ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْهُ عَهْداً لِوَلايَتِنا، وَكَتَبَ فِي قَلْبِهِ الإيمانَ، وَأيَّدَهُ بِروحٍ مِنْهُ.**

يا أحْمَدُ، هَذا أمْرٌ مِنَ اللّهِ، وَسِرٌّ مِنْ سِرِّ اللّهِ، وَغَيْبٌ مِنْ غَيْبِ اللّهِ، فَخُذْ مَا أتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ تَكُنْ مَعَنا غَداً فِي عِلِّيِّينَ»[1].

٢ ـ روى الثقة الجليل محمَّد بن عثمان العمري، عن أبيه، يقول: «سئل أبو محمَّد الحسن بن عليّ وأنا عنده عن الخبر الذي روي عن آبائه أنَّ الأرض لا تخلو من حجَّة لله على خلقه إلى يوم القيامة، وإنَّ من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهليَّة، إنَّ هذا حقّ كما أنَّ النهار حقّ.

وانبرى إليه شخص فقال له: يابن رسول الله، فمن الحجَّة والإمام بعدك؟

ابْنِي مُحَمَّدٌ هُوَ الإمامُ وَالْحُجَّةُ بَعْدِي، مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَعْرِفْهُ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً، أما إنَّ لَهُ غَيْبَةً يُحارُ فِيها الْجَاهِلونَ، وَيَهْلَكُ فِيها الْمُبْطِلونَ، وَيَكْذِبُ فِيها الوَقَّاتونَ، ثُمَّ يَخْرُجُ فَكَأنِّي أنْظُرُ إلَىٰ الْبِيضِ تَخْفِقُ فَوْقَ رَأْسِهِ بِنَجَفِ الْكوفَةِ»[2].

وهذا الحديث الشريف كالحديث السابق في عطائه ومضمونه.

٣ ـ قال الإمام أبو محمَّد عليه السلام: **«الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي لَمْ يُخْرِجْنِي مِنَ الدُّنْيا حَتَّىٰ أرَانِي الْخَلَفَ مِنْ بَعْدِي، أشْبَهُ النَّاسِ بِرَسُولِ اللّهِ ﷺ خَلْقاً وَخُلُقاً، يَحْفَظُهُ اللّهُ تَبارَكَ وَتَعالَىٰ فِي غَيْبَتِهِ، ثُمَّ يُظْهِرُهُ فَيَمْلأُ الأرْضَ قِسْطاً وَعَدْلاً كَمَا مُلِئَتْ جَوْراً وَظُلْماً»**[3].

---

(١) إكمال الدِّين: ص٢١٦ و٢١٧.

(٢) كفاية الأثر: ص٢٩٦.

(٣) إكمال الدِّين: ص٢٢٨.

٤ ـ روى موسى بن جعفر البغدادي، قال: «سمعت أبا محمَّد الحسن بن عليّ العسكريّ يقول: **كَأنِّي بِكُمْ قَدِ اخْتَلَفْتُمْ بَعْدِي فِي الْخَلَفِ مِنِّي، ألا إنَّ الْمُقِرَّ بِالأئِمَّةِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمُنْكِرَ لِوَلَدِي، كَمَنْ أقَرَّ بِجَمِيعِ أنبِياءِ اللَّهِ وَرُسُلِهِ ثُمَّ أنْكَرَ نُبوَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ لأنَّ طاعَةَ آخِرِنا كَطاعَةِ أوَّلِنا، وَالْمُنْكِرُ لآخِرِنا كَالْمُنْكِرِ لأوَّلِنا. أما أنَّ لِوَلَدِي غَيْبَةً يَرْتابُ فِيها النَّاسُ إلاَّ مَنْ عَصَمَهُ اللَّهُ**»[1].

الإمام ينعى نفسه:

واستشفَّ الإمام أبو محمَّد عليه السلام من وراء الغيب أنَّه سوف يفارق الحياة ويفد على الله، فأخذ ينعى نفسه لوالدته، فقال لها: **تَصِيبُنِي فهي سَنَةِ سِتِّينَ وَمائَتَيْنِ حَرارَةٌ أخافُ أنْ أنْكَبَ مِنْها نَكْبَةً**.

وطاش لبّها بهذا النبأ المروع، وبدأ عليها الجزع، وانطوت على الحزن والبكاء، فأخذ الإمام يهدِّىء روعها قائلاً لها، **لاَ بُدَّ مِنْ وقوعِ أمْرِ اللَّهِ، لاَ تَجْزَعِي**.

ونزلت الكارثة في سنة ستّين ومائتين، فقد توفِّي عليه السلام فيها كما تنبّأ[2].

اغتيال الإمام:

ونقل الإمام أبو محمَّد عليه السلام إلى الطاغية المعتمد العبَّاسي الذي أزعجه ما يسمع من إجماع الأُمَّة على عظيم الإمام وتبجيله وتقديمه بالفضل على جميع العلويِّين والعبَّاسيِّين، فأجمع رأيه على الفتك بالإمام واغتياله، فدسَّ له سمّاً قاتلاً[3]. فلمَّا تناوله الإمام تسمَّم بدنه الشريف ولازم الفراش، وأخذ يُعاني آلاماً مريرة وقاسية وهو صابر محتسب قد ألجأ أمره إلى الله.

إلى جنَّة المأوىٰ:

وثقل حال الإمام أبي محمَّد عليه السلام ويئس الأطباء منه، وأخذ يدنو الموت سريعاً، وكان في تلك المرحلة الأخيرة من حياته يلهج بذكر الله ويمجّده ويدعو ربّه ضارعاً أن يقرّبه زلفى ولم تفارق شفتاه تلاوة كتاب الله العظيم، واتَّجه الإمام عليه السلام صوب القبلة

---

(١) كفاية الأثر: ص٢٩٥ و٢٩٦.

(٢) مهج الدعوات: ص٣٣٠. بحار الأنوار: ٥٠/ ٣١٣.

(٣) الإرشاد: ص٣٨٣.

المعظمَّة وقد صعدت روحه الطاهرة إلى الله تعالى كأسمى روح صعدت إلى الله تحفُّها ملائكة الرَّحمٰن.

تجهيزه عليه السلام:

وغسل جسد الإمام وحنّط وأُدرج في أكفانه، وحُمل للصلاة عليه، فانبرى أبو عيسى بن المتوكّل فصلَّى عليه بأمر من المعتمد العبَّاسي، وبعد الفراغ من الصلاة كشف وجه الإمام وعرضه على بني هاشم من العلويِّين والعبَّاسيِّين وقادة الجيش وكتَّاب الدولة ورؤساء الدوائر والقضاة والمتطبِّبين، وقال لهم: هذا الحسن بن عليّ بن محمَّد بن الرِّضا عليهم السلام مات حتف أنفه على فراشه، وحضره من خدم أمير المؤمنين وثقاته فلان وفلان، ومن القضاة فلان وفلان، ومن المتطبِّبين فلان وفلان، ثمَّ غطَّى وجهه الشريف[1].

مواكب التشييع:

وسرى النبأ المفجع في جميع أرجاء سامرَّاء، فكان كالصاعقة في هوله، وهرع المسلمون إلى دار الإمام وهم ما بين باكٍ ونائح، وقد عطِّلت الدوائر الرسميَّة والمحلَّات التجاريَّة، وأُغلقت جميع الأسواق، وكانت سامرَّاء شبيهة بالقيامة[2].

في مقرِّه الأخير:

وجيء بالجثمان الطاهر تحت هالة من التكبير والتعظيم إلى مقرِّه الأخير، فدفن في داره إلى جانب أبيه الإمام عليّ الهادي عليه السلام، وقد واروا معه صفحة مشرقة من صفحات الرسالة الإسلاميَّة، وواروا فلذَّة من كبد رسول الله ﷺ.

لقد حظيت سامرَّاء ببدرين من أئمَّة المسلمين وقادتهم، وصارت في طليعة الأماكن المقدَّسة في دنيا الإسلام وهي حافلة في كلّ وقت بالزائرين من جميع الأقاليم والأقطار، وقد زار المرقدين العظيمين الخليفة العبَّاسي الناصر لدين الله متبرِّكاً ومتقرِّباً إلى الله تعالى.

وقد أشار عليه بعض وزرائه بزيارة قبور آبائه من ملوك بني العبَّاس، فأجابه إلى ذلك، ولمَّا انتهى إليها وجدها مظلمة قد عشَّشت فيها الغربان، وعادت مزبلة لما فيها

---

(١) الإرشاد: ص٣٨٣.

(٢) الإرشاد: ص٣٨٣. دائرة المعارف/ البستاني: ٧/ ٤٥.

من أوساخ وقمامة، وهي ببؤسها تحكي جور أُولئك الملوك وظلمهم، فطلب منه الوزير العناية بها، وبذل الأموال لإصلاحها ولمن يزورها، فأجابه الناصر بالجواب الحاسم المركز على الواقع قائلاً: هيهات لا ينفع ذلك ولا يجدي شيئاً.

ـ لماذا يا أمير المؤمنين؟

ـ نظرت إلى ازدهار قبور الأئمَّة الطاهرين.

ـ نعم.

ـ أتعرف السِّر في ذلك؟

ـ لا.

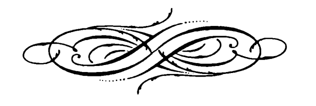
ـ إنَّ آبائي اتَّصلوا بالشيطان وهؤلاء السادة اتَّصلوا بالله، وما كان لله يبقى وما كان للشيطان يفنى ويزول[١].

عمر الإمام عليه السلام:

توفِّي الإمام عليه السلام وهو في عمر الزهور، فقد كان في شرخ الشباب وزهرته، إذا وافته المنية وهو ابن ثمان وعشرين سنة[٢].

سنة وفاته عليه السلام:

انتقل الإمام أبو محمَّد عليه السلام إلى جنَّة المأوىٰ سنة ستّين ومائتين من الهجرة[٣]، في شهر ربيع الأوَّل لثمان ليال خلون منه[٤].

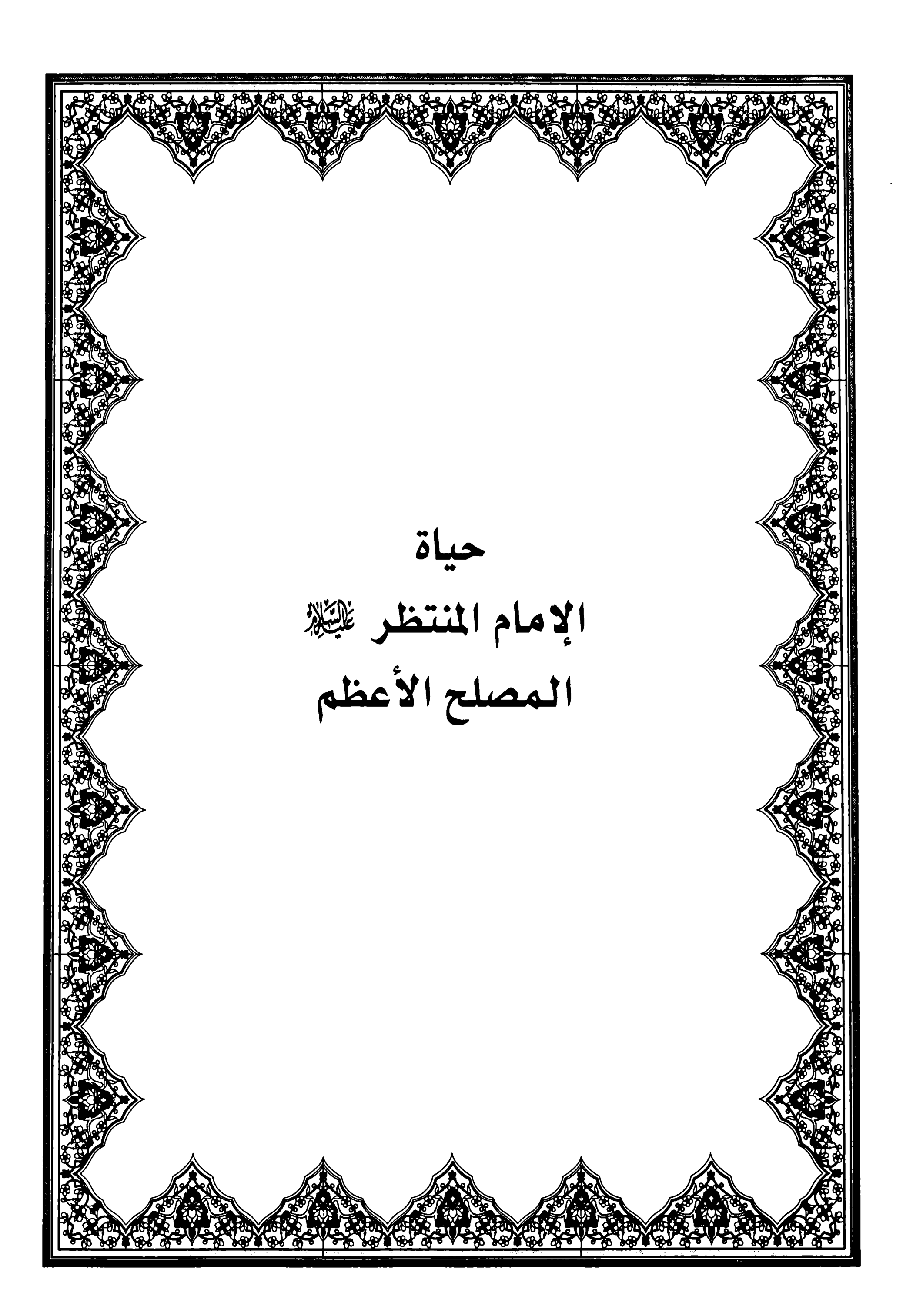


(١) الخصائص الفاطميَّة: ١/٤١٧ و٤١٨.

(٢) جامع الأخبار: ص٤٢.

(٣) مرآة الجنان: ٢/ ٤٦٢.

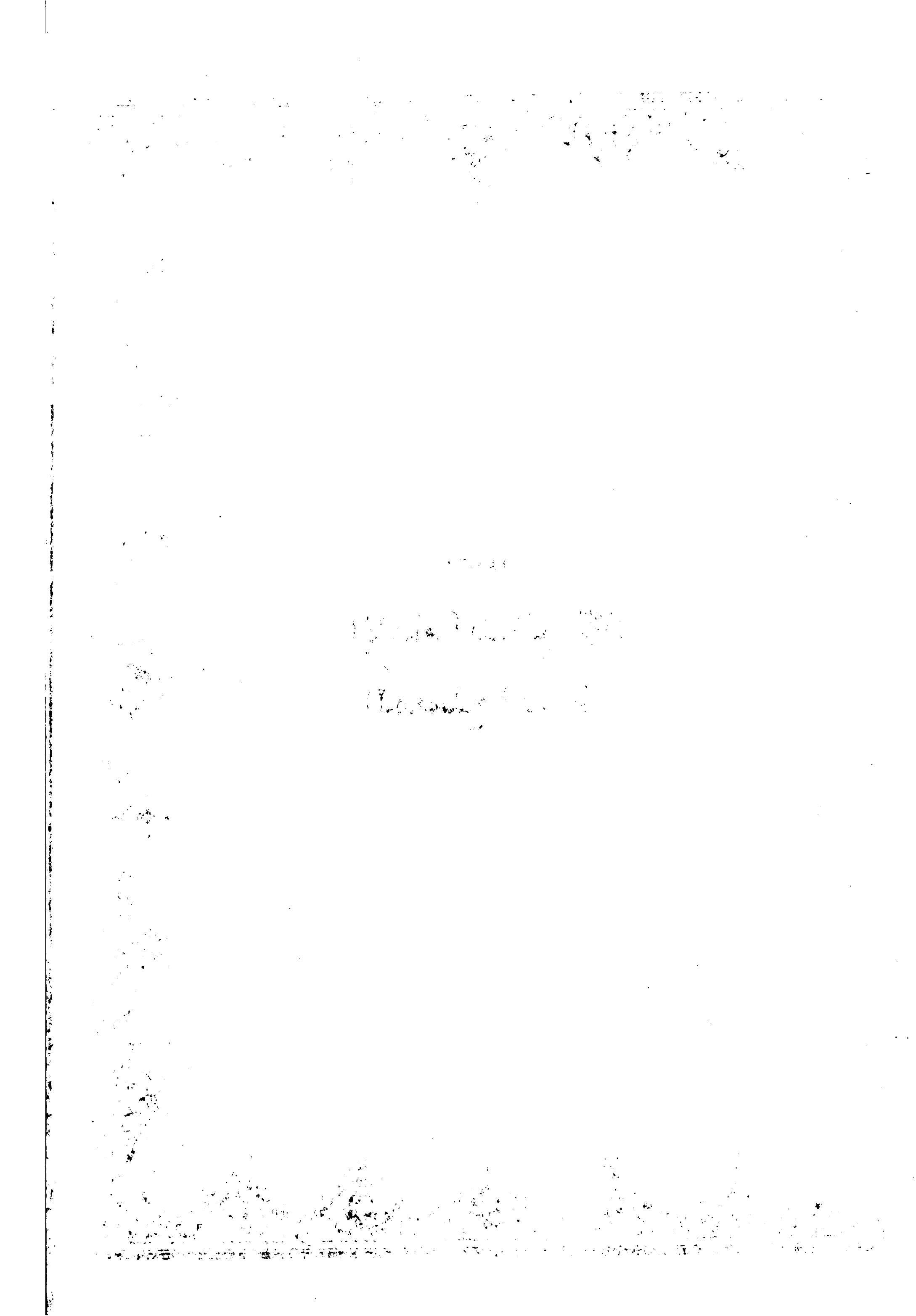
(٤) تاريخ بغداد: ٧/٢٦٦.



حياة

الإمام المنتظر عليه السلام

المصلح الأعظم



مشرق النُّور

الأب:

أمَّا أبو الإمام المنتظر عليه السلام فهو الإمام الحادي عشر من أئمَّة الهدى عليهم السلام الإمام الحسن العسكري عليه السلام.

الأُمّ:

أمَّا أُمّ الإمام المنتظر عليه السلام فيرجع نسبها إلى أعظم شخصيَّة في الروم ـ حسبما صرَّح به بعض الرواة ـ فهي بنت (يشوع) الذي ينتهي نسبه إلى قيصر ملك الروم، كما أنَّ أُمّها ينتهي نسبها إلى (شمعون) الذي هو أحد أوصياء السيِّد المسيح ومن حواريه[(١)].

وكانت تُقابل في بيت زوجها الإمام الحسن عليه السلام بمنتهى الحفاوة والتكريم؛ وذلك لما تتمتَّع به من سموِّ الذات، ومحاسن الصفات، كما كانت السيِّدة الجليلة عمَّة الإمام تجلّها وتعظِّمها، فقد أحاطها الإمام علماً بأنَّ الإمام المنتظر سيكون منها[(٢)].

اسمها الشريف:

ونقل الرواة أسماءً كريمة لهذه السيِّدة الزكيَّة المعظَّمة كانت تُسمَّى بها، وهي:

١ ـ سوسن[(٣)].

٢ ـ ريحانة[(٤)].

٣ ـ نرجس[(٥)].

٤ ـ صيقل[(٦)].

---

(١) بحار الأنوار: ٥١/٧.

(٢) بحار الأنوار: ٥١/١٠.

(٣) مطالب السؤول في مناقب آل الرسول: ٢/١٤٣، ذكرها باسم: صقيل.

(٤) بحار الأنوار: ٥١/١٥.

(٥) وفيات الأعيان: ٤/١٧٦. الإرشاد: ٢/٣٣٩.

(٦) شرح أُصول الكافي: ٦/٢٢٨.

٥ ـ خمط[١].

وإنَّما سُمِّيت بهذا اسم لأنَّها قد اعتراها النُّور والجلاء بسبب حملها بالإمام المهدي عليه السلام[٢].

الثناء عليها:

١ ـ خطب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بعد انتهائه من حرب الخوارج في (النهروان)، وقد أدلى في خطابه ببعض الملاحم، وعرض عليه السلام موضوع خروج المهدي عليه السلام، وقد أثنى على السيِّدة أُمّه، قال: **«يَابْنَ خِيْرَةِ الإِمَاءِ، مَتىٰ تُنْتَظَرُ؟ أَبْشِرْ بِنَصْرٍ قَرِيبٍ مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ»**[٣].

٢ ـ روى أبو بصير، قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: يابن رسول الله، من القائم منكم أهل البيت؟

فقال: **«يَا أَبَا بَصِير، هُوَ الْخَامِسُ مِنْ وِلْدِ ابْنِي مُوسىٰ، ذَلِكَ ابْنُ سَيِّدَةِ الإِمَاءِ، يَغِيبُ غَيْبَةً يَرْتَابُ فِيهِ الْمُبْطِلونَ، ثُمَّ يُظْهِرُهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَيَفْتَحُ اللَّهُ عَلَىٰ يَدِهِ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَها. . .»**[٤].

٣ ـ روى محمَّد بن عصام بسنده عن أبي بصير، عن الإمام أبي جعفر ـ أو الإمام أبي عبد الله عليه السلام ـ أنَّه قال:

«بِالْقَائِمِ عَلاَمَتَانِ: شَامَةٌ فِي رَأْسِهِ، وَشَامَةٌ بَيْنَ كَتْفَيْهِ مِثْلُ وَرَقَةِ الآسِ، ابْنُ سَبِيَّةٍ وَابْنُ خِيْرَةِ الإِمَاءِ»[٥].

الوليد المبارك:

كان من عظيم ألطاف الله عليه وعنايته به أن أخفى حمله وولادته كما أخفى ولادة نبيّه موسى بن عمران عليه السلام.

فقد روى المؤرّخون أنَّ الإمام الزكي الحسن العسكري عليه السلام دعا عمَّته السيِّدة الجليلة حكيمة بنت الإمام محمَّد الجواد عليه السلام، وهي من العلويَّات العابدات التي تضارع

---

(١) بحار الأنوار: ٥١/ ٢٤.

(٢) كمال الدِّين: ٢/ ٣٩٧.

(٣) ينابيع المودَّة: ٣/ ٤٣٤.

(٤) كمال الدِّين: ٢/ ٣٤٥.

(٥) الغيبة/ النعماني: ص٢١٦، الحديث ٥ و: ص٢٢٩، الحديث ١٠.

جدّتها سيّدة نساء العالمين فاطمة الزّهراء عليها السلام في عفّتها وطهارتها، فلمّا مثلت عنده قابلها الإمام العسكري عليه السلام بمزيد من الحفاوة والتكريم وقال لها:

«يَا عَمَّةُ، اجْعَلِي اللَّيْلَةَ إِفْطَارَكِ عِنْدِي، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ سَيُسِرُّكِ بِوَلِيِّهِ وَحُجَّتِهِ عَلَىٰ خَلْقِهِ، خَلِيفَتِي مِنْ بَعْدِي».

وغمرت السيِّدة حكيمة موجات من الفرح والسرور، والتفت إلى الإمام قائلة: «جعلت فداك، يا سيِّدي، الخلف ممَّن؟».

فقال لها الإمام: **«مِنْ سَوْسَن»**(١).

ونظرت السيِّدة حكيمة إلى سوسن فلم ترَ عليها أثراً للحمل، فقالت للإمام العسكري عليه السلام: «إنَّها غير حامل».

فتبسَّم عليه السلام وقال لها: **«إِذَا كَانَ وَقْتُ الْفَجْرِ يَظْهَرُ لَكِ بِهَا الْحَبَلُ، فَإِنَّ مَثَلَهَا مَثَلُ أُمِّ مُوسَىٰ لَمْ يَظْهَرْ بِهَا الْحَبَلُ، وَلَمْ يَعْلَمْ بِهَا أَحَدٌ إِلَىٰ وَقْتِ وِلَادَتِهَا؛ لأَنَّ فِرْعَونَ كَانَ يَشُقُّ بُطُونَ الْحُبَالَىٰ فِي طَلَبِ مُوسَىٰ، وَهَذَا نَظِيرُ مُوسَىٰ»**(٢).

وقامت السيِّدة حكيمة من عند الإمام العسكري عليه السلام، فلمَّا حان وقت صلاة المغرب والعشاء أدَّت الصلاتين، ثمَّ تناولت الإفطار مع السيِّدة سوسن، وبعد ذلك عمدت إلى فراشها فنامت، ثمَّ استيقظت ونظرت إلى سوسن فلم ترَ عليها أثر الولادة، ولمَّا حلَّ الهزيع الأخير من اللَّيل نهضت فأدَّت صلاة اللَّيل، وحينما بلغت الركعة الأخيرة وهي صلاة الوتر، وثبت السيِّدة سوسن وهي فزعة، فأدَّت صلاة اللَّيل، وبعد الفراغ منها أحسَّت بالطلق، وبادرت نحوها السيِّدة حكيمة قائلة: هل تحسِّين شيئاً؟

فأجابتها بفزع واضطراب: إنِّي لأجد أمراً شديداً.

وقابلتها السيِّدة حكيمة بعطف وحنان قائلة: لا خوف عليك إن شاء الله.

ولم يمضِ قليل من الوقت حتَّى ولدت سوسن وليدها العظيم، الذي سيطهِّر الأرض من رجس الطغاة وجور المستبدِّين، ويقيم حكم الله في الأرض.

وفرح الإمام الحسن الزكي كأشدّ ما يكون الفرح بوليده المبارك، وجعل يردّ مقالة

---

(١) بحار الأنوار: ١٧/٥١.
(٢) بحار الأنوار: ١٣/٥١.

الظالمين من حكّام بني العبّاس الذين زعموا أنّهم سيقتلونه ويحرمونه من النسل، قائلاً:
«زَعَمَ الظَّلَمَةُ أَنَّهُمْ يَقْتُلوني؛ لِيَقْطَعوا هَذَا النَّسْلَ، فَكَيْفَ رَأَوا قُدْرَةَ اللَّهِ؟!»(١).

مراسيم الولادة:

وحملت السيِّدة حكيمة الوليد العظيم إلى أبيه الإمام الحسن العسكري عليه السلام، فاستقبله بمزيد من الابتهاج والسرور، وأجرى عليه مراسيم الولادة الشرعيَّة، فأذَّن في أُذنه اليمنى، وأقام في أُذنه اليسرى، فكان أوّل صوت يخترق سمعه: الله أكبر، لا إلٰه إلاّ الله.

لقد غذّاه بهذه الكلمات التي هي سرّ الوجود، وأُنشودة الأنبياء، وقد ملأت قلبه، وسرت في عواطفه ومشاعره، ونطق الوليد كما نطق قبله عيسى بن مريم، نطق عليه السلام بالآية الكريمة: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُواْ يَحْذَرُونَ﴾(٢).

لقد وُلد وليّ الله وحجّته على عباده بهذه الصورة من الخفاء والكتمان خوفاً عليه من السلطة العاتية، التي كانت تراقبه كأشدّ ما تكون المراقبة لتقضي عليه.

وتناولت السيِّدة حكيمة الوليد المبارك فقبَّلته وقالت: شممت منه رائحة طيِّبة ما شممت قطّ أطيب منها، وأخذه الإمام العسكري عليه السلام من يدها ثانية، وقال:

«أَسْتَوْدِعُكَ الَّذِي اسْتَوْدَعَ أُمُّ مُوسىٰ، كُنْ فِي دِعَةِ اللَّهِ وَسِتْرِهِ وَكَنَفِهِ وَجِوَارِهِ».

وخاطب الإمام عمَّته قائلاً: **«رُدِّيهِ إِلَىٰ أُمِّهِ، وَاكْتُمِي خَبَرَ هَذَا الْمَوْلُودِ، وَلاَ تُخْبِرِي بِهِ أَحَداً حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ»**(٣).

إطعام عامّ:

وأمر الإمام الحسن الزكيّ عليه السلام بعد ولادة وليده المبارك بشراء كميّات كثيرة من اللحم والخبز، فوزِّعت على فقراء (سامرّاء)(٤)، كما عقَّ عنه بسبعين كبشاً، وبعث بأربعة منها إلى صاحبه إبراهيم، وكتب إليه بعد البسملة:

«هَذِهِ عَنْ ابْنِي مُحَمَّدٍ الْمَهْدِيِّ، كُلْ مِنْهَا وَأَطْعِمْ مَنْ وَجَدْتَ مِنْ شِيعَتِنَا»(٥).

---

(١) بحار الأنوار: ٥١/٣٠.
(٢) سورة القصص: الآيتان ٥ و٦.
(٣) بحار الأنوار: ٥١/١٩.
(٤) بحار الأنوار: ٥١/١٩.
(٥) بحار الأنوار: ٥١/٢٨.

تباشر الشيعة بولادته عليه السلام:

وتباشرت الشيعة بولادة إمامها حجّة الله على خلقه، الإمام المنتظر عليه السلام، وغمرتهم موجات من الفرح والسرور بولادته، وكان من الذين بشّروا به حمزة بن أبي الفتح، فقد قيل له: البشرى، ولد البارحة مولود لأبي محمَّد، وأمر بكتمانه فقال: وما اسمه؟

فقيل له: سُمّي بمحمَّد، وكنّي بجعفر[1].

تسميته عليه السلام:

أمَّا اسمه الشريف فهو كاسم جدّه الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، منقذ البشريَّة من الضلال، وكذلك ينقذها حفيده وآخر أوصيائه الاثني عشر عليهم السلام، وقد اتَّفق المؤرّخون والرواة أنَّ الذي سمَّاه بهذا الاسم هو جدّه الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله[2].

ألقابه عليه السلام:

وقد لقّب الإمام عليه السلام بألقاب كريمة كان منها ما يلي:

١ ـ **المهدي**: وهو من أكثر ألقابه ذيوعاً وانتشاراً؛ لُقِّب بذلك لأنَّه يهدي إلى الحقّ، أو إلى كلّ أمر خفيّ[3].

وكان من دعاء النبيّ صلى الله عليه وآله: **«اللَّهُمَّ زَيِّنّا بِزِيْنَةِ الإيمانِ، وَاجْعَلْنا هُداةً مَهْدِيِّينَ»**[4].

٢ ـ **القائم**: ومن ألقابه الشريفة القائم لأنَّه يقوم بالحقّ[5]، وأُضيف إليه (قائم آل محمَّد عليه السلام).

٣ ـ **المنتظر**: لقّب بذلك لأنَّ المؤمنين ينتظرونه بفارغ الصبر[6].

٤ ـ **الحجَّة**: لقّب بذلك لأنَّه حجَّة الله تعالى على خلقه وعباده[7].

٥ ـ **الخلف الصالح**: لقّب بذلك لأنَّه أعظم خلف لأسمى أُسرة في دُنيا الإسلام[8].

---

(١) بحار الأنوار: ٥١/ ١٥، والصحيح: أنَّه كنّي بأبي جعفر.
(٢) عقد الدرر: ص٥١، ٥٣.
(٣) بحار الأنوار: ٥١/ ٣٠.
(٤) مسند الإمام أحمد بن حنبل: ٤/ ٢٦٤.
(٥) بحار الأنوار: ٥١/ ٣٠.
(٦) بحار الأنوار: ٥١/ ٣٠.
(٧) بحار الأنوار: ٥١/ ٢٣.
(٨) كمال الدّين: ص٤٣٤.

سنة ولادته عليه السلام:

ولد الإمام المصلح العظيم سنة ٢٥٥هـ[١]، الموافق سنة ٨٦٩م.

وقيل: «ولد سنة ٢٣٢هـ»[٢]ولقد ولد قائم آل محمَّد عليه السلام في ليلة مباركة ميمونة، وهي ليلة النصف من شعبان.

استحباب الدُّعاء في ليلة ولادته عليه السلام:

ويستحبّ الدُّعاء وسائر الأذكار المأثورة عن أئمَّة الهدى عليهم السلام في الليلة التي وُلد فيها حجَّة الله على خلقه الإمام المنتظر عليه السلام، ويستحبّ أن يُدعى بهذا الدُّعاء:

«اللَّهُمَّ بِحَقِّ لَيْلَتِنا هَذِهِ وَمَوْلُودِهَا، وَحُجَّتِكَ وَمَوْعُودِهَا، الَّتِي قَرَنْتَ إِلَىٰ فَضْلِهَا فَضْلاً، فَتَمَّتْ كَلِمَتُكَ صِدْقاً وَعَدْلاً، لاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِكَ، وَلاَ مُعَقِّبَ لآيَاتِكَ، نُورُكَ الْمُتَأَلِّقُ، وَضِياؤُكَ الْمُشْرِقُ، وَالْعَلَمُ النُّورُ فِي طَخْيَاءِ الدَّيْجُورِ، الْغَائِبُ الْمَسْتُورُ، جَلَّ مَوْلِدُهُ، وَكَرُمَ مَحْتِدُهُ، وَالْمَلاَئِكَةُ شُهَّدُهُ، وَاللَّهُ نَاصِرُهُ وَمُؤَيِّدُهُ، إِذَا آنَ مِيعَادُهُ، وَالْمَلاَئِكَةُ أَمْدادُهُ، سَيْفُ اللَّهِ الَّذِي لاَ يَنْبُو، وَنُورُهُ الَّذِي لاَ يَخْبُو، وَذُوْ الْحِلْمِ الَّذِي لاَ يَصْبُو، مَدارُ الدَّهْرِ، وَنَوامِيسُ الْعَصْرِ، وَوُلاَةُ الأَمْرِ، وَالْمُنْزَلُ عَلَيْهِمُ الذِّكْرُ مَا يَتَنَزَّلُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ، وَأَصْحَابُ الْحَشْرِ وَالنَّشْرِ، تَرَاجِمَةُ وَحْيِهِ، وَوُلاَةُ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ.

اللَّهُمَّ فَصَلِّ عَلَىٰ خَاتِمِهِمْ وَقَائِمِهِمُ، الْمَسْتُورِ عَنْ عَوَالِمِهِمْ. اللَّهُمَّ وَأَدْرِكْ بِنَا أَيَّامَهُ وَظُهُورَهُ وَقِيامَهُ، وَاجْعَلْنَا مِنْ أَنْصَارِهِ، وَاقْرِنْ ثَارَنَا بِثَارِهِ، وَاكْتُبْنَا فِي أَعْوَانِهِ وَخُلَصَائِهِ، وَأَحْيِنَا فِي دَوْلَتِهِ نَاعِمِينَ، وَبِصُحْبَتِهِ غَانِمِينَ، وَبِحَقِّهِ قَائِمِينَ، وَمِنَ السُّوءِ سَالِمِينَ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَوَاتُهُ عَلَىٰ سَيِّدنَا مُحَمَّدٍ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ وَعَلَىٰ بَيْتِهِ الصَّادِقِينَ وَعِتْرَتِهِ النَّاطِقِينَ، وَالْعَنْ جَمِيعَ الظَّالِمِينَ، وَاحْكُمْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ يَا أَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ».

عرضه على الشيعة:

وعرض الإمام الزكيّ الحسن عليه السلام وليده العظيم على خُلّص شيعته وخيارهم ليتعرَّفوا عليه، وحتَّى لا يجحده جاحد، ولا يشكّ في وجوده مرتاب، فقد روى كلّ من معاوية بن

---

(١) وفيات الأعيان: ٢/٤٥١.

(٢) بحار الأنوار: ٥١/٢.

حكيم، ومحمَّد بن أيُّوب، ومحمَّد بن عثمان، فقالوا: «عرض علينا أبو محمَّد الحسن بن علي عليه السلام ولده، ونحن في منزله، وكنَّا أربعين رجلاً، فقال: **«هَذا إِمَامُكُمْ مِنْ بَعْدِي، وَخَلِيفَتِي عَلَيْكُمْ، أَطِيعوهُ وَلاَ تَتَفَرَّقوا مِنْ بَعْدِي فِي أَدْيَانِكُمْ فَتَهْلِكوا، أَمَّا إِنَّكُمْ لاَ تَرَوْنَهُ بَعْدَ يَوْمِكُمْ هَذَا»**[١].

ملامحه وصفاته:

١ ـ روى أبو سعيد الخدري، عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنَّه قال: **«لَيَبْعَثَنَّ اللَّهُ مِنْ عِتْرَتِي رَجُلاً أَفْرَقَ الثَّنَايا، أَجْلَىٰ الْجَبْهَةِ، يَمْلأُ الأَرْضَ عَدْلاً، وَيُفِيضُ الْمَالَ فَيْضاً»**[٢].

٢ ـ ووصفه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أيضاً فقال: **«إِنَّهُ أَجْلَىٰ الجَبِينِ[٣]، أَقْنَىٰ الأَنْفِ[٤]، ضَخِمُ الْبَطْنِ، أَذْيَلُ الْفَخِذَيْنِ، أَبْلَجُ الثَّنَايَا[٥]، بِفَخِذِهِ الْيُمْنَىٰ شامَةٌ»**[٦].

٣ ـ روى الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام بسنده عن آبائه، عن سيِّد العترة الطاهرة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنَّه قال وهو على المنبر: **«يَخْرُجُ رَجُلٌ مِنْ وُلْدِي فِي آخِرَ الزَّمَانِ، أَبْيَضُ اللَّوْنِ، مُشْرَبٌ بِالْحُمْرَةِ، مُنْدَحُ الْبَطْنِ[٧]، عَرِيضُ الْفَخِذَيْنِ، عَظِيمُ مَشَاشِ الْمَنْكِبَيْنِ[٨]، شَامَةٌ عَلَىٰ لَوْنِ جِلْدِهِ، وَشَامَةٌ عَلَىٰ شَبَهِ شَامَةِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله»** الحديث[٩].

شبهه عليه السلام بالنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم:

١ ـ روى عبد الله بن مسعود عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنَّه قال: **«يَخْرُجُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، يُوَاطِىءُ اسْمُهُ اسْمِي، وَخُلُقُهُ خُلُقِي، يَمْلأُ الأَرْضَ قِسْطاً وَعَدْلاً...»**[١٠].

٢ ـ روى حذيفة عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنَّه قال:

---

(١) ينابيه المودَّة: ٣/ ٣٢٣.
(٢) عقد الدرر في أخبار المنتظر: ص٦١.
(٣) أجلى الجبين: أي خفيف الشعر ما بين النزعتين من الصدغين، جاء ذلك في مجمع البحرين: ١/ ٣٩١.
(٤) أقنا الأنف: طول الأنف ودقَّة عرنينه مع حدب في وسطه، مجمع البحرين: ٣/ ٥٥٥.
(٥) أبلج الثنايا: أي مشرق الثنايا، ومنه الحديث: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله أبلج الوجه»، أي مشرق الوجه، مجمع البحرين: ١/ ٢٣٧.
(٦) ينابيع المودَّة: ٣/ ٤٠٧. عقد الدرر: ص٦٥.
(٧) مندح البطن: أي متّسع البطن.
(٨) المشاش: رؤوس العظام كالمرفقين والكتفين والركبتين.
(٩) كمال الدِّين: ص٦٥٣.
(١٠) عقد الدرر: ص٥٥.

«لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيا إِلَّا يَوْمٌ وَاحِدٌ لَبَعَثَ اللَّهُ فِيهِ رَجُلاً اسْمُهُ اسْمِي، وَخُلُقُهُ خُلُقِي، يُكَنَّىٰ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، يُبَايعُ لَهُ النَّاسُ بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَام، يَرِدُّ اللَّهُ بِهِ الدِّينَ، وَيَفْتَحُ لَهُ فُتوحاً، فَلا يَبْقَىٰ عَلَىٰ وَجْهِ الأَرْضِ إِلَّ مَنْ يَقُولُ: لاَ إِلٰهَ إِلَّا اللَّهُ.

فقام إليه سلمان فقال: يا رسول الله، من أي ولدك هو؟

قال ﷺ: **هُوَ مِنْ وُلْدِ ابْنِي هَذَا**، وضرب بيده على الحسين»[١].

٣ ـ روت عائشة: أنَّ النبيّ ﷺ قال: **«الْمَهْدِيُّ رَجُلٌ مِنْ عِتْرَتِي، يُقَاتِلُ عَلَىٰ سُنَّتِي كَمَا قَاتَلْتُ أَنا عَلَىٰ الْوَحْي»**[٢].

٤ ـ روى جابر بن عبد الله الأنصاري: أنَّ رسول الله ﷺ قال:

«الْمَهْدِيُّ مِنْ وُلْدِي، اسْمُهُ اسْمِي، وَكُنْيَتُهُ كُنيَتِي، أَشْبَهُ النَّاسِ بِي خَلْقاً وَخُلُقاً، تَكُونُ لَهُ غَيْبَةٌ وَحَيرَةٌ تَضِلُّ فِيهَا الأُمَمَ، ثُمَّ يَقْبِلُ كَالشِّهَابِ الثَّاقِبِ يَمْلَؤُهَا عَدْلاً وَقِسْطاً كَمَا مُلِئَتْ جَوْراً وَظُلْماً»[٣].

٥ ـ روى الإمام جعفر الصَّادق عليه السلام: بسنده عن جدِّه رسول الله ﷺ، قال: **«الْمَهْدِيُّ مِنْ وُلْدِي، اسْمُهُ اسْمِي، وَكُنْيَتُهُ كُنيَتِي، أَشْبَهُ النَّاسِ بِي خَلْقاً وَخُلُقاً، تَكُونُ لَهُ غَيْبَةٌ وَحَيرَةٌ تَضِلُّ فِيهَا الأُمَمَ، ثُمَّ يَقْبِلُ كَالشِّهَابِ الثَّاقِبِ يَمْلَؤُهَا عَدْلاً وَقِسْطاً كَمَا مُلِئَتْ جَوْراً وَظُلْماً وَجَوْراً»**[٤].

٦ ـ روى الإمام جعفر الصَّادق عليه السلام أيضاً: بسنده عن جدِّه رسول الله ﷺ أنَّه قال: **«الْقَائِم مِنْ وُلْدِي اسْمُهُ اسْمِي، وَكُنْيَتُهُ كُنيَتِي، وَشَمَائِلُهُ شَمَائِلِي، وَسُنَّتُهُ سُنَّتِي، يُقِيمُ النَّاسَ عَلَىٰ مِلَّتِي وَشَرِيعَتِي، وَيَدْعوهُمْ إِلَىٰ كِتَابِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، مَنْ أَطَاعَهُ فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ عَصَاهُ فَقَدْ عَصَانِي، وَمَنْ أَنْكَرَهُ فِي غَيْبَتِهِ فَقَدْ أَنْكَرَنِي، وَمَنْ كَذَّبَهُ فَقَدْ كَذَّبَنِي، وَمَنْ صَدَّقَهُ فَقَدْ صَدَّقَنِي، إِلَىٰ اللَّهِ أَشْكُو الْمُكَذِّبِينَ لِي فِي أَمْرِهِ، الْجَاحِدِينَ بِقَوْلِي فِي شَأْنِهِ، وَالْمُضِلِّينَ لأُمَّتِي عَنْ طَرِيقَتِهِ، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوٓا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[٥]»**[٦].

---

(١) عقد الدرر: ص٥٦.

(٢) ينابيع المودَّة: ٣/ ٢٦٣.

(٣) كفاية الأثر: ص٦٧.

(٤) كمال الدِّين: ص٢٨٧.

(٥) سورة الشُّعراء: الآية ٢٢٧.

(٦) كمال الدِّين: ص٤١١.

عناصره النفسيَّة وسيرته

١ ـ سعة علومه:

١ ـ قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في صفته: «هُوَ أَوْسَعَكُمْ كَهْفاً، وَأَكْثَرَكُمْ عِلْماً، وَأَوْصَلَكُمْ رَحِماً»(١).

٢ ـ روى الحرث بن المغيرة النضري، قال: «قلت لأبي عبد الله الحسين بن عليّ عليهما السلام: بأيِّ شيء يُعرف المهديّ؟

قال: بِمَعْرِفَةِ الْحَلاَلِ وَالْحَرَامِ، وَبِحَاجَةِ النَّاسِ إِلَيْهِ، وَلاَ يَحْتَاجُ إِلَىٰ أَحَدٍ»(٢).

٣ ـ قال الإمام أبو جعفر الصَّادق عليه السلام: «يَكُونُ هَذَا الأَمْرُ ـ أي الحكم ـ فِي أَصْغَرِنَا سِنّاً، وَأَجْمَلِنَا ذِكْراً، وَيورِثُهُ اللَّهُ عِلْماً، وَلاَ يَكِلُهُ إِلَىٰ نَفْسِهِ»(٣).

٤ ـ قال الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام: «إِنَّ الْعِلْمَ بِكِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ، يَنْبُتُ فِي قَلْبِ مَهْدِيِّنَا، كَمَا يَنْبُتُ الزَّرْعُ عَلَىٰ أَحْسَنِ نَبَاتِهِ، فَمَنْ بَقِيَ مِنْكُمْ حَتَّىٰ يَرَاهُ، فَلْيَقُلْ حِينَ يَرَاهُ: السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ الرَّحْمَةِ وَالنُّبُوَّةِ، وَمَعْدِنِ الْعِلْمِ، وَمَوْضِعِ الرِّسَالَةِ»(٤).

وقد ورد عن سعة علومه ومعارفه أنَّه: «إِذَا ظَهَرَ عليه السلام يُحَاجِجُ الْيَهودَ بِأَسْفَارِ التَّوْراةِ، فَيُسْلِمُ أَكْثَرَهُمْ»(٥).

---

(١) الغيبة/النعماني: ص٢١٤.
(٢) عقد الدرر: ص٦٩.
(٣) عقد الدرر: ص٦٩.
(٤) كمال الدِّين: ص٦٥٣.
(٥) عقد الدرر: ص٦٧.

٢ ـ زهده عليه السلام:

١ ـ روى معمّر بن خلد، عن الإمام أبي الحسن الرِّضا عليه السلام أنَّه قال: **«وَمَا لِبَاسُ الْقَائِمِ عليه السلام إِلَّا الْغَلِيظُ، وَمَا طَعَامُهُ إِلَّا الْجَشِبَ»**(١).

٢ ـ روى أبو بصير عن الإمام الصادق عليه السلام أنَّه قال: **«مَا تَسْتَعْجِلونَ بِخُروجِ الْقَائِمِ، فَوَاللَّهِ مَا لِبَاسُهُ إِلَّا الْغَلِيظُ، وَمَا طَعَامُهُ إِلَّا الشَّعِيرَ الْجَشِبَ»**(٢).

٣ ـ روى كلٌّ من عليّ بن أبي حمزة ووهب، عن الإمام الصَّادق عليه السلام أنَّه قال بحقِّ الإمام المنتظر عليه السلام: **«مَا لِبَاسُهُ إِلَّا الْغَلِيظُ، وَمَا طَعَامُهُ إِلَّا الْجَشِبَ»**(٣).

٣ ـ عبادته عليه السلام:

دعاؤه عليه السلام في قنوت صلاته:

كان عليه السلام يدعو بهذا الدُّعاء الشريف في قنوت صلاته، وهذا نصّه:

«اللّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ، تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشاءُ، وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشاءُ، وَتُعِزُّ مَنْ تَشاءُ، وَتُذِلُّ مَنْ تَشاءُ، بِيَدِكَ الْخَيْرُ، إِنَّكَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

يَا مَاجِدُ، يَا جَوَادُ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، يَا بَطَّاشُ يَا ذَا الْبَطْشِ الشَّدِيدِ، يَا فَعَّالًا لِمَا يُرِيدُ، يَا ذَا الْقُوَّةِ الْمَتِينِ، يَا رَؤُوفُ، يَا رَحِيمُ، يَا لَطِيفُ، يَا حَيُّ حِينَ لَا حَيَّ، اللّهُمَّ أَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الْمَخْزُونِ الْمَكْنُونِ، الْحَيِّ الْقَيُّومِ، الَّذِي اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، وَلَمْ يَطَّلِعْ عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِكَ، وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي تُصَوِّرُ بِهِ خَلْقَكَ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ تَشَاءُ، وَبِهِ تَسُوقُ إِلَيْهِمْ أَرْزَاقَهُمْ فِي أَطْبَاقِ الظُّلُمَاتِ مِنْ بَيْنِ الْعُرُوقِ وَالْعِظَامِ، وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي أَلَّفْتَ بِهِ بَيْنَ قُلُوبِ أَوْلِيَائِكَ، وَأَلَّفْتَ بَيْنَ الثَّلْجِ وَالنَّارِ، لَا هَذَا يُذِيبُ هَذَا، وَلَا هَذَا يُطْفِىءُ هَذَا. اللّهُمَّ وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي كَوَّنْتَ بِهِ طَعْمَ الْمِيَاهِ، وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي أَجْرَيْتَ بِهِ الْمَاءَ فِي عُرُوقِ النَّبَاتِ بَيْنَ أَطْبَاقِ الثَّرَى، وَسُقْتَ الْمَاءَ إِلَى عُرُوقِ الْأَشْجَارِ بَيْنَ الصَّخْرَةِ الصَّمَّاءِ، وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي كَوَّنْتَ بِهِ طَعْمَ الثِّمَارِ وَأَلْوَانَهَا، وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي بِهِ تُبْدِىءُ وَتُعِيدُ، وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الْفَرْدِ الْوَاحِدِ، الْمُتَفَرِّدِ بِالْوَحْدَانِيَّةِ، الْمُتَوَحِّدِ بِالصَّمَدَانِيَّةِ، وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي فَجَّرْتَ بِهِ

---

(١) الغيبة/ النعماني: ص٢٨٥.

(٢) الغيبة/ الطوسي: ص٤٦٠.

(٣) الغيبة/ النعماني: ص٢٣٣ و٢٣٤.

الْمَاءَ مِنَ الصَّخْرَةِ الصَّمَّاءِ، وَسُقْتَهُ مِنْ حَيْثُ شِئْتَ، وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي خَلَقْتَ بِهِ خَلْقَكَ، وَرَزَقْتَهُمْ كَيْفَ شِئْتَ، وَكَيْفَ تَشَاءُ.

يَا مَنْ لَا تُغَيِّرُهُ الْأَيَّامُ وَاللَّيَالِي، أَدْعُوكَ بِمَا دَعَاكَ بِهِ نُوحٌ حِينَ نَادَاكَ فَأَنْجَيْتَهُ وَمَنْ مَعَهُ، وَأَهْلَكْتَ قَوْمَهُ، وَأَدْعُوكَ بِمَا دَعَاكَ بِهِ إِبْرَاهِيمُ خَلِيلُكَ حِينَ نَادَاكَ فَأَنْجَيْتَهُ وَجَعَلْتَ النَّارَ عَلَيْهِ بَرْداً وَسَلَاماً، وَأَدْعُوكَ بِمَا دَعَاكَ بِهِ مُوسَى كَلِيمُكَ حِينَ نَادَاكَ فَفَرَّقْتَ لَهُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْتَهُ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ، وَأَغْرَقْتَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ فِي الْيَمِّ، وَأَدْعُوكَ بِمَا دَعَاكَ بِهِ عِيسَى رُوحُكَ حِينَ نَادَاكَ فَنَجَّيْتَهُ مِنْ أَعْدَائِكَ، وَإِلَيْكَ رَفَعْتَهُ، وَأَدْعُوكَ بِمَا دَعَاكَ بِهِ حَبِيبُكَ وَصَفِيُّكَ وَنَبِيُّكَ مُحَمَّدٌ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَاسْتَجَبْتَ لَهُ، وَمِنَ الْأَحْزَابِ نَجَّيْتَهُ، وَعَلَى أَعْدَائِكَ نَصَرْتَهُ، وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي إِذَا دُعِيتَ بِهِ أَجَبْتَ.

يَا مَنْ لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ، يَا مَنْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً، وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً، يَا مَنْ لَا تُغَيِّرُهُ الْأَيَّامُ وَاللَّيَالِي، وَلَا تَتَشَابَهُ عَلَيْهِ الْأَصْوَاتُ، وَلَا تَخْفَى عَلَيْهِ اللُّغَاتُ، وَلَا يُبْرِمُهُ إِلْحَاحُ الْمُلِحِّينَ، أَسْأَلُكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ خِيَرَتِكَ مِنْ خَلْقِكَ، فَصَلِّ عَلَيْهِمْ بِأَفْضَلِ صَلَوَاتِكَ، وَصَلِّ عَلَى جَمِيعِ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ، الَّذِينَ بَلَّغُوا عَنْكَ الْهُدَى، وَعَقَدُوا لَكَ الْمَوَاثِيقَ بِالطَّاعَةِ، وَصَلِّ عَلَى عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ، يَا مَنْ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ، أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، وَاجْمَعْ لِي أَصْحَابِي، وَصَبِّرْهُمْ، وَانْصُرْنِي عَلَى أَعْدَائِكَ وَأَعْدَاءِ رَسُولِكَ، وَلَا تُخَيِّبْ دُعَائِي، فَإِنِّي عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ وَابْنُ أَمَتِكَ، أَسِيرٌ بَيْنَ يَدَيْكَ.

سَيِّدِي أَنْتَ الَّذِي مَنَنْتَ عَلَيَّ بِهَذَا الْمَقَامِ، وَتَفَضَّلْتَ بِهِ عَلَيَّ دُونَ كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِكَ، أَسْأَلُكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَأَنْ تُنْجِزَ لِي مَا وَعَدْتَنِي إِنَّكَ أَنْتَ الصَّادِقُ، وَلَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»[1].

دعاء آخر له في القنوت:

وكان الإمام عليه السلام يدعو بهذا الدُّعاء الشريف في قنوت بعض صلواته، وهو:

«اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَأَكْرِمْ أَوْلِيَاءَكَ بِإِنْجَازِ وَعْدِكَ، وَبَلِّغْهُمْ دَرْكَ مَا يَأْمُلُونَ مِنْ نَصْرِكَ، وَاكْفُفْ عَنْهُمْ بَأْسَ مَنْ نَصَبَ الْخِلَافَ عَلَيْكَ، وَتَمَرَّدَ بِمَنْعِكَ عَلَى رُكُوبِ مُخَالَفَتِكَ، وَاسْتَعَانَ بِرِفْدِكَ عَلَى فَلِّ حَدِّكَ، وَقَصَدَ لِكَيْدِكَ بِأَيْدِكَ، وَوَسِعْتَهُ حِلْماً لِتَأْخُذَهُ عَلَى جَهْرَةٍ، أَوْ تَسْتَأْصِلَهُ عَلَى غِرَّةٍ، فَإِنَّكَ اللَّهُمَّ قُلْتَ وَقَوْلُكَ الْحَقُّ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَـٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَـٰهَا

(١) مهج الدعوت: ص٩١ ـ ٩٢.

حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1]، وقلت: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾[2]، وَإِنَّ الْغَايَةَ عِنْدَنَا قَدْ تَنَاهَتْ، وَإِنَّا لِغَضَبِكَ غَاضِبُونَ، وَإِنَّا عَلَى نَصْرِ الْحَقِّ مُتَعَاصِبُونَ، وَإِلَى وُرُودِ أَمْرِكَ مُشْتَاقُونَ، وَلِإِنْجَازِ وَعْدِكَ مُرْتَقِبُونَ، وَلِحُلُولِ وَعِيدِكَ بِأَعْدَائِكَ مُتَوَقِّعُونَ.

اللَّهُمَّ فَأْذَنْ بِذَلِكَ، وَافْتَحْ طُرُقَاتِهِ، وَسَهِّلْ خُرُوجَهُ، وَوَطِّىءْ مَسَالِكَهُ، وَاشْرَعْ شَرَائِعَهُ، وَأَيِّدْ جُنُودَهُ وَأَعْوَانَهُ، وَبَادِرْ بَأْسَكَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ، وَابْسُطْ سَيْفَ نَقِمَتِكَ عَلَى أَعْدَائِكَ الْمُعَانِدِينَ، وَخُذْ بِالثَّارِ إِنَّكَ جَوَادٌ مَكَّارٌ»[3].

٤ ـ سخاؤه عليه السلام:

١ ـ روى أبو سعيد، عن النبيّ صلى الله عليه وآله في قصّة الإمام المهدي عليه السلام أنّه قال: «فَيَجِيءُ الرَّجُلُ إِلَيْهِ فَيَقُولَ: يَا مَهْدِيُّ، أَعْطِنِي، أَعْطِنِي، فَيُحْثِي لَهُ فِي ثَوْبِهِ مَا اسْتَطَاعَ أَنْ يَحْمِلَهُ»[4].

٢ ـ روى ابن عساكر عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: «يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ خَلِيفَةٌ يُحْثِي الْمَالَ حَثْياً»[5].

٣ ـ روى جابر، قال: «أقبل رجل على أبي جعفر عليه السلام وأنا حاضر، فقال: رحمك الله، اقبض هذه الخمس مائة درهم في مواضعها، فإنّها زكاة أموالي.

فقال له أبو جعفر: بَلْ خُذْهَا أَنْتَ فَضَعْهَا فِي جِيرَانِكَ وَالأَيْتَامِ وَالْمَسَاكِينَ، وَفِي إِخْوَانِكَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، إِنَّمَا يَكُونُ هَذَا إِذَا قَامَ قَائِمُنَا، فَإِنَّهُ يُقَسِّمُ بِالسَّوِيَّةِ، وَيَعْدِلُ فِي خَلْقِ الرَّحْمٰنِ الْبِرِّ مِنْهُمْ وَالْفَاجِرِ، فَمَنْ أَطَاعَهُ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَاهُ فَقَدْ عَصَىٰ اللَّهَ، فَإِنَّمَا سُمِّي الْمَهْدِيُّ؛ لأَنَّهُ يَهْدِي لأَمْرٍ خَفِيٍّ، يَسْتَخْرِجُ التَّوْرَاةَ وَسَائِرَ الْكُتُبِ مِنْ غَارٍ بـ(أَنْطَاكِيَةَ)، فَيَحْكُمُ بِأَهْلِ التَّوْرَاةِ بِالتَّوْرَاةِ، وَبَيْنَ أَهْلِ الإِنْجِيلِ بِالإِنْجِيلِ، وَبَيْنَ أَهْلِ الزَّبُورِ بِالزَّبُورِ، وَبَيْنَ أَهْلِ الْفُرْقَانِ بِالْفُرْقَانِ، وَتَجْمَعُ إِلَيْهِ أَمْوَالُ الدُّنْيَا كُلُّهَا، مَا فِي بَطْنِ الأَرْضِ وَظَهْرِهَا، فَيَقُولُ لِلنَّاسِ: تَعالُوا إِلَىٰ مَا قَطَعْتُمْ فِيهِ الأَرْحَامَ، وَسَفَكْتُمْ فِيهِ الدِّمَاءَ، وَرَكَبْتُمْ فِيهِ مَحَارِمَ اللَّهِ، فَيُعْطِي شَيْئاً لَمْ يُعْطِهِ أَحَدٌ كَانَ قَبْلَهُ»[6].

---

(١) سورة يونس: الآية ٢٤.

(٢) سورة الزخرف: الآية ٥٥.

(٣) مهج الدعوات: ص٩٠ و٩١.

(٤) منتخب كنز العمّال: ١٤/ ٢٦٢ و٢٧٣.

(٥) تاريخ مدينة دمشق: ١/ ١٨٦.

(٦) عقد الدرر: ص٣٩.

من تراثه الرائع

أدعيته

١ ـ دعاؤه عليه السلام للمسلمين:

«اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا تَوْفِيقَ الطَّاعَةِ وَبُعْدَ الْمَعْصِيَةِ، وَصِدْقَ النِّيَّةِ، وَعِرْفَانَ الْحُرْمَةِ، وَأَكْرِمْنَا بِالْهُدىٰ وَالاسْتِقَامَةِ، وَسَدِّدْ أَلْسِنَتَنَا بِالصَّوَابِ وَالْحِكْمَةِ، وَامْلأْ قُلُوبَنَا بِالْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ، وَطَهِّرْ بُطُونَنَا مِنَ الْحَرَامِ وَالشُّبْهَةِ، وَاكْفُفْ أَيْدِيَنَا عَنِ الظُّلْمِ وَالسَّرِقَةِ، وَاغْضُضْ أَبْصَارَنَا عَنِ الْفُجُورِ وَالْخِيَانَةِ، وَاسْدُدْ أَسْمَاعَنا عَنِ اللَّغْوِ وَالْغِيبَةِ، وَتَفَضَّلْ عَلَىٰ عُلَمَائِنا بِالزُّهْدِ وَالنَّصِيحَةِ، وَعَلَىٰ الْمُتَعَلِّمِينَ بِالْجُهْدِ وَالرَّغْبَةِ، وَعَلَىٰ الْمُسْتَمِعِينَ بِالإِتِّبَاعِ وَالْمَوْعِظَةِ، وَعَلَىٰ مَرْضَىٰ الْمُسْلِمِينَ بِالشِّفَاءِ وَالرَّاحَةِ، وَعَلَىٰ مَوْتَاهُمْ بِالرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ، وَعَلَىٰ مَشَايِخِنَا بِالوَقَارِ وَالسَّكِينَةِ، وَعَلَىٰ الشَّبَابِ بِالإِنَابَةِ وَالتَّوْبَةِ، وَعَلَىٰ النِّسَاءِ بِالْحَيَاءِ وَالْعِفَّةِ، وَعَلَىٰ الأَغْنِيَاءِ بِالتَّوَاضُعِ وَالسَّعَةِ، وَعَلَىٰ الْفُقَرَاءِ بِالصَّبْرِ وَالْقَنَاعَةِ، وَعَلَىٰ الْغُزَاةِ بِالنَّصْرِ وَالْغَلَبَةِ، وَعَلَىٰ الأَسْرَاءِ بِالْخَلاَصِ وَالرَّاحَةِ، وَعَلَىٰ الأُمَرَاءِ بِالْعَدْلِ وَالشَّفَقَةِ، وَعَلَىٰ الرَّعِيَّةِ بِالإِنْصَافِ وَحُسْنِ السِّيرَةِ، وَبَارِكْ لِلْحُجَّاجِ وَالزُّوَّارِ فِي الزَّادِ وَالنَّفَقَةِ، وَاقْضِ مَا أَوْجَبْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ بِفَضْلِكَ وَرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ»[1].

٢ ـ دعاؤه عليه السلام للمؤمنين:

وكان الإمام عليه السلام يدعو للمؤمنين الصالحين بهذا الدُّعاء الشريف:

«إِلَهِي بِحَقِّ مَنْ نَاجَاكَ، وَبِحَقِّ مَنْ دَعَاكَ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، تَفَضَّلْ عَلَى فُقَرَاءِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِالْغِنَى وَالثَّرْوَةِ، وَعَلَى مَرْضَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِالشِّفَاءِ وَالصِّحَّةِ، وَعَلَى أَحْيَاءِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِاللُّطْفِ وَالْكَرَامَةِ، وَعَلَى أَمْوَاتِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِالْمَغْفِرَةِ

(١) مصباح الكفعمي: ص٣٧٤.

وَالرَّحْمَةِ، وَعَلَى غُرَبَاءِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِالرَّدِّ إِلَى أَوْطَانِهِمْ سَالِمِينَ غَانِمِينَ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ أَجْمَعِين»[١].

٣ ـ دعاؤه عليه السلام لقضاء الحوائج:

وكان عليه السلام يدعو بهذا الدُّعاء لقضاء حوائجه ومهامّه، وهذا نصّه بعد البسملة:

«أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ مُبْدِئُ الْخَلْقِ وَمُعِيدُهُمْ، وَأَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ خَالِقُ الْخَلْقِ وَرَازِقُهُمْ، وَأَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْقَابِضُ الْبَاسِطُ، وَأَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ مُدَبِّرُ الْأُمُورِ وَبَاعِثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ، وَأَنْتَ وَارِثُ الْأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْهَا، أَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الْمَخْزُونِ الْمَكْنُونِ الْحَيِّ الْقَيُّومِ، وَأَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ عَالِمُ السِّرِّ وَأَخْفَى؛ أَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي إِذَا دُعِيتَ بِهِ أَجَبْتَ، وَإِذَا سُئِلْتَ بِهِ أَعْطَيْتَ، وَأَسْأَلُكَ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ وَأَهْلِ بَيْتِهِ، وَبِحَقِّهِمُ الَّذِي أَوْجَبْتَهُ عَلَى نَفْسِكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَأَنْ تَقْضِيَ لِي حَاجَتِي، السَّاعَةَ السَّاعَةَ، يَا سَامِعَ الدُّعَاءِ يَا سَيِّدَاهُ يَا مَوْلَاهُ يَا غِيَاثَاهُ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَأَنْ تُعَجِّلَ خَلَاصَنا مِنْ هَذِهِ الشِّدَّةِ، يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ وَالْأَبْصَارِ، يَا سَمِيعَ الدُّعَاءِ، إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ»[٢].

٤ ـ دعاؤه عليه السلام من الأسقام:

وكان عليه السلام إذا أصابه سقم وألمّ به مرض كتب هذا الدُّعاء الشريف في إناء جديد بتربة سيِّد الشُّهداء الإمام الحسين عليه السلام، ويصبّ فيه الماء ويشربه:

«بِسْمِ اللَّهِ دَوَاءٌ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ شِفَاءٌ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كِفَاءٌ، هُوَ الشَّافِي شِفَاءٌ، وَهُوَ الْكَافِي كِفَاءٌ، أَذْهِبِ الْبَأْسَ بِرَبِّ النَّاسِ شِفَاءٌ لَا يُغَادِرُهُ سُقْمٌ، وَصَلَّىٰ اللَّهُ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ النُّجَبَاءِ»[٣].

٥ ـ زيارة ودعاء:

وأوعز الإمام عليه السلام إلى بعض المؤمنين من شيعته أن يزوروا ناحيته المقدّسة بهذه الزيارة، ثمَّ يدعو له عقيبها بما يأتي:

---

(١) مصباح الكفعمي: ص٤٢٧.

(٢) منتخب الأثر: ٣/ ٢٥٤.

(٣) منتخب الأثر: ٣/ ٢٥٢.

«سَلامٌ عَلى آلِ يَاسِينَ، السَّلامُ عَلَيْكَ يَا دَاعِيَ اللَّهِ وَرَبَّانِيَّ آيَاتِهِ، السَّلامُ عَلَيْكَ يَا بَابَ اللَّهِ وَدَيَّانَ دِينِهِ، السَّلامُ عَلَيْكَ يَا خَلِيفَةَ اللَّهِ وَنَاصِرَ حَقِّهِ، السَّلامُ عَلَيْكَ يَا حُجَّةَ اللَّهِ وَدَلِيلَ إِرَادَتِهِ، السَّلامُ عَلَيْكَ يَا تَالِيَ كِتَابِ اللَّهِ وَتَرْجُمَانَهُ، السَّلامُ عَلَيْكَ فِي آنَاءِ لَيْلِكَ وَأَطْرَافِ نَهَارِكَ، السَّلامُ عَلَيْكَ يَا بَقِيَّةَ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ، السَّلامُ عَلَيْكَ يَا مِيثَاقَ اللَّهِ الَّذِي أَخَذَهُ وَوَكَّدَهُ، السَّلامُ عَلَيْكَ يَا وَعْدَ اللَّهِ الَّذِي ضَمِنَهُ، السَّلامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْعَلَمُ الْمَنْصُوبُ، وَالْعِلْمُ الْمَصْبُوبُ، وَالْغَوْثُ وَالرَّحْمَةُ الْوَاسِعَةُ وَعْداً غَيْرَ مَكْذُوبٍ، السَّلامُ عَلَيْكَ حِينَ تَقُومُ، السَّلامُ عَلَيْكَ حِينَ تَقْعُدُ، السَّلامُ عَلَيْكَ حِينَ تَقْرَأُ وَتُبَيِّنُ، السَّلامُ عَلَيْكَ حِينَ تُصَلِّي وَتَقْنُتُ، السَّلامُ عَلَيْكَ حِينَ تَرْكَعُ وَتَسْجُدُ، السَّلامُ عَلَيْكَ حِينَ تُهَلِّلُ وَتُكَبِّرُ، السَّلامُ عَلَيْكَ حِينَ تَحْمَدُ وَتَسْتَغْفِرُ، السَّلامُ عَلَيْكَ حِينَ تُصْبِحُ وَتُمْسِي، السَّلامُ عَلَيْكَ فِي اللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى، السَّلامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الإِمَامُ الْمَأْمُونُ، السَّلامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْمُقَدَّمُ الْمَأْمُولُ، السَّلامُ عَلَيْكَ بِجَوَامِعِ السَّلامِ.

أُشْهِدُكَ يَا مَوْلَايَ أَنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، لَا حَبِيبَ إِلَّا هُوَ وَأَهْلُهُ، وَأُشْهِدُكَ يَا مَوْلَايَ أَنَّ عَلِيّاً أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حُجَّتُهُ، وَالْحَسَنَ حُجَّتُهُ، وَالْحُسَيْنَ حُجَّتُهُ، وَعَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ حُجَّتُهُ، وَمُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ حُجَّتُهُ، وَجَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ حُجَّتُهُ، وَ مُوسَى بْنَ جَعْفَرٍ حُجَّتُهُ، وَعَلِيَّ بْنَ مُوسَى حُجَّتُهُ، وَمُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ حُجَّتُهُ، وَعَلِيَّ بْنَ مُحَمَّدٍ حُجَّتُهُ، وَالْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ حُجَّتُهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ حُجَّةُ اللَّهِ، أَنْتُمُ الأَوَّلُ وَالآخِرُ، وَأَنَّ رَجْعَتَكُمْ حَقٌّ لَا رَيْبَ فِيهَا يَوْمَ لَا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً، وَأَنَّ الْمَوْتَ حَقٌّ، وَأَنَّ نَاكِراً وَنَكِيراً حَقٌّ، وَأَشْهَدُ أَنَّ النَّشْرَ حَقٌّ، وَالْبَعْثَ حَقٌّ، وَأَنَّ الصِّرَاطَ حَقٌّ، وَالْمِرْصَادَ حَقٌّ، وَالْمِيزَانَ حَقٌّ، وَالْحَشْرَ حَقٌّ، وَالْحِسَابَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةَ وَالنَّارَ حَقٌّ، وَالْوَعْدَ وَالْوَعِيدَ بِهِمَا حَقٌّ.

يَا مَوْلَايَ، شَقِيَ مَنْ خَالَفَكُمْ، وَسَعِدَ مَنْ أَطَاعَكُمْ، فَاشْهَدْ عَلَى مَا أَشْهَدْتُكَ عَلَيْهِ، وَأَنَا وَلِيٌّ لَكَ، بَرِيءٌ مِنْ عَدُوِّكَ، فَالْحَقُّ مَا رَضِيتُمُوهُ، وَالْبَاطِلُ مَا سَخِطْتُمُوهُ، وَالْمَعْرُوفُ مَا أَمَرْتُمْ بِهِ، وَالْمُنْكَرُ مَا نَهَيْتُمْ عَنْهُ، فَنَفْسِي مُؤْمِنَةٌ بِاللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِرَسُولِهِ وَبِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَبِكُمْ يَا مَوْلَايَ، أَوَّلِكُمْ وَآخِرِكُمْ، وَنُصْرَتِي مُعَدَّةٌ لَكُمْ، وَمَوَدَّتِي خَالِصَةٌ لَكُمْ، آمِينَ آمِينَ».

ثمّ يدعو عقيب هذه الزيارة بهذا الدُّعاء الشريف:

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ نَبِيِّ رَحْمَتِكَ، وَكَلِمَةِ نُورِكَ، وَأَنْ تَمْلَأَ قَلْبِي نُورَ الْيَقِينِ، وَصَدْرِي نُورَ الإِيمَانِ، وَفِكْرِي نُورَ النِّيَّاتِ، وَعَزْمِي نُورَ الْعِلْمِ، وَقُوَّتِي نُورَ

الْعَمَلِ، وَلِسَانِي نُورَ الصِّدْقِ، وَدِينِي نُورَ الْبَصَائِرِ مِنْ عِنْدِكَ، وَبَصَرِي نُورَ الضِّيَاءِ، وَسَمْعِي نُورَ الْحِكْمَةِ، وَمَوَدَّتِي نُورَ الْمُوَالَاةِ لِمُحَمَّدٍ وَآلِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ؛ حَتَّى أَلْقَاكَ وَقَدْ وَفَيْتُ بِعَهْدِكَ وَمِيثَاقِكَ، فَتُغَشِّيَنِي رَحْمَتُكَ يَا وَلِيُّ يَا حَمِيدُ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ حُجَّتِكَ فِي أَرْضِكَ، وَخَلِيفَتِكَ فِي بِلَادِكَ، وَالدَّاعِي إِلَى سَبِيلِكَ، وَالْقَائِمِ بِقِسْطِكَ، وَالثَّائِرِ بِأَمْرِكَ، وَلِيِّ الْمُؤْمِنِينَ، وَبَوَارِ الْكَافِرِينَ، وَمُجَلِّي الظُّلْمَةِ، وَمُنِيرِ الْحَقِّ، وَالنَّاطِقِ بِالْحِكْمَةِ وَالصِّدْقِ، وَكَلِمَتِكَ التَّامَّةِ فِي أَرْضِكَ، الْمُرْتَقِبِ الْخَائِفِ، وَالْوَلِيِّ النَّاصِحِ، سَفِينَةِ النَّجَاةِ، وَعَلَمِ الْهُدَى، وَنُورِ أَبْصَارِ الْوَرَى، وَخَيْرِ مَنْ تَقَمَّصَ وَارْتَدَى، وَمُجَلِّي الْعَمَى، الَّذِي يَمْلَأُ الْأَرْضَ عَدْلًا وَقِسْطاً كَمَا مُلِئَتْ ظُلْماً وَجَوْراً، إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى وَلِيِّكَ وَابْنِ أَوْلِيَائِكَ، الَّذِينَ فَرَضْتَ طَاعَتَهُمْ، وَأَوْجَبْتَ حَقَّهُمْ، وَأَذْهَبْتَ عَنْهُمُ الرِّجْسَ، وَطَهَّرْتَهُمْ تَطْهِيراً.

اللَّهُمَّ انْصُرْهُ، وَانْتَصِرْ بِهِ لِدِينِكَ، وَانْصُرْ بِهِ أَوْلِيَاءَكَ وَأَوْلِيَاءَهُ وَشِيعَتَهُ وَأَنْصَارَهُ وَاجْعَلْنَا مِنْهُمْ.

اللَّهُمَّ أَعِذْهُ مِنْ شَرِّ كُلِّ بَاغٍ وَطَاغٍ، وَمِنْ شَرِّ جَمِيعِ خَلْقِكَ، وَاحْفَظْهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، وَاحْرُسْهُ وَامْنَعْهُ مِنْ أَنْ يُوصَلَ إِلَيْهِ بِسُوءٍ، وَاحْفَظْ فِيهِ رَسُولَكَ وَآلَ رَسُولِكَ، وَأَظْهِرْ بِهِ الْعَدْلَ، وَأَيِّدْهُ بِالنَّصْرِ، وَانْصُرْ نَاصِرِيهِ، وَاخْذُلْ خَاذِلِيهِ، وَاقْصِمْ قَاصِمِيهِ، وَاقْصِمْ بِهِ جَبَابِرَةَ الْكُفْرِ، وَاقْتُلْ بِهِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ، وَجَمِيعَ الْمُلْحِدِينَ حَيْثُ كَانُوا مِنْ مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا؛ بَرِّهَا وَبَحْرِهَا وَامْلَأْ بِهِ الْأَرْضَ عَدْلًا، وَأَظْهِرْ بِهِ دِينَ نَبِيِّكَ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَاجْعَلْنِي اللَّهُمَّ مِنْ أَنْصَارِهِ وَأَعْوَانِهِ وَأَتْبَاعِهِ وَشِيعَتِهِ، وَأَرِنِي فِي آلِ مُحَمَّدٍ عليهم السلام مَا يَأْمُلُونَ، وَفِي عَدُوِّهِمْ مَا يَحْذَرُونَ؛ إِلَهَ الْحَقِّ آمِينَ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ»[١].

دعاؤه عليه السلام للفرج:

من أدعيته الشريفة هذا الدُّعاء الجليل، وهذا نصُّه:

«اللَّهُمَّ رَبَّ النُّورِ الْعَظِيمِ، وَرَبَّ الْكُرْسِيِّ الرَّفِيعِ، وَرَبَّ الْبَحْرِ الْمَسْجُورِ، وَمُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالزَّبُورِ، وَرَبَّ الظِّلِّ وَالْحَرُورِ، وَمُنْزِلَ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَرَبَّ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ وَالْأَنْبِيَاءِ الْمُرْسَلِينَ.

---

(١) بحار الأنوار: ٩١/ ٣ ـ ٥.

وَأَنْتَ جَبَّارُ مَنْ فِي السَّمَاءِ، وَجَبَّارُ مَنْ فِي الأَرْضِ، لَا خَالِقَ فِيهِمَا غَيْرُكَ.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الْكَرِيمِ، وَبِنُورِ وَجْهِكَ الْمُشْرِقِ الْمُنِيرِ، وَمُلْكِكَ الْقَدِيمِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ.

أَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ بِهِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرَضُونَ، وَبِاسْمِكَ الَّذِي يَصْلُحُ بِهِ الْأَوَّلُونَ وَالآخِرُونَ.

يَا حَيّاً قَبْلَ كُلِّ حَيٍّ، وَيَا حَيّاً بَعْدَ كُلِّ حَيٍّ، وَيَا حَيّاً حِينَ لَا حَيَّ، يَا مُحْيِيَ الْمَوْتَى، وَمُمِيتَ الأَحْيَاءِ يَا حَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ. يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، أَسْأَلُكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَارْزُقْنِي مِنْ حَيْثُ أَحْتَسِبُ، وَمِنْ حَيْثُ لَا أَحْتَسِبُ، رِزْقاً وَاسِعاً، حَلَالًا طَيِّباً، وَأَنْ تُفَرِّجَ عَنِّي كُلَّ غَمٍّ، وَكُلَّ هَمٍّ، وَأَنْ تُعْطِيَنِي مَا أَرْجُوهُ وَآمِلُهُ، إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»[1].

٧ ـ دعاؤه (ع) لشيعته:

«يا نُورَ النُّورِ، يَا مُدَبِّرَ الأُمُورِ، يَا بَاعِثَ مَنْ فِي الْقُبُورِ، صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَاجْعَلْ لِي وَلِشِيعَتِي مِنَ الضِّيقِ فَرَجاً، وَمِنَ الْهَمِّ مَخْرَجاً، وَأَوْسِعْ لَنَا الْمَنْهَجَ، وَأَطْلِقْ لَنَا مِنْ عِنْدِكَ مَا يُفَرِّجُ، وَافْعَلْ بِنَا مَا أَنْتَ أَهْلُهُ، يَا كَرِيمُ»[2].

٨ دعاؤه (ع) للنبيّ (ص) ولأئمّة الهدىٰ (ع):

«اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، وَخَاتَمِ النَّبِيِّينَ وَحُجَّةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الْمُنْتَجَبِ فِي الْمِيثَاقِ، الْمُصْطَفَى فِي الظِّلَالِ، الْمُطَهَّرِ مِنْ كُلِّ آفَةٍ، الْبَرِيءِ مِنْ كُلِّ عَيْبٍ، الْمُؤَمَّلِ لِلنَّجَاةِ، الْمُرْتَجَى لِلشَّفَاعَةِ، الْمُفَوَّضِ إِلَيْهِ دِينُ اللَّهِ.

اللَّهُمَّ شَرِّفْ بُنْيَانَهُ، وَعَظِّمْ بُرْهَانَهُ، وَأَفْلِجْ حُجَّتَهُ، وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ، وَأَضِئْ نُورَهُ، وَبَيِّضْ وَجْهَهُ، وَأَعْطِهِ الْفَضْلَ وَالْفَضِيلَةَ، وَالْمَنْزِلَةَ وَالْوَسِيلَةَ، وَالدَّرَجَةَ الرَّفِيعَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَاماً مَحْمُوداً يَغْبِطُهُ بِهِ الأَوَّلُونَ وَالآخِرُونَ.

وَصَلِّ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَوَارِثِ الْمُرْسَلِينَ، وَقَائِدِ الْغُرِّ الْمُحَجَّلِينَ، وَسَيِّدِ الْوَصِيِّينَ، وَحُجَّةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَصَلِّ عَلَى الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ إِمَامِ الْمُؤْمِنِينَ، وَوَارِثِ الْمُرْسَلِينَ، وَحُجَّةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

---

(١) البلد الأمين: ص٩٧.

(٢) مصباح الكفعمي: ص٤٥٧.

وَصَلِّ عَلَى الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ إِمَامِ الْمُؤْمِنِينَ، وَوَارِثِ الْمُرْسَلِينَ، وَحُجَّةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَصَلِّ عَلَى عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ إِمَامِ الْمُؤْمِنِينَ، وَوَارِثِ الْمُرْسَلِينَ، وَحُجَّةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ إِمَامِ الْمُؤْمِنِينَ، وَوَارِثِ الْمُرْسَلِينَ، وَحُجَّةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَصَلِّ عَلَى جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ إِمَامِ الْمُؤْمِنِينَ، وَوَارِثِ الْمُرْسَلِينَ، وَحُجَّةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَصَلِّ عَلَى مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ إِمَامِ الْمُؤْمِنِينَ، وَوَارِثِ الْمُرْسَلِينَ، وَحُجَّةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَصَلِّ عَلَى عَلِيِّ بْنِ مُوسَى إِمَامِ الْمُؤْمِنِينَ، وَوَارِثِ الْمُرْسَلِينَ، وَحُجَّةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ إِمَامِ الْمُؤْمِنِينَ، وَ وَارِثِ الْمُرْسَلِينَ، وَحُجَّةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَصَلِّ عَلَى عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ إِمَامِ الْمُؤْمِنِينَ، وَوَارِثِ الْمُرْسَلِينَ، وَحُجَّةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَصَلِّ عَلَى الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ إِمَامِ الْمُؤْمِنِينَ، وَوَارِثِ الْمُرْسَلِينَ، وَحُجَّةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَصَلِّ عَلَى الْخَلَفِ الصَّالِحِ الْهَادِي الْمَهْدِيِّ إِمَامِ الْمُؤْمِنِينَ، وَوَارِثِ الْمُرْسَلِينَ، وَحُجَّةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَهْلِ بَيْتِهِ الْأَئِمَّةِ الْهَادِينَ الْمَهْدِيِّينَ الْعُلَمَاءِ الصَّادِقِينَ الْأَبْرَارِ الْمُتَّقِينَ، دَعَائِمِ دِينِكَ، وَأَرْكَانِ تَوْحِيدِكَ، وَتَرَاجِمَةِ وَحْيِكَ، وَحُجَجِكَ عَلَى خَلْقِكَ، وَخُلَفَائِكَ فِي أَرْضِكَ؛ الَّذِينَ اخْتَرْتَهُمْ لِنَفْسِكَ، وَاصْطَفَيْتَهُمْ عَلَى عِبَادِكَ، وَارْتَضَيْتَهُمْ لِدِينِكَ، وَخَصَصْتَهُمْ بِمَعْرِفَتِكَ، وَجَلَّلْتَهُمْ بِكَرَامَتِكَ، وَغَشَّيْتَهُمْ بِرَحْمَتِكَ، وَرَبَّيْتَهُمْ بِنِعْمَتِكَ، وَغَذَّيْتَهُمْ بِحِكْمَتِكَ، وَأَلْبَسْتَهُمْ مِنْ نُورِكَ، وَرَفَعْتَهُمْ فِي مَلَكُوتِكَ، وَحَفَفْتَهُمْ بِمَلَائِكَتِكَ، وَشَرَّفْتَهُمْ بِنَبِيِّكَ صَلَوَاتُكَ عَلَيْهِ وَآلِهِ. اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَيْهِمْ صَلَاةً زَاكِيَةً نَامِيَةً، كَثِيرَةً دَائِمَةً طَيِّبَةً، لَا يُحِيطُ بِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَلَا يَسَعُهَا إِلَّا عِلْمُكَ، وَلَا يُحْصِيهَا أَحَدٌ غَيْرُكَ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى وَلِيِّكَ الْمُحْيِي سُنَّتَكَ، الْقَائِمِ بِأَمْرِكَ، الدَّاعِي إِلَيْكَ، الدَّلِيلِ عَلَيْكَ، وَحُجَّتِكَ عَلَى خَلْقِكَ، وَخَلِيفَتِكَ فِي أَرْضِكَ، وَشَاهِدِكَ عَلَى عِبَادِكَ.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ نَصْرَهُ. وَمُدَّ فِي عُمْرِهِ، وَزَيِّنِ الْأَرْضَ بِطُولِ بَقَائِهِ.

اللَّهُمَّ اكْفِهِ بَغْيَ الْحَاسِدِينَ، وَأَعِذْهُ مِنْ شَرِّ الْكَائِدِينَ، وَازْجُرْ عَنْهُ إِرَادَةَ الظَّالِمِينَ، وَخَلِّصْهُ مِنْ أَيْدِي الْجَبَّارِينَ.

اللَّهُمَّ أَعْطِهِ فِي نَفْسِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، وَشِيعَتِهِ وَرَعِيَّتِهِ، وَخَاصَّتِهِ وَعَامَّتِهِ، وَعَدُوِّهِ، وَجَمِيعِ أَهْلِ الدُّنْيَا مَا تُقِرُّ بِهِ عَيْنُهُ، وَتَسُرُّ بِهِ نَفْسُهُ، وَبَلِّغْهُ أَفْضَلَ ما أَمَّلَهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، إِنَّكَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

اللَّهُمَّ جَدِّدْ بِهِ مَا امْتَحى مِنْ دِينِكَ، وَأَحْيِ بِهِ مَا بُدِّلَ مِنْ كِتَابِكَ، وَأَظْهِرْ بِهِ مَا غُيِّرَ مِنْ حُكْمِكَ، حَتَّى يَعُودَ دِينُكَ بِهِ وَعَلَى يَدَيْهِ غَضّاً جَدِيداً خَالِصاً مُخْلَصاً، لَا شَكَّ فِيهِ، وَلَا شُبْهَةَ مَعَهُ، وَلَا بَاطِلَ عِنْدَهُ، وَلَا بِدْعَةَ لَدَيْهِ.

اللَّهُمَّ نَوِّرْ بِنُورِهِ كُلَّ ظُلْمَةٍ، وَهُدَّ بِرُكْنِهِ كُلَّ بِدْعَةٍ، وَاهْدِمْ بِعِزَّتِهِ كُلَّ ضَلَالَةٍ، وَاقْصِمْ بِهِ كُلَّ جَبَّارٍ، وَأَخْمِدْ بِسَيْفِهِ كُلَّ نَارٍ، وَأَهْلِكْ بِعَدْلِهِ كُلَّ جَائِرٍ، وَأَجْرِ حُكْمَهُ عَلَى كُلِّ حُكْمٍ، وَأَذِلَّ بِسُلْطَانِهِ كُلَّ سُلْطَانٍ.

اللَّهُمَّ أَذِلَّ كُلَّ مَنْ نَاوَاهُ، وَأَهْلِكْ كُلَّ مَنْ عَادَاهُ، وَامْكُرْ بِمَنْ كَادَهُ، وَاسْتَأْصِلْ بِمَنْ جَحَدَ حَقَّهُ، وَاسْتَهَانَ بِأَمْرِهِ، وَسَعَى فِي إِطْفَاءِ نُورِهِ، وَأَرَادَ إِخْمَادَ ذِكْرِهِ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ الْمُصْطَفَى، وَعَلِيٍّ الْمُرْتَضى، وَفَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ، وَالْحَسَنِ الرِّضَا، وَالْحُسَيْنِ الْمُصَفَّىٰ، وَجَمِيعِ الْأَوْصِيَاءِ وَمَصَابِيحِ الدُّجى، وَأَعْلَامِ الْهُدَى، وَمَنَارِ التُّقَى، وَالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى، وَالْحَبْلِ الْمَتِينِ، وَالصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَصَلِّ عَلَى وَلِيِّكَ وَوُلَاةِ عَهْدِكَ، وَالْأَئِمَّةِ مِنْ وُلْدِهِ، وَمُدَّ فِي أَعْمَارِهِمْ، وَزِدْ فِي آجَالِهِمْ، وَبَلِّغْهُمْ أَقْصَى آمَالِهِمْ دِيناً وَدُنْيَا وَآخِرَةً، إِنَّكَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»[1].

٩ ـ دعاؤه عليه السلام للخلاص من السجن:

وقد علَّم الإمام عليه السلام بعض شيعته هذا الدُّعاء، وقد كانوا في ظلمات السجون:

«اللَّهُمَّ عَظُمَ الْبَلَاءُ، وَبَرِحَ الْخَفَاءُ، وَانْكَشَفَ الْغِطَاءُ، وَضَاقَتِ الْأَرْضُ وَمُنِعَتِ السَّمَاءُ، وَإِلَيْكَ يَا رَبِّ الْمُشْتَكَى، وَعَلَيْكَ الْمُعَوَّلُ فِي الشِّدَّةِ وَالرَّخَاءِ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ الَّذِينَ أَمَرْتَنَا بِطَاعَتِهِمْ، وَعَجِّلِ اللَّهُمَّ فَرَجَهُمْ بِقَائِمِهِمْ، وَأَظْهِرْ إِعْزَازَهُ، يَا مُحَمَّدُ يَا عَلِيُّ، يَا عَلِيُّ يَا مُحَمَّدُ، اكْفِيَانِي فَإِنَّكُمَا كَافِيَايَ.

يَا مُحَمَّدُ يَا عَلِيُّ، يَا عَلِيُّ يَا مُحَمَّدُ، انْصُرَانِي فَإِنَّكُمَا نَاصِرَايَ.

---

(١) البلد الأمين: ص١٢٠ ـ ١٢٢.

يَا مُحَمَّدُ يَا عَلِيُّ، يَا عَلِيُّ يَا مُحَمَّدُ، اِحْفَظَانِي فَإِنَّكُمَا حَافِظَايَ.

يَا مَوْلَايَ يَا صَاحِبَ الزَّمَانِ، يَا مَوْلَايَ يَا صَاحِبَ الزَّمَانِ، يَا مَوْلَايَ يَا صَاحِبَ الزَّمَانِ، الْغَوْثَ الْغَوْثَ الْغَوْثَ، أَدْرِكْنِي أَدْرِكْنِي أَدْرِكْنِي، الأَمَانَ الأَمَانَ الأَمَانَ».

فصول من زيارته للإمام الحسين عليه السلام:

«السَّلَامُ عَلَى الْحُسَيْنِ الَّذِي سَمَحَتْ نَفْسُهُ بِمُهْجَتِهِ، السَّلَامُ عَلَى مَنْ أَطَاعَ اللَّهَ فِي سِرِّهِ وَعَلَانِيَتِهِ، السَّلَامُ عَلَى مَنْ جَعَلَ اللَّهُ الشِّفَاءَ فِي تُرْبَتِهِ، السَّلَامُ عَلَى مَنِ الإِجَابَةُ تَحْتَ قُبَّتِهِ، السَّلَامُ عَلَى مَنِ الأَئِمَّةُ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ».

«السَّلَامُ عَلَى ابْنِ خَاتَمِ الأَنْبِيَاءِ، السَّلَامُ عَلَى ابْنِ سَيِّدِ الأَوْصِيَاءِ، السَّلَامُ عَلَى ابْنِ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ، السَّلَامُ عَلَى ابْنِ خَدِيجَةَ الْكُبْرَى، السَّلَامُ عَلَى ابْنِ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، السَّلَامُ عَلَى ابْنِ جَنَّةِ الْمَأْوَى، السَّلَامُ عَلَى ابْنِ زَمْزَمَ وَالصَّفَا».

«السَّلَامُ عَلَى الْمُرَمَّلِ بِالدِّمَاءِ، السَّلَامُ عَلَى الْمَهْتُوكِ الْخِبَاءِ، السَّلَامُ عَلَى خَامِسِ أَصْحَابِ أَهْلِ الْكِسَاءِ، السَّلَامُ عَلَى غَرِيبِ الْغُرَبَاءِ، السَّلَامُ عَلَى شَهِيدِ الشُّهَدَاءِ، السَّلَامُ عَلَى قَتِيلِ الأَدْعِيَاءِ، السَّلَامُ عَلَى سَاكِنِ كَرْبَلَاءَ، السَّلَامُ عَلَى مَنْ بَكَتْهُ مَلَائِكَةُ السَّمَاءِ، السَّلَامُ عَلَى مَنْ ذُرِّيَّتُهُ الأَزْكِيَاءُ، السَّلَامُ عَلَى يَعْسُوبِ الدِّينِ، السَّلَامُ عَلَى مَنَازِلِ الْبَرَاهِينِ، السَّلَامُ عَلَى الأَئِمَّةِ السَّادَاتِ».

«السَّلَامُ عَلَى الْجُيُوبِ الْمُضَرَّجَاتِ، السَّلَامُ عَلَى الشِّفَاهِ الذَّابِلَاتِ، السَّلَامُ عَلَى النُّفُوسِ الْمُصْطَلَمَاتِ، السَّلَامُ عَلَى الأَرْوَاحِ الْمُخْتَلَسَاتِ، السَّلَامُ عَلَى الأَجْسَادِ الْعَارِيَاتِ، السَّلَامُ عَلَى الْجُسُومِ الشَّاحِبَاتِ، السَّلَامُ عَلَى الدِّمَاءِ السَّائِلَاتِ، السَّلَامُ عَلَى الأَعْضَاءِ الْمُقَطَّعَاتِ، السَّلَامُ عَلَى الرُّؤُوسِ الْمُشَالَاتِ، السَّلَامُ عَلَى النِّسْوَةِ الْبَارِزَاتِ».

«السَّلَامُ عَلَى حُجَّةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ وَعَلَى آبَائِكَ الطَّاهِرِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ وَعَلَى أَبْنَائِكَ الْمُسْتَشْهَدِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ وَعَلَى ذُرِّيَّتِكَ النَّاصِرِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ وَعَلَى الْمَلَائِكَةِ الْمُضَاجِعِينَ، السَّلَامُ عَلَى الْقَتِيلِ الْمَظْلُومِ، السَّلَامُ عَلَى أَخِيهِ الْمَسْمُومِ، السَّلَامُ عَلَى عَلِيٍّ الْكَبِيرِ، السَّلَامُ عَلَى الرَّضِيعِ الصَّغِيرِ».

«السَّلَامُ عَلَى الأَبْدَانِ السَّلِيبَةِ، السَّلَامُ عَلَى الْعِتْرَةِ الْقَرِيبَةِ، السَّلَامُ عَلَى الْمُجَدَّلِينَ فِي الْفَلَوَاتِ، السَّلَامُ عَلَى النَّازِحِينَ عَنِ الأَوْطَانِ، السَّلَامُ عَلَى الرُّؤُوسِ الْمُفَرَّقَةِ عَنِ الأَبْدَانِ، السَّلَامُ عَلَى الْمَدْفُونِينَ بِلَا أَكْفَانٍ، السَّلَامُ عَلَى الْمُحْتَسِبِ الصَّابِرِ، السَّلَامُ عَلَى الْمَظْلُومِ بِلَا نَاصِرٍ، السَّلَامُ عَلَى سَاكِنِ التُّرْبَةِ الزَّاكِيَةِ، السَّلَامُ عَلَى صَاحِبِ الْقُبَّةِ السَّامِيَةِ».

«السَّلَامُ عَلَى مَنْ طَهَّرَهُ الْجَلِيلُ، السَّلَامُ عَلَى مَنِ افْتَخَرَ بِهِ جَبْرَئِيلُ، السَّلَامُ عَلَى مَنْ نَاغَاهُ فِي الْمَهْدِ مِيكَائِيلُ، السَّلَامُ عَلَى مَنْ نُكِثَتْ ذِمَّتُهُ، السَّلَامُ عَلَى مَنْ هُتِكَتْ حُرْمَتُهُ، السَّلَامُ عَلَى مَنْ أُرِيقَ بِالظُّلْمِ دَمُهُ، السَّلَامُ عَلَى الْمُغَسَّلِ بِدَمِ الْجِرَاحِ، السَّلَامُ عَلَى الْمُجَرَّعِ بِكَاسَاتِ الرِّمَاحِ. السَّلَامُ عَلَى الْمُضَامِ الْمُسْتَبَاحِ، السَّلَامُ عَلَى الْمَنْحُورِ فِي الْوَرَى، السَّلَامُ عَلَى مَنْ دَفَنَهُ أَهْلُ الْقُرَى، السَّلَامُ عَلَى الْمَقْطُوعِ الْوَتِينِ، السَّلَامُ عَلَى الْمُحَامِي بِلَا مُعِينٍ، السَّلَامُ عَلَى الشَّيْبِ الْخَضِيبِ، السَّلَامُ عَلَى الْخَدِّ التَّرِيبِ، السَّلَامُ عَلَى الْبَدَنِ السَّلِيبِ، السَّلَامُ عَلَى الثَّغْرِ الْمَقْرُوعِ بِالْقَضِيبِ، السَّلَامُ عَلَى الرَّأْسِ الْمَرْفُوعِ، السَّلَامُ عَلَى الْأَجْسَامِ الْعَارِيَةِ فِي الْفَلَوَاتِ، تَنْهَشُهَا الذِّئَابُ الْعَادِيَاتُ، وَتَخْتَلِفُ إِلَيْهَا السِّبَاعُ الضَّارِيَاتُ».

«السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مَوْلَايَ، وَعَلَى الْمَلَائِكَةِ الْمَرْفُوفِينَ حَوْلَ قُبَّتِكَ، الْحَافِّينَ بِتُرْبَتِكَ الطَّائِفِينَ بِعَرْصَتِكَ، الْوَارِدِينَ لِزِيَارَتِكَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ فَإِنِّي قَصَدْتُ إِلَيْكَ، وَرَجَوْتُ الْفَوْزَ لَدَيْكَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ سَلَامَ الْعَارِفِ بِحُرْمَتِكَ، الْمُخْلِصِ فِي وَلَايَتِكَ، الْمُتَقَرِّبِ إِلَى اللَّهِ بِمَحَبَّتِكَ، الْبَرِيءِ مِنْ أَعْدَائِكَ، سَلَامَ مَنْ قَلْبُهُ بِمُصَابِكَ مَقْرُوحٌ، وَدَمْعُهُ عِنْدَ ذِكْرِكَ مَسْفُوحٌ، سَلَامَ الْمَفْجُوعِ الْحَزِينِ الْوَالِهِ الْمُسْتَكِينِ، سَلَامَ مَنْ لَوْ كَانَ مَعَكَ بِالطُّفُوفِ لَوَقَاكَ بِنَفْسِهِ حَدَّ السُّيُوفِ، وَبَذَلَ حُشَاشَتَهُ دُونَكَ لِلْحُتُوفِ، وَجَاهَدَ بَيْنَ يَدَيْكَ، وَنَصَرَكَ عَلَى مَنْ بَغَى عَلَيْكَ، وَفَدَاكَ بِرُوحِهِ وَجَسَدِهِ، وَمَالِهِ وَوَلَدِهِ، وَرُوحُهُ لِرُوحِكَ فِدَاءٌ، وَأَهْلُهُ لِأَهْلِكَ وِقَاءٌ».

«فَلَئِنْ أَخَّرَتْنِي الدُّهُورُ، وَعَاقَنِي عَنْ نَصْرِكَ الْمَقْدُورُ، وَلَمْ أَكُنْ لِمَنْ حَارَبَكَ مُحَارِباً، وَلِمَنْ نَصَبَ لَكَ الْعَدَاوَةَ مُنَاصِباً، فَلَأَنْدُبَنَّكَ صَبَاحاً وَمَسَاءً، وَلَأَبْكِيَنَّ لَكَ بَدَلَ الدُّمُوعِ دَماً، حَسْرَةً عَلَيْكَ، وَتَأَسُّفاً عَلَى مَا دَهَاكَ، وَتَلَهُّفاً حَتَّى أَمُوتَ بِلَوْعَةِ الْمُصَابِ، وَغُصَّةِ الِاكْتِيَابِ».

«أَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ أَقَمْتَ الصَّلَاةَ، وَآتَيْتَ الزَّكَاةَ، وَأَمَرْتَ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهَيْتَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْعُدْوَانِ، وَأَطَعْتَ اللَّهَ وَمَا عَصَيْتَهُ، وَتَمَسَّكْتَ بِهِ وَبِحَبْلِهِ فَأَرْضَيْتَهُ، وَخَشِيتَهُ وَرَاقَبْتَهُ وَاسْتَجَبْتَهُ، وَسَنَنْتَ السُّنَنَ، وَأَطْفَأْتَ الْفِتَنَ، وَدَعَوْتَ إِلَى الرَّشَادِ، وَأَوْضَحْتَ سُبُلَ السَّدَادِ، وَجَاهَدْتَ فِي اللَّهِ حَقَّ الْجِهَادِ، وَكُنْتَ لِلَّهِ طَائِعاً وَلِجَدِّكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ تَابِعاً. وَلِقَوْلِ أَبِيكَ سَامِعاً، وَإِلَى وَصِيَّةِ أَخِيكَ مُسَارِعاً، وَلِعِمَادِ الدِّينِ رَافِعاً، وَلِلطُّغْيَانِ قَامِعاً، وَلِلطُّغَاةِ مُقَارِعاً، وَلِلْأُمَّةِ نَاصِحاً، وَفِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ سَابِحاً، وَلِلْفُسَّاقِ مُكَافِحاً، وَبِحُجَجِ اللَّهِ قَائِماً، وَلِلْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ رَاحِماً، وَلِلْحَقِّ نَاصِراً، وَعِنْدَ الْبَلَاءِ صَابِراً، وَلِلدِّينِ كَالِئاً، وَعَنْ حَوْزَتِهِ مُرَامِياً».

«تَحُوطُ الْهُدَى وَتَنْصُرُهُ، وَتَبْسُطُ الْعَدْلَ وَتَنْشُرُهُ، وَتَنْصُرُ الدِّينَ وَتُظْهِرُهُ، وَتَكُفُّ الْعَابِثَ وَتَزْجُرُهُ، وَتَأْخُذُ لِلدَّنِيءِ مِنَ الشَّرِيفِ، وَتُسَاوِي فِي الْحُكْمِ بَيْنَ الْقَوِيِّ وَالضَّعِيفِ.

كُنْتَ رَبِيعَ الْأَيْتَامِ، وَعِصْمَةَ الْأَنَامِ، وَعِزَّ الْإِسْلَامِ، وَمَعْدِنَ الْأَحْكَامِ، وَحَلِيفَ الْإِنْعَامِ، سَالِكاً طَرَائِقَ جَدِّكَ وَأَبِيكَ، مُشَبَّهاً فِي الْوَصِيَّةِ لِأَخِيكَ، وَفِيَّ الذِّمَمِ رَضِيَّ الشِّيَمِ، ظَاهِرَ الْكَرَمِ، مُتَهَجِّداً فِي الظُّلَمِ، قَوِيمَ الطَّرَائِقِ، كَرِيمَ الْخَلَائِقِ، عَظِيمَ السَّوَابِقِ، شَرِيفَ النَّسَبِ، مُنِيفَ الْحَسَبِ، رَفِيعَ الرُّتَبِ، كَثِيرَ الْمَنَاقِبِ، مَحْمُودَ الضَّرَائِبِ، جَزِيلَ الْمَوَاهِبِ، حَلِيمٌ رَشِيدٌ مُنِيبٌ جَوَادٌ عَلِيمٌ شَدِيدٌ إِمَامٌ شَهِيدٌ، أَوَّاهٌ مُنِيبٌ، حَبِيبٌ مَهِيبٌ.

كُنْتَ لِلرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَلَداً، وَلِلْقُرْآنِ سَنَداً، وَلِلْأُمَّةِ عَضُداً، وَفِي الطَّاعَةِ مُجْتَهِداً، حَافِظاً لِلْعَهْدِ وَالْمِيثَاقِ، نَاكِباً عَنْ سُبُلِ الْفُسَّاقِ، وَبَاذِلًا لِلْمَجْهُودِ، طَوِيلَ الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ، زَاهِداً فِي الدُّنْيَا زُهْدَ الرَّاحِلِ عَنْهَا، نَاظِراً إِلَيْهَا بِعَيْنِ الْمُسْتَوْحِشِينَ مِنْهَا، آمَالُكَ عَنْهَا مَكْفُوفَةٌ، وَهِمَّتُكَ عَنْ زِينَتِهَا مَصْرُوفَةٌ، وَإِلْحَاظُكَ عَنْ بَهْجَتِهَا مَطْرُوفَةٌ، وَرَغْبَتُكَ فِي الْآخِرَةِ مَعْرُوفَةٌ».

«حَتَّى إِذَا الْجَوْرُ مَدَّ بَاعَهُ، وَأَسْفَرَ الظُّلْمُ قِنَاعَهُ، وَدَعَا الْغَيُّ أَتْبَاعَهُ، وَأَنْتَ فِي حَرَمِ جَدِّكَ قَاطِنٌ، وَلِلظَّالِمِينَ مُبَايِنٌ، جَلِيسُ الْبَيْتِ وَالْمِحْرَابِ، مُعْتَزِلٌ عَنِ اللَّذَّاتِ وَالشَّهَوَاتِ، تُنْكِرُ الْمُنْكَرَ بِقَلْبِكَ وَلِسَانِكَ عَلَى حَسَبِ طَاقَتِكَ وَإِمْكَانِكَ، ثُمَّ اقْتَضَاكَ الْعِلْمُ لِلْإِنْكَارِ، وَلَزِمَكَ أَنْ تُجَاهِدَ الْفُجَّارَ، فَسِرْتَ فِي أَوْلَادِكَ وَأَهَالِيكَ وَشِيعَتِكَ وَمَوَالِيكَ، وَصَدَعْتَ بِالْحَقِّ وَالْبَيِّنَةِ، وَدَعَوْتَ إِلَى اللَّهِ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ، وَأَمَرْتَ بِإِقَامَةِ الْحُدُودِ، وَالطَّاعَةِ لِلْمَعْبُودِ، وَنَهَيْتَ عَنِ الْخَبَائِثِ وَالطُّغْيَانِ، وَوَاجَهُوكَ بِالظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ، فَجَاهَدْتَهُمْ بَعْدَ الْإِيعَازِ إِلَيْهِمْ، وَتَأْكِيدِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ، فَنَكَثُوا ذِمَامَكَ وَبَيْعَتَكَ، وَأَسْخَطُوا رَبَّكَ وَجَدَّكَ، وَبَدَؤُوكَ بِالْحَرْبِ؛ فَثَبَتَّ لِلطَّعْنِ وَالضَّرْبِ، طَحَنْتَ جُنُودَ الْفُجَّارِ، وَاقْتَحَمْتَ قَسْطَلَ الْغُبَارِ، مُجَالِداً بِذِي الْفَقَارِ، كَأَنَّكَ عَلِيٌّ الْمُخْتَارُ».

«فَلَمَّا رَأَوْكَ ثَابِتَ الْجَأْشِ، غَيْرَ خَائِفٍ وَلَا خَاشٍ، نَصَبُوا لَكَ غَوَائِلَ مَكْرِهِمْ، وَقَاتَلُوكَ بِكَيْدِهِمْ وَشَرِّهِمْ. وَأَمَرَ اللَّعِينُ جُنُودَهُ فَمَنَعُوكَ الْمَاءَ وَوُرُودَهُ، وَنَاجَزُوكَ الْقِتَالَ، وَعَاجَلُوكَ النِّزَالَ، وَرَشَقُوكَ بِالسِّهَامِ وَالنِّبَالِ، وَبَسَطُوا إِلَيْكَ أَكُفَّ الِاصْطِلَامِ، وَلَمْ يَرْعَوْا لَكَ ذِمَاماً، وَلَا رَاقَبُوا فِيكَ أَثَاماً فِي قَتْلِهِمْ أَوْلِيَاءَكَ وَنَهْبِهِمْ رِحَالَكَ، وَأَنْتَ مُقَدَّمٌ فِي الْهَبَوَاتِ، وَمُحْتَمِلٌ لِلْأَذِيَّاتِ، قَدْ عَجِبَتْ مِنْ صَبْرِكَ مَلَائِكَةُ السَّمَاوَاتِ.

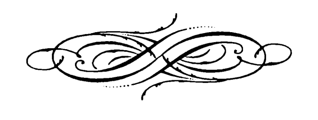
فَأَحْدَقُوا بِكَ مِنْ كُلِّ الْجِهَاتِ، وَأَثْخَنُوكَ بِالْجِرَاحِ وَحَالُوا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الرَّوَاحِ، وَلَمْ يَبْقَ لَكَ نَاصِرٌ وَأَنْتَ مُحْتَسِبٌ صَابِرٌ، تَذُبُّ عَنْ نِسْوَتِكَ وَأَوْلَادِكَ، حَتَّى نَكَسُوكَ عَنْ

جَوَادِكَ، فَهَوَيْتَ إِلَى الْأَرْضِ جَرِيحاً، تَطَؤُكَ الْخُيُولُ بِحَوَافِرِهَا، أَوْ تَعْلُوكَ الطُّغَاةُ بِبَوَاتِرِهَا، قَدْ رَشَحَ لِلْمَوْتِ جَبِينُكَ، وَاخْتَلَفَتْ بِالِانْقِبَاضِ وَالِانْبِسَاطِ شِمَالُكَ وَيَمِينُكَ، تُدِيرُ طَرْفاً خَفِيّاً إِلَى رَحْلِكَ وَبَيْتِكَ، وَقَدْ شُغِلْتَ بِنَفْسِكَ عَنْ وُلْدِكَ وَأَهَالِيكَ، وَأَسْرَعَ فَرَسُكَ شَارِداً إِلَى خِيَامِكَ قَاصِداً مُحَمْحِماً بَاكِياً.

فَلَمَّا رَأَيْنَ النِّسَاءُ جَوَادَكَ مَخْزِيّاً، وَنَظَرْنَ سَرْجَكَ عَلَيْهِ مَلْوِيّاً، بَرَزْنَ مِنَ الْخُدُورِ، نَاشِرَاتِ الشُّعُورِ، عَلَى الْخُدُودِ لَاطِمَاتٍ وَلِلْوُجُوهِ سَافِرَاتٍ، وَبِالْعَوِيلِ دَاعِيَاتٍ، وَبَعْدَ الْعِزِّ مُذَلَّلَاتٍ، وَإِلَى مَصْرَعِكَ مِبَادِرَاتٍ، وَالشِّمْرُ جَالِسٌ عَلَى صَدْرِكَ، وَمُولِغٌ سَيْفَهُ عَلَى نَحْرِكَ، قَابِضٌ عَلَى شَيْبَتِكَ بِيَدِهِ، ذَابِحٌ لَكَ بِمُهَنَّدِهِ، قَدْ سَكَنَتْ حَوَاسُّكَ، وَخَفِيَتْ أَنْفَاسُكَ، وَرُفِعَ عَلَى الْقَنَاةِ رَأْسُكَ، وَسُبِيَ أَهْلُكَ كَالْعَبِيدِ، وَصُفِّدُوا فِي الْحَدِيدِ فَوْقَ أَقْتَابِ الْمَطِيَّاتِ، تَلْفَحُ وُجُوهَهُمْ حَرُّ الْهَاجِرَاتِ، يُسَاقُونَ فِي الْبَرَارِي وَالْفَلَوَاتِ، أَيْدِيهِمْ مَغْلُولَةٌ إِلَى الْأَعْنَاقِ، يُطَافُ بِهِمْ فِي الْأَسْوَاقِ».

«فَالْوَيْلُ لِلْعُصَاةِ الْفُسَّاقِ، لَقَدْ قَتَلُوا بِقَتْلِكَ الْإِسْلَامَ، وَعَطَّلُوا الصَّلَاةَ وَالصِّيَامَ، وَنَقَضُوا السُّنَنَ وَالْأَحْكَامَ، وَهَدَمُوا قَوَاعِدَ الْإِيمَانِ، وَحَرَّفُوا آيَاتِ الْقُرْآنِ، وَهَمْجُوا فِي الْبَغْيِ وَالْعُدْوَانِ.

لَقَدْ أَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللَّه عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ أَجْلِكَ مَوْتُوراً، وَعَادَ كِتَابُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَهْجُوراً، وَغُودِرَ الْحَقُّ إِذْ قُهِرْتَ مَقْهُوراً، وَفُقِدَ بِفَقْدِكَ التَّكْبِيرُ وَالتَّهْلِيلُ، وَالتَّحْرِيمُ وَالتَّحْلِيلُ، وَالتَّنْزِيلُ وَالتَّأْوِيلُ، وَظَهَرَ بَعْدَكَ التَّغْيِيرُ وَالتَّبْدِيلُ، وَالْإِلْحَادُ وَالتَّعْطِيلُ، وَالْأَهْوَاءُ وَالْأَضَالِيلُ، وَالْفِتَنُ وَالْأَبَاطِيلُ، فَقَامَ نَاعِيكَ عِنْدَ قَبْرِ جَدِّكَ الرَّسُولِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَنَعَاكَ إِلَيْهِ بِالدَّمْعِ الْهَطُولِ قَائِلًا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قُتِلَ سِبْطُكَ وَفَتَاكَ، وَاسْتُبِيحَ أَهْلُكَ وَحِمَاكَ، وَسُبِيَتْ بَعْدَكَ ذَرَارِيكَ، وَوَقَعَ الْمَحْذُورُ بِعِتْرَتِكَ وَذَوِيكَ، فَانْزَعَجَ الرَّسُولُ، وَبَكَى قَلْبُهُ الْمَهُولُ، وَعَزَّاهُ بِكَ الْمَلَائِكَةُ وَالْأَنْبِيَاءُ، وَفُجِعَتْ بِكَ أُمُّكَ الزَّهْرَاءُ»[1].



(١) بحار الأنوار: ٩٨/٣١٨ ـ ٣٢٣.

رسائله

١ ـ رسالته عليه السلام إلى أحمد بن إسحاق:

أحمد بن إسحاق الأشعري القمّي وافد القمّيّين إلى الأئمّة الطاهرين، وأحد رواتهم العظام، وقد التقى به بعض الشيعة، فناوله كتاباً من جعفر ابن الإمام عليّ الهادي عليه السلام يعرِّفه فيه بنفسه، ويخبره أنَّه القيِّم على العالم الإسلامي بعد أخيه الإمام الحسن عليه السلام، ويدَّعي أنَّ عنده من علم الحلال والحرام ما يحتاج إليه الناس، وغير ذلك من العلوم، فكتب أحمد إلى الإمام المنتظر رسالةً عرَّفه بالأمر، وشفع معه كتاب جعفر، فأجابه الإمام عليه السلام بهذه الرسالة وقد جاء فيها بعد البسملة:

«أَتَانِي كِتَابُكَ أَبْقَاكَ اللَّهُ، وَالْكِتَابُ الَّذِي أَنْفَذْتَهُ وَأَحَاطَتْ مَعْرِفَتِي بِجَمِيعِ مَا تَضَمَّنَهُ عَلَى اخْتِلَافِ أَلْفَاظِهِ، وَتَكَرُّرِ الْخَطَاءِ فِيهِ، وَلَوْ تَدَبَّرْتَهُ لَوَقَفْتَ عَلَى بَعْضِ مَا وَقَفْتُ عَلَيْهِ مِنْهُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَمْداً لَا شَرِيكَ لَهُ عَلَى إِحْسَانِهِ إِلَيْنَا، وَفَضْلِهِ عَلَيْنَا، أَبَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلْحَقِّ إِلَّا إِتْمَاماً، وَلِلْبَاطِلِ إِلَّا زُهُوقاً، وَهُوَ شَاهِدٌ عَلَيَّ بِمَا أَذْكُرُهُ، وَلِيٌّ عَلَيْكُمْ بِمَا أَقُولُهُ، إِذَا اجْتَمَعْنَا بِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَسَأَلَنَا عَمَّا نَحْنُ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ، وَإِنَّهُ لَمْ يَجْعَلْ لِصَاحِبِ الْكِتَابِ عَلَى الْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ وَلَا عَلَيْكَ وَلَا عَلَى أَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ جَمِيعاً إِمَامَةً مُفْتَرَضَةً، وَلَا طَاعَةً وَلَا ذِمَّةً، وَسَأُبَيِّنُ لَكُمْ جُمْلَةً تَكْتَفُونَ بِهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَىٰ.

يَا هَذَا، يَرْحَمُكَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَخْلُقِ الْخَلْقَ عَبَثاً، وَلَا أَهْمَلَهُمْ سُدًى، بَلْ خَلَقَهُمْ بِقُدْرَتِهِ، وَجَعَلَ لَهُمْ أَسْمَاعاً وَأَبْصَاراً وَقُلُوباً وَأَلْبَاباً، ثُمَّ بَعَثَ إِلَيْهِمُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ، وَيَأْمُرُونَهُمْ بِطَاعَتِهِ، وَيَنْهَوْنَهُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ، وَيُعَرِّفُونَهُمْ مَا جَهِلُوهُ مِنْ أَمْرِ خَالِقِهِمْ وَدِينِهِمْ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِمْ كِتَاباً، وَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَائِكَةً وَبَايَنَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَنْ بَعَثَهُمْ إِلَيْهِمْ بِالْفَضْلِ الَّذِي لَهُمْ عَلَيْهِمْ، وَمَا آتَاهُمْ مِنَ الدَّلَائِلِ الظَّاهِرَةِ، وَالْبَرَاهِينِ الْبَاهِرَةِ، وَالْآيَاتِ الْغَالِبَةِ.

فَمِنْهُمْ مَنْ جَعَلَ النَّارَ عَلَيْهِ بَرْداً وَسَلَاماً وَاتَّخَذَهُ خَلِيلًا، وَمِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَهُ تَكْلِيماً وَجَعَلَ عَصَاهُ ثُعْبَاناً مُبِيناً، وَمِنْهُمْ مَنْ أَحْيَا الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ، وَأَبْرَأَ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِ

اللَّهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ عَلَّمَهُ مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِيَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، ثُمَّ بَعَثَ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وَتَمَّمَ بِهِ نِعْمَتَهُ، وَخَتَمَ بِهِ أَنْبِيَاءَهُ، وَأَرْسَلَهُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَأَظْهَرَ مِنْ صِدْقِهِ مَا أَظْهَرَ، وَبَيَّنَ مِنْ آيَاتِهِ وَعَلَامَاتِهِ مَا بَيَّنَ.

ثُمَّ قَبَضَهُ صلى الله عليه وآله حَمِيداً فَقِيداً سَعِيداً، وَجَعَلَ الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ إِلَى أَخِيهِ وَابْنِ عَمِّهِ وَوَصِيِّهِ وَوَارِثِهِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام، ثُمَّ إِلَى الْأَوْصِيَاءِ مِنْ وُلْدِهِ وَاحِدٍ بَعْدَ وَاحِدٍ، أَحْيَا بِهِمْ دِينَهُ، وَأَتَمَّ بِهِمْ نُورَهُ، وَجَعَلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ إِخْوَتِهِمْ وَبَنِي عَمِّهِمْ وَالْأَدْنَيْنَ فَالْأَدْنَيْنَ مِنْ ذَوِي أَرْحَامِهِمْ فَرْقاً بَيِّناً يُعْرَفُ بِهِ الْحُجَّةُ مِنَ الْمَحْجُوجِ، وَالْإِمَامُ مِنَ الْمَأْمُومِ، بِأَنْ عَصَمَهُمْ مِنَ الذُّنُوبِ، وَبَرَّأَهُمْ مِنَ الْعُيُوبِ، وَطَهَّرَهُمْ مِنَ الدَّنَسِ، وَنَزَّهَهُمْ مِنَ اللَّبْسِ، وَجَعَلَهُمْ خُزَّانَ عِلْمِهِ، وَمُسْتَوْدَعَ حِكْمَتِهِ، وَمَوْضِعَ سِرِّهِ، وَأَيَّدَهُمْ بِالدَّلَائِلِ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَكَانَ النَّاسُ عَلَى سَوَاءٍ وَلَا وَعَىٰ أَمْرَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ كُلُّ أَحَدٍ، وَلَمَا عُرِفَ الْحَقُّ مِنَ الْبَاطِلِ، وَلَا الْعَالِمُ مِنَ الْجَاهِلِ.

وَقَدِ ادَّعَى هَذَا الْمُبْطِلُ الْمُفْتَرِي عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ بِمَا ادَّعَاهُ، فَلَا أَدْرِي بِأَيَّةِ حَالَةٍ هِيَ لَهُ رَجَاءَ أَنْ يَتِمَّ دَعْوَاهُ، أَبِفِقْهٍ فِي دِينِ اللَّهِ؟ فَوَاللَّهِ! مَا يَعْرِفُ حَلَالاً مِنْ حَرَامٍ، وَلَا يُفَرِّقُ بَيْنَ خَطَإٍ وَصَوَابٍ، أَمْ بِعِلْمٍ فَمَا يَعْلَمُ حَقّاً مِنْ بَاطِلٍ، وَلَا مُحْكَماً مِنْ مُتَشَابِهٍ، وَلَا يَعْرِفُ حَدَّ الصَّلَاةِ وَوَقْتَهَا، أَمْ بِوَرَعٍ فَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى تَرْكِهِ الصَّلَاةِ الْفَرْضَ أَرْبَعِينَ يَوْماً، يَزْعُمُ ذَلِكَ لِطَلَبِ الشَّعْوذَةِ، وَلَعَلَّ خَبَرَهُ قَدْ تَأَدَّى إِلَيْكُمْ، وَهَاتِيكَ ظُرُوفُ مُسْكَرِهِ مَنْصُوبَةٌ وَآثَارُ عِصْيَانِهِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَشْهُورَةٌ قَائِمَةٌ، أَمْ بِآيَةٍ فَلْيَأْتِ بِهَا، أَمْ بِحُجَّةٍ فَلْيُقِمْهَا، أَمْ بِدَلَالَةٍ فَلْيَذْكُرْهَا. قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾﴾[1].

فَالْتَمِسْ تَوَلَّى اللَّهُ تَوْفِيقَكَ مِنْ هَذَا الظَّالِمِ مَا ذَكَرْتُ لَكَ، وَامْتَحِنْهُ وَاسْأَلْهُ عَنْ آيَةٍ مِنْ

---

(١) سورة الأحقاف: الآيات ١ ـ ٦.

كِتَابِ اللَّهِ يُفَسِّرُهَا، أَوْ صَلَاةٍ فَرِيضَةٍ يُبَيِّنُ حُدُودَهَا وَمَا يَجِبُ فِيهَا لِتَعْلَمَ حَالَهُ وَمِقْدَارَهُ، وَيَظْهَرَ لَكَ عَوَارُهُ وَنُقْصَانُهُ، وَاللَّهُ حَسِيبُهُ.

حَفِظَ اللَّهُ الْحَقَّ عَلَى أَهْلِهِ، وَأَقَرَّهُ فِي مُسْتَقَرِّهِ، وَقَدْ أَبَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ تَكُونَ الْإِمَامَةُ فِي أَخَوَيْنِ بَعْدَ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ ﷺ، وَإِذَا أَذِنَ اللَّهُ لَنَا فِي الْقَوْلِ ظَهَرَ الْحَقُّ، وَاضْمَحَلَّ الْبَاطِلُ، وَانْحَسَرَ عَنْكُمْ، وَإِلَى اللَّهِ أَرْغَبُ فِي الْكِفَايَةِ، وَجَمِيلِ الصُّنْعِ وَالْوَلَايَةِ، وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ»[١].

٢ ـ رسالته ﷺ إلى العمري وابنه:

ورفع عثمان بن سعيد العمري وابنه محمَّد رسالةً إلى الإمام أخبراه فيها أنَّ الميسمي، وهو من الشيعة، حدَّثهما أنَّ المختار وهو من الضالّين يدعو الشيعة إلى الإمام جعفر، فأجابهما الإمام ﷺ بهذه الرسالة:

«وَفَّقَكُمَا اللَّهُ لِطَاعَتِهِ، وَثَبَّتَكُمَا عَلَى دِينِهِ، وَأَسْعَدَكُمَا بِمَرْضَاتِهِ، انْتَهَى إِلَيْنَا مَا ذَكَرْتُمَا أَنَّ الْمَيسَمِيَّ أَخْبَرَكُمَا عَنِ الْمُخْتَارِ، وَمُنَاظَرَتِهِ مَنْ لَقِيَ، وَاحْتِجَاجِهِ بِأَنْ لَا خَلَفَ غَيْرُ جَعْفَرِ بْنِ عَلِيٍّ، وَتَصْدِيقِهِ إِيَّاهُ، وَفَهِمْتُ جَمِيعَ مَا كَتَبْتُمَا بِهِ، مِمَّا قَالَ أَصْحَابُكُمْ عَنْهُ، وَأَنَا أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْعَمَى بَعْدَ الْجِلَاءِ، وَمِنَ الضَّلَالَةِ بَعْدَ الْهُدَى، وَمِنْ مُوبِقَاتِ الْأَعْمَالِ، وَمُرْدِيَاتِ الْفِتَنِ، فَإِنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢﴾[٢] كَيْفَ يَتَسَاقَطُونَ فِي الْفِتْنَةِ، وَيَتَرَدَّدُونَ فِي الْحَيْرَةِ، وَيَأْخُذُونَ يَمِيناً وَشِمَالاً، فَارَقُوا دِينَهُمْ أَمِ ارْتَابُوا، أَمْ عَانَدُوا الْحَقَّ، أَمْ جَهِلُوا مَا جَاءَتْ بِهِ الرِّوَايَاتُ الصَّادِقَةُ، وَالْأَخْبَارُ الصَّحِيحَةُ، أَوْ عَلِمُوا ذَلِكَ فَتَنَاسَوْا أَمَا يَعْلَمُونَ، أَنَّ الْأَرْضَ لَا تَخْلُو مِنْ حُجَّةٍ إِمَّا ظَاهِراً وَإِمَّا مَغْمُوراً، أَوَلَمْ يَرَوا انْتِظَامَ أَئِمَّتِهِمْ بَعْدَ نَبِيِّهِمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَاحِداً بَعْدَ وَاحِدٍ، إِلَى أَنْ أَفْضَى الْأَمْرُ بِأَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى الْمَاضِي ـ يَعْنِي الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ ـ فَقَامَ مَقَامَ آبَائِهِ ﷺ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ، وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ، كَانَ نُوراً سَاطِعاً، وَقَمَراً ظَاهِراً، ثُمَّ اخْتَارَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ مَا عِنْدَهُ، فَمَضَى عَلَى مِنْهَاجِ آبَائِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ حَذْوَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ، عَلَى عَهْدٍ عَهِدَهُ، وَوَصِيَّةٍ أَوْصَى بِهَا، إِلَى وَصِيٍّ سَتَرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِأَمْرِهِ إِلَى غَايَتِهِ، وَأَخْفَى مَكَانَهُ بِمَشِيَّتِهِ لِلْقَضَاءِ السَّابِقِ، وَالْقَدَرِ النَّافِذِ، وَفِينَا مَوْضِعُهُ، وَلَنَا فَضْلُهُ، وَلَوْ قَدْ أَذِنَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيمَا قَدْ مَنَعَهُ، وَأَزَالَ عَنْهُ مَا قَدْ جَرَى بِهِ مِنْ حُكْمِهِ

---

(١) الغيبة/ الطوسي: ص٢٨٧ ـ ٢٩٠.

(٢) سورة العنكبوت: الآيتان ١ و٢.

لأَرَاهُمُ الْحَقَّ ظَاهِراً بِأَحْسَنِ حِلْيَةٍ، وَأَبْيَنِ دَلَالَةٍ، وَأَوْضَحِ عَلَامَةٍ، وَلَأَبَانَ عَنْ نَفْسِهِ، وَقَامَ الْحُجَّةَ، وَلَكِنَّ أَقْدَارَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَا تُغْلَبُ، وَإِرَادَتَهُ لَا تُرَدُّ، وَتَوْقِيتُهُ لَا يُسْبَقُ، فَلْيَدَعُوا عَنْهُمُ اتِّبَاعَ الْهَوَى، وَلْيُقِيمُوا عَلَى أَصْلِهِمُ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِ، وَلَا يَبْحَثُوا عَمَّا سِرَّ عَنْهُمْ فَيَأْثَمُوا، وَلَا يَكْشِفُوا سِرَّ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَيَنْدَمُوا، وَلْيَعْلَمُوا أَنَّ الْحَقَّ مَعَنَا وَفِينَا، لَا يَقُولُ ذَلِكَ سِوَانَا إِلَّا كَذَّابٌ مُنْهَمِكٌ، وَلَا يَدَّعِيهِ غَيْرُنَا إِلَّا ضَالٌّ غَوِيٌّ، فَلْيَقْتَصِرُوا مِنَّا عَلَى هَذِهِ الْجُمْلَةِ دُونَ التَّفْسِيرِ، وَيَقْنَعُوا مِنْ ذَلِكَ بِالتَّعْرِيضِ دُونَ التَّصْرِيحِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ»[1].

٣ ـ رسالته عليه السلام إلى بعض شيعته:

حدث شجار بين ابن أبي غانم القزويني وبعض الشيعة في الخلف بعد الإمام الحسن العسكري، فأنكر القزويني الإمام المنتظر، وأصرَّ الآخرون على وجوده، فكتبوا للإمام المنتظر عليه السلام بما جرى بينهم وبين القزويني، فأجابهم الإمام عليه السلام بهذه الرسالة، وقد جاء فيها بعد البسملة:

«عَافَانَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنَ الْفِتَنِ، وَوَهَبَ لَنَا وَلَكُمْ رُوحَ الْيَقِينِ، وَأَجَارَنَا وَإِيَّاكُمْ مِنْ سُوءِ الْمُنْقَلَبِ إِنَّهُ أُنْهِيَ إِلَيَّ ارْتِيَابُ جَمَاعَةٍ مِنْكُمْ فِي الدِّينِ، وَمَا دَخَلَهُمْ مِنَ الشَّكِّ وَالْحَيْرَةِ فِي وُلَاةِ أُمُورِهِمْ، فَغَمَّنَا ذَلِكَ لَكُمْ لَا لَنَا، وَسَاءَنَا فِيكُمْ لَا فِينَا؛ لِأَنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَلَا فَاقَةَ بِنَا إِلَى غَيْرِهِ، وَالْحَقُّ مَعَنَا فَلَنْ يُوحِشَنَا مَنْ قَعَدَ عَنَّا، وَنَحْنُ صَنَائِعُ رَبِّنَا، وَالْخَلْقُ بَعْدُ صَنَائِعُنَا[2].

يَا هَؤُلَاءِ، مَا لَكُمْ فِي الرَّيْبِ تَتَرَدَّدُونَ، وَفِي الْحَيْرَةِ تَنْعَكِسُونَ؟ أَوَمَا سَمِعْتُمُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[3]؟ أَوَمَا عَلِمْتُمْ مَا جَاءَتْ بِهِ الْآثَارُ مِمَّا يَكُونُ وَيَحْدُثُ فِي أَئِمَّتِكُمْ عَلَى الْمَاضِينَ وَالْبَاقِينَ مِنْهُمْ عليهم السلام؟ أَوَمَا رَأَيْتُمْ كَيْفَ جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ مَعَاقِلَ تَأْوُونَ إِلَيْهَا، وَأَعْلَاماً تَهْتَدُونَ بِهَا مِنْ لَدُنْ آدَمَ عليه السلام إِلَى أَنْ ظَهَرَ الْمَاضِي عليه السلام، كُلَّمَا غَابَ عَلَمٌ بَدَا عَلَمٌ، وَإِذَا أَفَلَ نَجْمٌ طَلَعَ نَجْمٌ؟ فَلَمَّا قَبَضَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ أَبْطَلَ دِينَهُ، وَقَطَعَ السَّبَبَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقِهِ، كَلَّا مَا كَانَ ذَلِكَ وَلَا يَكُونُ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ، وَيَظْهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ.

وَإِنَّ الْمَاضِيَ عليه السلام مَضَى سَعِيداً فَقِيداً عَلَى مِنْهَاجِ آبَائِهِ؛ حَذْوَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ، وَفِينَا

---

(١) كمال الدِّين: ص٤٦٢ ـ ٤٦٣.

(٢) المراد أنَّ الله اختار أئمَّة أهل البيت عليهم السلام لهداية خلقه، وكذلك هم يختارون من يشاؤون شيعة لهم.

(٣) سورة النساء: الآية ٥٩.

وَصِيَّتُهُ وَعِلْمُهُ، وَمَنْ هُوَ خَلَفُهُ وَمَنْ يَسُدُّ مَسَدَّهُ، لَا يُنَازِعُنَا مَوْضِعَهُ إِلَّا ظَالِمٌ آثِمٌ، وَلَا يَدَّعِيهِ دُونَنَا إِلَّا جَاحِدٌ كَافِرٌ، وَلَوْلَا أَنَّ أَمْرَ اللَّهِ تَعَالَىٰ لَا يُغْلَبُ، وَسِرَّهُ لَا يَظْهَرُ وَلَا يُعْلَنُ، لَظَهَرَ لَكُمْ مِنْ حَقِّنَا مَا تَبْهَرُ مِنْهُ عُقُولُكُمْ، وَيُزِيلُ شُكُوكَكُمْ، لَكِنَّهُ مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ، وَلِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ.

فَاتَّقُوا اللَّهَ وَسَلِّمُوا لَنَا، وَرُدُّوا الْأَمْرَ إِلَيْنَا، فَعَلَيْنَا الْإِصْدَارُ كَمَا كَانَ مِنَّا الْإِيرَادُ، وَلَا تُحَاوِلُوا كَشْفَ مَا غُطِّيَ عَنْكُمْ وَلَا تَمِيلُوا عَنِ الْيَمِينِ، وَتَعْدِلُوا إِلَى الشِّمَالِ، وَاجْعَلُوا قَصْدَكُمْ إِلَيْنَا بِالْمَوَدَّةِ عَلَى السُّنَّةِ الْوَاضِحَةِ، فَقَدْ نَصَحْتُ لَكُمْ وَاللَّهُ شَاهِدٌ عَلَيَّ وَعَلَيْكُمْ، وَلَوْلَا مَا عِنْدَنَا مِنْ مَحَبَّةِ صَلَاحِكُمْ وَرَحْمَتِكُمْ، وَالْإِشْفَاقِ عَلَيْكُمْ، لَكُنَّا عَنْ مُخَاطَبَتِكُمْ فِي شُغُلٍ مِمَّا قَدِ امْتُحِنَّا مِنْ مُنَازَعَةِ الظَّالِمِ الْعُتُلِّ الضَّالِّ الْمُتَابِعِ فِي غَيِّهِ، الْمُضَادِّ لِرَبِّهِ، الْمُدَّعِي مَا لَيْسَ لَهُ الْجَاحِدِ حَقَّ مَنِ افْتَرَضَ اللَّهُ طَاعَتَهُ، الظَّالِمِ الْغَاصِبِ.

وَفِي ابْنَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِي أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ وَسَيُرْدِي الْجَاهِلُ رِدَاءَ عَمَلِهِ، وَسَيَعْلَمُ الْكَافِرُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ، عَصَمَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنَ الْمَهَالِكِ وَالْأَسْوَاءِ وَالْآفَاتِ وَالْعَاهَاتِ كُلِّهَا بِرَحْمَتِهِ، فَإِنَّهُ وَلِيُّ ذَلِكَ وَالْقَادِرُ عَلَى مَا يَشَاءُ، وَكَانَ لَنَا وَلَكُمْ وَلِيّاً وَحَافِظاً، وَالسَّلَامُ عَلَى جَمِيعِ الْأَوْصِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً»[1].

٤ ـ رسالته عليه السلام إلى محمد الأسدي:

ورفع محمَّد بن جعفر إلى الإمام رسالةً يسأله فيها عن بعض الأحكام الشرعيَّة فأجابه عليه السلام عنها بما يلي:

«أَمَّا مَا سَأَلْتَ عَنْهُ مِنَ الصَّلَاةِ عِنْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَعِنْدَ غُرُوبِهَا، فَلَئِنْ كَانَ كَمَا يَقُولُونَ: إِنَّ الشَّمْسَ تَطْلُعُ مِنْ بَيْنِ قَرْنَيِ الشَّيْطَانِ، وَتَغْرُبُ بَيْنَ قَرْنَيِ الشَّيْطَانِ، فَمَا أُرْغِمَ أَنْفُ الشَّيْطَانِ بِشَيْءٍ أَفْضَلَ مِنَ الصَّلَاةِ، فَصَلِّهَا وَأَرْغِمْ أَنْفَ الشَّيْطَانِ.

وَأَمَّا مَا سَأَلْتَ عَنْهُ مِنْ أَمْرِ الْوَقْفِ عَلَى نَاحِيَتِنَا، وَمَا يُجْعَلُ لَنَا ثُمَّ يَحْتَاجُ إِلَيْهِ صَاحِبُهُ، فَكُلُّ مَا لَمْ يُسَلَّمْ فَصَاحِبُهُ بِالْخِيَارِ، وَكُلُّ مَا سُلِّمَ فَلَا خِيَارَ فِيهِ لِصَاحِبِهِ، احْتَاجَ إِلَيْهِ صَاحِبُهُ أَوْلَمْ يَحْتَجْ، افْتَقَرَ إِلَيْهِ أَوِ اسْتَغْنَى عَنْهُ.

وَأَمَّا مَا سَأَلْتَ مِنْ أَمْرِ مَنْ يَسْتَحِلُّ مَا فِي يَدِهِ مِنْ أَمْوَالِنَا، وَيَتَصَرَّفُ فِيهِ تَصَرُّفَهُ فِي مَالِهِ مِنْ غَيْرِ أَمْرِنَا، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَهُوَ مَلْعُونٌ، وَنَحْنُ خُصَمَاؤُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَقَدْ قَالَ

---

(١) الغيبة/ الطوسي: ص٢٨٥ ـ ٢٨٧.

النَّبِيُّ ﷺ: الْمُسْتَحِلُّ مِنْ عِتْرَتِي مَا حَرَّمَ اللَّهُ مَلْعُونٌ عَلَى لِسَانِي وَلِسَانِ كُلِّ نَبِيٍّ مُجَابٍ، فَمَنْ ظَلَمَنَا كَانَ فِي جُمْلَةِ الظَّالِمِينَ لَنَا، وَكَانَتْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ لِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[1]».

جوابه عليه السلام عن أسئلة إسحاق:

ورفع إسحاق بن يعقوب رسالةً إلى الإمام عليه السلام ضمَّنها عدَّة مسائل أشكلت عليه، وذلك بتوسُّط الثقة الزكيّ محمَّد بن عثمان، فأجابه الإمام عليه السلام:

«أَمَّا مَا سَأَلْتَ عَنْهُ أَرْشَدَكَ اللَّهُ، وَثَبَّتَكَ مِنْ أَمْرِ الْمُنْكِرِينَ لِي مِنْ أَهْلِ بَيْتِنَا وَبَنِي عَمِّنَا، فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ بَيْنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَبَيْنَ أَحَدٍ قَرَابَةٌ، وَمَنْ أَنْكَرَنِي فَلَيْسَ مِنِّي وَسَبِيلُهُ سَبِيلُ ابْنِ نُوحٍ عليه السلام.

وَأَمَّا سَبِيلُ عَمِّي جَعْفَرٍ وَوُلْدِهِ، فَسَبِيلُ إِخْوَةِ يُوسُفَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا وَآلِهِ وَعَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَأَمَّا الْفُقَّاعُ[2] فَشُرْبُهُ حَرَامٌ وَلَا بَأْسَ بِالشَّلْمَابِ[3].

وَأَمَّا أَمْوَالُكُمْ فَمَا نَقْبَلُهَا إِلَّا لِتَطْهُرُوا فَمَنْ شَاءَ فَلْيَصِلْ، وَمَنْ شَاءَ فَلْيَقْطَعْ، فَمَا آتَانَا اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ.

وَأَمَّا ظُهُورُ الْفَرَجِ فَإِنَّهُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكَذَبَ الْوَقَّاتُونَ.

وَأَمَّا قَوْلُ مَنْ زَعَمَ أَنَّ الْحُسَيْنَ عليه السلام لَمْ يُقْتَلْ فَكُفْرٌ وَتَكْذِيبٌ وَضَلَالٌ.

وَأَمَّا الْحَوَادِثُ الْوَاقِعَةُ فَارْجِعُوا فِيهَا إِلَى رُوَاةِ حَدِيثِنَا، فَإِنَّهُمْ حُجَّتِي عَلَيْكُمْ، وَأَنَا حُجَّةُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ.

وَأَمَّا مُحَمَّدُ بْنُ عُثْمَانَ الْعُمَرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَعَنْ أَبِيهِ مِنْ قَبْلُ، فَإِنَّهُ ثِقَتِي وَكِتَابُهُ كِتَابِي.

وَأَمَّا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ مِهْزَيَارَ الْأَهْوَازِيُّ فَسَيُصْلِحُ اللَّهُ قَلْبَهُ، وَيُزِيلُ عَنْهُ شَكَّهُ.

وَأَمَّا مَا وَصَلْتَنَا بِهِ فَلَا قَبُولَ عِنْدَنَا إِلَّا لِمَا طَابَ وَطَهُرَ، وَثَمَنُ الْمُغَنِّيَةِ حَرَامٌ.

وَأَمَّا مُحَمَّدُ بْنُ شَاذَانَ بْنِ نُعَيْمٍ فَإِنَّهُ رَجُلٌ مِنْ شِيعَتِنَا أَهْلَ الْبَيْتِ.

وَأَمَّا أَبُو الْخَطَّابِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي زَيْنَبَ الْأَجْدَعُ فَإِنَّهُ مَلْعُونٌ وَأَصْحَابُهُ مَلْعُونُونَ، فَلَا تُجَالِسْ أَهْلَ مَقَالَتِهِمْ فَإِنِّي مِنْهُمْ بَرِيءٌ وَآبَائِي مِنْهُمْ بُرَاءٌ.

---

(١) سورة هود: الآية ١٨. كمال الدِّين: ص٥٢٠ ـ ٥٢١.

(٢) الفقاع: شراب يُتَّخذ من ماء الشعير، مجمع البحرين: ٣/ ٤٢٠.

(٣) الشلماب: شراب ليس بمسكر، شاع استعماله في تلك العصور.

وَأَمَّا الْمُتَلَبِّسُونَ بِأَمْوَالِنَا فَمَنِ اسْتَحَلَّ شَيْئاً مِنْهَا فَأَكَلَهُ فَإِنَّمَا يَأْكُلُ النِّيرَانَ.

وَأَمَّا الْخُمُسُ فَقَدْ أُبِيحَ لِشِيعَتِنَا وَجُعِلُوا مِنْهُ فِي حِلٍّ إِلَى وَقْتِ ظُهُورِ أَمْرِنَا لِتَطِيبَ وِلَادَتُهُمْ وَلَا تَخْبُثَ.

وَأَمَّا نَدَامَةُ قَوْمٍ شَكُّوا فِي دِينِ اللَّهِ عَلَى مَا وَصَلُونَا بِهِ، فَقَدْ أَقَلْنَا مَنِ اسْتَقَالَ وَلَا حَاجَةَ لَنَا إِلَى صِلَةِ الشَّاكِّينَ.

وَأَمَّا عِلَّةُ مَا وَقَعَ مِنَ الْغَيْبَةِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾(١)، إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْ آبَائِي إِلَّا وَقَدْ وَقَعَتْ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ لِطَاغِيَةِ زَمَانِهِ، وَإِنِّي أَخْرُجُ حِينَ أَخْرُجُ وَلَا بَيْعَةَ لِأَحَدٍ مِنَ الطَّوَاغِيتِ فِي عُنُقِي.

وَأَمَّا وَجْهُ الِانْتِفَاعِ بِي فِي غَيْبَتِي فَكَالِانْتِفَاعِ بِالشَّمْسِ إِذَا غَيَّبَهَا عَنِ الْأَبْصَارِ السَّحَابُ، وَإِنِّي لَأَمَانٌ لِأَهْلِ الْأَرْضِ كَمَا أَنَّ النُّجُومَ أَمَانٌ لِأَهْلِ السَّمَاءِ، فَأَغْلِقُوا أَبْوَابَ السُّؤَالِ عَمَّا لَا يَعْنِيكُمْ، وَلَا تَتَكَلَّفُوا عِلْمَ مَا قَدْ كُفِيتُمْ وَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ بِتَعْجِيلِ الْفَرَجِ، فَإِنَّ ذَلِكَ فَرَجُكُمْ.

وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ يَا إِسْحَاقَ بْنَ يَعْقُوبَ وَعَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى»(٢).

٦ ـ رسائله عليه السلام إلى الشيخ المفيد:

بعث الإمام المنتظر عليه السلام بعدّة رسائل إلى ثقة الإسلام الشيخ المفيد رحمه الله، ذكر رسالتين منها الشيخ الطبرسي، وهما:

الرسالة الأولى:

«لِلْأَخِ السَّدِيدِ، وَالْوَلِيِّ الرَّشِيدِ، الشَّيْخِ الْمُفِيدِ، أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ النُّعْمَانِ، أَدَامَ اللَّهُ إِعْزَازَهُ، مِنْ مُسْتَوْدَعِ الْعَهْدِ الْمَأْخُوذِ عَلَى الْعِبَادِ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

أَمَّا بَعْدُ، سَلَامٌ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْمَوْلَى الْمُخْلِصُ فِي الدِّينِ، الْمَخْصُوصُ فِينَا بِالْيَقِينِ، فَإِنَّا نَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وَنَسْأَلُهُ الصَّلَاةَ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ.

وَنُعْلِمُكَ ـ أَدَامَ اللَّهُ تَوْفِيقَكَ لِنُصْرَةِ الْحَقِّ، وَأَجْزَلَ مَثُوبَتَكَ عَلَى نُطْقِكَ عَنَّا بِالصِّدْقِ ـ

(١) سورة المائدة: الآية ١٠١.

(٢) الغيبة/الطوسي: ص٢٩٠ ـ ٢٩٣.

أَنَّهُ قَدْ أُذِنَ لَنَا فِي تَشْرِيفِكَ بِالْمُكَاتَبَةِ، وَتَكْلِيفِكَ مَا تُؤَدِّيهِ عَنَّا إِلَى مَوَالِينَا قِبَلَكَ، أَعَزَّهُمُ اللَّهُ بِطَاعَتِهِ، وَكَفَاهُمُ الْمُهِمَّ بِرِعَايَتِهِ لَهُمْ وَحِرَاسَتِهِ، فَقِفْ ـ أَيَّدَكَ اللَّهُ بِعَوْنِهِ ـ عَلَى أَعْدَائِهِ الْمَارِقِينَ مِنْ دِينِهِ عَلَى مَا أَذْكُرُهُ، وَاعْمَلْ فِي تَأْدِيَتِهِ إِلَى مَنْ تَسْكُنُ إِلَيْهِ بِمَا نَرْسِمُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

نَحْنُ وَإِنْ كُنَّا ثَاوِينَ بِمَكَانِنَا النَّائِي عَنْ مَسَاكِنِ الظَّالِمِينَ، حَسْبَ الَّذِي أَرَانَاهُ اللَّهُ تَعَالَى لَنَا مِنَ الصَّلَاحِ، وَلِشِيعَتِنَا الْمُؤْمِنِينَ فِي ذَلِكَ، مَا دَامَتْ دَوْلَةُ الدُّنْيَا لِلْفَاسِقِينَ، فَإِنَّا نُحِيطُ عِلْمُنَا بِأَنْبَائِكُمْ، وَلَا يَعْزُبُ عَنَّا شَيْءٌ مِنْ أَخْبَارِكُمْ، وَمَعْرِفَتُنَا بِالذُّلِّ الَّذِي أَصَابَكُمْ مُذْ جَنَحَ كَثِيرٌ مِنْكُمْ إِلَى مَا كَانَ السَّلَفُ الصَّالِحُ عَنْهُ شَاسِعاً، وَنَبَذُوا الْعَهْدَ الْمَأْخُوذَ مِنْهُمْ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ، إِنَّا غَيْرُ مُهْمِلِينَ لِمُرَاعَاتِكُمْ، وَلَا نَاسِينَ لِذِكْرِكُمْ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَنَزَلَ بِكُمُ اللَّأْوَاءُ[1]، أَوِ اصْطَلَمَكُمُ[2] الْأَعْدَاءُ.

فَاتَّقُوا اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ، وَظَاهِرُونَا عَلَى انْتِيَاشِكُمْ[3] مِنْ فِتْنَةٍ قَدْ أَنَافَتْ[4] عَلَيْكُمْ، يَهْلِكُ فِيهَا مَنْ حُمَّ[5] أَجَلُهُ، وَيُحْمَى عَلَيْهِ مَنْ أَدْرَكَ أَمَلَهُ، وَهِيَ أَمَارَةُ الْأُزُوفِ[6]، وَمُبَاثَّتِكُمْ بِأَمْرِنَا وَنَهْيِنَا، وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ.

اعْتَصِمُوا بِالتَّقِيَّةِ مِنْ شَبِّ نَارِ الْجَاهِلِيَّةِ يَحْشُشُهَا[7] عُصَبٌ أُمَوِيَّةٌ، يَهُولُ بِهَا فِرْقَةٌ مَهْدِيَّةٌ، أَنَا زَعِيمٌ بِنَجَاةِ مَنْ لَمْ يَرُمْ مِنْهَا الْمَوَاطِنَ، وَسَلَكَ فِي الطَّعْنِ مِنْهَا السُّبُلَ الْمَرْضِيَّةَ إِذَا حَلَّ جُمَادَى الْأُولَى مِنْ سَنَتِكُمْ هَذِهِ، فَاعْتَبِرُوا بِمَا يَحْدُثُ فِيهِ، وَاسْتَيْقِظُوا مِنْ رَقْدَتِكُمْ لِمَا يَكُونُ مِنَ الَّذِي يَلِيهِ.

سَتَظْهَرُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةٌ جَلِيَّةٌ، وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلُهَا بِالسَّوِيَّةِ، وَيَحْدُثُ فِي أَرْضِ الْمَشْرِقِ مَا يُحْزِنُ وَيُقْلِقُ، وَيَغْلُبُ مِنْ بَعْدُ عَلَى الْعِرَاقِ طَوَائِفُ عَنِ الْإِسْلَامِ مُرَّاقٌ، تَضِيقُ بِسُوءِ فِعَالِهِمْ عَلَى أَهْلِهِ الْأَرْزَاقُ، ثُمَّ تَنْفَرِجُ الْغُمَّةُ مِنْ بَعْدِ بَوَارِ طَاغُوتٍ مِنَ الْأَشْرَارِ، يُسَرُّ بِهَلَاكِهِ الْمُتَّقُونَ الْأَخْيَارُ، وَيَتَّفِقُ لِمُرِيدِي الْحَجِّ مِنَ الْآفَاتِ مَا يُؤَمِّلُونَهُ مِنْهُ عَلَى تَوْفِيرِ عَلَيْهِ مِنْهُمْ وَاتِّفَاقٍ، وَلَنَا فِي تَيْسِيرِ حَجِّهِمْ عَلَى الِاخْتِيَارِ مِنْهُمْ وَالْوِفَاقِ شَأْنٌ يَظْهَرُ عَلَى نِظَامِ

---

(١) اللأواء: الشِّدَّة وضيق المعيشة.
(٢) اصطلمه: استأصله.
(٣) انتاشه: أنقذه.
(٤) أناف: طال وارتفع.
(٥) حمَّ: قرب.
(٦) الأزوف: الاقتراب.
(٧) حشّ النار: أوقدها.

وَاتِّسَاقٍ، فَلْيَعْمَلْ كُلُّ امْرِىءٍ مِنْكُمْ مَا يَقْرُبُ مِنْ مَحَبَّتِنَا، وَيَتَجَنَّبْ مَا يُدْنِيهِ مِنْ كَرَاهَتِنَا، فَإِنَّ امْرَنا بَغْتَةٌ فَجاءَةٌ حِينَ لَا تَنْفَعُهُ تَوْبَةٌ، وَلَا يُنْجِيهِ مِنْ عِقَابِنَا نَدَمٌ عَلَى حَوْبَةٍ.

وَاللَّهُ يُلْهِمُكَ الرُّشْدَ، وَيَلْطُفُ لَكُمْ بِالتَّوْفِيقِ بِرَحْمَتِهِ».

وقد وقَّعه الإمام عليه السلام بيده العليا، وكتب في أسفله:

«هَذَا كِتَابُنَا عَلَيْكَ أَيُّهَا الأَخُ الْوَلِيُّ، وَالْمُخْلِصُ فِي وُدِّنَا الصَّفِيُّ، وَالنَّاصِرُ لَنَا الْوَفِيُّ، حَرَسَكَ اللَّهُ بِعَيْنِهِ الَّتِي لَا تَنَامُ، فَاحْتَفِظْ بِهِ، وَلَا تُظْهِرْ عَلَى خَطِّنَا الَّذِي سَطَرْنَاهُ بِمَا ضَمَّناهُ أَحَداً، وَأَدِّ مَا فِيهِ إِلَى مَنْ تَسْكُنُ إِلَيْهِ، وَأَوْصِ جَمَاعَتَهُمْ بِالْعَمَلِ عَلَيْهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ»[١].

الرسالة الثانية:

وردت على الشيخ المعظَّم الشيخ المفيد نضَّر الله مثواه، رسالة ثانية من الإمام عليه السلام بتاريخ ٢٣/ ذي الحجَّة/ ٤١٢هـ، وهذا نصّها بعد البسملة:

«سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّاصِرُ لِلْحَقِّ، الدَّاعِي إِلَيْهِ بِكَلِمَةِ الصِّدْقِ، فَإِنَّا نَحْمَدُ اللَّهَ إِلَيْكَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، إِلَهَنَا وَإِلَهَ آبَائِنَا الأَوَّلِينَ، وَنَسْأَلُهُ الصَّلَاةَ عَلَى نَبِيِّنَا وَسَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ، وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ.

وَبَعْدُ، فَقَدْ كُنَّا نَظَرْنَا مُنَاجَاتَكَ، عَصَمَكَ اللَّهُ بِالسَّبَبِ الَّذِي وَهَبَهُ لَكَ مِنْ أَوْلِيَائِهِ، وَحَرَسَكَ مِنْ كَيْدِ أَعْدَائِهِ، وَشَفَّعْنَا ذَلِكَ الآنَ مِنْ مُسْتَقَرٍّ لَنَا يُنْصَبُ فِي شِمْرَاخٍ[٢] مِنْ بَهْمَاءَ[٣] صِرْنَا إِلَيْهِ آنِفاً مِنْ غَمَالِيلَ أَلْجَأَنا إِلَيْهِ السَّبَارِيتُ[٤] مِنَ الإِيمَانِ، وَيُوشِكُ أَنْ يَكُونَ هُبُوطُنَا إِلَى صَحْصَحٍ[٥] مِنْ غَيْرِ بُعْدٍ مِنَ الدَّهْرِ، وَلَا تَطَاوُلٍ مِنَ الزَّمَانِ، وَيَأْتِيكَ نَبَأٌ مِنَّا بِمَا يَتَجَدَّدُ لَنَا مِنْ حَالٍ، فَتَعْرِفُ بِذَلِكَ مَا نَعْتَمِدُهُ مِنَ الزُّلْفَةِ إِلَيْنَا بِالأَعْمَالِ، وَاللَّهُ مُوَفِّقُكَ لِذَلِكَ بِرَحْمَتِهِ، فَلْتَكُنْ حَرَسَكَ اللَّهُ بِعَيْنِهِ الَّتِي لَا تَنَامُ أَنْ تُقَابِلَ لِذَلِكَ فِتْنَةً تَسْبِلُ نُفُوسَ قَوْمٍ، حَرَثَتْ بَاطِلًا لِاسْتِرْهَابِ الْمُبْطِلِينَ، وَتَبْتَهِجُ لِدَمَارِهَا الْمُؤْمِنُونَ، وَيَحْزَنُ لِذَلِكَ الْمُجْرِمُونَ.

وَآيَةُ حَرَكَتِنَا مِنْ هَذِهِ اللُّوثَةِ حَادِثَةٌ بِالْحَرَمِ الْمُعَظَّمِ مِنْ رِجْسِ مُنَافِقٍ مُذَمَّمٍ، مُسْتَحِلٌّ

---

(١) الاحتجاج: ٢/ ٤٩٧ ـ ٤٩٨.

(٢) الشمراخ: هم صنف من الخوارج من أصحاب عبد الله بن شمراخ. قاله الجوهري.

(٣) البهماء: الشدائد من الأمور.

(٤) السبريت: القليل التافه.

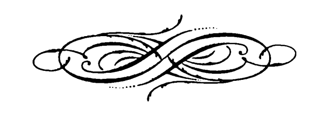
(٥) الصحصح: المستوي من الأرض.

لِلدَّمِ الْمُحَرَّمِ، يَعْمَدُ بِكَيْدِهِ أَهْلَ الْإِيمَانِ، وَلَا يَبْلُغُ بِذَلِكَ غَرَضَهُ مِنَ الظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ، لِأَنَّنَا مِنْ وَرَاءِ حِفْظِهِمْ بِالدُّعَاءِ الَّذِي لَا يُحْجَبُ عَنْ مَلِكِ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، فَلْتَطْمَئِنَّ بِذَلِكَ مِنْ أَوْلِيَائِنَا الْقُلُوبُ، وَلْيَثِقُوا بِالْكِفَايَةِ مِنْهُ، وَإِنْ رَاعَتْهُمْ بِهِمُ الْخُطُوبُ، وَالْعَاقِبَةُ بِجَمِيلِ صُنْعِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ تَكُونُ حَمِيدَةً لَهُمْ مَا اجْتَنَبُوا الْمَنْهِيَّ عَنِ الذُّنُوبِ.

وَنَحْنُ نَعْهَدُ إِلَيْكَ أَيُّهَا الْوَلِيُّ الْمُخْلِصُ، الْمُجَاهِدُ فِينَا الظَّالِمِينَ، أَيَّدَكَ اللَّهُ بِنَصْرِهِ الَّذِي أَيَّدَ بِهِ السَّلَفَ مِنْ أَوْلِيَائِنَا الصَّالِحِينَ، أَنَّهُ مَنِ اتَّقَى رَبَّهُ مِنْ إِخْوَانِكَ فِي الدِّينِ، وَأَخْرَجَ مِمَّا عَلَيْهِ إِلَىٰ مُسْتَحِقِّيهِ كَانَ آمِناً مِنَ الْفِتْنَةِ الْمُبْطِلَةِ، وَمِحَنِهَا الْمُظْلِمَةِ، وَمَنْ بَخِلَ مِنْهُمْ بِمَا أَعَارَهُ اللَّهُ مِنْ نِعْمَتِهِ عَلَى مَنْ أُمِرَ بِصِلَتِهِ، فَإِنَّهُ يَكُونُ خَاسِراً بِذَلِكَ لِأُولَاهُ وَآخِرَتِهِ، وَلَوْ أَنَّ أَشْيَاعَنَا وَفَّقَهُمُ اللَّهُ لِطَاعَتِهِ عَلَى اجْتِمَاعٍ مِنَ الْقُلُوبِ فِي الْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ عَلَيْهِمْ لَمَا تَأَخَّرَ عَنْهُمُ الْيُمْنُ بِلِقَائِنَا، وَلَتَعَجَّلَتْ لَهُمُ السَّعَادَةُ بِمُشَاهَدَتِنَا عَلَى حَقِّ الْمَعْرِفَةِ، وَصِدْقِهَا مِنْهُمْ بِنَا، فَمَا يَحْبِسُنَا عَنْهُمْ إِلَّا مَا يَتَّصِلُ بِنَا مِمَّا نَكْرَهُهُ، وَلَا نُؤْثِرُهُ مِنْهُمْ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ، وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، وَصَلَوَاتُهُ عَلَى سَيِّدِنَا الْبَشِيرِ النَّذِيرِ، مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ، وَسَلَّمَ».

كتب في غرَّة شوَّال من سنة اثني عشرة وأربعمائة، ووقَّع الكتاب بخطِّه الشريف، وأضاف فيه:

«هَذا كِتَابُنَا إِلَيْكَ الْوَلِيُّ الْمُلْهَمُ لِلْحَقِّ، الْعَلِيِّ بِإِمْلَائِنَا وَخَطِّ ثِقَتِنَا، فَاخْفِهِ عَنْ كُلِّ أَحَدٍ، وَاطْوِهِ وَاجْعَلْ لَهُ نُسْخَةً يَطَّلِعُ عَلَيْهَا مَنْ تَسْكُنُ إِلَى أَمَانَتِهِ مِنْ أَوْلِيَائِنَا، شَمَلَهُمُ اللَّهُ بِبَرَكَتِنَا وَدُعَائِنَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَالصَّلَاةُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ، وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ»[1].



(١) الاحتجاج: ٢/٣٢٤ ـ ٣٢٥.

نماذج من فقهه عليه السلام

١ ـ مسائل محمَّد بن عبد الله بن جعفر:

سأل محمَّد بن عبد الله بن جعفر الإمام المنتظر عليه السلام عن مجموعة من المسائل الفقهيَّة، وقد أرفقها برسالة جاء فيها بعد البسملة:

«أطال الله بقاءك، وأدام الله عزَّك وتأييدك، وسعادتك وسلامتك، وأتمَّ نعمته عليك، وزاد في إحسانه إليك، وجميل مواهبه لديك، وفضله عندك، وجعلني من السوء فداك، وقدَّمني قبلك، الناس يتنافسون في الدرجات، فمن قبلتموه كان مقبولاً، ومن دفعتموه كان وضيعاً، والخامل من وضعتموه، ونعوذ بالله من ذلك، وببلدنا ـ أيَّدك الله ـ جماعة من الوجوه يتساوون، ويتنافسون في المنزلة، وورد أيَّدك الله كتابك إلى جماعة منهم في أمر أمرتهم به من معاونة (ص)[1].

وأخرج عليّ بن محمَّد بن الحسن بن الملك المعروف بـ(ملك بادوكة) وهو ختن (ص) رحمه الله من بينهم، فاغتمَّ بذلك، وسألني أيَّدك الله أن أُعلمك ما ناله من ذلك، فإن كان من ذنب فيستغفر الله منه، وإن يكن غير ذلك عرفته ما تسكن نفسه إليه إن شاء الله، وقد عوَّدتني ـ أدام الله عزَّك ـ من تفضُّلك ما أنت أهل أن تخبرني على العادة، وقبلك، أعزَّك الله، فقهاؤنا قالوا: محتاجين إلى أشياء تسأل لنا عنها...».

المسألة الأولى: روي لنا عن العالم عليه السلام أنَّه سئل عن إمام قوم صلَّى بهم بعض صلاتهم، وحدثت عليه حادثة كيف يعمل من خلفه، فقال: **«يُؤَخَّرُ، وَيَتَقَدَّمُ بَعْضُهُمْ، وَيُتِمُّ صَلاَتَهُمْ، وَيَغْتَسِلُ مِنْ مَسِّه؟»**.

الجواب: **«لَيْسَ عَلَىٰ مَنْ نَحَّاهُ إِلَّا غَسْلُ الْيَد، وَإِذَا لَمْ يُحْدِثْ حَادِثَةً تَقْطَعُ الصَّلاَةَ تَمَّمَ صَلاَتَهُ مَعَ الْقَوْم»**.

---

(١) لقد كانت للإمام عليه السلام مجموعة من الرسائل بعثها إلى خيار الشيعة، ولكنَّا لم نعثر عليها سوى ما ذكرناه. الغيبة: ص٣٧٥. الاحتجاج: ٢/٣٠١. بحار الأنوار: ٥٣/١٥١.

المسألة الثانية: روي عن العالم أنَّ من مسَّ ميّتاً بحرارته غسل يده، ومن مسَّه وقد برد فعليه الغسل، وهذا الإمام في هذه الحالة لا يكون إلاَّ بحرارة، فالعمل بذلك على ما هو ولعلَّه ينحيه بثيابه ولا يمسّه، فكيف يجب عليه الغسل؟

الجواب: **«إِذَا مَسَّهُ عَلَىٰ هَذِهِ الْحَالِ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ إِلَّا غَسْلُ يَدِه»**.

المسألة الثالثة: صلاة جعفر إذا سها في التسبيح في قيام أو ركوع أو سجود، وذكره في حال أُخرى قد صار فيها من هذه الصلاة، هل يعيد ما فاته من ذلك التسبيح في الحالة التي ذكرها أم يتجاوز في صلاته؟

الجواب: **«إِذَا سَهَا فِي حَالَةٍ مِنْ ذَلِكَ، ثُمَّ ذَكَرَ فِي حَالَةٍ أُخْرَىٰ قَضىٰ مَا فَاتَهُ فِي الْحَالَةِ الَّتِي ذَكَرَه. لَوْ سَهَا عَنْ بَعْضِ الأَذْكَارِ كَالتَّسبِيحاتِ يَأْتِي بِهَا فِي الْمَحَلِّ الآخَرِ وَصَحَّتْ صَلاَتُه»**.

المسألة الرابعة: المرأة بموت زوجها يجوز أن تخرج في جنازته أم لا؟

الجواب: **«تَخْرُجُ فِي جَنَازَتِهِ»**.

المسألة الخامسة: هل يجوز في عدَّتها أن تزور قبر زوجها أم لا؟

الجواب: **«تَزورُ قَبْرَ زَوْجِهَا، وَلاَ تَبِيتُ عَنْ بَيْتِها»**.

المسألة السادسة: هل يجوز لها أن تخرج في قضاء يلزمها، أم لا تخرج وهي في عدَّتها؟

الجواب: **«إِذَا كَانَ حَقٌّ خَرَجَتْ فِيهِ وَقَضَتْهُ، وَإِنْ كَانَتْ لَهَا حَاجَةٌ وَلَمْ يَكُنْ لَهَا مَنْ يَنْظُرُ فِيهَا خَرَجَتْ بِهَا حَتَّى تَقْضِيَهَا، وَلاَ تَبِيتُ إِلَّا فِي بَيْتِهَا»**.

المسألة السابعة: روي في ثواب القرآن في الفرائض وغيرها: أنَّ العالم عليه السلام قال: **«عَجَباً لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ فِي صَلاَتِهِ ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ كَيْفَ تُقْبَلُ صَلاتُهُ»**.

وروي: **«مَا زَكَتْ صَلاَةُ مَنْ لَمْ يَقْرَأْ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾»**.

وروي: **«أَنَّ مَنْ قَرَأَ فِي فَرَائِضِهِ الْهُمَزَةَ أُعْطِيَ مِنْ الثَّوابِ قَدَرَ الدُّنْيا»**، فهل يجوز أن يقرأ الهمزة ويدع هذه السور التي ذكرناها مع ما قد روي أنَّه لا تقبل صلاة ولا تزكو إلاَّ بهما؟

أجاب الإمام عليه السلام عن هذه المسائل الثلاث بما يلي:

الجواب: **«الثَّوابُ فِي السُّورِ عَلَىٰ مَا قَدْ رُوِيَ، وَإِذَا تَرَكَ سُورةً مِمَّا فِيها الثَّوابْ وَقَرَأَ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ أَوْ ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾ لِفَضْلِهِما أُعْطِيَ ثَوَابَ مَا قَرَأَ وَثَوَابَ السُّورَةِ**

الَّتي تَركَ، وَيَجوزُ أَنْ يَقْرَأَ غَيْرَ هاتَيْنِ السُّورَتَيْنِ وَتَكُونُ صَلاتُهُ تامَّةً، وَيَكُونُ قَدْ تَرَكَ الْفَضْلَ».

المسألة الثامنة: وداع شهر رمضان متى يكون؟ فقد اختلف فيه أصحابنا، فبعضهم يقول: يقرأ في آخر ليلة منه، وبعضهم يقول: هو في آخر يوم منه إذا رأى هلال شوَّال.

الجواب: **«الْعَمَلُ فِي شَهْرِ رَمَضانَ فِي لَيالِيهِ، وَالْوَداعُ فِي آخِرِ لَيْلَةٍ مِنْهُ، فَإِذا خافَ أَنْ يَنْقُصَ الشَّهْرُ جَعَلَهُ فِي لَيْلَتَيْنِ»**.

المسألة التاسعة: قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾[1] أنَّ رسول الله ﷺ المعنيّ به ﴿ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ﴾[2]، ما هذه الطاعة؟ وأين هي؟

وقد أحال الإمام عليه السلام الجواب عن هذه الآيات إلى مصادر التفسير، ولم يجب عنها.

٢ ـ مسائل أُخرى لمحمَّد:

ووجَّه محمَّد بن عبد الله الحميري مسائل أُخرى إلى الإمام عليه السلام، وقد رفقها بهذه الكلمات: فرأيك ـ أدام الله عزَّك ـ في تأمُّل رقعتي، والتفضُّل بما أسأل من ذلك لأُضيفه إلى سائر أياديك عندي، ومنِّك عليَّ، وهذه المسائل:

الأُولى: المصلِّي إذا قام من التشهُّد الأوَّل إلى الركعة الثالثة، هل يجب عليه أن يكبِّر؟ فإنَّ بعض أصحابنا قال: لا يجب عليه التكبير، ويجزيه أن يقول: «بحول الله وقوّته أقوم وأقعد».

الجواب: **«إِنَّ فِيهِ حَديثَيْنِ: أَمَّا أَحَدُهُما، فَإِنَّهُ إِذا انْتَقَلَ مِنْ حالَةٍ إِلَىٰ حالَةٍ أُخْرَىٰ فَعَلَيْهِ التَّكْبِيرُ، وَأَمَّا الآخَرُ فَإِذا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ السَّجْدَةِ الثَّانِيَةِ فَكَبَّرَ ثُمَّ جَلَسَ، ثُمَّ قامَ، فَلَيْسَ عَلَيْهِ فِي الْقِيامِ بَعْدَ الْقُعُودِ تَكْبِيرٌ، وَكَذلِكَ فِي التَّشَهُّدِ الأَوَّلِ يَجْرِي مِثْلَ هٰذا الْمَجْرىٰ، وَبِأَيِّهِما أَخَذْتَ مِنْ بابِ التَّسْلِيمِ كانَ صَواباً»**.

الثانية: الفصّ (الخماهن) هل تجوز فيه الصلاة إذا كان في إصبعه؟

الجواب: **«فِيهِ كَراهِيَّةٌ أَنْ يُصَلِّيَ فِيهِ، وَفِيهِ أَيْضاً إِطْلاقٌ، وَالْعَمَلُ عَلَى الْكَراهَةِ»**.

الثالثة: رجل اشترى هدياً لرجل غاب عنه، وسأله أن ينحر عنه هدياً بـ(منى)، فلمَّا

---

(١) سورة التكوير: الآية ١٩.

(٢) سورة التكوير: الآية ٢٠.

أراد نحر الهدي نسي اسم الرجل ونحر الهدي، ثمَّ ذكره بعد ذلك، أيجزي عن الرجل أم لا؟

الجواب: «لاَ بَأْسَ بِذَلِكَ، وَقَدْ أَجْزَأَ عَنْ صَاحِبِهِ».

الرابعة: عندنا مجوس يأكلون الميتة، ولا يغتسلون في الجنابة، وينسجون لنا ثياباً، فهل يجوز الصلاة فيها من قبل أن تُغسل؟

الجواب: «لاَ بَأْسَ بِالصَّلاةِ فِيهَا».

الخامسة: المصلِّي يكون في صلاة اللَّيل في ظلمة، فإذا سجد يغلط بالسجادة، ويضع جبهته على (مسح[1] أو نطع[2])، فإذا وقع رأسه وجد السجَّادة هل يعتد بهذه السجدة أم لا يعتد؟

الجواب: «مَا لَمْ يَسْتَوِ جَالِساً فَلاَ شَيْءَ عَلَيْهِ فِي رَفْعِ رَأْسِهِ لِطَلَبِ الْخُمْرَةِ»[3].

السادسة: المحرم يرفع الظلال، هل يرفع خشب العارية أو الكنيسة[4] ويرفع الجناحين أم لا؟

الجواب: «لاَ شَيْءَ عَلَيْهِ فِي تَرْكِ رَفْعِ الْخَشَبِ».

السابعة: المحرم يستظلّ من المطر بنطع أو غيره حذراً على ثيابه، وما في محمله أن يبتلّ، فهل يجوز ذلك؟

الجواب: «إِذَا فَعَلَ ذَلِكَ فِي الْمَحْمَلِ فِي طَرِيقِهِ، فَعَلَيْهِ دَمٌ».

التاسعة: الرجل يحجّ عن أحد، هل يحتاج أن يذكر الذي حجَّ عنه عند عقد إحرامه أم لا؟ وهل يجب أن يذبح عمَّن حجَّ عنه وعن نفسه أم يجزيه هدي واحد؟

الجواب: «يَجْزِيهِ هَدْيٌ وَاحِدٌ، وَإِنْ لَمْ يَفْصِلْ فَلاَ بَأْسَ».

العاشرة: هل يجوز للرجل أن يحرم في كساء خزّ أم لا؟

الجواب: «لاَ بَأْسَ بِذَلِكَ، وَقَدْ فَعَلَهُ قَوْمٌ صَالِحونَ».

---

(١) المسح: اللباس.

(٢) النطع: بساط من الأديم.

(٣) الخمرة: سجَّادة صغيرة تعمل من سعف النخل، وتزمّل بالخيوط لأجل السجود عليها، مجمع البحرين: ١/١ ـ ٧.

(٤) العماريَّة: المحمل الذي يوضع على الناقة. الكنيسة: شيء يوضع في المحمل أو الرحل، ويلقى عليه ثوب يستظلّ به الراكب، وفي الحديث: «لاَ يَرْكَبُ الْمُحْرِمُ فِي الْكَنِيسَةِ»، وهي للنساء جائز، مجمع البحرين: ٤/٧٦.

الحادية عشرة: هل يجوز للرجل أن يصلّي في بطيط لا يغطّي الكعبين أم لا يجوز؟

الجواب: **«جَائِزٌ»**.

الثانية عشرة: يصلّي الرجل وفي كمّه أو سراويله سكّين أو مفتاح حديد، هل يجوز ذلك؟

الجواب: **«جَائِزٌ»**.

الثالثة عشرة: الرجل يكون معه بعض هؤلاء، ويكون متّصلاً بهم بحجّ ويأخذ على الجادة ولا يحرم هؤلاء، من المسلخ[1]، فهل يجوز لهذا أن يؤخّر إحرامه إلى (ذات عرق) فيحرم معهم، لما يخاف الشهوة، أم لا يجوز إلاّ أن يحرم من المسلخ؟

الجواب: **«يُحْرِمُ مِنَ الْمِيقَاتِ، وَيُلَبِّي فِي نَفْسِهِ، فَإِذَا بَلَغَ إِلَىٰ مِيقَاتِهِمْ أَظْهَرَ»**.

الرابعة عشرة: لبس النعل المعطون، فإنّ بعض أصحابنا يذكر أنّ لبسه كريه؟

الجواب: **«جَائِزٌ، وَلاَ بَأْسَ بِهِ»**.

الخامسة عشرة: الرجل من وكلاء الوقف مستحلّ لما في يده، ولا يرع عن أخذ ماله، ربّما نزلت في قريته وهو فيها، أو أدخل منزله، وقد حضر طعامه فيدعوني إليه، فإن لم آكل من طعامه عاداني وقال: فلان لا يستحلّ أن يأكل من طعامنا، فهل يجوز أن آكل من طعامه، وأتصدّق بصدقة؟ وكم مقدار الصدقة؟ وإن أهدى هذا الوكيل هدية إلى رجل آخر فأحضر فيدعوني إلى أن أنال منها، وأنا أعلم أنّ الوكيل لا يرع عن أخذ ما في يده، فهل عليَّ فيه شيء إن أنا نلت منها؟

الجواب: **«إِنْ كَانَ لِهَذَا الرَّجُلِ مَالٌ أَوْ مَعَاشٌ غَيْرُ مَا فِي يَدِهِ فَكُلْ طَعَامَهُ، وَأَقْبَلْ بِرَّهُ، وَإِلَّا فَلاَ»**.

السادسة عشرة: رجل ممّن يقول بالحقّ، ويرى المتعة، ويقول بالرجعة، إلاّ أنّ له أهلاً موافقة له في جميع أُموره، وقد عاهدها أن لا يتزوّج عليها، ولا يتمتّع ولا يتسرّى، وقد فعل هذا منذ تسع عشرة سنة، ووفى بقوله، فربّما غاب عن منزله الأشهر فلا يتمتّع، ولا تتحرّك نفسه أيضاً لذلك، ويرى أنّ وقوف من معه من أخ وولد وغلام ووكيل وحاشية ما يقلّله في أعينهم، ويحبّ المقام على ما هو عليه محبّة لأهله، وميلاً إليها، وصيانة لها ولنفسه؛ لا لتحريم المتعة بل يدين لله بها، فهل عليه في ترك ذلك مأثم أم لا؟

---

(١) المسلخ: أحد جوانب العقيق، وهو ميقات أهل العراق، ويستحب أن يحرم منه.

الجواب: «يُسْتَحَبُّ لَهُ أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ تَعَالَىٰ بِالْمِتْعَةِ لِيَزُولَ عَنْهُ الْحَلَفُ بِالْمَعْصِيَةِ وَلَوْ مَرَّةً»[1].

٣ ـ مسائل محمَّد:

ورفع محمَّد بن عبد الله الحميري إلى الإمام عليه السلام مجموعة أُخرى من المسائل يطلب الإجابة عنها، فأجابه عليه السلام عنها، وهي:

الأولى: المحرم يجوز أن يشدّ المئزر من خلفه على عقبه بالطول، ويرفع طرفيه إلى حقويه، ويجمعهما في خاصرته، ويعقدهما ويخرج الطرفين الآخرين من بين رجليه، ويرفعهما إلى خاصرته ويشدُّ طرفيه وركيه فيكون مثل السراويل يستر ما هناك، فإنَّ المئزر الأوَّل كنَّا نتَّزر به إذا ركب الرجل جمله يكشف ما هناك، وهذا ستر؟

الجواب: «جَازَ أَنْ يَتَّزِرَ الإِنْسَانُ كَيْفَ شَاءَ إِذَا لَمْ يُحْدِثْ فِي الْمِئْزَرِ شَيْئاً حَدَثاً بِمِقْرَاظٍ وَلاَ إِبْرَةٍ يُخْرِجُهُ بِهِ عَنْ حَدِّ الْمِئْزَرِ، وَغَرَزَهُ غَرْزاً، وَلَمْ يَعْقِدْهُ، وَلَمْ يَشُدَّ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ وَإِذَا غَطَّىٰ سُرَّتَهُ وَرُكْبَتَيْهِ كِلاَهُمَا فَإِنَّ السُّنَّةَ الْمُجْمَعَ عَلَيْهَا بِغَيْرِ خِلاَفٍ تَغْطِيَةُ السُّرَّةِ وَالرُّكْبَتَيْنِ، وَالأَحَبُّ إِلَيْنَا وَالأَفْضَلُ لِكُلِّ أَحَدٍ شَدُّهُ عَلَىٰ السَّبِيلِ الْمَأْلُوفَةِ الْمَعْرُوفَةِ لِلنَّاسِ جَمِيعاً إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَىٰ».

الثانية: هل يجوز أن يشدّ ـ أي المحرم ـ عليه مكان العقد تكَّة؟

الجواب: «لاَ يَجُوزُ شَدُّ الْمِئْزَرِ بِشَيْءٍ سِواهُ مِنْ تِكَّةٍ وَلاَ غَيْرِهَا».

الثالثة: التوجُّه للصلاة، هل على المصلِّي أن يقول: «على ملَّة إبراهيم، ودين محمَّد صلى الله عليه وآله»، فإنَّ بعض أصحابنا ذكر أنَّه إذا قال: «على دين محمَّد صلى الله عليه وآله» فقد أبدع لأنَّا لم نجده في شيء من كتب الصلاة خلا حديثاً في كتاب القاسم عن جدّه، عن الحسن بن راشد، أنَّ الصادق عليه السلام قال للحسن: «كيف تتوجَّه؟

فقال: أقول: لبَّيك وسعديك.

فقال له الصادق عليه السلام: ليس عن هذا أسألك كيف تقول: وجَّهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً مسلماً؟

قال الحسن: أقوله.

(١) الاحتجاج: ٢/ ٤٨٣ ـ ٤٨٥.

فقال الصادق عليه السلام: إذا قلت ذلك فقل: على ملّة إبراهيم، ودين محمّد ﷺ، ومنهاج عليّ بن أبي طالب، والائتمام بآل محمّد حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين؟

الجواب: «التَّوَجُّهُ كُلُّهُ لَيسَ بِفَرِيضَةٍ، وَالسُّنَّةُ الْمُؤَكَّدَةُ فِيهِ الَّتِي هِيَ كَالإِجْمَاعِ الَّذِي لاَ خِلاَفَ فِيهِ: وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً مُسْلِماً عَلَىٰ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ، وَدِينِ مُحَمَّدٍ، وَهَدْيِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ، أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ، ثُمَّ اقْرَأَ الْحَمْدَ».

الرابعة: القنوت في الفريضة إذا فرغ من دعائه يجوز أن يردّ يديه على وجهه وصدره، للحديث الذي روي: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَجَلُّ مِنْ أَنْ يَرُدَّ يَدَيْ عَبْدِهِ صُفْراً، بَلْ يَمْلأُهَا مِنْ رَحْمَتِهِ» أم لا يجوز، فإنَّ بعض أصحابنا ذكر أنّه عمل في الصلاة؟

الجواب: «رَدُّ الْيَدَيْنِ مِنَ الْقُنُوتِ عَلَىٰ الرَّأْسِ وَالْوَجْهِ غَيْرُ جَائِزٍ فِي الْفَرَائِضِ، وَالَّذِي عَلَيْهِ الْعَمَلُ فِيهِ، إِذَا رَجَعَ يَدَهُ فِي قُنُوتِ الْفَرِيضَةِ وَفَرَغَ مِنَ الدُّعَاءِ أَنْ يَرُدَّ بَطْنَ رَاحَتَيْهِ مَعَ صَدْرِهِ تِلْقَاءَ رُكْبَتَيْهِ عَلَىٰ تَمَهُّلٍ وَيُكَبِّرُ، وَيَرْكَعُ، وَالْخَبَرُ صَحِيحٌ وَهُوَ فِي نَوَافِلِ النَّهَارِ وَاللَّيْلِ دُونَ الْفَرَائِضِ، وَالْعَمَلُ بِهِ فِيهَا أَفْضَلُ».

الخامسة: سجدة الشكر بعد الفريضة، فإنَّ بعض أصحابنا ذكر أنّها بدعة، فهل يجوز أن يسجدها الرجل بعد الفريضة، وإن جاز ففي صلاة المغرب هي بعد الفريضة أو بعد الأربع ركعات النافلة؟

الجواب: «سَجْدَةُ الشُّكْرِ مِنْ أَلْزَمِ السُّنَنِ وَأَوْجَبِهَا، وَلَمْ يَقُلْ: إِنَّ هَذِهِ السَّجْدَةَ بِدْعَةٌ إِلَّا مَنْ أَرَادَ أَنْ يُحْدِثَ بِدْعَةً فِي دِينِ اللَّهِ.

فَأَمَّا الْخَبَرُ الْمَرْوِيُّ فِيهَا بَعْدَ صَلاَةِ الْمَغْرِبِ، وَالاخْتِلاف فِي أَنَّهَا بَعْدَ الثلاث أو بَعْدَ الأربع، فَإِنَّ فضل الدُّعاء والتّسبيح بعد الفرائض على الدُّعاء بعقيب النوافل، كفضل الفرائض على النوافل، والسَّجدة دعاء وتسبيح، فالأفضل أن تكون بعد الفرض، فإن جعلت بعد النوافل أيضاً جاز».

السادسة: إنَّ لبعض إخواننا ممَّن نعرفه ضيعة جديدة بجنب ضيعة خراب، للسلطان فيها حصَّة، وأكرته ـ أي عمّالها ـ ربَّما زرعوا حدودها، ويؤذيهم عمَّا السلطان، ويتعرَّضون في الكلّ من غلات ضيعته، وليس لها قيمة لخرابها، وإنَّما هي بائرة منذ عشرين سنة، وهو يتحرَّج من شرائها لأنّه يُقال: إنَّ هذه الحصَّة من هذه الضيعة كان

قبضت على الوقف قديماً للسلطان، فإن جاز شراؤها من السلطان، وكان ذلك صلاحاً له وعمارة لضيعته، وأنَّه يزرع هذه الحصَّة من القرية البائرة لفصل ماء ضيعته العامرة، وينحسم عنه طمع أولياء السلطان، وإن لم يجز ذلك عمل بما تأمره به إن شاء الله تعالى.

الجواب: **«الضَّيْعَةُ لاَ يَجُوزُ ابْتِيَاعُهَا إِلَّا مِنْ مَالِكِهَا أَوْ بِأَمْرِهِ، أَوْ رِضَاءٍ مِنْهُ»**.

السابعة: رجل استحلَّ امرأة خارجة من حجابها، وكان يحترز من أن يقع له ولد، فجاءت بابن فتحرَّج الرجل إلاَّ يقبله، فقبله وهو شاك فيه، وجعل يجري النفقة على أُمّه وعليه حتَّى ماتت الأُمّ، وهو ذا يجري عليه غير أنَّ شاكّ فيه ليس يخلطه بنفسه، فإن كان ممَّن يحبّ أن يخلطه بنفسه، ويجعله كسائر ولده فعل ذلك، وإن جاز أن يجعل له شيئاً من ماله دون حقّه فعل؟

الجواب: **«الاسْتِحْلاَلُ بِالْمَرْأَةِ يَقَعُ عَلَىٰ وُجوهٍ، وَالْجَوَابُ يَخْتَلِفُ فِيهَا فَلْيَذْكُرِ الْوَجْهَ الَّذِي وَقَعَ الاسْتِحْلاَلُ بِهِ مَشْروحاً لِيَعْرِفَ الْجَوَابَ فِيمَا يَسْأَلُ عَنْهُ مِنْ أَمْرِ الْوَلَدِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ»**.

الثامنة: التماس الدُّعاء من الإمام عليه السلام للسائل.

الجواب: **«جَادَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِمَا هُوَ جَلَّ وَتَعَالَىٰ أَهْلُهُ، إِيجابُنَا لِحَقِّهِ، وَرِعَايَتُنَا لأَبِيهِ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَقُرْبُهُ مِنَّا، وَقَدْ رَضِينَا بِمَا عَلِمْنَاهُ مِنْ جَمِيلِ نِيَّتِهِ، وَوَقَفْنا عَلَيْهِ مِنْ مُخَاطَبَتِهِ، الْمُقِرُّ لَهُ مِنَ اللَّهِ الَّتِي يُرْضِي اللَّهَ عَزَّ وجَلَّ وَرَسُولَهُ وَأَوْلِيَائُهُ عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ وَالرَّحْمَةُ بِمَا بَدَأْنَا.**

نَسْأَلُ اللَّهَ بِمَسْأَلَتِهِ مَا أَمَّلَهُ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ عَاجِلٍ وَآجِلٍ، وَأَنْ يُصْلِحَ لَهُ مِنْ أَمْرِ دِينِهِ وَدُنْيَاهُ مَا يَجِبُ صَلاَحُهُ، إِنَّهُ وَلِيٌّ قَدِيرٌ»[1].

٤ ـ مسائل محمَّد:

ومن بين مسائل محمَّد بن عبد الله الحميري المسائل التالية، وقد شفعها بهذه الرسالة الموجزة:

«أطال الله بقاءك، وأدام عزّك وكرامتك، وسعادتك وسلامتك، وأتمَّ نعمته عليك، وزاد في إحسانه إليك، وجميل مواهبه لديك، وفضله عليك، وجزيل قسمه لك، وجعلني من السوء كلّه فداك، وقدَّمني قبلك».

---

(١) الاحتجاج: ٢/٣٠٦ ـ ٣٠٩.

وهذا نصّ مسائله:

الأُولى: إنَّ قبلنا مشايخ وعجائز يصومون رجب منذ ثلاثين سنة، ويصلون شعبان وشهر رمضان، وروى لهم بعض أصحابنا: أنَّ صومه معصية.

الجواب: **«يَصومُ مِنْهُ أَيَّاماً إِلَىٰ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْماً، إِلَّا أَنَّ يَصومَهُ عَنِ الثَّلاثَةِ أَيَّامِ الْفَائِتَةِ لِلْحَدِيث: إِنَّ نِعْمَ شَهْرٌ لِلْقَضَاءِ رَجَب»**.

الثانية: رجل يكون في محمله الثلج كثير ـ بقامة رجل ـ، فيتخوَّف إن نزل الغوص فيه، وربَّما يسقط الثلج وهو على تلك الحال، ولا يستوي له أن يلبد شيء منه لكثرته وتهافته، هل يجوز أن يصلّي في المحمل الفريضة؟ فقد فعلنا ذلك أيَّاماً فهل علينا في ذلك إعادة أم لا؟

الجواب: **«لاَ بَأْسَ بِهِ عِنْدَ الضَّرورَةِ وَالشِّدَّةِ»**.

الثالثة: الرجل يلحق الإمام هو راكع فيركع معه، ويحتسب تلك الركعة، فإنَّ بعض أصحابنا قال: إن لم يسمع تكبيرة الركوع فليس له أن يعتدّ بتلك الركعة.

الجواب: **«إِذَا لَحِقَ ـ أَيِ الْمَأْمومُ ـ مَعَ الإِمَامِ مِنْ تَسْبِيحِ الرُّكوعِ تَسْبِيحَةً وَاحِدَةٍ اعْتَدَّ بِتِلْكَ الرَّكْعَةِ، وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ تَكْبِيرَةَ الرُّكوعِ»**.

الرابعة: أهل الجنَّة هل يتوالدون فيها إذا دخلوا أم لا؟

الجواب: **«أَهْلُ الْجَنَّةِ لاَ حَمْلَ فِيهَا لِلنِّسَاءِ، وَلاَ وِلاَدَةَ، وَلاَ طَمْثَ، وَلاَ نِفَاسَ، وَلاَ شَقَاءَ بِالطُّفوليَّةِ، وَفِيهَا مَا تَشْتَهِي الأَنْفُسُ، وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ. فَإِذَا اشْتَهَىٰ الْمُؤْمِنُ وَلَداً خَلَقَهُ اللَّهُ بِغَيْرِ حَمْلٍ، وَلاَ وِلاَدَةٍ عَلَىٰ الصُّورَةِ الَّتِي يُرِيدُ، كَمَا خَلَقَ آدَمَ»**.

الخامسة: هل يجوز للرجل أن يتزوَّج ابنة امرأته؟

الجواب: **«إِنْ كَانَتْ رُبِّيَتْ فِي حِجْرِهِ فَلاَ يَجوزُ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ رُبِّيَتْ فِي حِجْرِهِ وَكَانَتْ أُمُّهَا فِي غَيْرِ عِيَالِهِ، فَقَدْ رُوِيَ أَنَّهُ جَائِزٌ»**.

السادسة: طين القبر يوضع مع الميِّت في قبره، هل يجوز ذلك أم لا؟

الجواب: **«يُوضَعُ مَعَ الْمَيِّتِ فِي قَبْرِهِ، وَيُخْلَطُ بِحُنوطِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ»**.

السابعة: روي لنا أنَّ الصادق عليه السلام كتب على إزار ابنه إسماعيل: «يشهد أن لا إله إلاَّ الله»، فهل يجوز أن نكتب مثل ذلك بطين القبر أم غيره؟

الجواب: **«يَجوزُ ذَلِكَ»**.

الثامنة: هل يجوز أن يسبِّح الرجل بطين القبر، وهل فيه فضل؟

الجواب: **يسبِّح الرجل به، فما من شيء أفضل منه، ومن فضله أنَّ الرجل ينسى التسبيح، ويدير السبحة فيكتب له التسبيح.**

التاسعة: السجدة على لوح من طين القبر، هل فيها فضل؟

الجواب: **«يَجوزُ ذَلِكَ، وَفِيهِ الْفَضْلُ»**.

العاشرة: الرجل يزور قبور الأئمَّة عليهم السلام، هل يجوز أن يسجد على القبر أم لا؟ وهل يجوز لمن صلَّى عند بعض قبورهم أن يقوم وراء القبر، ويجعل القبر قبلة، ويقوم عند رأسه ورجليه؟ وهل يجوز أن يتقدَّم القبر ويصلِّي ويجعل القبر خلفه أم لا؟

الجواب: **«أَمَّا السُّجود عَلَىٰ الْقَبْرِ فَلاَ يَجوزُ فهي نَافِلَةٍ وَلاَ فَرِيضَةٍ وَلاَ زِيَارَةٍ، وَالَّذِي عَلَيْهِ الْعَمَلُ أَنْ يَضَعَ خَدَّهُ الأَيْمَنَ عَلَىٰ الْقَبْرِ.**

وَأَمَّا الصَّلاَةُ فَإِنَّهَا خَلْفُهُ، وَيَجْعَلُ الْقَبْرَ أَمَامَهُ، وَلاَ يَجوزُ أَنْ يُصَلِّيَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَلاَ عَنْ يَمِينِهِ، وَلاَ عَنْ يَسَارِهِ؛ لأَنَّ الإِمَامَ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لاَ يَتَقَدَّمُ وَلاَ يُساوىٰ».

الحادية عشرة: يجوز للرجل أن يدير السبحة بيده اليسار إذا سبَّح أو لا يجوز؟

الجواب: **«يَجوزُ ذَلِكَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبَّ الْعَالَمِينَ»**.

الثانية عشرة: يجوز للرجل إذا صلَّى الفريضة أو النافلة وبيده السبحة أن يديرها وهو في الصلاة؟

الجواب: **«يَجوزُ ذَلِكَ إِذَا خَافَ السَّهْوَ وَالْغَلَطَ»**.

الثالثة عشرة: روي عن (الفقيه) خبرٌ مأثور إذا كان الوقف على قوم بأعيانهم وأعقابهم، فاجتمع أهل الوقف على بيعه، وكان ذلك أصلح لهم أن يبيعوه، فهل يجوز أن يشتري من بعضهم إن لم يجتمعوا كلّهم على البيع، أم لا يجوز إلاَّ أن يجتمعوا كلّهم على ذلك؟ وعن الوقف الذي لا يجوز بيعه؟

الجواب: **«إِذَا كَانَ الْوَقْفُ عَلَىٰ إِمَامِ الْمُسْلِمِينَ فَلاَ يَجوزُ بَيْعُهُ، وَإِنْ كَانَ عَلَىٰ قَوْمٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَلْيَبِعْ كُلُّ قَوْمٍ مَا يَقْدِرونَ عَلَىٰ بَيْعِهِ مُجْتَمِعِينَ وَمُتَفَرِّقِينَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ»**.

الرابعة عشرة: هل يجوز للمحرم أن يصير على إبطه المرتك والتوتيا لريح العرق أم لا يجوز؟

الجواب: **«يَجوزُ ذَلِكَ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ»**.

الخامسة عشرة: الضرير إذا شهد في حال صحَّته على شهادة، ثمَّ كفَّ بصره، ولا

يرى خطَّه فيعرفه، هل تجوز شهادته أم لا؟ وإن ذكر هذا الضرير الشهادة هل يجوز أن يشهد على شهادته أم لا يجوز؟

الجواب: **«إِذَا حَفِظَ الشَّهَادَةَ وَحَفِظَ الْوَقْتَ جَازَتْ شَهَادَتُهُ»**.

السادسة عشرة: الرجل يقف ضيعة أو دابّة، ويشهد على نفسه باسم بعض وكلاء الوقف، ثمَّ يموت هذا الوكيل أو يتغيَّر أمره، ويتولّى غيره، هل يجوز أن يشهد الشاهد لهذا الذي أُقيم مقامه إذا كان أصل الوقف لرجلٍ واحدٍ، أم لا يجوز ذلك؟

الجواب: **«لاَ يَجوزُ ذَلِكَ؛ لأَنَّ الشَّهَادَةَ لَمْ تَقُمْ لِلْوَكِيلِ، وَإِنَّمَا قَامَتْ لِلْمَالِكِ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ:** ﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ﴾[1]».

السابعة عشرة: الركعتان الأخيرتان قد كثرت فيهما الروايات، فبعض يروي أنَّ قراءة الحمد وحدها أفضل، وبعض يروي: أنَّ التسبيح فيهما أفضل، فالفضل لأيّهما لنستعمله؟

الجواب: **«قَدْ نُسِخَتْ أُمُّ الْكِتَابِ** - يعني سورة الحمد - **فِي هَاتَيْنِ الرَّكْعَتَيْنِ، وَالَّذِي نَسَخَ التَّسْبِيحَ قَوْلُ الْعَالِمِ** ﷺ: كُلُّ صَلاَةٍ لاَ قِرَاءَةَ فِيهَا خِدَاجٌ[2] إِلَّا الْعَلِيلَ، أَوْ يَكْثُرُ عَلَيْهِ السَّهْوَ فَيَتَخَوَّفُ بُطْلاَنَ الصَّلاَةِ عَلَيْهِ».

الثامنة عشرة: يتَّخذ عندنا رُبَّ الجوز لوجع الحلق والبحبحة، يؤخذ الجوز الرطب من قبل أن ينعقد، ويدقّ دقّاً ناعماً، ويصفّىٰ ويطبخ على النصف، ويترك يوماً وليلة، ثمَّ ينصب على النار، ويلقى على كلّ ستّة أرطال منه رطل عسل، ويغلى رغوته، ويسحق من النوشادر، والشبّ اليماني، من كلّ واحد نصف مثقال، ويُداف بذلك الماء، ويلقى فيه درهم زعفران المسحوق ويغلى، وتؤخذ رغوته حتَّى يصير مثل العسل ثخيناً، ثمَّ ينزل عن النار ويبرد، ويشرب منه، فهل يجوز شربه أم لا؟

الجواب: **«إِذَا كَانَ كَثِيراً يُسْكِرُ أَوْ يُغَيِّرُ، فَقَلِيلُهُ وَكَثِيرُهُ حَرَامٌ، وَإِنْ كَانَ لاَ يُسْكِرُ فَهُوَ حَلاَلٌ»**.

التاسعة عشرة: الرجل تعرض له الحاجة ممَّا لا يدري أن يفعلها أم لا، فيأخذ خاتمين في أحدهما «نعم إفعل»، وفي الآخر «لا تفعل» فيستخير الله مراراً، ثمَّ يرى

---

(١) سورة الطلاق: الآية ٢.

(٢) الخداج: النقصان.

فيهما، فيخرج أحدهما فيعمل بما يخرج، فهل يجوز ذلك أم لا؟ والعامل به والتارك له أهو مثل الاستخارة أم هو سوى ذلك؟

الجواب: **«الَّذِي سَنَّهُ الْعَالِمُ عليه السلام فِي هَذِهِ الاسْتِخَارَةِ بِالرِّقَاعِ وَالصَّلاةِ»**.

العشرون: صلاة جعفر بن أبي طالب في أي أوقاتها أفضل أن تُصلّى فيه؟ وهل فيها قنوت؟ وإن كان ففي أي ركعة منها؟

الجواب: **«أَفْضَلُ أَوْقَاتِهَا صَدْرَ النَّهَارِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ، ثُمَّ فِي أَيِّ الأَيَّامِ شِئْتَ، وَأَيُّ وَقْتٍ صَلَّيْتَهَا مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ فَهُوَ جَائِزٌ، وَالْقُنوتُ فِيهَا مَرَّتَانِ، فِي الثَّانِيَةِ قَبْلَ الرُّكوعِ، وَفِي الرَّابِعَةِ بَعْدَ الرُّكوعِ»**.

الحادية والعشرون: الرجل ينوي إخراج شيء من ماله، وأن يدفعه إلى رجل من إخوانه، ثمَّ يجد في أقربائه محتاجاً، أيصرف ذلك عمَّن نواه أو إلى قرابته؟

الجواب: **«يَصْرِفُهُ إِلَىٰ أَدْنَاهُمَا وَأَقْرَبِهِمَا مِنْ مَذْهَبِهِ، فَإِنْ ذَهَبَ إِلَىٰ قَوْلِ الْعَالِمِ عليه السلام: لاَ يَقْبَلُ اللَّهُ الصَّدَقَةَ وَذُو رَحِمٍ مُحْتَاجٍ، فَلْيُقَسِّمْ بَيْنَ الْقَرَابَةِ، وَبَيْنَ الَّذِي نَوىٰ حَتَّىٰ يَكُونَ قَدْ أَخَذَ بِالْفَضْلِ كُلِّهِ»**.

الثانية والعشرون: اختلف أصحابنا في مهر المرأة، فقال بعضهم: إذا دخل بها سقط المهر، ولا شيء لها، وقال بعضهم: هو لازم في الدُّنيا والآخرة، فكيف ذلك، وما الذي يجب فيه؟

الجواب: **«إِنْ كَانَ عَلَيْهِ بِالْمَهْرِ كِتَابٌ فِيهِ ذِكْرُ دَيْنٍ فَهُوَ لاَزِمٌ لَهُ فِي الدُّنْيا وَالآخِرَةِ، وَإِنْ كَانَ عَلَيْهِ كِتَابٌ فِيهِ اسْمُ الصَّدَاقِ سَقَطَ إِذَا دَخَلَ بِهَا، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ كِتَابٌ فَإِذَا دَخَلَ بِهَا سَقَطَ بَاقِي الصَّدَاقِ»**.

الثالثة والعشرون: روي لنا عن صاحب العسكر ـ أي الإمام الحسن عليه السلام ـ أنَّه سئل عن الصلاة في الخزّ الذي يغشى بوبر الأرانب، فوقَّع: **يَجوزُ**، وروي عنه أيضاً أنَّه **لاَ يَجوزُ**، فأي الخبرين يعمل به؟

الجواب: **«إِنَّما حَرَّمَ فِي هَذِهِ الأَوْبَارَ وَالْجُلودَ، فَأَمَّا الأَوْبَارُ وَحْدَها فَكُلٌّ حَلاَل»**.

الرابعة والعشرون: سُئل بعض العلماء عن معنى قول الصادق عليه السلام: **«لاَ يُصَلَّىٰ فِي الثَّعْلَبِ، وَلاَ فِي الأَرَانِبِ، وَلاَ فِي الثَّوْبِ الَّذِي يَلِيهِ»**؟

الجواب: **«إِنَّمَا عَنَىٰ الْجُلودَ دونَ غَيْرِهَا»**.

الخامسة والعشرون: يتَّخذ بأصفهان ثياب عتابيَّة على عمل الوشا من قزّ أو إبريسم، هل تجوز الصلاة فيها؟

الجواب: **«لاَ تَجوزُ الصَّلاةُ إِلَّا فِي ثَوْبٍ سَدَاهُ أَوْ لُحْمَتُهُ قُطْنٌ أَوْ كِتَّانٌ»**.

السادسة والعشرون: المسح على الرجلين بأيّهما يبدأ باليمين أو يسمح عليهما جميعاً معاً؟

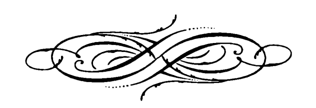
الجواب: **«يَمْسَحُ عَلَيْهِما مَعاً، فَإِنْ بَدَأَ بِأَحَدِهِمَا قَبْلَ الأُخْرَىٰ فَلاَ يَبْتَدِىءُ إِلَّا بِالْيُمْنىٰ»**.

السابعة والعشرون: صلاة جعفر في السفر هل يجوز أن تصلّى أم لا؟

الجواب: **«يَجوزُ ذَلِكَ»**.

الثامنة والعشرون: تسبيح فاطمة ـ سلام الله عليها ـ من سها فجاز التكبير أكثر من أربع وثلاثين، هل يرجع إلى أربع وثلاثين أو يستأنف، وإذا سبَّح تمام سبعة وستّين هل يرجع إلى ستّة وستّين أو يستأنف؟ وما الذي يجب في ذلك؟

الجواب: **«إِذَا سَهَا فِي التَّكْبِيرِ حَتَّىٰ جَازَ أَرْبَعةً وَثَلاَثِينَ عَادَ إِلَىٰ ثَلاَثَةٍ وَثَلاَثِينَ وَبَنىٰ عَلَيْهَا، وَإِذَا سَهَا فِي التَّسْبِيحِ فَتَجَاوَزَ سَبْعاً وَسِتِّينَ تَسْبِيحَةً عَادَ إِلَىٰ سِتَّةٍ وَسِتّينَ وَبَنىٰ عَلَيْهَا، فَإِذا جَاوَزَ التَّحْمِيدَ مَائَةً فَلاَ شَيْءَ عَلَيْهِ»**[1].



(١) الاحتجاج: ٢/٤٨٨ ـ ٤٩٢.

الغيبة الصغرىٰ والكبرى

نصّ الإمام العسكري عليه السلام على الإمام المنتظر عليه السلام:

لمّا علم الإمام الحسن العسكري عليه السلام أنَّه مفارق لهذه الحياة، نصَّ على إمامة ولده الإمام المنتظر عليه السلام، وعرَّفه لخواص أصحابه، وثقات شيعته، ومن بينهم أحمد بن إسحاق الأشعري، الثقة الزكي، فقد رُوي أنَّه قال: «دخلت على أبي محمَّد الحسن بن علي عليه السلام وأنا أُريد أن أسأله عن الخلف من بعده، فقال لي مبتدئاً:

يا أَحْمَدُ بْنَ إِسْحَاقَ، إِنَّ اللَّهَ تَبارَكَ وَتَعَالىٰ لَمْ يُخْلِ الأَرْضَ مُنْذُ خَلَقَ آدَمَ، وَلاَ يُخْلِيها إِلَىٰ أَنْ تَقومَ السَّاعَةُ مِنْ حُجَّةٍ عَلَىٰ خَلْقِهِ، بِهِ يُدْفَعُ الْبَلاءُ عَنْ أَهْلِ الأَرْضِ، وَبِهِ يُنَزِّلُ الْغَيْثُ، وَبِهِ يُخْرِجُ بَرَكَاتِ الأَرْضِ».

وانبرى أحمد قائلاً: يابن رسول الله، من الإمام والخليفة بعدك؟

ونهض الإمام عليه السلام مسرعاً فدخل البيت، ثمَّ خرج وعلى عاتقه غلامه كأنَّ وجهه القمر ليلة البدر، وهو من أبناء ثلاث سنين.

فقال عليه السلام: **يَا أَحْمَدُ، لَوْلاَ كَرَامَتُكَ عَلَىٰ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَعَلَىٰ حُجَجِهِ، مَا عَرَضْتُ عَلَيْكَ ابْنِي هَذَا، إِنَّهُ سُمِّيَ بِاسْمِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَكُنْيَتِهِ، الَّذِي يَمْلأُ الأَرْضَ قِسْطاً وَعَدْلاً، كَمَا مُلِئَتْ ظُلْماً وَجَوْراً.**

يَا أَحْمَدُ، مَثَلُهُ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ مَثَلُ الْخُضرِ، وَمَثَلُ ذِي الْقَرْنَيْنِ، وَاللَّهِ لَيَغِيبَنَّ غَيْبَةً لاَ يَنْجو مِنَ الْهَلَكَةِ فِيهَا إِلَّا مَنْ ثَبَّتَهُ اللَّهُ عَلَىٰ الْقَولِ بِإِمَامَتِهِ، وَوَفَّقَهُ فِيهَا للدُّعَاءِ بِتَعْجِيلِ فَرَجِهِ.

وسارع أحمد قائلاً: هل من علامة يطمئنَّ إليها قلبي؟

وبادر حجّة الله الصبي قائلاً: **أَنَا بَقِيَّةُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ، وَالْمُنْتَقِمُ مِنْ أَعْدَائِهِ، وَلاَ تَطْلُبْ أَثَراً بَعْدَ عَيْنٍ.**

وخرج أحمد من دار الإمام والفرح ملء نفسه، فلمَّا كان اليوم الثاني تشرَّف بمقابلة

الإمام الحسن العسكري عليه السلام وبادره قائلاً: يابن رسول الله، لقد عظم سروري بما مننت به عليَّ، فما السُّنَّة الجارية من الخضر وذي القرنين؟

وراح الإمام يبيِّن له السُّنَّة فيهما قائلاً: **طُولُ الْغَيْبَةِ**.

وأسرع أحمد قائلاً: يابن رسول الله، وإنَّ غيبته لتطول؟

فأجابه الإمام: **إِي وَرَبِّي، حَتَّىٰ يَرْجِعَ عَنْ هَذَا الأَمْرِ أَكْثَرُ الْقَائِلِينَ بِهِ، وَلاَ يَبْقَىٰ إِلَّا مَنْ أَخَذَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْهُ عَهْداً لِوَلاَيَتِنَا، وَكَتَبَ فِي قَلْبِهِ الإِيْمَانَ، وَأَيَّدَهُ بِرُوحٍ مِنْهُ.**

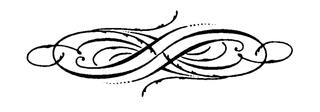
يَا أَحْمَدُ، هَذَا أَمْرٌ مِنَ اللَّهِ، وَسِرٌّ مِنْ سِرِّ اللَّهِ، وَغَيْبٌ مِنْ غَيْبِ اللَّهِ، فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَاكْتُمْهُ، وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ تَكُنْ مَعَنَا فِي عِلِّيِّينَ»[1].

ومن بين الأخبار التي نصَّ فيها الإمام الحسن العسكري عليه السلام على إمامة ولده الإمام المنتظر عليه السلام ما رواه الثقة الجليل محمَّد بن عثمان العمري، عن أبيه، قال: «سئل أبو محمَّد الحسن بن عليّ وأنا عنده عن الخبر الذي روي عن آبائه: **إِنَّ الأَرْضَ لاَ تَخْلُو مِنْ حُجَّةٍ لِلَّهِ عَلَىٰ خَلْقِهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَإِنَّ مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَعْرِفْ إِمَامَ زَمَانِهِ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً**.

وأكَّد الإمام عليه السلام صحَّة الحديث قائلاً: **إِنَّ هَذَا حَقٌّ، كَمَا أَنَّ النَّهَارَ حَقٌّ**.

وسارع شخص في مجلس الإمام قائلاً: يابن رسول الله، فمن الحجَّة والإمام بعدك؟

فدلَّه الإمام على حجَّة الله بعده قائلاً: **ابْنِي مُحَمَّدٌ هُوَ الإِمَامُ وَالْحُجَّةُ بَعْدِي، مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَعْرِفْهُ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً، أَما إِنَّ لَهُ غَيْبَةً يُحَارُ فِيهَا الْجَاهِلُونَ، وَيَهْلِكُ فِيهَا الْمُبْطِلُونَ، وَيُكَذِّبُ فِيهَا الْوَقَّاتُونَ، ثُمَّ يَخْرُجُ فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَىٰ الأَعْلاَمِ الْبِيضِ تَخْفِقُ فَوْقَ رَأْسِهِ بِنَجَفِ كُوفَانَ»**[2].



(١) كمال الدِّين وتمام النعمة/ الصدوق: ص٢١٦ و٢١٧.

(٢) كفاية الأثر: ص٢٩٢.

اضطراب السلطة في موضوع الإمام المهدي عليه السلام

كبس دار الإمام عليه السلام:

واضطربت السلطة كأشدّ ما يكون الاضطراب في موضوع الإمام المنتظر عليه السلام، فكبست دار الإمام العسكري عليه السلام، وكبسوا الدور والمنازل القريبة من دار الإمام عليه السلام لئلّا يكون فيها نساء الإمام عليه السلام، كما فتّشت داره تفتيشاً دقيقاً، وختم على جميع ما فيها بختم الدولة، وأوعزت السلطة إلى نساء يفتّشن جواري الإمام ونساءه، فمن كان بها أثر الحمل أُلقي عليها القبض، وأخبروا بأنَّ جارية بأنّها حامل، فسارعت السلطة فأخذتها، وأودعتها في حجرة، ووكّل بها نحرير الخادم ونسوة لحراستها.

وهكذا اتّخذ العبّاسيّون جميع الإجراءات الحاسمة للتفتيش عن الإمام المهدي عليه السلام لإلقاء القبض عليه، ولكنَّ الله تعالى حجبه عنهم، وأخفاه عن عيونهم.

وفد القمّيِّين:

ووفدت جمهرة من القمّيِّين والإيرانيِّين ومعهم الأموال من الشيعة إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام، فلمّا انتهوا إلى سامراء أُخبروا بوفاة الإمام عليه السلام، فسألوا عن القائم مقامه، فأخبرهم بعض عملاء جعفر أنّه الإمام، وأنّه قد خرج متنزّهاً في دجلة، ومعه فريق من المغنّين، فهالهم ذلك؛ لأنَّ الإمام لا يقترف أي ذنب أو معصية، وصمّم الوفد على الالتقاء به، والتعرُّف على خبره، فلمّا قفل جعفر إلى منزله خفّوا إليه، فسلّموا عليه، وقالوا له: نحن من قم، ومعنا جماعة من الشيعة، وكنّا نحمل إلى سيِّدنا أبي محمّد الحسن بن عليّ عليه السلام الأموال.

وسارع جعفر قائلاً: أين هي؟

قالوا: معنا.

وبادر جعفر قائلاً: احملوها إليّ.

فطلبوا منه أن يخبرهم عن كميّة الأموال، ومن أرسلها إلى الإمام عليه السلام كما كان

يخبرهم بذلك الإمام الحسن العسكري عليه السلام، فزجرهم جعفر وصاح بهم: كذبتم، تقولون على أخي ما لا يفعله، هذا علم الغيب، ولا يعلمه إلاَّ الله.

وعجب القوم، وراح بعضهم ينظر إلى بعض، وتميَّز جعفر غيظاً وغضباً وقال لهم: احملوا إليَّ هذا المال.

فردّوا عليه: إنَّا قوم مستأجرون وكلاء، وإنَّا لا نسلِّم المال إلاَّ بالعلامة التي كنَّا نعرفها من سيِّدنا الحسن بن علي عليهما السلام، فإن كنت الإمام فبرهن لنا، وإلاَّ رددنا الأموال إلى أصحابها يرون فيها رأيهم.

ونهض جعفر مسرعاً إلى الخليفة، فأخبره بالأمر مستعيناً به على أخذ الأموال منهم، فبعث خلفهم، فلمَّا مثلوا أمامه قال لهم: احملوا هذا المال إلى جعفر.

فقالوا له برجاء: أصلح الله أمير المؤمنين، إنَّا قوم مستأجرون وكلاء لأرباب هذه الأموال، وأمرونا أن لا نسلِّمها إلاَّ بعلامة ودلالة، وقد جرت بهذه العادة مع أبي محمَّد الحسن بن عليّ عليهما السلام.

وسارع الخليفة قائلاً: فما كانت العلامة مع أبي محمَّد؟

ورواحوا يخبرونه عنها قائلين: إنَّه كان يصف لنا الدنانير وأصحابها، والأموال، وكم هي؟ فإذا فعل ذلك سلَّمناها إليه، وقد وفدنا إليه مراراً، فكانت هذه علامتنا معه، وقد مات، فإن يكن هذا الرجل صاحب هذا الأمر فليقم لنا بما كان يقيمه لنا أخوه، وإلاَّ رددناها على أصحابها.

وتميَّز جعفر غضباً، فقال للخليفة: يا أمير المؤمنين، إنَّ هؤلاء قوم كذَّابون على أخي، وهذا علم الغيب.

فلم يعن به الخليفة، واستجاب للوفد وقال لجعفر: القوم رسل، وما على الرسول إلاَّ البلاغ المبين.

وأُسقط ما في يد جعفر، والتفت الوفد إلى الخليفة طالبين منه الحماية حتَّى يخرجوا من سامراء، فبعث معهم نقيباً من الشرطة لحراستهم، فلمَّا خرجوا من المدينة طلع عليهم شابّ، حسن الوجه، فصاح بأسمائهم واحداً بعد واحد، وقال لهم: أجيبوا مولاكم.

قالوا: أنت مولانا.

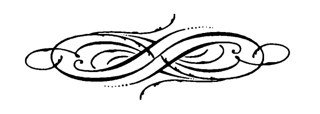
قال: معاذ الله، أنا عبد مولاكم، فسيروا إليه.

وساروا معه، وقد ملئت نفوسهم سروراً، فأتوا إلى دار الإمام المهدي عليه السلام، وكان

جالساً على سرير، كأنَّ وجهه الشريف فلقة قمر، وعليه ثياب خضر، فسلَّموا عليه، ولمَّا استقرَّ بهم المجلس بادر الإمام عليه السلام فأخبرهم بكميَّة المال، وبأسماء المرسلين له، وعرَّفهم برجالهم، وما كان معهم من الدواب، ولم يبقَ بادرة إلاَّ أخبرهم بها، فخرّوا لله ساجدين؛ لِما هداهم من معرفة الإمام عليه السلام، ثمَّ سألوه عن بعض الأحكام الشرعيَّة، فأجابهم عنها، فسلَّموا الأموال، وأمرهم أن لا يحملوا شيئاً من الأموال إلى سامراء، وأنَّه ينصب له وكيلاً ببغداد يحملون الأموال إليه، وتخرج بواسطته التوقيعات، كما دفع الإمام عليه السلام إلى أبي العبَّاس محمَّد بن جعفر القمِّي الحميري شيئاً من الحنوط والكفن، وقال له: **عَظَّمَ اللَّهُ أَجْرَكَ فِي نَفْسِكَ**، وخرج الوفد، ولمَّا بلغوا عقبة همدان توفّي أبو العبَّاس[١].

جعفر والخليفة:

وحمل جعفر إلى الخليفة العبَّاسي عشرين ألف دينار لمَّا توفّي الإمام الحسن العسكري عليه السلام، وطلب منه أن يجعله في مرتبة أخيه الحسن، ويصيِّره في منزلته، فردَّ عليه الخليفة قائلاً: «اعلم أنَّ منزلة أخيك لم تكن بنا، وإنَّما كانت بالله عزَّ وجلَّ، ونحن قد جهدنا في حطّ منزلته، والوضع منها، ولكنَّ الله عزَّ وجلَّ يأبى إلاَّ أن يزيده كلّ يوم رفعة، لما كان فيه من الصيانة، وحسن السمت، والعلم والعبادة، فإن كنت عند شيعة أخيك بمنزلته فلا حاجة بك إلينا، وإن لم تكن بمنزلته ولم يكن فيك ما كان في أخيك لم نغن عنك شيئاً»[٢].



(١) كمال الدِّين وتمام النعمة: ص٤٧٨.

(٢) منتخب الأثر: ص٤٥٩.

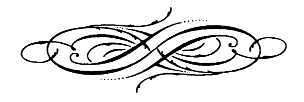
الغيبة الصغرى

الزمان:

وكانت الغيبة الصغرى للإمام عليه السلام عند وفاة أبيه الحسن العسكري عليه السلام سنة ٢٦٠هـ[١]، ففي هذا الوقت احتجب الإمام عن أعين الناس، إلاَّ أنَّه كان يلتقي بخيار المؤمنين والصالحين، كما سنعرض لذلك.

المكان:

أمَّا المكان الذي احتجب فيه الإمام عليه السلام فهو في داره الواقعة في سامراء، والتي فيها المرقد الطاهر لجثمان جدّه الإمام عليّ الهادي وأبيه الإمام العسكري عليهما السلام.



(١) مرآة الجنان: ٢/١٠٧، ١٧٢.

سفراؤه الممجَّدون

١ ـ عثمان بن سعيد العمري:

وأوَّل وكلاء الإمام المنتظر عليه السلام هو الثقة الزكي الأمين عثمان بن سعيد، فقد شغل مركز النيابة عن الإمام، وكان همزة وصل بينه وبين الشيعة، ونتحدَّث بإيجاز عن بعض شؤونه.

وثاقته:

١ ـ روى أحمد بن إسحاق، قال: «سألت أبا الحسن عليّ الهادي عليه السلام: من أُعامل، وعمَّن آخذ، وقول من أقبل؟

فأرشده الإمام عليه السلام إلى العمري منبع الحقّ والصدق، قائلاً: **الْعُمَرِيُّ ثِقَتِي، فَمَا أَدَّىٰ إِلَيْكَ فَعَنِّي يُؤَدِّي، وَمَا قَالَ عَنِّي فَعَنِّي يَقُولُ، فَاسْمَعْ لَهُ وَأَطِعْ، فَإِنَّهُ الثِّقَةُ الْمَأْمُونُ**»[1].

وقد نال العمري بهذا الثناء العاطر الدرجة الرفيعة من الوثاقة والعدالة وسموّ المنزلة عند الإمام عليه السلام.

٢ ـ سأل شخص الإمام الحسن العسكري عليه السلام عن العمري، فقال له: «**الْعُمَرِيُّ وَابْنُهُ ثِقَتَانِ، فَمَا أَدَّيَا إِلَيْكَ فَعَنِّي يُؤَدِّيَانِ، وَمَا قَالاَ لَكَ، فَعَنِّي يَقُولاَنِ، فَاسْمَعْ لَهُمَا وَأَطِعْهُمَا، فَهُمَا الثِّقَتَانِ الْمَأْمُونَانِ**»[2].

٣ ـ ومن جملة الوثائق في توثيقه، وعظيم مكانته عند الإمام الحسن العسكري عليه السلام ما جاء في رسالته إلى إبراهيم بن عبدة النيسابوري، فقد أمره بطاعته واتّباعه: «**وَلاَ تَخْرُجَنَّ مِنَ الْبَلْدَةِ حَتَّىٰ تَلْقَىٰ الْعُمَرِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِرَاضِيَ عَنْهُ، فَتُسَلِّمَ عَلَيْهِ، وَتَعْرِفُهُ وَيَعْرِفُكَ، فَإِنَّهُ الطَّاهِرُ الأَمِينُ الْعَفِيفُ، الْقَرِيبُ مِنَّا**».

---

(١) الكافي: ١/٣٢٩، الحديث ١.

(٢) مراقد المعارف: ٢/٦٣.

وفاته:

قال الشيخ الطوسي: «وكنَّا ندخل إليه ـ أي إلى قبره ـ ونزوره مشاهرة، وكذلك من وقت دخولي إلى بغداد، وهي سنة ٤٠٨هـ إلى نيّف وثلاثين وأربعمائة».

وأضاف: «وعمل الرئيس أبو منصور بن محمَّد بن فرج عليه صندوقاً، ويتبرَّك جيران المحلَّة بزيارته»[١].

تأبين الإمام عليه السلام له:

وأبَّن الإمام المنتظر عليه السلام الفقيد العظيم بكلمة رفعها إلى نجله العالم أبي جعفر محمَّد بن عثمان، جاء فيها:

«إنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ تَسْلِيماً لأَمْرِهِ، وَرِضاً بِقَضائِهِ، عَاشَ أَبوكَ سَعِيداً، وَمَاتَ حَمِيداً، فَرَحِمَهُ اللَّهُ، وَأَلْحَقَهُ بِأَوْلِيَائِهِ وَمَوَالِيهِ، فَلَمْ يَزَلْ مُجْتَهِداً فِي أَمْرِهِمْ، سَاعِياً فِي مَا يُقَرِّبُهُ إِلَىٰ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِمْ، نَضَّرَ اللَّهُ وَجْهَهُ، وَأَقَالَ عَثْرَتَهُ.

أَجْزَلَ اللَّهُ لَكَ الثَّوابَ، وَأَحْسَنَ لَكَ الْعَزَاءَ، وَرُزِيتَ وَرُزِينَا، وَأَوْحَشَكَ فِراقُهُ وَأَوْحَشَنا، فَسَرَّهُ اللَّهُ فِي مُنْقَلَبِهِ، وَكَانَ مِنْ سَعادَتِهِ أَنْ رَزَقَهُ اللَّهُ وَلَداً مِثْلَكَ يَخْلُفُهُ مِنْ بَعْدِهِ، وَيَقومُ مَقَامَهُ بِأَمْرِهِ، وَيَتَرَحَّمُ عَلَيْهِ، وَأَقولُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ فَإِنَّ الأَنْفُسَ طَيِّبَةٌ بِمَكَانِكَ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيكَ وَعِنْدَكَ، وَقَوَّاكَ وَعَضَدَكَ، وَوَفَّقَكَ وَكَانَ لَكَ وَلِيّاً وَحَافِظاً وَرَاعِياً»[٢].

٢ ـ محمَّد بن عثمان:

وتولَّى محمَّد بن عثمان بعد وفاة أبيه شرف النيابة عن الإمام المنتظر عليه السلام، فقد كان من ثقات الشيعة، ومن أعلامهم المبرزين في العلم والتقوى، وكان كأبيه موضع ثقة الجميع، وكانت حقوق الشيعة واستفتاءاتهم ترد على يده، وهو بدوره يرفعها إلى الإمام عليه السلام فيجيبهم عنها، ونتحدَّث بإيجاز عن بعض شؤونه.

وثاقته وعدالته:

وقد خرج التوقيع من الإمام المنتظر عليه السلام في سموِّ منزلته، وهذه صورته:

---

(١) مراقد المعارف: ٢/ ٦٣.

(٢) بحار الأنوار: ٥١/ ٣٤٩.

«وَأَمَّا مُحَمَّدُ بْنُ عُثْمَانَ الْعُمَرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَعَنْ أَبِيهِ مِنْ قَبْلُ، فَإِنَّهُ ثِقَتِي، وَكِتَابُهُ كِتَابِي»[١].

وقد سئل الإمام الحسن العسكري عن عثمان العمري فقال عليه السلام: **«الْعُمَرِيُّ وَابْنُهُ ثِقَتَانِ، فَمَا أَدَّيَا إِلَيْكَ فَعَنِّي يُؤَدِّيَانِ، وَمَا قَالاَ لَكَ فَعَنِّي يقولان، فَاسْمَعْ لَهُمَا وَأَطِعْهُمَا، فَإِنَّهُمَا الثِّقَتَانِ الْمَأْمونَان»**[٢].

وكان من عظيم منزلته، وسموّ شأنه عند الإمام المنتظر عليه السلام أنَّه كتب في حقِّه إلى محمَّد بن إبراهيم بن مهزيار الأهوازي ما نصَّه: **«لَمْ يَزَلْ - أي محمَّد - ثِقَتُنا فِي حَيَاةِ الأَبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ، وَنَضَّرَ وَجْهَهُ، يَجْرِي عِنْدَنَا مَجْراهُ، وَيَسُدُّ مَسَدَّهُ، وَعَنْ أَمْرِنَا يَأْمُرُ الابْنُ، وَبِهِ يَعْمَلُ، تَوَلَّاهُ اللَّهُ فَانْتَهِ إِلَىٰ قَوْلِهِ»**[٣].

التقاؤه بالإمام عليه السلام في الكعبة:

وحجَّ محمَّد بن عثمان بيت الله الحرام، فتشرَّف برؤية الإمام المنتظر عليه السلام، وقد رآه متعلِّقاً بأستار الكعبة، في المستجار وهو يقول:

«اللَّهُمَّ انْتَقِمْ بِي مِنْ أَعْدائِكَ، اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي»[٤].

ويروي محمَّد أنَّ الإمام عليه السلام يحجُّ في كلّ سنة، قال: «والله إنَّ صاحب هذا الأمر ليحضر الموسم كلّ سنة يرى الناس ويعرفهم، ويرونه ولا يعرفونه»[٥].

نيابته عن الإمام عليه السلام:

وأقام محمَّد خمسين سنة يتولَّى شرف شؤون النيابة العامَّة والوكالة المطلقة عن الإمام المنتظر عليه السلام، وكانت الشيعة تحمل إليه الحقوق الشرعيَّة ليوصلها إلى الإمام عليه السلام، كما كانوا يبعثون إليه المسائل الشرعيَّة فيجيبهم الإمام عليه السلام عنها[٦].

وفاته:

كان أبو جعفر محمَّد بن عثمان على جانب كبير من الإيمان والتقوى، وقد شعر

---

(١) تنقيح المقال: ٣/ ١٤٩.
(٢) بحار الأنوار: ٥١/ ٣٤٨.
(٣) بحار الأنوار: ٥١/ ٣٤٩.
(٤) بحار الأنوار: ٥١/ ٣٥١.
(٥) بحار الأنوار: ٥١/ ٣٥٠.
(٦) بحار الأنوار: ٥١/ ٣٥٢.

بملاقاة الله تعالى، فحفر له قبراً، وجعل ينزل فيه ويقرأ فيه جزءاً من القرآن الكريم، كما صنع لوحاً كتب فيه آيات من القرآن، وأسماء الأئمَّة الطاهرين، وأوصى أن يدفن معه، ولم يمضِ قليل من الزمن حتَّى ألمَّت به الأمراض، واشتدَّت به العلل، حتَّى صعدت روحه إلى الله تعالى كأسمى روح مؤمنة ارتفعت إلى الله في ذلك العصر، وكانت وفاته في آخر جمادى الأُولى سنة ٣٠٥هـ.

٣ ـ الحسين بن روح رضي الله عنه:

والحسين بن روح هو النائب الثالث للإمام المنتظر عليه السلام في زمن الغيبة الصغرى، وكان على جانب كبير من التقوى والصلاح، ووفور العلم والعقل، كما كان محترماً عند الخاصَّة والعامَّة، وقد رشَّحه إلى النيابة العامَّة محمَّد بن عثمان، لمَّا مرض عاده الوجوه والأشراف من الشيعة وقالوا له: إن حدث بك أمر فمن يكون مكانك؟

فقال لهم: «هذا أبو القاسم الحسين بن روح بن أبي بحر النوبختي القائم مقامي، والسفير بينكم وبين صاحب الأمر عجَّل الله فرجه، والوكيل له، والثقة الأمين، فارجعوا له في أُموركم، وعوِّلوا عليه في مهمَّاتكم، فبذلك أُمرت وقد بلَّغت»[1].

مناظرته مع معاند:

وجرت مناظرة بينه وبين معاند للحقّ أظهرت مدى قدراته العلميَّة، واطّلاعه الواسع، فقد قال له رجل معاند: أُريد أن أسألك عن شيء؟

فأجابه: سل عمَّا بدا لك.

قال: أخبرني عن الحسين بن علي عليه السلام أهو وليّ اللَّه؟

وسارع الحسين قائلاً: نعم.

وسارع الرجل قائلاً: هل يجوز أن يسلِّط الله عزَّ وجلَّ عدوّه على وليّه؟

فانبرى الحسين يجيبه قائلاً: افهم ما أقول لك: **«اعلم أنَّ اللَّه تعالى لا يخاطب الناس بمشاهدة العيان، ولا يشافههم بالكلام، ولكنَّه جلَّت عظمته يبعث إليهم رسلاً من أجناسهم وأصنافهم بشراً مثلهم، ولو بعث إليهم رسلاً من غير صنفهم وصورهم لنفروا عنهم، ولم يقبلوا منهم فلمَّا جاؤوهم وكانوا من جنسهم يأكلون، ويمشون في الأسواق، قالوا لهم: أنتم مثلنا لا نقبل منكم حتَّى تأتونا بشيء نعجز من أن نأتي بمثله، فنعلم أنَّكم مخصوصون**

(١) منتخب الأثر: ص٣٩٧.

دوننا بما لا نقدر عليه، فجعل اللّٰه عزَّ وجلَّ لهم المعجزات التي يعجز الخلق عنها، فمنهم من جاء بالطوفان بعد الإعذار والإنذار، فغرق جميع من طغى وتمرَّد.

ومنهم من أُلقي في النار فكانت عليه برداً وسلاماً، ومنهم من فُلق له البحر، وفجَّر له من الحجر العيون، وجعل له العصا اليابسة ثعباناً تلقف ما يأفكون، ومنهم من أبرأ الأكمه والأبرص وأحيا الموتى بإذن الله، وأنبأهم بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم، ومنهم من انشقَّ له القمر، وكلَّمته البهائم مثل البعير والذئب وغير ذلك، فلمَّا أتوا بمثل ذلك، وعجز الخلق من أُمَّتهم أن يأتوا بمثله كان من تقدير اللّٰه جلَّ جلاله ولطفه بعباده، وحكمته أن جعل أنبياءه مع هذه المعجزات في حال غالبين، وأُخرى مغلوبين، وفي حال قاهرين، وأُخرى مقهورين، ولو جعلهم اللّٰه عزَّ وجلَّ في جميع أحوالهم غالبين، وقاهرين ولم يبتلِهم ولم يمتحنهم لاتخذهم الناس آلهة من دون اللّٰه عزَّ وجلَّ، ولما عرف فضل صبرهم على البلاء والمحن والاختبار، ولكنَّه جعل أحوالهم في ذلك كأحوال غيرهم ليكونوا في حال المحنة والبلوى صابرين، وفي العافية والظهور على الأعداء شاكرين، ويكونوا في جميع أحوالهم متواضعين غير شامخين ولا متجبِّرين، وليعلم العباد أن لهم عليهم السلام إلٰهاً هو خالقهم ومدبِّرهم فيعبدوه ويطيعوا رسله، ويكونوا حجَّة لِلَّهِ ثابتة على من تجاوز الحدّ فيهم، وادَّعىٰ لهم الربوبيَّة أو عاند، وخالف وعصى وجحد بما أتت به الأنبياء والرسل؛ وليهلك من هلك عن بيِّنة، ويحيا من حي عن بيِّنة.

فلم ينبس المعاند ببنت شفة، وبان عليه العجز، وكان محمَّد بن إبراهيم بن إسحاق حاضراً في المجلس وقد بهر بكلام الحسين، فأقبل عليه في اليوم الثاني ليسأله عن الدليل الذي أقامه في تفنيد كلام الخصم، هل هو من عنده أو أخذه من أئمَّة الهدىٰ عليهم السلام.

ولمَّا استقرَّ به المجلس التفت إليه الحسين قائلاً: يا محمَّد بن إبراهيم، لئن أخّر من السَّماء إلى الأرض فتخطفني الطير، أو تهوي بي الريح في مكان سحيق أحبّ إليَّ من أن أقول في دين اللّٰه برأيي ومن عند نفسي، بل ذلك عن الأصل، ومسموع من الحجَّة صلوات الله عليه وسلامه»[1].

---

(١) منتخب الأثر: ص٤٩١ ـ ٤٩٣.

صلابته رضي الله عنه:

كان الحسين بن روح قويّ الإرادة، شديد الصلابة في الحقّ، يقول أبو سهل النوبختي: «لو كان الحجَّة عليه السلام تحت ذيله وقرض بالمقاريض ما كشف الذيل عنه»[١].

إيثاره رضي الله عنه للتقيَّة:

وكان الحسين بن روح يؤثر التقيَّة ويجاري محيطه الذي كان مشحوناً بالبغض والعداء لأهل البيت عليهم السلام، فقد روى المؤرّخون عنه أنَّ بوَّابه لعن معاوية وشتمه، فأمر بطرده من وظيفته التي كان عليها، وبقي البوَّاب مدَّة يوسّط إليه مختلف الطبقات في إرجاعه فلم يردّه[٢].

مع عليّ القمِّي:

كتب العلَّامة عليّ بن الحسين القمِّي رسالة إلى الحسين بن روح يطلب فيها أن يسأل الإمام عليه السلام بأن يدعو الله تعالى له ليرزقه أولاداً فقهاء من زوجته التي هي بنت عمّه، ورفع الحسين طلبه إلى الإمام عليه السلام، فجاء الجواب: **«أَنَّهُ لاَ يُرْزَقُ مِنْ زَوْجَتِهِ، وَلَكِنَّهُ سَيَمْلِكُ جَارِيةً وَيُرزَقُ مِنْهَا وَلَدَيْنِ فَقيهَيْنِ»**، ولم تمضِ الأيَّام حتَّى ملك جارية ديلميَّة فرزقه الله منها ثلاثة أولاد، وهم: محمَّد والحسن والحسين.

وفاته رضي الله عنه:

بقي الحسين بن روح سفيراً عن الإمام عليه السلام إحدى أو اثنتين وعشرين سنة، وكان المرجع الوحيد، والواسطة الأمينة بين الشيعة وبين الإمام تصل إليه مسائلهم وحقوقهم الشرعيَّة، وهو يوصلها إلى الإمام عليه السلام، وقد مرض وبقي في مرضه أيَّاماً حتَّى أدركته المنيَّة، وانتقل إلى رحمة الله ورضوانه سنة ٣٢٦هـ، وقد جُهِّز وشيِّع بتشييع حافل، ودفن في مقرّه الأخير، ومرقده الشريف يقع في بغداد في سوق الشورجة التي هي أهمّ مركز تجاري في بغداد، والناس تتهافت على زيارة قبره للتبرُّك به.

٤ ـ عليّ بن محمَّد السَّمري:

أمَّا عليّ بن محمَّد السَّمري، فهو من عناصر التقوى والإيمان، ويكفي في سموّ شأنه، وعظيم مكانته، وتقلّده للنيابة العامَّة عن الإمام المنتظر عليه السلام بنصٍّ منه، مع وجود

---

(١) بحار الأنوار: ٥١/ ٣٥٩.

(٢) بحار الأنوار: ٥١/ ٣٥٧.

كوكبة من علماء الشيعة وخيارهم، وهو آخر وكلاء الإمام الممجّدين، وبوفاته وقعت الغيبة الكبرى، وصارت السفارة العامَّة والمرجعيَّة العظمى إلى الفقهاء العظام.

ويقول الرواة: إنَّه قبل وفاة عليّ السَّمري أخرج إلى الناس رسالة موقَّعة من الإمام المنتظر عليه السلام جاء فيها:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

يَا عَلِيَّ بْنِ مُحَمَّدِ السَّمري، أَعْظَمَ اللَّهُ أَجْرَ إِخْوَانِكَ فِيكَ، فَأَنْتَ مَيِّتٌ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ سِتَّةِ أَيَّام، فَأَجْمعْ أَمْرَكَ وَلاَ تُوصِ إِلَىٰ أَحَدٍ فَيَقُومَ مَقَامَكَ بَعْدَ وَفَاتِكَ، فَقَدْ وَقَعَتِ الْغَيْبَةُ التَّامَّةُ، فَلاَ ظُهُورَ إِلَّا بَعْدَ إِذْنِ اللَّهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ، وَذَلِكَ بَعْدَ طُولِ الأَمَدِ، وَقَسْوَةِ الْقُلُوبِ، وَامْتِلاءِ الأَرْضِ جوراً، وَسَيَأْتِي عَلَىٰ شِيعَتِي مَنْ يَدَّعِي الْمُشَاهَدَةَ أَلَا فَمنِ ادَّعَىٰ الْمُشَاهَدَةَ قَبْلَ خُروجِ السُّفْيَانِي وَالصَّيْحَةِ فَهُوَ كَذَّابٌ مُفْتَرٍ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ[١].

وفاته رضي الله عنه:

وألمَّت الأمراض بعليّ السَّمري، وقد دخل عليه خيار الشيعة فقالوا له: من وصيّك من بعدك؟

فأجابهم: لله أمرٌ هو بالغه.

ثمَّ انتقل إلى جوار الله، وكانت وفاته في النصف من شهر شعبان سنة ٣٢٨هـ[٢].

ولاية الفقيه:

وأقام الإمام المنتظر ـ سلام الله عليه ـ الفقهاء العظام من شيعته ولاةً ونوَّاباً عنه، كما أقامهم الأئمَّة الطاهرون ولاة عنهم، وأمروا شيعتهم بالرجوع إليهم أيَّام الحكم العبَّاسي الذي جهد على محاربة أئمَّة أهل البيت عليهم السلام، فلم يكن هناك مجال بالرجوع إلى الأئمَّة، وأخذ الأحكام منهم، فقد جاء في مقبولة عمر بن حنظلة، قال: «سألت أبا عبد الله عليه السلام عن رجلين من أصحابنا بينهما منازعة في دين أو ميراث، فتحاكما إلى السلطان وإلى القضاة، أيحلّ ذلك؟

قال: **مَنْ تَحَاكَمَ إِلَيْهِمْ فِي حَقٍّ أَوْ بَاطِلٍ فَإِنَّمَا تَحَاكَمَ إِلَىٰ الطَّاغُوتِ، وَمَا يَحْكُمُ لَهُ**

---

(١) معجم رجال الحديث: ١٢/ ١٧٠ ـ ١٧١.

(٢) الغيبة/الشيخ الطوسي: ص٣٩٤ و٣٩٥.

فَإِنَّمَا يَأْخُذُ سُحْتاً، إِنْ كَانَ حَقّاً ثَابِتاً لَهُ؛ لأَنَّ أَخْذَهُ بِحُكْمِ الطَّاغُوتِ وَمَا أَمَرَ اللَّهُ أَنْ يُكْفَرَ بِهِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ﴾(١).

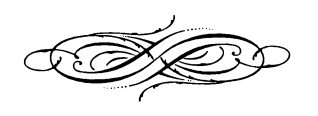
قلت: فكيف يصنعان؟

قال عليه السلام: **يَنْظُرَانِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مِمَّنْ قَدْ رَوىٰ حَدِيثَنَا، وَنَظَرَ فِي حَلَالِنَا وَحَرامِنَا، وَعَرَفَ أَحْكَامَنَا، فَلْيَرضوا بِهِ حَكَماً، فَإِنِّي قَدْ جَعَلْتَهُ عَلَيْكُمْ حَاكِماً، فَإِذَا حَكَمَ بِحُكْمِنَا فَلَمْ يُقْبَلَ مِنْهُ فَإِنَّمَا اسْتُخِفَّ بِحُكْمِ اللَّهِ وَعَلَيْنَا رُدَّ، وَالرَّادُّ عَلَيْنَا رَادٌّ عَلَىٰ اللَّهِ، وَهُوَ عَلَىٰ حَدِّ الشِّرْكِ بِاللَّهِ»**(٢).

وأعطى الإمام عليه السلام للفقيه الولاية العامَّة، ونصبه حاكماً ومرجعاً للمسلمين في مختلف شؤونهم الاجتماعيَّة، ومثل هذا الحديث مقبولة أو مشهورة ابن خديجة، فقد قال له الإمام أبو عبد الله عليه السلام: **«إِيَّاكُمْ أَنْ يُحَاكَمَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً إِلَىٰ أَهْلِ الْجَورِ، وَلَكِنِ انْظروا إِلَىٰ رَجُلٍ مِنْكُمْ يَعْلَمُ شَيْئاً مِنْ قَضائِنَا، فَاجْعلوهُ بَيْنَكُمْ، فَإِنِّي قَدْ جَعَلْتُهُ قَاضِياً، فَتَحاكَموا إِلَيْهِ»**(٣).

ونصب الإمام أبو عبد الله الصادق عليه السلام الفقيه العادل حاكماً عامّاً، ومرجعاً للمسلمين، ونظير هاتين الروايتين التوقيع الصادر من الإمام المنتظر عليه السلام إلى الشيخ المفيد، فقد جاء فيه:

«وَأَمَّا الْحَوادِثُ الْوَاقِعَةُ فَارْجِعوا فِيهَا إِلَىٰ رُواةِ حَدِيثِنَا، فَإِنَّهُمْ حُجَّتِي عَلَيْكُمْ، وَأَنَا حُجَّةُ اللَّهِ تَعَالَىٰ عَلَيْكُمْ».



(١) سورة النساء: الآية ٦٠.

(٢) وسائل الشيعة، كتاب القضاء: ٢٧/١٣٦ و١٣٧.

(٣) وسائل الشيعة، كتاب القضاء: ٢٧/١٣ و١٤.

الغيبة الكبرىٰ

وبعد انتقال المعظَّم عليّ بن محمَّد السَّمري إلى حظيرة القدس بدأت الغيبة الكبرى، وذلك في سنة ٣٢٨هـ، وتقلَّد الفقهاء العظام المرجعيَّة والنيابة العظمى عن الإمام المنتظر عليه السلام، وفي هذه الغيبة كانت للإمام عليه السلام عدَّة التقاءات ومراسلات مع عيون العلماء والمتَّقين من أعلام الشيعة.

أضواء على غيبة الإمام عليه السلام

أسباب الغيبة:

أمَّا غيبة الإمام المنتظر عليه السلام فكانت ضروريَّة وملزمة، لا غنى للإمام عنها، ونعرض لبعض الأسباب التي حتَّمت غيابه:

١ ـ الخوف عليه من العبَّاسيِّين:

لقد أمعن العبَّاسيُّون منذ حكمهم وتولِّيهم لزمام السلطة في ظلم العلويِّين وإرهاقهم، فصبّوا عليهم وابلاً من العذاب الأليم، وقتلوهم تحت كلّ حجر ومدرٍ.

بعد وفاة أبيه الحسن العسكري عليه السلام أحاطوا بدار الإمام عليه السلام، وألقوا القبض على بعض نساء الإمام الذين يظنّ أو يشتبه في حملهنَّ، فهذا هو السبب الرئيسي في اختفاء الإمام عليه السلام وعدم ظهوره للنَّاس، وقد علَّل بذلك في حديث زرارة، فقد روي أنَّ الإمام عليه السلام قال: **«إِنَّ لِلقَائِمِ غَيْبَةً قَبْلَ ظُهورِهِ**.

فبادر زرارة قائلاً: لِمَ؟

فقال عليه السلام: **يَخَافُ الْقَتْلَ»**[1].

ويقول الشيخ الطوسي: «لا علَّة تمنع من ظهور المهدي إلاَّ خوفه على نفسه من القتل؛ لأنَّه لو كان غير ذلك لما ساغ له الاستتار»[2].

---

(١) الغيبة/الطوسي: ص٣٢٩.

(٢) المصدر المتقدِّم: ص٣٣٤.

٢ ـ الامتحان والاختبار:

وثمَّة سبب آخر علَّل به غيبة الإمام عليه السلام، وهو امتحان العباد واختبارهم وتمحيصهم، فقد أُثر عن أبي عبد الله عليه السلام أنَّه قال: **«أما وَاللَّهِ لَيغيبَنَّ إِمَامُكُمْ شَيْئاً مِنْ دَهْرِكُمْ، وَلَتُمَحَّصُنَّ حَتَّىٰ يُقَالَ: مَاتَ أَوْ هَلَكَ، بِأَيِّ وَادٍ سَلَكَ، وَلَتَدْمَعَنَّ عَلَيْهِ عُيُونُ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَتُكفَأَنَّ كَمَا تُكفَأُ السُّفنَ فِي أَمْوَاجِ الْبَحْرِ، فَلاَ يَنْجو إِلَّا مَنْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَهُ، وَكَتَبَ فِي قَلْبِهِ الإِيْمَانَ، وَأَيَّدَهُ بِروحٍ مِنْهُ»**[1].

٣ ـ الغيبة من أسرار الله تعالى:

وعلّلت غيبة الإمام المنتظر عليه السلام بأنَّها من أسرار الله تعالى التي لم يطَّلع عليها أحد من الخلق، فقد أُثر عن النبيّ ﷺ أنَّه قال: **«إِنَّمَا مَثَلُ قَائِمِنَا أَهْلَ الْبَيتِ كَمَثَلِ السَّاعَةِ لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ، وَلَا يَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَة»**[2].

وأُثر عن الإمام المهدي عليه السلام أنَّه قال لبعض شيعته: **«أَغْلِقوا أَبْوَابَ السُّؤَالِ عَمَّا لاَ يَعْنِيكُمْ، وَلاَ تَتَكَلَّفوا مَا قَدْ كُفيتُمْ، وَأَكْثِروا مِنَ الدُّعَاءِ بِتَعْجِيلِ الْفَرَجِ، فَإِنَّ ذَلِكَ فَرَجُكُمْ، وَالسَّلاَمُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ»**[3].

ويقول الشيخ مقداد السيوري: «كان الاختفاء لحكمة استأثر بها الله تعالى في عالم الغيب عنده»[4].

٤ ـ عدم بيعته لظالم:

ومن الأسباب التي ذكرت لاختفاء الإمام عليه السلام أن لا تكون في عنقه بيعة لظالم، وقد أُثر ذلك عن الإمام الرِّضا عليه السلام، فقد روى الحسن بن عليّ بن فضَّال، عن أبيه: أنَّ الإمام الرِّضا عليه السلام قال: **«كَأَنِّي بِالشِّيعَةِ عِنْدَ فَقْدِهِمُ الثَّالِثَ مِنْ وُلْدِي كَالنَّعَمِ يَطْلُبونَ الْمَرْعىٰ فَلاَ يَجِدونَهُ.**

فقال له: ولِمَ ذاك يابن رسول الله؟ قال عليه السلام: **لأَنَّ إِمَامَهُمْ يَغِيبُ عَنْهُمْ.**

قال: ولِمَ؟ قال عليه السلام: **لِئَلَّا يَكُونَ فِي عُنُقِهِ لأَحَدٍ حُجَّةٌ إِذَا قَامَ بِالسَّيْفِ»**[5].

---

(١) بحار الأنوار: ٥٢/ ٢٨١.

(٢) البرهان في علامات آخر الزمان: ١/ ٢٥٥.

(٣) بحار الأنوار: ٥٢/ ٩٢.

(٤) مختصر التحفة الاثني عشريَّة: ص١١٩.

(٥) علل الشرائع: ١/ ٢٤٥.

وأعلن الإمام المنتظر عليه السلام ذلك بقوله: **«إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ لأَحَدٍ مِنْ آبَائِي عليهم السلام إِلَّا وَأَوْقَعَتْ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ لِطَاغِيَةِ زَمَانِهِ، وَإِنِّي أَخْرُجُ حِينَ أَخْرُجُ، وَلاَ بَيْعَةٌ لأَحَدٍ مِنَ الطَّوَاغِيتِ فِي عُنُقِي»**[1].

تساؤلات:

وأُثيرت بعض الشكوك والأوهام عن غيبة الإمام المنتظر عليه السلام، كان منها ما يلي:

١ ـ ما الفائدة في غيابه؟

أوّلاً: إنَّ وجود الحجّة وإن كان محجوباً عن الأبصار، إلاَّ أنَّه أمان لأهل الأرض، كما صرَّحت بذلك طائفة من الأخيار، منها:

١ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **«أَهْلُ بَيْتِي أَمَانٌ لأَهْلِ الأَرْضِ، فَإِذَا ذَهَبَ أَهْلُ بَيْتِي ذَهَبَ أَهْلُ الأَرْضِ»**[2].

٢ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **«لاَ يَزَالُ هَذَا الدِّينُ قَائِماً إِلَىٰ اثْنَي عَشَرع أَمِيراً مِنْ قُرَيشٍ، فَإِذَا مَضَوا سَاخَتِ الأَرْضُ بِأَهْلِهَا»**.

٣ ـ قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: **«اللَّهُمَّ بَلَىٰ لاَ تَخْلو الأَرْضُ مِنْ قَائِمٍ لِلَّهِ...»**.

ثانياً: إنَّ غيابه عن الأبصار يستند إلى عدم صلاح المسلمين، وشيوع الفساد في صفوفهم، ولو كانوا صالحين غير منحرفين عن الحقّ لظهر عليه السلام، وقد أشار إلى الوجه الأوَّل والثاني المحقِّق الطوسي رحمه الله، قال: «وجوده ـ أي الإمام المنتظر عليه السلام ـ لطف، وتصرُّفه لطف آخر»[3].

ثالثاً: إنَّ الإمام عليه السلام في حال غيابه يرعى شيعته، ويمدّهم بدعائه الذي لا يحجب، ولولا دعاؤه لهم لما أبقى منهم الظالمون أحداً يتنفَّس الصعداء، وقد أعلن الإمام المنتظر عليه السلام ذلك في إحدى رسائله للشيخ المفيد، فقد قال عليه السلام: **«إِنَّا غَيْرُ مُهْمِلِينَ لِمُرَاعَاتِكُمْ، وَلاَ نَاسِينَ لِذِكْرِكُمْ، وَلَوْلاَ ذَلِكَ لَنَزَلَ بِكُمُ اللَّاوَاءُ، وَاصْطَلَمَكُمُ الأَعْدَاءُ»**.

رابعاً: إنَّ الإمام المنتظر عليه السلام أعرب عن الفائدة من غيابه عن الأبصار. قال عليه السلام: **«وَأَمَّا وَجْهُ الانْتِفَاعِ بِي فِي غَيْبَتِي فَكَالشَّمْسِ إِذَا غَيَّبَتْهَا الْغُيومُ السَّحَابُ»**، وقد سأل

---

(١) منتخب الأثر: ص٣٣٢.
(٢) ذخائر العقبىٰ: ص١٧.
(٣) التجريد/ الطوسي: ص٣٨٩.

سليمان الأعمش بن مهران الإمام الصادق عليه السلام، فقال له: كيف ينتفع الناس بالحجَّة الغائب المستور؟

فأجابه الإمام: «**كَمَا يَنْتَفِعونَ بِالشَّمْسِ إِذَا سَتَرَها سَحابٌ**».

خامساً: إنَّ الفائدة والحكمة من غيابه مجهولة لدينا، كما صرَّحت بذلك بعض الأخبار، فقد روى عبد الله بن الفضل الهاشمي، قال: «سمعت الإمام الصادق عليه السلام يقول: «**إِنَّ لِصَاحِبِ هَذَا الأَمْرِ غَيْبَةً لاَ بُدَّ مِنْهَا، يَرْتَابُ فِيهَا كُلُّ مُبْطِل**.

وطفق عبد الله قائلاً: لِمَ جعلت فداك؟

فقال عليه السلام: **لِأَمْرٍ لَمْ يُؤْذَنْ لَنَا فِي كَشْفِهِ لَكُمْ**.

وسارع عبد الله قائلاً: مَا وَجْهُ الْحِكْمَةِ فِي غَيْبَتِهِ؟

فَأجابه الإمام عليه السلام: **وَجْهُ الْحِكْمَةِ فِي غَيْبَتِهِ وَجْهُ الْحِكْمَةِ فِي غَيْابَةِ مَنْ تَقَدَّمَهُ مِنْ حُجَجِ اللَّهِ تَعَالَى ذِكْرُهُ**.

إِنَّ وَجْهَ الْحِكْمَةِ لَا يَنْكَشِفُ إِلَّا بَعْدَ ظُهُورِهِ، كَمَا لَا يَنْكَشِفُ وَجْهُ الْحِكْمَةِ لَمَّا أَتَاهُ الْخضرُ مِنْ خَرْقِ السَّفِينَةِ، وَقَتْلِ الْغُلَامِ، وَإِقَامَةِ الْجِدَارِ لِمُوسَى، إِلَّا وَقْتَ افْتِرَاقِهِمَا.

يَابْنَ الْفَضْلِ، إِنَّ هَذَا أَمْرٌ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ، وَسِرٌّ مِنَ سِرِّ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَغَيْبٌ مِنْ غَيْبِ اللَّهِ، وَمَتَى عَلِمْنَا أَنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حَكِيمٌ، صَدَّقْنَا بِأَنَّ أَفْعَالَهُ كُلَّهَا حِكْمَةٌ، وَإِنْ كَانَ وَجْهُهَا غَيْرَ مُنْكَشِفٍ لَنَا»(١).

٢ ـ امتداد عمره عليه السلام:

أوَّلاً: إنَّ إطالة عمر الإنسان أمرٌ ممكن عقلاً، وليس مستحيلاً ككون الشيء في آنٍ واحدٍ فرداً وزوجاً، فلنفرضه كصعود الإنسان إلى القمر أو أي كوكب آخر، فإنَّه ممكن عقلاً، وقد تحقَّق ذلك بعد أن تهيَّأت الأسباب الطبيعيَّة له، فإطالة عمر الإمام المهدي عليه السلام أمر ممكن علميَّاً وخارجيَّاً، وذلك بمشيئة الله تعالى بعزله للأنسجة التي يتكوَّن منها جسم الإنسان عن المؤثِّرات الخارجيَّة التي تسبِّب هرم الجسم وفناءه، وقد تحقَّق ذلك في العالم الخارجي، فإنَّ نبيّ الله تعالى نوح عليه السلام قد مكث في قومه ألف عام إلاَّ خمسين سنة حسب ما نصَّ عليه القرآن الكريم، فلماذا نقبل ونؤمن بإطالة عمر نوح ولا نؤمن بإطالة عمر الإمام المنتظر عليه السلام، وكلّ منهما موكّل بالإصلاح الاجتماعي بين الناس؟

---

(١) كمال الدِّين: ص٤٣٧ و٤٣٨.

ثانياً: إنَّا لو سلَّمنا مجاراةً أنَّ إطالة عمر الإنسان مئات السنين وآلاف السنين أمر غير ممكن عقلاً؛ لأنَّ فيه تعطيلاً للقوانين الطبيعيَّة التي تقضي بهرم الإنسان وفنائه، إلاَّ أنَّ ذلك أمر ممكن بالنسبة إليه تعالى وحده، فقد جعل النار التي هي علَّة تامَّة للإحراق برداً وسلاماً على خليله ونبيّه إبراهيم، قال تعالى: ﴿يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾[1]، وكذلك فلق تعالى البحر لنبيّه موسى عليه السلام، وأنقذه مع المؤمنين من قومه من الغرق، وأغرق فرعون وجنوده، أليس في ذلك تعطيلاً للقوانين الطبيعيَّة؟ فلتكن قوانين الشيخوخة من هذا القبيل.

إنَّ عناية الله تعالى تتدخَّل لتجميد القوانين الطبيعيَّة، وإلغاء تأثيرها لإنقاذ أوليائه وأنبيائه، فقد خرج النبيّ صلى الله عليه وآله من داره حينما أحاطت به قريش لتصفيته جسديّاً، فستر الله عيونهم عن رؤيته، وجعل عليها غشاوة، وكان يمشي بينهم وهم لا يبصرونه.

٣ ـ لماذا هذا العمر المديد؟

والجواب عن ذلك هو أنَّ الله تعالى قد خصَّ الإمام المنتظر عليه السلام بإصلاح العالم بأسره، وأوكل إليه إنقاذ الإنسان من التيَّارات المظلمة التي تعصف بحياته، وتجعله في متاهات سحيقة في مجاهل هذه الحياة، فالإمام المنتظر عليه السلام آخر مصلح اجتماعي.

٤ ـ لماذا لم يظهر؟

والجواب عن ذلك أنَّ أمر ظهوره لم يكن خاضعاً لإرادة الإنسان ومشيئته ورغباته، وإنَّما هو بيد الله تعالى، فقد أرسل الله تعالى نبيّه محمَّداً صلى الله عليه وآله إلى العالم بعد مرور خمسة قرون من الجاهليَّة، وذلك بعد أن تحقَّق المناخ المناسب والجوّ العامّ لإنجاح عمليَّة التغيير الاجتماعي الذي قام به الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، وقبل ذلك لم تتوفَّر الشروط لبعثه، وكذلك قيام الإمام المهدي عليه السلام بعمليَّة التغيير للأنظمة الاجتماعيَّة القائمة في عصره وتبديلها بالأنظمة النديَّة الخلاَّقة التي يسعد في ظلالها الإنسان، فإنَّها تتطَّلب مناخاً شاملاً لجميع أنحاء الأرض، حتَّى يتمكَّن صلوات الله عليه من تنفيذ ذلك.

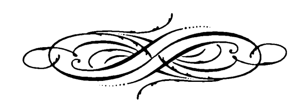
٥ ـ كيف يمكن قيام الإمام بالإصلاح العالمي؟

والجواب عن ذلك أنَّ الأنظمة العالميَّة والأحداث الكبرى التي غيَّرت منهج الحياة تستند إلى الأفراد مع عظماء البشريَّة لا إلى الجماعة، فالنبيّ العظيم محمَّد صلى الله عليه وآله هو الذي رفع رسالة الله عالية خفَّاقة لا الأعمام ولا الأخوال، وهكذا نبيّ الله عيسى وموسى

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ٦٩.

وغيرهما من رسل الله ودعاة الإصلاح الاجتماعي، فقد قاموا بدورهم مستقلّين لا منظّمين بأداء رسالتهم الإصلاحيَّة، وبذلك يتميَّز دور الفرد لا الجماعة خلافاً لما ذهب إليه الماركسيّون من إلغاء الفرد في ميدان الإصلاح الشامل، وإنَّما يستند إلى الجماعة، وهذه النظريَّة ليس لها أي رصيد علمي.



المبشّرون بظهوره عليه السلام

١ ـ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم:

١ ـ روي حذيفة أنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: «لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ وَاحِدٌ لَبَعَثَ اللَّهُ رَجُلاً مِنْ وُلْدِي اسْمُهُ اسْمِي، وَخَلْقُهُ خَلْقِي، يُكَنَّىٰ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، يُبايعُ لَهُ النَّاسُ بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَام، يَرِدُّ اللَّهُ بِهِ الدِّينَ، وَيَفْتَحُ لَهُ فُتوحاً، وَلاَ يَبْقَىٰ عَلَىٰ وَجْهِ الأَرْضِ إِلَّا مَنْ يَقُولُ: لَا إِلٰهَ إِلَّا اللَّهُ.

فقام سلمان فقال: يا رسول الله، من أي ولدك؟

قال: مِنْ وُلْدِ ابْنِي هَذَا، وضرب بيده إلى الحسين»[1].

٢ ـ روى عبد الله بن عمر أنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: «يَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ رَجُلٌ مِنْ وُلْدِي، اسْمُهُ كَاسْمِي، يَمْلأُ الأَرْضَ عَدْلاً كَمَا مُلِئَتْ جَوْراً»[2].

٣ ـ روى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «الْمَهْدِيُّ مِنْ وُلْدِي، يَكُونُ لَهُ غَيْبَةٌ وَحِيرَةٌ، تَضِلُّ فِيهِ الأُمَمُ، يَأْتِي بِذَخِيرَةِ الأَنْبِيَاءِ عليهم السلام، فَيَمْلأُهَا عَدْلاً وَقِسْطاً كَمَا مُلِئَتْ جَوْراً وَظُلْماً»[3].

٤ ـ روى جابر بن عبد الله الأنصاري: أنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: «الْمَهْدِيُّ مِنْ وُلْدِي، اسْمُهُ اسْمِي، وَكُنْيَتُهُ كُنْيَتِي، يَكُونُ لَهُ غَيْبَةٌ وَحِيرَةٌ تَضِلُّ فِيهِ الأُمَمُ، ثُمَّ يَقبِلُ كَالشِّهَابِ الثَّاقِبِ يَمْلأُهَا عَدْلاً وَقِسْطاً، كَمَا مُلِئَتْ جَوْراً وَظُلْماً»[4].

٥ ـ روى سعيد بن جبير، عن ابن عبّاس، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «إِنَّ عَلِيّاً وَصِيِّي، وَمِنْ وُلْدِهِ الْقَائِمُ الْمُنْتَظَرُ الْمَهْدِيُّ الَّذِي يَمْلأُ الأَرْضَ قِسْطاً وَعَدْلاً، كَمَا مُلِئَتْ

---

(١) عقد الدرر: ص٥٦، الباب ٢، الحديث ٤١.

(٢) عقد الدرر: ص٥٦، الباب ٢، الحديث ٤٢.

(٣) فرائد السمطين: ٢/ ٣٣٥.

(٤) ينابيع المودَّة: ٣/ ٣٩٥.

جَوْراً وَظُلْماً، وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً، إِنَّ الثَّابِتِينَ عَلَىٰ الْقَوْلِ بِإِمَامَتِهِ فِي زَمَانِ غَيْبَتِهِ لأَعَزُّ مِنَ الْكِبْرِيتِ الأَحْمَرِ.

فقام إليه جابر بن عبد الله فقال: يا رسول الله، وللقائم من ولدك غيبة؟

قال: إِي وَرَبِّي لِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ.

ثمَّ قال: يَا جَابِرُ، إِنَّ هَذَا أَمْرٌ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ، وَسِرٌّ مِنْ سِرِّ اللَّهِ، فَإِيَّاكَ وَالشَّكَّ، فَإِنَّ الشَّكَّ فِي أَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ كُفْرٌ»[(١)].

٦ ـ قال رسول الله ﷺ: «لاَ تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّىٰ يَمْلِكَ الْعَرَبَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، يُوَاطِىءُ اسْمُهُ اسْمِي»[(٢)].

٧ ـ روى حذيفة بن اليمان، قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: «وَيْحَ هَذِهِ الأُمَّةِ مِنْ مُلُوكٍ جَبَابِرَةٍ كَيْفَ يَقْتُلُونَ وَيَطْرُدُونَ الْمُسْلِمِينَ، إِلَّا مَنْ أَظْهَرَ طَاعَتَهُمْ، فَالْمُؤْمِنُ التَّقِيُّ يُصَانِعُهُمْ بِلِسَانِهِ، وَيَفِرُّ مِنْهُمْ بِقَلْبِهِ، فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَنْ يُعِيدَ الإِسْلاَمَ عَزِيزاً قَصَمَ كُلَّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ، وَهُوَ الْقَادِرُ عَلَى مَا يَشَاءُ، أَنْ يُصْلِحَ أُمَّةً بَعْدَ فَسَادِهَا.

يَا حُذَيْفَةُ، لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ وَاحِدٌ لَطَوَّلَ اللَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ حَتَّى يَمْلِكَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُظْهِرُ الإِسْلاَمَ، لاَ يُخْلِفُ وَعْدَهُ، وَهُوَ عَلَىٰ وَعْدِهِ قَدِيرٌ»[(٣)].

٨ ـ روى أبو سعيد الخدري أنَّ رسول الله ﷺ قال: «يَنْزِلُ بِأُمَّتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ بَلاَءٌ شَدِيدٌ مِنْ سُلْطَانِهِمْ، لَمْ يَسْمَعْ بَلاَءٌ أَشَدَّ مِنْهُ حَتَّىٰ تَضِيقَ بِهِمُ الأَرْضُ الرَّحْبَةُ، وَحَتَّىٰ تَمْلأَ الأَرْضَ جَوْراً وَظُلْماً، لاَ يَجِدُ الْمُؤْمِنُ مَلْجَأً يَلْتَجِيءُ إِلَيْهِ مِنَ الظُّلْمِ، فَيَبْعَثُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رَجُلاً مِنْ عِتْرَتِي، فَيَمْلأُ الأَرْضَ قِسْطاً وَعَدْلاً كَمَا مُلِئَتْ ظُلْماً وَجَوْراً، يَرْضَىٰ عَنْهُ سَاكِنُ الأَرْضِ، لاَ تَدَّخِرُ الأَرْضُ شَيْئاً مِنْ بَذْرِهَا إِلَّا أَخْرَجَتْهُ، وَلاَ السَّمَاءُ مِنْ قَطْرِهَا شَيْئاً إِلَّا صَبَّهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِدْرَاراً، يَعِيشُ فِيهِمْ سَبْعَ سِنِينَ أَوْ ثَمَانٍ أَوْ تِسْعٍ[(٤)]، تَتَمَنَّىٰ الأَحْيَاءُ[(٥)] الأَمْوَاتُ مِمَّا صَنَعَ اللَّهُ بِأَهْلِ الأَرْضِ مِنْ خَيْرِهِ»[(٦)].

٩ ـ روى عليّ الهلالي، عن أبيه، قال: «دخلت على رسول الله ﷺ في شكايته

---

(١) ينابيع المودَّة: ٣/٢٩٦ و٢٩٧، الحديث ٧.
(٢) سُنن الترمذي: ٣/٣٤٣.
(٣) ينابيع المودَّة: ٣/٢٩١، الحديث ٣٠.
(٤) الترديد من الراوي.
(٥) الأحياء ـ بكسر الهمزة ـ: البقاء.
(٦) مستدرك الحاكم: ٤/٤٦٥.

التي قبض فيها، فإذا فاطمة عليها السلام عند رأسه، فبكت حتّى ارتفع صوتها، فرفع رسول الله صلى الله عليه وآله طرفه إليها، قال: **حَبِيبَتِي فَاطِمَةُ، مَا الَّذِي يُبْكِيكِ؟**

فَقَالَتْ: أَخْشَى الضَّيْعَةَ مِنْ بَعْدِكَ.

فَقَالَ: **يَا حَبِيبَتِي، أَمَا عَلِمْتِ أَنَّ اللَّهَ اطَّلَعَ عَلَى الْأَرْضِ اطِّلَاعَةً فَاخْتَارَ مِنْهَا أَبَاكِ فَبَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ، ثُمَّ اطَّلَعَ اطِّلَاعَةً فَاخْتَارَ مِنْهَا بَعْلَكِ، وَأَوْحَى إِلَيَّ أَنْ أُنْكِحَكِ إِيَّاهُ يَا فَاطِمَةُ، وَنَحْنُ أَهْلُ بَيْتٍ قَدْ أَعْطَانَا اللَّهُ سَبْعَ خِصَالٍ، لَمْ يُعْطِ أَحَداً قَبْلَنَا، وَلَا يُعْطِيهَا أَحَداً بَعْدَنَا: أَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، وَأَكْرَمُهُمْ عَلَى اللَّهِ، وَأَحَبُّ الْمَخْلُوقِينَ إِلَيْهِ، وَأَنَا أَبُوكِ، وَوَصِيِّي خَيْرُ الْأَوْصِيَاءِ، وَأَحَبُّهُمْ إِلَى اللَّهِ، وَهُوَ بَعْلُكِ، وَمِنَّا مَنْ لَهُ جَنَاحَانِ أَخْضَرَانِ يَطِيرُ بِهِمَا فِي الْجَنَّةِ مَعَ الْمَلَائِكَةِ حَيْثُ يَشَاءُ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّ أَبِيكِ، وَأَخُو بَعْلِكِ، وَمِنَّا سِبْطَا هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَهُمَا ابْنَاكِ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ، وَهُمَا سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَأَبُوهُمَا - وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ - خَيْرٌ مِنْهُمَا.**

يَا فَاطِمَةُ، وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ، إِنَّ مِنَّا مَهْدِيَّ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِذَا صَارَتِ الدُّنْيَا هَرَجاً وَمَرَجاً، وَتَظَاهَرَتِ الْفِتَنُ، وَتَقَطَّعَتِ السُّبُلُ، وَأَغَارَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، فَلَا كَبِيرٌ يَرْحَمُ صَغِيراً، وَلَا صَغِيرٌ يُوَقِّرُ كَبِيراً، فَيَبْعَثُ اللَّهُ عِنْدَ ذَلِكَ مِنْهُمَا مَنْ يَفْتَحُ حُصُونَ الضَّلَالَةِ وَقُلُوباً غُلْفَةً[1]، يَقُومُ بِالدِّينِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، كَمَا قُمْتُ بِهِ فِي أَوَّلِهِ، وَيَمْلَأُ الدُّنْيَا عَدْلاً كَمَا مُلِئَتْ جَوْراً»[2].

١٠ - روى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، قال: **«قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمِنَّا آلُ مُحَمَّدٍ أَمْ مِنْ غَيْرِنا؟**

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: لَا بَلْ مِنَّا، بِنَا يَخْتِمُ الدِّينَ كَمَا فَتَحَ اللَّهُ بِنَا، بِنَا يُنْقَذُونَ مِنَ الْفِتْنَةِ كَمَا أُنْقِذُوا مِنَ الشِّرْكِ، وَبِنَا يُؤَلِّفُ اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ بَعْدَ عَدَاوَةِ الْفِتْنَةِ إِخْوَاناً، كَمَا أَلَّفَ بِنَا بَيْنَ قُلُوبِهِمْ بَعْدَ عَدَاوَةِ الشِّرْكِ، وَبِنَا يُصْبِحُونَ بَعْدَ عَدَاوَةِ الْفِتْنَةِ إِخْوَاناً كَمَا أَصْبَحُوا بَعْدَ عَدَاوَةِ الشِّرْكِ إِخْوَاناً»[3].

١١ - روى جبر بن نوف، قال: «قلت لأبي سعيد الخدري: والله ما يأتي علينا عام إلاّ وهو شرّ من الماضي، ولا أمير إلاّ وهو شرٌّ ممّن كان قبله.

فقال أبو سعيد: سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: **لَا يَزَالُ بِكُمُ الْأَمْرُ حَتَّىٰ يُولَدَ فِي**

---

(١) الغلفة: المحجوبة.

(٢) البيان في أخبار صاحب الزمان: ص١١٦ و١١٧، الباب التاسع.

(٣) ينابيع المودّة: ص٣٩٢.

الْفِتْنَةِ وَالْجَوْرِ مَنْ لاَ يُعرَفُ عِنْدَهَا، حَتَّىٰ تَمْلأَ الأَرْضَ جَوْراً، فَلاَ يَقْدِرُ أَحَدٌ يَقُولُ اللَّه، ثُمَّ يَبْعَثُ عَزَّ وَجَلَّ رَجُلاً مِنِّي وَمِنْ عِتْرَتِي فَيَمْلأُ الأَرْضَ عَدْلاً كَمَا مَلأَهَا مَنْ كَانَ قَبْلَهُ جَوْراً، وَتُخْرِجُ لَهُ الأَرْضُ أَفْلاَذَ كَبِدِهَا[1]، وَيَحْثُو الْمَالَ حَثْواً، وَلاَ يعدُّهُ عَدّاً، حَتَّىٰ يَضْرِبَ الإِسْلاَمُ بِجِرانِهِ»[2].

١٢ ـ روى أبو سعيد الخدري، قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول على المنبر: **إِنَّ الْمَهْدِيَّ مِنْ عِتْرَتِي، مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، يَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، تُنْزِلُ لَهُ السَّمَاءُ قَطْرَهَا، وَتُخْرِجُ لَهُ الأَرْضُ بَذْرَها، فَيَمْلأُ الأَرْضَ عَدْلاً وَقِسْطاً كَمَا مَلأَهَا الْقَوْمُ ظُلْماً وَجَوْراً»**[3].

٢ ـ أمير المؤمنين عليه السلام:

١ ـ روى أبو وائل، قال: «نظر عليّ عليه السلام إلى الحسين عليه السلام فقال: **إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ كَمَا سَمَّاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَسَيَخْرُجُ مِنْ صُلْبِهِ رَجُلٌ بِاسْمِ نَبِيِّكُمْ، يَخْرُجُ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنَ النَّاسِ، وَإِمَاتَةٍ لِلْحَقِّ، وَإِظْهَارٍ لِلْجَوْرِ، وَيَفْرَحُ لِخُرُوجِهِ أَهْلُ السَّمَاءِ وَسُكَّانُهَا، وَهُوَ رَجُلٌ أَجْلَى الْجَبِينِ، أَقْنَى الأَنْفِ، ضَخْمُ الْبَطْنِ، أَذْيَلُ الْفَخِذَيْنِ، بِخِدِّهِ الْيُمْنَى شَامَةٌ، أَبْلَجُ الثَّنَايَا، يَمْلأُ الأَرْضَ عَدْلًا، كَمَا مُلِئَتْ ظُلْماً وَجَوْراً»**.

٢ ـ خطب الإمام أمير المؤمنين خطبة عرض في بعضها إلى الإمام المنتظر عليه السلام، قال: **«وَلَيَكُونَنَّ مَنْ يَخلفُنِي فِي أَهْلِ بَيْتِي رَجُلٌ يَأْمُرُ بِأَمْرِ اللَّهِ قَوِيٌّ يَحْكُمُ بِحُكْمِ اللَّهِ، وَذَلِكَ بَعْدَ زَمَانٍ مُكْلِحٍ مُفْصِحٍ، يَشْتَدُّ فِيهِ الْبَلاَءُ، وَيَنْقَطِعُ فِيهِ الرَّجَاءُ، وَيُقْبَلُ فِيه الرُّشَاءُ»**[4].

٣ ـ روى الأصبغ بن نباتة، عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: **«الْمَهْدِيُّ مِنَّا فِي آخِرِ الزَّمَانِ، لَمْ يَكُنْ فِي أُمَّةٍ مِنَ الأُمَمِ مَهْدِيٌّ يُنْتَظَرُ غَيْرَهُ»**[5].

٤ ـ روى الإمام الحسين عليه السلام أنَّ أباه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال له: **«التَّاسِعُ مِنْ وُلْدِكَ ـ يَا حُسَيْنُ ـ هُوَ الْقَائِمُ بِالْحَقِّ، الْمُظْهِرُ لِلدِّينِ، الْبَاسِطُ لِلْعَدْلِ.**

---

(١) شبَّه الكنوز التي في بطن الأرض بأفلاذ الكبد، وهي شعبها وقطعها، وهذا من الاستعارة العجيبة؛ لأنَّ شعب الكبد من أشرف الأعضاء الرئيسة، فكذلك الكنوز من جواهر الأرض النفيسة، ذكر ذلك السيِّد الرضي في مجازات الآثار النبويَّة.

(٢) بحار الأنوار: ٥١/٦٨.

(٣) الغيبة/الطوسي: ص١٨٠.

(٤) كنز العمّال: ١٤/٥٩٤.

(٥) دلائل الإمامة: ص٤٧٩.

فقال له الحسين عليه السلام: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَإِنَّ ذَلِكَ لَكَائِنٌ؟

قال عليه السلام: إِي وَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّداً بِالنُّبُوَّةِ، وَاصْطَفَاهُ عَلَى جَمِيعِ الْبَرِيَّةِ، وَلَكِنْ بَعْدَ غَيْبَةٍ وَحَيْرَةٍ، فَلَا يَثْبُتُ فِيهَا عَلَى دِينِهِ إِلَّا الْمُخْلِصُونَ الْمُبَاشِرُونَ لِرُوحِ الْيَقِينِ، الَّذِينَ أَخَذَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِيثَاقَهُمْ بِوَلَايَتِنَا، وَكَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ، وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ»[1].

٥ ـ قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «سَيَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمُ اللَّهُ وَيُحِبُّونَهُ، وَيَمْلِكُ مَنْ هُوَ بَيْنَهُمْ غَرِيبٌ، فَهُوَ الْمَهْدِيُّ، أَحْمَرُ الْوَجْهِ، بِشَعَرِهِ صُهوبَةٌ عَنْ أُمِّهِ وَأَبِيهِ، وَيَكُونُ عَزِيزاً فِي مَرَبَّاهُ، فَيَمْلِكُ بِلَادَ الْمُسْلِمِينَ بِأَمَانٍ، وَيَصْفو لَهُ الزَّمَانُ، وَيَسْمَعُ كَلَامَهُ وَيُطِيعُهُ الشُّيوخُ وَالْفِتْيَانِ، وَيَمْلأُ الأَرْضَ عَدْلاً، كَمَا مُلِئَتْ جَوْراً، فَعِنْدَ ذَلِكَ كَمُلَتْ إِمَامَتُهُ، وَتَقَرَّرَتْ خِلافَتُهُ»[2].

٣ ـ الإمام الحسن عليه السلام:

وأُثرت عن الإمام الحسن عليه السلام كوكبة من الأخبار في شأن الإمام المنتظر عليه السلام، كان منها هذا الحديث حينما صالح طاغية زمانه معاوية ابن هند، وقد لامه جماعة من شيعته على صلحه، فقال عليه السلام: «وَيْحَكُمْ، أَلَا تَعْلَمونَ أَنِّي إِمَامُكُمْ، وَمُفْتَرَضُ الطَّاعَةِ عَلَيْكُمْ، وَأَحَدُ سَيِّدَيْ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ بِنَصٍّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله.

قَالُوا: بَلَى.

قَالَ: أَمَا عَلِمْتُمْ أَنَّ الْخضرَ لَمَّا خَرَقَ السَّفِينَةَ، وَأَقَامَ الْجِدَارَ، وَقَتَلَ الْغُلَامَ كَانَ ذَلِكَ سَخَطاً لِمُوسَى بْنِ عِمْرَانَ؛ إِذْ خَفِيَ عَلَيْهِ وَجْهُ الْحِكْمَةِ فِي ذَلِكَ، وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى ذِكْرُهُ حِكْمَةً وَصَوَاباً. أَمَا عَلِمْتُمْ أَنَّهُ مَا مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا وَيَقَعُ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ لِطَاغِيَةِ زَمَانِهِ، إِلَّا الْقَائِمُ الَّذِي يُصَلِّي رُوحُ اللَّهِ خَلْفَهُ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُخْفِي وِلَادَتَهُ، وَيُغَيِّبُ شَخْصَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِأَحَدٍ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ إِذَا خَرَجَ، ذَاكَ التَّاسِعُ مِنْ وُلْدِ أَخِي الْحُسَيْنِ، ابْنِ سَيِّدَةِ النِّسَاءِ، يُطِيلُ اللَّهُ عُمُرَهُ، وَفِي غَيْبَتِهِ، ثُمَّ يُظْهِرُهُ بِقُدْرَتِهِ فِي صُورَةِ شَابٍّ ابْنِ دُونِ الْأَرْبَعِينَ سَنَةً، وَذَلِكَ لِيُعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»[3].

---

(١) كمال الدِّين وتمام النعمة: ص٢٨٧.

(٢) ينابيع المودَّة: ٣/٣٣٨.

(٣) كمال الدِّين: ص٢٩٧. كفاية الأثر: ص٢٢٥.

٤ ـ الإمام الحسين عليه السلام:

١ ـ قال الإمام الحسين عليه السلام: «فِي التَّاسِعِ مِنْ وُلْدِي سُنَّةٌ مِنْ يُوسُفَ، وَسُنَّةٌ مِنْ مُوسَىٰ، وَهُوَ قَائِمُنَا أَهْلَ الْبَيْتِ، يُصْلِحُ اللَّهُ تَعَالَىٰ أَمْرَهُ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ»[١].

٢ ـ وقال عليه السلام أيضاً: «قَائِمُ هَذِهِ الأُمَّةِ هُوَ التَّاسِعُ مِنْ وُلْدِي، وَهُوَ صَاحِبُ الْغَيْبَةِ»[٢].

٣ ـ وقال عليه السلام: «مِنَّا اثْنَا عَشَرَ أَمِيراً، أَوَّلُهُمْ: أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَآخِرُهُمْ: التَّاسِعُ مِنْ وُلْدِي، وَهُوَ الْقَائِمُ بِالْحَقِّ، يُحْيِي اللَّهُ بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا، وَيُظْهِرُ بِهِ دِينَ الْحَقِّ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ، وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ، لَهُ غَيْبَةٌ يَرْتَدُّ فِيهَا قَوْمٌ، وَيَثْبُتُ عَلَىٰ الدِّينِ فِيهَا آخَرونَ فَيُؤْذَونَ وَيُقَالُ لَهُمْ: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[٣].

أَمَا إِنَّ الصَّابِرِينَ فِي غَيْبَتِهِ عَلَىٰ الأَذَىٰ وَالتَّكْذِيبِ بِمَنْزِلَةِ الْمُجَاهِدِينَ بِالسَّيْفِ بَيْنَ يَدَي رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله»[٤].

٤ ـ قال الإمام الحسين عليه السلام: «لِصَاحِبِ هَذَا الأَمْرِ ـ يعني المهدي عليه السلام ـ غَيْبَتَانِ: إِحْدَاهُمَا تَطُولُ حَتَّىٰ يَقُولَ بَعْضُهُمْ مَاتَ، وَبَعْضُهُمْ ذَهَبَ وَلاَ يَطَّلِعُ عَلَىٰ مَوْضِعِهِ أَحَدٌ مِنْ وَلِيٍّ وَلاَ غَيْرُهُ إِلَّا الْمَوْلَىٰ الَّذِي يَلِي أَمْرِهِ»[٥].

٥ ـ الإمام زين العابدين عليه السلام:

١ ـ قرأ الإمام زين العابدين الآية الكريمة: ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾[٦]، فقال عليه السلام: «وَاللَّهِ هُمْ مُحِبّونَا أَهْلَ الْبَيْتِ، يَفْعَلُ اللَّهُ ذَلِكَ بِهِمْ عَلَىٰ يَدِ رَجُلٍ مِنَّا، وَهُوَ مَهْدِيُّ هَذِهِ الأُمَّةِ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيا إِلَّا يَوْمٌ لَطَوَّلَ اللَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ حَتَّىٰ يَأْتِيَ رَجُلٌ مِنْ عِتْرَتِي، اسْمُهُ اسْمِي، يَمْلأُ الأَرْضَ قِسْطاً وَعَدْلاً كَمَا مُلِئَتْ ظُلْماً وَجَوْراً»[٧].

---

(١) كمال الدِّين: ص٢٩٧، الحديث ١.
(٢) كمال الدِّين: ص٢٩٨، الحديث ٢.
(٣) سورة يونس: الآية ٤٨.
(٤) كفاية الأثر: ص٢٣٢.
(٥) البرهان في علامات مهدي آخر الزمان: ٢/ ٨٤٧.
(٦) سورة النُّور: الآية ٥٥.
(٧) ينابيع المودَّة: ٣/ ٢٤٥. مجمع البيان: ٧/ ٢٦٧.

٢ ـ قال الإمام زين العابدين عليه السلام: «إِنَّ الآيَةَ الْكَرِيمَةَ ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ﴾ نَزَلَتْ فِي الْقَائِمِ الْمَهْدِيِّ عليه السلام»(١).

٣ ـ خطب الإمام زين العابدين عليه السلام في بلاط يزيد حينما كان أسيراً، فكان من جملة خطابه: «وَمِنَّا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله، وَوَصِيُّهُ، وَسَيِّدُ الشُّهَداءِ، وَجَعْفَرُ الطَّيَّارُ فِي الْجَنَّةِ، وَسِبْطا هَذِهِ الأُمَّةِ، وَالْمَهْدِيُّ الَّذِي يَقْتُلُ الدَّجَّال»(٢).

٤ ـ قال الإمام زين العابدين عليه السلام: «فِي الْقَائِمِ سُنَّةٌ مِنْ سَبْعَةِ أَنْبِيَاءٍ: سُنَّةٌ مِنْ أَبِينَا آدَمَ، وَسُنَّةٌ مِنْ نُوحٍ، وَسُنَّةٌ مِنْ إِبْرَاهِيمَ، وَسُنَّةٌ مِنْ مُوسَىٰ، وَسُنَّةٌ مِنْ عِيسَىٰ، وَسُنَّةٌ مِنْ أَيُّوبَ، وَسُنَّةٌ مِنْ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله.

فأَمَّا مِنْ آدَمَ وَنُوحٍ فَطُولُ الْعُمُرِ، وَأَمَّا مِنْ إِبْرَاهِيمَ فَخَفاءُ الْوِلاَدَةِ وَاعْتِزَالِ النَّاسِ، وَأَمَّا مِنْ مُوسَىٰ فَالْخَوْفُ وَالْغَيْبَةُ، وَأَمَّا مِنْ عِيسَىٰ فَاخْتِلاَفُ النَّاسِ فِيهِ، وَأَمَّا مِنْ أَيُّوبَ فَالْفَرَجُ بَعْدَ الْبَلوىٰ، وَأَمَّا مِنْ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله فَالْخُرُوجُ بِالسَّيْفِ»(٣).

٦ ـ الإمام الباقر عليه السلام:

روى أبو بصير، عن الإمام الباقر، قال عليه السلام: «فِي صَاحِبِ هَذَا الأَمْرِ سُنَّةٌ مِنْ مُوسَىٰ، وَسُنَّةٌ مِنْ عِيسَىٰ، وَسُنَّةٌ مِنْ يُوسُفَ، وَسُنَّةٌ مِنْ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله.

فَأَمَّا سُنَّتُهُ مِنْ مُوسَىٰ فَخَائِفٌ يَتَرَقَّبُ، وَأَمَّا مِنْ يُوسُفَ فَالسِّجْنُ وَالْغَيْبَةُ، وَأَمَّا مِنْ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله فَالْقِيَامُ بِالسَّيْفِ، وَتَبيِينِ آثَارِهِ، ثُمَّ يَضَعُ سَيْفَهُ عَلَىٰ عَاتِقِهِ بِيَمِينِهِ، فَلاَ يَزَالُ يَقْتُلُ أَعْدَاءَ اللَّهِ حَتَّىٰ يَرْضَىٰ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.

فقال أبو بصير: كيف يعلم أنَّ الله قد رضي؟

قال: يُلْقِي فِي قَلْبِهِ الرَّحْمَةَ»(٤).

وذكر الإمام الباقر عليه السلام أسماء الخلفاء الاثني عشر عليهم السلام الذين نصبهم النبيّ صلى الله عليه وآله أعلاماً لأُمَّته، ولمَّا بلغ آخره، قال عليه السلام: «الثَّاني عَشَرُ الَّذِي يُصَلِّي خَلْفَهُ عِيسى بْنُ مَرْيَمَ»(٥).

---

(١) ينابيع المودَّة: ٣/ ٢٤٥.

(٢) منتخب الأثر: ص٢٢٦.

(٣) كمال الدِّين: ص٣٥٢.

(٤) كمال الدِّين: ص٣٠٨، الحديث ١١.

(٥) كمال الدِّين: ص٣١١، الحديث ١٧.

٧ ـ الإمام الصَّادق عليه السلام:

١ ـ حدَّث السيِّد الجليل إسماعيل بن محمَّد الحميري، شاعر أهل البيت عليهم السلام، قال: «كنت أقول بالغلوّ، وأعتقد غيبة محمَّد بن الحنفيَّة، فمنَّ الله علَيَّ بالصَّادق، جعفر بن محمَّد عليه السلام، وأنقذني به من النار، وهداني إلى سواء الصراط، فسألته بعد ما صحَّت عندي الدلائل التي شاهدتها منه أنَّه حجَّة الله علَيَّ، وعلى جميع أهل زمانه، وأنَّه الإمام الذي فرض الله طاعته، وأوجب الاقتداء به.

فقلت له: يابن رسول الله، قد رويت لنا أخبار عن آبائك في الغيبة، وصحَّة كونها، فأخبرني بمن تقع؟

فقال عليه السلام: **إِنَّ الْغَيْبَةَ سَتَقَعُ بِالسَّادِسِ مِنْ وُلْدِي، وَهُوَ الثَّانِي عَشَرَ مِنَ الأَئِمَّةِ الْهُدَاةِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله، أَوَّلُهُمْ: أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَآخِرُهُمْ: الْمَهْدِيُّ الْقَائِمُ بِالْحَقِّ، بَقِيَّةُ اللَّهِ فِي الأَرْضِ، وَصَاحِبُ الزَّمَانِ، وَاللَّهِ لَوْ بَقِيَ فِي غَيْبَتِهِ مَا بَقِيَ نُوحٌ فِي قَوْمِهِ لَمْ يَخْرُجْ مِنَ الدُّنْيا حَتَّى يَظْهَرَ، فَيَمْلأُ الأَرْضَ قِسْطاً وَعَدْلاً، كَمَا مُلِئَتْ جَوْراً وَظُلْماً.**

قال السيِّد: فلمَّا سمعت ذلك من مولاي الصَّادق جعفر بن محمَّد عليه السلام تبت إلى الله جَلَّ ذكره على يديه، وقلت قصيدتي التي أوَّلها:

فَلَمَّا رَأَيتُ النَّاسَ فِي الدِّينِ قَدْ غَووا   تَجَعْفَرتُ بِاسْمِ اللَّهِ فِيمَنْ تَجَعْفَروا»[(١)]

٢ ـ قال الإمام الصادق عليه السلام في حديث له: «**يَظْهَرُ صَاحِبُنَا** ـ يعني الإمام المهدي عليه السلام ـ **وَهُوَ مِنْ صُلْبِ هَذَا**، وأومأ بيده إلى موسى بن جعفر عليه السلام، **فَيَمْلأُهَا عَدْلاً كَمَا مُلِئَتْ جَوْراً وَظُلْماً، وَتَصْفو لَهُ الدُّنْيا**»[(٢)].

٣ ـ قال الإمام الصَّادق عليه السلام: «**الْخَلَفُ الصَّالِحُ مِنْ وُلْدِي، وَهُوَ الْمَهْدِيّ، اسْمُهُ مُحَمَّدٌ، وَكُنْيَتُهُ أَبُو الْقَاسِمِ، يَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، يُقَالُ لأُمِّهِ: نَرْجِسُ، وَعَلَىٰ رَأْسِهِ غَمَامَةٌ تُظِلُّهُ عَنِ الشَّمْسِ تَدورُ مَعَهُ حَيْثُ مَا دَارَ، تُنَادِي بِصَوْتٍ فَصِيحٍ: هَذَا الْمَهْدِيُّ فَاتَّبِعوه**»[(٣)].

---

(١) كمال الدِّين: ص٣٢١، الحديث ٢٣.

(٢) الغيبة/ الطوسي: ص٤٢.

(٣) ينابيع المودَّة: ٣/ ٣٩٢، الحديث ٣٧.

٨ ـ الإمام الكاظم عليه السلام:

روى يونس بن عبد الرَّحمٰن، قال: «دخلت على موسى بن جعفر عليهما السلام فقلت: يابن رسول الله، أنت القائم؟

فقال: **أَنَا الْقَائِمُ بِالْحَقِّ، وَلَكِنَّ الْقَائِمَ بِالْحَقِّ الَّذِي يُطَهِّرُ الأَرْضَ مِنْ أَعْدَاءِ اللَّهِ، وَيَمْلأُهَا عَدْلاً كَمَا مُلِئَتْ جَوْراً، هُوَ الْخَامِسُ مِنْ وُلْدِي، لَهُ غَيْبَةٌ يَطُولُ أَمَدُهَا خَوْفاً عَلَىٰ نَفْسِهِ، يَرْتَدُّ فِيهَا أَقْوَامٌ، وَيَثْبُتُ فِيهَا آخَرونَ. طُوبىٰ لِشِيعَتِنَا الْمُتَمَسِّكِينَ بِحَبْلِنَا فِي غَيْبَةِ قَائِمِنَا، الثَّابِتِينَ عَلَىٰ مُوَالاَتِنَا، وَالْبَرَاءَةِ مِنْ أَعْدَائِنَا، أُولَئِكَ مِنَّا، وَنَحْنُ مِنْهُمْ، قَدْ رَضوا بِنَا أَئِمَّةً، وَرَضِينَا بِهِمْ شَيعَةً، فَطُوبَىٰ لَهُمْ، ثُمَّ طُوبَىٰ لَهُمْ، هُمْ وَاللَّهِ مَعَنَا فِي دَرَجَتِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[1].

٩ ـ الإمام الرِّضا عليه السلام:

١ ـ وفد شاعر أهل البيت دعبل الخزاعي على الإمام الرِّضا عليه السلام، وتلا عليه قصيدته الخالدة التي عرض فيها مصائب أهل البيت، وما عانوه من الظلم والاضطهاد من حكَّام الأمويِّين والعبَّاسيِّين، وكان مطلعها:

مَـــدارِسُ آيَـــاتٍ خَـــلَـــتْ مِـــنْ تِـــلاَوَةٍ   وَمَـــنْـــزِلُ وَحْـــيٍ مُـــقْـــفِـــرُ الْـــعَـــرَصَـــاتِ

ولمَّا انتهى من قصيدته إلى قوله:

فَـلَـوْلاَ الَّـذِي أَرْجـوهُ فِـي الْـيَـوْمِ أَوْ غَـدٍ   تَـقَـطَّـعَ قَـلْـبِـي أَثْـرَهُـمْ حَـسَـرَاتِ

ورفع الإمام رأسه ليستمع إلى أمل الخزاعي الذي لولاه لذهبت نفسه أسىٰ وحسرات، وتلا دعبل قوله:

خُـــرُوجُ إِمَـــامٍ لاَ مَـــحَـــالَـــةَ خَـــارِجٍ   يَـقُـومُ عَـلَـىٰ اسْـمِ الـلَّـهِ وَالْـبَـرَكَـاتِ

يُـمَـيِّـزُ فِـيـنَـا كُـلَّ حَـقٍّ وَبَـاطِـلٍ   وَيَـجْـزِي عَـلَـىٰ الـنَّـعْـمَـاءِ وَالـنَّـقِـمَـاتِ

وبكى الإمام الرِّضا عليه السلام بكاءً مرّاً وشديداً، والتفت إلى دعبل شاعر المظلومين والمضطهدين فقال له: **يَا خُزَاعِيُّ، نَطَقَ رُوحُ الْقُدُسِ عَلَىٰ لِسَانِكَ بِهَذَينِ الْبَيْتَيْنِ، فَهَلْ تَدْرِي مَنْ هَذَا الإِمَامُ؟ وَمَتَىٰ يَقُومِ؟**

وطفق دعبل قائلاً: لا يا مولاي، إلاَّ أنِّي سمعت بخروج إمام منكم، يطهِّر الأرض من الفساد، يملأها عدلاً.

---

(١) كفاية الأثر: ص٢٦٥ و٢٦٦.

وانبرى الإمام عليه السلام يعرِّفه بالإمام المنتظر المصلح الأعظم قائلاً: **يَا دِعْبِلُ، الإِمَامُ مِنْ بَعْدِي ابْنِي مُحَمَّدٌ، وَبَعْدَ مُحَمَّدٍ ابْنُهُ عَلِيٌّ، وَبَعْدَ عَلِيٍّ ابْنُهُ الْحَسَنُ، وَبَعْدَ الْحَسَنِ ابْنُهُ الْحُجَّةُ الْقَائِمُ، الْمُنْتَظَرُ فِي غَيْبَتِهِ، الْمُطَاعُ فِي ظُهُورِهِ، وَلَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيا إِلَّا يَوْمٌ وَاحِدٌ لَطَوَّلَ اللَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ حَتَّىٰ يَخْرُجَ، فَيَمْلأُ الأَرْضَ عَدْلاً كَمَا مُلِئَتْ جَوْراً، وَأَمَّا مَتَىٰ يَقُومُ فَإِخْبَارٌ عَنِ الْوَقْتِ، وَقَدْ حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ آبَائِهِ، عَنْ عَلِيٍّ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ، إِنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله قِيلَ لَهُ: مَتَىٰ يَخْرُجُ الْقَائِمُ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ؟**

فقال: **مَثَلُهُ كَمَثَلِ السَّاعَةِ لاَ يُجَلِّيها لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ عَزَّ وَجَلَّ، ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ لاَ تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَة**»[1].

٢ ـ روى الحسن بن خالد أنَّ الإمام عليّ بن موسى الرِّضا عليه السلام قال: «**لاَ دِينَ لِمَنْ لاَ وَرَعَ لَهُ، وَلاَ إِيْمَانَ لِمَنْ لاَ تَقِيَّةَ لَهُ، وَ**﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[2]، **أَي أَعْلَمُكُم بِالتَّقِيَّةِ.**

فقيل له: إلى متى يابن رسول الله؟

قال: **إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ، وَهُوَ يَوْمُ خُرُوجِ قَائِمِنَا، فَمَنْ تَرَكَ التَّقِيَّةَ قَبْلَ خُرُوجِ قَائِمِنَا فَلَيْسَ مِنَّا.**

فقيل له: يابن رسول الله، ومن القائم منكم أهل البيت؟

قال: **الرَّابِعُ مِنْ وُلْدِي، ابْنُ سَيِّدَةِ الإِمَاءِ، يُطَهِّرُ اللَّهُ بِهِ الأَرْضَ مِنْ كُلِّ جَوْرٍ وَيُقَدِّسُهَا مِنْ كُلِّ ظُلْم، وَهُوَ الَّذِي يَشُكُّ النَّاسُ فِي وِلاَدَتِهِ، وَهُوَ صَاحِبُ الْغَيْبَةِ قَبْلَ خُرُوجِهِ، فَإِذَا خَرَجَ أَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِهِ، وَوَضَعَ مِيزَانَ الْعَدْلِ بَيْنَ النَّاسِ، فَلاَ يَظْلِمُ أَحَدٌ أَحَداً، وَهُوَ الَّذِي تُطْوىٰ لَهُ الأَرْضُ، وَلاَ يَكُونُ لَهُ ظِلٌّ، وَهُوَ الَّذِي يُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ، يَسْمَعُهُ جَمِيعُ أَهْلِ الأَرْضِ الدُّعَاء إِلَيْهِ بِقَولِهِ: أَلَا إِنَّ حُجَّةَ اللَّهِ قَدْ ظَهَرَ عِنْدَ بَيْتِ اللَّهِ فَاتَّبِعوهُ، فَإِنَّ الْحَقَّ فِيهِ وَمَعَهُ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ:** ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ﴾[3]، **وَقَولُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ:** ﴿يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾[4]، **أَي خُرُوجُ وَلَدِي الْقَائِمِ الْمَهْدِيّ عليه السلام**»[5].

---

(١) ينابيع المودَّة: ٣/٣٠٩ و٣١٠، الحديث ١.

(٢) سورة الحجرات: الآية ١٣.

(٣) سورة الشعراء: الآية ٤.

(٤) سورة ق: الآيتان ٤١ و٤٢.

(٥) فرائد السمطين: ص٣٣٧.

١٠ ـ الإمام الجواد عليه السلام:

١ ـ روى الثقة الزكيّ عبد العظيم الحسني، قال: «دخلت على سيِّدي محمَّد بن عليّ، وأنا أُريد أن أسأله عن القائم أهو المهدي أو غيره؟

فابتدأني هو فقال لي: **يَا أَبَا الْقَاسِمِ، إِنَّ الْقَائِمَ مِنَّا هُوَ الْمَهْدِيُّ الَّذِي يَجِبُ أَنْ يُنْتَظَرَ فِي غَيْبَتِهِ، وَيُطَاعَ فِي ظُهورِهِ، وَهُوَ الثَّالِثُ مِنْ وُلْدِي، وَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّداً بِالنُّبُوَّةِ، وَخَصَّنَا بِالإِمَامَةِ، إِنَّهُ لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ وَاحِدٌ لَطَوَّلَ اللَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ حَتَّى يَخْرُجَ فِيهِ، فَيَمْلأُ الأَرْضَ قِسْطاً وَعَدْلاً، كَمَا مُلِئَتْ جَوْراً وَظُلْماً، وَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لَيُصْلِحُ أَمْرَهُ فِي لَيْلَةٍ، كَمَا أَصْلَحَ اللَّهُ أَمْرَ كَلِيمِهِ مُوسَىٰ؛ إِذْ ذَهَبَ لِيَقْتَبِسَ لأَهْلِهِ نَاراً فَرَجَعَ وَهُوَ نَبِيٌّ مُرْسَل.**

ثمَّ قال عليه السلام: **أَفْضَلُ أَعْمَالِ شِيعَتِنَا انْتِظَارُ الْفَرَجِ**»[1].

٢ ـ روى الصقر بن أبي دلف، قال: «سمعت أبا جعفر محمَّد بن عليّ الرِّضا عليهما السلام يقول: **الإِمَامُ بَعْدِي ابْنِي عَلِيٌّ، أَمْرُهُ أَمْرِي، وَقَوْلُهُ قَوْلِي، وَطَاعَتُهُ طَاعَتِي**، ثمَّ سكت فقلت له: يابن رسول الله صلى الله عليه وآله: فمن الإمام بعد عليّ؟

قال: **ابْنُهُ الْحَسَنُ.**

قلت: يابن رسول الله، فمن الإمام بعد الحسن؟

فبكى عليه السلام بكاءً شديداً، ثمَّ قال: **إِنَّ مِنْ بَعْدِ الْحَسَنِ ابْنُهُ الْقَائِمِ بِالْحَقِّ الْمُنْتَظَر.**

فقلت له: يابن رسول الله، لِمَ سمِّي القائم؟

قال: **لأَنَّهُ يَقُومُ بَعْدَ مَوْتِ ذِكْرِهِ، وَارْتِدَادِ أَكْثَرِ الْقَائِلِينَ بِإِمَامَتِهِ.**

فقلت له: ولِمَ سمِّي المنتظر؟

قال: **إِنَّ لَهُ غَيْبَةً يَكْثُرُ أَيَّامُهَا، وَيَطُولُ أَمَدُهَا، فَيَنْتَظِرُ خُروجَهُ الْمُخْلِصونَ، وَيُنْكِرُهُ الْمُرْتَابونَ، وَيَسْتَهزِىءُ بِهِ الْجَاحِدونَ، وَيُكَذِّبُ فِيهَا الْوَقَّاتونَ، وَيَهْلِكُ فِيهَا الْمُسْتَعْجِلونَ، وَيَنْجو فِيهَا الْمُسَلِّمونَ**»[2].

١١ ـ الإمام الهادي عليه السلام:

١ ـ روى الصقر بن أبي دلف، قال: «سمعت عليّ بن محمَّد بن عليّ الرِّضا عليهم السلام

---

(١) كفاية الأثر: ص٢٧٦ و٢٧٧.

(٢) كفاية الأثر: ص٢٧٩ و٢٨٠.

يقول: **الإِمَامُ بَعْدِي الْحَسَنُ ابْنِي، وَبَعْدَهُ ابْنُهُ الْقَائِمُ الَّذِي يَمْلأُ الأَرْضَ قِسْطاً وَعَدْلاً كَمَا مُلِئَتْ جَوْراً وَظُلْماً»**(١).

٢ ـ روى الفقيه الفاضل السيِّد عبد العظيم الحسني، قال: «دخلت على سيِّد عليّ بن محمَّد، فلمَّا أبصرني قال لي: **مَرْحَباً يَا أَبَا الْقَاسِمِ، أَنْتَ وَلِيُّنَا حَقّاً**.

قال: فقلت له: يابن رسول الله، إنِّي أُريد أن أعرض عليك ديني، فإن كان مرضيّاً ثبتَّ عليه حتَّى ألقى الله عزَّ وجلَّ.

فقال: **هَاتِ يَا أَبَا الْقَاسِمِ**.

فقلت: إنِّي أقول: إنَّ الله تبارك وتعالى ليس كمثله شيء، خارج عن الحدَّين: حدّ الإبطال، وحدّ التشبيه، وأنَّه ليس بجسم، ولا صورة، ولا عرض، ولا جوهر، بل هو مجسّم ـ أي خالق ـ الأجسام، ومصوّر الصور، وخالق الأعراض والجواهر، وربّ كلّ شيء، ومالكه وجاعله ومحدثه، وإنَّ محمَّداً عبده ورسوله، خاتم النَّبيِّين، لا نبيّ بعده إلى يوم القيامة، وإنَّ شريعته خاتمة الشرائع فلا شريعة بعدها إلى يوم القيامة، وأقول: إنَّ الإمام والخليفة ووليّ الأمر بعده أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، ثمَّ الحسن، ثمَّ الحسين، ثمَّ عليّ بن الحسين، ثمَّ محمَّد بن عليّ، ثمَّ جعفر بن محمَّد، ثمَّ موسى بن جعفر، ثمَّ عليّ بن موسى، ثمَّ محمَّد بن عليّ، ثمَّ أنت يا مولاي.

وسكت عبد العظيم، فقال له الإمام الهادي عليه السلام معرِّفاً له الإمام بعده: **وَمِنْ بَعْدِي الْحَسَنُ ابْنِي، فَكَيْفَ النَّاسُ بِالْخَلَفِ مِنْ بَعْدِهِ؟**

وطفق عبد العظيم يسأل عن الخلف بعد الحسن قائلاً: كيف ذلك يا مولاي؟

فانبرى الإمام الهادي قائلاً: **إِنَّهُ** ـ أي الإمام المنتظر عليه السلام ـ **لاَ يرىٰ شَخْصُهُ حَتَّىٰ يَخْرُجَ فَيَمْلأُ الأَرْضَ قِسْطاً وَعَدْلاً كَمَا مُلِئَتْ جَوْراً وَظُلْماً**.

وأقرَّ عبد العظيم وآمن بما أمره الإمام من الاعتراف بغيبة الإمام المهدي، والتفت إليه قائلاً: **يَا أَبَا الْقَاسِمِ، هَذَا وَاللَّهِ دِينُ اللَّهِ الَّذِي ارْتَضَاهُ لِعِبَادِهِ»**(٢).

١٢ ـ الإمام العسكري عليه السلام:

روى الثقة أحمد بن إسحاق بن سعد الأشعري، قال: «دخلت على أبي محمَّد الحسن بن علي عليه السلام وأنا أُريد أن أسأله عن الخلف من بعده، فقال لي مبتدئاً:

---

(١) أعلام الورى: ٢/ ٢٤٧.

(٢) كمال الدِّين وإتمام النعمة: ص٣٥٣ ـ ٣٥٤.

يَا أَحْمَدَ بْنَ إِسْحَاقَ، إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لَمْ يُخْلِ الأَرْضَ مِنْذُ خَلَقَ آدَمَ عليه السلام وَلاَ يُخْلِيهَا إِلَىٰ أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ مِنْ حُجَّةٍ لِلَّهِ عَلَىٰ خَلْقِهِ، بِهِ يَدْفَعُ الْبَلاَءَ عَنْ أَهْلِ الأَرْضِ، وَبِهِ يُنَزِّلُ الْغَيْثَ، وَبِهِ يُخْرِجُ بَرَكَاتِ الأَرْضِ.

وانبرى أحمد قائلاً: يابن رسول الله، فمَن الإمام والخليفة بعدك؟

فنهض عليه السلام مسرعاً فدخل البيت، ثمَّ خرج وهو يحمل بقيَّة الله في الأرض، وكأنَّ وجهه في إشعاعه القمر ليلة البدر، وكان عمر الإمام ثلاث سنين، والتفت الإمام الحسن إلى أحمد قائلاً: **يَا أَحْمَدَ بْنَ إِسْحَاقَ، لَوْلاَ كَرَامَتُكَ عَلَىٰ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَعَلَىٰ حُجَجِهِ مَا عَرَضْتُ عَلَيْكَ ابْنِي هَذَا، إِنَّهُ سَمِيُّ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَكَنِيُّهُ، الَّذِي يَمْلأُ الأَرْضَ قِسْطاً وَعَدْلاً كَمَا مُلِئَتْ جَوْراً وَظُلْماً.**

يَا أَحْمَدَ بْنَ إِسْحَاقَ، مَثَلُهُ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ مَثَلُ الْخضرِ عليه السلام، وَمَثَلُهُ مَثَلُ ذِي الْقَرْنَينِ، وَاللَّهِ لَيَغِيبَنَّ غَيْبَةً لاَ يَنْجو فِيهَا مِنَ الْهَلَكَةِ إِلَّا مَنْ ثَبَّتَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَىٰ الْقَوْلِ بِإِمَامَتِهِ، وَوَفَّقَهُ فِيهَا لِلدُّعَاءِ بِتَعْجِيلِ فَرَجِهِ.

وسارع أحمد قائلاً: يا مولاي، فهل من علامةٍ يطمئنَّ إليها قلبي؟

ونطق الإمام المنتظر عليه السلام، فأراه العلامة التي يطلبها قائلاً: **أَنَا بَقِيَّةُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ، وَالْمُنْتَقِمُ مِنْ أَعْدَائِهِ، فَلاَ تَطْلبْ أَثَراً بَعْدَ عَيْنٍ.**

ووقف أحمد على ما يريده، واطمئنَّ قلبه، وخرج وهو ناعم البال، فلمَّا كان اليوم الثاني عاد إلى بيت الإمام، ولمَّا تشرَّف بمقابلته قال له: يابن رسول الله، لقد عظم سروري بما مننت به عليَّ فما السُّنَّة الجارية فيه من الخضر وذي القرنين؟

فأجابه الإمام عليه السلام: **طولُ الْغَيْبَةِ، يَا أَحْمَد.**

وطلب أحمد من الإمام أن يوضِّح له طول غيبة الإمام قائلاً: يابن رسول الله، وإنَّ غيبته لتطول؟

فأجابه الإمام: **إِي وَرَبِّي** - يعني لتطول غيبته - **حَتَّىٰ يَرْجِعَ النَّاسُ عَنْ هَذَا الأَمْرِ أَكْثَرُ الْقَائِلِينَ بِهِ وَلاَ يَبْقَىٰ إِلَّا مَنْ أَخَذَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَهْدَهُ لِوَلاَيَتِنَا، وَكَتَبَ فِي قَلْبِهِ الإِيْمَانَ، وَأَيَّدَهُ بِروحٍ مِنْهُ.**

يَا أَحْمَدَ بْنَ إِسْحَاقَ، هَذَا أَمْرٌ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ، وَسِرٌّ مِنْ سِرِّ اللَّهِ، وَغَيْبٌ مِنْ غَيْبِ اللَّهِ، فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَاكْتُمْهُ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ تَكُنْ مَعَنَا غَداً فِي عِلِّيِّين»[1].

(١) كمال الدِّين وإتمام النعمة: ص٣٥٧ و٣٥٨.

علامات ظهوره عليه السلام

العلامات الحتميَّة

وأجمعت الأخبار على ضرورة تحقُّق بعض العلامات قبل ظهور الإمام عليه السلام، وهذا بعضها:

انتشار الظلم:

١ ـ روى أبو سعيد الخدري: «أنَّ رسول الله ﷺ قال: **سَتَكونُ بَعْدِي فِتَنٌ، مِنْهَا فِتَنُ الأَحْلاَسِ**[١] **يَكُونُ فِيهَا هَرَبٌ وَحَرْبٌ، ثُمَّ مِنْ بَعْدِهَا فِتَنٌ كُلَّمَا قِيلَ انْقَطَعَتْ تَمَادَتْ حَتَّىٰ لاَ يَبْقَىٰ بَيْتٌ مِنَ الْعَرَبِ إِلَّا دَخَلَتْهُ، وَلاَ مُسْلِمٌ إِلَّا وَصَلَتْهُ، حَتَّىٰ يَخْرُجَ رَجُلٌ مِنْ عِتْرَتِي**»[٢].

٢ ـ روى أبو سعيد الخدري: «أنَّ النبيّ ﷺ قال: **لَا يَزَالُ بِكُمُ الأَمْرُ** ـ أي الشِّدَّة والضيق ـ **حَتَّى يُولَدَ فِي الْفِتْنَةِ وَالْجَوْرِ مَنْ لَا يُعْرَفُ عَدَدُهَا حَتَّى تُمْلَأَ الأَرْضُ جَوْراً، فَلَا يَقْدِرُ أَحَدٌ يَقُولُ: اللَّهَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رَجُلَا مِنِّي وَمِنْ عِتْرَتِي فَيَمْلَأُ الأَرْضَ عَدْلَا كَمَا مَلَأَهَا مَنْ كَانَ قَبْلَهُ جَوْراً، وَتُخْرِجُ لَهُ الأَرْضُ أَفْلَاذَ كَبِدِهَا، وَيَحْثُو الْمَالَ حَثْواً، وَلَا يَعُدُّهُ عَدّاً وَذَلِكَ حِينَ يَضْرِبُ الإِسْلَامُ بِجِرَانِه**»[٣].

٣ ـ وروى أيضاً: «أنَّ نبيّ الله ﷺ قال: **«يَنْزِلُ بِأُمَّتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ بَلاءٌ شَدِيدٌ مِنْ سُلْطَانِهِمْ لَمْ يُسْمَعْ بِبِلاَءٍ أَشَدَّ مِنْهُ، حَتَّىٰ تَضِيقَ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ الرَّحْبَةُ، وَحَتَّىٰ تَمْلَأَ الأَرْضُ جَوْراً وَظُلْماً، وَلاَ يَجِدُ الْمُؤْمِنُ مَحَلَّا يَلْتَجِيءُ إِلَيْهِ مِنَ الظُّلْمِ، فَيَبْعَثُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رَجُلاً مِنْ عِتْرَتِي فَيَمْلأُ الأَرْضَ قِسْطاً وَعدْلاً كَمَا مُلِئَتْ ظُلْماً وَجَوْراً، يَرْضَىٰ عَنْهُ**

---

(١) الأحلاس: جمع حلس، وهو الثوب الذي يلي ظهر البعير، شبَّهها به للزومها ودوامها، نهاية ابن الأثير: ١/٤٥٦.

(٢) عقد الدرر: ص٨٠.

(٣) أمالي الطوسي: ص٥١٣.

سَاكِنُ السَّمَاءِ وَسَاكِنُ الأَرْضِ، لاَ تَدَّخِرُ الأَرْضُ مِنْ بَذْرِهَا شَيْئاً إِلَّا أَخْرَجَتْهُ، وَلاَ السَّمَاءُ مِنْ قَطْرِهَا شَيْئاً إِلَّا صَبَّهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِدْرَاراً، يَعِيشُ فِيهِمْ سَبْعَ سِنِينَ، أَوْ ثَمانٍ، أَوْ تِسْعٍ، تَتَمَنَّىٰ الأَحْيَاءُ الأَمْوَاتَ مِمَّا صَنَعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِأَهْلِ الأَرْضِ مِنْ خَيْرِهِ»[1].

٤ ـ قال صلى الله عليه وآله: «سَيَكُونُ بَعْدِي خُلفاءُ، وَمِنْ بَعْدِ الْخُلَفاءِ أُمَراءُ، وَمِنْ بَعْدِ الأُمَرَاءِ مُلوكٌ، وَمِنْ بَعْدِ الْمُلوكِ جَبَابِرَةٌ، ثُمَّ يَخْرُجُ رَجلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يَمْلأُ الأَرْضَ عَدْلاً كَمَا مِلِئَتْ جَوْراً»[2].

٥ ـ روى عوف بن مالك: «أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: كَيْفَ أَنْتُمْ ـ يَا عَوفُ ـ إِذَا افْتَرَقَتِ الأُمَّةُ عَلَىٰ ثَلاَثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَاحِدَةٌ مِنْهَا فِي الْجَنَّةِ وَسَائِرُهُنَّ فِي النَّارِ؟

وسارع عوف قائلاً: كيف ذلك؟

فأجابه رسول الله صلى الله عليه وآله موضِّحاً له ما يجري على المسلمين قائلاً: إِذَا كَثُرَتِ الشُّرَطُ، وَمَلكَتِ الإِمَاءُ، وَقَعَدَتِ الْجَهَلَةُ عَلَىٰ الْمَنَابِرِ، وَاتُّخِذَ الْفَيءُ دُوَلًا، وَالزَّكَاةُ مَغْرَماً، وَالأَمَانَةُ مَغْنَماً، وَتُفُقِّهَ فِي دِينِ اللَّهِ لِغَيْرِ اللَّهِ، وَأَطَاعَ الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ، وَعَقَّ أُمَّهُ، وَأَقْصَىٰ أَبَاهُ، وَلَعَنَ آخِرُ هَذِهِ الأُمَّةِ أَوَّلَهَا، وَسَادَ الْقَبِيلَةَ فَاسِقُهُمْ، وَكَانَ زَعِيمُ الْقَوْمِ أَرْذَلَهُمْ، وَأُكْرِمَ الرَّجُلُ اتِّقَاءَ شَرِّهِ، فَيَوْمَئِذٍ يَكُونُ ذَلِكَ فِيهِ يَفْزَعُ النَّاسُ إِلَىٰ الشَّامِ وَإِلَىٰ مَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا دِمَشق مِنْ خَيْرِ مُدُنِ الشَّامِ، فَتُحَصِّنُهُمْ مِنْ عَدُوِّهِمْ.

فقيل له: يا رسول الله، وهل تفتح الشام؟

قال صلى الله عليه وآله: وَشِيكاً، ثُمَّ تَقَعُ الْفِتْنَةُ بَعْدَ فَتْحِهَا، ثُمَّ تَجِيءُ فِتْنَةٌ غَبْرَاءُ مُظْلِمَةٌ، ثُمَّ تَتْبَعُ الْفِتَنُ بَعْضُهَا بَعْضاً، حَتَّىٰ يَخْرُجَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُقَالُ لَهُ الْمَهْدِي»[3].

٦ ـ قال صلى الله عليه وآله: «مِنَّا مَهْدِيُّ هَذِهِ الأُمَّةِ إِذَا صَارَتِ الدُّنْيا هَرَجاً وَمَرجاً[4]، وَتَظَاهَرَتِ الْفِتَنُ، وَتَقَطَّعَتِ السُّبُلُ، وَأَغَارَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ، فَلاَ كَبِيرَ يَرْحَمُ صَغِيراً، وَلاَ صَغِيرَ يُوَقِّرُ كَبِيراً، فَيَبْعَثُ اللَّهُ عِنْدَ ذَلِكَ مَهْدِيَّنَا، التَّاسِعُ مِنْ صُلْبِ الْحُسَيْنِ عليه السلام، يَفْتَحُ حُصونَ الضَّلاَلَةِ وَقُلُوباً غُلْفاً، يَقُومُ فِي الدِّينِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ كَمَا قُمتُ بِهِ فِي أَوَّلِ الزَّمَانِ، يَمْلأُ الأَرْضَ عَدْلاً كَمَا مُلِئَتْ جَوْراً»[5].

---

(١) عقد الدرر: ص٧٣.
(٢) كنز العمّال: ١٤/ ٢٦٥، الحديث ٣٨٦٦٧.
(٣) كنز العمّال: ١١/ ١٨٣ و١٨٤.
(٤) الهرج: الفتن والقتل. المرج: اضطراب الأمور وفسادها.
(٥) بحار الأنوار: ٥٢/ ٢٦٦.

٧ ـ روى الإمام أبي جعفر محمَّد بن عليّ عليه السلام أنّه قال: «**لَا يَظْهَرُ الْمَهْدِيُّ إِلَّا عَلَى خَوْفٍ شَدِيدٍ مِنَ النَّاسِ، وَزِلْزَالٍ وَفِتْنَةٍ وَبَلَاءٍ يُصِيبُ النَّاسَ، وَطَاعُونٍ قَبْلَ ذٰلِكَ، وَسَيْفٍ قَاطِعٍ بَيْنَ الْعَرَبِ، وَاخْتِلَافٍ شَدِيدٍ فِي النَّاسِ، وَتَشَتُّتٍ فِي دِينِهِمْ، وَتَغَيُّرٍ فِي حَالِهِمْ، حَتَّى يَتَمَنَّى الْمُتَمَنِّي الْمَوْتَ صَبَاحاً وَمَسَاءً مِنْ عِظَمِ مَا يَرَى مِنْ كَلَبِ النَّاسِ، وَأَكْلِ بَعْضِهِمْ بَعْضاً، فَخُرُوجُهُ عليه السلام إِذَا خَرَجَ يَكُون عِنْدَ الْإِيَاسِ وَالْقُنُوطِ مِنْ أَنْ يُرَىٰ فَرَجاً، فَيَا طُوبَىٰ لِمَنْ أَدْرَكَهُ وَكَانَ مِنْ أَنْصَارِهِ، وَالْوَيْلُ كُلَّ الْوَيْلِ لِمَنْ خَالَفَهُ وَخَالَفَ أَمْرَهُ**»[1].

٨ ـ وتحدَّث الإمام أبو جعفر عليه السلام في مجتمع من شيعته عن الإمام المنتظر عليه السلام، فقال: «**وَالْقَائِمُ مَنْصُورٌ بِالرُّعْبِ** ـ أي رعب أعدائه ـ **مُؤَيَّدٌ بِالظَّفَرِ، تُطْوَى لَهُ الْأَرْضُ، وَتَظْهَرُ لَهُ الْكُنُوزُ، وَيَبْلُغُ سُلْطَانُهُ الْمَشْرِقَ وَالْمَغْرِبَ، وَيُظْهِرُ اللَّهُ دِينَهُ عَلَىٰ الدِّين كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ، فَلَا يَبْقَى فِي الْأَرْضِ خَرَابٌ إِلَّا عَمَّرَهُ، وَلَا تَدَعُ الأَرْضُ شَيْئاً مِنْ نَبَاتِهَا إِلَّا أَخْرَجَتْهُ، وَيَتَنَعَّمُ النَّاسُ فِي زَمَانِهِ نِعْمَةً لَمْ يَتَنَعَّموا مِثْلَها قَطّ.**

فانبرى إليه شخص فقال له: متى يخرج قائمكم؟

فأجابه الإمام عن علامات ظهوره فقال: **إِذَا تَشَبَّهَ الرِّجَالُ بِالنِّسَاءِ وَالنِّسَاءُ بِالرِّجَالِ، وَرَكِبَتْ ذَوَاتُ الْفروجِ السُّرُوجَ، وَأَمَاتَ النَّاسُ الصَّلَوَاتِ، وَاتَّبَعوا الشَّهَوَاتِ، وَأَكَلوا الرِّبَا، وَاسْتَخَفّوا بِالدِّمَاءِ، وَتَعامَلوا بِالرِّبا، وَتَظَاهَروا بِالزِّنا، وَشَيَّدوا الْبِنَاءَ، وَاسْتَحَلّوا الْكَذِبَ، وَأَخَذوا الرُّشا، وَاتَّبَعوا الْهَوىٰ، وَبَاعوا الدِّينَ بِالدُّنْيا، وَقَطَعوا الأَرْحَامَ، وَمَنّوا بِالطَّعَامِ**[2]**، وَكَانَ الْحِلْمُ ضَعْفاً، وَالظُّلْمُ فَخْراً، وَالأُمَرَاءُ فَجَرَةٌ، وَالْوزراءُ كَذَبَةٌ، وَالأُمَنَاءُ خَوَنَةٌ، وَالأَعْوَانُ ظَلَمَةٌ، وَالْقُرَّاءُ فَسَقَةٌ، وَظَهَرَ الْجَوْرُ، وَكَثُرَ الطَّلاقُ، وَبَدا الْفُجورُ، وَقُبِلَتْ شَهَادَةُ الزُّورِ، وَشُرِبَتِ الْخُمورُ، وَرَكِبَ الذُّكورُ الذُّكورَ، واسْتَغْنَتِ النِّساءُ بِالنِّسَاءِ، وَاتَّخَذوا الْفَيْءَ مَغْنَماً، وَالصَّدَقَةَ مَغْرَماً، وَاتُّقِيَ الأَشْرَارُ مَخَافَةَ أَلْسِنَتِهِمْ، وَخَرَجَ السُّفْيانِيُّ مِنَ الشَّام، وَالْيَمَانِيُّ مِنَ الْيَمَنِ، وَقُتِلَ غُلَامٌ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقام، وَصَاحَ صَائِحٌ مِنَ السَّمَاءِ بِأَنَّ الْحَقَّ مَعَهُ وَمَعَ أَتْبَاعِهِ، فَعِنْدَ ذٰلِكَ خُروجُ قَائِمِنَا، فَإِذَا خَرَجَ أَسْنَدَ ظَهْرَهُ إِلَى الْكَعْبَةِ، وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ ثَلَاثُمِائَةٍ وَثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا مِنْ أَتْبَاعِهِ، فَأَوَّلُ مَا يَنْطِقُ بِهِ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾**[3].

ثُمَّ يَقُولُ: أَنَ بَقِيَّةُ اللَّهِ وَخَلِيفَتُهُ وَحُجَّتُهُ عَلَيْكُمْ، فَلاَ يُسَلِّمُ مُسْلِّمٌ عَلَيْهِ إِلَّا قَالَ:

---

(١) عقد الدرر: ص٩٧.

(٢) في نسخة: «وظنّوا بالطعام».

(٣) سورة هود: الآية ٨٦.

السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا بَقِيَّةَ اللَّهِ فِي الأَرْضِ، فَإِذَا اجْتَمَعَ عِنْدَهِ الْعَقْدُ عَشَرَةُ آلاَفِ رَجُلٍ فَلاَ يَبْقَىٰ يَهُودِيٌّ وَلاَ نَصْرَانِيٌّ، وَلاَ أَحَدٌ مِمَّنْ يَعْبُدُ غَيْرَ اللَّهِ إِلَّا آمَنَ بِهِ وَصَدَّقَهُ، وَتَكُونُ الْمِلَّةُ وَاحِدَةً مِلَّةُ الإِسْلاَمِ، وَكُلَّمَا كَانَ فِي الأَرْضِ مِنْ مَعْبُودٍ سِوَىٰ اللَّهِ فَتَنْزِلُ عَلَيْهِ نَارٌ مِنَ السَّمَاءِ فَتُحْرِقُهُ»[1].

أشراط الساعة:

١ ـ روى عَطَاءِ بْنِ أَبِي رِبَاحٍ، عَنِ حبر الأُمَّة عبد الله بن عبَّاس، قَالَ: «حججنا مع رسول الله ﷺ حجَّةِ الْوَدَاعِ، فأخذ باب الكعبة، ثمَّ أقبل على النَّاس بوجهه وخاطبهم قائلاً:

أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَشْرَاطِ السَّاعَةِ؟

فانبرى إليه سلمان الفارسي، وكان من أدنى الناس إليه، فقال: بلى يا رسول الله. فأخذ النبيّ يدلي عليهم بما سيجري ويكون قائلاً: إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ الْقِيَامَةِ إِضَاعَةُ الصَّلَاةِ، وَاتِّبَاعَ الشَّهَوَاتِ، وَالْمَيْلُ مَعَ الْأَهْوَاءِ وَتَعْظِيمُ الْمَالِ، وَبَيْعُ الدِّينِ بِالدُّنْيَا، فَعِنْدَهَا يُذَابُ قَلْبُ الْمُؤْمِنِ وَجَوْفِهِ، كَمَا يُذَابُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ مِمَّا يَرَى مِنَ الْمُنْكَرِ فَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُغَيِّرَهُ.

وبهر سلمان فقال: أهذا لكائن يا رسول الله؟!

فقال ﷺ: إِي وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ يَا سَلْمانُ، إِنَّ عِنْدَهَا يَلِيهِمْ أُمَراءُ جَوَرةٌ، وَوزَرَاءُ فَسَقَةٌ، وَعُرَفاءُ ظَلَمَةٌ، وَأُمَنَاءُ خَوَنَةٌ.

وسارع سلمان قائلاً: إنَّ هذا لكائن يا رسول الله؟!

فقال ﷺ: إِي وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ يَا سَلْمَانُ، إِنَّ عِنْدَها يَكُونُ الْمُنْكَرُ مَعْرُوفاً، وَالْمَعْرُوفُ مُنْكَراً، وَيُؤْتَمَنُ الْخَائِنُ، وَيُخَوَّنُ الأَمِينُ، وَيُصَدَّقُ الْكَاذِبُ، وَيُكَذَّبُ الصَّادِقُ.

قَالَ سلمان: إنَّ هذا لكائن يا رسول الله؟!

فأجابه ﷺ: إِيَّ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ يَا سَلْمَانُ، فَعِنْدَهَا إِمَارَةُ النِّسَاءِ، وَمُشَاوَرَةُ الْإِمَاءِ، وَقُعُودُ الصِّبْيَانِ عَلَى الْمَنَابِرِ، وَيَكُونُ الْكَذِبُ ظَرْفاً، وَالزَّكَاةُ مَغْرَماً، وَالْفَيْءُ مَغْنَماً، وَيَجْفُو الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ، وَيَبَرُّ صَدِيقَهُ، وَيَطْلَعُ الْكَوْكَبُ الْمُذَنَّبُ.

وانبرى سلمان قائلاً: إنَّ هذا لكائن يا رسول الله؟!

---

(١) الفصول المهمَّة/ابن الصباغ المالكي: ص٢٩٢ و٢٩٣.

فَقَالَ ﷺ: إِي وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ يَا سَلْمَانُ، وَعِنْدَهَا تُشَارِكُ الْمَرْأَةُ زَوْجَهَا فِي التِّجَارَةِ، وَيَكُونُ الْمَطَرُ قَيْظاً، وَيَغِيظُ الْكِرَامُ غَيْظاً، وَيُحتَقَرُ الرَّجُلُ الْمُعْسِرُ، فَعِنْدَهَا تَقَارِبُ الأَسْوَاقِ، إِذْ قَالَ هَذَا لَمْ أَبِعْ شَيْئاً، وَقَالَ هَذَا لَمْ أَرْبَحْ شَيْئاً، فَلاَ تَرَىٰ إِلَّا ذَامَّاً لِلَّهِ.

وسارع سلمان قائلاً: إنَّ هذا لكائن يا رسول الله؟!

قال النبيّ ﷺ: إِنَّ هَذَا لَكَائِنٌ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ يَا سَلْمَانُ، فَعِنْدَهَا يَلِيهِمْ أَقْوَامٌ إِنْ تَكَلَّموا قَتَلوهُمْ، وَإِنْ سَكَتوا اسْتَبَاحوهُمْ لِيَسْتَأْثِروا بِفَيْئِهِمْ، وَلَيَطَؤونَ حُرْمَتَهُمْ، وَلَيَسْفِكُنَّ دِمَاءَهُمْ، وَلَيَمْلَؤُنَّ قُلُوبَهُمْ رُعْباً، فَلَا تَرَاهُمْ إِلَّا وَجِلِينَ خَائِفِينَ، مَرْعُوبِينَ مَرْهُوبِينَ.

قال سلمان: إنَّ هذا لكائن؟!

فقال النبيّ ﷺ: إِي وَالَّذِي بِيَدِهِ يَا سَلْمَانُ، إِنَّ عِنْدَهَا يُؤْتَىٰ شَيْءٌ مِنَ الْمَشْرِقِ وَشَيْءٌ مِنَ الْمَغْرِبِ يَلونَ أُمَّتِي، فَالْوَيْلُ لِضُعَفَاءِ أُمَّتِي مِنْهُمْ، وَالْوَيْلُ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ، لَا يَرْحَمونَ صَغِيراً، وَلَا يُوَقِّرونَ كَبِيراً، وَلَا يَتَجَاوَزونَ عَنْ مُسِيءٍ، أَخْبَارُهُمْ خَفَاءٌ، جُثَثُهُمْ جُثَثُ الآدَمِيِّينَ، وَقُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الشَّيَاطِينِ.

قال سلمان: إنَّ هذا لكائن يا رسول الله؟!

قال النبيّ ﷺ: إِي وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ يَا سَلْمَانُ، وَعِنْدَهَا يَكْتَفِي الرِّجَالُ بِالرِّجَالِ، وَالنِّسَاءُ بِالنِّسَاءِ، وَيُغَارُ عَلَى الْغِلْمَانِ كَمَا يُغَارُ عَلَى الْجَارِيَةِ فِي بَيْتِ أَهْلِهَا، وَتَشَبَّهُ الرِّجَالُ بِالنِّسَاءِ، وَالنِّسَاءُ بِالرِّجَالِ، وَيَرْكَبْنَ ذَوَاتُ الْفُرُوجِ السُّرُوجَ، فَعَلَيْهِنَّ مِنْ أُمَّتِي لَعْنَةُ اللَّهِ.

قال سلمان: إنَّ هذا لكائن يا رسول الله؟!

قال ﷺ: إِيَّ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ يَا سَلْمَانُ، إِنَّ عِنْدَهَا تُزَخْرَفُ الْمَسَاجِدُ كَمَا تُزَخْرَفُ الْبِيَعُ وَالْكَنَائِسُ، وَتُحَلَّى الْمَصَاحِفُ، وَتُطَوَّلُ الْمَنَارَاتُ، وَتَكْثُرُ الصُّفُوفُ بِقُلُوبٍ مُتَبَاغِضَةٍ، وَأَلْسُنٍ مُخْتَلِفَةٍ.

قال سلمان: إنَّ هذا لكائن؟!

قال النبيّ ﷺ: إِي وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ يَا سَلْمَانُ، وَعِنْدَهَا تَحَلَّى ذُكُورُ أُمَّتِي بِالذَّهَبِ، وَيَلْبَسُونَ الْحَرِيرَ وَالدِّيبَاجَ، وَيَتَّخِذُونَ جُلُودَ النمورِ صِفَافاً.

قال سلمان: إنَّ هذا لكائن؟!

قال النبيّ ﷺ: إِي وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ يَا سَلْمَانُ، وَعِنْدَهَا يَظْهَرُ الرِّبَا، وَيَتَعَامَلُونَ بِالْغيبَةِ وَالرُّشَا، وَيُوضَعُ الدِّينُ وَتُرْفَعُ الدُّنْيَا.

قال سلمان: إنَّ هذا لكائن؟!

قال النبيّ ﷺ: **إِي وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ يَا سَلْمَانُ، وَعِنْدَهَا يَكْثُرُ الطَّلَاقُ، فَلَا يُقَامُ لِلَّهِ حَدٌّ، وَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً.**

قال سلمان: إنَّ هذا لكائن؟!

قال النبيّ ﷺ: **إِي وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ يَا سَلْمَانُ، وَعِنْدَهَا تَظْهَرُ الْقَيْنَاتُ وَالْمَعَازِفُ، وَيَلِيهِمْ شِرَارُ أُمَّتِي.**

قال سلمان: إنَّ هذا لكائن؟!

قال النبيّ ﷺ: **إِي وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ يَا سَلْمَانُ، وَعِنْدَهَا يَحُجُّ أَغْنِيَاءُ أُمَّتِي لِلنُّزْهَةِ، وَيَحُجُّ أَوْسَاطُهَا لِلتِّجَارَةِ، وَيَحُجُّ فُقَرَاؤُهُمْ لِلرِّيَاءِ وَالسُّمْعَةِ، فَعِنْدَهَا يَكُونُ أَقْوَامٌ يَتَعَلَّمُونَ الْقُرْآنَ لِغَيْرِ اللَّهِ فَيَتَّخِذُونَهُ مَزَامِيرَ، وَيَكُونُ أَقْوَامٌ يَتَفَقَّهُونَ لِغَيْرِ اللَّهِ، وَيَكْثُرُ أَوْلَادُ الزِّنَا، وَيَتَغَنَّوْنَ بِالْقُرْآنِ، وَيَتَهَافَتُونَ بِالدُّنْيَا.**

قال سلمان: إنَّ هذا لكائن؟!

قال النبيّ ﷺ: **إِي وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ يَا سَلْمَانُ، وَذَاكَ إِذَا انْتُهِكَتِ الْمَحَارِمُ، وَاكْتُسِبَت الْمَآثِمُ، وَسُلِّط الْأَشْرَارُ عَلَى الْأَخْيَارِ، وَيَفْشُو الْكَذِبُ، وَتَظْهَرُ اللَّجَاجَةُ، وَتَفْشُو الْفَاقَةُ، وَيَتَبَاهَوْنَ فِي اللِّبَاسِ، وَيُمْطَرونَ فِي غَيْرِ أَوَانِ الْمَطَرِ، وَيَسْتَحْسِنُونَ الْكُوبَةَ وَالْمَعَازِفَ، وَيُنْكِرونَ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ، حَتَّىٰ يَكُونَ الْمُؤْمِنُ فِي ذَٰلِكَ الزَّمَانِ أَذَلَّ مِنَ الأَمَةِ، وَيُظْهِرُ قُرَّاؤُهُمْ وَعُبَّادُهُمَ فِيمَا بَيْنَهُمُ التَّلاومَ، فَأُولَئِكَ يُدْعَوْنَ فِي مُلَكِ السَّمَاوَاتِ: الْأَرْجَاسَ الْأَنْجَاسَ.**

قال سلمان: إنَّ هذا لكائن؟!

قال النبيّ ﷺ: **إِي وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ يَا سَلْمَانُ، وَعِنْدَهَا لاَ يَخْشَىٰ الْغَنِيُّ إِلَّا الْفَقِيرَ، حَتَّىٰ أَنَّ السَّائِلَ لَيَسْأَلُ فِيمَا بَيْنَ الْجُمْعَتَيْنِ لاَ يُصِيبُ أَحداً يَضَعُ فِي يَدِهِ شَيْئاً.**

قال سلمان: إنَّ هذا لكائن؟!

قال النبيّ ﷺ: **إِي وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ يَا سَلْمَانُ، وَعِنْدَهَا يَتَكَلَّمُ الرويبضة.**

فقال سلمان: ما الرويبضة يا رسول الله، فداك أبي وأُمّي؟

قال ﷺ: **يَتَكَلَّمُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ مَنْ لَمْ يَكُنْ يَتَكَلَّمْ، فَلَمْ يَلْبَثوا إِلَّا قَلِيلاً حَتَّى تَخُورَ الأَرْضُ خَوْرَةً فَلاَ يَظُنُّ كُلُّ قَوْم إِلَّا أَنَّهَا خَارَتْ فِي نَاحِيَتِهِمْ فَيَمْكُثونَ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يَنكثون فِي مَكْثِهِمْ فَتُلْقِي لَهُمُ الأَرْضَ أَفْلاَذَ كَبِدِها.**

قال: ذَهَباً وَفِضَّةً، ثمَّ أومأ بيده إلى الأساطين، فقال: مثل هذا، فَيَوْمَئِذٍ لاَ يَنْفَعُ ذَهَبٌ وَلاَ فِضَّةٌ، فَهَذَا مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: ﴿فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾[١]»[٢].

٢ ـ رواه حمران، قال: «جرى حديث الشيعة عند الإمام الصادق عليه السلام، فقال: «إِنِّي سِرْتُ مَعَ أَبِي جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ وَهُوَ فِي مَوْكِبِهِ، وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ خَيْلٌ، وَأَنَا عَلَى حِمَارٍ إِلَى جَانِبِهِ، فَقَالَ لِي: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، قَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَفْرَحَ بِمَا أَعْطَانَا اللَّهُ مِنَ الْقُوَّةِ، وَفَتَحَ لَنَا مِنَ الْعِزِّ، وَلَا تُخْبِرَ النَّاسَ أَنَّكَ أَحَقُّ بِهَذَا الْأَمْرِ مِنَّا وَأَهْلَ بَيْتِكَ، فَتُغْرِيَنَا بِكَ وَبِهِمْ.

فقال له الإمام: مَنْ رَفَعَ هَذَا إِلَيْكَ عَنِّي فَقَدْ كَذبَ.

فَقَالَ لِي: أَتَحْلِفُ عَلَى مَا تَقُولُ؟

فَقُلْتُ: إِنَّ النَّاسَ سَحَرَةٌ ـ يَعْنِي يُحِبُّونَ أَنْ يُفْسِدُوا قَلْبَكَ عَلَيَّ ـ فَلَا تُمَكِّنْهُمْ مِنْ سَمْعِكَ، فَإِنَّا إِلَيْكَ أَحْوَجُ مِنْكَ إِلَيْنَا.

فَقَالَ لِي: أَتَذْكُرُ يَوْمَ سَأَلْتُكَ هَلْ لَنَا مُلْكٌ؟ فَقُلْتَ: نَعَمْ، طَوِيلٌ عَرِيضٌ شَدِيدٌ، فَلَا تَزَالُونَ فِي مُهْلَةٍ مِنْ أَمْرِكُمْ، وَفُسْحَةٍ مِنْ دُنْيَاكُمْ، حَتَّى تُصِيبُوا مِنَّا دَماً حَرَاماً فِي شَهْرٍ حَرَامٍ، فِي بَلَدٍ حَرَامٍ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ قَدْ حَفِظَ الْحَدِيثَ.

فَقُلْتُ: لَعَلَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَكْفِيَكَ، فَإِنِّي لَمْ أَخُصَّكَ بِهَذَا، وَإِنَّمَا هُوَ حَدِيثٌ رَوَيْتُهُ، ثُمَّ لَعَلَّ غَيْرَكَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ يَتَوَلَّى ذَلِكَ، فَسَكَتَ عَنِّي.

فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَى مَنْزِلِي أَتَانِي بَعْضُ مَوَالِينَا، فَقَالَ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، وَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُكَ فِي مَوْكِبِ أَبِي جَعْفَرٍ وَأَنْتَ عَلَى حِمَارٍ وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ، وَقَدْ أَشْرَفَ عَلَيْكَ يُكَلِّمُكَ كَأَنَّكَ تَحْتَهُ، فَقُلْتُ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِي: هَذَا حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى الْخَلْقِ وَصَاحِبُ هَذَا الْأَمْرِ الَّذِي يُقْتَدَى بِهِ، وَهَذَا الْآخَرُ ـ يعني المنصور ـ يَعْمَلُ بِالْجَوْرِ، وَيَقْتُلُ أَوْلَادَ الْأَنْبِيَاءِ، وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ فِي الْأَرْضِ بِمَا لَا يُحِبُّ اللَّهُ وَهُوَ فِي مَوْكِبِهِ وَأَنْتَ عَلَى حِمَارٍ، فَدَاخَلَنِي مِنْ ذَلِكَ شَكٌّ حَتَّى خِفْتُ عَلَى دِينِي وَنَفْسِي.

قال عليه السلام: فَقُلْتُ: لَوْ رَأَيْتَ مَنْ كَانَ حَوْلِي وَبَيْنَ يَدَيَّ، وَمِنْ خَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي، وَعَنْ شِمَالِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ لَاحْتَقَرْتَهُ وَاحْتَقَرْتَ مَا هُوَ فِيهِ.

فقال: الآن سكن قلبي.

---

(١) سورة محمَّد ﷺ: الآية ١٨.

(٢) الميزان في تفسير القرآن: ص٣٩٤ ـ ٣٩٦.

ثمَّ قال: إلى متى هؤلاء يملكون أو متى الراحة منهم؟

فقال الإمام: أَلَيْسَ تَعْلَمُ أَنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ مُدَّةٌ؟

قال: بلى.

فَقَالَ عليه السلام: هَلْ يَنْفَعُكَ عِلْمُكَ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ إِذَا جَاءَ كَانَ أَسْرَعَ مِنْ طَرْفَةِ عَيْنٍ؟ إِنَّكَ لَوْ تَعْلَمُ حَالَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَكَيْفَ هِيَ؟ كُنْتَ لَهُمْ أَشَدَّ بُغْضاً، وَلَوْ جَهَدْتَ أَوْ جَهَدَ أَهْلُ الْأَرْضِ أَنْ يُدْخِلُوهُمْ فِي أَشَدِّ مَا هُمْ فِيهِمْ مِنَ الْإِثْمِ لَمْ يَقْدِرُوا فَلَا يَسْتَفِزَّنَّكَ الشَّيْطَانُ، فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ، وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ.

أَلَا تَعْلَمُ أَنَّ مَنِ انْتَظَرَ أَمْرَنَا، وَصَبَرَ عَلَى مَا يَرَى مِنَ الْأَذَى وَالْخَوْفِ هُوَ غَداً فِي زُمْرَتِنَا؟ فَإِذَا رَأَيْتَ الْحَقَّ قَدْ مَاتَ وَذَهَبَ أَهْلُهُ، وَرَأَيْتَ الْجَوْرَ قَدْ شَمِلَ الْبِلَادَ، وَرَأَيْتَ الْقُرْآنَ قَدْ خَلِقَ، وَأُحْدِثَ مَا لَيْسَ فِيهِ، وَوُجِّهَ عَلَى الْأَهْوَاءِ، وَرَأَيْتَ الدِّينَ قَدِ انْكَفَأَ كَمَا يَنْكَفِئُ الْإِنَاءُ، وَرَأَيْتَ أَهْلَ الْبَاطِلِ قَدِ اسْتَعْلَوْا عَلَى أَهْلِ الْحَقِّ، وَرَأَيْتَ الشَّرَّ ظَاهِراً لَا يُنْهَى عَنْهُ وَيُعْذَرُ أَصْحَابُهُ، وَرَأَيْتَ الْفِسْقَ قَدْ ظَهَرَ، وَاكْتَفَى الرِّجَالُ بِالرِّجَالِ، وَالنِّسَاءُ بِالنِّسَاءِ، وَرَأَيْتَ الْمُؤْمِنَ صَامِتاً لَا يُقْبَلُ قَوْلُهُ، وَرَأَيْتَ الْفَاسِقَ لَا يُكَذَّب، وَلَا يُرَدُّ عَلَيْهِ كِذْبُهُ وَفِرْيَتُهُ، وَرَأَيْتَ الصَّغِيرَ يَسْتَحْقِرُ الْكَبِيرَ، وَرَأَيْتَ الْأَرْحَامَ قَدْ تَقَطَّعَتْ، وَرَأَيْتَ مَنْ يَمْتَدِحُ بِالْفِسْقِ يُضْحَكُ مِنْهُ، وَلَا يُرَدُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ، وَرَأَيْتَ الْغُلَامَ يُعْطَى مَا تُعْطَى الْمَرْأَةُ، وَرَأَيْتَ النِّسَاءَ يَتَزَوَّجْنَ النِّسَاءَ، وَرَأَيْتَ الثَّنَاءَ قَدْ كَثُرَ، وَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يُنْفِقُ الْمَالَ فِي غَيْرِ طَاعَةِ اللَّهِ، فَلَا يُنْهَى، وَلَا يُؤْخَذُ عَلَى يَدَيْهِ، وَرَأَيْتَ النَّاظِرَ يَتَعَوَّذُ بِاللَّهِ مِمَّا يَرَى الْمُؤْمِنَ فِيهِ مِنَ الِاجْتِهَادِ، وَرَأَيْتَ الْجَارَ يُؤْذِي جَارَهُ وَلَيْسَ لَهُ مَانِعٌ، وَرَأَيْتَ الْكَافِرَ فَرِحاً لِمَا يَرَى فِي الْمُؤْمِنِ، مَرِحاً لِمَا يَرَى فِي الْأَرْضِ مِنَ الْفَسَادِ، وَرَأَيْتَ الْخُمُورَ تُشْرَبُ عَلَانِيَةً، وَيَجْتَمِعُ عَلَيْهَا مَنْ لَا يَخَافُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، وَرَأَيْتَ الْآمِرَ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِيلًا، وَرَأَيْتَ الْفَاسِقَ فِيمَا لَا يُحِبُّ اللَّهُ قَوِيّاً مَحْمُوداً، وَرَأَيْتَ أَصْحَابَ الْآيَاتِ يُحَقَّرُونَ، وَيُحْتَقَرُ مَنْ يُحِبُّهُمْ، وَرَأَيْتَ سَبِيلَ الْخَيْرِ مُنْقَطِعاً، وَسَبِيلَ الشَّرِّ مَسْلُوكاً، وَرَأَيْتَ بَيْتَ اللَّهِ قَدْ عُطِّلَ، وَيُؤْمَرُ بِتَرْكِهِ، وَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يَقُولُ مَا لَا يَفْعَلُهُ، وَرَأَيْتَ الرِّجَالَ يَتَمَنَّوْنَ لِلرِّجَالِ وَالنِّسَاءَ لِلنِّسَاءِ، وَرَأَيْتَ الرَّجُلَ مَعِيشَتُهُ مِنْ دُبُرِهِ، وَمَعِيشَةُ الْمَرْأَةِ مِنْ فَرْجِهَا، وَرَأَيْتَ النِّسَاءَ يَتَّخِذْنَ الْمَجَالِسَ كَمَا يَتَّخِذُهَا الرِّجَالُ، وَرَأَيْتَ التَّأْنِيثَ فِي وُلْدِ الْعَبَّاسِ قَدْ ظَهَرَ، وَأَظْهَرُوا الْخِضَابَ، وَامْتَشَطُوا كَمَا تَمْتَشِطُ الْمَرْأَةُ لِزَوْجِهَا، وَأَعْطَوُا الرِّجَالَ الْأَمْوَالَ عَلَى فُرُوجِهِمْ، وَتُنُوفِسَ فِي الرَّجُلِ، وَتَغَايَرَ عَلَيْهِ الرِّجَالُ، وَكَانَ صَاحِبُ الْمَالِ أَعَزَّ مِنَ الْمُؤْمِنِ، وَكَانَ الرِّبَا ظَاهِراً لَا يُغَيَّرُ، وَكَانَ الزِّنَا يُمْتَدَحُ بِهِ النِّسَاءُ، وَرَأَيْتَ الْمَرْأَةَ تُصَانِعُ

زَوْجِهَا عَلَى الرِّجَالِ، وَرَأَيْتَ أَكْثَرَ النَّاسِ وَخَيْرَ بَيْتٍ مَنْ يُسَاعِدُ النِّسَاءَ عَلَى فِسْقِهِنَّ، وَرَأَيْتَ الْمُؤْمِنَ مَحْزُوناً مُحْتَقَراً ذَلِيلاً، وَرَأَيْتَ الْبِدَعَ وَالزِّنَا قَدْ ظَهَرَ، وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَعْتَدُّونَ بِشَاهِدِ الزُّورِ، وَرَأَيْتَ الْحَرَامَ يُحَلَّلُ، وَرَأَيْتَ الْحَلَالَ يُحَرَّمُ، وَرَأَيْتَ الدِّينَ بِالرَّأْيِ، وَعُطِّلَ الْكِتَابُ وَأَحْكَامُهُ، وَرَأَيْتَ اللَّيْلَ لَا يُسْتَخْفَى بِهِ مِنَ الْجُرْأَةِ عَلَى اللَّهِ، وَرَأَيْتَ الْمُؤْمِنَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْكِرَ إِلَّا بِقَلْبِهِ، وَرَأَيْتَ الْعَظِيمَ مِنَ الْمَالِ يُنْفَقُ فِي سَخَطِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَرَأَيْتَ الْوُلَاةَ يُقَرِّبُونَ أَهْلَ الْكُفْرِ، وَيُبَاعِدُونَ أَهْلَ الْخَيْرِ، وَرَأَيْتَ الْوُلَاةَ يَرْتَشُونَ فِي الْحُكْمِ، وَرَأَيْتَ الْوِلَايَةَ قَبَالَةً لِمَنْ زَادَ، وَرَأَيْتَ ذَوَاتِ الْأَرْحَامِ يُنْكَحْنَ وَيُكْتَفَى بِهِنَّ، وَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يُقْتَلُ عَلَى التُّهَمَةِ وَعَلَى الظِّنَّةِ، وَيُغَايَرُ عَلَى الرَّجُلِ الذَّكَرِ فَيَبْذُلُ لَهُ نَفْسَهُ وَمَالَهُ، وَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يُعَيَّرُ عَلَى إِتْيَانِ النِّسَاءِ، وَرَأَيْتَ الْمَرْأَةَ تَقْهَرُ زَوْجَهَا، وَتَعْمَلُ مَا لَا يَشْتَهِي، وَتُنْفِقُ عَلَى زَوْجِهَا، وَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يُكْرِي امْرَأَتَهُ وَجَارِيَتَهُ، وَيَرْضَى بِالدَّنِيءِ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، وَرَأَيْتَ الْأَيْمَانَ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ كَثِيرَةً عَلَى الزُّورِ، وَرَأَيْتَ الْقِمَارَ قَدْ ظَهَرَ، وَرَأَيْتَ الشَّرَابَ يُبَاعُ ظَاهِراً لَيْسَ لَهُ مَانِعٌ، وَرَأَيْتَ النِّسَاءَ يَبْذُلْنَ أَنْفُسَهُنَّ لِأَهْلِ الْكُفْرِ، وَرَأَيْتَ الْمَلَاهِيَ قَدْ ظَهَرَتْ يُمَرُّ بِهَا لَا يَمْنَعُهَا أَحَدٌ أَحَداً، وَلَا يَجْتَرِئُ أَحَدٌ عَلَى مَنْعِهَا، وَرَأَيْتَ الشَّرِيفَ يَسْتَذِلُّهُ الَّذِي يَخَافُ سُلْطَانَهُ، وَرَأَيْتَ أَقْرَبَ النَّاسِ مِنَ الْوُلَاةِ مَنْ يَمْتَدِحُ بِشَتْمِنَا أَهْلَ الْبَيْتِ، وَرَأَيْتَ مَنْ يُحِبُّنَا يُزَوَّرُ وَلَا تُقْبَلُ شَهَادَتُهُ، وَرَأَيْتَ الزُّورَ مِنَ الْقَوْلِ يُتَنَافَسُ فِيهِ، وَرَأَيْتَ الْقُرْآنَ قَدْ ثَقُلَ عَلَى النَّاسِ اسْتِمَاعُهُ، وَخَفَّ عَلَى النَّاسِ اسْتِمَاعُ الْبَاطِلِ، وَرَأَيْتَ الْجَارَ يُكْرِمُ الْجَارَ خَوْفاً مِنْ لِسَانِهِ، وَرَأَيْتَ الْحُدُودَ قَدْ عُطِّلَتْ [تَعَطَّلَتْ]، وَعُمِلَ فِيهَا بِالْأَهْوَاءِ، وَرَأَيْتَ الْمَسَاجِدَ قَدْ زُخْرِفَتْ، وَرَأَيْتَ أَصْدَقَ النَّاسِ عِنْدَ النَّاسِ الْمُفْتَرِيَ الْكَذِبَ، وَرَأَيْتَ الشَّرَّ قَدْ ظَهَرَ، وَالسَّعْيَ بِالنَّمِيمَةِ وَالْبَغْيَ قَدْ فَشَا، وَرَأَيْتَ الْغِيبَةَ تُسْتَمْلَحُ وَيُبَشِّرُ بِهَا النَّاسُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً، وَرَأَيْتَ طَلَبَ الْحَجِّ وَالْجِهَادِ لِغَيْرِ اللَّهِ، وَرَأَيْتَ السُّلْطَانَ يُذِلُّ لِلْكَافِرِ الْمُؤْمِنَ، وَرَأَيْتَ الْخَرَابَ قَدْ أُدِيلَ مِنَ الْعُمْرَانِ، وَرَأَيْتَ الرَّجُلَ مَعِيشَتُهُ مِنْ بَخْسِ الْمِكْيَالِ وَالْمِيزَانِ، وَرَأَيْتَ سَفْكَ الدِّمَاءِ يُسْتَخَفُّ بِهَا، وَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يَطْلُبُ الرِّئَاسَةَ لِغَرَضِ الدُّنْيَا، وَيَشْهَرُ نَفْسَهُ بِخُبْثِ اللِّسَانِ لِيُتَّقَى وَتُسْنَدَ إِلَيْهِ الْأُمُورُ، وَرَأَيْتَ الصَّلَاةَ قَدِ اسْتُخِفَّ بِهَا، وَرَأَيْتَ الرَّجُلَ عِنْدَهُ الْمَالُ الْكَثِيرُ لَمْ يُزَكِّهِ مُنْذُ مَلَكَهُ، وَرَأَيْتَ الْمَيِّتَ يُنْشَرُ مِنْ قَبْرِهِ وَيُؤْذَى وَتُبَاعُ أَكْفَانُهُ، وَرَأَيْتَ الْهَرْجَ قَدْ كَثُرَ، وَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يُمْسِي نَشْوَاناً وَيُصْبِحُ سَكْرَاناً، لَا يَهْتَمُّ بِمَا النَّاسُ فِيهِ، وَرَأَيْتَ الْبَهَائِمَ تُنْكَحُ، وَرَأَيْتَ الْبَهَائِمَ يَفْرِسُ بَعْضُهَا بَعْضاً، وَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يَخْرُجُ إِلَى مُصَلَّاهُ وَيَرْجِعُ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ ثِيَابِهِ، وَرَأَيْتَ قُلُوبَ النَّاسِ قَدْ قَسَتْ، وَجَمَدَتْ أَعْيُنُهُمْ، وَثَقُلَ الذِّكْرُ عَلَيْهِمْ، وَرَأَيْتَ السُّحْتَ قَدْ ظَهَرَ يُتَنَافَسُ فِيهِ، وَرَأَيْتَ الْمُصَلِّيَ إِنَّمَا يُصَلِّي لِيَرَاهُ النَّاسُ، وَرَأَيْتَ الْفَقِيهَ يَتَفَقَّهُ

لِغَيْرِ الدِّينِ يَطْلُبُ الدُّنْيَا وَالرِّئَاسَةَ، وَرَأَيْتَ النَّاسَ مَعَ مَنْ غَلَبَ، وَرَأَيْتَ طَالِبَ الْحَلَالِ يُذَمُّ وَيُعَيَّرُ، وَطَالِبَ الْحَرَامِ يُمْدَحُ وَيُعَظَّمُ.

وَرَأَيْتَ الْحَرَمَيْنِ يُعْمَلُ فِيهِمَا بِمَا لَا يُحِبُّ اللَّهُ، لَا يَمْنَعُهُمْ مَانِعٌ، وَلَا يَحُولُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْعَمَلِ الْقَبِيحِ أَحَدٌ، وَرَأَيْتَ الْمَعَازِفَ ظَاهِرَةً فِي الْحَرَمَيْنِ، وَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يَتَكَلَّمُ بِشَيْءٍ مِنَ الْحَقِّ، وَيَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ، فَيَقُومُ إِلَيْهِ مَنْ يَنْصَحُهُ فِي نَفْسِهِ فَيَقُولُ هَذَا عَنْكَ مَوْضُوعٌ، وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، وَيَقْتَدُونَ بِأَهْلِ الشُّرُورِ، وَرَأَيْتَ مَسْلَكَ الْخَيْرِ، وَطَرِيقَهُ خَالِياً لَا يَسْلُكُهُ أَحَدٌ، وَرَأَيْتَ الْمَيِّتَ يُهْزَأُ بِهِ فَلَا يَفْزَعُ لَهُ أَحَدٌ، وَرَأَيْتَ كُلَّ عَامٍ يَحْدُثُ فِيهِ مِنَ الشَّرِّ وَالْبِدْعَةِ أَكْثَرُ مِمَّا كَانَ، وَرَأَيْتَ الْخَلْقَ وَالْمَجَالِسَ لَا يُتَابِعُونَ إِلَّا الْأَغْنِيَاءَ، وَرَأَيْتَ الْمُحْتَاجَ يُعْطَى عَلَى الضَّحِكِ بِهِ، وَيُرْحَمُ لِغَيْرِ وَجْهِ اللَّهِ، وَرَأَيْتَ الْآيَاتِ فِي السَّمَاءِ لَا يَفْزَعُ لَهَا أَحَدٌ، وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَتَسَافَدُونَ كَمَا يَتَسَافَدُ الْبَهَائِمُ لَا يُنْكِرُ أَحَدٌ مُنْكَراً تَخَوُّفاً مِنَ النَّاسِ، وَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يُنْفِقُ الْكَثِيرَ فِي غَيْرِ طَاعَةِ اللَّهِ، وَيَمْنَعُ الْيَسِيرَ فِي طَاعَةِ اللَّهِ، وَرَأَيْتَ الْعُقُوقَ قَدْ ظَهَرَ، وَاسْتُخِفَّ بِالْوَالِدَيْنِ، وَكَانَا مِنْ أَسْوَإِ النَّاسِ حَالاً عِنْدَ الْوَلَدِ، وَيَفْرَحُ بِأَنْ يَفْتَرِيَ عَلَيْهِمَا، وَرَأَيْتَ النِّسَاءَ وَقَدْ غَلَبْنَ عَلَى الْمُلْكِ وَغَلَبْنَ عَلَى كُلِّ أَمْرٍ لَا يُؤْتَى إِلَّا مَا لَهُنَّ فِيهِ هَوًى.

وَرَأَيْتَ ابْنَ الرَّجُلِ يَفْتَرِي عَلَى أَبِيهِ، وَيَدْعُو عَلَى وَالِدَيْهِ، وَيَفْرَحُ بِمَوْتِهِمَا، وَرَأَيْتَ الرَّجُلَ إِذَا مَرَّ بِهِ يَوْمٌ وَلَمْ يَكْسِبْ فِيهِ الذَّنْبَ الْعَظِيمَ مِنْ فُجُورٍ أَوْ بَخْسِ مِكْيَالٍ أَوْ مِيزَانٍ أَوْ غِشْيَانِ حَرَامٍ أَوْ شُرْبِ مُسْكِرٍ كَئِيباً حَزِيناً يَحْسَبُ أَنَّ ذَلِكَ الْيَوْمَ عَلَيْهِ وَضِيعَةٌ مِنْ عُمُرِهِ، وَرَأَيْتَ السُّلْطَانَ يَحْتَكِرُ الطَّعَامَ، وَرَأَيْتَ أَمْوَالَ ذَوِي الْقُرْبَى تُقْسَمُ فِي الزُّورِ وَيُتَقَامَرُ بِهَا، وَتُشْرَبُ بِهَا الْخُمُورُ، وَرَأَيْتَ الْخَمْرَ يُتَدَاوَى بِهَا، وَتُوصَفُ لِلْمَرِيضِ وَيُسْتَشْفَى بِهَا، وَرَأَيْتَ النَّاسَ قَدِ اسْتَوَوْا فِي تَرْكِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَتَرْكِ التَّدَيُّنِ بِهِ، وَرَأَيْتَ رِيَاحَ الْمُنَافِقِينَ وَأَهْلِ النِّفَاقِ قَائِمَةً، وَرِيَاحَ أَهْلِ الْحَقِّ لَا تَحَرَّكُ، وَرَأَيْتَ الْأَذَانَ بِالْأَجْرِ وَالصَّلَاةَ بِالْأَجْرِ، وَرَأَيْتَ الْمَسَاجِدَ مُحْتَشِيَةً مِمَّنْ لَا يَخَافُ اللَّهَ، مُجْتَمِعُونَ فِيهَا لِلْغِيبَةِ، وَأَكْلِ لُحُومِ أَهْلِ الْحَقِّ وَيَتَوَاصَفُونَ فِيهَا شَرَابَ الْمُسْكِرِ، وَرَأَيْتَ السَّكْرَانَ يُصَلِّي بِالنَّاسِ وَهُوَ لَا يَعْقِلُ وَلَا يُشَانُ بِالسُّكْرِ، وَإِذَا سَكِرَ أُكْرِمَ وَاتُّقِيَ وَخِيفَ وَتُرِكَ لَا يُعَاقَبُ وَيُعْذَرُ بِسُكْرِهِ، وَرَأَيْتَ مَنْ أَكَلَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى يُحْمَدُ بِصَلَاحِهِ، وَرَأَيْتَ الْقُضَاةَ يَقْضُونَ بِخِلَافِ مَا أَمَرَ اللَّهُ، وَرَأَيْتَ الْوُلَاةَ يَأْتَمِنُونَ الْخَوَنَةَ لِلطَّمَعِ، وَرَأَيْتَ الْمِيرَاثَ قَدْ وَضَعَتْهُ الْوُلَاةُ لِأَهْلِ الْفُسُوقِ وَالْجُرْأَةِ عَلَى اللَّهِ، يَأْخُذُونَ مِنْهُمْ وَيُخَلُّونَهُمْ وَمَا يَشْتَهُونَ، وَرَأَيْتَ الْمَنَابِرَ يُؤْمَرُ عَلَيْهَا بِالتَّقْوَى وَلَا يَعْمَلُ الْقَائِلُ بِمَا يَأْمُرُ، وَرَأَيْتَ الصَّلَاةَ قَدِ اسْتُخِفَّ بِأَوْقَاتِهَا، وَرَأَيْتَ الصَّدَقَةَ بِالشَّفَاعَةِ لَا يُرَادُ بِهَا وَجْهُ اللَّهِ، وَتُعْطَى لِطَلَبِ النَّاسِ، وَرَأَيْتَ

النَّاسَ هَمُّهُمْ بُطُونُهُمْ وَفُرُوجُهُمْ، لَا يُبَالُونَ بِمَا أَكَلُوا وَمَا نَكَحُوا، وَرَأَيْتَ الدُّنْيَا مُقْبِلَةً عَلَيْهِمْ، وَرَأَيْتَ أَعْلَامَ الْحَقِّ قَدْ دَرَسَتْ.

فَكُنْ عَلَى حَذَرٍ وَاطْلُبْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ النَّجَاةَ، وَاعْلَمْ أَنَّ النَّاسَ فِي سَخَطِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَإِنَّمَا يُمْهِلُهُمْ لِأَمْرٍ يُرَادُ بِهِمْ، فَكُنْ مُتَرَقِّباً، وَاجْتَهِدْ لِيَرَاكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي خِلَافِ مَا هُمْ عَلَيْهِ، فَإِنْ نَزَلَ بِهِمُ الْعَذَابُ وَكُنْتَ فِيهِمْ عَجَّلْتَ إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ، وَإِنْ أُخِّرْتَ ابْتُلُوا، وَكُنْتَ قَدْ خَرَجْتَ مِمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ الْجُرْأَةِ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ، وَأَنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ»[1].

خروج الدجّال:

١ ـ روى هشام بن عامر، قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَا بَيْنَ خَلْقِ آدَمَ إِلَىٰ قِيَامِ السَّاعَةِ أَمْرٌ أَكْبَرُ مِنَ الدَّجَّالِ»[2].

٢ ـ روى أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَنْذَرَ أُمَّتَهُ الدَّجَّالَ الأَعْورَ الْكَذَّابِ، أَلَا إِنَّهُ أَعْورُ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، مَكْتوبٌ بَيْنَ عَيْنَيهِ: كَافِرٌ»[3].

٣ ـ روت أسماء بنت يزيد بن السكن، قالت: «كان النبيّ ﷺ في بيتي فذكر الدجّال، فقال: إِنَّ بَيْنَ يَدَيْهِ ثَلَاثَ سِنِينَ: سَنَةٌ تُمْسِكُ السَّمَاءُ فِيهَا ثُلُثَ قَطْرِهَا، وَالأَرْضُ ثُلُثَي نَبَاتِهَا.

وَالثَّانِيَةُ: تُمْسِكُ السَّمَاءُ ثُلُثَي قَطْرِهَا، وَالأَرْضُ ثُلُثَي نَبَاتِهَا.

وَالثَّالِثَةُ: تُمْسِكُ السَّمَاءُ قَطْرِهَا كُلَّهُ، وَالأَرْضُ نَبَاتَها كُلَّهُ، فَلاَ يَبْقَىٰ ذَاتُ ضِرْسٍ وَلاَ ذَاتُ ظِلْفٍ، وَلاَ ذَاتُ خُفٍّ مِنَ البَهَائِمِ إِلَّا هَلَكَت، وَإِنَّ مِنْ أَشَرِّ فِتْنَتِهِ أَنَّهُ يَأْتِي الأَعْرَابِيَّ فَيَقُولُ: أَرَأَيْتَ إِنْ أَحْيَيْتُ لَكَ إِبِلَكَ أَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنِّي رَبُّكَ؟

فَيَقُولُ: بَلَىٰ، فَتَمْثُلُ الشَّيَاطِينُ لَهُ نَحْوَ إِبِلِهِ كَأَحْسَنِ مَا تَكُونُ ضُروعاً، وَأَعْظَمِهِ وَأَسْمَنِهِ، قَالَ: وَيَأْتِي الرَّجُلُ قَدْ مَاتَ أَخوهُ، وَمَاتَ أَبوهُ فَيَقُولُ: أَرَأَيْتَ إِنْ أَحْيَيتُ لَكَ أَبَاكَ وَأَحْيَيْتُ لَكَ أَخَاكَ، أَلَسْتُ تَعْلَمُ أَنِّي رَبُّكَ؟

فَيَقُولُ: بَلَىٰ، فَتَمْثُلُ لَهُ الشَّيَاطِينُ نَحْوَ أَبِيهِ وَنَحْوَ أَخِيهِ.

---

(١) الكافي: ٨/ ٣٦ ـ ٤٢.

(٢) عقد الدرر: ص٢٥٨.

(٣) عقد الدرر: ص٢٥٧.

قالت أسماء: ثمَّ خرج رسول الله ﷺ لحاجة، ثمَّ رجع، والقوم في اهتمام وغمّ ممَّا حدَّثهم به، فأخذ ﷺ بناصيتي الباب، والتفت إلى أسماء فقال لها: **مَهْيَمْ أَسْمَاء؟**

فقالت أسماء: يا رسول الله، لقد خلعت أفئدتنا بذكر الدجَّال.

فقال ﷺ: **إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا حَيٌّ فَأَنا حَجِيجُهُ، وَإِلَّا فَإِنَّ رَبِّي خَلِيفَتِي عَلَىٰ كُلِّ مُؤْمِنٍ.**

فقالت أسماء: يا رسول الله، إنَّا والله لنعجن عجيننا فما نختبزها حتَّى نجوع، فكيف بالمؤمنين يومئذٍ؟

فقال ﷺ: **يُجْزِئُهُمْ مَا يُجْزِيءُ أَهْلَ السَّمَاءِ مِنَ التَّسْبِيحِ وَالتَّقْدِيسِ**»[1].

٤ ـ روى أبو أُمامة الباهلي، قال: «خطبنا رسول الله ﷺ فكان أكثر خطبته حديثاً حدّثناه عن الدجّال، وحذّرناه، فكان من قوله أن قال: **إِنَّهُ لَمْ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ مُنْذُ ذَرَأَ اللَّهُ آدَمَ أَعْظَمَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ، وَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْ نَبِيّاً إِلَّا حَذَّرَ أُمَّتَهُ الدَّجَّالَ، وَأَنَا آخِرُ الأَنْبِيَاءِ، وَأَنْتُمْ آخِرُ الأُمَمِ، وَهُوَ خَارِجٌ فِيكُمْ لاَ مَحَالَةَ، فَإِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا بَيْنَ ظَهْرانِيكُمْ فَأَنَا حَجِيجٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ، وَإِنْ يَخْرُجْ مِنْ بَعْدِي فَكُلُّ امْرِىءٍ حَجِيجُ نَفْسِهِ، وَاللَّهُ خَلِيفَتِي عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ، وَإِنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ خَلَّةٍ بَيْنَ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ، فَيَعِيثُ يَمِيناً، وَيَعِيثُ شِمَالاً.**

يَا عَبَادَ اللَّهِ، فَاثْبَتوا فَإِنِّي سَأَصِفُهُ لَكُمْ وَصْفاً لَمْ يَصِفْهُ إِيَّاهُ نَبِيٌّ قَبْلِي. إِنَّهُ يَبْدأُ فَيَقُولُ: أَنَا نَبِيٌّ، وَلَا نَبِيَّ بَعْدِي، ثُمَّ يُثْنِي فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، وَلاَ تَرونَ رَبَّكُمْ حَتَّىٰ تَموتوا، وَإِنَّهُ أَعْوَرُ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، مَكْتوبٌ بَيْنَ عَيْنَيهِ كَافِرٌ، يَقْرَأُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ كَاتِبٍ أَوْ غَيْرَ كاتِبٍ[2]**، وَإِنَّ مِنْ فِتْنَتِهِ أَنَّ مَعَهُ جَنَّةً وَنَاراً، فَنَارُهُ جَنَّةٌ وَجَنَّتُهُ نَارٌ، فَمَنِ ابْتُلِيَ بِنَارِهِ فَلْيَسْتَغِثْ بِاللَّهِ، وَلْيَقْرَأْ فَوَاتِحَ الْكَهْفِ فَتَكونَ عَلَيْهِ بَرْداً وَسَلاَماً كَمَا كَانَتِ النَّارُ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ.**

وَإِنَّ مِنْ فِتْنَتِهِ أَنْ يَقُولُ لأَعْرَابِيٍّ: أَرَأَيْتَ إِنْ أَبْعَثْ لَكَ أَبَاكَ وَأُمَّكَ أَتَشْهَدُ أَنِّي رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيَتَمَثَّلُ لَهُ شَيْطانَانِ فِي صورَةِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ، فَيَقولاَنِ: يا بُنَيَّ، اتَّبِعْهُ فَإِنَّهُ رَبُّكَ.

وَإِنَّ مِنْ فِتْنَتِهِ أَنْ يُسَلَّطَ عَلَىٰ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَيَقْتُلُها وَيَنْشُرُها بِالْمِنْشَارِ حَتَّىٰ تُلْقَىٰ شِقَّتَينِ، ثُمَّ يَقُولُ: انْظُروا إِلَىٰ عَبْدِي هَذا فَإِنِّي أَبْعَثُهُ الآنَ، ثُمَّ يَزْعُمُ أَنَّ لَهُ رَبّاً غَيْري،

(١) عقد الدرر: ص٢٦١.
(٢) عقد الدرر: ص٢٦٧.

فَيَبْعَثُهُ اللَّهُ تَعَالىٰ وَيَقُولُ لَهُ الْخَبِيثُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّي اللَّهُ، وَأَنْتَ عَدُوُّ اللَّهِ، أَنْتَ الدَّجَّالُ، وَاللَّهِ مَا كُنْتُ بَعْدُ أَشَدَّ بَصِيرَةً بِكَ مِنِّي الْيَوْمَ»[١].

أوصاف الأعور الدجَّال:

فقد أُثر عن النبيّ ﷺ ما يلي:

١ ـ «إِنَّهُ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُسرىٰ»[٢].

٢ ـ «أَعْورُ الْعَيْنِ الْيُمْنىٰ كَأَنَّ عَيْنَهُ عَنبةٌ طافِئَة»[٣].

٣ ـ «إِنَّهُ أَعْورُ ذُو حَدَقَةٍ جاحِظَةٍ لاَ تَخْفىٰ كَأَنَّهَا نُخاعَةٌ فِي جَنْبِ جِدار»[٤].

٤ ـ «إِنَّهُ هَيجانُ أَزْهَر»[٥]، أي أبيض فيه حمرة.

٥ ـ «عَرِيضُ الْجَبْهَةِ، مُشْرِفُ الْجِيد»[٦].

٦ ـ «جفالُ الشَّعَر»[٧]، أي شعره كثيف ملتفّ.

بلاء المؤمنين به:

ويبتلى المؤمنون به. يقول بعض العلماء: «ليس على أهل القدر حديث أشدّ من حديث الدجَّال»[٨].

يقول النووي: «إنَّه شخص ابتلى الله به عباده، وأقدره على أشياء من مقدورات الله سبحانه»[٩].

«وتظهر على يده بعض الآيات كإنزال المطر وغيره حتَّى يكون فتنة لمن رآه، ولكنَّ الله تعالى يكشف زيفه للمؤمنين الأخيار، ويؤمن به السذَّج والبسطاء ممَّن أظلمَّت نفوسهم»[١٠].

---

(١) عقد الدرر: ص٢٦٧ و٢٦٨.
(٢) صحيح مسلم: ٨/ ١٩٥، و:٨/ ٧٩.
(٣) البخاري: ٤/ ١٤١، و:٨/ ٧٩.
(٤) مستدرك الحاكم: ٤/ ٥٣٧.
(٥) مسند أحمد بن حنبل: ١/ ٢٤٠.
(٦) مستدرك الحاكم: ٤/ ٥٣٥.
(٧) صحيح مسلم: ٨/ ١٩٥.
(٨) كتاب السُنَّة/ ابن عاصم: ١/ ١٧٣.
(٩) شرح مسلم: ١٨/ ٥٨.
(١٠) الفتاوى الكبرى/ ابن تيميَّة: ٢٠/ ٤٥٦.

وأثر عن النبيّ ﷺ أنَّه قال: «كَيْفَ بِكُمْ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِعَبْدٍ قَدْ سُخِّرَتْ لَهُ أَنْهَارُ الأَرْضِ وَثِمَارُهَا، فَمَنْ تَبِعَهُ أَطْعَمَهُ وَأَكْفَرَهُ»[١].

جنوده وأتباعه:

قد أُثر عن النبيّ ﷺ أنَّه قال: «الدَّجَّالُ أَوَّلُ مَنْ يَتْبَعُهُ سَبْعونَ أَلْفاً مِنَ الْيَهودِ، عَلَيْهِمُ السّيجانُ[٢]، وَمَعَهُ سَحَرَةُ الْيَهودِ يَعْمَلونَ الْعَجائِبَ وَيُرونَها لِلنَّاسِ فَيُضِلّونَهُمْ بِهَا»[٣].

وفي رواية أُخرى: «يَتْبَعُ الدَّجَّالُ مِنْ يَهودِ أَصْبَهَان سَبْعونَ أَلْفاً عَلَيْهِمُ الطَّيالِسَةُ وَثَلاثَةَ عَشَرَ أَلْفَ امْرَأَة»[٤].

ويقول الرسول ﷺ: «يَخْرُجُ إِلَيْهِ غَوْغَاءُ النَّاسِ»، والغوغاء معظمهم من السواد الذين تغويهم الدعاية حيثما شاءت.

ومن أتباعه ذوو الأطماع، ففي الحديث النبوي: «لَيَصْحَبَنَّ الدَّجَّالَ أَقْوامٌ يَقولونَ: إِنَّا لَنَصْحَبُهُ وَإِنّا لَنَعْلَمَ أَنَّهُ كَافِرٌ، وَلَكِنْ نَصْحَبهُ لِنَأْكُلَ مِنْ طَعَامِهِ، وَنَرْعىٰ مِنَ الشَّجَرِ، فَإِذا غَضِبَ اللَّهُ نَزَلَ عَلَيْهِمْ جَمِيعاً»[٥].

أمارات ظهوره:

وفي الحديث النبوي: «يَكُونُ قَبْلَ خُروجِهِ سِنونَ خَمْسٌ جُدْبٌ، يَهْلَكُ كُلُّ ذِي حَافِرٍ»[٦].

وفي الحديث: «إِنَّا أَعْلَمُ بِمَا مَعَ الدَّجَّالِ مِنَ الرِّجَالِ، مَعَهُ نَهْرانِ يَجْرِيانِ: أَحَدُهُما رَأْيَ الْعَيْنِ مَاءَ أَبْيَضُ، وَالآخَرُ: رَأْيَ الْعَيْنِ نَارٌ تَتَأَجَّج»[٧].

تسخير الكنوز له:

في الحديث: «يَمُرُّ بِالْخَرِبَةِ فَيَقُولُ لَهَا: أَخْرِجي كُنوزَكِ، فَتَتْبَعُهُ كُنوزُهَا»[٨].

---

(١) مجمع الزوائد: ٧/ ٣٤٦.
(٢) السيجان: ملابس مصنوعة من الصوف.
(٣) المسيح الدجَّال: ص٢٤٨.
(٤) المسيح الدجَّال: ص٢٤٩.
(٥) المسيح الدجَّال: ص٢٤٩.
(٦) مجمع الزوائد: ٧/ ٣٤٧.
(٧) رواه أحمد بن حنبل في مسنده: ٥/ ٣٨٦ و٤٠٥.
(٨) المسيح الدجَّال: ص٢٤٩.

وفي حديث آخر: «إِنَّهُ يَأْمُرُ الأَرْضَ أَنْ تُثْبِتَ، فَتُثْبِت»[١].

نهايته:

روى الإمام الصادق عليه السلام بسنده عن آبائه، عن جدِّه رسول الله ﷺ أنَّه ذكر خروج الدجَّال، والقرية التي يخرج منها، وبعض أوصافه، وأنَّه يدَّعي الألوهيَّة، وأنَّه في أوَّل يوم من خروجه يتبعه سبعون ألفاً من اليهود وأولاد الزنا والمدمنين للخمر، والمغنّين، وأصحاب اللهو، والأعراب، والنِّساء.

وقال عليه السلام: «فَيُبِيحُ الزِّنا واللُّواطَ وَسَّئِرَ الْمَناهي حَتَّىٰ يُباشِرَ الرِّجالُ النِّساءَ وَالْغِلْمَانَ فِي أَطْرافِ الشَّوارِعِ، عُراةً، وَعلانِيَةً، وَيُفرِطُ أَصْحابُهُ فِي أَكْلِ لَحمِ الْخِنْزِيرِ، وَشُرْبِ الْخُمورِ، وَارْتِكابِ أَنْواعِ الْفُسْقِ وَالْفُجورِ، وَيُسَخِّرُ آفاقَ الأَرْضِ إِلَّا مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ وَمَراقِدَ الأَئِمَّة عليهم السلام، فَإِذَا بَلَغَ فِي طُغْيانِهِ، وَمَلأَ الأَرْضَ مِنْ جَوْرِهِ وَجَوْرِ أَعْوانِهِ يَقْتُلُهُ مَنْ يُصَلِّي خَلْفَهُ عِيسىٰ بْنُ مَرْيَمَ، وَهُوَ الإِمَامُ الْمَهْدِي عليه السلام»[٢].

خروج السفياني:

من العلامات الحتميَّة لظهور الإمام المنتظر عليه السلام: خروج السفياني، وهو من أعمدة الشرّ والفساد في الأرض.

ملامحه:

أمَّا ملامحه، فهي: «ضخم الهامة، وبوجهه أثر الجدري، وبعينه نكتة بيضاء»[٣].

صفاته النفسيَّة:

أمَّا نزعاته، فهي تحمل الشرّ والإثم والظلم والاعتداء على الناس، فهو إنسان ممسوخ، من أقذر من عرفتهم الإنسانيَّة، فإنَّه إذا ظهر يقتل الصبيان، ويبقر بطون النِّساء[٤].

---

(١) المسيح الدجَّال: ص٢٤٩.

(٢) منتخب الأثر: ص٦٠٢ و٦٠٣.

(٣) عقد الدرر: ص١٠٧ و١٠٨.

(٤) عقد الدرر: ص١٠٨.

حديث للإمام أمير المؤمنين عليه السلام عن السفياني:

قال عليه السلام بعدما ذكر اسمه: «إِنَّهُ مَلْعونٌ فِي السَّمَاءِ، مَلْعونٌ فِي الأَرْضِ، أَشَدُّ خَلْقِ اللَّهِ جَوْراً، وَأَكْثَرُ خَلْقِ اللَّهِ ظُلْماً».

وذكر عليه السلام أموراً، ثمَّ قال: «ثُمَّ يَخْرُجُ إِلَىٰ الْغُوطَةِ، فَمَا يَبْرَحُ حَتَّىٰ يَجْتَمِعَ النَّاسُ إِلَيْهِ، وَيَلْحَقُ بِهِمْ أَهْلُ الضَّغَائِنِ فَيَكونُ فِي خَمْسِينَ أَلْفاً، ثُمَّ يَبْعَثُ إِلَىٰ كَلْبٍ[1]، فَيَأْتِيهِ مِنْهُمْ مِثْلُ السَّيْلِ، وَيَكُونُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ رِجَالُ الْبَرْبَرِ يُقَاتلونَ رِجَالَ الْمَلِكِ مِنْ وِلْدِ الْعَبَّاسِ، فَيُفَاجِئُهُمْ السُّفْيانِيّ فِي عَصَائِبِ أَهْلِ الشَّامِ، فَتَخْتَلِفُ الثَّلاَثُ رَاياتٍ، رِجَالُ وِلْدِ الْعَبَّاسِ وَهُمُ التُّركُ وَالدَّيْلَمُ وَالْعَجَمُ رَاياتُهُمْ سَوْداءُ، وَرَايَةُ الْبَرْبَرِ صَفراءُ، وَرَايَةُ السُّفْيانيِّ حَمْراءُ، فَيَقْتَتِلونَ بِبَطْنِ الْوَادِي فِي الأَرْدُن قِتَالاً شَدِيداً، فَيُقْتَلُ فِيمَا بَيْنَهُمْ سِتّونَ أَلْفاً، فَيَغْلِبُ السُّفيانِيُّ، وَإِنَّهُ لَيَعْدِلُ فِيهِمْ حَتَّىٰ يَقُول الْقَائِلُ: مَا كَانَ يُقَالُ فِيهِ إِلَّا كَذِبٌ، وَاللَّهِ إِنَّهُمْ لَكَاذِبونَ، لَوْ يَعْلَمونَ مَا تَلْقَىٰ أُمَّةُ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله مِنْهُ مَا قَالوا ذَلِكَ، فَلاَ يَزَالُ يَعْدِلُ حَتَّىٰ يَسِيرَ وَيَعْبُرَ الْفُراتَ، وَيَنْزِعُ اللَّهُ مِنْ قَلْبِهِ الرَّحْمَةَ. ثُمَّ يَسِيرُ إِلَىٰ الْمَوْضِعِ الْمَعْروفِ بِقَرقيسيا، فَيَكونُ لَهُ بِهَا وَقْعَةٌ عَظِيمَةٌ وَلاَ تَبْقَىٰ بَلَدٌ إِلَّا بَلَغَهُ خَبَرُهُ فَيُدَاخِلُهُمْ مِنْ ذَلِكَ الْجَزَعُ. ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَىٰ دِمَشْقَ، وَقَدْ دَانَ لَهُ فَيُجَيِّشُ جَيْشاً إِلَىٰ الْمَدينَةِ[2]، وَجَيْشاً إِلَىٰ الْمَشْرِقِ.

فَأَمَّا جَيْشُ الْمَشْرِقِ فَيَقْتُلونَ بِالزَّوراءِ[3] سَبْعِينَ أَلْفاً، وَيَبْقرونَ بُطونَ ثَلاثِمَائَةِ امْرَأَةٍ، وَيَخْرُجُ الْجَيْشُ مِنَ الزَّوراءِ إِلَىٰ الْكُوفَةِ فَيَقْتُلُ بِهَا خَلْقاً.

وَأَمَّا جَيْشُ الْمَدينَةِ بَعْدَ أَنْ يَفْعَلوا بِالْمَدينَةِ مَا أَحَبّوا يَخْرُجونَ مِنْهَا إِلَىٰ مَكَّةَ، وَإِذَا تَوَسَّطوا الْبَيْداءَ صَاحَ بِهِمْ صَائِحٌ وَهُوَ جَبْرَئِيلُ، فَلاَ يَبْقَىٰ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا خَسَفَ اللَّهُ تَعَالَىٰ بِهِ، وَيَكونُ فِي آخِرِ (أَثَرِ) الْجَيْشِ رَجُلاَنِ يُقَالُ لَهُما: بَشِيرٌ، فَيُبَشِّرُهُمْ[4]، وَالآخَرُ: نَذِيرٌ فَيَرجِعُ إِلَىٰ السُّفيانِيِّ فَيُخْبِرُهُ بِمَا نَالَ الْجَيْشَ عِنْدَ ذَلِكَ، وَأَنَّهُمْ - أي البشير والنذير - مِنْ جُهَيْنَةَ.

ثُمَّ يَهْرُبُ قَوْمٌ مِنْ وَلَدِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله إِلَىٰ بَلَدِ الرُّوم، فَيَبْعَثُ السُّفيانِيُّ إِلَىٰ مَلِكِ الرُّومِ: رُدَّ إِلَيَّ عَبِيدِي، فَيَرُدُّهُمْ إِلَيْهِ، فَيَضْرِبُ أَعْنَاقَهُمْ عَلَىٰ الدَّرَجِ شَرْقِ مَسْجِدِ دِمَشْقَ،

---

(١) كلب: لقب لإحدى القبائل العربيَّة، ويعرفون بـ(بني كلاب).

(٢) المدينة: هي مدينة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله.

(٣) الزوراء: هي بغداد.

(٤) البشير: يبشِّر بخروج الإمام المنتظر عليه السلام.

فَلاَ يُنْكَرُ ذَلِكَ عَلَيْهِ، ثُمَّ يَسِيرُ فِي سَبْعِينَ أَلْفاً نَحْوَ الْعِراقَيْنِ: الْكوفَةُ وَالْبَصْرَةُ، ثُمَّ يَدورُ الأَمْصارَ، وَيَحُلُّ عُرَىٰ الإِسْلاَمِ عُرْوَةً بَعْدَ عُرْوَةٍ، وَيَقْتُلُ أَهْلَ الْعِلْمِ، وَيَحْرِقُ الْمَصاحِفَ، وَيُخَرِّبُ الْمَسَاجِدَ، وَيَسْتَبِيحُ الْحَرَامَ، وَيَأْمُرُ بِضَرْبِ الْمَلاَهِي وَالْمَزَامِيرِ فِي الأَسْوَاقِ، وَالشُّرْبِ عَلَىٰ قَوارِعِ الطُّرُقِ، وَيُحَلِّلَ الْفَواحِشَ، وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمْ كُلَّ مَا فَرَضَ اللَّهُ تَعَالَىٰ عَلَيْهِمْ مِنَ الْفَرائِضِ، وَلاَ يَرْتَدِعُ عَنِ الظُّلْمِ وَالْفُجورِ، بَلْ يَزْدَادُ تَمَرُّداً وَعُتُوّاً، وَيَقْتُلُ كُلَّ مَنْ اسْمُهُ: أَحْمَدُ، وَمُحَمَّدُ، وَعَلِيٌّ، وَجَعْفَرُ، وَحَمْزَةُ، وَحَسَنُ، وَحُسَيْنُ، وَفَاطِمَةُ، وَزَيْنَبُ، وَرُقَيَّةُ، وَأُمُّ كُلْثومٍ، وَخَدِيجَةُ، وَعَاتِكَةُ، حُنْقاً وَبُغْضاً لآلِ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله.

ثُمَّ يَبْعَثُ فَيَجْمَعُ الأَطْفَالَ، وَيَغْلِي الزَّيْتَ لَهُمْ، فَيَقولونَ: إِنْ كَانَ آبَاؤُنا عَصَوْكَ فَنَحْنُ مَا ذَنْبُنَا؟ فَيَأْخُذُ مِنْهُمُ اثْنَيْنِ حَسَناً وَحُسَيناً فَيَصْلِبُهُمَا.

ثُمَّ يَسِيرُ إِلَىٰ الْكوفَةِ، فَيَفْعَلُ بِهِمْ كَمَا فَعَلَهُ بِالأَطْفَالِ، وَيَصْلِبُ عَلَىٰ بَابِ مَسْجِدِها طِفْلَيْنِ أَسْماؤُهُمَا حَسَنٌ وَحُسَيْنٌ، فَتَغْلِي دِمَاؤُهُمَا كَمَا غَلَىٰ دَمُ يَحْيى بْنِ زَكَرِيَّا عليه السلام، فَإِذَا رَأَىٰ ذَلِكَ أَيْقَنَ بِالْهَلاَكِ وَالْبَلاَءِ، فَيَخْرُجُ هَارِباً مِنْهَا مُتَوَجِّهاً إِلَىٰ الشَّامِ، فَلاَ يَرَىٰ فِي طَرِيقِهِ أَحَداً يُخَالِفُهُ، فَإِذَا دَخَلَ دِمَشْقَ اعْتَكَفَ عَلَىٰ شُرْبِ الْخَمْرِ وَالْمَعَاصِي، وَيَأْمُرُ أَصْحَابَهُ بِذَلِكَ، وَيَخْرُجُ السُّفْيَانِيُّ وَبِيَدِهِ حَرْبَةٌ، فَيَأْخُذُ امْرَأَةً حَامِلاً فَيَدفَعُها إِلَىٰ بَعْضِ أَصْحَابِهِ وَيَقُولُ: افجُرْ بِهَا فِي وَسَطِ الطَّرِيقِ. فَيَفْعَلُ ذَلِكَ، وَيَبْقُرُ بَطْنَها، فَيَسْقُطُ الْجَنِينُ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ، فَلاَ يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يُغَيِّرَ ذَلِكَ».

وأضاف الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بعد ذلك قائلاً: «وَتَقَعُ الضَّجَّةُ فِي الشَّامِ، أَلا إِنَّ أَعْرَابَ الْحِجَازِ قَدْ خَرَجوا إِلَيْكُمْ، فَيَقُولُ السُّفيانِيُّ لأَصْحَابِهِ: مَا تَقولونَ فِي هَؤُلاَءِ الْقَوْمِ؟

فَيَقولون: هُمْ أَصْحَابُ نَبْلٍ وَإِبِلٍ، وَنَحْنُ أَصْحَابُ الْقُوَّةِ وَالسِّلاَحِ، اخْرُج بِنا إِلَيْهِمْ، فَيَرَوْنَهُ قَدْ جَبُنَ، وَهُوَ عَالِمٌ بِمَا يُرادُ مِنْهُ، فَلاَ يَزَالونَ حَتَّىٰ يَخرُجَ بِخَيْلِهِ وَرِجَالِهِ بِمائَتِي أَلْفٍ وَسِتِّينَ أَلْفاً حَتَّى يَنزِلوا بُحَيْرَةَ طَبَرِيَّةَ، فَيَسِيرُ الْمَهْدِيُّ عليه السلام بِمَنْ مَعَهُ وَلاَ يُحْدِثُ فِي بَلَدٍ حَادِثَةً إِلّا الأَمْنَ وَالأَمَانَ وَالْبُشْرىٰ، وَعَنْ يَمِينِهِ جَبْرَئِيلُ، وَعَنْ شِمَالِهِ مِيكَائِيلُ عليه السلام، وَالنَّاسُ يَلْحَقونَهُ مِنَ الآفَاقِ، حَتَّىٰ يَلْحقوا السُّفيانِيَّ عَلَىٰ بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ.

وَيَغْضَبُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَىٰ السُّفيانِيِّ وَجَيْشِهِ، وَيُغْضِبُ سَائِرَ خَلْقِهِ عَلَيْهِمْ، حَتَّىٰ الطَّيْرَ فِي السَّمَاءِ، فَتَرْمِيهِمْ بِأَجْنِحَتِها، وَإِنَّ الْجِبالَ لَتَرْمِيهِمْ بِصُخورِهَا، فَتَكُونُ وَقْعَةٌ يُهْلِكُ اللَّهُ فِيهَا جَيْشَ السُّفيانِيِّ، وَيَمْضِي هَارِباً، فَيَأْخُذُهُ رَجُلٌ مِنَ الْمَوَالِي اسْمُهُ صَباحٌ، فَيَأْتِي بِهِ إِلَىٰ الْمَهْدِيِّ عليه السلام، وَهُوَ يُصَلِّي الْعِشَاءَ الآخِرَةَ فَيُبَشِّرُهُ، فَيُخَفِّفُ فِي الصَّلاَةِ وَيَخْرُج.

وَيَكُونُ السُّفيانِيُّ قَدْ جُعِلَتْ عِمَامَتُهُ فِي عُنُقِهِ وَسُحِبَ، فيوقِفُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَيَقُولُ السُّفيانِيُّ لِلْمَهْدِيِّ: يابْنَ عَمِّي، مُنَّ عَلَيَّ بِالْحَياةِ أَكُونُ سَيْفاً بَيْنَ يَدَيْكَ، وَأُجَاهِدُ أَعْدَاءَكَ.

وَالْمَهْدِيُّ جَالِسٌ بَيْنَ أَصْحَابِهِ، وَهُوَ أَحيىٰ مِنْ عَذراءَ، فَيَقولُ: خَلّوهُ، فَيَقولُ أَصْحابُ الْمَهْدِيِّ: يَابْنَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ، تَمُنُّ عَلَيْهِ بِالْحَياةِ وَقَدْ قَتَلَ أَوْلاَدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ! مَا نَصْبِرُ عَلَىٰ ذَلِكَ.

فَيَقولُ: شَأْنَكُمْ وَإِيَّاهُ، اصْنَعوا بِهِ مَا شِئْتُمْ، وَقَدْ كَانَ خَلَّاه وَأَفْلَتَهُ، فَيَلْحَقُهُ صَباحٌ فِي جَماعَةٍ إِلَىٰ عِنْدِ السِّدْرَةِ، فَيُضْجِعُهُ وَيَذْبَحُهُ، وَيَأْخُذُ رَأْسَهُ وَيَأْتِي بِهِ الْمَهْدِيَّ، فَيَنْظُر شِيعَتُهُ إِلَىٰ الرَّأْسِ، فَيُكَبِّرونَ وَيُهَلِّلونَ، وَيَحْمَدونَ اللَّهَ تَعالىٰ عَلَىٰ ذَلِكَ.

ثُمَّ يَأْمُرَ الْمَهْدِيُّ عليه السلام بِدَفْنِهِ، ثُمَّ يَسِيرُ فِي عَسَاكِرِهِ فَيَنْزِلُ دِمَشْقَ، وَقَدْ كَانَ أَصْحَابُ الأَنْدَلُسِ أَحْرَقوا مَسْجِدَها وَأَخْرَبوهُ، فَيُقِيمُ فِي دِمَشْقَ مُدَّةً، وَيَأْمُرُ بِعِمَارَةِ جَامِعِها»[1].

مدَّة حكمه:

أمَّا مدَّة حكم السُّفياني وتمرّده وظلمه فهي ثمانية أشهر[2].

الرايات السود:

١ ـ روى ثوبان: «أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّاياتِ السُّودِ قَدْ جاءَت مِنْ قِبَلِ خُراسانَ فَأْتوها، فَإِنَّ فِيهَا خَلِيفَةُ اللَّهِ الْمَهْدِيُّ»[3].

٢ ـ روى الحسن بسنده: «أنَّ رسول الله ﷺ ذكر بلاءً يلقاه أهل بيته، . . . حَتَّىٰ يَبْعَثَ اللَّهُ رَايَةً مِنَ الْمَشْرِقِ سَوْداء، مَنْ نَصَرَها نَصَرَهُ اللَّهُ، وَمَنْ خَذَلَها خَذَلَهُ اللَّهُ، حَتَّىٰ يَأْتوا رَجُلاً اسْمُهُ كَاسْمِي فَيولّوهُ أَمْرَهُمْ، فَيُؤَيِّدهُ اللَّهُ وَيَنْصرهُ»[4].

٣ ـ روى جابر عن الإمام أبي جعفر عليه السلام أنَّه قال: «تَنْزِلُ الرَّاياتُ الَّتي تَخْرُجُ مِنْ خُراسانَ إِلَىٰ الْكوفَةِ، فَإِذَا ظَهَرَ الْمَهْدِيُّ عليه السلام بِمَكَّةَ بَعَثَتْ إِلَيْهِ بِالْبَيْعَةِ»[5].

٤ ـ روى عبد الله بن مسعود، قال: «بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ أقبل فتية من بني هاشم، فلمَّا رآهم النبيّ ﷺ اغرورقت عيناه وتغيَّر لونه.

---

(١) المهدي الموعود المنتظر: ٢/٩٧ ـ ١٠٠.

(٢) ينابيع المودَّة: ٣/٢٢٠.

(٣) كنز العمَّال: ١٤/٢٦١، الحديث ٣٨٦٥١.

(٤) الصواعق المحرقة: ٢/٤٧٤. الملاحم والفتن/ابن طاووس: ١/١٠٠. العرف الوردي: ٢/٦٨.

(٥) الفتن/ابن حمَّاد: ص٨٤.

قلت: ما نزال نرى في وجهك شيئاً نكرهه؟

فقال: **إِنَّا أَهْلُ بَيْتٍ اخْتَارَ اللَّهُ لَنَا الآخِرَةَ عَلَىٰ الدُّنيا، وَإِنَّ أَهْلَ بَيْتِي سَيَلْقَونَ بَعْدِي بَلاَءَ وَتَشْرِيداً وَتَطْرِيداً، حَتَّىٰ يَأْتِي قَوْمٌ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَعَهُمْ رَايَاتٌ سُودٌ، فَيَسْأَلونَ الْخَيْرَ فَلاَ يُعْطَونَهُ، فَيُقَاتِلونَ، فَيُنْصَرونَ، فَيُعْطونَ مَا سَأَلوا فَلاَ يَقْبَلونَهُ، حَتَّىٰ يَدْفعوها إِلَىٰ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي فَيَمْلأُهَا قِسْطاً كَمَا مَلأوها جَوْراً، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَلْيَأْتِهِمْ وَلَوْ حَبْواً عَلَىٰ الثَّلْجِ**»[١].

٥ ـ روى جلال الدِّين السيوطي بسنده: «أنَّ رسول الله ﷺ قال: **تَخْرُجُ مِنْ خُراسانَ رَايَاتٌ سُودٌ، فَلاَ يَرُدَّها شَيْءٌ حَتَّىٰ تُنْصَبَ بِـ(إِيليا)**».

قال ابن كثير: «هذه الروايات ليست هي التي أقبل بها أبو مسلم الخراساني، فاستلب بها دولة بني أُميَّة، بل رايات سود أُخرى تأتي صحبة المهدي»[٢].

٦ ـ روى عامر أبو الطفيل: «أنَّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال له: **يَا عَامِرُ، إِذَا سَمِعْتَ الرَّاياتِ السُّودِ مُقْبِلَةً مِنْ خُراسانَ فَكُنْتَ فِي صُنْدوقٍ مُقْفَلٍ عَلَيْكَ، فَاكْسِرْ ذَلِكَ الْقُفْلَ وَذَلِكَ الصُّنْدوقَ، حَتَّىٰ تُقْتَلَ تَحْتَها، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَتَدَحْرَجْ حَتَّىٰ تُقْتَلَ تَحْتَها**»[٣].

النداء من السَّماء:

الطائفة الأُولى:

١ ـ روى عبد الله بن عمر: «أنَّ رسول الله ﷺ قال: **يَخْرُجُ الْمَهْدِيُّ وَعَلَىٰ رَأْسِهِ غَمَامَةٌ فِيهَا مَلَكٌ يُنَادِي: هَذَا خَلِيفَةُ اللَّهِ الْمَهْدِيُّ، فَاتَّبِعوه**»[٤].

٢ ـ قال محمَّد بن الصبَّان الشافعي: جاء في الروايات «**أَنَّهُ** ـ أي الإمام المهدي ـ **عِنْدَ ظُهورِهِ يُنَادِي فَوْقَ رَأْسِهِ مَلَكٌ: هَذَا الْمَهْدِيُّ خَلِيفَةُ اللَّهِ، فَاتَّبِعوهُ، فَتُذْعِنُ لَهُ النَّاسُ، وَيَشْرَبونَ حُبَّهُ، وَأَنَّهُ يَمْلِكُ الأَرْضَ شَرْقَها وَغَرْبَها، وَأَنَّ الَّذِينَ يُبايعونَهُ أَوَّلاً بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ بِعَدِدِ أَهْلِ بَدْرٍ**»[٥].

---

(١) كنز العمَّال: ١٤/٢٦٧، الحديث ٣٨٦٧٧.
(٢) كنز العمَّال: ١٤/٢٦٧، الحديث ٣٨٦٧٧.
(٣) كنز العمَّال: ١١/٢٧٨، الحديث ٣١٥١٤.
(٤) العرف الوردي: ٢/٦١.
(٥) إسعاف الراغبين (على هامش نور الأبصار): ص١٤٩.

٣ ـ أخرج أبو نعيم، عن ابن عمر: «أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: **«يَخْرُجُ الْمَهْدِيُّ وَعَلَىٰ رَأْسِهِ مَلَكٌ يُنَادِي: هَذَا الْمَهْدِيُّ خَلِيفَةُ اللَّهِ فَاتَّبِعوهُ»**[1].

الطائفة الثانية:

١ ـ قال الإمام الرِّضا عليه السلام: **«إِذَا خَرَجَ** ـ أي الإمام المنتظر عليه السلام ـ **أَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِهِ، وَوُضِعَ مِيزَانُ الْعَدْلِ بَيْنَ النَّاسِ، فَلاَ يَظْلِمُ أَحَدٌ أَحَداً، وَهُوَ الَّذِي تُطْوىٰ لَهُ الأَرْضُ، وَلاَ يَكُونُ لَهُ ظِلٌّ، وَهُوَ الَّذِي يُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ يَسْمَعُهُ جَمِيعُ أَهْلِ الأَرْضِ بِالدُّعَاءِ لَهُ، يَقُولُ: أَلَا إِنَّ حُجَّةَ اللَّهِ قَدْ ظَهَرَ عِنْدَ بَيْتِ اللَّهِ فَاتَّبِعوهُ، فَإِنَّ الْحَقَّ فِيهِ وَمَعَهُ، وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ: ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ﴾»**[2].

٢ ـ روى ربعي بن خراش، عن حذيفة حديث السُّفياني، وقال: **«إِنَّهُ يَضْرِبُ أَعْنَاقَ مَنْ فَرَّ إِلَىٰ بَلَدِ الرُّومِ بِبَابِ دِمَشْقَ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ نَادَىٰ مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَلَّا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ قَطَعَ عَنْكُمْ مَدَّةَ الْجَبَّارِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَشْيَاعِهِمْ، وَوَلِيَّكُمْ خَيْرُ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله، فَالْحَقوهُ بِمَكَّةَ، فَإِنَّهُ الْمَهْدِيُّ، وَاسْمُهُ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ»**[3].

٣ ـ روى حذيفة بن اليمان عن رسول الله صلى الله عليه وآله قصَّة السُّفياني، وما يقترفه من الفجور والإثم، قال صلى الله عليه وآله: **«فَعِنْدَ ذَلِكَ يُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ قَطَعَ عَنْكُمْ مُدَّةَ الْجَبَّارِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَشْيَاعِهِمْ، وَوَلِيَّكُمْ خَيْرُ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله فَالْحَقوهُ بِمَكَّةَ فَإِنَّهُ الْمَهْدِيُّ، وَاسْمُهُ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ»**[4].

٤ ـ قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: **«انْتَظِروا الْفَرَجَ فِي ثَلاَثٍ.**

فقيل له: وما هنَّ؟

قال: **اخْتِلاَفُ أَهْلِ الشَّامِ بَيْنَهُمْ، وَاخْتِلاَفُ الرَّاياتِ السُّودِ مِنْ خُراسانَ، وَالْفَزْعَةُ فِي شَهْرِ رَمَضان.**

فقيل له: وما الفزعة في شهر رمضان؟

قال: **مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ يُوقِظُ النَّائِمَ، وَيُفْزِعُ الْيَقْظَانَ، وَتَخْرُجُ الْفَتَاةُ مِنْ خِدْرِها، وَيُسْمِعُ النَّاسَ كُلَّهُمْ، فَلاَ يَجِيءُ رَجُلٌ مِنَ الآفَاقِ إِلَّا يُحَدِّثُ أَنَّهُ سَمِعَها»**[5].

---

(١) فرائد السمطين: ٢/٣١٦.

(٢) فرائد السمطين: ٢/٣٣٧. سورة الشعراء: الآية ٤.

(٣) الملاحم والفتن: ص١٤١، الباب ٧٠.

(٤) عقد الدرر: ص١١٩.

(٥) الغيبة/النعماني: ص٢٥١.

٥ ـ قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «إِذَا نَادَىٰ مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ إِنَّ الْحَقَّ فِي آلِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَظْهَرُ الْمَهْدِيُّ عَلَىٰ أَفْوَاهِ النَّاسِ، وَيُسَرّونَ فَلاَ يَكُونُ لَهُمْ ذِكْرٌ غَيْرُهُ»(١).

الطائفة الثالثة:

قال الإمام محمَّد الباقر عليه السلام: «الصَّوْتُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ فِي لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ، فَاسْمَعوا وَأَطِيعوا. وَفِي آخِرِ النَّهَارِ صَوْتُ الْمَلْعونِ إِبْلِيسَ يُنَادِي أَنَّ فُلاَناً ـ لعلَّه السُّفياني ـ قُتِلَ مَظْلوماً، يُشَكِّكُ النَّاسَ وَيَفْتِنُهُمْ، فَكَمْ فِي ذَلِكَ مِنْ شَاكٍّ يَتَحَيَّرُ».

قال عليه السلام: «فَإِذَا سَمِعْتُم ذَلِكَ الصَّوْتَ فِي رَمَضَانَ ـ يعني الصوت الأوَّل ـ فَلاَ تَشُكّوا أَنَّهُ صَوْتُ جَبْرَئِيلَ، وَعَلاَمَةُ ذَلِكَ أَنَّهُ يُنَادِي بِاسْمِ الْمَهْدِيِّ، وَبِاسْمِ أَبِيهِ»(٢).

صلاة المسيح خلف الإمام المهدي عليه السلام:

١ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يَنْزِلُ عِيسَىٰ بْنُ مَرْيَمَ عِنْدَ انْفِجار الصُّبْحِ مَا بَيْنَ مهرودين، وَهُمَا ثَوْبانِ أَصْفرانِ مِنَ الزَّعْفَرانِ، أَبْيَضُ، أَصْهَبُ الرَّأْسِ، أَفْرَقُ الشَّعْرِ، كَأَنَّ رَأْسَهُ يَقْطُرُ دُهْناً، بِيَدِهِ حَرْبَةٌ يَكْسِرُ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ، وَيُهْلِكُ الدَّجَّالَ، وَيَقْبِضُ أَمْوالُ الإِمَامِ عليه السلام، وَيَمْشِي خَلْفَهُ أَهْلُ الْكَهْفِ، وَهُوَ الْوَزِيرُ الأَيْمَنُ لِلْقَائِمِ وَحَاجِبُهُ وَنَائِبُهُ، وَيَبْسُطُ فِي الْمَغْرِبِ وَالْمَشْرِقِ الأَمْنَ»(٣).

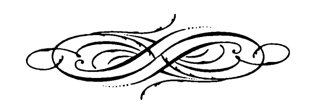
٢ ـ أدلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بحديث عن الدجَّال، وما يقترفه من الآثام والموبقات، ثمَّ عرج الإمام عليه السلام على السيِّد المسيح فقال: «إِذَا كَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَقَدْ أُقِيمَتِ الصَّلاَةُ، نَزَلَ عِيسَىٰ بْنُ مَرْيَمَ بِثَوْبَيْنِ مُشْرِقَيْنِ حُمْرٍ، كَأَنَّمَا يَقْطُرُ مِنْ رَأْسِهِ الدُّهْنُ، رَجْلُ الشَّعَرِ، صَبِيحُ الْوَجْهِ، أَشْبَهُ خَلْقِ اللَّهِ بِإِبْرَاهِيمَ عليه السلام فَيَلْتَفِتُ الْمَهْدِيُّ فَيَنْظُرُ عِيسَىٰ، فَيَقُولُ لِعِيسَىٰ: يَابْنَ الْبَتُولِ، صَلِّ. فَيَقُولُ: لَكَ أُقِيمَتِ الصَّلاَةِ، فَيَتَقَدَّمُ الْمَهْدِيُّ عليه السلام فَيُصَلِّي بِالنَّاسِ وَيُصَلِّي عِيسَىٰ خَلْفَهُ، وَيُبايِعُهُ، وَيَخْرُجُ عِيسَىٰ فَيَلْقَىٰ الدَّجَّالَ فَيَطْعَنُهُ، فَيَذُوبُ كَمَا يَذُوبُ الرَّصَاصُ»(٤).

٣ ـ روى أبو أُمامة الباهلي، قال: «خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله وذكر في خطبته الدجَّال

---

(١) عقد الدرر: ص٥٢.
(٢) عقد الدرر: ص١٠٥، الباب الرابع، الحديث ١٤٨.
(٣) غاية المرام: ص٦٩٧.
(٤) عقد الدرر: ص٢٧٤ و٢٧٥، وانظر ص٢٢٩ و٢٣٠.

وما يحدثه من الفتن، ثمّ قال: وَإِمَامُ النَّاسِ رَجُلٌ صَالِحٌ ـ وهو المهدي ـ فَيُقَالُ لَهُ: صَلِّ الصُّبْحَ، فَإِذَا كَبَّرَ وَدَخَلَ فِي الصَّلاَةِ نَزَلَ عِيسَىٰ بْنُ مَرْيَمَ، فَإِذَا رَآهُ ذَلِكَ الرَّجُلُ ـ أي المهدي ـ عَرَفَهُ، فَيَرْجِعُ الْقَهْقَرى لِيَتَقَدَّمَ عِيسَىٰ بْنُ مَرْيَمَ، فَيَضَعُ عِيسَىٰ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيهِ فَيَقُولُ لَهُ: صَلِّ، فَإِنَّمَا أُقِيمَتِ لَكَ الصَّلاَة، فَيُصَلِّي عِيسَىٰ بْنُ مَرْيَمَ وَرَاءَهُ، ثُمَّ يَقُولُ: افْتَحوا الْبَابَ، فَيَفْتَحونَ الْبَابَ، وَمَعَ الدَّجَّالِ يَوْمَئِذٍ سَبْعونَ أَلْفَ يَهوديٍّ ذِي سِلاَحٍ وَسَيْفٍ مُحَلَّىٰ، فَإِذَا نَظَرَ إِلَىٰ عِيسىٰ ذَابَ كَما يَذُوبُ الرَّصَاصُ فِي النَّار، أَوِ الثَّلج فِي الْمَاءِ، ثُمَّ يَخْرُجُ فَيَقُولُ عِيسَىٰ: إِنَّ لِي فِيكَ ضَرْبَةً لَنْ تَفوتَنِي بِهَا، فَيُدْرِكُهُ عِنْدَ بَابِ الشَّرقِي فَيَقْتُلُهُ، وَلاَ يَبْقىٰ شَيْءٌ مِمَّا خَلَقَ اللَّهُ يَتَوارَىٰ بِهِ يَهوديٌّ إِلَّا أَنْطَقَ اللَّهُ ذَلِكَ الشَّيْءَ لاَ شَجَرَ وَلاَ حَجَرَ وَلاَ دَابَّةَ إِلَّا قَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ الْمُسْلِم، هَذا كَافِرٌ فَاقْتُلْهُ إِلَّا الْغَرْقَدَةَ[1] فَإِنَّهَا مِنْ شَجَرِهِمْ، وَلاَ تَنْطِقُ، وَيَكُونُ عِيسَىٰ فِي أُمَّتِي حَكَماً عَدْلاً، وَإِمَاماً مُقْسِطاً، فَيَدُقُّ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ، وَيَتْرُكُ الصَّدَقَةَ»[2].



(١) الغرقدة: شجرة الغضا والعوسج.

(٢) عقد الدرر: ص٢٧٠ ـ ٢٧١.

زمان ظهوره عليه السلام ومكانه

الزمان:

أمَّا الزمان الذي يخرج فيه الإمام المهدي عليه السلام فهو يوم السبت عاشر محرَّم، وهو اليوم الذي استشهد فيه سيِّد الشُّهداء وأبو الأحرار، الإمام الحسين عليه السلام. استمعوا إلى بعض الأحاديث التي أعلنت ذلك:

١ ـ روى أبو بصير عن الإمام الصادق عليه السلام أنَّه قال: «**يَخْرُجُ الْقَائِمُ يَوْمَ السَّبْتِ يَوْمَ عَاشوراءِ، الْيَوْمُ الَّذِي قُتِلَ فِيهِ الْحُسَيْنُ عليه السلام**»[(١)].

٢ ـ روى عليّ بن مهزيار عن الإمام أبي جعفر محمَّد الباقر عليه السلام أنَّه قال: «**كَأَنِّي بِالْقَائِمِ يَوْمَ عَاشوراءِ يَوْمَ السَّبْتِ، قَائِماً بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ، بَيْنَ يَدَيْهِ جَبْرَئِيلُ يُنَادِي: الْبَيْعَةُ لِلَّهِ، فَيَمْلَؤُهَا عَدْلاً كَمَا مُلِئَتْ ظُلْماً وَجَوْراً**»[(٢)].

٣ ـ روى أبو بصير عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام، قال: «**لاَ يَخْرُجُ الْقَائِمُ إِلَّا فِي وَترٍ مِنَ السِّنِينَ: سَنَةَ إِحْدىٰ أَوْ ثَلاَثٍ أَوْ خَمْسٍ، أَوْ سَبْعٍ أَوْ تِسْعٍ، وَيَقومُ فِي يَوْم عَاشوراءَ، وَيَظْهَرُ يَوْمَ السَّبْتِ الْعَاشِرِ مِنَ الْمُحَرَّم قَائِماً بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ، وَشَخْصٌ قَائِمٌ عَلَىٰ يَدَيْهِ يُنَادِي الْبَيْعَةُ. . الْبَيْعَةُ، فَيَسِيرُ إِلَيْهِ أَنْصَارُهُ مِنْ أَطْرَافِ الأَرْضِ يُبايعونَهُ، فَيَمَلأُ اللَّهُ تعالَىٰ بِهِ الأَرْضَ عَدْلاً كَمَا مُلِئَتْ جَوْراً وَظُلْماً، ثُمَّ يَسِيرُ مِنْ مَكَّةَ حَتَّىٰ يَأْتِيَ الْكُوفَةَ، فَيَنْزِلُ عَلَىٰ نَجَفِهَا، ثُمَّ يُفَرِّقُ الْجُنودَ مِنْهَا إِلَىٰ جَمِيعِ الأَمْصَارِ**»[(٣)].

وقت نداء الملك:

في رواية محمَّد بن مسلم، قال: «سأل رجل الإمام أبا عبد الله عليه السلام، فقا له: متى يظهر قائمكم؟

(١) كمال الدِّين: ص٦٥٤.
(٢) الغيبة/الشيخ الطوسي: ص٤٥٣.
(٣) منتخب الأثر: ص٤٦٥.

قال عليه السلام: إِذَا كَثُرَتِ الْغِوايَةُ، وَقَلَّتِ الْهِدَايَةُ ـ إلى أن قال ـ: فَعِنْدَ ذَلِكَ يُنادىٰ بِاسْمِ الْقَائِمِ فِي لَيْلَةِ ثَلاَثٍ وَعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ رَمَضانَ، وَيَقُومُ فِي يَوْمِ عَاشوراءِ»[1].

وقيل: «إِنَّ صَيْحَةَ الْمَلَكِ تَكُونُ فِي شَهْرِ رَمَضانَ، وَخُروجُ الإِمَامِ يَكُونُ فِي شَوَّالٍ فِي وَتْرٍ مِنَ السِّنِينَ»[2].

سعة سلطانه:

١ ـ روى ابن عبّاس: «أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إِنَّ خُلَفائِي وَأَوْصِيائِي وَحُجَجَ اللَّهِ عَلَىٰ الْخَلْقِ بَعْدِي لاثْنا عَشَرَ، أَوَّلُهُمْ أَخِي، وَآخِرُهُمْ وَلَدِي.

قيل: يا رسول الله، مَن أخوك؟

قال: عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ.

قيل: فمن ولدك؟

قال: الْمَهْدِيُّ الَّذِي يَمْلأُهَا قِسْطاً وَعَدْلاً كَمَا مُلِئَتْ جَوْراً وَظُلْماً. وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ بَشِيراً، لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيا إِلَّا يَوْمٌ وَاحِدٌ لَطَوَّلَ اللَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ حَتَّىٰ يَخْرُجَ فِيهِ وَلَدِي الْمَهْدِيُّ، فَيَنزِلُ روحُ اللَّهِ عِيسَىٰ بْنُ مَرْيَمَ فَيُصَلِّي خَلْفَهُ، وَتُشْرِقُ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا، وَيَبْلُغُ سُلْطَانُهُ الْمَشْرِقَ وَالْمَغْرِبَ»[3].

٢ ـ روى أبو سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: لاَ تَنْقَضِيَ الدُّنْيا حَتَّىٰ يَمْلِكَ الأَرْضَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يَمْلأُ الأَرْضَ عَدْلاً كَمَا مُلِئَتْ قَبْلَهُ جَوْراً، يَمْلِكُ سَبْعَ سِنِينَ»[4].

٣ ـ روى عبد الله بن عبّاس، عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: «مَلَكَ الأَرْضَ أَرْبَعَةٌ: مُؤْمِنَانِ وَكَافِرانِ، فَالْمُؤْمِنَانِ: ذو الْقَرْنَيْنِ وَسُلَيمانُ، وَالْكَافِرانِ: بُخْتَنَصَّرَ وَنَمْرودُ، وَسَيَمْلِكُها خَامِسٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي»[5].

منهج حكمه:

١ ـ روى جابر عن الإمام أبي جعفر عليه السلام، قال: «يَظْهَرُ الْمَهْدِيُّ بِمَكَّةَ عِنْدَ الْعِشَاءِ، وَمَعَهُ رَايَةُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَقَمِيصُهُ وَسَيْفُهُ، وَعَلاَمَاتُ نُورٍ وَبَيانٍ، فَإِذَا صَلَّىٰ الْعِشَاءَ نَادَىٰ

---

(١) كشف الأستار: ص٢٢٢.

(٢) ينابيع المودَّة: ٣/ ٢٢٠.

(٣) ينابيع المودَّة: ٣/ ١٦٥.

(٤) عقد الدرر: ص٢٣٦.

(٥) عقد الدرر: ص١٩ و٢٠.

بِأَعْلىٰ صَوْتِهِ: أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ أَيُّهَا النَّاسُ وَمَقَامَكُمْ بَيْنَ يَدَي رَبِّكُمْ، وَقَدِ اتَّخَذَ الْحُجَّةَ، وَبَعَثَ الأَنْبِياءَ، وَأَنْزَلَ الْكِتَابَ، يَأْمُرُكُمْ أَنْ لاَ تُشْرِكوا بِهِ شَيْئاً، وَأَنْ تُحَافِظوا عَلىٰ طَاعَتِهِ وَطاعَةِ رَسُولِهِ ﷺ، وَأَنْ تُحْيوا مَا أَحْيَىٰ الْقُرْآنَ، وَتُمِيتوا مَا أَمَاتَ، وَتَكُونوا أَعْواناً عَلىٰ الْهُدىٰ، وَوزَراءَ عَلىٰ التَّقْوىٰ، فَإِنَّ الدُّنْيا قَدْ دَنَا فَنَاؤُها وَزَوالُهَا، وَآذَنَتْ بِالْوَداعِ، وَإِنِّي أَدْعوكُمْ إِلَىٰ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَالْعَمَلِ بِكِتَابِهِ، وَإِمَاتَةِ الْبَاطِلِ، وَإِحْياءِ السُّنَّةِ»[1].

٢ ـ قال الإمام أبو جعفر عليه السلام: «إِذَا قَامَ قَائِمُنَا فَإِنَّهُ يَقْسِمُ بِالسَّوِيَّةِ، وَيَعْدِلُ فِي خَلْقِ الرَّحْمٰنِ، الْبِرِّ مِنْهُمْ وَالْفَاجِرِ»[2].

٣ ـ وقال عليه السلام أيضاً: «إِذَا قَامَ قَائِمُنا حَكَمَ بِالْعَدْلِ، وَارْتَفَعَ فِي أَيَّامِهِ الْجَوْرُ، وَأَمِنَتْ بِهِ السُّبُلُ، وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ بَرَكَاتِهَا، وَرُدَّ كُلُّ حَقٍّ إِلَىٰ أَهْلِهِ»[3].

٤ ـ وعنه عليه السلام: «يَبْلُغُ مِنْ رَدِّ الْمَهْدِيِّ الْمَظَالِمِ حَتَّىٰ لَوْ كَانَ تَحْتَ ضِرْسِ إِنْسانٍ شَيْءٌ انْتَزَعَهُ حَتَّىٰ يَرُدَّهُ»[4].

صفات أصحابه:

١ ـ روى محمَّد بن الحنفيَّة: «أنَّ رجلاً سأل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عن الإمام المهدي، فقال عليه السلام: يَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ ـ ثمَّ ذكر الإمام أوصاف أصحابه فقال ـ: فَيَجْمَعُ اللَّهُ تَعَالىٰ لَهُ قَوْماً قَزَعٍ كَقَزَعِ السَّحَابِ، يُؤَلِّفُ اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ، لاَ يَسْتَوْحِشونَ إِلَىٰ أَحَدٍ، وَلاَ يَفْرَحونَ بِأَحَدٍ يَدْخُلُ فِيهِمْ»[5].

٢ ـ من كلام للإمام أمير المؤمنين عليه السلام في وصفهم، قال: «قَوْمٌ لَمْ يَمُنّوا عَلَىٰ اللَّهِ بِالصَّبْرِ، وَلَمْ يَسْتَعْظِموا بَذْلَ أَنْفُسِهِمْ فِي الْحَقِّ، حَتَّىٰ إِذَا وَافَقَ وَارِدُ الْقَضَاءِ انْقِطاعَ مُدَّةِ الْبَلاَءِ حَمَلوا بَصَائِرَهُمْ عَلَىٰ أَسْيَافِهِمْ، وَدَانوا لِرَبِّهِمْ بِأَمْرِ وَاعِظِهِمْ»[6].

٣ ـ قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في وصفهم: «يُجَاهِدُهُمْ فِي اللَّهِ قَوْمٌ أَذِلَّةٌ عِنْدَ الْمُتَكَبِّرِينَ، فِي الأَرْضِ مَجْهولونَ، وَفِي السَّمَاءِ مَعْروفونَ»[7].

---

(١) الملاحم والفتن/ابن طاووس: ص٦٤، الباب ١٢٩.
(٢) بحار الأنوار: ٥١/ ٢٩.
(٣) الإرشاد: ٢/ ٣٨٤.
(٤) الملاحم والفتن/ابن طاووس: ص٦٨، الباب ١٣٩.
(٥) مستدرك الحاكم: ٤/ ٥٥٤.
(٦) ينابيع المودَّة: ٣/ ٤٣٧.
(٧) ينابيع المودَّة: ٣/ ٤٣٧.

عددهم:

روى عبد الله بن سنان عن الإمام الصادق عليه السلام أنَّه قال: «الْمَفْقودونَ مِنْ فُرُشِهِمْ ثَلاثَمائَةٍ وَثَلاثَةَ عَشَرَ رَجُلاً عِدَّةُ أَهْلِ بَدْرٍ، فَيُصْبِحونَ بِمَكَّةَ، وَهُوَ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ﴾[1]، وَهُمْ أَصْحابُ الْمَهْدِيِّ»[2].

وروى سليمان بن هارون العجلي، قال: «سمعت جعفر الصادق عليه السلام يقول: إِنَّ أَصْحَابَ هَذَا الأَمْرِ ـ يعني القائم ـ مَحْفوظونَ، لَوْ ذَهَبَ النَّاسُ جَميعاً أَتَىٰ اللَّهُ بِأَصْحابِهِ، وَهُمُ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[3]»[4].

وقال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «وَاللَّهِ إِنِّي لأَعْرِفُهُمْ ـ أي أصحاب الإمام المهدي عليه السلام ـ وَأَعْرِفُ أَسْمَاءَهُمْ وَقَبائِلَهُمْ، وَاسْمُ أَميرِهِمْ، وَهُمْ قَوْمٌ يَحْمِلُهُمُ اللَّهُ كَيْفَا شَاءَ، مِنَ الْقَبيلَةِ الرَّجُلَ وَالرَّجُلَين ـ حتَّى بلغ تسعة ـ فَيَتوافَونَ مِنَ الآفَاقِ ثَلاثُمَائَةٍ وَثَلاثَةَ عَشَرَ رَجُلاً عِدَّةُ أَهْلِ بَدْرٍ، وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ: ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[5]، حَتَّىٰ أَنَّ الرَّجُلَ لَيَحْتَبِي فَلاَ يَحِلُّ حَبْوَتَهُ حَتَّىٰ يَبْلغَهُ اللَّهُ فِي ذَلِكَ»[6].

وروى أبو خالد الكابلي عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنَّه قال: «الْمَفْقودونَ مِنْ فُرُشِهِمْ[7] ثَلاثُمَائَةٍ وَثَلاثَةَ عَشَرَ رَجُلاً، عِدَّةُ أَهْلِ بَدْرٍ، وَيُصْبِحونَ بِمَكَّةَ، وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾، وَهُمْ أَصْحَابُ الْقَائِمِ»[8].

مكان البيعة:

أمَّا مكان بيعة أصحاب الإمام المنتظر عليه السلام للإمام فهو في أقدس مكان وأجلّه، وهو ما بين الرُّكن ومقام إبراهيم في بيت الله الحرام، وقد تواترت الأخبار بذلك.

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٤٨.
(٢) منتخب الأثر: ص٥٩٦.
(٣) سورة المائدة: الآية ٥٤.
(٤) ينابيع المودَّة: ٣/ ٢٣٧.
(٥) سورة البقرة: الآية ١٤٨.
(٦) الغيبة/ الشيخ الطوسي: ص٤٧٧.
(٧) وفي نسخة: «المفتقدون».
(٨) كمال الدِّين: ص٥٩٣.

شروط الإمام على المبايعين له:

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ـ بعد وصفه لأصحاب الإمام المهدي عليه السلام ـ: «إِنَّهُ يَقُولُ: بَايعوا عَلَىٰ أَرْبَعِينَ خِصْلَةً، وَاشْتَرِطوا عَشْرَ خِصَالٍ.

فقال الأحنف: ما هي؟

فقال عليه السلام: يُبايعونَهُ عَلَىٰ أَنْ لاَ يَسْرِقوا، وَلاَ يَزْنوا، وَلاَ يَقْتُلوا، وَلاَ يَهْتِكوا حَرِيماً مُحَرَّماً، وَلاَ يَسُبّوا مُسْلِماً، وَلاَ يَهْجُموا مَنْزِلاً، وَلاَ يَضْرِبوا أَحَداً إِلَّا بِحَقٍّ، وَلاَ يَرْكَبوا الْخَيْلَ الْهَمَالِجَ[١]، وَلاَ يَتَمَنْطَقوا بِالذَّهَبِ، وَلاَ يَلْبَسوا الْخَزَّ، وَلاَ يَلْبَسوا الْحَرِيرَ، وَلاَ يَلْبَسوا النِّعالَ الصَّرَّارَةَ[٢]، وَلاَ يُخَرِّبوا مَسْجِداً، وَلاَ يَقْطَعوا طَرِيقاً، وَلاَ يَظْلِموا يَتِيماً، وَلاَ يُخِيفوا سَبِيلاً، وَلاَ يَحْتَسِبوا مَكْراً، وَلاَ يَأْكُلوا مَالَ الْيَتِيمِ، وَلاَ يَفْسُقوا بِغُلامٍ، وَلاَ يَشْرَبوا الْخَمْرَ، وَلاَ يَخونوا الأَمَانَةَ، وَلاَ يُخْلِفوا الْعَهْدَ، وَلاَ يَحْبِسوا طَعَاماً مِنْ بُرٍّ أَوْ شَعِيرٍ، وَلاَ يَقْتلوا مُسْتَأْمِناً، وَلاَ يَتْبَعوا مُنْهَزِماً، وَلاَ يَسْفِكوا دَماً، وَلاَ يُجْهِزوا عَلَىٰ جَرِيحٍ، وَيَلْبَسوا الْخَشِنَ مِنَ الثِّيابِ، وَيُوَسِّدوا الْخُدُودَ عَلَىٰ التُّرابِ[٣]، وَيَأْكُلوا الشَّعِيرَ، وَيَرْضونَ بِالْقَلِيلِ، وَيُجَاهِدونَ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ، وَيَشُمّونَ الطِّيبَ، وَيَكْرَهونَ[٤] النَّجاسَةَ.

وَيَشْتَرِطُ لَهُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ أَلَّا يَتَّخِذَ صَاحِباً، وَيَمْشِي حَيْثُ يَمْشونَ، وَيَكُونُ مِنْ حَيْثُ يُرِيدونَ، وَيَرْضىٰ بِالْقَلِيلِ، وَيَمْلأُ الأَرْضَ بِعَوْنِ اللَّهِ عَدْلاً كَمَا مُلِئَتْ جَوْراً، يَعْبُدُ اللَّهَ حَقَّ عِبَادَتِهِ»[٥].

حامل لواء الإمام عليه السلام:

أمَّا حامل لواء الإمام المهدي عليه السلام فهو فذّ من أفذاذ العلويِّين، وقد صرَّحت الأخبار الواردة عن أئمَّة الهدى عليهم السلام باسمه، وهو شعيب بن صالح، وهو الذي يأتي من خراسان يقود جيشاً عظيماً لمبايعة الإمام عليه السلام ونصرته[٦].

وقيل: إنَّه من تميم، وهو الذي يهزم السُّفياني حتَّى ينزل بيت المقدس فيوطّىء للإمام المهدي سلطانه، وتكون المدَّة بين خروجه وبين تسليمه الأمر للإمام اثنان وسبعون شهراً[٧].

---

(١) الهمالج: فارسي معرَّب، وهو من البراذين التي تمشي مشياً شبه الهرولة.

(٢) الصرارة: هو جلد العقبان التي تأكل الحياة.

(٣) في الأصل: «وَيُوسِّدوا التُّرابَ عَلَىٰ الْخُدودِ»، والعكس هو الصحيح، وهو كناية عن تواضعهم.

(٤) الكراهة تحمل على الحرمة لا على معناها الظاهر.

(٥) المهدي الموعود: ٢/ ١١.

(٦) كنز العمَّال: ٤/ ٥٨٨.

(٧) الملاحم والفتن: ص٥٢ الباب ٦٢.

وروي أنَّ لواء الإمام عليه السلام قد كتب عليه «البيعة لله»[١].

مدَّة حكمه:

١ ـ **«إنَّ حُكْمَهُ أَرْبَعونَ سَنَةً»**، روي ذلك عن أمير المؤمنين عليه السلام[٢].

٢ ـ **«مُدَّةُ حُكْمِهِ ثَلاثونَ سَنَةً»**[٣].

٣ ـ **«إِحْدىٰ وَعِشْرونَ سَنَةً مُدَّةُ حُكْمِهِ»**[٤].

انتشار الخير في أيَّامه:

١ ـ روى أبو سعيد الخدري عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنَّه قال: **«تَنْعُمُ أُمَّتِي فِيهِ** ـ أي في حكم المهدي ـ **نِعْمَةً لَمْ يَنْعموا مِثْلَها قَطُّ، تُؤْتِي الأَرْضُ أُكُلَها لاَ تَدَّخِرُ عَنْهُمْ شَيْئاً، وَالْمَالُ يَوْمَئِذٍ كَدوسٌ يَقُومُ الرَّجُلُ فَيَقُولُ: يَا مَهْدِيُّ، أَعْطِنِي، فَيَقُولُ: خُذْ»**[٥].

٢ ـ روى أبو سعيد الخدري عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنَّه قال: **«يَخْرُجُ فِي آخِرِ أُمَّتِي الْمَهْدِيُّ، يَسْقِيهِ اللَّهُ الْغَيْثَ، وَتُخْرِجُ الأَرْضُ نَبَاتَها، وَيُعْطِي الْمَالَ صِحاحاً، وَتَكْثُرُ الْمَاشِيَةُ وَتَعْظُمُ الأُمَّةُ»**[٦].

٣ ـ أدلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بحديث عن الإمام المهدي عليه السلام جاء فيه: **«يَبْعَثُ الْمَهْدِيُّ إِلَىٰ أُمَرَائِهِ بِسَائِرِ الأَمْصَارِ بِالْعَدْلِ بَيْنَ النَّاسِ، وَتَرْعَىٰ الشَّاةُ وَالذِّئْبُ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ»**.

وأضاف: **«وَيَذْهَبُ الشَّرُّ، وَيَبْقَىٰ الْخَيْرُ، وَيَزْرَعُ الإِنْسَانُ مُدّاً وَتَخْرُجُ لَهُ سَبْعَةُ أَمْدادٍ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ، وَيَذْهَبُ الزِّنَا، وَشُرْبِ الْخَمْرِ، وَيَذْهَبُ الرِّبَا، وَيَقْبَلُ النَّاسُ عَلَىٰ الْعِبَادَاتِ وَالشَّرْعِ وَالدِّيَانَةِ وَالصَّلاَةِ فِي الْجَمَاعَاتِ، وَتَطولُ الأَعْمَارُ، وَتُؤَدَّىٰ الأَمَانَاتُ، وَتَحملُ الأَشْجَارَ، وَتَتَضَاعَفُ الْبَرَكَاتُ، وَتَهْلَكُ الأَشْرَارُ، وَتَبْقَىٰ الأَخْيَارُ، وَلاَ يَبْقَىٰ من يُبْغِضُ أَهْلَ الْبَيْتِ»**[٧].

---

(١) الملاحم/ابن طاووس: ص٦٨، الباب ١٤١.

(٢) عقد الدرر: ص٢٤٠ ـ ٢٤١.

(٣) عقد الدرر: ص٣٠٦.

(٤) إسعاف الراغبين (بهامش نور الأبصار): ص١٥٣.

(٥) مستدرك الحاكم: ٤/٥٥٨.

(٦) مستدرك الحاكم: ٤/٥٥٧ ـ ٥٥٨.

(٧) منتخب الأثر: ص٤٧٤.

الفهرس

حياة الإمام موسى الكاظم عليه السلام

حياة الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام

حياة الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام

حياة الإمام علي بن محمَّد الهادي عليه‌السلام

حياة الإمام الحسن العسكري عليه السلام

حياة الإمام المنتظر عليه السلام
المصلح الأعظم